جلد دوم این نسخه بخط و حواشی بقلم همین کاتب و همین قطع عینا نزد آقای حاج شیخ [illegible] عراقی و اعطا است آنرا باید از ایشان [illegible]

تفسیر مجمع البیان

منقول از حیات القلوب

بسند معتبر از حارث اعور منقول است که روزی حضرت امیر المؤمنین علیه السلام سوار شده در شهر حیره ناگاه بدیری رسیدیم که ترسائی در آن ناقوس میزد پس آن حضرت فرمود ای حارث آیا میدانی چه میگوید این ناقوس گفتم خدا و رسول و پسر عم رسول بهتر میدانند فرمود که مثل میزند برای دنیا و خرابی آن و میگوید لا اله الا الله حقا حقا صدقا صدقا ان الدنیا قد غرتنا و شغلتنا و استهوتنا یا ابن الدنیا مهلا مهلا یا ابن الدنیا دقا دقا یا ابن الدنیا جمعا جمعا تفنی الدنیا قرنا قرنا ما من یوم یمضی عنا الا اوهی منا رکنا قد ضیعنا دارا تبقی و استوطنا دارا تفنی لسنا ندری ما فرطنا فیها الا لو قد متنا حاصل مضمون این کلمات است که شهادت میدهم بیگانگی خدا و حال آنکه حق حقیقت راست راست است بدرستی که دنیا ما را فریب داد و مشغول کرد از آخرت و عقل ما را ضایع کرد و ما را گمراه کرد ای فرزند دنیا پس انداز و با تدبیر انداز کار خود را ای فرزند دنیا هر روز کوبنده عمر تو بمصیبتها تا چند یکدیگر را بکوبید برای جمع دنیا تا بکی در هم شکسته خواهی شد ای فرزند دنیا تا چند جمع کنی مال و اسباب دنیا را فانی میکند دنیا هر قرنی بعد از قرن دیگر هیچ روز نمیگذرد از عمر ما مگر آنکه رکنی از ارکان بدن ما را ضعیف و سست میکند بتحقیق که ضایع کردیم خانه باقی را و وطن خود کردیم خانه فانی را نمیدانیم که تقصیر کردیم در دنیا مگر بعد از مردن پس حارث گفت یا امیر المؤمنین آیا نصاری میدانند که صدا و نوای ناقوس این معنی دارد فرمود که اگر میدانستند مسیح را شریک خدا نمیکردند و نمیدانند حارث گفت که من روز دیگر رفتم بنزد نصرانی که در آن دیر بود گفتم بحق مسیح که این ناقوس را بنواز [illegible] میزدی چون شروع کرد بزدن هر مرتبه که میزد من یک فقره از آنچه حضرت فرموده بود میخواندم برنوای او منطبق میشد تا آخر رسید پس گفت بحق پیغمبر شما که قسم میدهم تو را که بگو که این را بتو که گفت حارث گفت آن شخص که دیروز با من همراه بود او بمن تعلیم کرد این را پرسید که میان او و پیغمبر شما خویشی هست حارث گفت پسر عم اوست پرسید که آیا این را از پیغمبر شنیده است گفت بلی پس آن نصرانی مسلمان شد و گفت والله من در تورات خوانده ام که آخر پیغمبران پیغمبری خواهد بود که تفسیر صدای ناقوس را خواهد کرد

۱۲۱۶ [illegible]

قال الامام طعن بعض الملاحدة في القرآن لاجل اشتماله على المتشابهات وقال انكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن الى يوم القيمة ثم انا نراه بحيث يتمسك به كل صاحب
مذهب على مذهبه فالجبري يتمسك بآيات الجبر كقوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا والقدري يقول بل هذا مذهب الكفار بدليل
انه تعالى حكى ذلك عن الكفار في معرض الذم لهم في قوله وقالوا قلوبنا غلف وايضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
والنافي يتمسك بقوله تعالى لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يتمسك بقوله يخافون ربهم من فوقهم وبقوله الرحمن على العرش استوى والنافي يتمسك
بقوله ليس كمثله شيء ثم ان كل واحد يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والآيات المخالفة لمذهبه متشابهة وانما يرجع في ترجيح بعضها على بعض
الى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة فكيف يليق بالحكيم ان يجعل الكتاب الذي هو المرجوع اليه الى يوم القيمة هكذا اليس انه لو جعله جليا ظاهرا خاليا
عن هذه المتشابهات كان اقرب الى حصول الغرض فذكر العلماء في حكمة كون بعض القرآن محكما وبعضه متشابها وجوها الاول انه متى
كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق اصعب واشق وزيادة المشقة توجب زيادة الثواب الثاني اذا كان القرآن مشتملا على المحكم
والمتشابه افتقر الناظر الى الاستعانة بدليل العقل حتى يتخلص عن ظلمة التقليد ويصل الى ضياء الاستدلال والتبيين ولو كان كله محكما لم يفتقر الى
التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ يكون باقيا في الجهل والتقليد والثالث ان القرآن لما كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر المكلف الى تعلم طرق
التأويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر في تعلم ذلك الى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو وعلم اصول الفقه ولو لم يكن الامر كذلك لما كان الانسان
يحتاج الى تحصيل هذه العلوم الكثيرة المتضمنة للمعارف المتكثرة والرابع وهو السبب الاقوى في هذا الباب ان القرآن كتاب [illegible] الخواص
والعوام باسرهم وطباع العوام تنبو في اكثر الامر عن ادراك الحقايق فمن سمع من العوام في اول الامر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار اليه
ظن ان هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح ان يخاطبوا بالفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه ويكون ذلك مخلوطا بما يدل
على الحق الصريح فالمخاطبة في اول الامر بما هو من باب المتشابهات وثانيا بما هو من باب المحكمات وهو انما يكون في مخاطبة من انكشفت لهم حقايق الامور
واستعدت بصايرهم للاستنارة بانوار اليقين

انتهى كلامه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين رب يسر واعن

الحمد لله الذي ارتفعت عن مطارح الفكر جلالته وجلّت عن مطامح الهمم عزته وتعالت عن مشابه الأنام صفته وأعجزت مدارك
الأفهام حكمته وفاقت مبالغ الأوهام عظمته الذي له في كل ما ترمقه الأبصار اللاحظة وتذكره الألسن اللافظة وتبلغه العقول الذكية
وتعرفه القلوب الواعية آيات واضحة على وحدانيته ودلالات ناطقة على ربوبيته الواحد لا ثاني له في القدم المحدث للأشياء بعد العدم
إنشاء بلا طوية ولا روية ولا آلة ابتهاها ولا قريحة غريزة أضمر عليها هو الظاهر عليها بسلطانه وقدرته الباطن لها بعلمه ولطيف صنعته
الأول الذي لا يقدمه قبل والآخر الذي لا يعقبه بعد لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد أحمده على آلائه المتواترة
المتظاهرة ونعمه الباطنة والظاهرة حمداً يستدر شآبيب جوده الهاطلة ويمتري أخلاف فضله الكاملة حمداً يدوم ولا يبيد ويستدعي أمثاله
المزيد وأشهد أنه الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأسأله بأوضح بيان وأفصح لسان أن يصلي على نبيه
وصفيه وحبيبه ونجيبه محمد سيد الأنبياء والمرسلين وخير الأولين والآخرين المؤكد دعوته بالتأييد المخصوص شريعته بالتأبيد نسخت بها
شرائع الماضين ولا نبي بعده إلى يوم الدين وعلى آله وعترته المتفرعين من نبعته المستودعين حكمته الحافظين لشريعته أعلام الإسلام وأئمة
الأنام ما اعتقبت الليالي والأيام واختلف الضياء والظلام ثم الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
نوراً ساطعة مصابيحه وضياء متلألئاً أصباحه ودليلاً لا يخمد برهانه وحقاً لا يخذل أعوانه وحبلاً وثيقاً عراه وجبلاً منيعاً ذراه
وشفاء للصدور ليس وراءه شفاء ودواء للقلوب ليس مثله دواء وإماماً يقتدي بسمته المقتدون وعلماً يهتدي بهديه المهتدون وجعله
سبحانه لأفئدة الأئمة ربيعاً ومربعاً ولجنوب ذوي المجاذب من الامتحان باهرعا ففيه رياض الحكم وأنوارها وينابيع العلوم وبحارها وأودية
الحق وغيطانه ومراتع العدل وغدرانه وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد **وبعد**
فإن أحق الفضائل بالتعظيم وأسبقها في استحقاق التقديم هو العلم إذ لا شرف إلا وهو نظامه ولا كرم إلا وهو ملاكه وقوامه ولا سيادة إلا
وهو ذروتها وسنامها ولا سعادة إلا به يحصلها وقوامها به يكسب الإنسان رفعة القدر وعلو الأمر في حياته ويحيي جزيل الأجر وجميل الذكر
بعده فإنه هو الصديق إذا خان كل صديق والشفيق إذا لم يوثق بكل ناصح شفيق والعلماء ورثة النبيين وسادة المسلمين والدعاة إلى نعيم الدين
وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله فيما رواه لنا الثقات بالأسانيد الصحيحة مرفوعاً إلى إمام الهدى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن
آبائه سيد عن سيد وإمام عن إمام إلى أن اتصل به صلى الله عليه وآله السلام أنه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم من مظانه واقتبسوه من أهله
فإن تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى لأنه معالم الحلال
والحرام ومنار سبيل الجنة والمؤنس في الوحشة والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء
والزين عند الأخلاء يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وفي
صلواتها تبارك عليهم يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه إن العلم حياة القلوب من الجهل وضياء الأبصار
من الظلمة وقوة الأبدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الأخيار ومجالس الأبرار والدرجات العلى في الأولى والآخرة الذكر فيه يعدل بالصيام
ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل الأرحام ويعرف الحلال والحرام العلم إمام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء فطوبى لمن
لم يحرمه الله منه حظه وفي أمثال هذا من الأخبار كثيرة لا أطول بذكرها ثم إن أشرف العلوم وأسناها وأبهرها وأبهاها وأجلها وأفضلها وأنفعها
وأكملها علم القرآن فإنه لجميع العلوم الأصل منه يتفرع أفنانها والعماد عليه تبنى قواعدها **وقد** قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب
عليه السلام القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه وقد روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن

فإن فيه علم الأولين والآخرين وعن سعيد عن قتادة في قوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً قال هو القرآن وعن رجاء بن حيوة
قال كنا يوماً أنا وأبي عند معاذ بن جبل فقال من هذا يا حيوة فقال هذا ابني رجاء فقال معاذ هل علمته القرآن قال لا قال فعلمه القرآن فإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من رجل علّم ولده القرآن إلا توّج أبواه يوم القيامة بتاج الملك وكسيا حلتين لم ير الناس مثلهما
ثم ضرب بيده على كتفي ثم قال يا بني إن استطعت أن تكسو أبويك يوم القيامة حلتين فافعل وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
أنه قال من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية العام والخاص أنه قال إني تارك فيكم ما إن
تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض **وإنما** حذفت أسانيد أمثال هذه الأحاديث إيثاراً للتخفيف
ولاشتهارها عند أصحاب الحديث وقد خاض العلماء قديماً وحديثاً في علم تفسير القرآن واجتهدوا في إبراز مكنونه وإظهار مصونه وألفوا فيه
كتباً جمة غاصوا في كثير منها إلى أعماق لججه وشققوا الشعر في إيضاح حججه وحققوا في تفتيح أبوابه وتغلغل شعابه إلا أن أصحابنا رضي الله عنهم لم يدونوا
في ذلك غير مختصرات نقلوا فيها ما وصل إليهم في ذلك من الأخبار ولم يعنوا ببسط المعاني فيه وكشف الأسرار إلا ما جمعه الشيخ الأجل السعيد أبو جعفر
محمد بن الحسن الطوسي قدس الله روحه من كتاب التبيان فإنه الكتاب الذي يقتبس منه ضياء الحق ويلوح عليه رواء الصدق قد تضمن من المعاني
الأسرار البديعة واحتضن من الألفاظ اللغة الوسيعة ولم يقنع بتدوينها دون تبيينها ولا بتنميقها دون تحقيقها وهو القدوة أستضيء
بأنواره وأطأ مواقع آثاره غير أنه [illegible] مما ذكره في الإعراب والنحو الغث بالسمين والخاثر بالزباد ولم يميز بين الصلاح والفساد مما ذكره فيه
وأدى الألفاظ في مواضع من متضمناته قاصرة عن المراد وأخل بحسن الترتيب وجودة التهذيب فلم يقع لذلك من القلوب السليمة الموقع المرضي ولم
يعل من الخواطر الكريمة المكان العلي وقد كنت في عهد ريعان الشباب وحداثة السن وريان العيش ونضارة الغصن كثير النزاع قلق الشوق
شديد التشوق إلى جمع كتاب في التفسير ينتظم أسرار النحو اللطيفة ولمع اللغة الشريفة ويفي بفوائد القراءات من متوجهاتها مع بيان حججها الواردة
من جميع جهاتها ويجمع جوامع البيان في المعاني المستنبط معادنها المستخرج كوامنها إلى غير ذلك من علومه الجمة المطلعة من العلق والأكمة فتعترض
لذلك جوائح الزمان وعوائق الحدثان وواردات الهموم وهفوات القدر المحتوم هلم جرا إلى الآن وقد ذرف سني على الستين واشتعل
الرأس شيباً وامتلأت العيبة عيباً فحداني على تصميم هذه العزيمة ما رأيت من عناية مولانا الأمير السيد الأجل العالم ولي النعم جلال الدين ركن
الإسلام مخلص الملوك والسلاطين سيد نقباء الشرق تاج أمراء السادة فخر آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي منصور محمد بن يحيى بن هبة
الله الحسيني أدام الله علاه وكبت أعداءه بهذا العلم وصدق رغبته في معرفة هذا الفن وقصر همته على تحصيل حقائقه والاحتواء على جلائله و
دقائقه والله عز اسمه المسؤول في أن يحرس الإسلام والمسلمين برفيع حضرته ويفيض على الفضل والفضلاء سجال سيادته ويمد على العلم والعلماء
أمداد سعادته ويبقي إقباله في دولة شماء السماء لا يرتقى هضباتها ورفعة سامية السنا لا يبتغى جنباتها ويؤتي آماله في ظلال المجد محلقة
ظلاله ممطول حلاله وجلال فضل من رد عليه حلله مضروب عليه كلاله ويديم جماله في غبطة رفيعة الظلل وبسطة من بعيدة الطلل حتى يجوز
من المنى غاياتها مستلقياً بيمينه راياتها ويفوت بالآمال غير مدافع تتلو عليه سعده آياتها وتطلع شمس المجد في ساحاته تجلو عليه جمالها بانا
وكل غاية في المجد دانا في درجات قدره وكل نهاية في الشرف أدون طبقات فخره فأوجبت على نفسي إجابته إلى مطلوبه وإسعافه بمحبوبه واستخرت
الله تعالى ثم قصرت وهمي وهمتي على اقتناء هذه الذخيرة الخطيرة واكتساب هذه الفضيلة النبيلة وشمرت عن ساق الجد وبذلت غاية الجهد والكد
وأسهرت الناظر وأتعبت الخاطر وأطلت التفكير وأحضرت التفاسير واستمددت من الله سبحانه التوفيق والتيسير وابتدأت بتأليف كتاب
هو في غاية التلخيص والتهذيب وحسن النظم والترتيب يجمع أنواع هذا العلم وفنونه ويحوي فصوصه وعيونه من علم قراءته وإعرابه ولغاته وغوامضه ومشكلاته
ومعانيه وجهاته ونزوله وأخباره وقصصه وآثاره وحدوده وأحكامه وحلاله وحرامه والكلام على مطاعن المبطلين فيه وذكر
ما ينفرد به أصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه من الأصول والفروع والمعقول والمسموع على الاعتدال
والاقتصاد فوق الإيجاز ودون الإكثار فإن الخواطر في هذا الزمان لا تحتمل أعباء العلوم الكثيرة وتضعف عن الإجراء في الحلبات
الخطيرة إذ لم يبق من العلماء إلا الأسماء ومن العلوم إلا الذماء وقدمت في مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها ثم ذكر الاختلاف في
عدد آياتها ثم ذكر فضل تلاوتها ثم أقدم في كل آية الاختلاف في القراءات ثم ذكر العلل والاحتجاجات ثم ذكر العربية واللغات ثم ذكر الإعراب

في تفسير فخر الدين الرازي اتفق الاكثرون على ان القراءات المشهورة منقولة بالنقل المتواتر وفيه اشكال وذلك لانا نقول هذه القراءات اما ان تكون منقولة بالنقل المتواتر او لا تكون فان كان الاول فحينئذ قد ثبت بالنقل ان الله تعالى قد خير المكلفين بين هذه القراءات وسوى بينها بالجواز واذا كان كذلك كان ترجيح بعضها على بعض واقعا على خلاف الحكم الثابت بالتواتر فيجب ان يكون الذاهبون الى ترجيح البعض على البعض مستوجبين للفسق ان لم يلزمهم التكفير لكنا نرى ان كل واحد من هؤلاء القراء يختص بنوع معين من القراءة ويحمل الناس عليها ويمنعهم من غيرها فوجب ان يلزم في حقهم ما ذكرناه واما ان قلنا ان هذه القراءات ما ثبتت بالتواتر بل بطريق الآحاد فحينئذ يخرج القرآن عن كونه مفيدا للجزم والقطع واليقين وذلك باطل بالاجماع ولقائل ان يجيب عنه فيقول بعضها متواتر ولا خلاف بين الامة فيه وفي تجويز القراءة بكل واحد منها وبعضها من باب الآحاد وكون بعض القراءة من باب الآحاد لا يقتضي خروج القرآن بكليته عن كونه قطعيا واتفقوا على انه لا تجوز في الصلاة قراءة القرآن بالوجوه الشاذة مثل قولهم الحمد لله بكسر الدال او بضم اللام لان الدليل ينفي جواز القراءة بها مطلقا لانها لو كانت من القرآن لوجب بلوغها في الشهرة الى حد التواتر ولما لم يكن كذلك علمنا انها ليست من القرآن عدلنا عن هذا الدليل في جواز القراءة خارج الصلاة فوجب ان يبقى في القراءة في الصلاة على اصل المنع

والمشكلات ثم ذكر الاسباب والنزولات ثم ذكر المعاني والاحكام والتأويلات والقصص والجهات ثم ذكر انتظام الآيات على اني قد جمعت في عربيته كل غرة لائحة وفي اعرابه كل حجة واضحة وفي معانيه كل قول متين وفي مشكلاته كل برهان مبين فهو بحمد الله للاديب عمدة وللنحوي عدة وللمقرئ بصيرة وللناسك ذخيرة وللمتكلم حجة وللمحدث محجة وللفقيه دلالة وللواعظ آلة وسميته كتاب مجمع البيان لعلوم القرآن وارجو ان شاء الله تعالى ان يكون كتابا كثير الدرر غزير الغرر متواصف السمات متناصف الصفات سيارا في الانجاد والاغوار طيارا في الآفاق والاقطار مهذبا لترتيب مذهب التهذيب احكام الترتيب بمعانيه منوطة واعلام الحقيقة بمبانيه مربوطة وبحبل الله اعتصم وبقوته وعونه افتتح واختتم واياه اسأل الهداية للتي هي اقوم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وقبل ان نشرع في تفسير السور والآيات فنحن نصدر الكتاب بذكر مقدمات لابد من معرفتها لمن اراد الخوض في علومه وجملتها فنون سبعة

الفن الاول في اعداد آي القرآن والفائدة في معرفتها اعلم ان عدد اهل الكوفة اصح الاعداد واعلاها اسنادا لانه ماخوذ عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ويعضده الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال فاتحة الكتاب سبع آيات احداهن بسم الله الرحمن الرحيم وعدد اهل المدينة منسوب الى ابي جعفر يزيد بن القعقاع القارئ وشيبة بن نصاح وهما المدني الاول والى اسمعيل بن جعفر وهو المدني الاخير وقيل المدني الاول هو الحسن بن علي بن ابي طالب ع وعبد الله بن عمر والمدني الاخير ابو جعفر وشيبة واسمعيل والاول اشهر وعدد اهل البصرة منسوب الى عاصم بن ابي الصباح الجحدري وايوب بن المتوكل لا يختلفان الا في آية واحدة في ص قوله فالحق والحق اقول عدها الجحدري وتركها ايوب وعدد اهل مكة منسوب الى مجاهد بن جبر والى اسمعيل المكي وقيل لا ينسب عددهم الى احد بل وجد في مصاحفهم على رأس كل آية ثلاث نقط وعدد اهل الشام منسوب الى عبد الله بن عامر والفائدة في معرفة آي القرآن ان القارئ اذا عدها باصابعه كان اكثر ثوابا لانه قد شغل يده بالقرآن مع قلبه ولسانه وبالحري ان تشهد له يوم القيمة فانه مسؤول ولان ذلك اقرب الى التحفظ فان القارئ لا يأمن السهو وقد روي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله السلام انه قال تعاهدوا القرآن فانه وحشي وقال عليه وآله السلام لبعض النساء اعقدن بالانامل فانهن مسؤولات ومستنطقات وعن حمزة بن حبيب وهو احد القراء السبعة العدد مسامير القرآن

الفن الثاني في ذكر اسامي القراء المشهورين في الامصار ورواتهم اما المدني فابو جعفر يزيد بن القعقاع وليس من السبعة وذكر انه قرأ على عبد الله بن عباس وعلى مولاه عبد الله بن عياش بن ابي ربيعة المخزومي وهما قرأا على ابي بن كعب وقرأ ابي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وله رواية واحدة ونافع بن عبد الرحمن وقرأ على ابي جعفر ومنه تعلم القرآن وعلى شيبة بن نصاح وعلى عبد الرحمن بن هرمز الاعرج وقرأ على ابن عباس وله ثلاث روايات رواية ورش وهو عثمان بن سعيد ورواية قالون عيسى بن مينا ورواية اسمعيل بن جعفر واما المكي فهو عبد الله بن كثير لا غير وقرأ على مجاهد وقرأ مجاهد على ابن عباس وله ثلاث روايات رواية البزي ورواية ابن فليح ورواية ابي الحسين القواس واذا اجتمع اهل مكة والمدينة قيل حجازي واما الكوفي فاولهم عاصم بن ابي النجود بهدلة وله ثلاث روايات رواية حفص بن سليمان البزاز ورواية ابي بكر بن عياش ولابي بكر بن عياش ثلاث روايات رواية ابي يوسف الاعشى ولابي صالح البرجمي ويحيى بن ادم ولحفص اربع روايات رواية ابي شعيب القواس وهبيرة التمار وعبيد بن الصباح وعمرو بن الصباح ثم حمزة بن حبيب الزيات وله سبع روايات رواية العجلي عبد الله بن صالح ورواية رجاء بن عيسى ورواية حماد بن احمد ورواية خلاد بن خالد ورواية ابي عمر الدوري ورواية محمد بن سعدان النحوي ورواية خلف بن هشام ثم ابو الحسن علي بن حمزة الكسائي وله ست روايات رواية قتيبة بن مهران ورواية نصير بن يوسف النحوي ورواية ابي الحرث ورواية ابي حمدون الزاهد ورواية حمدون بن ميمون الزجاج ورواية ابي عمر الدوري ثم خلف بن هشام البزاز وليس من السبعة وله اختيار فاما عاصم فانه قرأ على ابي عبد الرحمن السلمي وهو قرأ على علي بن ابي طالب وقرأ ايضا على زر بن حبيش وهو قرأ على عبد الله بن مسعود واما حمزة فقرأ على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وقرأ ايضا على الاعمش سليمن بن مهران وقرأ الاعمش على يحيى بن وثاب وهو قرأ على علقمة ومسروق والاسود بن يزيد وقرأوا على عبد الله بن مسعود وقرأ حمزة على حمران بن اعين ايضا وهو قرأ على ابي الاسود الدؤلي وهو قرأ على علي بن ابي طالب عليه السلام واما الكسائي فقرأ على حمزة ولقي من مشايخ حمزة ابن ابي ليلى وقرأ عليه وعلى ابان بن تغلب وعيسى بن عمر وغيرهم واما البصري فابو عمرو بن العلاء وله ثلاث روايات رواية شجاع بن ابي نصر ورواية العباس بن الفضل ورواية

اليزيدي

اليزيدي يحيى بن المبارك ولليزيدي ست روايات رواية ابي حمدون الزاهد وابي عمر الدوري واوقية وابي نعيم غلام سجادة وابي ايوب الخياط وابي شعيب السوسي ومن البصرة يعقوب بن اسحق الحضرمي وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني وليسا من السبعة فاما يعقوب فله ثلاث روايات رواية روح وزيد ورويس واذا اجتمع اهل الكوفة والبصرة قيل عراقي واما الشامي فهو عبد الله بن عامر اليحصبي لا غير وقرأ على المغيرة بن ابي شهاب المخزومي وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان وله روايتان رواية ابن ذكوان ورواية هشام بن عمار قالوا وانما اجتمع الناس على قراءة هؤلاء واقتدوا بهم فيها لسببين احدهما انهم تجردوا لقراءة القرآن واشتدت بذلك عنايتهم مع كثرة علمهم ومن كان قبلهم او في ازمنتهم ممن نسب اليه القراءة من العلماء وعدت قراءتهم في الشواذ لم يتجرد لذلك تجردهم وكان الغالب على اولئك الفقه او الحديث او غير ذلك من العلوم والآخر ان قراءتهم وجدت مسندة لفظا او سماعا حرفا حرفا من اول القرآن الى آخره مع ما عرف من فضائلهم وكثرة علمهم بوجوه القرآن فاذ قد تبينت ذلك فاعلم ان الظاهر من مذهب الامامية انهم اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء بينهم من القراءات الا انهم اختاروا القراءة بما جاز بين القراء وكرهوا تجريد قراءة مفردة والشائع من اخبارهم ان القرآن نزل بحرف واحد وما روته العامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال نزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف اختلف في تأويله فاجرى قوم لفظ الاحرف على ظاهره ثم حملوه على وجهين احدهما ان المراد سبع لغات مما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل هلم واقبل وتعال وكانوا مخيرين في مبتدأ الاسلام في ان يقرأوا بما شاؤوا منها ثم اجمعوا على احدها واجماعهم حجة فصار ما اجمعوا عليه مانعا مما اعرضوا عنه والآخر ان المراد سبعة اوجه من القراءات وذكر ان الاختلاف في القراءة على سبعة اوجه احدها اختلاف اعراب الكلمة مما لا يزيلها عن صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله فيضاعفه له فيضاعفه بالرفع والنصب والثاني الاختلاف في الاعراب مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها نحو قوله اذ تلقونه واذ تلقونه والثالث الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها مما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله كيف ننشزها وننشرها بالزاي والراء والرابع الاختلاف في الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الا صيحة والا زقية والخامس الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو طلح منضود وطلع والسادس الاختلاف بالتقديم والتاخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وسكرة الحق بالموت والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله وما عملت ايديهم وما عملته ايديهم قال الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه هذا الوجه املح لما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة بما اختلفت القراء فيه وحمل جماعة من العلماء الاحرف على المعاني والاحكام التي ينتظمها القرآن دون الالفاظ واختلفت اقوالهم فيها فمنهم من قال انها وعد ووعيد وامر ونهي وجدل وقصص ومثل وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال نزل القرآن على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال وروى ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال نزل القرآن على سبعة احرف امر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل وقال بعضهم ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه ومجمل ومفصل وتأويل لا يعلمه الا الله عز وجل

الفن الثالث في ذكر التفسير والتأويل والمعنى وتحرير جملة موجزة اليها يساق الكلام فيما يأتي من الكتاب التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل والتأويل رد احد المحتملين الى ما يطابق الظاهر والفسر البيان وقال ابو العباس المبرد التفسير والتأويل والمعنى واحد وقيل الفسر كشف المغطى والتأويل انتهاء الشيء ومصيره وما يؤول اليه امره والمعنى مأخوذ من قولهم عنيت فلانا اي قصدته وكأن المراد من قولهم عنى به كذا قصد بالكلام كذا وقيل هو من قولهم عنيت بهذا الامر اي تكلفته واعلم ان الخبر قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الائمة القائمين مقامه عليهم السلام ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالاثر الصحيح والنص الصريح وروت العامة ايضا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من فسر القرآن برأيه فاصاب الحق فقد اخطأ قالوا وكره جماعة من التابعين القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع وسالم بن عبد الله وغيرهم والقول في ذلك ان الله سبحانه ندب الى الاستنباط واوضح السبيل اليه ومدح اقواما عليه فقال لعلمه الذين يستنبطونه منهم وذم آخرين على ترك تدبره والاضراب عن التفكر فيه فقال افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وذكر ان القرآن منزل بلسان العرب فقال انا جعلناه قرآنا عربيا وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط فبين ان الكتاب حجة ومعروض عليه وكيف يمكن العرض عليه وهو غير مفهوم المعنى فهذا وامثاله يدل على ان الخبر متروك الظاهر فيكون معناه ان صح ان من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل بشواهد الفاظه

فاصاب الحق فقد اخطا الدليل وقد روى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ان القران ذلول ذو وجوه فاحملوه على احسن الوجوه وروى عن عبد الله بن عباس انه قسم وجوه التفسير على اربعة اقسام تفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير تعرفه العرب بكلامها وتفسير تعرفه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله عز وجل فاما الذى لا يعذر احد بجهالته فهو ما يلزم الكافة من الشرايع التى فى القران وجمل دلايل التوحيد واما الذى تعرفه العرب بلسانها فهو حقايق اللغة وموضوع كلامهم واما الذى يعلمه العلماء فهو تاويل المتشابه وفروع الاحكام واما الذى لا يعلمه الا الله فهو ما يجرى مجرى الغيوب وقيام الساعة واقول ان الاعراب اجل علوم القران فان اليه يفتقر كل بيان وهو الذى يفتح من الالفاظ الاغلاق ويستخرج من فحواها الاعلاق اذ الاغراض كامنة فيها فيكون هو المثير لها والباحث عنها والمشير اليها وهو معيار الكلام الذى لا يبين نقصانه ورجحانه حتى يعرض عليه ومقياسه الذى لا يميز بين سقيمه ومستقيمه حتى يرجع اليه وروى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال اعربوا القران والتمسوا غرايبه واذا كان ظاهر الكلام طبقا للمعناه فكل من عرف العربية والاعراب عرف فحواه وعلم مراد الله به قطعا هذا اذا كان اللفظ غير مجمل يحتاج الى بيان ولا محتمل لمعنيين او معان وذلك مثل قوله ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وقوله قل هو الله احد وقوله ولا يظلم ربك احدا واشباه ذلك فاما ما كان مجملا لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلا مثل قوله اقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقوله واتوا حقه يوم حصاده فانه يحتاج فيه الى بيان النبي صلى الله عليه واله والوحى من الله سبحانه اليه فيبين تفصيل اعيان الصلوات واعداد الركعات ومقادير النصب فى الزكوة وامثالها كثيرة والشروع فى بيان ذلك من غير نص وتوقيف ممنوع منه ويمكن ان يكون الخبر الذى تقدم محمولا عليه واما ما كان محتملا لامور كثيرة او لامرين ولا يجوز ان يكون الجميع مرادا بل قد دل الدليل على انه لا يجوز ان يكون المراد به الا وجها واحدا فهو من باب المتشابه لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد فيحمل على الوجه الذى يوافق الدليل وجاز ان يقال انه هو المراد وان كان اللفظ مشتركا بين معنيين او اكثر ويمكن ان يكون كل واحد من ذلك مرادا فلا ينبغى ان يقدم عليه بجسارة فيقال ان المراد به كذا قطعا الا بقول نبى او امام مقطوع على صدقه بل يجوز ان يكون كل واحد مرادا على التفصيل ولا يقطع عليه ولا يقلد احد من المفسرين فيه الا ان يكون التاويل مجمعا عليه فيجب اتباعه لانعقاد الاجماع عليه فهذه الجملة التى لخصتها اصل يجب ان يرجع اليه ويعول عليه ويعتبر به وجوه التفسير وما اختلف فيه العلماء من نزول القران والمعانى والاحكام

الفن الرابع

فى ذكر اسامى القران ومعانيها القران معناه القراءة فى الاصل وهو مصدر قرات اى تلوت وهو المروى عن ابن عباس وقيل هو مصدر قرات الشى اى جمعت بعضه الى بعض قال عمرو بن كلثوم

ذراعى عيطل ادماء بكر ... هجان اللون لم تقرا جنينا

اى لم يضم جنينها فى رحمها وهو المروى عن قتادة وهو فى الحقيقة المقروء كما سمى المكتوب كتابا والمحسوب حسابا ومن اسمائه الكتاب ايضا وهو ماخوذ من الجمع ايضا يقال كتبت ... ومن اسمائه الفرقان سمى بذلك لانه يفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق وبطلان الباطل عن ابن عباس وقيل ... الى النجاة والمخرج كقوله سبحانه ويجعل لكم فرقانا ومن اسمائه الذكر قال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وهو يحتمل امرين احدهما ان يريد به انه ذكر من الله لعباده بالفرائض والاحكام والاخر انه شرف لمن امن وصدق بما فيه كقوله سبحانه وانه لذكر لك ولقومك فهذه اربعة اسماء وقد شاع فى الخبر عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال اعطيت مكان التورية السبع الطول ومكان الانجيل المثانى ومكان الزبور المئين وفضلت بالمفصل وفى رواية واثلة بن الاسقع واعطيت مكان الانجيل المئين ومكان الزبور المثانى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش لم يعطها نبى قبلى واعطانى ربى المفصل نافلة فالسبع الطول البقرة وال عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع التوبة لانهما تدعيان القرينتين ولذلك لم يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وقيل ان السابعة سورة يونس والطول جمع الطولى تانيث الاطول وانما سميت هذه السور الطول لانها اطول سور القران واما المثانى فهى السور التالية للسبع الطول اولها سورة يونس واخرها النحل وانما سميت مثانى لانها ثنت الطول اى تلتها فكان الطول هى المبادى والمثانى لها ثوانى وواحدها مثنى مثل المعنى والمعانى وقال الفراء واحدها مثناة وقيل المثانى سور القران كلها طوالها وقصارها من قوله تعالى كتابا متشابها مثانى وهو قول ابن عباس وانما سميت مثانى لان الله سبحانه ثنى فيها الامثال والحدود والفرائض وقيل ان المثانى فى قوله ولقد اتيناك سبعا من المثانى ايات سورة الحمد وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلام وبه قال الحسن البصرى واما المئون فهى كل سورة تكون نحوا من مائة اية او فويق ذلك او دوينه وهى سبع اولها سورة بنى اسرائيل واخرها المؤمنون وقيل ان المئين ما ولى السبع الطول ثم المثانى بعدها وهى التى تقصر عن المئين وتزيد على المفصل وسميت مثانى لان المئين مبادٍ لها واما المفصل فما بعد الحواميم من قصار السور الى اخر القران سميت مفصلا لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم

الفن الخامس

فى اشياء من علوم القران يحال فى شرحها وبسط الكلام فيها على المواضع المختصة بها من الكتب المؤلفة فيها فمن ذلك العلم بكون القران معجزا خارقا للعادة والاستدلال به على صدق النبي صلى الله عليه واله والكلام فى وجه اعجازه وهل هو ما فيه من الفصاحة المفرطة او لما فيه من النظم المخصوص والاسلوب البديع او الصرفة وهو ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته وسلبهم العلم الذى به يتمكنون من مماثلته فى نظمه وفصاحته فموضع ذلك اجمع كتب الاصول وقد دونه مشايخ المتكلمين فى كتبهم لاسيما السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجدين ابو القسم على بن الحسين الموسوى قدس الله روحه فى كتابه الموضح عن وجه اعجاز القران فانه فرع الكلام فيه هنالك الى غاية ما يتفرع وتناهى الى نهاية ما ينتهى فلا يشق غباره غاية الابد اذ استولى فيه على الامد

ومن ذلك الكلام فى زيادة القران ونقصانه فانه لا يليق بالتفسير فاما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه واما النقصان فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان فى القران تغييرا او نقصانا والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه وهو الذى نصره المرتضى قدس الله روحه واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفا فى جواب المسائل الطرابلسيات وذكر فى مواضع ان العلم بصحة نقل القران كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقايع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فان العناية اشتدت والدواعى توفرت على نقله وحراسته وبلغت الى حد لم يبلغه فيما ذكرناه لان القران معجز النبوة وماخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شى اختلف فيه من اعرابه وقراءته وحروفه واياته فكيف يجوز ان يكون مغيرا او منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد وقال ايضا قدس الله روحه ان العلم بتفصيل القران وابعاضه فى صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزنى فان اهل العناية بهذا الشان يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتى لو ان مدخلا ادخل فى كتاب سيبويه بابا فى النحو ليس من الكتاب لعرف وميز وعلم انه ملحق وليس من اصل الكتاب وكذلك القول فى كتاب المزنى ومعلوم ان العناية بنقل القران وضبطه اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكر ايضا رضى الله عنه ان القران كان على عهد رسول الله صلى الله عليه واله مجموعا مؤلفا على ما هو عليه الان واستدل على ذلك بان القران كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم له وانه كان يعرض على النبي صلى الله عليه واله ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وابى بن كعب وغيرهما ختموا القران على النبي صلى الله عليه واله عدة ختمات وكل ذلك يدل بادنى تامل على انه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث وذكر ان من خالف فى ذلك من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم فان الخلاف فى ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته

ومن ذلك الكلام فى النسخ والناسخ والمنسوخ وحدودها واقسام النسخ وشرايطه والفصل بينه وبين البداء والتخصيص وهل يجوز نسخ العبادة قبل وقت فعلها وهل يجوز نسخ القران بالسنة وما يعرف به الناسخ ناسخا والمنسوخ منسوخا فان ذلك اجمع وان كان من العلوم المتعلقة بالقران فان موضعها الكتب المؤلفة فى اصول الفقه وسياتى منه ما يليق بالتفسير فى مظانه من الكتاب مستوفى ان شاء الله تعالى

الفن السادس

فى ذكر بعض ما جاء من الاخبار المشهورة فى فضل القران واهله انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه واله قال اهل القران هم اهل الله وخاصته وعنه انه قال صلى الله عليه واله افضل العبادة قراءة القران وعنه انه قال عليه السلام القران غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده حماد بن سلمة عن ثابت عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه واله حملة القران المخصوصون برحمة الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله المقربون الى الله من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله يدفع الله عن مستمع القران بلاء الدنيا ويدفع عن قارى القران بلاء الاخرة يا حملة القران تحببوا الى الله بتوقير كتابه يزدكم حبا ويحببكم الى عباده وعن مكحول قال جاء ابو ذر الى النبي صلى الله عليه واله فقال يا رسول الله انى اخاف ان اتعلم القران ولا اعمل به فقال رسول الله صلى الله عليه واله لا يعذب الله قلبا اسكنه القران وعن عقبة بن عامر الجهنى ان النبي صلى الله عليه واله قال لو كان القران فى اهاب ما مسته النار وعن عطاء عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه واله والحجة للقران [illegible] عرفا اهل الجنة يوم القيمة وقال عليه السلام لا ينبغى لحامل القران ان يرى ان احدا من اهل الارض اغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها وعن عيسى بن قايد قال حدثنى من سمع سعد بن عبادة قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ما من احد يتعلم القران ثم نسيه الا لقى الله اجذم عبد الله بن عباس رضى الله عنه عنه صلى الله عليه واله قال اشراف امتى حملة القران واصحاب الليل عبد الله بن مسعود عنه صلى الله عليه واله قال ان هذا القران مادبة الله فتعلموا من مادبته ما استطعتم ان هذا القران حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضى عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد فاتلوه فان الله ياجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما انى لا اقول الم ولكن الف عشر ولام عشر وميم عشر الحارث الاعور عن امير المومنين على عليه السلام قال فى حديث طويل سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول انها ستكون فتن قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه

العلماء ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقضي عجائبه هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله هو حبل الله المتين وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه دعا الى صراط مستقيم ٥ عاصم بن حمزة عن علي عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرا القرآن حتى يستظهره ويحفظه ادخله الله الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار ٥ عبد الله بن عمر عنه عليه السلم قال يقال لصاحب القرآن اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقراها وعنه صلى الله عليه وآله من قرا القرآن فراى ان احدا اعطي اكثر مما اعطي فقد حقر ما عظم الله وعظم ما حقر الله ٥ وعنه انه قال من قرا القرآن فكانما ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه ٥ ابي سعيد الخدري عنه عليه السلم قال حملة القرآن في الدنيا عرفاء اهل الجنة يوم القيمة وقال امير المؤمنين عليه السلم من دخل في الاسلام طائعا وقرا القرآن ظاهرا فله في كل سنة مائتا دينار في بيت مال المسلمين ان منع في الدنيا اخذها يوم القيمة وافيا احوج ما يكون اليها وهذه الاخبار من كثير وغيض من فيض ونزر من غمر اقتصرنا عليها ايثارا للاختصار **الفن السابع** في ذكر ما يستحب للقاري من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بقراءة القرآن ٥ البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله زينوا القرآن باصواتكم ٥ حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرءوا القرآن بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكبائر وسيجي قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شانهم ٥ علقمة بن قيس قال كنت حسن الصوت بالقرآن فكان عبد الله بن مسعود يرسل الي فاقرا عليه فاذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا فداك ابي وامي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان حسن الصوت زينة للقرآن ٥ انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن ٥ عبد الرحمن بن السائب قال قدم علينا سعد بن ابي وقاص فاتيته مسلما عليه فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت بالقرآن قلت نعم والحمد لله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان القرآن نزل بالحزن فاذا قراتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا وتاول بعضهم تغنوا به بمعنى استغنوا به واكثر العلماء على انه تزيين الصوت وتحزينه ٥ ههنا سياق الكلام في التفسير والله سبحانه ولي التسهيل والتيسير وعليه التكلان في كل الامور وهو حسبنا واليه المصير ٥ **بسم الله الرحمن الرحيم** فاتحة الكتاب مكية عن ابن عباس وقتادة ٥ **مدنية** عن مجاهد وقيل انزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة **اسماء**ها فاتحة الكتاب سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها ولوجوب قراءتها في الصلوة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب والقراءة **الحمد** سميت بذلك لان فيها ذكر الحمد **ام الكتاب** سميت بذلك لانها متقدمة على ساير سور القرآن والعرب تسمي كل جامع امر او متقدم لامر اذا كانت له توابع تتبعه اما فيقولون ام الراس للجلدة التي تجمع الدماغ وام القرى لان الارض دحيت من تحت مكة فصارت لجميعها وقيل لانها اشرف البلدان فهي متقدمة على سايرها وقيل سميت بذلك لانها اصل القرآن والام هي الاصل وانما صارت اصل القرآن لان الله تعالى اودعها مجموع ما في السور ولان فيها اثبات الربوبية والعبودية وهذا هو المقصود بالقرآن **السبع** سميت بذلك لانها سبع آيات لا خلاف في جملتها **المثاني** سميت بذلك لانها تثنى بقراءتها في كل صلوة فرض ونفل وقيل لانها انزلت مرتين هذه اسماؤها المشهورة وقد ذكر في اسمائها **الوافية** لانها لا تنتصف في الصلوة و**الكافية** لانها تكفي عما سواها ولا يكفي ما سواها عنها ويؤيد ذلك رواية عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وآله ام القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضا عنها و**اساس** القرآن الفاتحة واساس الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم و**الشفاء** لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب شفاء من كل داء و**الصلوة** لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال قال الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله اثنى علي عبدي واذا قال العبد مالك يوم الدين يقول الله عز وجل مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الى آخره قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال اورده مسلم بن الحجاج في الصحيح فهذه عشرة اسماء **فضلها** ذكر الشيخ ابو الحسن الحنازي المقرئ في كتابه في القراءات اخبرنا الامام ابو بكر احمد بن ابرهيم و الشيخ عبد الله بن محمد قالا حدثنا ابو اسحق ابرهيم بن شريك قال حدثنا احمد بن يونس اليربوعي قال حدثنا سلام بن سليم المدايني قال حدثنا هرون بن كثير عن زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي امامة عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ايما مسلم قرا فاتحة الكتاب اعطي من الاجر كانما قرا ثلثي القرآن واعطي من الاجر كانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وروي من طريق آخر هذا الخبر بعينه الا انه قال كانما قرا القرآن وروى غيره عن ابي بن كعب انه قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وآله فاتحة الكتاب فقال والذي نفسي بيده ما انزل الله في التورية ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها هي ام القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بين الله وبين

عبده ولعبده ما سال وفي كتاب محمد بن مسعود العياشي رحمه الله باسناده ان النبي صلى الله عليه وآله قال لجابر بن عبد الله الانصاري يا جابر الا اعلمك افضل سورة انزلها الله في كتابه قال فقال له جابر بلى بابي انت وامي يا رسول الله علمنيها فعلمه الحمد ام الكتاب ثم قال يا جابر الا اخبرك عنها قال بلى بابي انت وامي فاخبرني فقال هي شفاء من كل داء الا السام والسام الموت ٥ وعن سلمة بن محرز عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلم قال من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شيء وروي عن امير المؤمنين عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل قال لي يا محمد ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم فافرد الامتنان علي بفاتحة الكتاب وجعلها بازاء القرآن وان فاتحة الكتاب اشرف ما في كنوز العرش وان الله خص محمدا وشرفه بها ولم يشرك فيها احدا من انبيائه ما خلا سليمن عليه السلم فانه اعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم الا تراه يحكي عن بلقيس حين قالت اني القي الي كتاب كريم انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا فمن قراها معتقدا لموالاة محمد وآله منقادا لامرهما مؤمنا بظاهرها وباطنها اعطاه الله عز وجل بكل حرف منها حسنة كل واحدة منها افضل من الدنيا بما فيها من اصناف اموالها وخيراتها ومن استمع الى قاري يقراها كان له قدر ثلث ما للقاري فليستكثر احدكم من هذا الخير المعرض له فانه غنيمة لا يذهبن اوانه فيبقى في قلوبكم الحسرة **الاستعاذة** اتفق القراء على التلفظ بالتعوذ قبل التسمية فيقول ابن كثير وعاصم وابو عمرو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ونافع وابن عامر والكسائي اعوذ بالله من الشيطان ان الله هو السميع العليم وحمزة نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وابو حاتم اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ٥ **اللغة** الاستعاذة الاستجارة ومعناه استجير بالله دون غيره والعوذ والعياذ هو اللجا والشيطان في اللغة هو كل متمرد من الجن والانس والدواب ولذلك جاء في القرآن شياطين الانس والجن وزنه فيعال من شطنت الدار اي بعدت وقيل هو فعلان من شاط يشيط اذا ابطل والاول اصح لانه قد جاء في الشعر شاطن بمعناه قال امية بن ابي الصلت ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى في السجن والاغلال ٥ والرجيم فعيل بمعنى مفعول من الرجم وهو الرمي **المعنى** امر تعالى بالاستعاذة من الشيطان اذ لا يكاد يخلو من وسوسته الانسان فقال فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ الجا الى الله من شر الشيطان اي البعيد من الخير المفارق اخلاقه اخلاق جميع جنسه وقيل المبعد من رحمة الله الرجيم اي المطرود من السماء المرمي بالشهب الثاقبة وقيل المرجوم باللعنة ان الله هو السميع لجميع المسموعات العليم لجميع المعلومات **قوله عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم** اتفق اصحابنا انها آية من سورة الحمد ومن كل سورة وان من تركها في الصلوة بطلت صلوته سواء كانت الصلوة فرضا او نفلا وانه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءة وفي جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الامة ولا خلاف في انها بعض آية من سورة النمل وكل من عدها آية جعل من قوله صراط الذين الى آخر السورة آية ومن لم يعدها آية جعل صراط الذين انعمت عليهم آية وقال انها افتتاح للتيمن والتبرك فاما القراء فان حمزة وخلفا ويعقوب واليزيدي تركوا الفصل بين السورة بالتسمية والباقون يفصلون بينها بالتسمية الا بين الانفال والتوبة **فضلها** روي عن علي بن موسى الرضا عليه السلم انه قال ان بسم الله الرحمن الرحيم اقرب الى اسم الله الاعظم من سواد العين الى بياضها وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال اذا قال المعلم للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لابويه وبراءة للمعلم وعن ابن مسعود قال من اراد ان ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرا بسم الله الرحمن الرحيم فانها تسعة عشر حرفا ليجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم وروي عن الصادق عليه السلم انه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا الى اعظم آية في كتاب الله فزعموا انها بدعة اذا اظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم **اللغة** الاسم مشتق من السمو وهو الرفعة واصله سمو بالواو لانه جمع اسماء مثل قنو واقناء وحنو واحناء وتصغيره سمي قال الراجز باسم الذي في كل سورة سمه وسمه ايضا ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من الوسم والسمة والاول اصح لان المحذوف الفاء نحو صلة وصل وعدة ووعد لا يدخله همزة الوصل ولانه كان يجب ان يقال في تصغيره وسيم كما يقال وعيدة ووصيلة في تصغير عدة وصلة والامر بخلافه **الله** اسم لا يطلق الا عليه سبحانه وتعالى وذكر سيبويه في اصله قولين احدهما انه اله على وزن فعال فحذفت الفاء التي هي الهمزة وجعلت الالف واللام عوضا لازما عنها بدلالة استجازتهم قطع هذه الهمزة الموصولة الداخلة على لام التعريف في القسم والنداء في نحو قوله افالله لتفعلن ويا الله اغفر لي ولو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة في الوصل كما لم تثبت في غير هذا الاسم والقول الآخر ان اصله لاه ووزنه فعل فالحق به الالف واللام يدل عليه قول الاعشى كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار وانما ادخلت عليه الالف واللام للتفخيم والتعظيم فقط ومن زعم انه للتعريف فقد اخطا لان اسماء الله تعالى معارف والالف من لاه منقلبة عن ياء فاصله ليه لقولهم في معناه لهي ابوك قال سيبويه نقلت العين الى موضع اللام وجعلت اللام ساكنة اذ صارت في مكان العين كما كانت العين ساكنة وتركوا آخر الاسم مفتوحا كما تركوا آخر

ابن مفتوحا وانما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرته فى كلامهم فغيروا اعرابه كما غيروا بناءه وهذه دلالة قاطعة لظهور الياء فى لهى والالف على هذا القول

منقلبة كما ترى وفى القول الاول انه ابدلها الفا لف فعال ويقول العرب لاه ابوك يريد لله ابوك قال ذو الاصبع العدوانى لاه ابن عمك لا افضلت

فى حسب عنى ولا انت ديانى فتخزونى اى تسوسنى قال سيبويه حذفوا لام الاضافة ولام الاخرى ولا يكون بقاء عمل اللام بعد حذفها فقد حكى سيبويه

من قولهم الله لاخرجن يريدون والله ومثل ذا كثير يطول الكتاب بذكره فاما الكلام فى اشتقاقه فمنهم من قال انه اسم موضوع غير مشتق اذ ليس

يجب فى كل لفظ ان يكون مشتقا لانه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل ومنهم من قال انه مشتق ثم اختلفوا فى اشتقاقه على وجوه فمنها انه مشتق من الا

لوهية التى هى العبادة والتاله التعبد قال رؤبة لله در الغانيات المده اى المدح سبحن واسترجعن من تالهى اى تعبدى وقرا ابن عباس

ويذرك والاهتك اى عبادتك يقال اله الله فلان الاهة كما يقال عبد عبادة فعلى هذا يكون معناه الذى يحق له العبادة ولذلك لا يسمى

به غيره ويوصف فيما لم يزل بانه اله ومنها انه مشتق من الوله وهو التحير اله يأله اذا تحير عن ابى عمرو فمعناه الذى تتحير العقول فى كنه عظمته

ومنها انه مشتق من قولهم الهت الى فلان اى فزعت اليه لان الخلق يالهون اليه اى يفزعون اليه فى حوائجهم فقيل للمالوه اله كما يقال للمؤتم به امام

ومنها انه مشتق من قولهم الهت اليه سكنت اليه عن المبرد ومعناه ان الخلق يسكنون الى ذكره ومنها انه من لاه اى احتجب فمعناه انه المحتجب بالكيفية عن

الاوهام الظاهر بالدلايل والاعلام **الرحمن الرحيم** اسمان وضعا للمبالغة واشتقا من الرحمة وهى النعمة الا ان فعلان اشد مبالغة من فعيل

وحكى عن ابى عبيدة انه قال الرحمن ذو الرحمة والرحيم هو الراحم وكرر لضرب من التاكيد واما ما روى عن ابن عباس انهما اسمان رقيقان احدهما

ارق من الاخر فالرحمن الرفيق والرحيم العطاف على عباده بالرزق والنعم فمحمول على انه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل والنعمة بعد النعمة فعبر عن

ذلك بالرقة لانه تعالى لا يوصف بالرقة وما حكى عن تغلب ان لفظة الرحمن ليست بعربية وانما هى ببعض اللغات مستدلا بقوله تعالى قالوا وما الرحمن

انكارا منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لان هذه اللفظة مشهورة عند العرب موجودة فى اشعارها قال الشنفرى الا ضربت تلك الفتاة هجينها

الا قضب الرحمن ربى يمينها وقال سلامة بن جندل وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق **الاعراب** بسم الله الباء حرف جار اصله الالصاق

والحروف الجارة موضوعة لمعنى المفعولية الا ترى انها توصل الافعال الى الاسماء وتوقعها عليها فاذا قلت مررت بزيد اوقعت الباء المرور على زيد

فالجالب للباء فعل محذوف فى نحو ابدا بسم الله فمحله نصب لانه مفعول به وانما حذف الفعل الناصب لان دلالة الحال اغنت عن ذكره وقيل ان محل الباء

رفع على تقدير مبتدا محذوف تقديره ابتدائى بسم الله فالباء على هذا متعلقة بالخبر المحذوف الذى قامت مقامه اى ابتدائى ثابت بسم الله او

ثبت ثم حذف هذا الخبر فافضى الضمير الى موضع الباء وهذا بمنزلة قولك زيد فى الدار ولا يجوز ان يتعلق الباء بابتدائى المضمر لانه مصدر و

تعلقت به صارت من صلته وبقى المبتدا بلا خبر واذا سئل عن تحريك الباء مع ان اصل الحروف البناء واصل البناء السكون فجوابه انه حرك

للزوم الابتداء به ولا يمكن الابتداء بالساكن وانما حرك بالكسر ليكون حركتها من جنس ما حدثه واذا لزم كاف التشبيه فى كونه فجوابه ان الكاف لا يلزم

الحرفيه وقد يكون اسما فى نحو يضحكن عن كالبرد المنهم فخولف بينه وبين الحروف التى لا تفارق الحرفيه هذا قول ابى عمر الجرمى واصحابه فاما على بن الحسن

بن عبد الغفار الفارسى فقال انهم لو فتحوا او ضموا لجاز لان الغرض التوصل الى الابتداء فباى حركة توصل اليه جاز وبعض العرب يفتح هذه الباء وهى لغة

ضعيفة وانما حذفت الهمزة فى بسم الله فى اللفظ لانها همزة الوصل تسقط فى الدرج وحذفت ههنا فى الخط لكثرة الاستعمال ولو وقعت فى غير موضع معلوم

لا يخاف فيه اللبس ولا تحذف فى نحو قوله اقرأ باسم ربك لقلة الاستعمال وانما تغلظ لام الله اذا تقدمته الضمة او الفتحة تفخيما لذكره واجلالا لقدره

وليكون فرقا بينه وبين ذكر اللات لنا والمفتوح نحو ان الله والمضموم نحو رسل الله جعلوا هذا التفخيم من خاصية هذه اللفظة كما خصوها

بالباء فى القسم نحو تالله وبقولهم يا الله بقطع الهمزة وبادخال الميم المشددة عوضا عن يا فى اللهم الله مجرور بالاضافة والرحمن الرحيم مجروران لانهما

صفتان لله **المعنى** بسم الله قيل المراد به تضمين للاستعانة فتقديره استعينوا بان تسموا الله باسمائه الحسنى وتصفوه بصفاته العلى وقيل المراد به

استعينوا بالله ويلتفت اليه قول ابى عبيدة ان الاسم صلة والمراد هو الله كقول لبيد الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

اى ثم السلام عليكما والاسم قد يوضع موضع المسمى لما كان التعلق على الاسم ذكروا وخطابا معلقا على المسمى يقول رايت زيدا فتعلق الرؤية على

الاسم وفى الحقيقة تعلقها بالمسمى فان الاسم لا يرى فحسن اقامة الاسم مقام المسمى وقيل المراد به ابتدائى بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر كما

يقال اكرمته كرامة اى اكراما واهنته هوانا اى اهانة ومنه قول الشاعر اكفرا بعد رد الموت عنى وبعد عطائك المائة الرتاعا اى بعد

اعطائك وقال الاخر فان كان هذا البخل منك سجية لقد كنت فى طولى رجاءك اشعبا اراد فى اطالتى رجاءك فعلى هذا يكون تقدير الكلام

ابتداء قراءتى بتسمية الله او اقرأ مبتدئا بتسمية الله وهذا القول اولى بالصواب لانا انما امرنا بان نفتتح امورنا بتسمية الله لا بالخبر عن

كبريائه وعظمته كما امرنا بالتسمية على الاكل والشرب والذبايح الا ترى ان الذابح لو قال بالله ولم يقل بسم الله لكان مخالفا لما امر به ومعنى

الله والاله انه الحق له العبادة لانه قادر على خلق الاجسام واحيائها والانعام عليها بما يستحق به العبادة وهو سبحانه اله للحيوان والجماد لانه

قادر على ان ينعم على كل منهما بما معه يستحق العبادة فاما من قال معنى الاله المستحق للعبادة يلزمه ان لا يكون الها فى الازل لانه لم يفعل الانعام

الذى يستحق به العبادة وهذا خطاء وانما قدم الرحمن على الرحيم لان الرحمن بمنزلة الاسم العلم من حيث لا يوصف به الا الله تعالى فوجب لذلك

تقديمه على الرحيم لانه يطلق عليه وعلى غيره وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله ان عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا و

الرحيم رحيم الآخرة وعن بعض التابعين الرحمن لجميع الخلق الرحيم بالمؤمنين خاصة ووجه عموم الرحمن لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم وبرهم

وفاجرهم هو انشاؤه اياهم وخلقهم احياء قادرين ورزقه اياهم ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم من التوفيق فى الدنيا وفى الآخرة

من الجنة والاكرام وغفران الذنوب والآثام والى هذا المعنى يؤول ما روى عن الصادق عليه السلام انه قال الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم

اسم عام بصفة خاصة وعن عكرمة قال الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمائة رحمة وهذا المعنى قد اقتبسه من قول الرسول صلى الله عليه وآله ان الله عز وجل

مائة رحمة وانه انزل منها واحدة الى الارض فقسمها بين خلقه فبها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة و

روى ان الله عز وجل قابض هذه الى تلك فيكملها مائة يرحم بها عباده يوم القيمة **قوله تعالى الحمد لله رب العالمين القراءة** اجمع القراء

على ضم الدال من الحمد وكسر اللام من لله وروى فى الشواذ بكسر الدال واللام وبضم الدال واللام وبفتح الدال وكسر اللام واجمعوا على كسر الباء

من رب وروى عن زيد بن على نصب الباء وحجة على انه بين جوازه لا انه قراءة **اللغة** الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى والفرق

بين الحمد والشكر ان الحمد نقيض الذم كما ان المدح نقيض الهجاء والشكر نقيض الكفران والحمد قد يكون من غير نعمة والشكر يختص بالنعم الا ان الحمد

يوضع موضع الشكر فيقال الحمد لله شكرا فينصب شكرا على المصدر ولو لم يكن الحمد فى معنى الشكر لما نصبه فاذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر

هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون بالقلب وهو الاصل ويكون ايضا باللسان وانما يجب باللسان لنفى تهمة الجحود والكفران

واما المدح فهو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد اليه واما الرب فله معان منها السيد المطاع كقول لبيد واهلكن يوما رب

كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعر اى سيد كندة ومنها المالك نحو قول النبى صلى الله عليه وآله لرجل ارب غنم انت ام رب ابل فقال لا بل من

كل ما اتانى الله فاكثر واطيب ومنها الصاحب نحو قول ابى ذويب قد ناله رب الكلاب بكفه بيض رهاب ريشهن مقزع اى صاحب الكلاب

ومنها المربى ومنها المصلح واشتقاقه من التربية يقول ربيته ورببته بمعنى وفلان يرب صنيعته اذا كان يتممها ولا يطلق هذا الاسم الا

على الله ويقيد فى غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة والعالمين جمع عالم والعالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر والجيش وغيرهما واشتقاقه

من العلامة لانه يدل على صانعه وقيل انه من العلم لانه اسم يقع على ما يعلم وهو فى عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء لانهم يقولون جاءنى

عالم من الناس ولا يقولون عالم من البقر وفى المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات ويدل عليه الآية قال وما رب العالمين قال

رب السموات والارض وما بينهما وقيل انه اسم لكل صنف من الاصناف واهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع فقيل عالمون

لعالم كل زمان وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم وقيل العالم نوع ما يعقل وهم الملئكة والجن والانس

وقيل هم الجن والانس لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقيل هم الانس لقوله اتاتون الذكران من العالمين **الاعراب** الحمد رفع

بالابتداء والابتداء عامل معنوى غير ملفوظ به وهو خلو الاسم من العوامل اللفظية ليسند اليه خبر او خبره فى الاصل جملة هى فعل مستند

الى ضمير المبتدى وتقديره الحمد حق او استقر لله الا انه قد استغنى عن ذكرها لدلالة قوله لله عليها فانتقل الضمير منها اليه حيث سد مسدها

وتسمى هذه جملة ظرفية هذا قول الاخفش وابى على الفارسى واصل اللام للتحقيق والملك واما من نصب الدال فعلى المصدر تقديره احمد

الحمد لله او احمد الحمد لله الا ان الرفع فى الحمد اقوى وامدح لان معناه الحمد وجب لله او استقر لله وهذا يقتضى العموم لجميع الخلق واذا

نصبت الحمد كان تقديره احمد الحمد كان مدحا من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع ومن كسر الدال واللام اتبع حركة الدال حركة اللام

ومن ضمها اتبع حركة اللام حركة الدال وهذا اجود من الاول لانه اتبع حركة المبني حركة الاعراب والاول اتبع حركة المعرب حركة البناء واتبع الثاني الاول وهو الاصل في الاتباع والذي كسر اتبع الاول الثاني وهذا ليس باصل واكثر النحويين ينكرون ذلك لان حركة الاعراب غير لازمة فلا يجوز لاجلها الاتباع ولان الاتباع في الكلمة الواحدة ضعيف نحو الحلم فكيف في الكلمتين وقال ابو الفتح بن جني في كسر الدال وضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط المبتداء بالخبر لانه اتبع فيهما ما في احد الجزئين ما في الجزء الاخر وجعلا بمنزلة الكلمة الواحدة نحو قولك اخوك وابوك واصل هذه اللام الفتح لان الحرف الواحد لاحظ له في الاعراب لكنه يقع مبتدا في الكلام ولا يبتداء بساكن واختير له الفتح لانه اخف الحركات تقول رايت زيدا وعمرا فالواو من وعمرا مفتوحة وكذلك الفاء من فعمرا الا انهم كسروها لانهم ارادوا ان يفرقوا بين لام الملك ولام التوكيد اذا قلت ان المال لهذا اي في ملكه وان المال لهذا اي هو هو واذا ادخلوا هذه اللام على مضمر ردوها الى اصلها وهو الفتح قالوا لك وله لان اللبس قد ارتفع وذلك ان ضمير الجر مخالف لضمير الرفع اذا قلت ان هذا لك وان هذا لانت الا انهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لي لان هذه الياء لا يكون ما قبلها الا مكسورا نحو علي وفي وهذا كله قول سيبويه وجميع النحويين المحققين وليس من الحروف المبتداء مما هو على حرف واحد حرف مكسور الا الباء وحدها وقد مضى القول فيه واما لام الجزم في ليفعل فانما كسرت ليفرق بينها وبين لام التوكيد نحو ليفعل فاعلم ورب العالمين مجرور على الصفة والعامل في الصفة عند ابي الحسن الاخفش كونه صفة فهذا الذي يرفعه وينصبه ويجره وهو عامل معنوي كما ان المبتدا انما رفعه الابتدا وهو معنى عمل فيه واستدل على ان الصفة لا يعمل فيه ما يعمل في الموصوف بانك تجد في الصفات ما يخالف للموصوف في اعرابه نحو يا زيد العاقل لان المنادى مبني والعاقل الذي هو صفة معرب ودليل ثان وهو ان في هذه التوابع ما يتبع ما يعرب باعراب ما يتبعه ولا يصح ان يعمل فيه ما عمل في موصوفه وذلك نحو اجمع وجمع وجمعا فلما صح ذلك هذا فيها دل ان الذي يعمل في الموصوف غير عامل في الصفة لاجتماعهما في انهما تابعان وقال غيره من النحويين العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ويجوز نصب رب العالمين فعلى هذا لو قرى في غير القرآن رب العالمين على المدح مرفوعا ايضا لكان جائزا على معنى هو رب العالمين قال الشاعر

قومي الذين هم سم العداة وافة الجزر ❊ النازلون بكل معترك ❊ والطيبون معاقد الازر ❊

وقد روي النازلون والنازلين والطيبون والطيبين والوجه في ذلك ما ذكرناه والعالمين مجرور بالاضافة والياء فيه علامة الجر وحرف الاعراب وعلامة الجمع والنون ههنا عوض عن الحركة في الواحد وانما فتحت فرقا بينها وبين نون التثنية تقول هذان عالمان فتكسر نون الاثنين لالتقاء الساكنين وقيل انما فتحت نون الجمع وحقها الكسرة لثقل الكسرة بعد الواو كما فتحت الفاء من سوف والنون من اين ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو والياء **المعنى** معنى الآية ان الاوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذي يحق له العبادة لكونه قادرا على اصول النعم وفاعلا لها ولكونه منشئا للخلق ومربيا لهم ومصلحا لشانهم وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه وفيها تعليم للعباد كيف يحمدونه **قوله عز وجل الرحمن الرحيم** اية قد مضى تفسيرها وانما اعاد ذكر الرحمن الرحيم للمبالغة وقال علي بن عيسى الرماني في الاول ذكر العبودية فوصل ذلك بذكر النعم التي يستحق بها العبادة وههنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار **قوله عز اسمه مالك يوم الدين اية القراءة** قرا عاصم والكسائي وخلف ويعقوب الحضرمي مالك بالف والباقون ملك بغير الف ولم يمل احد الف مالك وجر جميعهم الكاف وروي في الشواذ عن الاعمش انه نصبها وربيعة بن نزار تخفف فيقول ملك يوم الدين بتسكين اللام

الحجة اختلفوا في ان اي القرائتين امدح فمن قرا مالك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون مالكا للشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه كما يقال ملك العرب وملك الروم وان كان لا يملكهم وقد يدخل في الملك ما لا يدخل في الملك يقال فلان مالك الدراهم ولا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك اعم من الوصف بالملك والله تعالى مالك كل شيء وقد وصف نفسه بانه مالك الملك تؤتي الملك من تشاء فوصفه بالمالك ابلغ في الثناء والمدح من وصفه بالملك ومن قرا ملك قال ان هذه الصفة امدح لانه لا يكون الا مع التعظيم والاحتواء على الجمع الكثير واختاره ابو بكر محمد بن السري السراج وقال ان الملك الذي يملك الكثير من الاشياء ويشارك غيره من الناس في ملكه بالحكم عليه فكل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وانما قال تعالى مالك الملك لانه تعالى يملك ملوك الدنيا وما ملكوا فمعناه انه يملك ملك الدنيا فيؤتي الملك فيها من يشاء فاما يوم الدين فليس الا ملكه وهو ملك الملوك يملكهم كلهم وقد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوك وامير الامراء يراد بذلك ان من دونه ملوكا وامراء ولا يقال ملك الملاك ولا امير الامارة لان امير وملكا صفة غير جارية على فعل فلا معنى لاضافتها الى المصدر فاما اضافة ملك الى الزمان فكما يقال ملك عام كذا وملوك الدهر الاول وملك زمانه وسيد زمانه فهو في المدح ابلغ والآية انما نزلت بالثناء والمدح لله تعالى والانبياء

قوله رب العالمين والربوبية والملك متشابهان وقال ابو علي الفارسي يشهد لمن قرا مالك من التنزيل قوله والامر يومئذ لله لان قولك الامر له وهو مالك الامر بمعنى الا ترى ان لام الجر معناها الملك والاستحقاق وكذلك قوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا يقوي ذلك ويشهد لقراءة من قرا ملك قوله تعالى لمن الملك اليوم لان اسم الفاعل من الملك الملك فاذا قال الملك له ذلك اليوم كان بمنزلة قوله هو ملك ذلك اليوم هذا مع قوله فتعالى الله الملك الحق والملك القدوس وملك الناس **اللغة** الملك القادر الواسع المقدور الذي له السياسة والتدبير والمالك القادر على التصرف في ماله وله ان يتصرف فيه على وجه ليس لاحد منعه منه ويوصف العاجز بانه مالك من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم ومالك بين الملك بكسر الميم وفتحها وضم الميم لغة شاذة ويقال طالت مملكتهم الناس ومملكتهم بكسر اللام وفتحها وحكي في هذا الوادي ملك وملك وملك ذكرها ابو علي الفارسي وقال الملك للشيء اختصاص من المالك به وخروجه من ان يكون مباحا لغيره ومعنى الاباحة في الشيء كالاتساع فيه وخلاف الحصر والقصر على الشيء الاترى انهم قالوا ابيح الستر وباحة الدار وقال ابو بكر السراج الملك والملك يرجعان الى اصل واحد وهو الربط والشد كما قالوا ملكت العجين اي شددته قال الشاعر

ملكت بها كفي فانهرت فتقها ❊ يرى قائم من دونها ما وراءها

يقول شددت بهذه الطعنة كفي ومنه الاملاك ومعناه رباط الرجل بالمرأة والدين معناه في الآية الجزاء قال الشاعر

واعلم بانك ما تدين تدان

وهو قول سعيد بن جبير وقتادة وقيل الدين الحساب وهو المروي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وابن عباس والدين الطاعة قال عمرو بن كلثوم

وايام لنا غر طوال ❊ عصينا الملك فيها ان ندينا

والدين العادة قال الشاعر يقول وقد درات لها وضيني ❊ اهذا دينه ابدا وديني ❊ والدين القهر والاستعلاء قال الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين ❊ دراكا بغزوة وصيال ❊ ويدل على ان المراد به الجزاء والحساب قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت واليوم تجزون ما كنتم تعملون **الاعراب** مالك مجرور على الوصف لله تعالى وملجأ من النصب على ما ذكرناه من نصب رب العالمين ويجوز ان ينتصب رب العالمين ومالك يوم الدين على النداء كانك قلت لك الحمد يا رب العالمين ويا مالك يوم الدين ومن قرا ملك يوم الدين باسكان اللام فاصله ملك مخفف كما قال فخذ وفخذ ومن قرا ملك يوم الدين جعله فعلا ماضيا ويوم مجرور باضافة ملك او مالك اليه وكذلك الدين مجرور باضافة يوم اليه وهذه الاضافة من باب يا سارق الليلة اهل الدار اتسع في الظرف فنصب نصب المفعول به ثم اضيف اليه على هذا الحد كما قال الشاعر انشده سيبويه

ويوم شهدناه سليما وعامرا ❊ قليل سوى الطعن النهال نوافله ❊

فكانه قال هو مالك ذلك اليوم ولا يؤتى احدا الملك فيه كما اتاه في الدنيا فلا مالك يومئذ غيره ومن قرا مالك يوم الدين فانه قد حذف المفعول به من الكلام للدلالة عليه وتقديره مالك يوم الدين الاحكام والقضاء لا يملك ذلك ولا يليه سواه وانما خص يوم الدين بذلك لتفرده تعالى بذلك في ذلك اليوم وجميع الخلق يضطرون الى الاقرار والتسليم فاما الدنيا فليست كذلك فقد حكم فيها ملوك ورؤساء وليست هذه الاضافة مثل قوله تعالى وعنده علم الساعة لان الساعة مفعول بها على الحقيقة وليست مفعولا بها على السعة لان الظرف اذا جعل مفعولا على السعة فمعناه معنى الظرف ولو كان ظرفا لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز لانه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى انه يعلم الساعة اي يعرفها **المعنى** انه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا بقوله رب العالمين بين ايضا ملكه في الآخرة بقوله مالك يوم الدين واراد باليوم الوقت وقيل اراد به امتداد الضياء الى ان يفرغ من القضاء ويستقر اهل كل دار فيها وقال ابو علي الجبائي اراد به يوم الجزاء على الدين وقال محمد بن كعب اراد يوم لا ينفع الا الدين وانما خص يوم الدين بذكر الملك فيه تعظيما لشانه وتفخيما لامره كما قال رب العرش وهذه الآية تدل على اثبات المعاد وعلى الترغيب والترهيب لان المكلف اذا تصور ذلك لا بد ان يرجو ويخاف **قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين اية اللغة** العبادة في اللغة هي الذلة يقال طريق معبد اي مذلل بكثرة الوطي قال طرفة

تباري عتاقا ناجيات واتبعت ❊ وظيفا وظيفا فوق مور معبد ❊

وبعير معبد اذا كان مطليا بالقطران وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده لمولاه والاستعانة طلب المعونة يقال استعنته واستعنت به **الاعراب** قال ابو اسحق ابرهيم بن السري الزجاج موضع اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع الكاف في اياك خفض باضافة ايا اليها واي اسم للمضمر المنصوب الا انه ظاهر يضاف الى سائر المضمرات نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياي حدثت ولو قلت ايا زيد حدثت كان قبيحا لانه خص به المضمر وقد روى الخليل عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب هذا كلام الزجاج ورد عليه الشيخ ابو علي الفارسي فقال ان ايا ليس بظاهر بل هو مضمر يدل على ذلك تغير ذاته وامتناع ثباته في حال الرفع والجر وليس كذلك الاسم

الظاهر الا ترى انه تعتقب عليه الحركات فى اخره ويحكم له بها فى موضعه من غير تغير نفسه فخالفة المظهر فيما وصفناه يدل على انه مضمر ليس بمظهر وقال وحكى السراج عن المبرد عن ابى الحسن الاخفش انه اسم مفرد مضمر يتغير اخره كما يتغير اواخر المضمرات لاختلاف اعداد المضمرين والكاف فى اياك كالتى فى ذلك وهى دالة على الخطاب فقد مجرده من كونها علامة للمضمر ولا محل لها من الاعراب واقول وهذا الحكم فى اياى واياه واياها واياهما وايانا فى انا نحو وقد الحق ايا فالياء فى اياى دليل على المتكلم والهاء فى اياه دليل على الغيبة لا على نفس الغائب ويجرى التاكيد على يا منصوب يقول اياك نفسك رايت واياه نفسه ضربت واياهم كلهم عنيت قاعى فى ولا يجيز ابو الحسن اياك واياذيد ويستقلونه وابهم عن العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياالشواب وحمله على الشواذ لان الغرض فى الاضافة التخصيص والمضمر على نهاية التخصيص فلا وجه اذا للاضافة والاصل نستعين نستعون لانه من المعونة والعون لكن الواو قلبت ياء لثقل الكسرة عليها فنقلت كسرتها الى العين قبلها فبقيت الياء ساكنة لان هذا من الاعلال الذى يتبع بعضه بعضا نحو اعان يعين وقام يقوم وفى شرحه كلام وربما ياتى مشروحا فيما بعد ان شاء الله وقوله نعبد ونستعين مرفوع لوقوعه موقعا يصلح للاسم الا ترى انك لو قلت انا عابد لك وانا مستعينك لقام مقامه هذا المعنى عامل فيه الرفع واما الاعراب فى الفعل المضارع فلمضارعته الاسم لان الاصل فى الفعل البناء وانما يعرب منه ما شابه الاسماء وهو ما لحقت اوله زيادة من هذه الزوائد الاربع التى هى الهمزة والنون والتاء والياء **المعنى** قوله اياك نعبد واياك نستعين ادل على الاختصاص من ان يقول نعبدك ونستعينك لان معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك ويكون ابلغ من ان يقول اعبدك والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه لانها الخضوع باعلى مراتب الخضوع مع التعظيم باعلى مراتب التعظيم ولا يستحق الا باصول النعم التى هى خلق الحيوة والقدرة والشهوة ولا يقدر عليه غير الله تعالى فلذلك اختص سبحانه بان يعبد ولا يستحق بعضنا على بعض الشكر ويحسن الطاعة لغير الله تعالى ولا يحسن العبادة لغيره وقول من قال ان العبادة هى الطاعة للمعبود يفسد بان الطاعة موافقة الامر وقد يكون موافقا للامر ولا يكون عابدا له الا ترى ان الابن يوافق امر الاب ولا يكون عابدا له وكذلك العبد يطيع مولاه ولا يكون عابدا له بطاعته اياه والكفار يعبدون الاصنام ولا يكونون مطيعين لهم اذ لا يتصور من جهتهم الامر ومعنى قوله اياك نستعين اياك نستوفق ونطلب المعونة على عبادتك وعلى امورنا كلها والتوفيق هو ان يجمع بين جميع الاسباب التى يحتاج اليها فى حصول الفعل ولهذا لا يقال فيمن اعان غيره وفقه لانه لا يقدر ان يجمع بين جميع الاسباب التى يحتاج اليها فى حصول الفعل واما تكرار قوله اياك فلانه لو اقتصر على واحد ربما توهم متوهم انه لا يتقرب الى الله تعالى الا بالجمع بينهما ولا يمكنه ان يفصل بينهما وهو اذا تفكر فى عظمة الله تعالى كان عبادة وان لم يستعن به وقيل انه جمع بينهما للتاكيد كما يقال المال بين زيد وبين عمرو ولو اقتصر على واحد فقيل بين زيد وعمرو كان جائزا قال عدى بن زيد وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا وقال اعشى همدان بين الاشج وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود وهذا القول فيه نظر لان التكرير انما يكون تاكيدا اذا لم يكن محمولا على فعل ثان واياك الثانى فى الاية محمول على نستعين ومفعول له فكيف يكون تاكيدا وقيل ايضا انه تعليم لنا فى تجديد ذكره تعالى عند كل حاجة فان قيل ان عبادة الله تعالى لا تتهيأ بغير اعانة منه فكان يجب ان يقدم الاستعانة على العبادة فالجواب انه قدم العبادة على الاستعانة لا على الاعانة وقد ياتى بغير استعانة وايضا فان احدهما اذا كان مرتبطا بالاخر لم يختلف التقديم والتاخير كما يقال قضيت حقى فاحسنت الى واحسنت الى فقضيت حقى وقيل ان السؤال للمعونة انما يقع على عبادة مستانفة لا على عبادة واقعة منهم وانما حسن طلب المعونة وان كان لا بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع اليه تعالى كقوله رب احكم بالحق ولانه ربما لا يكون اللطف فى ادامة التكليف ولا فى فعل المعونة به الا بعد تقدم الدعاء من العبد وقد اخطا من استدل بهذه الاية على ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو كانت متقدمة لما كان لطلب المعونة وجه لان للرغبة الى الله تعالى فى طلب المعونة وجهين احدهما ان يسال الله تعالى من الطافه وما يقوى دواعيه ويسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل ومتى لطف له بان يعلمه الله فى فعل الثواب المعظم زاد ذلك فى نشاطه ورغبته والثانى ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبلة بان يجدد له القدرة حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها وان لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من قال ببقائها واما العدول عن الخبر الى الخطاب فى قوله اياك نعبد الى اخر السورة فعلى عادة العرب مشهورة واشعارهم من ذلك مملوة قال لبيد باتت تشكى الى النفس مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا وقال ابو كبير الهذلى يا لهف نفسى كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر فرجع من الاخبار عن النفس الى مخاطبتها فى البيت الاول ومن الاخبار عن خالد

الى

الى خطابه فى البيت الثانى وقال الكسائى تقديره قولوا اياك نعبد او قل يا محمد هذا كما قال الله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اى يقولون ربنا وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام اى يقولون سلام **قوله عز وجل اهدنا الصراط المستقيم ايه القراءة** قرا حمزة باشمام الصاد الزاى الا العجلى وبرواية خلاد وابن سعيد ان يشم ههنا فى الموضعين فقط وقرا الكسائى من طريق ابى حمدون باشمام السين ويعقوب من طريق رويس بالسين والباقون بالصاد **الحجة** الاصل فى الصراط السين لانه مشتق من السرط ومسترط الطعام ممره ومنه قولهم سرطراط والاخذ سريط فمن قراء بالسين راعى الاصل ومن قرا بالصاد فلما بين الصاد والطاء من المواخاة بالاستعلاء والاطباق وكراهة ان يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء فى سراط واذا كانوا قد ابدلوا من السين الصاد مع القاف فى صقب وصويق ليجعلوها فى استعلاء القاف مع بعد القاف من السين وقرب الطاء منها فان تبدلوا منها الصاد مع الطاء اجدر من حيث كانت الصاد الى الطاء اقرب الا ترى انهما جميعا من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وان الطاء تدغم فى الصاد ومن قرا باشمام الزاى فللمواخاة بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاء من غير ابطال الاصل **اللغة** الهداية فى اللغة الارشاد والدلالة على الشىء يقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق هاد خريت اى دليل مرشد قال طرفة للفتى عقل يعيش به حيث يهدى ساقه قدمه والهداية التوفيق قال فلا تعجلن هداك المليك فان لكل مقام مقالا اى وفقك والصراط الطريق الواضح المتسع وسمى بذلك لانه يسرط المارة اى يبتلعها والمستقيم المستوى الذى لا اعوجاج فيه قال جرير امير المؤمنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم **الاعراب** اهدنا مبنى على الوقف وفاعله الضمير المستكن فيه لله سبحانه والهمزة مكسورة لان ثالث المضارع منه مكسور وموضع النون والالف من اهدنا نصب لانه مفعول به والصراط منصوب لانه مفعول ثان **المعنى** قيل فى معنى اهدنا وجوه احدها ان معناه ثبتنا على الدين الحق لان الله تعالى قد هدى الخلق كلهم الا ان الانسان قد يزل وترد عليه الخواطر الفاسدة فيحسن ان يسال الله تعالى ان يثبته على دينه ويديمه عليه ويعطيه زيادات الهدى التى هى احد اسباب الثبات على الدين كما قال الله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وهذا كما يقول القائل لغيره وهو ياكل كل اى دم على الاكل وثانيها ان الهداية هى الثواب كقوله سبحانه يهديهم ربهم بايمانهم فصار معناه اهدنا الى طريق الجنة ثوابا لنا ويؤيده قوله الحمد لله الذى هدانا لهذا وثالثها ان المراد دلنا على الدين الحق فى مستقبل العمر كما دللتنا عليه فى الماضى ويجوز الدعاء بالشىء الذى يكون حاصلا كقوله تعالى قل رب احكم بالحق وقوله حكاية عن ابرهيم عليه السلام ولا تخزنى يوم يبعثون وذلك ان الدعاء عبادة وفيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى فان قيل ما معنى المسئلة فى ذلك وقد فعله الله تعالى فالجواب انه يجوز ان يكون لنا فى الدعاء به مصلحة فى ديننا وهذا كما تعبدنا بان نكرر التسبيح والتحميد والاقرار لربنا عز اسمه بالتوحيد وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشياء كثيرة تكون اصلح لنا اذا سالناه واذا لم نسال لا يكون مصلحة فيكون ذلك وجها فى حسن المسئلة ويجوز ان يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لان اداء منه ليس بواجب بل هو تفضل محض فجاز ان يرغب اليه فيه بالدعاء وقيل فى معنى الصراط المستقيم وجوه احدها انه كتاب الله وهو المروى عن النبى صلى الله عليه وآله والمروى عن على عليه السلام وابن مسعود وثانيها انه الاسلام وهو المروى عن جابر وابن عباس والثالث انه دين الله الذى لا يقبل عن العباد غيره عن محمد بن الحنفية والرابع انه النبى صلى الله عليه وآله السلام والائمة القائمون مقامه وهو المروى فى اخبارنا والاولى حمل الاية على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لان الصراط المستقيم هو الدين الذى امر الله تعالى به من التوحيد والعدل وولاية من اوجب الله طاعته **قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين اية القراءة** قرا حمزة عليهم بضم الهاء واسكان الميم وكذلك لديهم واليهم وقرا يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة فى التثنية وجمع المذكر والمؤنث نحو عليهما وفيهما وعليهم وفيهم وعليهن وفيهن وقرا الباقون عليهم واخواتها بالكسر ثم اختلف القراء فى الميم فاهل الحجاز وصلوا الميم بواو انضمت الهاء قبلها او انكسرت قالوا عليهمو وعلى قلوبهمو وعلى سمعهمو وعلى ابصارهمو ومنهمو ولهمو الا ان نافعا اختلف عنه فيه والباقون يسكنون الميم وقرئ فى الشواذ عليهمو قراءة ابن ابى اسحق وعيسى الثقفى وعليهمى قراءة الحسن البصرى وعمرو بن فايد وعليهم مكسورة الهاء مضمومة الميم بغير واو وعليهم مضمومة الهاء والميم من غير بلوغ واو ومرويان عن الاعرج فهذه سبع قراآت فاما اذا لقى الميم حرف ساكن فان القراء اختلفوا فاهل الحجاز وعاصم وابن عامر يمضون على كسر الهاء والميم ويضمون الميم نحو عليهم الذلة ومن دونهم امراتين وابو عمرو يكسر الهاء والميم وحمزة والكسائى يضمان الهاء والميم معا وكل هذا الاختلاف فى الهاء التى قبلها كسرة او ياء ساكنة فاذا جاوزت هذين لم يكن فى الهاء الا الضم وقرا صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمرو بن الزبير وروى ذلك عن اهل البيت عليهم السلام

وقرئ ايضا في الشواذ غيرَ المغضوب عليهم بالنصب وقرأ وغيرِ الضالين عمر بن الخطاب وروى ذلك عن علي عليه السلام الحجة من قرأ عليهم بضم الهاء فانه رده الى الاصل لانه اذا انفرد من حروف يتصل بها قيل هم فعلوا بضم الهاء قال السراج وهي القراءة القديمة ولغة قريش واهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن فانما خص حمزة هذه الحروف الثلاثة بالضم لان اليا قبلها كانت الفاشل على القوم ولدى القوم والى القوم ولا يجوز كسر الهاء اذا كانت قبلها الف ومن قرأ عليهمو فانه اتبع الهاء ما اشبهها وهي اليا وترك ما لا يشبه اليا والالف على الاصل وهو الميم ومن قرأ عليهم بكسر الهاء واسكن الميم فلانه امن اللبس اذ كانت الالف في التثنية قد دلت على الاثنين ولا ميم في الواحد فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو واسكنوا الميم طلبا للتخفيف اذ كان ذلك لا يشكل وانما كسر الهاء مع ان الاصل الضم لليا التي قبلها ومن قرأ عليهمو فلانه الاصل لان هذه الواو في الجمع سبيلها سبيل الالف في التثنية اعني ان ثبات الواو كثبات الالف ومن قرأ عليهمي فانه كسر الهاء لوقوع اليا قبلها ساكنة وكسر الميم كراهة للخروج من كسرة الهاء الى ضمة الميم ثم انقلبت الواو يا لسكونها وانكسار ما قبلها ومن كسر الهاء وضم الميم وحذف الواو فانه احتمل الضمة بعد الكسرة لانها غير لازمة اذ كانت الف التثنية تفتحها لكنه حذف الواو تفاديا من نقلها ومن قرأ عليهمُ فانه حذف الواو استخفافا واحتمل الضم قبلها دليلا عليها واما من ضم الميم اذا لقيها ساكن وكسر الهاء فانما يحتج بان يقول لما احتجت الى الحركة رددت الحرف الى اصله فضممت وتركت الهاء على كسرها لانه لم يات ضرورة تحوج الى ردها الى الاصل ولان الهاء انما تبعت اليا لانها شبهت بها ولم يشبها الميم لبعدها منه واحتج من كسر الميم والهاء بان قال اتبعت الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيبويه الهاء تكسر اذا كانت قبلها ياء او كسرة لانها خفية وهي من حروف الزيادة كما ان اليا من حروف الزيادة وهي من موضع الالف وهي اشبه الحروف بالياء وكما اما لوا الالف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء وقلبوا الواو ياء لانه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة كقولك مررت بهي ومررت بدارهي قبل **الاعراب** صراط الذين صفة لقوله الصراط المستقيم ويجوز ان يكون بدلا عنه والفصل بين البدل والصفة ان البدل في تقدير تكرير العامل بدلالة تكرير حرف الجر في قوله سبحانه قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم وليس كذلك الصفة فكما اعيدت اللام الجارة في الاسم فكذلك العامل الرافع او الناصب في تقدير التكرير فكانه قال اهدنا صراط الذين وليس يخرج البدل وان كان كذلك عن ان يكون فيه تبيين الاول كما ان الصفة كذلك ولهذا لم يجز سيبويه في المسكين كان الامر ولايك المسكين كما جاز ذلك في الغايب نحو مررت به المسكين والذين موصول وانعمت عليهم صلة وقدتم بها اسما مفردا يكون في موضع جر باضافة صراط اليه ولا يقال في موضع الرفع اللذون لانه اسم غير متمكن وقد حكى اللذون شاذا كما حكى الشياطون في حال الرفع واما غير المغضوب عليهم ففي الجر فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الذين الهاء والميم في عليهم كقول الشاعر على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم فجر حاتم على البدل من الهاء في جوده وثانيها ان يكون بدلا من الذين وثالثها ان يكون صفة للذين وان كان اصل غير ان يكون صفة للنكرة تقول مررت برجل غيرك كانك قلت مررت برجل آخر او برجل ليس بك قال الزجاج وانما جاز ذلك لان الذين ههنا ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزلة قولك اني لامر برجل مثلك فاكرمه وقال علي بن عيسى الرماني انما جاز ان يكون نعتا للذين لان الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالاعلام نحو زيد وعمرو وانما هي كالنكرات اذا عرفت نحو الرجل والفرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك ايضا كما يقال لا اجلس الا الى العالم غير الجاهل ولو كانت بمنزلة الاعلام لما جاز كما لم يجز مررت بزيد غير الظريف بالجر على الصفة وقال ابو بكر السراج والذي عندي ان غيرا في هذا الموضع مع ما اضيف اليه معرفة لان حكم كل مضاف الى معرفة ان يكون معرفة وانما تنكرت غير ومثل مع اضافتهما الى المعارف من اجل معناهما وذلك انك اذا قلت رايت غيرك فكل شيء ترى سوى المخاطب هو غيره وكذلك اذا قلت رايت مثلك فما هو مثله لا يحصى فاما اذا كان شيء معرفة له ضد واحد واردت اثباته ونفي ضده وعلم ذلك السامع فوصفته بغير واضفت غيرا الى ضده فهو معرفة وذلك نحو قولك عليك بالحركة غير السكون فغير السكون معرفة وهي الحركة فكانك كررت الحركة تاكيدا فكذلك قوله الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم فغير المغضوب عليهم هم الذين انعم عليهم فمتى كانت غير بهذه الصفة فهي معرفة وكذلك اذا عرف الانسان بانه مثلك في ضرب من الضروب فقيل فيه قد جاء مثلك كان معرفة اذا اردت المعروف بشبهك قال ومن جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لان النكرة قد تبدل من المعرفة وفي نصب غير ثلاثة اوجه ايضا احدها ان يكون نصبا على الحال من المضمر في عليهم والعامل في الحال انعمت فكانه قال صراط الذين انعمت عليهم لا مغضوبا عليهم وثانيها ان يكون نصبا على الاستثناء المنقطع لان المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم وثالثها ان يكون نصبا على اعني كانه قال اعني غير المغضوب عليهم ولم يجز ان يقال غير المغضوبين عليهم لان الضمير قد خرج في عليهم فاستغنى عن ان يجمع المغضوب وهذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رايت القوم غير مذهوب بهم فاستغنيت بالضمير المجرور في بهم عن جمع المذهوب واما لا في قوله ولا الضالين

فذهب البصريون الى انها زايدة لتوكيد النفي وذهب الكوفيون الى انها بمعنى غير وحجة قول البصريين انك اذا قلت ما قام زيد وعمرو احتمل ان تريد ما قاما معا ولكن قام كل واحد منهما بانفراده فاذا قلت ما قام زيد ولا عمرو زال الاحتمال وغير متضمن معنى النفي ولهذا اجاز النحويون انت زيدا غير ضارب لانه بمنزلة انت زيدا لا ضارب ولا يجيزون انت زيدا مثل ضارب لان زيدا من صلة ضارب فلا يتقدم عليه وقال علي بن عيسى الرماني من نصب على الاستثناء جعل لا صلة كما انشد ابو عبيدة في بير لا حور سرى وما شعر اي في بير هلكة وتقدير غير المغضوب عليهم والضالين كما قال ما منعك ان لا تسجد بمعنى ان تسجد **المعنى واللغة** معنى الآية بيان الصراط المستقيم اي صراط من انعمت عليهم بطاعتك وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين واصل النعم المبالغة والزيادة يقال دققت الدواء فانعمت دقه اي بالغت في دقه وهذه النعمة وان لم تكن مذكورة في اللفظ فالكلام يدل عليها لانه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وقد بينا المراد بذلك بين ان هذا صراط من انعم عليهم ولم يحتج الى اعادة اللفظ كما قال النابغة كانك من جمال بني اقيش يقعقع خلف رجليه بشن اي كانك من جمالهم جمل يقعقع خلف رجليه واراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام ويدل عليه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وهؤلاء هم اليهود بدلالة قوله تعالى ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين واراد بالضالين النصارى بدلالة قوله تعالى ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال الحسن البصري ان الله تعالى لم يبرئ اليهود من الضلالة باضافة الضلالة الى النصارى ولم يبرئ النصارى من الغضب باضافة الغضب الى اليهود بل كل واحد منهما مغضوب عليهم وهم ضالون الا ان الله تعالى يخص كل فريق بسمة يعرف بها ويميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين في صفات كثيرة وقيل المراد بالمغضوب عليهم والضالين جميع الكفار وانما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين واختار الامام عبد القاهر قولا آخر قال ان حق اللفظ فيه ان يكون خرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله ان تكون حالنا حال المغضوب عليهم فانك لا تقصد به قوما باعيانهم ولكنك تريد ما تريد اذا قلت اللهم اجعلني ممن انعمت عليهم ولا تجعلني ممن غضبت عليهم فلا تريد ان ههنا قوما باعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعما عليهم وليس يخفى على من عرف الكلام ان العقلاء يقولون اجعلني ممن يديم لك النعم وهم يريدون ان تقولوا ادم على النعم ولا يشك عاقل اذا نظر الى قول عنترة ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم انه لم يرد ان يشبهها بانسان هو محب مكرم عنده او عند غيره ولكنه اراد ان يكون انك محبة مكرمة عندي واما الغضب من الله تعالى فهو ارادته انزال العقاب المستحق بهم ولعنهم وبراءته منهم واصل الغضب الشدة ومنه الغضبة الصخرة الصلبة الشديدة المركبة في الجبل والغضوب الحية الخبيثة والناقة العبوس واصل الضلال الهلاك ومنه قوله ءاذا ضللنا في الارض اي هلكنا ومنه قوله واضل اعمالهم اي اهلكها والضلال في الدين الذهاب عن الحق وانما لم يقل الذين انعمت عليهم غير الذين غضبت عليهم مراعاة للادب في الخطاب واختيار الحسن اللفظ المستطاب وفي تفسير العياشي رحمه الله روى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قول الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قال فاتحة الكتاب يثنى فيها القول قال وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تعالى منّ عليّ بفاتحة الكتاب من كنز الجنة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الآية التي يقول الله تعالى فيها واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا والحمد لله رب العالمين دعوى اهل الجنة حين شكروا الله حسن الثواب ومالك يوم الدين قال جبرئيل ما قالها مسلم الا صدقه الله واهل سماواته اياك نعبد اخلاص للعبادة واياك نستعين افضل ما طلب به العباد حوائجهم اهدنا الصراط المستقيم صراط الانبياء وهم الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم اليهود ولا الضالين النصارى وروى محمد الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان يقرأ ملك يوم الدين ويقرأ اهدنا صراط المستقيم وفي رواية اخرى يعني امير المؤمنين عليه السلام وروى جميل عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا كنت خلف امام وفرغ من قراءة الفاتحة فقل انت من خلفه الحمد لله رب العالمين وروى فضيل بن يسار عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا قرأت الفاتحة وفرغت من قراءتها وانت في الصلوة فقل الحمد لله رب العالمين **النظم** واما نظم هذه السورة فاقول فيه ان العاقل المميز اذا عرف نعم الله سبحانه بالمشاهدة وكان له من نفسه بذلك اعدل شاهد واصدق رائد ابتدأ باية التسمية استفتاحا باسم المنعم واعترافا بالالهية واسترواحا الى ذكر فضله ورحمته ولما اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له والحمد فقال الحمد لله ولما راى نعم الله تعالى على غيره واضحة كما شاهد آثارها على نفسه لا يخفى عرفانه رب الخلايق اجمعين فقال رب العالمين ولما راى شمول فضله للمربوبين وعموم رزقه للمرزوقين قال الرحمن ولما راى تقصيرهم في واجب شكره وتعذيرهم في الانزجار عند زجره واجتناب نهيه وامتثال امره وانه تعالى يتجاوز عنهم

بالغفران ولا يواخذهم عاجلا بالعصيان ولا يبليهم نعم بالكفران قال الرحيم ولما راى ما بين العباد من التباغى والتظالم والتكالم والتلاكم
وان ليس بعضهم من بعض بسالم علم ان وراءهم يوما ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مالك يوم الدين واذا عرف هذه الجملة فقد علم ان له خالقا
رازقا حيا يحيى ويميت ويبدئ ويعيد هو الحى لا يشبهه شئ والاله الذى لا يستحق العبادة سواه ولما صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرك
له بالعيان للشاهد بالبرهان تحول عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال اياك نعبد وهذا كما ان الانسان يصف الملك بصفاته فاذا راه عدل
عن الوصف الى الخطاب ولما راى اعتراض الاهواء والشبهات وتعاور الآراء المختلفات ولم يجد معينا غير الله تعالى سأله الاعانة على الطاعات بجميع الاسباب
لها والوصلات فقال واياك نستعين ولما عرف هذه الجملة وتبين انه بلغ من معرفة الحق المدى واستقام على منهج الهدى ولم يأمن العثرة لارتفاع العصمة
سال الله تعالى التوفيق للدوام عليه والثبات والعصمة من الزلات فقال اهدنا الصراط المستقيم وهذا اللفظ جامع يشتمل على مسألة معرفة الاحكام
والتوفيق لاقامة شرايع الاسلام والاقتداء بمن اوجب الله طاعته من ائمة الانام واجتناب المحارم والاثام واذا علم ذلك علم ان لله عبادا خصهم
بنعمته واصطفاهم على بريته وجعلهم حججا على خليقته فسأله ان يلحقه بهم ويسلك به سبيلهم وان يعصمه عن مثل احوال الزالين المزلين والضالين المضلين
ممن عاند الحق وعمى عن طريق الرشد وخالف سبيل القصد فغضب الله عليه ولعنه واعد له الخزى المقيم والعذاب الاليم او شك فى واضح الدليل
فضل عن سواء السبيل فقال صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ۵ سورة البقرة مدنية كلها الا آية واحدة منها وهى
قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فانها نزلت بمنى فى حجة الوداع ۵ عدد آيها مائتان وست وثمانون آية فى العدد الكوفى وهو
العدد المروى عن امير المؤمنين عليه السلام وسبع فى العدد البصرى وخمس حجازى واربع شامى خلافها احدى عشرة آية عد الكوفى الم آية وعد البصرى
الا خائفين وقولا معروفا وعذاب اليم شامى مصلحون غيرهم يا اولى الالباب عراقى والمدنى الاخير من خلاق الثانى غير المدنى الاخير يسألونك ماذا
ينفقون مكى والمدنى الاول تتفكرون كوفى شامى والمدنى الاخير الحى القيوم مكى بصرى والمدنى الاخير من الظلمات الى النور المدنى الاول وعن
اهل مكة ولا يضار كاتب ولا شهيد فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله قال من قرأها فصلوات الله عليه ورحمته واعطى من الاجر
كالمرابط فى سبيل الله سنة لا تسكن روعته وقال لى يا ابى مر المسلمين ان يتعلموا سورة البقرة فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها
البطلة قلت يا رسول الله ما البطلة قال السحرة وروى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لكل شئ سناما وسنام القرآن سورة
البقرة من قرأها فى بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلثة ايام ومن قرأها فى بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلث ليال وروى ان رسول الله صلى الله
عليه وآله بعث بعثا ثم تبعهم يستقرئهم فجاء انسان منهم فقال ماذا معك من القرآن حتى اتى على احدثهم سنا فقال له ماذا معك من القرآن قال كذا وكذا
وسورة البقرة فقال اخرجوا وهذا عليكم امير قالوا يا رسول الله هو احدثنا سنا قال معه سورة البقرة وسئل النبى عليه السلام اى سور القرآن افضل فقال
البقرة قيل اى آى البقرة افضل قال آية الكرسى وقال الصادق عليه السلام من قرأ البقرة وآل عمران جاء يوم القيمة يظلانه على رأسه مثل الغمامتين او مثل الغيايتين
۵ تفسيرها بسم الله الرحمن الرحيم الم اختلف العلماء فى حروف المعجم المفتتحة بها السور فذهب بعضهم الى انها من المتشابهات التى استأثر الله
بعلمها ولا يعلم تاويلها الا هو وهذا هو المروى عن ائمتنا عليهم السلام وروت العامة عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ان لكل كتاب صفوة وصفوة
هذا الكتاب حروف التهجى وعن الشعبى قال لله فى كل كتاب سر وسره فى القرآن سائر حروف الهجاء المذكورة فى اوائل السور وفسرها الآخرون على وجوه احدها
انها اسماء السور ومفاتحها عن الحسن وزيد بن اسلم وثانيها ان المراد بها الدلالة على اسماء الله تعالى فقوله الم معناه انا الله اعلم والمر معناه انا
الله اعلم وارى والمص معناه انا الله اعلم وافصل والكاف فى كهيعص من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق عن
ابن عباس وعنه ايضا ان الم الالف منه يدل على اسم الله واللام يدل على اسم جبرئيل والميم يدل على اسم محمد وروى ابو اسحق الثعلبى فى تفسيره مسندا الى على
بن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن قوله الم فقال فى الالف ست صفات من صفات الله عز وجل الابتداء فان الله تعالى ابتدا
جميع الخلق والالف ابتداء الحروف والاستواء فهو عادل غير جائر والالف مستو فى ذاته والانفراد فالله فرد والالف فرد واتصال الخلق بالله والله لا
يتصل بالخلق وكلهم يحتاجون اليه والله غنى عنهم وكذلك الالف لا يتصل بالحروف والحروف متصلة به وهو منقطع من غيره والله عز وجل باين بجميع صفاته من خلقه
ومعناه من الالفة فكما ان الله عز وجل سبب الفة الخلق فكذلك الالف عليه تألفت الحروف وهو سبب الفتها وثالثها انها اسماء الله تعالى منقطعة لو احسن
الناس تاليفها لعلموا اسم الله الاعظم تقول الر وحم ون فيكون الرحمن وكذلك سائرها الا انا لا نقدر على وصلها والجمع بينها عن سعيد بن جبير و

رابعها انها اسماء القرآن عن قتادة وخامسها انها اقسام اقسم الله بها وهى من اسمائه عن ابن عباس وعكرمة قال الاخفش وانما اقسم الله بالحروف المعجمة
لشرفها وفضلها ولانها مبانى كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة واسمائه الحسنى وصفاته العليا واصول كلام الامم كلها بها يتعارفون ويذكرون الله عز اسمه
ويوحدونه فكأنه اقسم بهذه الحروف ان القرآن كتابه وكلامه وسادسها ان كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله عز وجل وليس فيها حرف الا
وهو فى آلائه وبلائه وليس فيها حرف الا وهو فى مدة قوم وآجال آخرين عن ابى العالية وقد ورد مثل ذلك ايضا فى اخبارنا وسابعها ان المراد
بها مدة بقاء هذه الامة عن مقاتل بن سليمن قال مقاتل حسبنا هذه الحروف التى فى اوائل السور باسقاط المكرر فبلغت سبعمائة واربعا واربعين سنة
وهى بقية مدة هذه الامة قال على بن فضال المجاشعى النحوى وحسبت هذه الحروف التى ذكرها مقاتل فبلغت ثلثة آلاف وخمسا وستين فحذفت المكررات
فبقى ستمائة وثلث وتسعون والله اعلم بما فيها واقول قد حسبتها انا ايضا فوجدتها كذلك ويروى ان اليهود لما سمعوا الم قالوا مدة ملك محمد
قصيرة انما تبلغ احدى وسبعين سنة فلما نزلت المر والر والمص وكهيعص اتسع عليهم الامر هذه اقوال اهل التفسير وثامنها ان المراد بها حروف
المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها فى اوائل السور عن ذكر بواقيها التى هى تمام الثمانية والعشرين حرفا كما يستغنى عن ذكر قفا نبك عن ذكر باقى القصيدة
وكما يقال ابنى فى ابجد وفى ا ب ت ث ولم يذكر باقى الحروف قال الراجز لما رايت امرها فى حطى اخذت منها بقرون شمط وانما اراد الخبر عن المرأة
بانها فى ابجد فاقام قوله حطى مقامه لدلالة الكلام عليه وتاسعها انها تسكيت للكفار لان المشركين كانوا تواصوا فيما بينهم ان لا يستمعوا لهذا القرآن
وان يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قوله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية فربما صفروا وربما صفقوا وربما لغطوا ليغلطوا النبى صلى الله عليه وآله السلام
فانزل الله تعالى هذه الحروف حتى اذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا اليه وتفكروا واشتغلوا عن تغليطه فيقع القرآن فى مسامعهم ويكون ذلك سببا
موصلا لهم الى درك منافعهم وعاشرها ان المراد بها ان هذا القرآن الذى عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التى تتحاورون بها فى
خطبكم وكلامكم فاذا لم تقدروا عليه فاعلموا انه من عند الله لان العادة لم تجر بان الناس يتفاوتون فى القدر هذا التفاوت العظيم و
انما كررت فى مواضع استظهارا فى الحجة وهو المحكى عن قطرب واختاره ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهانى ۵ اللغة اجود هذه الاقوال القول الاول
المحكى عن الحسن لان اسماء الاعلام منقولة عن اصولها للتفرقة بين المسميات فيكون حروف المعجم منقولة الى التسمية ولهذا فى اسماء العرب نظير قالوا
اوس بن حارثة بن لام الطائى ولا خلاف بين النحويين انه يجوز ان يسمى بحروف المعجم كما يجوز ان يسمى بالجمل نحو تأبط شرا وبرق نحره وكل كلمة لم تكن على
معنى الاصل فهى منقولة الى التسمية للفرق نحو جعفر اذا لم يرد به معنى النهر لم يكن الا منقولا الى العلمية وكذلك اشباهه ولو سميت بالف لام ميم
لحكيت جميع ذلك واما قول ابن عباس انه اختصار من اسماء يعلم النبى صلى الله عليه وآله السلام تمامها فنحو قول الشاعر نادوهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا
كلهم الا فا يريد الا تركبون قالوا الا فاركبوا وقول الآخر قلنا لها قفى لنا قالت قاف لا تحسبى انا نسينا الايجاف يريد قالت انا واقفة الاعراب
اما موضع الم من الاعراب فيختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب اما على مذهب الحسن فموضعها رفع على اضمار مبتداء محذوف كانه قال هذه الم
اجاز الرمانى ان يكون الم مبتدأ وذلك الكتاب خبره وتقديره حروف المعجم ذلك الكتاب وهذا فيه بعد لان حكم المبتدأ ان يكون هو الخبر
فى المعنى ولم يكن الكتاب هو حروف المعجم ويجوز ان يكون الم فى موضع نصب على اضمار فعل تقديره اتل الم واما على مذهب من جعلها قسما فموضعها
نصب باضمار فعل لان حرف القسم اذا حذف يصل الفعل الى المقسم به فينصبه فان معنى قولك بالله اقسم بالله ثم حذفت اقسم فبقى بالله فلو حذفت البا
قلت الله لافعلن واما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصارا من كلام او حروفا مقطعة فلا موضع لها من الاعراب لانها بمنزلة قولك
زيد قايم فى ان لا موضع لا حظ له فى الاعراب وانما يكون للجملة موضع اذا وقعت موقع المفرد كقولك زيد ابوه قايم وان زيدا ابوه قايم لانه بمنزلة
قولك زيد قايم وان زيدا قايم وهذه الحروف موقوفة على الحكاية كما تفعل بحروف التهجى لانها مبنية على السكت كما ان العدد مبنى على السكت
يدل على ذلك جمعك بين ساكنين فى قولك لام ميم وتقول فى العدد واحد اثنان ثلثة اربعة فتقطع الف اثنين والف اثنين من الاصل
وتذكر الهاء فى ثلثة واربعة ولولا انك تقدر السكت لقلت ثلثة بالتاء ويدل عليه قول الشاعر اقبلت من عند زياد كالخرف تخط رجلاى
بخط مختلف تكتبان فى الطريق لام الف كانه قال لام الف ولكنه القى حركة همزة الف على الميم ففتحها واذا اجريت غير حروف الهجاء او اسماء
الاعداد اعربتها لانك ادخلتها باخبارك عنها فى جملة الاسماء المتمكنة واخرجتها بذلك من حيز الاصوات كما قال الشاعر كما بينت كاف
تلوح وميمها وقال الآخر اذا اجتمعوا على الف وياء وواو هاج بينهم جدال ويقول هذا كاف حسن وهذه كاف حسنة من ذكره فعلى

معنى الحرف ومن انثه فعلى معنى الكلمة ٥ قوله عز وجل ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين آية القراءة قرا ابن كثير فيهو هدى
بوصل الهاء بياء في اللفظ وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة فان كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو ووافقه حفص في قوله فيهي
مهانا وقتيبة في ملاقيه وساصليه والباقون لا يشبعون واذا تحرك ما قبل الهاء فهم مجمعون على اشباعه الحجة اعلم انه يجوز في العربية في فيه
اربعة اوجه فيهو وفيهي وفيهُ وفيهِ والاصل فيهو كما قيل لهو وماله فمن كسر من فيه ونحوه مع ان الاصل الضم فلاجل الياء او الكسرة قبل الهاء
والهاء تشبه الالف لكونها من حروف الحلق ولما فيها من الخفاء فكما نحوا بالالف نحو الياء بالامالة لاجل الكسرة او الياء كذلك كسروا الهاء للكسرة
او الياء او ليتجانس الصوتان ومن ترك الاشباع فلكراهة اجتماع المتشابهة فان الهاء حرف خفي فاذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان
كان الساكنين التقيا لخفاء الهاء فانهم لم يعتدوا بها حاجزا في نحو فيهي وخذوه كما لم يعتدوا بها في نحو ردّه من اتبع الضم الضم اذ وصل بضمير
المؤنث فقال ردها بالفتح لا غير ولم يتبع الضم الضم وجعل الدال كانها لازقة بالالف واما من اشبع واتبعها الياء قال الهاء وان كانت خفية
فليس يخرجها ذلك من ان يكون كغيرها من حروف المعجم التي لا خفاء فيها فاذا كان كذلك كان جريها بين الساكنين كجري غيرها من الحروف
التي لا خفاء فيها اللغة ذلك لفظة يشار بها الى الباعد وهذا الى المقارب والاسم من ذلك ذا والكاف زيدت للمخاطبة ولا حظ لها من
الاعراب واللام تزاد للتوكيد وكسرت لالتقاء الساكنين وسقط مع هاء التنبيه فيقال ذاك وذلك وهذاك ولا يقال هذالك والكتاب مصدر وهو
بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر بشرت عيالي اذ رايت صحيفة اتتك من الحجاج يتلى كتابها اي مكتوبها واصله الجمع من قولهم كتبت القربة اذا خرزتها
والكتبة الخرزة وكتبت البغلة اذا جمعت بين شفريها بحلقة ومنه قيل للجند كتيبة لانضمام بعضهم الى بعض والريب الشك وقيل هو اسوأ الشك وهو
مصدر رابني الشيء من فلان يريبني اذا كنت مستيقنا منه بالريبة فاذا اسات به الظن ولم تستيقن بالريبة منه قلت ارابني من فلان
امر ارابة واراب الرجل اي صار صاحب ريبة كما قيل الام اي استحق ان يلام والهدى الدلالة مصدر هديته وفعل قليل في المصادر قال ابو علي
يجوز ان يكون فعل مصدرا اختص به المعتل وان لم يكن في المصادر كما كان كينونة ونحوه لا يكون في الصحيح والفعل منه يتعدى الى مفعولين
يتعدى الى الثاني منهما باحد حرفي الجر الى او اللام كقوله واهدنا الى سواء الصراط والحمد لله الذي هدانا لهذا وقد يحذف منه حرف الجر فيصل الفعل
الى المفعول نحو اهدنا الصراط المستقيم اي دلنا عليه واسلك بنا فيه وكانه استخفاف لما عدواه في قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
اي سبل دار السلام والاصل في المتقين الموتقيين مفتعلين من الوقاية فقلبت الواو تاء وادغمها في التاء التي بعدها وحذفت الكسرة عن الياء
استثقالا لها ثم حذفها لالتقاء الساكنين فبقي متقين والتقوى اصله وقوى فقلبت الواو تاء كالتراث اصله وراث واصل الاتقاء الحجز بين الشيئين
يقال اتقاه بالترس اي جعله حاجزا بينه وبينه قال الشاعر فالقت قناعا دونه الشمس واتقت ٥ باحسن موصولين كف ومعصم ومنه الوقاية لانها
يمنع رؤية الشعر الاعراب ذلك في موضع رفع من وجوه احدها ان يجعله خبرا عن الم كما مضى القول فيه وثانيها ان يكون مبتدا او الكتاب
خبره وثالثها ان يكون مبتدا والكتاب عطف بيان او صفة له او بدل منه ولا ريب فيه جملة في موضع الخبر ورابعها ان يكون مبتدا وخبره هدى
ويكون لا ريب فيه في موضع الحال والعامل في الحال معنى الاشارة وخامسها ان يكون لا ريب فيه وهدى جميعا خبرا بعد خبر كقولك هذا حلو حامض
اي جمع الطعمين ومنه قول الشاعر من يك ذا بت فهذا بتي ٥ مقيظ مصيف مشتي ٥ وسادسها ان يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب
واذا احملت على هذا الوجه او على انه مبتدا ولا ريب الخبر او على انه خبر الم او على ان الكتاب خبر عنه كان قوله هدى في موضع نصب على الحال اي هاديا للمتقين
والعامل فيه معنى الاشارة او الاستقرار الذي يتعلق به فيه وقوله لا ريب قال سيبويه لا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين وقال غيره من حذاق النحويين
جعل لا مع النكرة الشائعة مركبا شيئا واحدا لتضمن الاسم معنى الحرف لانه جعل جزء من الاسم بدلالة انك تضيف اليه مجموعا ويدخل عليه حرف الجر فيقول
جئتك بلا مال ولا زاد فلما صار كذلك بني على الفتح وهما جميعا في موضع الرفع على الابتداء وموضع خبره موضع خبر المبتدا وعلى هذا يجوز ان يجعل
فيه خبرا ويجوز ان يجعله صفة فان جعلته صفة اضمرت الخبر وان جعلته خبرا كان موضعه رفعا في قياس قول سيبويه من حيث يرتفع خبر الابتدا
وعلى قول ابي الحسن الاخفش موضعه رفع والموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لان الحكم له من دون ما كان يكون الظرف منتصبا به في الاصل
الا ترى ان الضمير قد صار في الظرف واما قوله هدى فيجوز ان يكون في موضع رفع من ثلثة اوجه غير الوجه الذي ذكرناه قبل وهو ان يكون
خبرا عن ذلك احدها ان يكون مبتدا وفيه الخبر على ان يضمر للا ريب خبرا كانك قلت لا ريب فيه فيه هدى والوقف على هذا الوجه يكون على قوله

لا ريب ويبتدي فيه هدى للمتقين وان شئت جعلت فيه هذه الظاهرة خبرا عن لا ريب واضمرت لهدى خبرا كانك قلت لا ريب فيه فيه
هدى والوقف على هذا الوجه على قوله لا ريب فيه ويبتدي هدى للمتقين والوجه الثاني ان يكون خبرا عن الم على قول من جعله اسما للسورة
والوجه الثالث ان يكون خبر المبتدا محذوف تقديره هو هدى المعنى المراد بالكتاب القرآن وقال الاخفش ذلك يعني هذا لان
الكتاب كان حاضرا وانشد لخفاف بن ندبة اقول له والرمح يأطر متنه ٥ تأمل خفافا انني انا ذلكا اي انا هذا وهذا البيت يمكن اجراؤه على
ظاهره اي انني ذلك الرجل الذي سمعت شجاعته واذا اجري للشيء ذكر يجوز ان يقول السامع هذا كما قلت وذلك كما قلت ويقول انفقت ثلثة
وثلثة فهذا ستة وانما يقول هذا لقربه بالاخبار عنه ويقول ذلك لكونه ماضيا وقيل ان الله وعد نبيه ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق
على كثرة الرد فلما انزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذي وعدتك عن الفرا وابي علي الجبائي وقيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب
الذي وعدتك به في الكتب السالفة عن المبرد ومن قال ان المراد بالكتاب التورية والانجيل فقوله فاسد لانه وصف الكتاب بانه لا ريب فيه وانه
هدى ووصفهما في ايدي اليهود والنصارى بانهم قد يحرفون الكلم عن مواضعه ومعنى قوله لا ريب فيه انه بيان وهدى وحق ومعجز فمن
ههنا استحق الوصف بانه لا شك فيه لا على جهة الاخبار بنفي شك الشاكين وقيل انه على الحذف كانه قال لا سبب شك فيه لان الاسباب التي توجب
الشك في الكلام هي التلبيس والتعقيد والتناقض والدعاوى العارية من البرهان وهذه كلها منفية عن كتاب الله تعالى وقيل ان معناه النهي
وان كان لفظه الخبر اي لا ترتابوا ولا تشكوا فيه كقوله لا رفث ولا فسوق واما تخصيص المتقين بان القرآن هدى لهم وان كان هدى لجميع الناس
فلانهم هم الذين انتفعوا به واهتدوا بهداه كما قال انما انت منذر من يخشاها وان كان عليه السلام منذر الكل مكلف لانه انما انتفع بانذاره
من يخشى نار جهنم على انه ليس في الاخبار بانه هدى للمتقين ما يدل على انه ليس بهدى لغيرهم وبين في آية اخرى انه هدى للناس ٥ فصل
في التقوى والمتقي روي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقي
الذي اتقى ما حرم عليه وفعل ما اوجب عليه وقيل هو الذي يتقي بصالح اعماله عذاب الله وسال عمر بن الخطاب كعب الاحبار عن التقوى فقال هل
اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت وتشمرت فقال كعب ذلك التقوى فنظمه بعض الناس فقال خل الذنوب صغيرها
وكبيرها فهو التقى ٥ واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يرى ٥ لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى ٥ وروي عن النبي صلى الله عليه واله
انما سمي المتقون لتركهم ما لا باس فيه حذرا للوقوع فيما به باس وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله التقي ملجم كالمحرم في الحرم وقال بعضهم التقوى
ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك ٥ قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون آية
آية القراءة قرا ابو جعفر وعاصم في رواية الاعشى عن ابي بكر بترك كل همزة ساكنة مثل يومنون وياكلون ويوتون وبيس ونحوها وبترك
كثيرا من المتحركة مثل يودّه ولا يواخذكم ويويد بنصره وبمذهب ابي جعفر فيه تفصيل يطول ذكره واما ابو عمرو فيترك كل همزة ساكنة الا ان
يكون سكونها علامة للجزم مثل ننساها ويسؤكم ويهيئ لكم ومن يشاء وانبئهم واقرا كتابك ونحوها فانه لا يترك الهمزة فيها وروى عنه الهمزة ايضا
في الساكنة واما نافع فيترك كل همزة ساكنة ومتحركة اذا كانت فاء من الفعل نحو يومنون ولا يواخذكم واختلف قراءة الكسائي وحمزة ولكل واحد
منهم مذهب فيه يطول ذكره فالهمزة على الاصل وتركه للتخفيف اللغة والاعراب الذين جمع الذي واللاتي واللاءي جمع التي وتثنيتهما اللذان
واللتان في حال الرفع واللذين واللتين في حال الجر والنصب وهي من الاسماء التي لا تتم الا بصلاتها نحو من وما واي وصلاتها لا يكون
الا جملة خبرية يصح فيها الصدق والكذب ولا بد ان يكون فيها ضمير يعود الى الموصول فاذا استوفت الموصولات صلاتها كانت في تاويل اسم
مفرد مثل زيد وعمرو ويحتاج الى جزء اخر تصير به جملة فقوله الذين موصول ويؤمنون صلته ويحتمل ان يكون محله نصبا وجرا ورفعا
فالنصب على المدح تقديره اعني الذين يؤمنون واما الجر فعلى انه صفة للمتقين واما الرفع فعلى المدح ايضا كانه لما قيل هدى للمتقين قيل
من هم فقيل هم الذين يؤمنون بالغيب فيكون خبر مبتدا محذوف ويؤمنون معناه يصدقون والواو في موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين
والنون علامة الرفع والاصل في يفعل يؤفعل ولكن الهمزة حذفت لانك اذا اخبرت عن نفسك قلت انا افعل فكانت تجتمع همزتان
فاستثقلتا فحذفت الهمزة الثانية فقيل افعل ثم حذفت من الصيغ الاخر نحو يفعل وتفعل ونفعل كما ان باب يعد حذفت منه الواو لوقوعها
بين ياء وكسرة اذ الاصل يوعد ثم حذفت في تعد ونعد واعد ليجري الباب على سنن واحد قال الازهري اتفق العلماء على ان

الايمان هو التصديق قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اى بمصدق لنا قال ابو زيد وقالوا ما امنت ان اجد صحابة اى ما وثقت فالايمان هو
الثقة والتصديق قال الله تعالى للذين امنوا باياتنا اى صدقوا ووثقوا به قال الشاعر انشده ابن الانبارى ومن قبل امنا وقد كان قومنا
يصلون للاوثان قبل محمد امنا معناه امنا بمحمد اى صدقناه ويجوز ان يكون امن من قياس فعلته فافعل تقول امنته فامن مثل كببته فاكب والامن
خلاف الخوف والامانة خلاف الخيانة والامون الناقة القوية كانها يؤمن عثارها اى كلالها ويجوز ان يكون امن بمعنى صار ذا امن على نفسه باظهار
التصديق نحو اجرب واعاه واصح واسلم صار ذا سلم اى خرج عن ان يكون حربا هذا فى اصل اللغة اما فى الشريعة فالايمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق
به من الله تعالى وانبيائه وملائكته وكتبه والبعث والنشور والجنة والنار واما قولنا فى وصف القديم تعالى المؤمن فانه يحتمل تاويلين احدهما
ان يكون من امنت المتعدى الى مفعول فنقل بالهمزة فتعدى الى مفعولين فصار من امن زيد العذاب وامنته العذاب فمعناه المؤمن عذابه من لا
يستحقه من اوليائه ومن هذا وصفه سبحانه بالعدل كقوله قائما بالقسط وهذا الوجه مروى من اخبارنا والاخر ان يكون معناه المصدق اى يصدق
الموحدين على توحيدهم اياه يدل عليه قوله شهد الله انه لا اله الا هو لان الشاهد مصدق لما يشهد به كما انه مصدق من يشهد له فاذا شهد بالتوحيد
فقد صدق الموحدين واما الغيب فهو ما غاب عنك ولم تشهده وقوله بالغيب كانه اجمال لما فصل فى قوله كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله اى يؤمنون
بما كفر به الكفار من وحدانية الله تعالى وانزال كتبه وارسال رسله فكل هذا غيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور فى موضع نصب بانه مفعول به وفيه وجه
اخر وهو ان يكون اراد يؤمنون اذا غابوا عنكم ولم يكونوا كالمنافقين ومثله قوله وخشى الرحمن بالغيب فعلى هذا يكون الجار والمجرور فى موضع الحال
اى يؤمنون غائبين عن مراءاة الناس لا يريدون بايمانهم تصنعا لاحد ولكن يخلصونه لله تعالى ويقيمون الصلوة يؤدونها بحدودها وفرائضها
يقال اقام القوم سوقهم اذا لم يعطلوها من البيع والشراء وقال الشاعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا وقال ابو مسلم يقيمون
الصلوة اى يديمون اداء فرضها يقال للشىء الراتب قائم ويقال فلان يقيم ارزاق الجند والصلوة فى اللغة الدعاء قال الاعشى وقابلها الريح فى دنها
وصلى على دنها وارتسم اى دعا لها ومنه الحديث اذا دعى احدكم الى طعام فليجب فان كان صائما فليصل اى فليدع له بالبركة والخير وقيل اصله رفع
الصلا فى الركوع وهو عظم فى العجز قوله ومما رزقناهم ينفقون ما هذه حرف موصول ورزقناهم صلته وهما جميعا بمعنى المصدر تقديره ومن
رزقنا اياهم ينفقون ويجوز ان يكون اسما موصولا ورزقناهم صلته ويكون العائد من الصلة الى الموصول محذوفا والتقدير ومن الذى رزقنا
هموه ينفقون ويكون مما رزقناهم فى موضع جر بمن والجار والمجرور فى موضع نصب بانه مفعول ينفقون والرزق هو العطاء الجارى وهو نقيض
الحرمان والانفاق اخراج المال يقال انفق ماله اى اخرجه عن ملكه ونفقت الدابة اى خرج روحها والنافقاء جحر اليربوع لانه يخرج منها ومنه النفاق
لان المنافق يخرج الى المؤمن بالايمان والى الكافر بالكفر المعنى لما وصف القرآن بانه هدى للمتقين بين صفة المتقين فقال الذين يؤمنون بالغيب
اى يصدقون بجميع ما اوجبه الله تعالى او ندب اليه او اباحه وقيل يصدقون بالقيامة والجنة والنار عن الحسن وقيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل
بما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة وهذا اولى لعمومه ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان غيبة المهدى ووقت خروجه
وقيل الغيب هو القرآن عن زر بن حبيش وقال الرمانى الغيب خفاء الشىء عن الحس قرب او بعد الا انه كثر صفة غائب على البعيد الذى لا يظهر للحس
وقال البلخى الغيب كل ما ادرك بالدلائل والايات مما يلزم معرفته وقال المعتزلة باجمعها الايمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فمنهم من اعتبر الفرائض والنوافل ومنهم من اعتبر الفرائض
حسب واعتبروا اجتناب الكبائر كلها وروى الخاص والعام عن على بن موسى الرضا عليه السلام ان الايمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل
بالاركان وقد روى ذلك على لفظ اخر عنه ايضا الايمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول واتباع الرسول واقول ان اصل الايمان هو المعرفة
بالله وبرسله وبجميع ما جاءت به رسله وكل عارف بشىء فهو مصدق به ويدل عليه هذه الاية فانه تعالى لما ذكر الايمان علقه بالغيب ليعلم انه تصديق للمخبر
فيما اخبر به من الغيب على معرفة وثقة ثم افرده بالذكر عن ساير الطاعات البدنية والمالية وعطفهما عليه فقال ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
والشىء لا يعطف على نفسه وانما يعطف على غيره ويدل عليه ايضا انه تعالى حيث ذكر الايمان اضافه الى القلب فقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال اولئك
كتب فى قلوبهم الايمان وقال النبى صلى الله عليه واله الايمان سر واشار الى صدره والاسلام علانية وقد يسمى الاقرار ايمانا كما يسمى تصديقا الا انه
متى صدر عن شك او جهل كان ايمانا لفظيا لا حقيقيا وقد يسمى اعمال الجوارح ايضا ايمانا استعارة وتلويحا كما يسمى تصديقا كذلك فيقال فلان يصدق
افعاله مقاله ولا خير فى قول لا يصدقه الفعل والفعل ليس بتصديق حقيقى باتفاق اهل اللغة وانما استعير له هذا الاسم على الوجه الذى ذكرناه فقد

الامر

الامر مع تسليم صحة الخبر وقوله ان الايمان هو المعرفة بالقلب والتصديق به على نحو ما يقتضيه اللغة ولا يطلق لفظه الا على ذلك الا انه يستعمل فى
الاقرار باللسان والعمل بالاركان مجازا واتساعا وبالله التوفيق وقد ذكرنا فى قوله يقيمون الصلوة وجهين اقتضاهما اللغة وقيل ايضا انه مشتق
من القيام فى الصلوة ولذلك قيل قد قامت الصلاة وانما ذكر القيام لانه اول اركان الصلوة وامدها وان كان المراد هو وغيره والصلوة
فى الشرع عبارة عن افعال مخصوصة على وجوه مخصوصة وهذا يدل على ان الاسم ينقل من اللغة الى الشرع وقيل ان هذا ليس بنقل بل هو تخصيص لانه
يطلق على الذكر والدعاء فى مواضع مخصوصة وقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون يريد ومما اعطيناهم وملكناهم يخرجون على وجه الطاعة وحكى
عن ابن عباس انه الزكوة المفروضة وعن ابن مسعود انه نفقة الرجل على اهله لان الاية نزلت قبل وجوب الزكوة وعن الضحاك هو التطوع بالنفقة
وروى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام ان معناه ومما علمناهم يبثون والاولى حمل الاية على عمومها وحقيقة الرزق هو ما صح ان ينتفع به
المنتفع وليس لاحد منعه منه وهذه الاية تدل على ان الحرام لا يكون رزقا لانه تعالى مدحهم بالانفاق مما رزقهم والمنفق من الحرام لا يستحق المدح
على الانفاق بالاتفاق فلا يكون رزقا النزول قال بعضهم هذه الاية تناولت مؤمنى العرب خاصة بدلالة قوله فيما بعد والذين
يؤمنون بما انزل اليك الاية فهذا فى مؤمنى اهل الكتاب اذ لم يكن للعرب كتاب قبل القرآن وهذا غير صحيح لانه لا يمتنع ان يكون الاية الاولى عامة
فى جميع المؤمنين وان كانت الثانية خاصة فى قوم منهم ويجوز ان يكون المراد بالايتين قوما واحدا وصفهم بجميع ذلك بان جمع بين اوصافهم بواو
العطف كقول الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم قوله تعالى والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك وبالاخرة هم يوقنون آية القراءة اهل الحجاز غير ورش واهل البصرة لا يمدون حرفا لحرف وهو ان يكون المدة من كلمة والهمزة
من اخرى نحو بما انزل اليك ونحوه واما اهل الكوفة وابن عامر وورش عن نافع فانهم يمدون ذلك وورش اطولهم مدا ثم حمزة ثم عاصم برواية
الاعشى والباقون يمدون مدا وسطا من غير افراط فالمد للتحقيق وحذفه للتخفيف واما السكتة بين المد والهمزة فعن حمزة ووافقه عاصم والكسائى
على اختلاف عنهما وكان يقف حمزة قبل الهمزة ايضا فيسكت على اللام شيئا من قوله بالاخرة ثم يبتدئ بالهمزة وكذلك يقطع على الياء من شىء كانه يقف
ثم يهمز والباقون بغير سكتة الاعراب اليك وعليك ولديك الاصل فيها الاك وعلاك ولداك لان الالف غيرت مع المضمر فابدلت ياء ليفصل
بين الالف فى اخر الاسم المتمكن وبينها فى اخر غير المتمكن الذى الاضافة لازمة له الا ترى ان الى وعلى ولدى لا ينفرد من الاضافة فشبهت بها
اذا اضيفت الى المضمر لانها لا تنفرد ولا يكون كلاما الا بالاضافة وما موصول وانزل صلته وفيه ضمير يعود اليها والموصول مع صلته فى موضع
جر بالباء والجار والمجرور فى موضع نصب بانه مفعول يؤمنون ويؤمنون صلة للذين والذين يؤمنون فى موضع جر بالعطف والعطف
فيه على وجهين احدهما ان يكون عطف احد الموصوفين على الاخر والاخر ان يكون جمع الاوصاف لموصوف واحد المعنى ثم بين تعالى
تمام صفة المتقين فقال والذين يؤمنون بما انزل اليك يعنى القرآن وما انزل من قبلك يعنى الكتب المتقدمة وقوله وبالاخرة اى بالدار الاخرة لان
الاخرة صفة فلا بد لها من موصوف وقيل اراد بالكرة الاخرة وانما وصف الاخرة لتاخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وقيل لدنائتها
هم يوقنون يعلمون وسمى العلم يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس اليه فكل يقين علم وليس كل علم يقينا وذلك ان اليقين كانه علم يحصل بعد الاستدلال
والنظر لغموض المعلوم المنظور فيه او لاشكال ذلك على الناظر ولهذا لا يقال فى صفة الله تعالى موقن لان الاشياء كلها فى الجلاء عنده على السواء
وانما خصهم بالايقان بالاخرة وان كان الايمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها وجحدهم اياها فى نحو ما حكى عنهم فى قوله وقالوا ما هى
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا فكان فى تخصيصهم بذلك مدح لهم قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون آية
اللغة اولئك اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة وهو جمع ذلك فى المعنى واولاء جمع ذا فى المعنى ومن قصر قال اولا واولاك واولالك وقد
تدخل زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الزيادة وثقل الهمزة قال الشاعر اولالك قوم لم يكونوا اشابة وهل يعظ الضليل الا اولالكا والمفلحون المنجحون
الفائزون والفلاح النجاح قال الشاعر اعقلى ان كنت لما تعقلى ولقد افلح من كان عقل اى ظفر بحاجته والفلاح ايضا البقاء قال لبيد نحل بلادا
كلها حل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عاد وتبعا واصل الفلح القطع ومنه قيل الفلاح للاكار لانه يشق الارض وفى المثل الحديد بالحديد يفلح
فالمفلح على هذا كانه قطع له بالخير الاعراب موضع اولئك رفع بالابتداء والخبر على هدى من ربهم وهو اسم مبنى والكاف حرف خطاب لا
محل له من الاعراب وكسرت الهمزة فيه لالتقاء الساكنين وكذلك قوله اولئك هم المفلحون الا ان قوله هم فيه وجهان احدهما انه فصل يدخل

يدخل بين المبتدا والخبر او ما كان في الاصل مبتدا وخبرا للتاكيد ولا موضع له من الاعراب والكوفيون يسمونه عمادا وانما يدخل ليوذن ان الاسم بعده خبر وليس بصفة وانما يدخل ايضا اذا كان الخبر معرفة او ما اشبه المعرفة نحو قوله تعالى تجدوه عند الله هو خيرا والوجه الاخر ان يكون هم مبتداء ثانيا والمفلحون خبره والجملة في موضع رفع بكونها خبر اولئك ٥ المعنى لما وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عنده تعالى فقال اولئك اشارة الى الموصوفين بجميع الصفات المتقدمة وهم جملة المؤمنين على هدى من ربهم اي من دين ربهم وقيل على دلالة وبيان من ربهم وانما قال من ربهم لان كل خير وهدى فمن الله تعالى اما لانه فعله او لانه عرضه بالدلالة عليه والدعاء اليه والاثابة على فعله وعلى هذا يجوز ان يقال الايمان هداية منه تعالى وان كان من فعل العبد ثم كرر تفخيما فقال واولئك هم المفلحون اي الظافرون بالبغية والباقون في الجنة التزكية قال مجاهد اربع ايات من اول السورة نزلت في المؤمنين واثنتان بعدها نزلت في الكافرين وثلث عشرة اية بعدها نزلت في المنافقين ٥

قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون آية القراءة قوله أأنذرتهم فيه ثلث قراآت قرا عاصم وحمزة والكسائي اذا حقق بهمزتين وقرا اهل الحجاز وابو عمرو بالهمزة والمد وتليين الهمزة الثانية جعلوها بين بين وكذلك قراءة الكسائي اذا خفف وابو عمرو اطول مدا من ابن كثير واختلف في المد عن نافع وقرا ابن عامر بالف بين همزتين ويجوز في العربية ثلثة اوجه غير هذا انذرتهم بتحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية جعلها بين بين وانذرتهم همزة واحدة وعليهم انذرتهم على القاء حركة الهمزة على الميم نحو قوله قد افلح فيما روي عن نافع ٥ الحجة اما وجه الهمزتين فهو انه الاصل لان الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة افعل واما ادخال الالف بين الهمزتين فمن قراءة اراد ان يفصل بين الهمزتين استثقالا لاجتماع المثلين كما فصل بين النونين في اخشينان استثقالا لاجتماع النونات ومنه قول ذي الرمة فيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا أانت ام ام سالم واما من فصل بين الهمزتين ولين الثانية فوجه التخفيف من جهتين الفصل والتليين لانك اذا لينتها فقد امتها وصار اللفظ كانه لا استفهام فيه ففي المد توكيد الدلالة على الاستفهام كما في تحقيق الهمزة واما من حقق الاولى ولين الثانية من غير فصل بالالف فهو القياس لانه جعل التليين عوضا عن الفصل واما من اكتفى بهمزة واحدة فانه طرح همزة الاستفهام وهو ضعيف وقد جاء في الشعر قال عمر بن ابي ربيعة لعمرك ما ادري وان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان واما من القى حركة الهمزة على الميم فانه على تليين الاولى وتحقيق الثانية والعرب اذا لينوا الهمزة المتحركة وقبلها ساكن القوا حركتها الى ما قبلها قالوا من بوك ومن مك وكم بلك ٥ **اللغة** الكفر خلاف الشكر كما ان الحمد خلاف الذم فالكفر ستر النعمة واخفاؤها والشكر نشرها واظهارها وكل ما ستر شيئا فقد كفره قال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها اي سترها وسواء مصدر اقيم مقام الفاعل كقولك زور وصوم ومعناه مستو والاستواء الاعتدال والسواء العدل قال زهير ارونا خطة لا خسف فيها يسوي بيننا فيها السواء وقال الواسعي بمعنى سوى كما قالوا قوى وقواء وسيان اي مثلان والانذار اعلام معه تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا ويوصف القديم تعالى بانه منذر لان الاعلام يجوز وصفه به والتخويف ايضا كذلك كقوله ذلك يخوف الله به عباده فاذا جاز وصفه بالمعنيين جاز وصفه بما يشتمل عليهما وانذرت يتعدى الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا وقد ورد يتعدى الى المفعول الثاني بالباء في قوله قل انما انذركم بالوحي وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فان لم يتسع فهو اشعار ٧ **الاعراب** ان حرف توكيد وهي تنصب الاسم وترفع الخبر وانما نصبت ورفعت لانها تشبه الفعل وتشبهه في اتصال ضمير المتكلم بها نحو انني وبنائها على الفتح كالفعل الماضي وانما الزمت تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم انها انما عملت على جهة التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله على فاعله والذين كفروا في موضع نصب بكونه اسم ان وكفروا صلة الذين واما خبرها ففيه وجهان احدهما ان يكون الجملة التي سواء عليهم انذرتهم فعلى هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء وما بعده مما دخل عليه حرف الاستفهام في موضع الخبر والجملة في موضع رفع بانها خبر ان ويكون قوله لا يؤمنون حالا من الضمير المنصوب على حد معه صقر صائدا به غدا اي بالغ الكعبة ويستقيم ان يكون ايضا استينافا والوجه الثاني ان يكون لا يؤمنون خبر ان ويكون قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم اعتراضا بين الخبر والاسم فلا يكون له موضع من الاعراب كما حكم على موضعه بالرفع في الوجه الاول فاما اذا قدرت هذا الكلام على ما عليه المعنى وقلت سواء عليهم الانذار وتركه كان سواء خبر المبتدا لانه يكون تقديره الانذار وتركه مستويان عليهم وانما قلنا انه مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوة لانه لا يجوز ان يكون خبرا فانه ليس في ظاهر الكلام مخبر عنه واذا لم يكن مخبر عنه بطل ان يكون خبرا فاذا فسد ذلك ثبت انه مبتداء وايضا فانه قبل الاستفهام وما قبل الاستفهام لا يكون داخلا في حيز الاستفهام فلا يجوز لذا ان

يكون

لكونها في وزنه ولانها توكيد والتوكيد من معاني الفعل ح

الم تنذرهم ح

يكون الخبر عاملا في الاستفهام متقدما على الاستفهام ونظير ما في الاية من ان خبر المبتدا ليس المبتدا ولا له فيه ذكر ما انشده ابو زيد فان حراما لا ارى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على عمرو ٥ وقوله انذرتهم ام لم تنذرهم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وهذه الهمزة تسمى الف التسوية والتسوية انها همزة الاستفهام وام لا تقول ازيد في الدار ام عمرو تريد ايهما عندك ولا يجوز في مكانها او ولان او لا يكون معادلة للهمزة وتعيين المعادلة ان يكون ام مع الهمزة بمنزلة اي واذا قلنا ازيد عندك او عمرو كان معناه احد هذين عندك ويدل على ذلك ان الجواب مع ازيد ام عمرو يقع بالتعيين ومع ازيد او عمرو يقع بنعم او لا وانما جرى عليه لفظ الاستفهام وان كان خبرا لان فيه التسوية التي في الاستفهام الا ترى انك اذا قلت سواء علي اقمت ام قعدت فقد سويت الامرين عليك كما انك اذا استفهمت فقلت اقام زيد ام قعد فقد استوى الامران عندك في الاستفهام وعدم علم احدهما بعينه فلما عمتهما التسوية جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له في الابهام فكل استفهام تسوية وان لم يكن كل تسوية استفهاما وقال النحويون ان نظير سواء في هذا قولك ما ابالي اقبلت ام ادبرت لانه وقع موقع اي فكانك قلت ما ابالي اي هذين كان منك وما ادري احسنت ام اسات وليت شعري اقام ام قعد وقال حسان ما ابالي انب بالحزن تيس ام لحاني بظهر غيب لئيم ٥ ومثله في انه في صورة الاستفهام وهو خبر قول جرير الستم خير من ركب المطايا ٥ واندى العالمين بطون راح ٥ ولو كان استفهاما لم يكن مدحا وقول الاخر سواء عليه اي حين اتيته اساعة نحس تتقي ام باسعد ٥ **النزول** قيل نزلت في ابي جهل وخمسة من اهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن انس واختاره البلخي وقيل نزلت في قوم باعيانهم من احبار اليهود ممن كفر بالنبي عليه السلام عنادا وكتم امره حسدا عن ابن عباس وقيل نزلت في اهل الختم والطبع الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن ابي علي الجبائي وقيل نزلت في مشركي العرب عن الاصم وقيل هي عامة في جميع الكفار اخبر تعالى بان جميعهم لا يؤمنون ويكون كقول القائل لا يقدم جميع اخوتك اليوم فلا ينكر ان يقدم بعضهم واختار الشيخ ابو جعفر ان يكون على الاختصاص وتجويز كل واحد من الاقوال الاخر وهذا اظهر واسبق الى الفهم ٥ **المعنى** لما بين تعالى حال المؤمنين وصله بذكر الكافرين والكفر في الشرع عبارة عن جحد ما اوجب الله تعالى معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وهذه الاية تدل على ان في المكلفين من لا لطف له لانه لو كان لفعل ولامنوا فلما اخبر انهم لا يؤمنون علم انه لا لطف لهم ويدل على صدق النبي صلى الله عليه وآله لانه اخبر انهم لا يؤمنون فكان كما اخبر وتدل ايضا على انه يجوز ان يخاطب الله تعالى بالعام والمراد به الخاص في قول من قال الاية عامة لانا نعلم ان في الكفار من امن وانتفع بالانذار ٥ **سوال** ان قال قائل اذا علم الله تعالى ان هؤلاء لا يؤمنون وكانوا قادرين على الايمان عندكم فما انكرتم ان يكونوا قادرين على ابطال علم الله بانهم لا يؤمنون **فالجواب** انه لا يجب ذلك كما لا يجب اذا كانوا مامورين بالايمان ان يكونوا مامورين بابطال علم الله وكما لا يجب اذا كان الله قادرا على ان يقيم القيمة الساعة ان يكون قادرا على ابطال علمه بانه لا يقيمها الساعة والصحيح ان يقول ان العلم يتناول الشيء على ما هو به ولا يجعله على ما هو به فلا يمتنع ان يعلم حصول شيء بعينه وان كان غيره مقدورا ٥ **قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم آية القراءة** في القراءة الظاهرة غشاوة بكسر الغين ورفع التاء وروي عن عاصم في الشواذ غشاوة بالنصب وعن الحسن بضم العين وعن بعضهم بفتح الغين وعن بعضهم غشوة بغير الف وقرا ابو عمرو والكسائي ابصارهم بالامالة والباقون بالتفخيم وللقراء في الامالة مذاهب يطول شرحها **الحجة** من رفع غشاوة انه لم يحمله على ختم كما في الاية الاخرى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فاذا لم يحملها عليه قطعها عنه فكانت مرفوعة اما بالظرف واما بالابتداء وكذلك قوله ولهم عذاب عظيم فان عند سيبويه ترتفع غشاوة وعذاب بانه مبتدا فكانه قال غشاوة على ابصارهم وعذاب لهم وعند الاخفش ترتفع بالظرف لان الظرف يتضمن فيه فعل وستعرف فائدة احدهما في هذه المسئلة بعد ان شاء الله تعالى ومن نصب غشاوة فاما ان يحملها على ختم كانه قال وختم على ابصارهم بغشاوة فلما حذف حرف الجر وصل الفعل اليها فنصبها وهذا لا يحسن لانه فصل بين حرف العطف والمعطوف به وذلك انما يجوز في الشعر واما ان يحملها على فعل مضمر كانه قال وجعل على ابصارهم غشاوة نحو قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا ٥ اي وسقيتها وقول الاخر يا ليت بعلك قد غدا ٥ متقلدا سيفا ورمحا اي وحاملا رمحا وهذا ايضا لا يوجد في حال الاختيار وقد صح ان الرفع اولى ويكون الواو عاطفة جملة على جملة والغشاوة فيها ثلث لغات فتح الغين وضمها وكسرها وكذلك الغشوة فيها ثلث لغات **اللغة** الختم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه وقيل الطبع ايضا بمعنى حرف ولا يمتنع في ختم ذلك قال كان فؤادي زورة طبعتها ابطين من الجولان كتاب اعجمي ٥ وقوله ختامه مسك اي اخره ومنه ختم الكتاب لانه اخره

العجم النقط بالسواد مثل التاء عليه نقطتان اعجم الحرف واعجمه حروف المعجم اي حروف الخط المعجم كما تقول مسجد الجامع اي اليوم

الجولان جبل بالشام والزراد كالجول ويضم ص

الزور اعلى الصدر صح

حال الفراغ منه وقوله على سمعهم يريد على اسماعهم والسمع مصدر يقول يعجبني ضربكم فيوحد لانه مصدر ويجوز ان يريد على مواضع سمعهم فحذف مواضع ودل السمع عليها كما يقال اصحابك عدل اى ذوا عدل ويجوز ان يكون لما اضاف السمع اليهم دل على معنى اسماعهم قال الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب وقال الاخر في حلقكم عظم وقد شجينا اى في حلوقكم والغشاوة الغطاء وكل ما اشتمل على الشئ بني على فعالة نحو العمامة والقلادة والعصابة وكذلك اسماء الصناعات كالخياطة والعصارة والصياغة لان معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها وكذلك كل من استولى على شئ فاسم ما استولى عليه الفعالة كالامارة والخلافة وغير ذلك وسمي القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر ما سمي القلب الا من تقلبه والراى يعزب والانسان اطوار والفؤاد محل القلب الصدر محل الفؤاد وقد يعبر عن القلب بالفؤاد كقوله لنثبت به فؤادك وقال الم نشرح لك صدرك يعني به القلب في الموضعين والعذاب استمرار الالم يقال عذبته تعذيبا وعذابا ويقال عذب الماء اذا استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب اذا استمر به العطش فلم ياكل من شدة العطش وفرس عذوب مثل ذلك واعذبته عن الشئ بمعنى فطمته والعظيم الكبير يقال هو عظيم الجثة وعظيم الشان ومن الثاني سمي سبحانه عظيما وعظمته كبرياؤه **المعنى** قيل في معنى الختم وجوه احدها ان المراد بالختم العلامة واذا انتهى الكافر من كفره الى حالة يعلم الله تعالى انه لا يؤمن فانه يعلم على قلبه علامة وقيل هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها انه لا يؤمن بعدها فيذمونه ويدعون عليه كما انه تعالى يكتب في قلب المؤمن الايمان ويعلم عليه علامة تعلم الملائكة بها انه مؤمن فيمدحونه ويستغفرون له وكما طبع على قلب الكافر وختم فوسمه بسمة تعرف بها الملائكة كفره فكذلك وسم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملائكة بها وقد تاول على مثل هذا اسناد الكتاب باليمين والشمال في انها علامة ان المناول باليمين من اهل الجنة والمناول بالشمال من اهل النار وقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يحتمل امرين احدهما انه طبع الله عليها جزاء للكفر وعقوبة عليه والاخر انه طبع عليها بعلامة كفرهم كما يقول طبع عليه بالطين وختم عليه بالشمع وثانيها ان المراد بالختم على القلوب ان الله شهد عليها وحكم بانها لا تقبل الحق كما يقال اراك تختم على كل ما يقول فلان اى تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لا تفلح اى شهدت وذلك استعارة وثالثها ان المراد بذلك انه تعالى ذمهم بانها كالمختوم عليها في انها لا يدخلها الايمان ولا يخرج عنها الكفر كقوله صم بكم عمي وكقول الشاعر اصم عما ساءه سميع وقول الاخر لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي والمعنى ان الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها وصاروا بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ولا يبصر عن الاصم وابي مسلم الاصبهاني ورابعها ان الله وصف من ذمه بهذا الكلام بان قلبه ضاق عن النظر والاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكره في قوله افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ومثل قوله ام على قلوب اقفالها وقوله وقالوا قلوبنا غلف وقلوبنا في اكنة ويقوي ذلك ان المطبوع على قلبه وصف بقلة الفهم بما يسمع من اجل الطبع فقال بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وقال فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون وبين ذلك قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم فعدل الختم على القلوب باخذ السمع والبصر فدل على هذا ان الختم على القلب هو ان يصير على وصف لا ينتفع به فيما يحتاج فيه اليه كما لا ينتفع بالسمع والبصر مع اخذهما وانما يكون ضيقه بان لا يتسع لما يحتاج اليه فيه من النظر والاستدلال الفاصل بين الحق والباطل وهذا كما يوصف الجبان بانه لا قلب له اذا بولغ في وصفه بالجبن لان الشجاعة محلها القلب فاذا لم يكن القلب الذي هو محل الشجاعة لو كانت فان لا يكون الشجاعة اولى قال طرفة فالهبيت لا فؤاد له والثبيت ثبته فهمه وكما وصف الجبان بانه لا فؤاد له وانه يراعة وانه مجوف كذلك وصف من بعد عن قبول الاسلام بعد الدعاء اليه واقامة الحجة عليه بانه مختوم على قلبه ومطبوع عليه وضيق صدره وقلبه في كنان وفي غلاف وهذا من كلام الشيخ ابي علي الفارسي وانما قال ختم الله وطبع الله لان ذلك كان لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال اهلكته فلانة اذا اعجب بها وهي لا تفعل به شيئا لانه هلك في اتباعها **سؤال** ان قيل لم خص هذه الاعضاء بالذكر **فالجواب** انها طرق العلم فالقلب محل العلم وطريقه اما السماع او الرؤية

قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين اية **اللغة** الناس والبشر والانس نظائر وهي الجماعة من الحيوان المتميزة بالصورة الانسانية واصله اناس من الانس ووزنه فعال فاسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف ثم ادغمت لام التعريف في النون كما قيل لكنا والاصل لكن انا وقيل الناس ماخوذ من النوس وهو الحركة وتصغيره نويس ووزنه فعل وقيل اخذ من الظهور فسمي ناسا وانسانا لظهوره وادراك البصر اياه يقال انست بمعنى ابصرت شيئا وقال سبحانه اني انست نارا والانسان واحد والناس جمع لا من لفظه وقيل اخذ من النسيان لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما واصل انسان

انسيان ولذلك قيل في تصغيره انيسيان فرد الى الاصل واليوم الاخر يوم القيمة وانما سمي اخرا لانه يوم لا يوم بعده سواه اذ ليس بعده ليلة ولانه متاخر عن ايام الدنيا وانما فتح نون من عند التقاء الساكنين استثقالا لتوالي الكسرتين لو قلت من الناس فاما عن الناس فلا يجوز فيه الا الكسر لان اول عن مفتوح ومن يقول النون يدغم في الياء فمنهم من يدغم بغنة ومنهم من يدغم بغير غنة **الاعراب** من يقول موصول وهو مرفوع بالابتداء او بالظرف على ما تقدم بيانه وقوله امنا بالله وباليوم الاخر حديث يتعلق بقوله يقول وما حرف مشبه بليس من حيث يدخل على المبتدا والخبر كما يدخل ليس عليهما وفيه نفي الحال كما في ليس واجري مجراه في العمل في قول اهل الحجاز على ما جاء به التنزيل وهم مرفوع لانه اسم ما والباء في قوله بمؤمنين مزيدة دخلت لتوكيد النفي وهو حرف جار ومؤمنين مجرور به وبمؤمنين في موضع نصب بكونه خبر ما ولفظة من تقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك عاد الذكر اليه مجموعا على المعنى ومثله قول الفرزدق تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان فثنى الضمير العائد الى من على المعنى **النزول** نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي سلول وجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم واكثرهم من اليهود **المعنى** بين الله تعالى حالهم فاخبر سبحانه انهم يقولون صدقنا بالله وما انزل على رسوله من ذكر البعث فيظهرون كلمة الايمان وكان قصدهم ان يطلعوا على اسرار المسلمين فينقلوها الى الكفار او تقربهم الرسول اياهم كما كان يقرب المؤمنين ثم نفى الايمان فقال وما هم بمؤمنين وفي هذا تكذيبهم فيما اخبروه عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث فبين انما قالوا بلسانهم مخالف لما في قلوبهم وهذا يدل على فساد قول من يقول الايمان مجرد القول

قوله تعالى يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون اية **القراءة** قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وما يخادعون الا انفسهم والباقون وما يخدعون **الحجة** من قرا يخدعون ان فعل هنا اليق بالموضع من فاعل الذي هو في اكثر الامر يكون لفاعلين ويدل عليه قوله في الاية الاخرى يخادعون الله وهو خادعهم وحجة من قرا يخادعون هو ان ينزل ما يخطر بباله من الخدع منزلة اخر يجاز به ذلك ويفاوضه اياه فيكون الفعل كانه من اثنين فلزم ان يقول فاعل كقول الكميت وذكر حمارا اراد الورد تذكر من انى ومن اين شربه يوامر نفسيه كذي الهجمة الابل فجعل ما يكون منه من ورود الماء وتركه الورود والتمثيل بينهما بمنزلة نفسين **اللغة** اصل الخدع الاخفاء والايهام بخلاف الحق والتزوير يقال خدعت الرجل اخدعه خدعا بالكسر وخديعة وقالوا انك لاخدع من ضب حرشته وخادعت فلانا فخدعته والنفس في الكلام على ثلثة اوجه النفس بمعنى الروح والنفس بمعنى التاكيد نحو جاء في زيد نفسه والنفس بمعنى الذات وهو الاصل ويقال النفس غير الروح ويقال هما اسمان بمعنى واحد ويشعرون يعلمون واصل الشعر الاحساس بالشئ من جهة تدق ومن هذا اشتقاق الشعر لان الشاعر يفطن لما يدق من المعنى والوزن ولا يوصف الله تعالى بانه يشعر لما فيه من معنى التلطف والتخيل **الاعراب** يخادعون فعل وفاعلون والنون علامة الرفع والجملة في موضع نصب بكونها حالا او ذو الحال الضمير الذي في قوله امنا العائد الى من والله نصب بيخادعون والذين امنوا عطف وما نفي والا ايجاب وانفسهم نصب بانه مفعول يخادعون الثانية وما نفي ويشعرون فعل وفاعلون وكل موضع ياتي فيه الا بعد نفي فهو ايجاب ونقض للنفي **المعنى** معنى قوله يخادعون الله اى يعملون عمل المخادع لان الله تعالى لا يصح ان يخادع من يعرفه ويعلم انه لا يخفى عليه خافية وهذا كما يقول لمن يزين لنفسه ما يسوء به في الربا في معاملته ما اجهله يخادع الله وهو اعلم به من نفسه اى يعمل عمل المخادع وهذا يكون من العارف وقيل المعنى يخادعون رسول الله لان طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهذا كقوله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك والمفاعلة قد يقع من واحد كقولهم عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل فكذلك يخادعون انما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهرون غير ما في نفوسهم وقوله والذين امنوا اى ويخادعون المؤمنين بقولهم اذا راوهم امنا وهم غير مؤمنين او بمجالستهم ومخالطتهم اياهم حتى يفشوا اليهم اسرارهم فينقلوها الى اعدائهم والتقية ايضا تسمى خداعا فكانهم لما اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعا من حيث انهم نجوا بها من اجراء حكم الكفر عليهم ومعنى قوله وما يخدعون الا انفسهم وان كانوا يخادعون المؤمنين في الظاهر فهم يخادعون لانفسهم لانهم يظهرون لها بذلك انهم يعطونها ما تمنت وهم يوردونها به العذاب الشديد فوبال الخداع راجع الى انفسهم وما يشعرون اى ما يعلمون انه يرجع عليهم بالعذاب فهم في الحقيقة انما خدعوا انفسهم كما لو قاتل انسان غيره فقتل نفسه جاز ان يقال انه قاتل فلانا ولم يقتل الا نفسه وقوله وما يشعرون يدل على بطلان قول اصحاب المعارف لانه تعالى اخبر عنهم بالنفاق وبانهم

لا يعلمون ذلك ٥ قوله تعالى في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون آية القراءة قرا ابن عامر وحمزة فزادهم بامالة الزاي وكذلك شاء وجاء وقرا اهل الكوفة يكذبون بفتح الياء مخففا والباقون يكذّبون الحجة حجة من امال الالف من زاد انه يريد ان يدل بالامالة على ان العين ياء كما ابدلوا من الضمة كسرة في عين بيض جمع اعين وابيض لتصح الياء ولا تنقلب الى الواو وحجة من قرا يكذبون ان يقول ان ذلك اشبه بما قبل الكلمة وبما بعدها لان قولهم امنا بالله كذب منهم فلهم عذاب اليم بكذبهم وما موصلة بمعنى المصدر وقولهم فيما بعد اذا خلوا الى شياطينهم انا معكم دلالة ايضا على كذبهم فيما ادعوه من ايمانهم واذا كان اشبه بما قبله وما بعده كان اولى وحجة من قرا يكذّبون بالتشديد قوله ولقد كذبت رسل وقوله وان كذبوك فقل لي عملي وقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ونحو ذلك والتكذيب اكثر من الكذب لان كل من كذب صادقا فقد كذب وليس كل من كذب كان مكذبا فكانه قال ولهم عذاب اليم بتكذيبهم واخلاله ليدل على ان ذلك كان فيما مضى اللغة المرض العلة في البدن ونقيضه الصحة قال سيبويه امرضته جعلته مريضا ومرضته قمت عليه ووليته وزاد فعل يتعدى الى مفعولين قال الله تعالى وزدناهم هدى وزاده بسطة ومصدره الزيادة والزيد قال كذلك زيد المرء بعد انتقاصه والاليم الموجع فعيل بمعنى مفعل كالسميع بمعنى المسمع والنذير بمعنى المنذر والبديع بمعنى المبدع قال اذا الركب صبح يصك وجوها وهج اليم والكذب ضد الصدق وهو الاخبار عن الشيء لا على ما هو به والكذب ضرب من القول وهو نطق فاذا جاز في القول ان يتسع فيه فيجعل غير نطق في نحو قوله قد قالت الانساع للبطن الحق جاز ايضا في الكذب ان تجعل غير نطق في نحو قوله وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف فيكون في ذلك اتساعا كما انه اذا اخبر عن الشيء بخلاف ما هو به كان فيه اتساع للصدق اي كذب القراطف فاوجدوها بالغارة المعنى المراد بالمرض في الآية الشك والنفاق بلا خلاف وانما سمي الشك في الدين مرضا لان المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فالبدن ما لم يصبه آفة يكون صحيحا سويا وكذلك القلب ما لم يصبه آفة من الشك يكون صحيحا وقيل اصل المرض الفتور فهو في القلب فتور عن الحق كما انه في البدن فتور الاعضاء وتقدير الآية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الله ورسوله مرض اي شك وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقوله فزادهم الله مرضا قيل فيه وجوه احدها ان معناه ازدادوا شكا عندما زادهم الله من البيان بالآيات والحجج الا انه لما حصل ذلك عند فعله نسب اليه كقوله تعالى في قصة نوح لم يزدهم دعائي الا فرارا لما ازدادوا فرارا عند دعاء نوح عليه السلام نسب اليه وكذلك قوله واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم والآيات لم تزدهم رجسا وانما ازدادوا رجسا عندها وثانيها ما قاله ابو علي الجبائي انه ازداد في قلوبهم غم بنزول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وتمكنه فيها وظهور المسلمين وقوتهم فزادهم الله غما بما زاده من التمكين والقوة وامده من التاييد والنصرة وثالثها ما قاله السدي ان معناه زادهم عداوة الله مرضا وهذا في حذف المضاف مثل قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من ترك ذكر الله ورابعها ان المراد في قلوبهم حزن بنزول القرآن بفضائحهم ومخازيهم فزادهم الله مرضا بان زاد في اظهار فضائحهم ومساويهم والاخبار عن خبث سرائرهم وسوء ضمائرهم وسمي الغم مرضا لانه يضيق الصدر كما يضيقه المرض وخامسها ما قاله ابو مسلم الاصفهاني ان ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم فكانه دعا عليهم بان يخليهم الله وما اختاروه ولا يعطيهم من زيادة التوفيق والالطاف ما يعطي المؤمن فيكون خذلانا لهم في الحقيقة اخبارا عن خذلان الله اياهم وان خرج في اللفظ مخرج الدعاء عليهم ثم قال ولهم عذاب اليم وهو عذاب النار بتكذيبهم الله ورسوله فيما جاء به من الدين او بكذبهم في قولهم امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين قوله عز وجل واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون آيتان القراءة قرا الكسائي قيل وغيض وسيء وسيئت وحيل وجيء وسيق بضم اوائل ذلك كله وروي عن يعقوب مثل ذلك ووافقهما نافع في سيء وسيئت وابن عامر فيهما وفي حيل وسيق والباقون يكسرون كلها الحجة في هذه كلها ثلاث لغات الكسر واشمام الضم وقول والواو فاما قيل بالكسر فعلى نقل حركة العين الى الفاء لان اصله قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وهو قياس مطرد في كل ما اعلت عينه واما الاشمام فلاجل الدلالة على الاصل مع التخفيف اللغة الافساد احداث الفساد وهو كل ما يغير عن استقامة الحال والصلاح نقيض الفساد والارض مستقر الحيوان ويقال لقوائم الفرس ارض لانه يستقر عليها قال اذا ما استحمت ارضه من سمائه جرى وهو مودوع وواعد مصدق الاعراب اذا لفظة وضعت للوقت بشرط ان يكون ظرفا زمانيا وفيها معنى الشرط وانما يجيء فيها جوابها في هذه الآية

في محل نصب لانه ظرف قوله قالوا لانه الجواب ولا يجوز ان يعمل فيه قيل لهم لان اذا في التقدير مضاف الى قيل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وكذلك قوله واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا مبني وانما بني لتضمنه معنى في ولزومه اياه وقد يكون اذا ظرفا مكانيا في نحو قولك خرجت فاذا الناس وقوف اي ففي المكان الناس وقوف ويجوز ان ينصب وقوفا على الحال لان ظرف المكان يجوز ان يكون خبرا عن الجثة وقيل مبني على الفتح وكذلك كل فعل ماض فبني على الفتح ولا حرف نهي وهي تعمل الجزم في الفعل وتفسدوا مجزوم بلا وعلامة الجزم فيه سقوط النون والواو ضمير الفاعل وما في قوله انما كافة كفت ان عن العمل فعاد ما بعدها الى ما كان عليه في الاصل من كونه مبتدا وخبرا وهو قوله نحن مصلحون فنحن مبتدا ومصلحون خبره وموضع الجملة نصب بقالوا كما تقول قلت حقا او باطلا ونحن مبنية لمشابهتها الحرف وبنيت على الضم لانها من ضمائر الرفع والضم علامة الرفع ولانها ضمير الجمع والضمة بعض الواو والواو علامة الجمع في نحو ضاربون ويضربون وقوله لا تفسدوا في الارض جملة في موضع رفع على تقدير قيل لهم شيء فهي اسم ما لم يسم فاعله وقوله الا كلمة تنبيه وافتتاح للكلام تدخل على كل كلام مكتف بنفسه نحو قوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله واصله لا دخل عليه الف الاستفهام والالف اذا دخل على الجحد اخرجه الى معنى التقرير والتحقيق كقوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى لانه لا يجوز ان يجاب الا بالاقرار ببلى وهم في انهم في موضع نصب بان وهم الاخرى يجوز ان يكون فصلا على ما فسرناه قبل ويجوز ان يكون مبتدا والمفسدون خبره والجملة خبر ان وضم الميم من هم لالتقاء الساكنين ردوه الى الاصل النزول الآية نزلت في المنافقين الذين نزلت الآيات المتقدمة وروي عن سلمان رضي الله عنه ان اهل هذه الصفة لم ياتوا بعد والاول يقتضيه نظم الكلام ويجوز ان يراد بها من صورتهم صورة هؤلاء فيكون قول سلمان محمولا على انه اراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآية ٥ المعنى المراد واذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الارض بالعمل بالمعاصي وصد الناس عن الايمان على ما روي عن ابن عباس وبممايلة الكفار فان فيه توهين الاسلام على ما قاله ابو علي او بتغيير الملة وتحريف الكتاب على ما قاله الضحاك قالوا انما نحن مصلحون وهو يحتمل امرين احدهما ان الذي يسمونه فسادا هو عندنا صلاح لانا انما نفعل ذلك كي نسلم من الفريقين والاخر انهم جحدوا ذلك وقالوا انا لا نعمل بالمعاصي ولا نمايل الكفار ولا نحرف الكتاب وكان ذلك نفاقا منهم كما قالوا امنا بالله ولم يؤمنوا ثم قال الا انهم اي اعلموا ان هؤلاء المنافقين الذين يعدون الفساد صلاحا هم المفسدون وهذا تكذيب من الله تعالى لهم ولكن لا يشعرون اي لا يعلمون انما يفعلونه فساد وليس بصلاح ولو علموا ذلك لرجي صلاحهم وقيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب وهذه الآية تدل على بطلان مذهب اصحاب المعارف لقوله لا يعلمون وانما جاز تكليفهم وان لم يشعروا انهم على ضلال لان لهم طريقا الى العلم بذلك ٥ قوله عز وجل واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون آية القراءة السفهاء الا اهل الكوفة وابن عامر حققوا الهمزتين واهل الحجاز وابو عمرو همزوا الاولى ولينوا الثانية وكذا كل همزتين مختلفتين من كلمتين وقد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة وهي قوله ءانذرتهم اللغة السفهاء جمع سفيه والسفيه الضعيف الراي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله الصبيان والنساء سفهاء بقوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم وقال قطرب السفيه العجول الظلوم القائل خلاف الحق وقال مؤرج السفيه الكذاب البهات المتعمد خلاف ما يعلم وقيل السفه خفة الحلم وكثرة الجهل يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا باليا وسفهته الرياح اي طيرته وقد جاء في الاخبار ان شارب الخمر سفيه والالف واللام في الناس وفي السفهاء للعهد لا للجنس والمراد بهم المؤمنون من اصحاب النبي عليه وآله السلام وانما سموا الناس لان الغلبة كانت لهم ٥ الاعراب قوله كما امن الكاف في موضع نصب لكونه صفة لمصدر محذوف وما مع صلته بمعنى المصدر اي امنوا ايمانا مثل ايمان الناس فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه والهمزة في انؤمن للانكار واصلها الاستفهام ومثله انطعم من لو يشاء الله اطعمه واذا ظرف لقوله قالوا انؤمن وقد مضى الكلام فيه المعنى والمراد بالآية واذا قيل للمنافقين صدقوا محمدا وما انزل عليه كما صدقه اصحابه وقيل كما صدق عبد الله بن سلام ومن امن معه من اليهود قالوا انصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم الله تعالى وحكم عليهم بانهم هم الجهال في الحقيقة لان الجاهل انما يسمى سفيها لانه يضيع من حيث يرى انه يحفظ فكذلك المنافق يعصي ربه من حيث يظن انه يطيعه ويكفر به من حيث يظن انه يؤمن به ٥ قوله تعالى واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤون آية القراءة بعض القراء ترك الهمزة من مستهزؤون وقوله خلوا الى قراءة اهل الحجاز خلوا لحذفوا الهمزة والقوا حركتها على اللام وقبلها وكذلك امثاله والبا

اسكن الواو وحققوا الهمزة **الحجة** قال سيبويه للهمزة المضمومة المكسور ما قبلها تجعلها اذا اخففتها بين بين وكذلك للهمزة المكسورة اذا كان ما قبلها
نحو من تبع ابلك تجعلها بين بين وذهب الاخفش الى ان تقلب الهمزة ياء في مستهزءون فلبا محيحا من اجل الكسرة التي قبلها ولا تجعلها بين بين
ولم يقلبها واوا مع تحركها بالضمة لخروجه الى ما لا نظير له الا ترى انه ولو مضمومة قبلها كسرة وذلك مرفوض عندهم **اللغة** اللقاء نقيض الحجاب
قال الخليل كل شئ استقبل شيئا او صادفه فقد لقيه واصل اللقا الاجتماع مع الشئ على طريق المقاربة والاجتماع قد يكون لا على طريق المجاورة
كاجتماع العرضين في محل والخلا نقيض الملا ويقال خلوت اليه وخلوت معه ويقال خلوت به على ضربين احدهما بمعنى خلوت معه والاخر بمعنى سخرت
وقد ذكرنا معنى الشيطان في مفتتح سورة الفاتحة ويستهزءون اى يهزؤن ومثله يستسخرون اى يسخرون وقر واستقر وعلى قرنه واستعلا
قرنه ورجل هزاة يهزا بالناس وهزاة يهزا به الناس وهذا قياس **الاعراب** انا اصله اننا لكن النون حذفت لكثرة النونات والمحذوفة النون
الثانية من ان لانها التي تحذف في نحو وان كل لما جميع وقد جاء على الاصل في قوله انني معكما معكم انتصب انتصاب الظرف ونحو انا خلفكم معناه
انا مستقرون معكم والقراءة بفتح العين وجاء للشاعر اسكان العين قال ويشي منكم وهواى معكم وان كانت زيارتكم لماما **المعنى** ان
المنافقين اذا راوا المومنين قالوا امنا اى صدقنا نحن بما انزل على محمد صلى الله عليه واله كما صدقتم انتم واذا خلوا الى شياطينهم قيل رؤسائهم
من الكفار عن ابن عباس وقيل هم اليهود الذين امروهم بالتكذيب وروى عن ابي جعفر الباقر عليه السلم انهم كهانهم قالوا انا معكم اى على دينكم وانما
نحن مستهزءون اى نستهزئ باصحاب محمد ونسخر بهم في قولنا امنا **قوله تعالى الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون**
اية اللغة المد اصله الزيادة في الشئ والمد الجذب لانه سبب الزيادة في الطول والمادة كل شئ يكون مددا لغيره وقال بعضهم كل زيادة
حدثت في الشئ من نفسه فهو مددته بغير الف كما تقول مد النهر ومده نهر اخر وكل زيادة احدثت في الشئ من غيره فهو امددت بالالف كما تقال
امد الجرح لان المدة من غير الجرح وامددت الجيش والطغيان من قولك طغى الماء يطغى اذا تجاوز حده والطاغية الجبار العنيد والعمه التحير
يقال عمه يعمه فهو عمه وعامه وقال روبة ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالجاهلين العمه **الاعراب** يعمهون جملة في موضع الحال **المعنى** قيل في
معنى الاية وتاويلها وجوه احدها ان يكون معنى الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم والعرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه وفي التنزيل جزاء سيئة
سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به وقال عمرو بن كلثوم الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وانما جاز ذلك
لان حكم الجزاء ان يكون على المساواة وثانيها ان يكون معنى استهزاء الله تعالى بهم تخطئته اياهم وتجهيله لهم في اقامتهم على الكفر واصرارهم
على الضلال والعرب يقيم الشئ مقام ما يقاربه في معناه قال الشاعر ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وقال اخر كم اناس في نعيم
عمروا في ذرى ملك تعالى فبسق سكت الدهر زمانا عنهم ثم ابكاهم دما حين نطق والدهر لا يوصف بالسكوت والنطق والهم وانما ذكر ذلك على
الاستعارة والتشبيه وثالثها ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه تعالى ان يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون وقد روى عن ابن عباس
انه قال في معنى الاستدراج انهم كلما احدثوا خطيئة جدد الله بهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء لان ذلك في الظاهر نعمة والمراد به استدراجهم
الى الهلاك والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم ورابعها ان معنى استهزائه بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان ظاهر احكام
من الموارثة والمناكحة والمدافنة وغير ذلك من الاحكام وان كان قد اعد لهم في الاخرة اليم العقاب بما ابطنوه من النفاق فهو سبحانه كالمستهزئ
بهم من حيث جعل لهم احكام المؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم في الاخرة وخامسها ما روى عن ابن عباس انه يفتح لهم وهم في النار باب من الجنة
فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه سد عليهم وفتح لهم باب اخر في موضع اخر فيقبلون من النار اليه مسرعين حتى اذا انتهوا اليه
سد عليهم فيضحك المؤمنون منهم فلذلك قال الله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وهذه الوجوه التي ذكرناها يمكن ان
تذكر في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله ويخادعون الله وهو خادعهم واما قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون ففيه وجهان احدهما ان
يريد انه يملي لهم ليؤمنوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم والاخر ان يريد انه يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم
ويمنعها الكافرين عقابا لهم كشرح الصدر وتنوير القلب فهم في طغيانهم اى كفرهم وضلالهم يعمهون اى يتحيرون لانهم قد اعرضوا عن الحق
فتحيروا وترددوا **قوله عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين**
اية القراءة قراءة جميع القراء اشتروا الضلالة بضم الواو وفي الشواذ عن يحيى بن يعمر انه كسرها تشبيها بواو لو في قوله لو استطعنا وروى

عن يحيى بن وثاب انه ضم واو لو واو تشبيها بواو الجمع **الحجة** الواو في اشتروا ساكنة فاذا اسقطت همزة الوصل التقى مع الساكن المبدل من لام
المعرفة فالتقى ساكنان فحرك الاول منهما لالتقائهما وصار الضم اولى بها ليفصل بالضم بينها وبين واو لو واو ويدل على ذلك اتفاقهم على التحريك
بالضم في نحو قوله لتبلون ولترون الجحيم ومصطفوا الله للدلالة على الجمع ويدل على تقرير ذلك في هذه الواو انهم شبهوا بها الواو التي في او
ولو فحركوها بالضم تشبيها بها كما شبهوا التي في او بالتي تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فاجازوا فيها الكسر الا ترى انهم اجازوا الضم في لو استطعنا
تشبيها بالتي للجمع ومثل هذا اجازتهم الجر في الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه واجازتهم النصب في الحسن الوجه تشبيها بالضارب الرجل **اللغة** حقيقة
الاشتراء الاستبدال والعرب تقول لمن تمسك بشئ وترك غيره قد اشتراه وليس ثم شراء ولا بيع قال الشاعر اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا
الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا والربح الزيادة على راس المال ومنه قد ربح والتجارة التعرض
للربح في البيع وقوله فما ربحت تجارتهم اى فما ربحوا في تجارتهم والعرب تقول ربح بيعك وخسر بيعك وخاب سعيك على معنى ربحت في بيعك وانما اضاف الربح
الى التجارة لان الربح يكون فيها **الاعراب** اولئك موضعه رفع بالابتداء وخبره الذين اشتروا الضلالة بالهدى وما حرف نفي وكان صورته
صورة الفعل ويستعمل على نحوين احدهما ان لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قائما فاذا استعمل على هذا فلا بد له من خبر لان الجملة
غير مكتفية بنفسها فيراد خبر حديثا عن الاسم ويكون اسمه وخبره في الاصل مبتدأ وخبرا فيجب لذلك ان يكون خبره هو الاسم او فيه ذكر
منه كما ان في الاية الواو في موضع الرفع لانه اسم كان ومهتدين منصوب بانه خبره والياء فيه علامة النصب والجمع وحرف الاعراب والنون عوض
من الحركة والتنوين في الواحد وكان في الاصل مهتديين سكنت الياء الاولى التي هي لام الفعل استثقالا للحركة عليها ثم حذفت لالتقاء الساكنين
وفتحت النون فرقا بينها وبين نون التثنية والاخر من نحوى كان ما هو فعل حقيقي يدل على زمان وحدث كقوله تعالى الا ان تكون تجارة اى تحدث
فاذا استعمل هكذى فهي جملة مستقلة لا يحتاج الى الخبر **المعنى** اشار الى من تقدم ذكرهم من المنافقين فقال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
قال ابن عباس اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ومعناه استبدلوا الكفر بالايمان ومتى قيل كيف قال ذلك وانما كانوا منافقين ولم يتقدم نفاقهم ايمان
فنقول للعلماء فيه وجوه احدها ان المراد باشتروا استحبوا واختاروا لان كل مشتر مختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه عن قتادة وثانيها انهم
ولدوا على الفطرة كما جاء في الخبر فتركوا ذلك الى الكفر فكانهم استبدلوه به وثالثها انهم استبدلوا بالايمان الذي كانوا عليه قبل البعثة كفرا لانهم
كانوا يبشرون بمحمد ويؤمنون به فلما بعث كفروا به فكانهم استبدلوا الكفر بالايمان عن الكلبي ومقاتل وقوله فما ربحت تجارتهم اى خسروا في استبدالهم
الكفر بالايمان والعذاب بالثواب وقوله وما كانوا مهتدين اى مصيبين في تجارتهم كاصحاب محمد صلى الله عليه واله وقيل انه اراد سبحانه انه نفى عنهم الربح
والهداية فان التاجر قد يخسر ولا يربح ويكون على هدى فان قيل كيف قال فما ربحت تجارتهم في موضع ذهب فيه رؤس اموالهم فالجواب انه ذكر الضلالة
والهدى فكانه قال طلبوا الربح فلم يربحوا وهلكوا والمعنى فيه انه ذهبت رؤس اموالهم ويحتمل ان يكون ذكر ذلك على التقابل وهو ان الذين اشتروا
الضلالة بالهدى لم يربحوا كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا **قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت**
ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون اية اللغة المثل والمثل والمثيل والشبه والشبه نظاير وحقيقة المثل ما جعل
كالعلم على معنى ساير يشبه فيه الثاني بالاول ومثاله قول كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لنا مثلا وما مواعيده الا الاباطيل فمواعيد
عرقوب علم في كل ما لا يصح من المواعيد ومنه التماثل لانه يشبه الصورة والذي قد يوضع موضع الجمع كقوله والذي جاء بالصدق وصدق به
ثم قال اولئك هم المتقون قال الشاعر وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد واستوقد بمعنى اوقد مثل استجاب
بمعنى اجاب وقيل استوقد اى طلب الوقود والوقود بفتح الواو الحطب والنار جوهر مضئ حار محرق واصله من النور يقال نار وانار واستنار
بمعنى والمنار العلامات واضاء يكون لازما ومتعديا يقال اضاء الشئ بنفسه واضاءه غيره والحق في الاية متعد والترك للشئ والكف عنه واحد
نظاير والظلمات جمع ظلمة واصلها انتقاص الحق من قوله ولم تظلم منه شيئا اى لم ينقص ومن اشبه اباه فما ظلم اى ما انتقص حق الشبه والابصار
ادراك الشئ بحاسة البصر يقال ابصره بعينه والابصار بالقلب شبيه به **الاعراب** مثلهم مبتدأ وكمثل الذي خبره والكاف زائدة تقديره مثلهم
مثل الذي استوقد نارا ونحو قوله ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ واستوقد نارا وما اتصل به من صلة الذي والعايد الى الذي الضمير الذي في استوقد
ولما يدل على وقوع الشئ لوقوع غيره وهو بمعنى الظرف والعامل فيه جوابه وتقديره فلما اضاءت ما حوله طفئت اى طفئت حين اضاءت وما في قوله

ما حوله اسم موصول منصوب بوقوع الاضاءة عليه وحوله نصب على الظرف وهو صلة ما يقال هم حوله وحواليه وحواله وحواليه وقوله ذهب الله
بنورهم اى اذهب الله نورهم والفعل الذى لا يتعدى يتعدى الى المفعول بحرف الجر وبهمزة النقل والباء فى قوله بنورهم يتعلق بذهب وفى ظلمات يتعلق
بتركهم وقوله لا يبصرون فى موضع نصب على الحال والعامل فيه تركهم اى تركهم غير مبصرين المعنى مثل هؤلاء المنافقين لما اظهروا الايمان وابطنوا
الكفر كمثل الذى اوقد نارا او كمثل الذى طلب الضياء بايقاد النار فى ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف
وأمن فبينا هو كذلك اذ طفيت ناره فبقى مظلما خائفا متحيرا كذلك المنافقون لما اظهروا كلمة الايمان استناروا بنورها واعتزوا بعزها فناكحوا
المسلمين ووارثوهم وامنوا على اموالهم واولادهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا فى العذاب وذلك معنى قوله ذهب الله بنورهم هذا
هو المروى عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى وكان يجب فى حق النظم ان يكون اللفظ فلما اضاءت ما حوله اطفاء الله ناره ليشاكل
جواب لما معنى هذه القصة ولكن لما كان اطفاء هذه النار مثلا لاذهاب نورهم اقيم اذهاب النور مقام الاطفاء وجعل جواب لما الجار ... حذف
لدلالة الكلام عليه كما قال ابو ذؤيب عصانى اليها القلب انى لامره مطيع فما ادرى ارشد طلابها وتقديره ارشد ام غى طلابها فحذف للايجاز ومعنى
اذهاب الله نورهم هو انه تعالى يسلبهم ما اعطوا من النور مع المؤمنين فى الاخرة وذلك قوله تعالى فيما اخبر عنهم انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا
وراءكم فالتمسوا نورا وقيل فى معنى اذهاب نور المنافقين وجه اخر وهو اطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب منهم نور الاسلام بما اظهر الله من كفره
وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطا الاية نزلت فى اليهود وانتظارهم خروج النبى صلى الله عليه واله وايمانهم به واستفتاحهم به على مشركى العرب فلما خرج
كفروا به وذلك ان قريظة والنضير وبنى قينقاع قدموا من الشام الى يثرب حين انقطعت النبوة من بنى اسرائيل وافضت الى العرب فدخلوا المدينة يشهدون
لمحمد صلى الله عليه واله بالنبوة وان امته خير الامم وكان يغشاهم رجل من بنى اسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان قبل ان يوحى الى النبى عليه السلم كل سنة
فيحضهم على طاعة الله عز وجل واقامة التورية والايمان بمحمد صلى الله عليه واله ويقول اذا خرج فلا تفرقوا عنه وانصروه وقد كنت اطمع ان ادركه ثم مات
قبل خروج النبى صلى الله عليه واله فقبلوا منه ثم لما خرج النبى صلى الله عليه واله كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل **سؤال** كيف الله شبه المنافقين او اليهود
وهم جماعة بالذى استوقد نارا وهو واحد **الجواب** على وجوه احدها ان الذى فى معنى الجمع كما قيل فى الاية الاخرى والذى جاء بالصدق وصدق
وثانيها ان يقال النون محذوف من الذى كما جاء فى قول الاخطل ابنى كليب ان عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا وثالثها ان يكون الكلام
على حذف كانه قال مثلهم كمثل اتباع الذى استوقد نارا ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه كما قال الجعدى وكيف تواصل من اصبحت خلالته
كابى مرحب يريد كخلالة ابى مرحب ورابعها ان يقال اراد بالمستوقد الجنس لما فى الذى من الابهام اذ ليس يراد به تعريف واحد بعينه وعلى هذا يكون
جواب لما اضاءت ما حوله محذوفا كانه قال طفيت والضمير فى قوله ذهب الله بنورهم يعود الى المنافقين وخامسها ان يقال ان هذا تشبيه الحال بالحال
فتقديره حال هؤلاء المنافقين فى جهلهم كحال المستوقد للنار وتشبيه الحال بالحال جائز كما يقال بلادة هؤلاء كبلادة الحمار ولو قلت هؤلاء كالحمار لم يجز
ومعنى قوله وتركهم فى ظلمات معناه لم يفعل الله لهم النور اذ الترك اذا جاء فى صفات الله عز وجل فالمعنى انه لا يفعل لان الترك هو الكف عن الفعل
وهذا انما يصح فيمن حله فعل والله سبحانه منزه عن ان يحله فعل فمعناه انه لم يفعل لهم النور حتى صار وا فى ظلمة اشد مما كان قبل الايقاد وقوله لا يبصرون
اى لا يبصرون الطريق ٥ **قوله عز وجل صم بكم عمى فهم لا يرجعون اية اللغة** الاصم هو الذى ولد كذلك وكذلك الابكم هو الذى ولد
اخرس واصل الصم السد فالصمم سد الاذن بما لا يقع منه سمع وقناة صماء صلبة مكتنزة الجوف لسد جوفها بامتلائها وحجر اصم صلب وفتنة صماء شديدة
والصمام ما يسد به رأس القارورة واصل البكم الاعتقال فى اللسان وهو افة تمنع من الكلام واصل العمى ذهاب الادراك بالعين والعمى فى القلب مثل العمى فى العين
بافة تمنع من الفهم ويقال ما اعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك فى العين وانما يقال ما اشد عماه وما يجرى مجراه والعماية الغواية والعماء السحاب الكثيف المطبق
والرجوع قد يكون عن الشئ والى الشئ فالرجوع عن الشئ هو الانصراف عنه بعد الذهاب اليه والرجوع الى الشئ هو الانصراف اليه بعد الذهاب عنه
الاعراب صم بكم عمى رفع على خبر مبتدأ محذوف اى هؤلاء الذين قصتهم هذه صم بكم عمى **المعنى** قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به
عمى لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون وانما شبههم الله تعالى بالصم لانهم لم يحسنوا الاصغاء الى ادلة الله تعالى فكانهم صم واذا لم
يقروا بالله وبرسوله فكانهم بكم واذا لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض فكانهم عمى لما لم يصل اليهم منفعة هذه الاعضاء فكانهم ليس لهم هذه الاعضاء وهذا يدل
على ان معنى الختم والطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان لان جعل الختم بالكفر واستثقالهم للحق بمنزلة الصم والبكم والعمى مع صحة حواسهم وكذلك قوله طبع

الله على قلوبهم واصلهم واصمهم واعمى ابصارهم وان اغلق الله قلوبهم فان جميع ذلك اخبار عما احدثوه عند امتحان الله اياهم وامره لهم بالطاعة والايمان
لا انه فعل بهم ما يمنعهم به عن الايمان وهذا كما قيل فى المثل حبك للشئ يعمى ويصم وقال مسكين الدارمى اعمى اذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر
ويصم عما كان بينهما اذنى وما فى سمعها وقر وفى التنزيل وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله فهم لا يرجعون يحتمل امرين احدهما انه على
الذم والاستبطاء عن ابن عباس والثانى انهم لا يرجعون الى الاسلام عن ابن مسعود ٥ **قوله تعالى او كصيب من السماء فيه ظلمات
ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين اية القراءة**
ظلمات اجمع القراء على ضم اللام منه على الاتباع وروى فى الشواذ عن الحسن وابى السماك بسكون اللام وعن بعضهم بفتح اللام وابو عمرو يميل الكاف
من الكافرين فى موضع الخفض والنصب وروى ذلك عن الكسائى والباقون لا يميلون ٥ **الحجة** الوجه فى ذلك انهم كرهوا اجتماع الضمتين فتارة عدلوا
الى الفتح فقالوا ظلمات وتارة عدلوا الى السكون فقالوا ظلمات وكلا الامرين حسن فى اللغة وانما اما لوا الكاف من الكافرين فى الموضعين للزوم
كسرة الراء بعد الفاء المكسورة والراء لما فيه من التكرير جرى مجرى الحرفين المكسورين وكلما كثرت الكسرات غلبت الامالة وحسنتها وللقراء فى الامالة
مذاهب واختلافات يطول استقصاؤها وابو على الفارسى رحمه الله قد بلغ الغاية وجاوز النهاية فى احتجاجاتهم وذكر من التحقيق فيها والتدقيق
ما يخفى عنه فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق فى ايراد ابوابها وحججها والخوض الى لججها لا يليق بتفسير القرآن وكذلك ما يتعلق ببعض القراءة من
علوم الهمز والادغام والمد فان لذلك كتبا موضوعة يرجع اليها ويعول عليها فالرأى ان نسلم باطراحها ونقتصر على بعض اوصافها فيما ياتى من
الكتاب ان شاء الله **اللغة** الصيب المطر واصله صيوب فيعل من الصوب لكن اجتمعت الواو والياء واولاهما ساكنة فصارتا ياء مشددة ومثله
سيد وجيد والسماء المعروف وكل ما علاك واظلك فهو سماء وسماء البيت سقفه واصابهم سماء اى مطر واصله سماو من سموت فقلبت الواو
همزة لوقوعها طرفا بعد الف زائدة وجعل يكون على وجوه احدها ان يتعدى الى مفعولين نحو جعلت الطين خزفا اى صيرت وثانيها ان
ياتى بمعنى صنع يتعدى الى مفعول واحد نحو قوله وجعل الظلمات والنور وثالثها ان ياتى بمعنى التسمية كقوله تعالى وجعلوا لله اندادا ورابعها ان
ياتى بمعنى افعال المقاربة نحو جعل زيد يفعل كذا والصواعق جمع صاعقة وهى الوقع الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق والصاعقة صيحة
العذاب والحذر طلب السلامة مما يخاف **الاعراب** او ههنا للاباحة اذا قيل لك جالس الفقهاء او المحدثين فكلا الفريقين اهل ان تجالس فان
جالست احدهما فانت مطيع وان جالست الاخر فانت مطيع وان جالستهما فانت مطيع فكذلك ههنا ان مثلت المنافقين بالمستوقد
كنت مصيبا وان مثلتهم باصحاب الصيب فانت مصيب وان مثلتهم بكلا الفريقين فانت مصيب فتقديره او كاصحاب صيب حذف المضاف واقام المضاف
اليه مقامه لان هذا عطف على قوله كمثل الذى استوقد نارا والصيب ليس بعاقل فلا يعطف على العاقل ويجعلون فى موضع الحال من اصحاب الصيب
وقوله فيه ظلمات جملة فى موضع الجر لانها صفة صيب والضمير المتصل بفى عائد الى الصيب او الى السماء وحذر الموت منصوب بانه مفعول له لان المعنى
يفعلون ذلك لحذر الموت قال الزجاج وانما نصب الفعل فى تاويل مصدر لان جعلهم اصابعهم فى اذانهم يدل على حذرهم للموت قال الشيخ ابو على
المفعول له لا يكون الا مصدرا لانه يذكر انه فعل لاجل ذلك الحدث والحدث مصدر لكنه ليس مصدرا عن هذا الفعل بل عن فعل اخر **المعنى**
مثل هؤلاء المنافقين فى جهلهم وشدة تحيرهم كاصحاب مطر من السماء اى منزل من السماء فيه اى فى هذا المطر او فى السماء لان المراد بالسماء السحاب
فهو مذكر ظلمات لان السحاب يغشى الشمس بالنهار والنجوم بالليل فيظلم الجو ورعد قيل ان الرعد صوت ملك يزجر السحاب وقيل الرعد هو ملك
موكل بالسحاب يسبح وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلم وقيل هو ريح تختنق تحت السماء واه ابو
عن ابن عباس وقيل هو صوت اصطكاك اجرام السحاب ومن قال انه ملك قدر فيه صوته كانه قال فيه ظلمات وصوت رعد لانه روى انه ينعق كما
ينعق الراعى بغنمه وقوله وبرق قيل انه مخاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتنقدح عنه النار عن على عليه السلم وقيل انه سوط من نور يزجر به
الملك السحاب عن ابن عباس وقيل هو مصع ملك عن مجاهد والمصاع المجالدة بالسيوف وغيرها قال الاعشى اذا هن نازلن اقرانهن كان
المصاع بما فى الجون وقيل انه نار ينقدح من اصطكاك الاجرام وفى تاويل الاية وتشبيه المثل اقوال احدها انه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن
وما فيه من الظلمات بما فى القرآن من الابتلاء وما فيه من الرعد بما فى القرآن من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من البيان وما فيه من الصواعق
بما فى القرآن من الوعيد اجلا والدعاء الى الجهاد عاجلا عن ابن عباس وثانيها انه مثل للدنيا شبه ما فيها من الشدة والرخاء بالصيب

الذي يجيء نفعا وضرا وان المنافق يدفع عاجل الضرر ولا يطلب آجل النفع وثالثها انه مثل الاسلام لان بر الحيوة وشبه ما فيه من الظلمات
بما في اسلامهم من ابطان الكفر وما فيه من الرعد بما في الاسلام من فرض الجهاد وخوف القتل وبما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم و
ما فيه من البرق بما في اظهار الاسلام من حقن دمائهم ومناكحتهم وموارثتهم وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في
الآجل والعاجل ويقوي ذلك ما روي عن الحسن انه قال مثل اسلام المنافقين كصيب هذا وصفه ورابعها ما روي عن ابن مسعود وجماعة من
الصحابة ان رجلين من المنافقين من اهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه وآله فاصابهما المطر الذي ذكره الله تعالى فيه رعد شديد
وصواعق وبرق وكلما اضاء لهما الصواعق جعلا اصابعهما في اذانهما مخافة ان تدخل الصواعق في اذانهما فيقتلهما واذا لمع البرق مشيا في
ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا فاقاما فجعلا يقولان ليتنا قد اصبحنا فناتي محمدا فنضع ايدينا في يده فاصبحا فاتياه واسلما وحسن اسلامهما فضرب الله شان
هذين الرجلين مثلا لمنافقي المدينة وانهم اذا حضروا النبي جعلوا اصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي عليه السلام ان ينزل فيهم شيء كما كان ذلك الرجلان
يجعلان اصابعهما في آذانهما وكلما اضاء لهم مشوا فيه يعني اذا كثرت اموالهم واصابوا غنيمة او فتحا مشوا فيه وقالوا دين محمد صحيح واذا اظلم عليهم قاموا
يعني اذا هلكت اموالهم واصابهم البلاء قالوا هذا من اجل دين محمد فارتدوا وكفروا كما قام ذانك الرجلان اذا اظلم البرق عليهما وقوله والله محيط بالكافرين
يحتمل وجوها احدها انه عالم بهم فيعلم سرائرهم ويطلع نبيه على ضمائرهم عن الاصم وثانيها انه قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال الشاعر
بما قد ابى ما لو جيعا الى السلم اي قدرنا عليهم وثالثها ما روي عن مجاهد انه جامعهم يوم القيمة يقال احاط بكذا اذا لم يشذ منه شيء ومنه احاط بكل شيء
علما اي لم يشذ عن علمه شيء ورابعها انه مهلكهم يقال احيط بفلان فهو محاط به اذا دنا هلاكه قال سبحانه واحيط بثمره اي اصابه ما اهلكه وقوله الا ان
يحاط بكم معناه ان تهلكوا جميعا ﴿قوله عز وجل يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو
شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير﴾ اللغة الخطف الاخذ في استلاب يقال خطف يخطف وخطف يخطف
لغتان والثاني افصح وعليه القراءة ومنه الخطاف يقال للذي يخرج به الدلو من البئر خطاف لاختطافه قال النابغة خطاطيف حجن في حبال متينة
تمد بها ايد اليك نوازع وقاموا اي وقفوا والمشية الارادة والشيء ما يصح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه هو اول الاسماء واعمها وانه لا يقع على
المعدوم والموجود وقيل انه لا يقع الا على الموجود والصحيح الاول وهو مذهب المحققين من المتكلمين ويؤيده قوله تعالى في هذه الآية ان الله على كل
شيء قدير فان كل شيء سواه محدث وكل محدث فله حالتان حالة عدم وحالة وجود واذا اوجد خرج عن ان يكون مقدورا للقادر لان من المعلوم
ضرورة ان الموجود لا يصح ان يوجد فعلمنا انه انما يقدر عليه في حال عدمه ليخرجه من العدم الى الوجود وعلى هذه المسئلة يدور اكثر مسائل التوحيد الاعراب
كاد من افعال المقاربة ولا يتم الا بالفاعل ويحتاج الى الخبر وخبره الفعل المضارع فقوله يكاد فعل والبرق مرفوع بانه اسم يكاد وفاعله ويخطف ابصارهم
في موضع نصب بانه خبر كاد وكلما اصله كل وضم اليه ما الجزاء وهو منصوب بالظرف والعامل فيه اضاء ومعناه متى ما اضاء لهم مشوا فيه واضاء في موضع جزم
بالشرط ومشوا في موضع الجزاء واذا اظلم قد تقدم اعراب مثله ولو حرف معناه امتناع الشيء لامتناع غيره واذا اوقع الفعل بعده وهو منفي كان مثبتا في
المعنى واذا وقع مثبتا كان منفيا في المعنى فقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم قد انتفى فيه ذهاب السمع والابصار بسبب انتفاء المشية المعنى
يكاد ما في القرآن من الحجج النيرة يخطف قلوبهم من شدة ازعاجها الى النظر في امر دينهم كما ان البرق يكاد يخطف ابصار اولئك كلما اضاء لهم مشوا فيه اي اهتدوا
الى الطريق بضوء البرق كذلك المنافقون كلما دعوا الى خير وغنيمة اسرعوا واذا وردت شدة على المسلمين تحيروا وكفوا ووقفوا كما وقف اولئك في الظلمات
متحيرين وقيل اذا آمنوا صار الايمان لهم نورا فاذا ماتوا عادوا الى ظلمة العقاب وقيل هم اليهود لما نصر المسلمون ببدر قالوا هذا الذي بشر به موسى فلما نكبوا
باحد وقفوا وشكوا وقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم انما خص السمع والبصر بالذكر لما جرى من ذكرهما في الآيتين فقال ولو شاء الله اذهبهما من المنافقين
عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم وهذا وعيد لهم بالعقاب كما قال في الآية الاولى والله محيط بالكافرين وقوله بسمعهم مصدر يدل على الجمع او واحد موضوع الجمع كقوله
كلوا في بعض بطنكم تعيشوا فان زمانكم زمن خميص اي بطونكم والمعنى ولو شاء الله لاظهر على كفرهم فاهلكهم ودمر عليهم لانه على كل شيء قدير وهو مبالغة
وقيل ان قوله سبحانه ان الله على كل شيء قدير عام فهو قادر على الاشياء كلها على ثلثة اوجه على المعدومات بان يوجدها وعلى الموجودات بان يفنيها وعلى
مقدور غيره بان يقدر عليه ويمنع منه وقيل هو خاص في مقدوراته دون مقدور غيره فان مقدورا واحدا بين قادرين لا يمكن ان يكون لانه يؤدي الى
ان يكون الشيء الواحد موجودا معدوما ولفظة كل قد تستعمل في غير عموم نحو قوله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها ﴿قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم

الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ اللغة الخلق الفعل على تقدير وخلق السموات فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة
ونقصان والخلق الطبع والخليقة الطبيعة والخلاق النصيب الاعراب يا حرف النداء واي اسم مبهم تقع على اجناس كثيرة لكنه انما يتم بان توصف
وصفته يكون باسم الجنس لانه لما كان لا يتم الا بصفة وهي لفظة دالة على ما دل اي عليه مخصصة له وكان التخصيص في الاشارة يقع بالجنس ثم بالوصف
وصف باسماء الاجناس كالناس في قوله يا ايها الناس فاي منادى مفرد معرفة مبني لانه وقع موقع حرف الخطاب وهو الكاف وانما بني مع الحركة لان
الاصل في البناء السكون ليعلم انه ليس بعريق في البناء والبناء عارض فيه وانما حرك بالضم لانه كان في اصله التنوين فلما اسقط التنوين في البناء اشبه قبل وبعد
الذي قطع عنه الغاية فارتفع وقد ذكر فيه وجوه اخر يوجد في مظانها والناس مرفوع لانه صفة لاي فتبعه على حركة لفظه ولا يجوز ههنا النصب وان كان
الاسماء المناداة المفردة المعرفة يجوز في صفاتها النصب والرفع لان هذا الصفة هو المنادى في الحقيقة واي وصلة اليه ويدل على ذلك لزوم ها وهو حرف التنبيه
قبل الناس وثباتها وامتناعهم من حذفها فصار ذلك كالايذان باستيناف نداء والعلم لان لا يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز في سائر المناداة
واجاز المازني في يا ايها الرجل النصب وذلك فاسد لما ذكرناه ولانه لا مجال لذلك في كلام العرب ولم يرو عنهم غير الرفع والذين من قبلكم في موضع نصب
لانه عطف على الكاف والميم من قوله خلقكم وهو مفعول به ومن قبلكم صلة الذين ولعل حرف ناصب من اخوات ان وقد ذكرنا القول في مشابهة الفعل
وعمله النصب والرفع فيما تقدم وكذلك الحكم لعل وشبه لعل بالفعل اظهر لان معناه الترجي وكم في موضع نصب بكونه اسم لعل وتتقون جملة في موضع الرفع
بانه خبره المعنى هذا الخطاب متوجه الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم الا من ليس بمكلف من الاطفال والمجانين وروي عن ابن عباس والحسن ان ما
في القرآن من يا ايها الناس فانه نزل بمكة وما فيه من يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة اعبدوا ربكم اي تقربوا اليه بفعل العبادة وعن ابن عباس
انه قال معناه وحدوه وقوله الذي خلقكم اي اوجدكم بعد ان لم تكونوا موجودين واوجد من تقدمكم من الخلائق والبشر بين سبحانه نعمه عليهم
وعلى آبائهم لان نعمه عليهم لا تتم الا بنعمه على آبائهم لعلكم تتقون اي خلقكم لتتقوا وتعبدوه كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقيل
معناه اعبدوه لتتقوا وقيل لعلكم تتقون المحرمات بينكم وتكفون عما حرم الله وهذا كما يقول القائل اقبل قولي لعلك ترشد فليس احد من ذلك على شك وانما
يريد لتاخذ اجرك ومثله قول الشاعر وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكف ووثقتم لنا كل موثق فلما كففنا الحرب كانت عهودكم كلمح سراب في الملا متالق
اراد قلتم لنا كفوا لنكف لانه لو كان شاكا لما قال ووثقتم لنا كل موثق وقال سيبويه انما وردت لفظة لعل على انه ترج للمخاطبين كما قال فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشى واراد بذلك الايهام على موسى وهرون وكانه قال اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما والله عز وجل من وراء ذلك وعالم بما يؤول
اليه امر فرعون وقيل فائدة ايراد لفظة لعل هي ان لا يحل العبد ابدا محل الآمن المدل بعمله بل يكون دائرا بين حالين حريصا على العمل وحذرا من تركه
واكثر ما جاءت لفظة لعل وغيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالآخرة في دار الدنيا فاذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين وقيل معناه لعلكم تتقون النار
في ظنكم ورجائكم واجرى لعل على العباد دون نفسه وهذا قريب مما قال سيبويه ﴿قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون﴾ القراءة ادغم جماعة من القراء قوله
جعل لكم فقالوا جعلكم والباقون يظهرون الحجة من ادغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات ومن اظهر وعليه اكثر القراء فلانهما منفصلان
من كلمتين وفي الادغام واختلاف القراء فيه والاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعلوم تفسير القرآن فمن اراد ذلك فليطلبه من الكتب المؤلفة فيه
اللغة الجعل والخلق والاحداث نظائر والارض هي المعروفة والارض هي قوائم الدابة ومنه قول الشاعر واحمر كالديباج اما سماؤه فريا واما ارضه
فمحول والارض الرعدة في كلام ابن عباس ازلزلت الارض ام بي ارض والفراش والبساط والمهاد نظائر وسمي السماء سماء لعلوها عن الارض وكل شيء
كان فوق شيء فهو لما تحته سماء وسما فلان لفلان اذا قصد نحوه عاليا عليه وقال الفرزدق سمونا لنجران اليماني واهله ونجران ارض لم يديث مقاولة
وقال الزجاج كلما علا الارض فهو بناء والماء اصله موه وجمعه امواه وتصغيره مويه وانزل من السماء اي من ناحية السماء قال الشاعر امنك
برق فهاجا اي من ناحيتك والند المثل والعدل قال حسان بن ثابت اتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما فداء وقال جرير اتيما تجعلون
الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وقيل الند الضد المعنى معنى هذه الآية يتعلق بما قبلها لانه تعالى امرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد لهم صنوف
نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته فان العبادة انما تجب لاجل النعم المخصوصة فقال سبحانه الذي جعل لكم الارض فراشا اي بساطا يمكنكم ان تستقروا
عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك لا يمكن الا بان تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون والسماء بناء اي سقفا من فوقكم مبنيا وانزل من نحو السماء

اى من السحاب ماء فاخرج به اى بالماء من الثمرات رزقا لكم اى عطاء لكم وملكا لكم وغذاء لكم وهذا تنبيه على انه هو الذى خلقهم والذى رزقهم دون من جعلوه ندا له من الاوثان ثم زجرهم عن ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم به وقوله وانتم تعلمون يحتمل وجوها احدها ان يريد انكم تعلمون ان الاصنام التى تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التى عددناها ولا بامثالها فانها لا تضر ولا تنفع وثانيها ان يريد انكم تعقلون وتميزون ومن كان بهذه الصفة فقد استوفى شرايط التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره فى التخلف عن النظر واصابة الحق وثالثها ما قاله مجاهد وغيره ان المراد به اهل التورية والانجيل اى تعلمون ذلك فى الكتابين قال الشريف الاجل المرتضى قدس الله روحه استدل ابو على الجبائى بقوله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا وفى اية اخرى بساطا على بطلان ما يقوله المنجمون من ان الارض كروية الشكل قال وهذا القدر لا يدل لانه يكفى فى النعمة علينا ان يكون فى الارض بقع ومواضع مفروشة ومسطوحة وليس يجب ان يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة ان جميع ذلك ليس مسطوحا مبسوطا وان كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفة والمنجمون لا يدفعون ان يكون فى الارض سطوح يتصرف فيها ويستقر عليها وانما يذهبون الى ان جملتها كروية الشكل ٭ قوله عز وجل وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين اية اللغة ان دخلت هنا لغير شك لان الله تعالى علم انهم مرتابون ولكن هذا على عادة العرب فى خطابهم كقولهم ان كنت انسانا فافعل كذا وان كنت ابنى فاطعنى وان كان كونه انسانا وابنا معلوما وانما خاطبهم الله تعالى على عادتهم فى الخطاب والريب الشك مع تهمة والعبد المملوك من جنس ما يعقل ونقيضه الحر من التعبيد وهو التذليل لان العبد يذل لمولاه والعبودية من احكام الشرع لانه يمنزلة ذبح الحيوان ويستحق عليها العوض وليست بعقوبة ولذلك يسترق المؤمن والصبى والسورة غير مهموزة ماخوذة من سور البناء وكل منزلة رفيعة فهى سورة ومنه قول النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب ٭ هذا قول ابى عبيدة وابن الاعرابى فى تفسير السورة وكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال يرتفع القارى منها الى منزلة اخرى الى ان يستكمل القرآن وقيل السورة مهموزة والمراد بها القطعة من القرآن انفصلت عما سواها وابقيت وسور كل شىء بقيته واسارت فى الاناء ابقيت فيه قال الاعشى يصف امرأة فبانت وقد اسارت فى الفؤاد صدعا على نايها مستطيرا ٭ الاعراب ان حرف شرط تجزم الفعل المضارع ويدخل على فعل الماضى فيصرفه الى معنى الاستقبال ولا بد للشرط من جزاء وهما جملتان ربطت احديهما بالاخرى نحو ان تفعل افعل فقولك ان تفعل شرط وهو مجزوم بان وقولك افعل جزاء وهو مجزوم بالشرط لا بان وحدها ولا بالفعل فان كان الجزاء جملة من فعل وفاعل كان مجزوما وان كان جملة من مبتدأ وخبر فلا بد من الفاء وكانت الجملة فى موضع الجزم فقوله كنتم فى موضع الجزم بان وقوله فأتوا بسورة ابتداء مبنى على الوقف لانه امر المخاطبين والواو فاعل والفاء وما بعدها فى موضع جزم بانه جزاء وما قبل الفاء لا يعمل فيما بعده ومن تقع على اربعة اوجه احدها ان يكون بمعنى ابتداء الشىء من مكان ما كقولك خرجت من البصرة وثانيها بمعنى التبعيض كقولك اخذت من الطعام قفيزا وثالثها بمعنى التبيين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وهى فى التبيين تخصيص الجملة التى قبلها كما فى التبعيض تخصيص الجملة التى بعدها ورابعها ان تقع مزيدة نحو ما جاءنى من احد فاذا قد عرفت هذا فقوله تعالى من مثله قال بعضهم ان من معنى التبعيض وتقديره فأتوا ببعض ما هو مثله وهو سورة وقيل هو لتبيين الصفة وقيل ان من مزيدة كقوله فى موضع اخر بسورة مثله اى مثل هذا القرآن ويعود الهاء فى مثله الى ما من قوله مما نزلنا على عبدنا على الاقوال الثلثة وقيل ان من بمعنى ابتداء الغاية والهاء من مثله يعود الى عبدنا فيكون معناه بسورة من رجل مثله والاول اقوى لما نذكره بعد ٭ المعنى لما احتج الله تعالى للتوحيد عقبه من الاحتجاج للنبوة بما قطع عذرهم فقال وان كنتم فى شك من صدق هذا الكتاب الذى نزلناه على محمد صلى الله عليه واله وقلتم لا ندرى هل هو من عند الله ام لا فأتوا بسورة من مثله اى من مثل هذا القرآن وعلى قول من يقول الضمير فى مثله عائد الى عبدنا فالمعنى فأتوا بسورة مثله وقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله يعنى فأتوا بسورة مثل ما اتى به محمد فى الاعجاز من حسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التى اختصت به والاخبار عما كان وعما يكون دون تعلم الكتب ودراسة الاخبار وقوله وادعوا شهداءكم قال ابن عباس يعنى اعوانكم وانصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم وسمى اعوانهم شهداء لانهم يشاهدونهم عند المعاونة والشهيد يكون بمعنى المشاهد كالجليس والاكيل ويسمى الشاهد على الشىء لغيره بما تحقق دعواه بانه شهيد ايضا وقوله من دون الله اى من غير الله كما يقال من دون الله مخلوق ويريد وادعوا من اتخذتموهم معاونين من غير الله ان كنتم صادقين فى ان هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه وقال الفراء اراد وادعوا الهتكم وقال مجاهد وابن جريج اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم وقول ابن عباس اقوى

لان معناه استنصروا اعوانكم على ان يأتوا بمثله لان الدعاء بمعنى الاستعانة كما قال الشاعر فلما التقت فرساننا ورجالنا دعوا يالكعب واعتزينا لعامر ٭ وقال اخر وقبلك رب خصم قد تمالوا على فما جزعت ولا دعوت ٭ واما قول مجاهد فلا وجه له لان الشاهدين لا يخلوا اما ان يكونوا مؤمنين او كفارا فالمؤمنون لا يكونون شهداء للكفار والكفار لا يبدأن يسارعوا الى ابطال الحق او تحقيق الباطل اذا دعوا اليه فمن اى الفريقين يكون شهداؤهم ولكن ينبغى ان يجرى ذلك مجرى قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ٭ وقال قوم ان هذا الوجه جائز ايضا صحيح لان العقلاء لا يجوز ان يحملوا انفسهم على الشهادة بما يفتضحون به فى كلام انه مثل القرآن ولا يكون مثله كما لا يجوز ان يحملوا انفسهم على ان يعارضوا بما ليس بمعارض على الحقيقة وهذه الاية تدل على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه واله وان الله تحدى بالقرآن وببعضه ووجه الاستدلال بها انه تعالى خاطب قوما عقلاء فصحاء قد بلغوا الغاية القصوى من الفصاحة وتسنموا الذروة العليا من البلاغة فانزل اليهم كلاما من جنس كلامهم وتحداهم بالاتيان بمثله او ببعضه بقوله فأتوا بعشر سور مثله وبسورة مثله وجعل عجزهم عن ذلك الحجة عليه ودلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه واله وهم اهل الحمية والانفة فبذلوا اموالهم ونفوسهم فى اطفاء امره ولم يتكلفوا فى معارضة القرآن بسورة ولا خطبة فعلمنا ان المعارضة كانت متعذرة عليهم فدل ذلك على ان القرآن معجز دال على صحة نبوته صلى الله عليه واله قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين اية

الاعراب ان حرف الشرط ولم حرف يدخل على الفعل المضارع فينفيه ويجعله بمعنى الماضى ويعمل فيه الجزم وتفعلوا تفعلون فاعلون وهو مجزوم بلم وعلامة الجزم فيه سقوط النون ولم تفعلوا فى موضع الجزم ايضا بان ولن حرف يدخل على الفعل المضارع فيخصه بالاستقبال وينفيه ويعمل فيه النصب وعلامة النصب فى تفعلوا سقوط النون ايضا قال سيبويه فى لن زعم الخليل انها لا ان ولكنهم حذفوا لكثرته فى كلامهم كما قالوا ويلمه وجعلت بمنزلة حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزلة حرف واحد وانما هى هل ولا قال وهذا ليس بجيد لانه لو كان كذلك لم يجز زيدا لن اضرب واقول ان معنى هذا القول هو انه لو كان اصل لن لا ان وما بعد ان يكون صلة لها ولا يجوز تقديم معمول ما فى الصلة على الموصول فكان يجب ان لا يجوز تقديم زيدا فى قولك لن اضرب زيدا على لن لما لم يجز تقديمه على ان فلا تقول زيدا ان اضرب ولا خلاف بين النحويين فى جواز التقديم هناك وقوله ولن تفعلوا لا موضع له من الاعراب لانه اعتراض وقع بين الشرط والجزاء كما يقع بين المبتدأ والخبر فى قولك زيد فافهم ما اقول لك عالم والاعتراض غير واقع موقع المفرد فيكون له موضع اعراب ٭ المعنى فان لم تفعلوا اى فان لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم وتبين لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندى فلا تقيموا على التكذيب به ومعنى ولن تفعلوا اى ولن تأتوا بسورة مثله ابدا لان لن تنفى على التأبيد فى المستقبل وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه واله لانه يتضمن الاخبار عن حالهم فى مستقبل الاوقات بانهم لا يأتون بمثله فوافق المخبر عنه الخبر وقوله فاتقوا النار اى فاحذروا ان تصلوا النار بتكذيبكم وانما جاز ان يكون قوله فاتقوا النار جواب الشرط مع انه يلزم اتقاء النار كيف تصرفت الحال لانه لا يلزمهم الاتقاء الا بعد التصديق بالنبوة ولا يصح العلم بالنبوة الا بعد قيام المعجزة فكانه قيل فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة ووجب اتقاء النار التى وقودها اى حطبها الناس والحجارة وهى جمع حجر وقيل انها حجارة الكبريت لانها احر شىء اذا احميت عن ابن مسعود وابن عباس والظاهر ان الناس والحجارة وقود النار اى حطبها يريد بها اصنامهم المنحوتة من الحجارة كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقيل ذكر الحجارة دليل على عظم تلك النار لانها لا تاكل الحجارة الا وهى فى غاية الفظاعة والهول وقيل معناه ان اجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التى توقد بها النار بتبقية الله اياها ويؤيد ذلك قوله كلما نضجت جلودهم الاية وقيل معناه انهم يعذبون بالحجارة المحماة بالنار وقوله اعدت للكافرين معناه خلقت وهيئت للكافرين لانهم الذين يخلدون فيها ولانهم اكثر اهل النار فاضيفت اليهم وقيل انما خص النار بكونها معدة للكافرين وان كانت معدة للفاسقين ايضا لانه يريد بذلك نارا مخصوصة لا يدخلها غيرهم كما قال ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وهذه الاية تدل على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلى لان الله عز اسمه احتج على الكفار بما ذكره فى هذه الاية والزمهم به تصديق نبيه عليه واله السلام وقررهم بان القرآن كلامه اذ قال ان كان عندكم القرآن كلام محمد فأتوا بسورة من مثله لانه لو كان كلام البشر لتهيأ لكم مع تقدمكم فى البلاغة والفصاحة الاتيان بمثله او بسورة منه مع قوة دواعيكم اليه فاذا لم يتأت لكم ذلك فاعلموا بتحقق لكم انه كلام الله تعالى وهذا هو المراد بالاحتجاج العقلى واستدل بقوله اعدت للكافرين على ان النار مخلوقة

الآن لان المعدّ لا يكون الا موجودا وكذلك الجنة بقوله اعدت للمتقين والفائدة في ذلك انا وان لم نشاهدها فان الملائكة قد شاهدوها وهم من اهل التكليف والاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتقين وعقابه للكافرين ۞ قوله عز وجل وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون آية اللغة البشارة هي الاخبار بما يُبشّر به المخبر اذا كان سابقا لكل خبر سواه لان الثاني لا يسمى بشارة وقيل الاخبار بما يغم ايضا بشارة كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم وذلك على سبيل التوسع وهو مأخوذ من البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها باول خبر وتباشير الصبح اوله والجنات جمع الجنة وهي البستان والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها وثمارها دون ارضها فلذلك قال تجري من تحتها الانهار لان من المعلوم انه اراد الخبر عن ماء انهارها بانه جار تحت الاشجار لان الاشجار اذا كان تحت الارض فلا حظ فيها للعيون على انه روي عن مسروق ان انهار الجنة جارية في غير اخدود رواه عنه ابو عبيدة وغيره واصلها من الجن وهو الستر ومنه الجن لسترها عن عيون الناس والجنون لانه يستر العقل والجُنة لانه يستر البدن والجنين للستر بالرحم قال المفضل البستان اذا كان فيه الكرم فهو فردوس كان فيه شجر غيره او لم يكن والجنة كل بستان فيه نخل وان لم يكن فيه غيره والازواج جمع زوج والزوج يقع على الرجل والمرأة ويقال للمرأة زوجة ايضا وزوج كل شيء شكله والخلود الدوام والبقاء الاعراب موضع انّ مع اسمه وخبره نصب معناه بشرهم بان لهم جنات فلما سقطت الباء افضى الفعل الى انّ فنصبه وعلى قول الخليل يكون في حال النصب والجر على صورة واحدة وقوله تجري مع ما اتصل به جملة منصوبة الموضع بكونها صفة لجنات وكلما ضم كل الى ما الجزاء فصار اداة للتكرار وهو منصوب على الظرف والعامل فيه رزقوا منها من ثمرة من زائدة اي ثمرة وقال علي بن عيسى هي بمعنى التبعيض لانهم يرزقون بعض الثمرات في كل وقت ويجوز ان يكون بمعنى تبيين الصفة وهو ان يبين الرزق من اي جنس هو ومن قبل تقديره من قبل هذا الزمان او هذا الوقت فحذف المضاف اليه منه لفظا مع ان الاضافة مرادة معنى فبني لاجل مشابهته الحرف وانما بني على الحركة ليدلوا على تمكنه في الاصل وانما خص بالضم لان اعرابه عند الاضافة كان بالفتح او الجر نحو من قبلك وقبلك لكونه ظرفا فبني على حركة لم يكن يدخلها في الاعراب وهي الضمة وموضعه نصب على الظرف ومتشابها نصب على الحال وازواج رفع اما بالابتداء او بالظرف المعنى قرن الله تعالى الوعد في هذه الاية بالوعيد فيما قبلها ليحصل الترغيب والترهيب فقال وبشر اي اخبر بما يسرهم الذين آمنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات فيما بينهم وبين ربهم عن ابن عباس بان لهم جنات تجري من تحت اشجارها ومساكنها الانهار والنهر لا يجري وانما يجري الماء فيه ويستعمل الجري فيه توسعا لانه موضع الجري وقوله كلما رزقوا منها اي من الجنات والمعنى من اشجارها وتقديره كلما رزقوا من اشجار البساتين التي وعدها الله للمؤمنين من ثمرة رزقا اي اعطوا من ثمارها عطاء واطعموا منها طعاما لان الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به ولا يكون لاحد المنع منه قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فيه وجوه احدها ان ثمار الجنة اذا جنيت من اشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذي رزقنا من قبل هذا قول ابي عبيدة ويحيى بن ابي كثير وثانيها ان معناه هذا الذي رزقناه في الدنيا عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هذا الذي وعدناه في الدنيا وثالثها معناه هو الذي رزقنا من قبل في الجنة اي كالذي رزقناه ثم يعلمون انه غيره ولكنهم شبهوه به في طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته عن الحسن وواصل قال الشيخ ابو جعفر رحمه الله واقوى الاقوال قول ابن عباس لانه تعالى قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل فعمّ ولم يخص فاول ما اتوا به لا يتقدم فيه هذا القول الا بان يكون اشارة الى ما تقدم رزقه في الدنيا ويكون التقدير هذا مثل الذي رزقناه في الدنيا لان ما رزقوه في الدنيا قد عدم فاقام المضاف اليه مقام المضاف كما ان القائل اذا قال لغيره اعددت لك طعاما وصفه له يحسن ان يقول هذا الطعام في منزلي يريد مثله ومن جنسه وقوله واتوا به اي جيئوا به وليس معناه اعطوه وقوله متشابها فيه وجوه احدها انه اراد مشتبها في اللون مختلفا في الطعم عن ابن عباس ومجاهد وثانيها ان كلها متشابه في الجودة خيار لا رذل فيه عن الحسن وقتادة واختاره الاخفش قال وهذا كما يقول القائل وقد جيء باشياء فاضلة فاشتبهت عليه في الفضل لا ادري ما اختار منها كلها عندي فاضل كقول الشاعر

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ۞ مثل النجوم التي يسري بها الساري ۞

يعني انهم قد تساووا في الفضل وثالثها انه يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمر الجنة اطيب عن عكرمة ورابعها انه يشبه بعضه بعضا في اللذة وجميع الصفات عن ابي مسلم وخامسها ان التشابه من حيث الموافقة فالخادم يوافق المسكن والمسكن يوافق الفرش وكذلك جميع ما يليق به وقوله ولهم فيها ازواج قيل هن الحور العين وقيل هن من نساء الدنيا قال الحسن هن عجائزكم الغمص

الرمص طهرن من قذرات الدنيا مطهرة قيل في الابدان والاخلاق والاعمال فلا يحضن ولا يلدن ولا يتغوطن ولا يبلن قد طهرن من الاقذار والآثام وهو قول جماعة المفسرين وهم فيها خالدون اي في الجنة خالدون يعني دائمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع لذلك ولا نفاد لان النعيم يتم بالخلود والبقاء كما ينتقص بالزوال والفناء والخلود هو الدوام من وقت مبتدأ ولهذا لا يقال لله تعالى خالد ۞ قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين آية القراءة يستحيي بياءين وروي عن ابن كثير بياء واحدة ووجه هذه القراءة انه استثقل اجتماع الياءين فحذف احديهما وهي لغة تميم اللغة الاستحياء من الحياء ونقيضه القحة والضرب يقع على جميع الاعمال الا قليلا يقال ضرب في التجارة وضرب في الارض وضرب في سبيل الله وضرب بيده الى كذا وضرب فلان على يد فلان اذا افسد عليه امرا اخذ فيه وضرب الامثال انما هو جعلها لتسير في البلاد يقال ضرب القول مثلا وارسله مثلا وما اشبه ذلك والبعوض القرقس وهو صغار البق واحده بعوضة والمثل والمثل كالشبه والشبه وقال كعب بن زهير كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ۞ وما مواعيدها الا الاباطيل ۞ الفسق والفسوق الترك لامر الله تعالى وقال الفراء الفسق الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت ولذلك سميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها الاعراب في قوله ما بعوضة النصب وجوه احدها ان يكون ما مزيدة ومعناه التوكيد كما في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وتقديره ان الله لا يستحيي ان يضرب بعوضة مثلا ومثلا بعوضة فيكون بعوضة مفعولا ثانيا ليضرب وثانيها ان يكون ما نكرة مفسرة ببعوضة كما تكون نكرة موصوفة في قوله تعالى هذا ما لدي عتيد فيكون تقديره لا يستحيي ان يضرب مثلا شيئا من الاشياء بعوضة فيكون بعوضة بدلا من شيئا وثالثها ما حكي عن الفراء ان معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها كما يقال مطرنا ما زبالة فالثعلبية وله عشرون ما ناقة فجملا وهي احسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين في جميع ذلك والاختيار عند البصريين الوجه الاول وانما اختير هذا الوجه لان ضرب ههنا بمعنى جعل فجاز ان يتعدى الى مفعولين ويدخل على المبتدأ والخبر وفي التنزيل ما يدل عليه وهو قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء فمثل الحيوة مبتدأ وكماء خبره وفي موضع آخر واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما فدخل اضرب على المبتدأ والخبر فصار بمنزلة قولك ظننت زيدا كعمرو ويجوز في الاعراب الرفع في بعوضة وان لم تجز القراءة به وفيه وجهان احدهما ان يكون خبر المبتدأ محذوف في صلة ما فكأنه قال الذي هو بعوضة كقراءة من قرأ تماما على الذي احسن بالرفع وهذا عند سيبويه ضعيف وهو في الذي اقوى لان الذي اطول وليس للذي مذهب غير الاسماء والثاني على الجواب كانه لما قيل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما قيل ما هو فقيل بعوضة اي هو بعوضة كما يقال مررت برجل زيد اي هو زيد فيكون ما على هذا الوجه نكرة مجردة من الصفة والصلة وقوله فاما الذين آمنوا لغة العرب جميعا التشديد وكثير من بني تميم يقولون ايما فلان فيفعل كذا وانشد بعضهم مبتلة هيفا ايما وشاحها ۞ فيجري واما الحجل منها فلا يجري ۞ وهي كلمة تجيء في شيئين او اشياء تفصل القول بينهما كقولك اما زيد فمحسن واما عمرو فمسيء فزيد مبتدأ ومحسن خبره وفيها معنى الشرط والجزاء وتقديره مهما يكن من شيء فزيد محسن ثم اقيم اما مقام الشرط فحصل اما فزيد محسن ثم اخر الفاء الى الخبر لاصلاح اللفظ ولكراهة ان تقع الفاء التي للتعقيب في اول الكلام فقوله الذين آمنوا على هذا يكون مبتدأ ويعلمون خبره وكذلك الذين كفروا مبتدأ ويقولون خبره وقوله ماذا اراد الله بهذا مثلا ما استفهام وهو اسم في موضع الرفع بالابتداء وذا بمعنى الذي وصلته ما بعده وهو في موضع رفع بانه خبر المبتدأ تقديره اي شيء الذي اراد الله تعالى فعلى هذا يكون الجواب للذين رفعا كقولك البيان لحال الذي ضرب له المثل ويحتمل ان يكون ماذا بمنزلة اسم واحد تقديره اي شيء اراد الله فيكون في موضع نصب بانه مفعول اراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك البيان لحال من ضرب له المثل ومثال الاول قوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ومثال الثاني قوله ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ومثلا منصوب على الحال وقيل على القطع وقيل على التفسير النزول روي عن ابن عباس وابن مسعود ان الله تعالى لما ضرب المثلين قبل هذه الاية للمنافقين يعني قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اعز واجل من ان يضرب هذه الامثال فانزل الله تعالى هذه الاية وعن قتادة والحسن لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين وعابوا ذكره فانزل الله هذه الاية المعنى ان الله لا يستحيي اي لا يدع وقيل لا يمتنع لان احدنا اذا استحيى من شيء تركه وامتنع منه ومعناه ان الله لا يدع ضرب المثل بالاشياء الحقيرة لحقارتها اذا راى الصلاح في ضرب المثل بها وقيل معناه هو ان الذي يستحيا منه ما يكون قبيحا في نفسه ويكون لفاعله عيب في فعله فاخبر الله تعالى ان ضرب المثل ليس بقبيح ولا عيب حتى يستحيي منه وقيل معناه انه لا يخشى

ان يضرب مثلا كما قال وتخشى الناس والله احق ان تخشاه اى تستحيى الناس والله احق ان تستحييه فالاستحيا بمعنى الخشية هنا كما ان الخشية بمعنى الاستحيا هناك واصل الاستحيا الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح قال على بن عيسى معناه انه ليس فى ضرب المثل بالحقير للتحقير عيب يستحيا منه فكانه قال لا يجل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحيا منه فوضع قوله ان الله لا يستحيى موضعه ما بعوضة فما فوقها اى ما هو اعظم منها عن قتادة وابن جريج وقيل فما فوقها فى الصغر والقلة لان الغرض هنا الصغر قال الربيع بن انس ان البعوضة تحيا ما جاعت فاذا اسمنت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب الله لهم هذا المثل اذا امتلأوا من الدنيا ريا اخذهم الله عند ذلك ثم تلا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وروى عن الصادق عليه السلم انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لان البعوضة على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق فى الفيل مع كبره وزيادة عضوين آخرين فاراد الله سبحانه ان ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقته وعجيب صنعته وقد استشهد على استحسان ضرب المثل بالشيء الحقير فى كلام العرب بقول الفرزدق ه ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل ه وبقوله ايضا وهل شيء يكون اذل بيتا من اليربوع يحتفر الترابا ه قوله فاما الذين امنوا اى صدقوا محمدا والقرآن وقبلوا الاسلام فيعلمون انه الحق من ربهم مدحهم الله تعالى بانهم تدبروا واحتجوا على الله من ربهم وان للمثل وقع فى حقه واما الذين كفروا بالقرآن فيقولون اى فلا عراضهم عن طريق الاستدلال وانكارهم الحق قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اى ماذا اراد بهذا المثل فحذف الالف واللام وقوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فيه وجهان احدهما حكى عن الفراء انه حكاية عن قال ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا اى يضل به قوم ثم قال الله تعالى وما يضل به الا الفاسقين فبين تعالى انه لا يضل الا فاسقا وهذا وجه حسن والاخر ان كلامه تعالى ابتدأ وكلاهما محتمل واذا كان محمولا على هذا فمعنى قوله يضل به كثيرا ان الكفار يكذبون به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه واذا حصل الضلال بسببه اضيف اليه وقوله يهدى به كثيرا يعنى الذين امنوا به وصدقوه وقالوا هذا فى موضعه فلما حصلت الهداية بسببه اضيف اليه فمعنى الاضلال على هذا تشديد الامتحان الذى يكون عنده الضلال وذلك بان ضرب لهم الامثال لان المحنة اذا اشتدت على الممتحن فضل عندها سميت اضلالا واذا سهلت فاهتدى عندها سميت هداية فالمعنى ان الله تعالى يمتحن بهذه الامثال عباده فيضل بها قوم كثير ويهتدى بها قوم كثير ومثله قوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس اى ضلوا عندها وهذا كما يقال للرجل اذا ادخل الفضة النار لينظر فسادها من صلاحها فظهر فسادها افسدت فضتك وهو لم يفعل فيها الفساد وانما يراد ان فسادها ظهر عند محنته وقريب من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولا يريدون انه اراد ان يضل وانما يريدون ضلت منه لا من غيره وقولهم افسدت فلانة فلانا واذهبت عقله وهى ربما لم تعرفه ولكن لما ذهب عقله وفسد من اجلها اضيف الفساد اليها وقد يكون الاضلال بمعنى التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر ومنع الالطاف التى تفعل بالمؤمنين جزاء على ايمانهم وهذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه افسدت سيفك يريد به انك لم تحدث فيه الاصلاح فى كل وقت بالصقل والاحداد وقد يكون الاضلال بمعنى التسمية بالضلال والحكم به كما يقال اضله اذا نسبه الى الضلال واكفره اذا نسبه الى الكفر قال الكميت فطايفة قد اكفرونى بحبكم ه وطايفة قالوا مسيء ومذنب ه وقد يكون الاضلال بمعنى الاهلاك والعذاب والتدمير ومنه قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ومنه قوله تعالى اذا ضللنا فى الارض اى هلكنا وقوله والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم اى لن يبطل سيهديهم ويصلح بالهم فعلى هذا يكون المعنى ان الله تعالى يهلك ويعذب بالكفر به كثيرا بان يضلهم عن الثواب وطريق الجنة بسببه فيهلكوا ويهدى الى الثواب وطريق الجنة بالايمان به كثيرا عن ابى على الجبائي قال ويدل على ذلك قوله وما يضل به الا الفاسقين لانه لا يخلو من ان يكون اراد به العقوبة على التكذيب كما قلناه او يكون اراد به التحيير والتشكيك فان اراد الحيرة متقدمة فقد ذكر انه لا يضل الا الفاسق المتحير الشاك فيجب الا تكون الحيرة المتقدمة التى بها صار فاسقا من فعله الا اذا وجدت حيرة قبلها ايضا وهذا يوجب وجود ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا الى اول او ثبوت اضلال لا اضلال قبله واذا كان ذلك من فعله فقد اضل من لم يكن فاسقا وهو خلاف قوله وما يضل به الا الفاسقين وعلى هذا الوجه فيجوز ان يكون حكم الله عليهم بالكفر وبراءته منهم ولعنته عليهم اهلاكا لهم ويكون اهلاكه اضلالا وكل ما فى القرآن من الاضلال المنسوب الى الله تعالى فهو بمعنى ما ذكرناه من الوجوه ولا يجوز ان يضاف الى الله سبحانه الاضلال الذى اضافه الى الشيطان والى فرعون والسامرى بقوله ولقد اضل منكم جبلا كثيرا وقوله واضل فرعون قومه وقوله واضلهم السامرى وهو ان يكون بمعنى التلبيس والتغليط والتشكيك والايقاع فى الفساد والضلال وغير ذلك مما يؤدى الى التظليم والتجوير على ما يذهب اليه المجبرة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ه فصل فى حقيقة الهداية والهدى

اليربوع دويبة نحو الفارة لكن ذنبه واذناه اطول منها ورجلاه اطول من يديه عكس الزرافة والجمع يرابيع والعامة تقول جربوع بالجيم المصباح المنير

ويهتدى به قوم م

واذ قد ذكرنا اقسام الاضلال وما يجوز اضافته الى الله تعالى منها وما لا يجوز فلنذكر اقسام الهداية التى هى ضده اعلم ان الهداية فى القرآن تقع على وجوه احدها بمعنى الدلالة والارشاد يقال هداه الطريق وللطريق والى الطريق اذا دله عليه وهذا الوجه عام لجميع المكلفين فان الله تعالى هدى كل مكلف الى الحق بان دله عليه وارشده اليه لانه كلفه الوصول اليه فلو لم يدله عليه لكان قد كلفه ما لا يطيق ويدل عليه قوله تعالى ولقد جاءهم من ربهم الهدى وقوله انا هديناه السبيل وقوله انزل فيه القرآن هدى للناس وقوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله وهديناه النجدين وما اشبه ذلك من الآيات وثانيها ان تكون بمعنى زيادة الالطاف التى بها يثبت على الهدى ومنه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى اى شرح صدورهم وثبتهم وثالثها ان يكون بمعنى الاثابة ومنه قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم وقوله والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم والهداية التى تكون بعد قتلهم هى اثابتهم لا محالة لانه ليس بعد الموت تكليف ورابعها الحكم بالهداية كقوله تعالى ومن يهدى الله فهو المهتد وهذه الوجوه الثلثة خاصة بالمؤمنين دون غيرهم لانه تعالى انما يثيب من يستحق الاثابة وهم المؤمنون ويزيدهم بايمانهم وطاعاتهم الطافا ويحكم لهم بالهداية لذلك ايضا وخامسها ان تكون الهداية بمعنى جعل الانسان مهتديا بان يخلق الهداية فيه كما يجعل الشيء متحركا بخلق الحركة فيه والله تعالى يفعل العلوم الضرورية فى القلوب فذلك هداية منه وهذا الوجه ايضا عام لجميع العقلاء فاما الهداية التى كلف الله تعالى العباد فعلها كالايمان به وبانبيائه وغير ذلك فانها من فعل العباد ولذلك يستحقون عليها المدح والثواب وان كان الله سبحانه قد انعم عليهم بدلالتهم على ذلك وارشادهم اليه ودعائهم الى فعله وتكليفهم اياه وامرهم به فهو من هذا الوجه نعمة منه سبحانه عليهم ومنة واصلة اليهم وفضل منه واحسان لديهم فهو سبحانه مشكور على ذلك محمود اذ فعل بتمكينه والطافه وضروب تسهيلاته ومعوناته قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون اية اللغة النقض نقيض الابرام والعهد العقد والعهد الموثق والعهد الالتقاء وهو قريب العهد بكذا وعهد الله وصيته وامره يقال عهد الخليفة الى فلان كذا اى امره واوصاه به ومنه قوله الم اعهد اليكم يا بنى آدم والميثاق هو الذى وقع التوثيق به كما ان الميقات ما وقع التوقيت به ويقال فلان ثقة يستوى فيه الواحد والجمع والذكر والانثى ويقال ثقات فى الرجال والنساء والقطع الفصل بين الشيئين واصل ذلك فى الاجسام ويستعمل ذلك فى الاعراض ايضا تشبيها به يقال قطع الحبل وقطع الكلام والامر هو قول القائل لمن دونه افعل هذه صيغته ثم تصير امرا بارادة الآمر المأمور به وصيغة الامر تستعمل فى الاباحة نحو قوله فاصطادوا وفى التهديد نحو قوله اعملوا ما شئتم وفى التحدى نحو قوله فاتوا بسورة وفى التكوين نحو قوله كن فيكون والاصل فى جميع الطلب والوصل نقيض الفصل وهو الجمع بين الشيئين من غير حاجز والخسران والخسار الهلاك والخاسرون الهالكون واصل الخسران ذهاب راس المال ه الاعراب الذين ينقضون فى موضع النصب لانه صفة للفاسقين واولئك مبتدأ والخاسرون خبره وهم فصل ويجوز ان يكون مبتدأ والخاسرون خبره والجملة خبر اولئك وقوله من بعد ميثاقه من مزيدة وقيل معناه ابتداء الغاية والهاء فى ميثاقه عايد الى العهد ويجوز ان يكون عايدا الى اسم الله وقوله ان يوصل بدل من الهاء التى فى به اى ما امر الله بان يوصل فهو فى موضع جر ه المعنى ثم وصف الله الفاسقين المذكورين فى الآية فقال هم الذين ينقضون عهد الله اى يهدمونه لا يفون به وقيل فى عهد الله وجوه احدها انه ما ركب فى عقولهم من ادلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسله من المعجزات الشاهدة لهم على صدقهم ونقضهم لذلك تركهم الاقرار بما قد ثبت لهم صحته بالادلة وثانيها انه وصية الله الى خلقه على لسان رسوله بما امرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته ونقضهم لذلك تركهم العمل به وثالثها ان المراد به كفار اهل الكتاب وعهد الله الذى نقضوه من بعد ميثاقه هو ما اخذه عليهم فى التورية من اتباع محمد صلى الله عليه واله والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وكتمانهم ذلك عن الناس بعد ان اخذ الله ميثاقهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه وانه ان جاءهم نذير امنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا ونبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا واختار هذا الوجه الطبرى ورابعها انه العهد الذى اخذه عليهم حين اخرجهم من صلب آدم كما وردت به القصة وهذا الوجه ضعيف لانه لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه ولا يكون عليه دليل وقوله ويقطعون ما امر الله به ان يوصل معناه امروا بصلة النبى صلى الله عليه واله والمؤمنين فقطعوهم عن الحسن وقيل امروا بصلة الرحم والقرابة فقطعوها عن قتادة وقيل امروا بالايمان بجميع الانبياء

ان تكون م

كان الوجه الاول م

النقصان م

والكتب ففرقوا وقطعوا ذلك وقيل امروا بان يصلوا القول بالعمل ففرقوا بينهما بان قالوا ولم يعملوا وقيل معناه الامر بوصل كل من امر الله بصلته من اوليائه والقطع والبراءة من اعدائه وهذا اقوى لانه اعم ويدخل فيه الجميع وقوله ويفسدون في الارض قال قوم استدعاؤهم الى الكفر هو الفساد في الارض وقيل اخافتهم السبيل وقطعهم الطريق وقيل نقضهم العهد وقيل اراد كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها والاولى حمله على العموم اولئك هم الخاسرون اى اهلكوا انفسهم فهم بمنزلة من هلك راس ماله وروى عن ابن عباس ان كل ما نسبه الله تعالى من الخسار الى غير المسلمين فانه عنى به الكفر وما نسبه الى المسلمين فانه عنى به الدنياء **قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون** **اية القراءة** قرا يعقوب ترجعون بفتح التاء على ان الفعل لهم والباقون بضم التاء وفتح الجيم على ما لم يسم فاعله **الاعراب** كيف في الاصل سوال عن الحال ويتضح ذلك في الجواب اذا قيل كيف رايت زيدا فيقول مسرورا او مهموما وما اشبه ذلك فيجب بما جاء له فكيف تنتظم جميع الاحوال كما ان كم تنتظم جميع العدد وما تنتظم جميع الجنس واين تنتظم جميع الاماكن ومن تنتظم جميع العقلاء ومعناه في الاية التوبيخ وتقديره امتعلقين بحجة تكفرون فيكون منصوبا للوضع على الحال والعامل فيه تكفرون وقال الزجاج هو استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب انما هو للخلق او للمؤمنين اى اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم ومعنى وكنتم وقد كنتم والواو واو الحال واضمار قد جائز اذا كان في الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم وهي جملة في موضع الحال وانما وجب اظهار قد في مثل هذا التقدير لان الماضي لا يكون حالا وقد انما يكون لتقريب العهد ولتقريب الحال فبدخوله يصح ان يكون الفعل الماضي حالا **المعنى** ثم عاد الله تعالى الى الاحتجاج على الكفار في انكارهم البعث وجحودهم لرسله وكتبه بما انعم به عليهم فقال كيف تكفرون بالله ومن قال هو توبيخ قال معناه ويحكم كيف تكفرون بالله كما يقال كيف تكفر نعمة فلان وقد احسن اليك ومن قال تعجيب قال عجبا منكم على اى حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق من اختصه برسالته وقيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته وشكر نعمته ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم فقال وكنتم امواتا فاحياكم اى وحالكم انكم كنتم امواتا وفيه وجوه احدها انهم كانوا امواتا في اصلاب ابائهم يعني نطفا ثم احياهم الله ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان عن قتادة وثانيها ان معناه لم تكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيمة عن ابن عباس وابن مسعود وثالثها ان معناه كنتم امواتا يعني خاملي الذكر فاحياكم بالظهور ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم للبعث والعرب تسمي كل امر خامل ميتا وكل امر مشهور حيا قال ابو نخيلة السعدي

فاحييت من ذكري وما كان خاملا ... ولكن بعض الذكر انبه من بعض

ورابعها ان معناه كنتم نطفا في اصلاب ابائكم وبطون امهاتكم والنطف موات فاخرجكم الى دار الدنيا احياء ثم يميتكم ثم يحييكم في القبر للمسائلة ثم اليه ترجعون اى يبعثكم يوم الحشر للحساب والمجازاة على الاعمال وسمى الحشر رجوعا الى الله تعالى لانه رجوع الى حيث لا يكون احد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجع امر القوم الى الامير ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة وانما بدا الله تعالى بذكر الحياة من بين ساير النعم التي انعم بها على العبد لانه او انعم بها عليه خلقه اياه حيا لينفعه وبالحياة يتمكن الانسان من الانتفاع والالتذاذ وانما عد الموت من النعم وهو يقطع النعم في الظاهر لان الموت يقطع التكليف فيصل المكلف بعده الى الثواب الدايم فهو من هذا الوجه نعمة وقيل انما ذكر الموت لتمام الاحتجاج لا لكونه نعمة وفي هذه الاية دلالة على انه تعالى لم يرد من عباده الكفر والكفر ولا خلقه فيهم لانه لو اراده منهم او خلقه فيهم لم يجز ان يضيفه اليهم بقوله كيف تكفرون بالله كما لا يجوز ان يقول لهم كيف انتم طوالا او قصارا او ما اشبه ذلك مما هو من فعله تعالى فيهم **قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم** **اية اللغة** اصل الخلق التقدير والجمع الضم ونقيضه الفرق وسميت الجمعة لاجتماع الناس والاستواء الاعتدال والاستقامة ونقيضه الاعوجاج والسبع للمؤنث والسبعة للمذكر والسبع مشتق من ذلك لانه مضاعف القوى كانه ضوعف سبع مرات والعليم في معنى العالم قال سيبويه اذا ارادوا المبالغة عدلوا الى فعيل نحو عليم ورحيم **المعنى** قال المفسرون لما استعظم المشركون امر الاعادة عرفهم انه تعالى خلق السموات والارض ليدلهم بذلك على قدرته على الاعادة فقال هو الذي خلق لكم اى لاجلكم ما في الارض جميعا ما في موضع نصب مفعول به ومعناه ان الارض وجميع ما فيها نعم من الله سبحانه مخلوقة لكم اما دينية فتستدلون بها على معرفته واما دنياوية فتنتفعون بها بضروب النفع عاجلا وقوله ثم استوى الى السماء فيه وجوه احدها ان معناه قصد للسماء وتسويتها كقول القايل كان الامير يدبر امر الشام ثم استوى الى اهل الحجاز اى تحول فعله وتدبيره اليهم وثانيها انه بمعنى استولى على السماء بالقهر كما قال لتستووا على ظهوره اى تقهروه ومنه قوله ولما بلغ اشده واستوى اى تمكن من امره وقهر هواه

بعقله فعلى هذا يكون معناه ثم استوى الى السماء في تفرده بملكها ولم يجعلها كالارض ملكا لخلقه ومنه قول الشاعر

فلما علونا واستوينا عليهم ... تركناهم صرعى لنسر وكاسر

وقال اخر

ثم استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وثالثها ان معناه ثم استوى امره وصعد الى السماء لان اوامره وقضاياه تنزل من السماء الى الارض عن ابن عباس ورابعها ما روي عن احمد بن يحيى ثعلب انه سئل عن معنى الاستواء في صفة الله عز وجل فقال الاستواء الاقبال على الشيء يقال كان فلان مقبلا على فلان ثم استوى علي والي يكلمني على معنى اقبل الي وعلي فهذا معنى قوله ثم استوى الى السماء وقوله فسويهن سبع سموات التسوية جعل الشيئين او الاشياء على استواء يقال سويت الشيئين فاستويا وانما قال فسويهن فجمع الضمير العايد الى السماء لان السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس الدينار والدرهم وقيل السماء جمع سماوة وسماءة ولذلك تؤنث مرة وتذكر اخرى فقيل السماء منفطر به كما يفعل ذلك بالجمع الذي بينه وبين واحده الها نحو نخل ونخلة وبقر وبقرة وقيل ان السموات كانت سماء فوق سماء فهي في التقدير واحدة ويكون الواحدة جماعة كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرمة اعشار وارض اغفال والمعنى ان كل ناحية منها كذلك فجمع على هذا والمعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور ولا امت قال علي بن عيسى ان السموات غير الافلاك لان الافلاك تتحرك وتدور والسموات لا تتحرك ولا تدور لقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وهو قول ضعيف لان قوله ان تزولا معناه لا يزول عن مراكزها التي تدور عليها ولولا امساكه لزالت عنها **سوال** ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء يوجب انه خلق الارض قبل السماء لان ثم للتعقيب والتراخي وقوله في سورة اخرى والارض بعد ذلك دحاها يدل على خلافه فكيف يجمع بينهما **الجواب** معناه ان الله خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحها فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك ودحوها بسطها ومدها عن الحسن وعمرو بن عبيد وقد يجوز ايضا ان لا يكون معنى ثم وبعد في هذه الايات الترتيب في الاوقات وانما هو على جهة تعداد النعم والتنبيه عليها والاذكار بها كما يقول القايل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت بك وفعلت وربما يكون بعض ما ذكره متقدما في اللفظ كان متاخرا لان المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل وانما المراد التذكير كما قلناه وقوله وهو بكل شيء عليم ولم يقل قدير لانه لما وصف نفسه بالقدرة والاستيلاء وصل ذلك بالعلم اذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاتقان والاحكام وايضا فانه سبحانه اراد ان يبين انه عالم بما يؤل اليه حاله وحال المنعم به عليه فيتحقق بذلك النعم وفي هذه الاية دلالة على ان صانع السماء والارض قادر عالم وانه تعالى انما يفعل الفعل لغرض وان له تعالى على الكفار نعما يجب شكره بها عليهم وفيها ايضا دلالة على ان الاصل في الاشياء الاباحة لانه ذكر انه خلق ما في الارض لمنفعة العباد ثم صار حظا لكل واحد منهم فما ينفرد كل منهم بالتصرف فيه يحتاج الى دليل **قوله تعالى واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون** **اية اللغة** القول موضوع في كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو والرب السيد يقال رب الدار ورب الفرس ولا يقال الرب بالالف واللام الا لله تعالى واصله من ربيته اذا اقمت بامره ومنه قيل للعالم رباني لانه يقوم بامر الامة والملئكة جمع ملك واختلف في اشتقاقه فذهب اكثر العلماء الى انه من الالوكة وهي الرسالة وقال الخليل الالوك الرسالة وهي المالكة على مفعلة وقال غيره انما سميت الرسالة الوكا لانها تولك في الفم اى تمضغ والفرس يالك اللجام ويعلك قال عدي بن زيد

ابلغ النعمان عني مالكا ... انه قد طال حبسي وانتظاري

ويروى مالكا وقال لبيد

وغلام ارسلته امه بالوك ... فبذلنا ما سال

وقال الهذلي

الكني اليها وخير الرسو ... ل اعلمهم بنواحي الخبر

فالملائكة على هذا وزنها معافلة لانها مقلوبة جمع ملاك في معنى مالك قال الشاعر

فلست لانسي ولكن لملاك ... تنزل من جو السماء يصوب

ووزن ملاك معفل مقلوب مالك مفعل ومن العرب من يستعمله مهموزا والجمهور منهم على القاء حركة الهمزة على اللام وحذفها فيقال ملك وذهب ابو عبيدة الى ان اصله من لاك اذا ارسل فملاك على هذا القول مفعل وملائكة مفاعلة غير مقلوبة والميم في هذين الوجهين زايدة وذهب ابن كيسان الى انه من الملك وان وزن ملاك فعال مثل شمال وملئكة فعايلة فالميم على هذا القول اصلية والهمزة زايدة والملك وان كان اصله الرسالة فقد صار صفة غالبة على صنف من رسل الله غير البشر كما ان السماء وان كان اصله الارتفاع فقد صار غالبا على السموات المعروفة وقال اصحابنا رضي الله عنهم ان جميع الملائكة ليسوا برسل الله بدلالة قوله تعالى الله يصطفي من الملئكة رسلا ومن الناس فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك اسم جنس ولا يكون من الرسالة والجعل والخلق والفعل والاحداث نظاير الا ان الجعل يتعلق بالشيء لا على سبيل الاحداث بخلاف الفعل والاحداث بقولهم جعله متحركا وحقيقة الجعل تغيير الشيء عما كان عليه وحقيقة الفعل والاحداث الايجاد والخليفة والامام واحد في الاستعمال الا ان بينهما فرقا فالخليفة من

استخلف في الامر مكان من كان قبله فهو ماخوذ من انه خلف غيره وقام مقامه والامام ماخوذ من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضي وجوب الاقتداء به وفرض
طاعته فيما تقدم فيه والسفك صب الدم والدم قد اختلف في وزنه فقال بعضهم دمي على وزن فعل قال الشاعر فلو انا على حجر ذبحنا جرى الدميان
بالخبر اليقين وقيل اصله دمي على فعل والشاعر لما رد اليا في التثنية لعلة الاسم حركه ليعلم انه كان متحركا قبل ذلك والتسبيح التنزيه لله تعالى عن السوء
وعما لا يليق به والسبوح المستحق للتنزيه والتعظيم والقدوس المستحق للتطهير والتقديس التطهير ونقيضه التنجيس والقدس السطل الذي يتطهر منه وقد
حكى سيبويه ان منهم من يقول سبوح قدوس بالفتح والضم اكثر في الكلام والفتح اقيس لانه ليس في الكلام فعول الا ذروح وسبحان اسم المصدر قال سيبويه سبحان الله
معناه براءة الله من كل سوء وتنزيه الله قال الاعشى اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر اي براءة منه قال وهو معرفة علم خاص لا ينصرف
للتعريف والزيادة وقد اضطر الشاعر فنونه قال امية سبحانه ثم سبحانا نعوذ له وقبله سبح الجودي والجمد وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب ولا يجوز
ان يسبح غير الله وان كان منزها لانه صار علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه كما ان العبادة هي غاية في الشكر لا يستحقها سواه الاعراب
قال ابو عبيدة اذ ههنا زائدة وانكر الزجاج وغيره عليه هذا القول وقالوا ان الحرف اذا افاد معنى صحيحا لم يجز الغاؤه قال الزجاج ومعناها الوقت
ولما ذكر الله خلق الناس وغيرهم فكانه قال ابتداء خلقكم اذ قال ربك للملئكة وقال علي بن عيسى تقديره اذكر اذ قال ربك فموضع اذ نصب على اضمار
فعل والواو عاطفة جملة على جملة واني جاعل في الارض خليفة جملة في موضع نصب بقال وقوله اتجعل فيها الى قوله ونقدس لك في موضع نصب بقالوا
والواو في قوله ونحن واو الحال ويسمى واو القطع وواو الاستيناف وواو الابتداء وواو اذ كذا كان يمثلها سيبويه ومثله الواو في قوله يغشى طائفة منكم
وطائفة قد اهمتهم انفسهم اي اذ طائفة وكذا ههنا اذ نحن نسبح والعامل في الحال ههنا اتجعل كانه قال اتجعل فيها من يفسد فيها وهذه حالنا و
في بحمدك يتعلق بنسبح واللام من لك يتعلق بنقدس وما موصول وصلته لا تعلمون والعائد ضمير المفعول حذف لطول الكلام اي لا تعلمونه وهو في موضع
نصب باعلم المعنى اذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة قيل انه خطاب لجميع الملائكة وقيل خطاب لمن اسكنه الارض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس
اني جاعل في الارض خليفة اي خالق في الارض خليفة اراد بالخليفة ادم عليه السلم فهو خليفة الله في الارض يحكم بالحق الا انه تعالى كان اعلم الملائكة انه يكون
من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس وابن مسعود وقيل انما سمى الله تعالى ادم خليفة لانه جعل ادم وذريته خلفاء للملائكة لان الملائكة من سكان
الارض وقيل كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل ادم وذريته بدلهم عن ابن عباس وقيل عني بالخليفة ولد ادم يخلف بعضهم
بعضا وهم خلفوا اباهم ادم في اقامة الحق وعمارة الارض عن الحسن البصري وقيل اراد بالارض مكة لان النبي صلى الله عليه واله قال دحيت الارض من
مكة ولذلك سميت ام القرى وروي ان قبر نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام والظاهر انه الارض المعروفة وهو الصحيح وقوله
قالوا يعني الملائكة لله تعالى اتجعل فيها اي في الارض من يفسد فيها بالكفر والمعاصي ويسفك الدماء بغير حق وذكر فيه وجوه احدها ان خلقا يقال
لهم الجان كانوا في الارض فافسدوا فيها فبعث الله ملائكة اجلتهم من الارض وكان هؤلاء الملائكة سكان الارض بعدهم فقالوا يا ربنا اتجعل فيها
من يفسد فيها كما فعل بنو الجان قاسوا بالشاهد على الغائب هو قول كثير من المفسرين وثانيها ان الملائكة انما قالت ذلك على سبيل الاستفهام وعلى
وجه الاستخبار والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على وجه الانكار ولا على سبيل الاخبار فكانهم قالوا يا الله ان كان هذا كما ظننا فعرفنا ما وجه
الحكمة فيه وثالثها ان الله تعالى اخبر الملائكة بانه سيكون من ذرية هذا الخليفة من يعصي ويسفك الدماء على ما روي عن ابن عباس وابن مسعود
والغرض في اعلامه اياهم ان يزيدهم يقينا على علمه بالغيب لانه وجد بعد ذلك على ما اخبرهم به وقيل ليعلم ادم انه خلق للارض لا للجنة فقالت الملائكة اتجعل
فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما في هذا التدبير من الاستفادة لوجه الحكمة فيه وهذا الوجه يقتضي ان يكون في اول الكلام حذف ويكون التقدير
اني جاعل في الارض خليفة واني عالم بانه سيكون في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فحذف اختصارا وكذلك قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك في ضمنه اختصار شديد اي فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر اولى بالخلافة في الارض لانا نطيع وغيرنا يعصي وفي قوله
اني اعلم ما لا تعلمون اختصار ايضا لانه يتضمن من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الامور ومثل هذا الحذف في
الاختصارات البديعة كثير في القران والحذف معدود في انواع الفصاحة اذا كان فيما ابقي دليل على ما القي ومما جاء منه في الشعر قول الشنفرى لا تقبروني
ان قبري محرم عليكم ولكن خامري ام عامر اي لا تدفنوني بل دعوني تاكلني التي يقال لها خامري ام عامر يعني الضبع وقول ابي داود بن شيمق
تلادي دون عرضي فان رضيت فكوني اي فكوني على ما اتت عليه وان سخطت فبيني فحذف وقال عنترة هل تبلغني دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب

مصرم اي دعي عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها على السير وانما ارادت الملئكة بقولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها ولد ادم الذين ليسوا بانبياء ولا معصومين لا ادم نفسه ومن جرى مجراه من الانبياء والمعصومين ومعنى قولهم ونحن نسبح
بحمدك نتكلم بالحمد لك والنطق بالحمد لله تسبيح له كقوله تعالى والملئكة يسبحون بحمد ربهم وانما يكون حمد الحامد لله سبحانه تسبيحا لان معنى الحمد لله
الثناء عليه والشكر له وهذا تنزيه له واعتراف بانه اهل لان ينزه ويعظم ويثنى عليه عن مجاهد وقيل معنى نسبح بحمدك نصلي لك كقوله فلولا
انه كان من المسبحين اي من المصلين عن ابن عباس وابن مسعود وقيل هو رفع الصوت بذكر الله عن المفضل ومنه قول جرير قبح الاله وجوه
تغلب كلما سبح الحجيج وكبروا اهلالا وقوله ونقدس لك اي ننزهك عما لا يليق بك من صفات النقص ولا نضيف اليك القبائح فاللام على هذا
زائدة اي نقدسك وقيل نقدس لك اي نصلي لاجلك وقيل نطهر انفسنا من الخطايا والمعاصي قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل اراد ما اضمره ابليس
من الكبر والعجب والمعصية لما امره الله سبحانه بالسجود لادم عن ابن عباس وابن مسعود وقيل اراد اعلم من في ذرية ادم من الانبياء والصالحين
عن قتادة وقيل اراد به ما اختص تعالى بعلمه من تدبير المصالح وروي عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان الملئكة سالت الله تعالى ان يجعل الخليفة منهم
وقالوا نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا قال فلما اجيبوا بما ذكر في القران علموا انهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله
تعالى ادم بعد هبوطه ان يبني له في الارض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملئكة المقربون فقال الله تعالى للملئكة اني اعرف بالمصلحة منكم
وهو معنى قوله اعلم ما لا تعلمون وهذا يدل على انه تعالى لا يفعل القبيح لانه لو كان يحسن منه كل شيء لم يكن لهذا الكلام معنى لانه انما يفيد في الجواب
متى حمل على انه اراد اني اعلم بالمصالح فافعل ما هو الاصلح النظم واتصال هذه الاية بما قبلها ان الله تعالى ذكر اول النعم علينا وهي نعمة الحيوة
ثم ذكر بعده انعامه علينا بخلق الارض وما فيها وبخلق السماء ثم اراد ان يذكر نعمته علينا بخلق ابينا ادم عليه السلم وما اعطاه من الفضيلة فكانه
قال اذكر لهم كيف تكفرون بالله وقد فعل بكم كذا وكذا وانعم عليكم بكذا وكذا ه قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على
الملئكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اية القراءة قرا اهل المدينة والبصرة هؤلاء بمدة واحدة ولا يمدون ها
الا على قدر خروج الالف ويمدون اولا كانهم يجعلونه كلمتين والباقون يمدون مدتين في كل القران فاما الهمزتان من كلمتين نحو هؤلاء
ان كنتم ونحوها فابو جعفر ونافع برواية ورش وابن كثير برواية القواس ويعقوب يهمزون الاولى ويخففون الثانية ويشيرون بالكسر
اليها وكذلك يفعلون في كل همزتين متفقتين تلتقيان من كلمتين مكسورتين كانتا او مضمومتين او مفتوحتين فالمكسورتان على البغاء ان اردن
والمضمومتان اولياء اولئك ليس في القران غيره والمفتوحتان جاء احدكم واذا شاء انشره وابو عمرو والبزي بهمزة واحدة في كان احدهما اصلا
اذا كانتا متفقتين ونافع برواية اسمعيل وابن كثير برواية ابن فليح بتليين الاولى وتحقيق الثانية واذا اختلفتا فاتفقوا على همز الاولى
وتليين الثانية نحو السفهاء الا والبغضاء الى يوم القيمة واما ابن عامر وعاصم والكسائي فانهم يهمزون همزتين في جميع ذلك متفقتين كانتا
او مختلفتين اما الحذف والتليين فللتخفيف واما الهمز فللحمل على الاصل اللغة في اشتقاق ادم قولان احدهما انه ماخوذ من اديم الارض
فاذا سمي به في هذا الوجه ثم نكر انصرف والثاني انه ماخوذ من الادمة على معنى اللون والصفة فاذا سمي به في هذا الوجه ثم نكر لم
ينصرف والادمة والسمرة والدكنة والورقة متقاربة المعنى وادم ابو البشر عليه السلم قال صاحب العين الادمة في الناس شربة من
سواد وهي السمرة وفي الابل والظباء بياض وكل لفظ عموم على وجه الاستيعاب وحقيقته الاحاطة بالابعاض يقال كل القوم جاءك ام كلهم و
يكون تاكيدا مثل اجمعون الا انه يبتدا به ولا يبتدا باجمعين لان كلا قد يلي العوامل واجمعون لا يكون الا تابعا والعرض من قولهم
عرضت الشيء عليه وعرضت الجند قال الزجاج اصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل ما يمدح به او يذم
ويقال عرضه خليقته المحمودة ويقال عرضه حسبه وقال علي بن عيسى يكون ناحيته التي يصونها عن المكروه والسب والعرض ما يعرض في الجسم ويعتبر
صفته ويقال عرضت المتاع على البيع عرضا اي اظهرته حتى عرفت جهته الانباء الاخبار واحدها النبا الخبر ويقال منه انباته ونباته وانبئوني باسماء
هؤلاء اي اخبروني بها واما المتعدي الى ثلثة مفعولين نحو انبات زيدا عمرا خير الناس وكذلك نبات فهو في الاصل الا انه حمل على المعنى فعدي
الى ثلثة مفعولين لان الانباء بمعنى الاعلام ودخول هذا المعنى فيه وحصول مشابهته للاعلام لم يخرجه عن الاصل الذي هو له من الاخبار وعن ان
يتعدى الى المفعولين احدهما بالباء او بعن نحو نبئهم عن ضيف ابرهيم والنبوة اذا اخذت من الانباء فهي مهموزة وقد روي عن النبي صلى الله عليه واله

قال الاعرابي يا نبئ الله ... انكره عليه فقال لا تنبز باسمي فانما انا نبي الله

انه قال لا تنبز باسمي لرجل قال له يا نبئ الله مهموزا والنبي بغير همز الطريق الواضح يأخذ بك الى حيث تريد والفرق بين الاعلام والاخبار ان الاعلام قد
يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الادلة على الشيء والاخبار هو اظهار الخبر علم به او لم يعلم
ولا يكون مخبرا بما يحدث من العلم في القلب كما يكون معلما بذلك المعنى ثم ابان الله سبحانه وتعالى للملائكة فضل ادم عليهم وعلى جميع خلقه بما خصه به
من العلم فقال سبحانه وعلم ادم الاسماء كلها اي علمه معاني الاسماء اذ الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لاشارة الفضيلة بها وقد نبه الله تعالى
الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فاقر عنده ما سئلوا عن ذكرها والاخبار عنها انه لا علم لهم بها فقال الله تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم عن قتادة وقيل انه
سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعمارة الارضين والاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار ومنافعها وجميع ما يتعلق بعمارة الدين
والدنيا عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن اكثر المتأخرين وقيل انه علمه اسماء الاشياء كلها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللغات التي يتكلم بها ولده بعده
عن ابي علي الجبائي وعلي بن عيسى وغيرهما قالوا فاخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان الفوه واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف
ذلك فنسوه ويجوز ان يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح عليه السلام فلما اهلك الله الناس الا نوحا ومن تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللغات
فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواها ونسوه وروي عن الصادق عليه السلام انه سئل عن هذه الاية فقال الارضين والجبال
والشعاب والاودية ثم نظر الى بساط تحته فقال وهذا البساط مما علمه اسماء الملائكة واسماء ذريته عن الربيع وقيل انه علمه القاب الاشياء ومعانيها وخواصها
وهو ان الفرس يصلح لماذا والحمار يصلح لماذا وهذا ابلغ لان معاني الاشياء وخواصها لا تتغير بتغير الازمنة والاوقات والقاب الاشياء تتغير على
الازمنة وقال بعضهم انه تعالى لم يعلمه اللغة العربية فان اول من تكلم بالعربية اسمعيل عليه السلام وقالوا ان الله تعالى جعل الكلام معجزة لثلثة من الانبياء ادم
واسمعيل ومحمد صلى الله عليه وآله ثم اختلف في كيفية تعليم الله تعالى ادم الاسماء فقيل علمه بان اودع قلبه معرفة الاسماء وفتق لسانه بها فكان يتكلم
بتلك الاسماء كلها وكان ذلك معجزة له لكونه ناقضا للعادة وقيل علمه اياها بان اضطره الى العلم بها وقيل علمه لغة الملائكة ثم علمه بتلك اللغة سائر اللغات
وقيل انما علمه الاسماء الاشخاص بان احضر تلك الاشياء وعلمه اسماءها في كل لغة وانه لاي شيء يصلح واي نفع فيه واي ضرر وقوله تعالى ثم عرضهم على
الملائكة روي عن ابن عباس انه قال عرض الخلق وعن مجاهد قال عرض اصحاب الاسماء وعلى هذا فيكون معناه ثم عرض المسميات على الملائكة وفيهم من يعقل
وفيهم من لا يعقل فقال عرضهم تغليبا للعقلاء فاجرى على الجميع كناية من يعقل كقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على اربع
اجرى عليهم كناية من يعقل وفي قراءة ابي ثم عرضها وفي قراءة ابن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح ان يكون عبارة عن الاسماء دون
المسميات واختلف في كيفية العرض على الملائكة فقيل انما عرضها على الملائكة بان خلق معاني الاسماء التي علمها ادم حتى شاهدتها الملائكة وقيل صور في قلوبهم
هذه الاشياء فصارت كانهم شاهدوها وقيل عرض عليهم من كل جنس واحدا واراد بذلك تعجيزهم فان الانسان اذا قيل له ما اسم شيء صفته كذا وكذا
فلم يعلم كان ابلغ عذرا ممن عرض عليه شيء بعينه وسئل عن اسمه فلم يعرفه وبين بذلك ان ادم عليه السلام اصلح لخلافة الارض وعمارتها لاهتدائه الى ما
لا تهتدي الملائكة اليه من الصناعات المختلفة وحرث الارض وزرعها وانباط المياه واستخراج الجواهر من المعادن وقعر البحار بلطائف الحكمة وهذا يقوي قول
من قال انه علمه خواص الاشياء واراد به انكم اذا عجزتم عن معرفة هذه الاشياء مع مشاهدتكم لها فانتم عن معرفة الامور المغيبة عنكم اعجز فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان
كنتم صادقين ان سئل فقيل ما الذي ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا او كيف امرهم الله سبحانه ان يخبروا بما لا يعلمون فالجواب ان للعلماء فيه وجوها من
الكلام احدها ان الله تعالى لما اخبر الملائكة بانه جاعل في الارض خليفة هجس في نفوسها انه ان كان الخليفة منهم بدلا من ادم وذريته لم يكن في الارض فساد
ولا سفك دم كما يكون في ولد ادم وان كان الله لا يفعل الا ما هو الاصلح في التدبير والاصوب في الحكم فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين
فيما ظننتم من هذا المعنى ليدلهم على انهم اذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من ان يعلموا باطن ما غاب عنهم ابعد وثانيها انه خطر ببالهم انه لن يخلق الله
خلقا الا وهم اعلم منه وافضل في سائر انواع العلم فقيل ان كنتم صادقين في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء وثالثها ان المراد ان كنتم صادقين
في انكم تعلمون لم اجعل في الارض خليفة فانبئوني باسماء هؤلاء لان كل واحد من الامرين من علم الغيب فكما لم تعلموا احدهما لا تعلمون الاخر عن
ابن عباس ورابعها ما قاله الاخفش والجبائي وعلي بن عيسى وهو ان المراد ان كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم فاخبروا به وهكذا قول
القائل لغيره اخبر بما في يدي ان كنت صادقا اي ان كنت تعلم فاخبر به لانه لا يمكنه ان يصدق في مثل ذلك الا اذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف
ذلك الا مع العلم به ولا بد اذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من ان يشترط هذا الشرط وعلى هذا فيكون لفظه الامر ومعناه التنبيه او يكون

مجاهد

ومنهم من يمشي على رجلين

امرا

امر تسخير وتعجيز كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا وهو يعلم انه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه ولو قال له اخبرني بذلك ان كنت تعلم او ان
كنت صادقا لكان حسنا فاذا تنبه على انه لا يمكنه الجواب اجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدريج اثبت في قلبه واوقع في نفسه ولا يجوز ان يكون ذلك
تكليفا لم يكن تبيينا لهم ان ادم يعرف اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه وتخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه هم فلما اراد تعريفهم ما خص به ادم من ذلك علمنا
انه ليس بتكليف وفي هذه الاية دلالة على شرف العلم واهله من حيث ان الله سبحانه لما اراد تشريف ادم عليه السلام اختصه بعلم ابانه به من غيره وفضله
على من سواه قوله عز وجل قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم اية اللغة الحكمة نقيض السفه والاحكام الاتقان
والحكيم المانع من الفساد ومنه حكمة اللجام لانها تمنع الفرس من الجري الشديد قال جرير ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا اي
امنعوهم والحكمة هي التي تقف بك على مر الحق الذي لا يخلطه باطل والصدق الذي لا يشوبه كذب ومنه قوله حكمة بالغة ورجل حكيم اذا كان ذلك شأنه
وكانت معرفته من العلم والمعرفة ويقال حكم حكيم في الحكم بين الناس وحكم يحكم اذا صار حكيما والحكمة في الانسان هي العلم الذي تمنع صاحبه من الجهل
الاعراب سبحانك نصب على المصدر قال سيبويه يقال سبحت الله تسبيحا وسبحانا فالمصدر تسبيح وسبحان اسم يقوم مقام المصدر واللام من قوله لنا
يتعلق بمحذوف فيكون جملة ظرفية في موضع رفع بالخبر لان لا علم في موضع رفع بالابتداء وما علمتنا موصول وصلته والضمير من علمتنا العائد
اليه محذوف تقديره ما علمتناه وهو في موضع رفع بدل من موضع لا علم وانت يجوز ان يكون فصلا فيكون لا موضع له من الاعراب وخبر ان العليم
الحكيم ويجوز ان يكون مبتدأ والجملة خبر ان المعنى ثم اخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع اليه والتسليم لامره فقال قالوا اي الملائكة سبحانك اي
تنزيها لك وتعظيما عن ان يعلم الغيب احد سواك عن ابن عباس وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك في حكمك وقيل انهم ارادوا ان يخرجوا
الجواب مخرج التعظيم وقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح وان كنا لا نعلم وجه الحكمة في افعالك وقيل انه على وجه التعجب لسؤالهم عما لا يعلمونه وقوله لا علم
لنا الا ما علمتنا معناه لا نعلم الا بتعليمك وليس هذا فيما علمتنا ولو انهم اقتصروا على قولهم لا علم لنا لكان كافيا في الجواب لكن ارادوا ان يضيفوا
الى ذلك التعظيم له والاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم وان جميع ما يعلمونه انما يعلمونه من جهته وان هذا ليس من جملة ذلك وانما سالهم سبحانه عما علم
انهم لا يعلمونه ليقررهم على انهم لا يعلمون الا ما علمهم الله وليرفع به درجة ادم عليه السلام عندهم بانه علمه ما لا يعلمونه وقوله انك انت العليم اي العالم
بجميع المعلومات لانه من صفات ذاته وهو مبالغة العالم وقيل انهم اثبتوا له ما نفوه عن انفسهم اي انت العالم من غير تعليم ونحن المعلمون وقوله
الحكيم يحتمل امرين احدهما انه بمعنى العالم بالشيء يسمى بانه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم ويوصف بهما فيما لم يزل لان ذلك
واجب في العالم لنفسه والثاني انه بمعنى المحكم لافعاله ويكون فعيلا بمعنى مفعل وعلى هذا يكون من صفات الافعال ومعناه ان افعاله
كلها حكمة وصواب وليس فيها تفاوت ولا وجه من وجوه القبح وعلى هذا فلا يوصف بذلك فيما لم يزل وروي عن ابن عباس انه قال العليم
الذي كمل في علمه والحكيم الذي كمل في حكمته وفي هذه الاية دلالة على ان العلوم كلها من جهته تعالى وانما كان كذلك لان العلوم لا تخلو
اما ان يكون ضرورية فهو الذي فعلها واما ان تكون استدلالية فهو الذي اقام الادلة عليها فلا علم لاحد الا ما علمه الله تعالى
قوله عز وجل قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون اية القراءة روي عن ابن عامر انبئهم بالهمز وكسر الهاء والباقون بضم الهاء الحجة من ضم الهاء حملها على الاصل لان الاصل
ان تكون هاء الضمير مضمومة وانما تكسر الهاء اذا وليها كسرة او ياء نحو بهم وعليهم ومع هذا فقد ضم قوم حملا على الاصل ومن كسر الهاء
التي قبلها همزة مخففة فان لذلك وجها من القياس وهو انه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها ولم يعتد بالحاجز الساكن كما حكي عنهم هذا
المرء ورايت المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل كما اتبعوا في اللغة الاخرى هذا امرؤ ورايت امرأ ومررت بامرئ وحكى ابو زيد عن بعض
العرب اخذت هذا منه ومنها ومنهي فكسر المضمر في الادراج والوقف ولم اعرفه ولم اضربه اللغة الابداء والاظهار والاعلان بمعنى واحد
ضد الابداء الكتمان وضد الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار ويقال بدا يبدو بدوا من الظهور وبدا يبدأ بدءا بالهمز بمعنى نشأ
وقال علي بن عيسى حد الظهور الحصول على حقيقة يمكن ان تعلم بسهولة والله سبحانه ظاهر بادلته باطن عن احساس خلقه وكل مستدل لا فانما
هو ليظهر شيء بظهور غيره الاعراب ادم منادى مفرد معرفة مبني على الضم ومحله النصب لان المنادى مدعو والمدعو مفعول المعنى
ثم خاطب الله تعالى ادم فقال يا ادم انبئهم اي اخبر الملائكة باسمائهم يعني باسماء الذين عرضهم عليهم وهم كناية عن المرادين بقوله اسماء هؤلاء وقد

لانه لو كان تكليفا لم

لان العالم

معنى بيانه فلما انباهم يعني اخبرهم ادم باسمائهم اي باسم كل شيء ومنافعه ومضاره قال الله تعالى للملائكة الم اقل لكم الالف للتنبيه وان كان اصلها الاستفهام
كقول القايل اما ترى اليوم ما اطيبه لمن يعلم ذلك وحكى سيبويه اما ترى اي برق ههنا ومن الناس من قال ان هذه الالف معناها التوبيخ ومن لم يجز
على الملائكة المعصية منع من ذلك اني اعلم غيب السموات والارض اي اعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما اعلم ما حضركم فشاهدتموه واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون قيل فيه اقوال احدها انه اراد اعلم سركم وعلانيتكم وذكر ذلك تنبيها لهم على ما يحلهم عليه من الاستدلال لان الاصول لا ولي
التي يستدل بها انما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها فيستدل بعلمه الغيب على انه خلق عباده على ما خلقهم عليه للاستصلاح في التكليف وما توجبه
الحكمة وثانيها انه اراد اعلم ما تبدون من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون من اضمار ابليس المعصية والمخالفة قال علي بن عيسى وهذا ليس
بالوجه لان الخطاب للملائكة وليس ابليس منهم ولانه عام فلا يخص الا بدليل وجوابه ان ابليس لما دخل معهم في الامر بالسجود جاز ان يذكر في جملتهم وقد
رويت روايات تؤيد هذا القول واختاره الطبري وثالثها ان الله تعالى لما خلق ادم مرت به الملائكة قبل ان ينفخ فيه الروح ولم يكن رات مثله
فقالوا لن يخلق الله خلقا الا كنا اكرم منه وافضل عنده فهذا ما اخفوه وكتموه واما ما ابدوه فقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وروي ذلك عن الحسن
والاول اقوى لانه اعم ومما سال في هذه الاية ان يقال ما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب والجواب انه على معنى الجواب فيما سالوا عنه من
خلق من يفسد ويسفك الدماء على وجه التعريض دون التصريح لانه لو صرح بذلك لقال خلقت من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم في ذلك من المصلحة
لعبادي فيما كلفتهم اياه فدل سبحانه بالاحالة في الجواب على العلم بباطن الامور وظاهرها انه خلقهم لاجل علمه بالمصلحة في ذلك ودلهم بذلك على ان
عليهم الرضا بامر الله والتسليم لقضاء الله لانه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه ويعلم من مصالحهم في دينهم ودنياهم ما لا يطلعون عليه فان قيل فاي
شيء في تعليم الله تعالى لادم الاسماء كلها مما يدل على علم بالغيب فالجواب انه تعالى علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على جهة فتق لسانه بذلك
والهامه اياها فهي معجزة اقامها الله للملائكة تدل على نبوته وجلالة قدره وارتفاع شانه بما اختصه به من العلم الذي لا يوصل اليه الا بتعليم الله عز وجل
ودلهم على ذلك بان قررهم اولا فاقروا ان لا علم لهم به ثم اظهر لهم ان ادم يعلمه بتعليم الله اياه فبان بذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه
الا من علام الغيوب وقيل من المعجزة انه فتق لسانه على خلاف مجرى العادة وانه علمه من لطايف الحكمة فيه ما لا يعلمه الملائكة مع كثرة علومها وانما ابين
للخلق به ما فيه فوائد لهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكدا لما يعلمونه من ذلك بالادلة العقلية ولذلك نبههم فقال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
اي قد دللتكم على ذلك قبل وهذه دلالة بعد وقد افتتح الله تعالى الدلالة على الاعجاز بالكلام في ادم ثم ختم به في محمد صلى الله عليه واله وقال السيد
المرتضى قدس الله روحه وفي هذه الاية سؤال لم اجد احدا من مفسري القران تعرض له وذلك ان يقال من اين علمت الملائكة صحة قول ادم ومطابقة
الاسماء المسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل والكلام يقتضي انهم لما انباهم ادم بالاسماء علموا صحتها ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى الم اقل لكم اني اعلم
غيب السموات والارض معنى ولا كانوا ايضا مستفيدين بنبوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم والجواب انه غير ممتنع ان
يكون الله تعالى فعل لهم العلم الضروري بصحة الاسماء ومطابقتها للمسميات اما عن طريق او ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تميزه واختصاصه وليس
في علمهم بصحة ما اخبر به ضرورة ما يقتضي العلم بنبوته ضرورة بل بعد درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل العلم بنبوته وجه
اخر وهو انه لا يمتنع ان يكون للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف اسماء الاجناس في لغته دون لغة غيره الا انه يكون احاطة عالم واحد
باسماء الاجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما اراد الله تعالى التنبيه على نبوة ادم علمه جميع تلك الاسماء فلما اخبرهم بها علم كل فريق مطابقة
ما اخبر به من الاسماء للغته وعلم مطابقة ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل وعلى هذا الجواب فيكون معنى انبئوني باسماء هؤلاء ليخبرني كل قبيل
منكم بجميع الاسماء وهذان الجوابان مبنيان على انه لم يتقدم لهم العلم بنبوة ادم وان اخباره بالاسماء كان مفتتح معجزاته لانه لو كان نبيا
قبل ذلك وكانوا قد علموا نبوته بمعجزات تقدم ظهورها على يده لم يحتج الى هذين الجوابين لانهم يعلمون مطابقة الاسماء للمسميات بعد ان لم
يعلموا بقوله الذي علموا انه حق وصدق قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
وكان من الكافرين اية القراءة قرا ابو جعفر وحده للملائكة اسجدوا بضم التاء حيث وقع وكذلك رب احكم بضم الباء الحجة شبه
التاء بضمة الجيم وقيل انه نقلت ضمة الهمزة لو ابتدى بها والاول اقوى لان الهمزة تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل اللغة السجود الخضوع
والتذلل في اللغة وهو في الشرع عبارة عن عمل مخصوص في الصلوة كالركوع والقنوت وغيرهما وهو وضع الجبهة على الارض ويقال سجد

اسجد اذا اخضع قال الاعشى من يرهوده يسجد غير متاب اذا تعمم فوق الرش او خضعا وقال اخر وكلتاهما خرت واسجد راسها كما سجدت نصرانة
لم تحنف ويقال سجد اذا اكثر فاترات الاعين قال ولهو عن الحور المدامع سجد والاسجاد الاطراق وادامة النظر في فتور وسكون قال اغرك
مني ان دلك عندنا واسجاد عينيك الصيودين دائج والابى معناه ترك الطاعة وامتنع والاباء والترك والامتناع بمعنى ونقيض اباء اجاب
ورجل ابي من قوم اباة وليس الاباء بمعنى الكراهة لان العرب تتمدح بانها تابى الضيم ولا مدح في كراهية الضيم وانما المدح في الامتناع منه كقوله
تعالى ويابى الله الا ان يتم نوره اي يمنع الكافرين اطفاء نوره والاستكبار والتكبر والتعظم والتجبر نظاير وضده التواضع وحقيقة الا
الانفة مما لا ينبغي ان يونف منه وقيل حده الرفع الى منزلة لا يستحقها فاصل الباب الكبر وهو العظم ويقال على وجهين كبر الجثة وكبر الشان
والله سبحانه الكبير من كبر الشان وذلك يرجع الى سعة مقدوراته ومعلوماته فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع اجناس المقدورات والعالم
بجميع المعلومات وابليس اسم اعجمي لا ينصرف في المعرفة للتعريف والعجمة قال الزجاج وغيره من النحويين هو اسم اعجمي معرب واستدلوا على ذلك بامتناع صرفه
وذهب قوم الى انه عربي مشتق من الابلاس وزنه افعيل وانشدوا للعجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه وابلسا وزعموا انه
لم يصرف استثقالا له من حيث انه اسم لا نظير له في اسماء العرب فشبهته العرب باسماء العجم التي لا تنصرف وزعموا ان اسحق من اسحقه الله اسحاقا
وايوب من اب يؤوب وادريس من الدرس في اشباه ذلك وغلطوا في جميع ذلك لان هذه الالفاظ معربة وافقت الفاظ العربية وكان ابو بكر
السراج يمثل ذلك على جهة التبعيد بمن زعم ان الطير ولد الحوت وغلطوا ايضا في انه لا نظير له في اسماء العرب لانهم يقولون ازميل للشفرة واغريض
للطلع واحريض لصبغ احمر ويقال هو العصفر وسيف اصليت ماض كثير الماء وثوب اضريج مشبع الصبغ وقالوا هو العصفر خاصة ومثل هذا كثير
وسبيل ابليس سبيل انجيل في انه معرب غير مشتق الاعراب قوله واذ في موضع نصب لانها معطوفة على اذ الاولى وقوله لادم ادم في موضع جر باللام لا ينصرف
لانه على وزن افعل فاذا قلت مررت بادم وادم اخر فان سيبويه والخليل يقولان انه لا ينصرف في النكرة لانك اذا نكرته فقد اعدته الى حال كان فيها
لا ينصرف قال الاخفش اذا سميت به فقد اخرجته من باب الصفة فيجب اذا نكرته ان تصرفه فتقول وادم اخر وقوله اسجدوا الاصل في همزة الوصل ان تكسر
لالتقاء الساكنين ولكنها ضمت لاستثقال الضمة بعد الكسرة وكذلك كل ما كان ثالثه مضموما في الفعل المستقبل نحو قوله انظرونا اقتلوا يوسف ولست في
كلام العرب فعل لكراهتهم الضمة بعد الكسرة وابليس نصب على الاستثناء المتصل من الكلام الموجب في مذهب من جعله من الملائكة وعلى الاستثناء المنقطع في مذهب
من جعله من غير الملائكة المعنى ثم بين سبحانه ما انا ادم عليه السلم من الاعظام والاجلال والاكرام فقال واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم و
يقتضي ان الامر بالسجود له كان لجميع الملائكة حتى جبرئيل وميكائيل لقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وفي هذا تاكيد للعموم وقال قوم ان الامر كان خاصا
لطايفة من الملائكة كانوا مع ابليس طهر الله بهم الارض من الجن واختلف في سجود الملائكة لادم على اي وجه كان فالمروي عن ائمتنا عليهم السلم انه على وجه التكرمة
لادم والتعظيم لشانه وتقديمه عليهم وهو قول قتادة وجماعة من اهل العلم واختاره علي بن عيسى الرماني ولهذا جعل اصحابنا رضي الله عنهم هذه الاية
دلالة على ان الانبياء افضل من الملائكة من حيث انه سبحانه امرهم بالسجود لادم وذلك يقتضي تعظيمه وتفضيله عليهم واذا كان المفضول لا يجوز تقديمه
على الفاضل علمنا انه افضل من الملائكة وقال الجبائي وابو القسم البلخي وجماعة انه جعله قبلة لهم فامرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم وهذا غير
صحيح لانه لو كان على هذا الوجه لما امتنع ابليس من ذلك ولما استعظمته الملائكة وقد نطق القران بان امتناع ابليس عن السجود انما هو لاعتقاده تفضيله
به وتكرمته مثل قوله ارايتك هذا الذي كرمت علي وقوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولو لم يكن الامر على هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله
تعالى بانه لم يامره بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه الاخر الذي لا تفضيل فيه ولم يجز اغفال ذلك فانه سبب معصية ابليس وضلالته
فلما لم يقع ذلك علمنا ان الامر بالسجود له لم يكن الا على وجه التعظيم والتفضيل والاكرام والتبجيل في ابليس هل كان من الملائكة ام لا فذهب قوم انه كان
منهم وهو المروي عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة واختاره الشيخ السعيد ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه قال وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم
والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلف الذي قال انه كان من الملائكة فمنهم من قال انه كان خازنا على الجنان ومنهم من قال كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الارض
ومنهم من قال انه كان يسوس ما بين السماء والارض وقال الشيخ المفيد ابو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان قدس الله روحه انه كان من الجن ولم يكن من الملائكة
قال وقد جاءت الاخبار بذلك متواترة عن ائمة الهدى عليهم السلم وهو مذهب الامامية وهو المروي عن الحسن البصري وهو قول علي بن عيسى والبلخي وغيره واحتجوا
على صحة هذا القول باشياء احدها قوله تعالى الا ابليس كان من الجن ومن اطلق لفظ الجن لم يجز ان يعني به الا الجنس المعروف وكل ما في القران من ذكر الجن

مع الانس يدل عليه و ثانيها قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون فنفى المعصية عنهم نفيا عاما و ثالثها ان ابليس له نسل و ذرية قال الله تعالى
افتتخذونه و ذريته اولياء من دوني و هم لكم عدو و قال الحسن ابليس ابو الجن كما ان آدم ابو الانس و ابليس مخلوق من النار و الملائكة روحانيون خلقوا
من الريح في قول بعضهم و من النور في قول الحسن لا يتناسلون و لا يطعمون و لا يشربون و رابعها قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا و لا يجوز على رسل الله الكفر
و لا الفسق و لو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب و قالوا ان استثناء الله تعالى اياه منهم لا يدل على كونه من جملتهم و انما استثناه منهم لانه كان مامورا
بالسجود معهم فلما دخل معهم في الامر جاز اخراجه بالاستثناء منهم و قيل ان الاستثناء هنا منقطع كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن و انشد سيبويه
لا يبقى لحاجها التخيل و المراح الا الفتى الصبار في النجدات و الفرس الوقاح و كقول النابغة و ما بالربع من احد الا اواري و يؤيد هذا القول ما رواه
الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده عن ابن ابي عمير عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام قال سالته عن ابليس كان من الملائكة او
يلي شيئا من امر السماء فقال لم يكن من الملائكة و لم يكن يلي شيئا من امر السماء و كان من الجن و كان مع الملائكة و كانت الملائكة ترى انه منها و كان الله سبحانه
يعلم انه ليس منها فلما امر بالسجود لآدم كان منه الذي كان و كذا رواه العياشي في تفسيره و اما من قال انه كان من الملائكة فانه احتج بانه لو كان من غير الملائكة
لما كان ملوما بترك السجود فان الامر انما تناول الملائكة دون غيرهم و قد مضى الجواب عن هذا و نزيده بيانا قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك
فعلمنا انه من جملة المامورين بالسجود و ان لم يكن من جملتهم و هذا كما اذا قيل امر اهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا الا رجلا من اهل الكوفة فانه يعلم
من هذا ان غير اهل البصرة كان مامورا بدخول الجامع غير ان اهل البصرة خصوا بالذكر لكونهم الاكثر فكذلك القول في الآية و اجابوا للقول عن الاحتجاج
الاول و هو قوله تعالى كان من الجن بان الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون قال الاعشى قيس بن ثعلبة و لو كان شيء خالدا او معمرا
لكان سليمان البريء من الدهر براه الهي و اصطفاه عباده و ملكه ما بين ثوبا الى مصر و سخر من جن الملائك تسعة قياما لديه يعملون بلا اجر و قد
قال الله تعالى و جعلوا بينه و بين الجنة نسبا لانهم قالوا الملائكة بنات الله و اجابوا عن الثاني و هو قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم الآية بانه صفة
لخزنة النيران لا لجميع الملائكة فلا يوجب عصمة لغيرهم من الملائكة و اجابوا عن الثالث بانه يجوز ان يكون الله تعالى ركب في ابليس شهوة النكاح تغليظا عليه
في التكليف و ان لم يكن ذلك في باقي الملائكة و يجوز ان يكون الله تعالى لما اهبطه الى الارض تغيرت حاله عن حال الملائكة قالوا و اما قولكم ان الملائكة
خلقوا من الريح و هو مخلوق من النار فان الحسن قال خلقوا من النور و النار و النور سواء و قولكم ان الجن يطعمون و يشربون فقد جاء عن العرب
ما يدل على انهم لا يطعمون و لا يشربون انشد ابن دريد قال انشد ابو حاتم و نار قد حضات بعيد وهن بدار ما اريد بها مقاما سوى ترحيل راحلة
و عير اكاليها مخافة ان تناما اتوا ناري فقلت منون انتم فقالوا الجن قلت عموا ظلاما فقلت الى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الانس الطعاما لقد فضلتم
بالاكل فينا و لكن ذاك يعقبكم سقاما فهذا يدل على انهم لا ياكلون و لا يشربون لانهم روحانيون و قد جاء في الاخبار النهي عن التمسح بالعظم و الروث
لان ذلك طعام الجن و طعام دوابهم و قد قيل انهم يتشممون ذلك و لا ياكلونه و اجابوا عن الرابع و هو قوله جاعل الملائكة رسلا بان هذه الآية معارضة
بقوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا و من الناس لان من للتبعيض و كلا القولين مروي عن ابن عباس و روي عنه انه قال ان الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي
ابليس و كان صغيرا فكان مع الملائكة فتعبد معها بالامر بالسجود لآدم فسجدوا و ابى ابليس فلذلك قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن و روى
مجاهد و طاوس عنه ايضا انه قال كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل و كان من سكان الارض و كان سكان الارض
من الملائكة يسمون الجن و لم يكن من الملائكة اشد اجتهادا و لا اكثر علما منه فلما تكبر على الله و ابى السجود لآدم و عصاه لعنه و جعله شيطانا و سماه ابليس
و اما قوله تعالى و كان من الكافرين فمعناه كان كافرا في الاصل و هذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة و قيل اراد كان في علم الله تعالى من الكافرين
و قيل معناه صار من الكافرين كقوله تعالى فكان من المغرقين و استدل بعضهم بهذه الآية على ان افعال الجوارح من الايمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب ان
يكون ابليس مؤمنا بما معه من المعرفة بالله تعالى و ان فسق بابائه و هذا ضعيف لانا اذا علمنا كفره بالاجماع علمنا انه لم يكن معه ايمان اصلا كما انا اذا
راينا من يسجد للصنم علمنا انه كافر و ان كان نفس السجود ليس بكفر و اختلف في صفة امر الله سبحانه الملائكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعالى
للملائكة و لابليس و قيل بوحي من الله الى من بعثه اليهم من رسله لان كلام الرسول كلام المرسل و قيل ان الله تعالى اظهر فعلا دلهم به على انه امرهم بالسجود و قيل
لم يحكم الله بكفره مع انه من ترك السجود الآن لا يكفر قلنا لانه جمع الى ترك السجود خصالا من الكفر منها انه اعتقد ان الله تعالى امره بالقبيح و لم ير امره
بالسجود حكمة و منها انه امتنع من السجود تكبرا و ردا على الله تعالى امره و من تركه الآن كذلك يكفر ايضا و منها انه استخف بنبي الله و ازدراه و هذا لا يصدر

الا عن معتقد الكفر و في هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله ابى فدل على قدرته على السجود الذي اباه و تركه و الا لم يصح وصفه
بالاباء و منها قوله فسجدوا فدل على ان السجود فعلهم و منها انه مدح الملائكة بالسجود و ذم ابليس بترك السجود و عندهم انه لم يسجد لانه لم يخلق فيه السجود
و لا القدرة الموجبة له ٥ قوله تعالى و قلنا يا آدم اسكن انت و زوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه
الشجرة فتكونا من الظالمين اية اللغة السكون و الاطمينان و الهدو نظاير و السكن بسكون الكاف العيال و اهل البيت و السكن بالفتح المنزل
و الرحمة و البركة في قوله ان صلوتك سكن لهم و الزوج بطرح الهاء قال الاصمعي هو اكثر كلام العرب و الاكل و المضغ و اللقم متقارب و ضد الاكل
الازم و سال عمر بن الخطاب الحرث بن كلدة طبيب العرب فقال يا حارث ما الدواء فقال الازم اي ترك الاكل و الرغد النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء
قال ابن دريد الرغد السعة في العيش و المشية من قبيل الارادة و كذلك المحبة و الاختيار و الايثار و ان كان لها شروط ذكرت في اصول الكلام
و القرب الدنو قرب الشيء يقرب قربا و قرب فلان اهله يقرب قربانا اذا غشيها و ما قربت هذا الامر قربانا و قربا و الشجرة ما قام على ساق و جمعها اشجار
و شجرات و شجر و تشاجر القوم اختلفوا اخذ من الشجر لاشتباك اغصانه و الظلم و الجور و العدوان متقارب و ضد الظلم الانصاف و ضد الجور العدل
و اصل الظلم انتقاص الحق قال الله تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها و لم تظلم منه شيئا اي لم تنقص و قيل اصله وضع الشيء في غير موضعه من قولهم من اشبه
اباه فما ظلم اي فما وضع الشبه في غير موضعه و كلاهما مطرد و على الوجهين فالظلم اسم ذم لا يجوز اطلاقه على الانبياء و المعصومين الاعراب قوله اسكن
انت و زوجك الجنة يستقبح عطف الظاهر على الضمير المستكن و المتصل قال اسكن انت و زوجك فانت تاكيد للضمير المستكن في اسكن الذي هو فاعله و زوجك
معطوف على موضع انت و لو عطفه على الضمير المستكن لكان استقبح في الظاهر عطف الاسم على الفعل فاتى بالضمير المنفصل فعطفه عليه و رغدا منصوب لانه
صفة لمصدر محذوف كانه قال اكلا رغدا اي واسعا كثيرا او يجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال من قوله كلا قال الخليل يقال قوم رغد و نساء
رغد و عيش رغد و رغيد قال امرؤ القيس بينما المرء تراه ناعما يامن الاحداث في عيش رغد فعلى هذا يكون تقديره و كلا منها متوسعين في العيش و حيث
مبني على الضم كما بني الغاية نحو من قبل و من بعد لانه منع من الاضافة الى مفرد كما منعت الغاية من الاضافة و انما ياتي بعده جملة اسمية او فعلية في تقدير
المضاف اليه و لا تقربا مجزوم بالنهي و الالف ضمير الفاعلين و قوله فتكونا يحتمل امرين احدهما ان يكون جوابا للنهي فيكون منصوبا باضمار ان و ان
مع الفعل في تاويل اسم مفرد و اذا قدر اضمار ان بعد الفاء كان ذلك عطفا على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فكونا
من الظالمين فيكون الكلام جملة واحدة لان المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه و انما سميناه جوابا لمشابهته الجزاء في ان الثاني سببه الاول لان
معنى الكلام ان تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين و الثاني ان يكون معطوفا على النهي فيكون مجزوما و يكون الفاء عاطفة جملة على جملة فكانه قال فلا
تكونا من الظالمين المعنى ثم ذكر الله سبحانه ما امر به آدم عليه السلام بعد ان انعم عليه بما خصه من العلوم بما اوجب له من الاعظام و اسجد له الملائكة
الكرام فقال عز اسمه و قلنا و هذه نون الكبرياء و العظمة لا نون الجمع يا آدم اسكن انت و زوجك الجنة اي اتخذ انت و امراتك الجنة مسكنا و ماوى لتاووا
اليه و تسكن فيه انت و امراتك و اختلف في هذا الامر فقيل انه امر تعبد و قيل هو اباحة لانه ليس فيه مشقة فلا يتعلق به تكليف و قوله و كلا اباحة
و قوله و لا تقربا تعبد بالاتفاق و روي عن ابن عباس و ابن مسعود انه لما اخرج ابليس من الجنة و لعن بقي آدم وحده فاستوحش اذ ليس معه
من يسكن اليه فخلقت حوا ليسكن اليها و روي ان الله تعالى القى على آدم النوم و اخذ منه ضلعا فخلق منه حوا فاستيقظ آدم فاذا عند راسه
امراة فسالها من انت فقالت امراة قال لم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملائكة ما اسمها يا آدم قال حوا قالوا و لم سميت حوا قال لانها خلقت
من حي فعندها قال الله تعالى اسكن انت و زوجك الجنة و قيل انها خلقت قبل ان يسكن آدم الجنة ثم ادخلا معا الجنة و في كتاب النبوة ان الله تعالى
خلق آدم من الطين و خلق حوا من آدم فهمة الرجال الماء و الطين و همة النساء الرجال قال اهل التحقيق ليس يمتنع ان يخلق الله حوا من جملة جسد آدم
بعد ان لا يكون مما لا يتم الحي حيا الا معه لان ما هذه صفته لا يجوز ان ينقل الى غيره او يخلق منه حي آخر من حيث يؤدي الى ان لا يمكن ايصال
الثواب الى مستحقه لان المستحق لذلك هو الجملة باجمعها و انما سميت حوا لانها خلقت من حي على ما ذكرناه قبل و قيل لانها ام كل حي و اختلف في الجنة
التي اسكن فيها آدم عليه السلام فقال ابو هاشم هي جنة من جنان السماء غير جنة الخلد لان جنة الخلد اكلها دائم و لا تكليف فيها و قال ابو مسلم
هي جنة من جنان الدنيا في الارض و قال ان قوله اهبطوا لا يقتضي كونها في السماء لانه مثل قوله اهبطوا مصرا و استدل بعضهم على انها لم تكن جنة الخلد
بقوله تعالى حكاية عن ابليس هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالما بذلك و لم يحتج الى دلالة و قال اكثر المفسرين

والحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطا وكثير من المعتزلة كالجبائي والرماني وابن الاخشيد انها كانت جنة الخلد لان الالف واللام للتعريف وصارا كالعلم عليها قالوا ويجوز ان يكون وسوسة ابليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا وقول من يزعم ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لان ذلك انما يكون اذا استقر اهل الجنة فيها للثواب فاما قبل ذلك فانها تفنى لقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله وكلا منها رغدا اي كلا من الجنة كثيرا واسعا لا عناء فيه حيث شئتما من بقاع الجنة وقيل منها اي من ثمارها الا ما استثناه ولا تقربا هذه الشجرة اي لا تاكلا منها وهو المروي عن الباقر عليه السلم معناه ولا تقرباها بالاكل ويدل عليه ان المخالفة وقعت بالاكل بلا خلاف لا بالدنو منها ولذلك قال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما واختلف في هذا النهي فقيل انه نهي التحريم وقيل انه نهي التنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطريق وهو طريق من مذهبنا فان عندنا ان ادم كان مندوبا الى ترك التناول من الشجرة وكان بالتناول لها تاركا نفلا وفضلا ولم يكن فاعلا لقبيح لان الانبياء عليهم السلم لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها ولا كبيرها وقالت المعتزلة كان ذلك صغيرة من ادم عليه السلم على اختلاف بينهم في انه وقع منه على سبيل السهو او التاويل وانما قلنا انه لا يجوز مواقعة الكبائر على الانبياء عليهم السلم من حيث ان القبيح يستحق فاعله به الذم والعقاب لان المعاصي عندنا كلها كبائر وانما تسمى صغيرة باضافتها الى ما هو اكبر عقابا منها لان الاحباط قد دل الدليل عندنا على بطلانه واذا بطل ذلك فلا معصية الا ويستحق فاعلها الذم والعقاب واذا كان الذم والعقاب منفيين عن الانبياء عليهم السلم وجب ان ينتفي عنهم سائر الذنوب ولانه لو جاز عليهم شيء من ذلك لنفر عن قبول قولهم والمراد بالتنفير ان النفس الى قبول قول من لا يجوز عليه شيئا من المعاصي اسكن منها الى قول من يجوز عليه ذلك ولا يجوز عليهم كلما يكون منفرا عنهم من الخلق المشوهة والهيئات المستنكرة واذا صح ما ذكرناه علمنا ان مخالفة آدم عليه السلم لظاهر النهي كان على الوجه الذي بيناه واختلف في الشجرة التي نهي عنها ادم فقيل هي السنبلة عن ابن عباس وقيل هي الكرمة عن ابن مسعود والسدي وقيل هي التينة عن ابن جريج وقيل هي شجرة الكافور يروى عن علي عليه السلم وقيل شجرة العلم علم الخير والشر عن الكلبي وقيل هي شجرة الخلد التي كانت تاكل منها الملائكة عن ابن جدعان وقوله فتكونا من الظالمين اي تكونا باكلها من الظالمين لانفسكما ويجوز ان يقال لمن بخس نفسه الثواب انه ظالم لنفسه كقوله تعالى حكاية عن ايوب اني كنت من الظالمين حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه واختلفوا هل كان يجوز ابتداء الخلق في الجنة فجوز البصريون من اهل العدل ذلك قال يجوز ان ينعمهم الله في الجنة مؤبدا تفضلا منه لا على وجه الثواب لان ذلك نعمة منه تعالى كما ان خلقهم وتعريضهم للثواب نعمة وقال ابو القسم البلخي لا يجوز ذلك لانه لو فعل ذلك لا يخلوا ان يكونوا متعبدين بالمعرفة او لا يكونوا فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وكان يكون لا بد من دار اخرى يجازون فيها ويخلدون وان كانوا غير متعبدين كانوا مهملين وذلك غير جائز وجوابه انه سبحانه لو ابتدا خلقهم في الجنة لكان يضطرهم الى معرفته والى فعل الحسن وترك القبيح منعوا منه فلا يؤدي الى ما قاله وهذا كما يدخل الله الجنة الاطفال وغير المكلفين لا على وجه الثواب ٥ قوله عز وجل فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين آية القراءة قرا حمزة فازالهما بالالف والباقون فازلهما الحجة من قرا ازالهما قال ان قوله اسكن انت وزوجك معناه اثبتا فازالهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذي هو خلافه وحجة من قرا فازلهما انه يحتمل تاويلين احدهما كسبهما الزلة والآخر ان يكون من زل اي عثر ويدل على الوجه الاول ما جاء في التنزيل من قوله ما نهاكما ربكما الى قوله لمن الناصحين وقوله فوسوس لهما الشيطان الآية وقد نسب كسب الشيطان الزلة الى الشيطان في قوله انما استزلهما الشيطان واستزل وازل بمعنى واحد ويدل على الوجه الثاني قوله فاخرجهما مما كانا فيه فكما ان خروج الانسان عن الموضع الذي هو فيه انتقال منه والى غيره كذلك عثاره وزلله اللغة الزلة والخطيئة والمعصية والسيئة بمعنى واحد وضد الخطيئة الاصابة ويقال زلت قدمه زلا وزل في مقالته زلة والمزلة المكان الدحض والمزلة الزلل في الدحض وازللت الى فلان نعمة اي اسديت وفي الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها قال كثير وانى وان صدت لمثن وصادق عليها بما كانت الينا ازلت والاصل في ذلك الزوال فالزلة زوال عن الحق وازله الشيطان اذا ازاله عن الحق والهبوط والنزول والوقوع نظائر وهو التحرك من علو الى سفل ويقال هبطته واهبطته والهبوط كالحدور وهو الموضع الذي يهبط من اعلى الى اسفل وقد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول في المكان والنزول به قال الله تعالى اهبطوا مصرا ويقول القائل هبطنا بلد كذا يريد حللنا قال زهير ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ايدي الركاب بهم من راكس فلقا والعدو نقيض الولي والعداوة المصدر واصله من المجاوزة والقرار الثبات والبقاء وضد القرار الانزعاج وضد الثبات الزوال وضد البقاء الفناء والاستقرار الكون اكثر من وقت واحد على حال والمستقر

يحتمل ان يكون بمعنى الاستقرار ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه والمتاع والتمتع والمتعة والتلذذ متقاربة المعنى وكل شيء تمتعت به فهو متاع والحين والمدة والزمان متقارب والحين في غير هذا الموضع ستة اشهر يدل عليه قوله تؤتي اكلها كل حين باذن ربها والحين يصلح للاوقات كلها الا انه في الاستعمال في الكثير منها اكثر المعنى ثم بين سبحانه حال ادم عليه السلم قال فازلهما الشيطان اي حملهما على الزلة نسب الازلال الى الشيطان لما وقع بدعائه ووسوسته واغوائه عنها اي عن الجنة وما كانا فيه من عظيم الرتبة والمنزلة والشيطان المراد به ابليس فاخرجهما مما كانا فيه من النعمة والدعة ويحتمل ان يكون اراد اخرجهما من الجنة حتى اهبطا ويحتمل ان يكون اراد من الطاعة الى المعصية واضاف الاخراج اليه لانه كان السبب فيه كما يقال صرفني فلان عن هذا الامر ولم يكن اخراجهما من الجنة واهباطهما الى الارض على وجه العقوبة لان الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم السلم لا يجوز عليهم القبائح على حال ومن اجاز العقاب على الانبياء فقد اساء عليهم الثناء واعظم الفرية على الله سبحانه واذا صح ما قلناه فانما اخرج الله ادم من الجنة لان المصلحة قد تغيرت بتناوله من الشجرة فاقتضت الحكمة والتدبير الالهي اهباطه الى الارض وابتلاءه بالتكليف والمشقة وسلبه ما البسه اياه من ثياب الجنة لان انعامه عليه بذلك كان على وجه التفضل والامتنان فله ان يمنع ذلك تشديدا للبلوى والامتحان كما له ان يفقر بعد الاغناء ويميت بعد الاحياء ويسقم بعد الصحة ويعقب المحنة بعد المنحة واختلف في كيفية وصول ابليس الى ادم وحوا حتى وسوس اليهما وابليس كان قد اخرج من الجنة حين ابى السجود وهما في الجنة فقيل ان ادم كان يخرج الى باب الجنة وابليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه فكان يكلمه وكان هذا قبل ان اهبط الى الارض وبعد ان اخرج من الجنة عن ابي علي الجبائي وقيل انه كلمهما من الارض بكلام عرفاه وفهماه منه وقيل انه دخل في فقم الحية وخاطبهما من فقمها والفقم جانب الشدق وقيل انه راسلهما بالخطاب وظاهر التنزيل انه يدل على انه شافههما بالخطاب وقوله وقلنا اهبطوا خاطبه بخطاب الجمع وفيه وجوه احدها انه خاطب ادم وحوا وابليس وهو اختيار الزجاج وقول جماعة من المفسرين وهذا غير منكر وان كان ابليس قد اخرج قبل ذلك بدلالة قوله اخرج منها فانك رجيم فجمع الخبر للنبي صلى الله عليه واله لانهم قد اجتمعوا في الهبوط وان كانت اوقاتهم متفرقة فيه كما يقال اخرج جميع من في الحبس وان اخرجوا متفرقين والثاني انه اراد ادم وحوا والحية وفي هذا الوجه بعد لان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ولانه لم يتقدم للحية ذكر والكناية عن غير مذكور لا تحسن الا بحيث لا يقع لبس مثل قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وقوله ما ترك على ظهرها من دابة وقول حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر والثالث انه اراد ادم وحوا وذريتهما لان الوالدين يدلان على الذرية ويتعلق بهما والرابع ان يكون الخطاب يخص ادم وحوا عليهما السلم وخاطب الاثنين على الجمع على عادة العرب وذلك لان الاثنين اول الجمع قال الله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد حكم داود وسليمن وقد تاول قوله تعالى فان كان له اخوة على معنى فان كان له اخوان والخامس ادم وحوا والوسوسة عن الحسن وهذا ضعيف وقوله بعضكم لبعض عدو يعني ادم وذريته وابليس وذريته ولم يكن من ادم اليه ما يوجب عداوته اياه ولكن حسده الملعون وخالفه فنشات بينهما العداوة ثم ان عداوة ادم له ايمان وعداوة ابليس له كفر وقال الحسن يريد بني ادم وبني ابليس وليس ذلك بامر بل هو تحذير يعني ان الله تعالى لا يامر بالعداوة فالامر مختص بالهبوط والمعاداة يجري مجرى الحال لان الظاهر يقتضي انه امرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا فاما على الوجه الذي يتضمن ان الخطاب يختص بادم وحوا ~~فاما على الوجه الذي يتضمن ان خطاب يخص ادم~~ وحوا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين ابراز ذريتهما يعادي بعضهم بعضا ان الخطاب بادم وحوا وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية ويبين اصلهما وقوله ولكم في الارض مستقر اي مقر ومقام وثبوت بان جعل الارض قرارا لكم ومتاع اي استمتاع الى حين الى وقت الموت وقيل الى يوم القيمة وقيل الى فناء الآجال اي كل امرء يستقر الى فناء اجله وقال ابو بكر السراج لو قال ولكم في الارض مستقر ومتاع لظن انه غير منقطع فقال الى حين اي الى حين انقطاعه والفرق بين قول القائل ان هذا لك حينا وبين قوله الى حين ان الى تدل على الانتهاء ولا بد ان يكون لها ابتداء وليس كذلك الوجه الاخر وفي هذه الاية دلالة على ان الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصد احدا عن الطاعة ولا يخرجه عنها ولا يتسبب للمعصية لانه نسب ذلك الى الشيطان جل ربنا وتقدس عما نسبه الى ابليس والشياطين ويدل ايضا على ان لوسوسة ابليس تاثيرا في المعاصي ٥ قوله عز وجل فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم آية القراءة قرا ابن كثير ادم بالنصب كلمات بالرفع وقرا الباقون برفع ادم ونصب كلمات الحجة حجة ابن كثير في نصب ادم انه في المعنى كالقراءة الاخرى فان الافعال المتعدية على ثلثة اضرب منها ما يجوز فيه ان يكون الفاعل له مفعولا به والمفعول فاعلا نحو ضرب زيد عمرا ومنها ما لا يجوز ذلك فيه نحو اكلت الخبز ونحوه ومنها ما يكون اسناده الى الفاعل في المعنى كاسناده

الى المفعول به نحو بلّت واصبت وتلقيت تقول انا لقى خير وبلت خيرا واصابنى شئ واصبت شيئا وتلقانى زيد وتلقيت زيدا ومثل هذه الاية قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين وفى حرف عبد الله فيما قيل لا ينال عهدى الظالمون اللغة التلقى نظير التلقن يقال تلقيته منه اى اخذت وقبلت واصله من لقيت خيرا فتعدى الى مفعول واحد ثم تعدى الى مفعولين بتضعيف العين نحو لقيت زيدا خيرا كقوله ولقاهم نضرة وسرورا ومطاوعه تلقيته مالقول اى قبلته منه ومن ذلك قول ابى مهدية فى آيات من القرآن تلقيتها من عمى تلقاها من ابى هريرة تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وآله وتلقيت الرجل استقبلته وتلقانى استقبلنى وكلمات جمع كلمة والكلمة اسم الجنس لوقوعها على الكثير من ذلك والقليل قالوا قال امرؤ القيس فى كلمة يعنون فى قصيدة وقال قس فى كلمة يعنون خطبته فقد وقعت على الكثير وقيل لكل واحد من الكلم الثلاث كلمة فوقعت على القليل من الاسم المفرد والحرف المفرد واما الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفا من هذه الكلم وعلى هذا جاء التنزيل قال الله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله يعنى به قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا الاية الى قوله كذلكم قال الله من قبل يقال كلمه تكليما وكلاما وتكلم تكلما والكلم الجرح يقول كلمته اكلمه كلما واصل الباب التاثير والكلم اثر دال على الجارح والكلام اثر دال على المعنى الذى تحته والذى حرره المتكلمون فى حد الكلام هو انه ما انتظم من حرفين فصاعدا من هذه الحروف المعقولة اذا وقع ممن يصح منه او من قبيله الافادة وقال بعضهم هو ما انتظم من الحروف المسموعة المتميزة ليتميز من الكتابة التى ليست مسموعة وبتميز من اصوات كثير من الطيور لانها ليست بمتميزة وينقسم الكلام الى مهمل ومستعمل وانما اراد سيبويه بقوله ان المهمل لا يكون كلاما انه لا يكون مفيدا اذا الكلام عنده لا يقع الا على المفيد وبه قال ابو القسم البلخى والتوبة والاقلاع والانابة فى اللغة نظاير وضد التوبة الاصرار فالله تعالى يوصف بالتواب ومعناه انه يقبل التوبة عن عباده واصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على ما فرط فالله تعالى تائب على العبد بقبول توبته والعبد تائب الى الله تعالى بندمه على معصيته المعنى قوله فتلقى ادم اى قبل واخذ وتناول على سبيل الطاعة من ربه ورب كل شئ كلمات واغنى قوله فتلقى عن ان يقول فرغب الى الله بهن او سأله بحقهن لان معنى التلقى يفيد ذلك وبنى عما حذف من الكلام اختصارا ولهذا قال تعالى فتاب عليه لانه لا يتوب عليه الا بان سأله بتلك الكلمات وعلى قراءة من قرأ فتلقى ادم كلمات لا يكون الا معنى التلقى القبول بل معناه ان الكلمات تداركته بالنجاة والرحمة واختلف فى الكلمات ما هى فقيل هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية عن الحسن وقتادة وعكرمة وسعيد بن جبير وان فى ذلك اعترافا بالخطيئة فلذلك وقعت موقع الندم وحقيقة الانابة وقيل هى قوله اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فارحمنى انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب انى ظلمت نفسى فتب على انك انت التواب الرحيم عن مجاهد وهو المروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم وقيل بل هى سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل وهى رواية تختص باهل البيت عليهم السلم ان ادم راى مكتوبا على العرش اسماء مكرمة معظمة فسال عنها فقيل له هذه اسماء اجل الخلق منزلة عند الله تعالى والاسماء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين فتوسل ادم الى ربه بهم فى قبول توبته ورفع منزلته قوله فتاب عليه فيه حذف اى تاب ادم فتاب الله عليه اى قبل توبته وقيل تاب عليه وفقه للتوبة وهداه اليها بان لقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته انه هو التواب اى كثير القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة وهو فى صفة العباد الكثير التوبة وقيل معناه انه يقبل التوبة وان عظمت الذنوب فيسقط عقابها وقوله الرحيم انما ذكره ليدل به على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان ذلك ليس على وجه الوجوب وانما قال فتاب عليه ولم يقل عليهما لانه اختصر وحذف للايجاز والتغليب كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ومعناه ان يرضوهما وقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وكقول الشاعر رمانى بامر كنت منه ووالدى بريا ومن جول الطوى رمانى وقول الاخر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف فكذلك معنى الاية فتاب عليهما وقال الحسن البصرى لم يخلق الله ادم الا للارض ولو لم يعص لاخرجه الى الارض على غير تلك الحالة وقال غيره يجوز ان يكون له للارض ان عصى ولغيرها ان لم يعص وهو الاقوى **فصل مختصر فى التوبة وشروطها والاختلاف فيها** اعلم ان من شرط التوبة الندم على ما مضى من القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله فى القبح فان هذه التوبة اجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها واختلفوا فيما عداها وكل معصية لله تعالى فانه يجب التوبة منها والطاعة لا يصح التوبة منها وعندنا يصح التوبة اذا كانت من ترك الندب ويكون ذلك على وجه الرجوع الى فعله وعلى هذا تحمل توبة الانبياء عليهم السلم فى جميع ما نطق به القران وقبول التوبة واسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا وعند جميع المعتزلة واجب وقد وعد الله تعالى بذلك وان كان تفضلا وعلمنا انه لا يخلف الميعاد واما التوبة من قبيح مع الاقامة على قبيح اخر يعلم او يعتقد قبحه فعند اكثر المتكلمين هى صحيحة وعند ابى هاشم واصحابه لا يصح واعتمد الاولون على ان قالوا كما يجوز ان يمتنع عن قبيح لقبحه مع انه يفعل قبيحا اخر وان علم قبحه كذلك يجوز ان يندم

من قبيح مع المقام على قبيح الاخر يعلم قبحه واختلفوا فى التوبة عند ظهور اشراط الساعة هل تصح ام لا فقال الحسن تحجب عنها عند الايات الست وروى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة احدكم يعنى الموت وامر العامة يعنى القيمة وقيل لا شك ان التوبة عند بعض هذه الايات تحجب وعند بعضها يجوز ان تحجب والله اعلم قوله عز وجل قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اية القراءة قرا يعقوب فلا خوف بنصب الفاء فى جميع القران وقرا الباقون بالرفع والتنوين واجمعوا على اثبات الالف فى هداى وتحريك الياء وروى عن الاعرج بسكون الياء وهو غلط الا ان يكون نوى الوقف وروى بعضهم هدى وهى لغة هذيل يقلبون الالف الى الياء للياء التى بعدها الا ان شان ياء الاضافة ان يكسر ما قبلها فجعل قلب الالف ما بدل كسرها اذ الالف لا يتحرك فهو مثل على ولدى وقالوا هوى قال ابو ذويب سبقوا هوى واعنقوا لسبيلهم فتخرموا ولكل جنب مصرع اللغة الهبوط النزول من موضع عال الى استفال وقد يستعمل فى هبوط المنزلة قال لبيد كل بنى حرة مصيرهم قل وان اكثروا من العدد ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما فهم للفناء والفند والاتيان والمجى والاقبال نظاير ونقيضه الذهاب والانصراف والاتباع والاقتداء والاحتذا نظاير والتابع التالى وفى الحديث القادة والاتباع فالقادة السادة والاتباع الذين يتبعونهم والتبيع ولد البقرة وثلثة اتبعة والجمع اتابيع والتبع الظل والخوف والجزع والفزع نظاير ونقيض الخوف الامن وطريق مخوف يخافه الناس ومخيف يخيف الناس والحزن والغم والهم نظاير ونقيضه السرور يقال حزن حزنا وحزنه حزنا ويقال حزنه واحزنه وهو محزون ومحزن وقال قوم لا يقولون حزنه الامر ويقولون يحزنه فاذا صاروا الى الماضى قالوا احزنه وهذا شاذ نادر لانه قد استعمل احزن واهمل يحزن واستعمل يحزن واهمل حزن واصل الباب غلظ الهم ماخوذ من الحزن وهو ما غلظ من الارض الاعراب اما هو ان الجزاء دخلت عليها ما ليصح دخول نون التوكيد فى الفعل ولو اسقطت ما لم يجز دخول النون لانها لا تدخل فى الخبر الواجب الا فى القسم او ما اشبه القسم كقولك زيد لياتينك ولو قلت بغير لام لم يجز وكذلك تقول بعين ما ارينك ولو قلت بعين اربنك بغير ما لم يجز فدخول ما ههنا كدخول اللام فى انها توكد اول الكلام وتوكد النون اخره والامر والنهى والاستفهام تدخل النون فيه وان لم يكن معه ما اذا كان الامر والنهى مما يشتد الحاجة الى التوكيد فيه والاستفهام مشبه به اذا كان معناه اخبرنى والنون انما تلحق للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا قال الزجاج وانما فتح ما قبل النون فى قوله يأتينكم لسكون الياء وسكون النون الاولى قال ابو على ولو كان كذلك لما حرك به فى نحو هل تضربن ونحوه من الصحيح لان الساكنين لا يلتقيان فى هذا النحو وفى هذا ما يدل على ان هذه الحركة للبناء دون ما ذكره من التقاء الساكنين وجواب الشرط فى الفاء مع الشرط الثانى وجزاءه لان الشرط وجوابه بمنزلة المبتدا والخبر فكما ان المبتدا لا يتم الا بخبره فكذلك الشرط لا يتم الا بجزائه وكذلك ان يجعل خبر المبتدا جملة هى مبتدا وخبر كقولك زيد ابوه منطلق فكذلك ان التى للجزاء اذا كان جوابه بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستانفا صلح ان يكون جزاء او غير جزاء يقول ان تاتنى فانت مكرم ولك ان تقول ان تاتنى فمن يكرمك اكرمه فقوله اما يأتينكم شرط ويأتينكم فى موضع الجزم بان وجزاءه الفاء وما بعده من قوله من تبع هداى الاية ومن فى موضع الرفع بالابتداء وتبع فى موضع الجزم بالشرط وجزاءه الفاء وما بعده وهو قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة اسمية معطوفة على الجملة التى قبلها والفاء مع ما بعده فى موضع جزم بالجزاء لقوله من تبع هداى والشرط والجزاء معنى حرف الشرط التى تضمنه من فى موضع رفع بانها خبر المبتدا الذى هو من ثم الفاء وما بعده من قوله فمن تبع هداى الاية فى موضع جزم بانه جزاء لقوله اما يأتينكم وهذا فى المقدمات القياسية يسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب وجب التالى المركب عليه المعنى ثم بين تعالى هباطهم الى الارض فقال اهبطوا اى انزلوا والخطاب لآدم وحوا على ما ذكرناه من الاختلاف فيه فيما تقدم واختلف فى تكرار الهبوط فقيل الهبوط الاول من الجنة الى السماء وهذا الهبوط من السماء الى الارض عن ابى على وقيل انما كرر للتاكيد وقيل انما كرره لاختلاف الحالين فقد بين بقوله وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ان الاهباط انما كان فى حال عداوة بعضهم لبعض وبين بقوله قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى ان الاهباط انما كان للابتلاء والتكليف كما يقال اذهب سالما معافا ثم اذهب مصاحبا وان كان الذهاب واحدا لاختلاف الحالين فاما يأتينكم منى هدى اى بيان ودلالة وقيل انبياء ورسل وعلى هذا القول الاخير يكون الخطاب فى قوله اهبطوا لادم وحوا وذريتهما كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين اى اتينا بما فينا من الخلق طائعين فمن تبع هداى اى اقتدى برسلى او احتذى ادلتى فلا يلحقهم خوف فى اهوال يوم القيمة من العقاب ولا هم يحزنون على فوات الثواب فاما الخوف والحزن فى الدنيا فانه يجوز ان يلحقهم لان من المعلوم ان المؤمنين لا ينفكون منه وفى هذه الاية دلالة على ان الهدى قد يثبت ولا اهتدى وان الاهتداء انما يقع بالاتباع والقبول قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اية اللغة

تلقاه اي استقبله وقوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم اي يأخذه بعض عن بعض منه

الكفر والتكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره والايات جمع اية ومعنى الاية في اللغة العلامة ومنه قوله تعالى عيداً لاولنا واخرنا واية منك اي علامة لاجابة
دعانا وكل اية من كتاب الله علامة ودلالة على المضمون فيها وقال ابو عبيدة معنى الاية انها علامة بانقطاع الكلام الذي قبلها وانقطاعه من الذي بعدها
وقيل ان الاية القصة والرسالة قال كعب بن زهير الا ابلغا هذا المعرض اية ايقظان قال القول اذ قال ام حلم يعني رسالة فعلى هذا يكون معنى الايات
القصص اي قصة تتلو قصة وقال ابن السكيت خرج القوم بايتهم اي بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئا وعلى هذا يكون معنى الاية من كتاب الله جماعة حروف
دالة على معنى مخصوص والاصحاب جمع الصاحب وهو القرين واصل الصحبة المقارنة فالصاحب هو الحاصل مع اخر مدة لانه اذا اجتمع معه وقتا واحدا لم يكن
صاحبا له لكن يقال صحبه وقتا من الزمان ثم فارقه **الاعراب** موضع اولئك يحتمل ثلثة اشياء احدها ان يكون بدلا من الذين او عطف بيان و
اصحاب النار بيان عن اولئك مجراه مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون والثاني ان يكون مبتداء وخبرا في موضع الخبر الاول والثالث ان يكون على
خبرين بمنزلة خبر واحد كقولك هذا حلو حامض فان قيل فلم دخلت الفاء في موضع اخر مثل قوله فاولئك لهم عذاب مهين ولم يدخل ههنا قلنا لان
ما دخل فيه الفاء من خبر الذي واخواته مشبه بالجزاء وما لم يكن فيه فاء فهو على اصل الخبر واذا قلت مالي فهو لك ان اردت ما بمعنى الذي جاز وان اردت به الشرط
لم يجز **المعنى** الذين كفروا اي جحدوا وكذبوا باياتنا اي دلالاتنا وما انزلناه على الانبياء فاولئك اصحاب النار اي الملازمون للنار هم فيها خالدون اي دائمون
وفي هذه الاية دلالة على ان من مات مصرا على كفره غير تايب منه وكذب بايات ربه فهو مخلد في نار جهنم وايات الله دلايله وكتبه المنزلة على رسله والاية والحجة
والدلالة وان كان بينهما فرق في الاصل يقال دلالة هذا الكلام كذا وكذا ولا يقال ايته ومن استدل بهذه الاية على ان عمل الجوارح قد يكون من الكفر بقوله
وكذبوا باياتنا فقوله يفسد بان التكذيب نفسه وان لم يكن كفرا فهو دلالة على الكفر لانه لا يقع الا من كافر كالسجود للشمس ونحوه **قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا**
نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون اية القراءة القراءة المشهورة اسرائيل مهموز ممدود مشبع في
الفصيح وروي في الشواذ عن الحسن والزهري اسرايل بلا همز ولا مد وعن الاعمش وعيسى بن عمر كذلك وحكي عن الاخفش اسرال بكسرة الهمزة من غير ياء
وحكى قطرب اسرال من غير همز ولا ياء واسراين بالنون قال ابو علي العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وانشد هل تعرف الدار لام الخزرج منها فظلت اليوم كالمزرج
يريد المزرجن وهو الخزرجن الزرجون قال والنون في زرجون اصل كالسين من قربوس فاذا اجاز للعرب ان تخلط فيما هو لغتها فكيف فيما ليس من لغتها واختير
تحريك الياء في قوله نعمتي التي انعمت لانه لقيها الف الوصل واللام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها فكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل بما يلحق اللام
في الاستيناف من فتح الف الوصل واسكان الياء في قوله يا عبادي الذين اسرفوا اجود لان من حق الياء الاضافة الا تثبت في النداء واذا لم تثبت فلا طريق الى تحريكها
والاختيار في قوله فبشر عبادي الذين يستمعون حذف الياء لانه راس اية ورؤس الاي لا تثبت فيها الياء لانها فواصل ينوى فيها الوقف كما يفعل ذلك في القوافي و
اجمعوا على اسقاط الياء من قوله فارهبون الا ابن كثير فانه اثبتها في الوصل دون الوقف والوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء وفي كسر النون دلالة على
ذهاب الياء **اللغة** الابن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني الا ان الابن للذكر والولد يقع على الذكر والانثى والنسل والذرية يقع على جميع ذلك واصله
من البناء وهو وضع الشيء على الشيء فالابن مبني على الاب لان الاب اصل والابن فرع والبنوة مصدر الابن وان كان من الياء كالفتوة مصدر للفتى وتثنيته
فتيان واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وقيل اصله مضاف لان اسر معناه عبد وايل هو الله بالعبرانية فصار مثل عبد الله وكذلك جبرئيل وميكائيل والذكر
الحفظ للشيء تذكره وضده النسيان والذكر جري الشيء على لسانك والذكر الشرف في قوله وانه لذكر لك ولقومك والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل
كتاب من كتب الانبياء ذكر والذكر الصلوة والدعاء وفي الاثر كانت الانبياء اذا حزنهم امر فزعوا الى الذكر اي الى الصلوة واصل الباب التنبيه على الشيء قال صاحب
العين تقول وفيت بعهدك وفاء واوفيت لغة تهامة قال الشاعر في الجمع بين اللغتين اما ابن عوف فقد اوفى بذمته كما وفى بقلاص النجم حاديها يعني به الدبران
وهو التالي والعهد الوصية والرهبة الخوف وضدها الرغبة وفي المثل رهبوت خير من رحموت اي لان ترهب خير من ان ترحم **الاعراب** يا حرف النداء وبني في
موضع نصب لانه منادى مضاف واسرائيل في موضع جر لانه مضاف اليه وفتح لانه غير منصرف وفيه سببان العجمة والتعريف وقوله واياي ضمير منصوب ولا يجوز ان
يكون منصوبا بقوله فارهبون لانه مشتغل كما لا يجوز ان يقول ان زيدا في قولك زيدا فاضربه منصوب باضربه لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو مذكور
في اللفظ تقديره واياي ارهبوا فارهبوني ولا يظهر ذلك لانه استغنى عنه بما يفسره وان صح تقديره ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على ان يكون الخبر فارهبون الا على
تقدير محذوف كما انشد سيبويه وقايلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلو كما هيا تقديره هؤلاء خولان فانكح فتاتهم وعليه للاخفش قوله تعالى والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما تقديره وفيما يتلى عليكم السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما وفيما فرض عليكم الزانية والزاني فاجلدوا

كل واحد منهما **المعنى** لما عم الله تعالى جميع الخلق بالحجج الواضحة على توحيده وذكرهم ما انعم به عليهم في ابيهم ادم عليه السلام اخص بني اسرائيل بالحجج وذكرهم ما اسدى اليهم
والى ابائهم من النعم فقال يا بني اسرائيل يعني يا بني يعقوب نسبهم الى الاب الاعلى كما قال يا بني ادم والخطاب لليهود والنصارى وقيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينة
وما حولها عن ابن عباس اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اراد بذلك النعم التي انعم بها على اسلافهم من كثرة الانبياء فيهم والكتب وانجائهم من فرعون ومن الغرق على
اعجب الوجوه وانزل المن والسلوى عليهم وكون الملك فيهم في زمن سليمان عليه السلام وغير ذلك وعد النعمة على ابائهم نعمة عليهم لان الاولاد يتشرفون بفضيلة الاباء
وهذا كما يقال في المفاخرة قتلناكم يوم الفجار وهزمناكم يوم ذي قار وغلبناكم يوم النسار وذكر النعمة بلفظ الواحد والمراد بها الجنس كقوله تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها والواحد لا يمكن عده وقيل المراد بها النعم الواصلة اليهم مما اختصوا به دون ابائهم او اشتركوا فيه مع ابائهم وكان نعمة على الجميع فمن ذلك تبقية
ابائهم حتى تناسلوا فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقه اياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيده والوصول الى معرفته فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه ومن
ذلك ما يوصل اليهم حالا بعد حال من الرزق ويدفع عنهم من المكاره والاسواء وما يسبغ عليهم من نعم الدين والدنيا فعلى القول الاول يكون الاية تذكيرا
بالنعم عليهم في اسلافهم وعلى القول الثاني يكون تذكيرا بالنعم عليهم ومن النعم على اسلافهم ما ذكره في قوله واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل
فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين وقال ابن الانباري اراد اذكروا ما انعمت به عليكم فيما استودعكم من علم التورية وبينت لكم
من صفة محمد صلى الله عليه واله والزمتكم من تصديقه واتباعه فلما بعث ولم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة وقوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم قيل فيه
وجوه احدها ان هذا العهد هو ان الله تعالى عهد اليهم في التورية انه باعث نبيا يقال له محمد فمن اتبعه كان له اجران اثنان اجر باتباعه موسى وايمانه بالتورية
واجر باتباعه محمدا وايمانه بالقران ومن كفر به تكاملت اوزاره وكانت النار جزاءه وقال اوفوا بعهدي في محمد اوف بعهدكم ادخلكم الجنة عن ابن عباس فسمى
ذلك عهدا لانه تقدم به اليهم في الكتاب السابق وقيل انما جعله عهدا لتاكيده بمنزلة العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وثانيها انه العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال خذوا ما اتيناكم بقوة اي بجد واذكروا ما فيه اي ما في الكتاب عن الحسن
وثالثها انه ما عهد اليهم في سورة المائدة حيث قال ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم
الزكوة وامنتم برسلي الاية عن قتادة ورابعها انه اراد جميع الاوامر والنواهي وخامسها انه جعل تعريفه اياهم نعمه عهدا عليهم وميثاقا لانه يلزمهم القيام بما
يامرهم به من شكر هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يؤخذ عليهم والاول اقوى لان عليه اكثر المفسرين وبه يشهد القران وقوله واياي
فارهبون اي خافوني في نقض العهد وفي هذه الاية دلالة على وجوب شكر النعمة وفي الحديث التحدث بالنعم شكر وفيها دلالة على عظم المعصية في جحود النعم
وكفرانها ولحوق الوعيد الشديد بكتمانها وتدل ايضا على ثبوت افعال العباد اذ لو لم يكن لهم افعال لما صح العهد والامر والنهي والوعد والوعيد
ولادى الى بطلان الرسل والكتب **قوله تعالى وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي**
ثمنا قليلا واياي فاتقون اية اللغة قوله اول كافر به قال الزجاج اول الكافرين وفيه قولان قال الاخفش معناه اول من كفر به وقال غيره من
البصريين معناه اول فريق كافر به اي بالنبي صلى الله عليه واله قال وكلا القولين صواب حسن ونظير قوله اول كافر قول الشاعر واذا هم طعموا فالام طاعم
واذا هم جاعوا فشر جياع والثمن والعوض والبدل نظاير وبينها فروق فالثمن هو البدل في البيع من العين او الورق واذا استعمل في غيرهما كان
مشبها بهما ومجازا والعوض هو البدل الذي ينتفع به كاينا ما كان والبدل هو الشيء الذي يجعل مكان غيره وثوب ثمين كثير الثمن والثمين الثمن والفرق
بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقا وقد يكون بخسا وقد يكون زايدا والقيمة لا يكون الا مساوية المقدار للثمن من غير نقصان ولا زيادة
الاعراب مصدقا نصب لانه حال من الهاء المحذوفة من انزلت كانه قال انزلته مصدقا ويصلح ان ينتصب بامنوا كانه قال امنوا بالقران مصدقا ومعكم
صلة لما والعامل فيه الاستقرار اي للذي استقر معكم والهاء في به عايد الى ما في قوله بما انزلت او الى ما من قوله لما معكم ونصب اول كافر لانه خبر كان
المعنى ثم قال مخاطبا لليهود وامنوا اي صدقوا بما انزلت على محمد صلى الله عليه واله من القران لانه منزل من السماء الى الارض مصدقا لما معكم من
التورية امرهم بالتصديق بالقران واخبرهم ان في تصديقهم بالقران تصديقا منهم للتورية لان الذي في القران من الامر بالاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه واله
وتصديقه نظير الذي في التورية والانجيل فان فيهما البشارة بمحمد وبيان صفته فالقران مصدق لهما وقيل معناه انه يصدق بالتورية لان فيه الدلالة
على انه حق وانه من عند الله والاول اوجه لانه يكون حجة عليهم بان جاء القران بالصفة التي تقدمت بها بشارة موسى وعيسى عليهما السلام وقوله ولا
تكونوا اول كافر به اي بالقران من اهل الكتاب لان قريشا قد كانت كفرت به بمكة قبل اليهود وقيل المعنى لا تكونوا السابقين الى الكفر فيتبعكم الناس

اى لا تكونوا ائمة فى الكفر به عن ابى العالية وقيل المعنى ولا تكونوا اول جاحد ان صفة النبى صلى الله عليه واله فى كتابكم فعلى هذا تعود الهاء فى به الى النبى صلى الله عليه واله عن ابن جريج وقيل المعنى ولا تكونوا اول كافر بما معكم من كتابكم لانكم اذا جحدتم ما فيه من صفة النبى صلى الله عليه واله فقد كفرتم به قال الزجاج وهذا بان الخطاب وقع على علماء اهل الكتاب فاذا كفروا كفر معهم الاتباع فلذلك قيل لهم ولا تكونوا اول كافر به قال ولو كان الهاء فى به للقران فلا فائدة فيه لانهم كانوا يظهرون انهم كافرون بالقران وقال على بن عيسى يحتمل ان يكون اول كافر بالقران انه حق فى كتابكم وانما عظم اول الكفر لانهم اذا كانوا ائمة لهم وقدوة فى الضلالة كانت ضلالتهم اعظم نحو ما روى عن النبى صلى الله عليه واله من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وليس فى نهيه عن ان يكونوا اول كافر دلالة على انه يجوز ان يكونوا اخر كافر لان المقصود النهى عن الكفر على كل حال وخص اول بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر من اناس ليس فى اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع وليس يريد انه فيهم فحشا اجلا وقوله ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا روى عن ابى جعفر عليه السلام فى هذه الاية قال كان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف واخوتهما من اليهود لهما اكلة على اليهود فى كل سنة فكرهوا بطلانها بامر النبى صلى الله عليه واله فحرفوا لذلك ايات من التورية فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذى اريد فى الاية قال الفراء انما ادخل الباء فى الايات دون الثمن وفى سورة يوسف ادخله فى الثمن فى قوله وشروه بثمن بخس لان العروض كلها انت مخير فيها ان شئت قلت اشتريت الثوب بكساء وان شئت قلت اشتريت بالثوب كساء ايهما جعلت ثمنا لصاحبه جاز فاذا جئت الى الدراهم والدنانير وضعت الباء فى الثمن كقوله بثمن بخس لان الدراهم ثمن ابدا والمعنى لا تستبدلوا باياتى اى بما فى التورية من بيان صفة محمد صلى الله ونعته ثمنا قليلا اى عرضا يسيرا من الدنيا واياى فاتقون فاخشونى فى امر محمد صلى الله عليه واله لا ما يفوتكم من الماكل والرياسة وتقييد الثمن بالقلة لا يدل على انه اذا كان كثيرا يجوز شراؤه به لان المقصود منه ان اى شىء باعوا به ايات الله كان قليلا وانه لا يجوز ان يكون ثمن يساويه كقوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به وانما اراد بذلك نفى البرهان عنه على كل حال وانه لا يجوز ان يكون عليه برهان ومثله قوله ويقتلون النبيين بغير حق وانما اراد ان قتلهم لا يكون الا بغير حق ونظاير ذلك كثيرة ومثله قول امرئ القيس على لاحب لا يهتدى بمناره اذا ساقه العود الديافى جرجرا وانما اراد انه لا منار هناك فيهتدى به وفى هذه الاية دلالة على تحريم اخذ الرشى فى الدين لانه لا يخلو اما ان يكون امرا يجب اظهاره او يحرم اظهاره فالاخذ على كلا الوجهين حرام وهذا الخطاب يتوجه ايضا على علماء السوء من هذه الامة اذا اختاروا الدنيا على الدين فيدخل فيه الشهادات والقضايا والفتاوى وغير ذلك ۞ قوله تعالى

ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون اية اللغة اللبس والتغطية والتعمية نظاير والفرق بين التغطية والتعمية ان التغطية تكون بالزيادة والتعمية قد تكون بالنقصان والزيادة وضد اللبس الايضاح واللباس ما واريت به جسدك ولباس التقوى الحيا واللبس خلط الامور بعضها ببعض والفعل لبس الامر يلبسه لبسا ولبس الثوب يلبسه لبسا والفرق بين اللبس والاخفاء ان الاخفاء يمكن ان يدرك معه المعنى ولا يمكن مع اللبس ادراك المعنى والاشكال قد يدرك معه المعنى الا انه بصعوبة لاجل التعقيد وقال امير المؤمنين على عليه السلام للحرث بن حوط يا حار انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله والباطل والبطل واحد وهو ضد الحق والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان نظاير وابطلت الشى جعلته باطلا وابطل الرجل جاء بباطل **الاعراب** قوله وتكتموا الحق يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الجزم على انه قال لا تلبسوا الحق ولا تكتموا فيكون عطف جملة على جملة والاخر النصب على الظرف باضمار ان فيكون عطف الاسم على مصدر الفعل الذى قبله وتقديره لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه ودل تلبسوا على لبس كما يقال من كذب كان شرا له فكذب يدل على الكذب فكانه قال من كذب كان الكذب شرا له قال الشاعر فى مثله لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اى لا تجمع النهى عن خلق والاتيان بمثله **المعنى** لا تلبسوا لا تخلطوا الحق بالباطل ومعنى لبسهم الحق بالباطل انهم امنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض لانهم جحدوا صفة النبى صلى الله عليه واله فذلك الباطل واقروا بغيره مما فى الكتاب وقيل معناه لا تحرفوا الكلم عن مواضعه فالتحريف هو الباطل وتركهم ما فى الكتاب على ما هو به هو الحق وقال ابن عباس لا تخلطوا الصدق بالكذب وقيل الحق التورية التى انزلها الله على موسى والباطل ما كتبوه بايديهم وقيل الحق اقرارهم ان محمدا مبعوث الى غيرهم والباطل انكارهم ان يكون بعث اليهم وقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون اى لا تكتموا صفة النبى صلى الله عليه واله فى التورية وانتم تعلمون انه حق والخطاب متوجه الى رؤساء اهل الكتاب كما وصفهم بانهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على اتباعهم وهذا يقبح لما يفعلونه اى يجحدون ما يعلمون وجحد المعاند اعظم من جحد الجاهل وقيل معناه وانتم تعلمون البعث والجزاء وقيل معناه وانتم تعلمون ما انزل وسينزل بمن كذب على الله تعالى

قيل معناه وانتم تعلمون ما نزل ببنى اسرائيل من المسخ وغيره فان قيل كيف يجوز ان يكون هؤلاء عارفين بنبوة محمد صلى الله عليه واله وذلك مبنى على معرفة الله وعندكم من ان عرف الله لا يجوز ان يكفر وهؤلاء صاروا كفارا وماتوا على كفرهم قلنا لا يمتنع ان يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحق به الثواب لان الثواب انما يستحق بان ينظروا من الوجه الذى يستحق به الثواب فاذا نظروا على غير ذلك الوجه لا يستحقون به الثواب فعلى هذا يجوز ان يكونوا عارفين بالله وبالتورية وبصفات النبى صلى الله عليه واله وان لم يستحقوا الثواب فلا يمتنع ان يكفروا وقال بعض اصحابنا استحقاقهم الثواب على ايمانهم مشروط بالموافاة فاذا لم يوافوا بالايمان لم يستحقوا الثواب فعلى هذا لا يجوز ان يكونوا العارفين وان لم يكونوا مستحقين للثواب ليبطل بالكفر والمعتمد الاول ۞ **قوله عز وجل واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اية اللغة** اصل الصلوة عند اكثر اهل اللغة الدعاء اى دعوت على ما ذكرناه قبل ومنه قول الاعشى تقول بنتى وقد قربت مرتحلا يا رب جنب ابى الاوصاب والوجعا عليك مثل الذى صليت فاغتمضى نوما فان لجنب المرء مضطجعا اى دعوت وقيل اصلها اللزوم من قول الشاعر لم اكن من جناتها علم الله وانى بحرها اليوم صال اى ملازم لحرها فكان معنى الصلوة ملازمة العبادة على الحد الذى امر الله تعالى به وقيل اصلها من الصلا وهو عظم العجز لرفعه فى الركوع والسجود ومنه قول النابغة فآب مصلوه بعين جلية اى الذين جاءوا فى صلا السابق وعلى القول الاول اكثر العلماء وقد بينا معنى اقامة الصلوة فيما مضى والزكوة والنماء والزيادة نظاير فى اللغة وقال صاحب العين الزكوة زكوة المال وهو تطهيره وزكا الزرع وغيره يزكو زكاء ممدود اى نما وازداد وهذا لا يزكو بفلان اى لا يليق به والزكا الشفع والخسا الوتر واصله تثمير المال بالبركة التى يجعلها الله فيه والركوع والانحناء والانخفاض نظاير فى اللغة وقال ابن دريد الراكع الذى يكبو على وجهه ومنه الركوع فى الصلوة قال الشاعر فاقلت حاجب فوق العوالى على شقاء تركع بالضراب وقال صاحب العين كل شى ينكب لوجهه فيمس ركبته الارض او لا يمس بعد ان يطاطئ راسه فهو راكع قال الشاعر ولكنى انص العيس تدمى اظلها وتركع بالحزون وقال لبيد اخبر اخبار القرون التى مضت ادب كانى كلما قمت راكع وقيل انه ماخوذ من الخضوع قال الشاعر لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه والاول اقوى وانما يستعمل فى الخضوع مجازا وتوسعا **المعنى** واقيموا الصلوة اى ادوها بأركانها وحدودها وشرايطها كما بينها النبى صلى الله عليه واله واتوا الزكوة اى اعطوا ما فرض الله عليكم فى اموالكم على ما بينه الرسول عليه السلام لكم وهذا حكم جميع ما ورد فى القران مجملا فان بيانه يكون موكولا الى النبى عليه السلام كما قال سبحانه وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلذلك امرهم بالصلوة والزكوة على طريق الاجمال واحال فى التفصيل على بيانه عليه السلام وقوله واركعوا مع الراكعين انما خص الركوع بالذكر وهو من افعال الصلوة بعد قوله واقيموا الصلوة لاحد وجوه احدها ان الخطاب لليهود ولم يكن فى صلواتهم ركوع وكان الاحسن ذكر المختص دون المشترك لانه ابعد من اللبس وثانيها انه عبر بالركوع عن الصلوة يقول القائل فرغت من ركوعى اى صلوتى وانما قيل ذلك لان الركوع اول ما يشاهد من الافعال التى يستدل بها على ان الانسان يصلى فكانه كرر ذكر الصلوة تاكيدا عن ابى مسلم ويمكن ان يكون فيه فايدة يزيد على التاكيد وهو ان قوله اقيموا الصلوة انما يفيد وجوب اقامتها ويحتمل ان يكون اشارة الى صلوتهم التى يعرفونها وان يكون اشارة الى الصلوة الشرعية وقوله واركعوا مع الراكعين يكون معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين فيكون متخصصا بالصلوة المتقررة فى الشرع فلا يكون تكرارا بل يكون بيانا وثالثها انه حث على صلوة الجماعة لتقدم ذكر الصلوة فى اول الاية ۞ **قوله عز وجل اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون اية اللغة** البر فى اللغة والاحسان والصلة نظاير يقال فلان بار وصول محسن وضد البر العقوق ورجل بر وبار وبرت يمينه صدقت وبر حجه وبر لغتان وقولهم لا يعرف الهر من البر قال الاخفش معناه لا يعرف من يبره عليه ممن يبره وقال المازنى الهر السنور والبر الفارة او دويبة تشبهها والفرق بين البر والخير ان البر قد يقع على وجه السهو والنسيان والسهو والغفلة نظاير وضد النسيان الذكر وحقيقته غروب الشى عن النفس بعد حضوره وهو عدم علم ضرورى من فعل الله تعالى والسهو قد يقع عما كان الانسان عالما به وعما لم يكن عالما به وقد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فنسيهم اى تركوا ذكر الله فخذلهم والتلاوة والقراءة نظاير تلا يتلو تلاوة اى قرا وتلا يتلو تلوا اى تبع واصل التلاوة اتباع بعض الحروف فيها بعضا والفرق بين التلاوة والقراءة ان اصل القراءة جمع الحروف واصل التلاوة اتباع الحروف والعقل والفهم والمعرفة واللب نظاير ورجل عاقل فهم لبيب ذو معرفة وضد العقل الحمق يقال عقل الشى عقلا واعقله غيره وقيل لابن عباس انى لك هذا العلم

قال قلب عقول ولسان سؤول وقال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل اذا علم وعقل المريض بعد ان اهجر وعقل المعتوه ونحوه والعقال الرباط يقال عقلت البعير اعقله عقلا اذا شددت يده بالعقال والعقل مجموع علوم لاجلها يمتنع الحي من كثير من المقبحات ويفعل كثيرا من الواجبات وانما سمي تلك العلوم عقلا لانها تعقل عن فعل القبيح وقيل لانها تعقل العلوم المكتسبة ولا يوصف القديم تعالى بانه عاقل لانه لا يعقله شئ عن فعل القبيح وانما الامتناع لعلمه بقبحه وبانه غني عنه ولانه لا يكتسب علما بشئ فيثبت بعض علومه ببعض وقال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يزجر عن قبيح الفعل ومن كان زاجره اقوى فهو اعقل وقيل العقل معرفة يفصل بها بين القبح والحسن في الجملة وقيل هو التمييز الذي به فارق الانسان جميع الحيوان وهذه العبارات قريبة المعاني بعضها من بعض والفرق بين العقل والعلم ان العاقل قد يجهل لمن فقد بعض العلوم ولا يجهل العالم لمن فقد بعض عقله فان قيل اذا كان العقل مختلفا فيه فكيف يجوز ان يستشهد به قلنا ان الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه الا ترى ان الاختلاف في ماهية العقل حتى ان بعضهم قال معرفة وبعضهم قال قوة لا توجب الاختلاف في ان المائة اكثر من الواحد وان الكل اعظم من الجزء وغير ذلك من قضايا العقول المعنى هذه الاية خطاب لعلماء اليهود وكانوا يقولون لاقربائهم من المسلمين اثبتوا على ما انتم عليه ولا يؤمنون هم والالف للاستفهام ومعناه التوبيخ والمراد بالبر الايمان بمحمد صلى الله عليه واله وبخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من امر الناس بالايمان وترك انفسهم عن ذلك قال ابو مسلم كانوا يامرون العرب بالايمان بمحمد صلى الله عليه واله اذا بعث فلما بعث كفروا به وروي عن ابن عباس ان المراد انهم كانوا يامرون اتباعهم بالتمسك بالتورية وتركوا هم التمسك به لان جحدهم النبي صلى الله عليه واله وصفته فيه ترك للتمسك به وعن قتادة كانوا يامرون الناس بطاعة الله وهم يخالفونه وروى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه واله مررت ليلة اسري بي على اناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء خطباء من اهل الدنيا ممن كانوا يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وقال بعضهم لا يامرون الناس بالصدقة ويتركونها انتم واذا اتتكم الضعفاء بالصدقة لتفرقوها على المساكين خنتم فيها وقوله وانتم تتلون الكتاب معناه وانتم تقراون التورية وفيها صفته ونعته وعن ابن عباس وقوله افلا تعقلون اي افلا تفقهون ان ما تفعلونه قبيح في العقول وعن ابي مسلم ان معناه ان هذا البر يفعله من يعقل وقيل معناه افلا تعلمون ان الله يعذبكم ويعاقبكم على ذلك وقيل افلا تعلمون ان ما في التورية حق فتصدقوا محمدا وتتبعوه فان قيل اذا كان فعل البر واجبا والامر به واجبا فلماذا وبخهم الله تعالى على الامر بالبر قلنا لم يوبخهم على الامر بالبر وانما وبخهم على ترك فعل البر المضموم الى الامر بالبر لان ترك البر ممن يامر به اقبح من تركه ممن لا يامر به كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم ومعلوم انه لم يرد به النهي عن الخلق المذموم وانما نهى عن اتيان مثله قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين اية اللغة الصبر منع النفس محابها وكفها عن هواها ومنه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع ومنه جاء في الحديث وهو شهر الصبر لشهر رمضان لان الصائم يصبر نفسه ويكفها عما يفسد الصيام وقيل فلان صبرا وهو ان ينتصب للقتل ويحبس عليه حتى يقتل وكل من حبسته لقتل او يمين يقال قتل صبرا ويمين صبر وصبرته اي حلفته بالله جهد القسم وفي الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن امسكه حتى قتله اخر فامر بقتل القاتل وحبس الممسك والخشوع والخضوع والتذلل والاخبات نظاير وضد الخشوع الاستكبار وخشع الرجل اذا رمى ببصره الى الارض واخشع اذا طاطا راسه كالمتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع الا ان الخضوع في البدن والاقرار بالاستخدام والخشوع في الصوت والبصر قال الله سبحانه خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت واصل الباب من اللين والسهولة والخاشع والمتواضع والمتذلل والمستكين بمعنى قال الشاعر لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع الاعراب قوله وانها لكبيرة اللام يدخل في خبر ان ولا يدخل في خبر اخواتها لانها لام التاكيد فهي مشبهة بان في انها تدخل في المبتدا وخبره كما تدخل ان وتدخل بمعنى القسم كما تدخل ان تقول والله لتخرجن كما تقول والله انك خارج فاذا كان بينهما هذه المجانسة فاذا دخلت على ان في نحو انها لكبيرة كره ان يجمعوا بين حرفين متشاكلين متفقين في المعنى فاخر اللام الى الخبر ليفصل بين اللام وبين ان بالاسم نحو انها لكبيرة فاما سائر اخوات ان فهي تركب مع المبتدا وخبره فيخرج المبتدا من صورة المبتدا ويصير قسما اخر فلا يدخل اللام عليه واذا لم يدخل عليه كان بالحري ان لا يدخل على خبره النزول قال الجبائي انه خطاب للمسلمين دون اهل الكتاب وقال الرماني وغيره هو خطاب لاهل الكتاب ويتناول المؤمنين على وجه التاديب والاولى ان يكون خطابا لجميع المكلفين لفقد الدلالة على التخصيص ويؤيد قول من قال انه خطاب لاهل الكتاب انما قبل الاية وما بعدها خطاب لهم المعنى من قال انه خطاب لليهود قال ان حب الرياسة كان يمنع علماء اليهود عن اتباع النبي صلى الله عليه واله لانهم خافوا زوال الرياسة اذا اتبعوه فامرهم الله تعالى فقال واستعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من طاعتي واتباع امري وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامري واتباع رسولي محمد بالصبر على ما انتم فيه من ضيق المعاش الذي تاخذون الاموال من عوامكم بسببه وروي عن ائمتنا عليهم السلام ان المراد بالصبر الصوم فتكون فائدة الاستعانة به

انه يذهب بالشره وهو النفس كما قال عليه السلام الصوم وجاء وفائدة الاستعانة بالصلوة انه يتلى فيها ما يرغب فيما عند الله تعالى ويزهد في الدنيا وحب الرياسة كما قال سبحانه ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولانها تتضمن التواضع لله تعالى فيدفع حب الرياسة وكان النبي صلى الله عليه واله اذا حزنه امر استعان بالصلوة والصوم ومن قال انه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا على ما تنجز ما وعدته لمن اتبع النبي صلى الله عليه واله او على التكليف بالصبر اي بحبس النفس على الطاعات وحبسها عن المعاصي والشهوات وبالصلوة لما فيها من تلاوة القران والتدبر لمعانيه والاتعاظ بمواعظه والايتمار باوامره والانزجار عن نواهيه ووجه اخر انه ليس في افعال القلوب اعظم من الصبر ولا في افعال الجوارح اعظم من الصلوة فامر بالاستعانة بهما وروي عن الصادق عليه السلام انه قال ما يمنع احدكم اذا دخل عليه غم من غموم الدنيا ان يتوضا ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيهما اما سمعت الله تعالى يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله تعالى وانها لكبيرة قيل في الضمير العائد فيه انها وجوه احدها انه عائد الى الصلاة لانها الاغلب والافضل وهو قول اكثر المفسرين وعلى هذا ففي عود الضمير الى واحد وقد تقدم ذكر اثنين قولان احدهما ان المراد به الصلوة دون غيرها وخصها بالذكر لقرب مجاورتها ولانها الاهم والافضل ولتاكيد حالها وتفخيم شانها وعموم فرضها والاخر ان المراد الاثنان وان كان اللفظ واحدا ويشهد له قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها والله ورسوله احق ان يرضوه وقول الشاعر ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان جنونا ولم يقل يعاصيا وقول الاخر فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب ويروى وقيارا وقول الاخر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف وقول الاخر اما الوسامة او حسن الفناء فقد اوتيت منه او ان العقل محتنك ونحو ذلك كثير في الكلام وثانيها انه عائد الى الاستعانة يعني ان الاستعانة بهما لكبيرة وقوله واستعينوا يدل على الاستعانة ومثله قول الشاعر اذا نهي السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف اي جرى الى السفه ودل السفيه على السفه وثالثها ان الضمير عائد الى محذوف وهو الاجابة للنبي عليه السلام عن الاصم او مواخذة النفس بهما او تاديتهما تقدم او تادية الصلوة وضروب الصبر عن القاضي وهذه الخطبة عن ابي مسلم وهذه الوجوه الاخيرة كلها ضعيفة لانه لم يجر لها ذكر وقوله لكبيرة اي ثقيلة عن الحسن وغيره والاصل فيه ان كل ما يكبر يثقل على الانسان حمله فيقال لكل ما يصعب على النفس وان لم يكن من جهة الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك وقوله الا على الخاشعين اي على المتواضعين لله تعالى فانهم قد وطنوا انفسهم على فعلها وعودوها اياها فلا يثقل عليهم وايضا فان المتواضع لا يبالي بزوال الرياسة اذا حصل له الايمان وقال مجاهد اراد بالخاشعين المؤمنين فانهم اذا علموا ما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يثقل عليهم ذلك كما ان الانسان يتجرع مرارة الدواء لما يرجوا به من نيل الشفاء وقال الحسن اراد بالخاشعين الخائفين قوله عز وجل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اية اللغة الظن المذكور في الاية بمعنى العلم واليقين كما قال دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد وقال ابو داود رب هم فرجته بعزيم وغيوب كشفتها بظنون وقال المبرد ليس من كلام العرب الظن عند زيد ما لا يعني علم لان العلم المشاهد لا يناسب باب الظن وقد افصح عن ذلك اوس بن حجر في قوله الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا وقال اخر فالا يا تكم خبر يقين فان الظن ينقص او يزيد وقال بعض المحققين اصل الظن ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلب على القلب كانه حديث النفس بالشئ ويأول جميع ما في القران من الظن بمعنى العلم على هذا والظن والشك والتجويز نظاير الا ان الظن فيه قوة على احد الامرين دون الاخر وحده ما قوي عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه ان يكون على خلافه فبالقوة يتميز من التجويز وبالتجويز ينفصل من العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وهو من جنس الاعتقاد عند ابي هاشم وجنس براسه سوى الاعتقاد عند ابي علي والقاضي واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وضد الظن اليقين والظنين المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيئ الظن بكل احد والظنون البئر التي يظن ان بها ماء ولا يكون ومظنة الرجل حيث يالفه ويكون فيه واصل الملاقاة الملاصقة من قولك التقى الخطان اذا تلاصقا ثم كثر حتى قيل التقى الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا ويقال رجع الرجل ورجعته انا لازم ومتعد واصل الرجوع العود الى الحال الاولى الاعراب الذين يظنون في موضع الجر صفة للخاشعين وانهم بفتح الالف لا يجوز غيره لان الظن فعل واقع على انه متعدي يتعلق بالغير فما يليه يكون مفعولا له وان مفتوحة الهمزة تكون مع الاسم والخبر في تاويل اسم مفرد وههنا قد سد مسد مفعولي يظن ويكون المفعول الثاني مستغنى عنه مختزلا من الكلام غير مضمر كما اقام الفاعل في اقام الزيدان سد مسد الخبر لطول الكلام والاستغناء به عنه وهذا القول هو المختار عند ابي علي وفيه قول اخر وهو ان ان مع الاسم والخبر في موضع المفعول الاول والمفعول الثاني مضمر محذوف لعلم المخاطب به فكانه قال الذين يظنون ملاقاة ربهم واقعة وحذف النون من ملاقوا ربهم تخفيفا عند البصريين

والمعنى على اثباتها فان المضاف اليه هنا وان كان مجرورا في اللفظ فهو منصوب في المعنى فهي اضافة لفظية غير حقيقية ومثله قوله انا مرسلوا الناقة وكل نفس ذائقة الموت وقول الشاعر هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق ولو اردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة ولم يجز فيه اظهار النون البتة وقوله وانهم اليه راجعون في موضع النصب عطفا على الاول المعنى لما تقدم ذكر الخاشعين بين صفتهم فقال الذين يظنون او يوقنون انهم ملاقوا ربهم اي ملاقوا ثواب ربهم وعدمه عن الحسن ومجاهد وغيرهما ونظيره قوله اني ظننت اني ملاق حسابيه وقيل انه بمعنى الظن غير اليقين والمعنى انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله قال الرماني وفيه بعد لكثرة الحذف وقيل الذين يظنون انقضاء اجالهم وسرعة موتهم فيكونون ابدا على حذر ووجل ولا يركنون الى الدنيا كما يقال لمن مات لحق بالله ويدل على ان المراد بقوله ملاقوا ربهم ملاقون جزاء ربهم قوله تعالى في صفة المنافقين فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه فلا خلاف في ان المنافق لا يجوز ان يرى ربه وكذلك قوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وجاء في الحديث من حلف على مال امرئ مسلم كاذبا لقي الله وهو عليه غضبان وليس اللقاء من الرؤية في شيء يقال لقاك الله محابك ولا يراد به ان يرى اشخاصا وان ما يراد لقاء ما يسره وقوله وانهم اليه راجعون يسال هنا فيقال ما معنى الرجوع في الاية وهم ما كانوا قط في الاخرة فيعودوا اليها فجوابه من وجوه احدها انهم راجعون بالاعادة في الاخرة عن ابي العالية وثانيها انهم يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدمة لانهم كانوا امواتا فاحيوا ثم يموتون فيرجعون امواتا كما كانوا وثالثها انهم يرجعون الى موضع لا يملك احد لهم ضرا ولا نفعا غيره تعالى كما كانوا في بدو الخلق لانهم في ايام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم والتدبير لنفعهم وضرهم بين ذلك قوله مالك يوم الدين وتحقيق معنى الاية انهم يقرون بالنشاة الثانية فجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعا اليه قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين اية المعنى قد مضى تفسير اول الاية فيما تقدم وقوله واني فضلتكم على العالمين قال ابن عباس اراد عالمي اهل زمانهم لان امتنا افضل الامم بالاجماع كما ان نبينا صلى الله عليه واله وسلم افضل الانبياء وبدليل قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل المراد به تفضيلهم في اشياء مخصوصة وهي انزال المن والسلوى وما ارسل الله فيهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب الى غير ذلك من النعم العظيمة من تغريق فرعون والايات الكثيرة التي تخف معها الاستدلال ويسهل بها المشاق وتفضيل الله اياهم في اشياء مخصوصة لا توجب ان يكونوا افضل الناس على الاطلاق كما يقال حاتم افضل الناس في السخاء ونظير هذه الاية قوله واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب الى قوله وانتم تنظرون فان قيل فما الفائدة في تكرار قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم قلنا لانه لما كانت نعم الله هي الاصل فيما يجب شكره احتيج الى تاكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب عجل عجل وقيل ايضا ان التذكير الاول ورد مجملا والثاني ورد مفصلا وقيل انه بين في الاول ذكرهم نعمه الى انفسهم وفي الثاني ذكرهم نعمه على ابائهم قوله عز وجل واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون اية القراءة قرا اهل مكة والبصرة لا تقبل بالتاء والباقون بالياء الحجة من قرا بالتاء الحق علامة التانيث لتؤذن بان الاسم الذي اسند اليه الفعل وهو الشفاعة مؤنث ومن قرا بالياء فلان التانيث في الاسم ليس بحقيقي فحمل على المعنى فذكر لان الشفاعة والتشفيع بمنزلة كما ان الوعظ والموعظة والصيحة والصوت كذلك وقد قال تعالى فمن جاءه موعظة واخذ الذين ظلموا الصيحة ويقوي التذكير ايضا انه فصل بين الفعل والفاعل بقوله منها والتذكير يحسن مع الفصل كما يقال في التانيث الحقيقي حضر القاضي اليوم امراة اللغة الجزاء والمكافاة والمقابلة نظائر يقال جزى يجزي جزاء وجازاه مجازاة وفلان ذو جزاء اي ذو غناء فكان قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا يقابل مكروهها بشيء يدراه عنها ومنه الحديث انه عليه السلام قال لابي بردة في الجذعة التي امره ان يضحي بها ولا تجزي عن احد بعدك وقال عليه السلام البقرة تجزي عن سبعة اي تقضي وتكفي قال ابو عبيدة هو ماخوذ من قولك جزى عني هذا الامر فاما قولهم اجزاني الشيء اي كفاني فهمزة وقبول الشيء هو تلقيه والاخذ به خلاف الاعراض عنه ومن ثم قيل لتجاه الشيء قبالته وقالوا اقبلت المكواة الداء اي جعلتها قبالته قال واقبلت افواه العروق المكاويا والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظائر ونقيضه الامتناع والشفاعة ماخوذة من الشفع فكانه سوال من الشفيع يشفع سوال المشفوع له والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظائر والشفعة في الدار وغيرها ماخوذ منه وانما سميت شفعة لان صاحبها يشفع ماله بها ويضمها الى ملكه والعدل والحق والانصاف نظائر ونقيض العدل الجور والعدل المرضي من الناس الذكر والانثى والجمع والواحد فيه سواء والعدل الفدية في الاية والفرق بين العدل والعدل ان العدل هو مثل الشيء من جنسه والعدل هو بدل الشيء وقد يكون من غير جنسه قال سبحانه او عدل ذلك صياما والنصرة والمعونة والتقوية نظائر وفي الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما اي امنعه من الظلم ان كان ظالما وامنع منه الظلم ان كان مظلوما وانصار الرجل اعوانه ونصرت السماء اذا امطرت الاعراب يوما انتصب باتقوا انتصاب المفعول لا انتصاب الظروف لان معناه اتقوا

اليوم واحذروه وليس معناه اتقوا في هذا اليوم لان ذلك اليوم لا يامر فيه بالاتقاء وانما يؤمر في غيره من اجله وموضع لا تجزي نصب لانه صفة يوم والعائد الى الموصوف فيه اختلاف ذهب سيبويه الى ان فيه محذوفا من الكلام اي لا تجزي فيه وقال اخرون لا يجوز اضمار فيه لانك لا تقول هذا رجل قصدت او رغبت وانت تريد اليه او فيه فهو محمول على المفعول على السعة كانه قيل واتقوا يوما لا تجزيه ثم حذف الهاء كما يقال رايت رجلا احببت اي احببته وهو قول السراج قال ابو علي حذف الهاء من الصفة كما يحذف من الصلة لما بينهما من المشابهة فان الصفة تخصص الموصوف كما ان الصلة تخصص الموصول ولا يعمل في الموصوف ولا يتسلط عليه كما لا يعمل الصلة في الموصول ومرتبتها ان تكون بعد الموصوف كما ان مرتبة الصلة ان تكون بعد الموصول وقد تلزم الصفة في اماكن كما يلزم الصلة وذلك اذا لم يعرف الموصوف الا بها ولا يعمل في ما قبل الموصوف كما لا تعمل الصلة فيما قبل الموصول فاذا كان كذلك حسن الحذف من الصفة كما يحسن من الصلة في نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا وقال الاخفش شيئا في موضع المصدر كانه قال لا تجزي جزاء او لا تغني غناء قال الرماني الاقرب ان يكون شيئا في موضع حقا كانه قال لا يؤدي عنها حقا وجب عليها وقوله لا تقبل منها شفاعة موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التي هي وصف قبلها ومن ذهب الى انه حذف الجار واوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كان مذهبه في لا تقبل ايضا مثله فيما حذف منه الراجع الى الموصوف قول الشاعر وما شيء حميت بمستباح والضمير في منها عائد الى النفس على اللفظ وفي قوله ولا هم ينصرون على المعنى لانه ليس المراد به المفرد فلذلك جمع المعنى لما بين سبحانه نعمه عليهم العظام انذرهم في كفرانها بيوم القيمة فقال واتقوا اي احذروا واخشوا يوما لا تجزي اي لا تغني او لا تقضي فيه نفس عن نفس شيئا ولا تدفع عنها مكروها وقيل لا يؤدي احد عن احد حقا وجب عليه لله او لغيره وانما نكر النفس ليبين ان كل نفس هذا حكمها وهذا مثل قوله سبحانه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقوله ولا يقبل منها شفاعة قال المفسرون حكم هذه الاية مختص باليهود لانهم قالوا نحن اولاد الانبياء واباؤنا يشفعون لنا فايسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ويدل على ذلك ان الامة اجمعت على ان للنبي صلى الله عليه واله شفاعة مقبولة وان اختلفوا في كيفيتها فعندنا هي مختصة بدفع المضار واسقاط العقاب عن مستحقيه من مذنبي المؤمنين وقالت المعتزلة هي في زيادة المنافع للمطيعين والتائبين دون العاصين وهي ثابتة عندنا للنبي صلى الله عليه واله ولاصحابه المنتجبين والائمة من اهل بيته الطاهرين ولصالحي المؤمنين وينجي الله تعالى بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين ويؤيده الخبر الذي تلقته الامة بالقبول وهو قوله ادخرت شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وما جاء في روايات اصحابنا رضي الله عنهم مرفوعا الى النبي صلى الله عليه واله انه قال اني اشفع يوم القيمة فاشفع ويشفع علي فيشفع ويشفع اهل بيتي فيشفعون وان ادنى المؤمنين شفاعة ليشفع في اربعين من اخوانه كل قد استوجب النار وقوله تعالى عن الكفار عند حسراتهم على الفائت لهم مما حصل لاهل الايمان من الشفاعة فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقوله ولا يؤخذ منها عدل اي فدية وانما سمي الفداء عدلا لانه يعادل المفدى ويماثله وهو قول ابن عباس ومعناه لا يؤخذ من احد فداء يكفر عن ذنوبه وقيل لا يؤخذ منه بدل بذنوبه واما ما جاء في الحديث لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فاختلف في معناه قال الحسن الصرف العمل والعدل الفدية وقال الاصمعي الصرف التطوع والعدل الفريضة وقال ابو عبيدة الصرف الحيلة والعدل الفدية وقال الكلبي الصرف الفدية والعدل رجل مكانه وقوله ولا هم ينصرون اي لا يعانون حتى ينجوا من العذاب وقيل ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله اذا عاقبهم قوله عز وجل واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اية القراءة في الشواذ قراءة ابن محيصن يذبحون ابناءكم الحجة قال ابن جني وجه ذلك ان فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير وذلك لدلالة الفعل على مصدره والمصدر اسم الجنس وحسبك بالجنس سعة وعموما وانشد ابو الحسن ان الفداء لقبلة هدمتها ونقرتها بيديك كل منقر فكانه قال ونقرتها لان قوله كل منقر عليه جاء ولما في الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يجز تثنيته ولا جمعه لاستحالة كل واحد من التثنية والجمع في الجنس اللغة الانجاء والتنجية والتخليص واحد والنجاة السلامة والخلاص والتخلص واحد ويقال للمكان المرتفع نجوة لان الصاير اليه يتخلص من كثير من المضار وفرق بعضهم بين الانجاء والتنجية فقال الانجاء يستعمل في الخلاص قبل الوقوع في المهلكة والتنجية تستعمل في الخلاص بعد الوقوع في المهلكة والال والاهل واحد وقيل اصل ال اهل لان تصغيره اهيل وحكى الكسائي اويل فزعموا انها ابدلت كما قالوا هيهات وايهات وقيل لا بل هو اصل بنفسه والفرق بين الال والاهل ان الاهل اعم منه يقال اهل البصرة ولا يقال ال البصرة ويقال ال الرجل قومه وكل من يؤول اليه بنسب او قرابة ماخوذ من الاول وهو الرجوع واهله كل من يضمه بيته وقيل ال الرجل قرابته واهل بيته وال البعير الواحه وال الخيمة عمده وال الجبل اطرافه ونواحيه قال ابن دريد ال كل شيء شخصه وال الرجل اهله وقرابته

قال الشاعر ولابك ميتاً بعد ميت احبّة علي وعباس وآل ابي بكر وقال ابو عبيدة سمعت اعرابيا فصيحا يقول اهل مكة آل الله فقلنا ما تعني بذلك قال اليسوا مسلمين المسلمون آل الله قال وانما يقال آل فلان للرئيس المتبع وفي شبه مكة لانها ام القرى ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له فاذا جاوزت هذا فآل الرجل اهل بيته خاصة فقلنا له افتقول لقبيلة آل فلان قال لا الا اهل بيته خاصة وفرعون اسم لملك العمالقة كما يقال لملك الروم قيصر ولملك الفرس كسرى ولملك الترك خاقان ولملك اليمن تبّع فهو على هذا بمعنى الصفة وقيل ان اسم فرعون مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سامه خطة خسف اذا كلفه اياه وقيل يولونكم سوء العذاب وسامه خسفا اذا اولاه ذلا قال الشاعر ان سيم خسفا وجهه تربّدا وقيل يجشمونكم وقيل يعذبونكم واصل الباب السوم الذي هو ارسال الابل في الرعي وسوء العذاب واليم العذاب وشديد العذاب نظاير قال صاحب العين السوائم العذاب الجامع للآفات والداء يقال سُؤت فلانا اسوءه مساءة ومسائية واسأت فلان من السوء متلاهم من الهم والسوءة الفعلة القبيحة والسوأة الفرج والسوء ايضا كل علة بينة ويقول في النكرة رجل سوء كما يقول رجل صدق فاذا عرفت قلت الرجل السوء فلا تضيفه ولا تقول الرجل الصدق وقوله بيضاء من غير سوء اي من غير برص والذبح والنحر والشق نظاير والذبح فري الاوداج والتذبيح التكثير منه واصله الشق يقال ذبحت المسك اذا فتقت عنه قال كان بين فكها والفك فارة مسك ذبحت في سُكّ والذبح الشيء المذبوح والذباح والذبحة بفتح الباء وتسكينها داء يصيب الانسان في حلقه ويستحيون اي يستبقون ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم اي استبقوا شبابهم والنساء والنسوة والنسوان لا واحد لها من لفظها والبلاء والاحسان والنعم نظاير في اللغة والبلاء يستعمل في الخير والشر قال سبحانه ونبلوكم بالشر والخير فتنة والابلاء في الانعام قال وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وقال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو فالبلاء يكون بالانعام كما يكون بالانتقام واصل البلاء الامتحان والاختبار قال الاحنف البلاء ثم الثناء **الاعراب** العامل في اذ من قوله واذ نجيناكم قوله اذكروا من قوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي فهو عطف على ما تقدم وقوله يسومونكم يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من آل فرعون والعامل فيه نجيناكم ويجوز ان يكون للاستيناف والابناء جمع ابن واصل ابن بنو بفتح الفاء والعين ويدل على ان الفاء كانت متحركة قولهم في جمعه بناء على وزن افعال وافعال بابه ان يكون لفَعَل نحو جبل واجبال كما كان فعْل بتسكين العين بابه افعل نحو فرخ وافرخ والمحذوف من الابن الواو على ما قلنا لانها اثقل فهي بالحذف اولى واليه ذهب الاخفش وابو علي الفسوي **المعنى** ثم فصّل سبحانه في هذه الاية النعم التي اجملها في ما قبل فقال اذكروا اذ نجيناكم اي خلصناكم من قوم فرعون واهل دينه يسومونكم يلزمونكم سوء العذاب وقيل يذيقونكم ويكلفونكم ويعذبونكم والكل متقارب اخلصوا في العذاب الذي نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر في الاية من قوله يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وهذا التفسير وقيل اراد به ما كانوا يكلفونهم من الاعمال الشاقة فمنها انهم جعلوهم اصنافا فصنف يخدمونهم وصنف يحرثون لهم ومن لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم الجزية وكانوا يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم مع ذلك ويدل عليه قوله تعالى في سورة ابراهيم يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم فعطفه على ذلك يدل على انه غيره وقوله يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم معناه يقتلون ابناءكم ويستحيون بناتكم ليستبقوهن ويدعوهن احياء ليستعبدن وينكحن على وجه الاسترقاق وهذا اشد من الذبح وانما لم يقل بناتكم لانه سماهن بالاسم الذي يؤول حالهن اليه وقيل انما قال نساءكم على التغليب فانهم كانوا يستبقون الكبار والصغار يقال اقبل الرجال وان كان فيهم صبيان ويجوز ايضا ان يقع اسم النساء على الصغار والكبار كالابناء وقوله وفي ذلكم اي في سومكم العذاب وذبح الابناء ابتلاء عظيم من ربكم لما خلى بينكم وبينه حتى فعل بكم هذه الافاعيل وقيل في نجاتكم من فرعون وقومه نعمة عظيمة من الله عليكم **القصة** والسبب في قتل الابناء ان فرعون رأى في منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقتها واحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه فقالوا انه يولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل وجمع القوابل من اهل مملكته فقال لهن لا يسقط على ايديكن غلام من بني اسرائيل الا قتل ولا جارية الا تركت ووكل بهن فكن يفعلن ذلك واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون فقالوا له ان الموت وقع في بني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قوله عز وجل واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون اية **القراءة** في الشواذ قرأ الزهري واذ فرّقنا بكم مشددة قال ابن جني فرّقنا اشد تفريقا من فرقنا فمعنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا ومعنى فرقنا شققنا

الجدث طرف النهر كالجدة بالكسر وبالضم ساحل البحر بمكة ق

بكم البحر **اللغة** الفرق هو الفصل بين شيئين اذا كانت بينهما فرجة والفرق الطائفة من كل شيء ومن الماء اذا انفرق بعضه عن بعض فكل طائفة من ذلك فرق ومنه فكان كل فرق كالطود العظيم والفرق الخوف وفي الحديث ما اسكر الفرق فالجرعة منه حرام وهو مكيال يعرف بالمدينة والبحر سمي بحرا لاستبحاره وهو سعته وانبساطه يقال استبحر في العلم وتبحر فيه وتبحر اذا اتسع وتمكن والباحر الاحمق الذي اذا كلم بقي كالمبهوت والعرب تسمي الماء الملح والعذب بحرا اذا كثر ومنه قوله مرج البحرين يلتقيان يعني الملح والعذب واصل الباب الاتساع واما اللج فهو الذي لا يرى حافيته من في وسطه لكثرة مائه وعظمه ودجلة بالاضافة الى الساقية بحر وبالاضافة الى الجدة ونحوها ليست ببحر والغرق الرسوب في الماء والنجاة ضد الغرق كما انها ضد الهلاك واغرق في الامر اذا جاوز الحد فيه واصله من نزع السهم حتى يخرج عن كبد القوس واغرورقت عينه شرقت بدمعها والنظر النظر بالعين يقال نظرت الى كذا ونظرت في الكتاب وفي الامر وقول القائل انظر الى الله ثم اليك معناه اتوقع فضل الله ثم فضلك ونظرته وانتظرته بمعنى واحد والنظر التفكر واصل الباب كله الاقبال نحو الشيء بوجه من الوجوه فالنظر بالعين الاقبال نحو المبصر والنظر بالقلب الاقبال بالفكر نحو المفكر فيه والنظر بالرحمة هو الاقبال بالرحمة وحقيقة النظر هو تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته **المعنى** ثم ذكر سبحانه نعمة اخرى فقال واذكروا اذ فرقنا بكم البحر اي فرقنا بين الماءين حتى مررتم فيه فكنتم فرقا بينهما تمرون في طريق يبس وقيل معناه فرقنا البحر بدخولكم اياه فوقع بين كل فرقتين من البحر طائفة منكم يسلكون طريقا يابسا فوقع الفرق بكم وقيل فرقنا بكم اي بسببكم البحر لتمروا فيه فانجيناكم يعني من البحر والغرق وقوله واغرقنا آل فرعون ولم يذكر غرق فرعون لانه قد ذكره في مواضع كقوله فاغرقناه ومن معه فاختصر لدلالة الكلام عليه لان الغرض مبني على اهلاك فرعون وقومه ونظيره قول القائل دخل جيش الامير البادية ويكون الظاهران الامير معهم ويجوز ان يريد بآل فرعون نفسه كقوله مما ترك آل موسى وآل هرون يعني موسى وهرون وقوله وانتم تنظرون معناه وانتم تشاهدون انهم يغرقون وهذا ابلغ في الشماتة واظهار المعجزة وقيل معناه وانتم بمنظر ومشهد منهم حتى لو نظرتم اليهم لامكنكم ذلك لانهم كانوا في شغل من ان يروهم كما يقال دور آل فلان تنظر الى دور آل فلان اي هي بازائها وبحيث لو كان مكانها ما ينظر لامكنه ان ينظر اليه وهو قول الزجاج وقريب مما قاله الفراء والاول اصح لانهم لم يكن لهم شغل شاغل عن الرؤية فانهم كانوا قد جاوزوا البحر وتظاهرت الاخبار على ان اصحاب موسى عليه السلام رأوا انفراق البحر والتطام امواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر **القصة** وجملة قصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يسري ببني اسرائيل من مصر فسرى موسى ببني اسرائيل ليلا فاتبعهم فرعون في الف الف حصان سوى الاناث وكان موسى في ستمائة الف وعشرين الفا فلما عاينهم فرعون قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه فقال موسى عليه السلام عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون فقال له يوشع بن نون بم امرت قال امرت ان اضرب بعصاي البحر قال اضرب وكان الله تعالى اوحى الى البحر ان اطع موسى اذا ضربك قال فبات البحر له افكل اي رعدة لا يدري في اي جوانبه يضرب فضرب بعصاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقا وكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا انا لا نسلك طريقا نديا فارسل الله ريح الصبا حتى جففت الطريق كما قال فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا فجروا فيه فلما اخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى اصحابنا فقالوا لموسى اين اصحابنا فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال موسى عليه السلام اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله تعالى اليه ان قل بعصاك هكذا وهكذا يمينا وشمالا فاشار بعصاه يمينا وشمالا فظهر كالكوى ينظر منها بعضهم الى بعض فلما انتهى فرعون الى ساحل البحر وكان على فرس حصان ادهم فهاب دخول الماء تمثل له جبرئيل على فرس انثى وديق وتقحم البحر فلما رآها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر اطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعا ونجا موسى ومن معه ومما يسأل على هذا ان يقال كيف لم يعط الله تعالى كل نبي مثل ما اعطى موسى من الآيات الباهرات لتكون الحجة اظهر والشبهة ابعد والجواب ان الله ينصب الاعلام الباهرة والمعجزات القاهرة لاستصلاح الخلق وعلى حسب ما يرى لهم من الصلاح وقد كان في قوم موسى عليه السلام من بلادة النفس وكلال الحدس مما لم يكنهم معه الاستدلال الا بالآيات الجلية الاترى انهم لما عبروا النهر واتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا بعد ما شاهدوه من هذه الآيات اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وكان في العرب وامة نبينا صلى الله من جودة القريحة وحدة الفطنة وذكاء الذهن وقوة الفهم ما كان يمكنهم معه الاستدلال بما يحتاج فيه الى التأمل والتدبر والاستضاءة بنور العقل في التفكر فجاءت آياتهم مشاكلة لطباعهم المتوقدة ومجانسة لما ركب في اذهانهم من الدقة والحدة على ان في جميعها من الحجة الظاهرة والبينة الزاهرة ما ينفي خلاج الشك

عن قلب لناظر المستبين ويفضي به الى فضاء العلم اليقين يوضح له مناهج الصدق ويوجه مولج الحق وما يستوي الاعمى والبصير ولا ينبئك مثل خبير ٥ قوله عز وجل
وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون آية القراءة قرأ ابو جعفر واهل البصرة ههنا وعدنا بغير الف وفي الاعراف
وطه وقرأ الباقون واعدنا بالالف وقرأ ابن كثير وحفص والبرجمي ورويس اتخذتم واخذتم وما جاء منه باظهار الذال وادغمه الاعشى فيما كان على
افتعلت الباقون يدغمون الحجة حجة من قرأ باثبات الالف انه قال لا يخلو اما ان يكون قد كان من موسى وعد او لم يكن منه وعد فان كان فلا اشكال في وجوب القراءة
بواعدنا وان لم يكن منه وعد فان ما كان منه من قبول الوعد والتحري لانجازه والوفاء به يقوم مقام الوعد فالقراءة بواعدنا لا بد انه تعالى على
وعده ووفى لموسى ولا نذا احسن في مثل قوله بما اخلفوا الله ما وعدوه الاخبار بالوعد منهم لله تعالى كان هنا الاختيار واعدنا ومن قرأ وعدنا
بغير الف قال هو اشد مطابقة للمعنى اذ كان القبول ليس بوعد في الحقيقة اذ الوعد انما هو اخبار الموعود بما يفعل به من خير وعلى هذا فيكون قوله بما
اخلفوا الله ما وعدوه مجازا حقيقية بما اخبروا انهم فاعلوه وقال بعضهم ان المواعدة في الحقيقة لا يكون الا بين البشر والله تعالى المتفرد بالوعد
والوعيد كما قال وعد الله الذين امنوا منكم وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم والقرآن جميعا
وحجة من ادغم الذال في التاء من اتخذتم هو ان مخرج الذال قريب من مخرج التاء وحجة من لم يدغم ان مخرجيهما متغايران اللغة الوعد والموعد
والموعدة مصادر وعدته اعده وعدت يتعدى الى مفعولين يجوز فيه الاقتصار على احدهما كاعطيت قال وواعدناكم جانب الطور الايمن فجانب
مفعول ثان والعدة والوعد قد يكونان اسمين ايضا والوعد في الخير والوعيد في الشر ويجمع العدة على العدات ولا يجمع الوعد والموعد قد يكون
موضعا ووقتا ومصدرا والميعاد لا يكون الا وقتا او موضعا وقد يقال وعدته في الشر كقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا واوعدته لا
يكون الا في الشر والمكاره وتقول اوعدته الشر ولا تقول اوعدته الشر وحقيقة الوعد هو الخبر عن خير يناله المخبر في المستقبل وموسى اسم مركب من
اسمين بالقبطية فمو هو الماء وسا الشجر وسمي بذلك لان التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر وجدته جواري آسية امرأة فرعون وقد
خرجن ليغتسلن بالمكان الذي وجد فيه عن السدي وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عن محمد بن اسحق بن يسار
وانما قال اربعين ليلة ولم يقل اربعين يوما لتصير الليالي للايام على قول المبرد ومعنى بذلك انك اذا ذكرت الليالي دخل فيها الايام واذا ذكرت الايام لا يدخل
فيها الليالي والصحيح ان العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والايام الاهلة فاول الشهر الليالي فلذلك ارخت بالليالي وغلبتها على الايام واكتفت بذكر
الليالي عن الايام فقالت لعشر خلون والحسن يقبض جريا على الليالي والليلة الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واليوم من طلوع الفجر الثاني الى
غروب الشمس وليلة ليلا اذا اشتدت ظلمتها وليلة تصغير ليلة اخرجوا الياء الاخيرة ومخرجها في الليالي وقال بعضهم اصل ليلة ليلاة فقصر والاتخاذ
افتعال وفعلت فيه تخذت قال الشاعر وقد تخذت رجلي الى جنب غرزها نسيفا كافحوص القطاة المطرق قال ابو علي وليس تخذت من اخذت لان الهمزة
لا تبدل من التاء ولا تبدل منها التاء والعجل البقرة الصغيرة يقال عجل وعجول وهو من العجلة لان قصر المدة كالعجل في الشيء وقال بعضهم انما سمي عجلا لانهم
عجلوا فاتخذوه الها قبل ان ياتيهم موسى الاعراب قوله وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة لا يخلو تعلق الاربعين بالوعد من ان يكون على انه ظرف او
مفعول ثان فلا يجوز ان يكون ظرفا لان الوعد ليس فيها كلها فيكون جوابا لكم ولا في بعضها فكان يكون جوابا لمتى وانما الموعد تقضي الاربعين فاذا لم
يكن ظرفا كان انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثاني والتقدير وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة او تتمة اربعين ليلة فحذف المضاف كما تقول اليوم خمسة عشر
من الشهر اي تمام خمسة عشر فاما انتصاب اربعين في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة فالميقات هو الاربعون وانما هو ميقات وموعد فيكون كقولك
تم القوم عشرين رجلا والمعنى تم القوم معدودين هذا العدد وتم للميقات معدودا هذا العدد وقد جاء الميقات في موضع الميعاد كما جاء الوقت
موضع الوعد في قوله الى يوم الوقت المعلوم وفي موضع اخر واليوم الموعود وبين ذلك قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة وفي الآية واذ واعدنا موسى اربعين
ليلة وليلة تنتصب على التمييز والتبيين للعدد والاصل في بيان العدد ان يبين بذكر المعدود وانما انتصب بالاسم التام الذي هو اربعون وهو مشبه بالكلام
التام الذي ينتصب بعد ما يكون فضلة عنه ومعنى تمام الاسم هنا هو تركيب هذه النون التي تتمه معه فاشبه الجملة المركبة من فعل وفاعل من جهة انه منهم
وبينهما شبه اخر وهو ان في الجملة التي من فعل وفاعل ومعنى يقتضي المفعول وهو ذكر الفعل وفي العدد ابهام يقتضي التفسير والبيان ليفيد اي نوع من الانواع
ينتصب على هذا المعنى ولذلك قال سيبويه ان في هذا الضرب وهو تمام الاسم معنى يحجز بين الاسم الاول وما يجيء بعد التمام فالنون في اربعين هو بمنزلة الفاعل
يحجز من ان يسند الفعل الى المفعول فيستند الى الفاعل وينتصب المفعول لذلك والنون تتم الاسم الاول فينتصب الاسم الذي بعده واما قوله اتخذتم ان اتخذ

على ضربين احدهما يتعدى الى مفعول واحد كقوله واتخذوا من دون الله الهة وقوله ام اتخذ مما يخلق بنات والاخر يتعدى الى مفعولين كقوله تعالى اتخذوا
ايمانهم جنة فاتخذتموهم سخريا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء فقوله ثم اتخذتم العجل من بعده تقديره اتخذتم العجل الها فحذف المفعول الثاني لان من صاغ
عجلا او عمله لا يستحق الوعيد والغضب من الله تعالى المعنى واذكروا اذ واعدنا موسى ان يؤتيه الالواح فيها التورية والبيان والشفاء على راس اربعين
ليلة او عند انقضاء اربعين ليلة او عند تمام اربعين ليلة وانما قلنا ان قوله اذكر مضمر فيه لان الله تعالى قال قبل هذا يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم فاذ ههنا معطوفة على الايات المتقدمة وهذه الاربعون ليلة هي التي ذكرها الله عز وجل في سورة الاعراف فقال وواعدنا موسى ثلاثين ليلة و
اتممناها بعشر وهي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة قال المفسرون لما عاد بنو اسرائيل الى مصر بعد انجائهم من البحر وهلاك فرعون وقومه وعدهم الله انزال
التورية والشرايع فخلف موسى عليه السلم اصحابه واستخلف عليهم هرون فمكث على الطور اربعين ليلة وانزل عليه التورية في الالواح وقوله ثم اتخذتم العجل
اتخذتموه الها لان بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لان فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه واما الخبر الذي روي انه عليه السلم لعن المصورين
فالمراد به من شبه الله بخلقه او اعتقد فيه انه صورة وقوله من بعده اي من بعد غيبة موسى وخروجه وقيل من بعد وعد الله اياكم بالتورية وقيل من بعد غرق
فرعون وما رايتم من الايات والكل محتمل وانتم ظالمون اي مضرون بانفسكم بما استحققتم من العقاب على اتخاذكم من العجل الها القصة روي عن ابن
عباس قال كان السامري رجلا من اهل باجرمي وقيل كان اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر
في نفسه وكان قد اظهر الاسلام في بني اسرائيل فلما قصد موسى الى ربه وخلف هرون في بني اسرائيل قال هرون لقومه قد حملتم اوزارا من زينة القوم آل
فرعون فتطهروا منها فانها نجس يعني انهم استعاروا من القبط حليا واستبدوا بها فقال هرون طهروا انفسكم منها فانها نجسة واوقد لهم نارا فقال
اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا ياتون بما كان معهم من تلك الامتعة والحلي فيقذفون به فيها قال وكان السامري راى اثر فرس جبرئيل عليه السلم فاخذ ترابا
من اثر حافره ثم اقبل الى النار فقال لهرون يا نبي الله القي ما في يدي قال نعم وهو لا يدري ما في يده وظن انه مما يجيء به غيره من الحلي والامتعة فقذفه
فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة فقال هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا مثله شيئا قط قال ابن عباس
وكان البلاء والفتنة ولم يزد على هذا وقال الحسن صار العجل لحما ودما وقال غيره لا يجوز ذلك لانه من معجزات الانبياء ومن وافق الحسن قال ان
القبضة من اثر رسول الملك كان الله قد اجرى العادة بانها اذا طرحت على اي صورة كانت حييت فليس ذلك معجزة اذ سبيل السامري فيه سبيل غيره و
من لم يجز انقلابه حيا تاول الخوار على ان السامري صاغ عجلا وجعل فيه خروقا يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار ودعاهم الى عبادته فاجابوه
وعبدوه عن ابي علي الجبائي ٥ قوله تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون آية اللغة العفو والصفح والمغفرة والتجاوز نظاير
قال ابن الانباري عفا الله عنك معناه محا الله عنك ماخوذ من قولهم عفت الريح الاثر اذا درسته ومحته فعفو الله محوه الذنوب عن العبد وقال
الرماني اصل العفو الترك ومنه قوله فمن عفي له من اخيه شيء اي ترك فالعفو ترك العقوبة والعفو احل المال واطيبه والعفو المعروف والعفاة والمعتفون
طلاب المعروف والعافية من الطير والدواب طلاب الرزق ومنه الحديث من غرس شجرة مثمرة فما اكلت العافية منها كتب له صدقة والعافية دفاع الله
عز وجل عن العبد والعفا التراب قال زهير على اثار من ذهب العفاء والشكر الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرماني الشكر هو الاظهار للنعمة
المعنى ثم عفونا عنكم اي وضعنا عنكم العقاب الذي استحققتموه بقبول توبتكم من عبادة العجل من بعد ذلك اي من بعد اتخاذكم العجل الها وقيل معناه تركنا
معاجلتكم بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل الها لعلكم تشكرون لكي تشكروا الله على عفوه عنكم وساير نعمه عليكم وقيل معناه التعريض اي عرضناكم للشكر وفي
هذه الاية دلالة على وجوب شكر النعم وعلى ان العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله تعالى على عباده ليشكروه ومعنى قولنا في الله انه غفور شكور
انه يجازي العبد على طاعاته من غير ان ينقصه شيئا من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكرا في مجاز اللغة ولا يستحق الانسان الشكر على نفسه لانه لا يكون
منعما على نفسه فالنعمة تقتضي منعما غير المنعم عليه كما ان القرض يقتضي مستقرضا غير المقرض وقد يحسن الانسان الى نفسه كما يصح ان يسيء اليها لان الاحسان
من الحسن فاذا فعل بها فعلا حسنا ينتفع به كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها فعلا قبيحا تستضر به كان مسيئا اليها ولا يستحق الكافر الشكر على النعم
الذي يستحقه المؤمن لان المؤمن يستحق الشكر على وجه الاجلال والاعظام والكافر لا يستحقه كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج
منه اليه من غير تعظيم له والفرق بين الشكر والمكافاة ان المكافاة من التكافي وهو التساوي وليس كذلك الشكر ففي المكافاة للنعمة دلالة على انه قد
استوفى حقها وقد يكون الشكر مقصرا عنها وان كان ليس على المنعم عليه اكثر منه الا انه كلما ازداد من الشكر حسن الازدياد وان لم يكن واجبا لان الواجب

لا يكون الامتناهيا وذلك كالشكر لنعمة الله تعالى لو استكثر به غاية الاستكثار لم يكن لينتهي الحد لا يجوز له الازدياد لعظم نعمة الله سبحانه وصغر شكر العبد

قوله تعالى عز وجل وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ اية اللغة الفرقان مصدر فرقت بين الشيئين افرق فرقا وفرقانا وسمي كل فارق فرقانا كما سمي كتاب الله الفرقان لفصله بين الحق والباطل وسمى الله تعالى يوم بدر الفرقان لانه فرق في ذلك اليوم بين الحق والباطل وقال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اي يفرق بينكم وبين ذنوبكم المعنى واذكر اذ اتينا اي اعطينا موسى الكتاب وهو التورية والفرقان اختلفوا على وجوه احدها وهو قول ابن عباس ان المراد به التورية ايضا وانما عطف عليه لاختلاف اللفظين كقول عنترة اقوى واقفر بعد ام الهيثم وقال عدي بن زيد وقددت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا والمين الكذب وثانيها ان الكتاب عبارة عن التورية والفرقان انفراق البحر الذي اتاه موسى عليه السلم وثالثها ان المراد بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام والفرق بين موسى عليه السلم واصحابه المؤمنين وبين فرعون واصحابه الكافرين باشياء كثيرة منها انه نجى هؤلاء واغرق هؤلاء ورابعها ان المراد بالفرقان القران ويكون تقديره واتينا موسى التورية واتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف لدلالة ما ابقاه عليه كما حذف الشاعر في قوله تراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه كان له وفر يريد ويفقأ عينيه لان الجدع لا يكون للعين فاكتفى بيجدع من يفقأ وقال الاخر يا ليت بعلك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا اراد وحاملا رمحا وهو قول الفراء وقطرب وثعلب وضعف قوم هذا الوجه لان فيه حمل القران على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبر انه اتى موسى الفرقان في قوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وقوله لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بما في التورية من البشارة بمحمد صلى الله عليه واله وبيان صفاته

قوله تعالى وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ اية القراءة قرا ابو عمرو بارئكم ويامركم وينصركم باختلاس الحركة وروي عنه السكون ايضا والباقون بغير اختلاس ولا تخفيف الحجة قال ابو علي حروف المعجم على ضربين ساكن ومتحرك والساكن على ضربين احدهما اصله السكون في الاستعمال والاخر ما اصله الحركة فما اصله الحركة فيسكن على ضربين احدهما ان يكون حركة بناء والاخر ان يكون حركة اعراب وحركة البناء تسكن على ضربين احدهما ان يكون الحرف المسكن من كلمة مفردة نحو فخذ وسبع وابل وضرب وعلم فمن خفف قال فخذ وسبع وابل وضرب وعلم والاخر ان يكون من كلمتين فيسكن على تشبيه المنفصل بالمتصل نحو قراءة من قرا ويخش الله ويتقه ومنه قول العجاج فبات منتصبا وما تكردسا الا ترى ان تقه من يتقه مثل كتف ومثله قول الشاعر قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولا خلاف في تجويز اسكان حركة البناء في نحو ما ذكرنا من قول العرب والنحويين واما حركة الاعراب فمختلف في تجويز اسكانها فمن الناس من يقول ان اسكانها لا يجوز من حيث كان علما للاعراب واما سيبويه فيجوز ذلك ولا يفصل بين القبيلين وروي قول امرئ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وقول الاخر وقد بدا هنك من المئزر ومن هذا النحو قال جرير سيروا بني العم فالاهواز منزلكم ونهر تيرى ولا تعرفكم العرب فشبه ما يدخل على المعرب بما يدخل على المبني كما شبهوا حركات البناء بحركات الاعراب فمن ثم ادغم نحو رد وفر وعض كما ادغموا نحو يرد ويفر ويعض واعلم ان الحركات التي يكون للبناء والاعراب قد يستعملون في الضم والكسرة منها الاختلاس والتخفيف كما يستعملون الاشباع والتمطيط فاما الفتحة فليس فيها الا الاشباع فقط ولم يخفف نحو جمل كما خفف نحو سبع وكتف وعلى هذا المذهب حمل سيبويه قول ابي عمرو الى بارئكم فذهب الى انه اختلس الحركة ولم يشبعها فهو بزنة حرف متحرك فمن روى عن ابي عمرو الاسكان في هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبه لضعف الصوت به والخفاء على هذا قوله ولا يامركم وغيره اللغة البارئ هو الخالق الصانع وبرا الله الخلق يبراهم براء اذا خلقهم قال امية بن ابي الصلت الخالق البارئ المصور في الارحام ماء حتى يصير دما والفرق بين البارئ والخالق ان البارئ هو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال الى حال وبرا وبرئ من المرض يبرا براء فهو بارئ والبراءة من العيب والمكروه والابعاد عنه الابرى بالكسر وفاعله بريء ورجل براء بمعناه وامراة براء ونسوة براء واما قوله انا براء فهو جمع بريء واصل الباب انفصال الشيء من الشيء ومنه برا الله الخلق اي فطرهم كانهم انفصلوا من العدم الى الوجود والبرية فعيلة بمعنى مفعولة ولا تهمز كالنبي تهمز وان كان اصله الهمزة وقيل البرية مشتقة من البرى وهو التراب فلذلك لم يهمز وقيل ماخوذة من بريت العود فلذلك لم يهمز والقتل والذبح والموت نظائر والفرق بينها ان القتل نقض بنية الحيوة والذبح فري الاوداج والموت عند من اثبته معنى عرض يضاد الحيوة والقتل العدد وجمعه اقتال والقتال النفس وناقة ذات قتال اذا كانت وثيقة وقتلت الشيء علما اذا ايقنته وحققته وفي المثل قتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها وتقتلت الجارية للفتى حتى عشقها كانها خضعت له قال تقتلت لي حتى اذا ما قتلتني تنسكت ما هذا بفعل النواسك الاعراب يا قوم القراءة بكسر الميم وهو الاختيار لانه منادى مضاف والنداء باب حذف فحذف الياء لانه حرف واحد وهو في اخر الاسم كما ان التنوين في اخره وبقيت الكسرة تدل عليه ولما كانت ياء الاضافة قد تحذف في غير النداء ويجوز في الكلام اذ بعد اوجر يا قوم كما قرئ ولا يجوز غيره في القران لان القراءة سنة متبعة ويجوز يا قومي انكم باثبات الياء واسكانه ويجوز يا قومي باثبات الياء وتحريكه فهذه ثلاثة اوجه ويجوز يا قوم على انه منادى مفرد واما قوله يا ليت قومي فان الياء

تثبت فيه لانه لم يلحقه ما يوجب حذفه كما لحق في النداء المعنى واذكروا اذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل عند رجوعه اليهم يا قوم انكم ظلمتم انفسكم اي اضررتم بانفسكم ووضعتم العبادة غير موضعها باتخاذكم العجل معبودا وظلمهم اياها فعلهم بها ما لم يكن لهم ان يفعلوه مما يستحق به العقاب وكذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه فتوبوا الى بارئكم اي ارجعوا الى خالقكم ومنشئكم بالطاعة والتوحيد وجعل توبتهم الندم مع العزم وقتل النفس جميعا وهنا اضمار واختصار كانه لما قال لهم فتوبوا الى بارئكم قالوا كيف قال فاقتلوا انفسكم اي ليقتل بعضكم بعضا بقتل البريء المجرم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم وهذا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض وقيل معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على وجه التوسع عن ابي اسحق واختاره الجبائي واختلفوا في المامور بالقتل فروي ان موسى عليه السلم امرهم ان يقوموا صفين فاغتسلوا ولبسوا اكفانهم وجاء هرون باثني عشر الفا ممن لم يعبد العجل ومعهم الشفار المرهفة وكانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين الفا تاب الله على الباقين وجعل قتل الماضين شهادة لهم وقيل ان السبعين الذين كانوا مع موسى في الطور هم الذين قتلوا من عبد العجل سبعين الفا وقيل انهم قاموا صفين فجعل يطعن بعضهم بعضا حتى قتلوا سبعين الفا وقيل غشيتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضا ثم انجلت الظلمة فاجلوا عن سبعين الف قتيل وروي ان موسى وهرون وقفا يدعوان الله ويتضرعان اليه وهم يقتل بعضهم بعضا حتى نزل الوحي برفع القتل وقبلت توبة من بقي وذكر ابن جريج ان السبب في امرهم بقتل انفسهم ان الله تعالى علم ان ناسا منهم ممن لم يعبد العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافة القتل مع علمهم بان العجل باطل فلذلك ابتلاهم الله بان يقتل بعضهم بعضا وانما امتحنهم الله تعالى بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات العظام والايات وقال الرماني لا بد ان يكون في الامر بالقتل لطف لهم ولغيرهم كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره فان قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم ولا تكليف عليهم بعد القتل واللطف لا يكون لطفا في ما مضى ولا فيما يقارنه فالجواب ان القوم اذا كلفوا ان يقتل بعضهم بعضا وكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده فيكون القتل لطفا له فيما بعد ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجبا واحدا او يمتنع عن قبيح وهذا كما يقول في عبادتنا بقتال المشركين وان الله تعبدنا بان نقاتل حتى نقتل او نقتل ويمدحنا على ذلك وكذلك روي ان السبعين الذين عبدوا العجل تعبدوا بان يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا وكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي وانما كان يكون شبهة لو امروا بان يقتلوا انفسهم بايديهم ولو صح ذلك لم يمتنع ان يكونوا امروا بان يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضي الى الموت وان لم يزل معها العقل فيما في التكليف واما على القول الاخر وهو انهم امروا بالاستسلام للقتل والصبر عليه فلا مسئلة لانهم ما امروا بقتل نفوسهم فعلى هذا يكون قتلهم حسنا لانه لو كان قبيحا لما امروا بالاستسلام له ولذلك نقول لا يجوز ان يتعبد نبي ولا امام بان يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا يدفعه لان في ذلك استسلاما للقبيح مع القدرة على دفعه وذلك لا يجوز وانما كان يقع قتل الانبياء والائمة عليهم السلم على وجه الظلم وارتفاع التمكن من المنع غير انه لا يمتنع ان يتعبد بالصبر على الدفاع وتحمل المشقة في ذلك وان قتله غيره ظلما والقتل وان كان قبيحا بحكم العقل ومما يجوز تغييره بان يصير حسنا لانه جاري مجرى سائر الالام وليس يجري ذلك مجرى الجهل والكذب في انه لا يصير حسنا قط ووجه الحسن في القتل انه لطف على ما قلناه وايضا فلما يجوز من الله تعالى ان يميت الحي فكذلك يجوز ان يامرنا باماتته ويعوضه على الالام التي يدخل عليه ويكون فيه لطف على ما ذكرنا وقوله ذلكم خير لكم عند بارئكم اشارة الى التوبة مع القتل لانفسهم على ما امرهم الله به بدلالة قوله فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فقوله فتوبوا دال على التوبة فكانها مذكورة وقوله فاقتلوا دال على القتل فكانه قال ان التوبة وقتل النفس في مرضاة الله كما امركم به وان كان فيه مشقة عظيمة خير لكم عند خالقكم من ايثار الحيوة الدنيا لان الحياة الدنيا لا تبقى بل تفنى وتحصلون بعد الحيوة على عذاب شديد واذا قتلتم انفسكم كما امركم الله به زالت مشقة القتل عن قريب وبقيتم في نعيم دائم لا يزول ولا يبيد وكرر ذكر بارئكم تعظيما لما اتوا به مع كونه خالقهم وقوله فتاب عليكم هنا اضمار تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم او فقتلتم انفسكم فتاب عليكم اي قبل توبتكم انه هو التواب اي القابل التوبة عن عباده مرة بعد مرة وقيل معناه القابل التوبة عن الذنوب العظام الرحيم يرحمكم اذا تبتم ويدخلكم الجنة وفي هذه الاية دلالة على انه يجوز ان يشترط في التوبة سوى الندم ما لا يصح التوبة الا به كما امروا بالقتل

قوله عز وجل وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ اية اللغة لن نؤمن لك اي لن نصدقك يقال آمن به وآمن له بدلالة قوله تعالى قال آمنتم له وفي موضع اخر آمنتم به والرؤية الادراك بالبصر ثم يستعمل بمعنى العلم يقال راى ببصره رؤية وراى من الراي رايا ورايت رؤيا حسنة والرواء المنظر في البهاء والجمال والمراة التي ينظر فيها وجمعها المرائي وترايت بالمراة اذا نظرت فيها وجاء في الحديث لا يترايا احدكم بالماء اي لا ينظر فيه وترائى القوم اذا راى بعضهم بعضا وترائى فلان لفلان اذا تصدى له ليراه ويحذفون الهمزة من رايت من كل كلمة تكون راؤها ساكنة يقولون رايت ارى والاصل

رجل حسن الشورة والصورة والشارة اى حسن الصورة والشارة وهى الهيئة من الزى والجهرة ترجع الى المدرك

ادأى وادئية فلان اديه فانا مرئى فهو مرئى والاصل ارآية ارأيه وانشدوها فى موضعين مرأى وآدات الناقة والشاة اذا عرف فى لون ضرعها انها قد اقربت والرئ حسن الشارة والهيئة فالجرير وكل قوم لهم رئى ومختبر وليس فى تغلب رئى ولا خبر والجهر والعلانية والمعاينة نظاير يقال جهر كلا وبقراءته جهرا اذا اعلن ورجل جهير ذو رواء وكلام جهير وصوت جهير اى عال والفعل منه جهر جهارة وجهر فى الرجل اى راعنى جماله وضد الجهر السر واصل الباب الظهور وحقيقة الجهر ظهور الشئ معاينة والفرق بين الجهر والمعاينة ان المعاينة ترجع الى حال المدرك وقد يكون الرؤية غير جهرة كالرؤية فى النوم والروية بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن الا رؤية العين على التحقيق دون التخيل والصاعقة على ثلاثة اوجه احدها نار تسقط من السماء كقوله عزوجل ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء والثانى الموت فى قوله فصعق من فى السموات وقوله فاخذتكم والثالث العذاب فى قوله انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود **الاعراب** حتى نرى حتى بمعنى الى وهى الجارة للاسم وانتصب نرى بعدها باضمار ان كما ينتصب الفعل بعد اللام باضمار ان وان مع الفعل فى تاويل المصدر وفى موضع جر بحتى ثم ان الجار والمجرور فى موضع نصب بانه مفعول لن نؤمن جهرة مصدر وضع موضع الحال **المعنى** واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك اى لن نصدقك فى قولك انك نبى مبعوث حتى نرى الله جهرة اى علانية فيخبرنا بانك نبى مبعوث وقيل معناه انا لا نصدقك فيما تخبر به من صفات الله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز حتى نرى الله جهرة وعيانا فيخبرنا بذلك وقيل انه لما جاءهم بالالواح وفيها التورية قالوا لن نؤمن لك بان هذا من عند الله حتى نراه عيانا وقال بعضهم ان قوله جهرة صفة لخطابهم لموسى انهم جهروا به واعلنوه وتقديره واذ قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله والاول اقوى فاخذتكم الصاعقة اى الموت وانتم تنظرون الى اسباب الموت وقيل الى النار وانما قرع الله سبحانه اليهود بسؤال اسلافهم الرؤية من حيث انهم سلكوا طريقتهم فى المخالفة للنبى الذى لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما اتى به فجروا على عادة اسلافهم الذين كانوا يسألون ملاقاة نبيهم ان يجعل لهم الها غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله وطورا يقولون لن نؤمن لك حتى نرى الله واستدل ابو القسم البلخى بهذه الاية على ان الرؤية لا تجوز على الله تعالى قال لانها انكار تضمن امرين ردهم على نبيهم وتجويزهم الرؤية على ربهم ويؤيد ذلك قوله فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فدل ذلك على ان المراد انكار الامرين وتدل هذه الاية ايضا على ان قول موسى عليه السلم رب ارنى انظر اليك كان سؤالا لقومه لانه لا خلاف بين اهل التورية ان موسى عليه السلم لم يسأل الرؤية الا دفعة واحدة وهى التى سألها لقومه **قوله عزوجل ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون اية اللغة** البعث اثارة الشئ من محله ومنه يقال بعث فلان راحلته اذا اثارها من مبركها للسير وبعثت فلانا لحاجتى اذا اقمته من مكانه الذى هو فيه لتوجيهه اليها ومنه يقال ليوم القيمة يوم البعث لانه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب وبعثته من نومه فانبعث اى نبهته فانتبه والبعث الجند يبعثون الى وجه او فى امر واصل البعث الارسال **المعنى** ثم بعثناكم اى ثم احييناكم من بعد موتكم لاستكمال اجالكم عن الحسن وقتادة وقيل انهم سألوا بعد الافاقة ان يبعثوا انبياء فبعثهم الله انبياء عن السدى فيكون معناه وبعثناكم انبياء واجمع المفسرون الا شرذمة يسيرة ان الله تعالى لم يكن امات موسى عليه السلم كما امات قومه ولكن غشى عليه بدليل قوله فلما افاق قال سبحانك تبت اليك والافاقة انما يكون من الغشيان وقوله لعلكم تشكرون اى لكى تشكروا الله تعالى على نعمه التى منها رد الحيوة اليكم وفى هذه اثبات معجزة نبينا صلى الله عليه واله واحتجاج على مشركى العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لانه كان يذكرهم من احيا الذين بعثهم الله تعالى فى الدنيا وكان يوافقه على ذلك من خالفه من اليهود والنصارى ويجب ان يكون هؤلاء القوم وان اماتهم الله سبحانه ثم احياهم غير مضطرين الى معرفة الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم الى معرفته عند الموت بدليل ان الله تعالى اعادهم الى التكليف والمعرفة فى دار التكليف لا تكون ضرورية بل تكون مكتسبة ولكن موتهم انما كان فى حكم النوم فاذهب الله سبحانه عنهم الروح من غير مشاهدة منهم لاحوال الاخرة وليخرج الاحياء بعد الاماتة مما يوجب الاضطرار الى المعرفة لان العلم بان الاحياء بعد الاماتة لا يقدر عليه غير الله تعالى طريقه الدليل وليس الاحياء بعد الاماتة الا قريبا من الانتباه بعد النوم والافاقة بعد الاغماء فى ان ذلك لا يوجب علم الاضطرار واستدل قوم من اصحابنا بهذه الاية على جواز الرجعة وقول من قال ان الرجعة لا تجوز الا فى زمن نبى ليكون معجزا له ودلالة على نبوته باطل لان عندنا بل عند اكثر الامة يجوز اظهار المعجزات على ايدى الائمة والاولياء والادلة على ذلك مذكورة فى كتب الاصول وقال ابو القسم البلخى لا يجوز الرجعة مع الاعلام بها لان فيها اغراء بالمعاصى من جهة الاتكال على التوبة فى الكرة الثانية وجوابه ان من يقول بالرجعة لا يذهب الى ان الناس كلهم يرجعون فيصير اغراء بان يقع الاتكال على التوبة فيها بل لا احد من المكلفين الا ويجوز ان لا يرجع وذلك يكفى فى باب الزجر **قوله عزوجل وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون اية اللغة** الظلة والغمامة والسترة نظاير يقال ظلله تظليلا والظل ضد الضح ونقيضه وظل الشجرة سترها ولا ازال الله عنا ظل فلان اى ستره ويقال السواد الليل ظل لانه

الضحى

يستر الاشياء قال الله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل والغمام السحاب والقطعة منه غمامة وانما سمى غماما لانه يغم السماء اى يسترها وكل ما ستر شيئا فقد غمه وقيل هو ما ابيض من السحاب والغم الغطاء على القلب من الهم وفلان فى غمة من امره اذا لم يهتد له والمن الاحسان الى من لا يستثيبه والاسم المنة والله تعالى هو المنان علينا والرحيم بنا والمن قطع الخير ومنه اجر غير ممنون اى غير مقطوع والمنة قوة القلب وفلان ضعيف المنة واصل الباب الاحسان فالمن الذى كان يسقط على بنى اسرائيل هو مما من الله عليهم اى احسن به اليهم والسلوى طاير كالسمانى قال الاخفش هو للواحد والجمع كقولهم دفلى وقال الخليل واحده سلواة قال كما انتفض السلواة من بلل القطر قال الزجاج غلط خالد بن زهير فى قوله وقاسمها بالله جهدا لانتم الذ من السلوى اذا ما نشورها فظن ان السلوى العسل وانما هو طاير قال ابو على الفارسى وقرئ على الزجاج فى مصنف ابى عبيدة انه العسل قال والذى عندى فيه ان السلوى كانه ما يسلى عن غيره لفضيلة فيه من فرط طيبه او قلة معاناة وعلاج فى اقتنائه فالعسل لا يمتنع ان يسمى سلوى لجمعه الامرين كما سمى الطاير الذى كان يسقط مع المن به ويقال سلا فلان عن فلان يسلو اسلوا اذا تسلى عنه وفلان فى سلوة من العيش اذا كان فى رغد يسليه الهم والسلوان ماء من شربه ذهب غمه فيما زعموا قال لو اشرب السلوان ما سليت **الاعراب** موضع كلوا النصب بمحذوف كانه قال وقلنا لهم كلوا فموضع السلوى نصب لانه معطوف على المن وقوله وما ظلمونا انما يتصل بما قبله ايضا بتقدير محذوف كانه قال فخالفوا ما امروا به وكفروا هذه النعم وما ظلمونا **المعنى** وظللنا عليكم الغمام ظلة وسترة تقيكم حر الشمس فى التيه عن جماعة المفسرين وانزلنا عليكم المن فيه وجوه احدها انه المن الذى يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن عباس وثانيها انه شئ كالصمغ كان يقع على الاشجار وطعمه كالشهد والعسل عن مجاهد وثالثها انه الخبز المرقق عن وهب ورابعها انه جميع النعم التى اتتهم مما من الله تعالى به عليهم مما لا تعب فيه ولا نصب وروى عن النبى عليه السلم انه قال الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والسلوى قيل هو السمانى وقيل هو طاير ابيض يشبه السمانى عن ابن عباس وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم معناه قلنا لهم كلوا من الشهى اللذيذ وقيل المباح الحلال وقيل المباح الذى يستلذ اكله الذى رزقناكم اى اعطيناكم وجعلناه رزقا لكم وقوله وما ظلمونا اى فكفروا هذه النعم وما نقصونا بكفرانهم انعمنا ولكن كانوا انفسهم ينقصون وقيل معناه وما ضرونا ولكن كانوا انفسهم يضرون وهذا يدل على ان الله تعالى لا ينفعه طاعة من اطاعه ولا يضره معصية من عصاه وانما يعود منفعة الطاعة الى المطيع ومضرة المعصية الى العاصى **القصة** وكان سبب انزال المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله بالتيه اذ قالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون حين امرهم بالمسير الى بيت المقدس وحرب العمالقة بقوله ادخلوا الارض المقدسة فوقعوا فى التيه صاروا كلما ساروا تاهوا فى قدر خمسة فراسخ او ستة كلما اصبحوا ساروا غادين فامسوا فاذا هم فى مكانهم الذى ارتحلوا منه كذلك حتى تمت المدة وبقوا فيها اربعين سنة وفى التيه توفى موسى وهرون ثم خرج يوشع بن نون وقيل كان الله تعالى يرد الجانب الذى انتهوا اليه من الارض الى الجانب الذى ساروا منه فكانوا يضلون عن الطريق لانهم كانوا خلقا عظيما فلا يجوز ان يضلوا كلهم عن الطريق فى هذه المدة المديدة فى هذا المقدار من الارض ولما حصلوا فى التيه ندموا على ما فعلوا فالطف الله لهم بالغمام لما شكوا حر الشمس وانزل عليهم المن والسلوى وكان يسقط عليهم المن من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس وكانوا ياخذون منها ما يكفيهم ليومهم وقال الصادق عليه السلم كان ينزل المن على بنى اسرائيل من بعد الفجر الى طلوع الشمس فمن نام فى ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم فى هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس قال ابن جريج وكان الرجل منهم ان اخذ من المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة فانهم اذا اخذوا طعام يومين لم يفسد وكانوا ياخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة والسبت لانه كان لا ياتيهم يوم السبت وكانوا يخبزون مثل القرصة ويوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن وكان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس وكان ينزل عليهم بالليل من السماء عمود من نور يضئ لهم مكان السراج واذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد **قوله عزوجل واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين اية القراءة** قرا ابو جعفر ونافع يغفر لكم بالياء مضمومة وقرا ابن عامر تغفر بالتاء مضمومة وقرا الباقون نغفر لكم بالنون وهو الاختيار لانه اشبه بما تقدم من قوله وظللنا وانزلنا ولان اكثر القراء عليه واجمع القراء على اظهار الراء عند اللام الا ما روى عن ابى عمرو وفى رواية اليزيدى الاستجادة من ادغام الراء فى اللام واتفق القراء على خطاياكم هنا وان اختلفوا فى الاعراف ونوح وقرا بعضهم هنا خطيئاتكم وذلك لان اللتين فى الاعراف ونوح كتبتا فى المصحف بغير الف وهذا كتبت بالف **اللغة** الدخول والولوج والاقتحام نظاير والفرق بين الدخول والاقتحام ان الاقتحام دخول على صعوبة وفى الامر دخل اى فساد ودخل امره اذا فسد وفلان دخيل فى بنى فلان اذا كان من غيرهم واطلعته على دخلة امرى اذا ابنته مكنون امرى وفلان مدخول اذا

في عقد او حسبة والقرية والبلدة والمدينة نظاير قال ابو العباس اصله الجمع وقريت الماء في الحوض اقريه قريا وقريت الضيف اقريه قرى والمقراة الجفنة التي يعد فيها الطعام للاضياف قال عظام المقاري جارهم لا يفزع وقال الخليل القرية والقرية لغتان والكسر لغة يمانية والقرى الظهر من كل شيء وجمعه الاقراء والسجود شدة الانحناء ومنه السجد من النساء وهن الفاترات الاعين قال الشاعر ولهوي الحجر المدامع سجد وقال الاخر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وحطة مصدر مثل ردة وحدة من رددت وحددت قال الخليل الحط وضع الاحمال عن الدواب والحط والوضع والخفض نظاير والحط انحدار من العلو قال امرء القيس كجلمود صخر حطه السيل من عل وجارية محطوطة المتنين ممدودة حسنة والغفران والصفح والعفو نظاير يقال غفر الله له غفرا اي ستر الله على ذنوبه فالغفر التغطية وثوب ذو غفر اذا كان له زئبر ليس بنجر ويقال للغفر لتغطية العنق والعفيرة والمغفرة بمعنى والغفارة خرقة تلف على سية القوس والمغفور والمغفار صمغ العرفط واغفر الشجراذا ظهر ذلك فيه ومنه الحديث انه عليه السلام دخل على عايشة فقالت يا رسول الله اكلت مغافير تعني هذا الصمغ ومنهم من يقول مغاثير كما يقال احدث وجدف ويقال جاء الجماء الغفير وجاؤا جما غفيرا وجماء الغفير اي مجتمعين جما يغطي الارض والعفر ولد الاروى لانه ياوي الجبال ويستتر عن الناس ويقال اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ اي استر له واصل الباب الستر وحد المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة والخطيئة والزلة والمعصية نظاير يقال اخطى الشيء خطأ اذا لم يرده واصابه واخطاه اخطاء اذا اراده فلم يصبه والاول خاطي والثاني مخطي والخطايا جمع خطيئة مثل صحيفات جمع صحيفة وسفيناة جمع سفينة والخطايا ايضا جمع خطيئة والمحسن الفاعل للاحسان او الفاعل للحسن يقال احسن الى غيره واحسن في فعله والفرق بينهما ان احسن اليه لا يقال الا في النفع فلا يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال احسن في تعذيبهم بالنار بمعنى احسن في فعله وتدبيره ويقال امراة حسناء ولا يقال رجل احسن وحد الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذي يدعوا اليه العقل وضده القبيح وهو الفعل الذي يزجر عنه العقل وحد الاحسان هو النفع الحسن وحد الاساءة هو الضرر القبيح وهذا انما يصح على مذهب من يقول ان الانسان يكون محسنا الى نفسه ومسيئا اليها ومن لم يذهب اليه يزيد فيه والواصل الى الغير مع قصده الى ذلك والاولى في حد الحسن ان يقال هو الفعل الذي اذا فعله العالم به على وجه لم يستحق الذم **الاعراب** حيث ظرف مكان مبني على الضم وذكرنا الوجه في بنائه فيما قبل والجملة بعده في تقدير المضاف اليه ومما يسال فيه ان يقال كيف بني على الضم وهو مضاف الى الجملة على التشبيه بما حذف منه الاضافة وهو قبل وبعد وجوابه ان حيث مع اضافته الى الجملة لا يمتنع ان يكون شبه قبل ونحوه قائما فيه لانه قد منع الاضافة الى المفرد وان كان قد اضيف الى الجملة وحق الاضافة ان يقع الى المفرد واذا كان كذلك فكان المضاف اليه محذوف منه كقبل وبعد هذا على قول من بناه على الضم ومن بناه على غير الضم فقال حيث فلا يدخل عليه هذا السوال ولا يجوز في القران الا الضم واما حطة فانما ارتفع على الحكاية وقال الزجاج تقديره مسالتنا حطة اي حط ذنوبنا عنا وقيل تقديره دخولنا الباب حطة لذنوبنا ولو جاز قراته بالنصب لكان وجهه في العربية حط عنا ذنوبنا حطة كما تقول سمعا وطاعة اي اسمع سمعا واطيع طاعة ومعاذ الله اي نعوذ بالله معاذا وقوله نغفر لكم مجزوم لانه جواب الامر وانما الجزم في الشرط فان المعنى ان تقولوا نغفر لكم فحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه ووقوع الامر في الكلام وطوله به وحسن حذفه معه لانه صار كالمعاقب له من حيث اجتمعا في انهما غير موجبين وغير خبرين وهذا كما يحذف المبتدا لدلالة الخبر عليه وقد يحذف الجزاء ايضا لدلالة الشرط عليه في نحو قولهم انت ظالم ان فعلت كما تحذف خبر المبتدا لدلالة المبتدا عليه قال سيبويه كان اصل خطايا خطائي مثل خطايع فابدل من الياء همزة فصار خطائي مثل خطاعع فيجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي ثم قلبت الياء والكسرة الى الالف والفتحة فقيل خطاءا مثل خطاعا كما فعل بمدارى فقيل مدارى ثم استثقل همزة بين الفين لان الهمزة مجانسة للالفات وكان كانما اجتمعت ثلاث الفات فابدلت الهمزة ياء فقيل خطايا وقال الخليل اصل خطايا خطايئ فقلبت الى خطاءي ثم قلب بعد على ما ثبت في المذهب الاول وانما اعل هذا الاعلال لان الهمزة التي بعد الالف عارضة غير اصلية وتقول في جمع مرات مرائي فلا تعل لان الهمزة غير الفعل **المعنى** اجمع المفسرون على ان المراد بالقرية ههنا بيت المقدس ويؤيده قوله في موضع اخر ادخلوا الارض المقدسة وقال ابن زيد انها اريحا قرية قرب بيت المقدس وكان فيها بقايا من قوم عاد وهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق يقول اذكروا اذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم اي اين شئتم رغدا اي موسعا عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام القرية بعد المن والسلوى وقد قيل ان هذه اباحة منه لهم لغنايمها وتملك اموالها اتماما للنعمة عليهم وادخلوا الباب يعني الباب الذي امروا بدخوله وقيل هو باب حطة من بيت المقدس وهو الباب الثامن عن مجاهد وقيل باب القبة التي كان يصلي اليها موسى وبنو اسرائيل وقال قوم هو باب القرية التي امروا بدخولها قال ابو علي الجبائي والاية على قول من يزعم انها باب القبة ادل منها على قول من يقول انها باب القرية لانهم لم يدخلوا القرية في حياة موسى واخر الاية يدل على انهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما امروا به في ايام موسى لانه قال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم والعطف بالفاء التي

هي للتعقيب من غير تراخ يدل على ان هذا التبديل منهم كان في اثر الامر فدل ذلك على انه كان في حياة موسى وقوله سجدا قيل معناه ركعا وهو شدة الانحناء عن ابن عباس وقال غيره ان معناه ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا وقيل معناه اذا دخلتم الباب فاسجدوا لله سبحانه شكرا عن وهب وقولوا حطة قال الحسن وقتادة واكثر اهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا وهو امر بالاستغفار وقال ابن عباس امروا ان يقولوا هذا الامر حق وقال عكرمة امروا ان يقولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب وكل واحد من هذه الاقوال مما يحط الذنوب فيصح ان يترجم عنه بحطة وروي عن الباقر عليه السلام انه قال نحن باب حطتكم وقوله نغفر لكم خطاياكم اي نصفح ونعف عن ذنوبكم وسنزيد المحسنين اي وسنزيدهم على ما يستحقونه من الثواب تفضلا كقوله تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وقيل ان المراد به ان نزيدهم الاحسان على ما سلف من الاحسان بانزال المن والسلوى وتظليل الغمام وغير ذلك **قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون** **اية** **اللغة** التبديل تغيير الشيء الى غير حاله والرجز بكسر الراء العذاب في لغة اهل الحجاز وهو غير الرجس النجس وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الطاعون انه رجس عذب به بعض الامم قبلكم وقال ابو عبيدة الرجز والرجس لغتان مثل البزاق والبساق والزدع والسدع والرجز بضم الراء عبادة الاوثان وفسق يفسق ويفسق والضم اشهر وعليه القراءة ومعنى الفسق في اللغة الخروج عن القصد وكل من خرج عن شيء فقد فسق الا انه في الشرع مخصوص بالخروج عن امر الله تعالى وطاعته **الاعراب** غير الذي انتصب غير بانه صفة لقول واصل غير ان يكون صفة تجري مجرى مثل واذا اضيفا الى المعارف لم يتعرفا لما فيهما من الابهام لان مثل الشيء يكون على وجوه كثيرة وكذلك غير الشيء يكون اشياء كثيرة مختلفة **المعنى** ثم بين سبحانه وتعالى انهم قد عصوا فيما امروا به فقال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي فخالف الذين عصوا والذين ظلموا ما امر لهم ان يفعلوه وغير واما امروا به فقالوا غير ذلك واختلف في ذلك الغير فقيل انهم قالوا بالسريانية هطا سمقاثا وقال بعضهم حطا سمقاثا ومعناه حنطة حمراء فيها شعيرة وكان قصدهم في ذلك الاستهزاء ومخالفة الامر وقيل انهم قالوا حنطة تجاهلا واستهزاء وكانوا قد امروا ان يدخلوا الباب سجدا وطوطئ لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على استاههم فخالفوا في الدخول ايضا وقوله فانزلنا على الذين ظلموا اي فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تبديلهم ما امرهم الله به بالقول والفعل رجزا اي عذابا من السماء عن ابن عباس وقتادة والحسن بما كانوا يفسقون اي بكونهم فاسقين او بفسقهم كقوله ذلك بما عصوا اي بعصيانهم وقال ابن زيد اهلكوا بالطاعون فمات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا من كبرائهم وشيوخهم وبقي الابناء فانتقل عنهم العلم والعبادة كانه يشير الى انهم عوقبوا باخراج الافاضل من بينهم **قوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين** **اية** **اللغة** الاستسقاء طلب السقيا ويقال سقيته واسقيته بمعنى وقيل سقيته من سقي الشفة واسقيته دللته على الماء ويقال عصا وعصوان وثلاث اعص وجمعه عصي والانفجار الانشقاق والانبجاس اضيق منه فيكون اولا انبجاسا ثم يصير انفجارا والعين من الاسماء المشتركة فالعين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدم من تلك وبلد قليل العين اي قليل الناس وما بالدار عين اي متحركة الياء والعين مطر ايام لا يقلع والعين الذهب والعين للميزان وعين الشمس والعين المتجسس للاخبار وقد تقدم ذكر اناس وانه لا واحد له من لفظه ولا تعثوا اي ولا تفسدوا ولا تطغوا والعثي شدة الفساد يقال عثي يعثو عثوا وعثي يعثي عثيا وعاث يعيث عيثا وعيوثا وعيثانا قال رؤبة وعاث فينا مستحل عايث **الاعراب** اذ متعلق بكلام محذوف فكانه قال واذكروا اذ استسقى ويجوز ان يكون معطوفا على ما تقدم ذكره في الايات المتقدمة وقوله اثنتا عشرة عينا الشين ساكنة عند جميع القراء وكان يجوز كسرها في اللغة والكسر لغة ربيعة وتميم والاسكان لغة اهل الحجاز قال ابن جني ان الفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات وذلك ان لغة اهل الحجاز في غير العدد في نظير عشرة عشرة فيقولون نبقة وفخذ يكسرون الثاني وبنو تميم يسكنون فيقولون نبقة وفخذ فلما ركب الاسمان استحال الوضع فقال بنو تميم احدى عشرة وثنتا عشرة بكسر الشين وقال اهل الحجاز عشرة ويكون عينا منصوب على التمييز والاسم الثاني من اثنتا عشرة قام مقام النون في عشرون بدلالة سقوط النون من اثنتا وان عشرة بعد قيام او كذلك التقدير في جميع ذلك وهو الثلاثة والثلث من ثلثة عشر وثلث عشرة الى تسعة عشر وتسع عشرة ان يكون فيها نون وقام عشر مقامها فلذلك لم يدخلها التنوين واذا لم يدخلها تنوين لم يبن بالاضافة ومفسدين منصوب على الحال **المعنى** ثم عد الله سبحانه وتعالى على بني اسرائيل نعمة اخرى فيما انعم عليهم فقال واذ استسقى موسى اي سال موسى ان يسقي قومه ماء والسين سين الطلب وترك ذكو المسؤل ذلك اذ كان فيما ذكر من الكلام دلالة على معنى

ما تركه وكذلك قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت لان معناه فضربه فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر لان فيما ابقاه من الكلام دلالة
على ما القاه وهذا كما يقال امرت فلانا بالتجارة فاكتسب مالا اى فاتجر واكتسب مالا وقوم موسى هم بنو اسرائيل وانما استسقى لهم ربهم الماء فى الحال التى تاهوا
فيها فى التيه فشكوا اليه الظما فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك وهو عصاه المعروفة وكان من آس الجنة دفعه اليه شعيب وكان ادم عليه السلام حمله من
الجنة الى الارض وكان طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان يتقدان فى الظلمة نورا وبه ضرب البحر فانفلق هو الذى صار ثعبانا واما الحجر فا
فيه قيل كان يقرع لهم حجرا من عرض الحجارة فتنفجر عيونا لكل سبط عينا وكانوا اثنى عشر سبطا ثم يسيل كل عين فى جدول الى السبط الذى امر بسقيهم عن
وهب بن منبه وقيل كان حجرا بعينه خفيفا اذا رحلوا احمل فى مخلاة فاذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر منه الماء عن ابن عباس وهذا ولى لدلالة
الالف واللام للعهد عليه وقيل كانت حجرة فيها اثنتا عشرة حفرة وكان الحجر من الكذان وكان يخرج من كل حفرة عين ماء عذب فرات فياخذونه فا
فرغوا واراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان يسقى كل يوم ستمائة الف عن ابى روق وروى انه كان حجرا مربعا وروى انه كان مثل شكل
الراس وكان موسى اذا ضربه بعصاه انفجرت منه فى كل ناحية ثلاث عيون لكل سبط عين وكانوا لا يرتحلون مرحلة الا وجدوا ذلك الحجر منهم بالمكان
الذى كان به منهم فى المنزل الاول وقوله فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا كانّه فى قوله فى سورة الاعراف فانبجست لان الانبجاس هو الانفجار الا انه اقل
وقيل انه لا يمتنع ان يكون اول ما يضرب عليه العصا كان ينبجس ثم يكثر حتى يصير انفجارا وقيل كان ينبجس عند الحاجة وينفجر عند الحاجة وقيل كان ينبجس عند
الحمل وينفجر عند الوضع وقوله قد علم كل اناس مشربهم اى قد علم كل سبط وفريق منهم موضع شربهم وقوله كلوا واشربوا اى وقلنا لهم كلوا واشربوا وهذا
كلام مبتدا وقوله من رزق الله اى كلوا من النعم التى من الله بها عليكم من المن والسلوى وغير ذلك واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى يأتيكم
بلا مشقة ولا مؤنة ولا تبعة فان الرزق ما للمرزوق ان ينتفع به وليس لاحد منعه منه وقوله ولا تعثوا اى لا تسعوا فى الارض فسادا انما قال لا تعثوا
فى الارض مفسدين وان كان العثى لا يكون الا فسادا لانه يجوز ان يكون فعل ظاهره الفساد وباطنه للمصلحة فبين ان فعلهم هو العيث الذى هو الفساد
ظاهرا وباطنا ومتى سئل فقيل كيف يجتمع ذلك الماء الكثير فى ذلك الحجر الصغير وهل يمكن ذلك فالجواب ان ذلك من ايات الله الباهرة والاعاجيب الظاهرة
الدالة على انها من فعل الله تعالى المنشئ للاشيا القادر على ما يشاء الذى تذلل له الصعاب ويتسبب الاسباب فلا يبدع من كمال قدرته وجلال عزته ان
يبدع خلق المياه الكثيرة ابتداء معجزة لموسى ونعمة عليه وعلى قومه ومن استبعد ذلك من الملحدة الذين ما قدروا الله حق قدره ولم يعرفوه حقيقة معرفة
فالكلام عليهم انما يكون فى وجود الصانع واثبات صفاته واتساع مقدوراته ولا معنى للتشاغل بالكلام معهم فى الفرع مع خلافهم فى الاصل قوله تعالى
وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها و
عدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم
الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق
ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون آية القراءة قرا اهل المدينة النبيئين بالهمز والباقون بغير همز الحجة قال ابو على الحجة لمن همز النبى ان
يقول هو اصل الكلمة الا ترى ان ناسا من اهل الحجاز حققوا الهمزة فى الكلام ولم يبدلوا فلم يكن كما فى يدع ونحو مما رفض استعماله فاما ما روى
فى الحديث من ان بعضهم قال يا نبئ الله فقال صلى الله عليه وآله لست بنبئ الله ولكنى نبى الله فاظن ان من اهل النقل من ضعف اسناد هذا الحديث
ويقوى ضعفه ان من مدح النبى صلى الله عليه وآله فقال يا خاتم النبآء انك مرسل بالحق كل هدى الا له هدى كلام يوثر عنه انكار عليه فيما علمنا
ولو كان فى واحده نكير لكان الجمع كالواحد وحجة من ابدل ولم يحقق مجيء الجمع فى التنزيل على انبياء الذى هو فى اكثر الامر للمعتل اللام نحو صفى
واصفياء وغنى واغنياء فدل على ان الواحد قد الزم فيه البدل واذا لزم فيه البدل ضعف فيه التحقيق ولا يجوز ان يكون اشتقاق النبى من النبوة
التى هى الارتفاع او من النباوة لان سيبويه حكى ان جميع العرب يقولون تنبا مسيلمة بالهمز فدل على ان اصله الهمز وقال الزجاج يجوز ان
يكون بنى من انبات فترك همزه لكثرة الاستعمال ويجوز ان يكون من بناء نبيء اذا ارتفع فيكون فعيلا من الرفعة اللغة الطعام ما يتغذى به
والطعم بضم الطاء الاكل والطعم عرض يدرك بحاسة الذوق والطعام من قبيل الاجسام والواحد اول لعدد الحساب وحده ما لا يتجزى والله عز وجل
اسم واحد لتفرده بصفاته الحسنى والدعاء اصله النداء عن ابن السراج فكل من يدعو ربه فهو يناديه وحقيقة الدعاء قول القائل لمن فوقه افعل و
الفرق بينه وبين الامر يظهر بالرتبة والانبات اخراج النبات واصله من الظهور فكانه ظهر اذا انبت والبقل ما ينبته الربيع يقال بقلت الارض وا بقلت

لغتان فصيحتان اذا انبت البقل فالبقل كل نبات ليس له ساق والقثاء فيه لغتان ضم القاف وكسرها والكسر اجود وهى لغة القرآن وقد روى
عن عيسى الثقفى فى الشواذ بالضم والفوم هو الحنطة عن ابن عباس وقتادة والسدى وهو المروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلام وانشد ابن عباس
قول احيحة ابن الجلاح قد كنت اغنى الناس شخصا واجدا ورد المدينة عن زراعة فوم وقال الفراء والازهرى هو الحنطة والخبز بقول العرب فوموا لنا
اى اختبزوا وقال قوم هو الحبوب التى تختبز وقال الكسائى هو الثوم ابدل من الثاء فا كما قالوا جدث وجدف قال الفراء وهذا اشبه بما ذكره
معه من البصل قال الزجاج وهذا بعيد لانه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم ولان القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبون الخبز الذى هو الا
وهذا ضعيف لانه قد روى فى الشواذ عن ابن مسعود وابن عباس وثومها بالثاء والعدس حب معروف وقوله ادنى اى اقرب وادون كما يقول
هذا شئ مقارب اى دون ويجوز ان يكون ادنى من الدناءة وهى الخسة يقال دنا دناءة فهو دنئ وهو ادنى منه فترك همزها وهو اختيار
الفراء وحكى الازهرى عن ابى زيد الدنى بلا همز الخسيس والدنئ بالهمز الماجن واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه بالعمارة
عما سواه ومنهم من قال هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره وقال عدى بن زيد وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا وضربت
عليهم الذلة اى فرضت ووضعت عليهم الذلة والزموها وقولهم ضرب الامام الجزية على اهل الذمة وضرب الامير على عبيده الخراج وقيل ضربت عليهم الذلة
اى حلوا بمنزل الذلة والمسكنة ماخوذ من ضرب القباب قال الفرزدق ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل واما الذلة فمشتقة
من قولهم ذل فلان يذل ذلا وذلة والمسكنة مصدر المسكين يقال ما فيهم اسكن من فلان وما كان مسكينا ولقد تمسكن تمسكنا ومنهم من يقول
تمكن تمكنا والمسكنة ههنا مسكنة الفاقة والحاجة وهى خشوعها وذلها وقوله وباءوا بغضب اى انصرفوا ورجعوا ولا يقال باءوا الا موصولا اما
بخير واما بشر واكثر ما تستعمل فى الشر ويقال باء بذنبه يبوء به قال المبرد واصله المنزلة اى نزلوا منزلة غضب الله وروى ان رجلا جاء برجل
الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا قاتل اخى وهو بواء به اى مقتول به ومنه قول ليلى الاخيلية فان تكن القتلى بواء فانكم فتى ما قتلتم آل
عوف بن عامر وقال الزجاج اصل ذلك التسوية ومنه ما روى عن عبادة بن الصامت قال جعل الله تعالى الانفال الى نبيه فقسمها بينهم على بواء
اى على سواء بينهم فى القسم ومنه قول الشاعر فيقتل خيرا بامرئ لم يكن له بواء ولكن لا تكايل بالدم وقال قوم هو الاعتراف ومعناه انهم اعترفوا بما
يوجب غضب الله عليهم ومنه قول الشاعر انى ابوء بعثرتى وخطيئتى ربى وهل الا اليك المهرب والغضب ارادة ايصال الضرر الى من غضب عليه فاذا
اضيف الى الله تعالى فالمراد به انه يريد انزال العقوبة بالمغضوب عليه نعوذ بالله من غضبه والنبى اشتقاقه من النبا الذى هو الخبر كانه المخبر عن الله تعالى لقوله
فان قلت لم لا يكون من النباوة ومما انشده ابو عثمان قال انشدنى كيسان محض الضريبة فى البيت الذى وضعت فيه النباوة حلوا غير ممذوق فا
فيه انه لا يجوز ان يكون منها لان سيبويه زعم انهم يقولون فى تحقير النبوة كان مسيلمة نبيئة سوء وكلهم يقول تنبا مسيلمة فلو كان تحتمل الامرين لما
اجمعوا على ذلك قال ابو على ومما يقوى انه من النبا الذى هو الخبر ان النباوة الرفعة فكانه قال فى البيت الذى وضعت فيه الرفعة وليس كل رفعة
نبوة وقد يكون فى البيت رفعة ليس بنبوة والمخبر عن الله تعالى المبلغ عنه نبى ورسول فهذا الاسم اخص به واشد مطابقة للمعنى المقصود اذا
اخذ من النبا والاعتداء تجاوز الحد الذى حده الله لعباده الى غيره وكل متجاوز حد شئ الى غيره فقد تعداه الى ما جاوز اليه الاعراب قوله يخرج
لنا مجزوم لانه جواب امر محذوف لان تقديره ادع لنا ربك وقل له اخرج لنا وقد ذكرنا فيما قبل ان الاصل فيه انه مجزوم بالشرط وحذف الشرط لان
الكلام يدل عليه وقيل ان تقديره ان يكون يخرج مجزوما باضمار اللام اى ليخرج لنا نحو قوله قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلوة اى ليقيموا الصلوة فحذف
اللام وانشد ابو زيد فيضحى صريعا ما يقوم لحاجة ولا يسمع الداعى ويسمعك من دعا وانشد غيره فقلت ادعى وادع فان اندى لصوت ان ينادى
داعيان اى ولادع وقال ابو محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا اى لتفد قال المبرد وحدثنى المازنى قال جلست فى حلقة الفراء
فسمعته يقول لاصحابه لا يجوز حذف لام الامر الا فى شعر ثم انشد من كان لا يزعم انى شاعر فيدن منى تنهه الزواجر فقلت له لم جاز فى الشعر ولم يجز فى الكلام قال
لان الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف قال فقلت فما اضطره ههنا وهو يمكنه ان يقول فليدن منى قال فسال عنى فقيل المازنى فاوسع لى وقوله مما تنبت الارض
من هنا للتبعيض لان المراد يخرج لنا بعض ما تنبته الارض وقال بعضهم ان من هنا زائدة نحو قولهم ما جاءنى من احد والصحيح الاول لان من لا
تزاد فى الايجاب وانما تزاد فى النفى لان من المعلوم انهم لم يريدوا جميع ما تنبته الارض وتنوين جميع القراء مصرا لانه اراد مصرا من الامصار بغير تعيين
لانهم كانوا فى تيه ويجوز ان يكون المراد مصرا بعينها البلدة المعروفة وروى عن ابن مسعود انه قرا بغير الف ويجوز ان يكون المراد مصر هذه بعينها

كما قال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين وانما لم يصرفه لانه اسم للمدينة فهو مذكر سمي به مؤنث ويمكن ان يكون انما نونه من نونه اتباعاً للمصحف لانه مكتوب في المصحف بالف وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون قال الزجاج معناه والله اعلم الغضب حلّ بهم بكفرهم واقول في بيانه ان ذلك اشارة الى الغضب في قوله وباؤا بغضب فهو في موضع الرفع بالابتداء وان مع جملته من الاسم والخبر في موضع جر بالباء والجار يتعلق بخبر المبتدا وهي جملة من الفعل والفاعل حذفت لدلالة ما يتصل بها عليها وكذلك قوله ذلك بما عصوا فان ما مع صلته في تاويل المصدر **المعنى** لما عدد سبحانه فيما قبل ما اسداه اليهم من النعم الاحسان ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران وسوء الاختيار لنفوسهم بالعصيان فقال واذ قلتم اي قال اسلافكم من بني اسرائيل يا موسى لن نصبر على طعام واحد اي لن نطيق حبس انفسنا على طعام واحد وانما قال على طعام واحد وان كان طعامهم المن والسلوى وهما شيئان لانه اراد به ان طعامهم في كل يوم واحد اي ياكلون في اليوم ما كانوا ياكلونه بالامس كما يقال ان طعام فلان في كل يوم واحد وان كان ياكل الوانا اذا احبس نفسه على الوان من الطعام لا يغيرها وقيل انه كان ينزل عليهم المن وحده فملوه فقالوا ذلك فانزل عليهم السلوى بعد ذلك وقوله فادع لنا ربك اي فسل ربك وادعه لاجلنا يخرج لنا مما تنبت الارض من البقل والقثاء وما سماه الله مع ذلك وكان سبب مسالتهم ذلك ما رواه قتادة قال كان القوم في البرية قد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فملوا ذلك وذكروا عيشاً كان لهم بمصر فسالوه موسى فقال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وتقديره فدعا موسى فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصرا وقيل انهم قالوا لا نصبر على الفقر بان يكون جميعنا اغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانة ببعض فلذلك قالوا يخرج لنا مما تنبت الارض ليحتاجوا فيه الى اعوان فيكون الفقير عونا للغني وقوله اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قال لهم موسى وقيل بل قاله الله لم اتركون ما اختار الله لكم وتؤثرون ما هو ادون واردى من ذلك وقيل انه اراد اتستبدلون ما يتبذلون في زراعته وصناعته بما اعطاه الله اياكم عفواً من المن والسلوى وقيل المراد تختارون الذي هو اقرب اي اقل قيمة على الذي هو اكثر قيمة والذي اختلف في سؤالهم هذا هل كان معصية فقيل لم يكن معصية لان الاول كان مباحاً فسالوا مباحاً اخر وقيل بل كان معصية لانهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم ولذلك ذمهم على ذلك وهو اوجه وقوله اهبطوا مصرا اختلف فيه فقال الحسن والربيع اراد مصر فرعون الذي خرجوا منه وقال ابو مسلم اراد بيت المقدس وروي ذلك عن ابن زيد وقال قتادة والسدي ومجاهد اراد مصرا من الامصار يعني ان ما يسالونه انما يكون في الامصار اي اذا انزلتم مدينة ذات طول وعرض فان لكم فيها ما سالتم من نبات الارض وقد تم الكلام ههنا ثم استانف حكم الذين اعتدوا في السبت ومن قتل الانبياء فقال وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي الزموا الذلة الزاما لا يبرح عنهم كما يضرب المسمار على الشيء فيلزمه وقيل المراد بالذلة الجزية لقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن الحسن وقتادة وقيل هو الكستيج وزي اليهود عن عطاء وقوله والمسكنة يعني زي الفقر فترى المثري منهم يتباءس مخافة ان تضاعف عليهم الجزية وقال قوم هذه الآية تدل على فضل الغنى لانه ذمهم على الفقر وليس ذلك بالوجه لان المراد به فقر القلب لانه قد يكون في اليهود مياسير ولا يوجد يهودي غني النفس وقال النبي صلى الله عليه وآله الغنى غنى النفس قال ابن زيد ابدلهم الله اليهود بالعز ذلا وبالنعمة بؤسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء لهم بما كفروا بآياته وقتلوا انبياءه ورسله اعتداء وظلما وباؤا بغضب من الله اي رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد وجب عليهم من الله الغضب وحل بهم منه السخط وقال قوم الغضب هو ما حل بهم في الدنيا من البلاء والنقمة بدلا من الرخاء والنعمة وقال اخرون هو ما ينالهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم اي الى ما تقدم ذكره فقال ذلك اي ذلك الغضب وضرب الذلة والمسكنة حل بهم لاجل انهم كانوا يكفرون بآيات الله اي يجحدون حجج الله تعالى وبيناته وقيل اراد بآيات الله الانجيل والقرآن ولذلك قال فباؤا بغضب على غضب الاول لكفرهم بعيسى والانجيل والثاني لكفرهم بمحمد والقرآن وقيل آيات الله صفة محمد صلى الله عليه وآله وقوله ويقتلون النبيين بغير الحق اي بغير جرم كزكريا ويحيى وغيرهما وقوله بغير الحق لا يدل على انه قد يصح ان تقتل النبيون بحق لان هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم وانه لا يكون الا ظلما بغير حق كقوله تعالى ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به ومعناه ان ذلك لا يمكن ان يكون عليه برهان وكقول الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره ومعناه ليس هناك منار يهتدى به وفي امثاله كثرة وقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ذلك اشارة الى ما تقدم ايضا بعصيانهم في قتل الانبياء وعدوهم في السبت وقيل بنقضهم العهد وتعديهم في قتل الانبياء والمراد اني فعلت بهم ما فعلت من ذلك بعصيانهم امري وتجاوزهم حدي الى ما نهيتهم عنه **سؤال** ان قيل كيف يجوز التخلية بين الكفار وقتل الانبياء **فالجواب** انما جاز ذلك لينال انبياء الله سبحانه من رفع الدرجات والمنازل ما لا ينالونه بغير القتل وليس ذلك بخذلان لهم كما ان التخلية بين المؤمنين والاولياء والمطيعين وبين قاتليهم ليست بخذلان لهم وقال الحسن ان الله تعالى لم يامر نبيا بالقتال فقتل وانما قتل من الانبياء من قتل في غير قتال والصحيح ان النبي ان كان لم يؤد الشرع الذي امر بتاديته لم يجز ان يمكن الله سبحانه من قتله لانه لو مكن من ذلك لادى الى ان يكون المكلفون غير مزاحي العلة في التكليف وفيما لهم من الالطاف والمصالح فاما اذا ادى الشرع فحينئذ يجوز ان يخلي الله بينه وبين قاتليه ولم يجب عليه

المنع من قتله وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام انه قال اختلفت بنو اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة حين كثر فيهم اولاد السبايا واختلفوا بعد عيسى بمائتي سنة

قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ايه القراءة قرا نافع بترك الهمز من الصابئين والصابئون في كل القرآن والباقون يهمزون **الحجة** ترك الهمز يحتمل وجهين احدهما ان يكون من صبا يصبو اذا مال الى الشيء والاخر قلب الهمز قال ابو علي ولا يسهل ان تاخذه من صبا يصبو لانه قد يصبو الانسان الى الدين فلا يكون منه تدين ثم صبوه اليه فاذا بعد هذا وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي اخذ عليهم الى سواه لم يستقم ان يكون الا من صبأت الذي معناه انتقلت من دينهم الى دين لم يشرع لهم فيكون على قلب الهمز وقلب الهمز على هذا الحد لا يجيزه سيبويه الا في الشعر فدل على ان القائل بذلك غير فصيح وانه مخلط في لغته فالاختيار الهمز ولانه قراءة الاكثر والى التغيير اقرب **اللغة** هادوا اي صاروا يهودا او دانوا باليهودية وهاد يهود هودا اي تاب واختلف في اسم اليهود فقيل هو من الهود اي التوبة منه قوله انا هدنا اليك عن ابن جريج وسموا بذلك لتوبتهم من عبادة العجل وقال زهير سوى مربع لم يات فيه مخافة ولا رهقا من عابد متهود اي تائب وقيل انما سموا يهود لانهم نسبوا الى يهوذا الاكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالا وقيل انما سموا يهودا لانهم هادوا اي مالوا عن الاسلام وعن دين موسى وقيل سموا بذلك لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراءة التوراة ويقولون ان السموات والارض تحركت حين اتى الله موسى عليه السلام التوراة واليهود اسم جمع واحدهم يهودي كالزنجي والزنج والرومي والروم والنصارى جمع نصران كقولهم سكران وسكارى وندمان وندامى هذا قول سيبويه قال الشاعر تراه اذا كان العشي محنفا يضحي لديه وهو نصران شامس وهو الممتلئ نضرا كما ان الغضبان هو الممتلئ غضبا وقيل في مؤنثه نصرانة قال كما سجدت نصرانة لم تحنف وقيل ان واحد النصارى نصري مثل مهري ومهاري واختلفوا في اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من ناصرة قرية كان يسكنها عيسى عليه السلام فنسبوا اليها وقيل سموا بذلك لتناصرهم اي لنصرة بعضهم بعضا وقيل انما سموا بذلك لقوله عليه السلام من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله والصابئون جمع صابئ وهو من انتقل الى دين اخر وكل خارج من دين كان عليه الى اخر غيره سمي في اللغة صابئا قال ابو علي قال ابو زيد صبأ الرجل في دينه يصبأ صبوءا اذا كان صابئا وصبأ ناب الصبي يصبأ صبأ اذا طلع وصبأت عليهم تصبأ صبأ وصبوءا اذا طلعت عليهم وطرأت مثله فكان معنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره كما ان الصابئ على القوم تارك لارضه ومنتقل الى سواها والدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها قال قتادة وهم قوم معروفون ولهم مذهب يتفردون به من دينهم عبادة النجوم وهم يقرون بالصانع وبالمعاد وببعض الانبياء قال مجاهد والحسن الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم وقال السدي هم طائفة من اهل الكتاب يقراون الزبور وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح وقال ابن زيد هم اهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون لا اله الا الله ولم يؤمنوا برسول الله فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي عليه السلام ولاصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم وقال اخرون هم طائفة من اهل الكتاب والفقهاء باجمعهم يجيزون اخذ الجزية منهم وعندنا لا يجوز ذلك لانهم ليسوا باهل كتاب **الاعراب** خبر ان جملة قوله من امن بالله وباليوم الاخر الاية لان معناه من امن منهم بالله واليوم الاخر فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه وقوله فلهم اجرهم عند ربهم الى اخر الاية في موضع الجزاء وانما رفع ولا خوف لتكرير لا كقول الشاعر وما هجرتك حتى قلت معلنة لا ناقة لي في هذا ولا جمل وهذا كانه جواب لمن قال ا ناقة لك في هذا ام جمل فاما النكرة المفردة ففيه الفتح لا غير نحو لا رجل في الدار وهو جواب هل من رجل في الدار وانما قال من امن فوحد ثم قال فلهم اجرهم فجمع لان من موحد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم بيانه **المعنى** ان الذين امنوا اختلف في هؤلاء المؤمنين فقال قوم هم الذين امنوا بعيسى عليه السلام ثم لم يتهودوا ولم يتنصروا ولم يصبأوا وانتظروا خروج محمد صلى الله عليه وآله وقيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار وقس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والبراء الشني وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وبحير الراهب ووفد النجاشي امنوا بالنبي صلى الله عليه وآله قبل مبعثه فمنهم من ادركه وتابعه ومنهم من لم يدركه وقيل هم مؤمنو الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة وقال السدي هو سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذي كان قد تنصر على ايديهم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا قد اخبروه بانه سيبعث وانهم يؤمنون به ان ادركوه واختلفوا في قوله من امن بالله واليوم الاخر فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا والنصارى والصابئين والضمير يرجع اليهم لان الذين امنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى ان يشترط فيهم استيناف الايمان فكانه قال ان الذين امنوا ومن امن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الاخر فلهم اجرهم وقال اخرون من امن منهم الضمير راجع الى الكل ويكون رجوعه الى الذين امنوا بمعنى الثبات منهم على ايمانهم والاستقامة

وترك التبديل والى الذين هادوا والنصارى والصابئين بمعنى استيناف الايمان بالنبي صلى الله عليه واله وما جاء به وقال بعضهم اراد من امن بمحمد
صلى الله عليه واله بعد الايمان بالله وبالكتب المتقدمة لانه لايتم احدهما الا بالاخر ونظيره قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد
وروى عن ابن عباس انه قال انها منسوخة بقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهذا بعيد لان النسخ لايجوز ان يدخل الخبر الذى هو متضمن للوعد
وانما يجوز دخوله فى الاحكام الشرعية التى يجوز تغيرها وتبدلها بتغير المصلحة فالاولى ان يحمل على انه لم يصح هذا القول عن ابن عباس وقال قوم ان حكمها
ثابت والمراد بها ان الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين واليهود والنصارى والصابئين اذا امنوا بعد النفاق واسلموا بعد العناد كان
لهم اجرهم عند ربهم كمن امن فى اول استدعائه الى الايمان من غير نفاق ولا عناد لان قوما من المسلمين قالوا ان من اسلم بعد نفاقه وعناده كان ثوابه
انقص واجره اقل فاخبر الله بهذه الاية انهم سواء فى الاجر والثواب وقوله بالله اى بتوحيد الله وصفاته وعدله واليوم الاخر يعنى يوم القيمة والبعث والنشور
والجنة والنار وعمل صالحا اى عمل بما امره الله به من الطاعات وانما لم يذكر ترك المعاصى لان تركها من الاعمال الصالحة فلهم اجرهم وثوابهم عند ربهم اى
معد عنده وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون مضى تفسيره قبل وقيل معناه لا خوف عليهم فيما قدموا ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم فى العقبى
ولا يحزنون على الدنيا وفى هذه الاية دلالة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد بالقلب لانه تعالى قال من امن بالله ثم عطف عليه بقوله
وعمل صالحا ومن حمل ذلك على التاكيد او الفضل فقد ترك الظاهر وكل شى يذكر ثم عطف على الاول بعد دخوله فيه مثل قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان
وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فان جميع ذلك على سبيل المجاز والاتساع ولو خلينا والظاهر لقلنا انه ليس بداخل فى الاول

قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون اية اللغة

الميثاق هو مفعال من الوثيقة اما بيمين واما بعهد او غير ذلك من الوثائق والطور الجبل فى اللغة قال العجاج دانى جناحيه من الطور فمر تقضى
البازى اذا البازى كسر وقيل انه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلم عن ابن عباس والقوة القدرة وهى عرض يصير بها الحى قادرا وكل جسم فانه
بقدرة لا يصح منه فعل الجسم والاخذ ضد الاعطاء واصل خذ اوخذ وكذا اصل كل اوكل وانما لزم الحذف فيهما تخفيفا لكثرة الاستعمال وكذلك
مر وقد جاء فيه اومر على الاصل الاعراب خذوا ما اتيناكم محله نصب على تقدير وقلنا لكم خذوا كما تقول اوحيت عليه قم اى وجبت عليه قلت
ثم قال الفراء اخذ الميثاق قول بالكلام ولا حاجة الى اضمار القول فيه غير انه ينبغى لكل ما خالف القول من الكلام الذى هو بمعنى القول ان يكون معه
ان كقوله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك قال ويجوز حذف ان ومن موضع ما نصب المعنى ثم عاد الى خطاب بنى اسرائيل فقال واذكروا
اذ اخذنا ميثاقكم اى عهدكم والعهد هو الذى فطر الله الخلق عليه من التوحيد والعدل ونصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الساطعة الدالة
على ذلك وعلى صدق الانبياء والرسل وقيل انه اراد به الميثاق الذى اخذه الله على الرسل فى قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية وقيل هو اخذ التورية عن موسى عليه السلم ورفعنا فوقكم الطور قال ابن زيد هذا
حين رجع موسى من الطور فاتى بالالواح فقال لقومه جئتكم بالالواح وفيها التورية والحلال والحرام فاعملوا بها قالوا ومن يقبل قولك فارسل
الله عز وجل الملئكة حتى نتقوا الجبل فوق رؤسهم فقال موسى عليه السلم ان قبلتم ما اتيتكم به والا ارسلوا الجبل عليكم فاخذوا التورية وسجدوا لله
تعالى ملاحظين الى الجبل فمن ثم يسجد اليهود على احد شقى وجوههم وقيل وهذا هو معنى اخذ الميثاق وكان فى حال رفع الجبل فوقهم لان فى هذه
الحال قيل لهم خذوا ما اتيناكم يعنى التورية بقوة اى بجد ويقين لا شك فيه وهو قول ابن عباس وقتادة والسدى وقريب منه ما روى
العياشى انه سئل الصادق عليه السلم عن قول الله عز وجل خذوا ما اتيناكم بقوة ابقوة بالابدان ام بقوة بالقلوب فقال بهما جميعا وقيل اخذه
بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجد وقيل بقدرة وانتم قادرون على اخذه عن ابى على والاصم واذكروا ما فيه يعود الضمير فيه الى ما من
قوله ما اتيناكم وهو التورية يعنى احفظوا ما فى التورية من الحلال والحرام ولا تنسوه وقيل معناه اذكروا ما فى تركه من العقوبة وهو المروى
عن ابى عبد الله عليه السلم وقيل معناه اعملوا بما فيه ولا تتركوه وقيل المعنى فى ذلك ان ما اتيناكم فيه من وعد ووعيد وترغيب وترهيب
تدبروه واعتبروا به واقبلوه لعلكم تتقون اى لكى تتقوا اى اذا فعلتم ذلك وخافوا عقابى وتنبهوا على طاعتى وتنزعوا عما انتم عليه من المصير

قوله تعالى ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين اية اللغة توليتم اعرضتم وهو
مطاوع قولهم ولاه فلان دبره اذا استدبر عنه وجعل خلف ظهره ثم يستعمل ذلك فى كل تارك طاعة امر ومعرض بوجهه عنه فيقال

تولى فلان عن طاعة فلان وتولى عن صداقته ومنه قوله فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا اى خالفوا ما وعدوا الله من قولهم لنصدقن و
لنكونن من الصالحين والخاسر هو الذى ذهب راس ماله وراس مال الانسان نفسه وما سواها مما يحصل من المنافع فهو كله ربح المعنى
معنى الاية ثم نبذتم العهد الذى اخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق وراء ظهوركم واعرضتم عنه فلولا فضل الله عليكم اى فلولا ان الله تفضل
عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذى واثقتموه اذ رفع فوقكم الطور وانعم عليكم بالاسلام ورحمته التى رحمكم بها فنجاكم وتجاوز عنكم خطيئتكم برحمته
طاعة ربكم لكنتم من الخاسرين وقال ابو العالية فضل الله الايمان ورحمته القران فيكون معناه لولا ما اقدركم على الايمان وازاحة
علتكم فيه حتى فعلتم الايمان لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان فضلا وتوبته التى بها نجوا ولم يكونوا بها خاسرين فضلا منه من حيث كان
هو الداعى اليه والمقدر عليه والمرغب فيه ويحتمل ان يكون المعنى فلولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع
بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين ويحتمل ان يريد فلولا فضل الله عليكم فى رفع الجبل فوقكم للتوفيق واللطف الذى تبتم عنده حتى
زال العذاب عنكم وسقوط الجبل لكنتم من الخاسرين قوله عز وجل ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة
خاسئين اية اللغة علمتم اى عرفتم هنا تقول علمت اخاك ولم اكن اعلمه اى عرفته ولم اكن اعرفه كقوله تعالى واخرين من دونهم لا تعلمونهم
الله يعلمهم اى لا تعرفونهم الله يعرفهم والذين اعتدوا فى موضع نصب لانه مفعول به والفرق بينه وبين ما يتعدى الى مفعولين ان المعرفة تنصرف الى ذات
الشى والعلم ينصرف الى احواله فاذا قلت علمت زيدا كريما فالمراد عرفت شخصه واذا قلت علمت زيدا كريما او لئيما فالعلم يتعلق باحواله من فضل ونقص
واعتدوا اى ظلموا وجاوزوا ما حد لهم والسبت من ايام الاسبوع قال الزجاج السبت قطعة من الدهر فسمى بذلك اليوم وقال ابو عبيدة سمى بذلك لانه
يوم سبت فيه خلق كل شى اى قطع وفرغ وقال قوم انما سمى بذلك لان اليهود يسبتون فيه اى يقطعون فيه الاعمال وقال اخرون سمى بذلك لما لهم
فيه من الراحة لان اصل السبت هو السكون والراحة ومنه قوله وجعلنا نومكم سباتا ويقال للنائم مسبوت لاستراحته وسكون جسده والقردة
جمع قرد والانثى قردة والخاسى المبعد المطرود يقال خسات الكلب اخساه خسا وخسا الكلب يخسا خسوا يقول خساته فخسا والخسا قال الزجاج
كالكلب ان قلت له اخسا انخسا اى ان طردته انطرد المعنى خاطب اليهود فقال ولقد علمتم اى عرفتم الذين اعتدوا منكم فى السبت اى الذين جاوزوا
ما امروا به من ترك الصيد يوم السبت وكان الحيتان تجتمع فى يوم السبت لامنها فحبسوها فى السبت واخذوها فى الاحد فاعتدوا فى السبت اى ظلموا
وتجاوزوا ما حد لهم لان صيدها هو حبسها وروى الحسن انهم اصطادوا يوم السبت مستحلين بعد ما نهوا عنه فقلنا لهم كونوا قردة هذا اخبار عن
فعله وسرعة ايقاعه لان هناك امرا ومعناه جعلناهم قردة كقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين ولم يكن هناك قول وانما
اخبر عن تسهل الفعل عليه وتكونه بلا مشقة قال ابن عباس فمسخهم الله تعالى عقوبة لهم فكانوا ثلثة ايام يتعاوون ولم ياكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ثم
اهلكهم الله تعالى وجاءت ريح فهبت بهم والقتهم فى الماء وما مسخ الله امة الا اهلكها فهذه القردة والخنازير ليست من نسل اولئك ولكن مسخ اولئك
على صورة هؤلاء يدل عليه اجماع المسلمين على انه ليس فى القردة والخنازير من هو من اولاد ادم ولو كانت من اولاد المسوخين لكانت من بنى ادم وقال
مجاهد لم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا وحكى عنه ايضا انه مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تتقى زجرا
وهذان القولان يخالفان الظاهر الذى اكثر المفسرين عليه من غير ضرورة تدعوا اليه وقوله خاسئين اى مبعدين عن الخير وقيل اذلاء صاغرين عن
عن مجاهد وفى هذه الايات احتجاجات من الله تعالى على اليهود بنعمه المترادفة على ابائهم واخبار الرسول عليه واله السلم عن عناد اسلافهم مرة بعد اخرى
وكفرانهم وعصيانهم ثانية بعد اولى مع ظهور الايات اللائحة والمعجزات الواضحة تعزية له عليه واله السلم وتثبيتا لفؤاده وتسلية اياه عما يقاسيه من مخالفة
اليهود وكيادهم وبراءته من جحودهم وكفرهم وعنادهم ويكون وقوفه على ما وقف عليه من اخبار سلفهم تنبيها لهم وحجة عليهم فى خلادهم الى الجحود والعناد
وتحذيرا لهم من ان يحل بهم ما حل بابائهم واجدادهم قوله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين اية اللغة
النكال الارهاب للغير واصله المنع لانه ماخوذ من النكل وهو القيد وهو ايضا اللجام وسميت العقوبة نكالا لانها تمنع عن ارتكاب مثل ما ارتكبه
من نزلت به ونكل فلان بفلان تنكيلا ونكالا والموعظة الوعظ واصله التخويف يقال وعظت فلانا موعظة ووعظا المعنى فجعلناها الضمير يعود
الى الامة التى مسخت وهم اهل ايلة قرية على شاطى البحر وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم او الى المسخة عن الزجاج او الى العقوبة اى جعلنا تلك العقوبة عن ابن
عباس او الى القرية التى اعتدى اهلها فيها نكالا اى عقوبة وقيل اشتهارا وفضيحة وقيل تذكرة وعبرة وقوله لما بين يديها وما خلفها ذكر فيه وجوه احدها

ما روى عن ابن عباس رواه الضحاك عنه لما بين يديها الامم التى تراها وما خلفها ما يكون بعدها وهو يقارب المأثور المروى عن الباقر والصادق عليهما السلام انهما قالا لما بين يديها اى لما معها ينظر اليها من القرى وما خلفها نحن ولنا فيها موعظة فعلى هذا يكون ما بمعنى من اى نكالا للخلق الذين كانوا معهم ولجميع من ياتى بعدهم الى يوم القيمة لئلا يفعلوا مثل فعلهم وثانيها ان يكون معناه جعلناها عقوبة للذنوب التى تقدمت على الاصطياد والذنوب التى تاخرت عنه وهذا يقتضى ان يكون الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبة عقيب الاصطياد عن ابن عباس ايضا فيكون اللام بمعنى السبب اى بسبب ذلك وثالثها ان يكون المراد لما بين يديها من القرى وما خلفها من القرى عن عكرمة عن ابن عباس ورابعها ان يكون المراد لما بين يديها ما مضى من خطاياهم وما خلفها خطاياهم التى اهلكوا بها عن مجاهد وموعظة للمتقين معناه انما يتعظ بها المتقون فكانت موعظة لهم دون غيرهم وهذا كقوله سبحانه هدى للمتقين وفى هذه الاية دلالة على ان من فعل مثل افعال هؤلاء ممن تقدمهم او تاخر عنهم يستحق من العقاب مثل ما حل بهم من التشويه وتغيير الخلقة اذ كان لهم نكالا لهم جميعا وتحذيرا وتنبيها للمتقين لكى لا يرتكبوا من المعاصى ما واقع اولئك فيستحقوا ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه.

قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون خمس آيات

القراءة قرا حمزة واسمعيل عن نافع وعباس عن ابى عمرو هزءا وكفوا بالتخفيف والهمز فى كل القرآن وقرا حفص عن عاصم بضم الزاء والفاء غير مهموز وقرا يعقوب هزءا بضم الزاء كفوا بسكون الفاء الباقون بالتثقيل والهمز.

الحجة قال ابو الحسن زعم عيسى ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فمن العرب من يثقله ومنهم من يخففه نحو العسر واليسر والحلم ومما يقوى هذه الحكاية ان ما كان على فعل من الجموع مثل كتب ورسل وقد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك فى المعتل العين الواوى نحو سوك الاسحل قال وفى الاكف اللامعات سور وحكى ابو زيد قوم قول وامافى جميع افعل نحو احمر وحمر وكانهم الزموه الاسكان للفصل بين الجمعين وقد جاء فيه التحريك فى الشعر فاذا كان الامر على هذا وجب ان يكون ذلك مستمرا فى نحو الكفو والهزو فاذا خفف الهمزة وثقل العين لزم ان يقلب الهمزة واوا فيقول هزوا ولم يكفوا احد وان خفف فاسكن العين قال هزا فابقى الواو التى انقلبت من الهمزة لانضمام ما قبلها وان لم يكن ضم العين فى اللفظ لانها مرادة فى المعنى كما قالوا لقضو الرجل فابقوا الواو ولم يردوا الياء التى هى لام من قضيت لان الضمة مرادة فى المعنى وكذلك قالوا رضى زيد كما قالوا علم زيد فلم يردوا الواو التى هى لام لزوال الكسرة لانها مقدرة مرادة وان كانت محذوفة من اللفظ فكذلك تقول هزوا وكفوا فتثبت الواو وان كنت حذفت الضمة الموجبة لاجتلابها واذا كان الامر على هذا فقراءة من قرا بالضم وتحقيق الهمز فى الجواز والحسن كقراءة من قرا بالاسكان وقلب الهمزة واوا لانه تخفيف قياسى وقد روى ابو زيد عن ابى عمرو انه خير بين التخفيف والتثقيل.

اللغة البقرة اسم للمؤنث من هذا الجنس واسم الذكر منه الثور وهذا مما يخالف صيغة الذكر منه صيغة الانثى كالجمل والناقة والرجل والمراة والجدى والعناق واصل البقر الشق يقال بقرت بطنه اى شققته وسمى البقر لان من شانه شق الارض بالكراب والهزو اللعب والسخرية يقال هزئت به هزوا واعوذ بالله التجاء الى الله عز وجل اعوذ عوذا وعياذا والعلم اعتقاد الشئ على ما هو به والتبيين التعريف واصله من البين وهو الفراق فكل من بين شيئا فقد ميزه عما يلتبس به حتى يعرفه غيره قال سيبويه ابان الشئ وابنته وبين وبينته واستبان واستبنته والمعنى واحد والفارض الكبيرة المسنة يقال فرضت البقرة تفرض فروضا اذا اسنت قال الشاعر لعمرى لقد اعطيت جارك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وقيل الفارض هى التى قد ولدت بطونا كثيرة فيتسع لذلك جوفها لان معنى الفارض فى اللغة الواسع الضخم وهو قول بعض المتاخرين واستشهد بقول الراجز يا رب ذى ضغن على فارض له قروء كقروء الحائض ويقال لحية فارضة اى عظيمة والبكر الصغيرة التى لم تحمل والبكر من بنى آدم ومن البهائم ما لم يفتحله الفحل والبكر من كل شئ اوله والبكر التى ولدت واحدا وبكرها اول اولادها قال يا بكر بكرين ويا خلب الكبد اصبحت منى كذراع من عضد وضربة بكر اى قاطعة لا تثنى وحدث ابن عائشة عن ابيه عن جده قال كانت ضربات على بن ابى طالب عليه السلام ابكارا كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط ذكره ابن فارس فى مجمل اللغة والبكر بفتح الباء الفتى من الابل والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهى النصف التى ولدت بطنا او بطنين قال الفراء يقال من العوان عونت المراة تعوينا اذا بلغت ثلثين سنة ومنه قيل الحرب عوان اذا لم يكن اول حرب بين القوم وكانوا قد قاتلوا قبلها وبين اسم يستعمل على ضربين مصدر وظرف قال ابو على وهما عندى وجميع ما بابها يرجعان الى الاصل واحد وهو الافتراق والانكشاف وستاتيك بيانه فى الاعراب ان شاء الله واللون عرض يتعاقب على الجوهر تعاقب التضاد وهو عبارة عما اذا وجد حصلت به الجواهر على هيئة مخصوصة لولاه لما حصلت على تلك الهيئة ولا يدخل تحت مقدور العباد وفاقع لونها اى شديدة الصفرة يقال اصفر فاقع واحمر قانى وابيض يقق ولهق ولهاق واسود حالك وحالك وحلكوك وغربيب ودجوجى فهذه كلها صفات مبالغة فى الالوان وقيل انه اراد بصفراء ههنا سوداء شديدة السواد كما يقال ناقة صفراء اى سوداء وقال الشاعر تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب والاول اصح فان الابل وان وصفت به فلا يوصف البقر به وايضا فان السواد لا يوصف بالفقوع وانما يوصف بالحلوكة وغيرها على ما ذكرناه والبقر جمع بقرة وكذلك الباقر جمع كالجامل جمع جمل قال الاعشى وما ذنبه ان عافت الماء باقر وما ان يعاف الماء الا ليضربا وقال الآخر لهم جامل لا يهدى الليل سامر اى جمال ونحو هذا عندهم اسم مفرد مصوغ للكثرة كاسم الجنس ومثله العبيد والكليب والضئين فى جمع عبد وكلب وضان وقوله لا ذلول يقال للدابة التى قد ذللها الركوب والعمل دابة ذلول بين الذل بكسر الذال ويقال فى مثله من بنى آدم رجل ذليل بين الذل بضم الذال والذلة بكسرها والمذلة والاثارة اظهار الشئ بالكشف واثار الارض اى كربها وقلبها والحرث كل ارض ذللت للزرع قال الخليل الحرث قذف البذر فى الارض للازدراع والزرع الانبات الانماء قال عز اسمه افرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون مسلمة مبراة من العيوب مفعلة من السلامة الشية لون فى الشئ يخالف عامة لونه والوشى خلط اللون باللون ولا شية فيها اى لا وضح فيها يخالف لون جلدها يقال وشيت الثوب اشيه شية ووشيا ومنه قيل لمن يسعى بالرجل الى السلطان واش لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه بالاباطيل ويقال منه وشيت به وشاية قال كعب بن زهير تسعى الوشاة جنبيها وقولهم انك يا ابن ابى سلمى لمقتول يعنى انهم يتقولون بالاباطيل ويقولون انه ان لحق بالنبى عليه السلام قتله والذبح فرى الاوداج وذلك فى البقر والغنم والنحر فى الابل ولا يجوز فيها عندنا غير ذلك وفيه خلاف بين الفقهاء وقيل للصادق عليه السلام ان اهل مكة يذبحون البقرة فى اللبة فما ترى فى اكل لحومها فسكت هنيئة ثم قال قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون لا تاكل الا ما ذبح منه مذبحه.

الاعراب حذفت الفاء من قوله قالوا اتتخذنا هزوا للاستغناء عما قبله من الكلام عنه وحسن الوقف على قوله ان تذبحوا بقرة كما حسن اسقاطها من قوله قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا ولم يقل فقالوا ولو قيل بالفاء لكان حسنا ولو قلت قمت ففعلت لم يجز اسقاط الفاء لانها عطف لا استفهام يحسن السكوت عليه وقوله هزوا لا يخلو من احد امرين احدهما ان يكون المضاف محذوفا فالهزو حدث والمفعول الثانى من تتخذ يكون الاول نحو قوله تعالى لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء والثانى ان يكون الهزو بمعنى المهزو به مثل الصيد فى قوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه ونحوه وكما يقال رجل رضا اى مرضى اقيم المصدر مقام المفعول واما قوله تعالى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا فلا يحتاج فيه الى تقدير محذوف مضاف لان الدين ليس بعين وقوله اعوذ واصله اعوذ نقلت الضمة من الواو الى الساكن قبلها من غير استثقال لذلك غير انه لما اعلت عين الماضى لتحركها وانفتاح ما قبلها اعلت عين المضارع ايضا ليجرى الباب على سنن واحد وكذلك القول فى اعاذ يعيذ واستعاذ يستعيذ والاصل اعوذ يعوذ واستعوذ يستعوذ وقوله لا فارض ولا بكر قال الاخفش ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب النفى لانه صفة لبقرة وقوله عوان مرفوع على انه خبر مبتدا او محذوف كانه قال هى عوان وقال الزجاج ارتفع فارض باضمار هى اى هى لا فارض ولا بكر قال وانما جاز بين ذلك وبين لا يكون الا مع اثنين او اكثر لان ذلك ينوب عن الجمل تقول ظننت زيدا قائما فيقول القائل قد ظننت ذاك وظننت ذلك قال ابو على لا يخلو ذلك فيما ذكره من قولهم ظننت ذلك من ان يكون اشارة الى المصدر كما ذهب اليه سيبويه او يكون اشارة الى احد مفعولى ظننت او يكون نائبا عن الجملة كما قال ابو الحسن ولا يجوز ان يكون اشارة الى احد المفعولين لانه لو كان كذلك للزم ان يذكر الآخر كما انك لو ذكرت اسم المشار اليه للزم قيد ذلك وكما انك اذا ذكرت المبتدا لزمك ذكر الخبر او يعلم من الحال ما يقوم مقام ذكرك له ولا يجوز ان يكون نائبا عن الجملة هنا ولا اشارة اليها كما لم ينب عن الجملة فى غير هذا الموضع من المواضع التى تقع فيها الجمل نحو صلة الذى ووصف النكرات فثبت ان ذلك فى قولهم ظننت ذلك اشارة الى المصدر الذى هو الظن ولا يجوز ان تقع اسم مفرد موقع جملة ولو كان سائغا ان ينوب ذلك على الجمل لما جاز وقوعه هنا لان هذا الموضع ليس من مواضع الجمل الا ترى ان ذلك اشارة الى ما تقدم مما دل عليه قوله لا فارض ولا بكر وهو البكارة والفروض فانما دل قوله ذلك عليهما فلو كان واقعا موقع جملة لما دل عليهما لان الجملة يسند فيها الحديث الى المحدث عنه وليس واحد من الفروض والبكارة بمسند الى الآخر الا ترى ان المعنى بين هذين الوصفين وهذا واضح واعلم ان الاسم الذى يضاف اليه بين لا يخلو من ان يكون ذا الاعلى واحد او على اكثر من الواحد فما كان ذا الاعلى الواحد غير دال على اكثر منه عطف عليه اسم آخر لما ذكرنا من ان اصله الافتراق فكما يمتنع ان يقول افتراق زيد واجتماع زيد حتى يضيف اليه

وحقيقة العياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه والجهل نقيض العلم وقيل هو نقيض الحلم والصحيح انه اعتقاد الشئ على خلاف ما هو به

الكرب اثارة الارض للزرع

ما يزيد به على الافراد كذلك لا تقول لا بين زيد حتى تضيف اليه آخر بالواو دون غيرها من الحروف العاطفة واذا كان الاسم دالا على الكثرة وان كان
مفردا جاز ان يضاف بين اليه واما قوله عوان بين ذلك فانما اضيف فيه بين الى ذلك من حيث جاز اضافته الى القوم وما اشبه ذلك من الاسماء التي تدل
على الكثرة وانما جاز ان يكون قولنا ذلك يراد به مرة الانفراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهته الموصولة كالذي وما الا ترى ان البابين يشتبهان في
دلالة كل واحد منهما على غير شيء بعينه فجاز ان يراد به الواحد مرة واكثر من الواحد مرة ويدل على ما ذكرناه من قصدهم بذلك الجمع وما زاد على الواحد ان
رؤبة لما قال له ابو عبيدة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فوجب ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق وجب ان
تقول كانهما قال اردت كان ذاك ويلك فعلم بانهم يقصدون بذلك غير المفرد ويدل عليه ايضا قول القائل ان للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجه وقبل الا ترى
ان كلا لا يضاف الى المفرد فلولا ان المراد بذلك غير الافراد ما اضيف كلا اليه فكذلك القول في عوان بين ذلك المراد بذلك الزيادة على الواحد الا ترى
انه اشارة الى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض والبكارة وموضع ما من قوله ما هي وما لونها رفع لانه خبر المبتدا لان تاويله الاستفهام اي اي شيء هي واي
لون لونها قال انه يقول انها ما بعد القول من باب ان مكسورا ابدا كانك لم تذكر القول في صدر كلامك وانما وقعت قلت في كلام العرب على ان يحكى بها ما كان
كلاما يقوم بنفسه قبل دخولها فيؤدي مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيد منطلق كانك حكيت زيد منطلق وكذلك ان زيدا منطلق اذا حكيته تقول
قلت زيد امنطلق وقوم من العرب وهم بنو سليم يجعلون باب قلت كباب ظننت فيقولون قلت زيدا منطلقا وقوله فاقع لونها ارتفع لونها بانه فاعل فاقع
وهو صفة لبقرة مثل صفراء وكذلك تسر الناظرين جملة مرفوعة الموضع بكونها صفة لبقرة ويقال فقع لونه يفقع فقوعا وفقع يفقع اذا اخلصت صفرته
وقوله ان البقر تشابه علينا كل جمع يكون واحده بالهاء نحو البقر والنخل والسحاب فانه يؤنث ويذكر قال الله تعالى كانهم اعجاز نخل خاوية وفي موضع آخر نخل
منقعر والتذكير الغالب وقوله تثير الارض في موضع رفع بكونه صفة لذلول وهو داخل في معنى النفي اي ليست بقرة بذلول مثيرة للارض ولا ساقية للحرث ومسلمة
صفة لبقرة ايضا ولا شية فيها جملة في موضع رفع ايضا بانها صفة لبقرة وشية مصدر من وشيت واصلها وشية فلما اسقطت الواو منها عوضت
الهاء في آخرها فالواو شية كما قالوا زنة زنة وصلة صلة فوزنها علة قالوا الان فيه وجوه اجودها اسكان اللام من الان وحذف الواو
من اللفظ وتجوز قالوا الان على القاء حركة الهمزة وفتح اللام من الان وترك الواو محذوفة لالتقاء الساكنين ولا يعتد بفتح اللام وتجوز قالوا لان باظهار الواو لحركة
اللام لانهم انما حذفوا الواو لسكونها فلما تحركت ردوها والاجود في العربية حذفها ولا ينبغي ان يقرا الا بما وردت به رواية صحيحة فان القراءة سنة
متبعة قال ابو علي انما بني الان لتضمنه معنى الحرف وهو يتضمن معنى التعريف لان التعريف حكمه ان يكون بحرف وليس تعرفه باللام من الالف واللام لانه لو كان
كذلك للزم ان يكون قبل دخول اللام عليه نكرة كرجل والرجل وكذلك الذي فان فيه الالف واللام وليس يعرف الاسم بهما انما تعرف بغيرهما وهو كونه موصولا
مخصوصا ولو كان تعرفه باللام لوجب ان يكون ساير الموصولات المتعرفة بالصلة نحو من وما غير متعرفة ويقوي زيادة اللام ما رواه المبرد عن المازني
قال سالت الاصمعي عن قول الشاعر ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر لم ادخل اللام فقال ادخله زيادة للضرورة كقول الآخر
باعد ام العمر عن اسيرها وانشد ابن الاعرابي يا ليت ام العمر كانت صاحبي مكان من اشتا على الركايب فكما ان اللام في الذي وفي هذه الحكاية زائدة
كذلك هي في الان زايدة وقوله وما كادوا يفعلون كاد تدل على مقاربة مباشرة يفعلون في موضع نصب بانه خبر كاد والفصيح ان لا تدخل عليه ان لان
ان حرف يركب مع الفعل فيقوم مقام المصدر وانما يسند الى ان افعال غير ثابتة ولا مستقرة مثل الطمع والرجا نحو عسى ان يفعل ودليل ذلك ان ان لا تدخل
على فعل الحال بل تدخل على ما يتوقع في المستقبل فلهذا كانت ان لازمة لعسى ولا يلزم كاد لان كاد قريب من الحال وقد استعمل كاد مع ان في الشعر انشد
الاصمعي كادت النفس ان تفيض عليه اذ ثوى حشو ريطة وبرود **القصة** كان السبب في امر الله تعالى بذبح البقرة فيما رواه العياشي مرفوعا الى الرضا
عليه السلم ان رجلا من بني اسرائيل قتل قرابة له ثم اخذه فطرحه على طريق افضل سبط من اسباط بني اسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى عليه السلم سبط آل فلان
قتل فلانا فاخبرنا من قتله قال ايتوني ببقرة قالوا اتتخذنا هزوا الاية ولو انهم عمدوا الى بقرة اجزتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك لا صغيرة ولا كبيرة ولو انهم عمدوا الى بقرة لاجزتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا
ادع لنا ربك الاية ولو انهم عمدوا الى بقرة لاجزتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم قالوا ادع لنا ربك الى قوله قالوا الآن جئت بالحق فطلبوها فوجدوها
عند فتى من بني اسرائيل فقال لا ابيعها الا بملء مسكها ذهبا فجاؤا الى موسى فقالوا له قال فاشتروها فاشتروها وجاؤا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض اصحابه ان هذه
البقرة ما شانها فقالوا ان فتى من بني اسرائيل كان بارا بابيه وانه اشترى سلعة فجاء الى ابيه فوجده نائما والاقليد تحت راسه فكره ان يوقظه فترك ذلك

واستيقظ

واستيقظ ابوه فاخبره فقال له احسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوض لما فاتك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انظروا الى البر ما بلغ باهله وقال ابن
عباس كان القتيل شيخا مثريا فقتله بنو اخيه والقوه على باب بعض الاسباط ثم ادعوا القتل عليهم فاحتكموا الى موسى عليه السلم فقال من عنده في ذلك علم فقالوا
انت نبي الله وانت اعلم منا فاوحى الله تعالى اليه ان يامرهم بذبح بقرة فامرهم موسى عليه السلم ان يذبحوا بقرة ويضرب القتيل ببعضها فيحيي الله القتيل فيبين
من قتله وقيل ابن عمه استبطا موته فقتله ليرثه وقيل انما قتله ليتزوج بنته وقد خطبها فلم ينعم له وخطبها غيره من خيار بني اسرائيل فانعم له فحسده
ابن عمه الذي لم ينعم له فقعد له فقتله ثم حمله الى موسى فقال يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل فقال موسى من قتله قال لا ادري وكان القتل في بني اسرائيل عظيما
ذلك على موسى وهذا هو المروي عن الصادق عليه السلم **المعنى** هذه الآية معطوفة على ما تقدمها من الآيات الواردة في البيان لنعم الله تعالى على بني اسرائيل
ومقابلتهم لها بالكفران والعصيان فقال واذكروا ايضا من نكثكم ميثاق الذي اخذته عليكم بالطاعة اذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي قال قوم موسى له اتتخذنا بحيث سالناك عن القتيل فتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد ما بين الامرين في الظاهر مع
جهلهم بوجه الحكمة فيما امرهم لان موسى عليه السلم امرهم بالذبح ولم يبين لهم ان الذبح لاي معنى فقالوا اي اتصال لذبح البقرة بما نحن فيه الينا فهذا استهزاء
بنا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي معاذ الله ان اكون من المستهزئين وانما قال من الجاهلين ليدل على ان الاستهزاء لا يصدر الا عن جاهل
فان من استهزأ بغيره لا يخلو اما ان يستهزئ بخلقته او بفعل من افعاله فاما الخلقة فلا معنى للاستهزاء بها واما الفعل فاذا كان قبيحا فالواجب ان
ينبه فاعله على قبحه لينزجر عنه فاما ان يستهزئ به فلا فالاستهزاء على هذا يكون كبيرة لا تقع الا عن جاهل به او محتاج اليه فاذا قيل لم امروا بذبح البقرة دون
غيرها فقد قيل فيه لانها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه فيزول ما كان في نفوسهم من عبادته وانما احيا الله القتيل
بقتل حي ليكون اظهر لقدرته في اختراع الاشياء من اضدادها فلما علموا ان ذبح البقرة فرض من الله تعالى سالوا عنها ابتداء او بينها فقالوا ادع لنا ربك
اي سل من اجلنا ربك يبين لنا ما هي ولم يظهر في السؤال المسؤول عنه سن البقرة وانما ظهر ذلك في الجواب قال موسى عليه السلم انه يقول اي ان الله
يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اي ليست بكبيرة هرمة ولا صغيرة عوان بين ذلك اي هي وسط بين الصغيرة والكبيرة وهي اقوى ما يكون واحسن
من البقر والدواب عن ابن عباس وقيل وسطا ولدت بطنا او بطنين عن مجاهد فافعلوا ما تؤمرون اي اذبحوا ما امرتم بذبحه فلما بين سبحانه سن
البقرة سالوا عن لونها قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها اي سل ربك يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها قال موسى انه سبحانه وتعالى يقول
انها بقرة صفراء حتى قرنها وظلفها اصفران عن الحسن وسعيد بن جبير فاقع لونها اي شديدة صفرة لونها وقيل خالص الصفرة وقيل حسن الصفرة
وقوله تسر الناظرين اي تعجب الناظرين وتفرحهم بحسنها عن قتادة وغيره وروي عن الصادق عليه السلم انه قال من لبس نعلا صفراء لم يزل مسرورا حتى
يبليها كما قال الله تعالى صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ولما بين سبحانه سن البقرة ولونها سالوا عن صفتها فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي اي امن العوامل ام من السوائم ان البقر تشابه علينا اي اشتبه علينا صفة البقرة التي امرنا الله بذبحها وانا ان شاء الله لمهتدون الى الصفة
البقرة بتعريف الله ايانا وبما يشاؤه لنا من اللطف والزيادة في البيان وروى ابن جريج وقتادة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله انهم
امروا بادنى بقرة ولكنهم لما شددوا على انفسهم شدد الله عليهم وايم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم الى آخر الابد فقال يعني موسى انه يعني الله تعالى
يقول انها بقرة اي البقرة التي امرتم بذبحها لا ذلول اي لم يذللها العمل باثارة الارض باظلافها ولا تسقي الحرث اي لا يستقى عليها الماء فتسقي الزرع
مسلمة اي بريئة من العيوب عن قتادة وعطا وقيل مسلمة من الشية ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد وقيل سليمة من آثار العمل لان ما كان من العوامل
لا يخلو من اثر العمل في قوايمه وبدنه وقال الحسن انها كانت وحشية لا شية فيها قال اهل اللغة لا وضح فيها يخالف لون جلدها وقيل لا لون فيها سوى
لونها عن قتادة ومجاهد قالوا الان جئت بالحق اي ظهر لنا الحق الان وهي بقرة فلان وهذا يدل على انهم جوزوا انه قبل ذلك لم يجئ بالحق على
التفصيل وانما اتى به على وجه الجملة وقال قتادة الان بينت الحق وهذا يدل على انه كان فيهم من يشك في ان موسى عليه السلم ما بين الحق فذبحوها
يعني البقرة على ما امروا به وما كادوا يفعلون اي قربوا ان لا يفعلوا ذلك مخافة اشتهار فضيحة القاتل وقيل كادوا لا يفعلون لغلاء ثمنها
فقد حكي عن ابن عباس انهم اشتروها بملء جلدها ذهبا من مال المقتول وعن السدي بوزنها عشر مرات ذهبا قال عكرمة وما كان ثمنها الا ثلثة
دنانير ٥ **ونذكر ههنا فصلا موجزا ينجذب الى الكلام في اصول الفقه** اختلف العلماء في هذه الآيات فمنهم من ذهب الى ان التكليف فيها
متغاير وانهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم الا ذبح اي بقرة شاؤوا من غير تعيين بصفة ولو انهم ذبحوا اي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الامر

فلما لم يفعلوا كان للمصلحة ان يشدد عليهم التكليف ولما راجعوا المرة الثانية تغيرت مصلحتهم الى تكليف ثالث ثم اختلف هؤلاء من وجه اخر فمنهم من
قال فى التكليف الاخير انه يجب ان يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثانى والثالث ضم تكليف الى تكليف زيادة
فى التشديد عليهم لما فيه من المصلحة ومنهم من قال انه يجب ان يكون بالصفة الاخيرة فقط دون ما تقدم وعلى هذا القول يكون التكليف الثانى نسخا للاول
والتكليف الثالث نسخا للثانى وقد يجوز نسخ الشئ قبل الفعل لان المصلحة يجوز ان يتغير بعد فوات وقته وانما لا يجوز نسخ الشئ قبل وقت الفعل لان
ذلك يؤدى الى البداء وذهب اخرون الى ان التكليف واحد وان الاوصاف المتاخرة هى للبقرة المتقدمة وانما تاخر البيان وهو مذهب المرتضى قدس الله روحه
واستدل بهذه الاية على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة قال الله تعالى لما كلفهم ذبح البقرة قالوا لموسى عليه السلم ادع لنا ربك يبين
لنا ما هى فلا يخلو قولهم ما هى من ان يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها او عن التى امروا بها ثانيا والظاهر من قولهم ما هى يقتضى ان يكون
السوال عن صفة البقرة المامور بذبحها لانه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة اخرى فيستفهموا عنها واذا صح ذلك فليس يخلو قوله انها بقرة لا فارض ولا
بكر من ان يكون الهاء فيه كناية عن البقرة الاولى او عن غيرها وليس يجوز ان يكون كناية عن بقرة ثانية لان الظاهر يقتضى ان يكون الكناية متعلقة
بما تضمنه سوالهم ولانه لو لم يكن الامر على ذلك لم يكن جوابا لهم وقول القايل فى جواب من ساله ما كذا او كذا انه بالصفة الفلانية صريح فى ان الهاء كناية
عما وقع السوال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا فانهم لم يقولوا ذلك الا وقد اعتقدوا ان خطابهم مجمل غير مبين ولو كان الامر على ما ذهب
اليه القوم فلم لم يقل لهم واى تشابه عليكم وانما امرتم فى الابتداء بذبح بقرة اى بقرة كانت وفى الثانى بما يختص بالسن المخصوص وفى الثالث بما يختص
باللون المخصوص من اى البقر كان قال واما قوله فذبحوها وما كادوا يفعلون فالظاهر ان ذمهم مصروف الى تقصيرهم او تاخيرهم امتثال الامر بعد
البيان التام وهو غير مقتضى ذمهم على ترك المبادرة فى الاول الى ذبح بقرة فلا دلالة فى الاية على ذلك ه قوله عز وجل **وَاِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادّا**
رَاْتُمْ فِيهَا وَاللّٰهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِى اللّٰهُ الْمَوْتٰى وَيُرِيكُمْ اٰيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ
اللغة ادارأتم اختلفتم واصله تدارأتم فادغمت التاء فى الدال بعد ان سكنت ثم جعلوا قبلها همزة الوصل ليمكن النطق بالساكن واصل الدرء
الدفع ومنه الحديث ادرءوا الحدود بالشبهات ومنه قوله ويدرؤا عنها العذاب وقال رؤبة ادركتها قدام كل مدرة بالدفع عنى درء كل عنجه وقيل الدرء
العوج ومنه قول الشاعر فنكب عنهم درء الاعادى وداووا بالجنون من الجنون **المعنى** ثم بين الله سبحانه المقصود من الامر بالذبح فبدأ بذكر
القتل فقال واذ قتلتم نفسا ذكر فيه وجهان احدهما انه متقدم فى المعنى على الايات المتقدمة فى اللفظ فعلى هذا يكون تاويله واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها فسالتم موسى فقال لكم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فقدم المؤخر واخر المقدم ونحو ذا كثير فى القران والشعر قال الله سبحانه الحمد لله الذى
انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وقال الشاعر ان الفرزدق صخرة ملمومة طالت فليس تنالها الاوعالا اى طالت الاوعال والوجه
الاخر ان الاية قد تعلقت بما هو متاخر فى الحقيقة وهو قوله فقلنا اضربوه ببعضها الاية فكانه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولانكم قتلتم
نفسا فادارأتم فيها امرناكم بان تضربوه ببعضها لينكشف امره والمراد واذكروا اذ قتلتم نفسا وهذا خطاب لمن كان على عهد النبى عليه السلم والمراد به
اسلافهم على عادة العرب فى خطاب الابناء والاحفاد بخطاب الاسلاف والاجداد وخطاب العشيرة بما يكون من احدهما فقالوا فعلت بنو تميم كذا وان
كان الفاعل واحدا ويحتمل ان يكون خطابا لمن كان فى زمن موسى عليه السلام وتقديره وقلنا لهم اذ قتلتم نفسا وقيل ان اسم المقتول عاميل فادارأتم فيها
الهاء من فيها يعود الى النفس اى كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه وقيل انها تعود الى القتلة اى اختلفتم فى القتلة لان قوله قتلتم يدل على المصدر وعودها
الى النفس اولى واشبه بالظاهر والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر ما كنتم تسرون من القتل وقيل معناه انه مخرج من غامض اخباركم ومطلع من معايبكم
ومعايب اسلافكم ما كتموه انتم وهو خطاب لليهود فى زمن النبى صلى الله عليه واله فقلنا اضربوه ببعضها اى قلنا لهم اضربوا القتيل ببعض البقرة و
اختلفوا فى البعض من البقرة المضروب به القتيل فقيل ضرب بفخذ البقرة فقام حيا وقال قتلنى فلان ثم عاد ميتا عن مجاهد وقتادة وعكرمة وقيل
ضرب بذنبها عن سعيد بن جبير وقيل بلسانها عن الضحاك وقيل ضرب بعظم من عظامها عن ابى العالية وقيل بالبضعة التى بين الكتفين عن السدى وقيل
ضرب ببعض ارابها عن ابن زيد وهذه الاقاويل كلها محتملة الظاهر والمعلوم ان الله سبحانه امر ان يضرب القتيل ببعض البقرة ليحيى القتيل اذا
فعلوا ذلك فيقول فلان قتلنى ليزول الخلف والتدارؤ بين القوم والصانع عز اسمه وان كان قادرا على احيائه من دون ذلك فانما امرهم بذلك
لانهم سالوا موسى ان يبين لهم حال القتيل وهم كانوا يعدون القربان من اعظم القربات وكانوا جعلوا المرتبا على حدة لا يدخله الا اخيارهم فامرهم الله

بتقديم

بتقديم هذه القربة تعليما منه لكل من اعتاص عليه امر من الامور ان يقدم نوعا من القرب قبل ان يسال الله تعالى كشف ذلك عنه ليكون اقرب
الى الاجابة وانما امرهم بضرب القتيل ببعضها بعد ان جعل اختيار وقت الاحيا اليهم ليعلموا ان الله سبحانه قادر على احياء الاموات فى كل وقت من
الاوقات والتقدير فى الاية فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيى كما قال سبحانه اضرب بعصاك البحر فانفلق تقديره فضرب فانفلق وقوله كذلك يحيى الله
الموتى يحتمل ان يكون حكاية عن قول موسى عليه السلم لقومه اى اعلموا بما عاينتموه ان الله قادر على احياء الموتى للجزاء ويحتمل ان يكون خطابا من الله
تعالى لمشركى قريش والاشارة وقعت الى قيام المقتول عند ضربه ببعض اعضاء البقرة لانه روى انه قام حيا واوداجه تشخب دما فقال قتلنى فلان
ابن عمى ثم قبض ويريكم اياته يعنى المعجزات الباهرة الخارقة للعادة من احياء ذلك الميت وغيره وقيل اراد الاعلام الظاهرة الدالة على صدق محمد صلى الله
عليه واله لعلكم تعقلون اى لكى تستعملوا عقولكم فان من لم يستعمل عقله ولم يبصر رشده فهو كمن لا عقل له وقيل لكى تعقلوا ما يجب عليكم من امور دينكم
واحتج الله تعالى بهذه الايات على مشركى العرب فيما استبعدوه من البعث وقيام الاموات بقولهم أاذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
فاخبرهم الله سبحانه بان الذى انكروه واستبعدوه لا يتعذر عليه فى اتساع قدرته ونبههم على ذلك بذكر المقتول واحيائه بعد خروجه من الحيوة و
ابطلوا خبر قتله وكيفيته وقيامه بعد القتل حيا مخاطبا باسم قتلته مؤذنا لهم ان احياء جميع الاموات بعد ان صاروا اعظاما بالية لا يصعب
عليه ولا يتعذر بل يهون عنده ويتيسر وفيها دلالة على صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه واله حيث اخبرهم بغوامض اخبارهم التى لا يجيء ان يعلمها
الا من قرا كتب الاولين او اوحى اليه من عند رب العالمين وقد صدقوه فيما اخبر به من هذه الاقاصيص وقد علموا انه امى
لم يقرا كتابا ولم يرتابوا فى ذلك وهذه اية صادعة وحجة ساطعة فى تثبيت نبوته صلى الله عليه واله قوله عز وجل **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ**
فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ اَوْ اَشَدُّ قَسْوَةً وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهَارُ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ
خَشْيَةِ اللّٰهِ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ **القراءة** قرا ابن كثير وحده عما يعملون بالياء والباقون بالتاء ههنا اختلفوا فى قوله تعالى
وما الله بغافل عما تعملون وما ربك بغافل عما تعملون فقراهما ابو جعفر وحده بالتاء كل القران الا فى الانعام وقرا ابن عامر بالتاء كل القران
وقرا حمزة والكسائى الاول بالتاء والثانى بالياء كل القران واختلف عن ابن كثير ونافع وعاصم وابى عمرو **الحجة** قال ابو على القول فى ذلك ان
ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفا على خطاب كقوله ثم قست قلوبكم ثم قال عما تعملون بالتاء ولو كان بالياء على لفظ الغيبة
اى وما الله بغافل عما يعمل هؤلاء ايها المسلمون لكان حسنا وان كان الذى قبله غيبة حسن ان يجعل على لفظ الغيبة ويجوز فيه الخطاب ايضا و
وجه ذلك انه يجمع بين الغيبة والخطاب فيغلب الخطاب على الغيبة كتغليب المذكر على المؤنث الا ترى انهم قدموا الخطاب على الغيبة فى باب المضمر وهو ضع
ترد فيه الاشياء الى اصولها نحو اعطيتكه وقوله فلا بك ما اساله ولا اغاما فلما قدموا المخاطب على الغائب فقالوا اعطاكه ولم يقولوا
اعطاهوك علم انه اقدم فى الرتبة فاذا كان الامر على هذا فالخطاب فى هذا النحو يعنى به الغيب والمخاطبون فيغلب الخطاب على الغيبة ويجوز
فيه وجه اخر وهو ان يراد به وقل لهم يا ايها النبى ما الله بغافل عما تعملون والله اعلم **اللغة** القسوة ذهاب اللين والرحمة من القلب يقال قسا
قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة والقسوة الصلابة فى كل شئ ونقيضه الرقة والشدة القوة فى الجسم والشدة صعوبة الامر والشد العقد والنهر
المجرى الواسع من مجارى الماء والجدول والسرى دون ذلك يقال نهر ونهر والفتح افصح قال سبحانه فى جنات ونهر وجمعه نهر وانهار والتفجر
التفصل من نجى الماء وذلك اذا ابتزل خارجا من منبعه وكل سائل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ماء كان او دما او غير ذلك قال عمرو بن لجا
ولما ان قرنت الى جرير ابى ذو بطنه الا انفجارا اى خروجا وسيلانا واصل يشقق يتشقق ادغمت التاء فى الشين وهو ان ينقطع من غير ان يبين والغفلة
السهو عن الشئ وهو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره ويقال تغافلت على عمد اى عملت عمل الساهى **المعنى والاعراب** لما قدم سبحانه ذكر المعجزات
القاهرة والاعلام الظاهرة بين ما فعلوا بعدها من العصيان والطغيان فقال عز اسمه ثم قست قلوبكم اى غلظت ويبست وعتت من بعد ذلك
اى من بعد ايات الله كلها التى اظهرها على يد موسى عليه السلم وقيل انه اراد بنى اخى المقتول حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احيا الله تعالى اياه
انه قتله فلان عن ابن عباس فيكون ذلك اشارة الى الاحياء اى من بعد احيا الميت لكم ببعض من اعضاء البقرة بعد ان تدارأتم فيه فاخبركم بقاتله والسبب
الذى من اجله قتله وكان يجب ممن شاهد هذه الاية العجيبة والمعجزة الخارقة للعادة ان يخضع ويلين قلبه ويحتمل ان يكون ذلك اشارة ايضا الى الايات
الاخر التى تقدمت كمسخ القردة والخنازير ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من الحجر وانفلاق البحر وغير ذلك وانما جاز ان يقول ذلك وان كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لان الجماعة

في معنى الجمع والفريق فلفظ الخطاب مفرد في معنى الجمع ولو قال ذلكم لجاز وقوله فهي كالحجارة شبه قلوبهم بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدة وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير ذكر الله يقسي القلب وان ابعد الناس من الله القاسي القلب او اشد قسوة اي او هي اشد قسوة ويجوز ان يكون عطفا على موضع الكاف فكانه قال فهي مثل الحجارة او اشد قسوة اي اشد صلابة لامتناعهم عن الاقرار اللازم بقيام حجته والعمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات وقيل في تاويل او ههنا وجوه احدها ما ذكره الزجاج ان معناها الاباحة كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين فان جالست احدهما او جميعا فانت مصيب فيكون معنى الآية على هذا ان قلوبهم قاسية فان شبهت قسوتها بالحجر اصبت وان شبهتها بما هو اشد اصبت وان شبهتها بهما جميعا اصبت كما مر نحو هذا في قوله سبحانه او كصيب من السماء وثانيها ان يكون او دخلت للتفصيل والتمييز فيكون معنى الآية ان قلوبهم قاسية فبعضها كالحجارة وبعضها اشد قسوة من الحجارة وقد حمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا الوجه ايضا وثالثها ان يكون او دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان تعالى عالما بذلك غير شاك فيه فاخبر ان قسوة قلوب هؤلاء كالحجارة او اشد قسوة والمعنى انها كاحد هذين لا تخرج عنهما كما يقال اكلت بسرة او تمرة وهو يعلم ما اكله على التفصيل الا انه ابهم على المخاطب وكما قال لبيد تمنى ابنتاي ان يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر اراد هل انا الا من احد هذين الجنسين فسبيلي ان افنى كما فنيا وانما حسن ذلك لان غرضه الذي نحاه هو ان يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ولم يخل بقصده الذي اجرى اليه اجمال ما اجمل من كلامه وكذلك ههنا الغرض الاخبار عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا تصغى الى موعظ ولا تعرج على خير فسواء كانت كالحجارة او اشد منها فانه لا يحتاج الى ذكر تفصيله ورابعها ان يكون او بمعنى بل كما قال الله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ومعناه بل يزيدون وروي عن ابن عباس انه قال كانوا مائة الف وبضعا واربعين الفا وانشد الفراء بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او انت في العين املح كما تقول بكر او المنقطعة في الاستفهام بمعنى بل يقول القائل اضربت عبد الله ام انت متعنت اي بل انت وقال الشاعر فوالله ما ادري اسلمى تغولت ام النوم ام كل الي حبيب اي بل كل وقد طعن على هذا الجواب فقيل كيف يجوز ان يخاطبنا الله عز اسمه بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والاضراب عنه وهذا غير سديد لان الاستدراك ان اريد به الاستفادة او التذكر لما لم يكن معلوما فلا يصح وان اريد به الاخذ في الكلام الماضي واستيناف زيادة عليه فهو صحيح فاذا قال القائل اعطيته الفين لم ينقض الاول وكيف ينقضه فالاول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما يكون ناقضا للثاني لو قال لقيت رجلا بل حمارا لان الاول لا يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى او اشد قسوة غير ناقض للاول لانها لا تزيد على الحجارة الا بان تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة وخامسها ان يكون بمعنى الواو كقوله تعالى او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم ومعناه وبيوت آبائكم وقال جرير اثعلبة الفوارس او رياحا عدلت بهم طهية والخشابا اراد ورياحا وقال ايضا نال الخلافة او كانت له قدرا كما اتى ربه موسى على قدر وقال توبة بن الحمير وقد زعمت ليلى باني فاجر لنفسي تقاها او عليها فجورها فان قيل كيف يكون او في الآية بمعنى الواو والواو للجمع والشيء اذا كان على صفة لم يجز ان يكون على خلافها اجيب عنه بانه ليس يمتنع ان يكون قلوبهم كالحجارة في حالة واشد من الحجارة في حالة اخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وفائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء مع قسوتها ربما لانت بعض اللين وكادت تصغى الى الحق فيكون في هذا الحال كالحجارة التي ربما لانت ويكون في حالة اخرى في نهاية البعد عن الخير فتكون اشد من الحجارة الا بعد ان يكون فيها قسوة الحجارة لان قولنا فلان اعلم من فلان اخبار بانه زايد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافي ههنا ثم فضل سبحانه الحجارة على القلب القاسي فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار معناه ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم القاسية فيتفجر منه انهار الماء واستغنى بذكر الانهار عن ذكر الماء وقيل المراد منه الحجر الذي كان ينفجر منه اثنتا عشرة عينا وقيل هو عام وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء يعني ومن الحجارة ما يخرج منه الماء فيكون عينا نابعة لا انهارا جارية حتى يكون مخالفا للاول وقال الحسين بن علي المغربي الحجارة الاولى حجارة الجبال منها ينفجر الانهار والثانية حجر موسى عليه السلام الذي كان يضرب فيخرج منه العيون فلا يكون تكرارا وقوله وان منها لما يهبط من خشية الله الضمير في منها يرجع الى الحجارة اي ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله وعليه اكثر اهل التفسير وقيل يرجع الى القلوب اي ومن القلوب ما يهبط من خشية الله اي يخشع وهي قلوب من آمن من اهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسية قلوبهم عن ابي مسلم ومن قال ان الضمير يرجع الى الحجارة فانهم اختلفوا في تاويله على وجوه احدها ما روي عن مجاهد وابن جريج ان كل حجر يتردى من راس جبل فهو من خشية الله فمعناه ان الحجارة قد تصير الى الحالة التي ذكرها من خشية الله وقلوب اليهود لا تخشع ولا تلين لانهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون به فقلوبهم اقسى من الحجارة وثانيها ما قاله الزجاج ان الله تعالى اعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعة الله نحو الجبل الذي تجلى الله عز وجل له حين كلم موسى فصار دكا وكما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان حجرا كان يسلم علي في الجاهلية واني لاعرفه الآن وهذا الوجه ضعيف لان الجبل اذا كان جمادا فمحال ان يكون فيه معرفة الله وان كان بنيته بنية الحي فانه لا يكون جبلا واما الخبر فان صح فان معناه انه سبحانه احياه فسلم على النبي صلى الله عليه والد

ثم اعاده حجرا او يكون معجزا له عليه السلام وثالثها انه يدعو المتفكر فيه الى خشية الله او يوجب الخشية لدلالته على صانعه لما يرى فيه من الدلالات والعجايب واضاف الخشية اليه لان التفكر فيه هو الداعي الى الخشية كما قال جرير بن عطية واعور من نبهان اما نهاره فاعمى واما ليله فبصير فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد صاحبه النبهاني الذي يهجوه بذلك من اجل انه كان فيهما على ما وصفهما به ورابعها انه ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل اي كانه يخشى الله سبحانه في المثل لانقياده لامره ولو وجد من حي عاقل لكان دليلا على خشية الله كقوله سبحانه فوجد فيها جدارا يريد ان ينقض اي كانه يريد لانه ظهر فيه من الميل ما لو ظهر من حي لدل على ارادة الانقضاض ومثله قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وكما قال زيد الخيل بجمع تضل البلق في حجراته ترى الاكم فيها سجدا للحوافر فجعل ما ظهر في الاكم من اثار الحوافر وقلة مدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلد سجودا لها ولو كانت الاكم في صلابة الحديد حتى تمتنع على الحوافر لم يقل انها تسجد للحوافر وقال جرير لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع اي كانها كذلك وقال جرير ايضا والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وكما قال سبحانه لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله اي لو كانت الجبال مما يخشع لشيء ما لرايته خاشعا ويؤيد هذا الوجه قوله سبحانه وتلك الامثال نضربها للناس وخامسها ان هبط يجوز ان يكون متعديا قال الشاعر ما راعني الا جناح هابطا على البيوت قوطه العلابطا فاعمله في القوط كما ترى ويكون على هبطة الشيء فهبط فمعناه يهبط غيره من خشية الله اي اذا راه الانسان خشع لطاعة خالقه الا انه حذف المفعول تخفيفا ولدلالة الكلام عليه ونسب الفعل الى الحجر لان طاعة رائيه لخالقه بسببها النظر اليه اي منها ما يهبط الناظر اي تخضعه وتخشعه وقوله وما الله بغافل عما تعملون ايها المكذبون بآياته الجاحدون نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وقد ذكرناه قبل قوله تعالى افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون آية اللغة الطمع تعليق النفس بما يظنه من النفع ونظيره الامل والرجاء ونقيضه الياس والفريق جمع كالطائفة لا واحد له من لفظه وهو فعيل من التفرق كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال اعشى بني ثعلبة اجدوا فلما خفت ان يتفرقوا فريقين منهم مصعد ومصوب والتحريف في الكلام تغيير الكلمة عن معناها الاعراب افتطمعون الف استخبار يجري في كثير من المواضع مجرى الانكار اذا لم يكن معها نفي فاذا اجاب مع النفي فالانكار النفي تثبيت ويكون بمعنى الاستدعاء الى الاقرار اليس الله بكاف عبده نحو الم ياتكم نذير قالوا بلى وجواب افتطمعون لا على ما ذكرناه المعنى هذا خطاب لامة نبينا محمد صلى الله عليه وآله يقول افتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم من طريق النظر والاعتبار والانقياد للحق بالاختيار وقد كان فريق منهم اي ممن هو في مثل حالهم من اسلافهم يسمعون كلام الله ويعلمون انه حق ويعاندون فيحرفونه ويتاولونه على غير تاويله وقيل انهم علماء اليهود الذين يحرفون التورية فيجعلون الحلال حراما والحرام حلالا اتباعا لاهوائهم واعانة لمن يرشوهم عن مجاهد والسدي وقيل انهم السبعون رجلا الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا امره وحرفوا القول في اخبارهم لقومهم حين رجعوا اليهم عن ابن عباس والربيع فيكون على هذا كلام الله معناه كلام الله لموسى وقت المناجاة وقيل المراد بكلام الله صفة محمد عليه السلام في التورية وقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل فيه وجهان احدهما ان يكون معناه انهم غيروه من بعد ما فهموه فانكروه عنادا وهم يعلمون انهم يحرفونه اي يغيرونه والثاني ان معناه من بعد ما تحققوه وهم يعلمون ما عليهم في تحريفه من العقاب والاول اليق بمذهبنا في الموافاة وانما اراد الله سبحانه ان هؤلاء اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ان لم يؤمنوا به وكذبوه وجحدوا نبوته فلهم باباتهم واسلافهم الذين كذبوا موسى عليه السلام اسوة اذ جروا على طريقتهم في الجحد والعناد وهؤلاء الذين عاندوا وحرفوا كانوا اعدادا يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق في كتمان الحق وان كان يمتنع ذلك على الجمع الكثير والجم الغفير لامر يرجع الى اختلاف الدواعي ويبطل قول من قال انهم كانوا كلهم عارفين معاندين لان الله سبحانه انما نسب فريقا منهم الى المعاندة وان كانوا باجمعهم كافرين وفي هذه الآية دلالة على عظم الذنب في تحريف الشرع وهو عام في اظهار البدع في الفتاوى والقضايا وجميع امور الدين قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون آية اللغة الحديث والخبر والنبا نظاير مشتق من الحدوث كانه اخبار عن حوادث الزمان والفتح في الاصل فتح المغلق وقد يستعمل في مواضع كثيرة فمنها الحكم يقال اللهم افتح بيني وبين فلان اي احكم ومنه ويقولون متى هذا الفتح اي متى هذا القضاء يوم الفتح يوم القضاء وقال الشاعر الا ابلغ بني عصم رسولا فاني عن فتاحتكم غني ويقال للقاضي الفتاح ومنها التعليم ويقال افتح علي هذا اي علمني ما عندك فيه ومنها النصرة يقال استفتحه اي طلب منه النصر ومنه قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ويستعمل في فتح البلدان يقال فتح المسلمون ارض كذا والمحاجة والمجادلة والمناظرة نظاير فالمحاجة ان يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه والحجة الوجه الذي يكون الظفر عند الحجاج ويقال حاججته فحججته وفي الحديث فحج آدم موسى اي غلبه بالحجة واصله من القصد ومنه الحج وهو القصد الى بيت الله الحرام على وجه مخصوص فالحجة النكتة المقصودة في تصحيح الامر النزول روي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين

المتواطئين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما فى التورية من صفة محمد صلى الله عليه وآله فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا لا تخبروهم بما فى التورية من صفة محمد صلى الله عليه وآله فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت الاية وقال مجاهد نزلت فى بنى قريظة لما قال لهم النبى صلى الله عليه وآله يا اخوة القردة والخنازير قالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج الا منكم وقال السدى هؤلاء ناس من اليهود امنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به اسلافهم فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولوا نحن اكرم على الله منكم **المعنى** ثم ذكر الله سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال وهم الذين اذا لقوا الذين امنوا اى رأوهم قالوا امنا اى صدقنا بمحمد انه نبى صادق نجده فى كتابنا بنعته وصفته وبما صدقتم به واقررنا بذلك اخبر الله تعالى عنهم انهم تخلقوا باخلاق المنافقين وتحلوا بحليتهم واستنوا بسنتهم واذا خلا بعضهم الى بعض اى اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصفهم الله الى بعض منهم فصاروا الى خلاء وهو الموضع الذى ليس فيه غيرهم قالوا يعنى قال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم قال الكلبى بما قضى الله عليكم فى كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم اى لا تقروا بانه نبى وقد علمتم انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وانه النبى الذى كنا ننتظره ونجده فى كتابنا اجحدوه ولا تقروا لهم به وقال الكسائى اتحدثونهم بما بينه الله لكم فى كتابكم من العلم ببعث محمد صلى الله عليه وآله والبشارة به وبعض الاقوال فيه ذكرناه فى النزول واقوى التاويلات قول من قال اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اى حكم الله به عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه عليكم ما اخذ به ميثاقكم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وصفته الموصوفة لكم فى التورية ومن قضائه فيكم انه جعل منكم القردة والخنازير وقوله ليحاجوكم به عند ربكم اى ليكون لهم الحجة عليكم عند الله فى الدنيا والاخرة فى ايمانهم بالنبى عليه السلام اذ كنتم مقرين به ومخبرين بصحة امره من كتابكم فيه اثبتم حجته عليكم عند الله وقيل معناه ليجادلونكم ويقولوا لكم قد اقررتم انه نبى حق فى كتابكم ثم لا تتبعونه وقوله عند ربكم قال ابن الانبارى معناه فى حكم ربكم كما يقال هذا حلال عند الشافعى اى فى حكمه وهذا حلال عند الله اى فى حكمه وقوله افلا تعقلون اى افلا تفهمون ايها القوم ان اخباركم محمدا واصحابه بما تخبرونهم به من وجود بعث محمد فى كتبكم حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم وقيل معناه افلا تعقلون ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون فلا تطمعوا فى ذلك عن الحسن وقيل انه خطاب لليهود اى افلا تعقلون ايها اليهود اذ تقبلون من رؤسائكم مثل هذا وهذا تحذير لهم عن الرجوع الى قول رؤسائهم قوله تعالى **اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** **اية** **المعنى** اولا يعلمون يعنى اليهود ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فكيف يستجيزون ان يسروا الى اخوانهم النهى عن التحدث بما هو الحق وهم مقرون بذلك غير جاحدين بان الله يعلم سرهم وجهرهم كالكفار والمنافقين فهم من هذه الجهة الوم والمذمة لهم الزم عن اكثر المفسرين وقيل معناه اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم محمدا اذا خلا بعضهم الى بعض وما يعلنون من قولهم امنا اذا لقوا اصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتادة وابى العالية قوله تعالى **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون** **اية** **القراءة** قرا ابو جعفر وشيبة والحسن امانى مخففة والباقون بالتشديد وكذا قوله ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب **الحجة** قال ابن جنى الاصل فيه التثقيل امانى جمع امنية والتخفيف فى هذا النحو كثير والمحذوف منه الياء الاولى التى هى نظيرة الياء المدغم غير الادغام نحو ياء قراقير وحوامين وارجاء جمع جوسانة واجوبة الا انها قد حذفت فى نحو قوله والبكرات الفسج العطامسا وقوله وغير سفع مثل يحامم يريد عطاميس ويحاميم وعلى ان حذف الياء مع الادغام اسهل من حذفها ولا ادغام معه وذلك ان هذه الياء لما ادغمت خفيت وكادت تستهلك فاذا انت حذفتها فكانك انما حذفت شيئا هو فى حال وجوده فى حكم المحذوف **اللغة** الامى الذى لا يحسن الكتابة وانما سمى اميا لاحد وجوه احدها ان الامة الخلقة فسمى اميا لانه باق على خلقته ومنه قول الاعشى وان معوية الاكرمين حسان الوجوه طوال الامم وثانيها انه ماخوذ من الامة التى هى الجماعة اى هو على اصل ما عليه الامة فى انه لا يكتب لانه يستفيد الكتابة بعد ان لم يكن يكتب وثالثها انه ماخوذ من الام اى هو على ما ولدته امه فى انه لا يكتب وقيل انما نسب الى امه لان الكتابة انما تكون فى الرجال دون النساء والامنية ذكر فيها وجوه احدها ان معناها التلاوة يقال تمنى كتاب الله اى قرأه وتلاه وقال كعب بن مالك تمنى كتاب الله اول ليله واخره لاقى حمام المقادر وقال اخر تمنى كتاب الله بالليل خاليا تمنى داود الزبور على رسل وثانيها ان المراد بالامانى الاحاديث المختلقة عن الفراء تقولات اناسى هذا القول اى تخلقه وقال بعضهم ما تمنيت هذا اسلما اى ما كذبت وثالثها ان المراد بالامانى انهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه قال الزجاج اذا قال القائل ما لا يعلمه فكانه انما يتمناه وهذا مستعمل فى كلام الناس تقول للذى يقول ما لا حقيقة له وهو يحبه هذا منى وهذه امنية والظن هو ترجيح احد الجائزين على الاخر لامارة صحيحة وليس هو من قبيل الاعتقاد على الصحيح من المذهب وفى الناس من قال هو اعتقاد **الاعراب** قال الزجاج يرتفع اميون بالابتداء ومنهم الخبر وقال الاخفش يرتفع اميون بفعلهم كان المعنى واستقر منهم

اميون قال ابو على ليس يرتفع اميون عند الاخفش بفعلهم وانما هو يرتفع بالظرف الذى هو منهم ومذهب سيبويه انه يرتفع بالابتداء ففى منهم عنده ضمير لقوله اميون وموضع منهم على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر الابتداء فاما على مذهب الاخفش الاسم بالظرف لانه نظر الى هذه الظروف فوجدها تجرى مجرى الفعل فى مواضع فى انها تحتمل للضمير كما يحتمله الفعل وما قام مقامه من اسماء الفاعلين وما شبه به ويؤكد ما فيها كما يؤكد ما فى الفعل وما قام مقامه فى نحو مررت بقوم لك اجمعون وينصب عنها الحال كما ينصب بالفعل ويوصل بها الاسماء الموصولة كما توصل بالفعل والفاعل فيصير فيها ضمير الموصول كما يصير ضميره فى الفعل ويوصف به النكرة كما يوصف بالفعل والفاعل فلما راها فى هذه المواضع يقوم مقام الفعل اجراها ايضا مبتدأ مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل اذ قامت هذه الظروف مقام الفعل فى هذه المواضع فقال فى عندك زيد وفى الدار عمرو ومنهم اميون ونحو ذلك انه يرتفع بالظرف اذ كان الظرف قد اقيم مقام الفعل فى غير هذه المواضع والدليل على ان الاسم ههنا مرتفع بالظرف دون الفعل الذى هو استقر ونحوه انه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قائما فى الدار زيد كما يجوز قائما استقر زيد فامتناع تقدم الحال ههنا يدل على انه لا عمل للفعل ههنا وقوله الا امانى نصب على الاستثناء المنقطع كقولهم ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقول الشاعر ليس بينى وبين قيس عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب وقول النابغة حلفت يمينا غير ذى مثنوية ولا علم الا حسن ظن بصاحب وان فى قوله ان هم بمعنى ما اى ما هم الا ظانون فهم مبتدأ ويظنون خبره **المعنى** ومنهم يعنى ومن هؤلاء اليهود الذين قص الله قصصهم فى هذه الايات وقطع الطمع عن ايمانهم اميون اى غير عالمين بمعانى الكتاب يعلمونها حفظا وتلاوة لا رعاية ودراية وفهما لما فيه عن ابن عباس وقتادة وقال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم كتاب والنبى الامى الذى لا يكتب وانشد لتبع لامه سميت فى الزبور امية هى خير الامم وقوله لا يعلمون الكتاب اى لا يعلمون ما فى الكتاب الذى انزله الله عز وجل ولا يدرون ما اودعه الله اياه من الحدود والاحكام والفرائض فهم كهيئة البهائم مقلدة لا يعرفون ما يقولون والكتاب المعنى به التورية ادخل عليه لام التعريف الا امانى لكن امانى اى قولا يقولونه بافواههم كذبا عن ابن عباس وقيل احاديث يحدثهم بها علماؤهم عن الكلبى وقيل تلاوة يتلونها ولا يدرونها عن الكسائى والفراء وقيل امانى يتمنون على الله الرحمة ويخطر الشيطان ببالهم ان لهم عند الله خيرا ويتمنون ذهاب الاسلام بموت الرسول صلى الله عليه وآله وعود الرياسة اليهم وقيل امانى يتخرصون الكذب ويقولون الباطل والتمنى فى هذا الموضع هو تخلق الكذب وتخرصه ويقوى ذلك قوله وان هم الا يظنون فبين انهم يختلقون ما يختلقون من الكذب ظنا لا يقينا ولو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظانين وكذلك لو كانوا يتمنونه لان الذى يتلوه اذا تدبره علمه ولا يقال للمتمنى فى حال وجود تمنيه انه يظن تمنيه ولا انه شاك فيما هو عالم به واليهود الذين عاصروا النبى عليه السلام لم يشكوا فى ان التورية من عند الله وقوله وان هم الا يظنون معناه انهم يشكون وفى هذه الاية دلالة على ان التقليد فى معانى الكتاب وفيما طريقه العلم غير جائز وان الاقتصار على الظن فى ابواب الديانات لا يجوز وان الحجة بالكتاب قائمة على جميع الخلق وان لم يكونوا عالمين اذا تمكنوا من العلم به وان من الواجب ان يكون التعويل على معرفة معانى الكتاب لا على مجرد تلاوته قوله عز وجل **فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** **اية** **اللغة** الويل فى اللغة كلمة يستعملها كل واقع فى هلكة واصله العذاب والهلاك ومثله الويح والويس وقال الاصمعى هو التقبيح ومنه ولكم الويل مما تصفون وقال المفضل معناه الحزن وقال قوم هو الهوان والخزى وقول الشاعر يا زبرقان اخا بنى خلف ما انت ويل ابيك والفخر واصل الكسب العمل الذى يجتلب به نفع او يدفع به ضرر وكل عامل عملا بمباشرة منه له ومعاناة فهو كاسب له قال لبيد لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمن طعامها وقيل الكسب عبارة عن كل عمل بجارحة يجتلب به نفع او يدفع به مضرة ومنه يقال للجوارح من الطير كواسب **الاعراب** ويل رفع بالابتداء وخبره للذين قال الزجاج ولو كان فى غير القرآن لجاز فويلا للذين على معنى جعل الله ويلا للذين والرفع على معنى ثبوت الويل للذين وقال غيره اذا اضيف ويل وويح وويس نصب من غير تنوين فقلت ويح زيد وويل زيد واما التعس والبعد وما اشبههما فلا يحسن فيها الاضافة بغير لام فلذلك لم ترتفع وانما يقال فى نحوها تعسا له وبعدا له وتبا له وقد نصب ايضا ويل وويح مع اللام فقالوا ويلا لزيد وويحا له قال الشاعر كسا اللؤم تيما خضرة فى جلودها فويلا لتيم من سرابيلها الخضر **المعنى** ثم عاد سبحانه الى ذكر علماء اليهود فقال فويل للذين يكتبون الكتاب قال ابن عباس الويل فى الاية العذاب وقيل جبل فى النار وروى الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه واد فى جهنم يهوى فيها الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره والاصل فيه ما ذكرناه من انه كلمة التحسر والتفجع والتلهف والتوجع يقولها كل مكروب هالك وفى التنزيل يا ويلتنا ما لهذا الكتاب وقوله للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله معناه يتولون كتبته ثم يضيفونه الى الله سبحانه كقوله سبحانه مما عملت ايدينا اى نحن تولينا ذلك لم نكله الى احد من عبادنا ومثله خلقت بيدى ويقال رايته بعينى وسمعته باذنى ولقيته بنفسى والمعنى فى جميع ذلك التاكيد وايضا فقد يضيف الانسان الكتابة الى نفسه وقد امر غيره بالكتابة عنه فيقول انا كتبت الى فلان وهذا كتابى الى فلان وكقوله سبحانه يذبح ابناءهم وانما امر به فاعلمنا الله سبحانه انهم يكتبونه بايديهم ويقولون هو من عند الله وقد علموا يقينا انه ليس

ليس من عنده وقيل معناه انهم فعلوا ذلك من تلقاء انفسهم كالرجل اذا اخترع مذهبا او قولا لم يسبق اليه يقال له هذا مذهبك وهذا قولك وان كان جميع ما يوجد من الاقوال قوله والمراد ان هذا من تلقاء نفسك وانك لم تسبق اليه وقيل كتابتهم بايديهم انهم عمدوا الى التورية وحرفوا صفة النبي صلى الله عليه واله ليوقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود وهو المروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وعن جماعة من اهل التفسير وقيل كانت صفته في التورية اسمر ربعة فجعلوه ادم طويلا وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال ان احبار اليهود وجدوا صفة النبي صلى الله عليه واله مكتوبة في التورية اكحل اعين ربعة حسن الوجه فمحوه من التورية حسدا وبغيا فاتاهم نفر من قريش فقالوا اتجدون في التورية نبيا امنا قالوا نعم نجده طويلا ازرق سبط الشعر ذكره الواحدي باسناده في الوسيط وقيل المراد بالاية كاتب كان يكتب للنبي عليه السلام فيغير ما يملي عليه ثم ارتد ومات فلفظته الارض والاول اوجه لانه اليق بنسق الكلام وقوله ليشتروا به ثمنا قليلا يريد ليأخذوا به ما كانوا ياخذونه من عوامهم من الاموال وانما ذكر لفظ الاشتراء توسعا والمراد انهم تركوا الحق واظهروا الباطل لياخذوا على ذلك شيئا كمن يشتري السلعة بما يعطيه والفائدة في قوله ثمنا قليلا ان كل ثمن له لا يكون الا قليلا والعرب في ذلك طريقة معروفة يعرفها من تصفح كلامهم وقيل انما وصفه بالقلة لانه عرض الدنيا وهو قليل المدة كقوله قل متاع الدنيا قليل عن ابي العالية وقيل انما قال قليلا لانه حرام وقوله فويل لهم مما كتبت ايديهم اي عذاب لهم وخزي لهم وقبح لهم مما فعلوا من تحريف الكتاب وويل لهم مما يكسبون من المعاصي وقيل مما يجمعون من المال الحرام والرشى التي ياخذونها عن العوام م **قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون اللغة** المس نظير اللمس والفرق بينهما ان مع اللمس احساسا واصله اللصوق وحده الجمع بين الشيئين على نهاية القرب في الاخلاف تقضا تقدم من العهد بالفصل **الاعراب** اياما انتصب على الظرف واصل اتخذتم ااتخذتم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل وفي القراء من ادغم الذال في التاء ومنهم من لم يدغم وام ههنا يحتمل ان تكون متصلة على المعادلة لهمزة الاستفهام كانه قال على اي الحالين انتم اتقولون على الله ما تعلمون ام تقولون عليه ما لا تعلمون ويحتمل ان يكون منقطعة على تقدير تمام الكلام قبله فيكون بمعنى بل والهمزة كانه استانف فقال بل اتقولون **النزول** قال ابن عباس ومجاهد قدم رسول الله صلى الله عليه واله السلام المدينة واليهود تزعم ان مدة الدنيا سبعة الاف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب فانزل الله هذه الاية وقال ابو العالية وعكرمة وقتادة هي اربعون يوما لانها عدد الايام التي عبدوا فيها العجل **المعنى** وقالوا اي قالت اليهود لن تمسنا النار اي لن تصيبنا الا اياما معدودة معناه اياما قلائل كقوله دراهم معدودة وقيل معدودة محصاة والمعدودة اذا اطلقت كان معناها القليلة وقال الله سبحانه قل يا محمد لهم اتخذتم عند الله عهدا اي موثقا انه لا يعذبكم الا هذه المدة وعرفتم ذلك بوحيه وتنزيله ان كان ذلك فالله سبحانه لا ينقض عهده وميثاقه ام تقولون على الله الباطل جهلا منكم وجراة عليه **قوله عز وجل بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ايتان القراءة** قرا اهل المدينة خطيئاته على الجمع والباقون على التوحيد **الحجة** قال ابو علي يجوز ان يكون من للجزاء الجازم ويجوز ان يكون للجزاء غير الجازم فيكون السيئة وان كانت مفردة يراد بها الكثرة وكذلك يكون خطيئته مفردة انما حسن ان يفرد لانه مضاف الى ضمير مفرد وان كان يراد به الكثرة كما قال تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه فافرد الوجه والاجر وان كان في المعنى جمعا في الموضعين فكذلك المضاف اليه الخطيئة لما لم يكن جمعا لم يجمع كما جمعت في قوله نغفر لكم خطاياكم وليغفر لنا خطايانا لان ذلك مضاف الجمع ومن قال خطيئاته فجمع حمله على المعنى والمعنى الجمع والكثرة ويدل عليه قوله فاولئك اصحاب النار فاولئك خبر المبتدا الذي هو من في قول من جعله جزاء غير مجزوم كقوله وما بكم من نعمة فمن الله او مبتدا في قول من جعله جزاء مجزوما وفي كلا الوجهين يراد به من في قوله بلى من كسب سيئة ومما يدل على ان من يراد به الكثرة فيجوز لذلك ان يجمع خطيئته لانها مضافة الى جمع في المعنى قوله بعد هذه والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون الا ترى ان الذين جمع وهو معادله فكذلك المعادل به يكون جمعا مثل ما عود له **الاعراب** بلى جواب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الايجاب قال الفراء انما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد لانه اذا قال لغيره ما لك علي شيء فقال له نعم فقد صدقه فكانه قال نعم ليس لي عليك شيء واذا قال بلى فانما هو رد لكلامه اي لي عليك شيء وقوله هم فيها خالدون عطف هذه الجملة على الاولى بغير حرف العطف لان في الجملة الثانية ذكرا من في الاولى والضمير يربط الكلام الثاني بالاول كما ان حرف العطف يربطه به ومثله قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال في موضع اخر وكانوا يصرون بالواو وقال سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم فحذفت الواو في قوله رابعهم وسادسهم استغناء عنها بما في الجملة من ذكر ما في الاولى لان الحرف يدل على الاتصال وما في الجملتين من ذكر ما تقدمها اتصال ايضا فاستغني به عنه **المعنى**

رد الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة فقال بلى اي ليس الامر كما قالوا ولكن من كسب سيئة اختلف في السيئة فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم السيئة ههنا الشرك وقال الحسن هي الكبيرة الموجبة وقال السدي هي الذنوب التي اوعد الله عليها النار والقول الاول يوافق مذهبنا لان ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود في النار عندنا وقوله واحاطت به خطيئته يحتمل امرين احدهما انها احدقت به من كل جانب كقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين والثاني اهلكته من قوله الا ان يحاط بكم وقوله وظنوا انهم احيط بهم وقوله واحيط بثمره فهذا كله بمعنى البوار والهلكة فالمراد انها سدت عليه طريق النجاة وروي عن ابن عباس والضحاك وابي العالية ان المراد بالخطيئة الشرك وعن الحسن انها الكبيرة وعن عكرمة ومقاتل انها الاصرار على الذنب وانما قال من كسب سيئة واحاطت به خطيئته ولم يقل واحاطت به سيئته خالف بين اللفظين ليكون ابلغ وافصح فاولئك اصحاب النار اي يصحبون النار ويلازمونها هم فيها خالدون اي دائمون ابدا عن ابن عباس وغيره والذي يليق بمذهبنا من تفسير هذه الاية قول ابن عباس لان اهل الايمان لا يدخلون في حكم هذه الاية وقوله واحاطت به خطيئته يقوي ذلك لان المعنى ان خطاياه قد اشتملت عليه واحدقت به حتى لا يجد عنها مخلصا ولا مخرجا ولو كان معه شيء من الطاعات لم تكن السيئة محيطة به من كل وجه وقد دل الدليل على بطلان التحابط ولان قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون فيه وعد لاهل التصديق والطاعة بالثواب الدائم فكيف يجتمع الثواب الدائم مع العقاب الدائم ويدل ايضا على ان المراد بالسيئة في الاية الشرك على ما ذكره اهل التفسير ان سيئة واحدة لا تحيط بجميع الاعمال عند اكثر الخصوم فلا يمكن اذا اجراء الاية على العموم فيجب ان تحمل على اكبر السيئات واعظم الخطايا وهو الشرك ليمكن الجمع بين الايتين م **قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اية القراءة** قرا ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بالياء وقرا الباقون بالتاء وقرا حمزة والكسائي وقولوا للناس حسنا بفتح الحاء والسين والباقون حسنا بضم الحاء واسكان السين **الحجة** حجة من قرا لا تعبدون بالتاء على الخطاب قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم الى اخر الاية ويقويه قوله ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون فاذا كان هذا خطابا وهو عطف على ما تقدم وجب ان يكون المعطوف عليه في حكمه **وحجة** من قرا بالياء قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فحمله على لفظ الغيبة واما قوله حسنا فمن قراه بضم الحاء ففيه ثلثة اوجه احدها ان يكون الحسن بمعنى الحسن كالبخل والبخل والرشد والرشد وجاز ذلك في الصفة كما جاز في الاسم قالوا العرب والعرب وهو صفة بدلالة قولهم مررت بقوم عرب اجمعون فعلى هذا يكون الحسن صفة كالحلو والمر وثانيها ان يكون الحسن مصدرا كالشكر والكفر وحذف المضاف معه اي قولوا قولا ذا حسن وثالثها ان يكون منصوبا على انه مصدر الفعل الذي دل عليه الكلام اي ليحسن قولكم حسنا ومن قراه حسنا جعله صفة وتقديره وقولوا للناس قولا حسنا كقوله تعالى فامتعه قليلا اي متاعا قليلا **اللغة** الاخذ ضد الاعطاء والقربى مصدر قولهم قربت مني رحم فلان قرابة وقربى وقربانا واليتامى جمع يتيم مثل نديم وندامى واليتيم الذي مات ابوه الى ان يبلغ الحلم ولا يقال لمن مات امه يتيم يقال يتم ييتم يتما اذا فقد اباه هذا في الانسان فاما غير الانسان فيتمه من قبل امه قال الاصمعي اليتيم في الناس من قبل الاب وفي غير الناس من قبل الام والمسكين هو المتخشع المتذلل من الحاجة ماخوذ من السكون كانه قد اسكنه الفقر **الاعراب** قوله لا تعبدون لا يخلو اما ان يكون حالا او يكون تلقي القسم او يكون على لفظ الخبر والمعنى معنى الامر او يكون على تقدير ان لا تعبدوا فحذف ان فيرتفع الفعل فان جعلته حالا كنت فالاولى ان يكون بالياء ليكون في الحال ذكر من ذي الحال فكانه قال اخذنا ميثاقهم موحدين وان جعلته تلقي قسم وعطفت عليه الامر وهو قوله وقولوا جمعت بين امرين لا تجمع بينهما فان لم تحمل الامر على القسم واضمرت القول كانه قال واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقلنا واحسنوا بالوالدين احسانا فيكون وقلنا على هذا معطوفا على اخذنا جاز لان اخذ الميثاق قول فكانه قال قلنا لهم كذا وكذا وان حملته على ان اللفظ لفظ خبر والمعنى معنى الامر يكون مثل قوله يؤمنون بالله ورسوله ويدل على ذلك قوله تغفر لكم ويؤكد ذلك انه قد عطف عليه بالامر وهو قوله وبالوالدين احسانا وقوله واقيموا وان حملته على ان المعنى اخذنا ميثاقهم بان لا تعبدوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كما قال طرفة الا ايهذا اللائمي احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي فان هذا قول ان حملته عليه كان فيه حذف بعد حذف وزعم سيبويه ان حذف ان من هذا النحو قليل وقوله وبالوالدين احسانا الحرف الجار يتعلق بفعل مضمر ولا يجوز ان يتعلق بقوله احسانا لان ما تعلق بالمصدر لا يجوز ان يتقدم عليه واحسن يصل الى المفعول بالباء كما يصل بالى يدل على ذلك قوله وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن فيتعدى بالباء كما تعدى بالى في قوله واحسن كما احسن الله اليك وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم قال الزجاج نصب قليلا على الاستثناء المعنى استثني قليلا منكم قال ابو علي ان في هذا التمثيل ابهاما ان الاسم المستثنى ينتصب على معنى استثني او بالا وليس كذلك بل

ينتصب الاسم المستثنى عن الجملة التي قبل الا بتوسط الا كما ينتصب الطيالسة وما صنعت واباك عن الجملة التي قبل الواو بتوسط الواو ويدل على ذلك قولهم ما جاءني الا زيد فلو كان لالا او لما يدل عليه عمل في المستثنى لجاز نصب هذا كما انك لو قلت استثني زيد لنصبته فان قيل لا يجوز النصب هنا لان الفعل يبقى فارغا بلا فاعل قيل فهلا دل ذلك امتناع هذا من الجواز على ان ما بعد الا متصل بما قبلها وانه ليس لالا فيه عمل ولا اثر الا ما يدل عليه من معنى الاستثناء **المعنى** ثم عاد سبحانه الى ذكر بني اسرائيل فقال واذكروا اذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل اي عهدهم وقيل الميثاق الادلة من جهة العقل والشرع وقيل هو مواثيق الانبياء على اممهم والعهد والميثاق لا يكون الا بالقول فكانه قال امرناهم ووصيناهم واكدنا عليهم وقلنا لهم والله لا يعبدون اذا حملناه على جواب القسم واذا حملناه على الحال او على معناه الامر فكما قلناه قبل واذا حملناه على حذف ان فتقديره واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله وحده دون ما سواه من الانداد وبان تحسنوا الى الوالدين احسانا والاحسان الذي اخذ عليهم الميثاق بان تفعلوه الى الوالدين هو ما فرض على امتنا ايضا من فعل المعروف بهما والقول الجميل وخفض جناح الذل لهما والتحنن عليهما والرافة بهما والدعاء بالخير لهما وما اشبه ذلك وقوله وذي القربى اي وبذي القربى ان يصلوا قرابته ورحمه واليتامى اي وباليتامى ان يعطفوا عليهم بالرافة والرحمة وبالمساكين ان يؤتوهم حقوقهم التي اوجبها الله عليهم في اموالهم وقوله وقولوا للناس حسنا عدول الى الخطاب بعد الخبر وانما استجازت العرب ذلك لان الخبر انما كان عمن خاطبوه بعينه لا عن غيره وقد يخاطبون ايضا ثم يصيرون بعد الخطاب الى الخبر فمثال الاول قول عنترة شطت مزار العاشقين فاصبحت عسرا علي طلابك ابنة مخرم ومثال الثاني قول كثير عزة اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت وقيل معناه قلنا لهم قولوا واختلف في معنى قوله حسنا فقيل هو القول الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله واحبه عن ابن عباس وقيل هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن سفيان الثوري وقال الربيع بن انس قولوا للناس حسنا اي معروفا وروى جابر عن ابي جعفر الباقر عليه السلام في قوله وقولوا للناس حسنا قال قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال لكم فان الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف ويحب الحليم العفيف المتعفف ثم اختلف فيه من وجه اخر فقيل هو عام في المؤمن والكافر على ما روي عن الباقر عليه السلام وقيل هو خاص في المؤمنين واختلف من قال انه عام فقال ابن عباس وقتادة انه منسوخ باية السيف وبقوله عليه السلام قاتلوهم حتى يقولوا لا اله الا الله او يقروا بالجزية وقد روي ذلك ايضا عن الصادق عليه السلام وقال الاكثرون انها ليست بمنسوخة لانه يمكن قتالهم مع حسن القول في دعايهم الى الايمان كما قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال في اية اخرى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقوله واقيموا الصلاة اي ادوها بحدودها الواجبة عليكم واتوا الزكوة اي اعطوها اهلها كما اوجبها الله عليكم وروي عن ابن عباس ان الزكوة التي فرضها الله على بني اسرائيل كانت قربانا تهبط اليه نار من السماء فتحمله فكان ذلك تقبله ومتى لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل وروي عنه ايضا ان المعني به طاعة الله والاخلاص وقوله ثم توليتم اي اعرضتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اخبر الله سبحانه عن اليهود انهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه وخالفوا امره وتولوا عنه معرضين الا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه ووصف هولاء بانهم قليل بالاضافة الى اولئك واختلف فيه فقيل انه خطاب لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه واله من يهود بني اسرائيل وذم لهم بنقضهم الميثاق الذي اخذ عليهم في التورية وتبديلهم امر الله وركوبهم معاصيه وقيل انه خطاب لاسلافهم المذكورين في اول الاية وانما جمع بين التولي والاعراض وان كان معناهما واحدا تاكيدا وقيل معنى توليتم فعلتم الاعراض وهم معرضون اي مستمرون على ذلك وفي هذه الاية دلالة على ترتيب الحقوق فبدا الله تعالى بذكر حقه وقدمه على كل حق لانه الخالق المنعم باصول النعم ثم ثنى بحق الوالدين وخصهما بالمزية لكونهما سببا للوجود وانعامهما بالتربية ثم ذكر ذوي القربى لانه اقرب الى المكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم والفقراء لفقرهم ۝ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** اية **اللغة** السفك الصب سفكت الدم اسفكه سفكا وواحد الدماء دم واصله دمي في قول اكثر النحويين ودليل من قال ان اصله دما قول الشاعر فلونا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين وقال قوم اصله دمي الا انه لما حذف ورد اليه ما حذف منه حركت الميم لتدل الحركة على انه استعمل محذوفا والنفس ماخوذة من النفاسة وهي الجلالة فنفس الانسان انفس ما فيه والدار هي المنزل الذي فيه ابنية المقام بخلاف منزل الارتحال وقال الخليل كل موضع حله قوم فهو دارهم وان لم يكن فيه ابنية والاقرار الاعتراف والشهادة اخذ من المشاهدة وهي الاخبار عن الشيء بما يقوم مقام المشاهدة في المعرفة **الاعراب** تقدير الاعراب في هذه الاية مثل الذي قلناه في الاية الاولى على السواء **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الاخبار عن اليهود بنقض المواثيق والعهود بقوله واذ اخذنا ميثاقكم اي ميثاق اسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والانبياء الماضين صلوات الله على نبينا وعليهم اجمعين وانما اضاف الميثاق اليهم لما كانوا اخلافا لهم على ما سبق الكلام فيه وقوله لا تسفكون دماءكم معناه لا يقتل بعضكم بعضا لان في قتل الرجل منهم قتل نفسه اذا كانت ملتهما واحدة

ودينهما واحدا واهل الدين الواحد بمنزلة الرجل الواحد في ولاية بعضهم بعضا لقول النبي صلى الله عليه واله انما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له ساير الجسد بالحمى والسهر هذا قول قتادة وابي العالية وقيل معناه لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصا فيكون بذلك قاتلا لنفسه لانه كالسبب فيه وقوله ولا تخرجون انفسكم من دياركم معناه لا يخرج بعضكم بعضا من دياركم بان تغلبوا على الدار وقيل معناه لا تفعلوا ما تستحقون به الاخراج من دياركم كما فعله بنو النضير وقوله ثم اقررتم وانتم تشهدون اي اقررتم بذلك ايضا وانتم شاهدون على ما اخذ منكم منهم من الميثاق وبما بذلوه من انفسهم من القبول والالتزام وقيل معنى اقرارهم هو الرضا به والصبر عليه كما قال الشاعر الست كليبيا اذا سيم خطة اقر كاقرار الحليلة للبعل واختلف في المخاطب بقوله وانتم تشهدون فقيل هم اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه واله ايام هجرته اليهم وبخهم الله تعالى على تضييعهم احكام ما في ايديهم من التورية التي كانوا يقرون بحكمها وقال لهم ثم اقررتم يعني اقر اوايلكم وسلفكم وانتم تشهدون على اقرارهم باخذ الميثاق عليهم بان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وتصدقون بذلك عن ابن عباس وقيل انه خبر من الله عز وجل عن اوايلهم ولكنه اخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبة لهم على النحو الذي تقدم في الايات وانتم تشهدون اي وانتم شهود عن ابي العالية ويحتمل قوله وانتم تشهدون امرين احدهما ان معناه وانتم تشهدون على انفسكم بالاقرار والثاني ان معناه وانتم تحضرون سفك دمايكم واخراج انفسكم من دياركم وقال بعض المفسرين نزلت الاية في بني قريظة والنضير وقيل نزلت في اسلاف اليهود ۝ قوله عز وجل **ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** اية **القراءة** قرا اهل الكوفة تظاهرون بتخفيف الظاء ههنا وفي التحريم والباقون بالتشديد فيهما وقرا ابو جعفر ونافع وعاصم والكسائي ويعقوب اسارى تفادوهم بالالف فيهما وقرا حمزة وحده اسرى تفدوهم بغير الف فيهما وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو اسارى بالالف تفدوهم بغير الف وكان ابو عمرو وحمزة والكسائي يميلون الراء من اسارى ونافع يقرا بين بين والباقون يفتحون **الحجة** من قرا تظاهرون بالتخفيف فالاصل فيه تتظاهرون فحذف التاء الثانية لاجتماع تاءين ومن قراه تظاهرون بالتشديد فالاصل فيه ايضا تتظاهرون فادغم التاء في الظاء لقرب المخرجين فكل واحد من الفريقين كره اجتماع الامثال ففريق خفف بالادغام وفريق خفف بالحذف فالتاء التي اعتلت بالادغام هي التاء التي اعتلت بالحذف وحجة من قرا اسرى انه جمع اسير فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل وقتلى وجريح وجرحى وهو اقيس من اسارى وحجة من قال اسارى انه شبهه بكسالى وذلك ان الاسير لما كان محبوسا عن كثير من تصرفه للاسر كما ان الكسلان محتبس عن ذلك لعادته السيئة شبه به فاجري عليه هذا الجمع كما قيل مرضى وموتى وهلكى لما كانوا مبتلين بهذه الاشياء مصابين بها فاشبه في المعنى فعيلا بمعنى مفعول فاجري عليه في الجمع اللفظ الذي لفعيل بمعنى مفعول وكما شبه اسارى بكسالى شبه كسلى باسرى ومن قرا تفادوهم فلان كل واحد من الفريقين يعطي من الاسر فداء ومن الماسورين منهم دفع فدايه فوجه تفادوهم على هذا ظاهر ومن قرا تفدوهم فالمعنى فيه مثل المعنى في تفادوهم وهذا الفعل يتعدى الى مفعولين والى الثاني بالجار كقوله وفديناه بذبح عظيم وقول الشاعر يودون لو يفدونني بنفوسهم ومثنى الاواقي والقيان النواهد وقال الاعشى فدى عند ذي تاج اذا قيل له فاد بالمال تراخى ومزح المفعول الاول محذوف والتقدير فاد الاسرى بالمال وفي الاية المفعول الثاني الذي يصل اليه الفعل بالجر محذوف **اللغة** تظاهرون تعاونون الظهير المعين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير التقدير فيه الجمع واللفظ على الافراد ومثله قول رؤبة دعها فما النحوي من صديقها اي من اصدقايها وظاهر بين درعين لبس احديهما فوق الاخرى والاثم الفعل القبيح الذي يستحق به اللوم ونظيره الوزر وقال قوم معنى الاثم هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب ومنه قول النبي صلى الله عليه واله لنواس بن سمعان حين ساله عن البر والاثم فقال البر ما اطمانت اليه نفسك والاثم ما حاك في صدرك والعدوان الافراط في الظلم يقال عدا فلان في ظلمه عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وقيل العدوان مجاوزة الحد والاسر الاخذ بالقهر واصله الشد والحبس واسره اذا شده وقال ابو عمرو بن العلا الاسارى الذين هم في الوثاق والاسرى الذين هم في اليد وان لم يكونوا في الوثاق والخزي السوء والذل يقال خزي الرجل خزيا ويقال في الحياء خزي خزاية **الاعراب** قوله ثم انتم هؤلاء فيه ثلاثة اقوال احدها ان انتم مبتدا وهؤلاء منادى مفرد تقديره يا هؤلاء وتقتلون خبر للمبتدا وثانيها ان هؤلاء تاكيد لانتم وثالثها انه بمعنى الذين وتقتلون صلة له اي انتم الذين تقتلون انفسكم فعلى هذا يكون تقتلون لا موضع له من الاعراب ومثله في الصلة قوله وما تلك بيمينك يا موسى اي وما التي بيمينك وانشد النحويون في ذلك عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق وقوله تظاهرون عليهم في موضع نصب على الحال من تخرجون وقوله وهو محرم عليكم اخراجهم هو على ضربين احدهما ان يكون اضمار الاخراج الذي تقدم ذكره في قوله وتخرجون

فريقا منكم ثم بين ذلك بقوله اخراجهم توكيد لانه اخر الكلام والاخر ان يكون هو ضمير القصة والحديث فكانه قال والحديث محرم عليكم اخراجهم كما قال الله تعالى قل هو الله احد اي الامر الذي هو الحق الله احد المعنى ثم انتم يا معشر يهود بني اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم ان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وبعد شهادتكم على انفسكم بذلك انه واجب عليكم ولازم لكم الوفاء به تقتلون انفسكم اي يقتل بعضكم بعضا كقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي ليسلم بعضكم على بعض وقيل معناه تتعرضون للقتل وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم اي تتعاونين عليهم في اخراجكم اياهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسرى تفدوهم اي وانتم مع قتلكم من تقتلون منكم اذا وجدتم اسيرا في ايدي غيركم من اعدائكم تفدونهم وقتلكم اياهم واخراجكم من ديارهم حرام عليكم كما ان تركهم اسرى في ايدي عدوهم حرام عليكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم وهما جميعا في حكم اللازم لكم فيهم سواء لان الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم اسرى في ايدي عدوهم افتؤمنون ببعض الكتاب الذي فرضت عليكم فيه فرائضي وبينت لكم فيه حدودي واخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي فتصدقون به فتفادون اسراكم من ايدي عدوهم وتكفرون ببعض فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله من اهل دينكم وقومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم ان الكفر منكم ببعضه نقض منكم لعهدي وميثاقي واختلف فيمن عني بهذه الاية فروي عكرمة عن ابن عباس ان قريظة والنضير كانا اخوين كالاوس والخزرج فافترقوا فكانت النضير مع الخزرج وكانت قريظة مع الاوس فاذا اقتتلوا عاونت كل فرقة حلفاءها فاذا وضعت الحرب اوزارها فدوا اسراهم تصديقا لما في التورية والاوس والخزرج اهل شرك يعبدون الاوثان لا يعرفون جنة ولا نارا ولا قيامة ولا كتابا فانبأ الله تعالى اليهود بما فعلوه وقال ابو العالية كان بنو اسرائيل اذا استضعف قوم قوما اخرجوهم من ديارهم وقد اخذ عليهم الميثاق ان لا تسفكوا دماءهم ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم واخذ عليهم الميثاق ان اسر بعضهم بعضا ان تفادوهم فاخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فآمنوا بالفداء ففدوا وكفروا بالاخراج من الديار فاخرجوهم وقيل ليس الذين اخرجوهم الذين فودوا ولكنهم قوم اخرون على ملتهم فانبهم الله تعالى على ذلك وقال ابو مسلم الاصفهاني ليس المراد بقوله افتؤمنون الاية انهم تخرجون وهو محرم ويفدون وهو واجب وانما يرجع ذلك الى بيان صفة محمد صلى الله عليه واله وغيره وقوله فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا اختلف في الخزي الذي خزاهم الله اياه بما سلف منهم من المعصية فقيل هو حكم الله الذي انزله على نبيه صلى الله عليه واله من اخذ القاتل بمن قتل والقود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم وقيل بل هو اخذ الجزية منهم ما اقاموا على دينهم على وجه الذل والصغار وقيل الخزي الذي خزوا به في الدنيا هو اخراج رسول الله صلى الله عليه واله بني النضير من ديارهم لاول الحشر وقتل بني قريظة وسبي ذراريهم وكان ذلك خزيا لهم في الدنيا ثم اعلم الله سبحانه ان ذلك غير مكفر عنهم ذنوبهم وانهم صائرون بعده الى عذاب عظيم فقال ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب اي الى اشد العذاب الذي اعده الله لاعدائه وهو العذاب الذي لا روح فيه مع اليأس من التخلص وما الله بغافل عما تعملون اي وما الله بساه عن اعمالهم الخبيثة بل هو حافظ لها ومجاز عليها ومن قرأه بالتاء رده الى المواجهين بالخطاب في قوله افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ومما يسأل في هذه الاية ان ظاهرها يقتضي صحة اجتماع الايمان والكفر وذلك مناف للصحيح من المذهب والقول فيه ان المعنى انهم اظهروا التصديق ببعض الكتاب والانكار للبعض ويحتمل ان يكون المراد بذلك انكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون بعض فكانكم امنتم ببعضه دون بعض وهذا يدل على انه لا ينفعهم الايمان بالبعض مع الكفر بالبعض الاخر وفي هذه الاية تسلية لنبينا عليه واله السلام في ترك قبول اليهود قوله واخبارهم عن الايمان به فكانه يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لامرك ويؤمنون بك وهم لا يعملون بكتابهم مع اقرارهم به وبانه من عند الله تعالى قوله تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ اية اللغة الخفة نقيض الثقل والتخفيف والتسهيل والتهوين نظائر واختلف في الخفة والثقل فقيل انه يرجع الى تناقص الجواهر وتزايدها وقيل ان الاعتماد اللازم سفلا يسمى ثقلا والاعتماد اللازم المختص بجهة العلو يسمى خفة المعنى اشار الى الذين اخبر عنهم بانهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فقال اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا اي باعوا رياسة الدنيا بالاخرة اي رضوا بها عوضا من نعيم الاخرة التي اعدها الله تعالى للمؤمنين جعل سبحانه تركهم حظوظهم من نعيم الاخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا ثم اخبر انه لا حظ لهم في نعيم الاخرة بقوله فلا يخفف عنهم العذاب اي لا ينقص من عذابهم ولا يهون عنهم ولا هم ينصرون اي لا ينصرهم احد في الاخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى قوله عز وجل وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ اية القراءة قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال في جميع القران والباقون بضم القاف والدال وروي في الشواذ عن ابي عمرو آيدناه على زنة افعلناه والقراءة ايدناه بالتشديد الحجة التخفيف والتثقيل في القدس حسنان وكذلك فيما كان مثله نحو الحلم والحلم والعنق والعنق ايدناه انما كانت القراءة المشهورة فيه فعلناه لما يعرض من تصحيح العين مخافة توالي الاعلالين في ايدناه على افعلناه ومعنى هذا انه لو اعلت عينه كما يجب اعلال عين افعلت من

الاجوف كاقمت وابعت لتتابع فيه اعلالان اصل ايدت ايدت كما ان اصل امن امن فانقلبت الهمزة الثانية الفا لاجتماع همزتين في كلمة والاولى منهما مفتوحة والثانية ساكنة وكان يجب ايضا ان تلقى حركة العين على الفاء ويحذف العين كما القيت حركة الواو من اقومت على القاف قبلها فصار اقمت وكان يجب على هذا ان تقلب الفاء هنا واوا لانها قد تحركت والفتح ما قبلها ولا بد من قبلها لوقوع الهمزة الاولى قبلها كما قلبت في تكسير ادم اوادم فكان يجب ان يقول اودته كاقمته فتحذف العين كما ترى وتقلب الفاء التي هي بالاصل همزة واوا فتعل الفاء والعين جميعا واذا كان يؤدي القياس الى هذا رفض وكثر فيه فعلت ليؤمن الاعلالان وجاء ايدت قليلا شاذا على الاصل واذا كانوا قد اخرجوا عين افعلت وهي حرف علة على الصحة في نحو قوله صددت واطولت الصدود واعورت القوم واغيمت السماء ولو اعلت لم يخف فيه توالي اعلالين كان خروج ايدت على الصحة لئلا يجتمع اعلالان اولى واحرى اللغة قفينا اي اردفنا واتبعنا بعضهم خلف بعض واصله من القفا يقال قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته كان امرؤ القيس وقفى على اثارهن بحاصب وغبية شؤبوب من الشد ملهب والرسل جمع رسول كالصبر والشكر في جمع صبور وشكور وايدناه قويناه من الايد والاد وهما القوة ومثلهما في البناء على فعل وفعل الذيم والذام والعيب والعاب قال العجاج من ان تبدلت باداي آدا يقوة شباي قوة الشيب والقدس الطهر والتقديس التطهير وقولنا في صفة الله تعالى القدوس اي الطاهر المنزه عن ان يكون له ولد او يكون في حكمه وفعله ما ليس بعدل وبيت المقدس لا يخلو المقدس فيه اما ان يكون مصدرا او مكانا فان كان مكانا فالمعنى بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة واضيف الى الطهارة لانه منسك كما جاء ان طهر بيتي للطائفين وتطهيره اخلاؤه من الصنم وابعاده منه فعلى هذا يكون بيت المكان الطهارة وان كان مصدرا كان كقوله الى مرجعكم ونحوه من المصادر التي جاءت على هذا المثال والهوى مقصورا والشهوة نظيران هوي يهوى هوى المعنى ثم ذكر سبحانه انعامه عليهم بارسال رسله اليهم وما قابلوه به من تكذيبهم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب اي اعطيناه التورية وانزلناه اليه وقفينا من بعده بالرسل اي اتبعنا من بعد موسى بارسال رسول بعد رسول يتبع الاخر الاول في الدعاء الى وحدانية الله تعالى والقيام بشرايعه على منهاج واحد لان كل من بعثه الله نبيا بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام فانما بعثه باقامة التورية والعمل بما فيها والدعاء الى ذلك واتينا عيسى بن مريم البينات اي اعطيناه المعجزات والدلالات على نبوته من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك من الايات الدالة على صدقه وصحة نبوته وقال بعضهم اراد بالبينات الانجيل وما فيه من الاحكام والايات الفاصلة بين الحلال والحرام وايدناه بروح القدس اي قويناه واعنا بجبرئيل عليه السلام عن قتادة والسدي والضحاك والربيع واختلف في سبب تسمية جبرئيل عليه السلام روحا على وجوه احدها انه يحيى بما يأتي به من البينات والاديان كما يحيى بالارواح الابدان وثانيها انه سمي بذلك لان الغالب عليه الروحانية وكذلك سائر الملائكة وانما خص هذا الاسم تشريفا له وثالثها انه سمي به واضيف الى القدس لانه كان بتكوين الله تعالى اياه روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقال ابن زيد المراد بروح القدس الانجيل كما سمى الله تعالى القران روحا فقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فكذلك سمى الانجيل روحا وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان عيسى عليه السلام يحيي به الموتى وقال الربيع هو الروح الذي نفخ فيه فاضافه الى نفسه تشريفا كما قال بيت الله وناقة الله واقوى الاقوال والوجوه قول من قال هو جبرئيل عليه السلام واذا قيل لم خص عيسى عليه السلام من بين الانبياء بانه مؤيد بجبرئيل عليه السلام وكل نبي مؤيد به فالقول فيه انه انما خص بذلك لثبوت اختصاصه به من صغره الى كبره وكان يسير معه حيث سار ولما هم اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به الى السماء وكان تمثل لمريم عند حملها به وبشرها به ونفخ فيها واختلف في معنى القدس فقيل هو الطهر وقيل هو البركة عن السدي وحكى قطرب انهم يقولون قدس عليه الانبياء اي بركوا وعلى هذا فانه كدعاء ابرهيم عليه السلام للحرم رب اجعل هذا بلدا امنا وكقوله لزكريا واجعله رب رضيا وقيل القدس هو الله تعالى عن الحسن والربيع وابن زيد وقالوا القدوس والقدس واحد وقوله افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم خطاب لليهود فكانه قال يا معشر يهود بني اسرائيل اكلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه انفسكم تعظمتم وتجبرتم وانفتم من قبول قوله ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون اي فكذبتم منهم بعضا وقتلتم بعضا مثل عيسى ومحمد عليهما السلام وقتلتم بعضا مثل يحيى وزكريا وغيرهما وظاهر الخطاب وان خرج مخرج التقدير فهو بمعنى الخبر وانما اضاف هذا الفعل اليهم وان لم يباشروه بنفوسهم لانهم رضوا بفعل اسلافهم فاضيف الفعل اليهم وان فعله اسلافهم قوله تعالى وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ القراءة القراءة المشهورة غلف بسكون اللام وروي في الشواذ عن ابي عمرو غلف بضم اللام الحجة من قرأ بالتسكين فهو جمع الاغلف مثل احمر وحمر يقال للسيف اذا كان في غلاف اغلف وقوس غلفاء وجمعها غلف ولا يجوز تثقيله الا في ضرورة الشعر نحو قول طرفة ايها الفتيان في مجلسنا جردوا منها ورادا وشقر فحرك لضرورة الشعر ومن قرأ غلف مثقلا فهو جمع غلاف نحو مثال ومثل وحمار وحمر فيكون معناه ان قلوبنا اوعية للعلم فما بالها لا تفهم ويجوز ان يكون التسكين عن التثقيل مثل رسل ورسل اللغة اللعن هو الاقصاء والابعاد يقال لعن فلان فلانا فهو ملعون

ثم يصرف مفعول منه الى فعيل فقيل لعين قال الشماخ وماء قد وردت لوصل اروى عليه الطير كالورق اللجين ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين **الاعراب** قليلا منصوب بانه صفة لمصدر محذوف وانما حذف لان الصفة تقوم مقامه ويدل عليه اى فايمانا قليلا ما يومنون وقيل انه منتصب على الحال اى يؤمنون وهم قليل وقيل بل تقديره بقليل ما يؤمنون حذف الجار وفصل الفعل اليه فنصبه وما ههنا مزيدة للتوكيد ولا معنى لها كما فى قوله فبما رحمة من الله وتقدير الكلام فقليلا يؤمنون وكما فى قول الشاعر لو بابانين جاء يخطبها خضب ما انف خاطب بدم وقيل ان معنا ما ههنا هو ان يدل على غاية التنكير فى الاسم وفرط الابهام فيه كما يقال امر ما وشئ ما اذا اريد المبالغة فى الابهام **المعنى** رجع الكلام الى الحكاية عن اليهود وعن سوء مقالهم وفعالهم فالمعنى على القراءة الاولى انهم ادعوا ان قلوبهم ممنوعة من القبول وقالوا اى فائدة فى انذارك لنا ونحن لا نفهم ما تقول اذ ما تقول ليس مما يفهم كقوله تعالى وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر وقال ابو على الفارسى ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها من الاعضاء اذا ذكر بانه لا يعلم وصف بان عليه ما نعا من ذلك ودونه حائلا فمن ذلك قوله تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها لما كان القفل حاجزا بين المقفل عليه وحائلا من ان يدخله ما يدخل اذا لم يكن مقفلا جعل مثالا للقلوب فى انها لا تعى ولا تفقه وكذلك قوله لقالوا انما سكرت ابصارنا والذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وقوله بل هم منها عمون كان شدة عنادهم يحملهم على الشك فى المشاهدات ودفع المعلومات واما المعنى على القراءة الثانية من تحريك اللام فى غلف فهو على ان المراد ان قلوبنا اوعية للعلم ونحن علماء ولو كان ما تقوله شيئا فهمناه او لوطالبنا الفهم او يكون المراد ليس فى قلوبنا ما تذكره فلو كان علما لكان فيها وقوله بل لعنهم الله بكفرهم رد الله سبحانه عليهم قولهم اى ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه قد اقصاهم وابعدهم من رحمته وطردهم عنها لجحودهم به وبرسله وقيل معنى لعنهم الله طبع على قلوبهم على سبيل المجازاة لهم بكفرهم وقوله فقليلا ما يؤمنون معناه ان هؤلاء الذين وصفهم قليلو الايمان بما انزل على نبيه محمد صلى الله عليه واله وان كان معهم بعض الايمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضا عليهم وذلك قليل بالاضافة الى ما جحدوه من التصديق بنبينا صلى الله عليه واله وبما جاء به والذى يليق بمذهبنا ان يكون المراد انه لا ايمان لهم اصلا وانما وصفه بالقليل كما يقال قلما رايت هذا قط اى ما رايت هذا قط وان جعلت قليلا نصبا على الحال اى يؤمنون قليلا فمعناه لا يؤمن به الا نفر قليل كعبد الله بن سلام واصحابه وفى هذه الاية رد على المجبرة لان هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من ان على قلوبهم ما يمنع من الايمان ويحول بينها وبينه فكذبهم الله تعالى فى ذلك بان لعنهم وذمهم ولو كانوا صادقين فى ذلك لما استحقوا اللعن والطرد ولكان الله سبحانه قد كلفهم ما لا يطيقونه **قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين**

اية الاعراب مصدق رفع لانه صفة لكتاب ولو نصب على الحال لكان جائزا لكنه لم يقرأ به فى المشهور وقيل ضم على الغاية وقد ذكرنا الوجه فيه فيما تقدم من قوله قالوا هذا الذى رزقنا من قبل واما جواب لما فى قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله فعند الزجاج والاخفش محذوف لان معناه معروف يدل عليه قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما حذف جواب لو من نحو قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى وتقديره ولو ان قرانا سوى هذا القران سيرت به الجبال لسيرت بهذا القران وقيل ان قوله كفروا جواب لقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله ولقوله فلما جاءهم ما عرفوا وانما كرر لما لطول الكلام عن المبرد **النزول** قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون اى يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه واله قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب ولم يكن من بنى اسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل الشرك وتصفونه وتذكرون انه مبعوث فقال سلام بن مشكم اخو بنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذى كنا نذكر لكم فانزل الله تعالى هذه الاية وروى العياشى باسناده رفعه الى ابى بصير عن ابى عبد الله عليه السلم قال كانت اليهود تجد فى كتبها ان مهاجر محمد صلى الله عليه واله ما بين عير واحد فخرجوا يطلبون الموضع فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد واحد سواء فتفرقوا عنده فنزل بعضهم بتيماء وبعضهم بفدك وبعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتيماء الى بعض اخوانهم فمر بهم اعرابى من قيس فتكاروا منه وقال لهم امر بكم ما بين عير واحد فقالوا له اذا مررت بهما فاذنا بهما فلما توسط بهم ارض المدينة قال ذلك عير وهذا احد فنزلوا عن ظهر ابله وقالوا له قد اصبنا بغيتنا فلا حاجة بنا الى ابلك فاذهب حيث شئت وكتبوا الى اخوانهم الذين بفدك وخيبر انا قد اصبنا الموضع فهلموا الينا فكتبوا اليهم انا قد استقرت بنا الدار واتخذنا بها الاموال وما اقربنا منكم فاذا كان ذلك فما اسرعنا اليكم واتخذوا بارض المدينة اموالا فلما كثرت اموالهم بلغ ذلك تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم ثم امنهم فنزلوا عليه فقال لهم انى قد استطبت بلادكم ولا ارانى الا مقيما فيكم فقالوا له ليس ذلك لك انها مهاجر نبى وليس ذلك لاحد حتى يكون ذلك فقال لهم فانى مخلف فيكم من اسرتى من اذا كان

ذلك ساعده ونصره فخلف حيين تراهم الاوس والخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون اموال اليهود وكانت اليهود تقول لهم اما لو بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا واموالنا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه واله امنت به الانصار وكفرت به اليهود وهو قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا الى اخر الاية **المعنى** ولما جاءهم اى جاء اليهود من بنى اسرائيل الذين وصفهم الله كتاب من عند الله يعنى به القران الذى انزله على نبيه محمد صلى الله عليه واله مصدق لما معهم اى للذى معهم من الكتب التى انزلها الله تعالى قبل القران من التورية والانجيل وغيرهما وفيه وجهان احدهما ان معناه انه مصدق لما تقدم به الاخبار فى التورية والانجيل فهو مصداق لذلك من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به والاخر انه مصدق لهما اى بانهما من عند الله تعالى وانهما حق وكانوا يعنى اليهود من قبل اى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه واله ونزول القران يستفتحون فيه وجوه احدها ان معناه يستنصرون اى يقولون فى الحروب اللهم افتح علينا وانصرنا بحق النبى الامى اللهم انصرنا بحق النبى المبعوث الينا فهم يسالون الفتح الذى هو النصر وثانيها انهم كانوا يقولون لمن ينابذهم هذا نبى قد اظل زمانه ينصرنا عليكم وثالثها ان معنى يستفتحون يستعلمون من علمائهم صفة نبى يبعث من العرب فكانوا يصفونه لهم فلما بعث انكروه ورابعها ان معنى يستفتحون يستحكمون ربهم على كفار العرب كما قال الا ابلغ بنى عصم رسولا فانى عن فتاحتكم غنى اى عن محاكمتكم وقوله على الذين كفروا اى على مشركى العرب فلما جاءهم ما عرفوا يعنى محمدا صلى الله عليه واله اى عرفوا صفته ومبعثه كفروا به حسدا وبغيا وطلبا للرياسة فلعنة الله اى غضبه وعقابه على الكافرين وقد فسرنا معنى اللعنة والكفر فيما مضى **قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين اية القراءة** قرا ابو عمرو وان ينزل خفيفة كل القران الا فى الانعام ان ينزل اية فانه شددها وقرا ابن كثير بالتخفيف كل القران الا فى سبحان وننزل من القران وحتى تنزل فانه شددهما وقرا حمزة والكسائى كل القران بالتشديد الا فى لقمن وعسق ينزل الغيث فانهما قراءها بالتخفيف وقرا الباقون بالتشديد كل القران واتفقوا فى الحجر وما ننزله انه مشدد **الحجة** نزل فعل غير متعد ويتعدى بالاضرب الثلثة وهى النقل بالهمزة وتضعيف العين وحرف الجر فانزل ونزل لغتان وما عدى بالحرف قوله تعالى نزل به الروح الامين فيمن رفع الروح وقد كثر مجى التنزيل فى القران فهذا يقوى نزل ولم يعلم فيه الانزال وكثر فيه مجى انزل **اللغة** بئس ونعم فعلان ماضيان اصلهما على وزن فعل وفيهما اربع لغات نعم وبئس مثل حمد ونعم وبئس بسكون العين ونعم وبئس بكسر الفاء ونعم وبئس واشتروا افتعلوا من الشراء واكثر الكلام شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت قال يزيد الحميرى وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامه وربما استعمل اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى ابتعت والاكثر ما تقدم والبغى اصله الفساد ماخوذ من قولهم بغى الجرح اذا فسد وقيل اصله الطلب لان الباغى يطلب التطاول الذى ليس له ذلك وسميت الزانية بغيا لانها تطلب والاهانة الاذلال **الاعراب** قال الزجاج بئس اذا وقعت على ما جعلت معها بمنزلة اسم منكور وانما كان ذلك فى نعم وبئس لانهما لا يعملان فى اسم علم انما يعملان فى اسم منكور دال على جنس او اسم فيه الف ولام يدل على جنس وانما كانتا كذلك لان نعم مستوفية لجميع المدح وبئس مستوفية لجميع الذم فاذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت استحق زيد المدح الذى يكون فى سائر جنسه وكذلك اذا قلت بئس الرجل زيد دللت على انه قد استوفى الذم الذى يكون فى سائر جنسه فلم يجز اذا كان يستوفى مدح الاجناس ان يعمل من غير جنس فاذا كان معهما اسم جنس بغير الف ولام فهو نصب ابدا واذا كانت فيه الف ولام فهو رفع ابدا نحو نعم الرجل زيد ونعم رجلا زيد وانما نصبت رجلا للتمييز وفى نعم اسم مضمر على شريطة التفسير ولذلك كانت ما فى نعم بغير صلة لان الصلة توضح وتخصص والقصد فى نعم ان يليها اسم منكور او اسم جنس فقوله بئسما اشتروا به انفسهم تقديره بئس شيئا اشتروا به انفسهم قال ابو على ولذلك كانت ما فى نعم بغير صلة يدل على ان ما اذا كانت موصولة لم يجز عنده ان يكون فاعلا لنعم وبئس وذلك لا يمتنع عندنا ووجه جوازه ان ما اسم مبهم يقع على الكثرة ولا يخص واحدا بعينه كما ان اسماء الاجناس يكون للكثرة وذلك فى نحو قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فالقصد به ههنا الكثرة وان كان فى اللفظ مفردا بدلالة قوله ويقولون هؤلاء ويكون معرفة ونكرة كما ان اسماء الاجناس يكون معرفة ونكرة وقد اجاز ابو العباس المبرد فى الذى ان يلى نعم وبئس اذا كان عاما غير مخصوص كما جاء فى قوله والذى جاء بالصدق واجاز فى الذى كان فيما اجوز فقوله بئسما اشتروا به انفسهم يجوز عندى ان يكون ما موصولة وموضعها رفع بكونها فاعلة لبئس ويجوز ان تكون منكورة فيكون اشتروا صفة غير صلة ويدل على صحة ما رايته قول الشاعر وكيف ارهب امرا او اراع به وقد زكات الى بشر بن مروان فنعم مزكاء من ضاقت مذاهبه ونعم من هو فى سر واعلان الا ترى انه جعل من فاعل نعم لما كان مضافا الى من وهى يكون عامة غير معينة واما قوله ان يكفروا بما انزل الله فموضعه رفع وهو المخصوص بالذم فان شئت رفعته على انه مبتدأ مؤخر وان شئت على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذا الشئ المذموم كفرهم بما انزل الله وقوله بغيا نصب بانه مفعول له كقول حاتم واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما المعنى اغفر عوراءه لادخاره واعرض عن الشتم للتكرم

انّ الثانية نصب على حذف حرف الجر يعني بغيا لان ينزل الله اي من اجل ان ينزل الله **المعنى** ثم ذم الله سبحانه اليهود بايثارهم الدنيا على الدين فقال بئسما اشتروا به
انفسهم اي بئس شيئا باعوا به انفسهم او بئس الشئ باعوا به انفسهم ان يكفروا اي كفرهم بما انزل الله يعني بالقران ودين الاسلام المنزل على محمد صلى الله عليه واله فاذا سئل
كيف باعت اليهود انفسها بالكفر فالجواب ان البيع والشراء ازالة ملك المالك الى غيره بعوض يعتاضه منه ثم يستعمل ذلك في كل معتاض من عمله عوضا خيرا كان او شرا
فاليهود لما اوبقوا انفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه واله واهلكوها خاطبهم الله سبحانه بما كانوا يعرفونه وقال بئس الشئ رضوا به عوضا من ثواب الله وما اعده لهم
لو كانوا امنوا بالله وما انزل الله على نبيه النار وما اعدّ لهم بكفرهم ونظير ذلك الايات في سورة النساء من قوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت الى قوله واتيناهم ملكا عظيما وقوله بغيا اي حسدا لمحمد اذ كان من ولد اسمعيل وكانت الرسل قبل من بني اسرائيل وقيل طلبا لشئ ليس لهم ثم فسر ذلك
بقوله ان ينزل الله من فضله وهي النبوة والوحي على من يشاء من عباده وقوله فباءوا بغضب على غضب معناه رجعت اليهود من بني اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الاستبصار
بمحمد والاستفتاح به والاخبار بانه نبي مبعوث مرتدين ناكصين على اعقابهم حين بعثه الله نبيا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم وقال مورج معنى باءوا بغضب استوجبوا
اللعنة بلغة جرهم ولا يقال باء مفردة حتى يقال اما بخير واما بشر وقال ابو عبيدة فباءوا بغضب احتملوه واقروا به واصل البوء التقرير والاستقرار وقوله على غضب فيه
اقوال احدها ان الغضب الاول حين غيروا التورية قبل مبعث النبي عليه السلم والغضب الثاني حين كفروا بمحمد عن عطاء وغيره وثانيها ان الغضب الاول حين عبدوا العجل
والثاني حين كفروا بمحمد عليه السلم عن السدي وثالثها ان الاول حين كفروا بعيسى والثاني حين كفروا بمحمد عن الحسن وعكرمة وقتادة ورابعها ان ذلك على التوكيد والمبالغة
اذ كان الغضب لازما لهم فيكثر عليهم عن ابي مسلم والاصم وللكافرين عذاب مهين معناه للجاحدين نبوة محمد عذاب مهين من الله اما في الدنيا واما في الاخرة والمهين
هو الذي يذل صاحبه ويخزيه ويلبسه الهوان وقيل المهين هو الذي لا ينتقل منه الى اعزاز واكرام وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيصا ويكفر اثم ينتقل بعده الى اعزاز و
تعظيم فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهينا **قوله تعالى وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا اُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ
بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ اَنْبِيَاءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اية اللغة** ما وراءه اي ما بعده قال الشاعر يمني الاماني
ليس من وراءها كموعد عرقوب اخاه بيثرب قال الفراء معنى وراءه سواه كما يقال للرجل يتكلم بالكلام الحسن ما وراء هذا الكلام شئ يراد عند المتكلم شئ سوى ذلك الكلام
الاعراب قوله مصدقا نصب على الحال وهذه حال موكدة قال الزجاج زعم سيبويه والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم ان قولك هو زيد قائما خطأ لان قولك
هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس في الحال فائدة لان الحال توجب ههنا انه اذا كان قائما فهو زيد واذا ترك القيام فليس بزيد فهذا خطأ فاما قولك
هو زيد معروفا وهو الحق مصدقا ففي الحال هنا فائدة كانك قلت انتبه لمعروفا وكانه بمنزلة قولك هو زيد حقا فمعروف حال لانه انما يكون زيد بانه يعرف
بزيد وكذلك القران هو الحق اذا كان مصدقا لكتب الرسل عليهم السلم وقوله فلم تقتلون وان كان بلفظ الاستقبال فالمراد به الماضي وانما جاز ذلك لقوله من
قبل وان بمعنى الشرط ويدل على جوابه ما تقدم وتقديره ان كنتم مؤمنين فلم قتلتم انبياء الله وقيل ان بمعنى ما النافية اي ما كنتم مؤمنين **المعنى** واذا قيل لهم يعني
اليهود الذين تقدم ذكرهم امنوا اي صدقوا بما انزل الله من القران على محمد صلى الله عليه واله والشرايع التي جاء بها قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنون التورية و
يكفرون بما وراءه اي يجحدون بما بعده يريد الانجيل والقران او بما سوى التورية من الكتب المنزلة كقوله سبحانه واحل لكم ما وراء ذلكم وقال ابن الانباري
تم الكلام عند قوله بما انزل علينا ثم ابتداء الله بالاخبار عنهم فقال ويكفرون بما وراءه اي بما سواه وهو الحق يعني القران مصدقا لما معهم يعني التورية لان تصديق
محمد وما انزل اليه من القران مكتوب عندهم في التورية قال الزجاج وفي هذا دلالة على انهم قد كفروا بما معهم اذ كفروا بما صدق ما معهم ثم رد الله تعالى عليهم قولهم
نؤمن بما انزل علينا فقال قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل اي قل يا محمد لهم فلم قتلتم انبياء الله وقد حرم الله في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم وامركم فيه باتباعهم وفرض
عليكم طاعتهم وتصديقهم ان كنتم مؤمنين بما انزل عليكم وقال الزجاج ان بمعنى ما ههنا كانه قال ما كنتم مؤمنين وهذا وجه بعيد وانما قال تقتلون بمعنى قتلتم
لان لفظ المستقبل يطلق على الماضي اذا كان ذلك من الصفات اللازمة كما يقال انت تسرق وتقتل اذا صار ذلك عادة له ولا يراد بذلك ذمه وتوبيخه على
ذلك الفعل في المستقبل وانما يراد توبيخه على ما مضى وانما اضاف اليهم فعل اباءهم واسلافهم لاحد امرين احدهما ان الخطاب لمن شهد من اهل ملة واحدة ومن غاب
منهم واحد فاذا قتل اسلافهم الانبياء وهم مقيمون على مذهبهم وطريقتهم فقد شركوهم في ذلك والاخر انهم رضوا بافعالهم والراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم و
هذا المعنى قريب من الاول وفي هذه الاية دلالة على ان الايمان بكتاب من كتب الله لا يصح اذ لم يحصل الايمان بما سواه من كتب الله المنزلة التي هي مثله في اقتران المعجزة به
قوله تعالى وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ اية المعنى ثم حكى سبحانه عنهم ما يدل على قلة بصيرتهم في الدين
وضعفهم في اليقين فقال ولقد جاءكم موسى بالبينات الدالة على صدقه والمعجزات المؤيدة لنبوته كاليد البيضاء وانبجاس الماء من الحجر وفلق البحر وقلب العصا حية والطوفان

والجراد والقمّل والضفادع والدم وسماها بينات لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة يتعذر الاتيان بها على كل بشر وقوله ثم اتخذتم العجل يعني اتخذتم
العجل الها وعبدتموه من بعده اي من بعد موسى لما فارقكم ومضى الى ميقات ربه ويجوز ان يكون الهاء كناية عن المجئ فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجئ
البينات وانتم ظالمون لانفسكم بكفركم وعبادتكم العجل لان العبادة لا تكون لغير الله **قوله تعالى وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ
خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَاْمُرُكُمْ بِهِ اِيمَانُكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اية اللغة**
اسمعوا معناه اقبلوا ومنه قوله سمع الله لمن حمده اي قبل الله حمد من حمده وقوله واشربوا اصله من الشرب يقال اشرب واشرب غيره اي حمله على الشرب واشرب
الزرع سقي واشرب قلبه حب كذا قال زهير فصحوت عنها بعد حب داخل والحب تشربه فؤادك داء **الاعراب** قوله العجل اي حب العجل حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ومثله قول الشاعر حسبت بغام راحلتي عناقا وما هي ويب غيرك بالعناق اي حسبت بغام راحلتي بغام عناق وقال طرفة الا انني سقيت
اسود حالكا الا بجلي من الشراب الا بجل ربد سقيت سم اسود وقال اخر وشر المنايا ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره اي منية ميتة وقوله
بئسما يامركم به ايمانكم قد تقدم ذكر اعرابه وان يجوز ان يكون بمعنى ما اي ما كنتم مؤمنين ويجوز ان يكون تقديره ان كنتم مؤمنين فبئسما يامركم ايمانكم به هذا **المعنى**
قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة قد فسرناه فيما مضى والفايدة في تكريره هذا والمثاله التاكيد والحاجة عليهم على عادة العرب
في مخاطباتها وقيل انه سبحانه لما عد فضائح اليهود اعاد ذكر رفع الجبل وقيل انه تعالى انما ذكر الاول للاعتبار باخبار ما مضى والثاني للاحتجاج عليهم
وقوله واسمعوا اي اقبلوا ما سمعتم واعملوا به واطيعوا الله وقيل معناه اسمعوا ما يتلى عليكم اي استمعوا التسمع ثم اقبلوا واطيعوا ويدل عليه انه قال في الجواب عنهم قالوا سمعنا
وعصينا وفيه قولان احدهما انهم قالوا هذا القول في الحقيقة استهزاء ومعناه سمعنا قولك وعصينا امرك والثاني ان حالهم كحال من قال ذلك اذ فعلوا ما دل
عليه كما قال الشاعر والسحب لحاه لرجلية الحقى وان كان الجناح لا يقول ذلك وانما رجع سبحانه عن لفظ الخطاب الى الخبر عن الغائب على عادة العرب المالوفة و
اختلف في هذا الضمير الى من يعود فقيل الى اليهود الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه واله انهم قالوا ذلك ثم رجع الى حديث اوائلهم فقال واشربوا وقيل الى اليهود الذين
كانوا في عصر موسى عليه السلم اذ ردوا عليه قوله وقابلوه بالعصيان وقوله واشربوا في قلوبهم فمعناه دخل قلوبهم حب العجل وانما عبر عن حب العجل بالشرب دون الاكل
لان شرب الماء يتغلغل في الاعضاء حتى يصل الى بواطنها والطعام يجاوز الاعضاء ولا يتغلغل فيها قال الشاعر تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور
وليس المعنى في قوله واشربوا ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول القايل انسيت ذلك من النسيان وليس يريد ان غيره فعل ذلك به ويقال
اوتي فلان علما وان كان هو المكتسب له وقوله بكفرهم ليس معناه انهم اشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لان محبة العجل كفر قبيح والله سبحانه لا يفعل الكفر في العبد لا
ابتداء ولا جزاء بل معناه انهم كفروا بالله تعالى بما اشربوه من محبة العجل وقيل انما اشرب حب العجل قلوبهم من زينته عندهم ودعاهم اليه كالسامري وشياطين الجن والانس
فقوله بكفرهم معناه لاعتقادهم التشبيه وجهلهم بالله تعالى وتجويزهم العبادة لغيره اشربوا في قلوبهم حب العجل لانهم صاروا الى ذلك لهذه المعاني التي هي كفر وقول
من قال فعل الله ذلك بهم عقوبة ومجازاة غلط فاحش لان حب العجل ليس من العقوبة في شئ ولا ضرر فيه وقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم معناه قل يا محمد لهؤلاء
اليهود بئس الشئ يامركم به ايمانكم ان كان يامركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجحد ما جاء من عنده ومعنى ايمانهم تصديقهم بالذي زعموا انهم مصدقون
به من كتاب الله بقولهم نؤمن بما انزل علينا وقوله ان كنتم مؤمنين اي مصدقين كما زعمتم بالتورية وفي هذا نفي عن التورية ان يكون يامر بشئ يكرهه الله من افعالهم واعلام
بان الذي يامرهم بذلك اهواؤهم ويحملهم عليه اراؤهم **قوله تعالى قُلْ اِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللّٰهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا
الْمَوْتَ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اية اللغة** الخالصة الصافية يقال خلص لي هذا الامر اي صار لي وحدي وصفا لي خلص خلوصا وخالصة فالخالصة مصدر
كالعافية واصل الخلوص ان يصفو الشئ من كل شائبة ودون يستعمل على ثلاثة اوجه ان يكون الشئ دون الشئ في المكان وفي الشرف وفي الاختصاص و
هو المراد في الاية والتمني من جنس الاقوال عند اكثر المتكلمين وهو ان يقول القايل لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان وقال ابو هاشم هو معنى في القلب ولا خلاف
في انه ليس من قبيل الشهوة **الاعراب** خالصة نصب على الحال **المعنى** ثم عاد سبحانه الى الاحتجاج على اليهود بما فضح به احبارهم وعلماءهم ودعاهم الى قضية عادلة بينه
وبينهم فقال قل يا محمد لهم ان كانت الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم او دون محمد واصحابه كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا وكنتم صادقين في قولكم
نحن ابناء الله واحباؤه وان الله لا يعذبنا فتمنوا الموت لان من اعتقد انه من اهل الجنة قطعا كان الموت احب اليه من حيوة الدنيا التي فيها انواع المشاق والهموم والالام و
الغموم ومن كان على يقين انه اذا مات تخلص منها وفاز بالنعيم المقيم فانه يؤثر الموت على الحيوة الا ترى الى قول امير المؤمنين عليه السلم وهو يطوف بين الصفين بصفين في غلالة
لما قال له الحسن ابنه ما هذا زي الحرب فقال يا بني ان اباك لا يبالي وقع على الموت او وقع الموت عليه وقول عمار بن ياسر بصفين ايضا الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه واما ما روي

عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به ولكن ليقل اللهم احيني ما دامت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي فانما نهى
عن تمني الموت لانه يدل على الجزع والمامور به الصبر وتفويض الامور اليه ولانا لا نامن وقوع التقصير فيما امرنا به ونرجو في البقاء التلافي قوله عز وجل ولن
يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين اية الاعراب ابدا نصب على الظرف اي طول عمرهم يقول القائل لا اكلمك ابدا يريد ما عشت
وما بمعنى الذي اي بالذي قدمت ايديهم ويجوز ان تكون ما بمعنى المصدر فيكون المراد بتقدمة ايديهم المعنى اخبر الله سبحانه عن هؤلاء الذين قيل لهم فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين بانهم لا يتمنون ذلك ابدا بما قدموه من المعاصي والقبائح وتكذيب الكتاب والرسول عن الحسن وابي مسلم وقيل بما كتموا من صفة النبي عليه السلام عن
ابن جريج واضاف ذلك الى اليد وان كانوا انما فعلوا ذلك باللسان لان العرب يقول هذا ما كسبت يداك وان كان ذلك حصل باللسان والوجه فيه
ان الغالب ان تحصل الجناية باليد فيضاف لذلك اليها ما يحصل بغيرها وقوله والله عليم بالظالمين خص الظالمين بذلك وان كان عليما بهم وبغيرهم لان
الغرض بذلك الزجر والتهديد كما يقول الانسان لغيره اني عارف بك بصير بعملك وقيل معناه ان الله عليم بالاسباب التي منعتهم عن تمني الموت وبما اضمروه واسروه
من كتمان الحق عنادا مع علم كثير منهم انهم مبطلون وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار فقال الله
سبحانه انهم لن يتمنوه ابدا تحقيقا لكذبهم وفي ذلك اعظم دلالة على صدق نبينا صلى الله عليه وآله وصحة نبوته لانه اخبر بالشيء قبل كونه فكان كما اخبر وايضا فانهم كفوا
عن التمني للموت لعلمهم بانه حق فانهم لو تمنوا الموت لماتوا وروى الكلبي عن ابن عباس انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لهم ان كنتم صادقين في مقالتكم
فقولوا اللهم امتنا والذي نفسي بيده لا يقولها رجل الا غص بريقه فمات مكانه وهذه القصة شبيهة بقصة المباهلة وان النبي صلى الله عليه وآله لما دعا النصارى
الى المباهلة امتنعوا لقلة ثقتهم بما هم عليه وخوفهم من صدق النبي صلى الله عليه وآله في قوله لو باهلوني لرجعوا لا يجدون اهلا ولا مالا فلما لم يتمن اليهود الموت
افتضحوا كما ان النصارى لما احجموا عن المباهلة افتضحوا وظهر الحق فان قيل من اين علم انهم لم يتمنوا الموت بقلوبهم والجواب ان من قال التمني هو القول فالسؤال ساقط عنه
ومن قال هو معنى في القلب قال لو تمنوه بقلوبهم لاظهروه بالسنتهم حرصا منهم على تكذيبه في اخباره ولان تحديهم بتمني الموت انما وقع بما يظهر على اللسان وكان يسهل
عليهم ان يقولوا ليت الموت نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه وصحت حجته صلوات الله عليه قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن
الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون اية اللغة وجد وصادف
والفى نظائر يقال وجدت الشيء وجدانا اذا اصبته ويقال وجدت بمعنى علمت والحرص شدة الطلب ورجل حريص وقوم حراص والمودة المحبة يقال وددت
الرجل اوده ودا وودا ووددا ووداد وودادة ومودة والتعمير طول العمر والعمر والعمر لغتان واصله من العمارة التي هي ضد الخراب والعمر المدة التي يعمر فيها البدن
بالحيوة والالف من التاليف سمي بذلك العدد لانه ضم مائة عشر مرات والزحزحة التنحية يقال زحزحته فتزحزح قال الشاعر وقالوا تزحزح لا بنا فضل حاجة
اليك ولا منا لوهيك راقع والبصير بمعنى المبصر كما ان السميع بمعنى المسمع لكنه صرف الى فعيل ومثله بديع السموات بمعنى المبدع والعذاب الاليم بمعنى المولم هذا
في اللغة وعند المتكلمين المبصر هو المدرك للمبصرات والبصير هو الحي الذي لا افة به فهو ممن يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت وليس احدهما هو الاخر وكذلك
القول في السميع والسامع الاعراب لتجدنهم اللام لام القسم والنون للتاكيد وتقديره والله لتجدنهم قال سيبويه سالت الخليل عن قوله ليفعلن اذا جاءت مبتدأة
فقال هي على نية القسم وهذه اللام اذا دخلت على المستقبل لزمته في الامر الاكثر النون واذا كان وجدت بمعنى وجدان الضالة تعدى الى مفعول واحد كقولك وجدت الذي
هو ضده فنصب احرص على الحال واذا كان بمعنى علمت تعدى الى مفعولين ثانيهما عبارة عن الاول فيكون احرص هو المفعول الثاني وهو الاصح وقوله ومن الذين اشركوا
قال الفراء يريد واحرص من الذين اشركوا ايضا كما يقال هو اسخى الناس ومن حاتم ومن هرم لان تاويل قولك اسخى الناس انما هو اسخى من الناس وقال الزجاج تقديره
ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وقيل انما دخلت من في قوله ومن الذين اشركوا ولم تدخل في قوله احرص الناس لانهم بعض الناس والاضافة في باب افعل لا تكون الا كذلك
تقول الياقوت افضل الحجارة ولا تقول الياقوت افضل الزجاج بل تقول افضل من الزجاج فلذلك قال ومن الذين اشركوا لان اليهود ليسوا هم بعض المجوس وهم بعض الناس
وقوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر فيه وجوه احدها ان هو كناية عن احدهم الذي جرى ذكره وان يعمر في موضع رفع بانه فاعل تقديره وما احدهم بمزحزحه من
العذاب تعميره كما يقال مررت برجل معجب قيامه وثانيها ان هو كناية عما جرى ذكره من طول العمر وقوله ان يعمر بيان لقوله هو وتقديره وما تعميره بمزحزحه من العذاب وكانه
قيل وما هو الذي ليس بمزحزحه فقيل هو التعمير وثالثها ان هو عماد وان يعمر في موضع الرفع بانه مبتدأ وبمزحزحه خبره ومنع الزجاج هذا القول الاخير قال
لا يجيز البصريون ما هو قائما زيد وما هو بقائم زيد بمعنى الامر والشأن وقال غيره اذا كانت ما غير عاملة في الباء جاز كقولهم ما بهذا بأس المعنى ثم اخبر الله سبحانه
عن احوال اليهود فقال ولتجدنهم اي ولتعلمن يا محمد هؤلاء اليهود وقيل يعني به علماء اليهود احرص الناس على حيوة اي حرصهم على البقاء في الدنيا اشد من حرص ساير الناس

ومن

ومن الذين اشركوا اي ولتجدنهم احرص من الذين اشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث وقال ابو علي الجبائي ان الكلام تم عند قوله على حيوة وقوله ومن الذين اشركوا
تقديره ومن الذين اشركوا من يود احدهم لو يعمر الف سنة فحذف من وقال علي بن عيسى هذا غير صحيح لان حذف من لا يجوز في مثل هذا الموضع وقال ابو مسلم
الاصفهاني ان في الكلام تقديما وتاخيرا وتقديره ولتجدنهم وطائفة من الذين اشركوا احرص الناس على حيوة واقول اذا جاز هاهنا ان يحذف الموصوف الذي
هو طائفة ويقام الصفة مقامه وهو قوله من الذين اشركوا فليجز على ما ذهب اليه الجبائي ان يكون تقديره ومن الذين اشركوا طائفة يود احدهم فتحذف الموصوف
ويقام صفته الذي هو يود احدهم لو يعمر الف سنة مقامه فيصح على هذا تقدير الحذف ويستوي القولان من حيث الصنعة والصفة ويختلفان من حيث المعنى ويكون
من هاهنا هي الموصوفة لا الموصولة كما قدره الجبائي وقوله يود احدهم لو يعمر الف سنة ذكر الالف لانها نهاية ما كانت المجوس تدعو به بعضهم لبعض وتحيي به الملوك يقولون
عش الف نيروز والف مهرجان قال ابن عباس هو قول احدهم لمن عطس هزار سال بزي يعني فهؤلاء الذين يزعمون ان لهم الجنة لا يتمنون الموت وهم احرص
ممن لا يؤمن بالبعث وكذلك يجب ان يكون هؤلاء لعلمهم بما اعد الله لهم في الاخرة من الجحيم والعذاب الاليم على كفرهم وعنادهم مما لا يقر به اهل الشرك فهم للموت
اكره من اهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث وعلى الحيوة احرص لهذه العلة وقوله وما هو بمزحزحه اي وما احدهم بمنجيه من عذاب الله ولا مبعده منه تعميره وهو
ان يطول له البقاء لانه لا بد للعمر من الفناء هذا هو احسن الوجوه التي تقدم ذكرها والله بصير بما يعملون اي عليم باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها بل هو محيط بجميعها
حافظ لها حتى يذيقهم بها العذاب وفي هذه الاية دلالة على ان الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا ونحوه مذموم وانما المحمود طلب البقاء للازدياد في الطاعة
وتلافي الفايت بالتوبة والانابة ودرك السعادة بالاخلاص في العبادة وعلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله بقية عمر المؤمن لا قيمة له يدرك
بها ما فات ويحيي بها ما امات قوله عز وجل قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى
للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ايتان القراءة قرا ابن كثير
جبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وقرا حمزة والكسائي وابو بكر الا البرجمي جبرئيل بفتح الجيم والراء مهموزا على زنة جبرعيل وروى يحيى كذلك الا انه حذف الياء
بعد الهمزة فصار مثل جبرعل والباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء من غير همز وقرا اهل المدينة ميكائيل بهمزة مكسورة بعد الالف على زنة ميكاعل وقرا اهل
البصرة ميكال بغير همز ولا ياء والباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على زنة ميكاعيل الحجة قال ابو علي روينا عن الحسن انه قال في جبريل ست لغات جبرائيل و
جبرئيل وجبرايل وجبرال وجبريل وجبرين فمن قال جبريل كان على لفظ قنديل وبرطيل ومن قال جبرئيل كان على وزن عندليب ومن قال جبرئل كان على زنة
جحمرش ومن قال ميكال كان على زنة قنطار وميكائيل وجبرئيل خارج عن كلام العرب وهذه الاسماء معربة فاذا اتى بها على ما في ابنية العرب مثله كان اذهب في باب
التعريب وقد جاء في اشعارهم ما هو على لفظ التعريب وما هو خارج عن ذلك قال عبدوا الصليب وكذبوا بمحمد وبجبرئيل وكذبوا ميكالا وقال حسان وجبريل رسول
الله منا وروح القدس ليس له كفاء اللغة جبرئيل وميكائيل اسمان اعجميان عربا وقيل جبر في اللغة السريانية هو العبد وايل هو الله وميك عبيد فمعنى
جبرئيل عبد الله ومعنى ميكائيل عبيد الله وقال ابو علي الفارسي هذا لا يستقيم من وجهين احدهما ان ايل لا يعرف من اسماء الله تعالى في اللغة العربية والاخر انه
لو كان كذلك لكان اخر الاسم مجرورا ابدا كقولهم عبد الله والبشرى والبشارة الخبر السار اول ما يرد فيظهر ذلك في بشرة الوجه الاعراب الهاء في قوله فانه
يعود الى جبرئيل والهاء في نزله يعود الى القرآن وان لم يجر له ذكر كما ان الهاء في قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة يعود الى الارض ويجوز ان يكون
على فان الله نزل جبرئيل على قلبك لانه نزل بنفسه والاول اصح ونصب مصدقا على الحال من الهاء في نزله وهو ضمير القرآن او جبرئيل عليه السلام النزول
عن ابن عباس قال كان سبب نزول هذه الاية ما روي ان ابن صوريا وجماعة من يهود اهل فدك لما قدم النبي صلى الله عليه وآله المدينة سالوه فقالوا يا محمد
كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي ياتي في اخر الزمان فقال تنام عيناي وقلبي يقظان قالوا صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد يكون من الرجل او
المراة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المراة قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه اعمامه وليس فيه من شبه
اخواله شيء او يشبه اخواله وليس فيه من شبه اعمامه شيء فقال ايهما علا ماؤه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد قالوا فاخبرنا عن ربك ما هو فانزل الله سبحانه قل
هو الله احد الى اخر السورة فقال له ابن صوريا خصلة واحدة ان قلتها امنت بك واتبعتك اي ملك ياتيك بما ينزل الله عليك قال فقال جبرئيل قال ذاك عدونا
ينزل بالقتال والشدة والحرب وميكائيل ينزل باليسر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي ياتيك لامنا بك المعنى فانزل الله تعالى هذه الاية جوابا لليهود
وردا عليهم فقال قل لهم يا محمد من كان عدوا لجبرئيل اذا كان هو المنزل الكتاب عليك فانه انما انزله على قلبك باذن الله لا من تلقاء نفسه وانما اضاف
الى قلبه لانه اذا انزل عليه كان يحفظه ويفهمه بقلبه ومعنى باذن الله بامر الله وقيل اراد بعلمه او باعلام الله اياه ما ينزل على قلبك وقوله مصدقا لما بين يديه معناه

مرافقا لما بين يديه من الكتب ومصدقا له بانه حق وبانه من عند الله لا مكذبا لها وهدى وبشرى للمؤمنين معناه ان كان فيما انزله الامر بالحرب والشدة على الكافرين
فانه هدى وبشرى للمؤمنين وانما خص الهدى بالمؤمنين من حيث كانوا هم المهتدين به العاملين بما فيه وان كان هدى لغيرهم ايضا وقيل اراد بالهدى
الرحمة والثواب فلذلك خصه بالمؤمنين ومعنى البشرى ان فيه البشارة لهم بالنعيم الدائم وان جعلت مصدقا وهدى وبشرى حالا لجبرئيل فالمعنى انه يصدق
بكتب الله الاولى وياتي بالهدى والبشرى وانما قال سبحانه في الاية على قلبك ولم يقل على قلبي على العرف المالوف كما يقول لمن يخاطبه لا تقل للقوم ان الخير عندي
ويجوز ان تقول لا تقل لهم ان الخير عندي وكما يقول قال القوم جبرئيل عدونا ويجوز ان يقول قالوا جبرئيل عدوهم واما قوله تعالى من كان عدوا لله
وملائكته ورسله فمعناه من كان معاديا لله اى يفعل فعل المعادي من المخالفة والعصيان فان حقيقة العداوة طلب الاضرار به وهذا يستحيل على الله تعالى
وقيل المراد به معاداة اوليائه كقوله ان الذين يؤذون الله وقوله وملائكته ورسله وجبرئيل وميكائيل وانما اعاد ذكرهما لفضلهما ومنزلتهما كقوله
سبحانه فيهما فاكهة ونخل ورمان وقيل انما اعاد ذكرهما لان اليهود قالوا جبرئيل عدونا وميكائيل ولينا فخصهما الله بالذكر لان النزاع جرى فيهما فكان
ذكرهما اهم لئلا تزعم اليهود انهما مخصوصان من جملة الملائكة وليسا بداخلين في جملتهم فنص الله تعالى عليهما ليبطل ما يتاولونه من التخصيص ثم قال فان الله عدو
للكافرين ولم يقل فانه وكرر اسم الله لئلا يظن ان الكناية راجعة الى جبرئيل او ميكائيل ولم يقل لهم لانه قد يجوز ان ينتقلوا عن العداوة بالايمان وقد طعن
بعض الملحدة في هذا فقال كيف يجوز ان يقول عاقل انا عدو جبرئيل وليس هذا القول من اليهود بمستنكر ولا عجب مع ما اخبر الله تعالى عن قولهم بعد مشاهدتهم
فلق البحر والايات الخارقة للعادة اجعل لنا الها كما لهم الهة وقولهم ارنا الله جهرة وعبادتهم العجل وغير ذلك من جهالاتهم ه قوله عز وجل ولقد انزلنا
اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اية اللغة الاية العلامة التي فيها عبرة وقيل العلامة التي فيها الحجة والبينة الدلالة الفاصلة
بين القضية الصادقة والكاذبة ماخوذة من ابانة احد الشيئين من الاخر فيزول التباسه الاعراب قد تدخل في الكلام لاحد امرين احدهما لقوم يتوقعون
الخبر والاخر لتقريب الماضي من الحال تقول خرجت وقد ركب الامير وهي ههنا مع لام القسم على تقدير قوم يتوقعون الخبر لان الكلام اذا خرج ذلك المخرج
كان اوكد وابلغ النزول قال ابن عباس ان ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه واله يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل اليك من اية بينة
فنتبعك لها فانزل الله هذه الاية المعنى يقول ولقد انزلنا اليك يا محمد ايات يعني سائر المعجزات التي اعطيها النبي صلى الله عليه واله عن البلخي وقيل هي
القران وما فيها من الدلالات عن ابي مسلم وابي علي وقيل هي علم التورية والانجيل والاخبار عما غمض مما في كتب الله السالفة عن الامم كقوله تعالى يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب بينات اى واضحات تفصل بين الحق والباطل وما يكفر بها الا الفاسقون معناه الكافرون وانما سمى الكفر فسقا لان
الفسق خروج عن امر الى الشر واليهود خرجوا من دينهم وهو دين موسى بتكذيب النبي صلى الله عليه واله وانما لم يقل الكافرون وان كان الكفر اعظم من الفسق
لاحد امرين احدهما ان المراد انهم خرجوا عن امر الله الى ما يعظم من معاصيه والثاني ان المراد به الفاسقون المتمردون في كفرهم لان الفسق لا يكون الا
اعظم الكبائر فان كان في الكفر فهو اعظم الكفر وان كان فيما دون الكفر فهو اعظم المعاصي ه قوله تعالى اوكلما عاهدوا عهدا نبذه
فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون اية اللغة النبذ طرحك الشيء عن يدك امامك او خلفك والمنابذة انتباذ الفريقين للحرب ونابذناهم الحرب
والمنبوذون هم الاولاد الذين يطرحون والمنابذة في البيع منهي عنها وهي كالرمي كانه اذا رمى به وجب البيع له وسمي النبيذ نبيذا لان التمر كان
تلقى في الجرة وغيرها وقيل معنى نبذه تركه وقيل القاه قال ابو الاسود الدؤلي نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا الاعراب
الواو في قوله اوكلما عند سيبويه واكثر النحويين واو العطف الا ان الف الاستفهام دخلت عليها لان لها صدر الكلام وهي ام حروف الاستفهام بدلالة
ان هذه الواو يدخل عليها هل تقول وهل زيد عالم لان الالف اقوى منها وقال بعضهم يحتمل ان يكون زائدة كزيادة الفاء في قولك افالله لتفعلن
والاول اصح لانه لا يحكم على الحرف بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة ونصب كلما على الظرف والعامل فيه نبذه ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا لانه
متمم لما اما صلة واما صفة المعنى اخبر الله سبحانه عن اليهود ايضا فقال اوكلما عاهدوا عهدا اراد به العهد الذي اخذه الانبياء عليهم ان يؤمنوا
بالنبي الامي عن ابن عباس وكلما لفظ يقتضي التكرير فيقتضي تكرر النقض منهم وقال عطا هي العهود التي كانت بين رسول الله وبين اليهود فنقضوها كفعل
قريظة والنضير عاهدوا ان لا يعينوا عليه احدا فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشا يوم الخندق نبذه فريق منهم اى نقضه جماعة منهم بل اكثرهم اى اكثر المعاهدين
لا يؤمنون ولا يعود الهاء والميم الى فريق اذا كانوا كلهم غير مؤمنين فاما المعاهدون فمنهم من امن كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما فاما
وجه دخول بل على قوله بل اكثرهم فانه لامرين احدهما انه لما نبذه فريق منهم دل على ان ذلك الفريق كفر بالنقض فقال بل اكثرهم كفار بالنقض الذي فعلوه

اى وسعادة بالملك

وان

وان كان بعضهم نقضه جهلا وبعضهم نقضه عنادا والثاني انه اراد كفر فريق منهم بالنقض وكفر اكثرهم بالجحد للحق وهو امر النبي صلى الله عليه واله وما يلزم
من اتباعه والتصديق به قوله عز وجل ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب
الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون اية الاعراب لما في موضع نصب بانه ظرف ويقع به الشيء لوقوع غيره والعامل فيه نبذ ومصدق رفع
لانه صفة لرسول لانهما نكرتان ولو نصب لكان جائزا لان رسول قد وصف بقوله من عند الله فلذلك يحسن نصبه على الحال الا انه لا يجوز في
القراءة الا الرفع لان القراءة سنة متبعة وموضع ما جر باللام ومع صلة لها والناصب لمع معنى الاستقرار المعنى لما استقر معهم المعنى ولما جاء اليهود
الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه واله رسول من عند الله يعني محمدا صلى الله عليه واله عن اكثر المفسرين وقيل اراد بالرسول الرسالة كما قال كثير فقد
كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى وما ارسلتهم برسول قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لانه خلاف الظاهر قليل في الاستعمال وقوله مصدق لما معهم يحتمل امرين
احدهما انه مصدق لكتبهم من التورية والانجيل لانه جاء على الصفة التي تقدمت بها البشارة والثاني انه مصدق للتورية بانها حق من عند الله لان الاخبار
ههنا انما هو عن اليهود دون النصارى والاول احسن لان فيه حجة عليهم وقوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اى تركه والقى طائفة منهم وانما قال من الذين اوتوا
الكتاب ولم يقل منهم وقد تقدم ذكرهم لانه يريد علماء اليهود فاعاد ذكرهم لاختلاف المعنى وقيل انه لم يكن عنهم للبيان لما طال الكلام وقوله كتاب الله يحتمل
ان يريد به القران وقوله وراء ظهورهم كناية عن تركهم العمل به قال الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به وقال سفيان بن عيينة ادرجوه في الحرير و
الديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا اذا حمل الكتاب على التورية وقال ابو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا
الكتاب فلم يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الاول ايضا الذي فيه البشارة به وقال السدي نبذوا التورية واخذوا بكتاب اصف وسحر هاروت وماروت
يعني انهم تركوا ما يدل عليه التورية من صفة النبي صلى الله عليه واله وقال قتادة وجماعة من اهل العلم ان ذلك الفريق كانوا معاندين وانما ذكر فريقا منهم
لان الجمع العظيم والجم الغفير والعدد الكثير لا يجوز عليهم كتمان ما علموه مع اختلاف هممهم وتشتت الاراء وتباعد الاهواء لانه خلاف المالوف من العادة
الا اذا كانوا اعدادا يجوز على مثلهم التواطؤ على الكتمان ما علموه مع اختلاف هممهم وقوله كانهم لا يعلمون اى لا يعلمون انه صدق وحق والمراد انهم علموا
وكتموا بغيا وعنادا وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب وقيل المراد كانهم لا يعلمون ما في كتابهم اى حلوا محل الجاهل بالكتاب ه
قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على
الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون
به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له
في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون اية القراءة قرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن الشياطين ولكن الله
قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف النون من لكن ورفع الاسم بعدها والباقون بالتشديد وروي في الشواذ على الملكين بكسر اللام عن ابن عباس
والحسن الحجة قال ابو علي اعلم ان لكن لا نعلم شيئا على مثاله في الاسماء والافعال وهو مثل ان في انها مثقلة ثم تخفف الا ان ان وان اذا خففتا
فقد ينصب بهما كما كان ينصب بهما مثقلتين وان كان غير الاعمال اكثر ولم نعلم احدا حكى النصب في لكن اذا خففت فيشبه ان النصب لم يجيء في هذا الحرف
مخففا ليكون ذلك دلالة على ان الاصل في هذه الحروف ان لا تعمل اذا خففت لزوال اللفظ الذي به شابه الفعل في التخفيف ولكن وان لم
يشابه الفعل فان فيه ما يشبه الفعل اذا اتصلت كقولهم اراك منتفخا اريد ان تفخ مثل كتف فقدر منفصلا ثم خفف كذلك تقدر في لكن الانفصال فتشبه
ليت وان اللغة اتبعه اقتدى به وتتلوا معناه تتبع لان التالي تابع وقيل معناه تقرا من تلوت كتاب الله اى قراته قال تعالى هنالك تتلوا
كل نفس ما اسلفت اى تتبع وقال حسان بن ثابت نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد والسحر والكهانة والحيلة نظائر يقال
سحره يسحره سحرا وقال صاحب العين السحر عمل تقرب الى الشيطان ومن السحر الاخذة التي تاخذ العين حتى يظن ان الامر كما ترى وليس الامر كما ترى والجمع الاخذ
فالسحر عمل خفي لخفاء سببه يصور الشيء بخلاف صورته ويقلبه عن جنسه في الظاهر ولا يقلبه عن جنسه في الحقيقة الا ترى الى قول الله سبحانه يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى والسحر الغذاء قال امرؤ القيس ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب والسحر ايضا الرئة يقال للجبان انتفخ سحره والفتنة والامتحان
والاختبار نظائر يقال فتنه فتنة وافتنه قال اعشى همدان لئن فتنتني لهي بالامس افتنت سعيدا فامسى قد قلا كل مسلم وفتنت الذهب
في النار اذا اختبرته فيها لتعلم اخالص هو ام مشوب وقيل لكل ما احميته في النار فتنته وفتنت الخبزة في النار اذا انضجتها ومنه قوله يوم هم على النار

يفتنون اي يثبرون وتعلّم قد يكون بمعنى اعلم كما قيل علمت واعلمت بمعنى وكذلك فهمت وافهمت قال كعب بن زهير تعلّم رسول الله انك مدركي وان وعيدا
منك كالاخذ باليد وقيل ان بينهما فرقا فمعنى تعلّم تسبّب الى ما به تعلم من النظر في الادلة وليس في اعلم هذا المعنى فقد يقال ذلك لما يعلم بلا تامل كقولك
اعلم ان الفعل يدل على الفاعل وان ما لم يسبق المحدث محدث وتقول في الاول تعلم النحو والفقه والمرء تانيثه المراة ويقال مرة بلا الف والضر والا
والاذى نظاير والضر نقيض النفع يقال ضره يضره ضرا واضر به اضرارا واضطره اليه اضطرارا قال صاحب العين الضر والضُر لغتان فاذا ضممت اليه النفع فتحت
الضاد والضرير الذاهب البصر من الناس يقال رجل ضرير بيّن الضرارة وفي الحديث لا ضرر ولا ضرار وضريرا الوادي جانباه وكل شيء دنا منك حتى يزحمك فقد
اضر بك واصل الباب الانتقاص والاذن في اللغة على ثلاثة اقسام احدها بمعنى العلم كقوله فاذنوا بحرب من الله اي فاعلموا قال الحطيئة يا هند ان جددت وصلا
والا فاذنيني عاجلا بانصرام والثاني الاباحة والاطلاق كقوله سبحانه فانكحوهن باذن اهلهن والثالث بمعنى الامر كقوله نزله على قلبك باذن الله و
النفع والمنفعة واللذة نظاير وحد النفع هو كل ما يكون به الحيوان ملتذا اما لانه لذة او يؤدي الى لذة وحد الضر كل ما يكون به الحيوان ألما اما لانه الما
او يؤدي الى الم والخلاق النصيب من الخير قال امية بن ابي الصلت يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم الا سرابيل من قطر واغلال **الاعراب** قوله ما تتلوا فيه
وجهان احدهما ان يكون تتلوا بمعنى تلت وانما جاز ذلك لما علم من اتصال الكلام بعهد سليمان فيمن قال ان المراد على عهد ملك سليمان او في زمن ملك
سليمان او بملك سليمان فيمن لم يقدّر حذف المضاف فدل ذلك على ان مثال المضارع اريد به الماضي قال سيبويه قد يقع يفعل في موضع فعلنا كقول الشاعر
ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثمت قلت لا يعنيني والوجه الاخر ان يكون يفعل على بابه لا يريد به فعل ولكنه حكاية حال في الوقت الذي وان كان ماضيا
كقوله واذ نجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب فيسومونكم حكاية الحال في الوقت الذي كانت فيه وان كان ال فرعون منقرضين في وقت هذا
الخطاب ومن هذا ما انشده ابن الاعرابي جارية في رمضان الماضي تقطّع الحديث بالايماض وقوله وما انزل ذكر فيها ثلثة اقوال احدها انه بمعنى الذي وانزل
صلته وموضعه نصب بكونه معطوفا على السحر وقيل انه معطوف على قوله ما تتلوا الشياطين وثانيها انه بمعنى الذي ايضا وموضعه جر ويكون معطوفا بالواو
على ملك سليمان وثالثها انه بمعنى الجحد والنفي وتقديره وما كفر سليمان ولم ينزل الله السحر على الملكين وبابل اسم بلد لا ينصرف للتعريف والتانيث وقوله فيتعلمون
لا يخلو من احد امرين اما ان يكون الفعل معطوفا بالفاء على فعل قبله او يكون خبر مبتدا محذوف والفعل الذي قبله لا يخلو اما ان يكون كفروا من
قوله ولكن الشياطين كفروا فيجوز ان يكون فيتعلمون معطوفا عليه لان كفروا في موضع رفع بكونه خبر لكن فعطف عليه بالمرفوع وهو قول سيبويه فاما
يعلمون فيجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من كفروا اي كفروا في حال تعليمهم ويجوز ان يكون بدلا من كفروا لان تعليم الشياطين كفر في المعنى
واذا كان كذلك جاز البدل فيه اذ كان اياه في المعنى كما كان مضاعفة العذاب لما كان لقي الاثام في قوله ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب
بدلا منه واما ان يكون الفعل الذي عطف عليه يتعلمون قوله يعلمون وهو قول الفرا وانكر الزجاج هذا القول قال لان قوله منهما دليل على التعليم
من الملكين خاصة قال ابو علي فهذا يدخل على قول سيبويه ايضا كما يدخل على قول الفرا لانهما جميعا قالا انه عطف على فعل الشياطين قال وهذا الاعتراض ساقط
من جهتين احديهما ان التعليم وان كان من الملكين خاصة فلا يمتنع ان يكون قوله فيتعلمون عطفا على كفروا وعلى يعلمون وان كان متعلقا بهما وكان
الضمير في منهما راجعا الى الملكين فان قلت كيف يجوز هذا وهل يسوغ ان تقدر هذا التقدير ويلزمك ان يكون النظم ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر فيتعلمون منهما فيضمر الملكين قبل ذكرهما والاضمار قبل الذكر غير جائز واذا لزمك في هذا القول الاضمار قبل الذكر وكان ذلك غير جائز لزم ان لا يجوز العطف
على احد من الفعلين اللذين هما كفروا ويعلمون بل يعطف على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب اليه ابو اسحق الزجاج فانه عطف على ما يوجبه معنى
الكلام عند قوله فلا تكفر اي فيأبون فيتعلمون او على يعلمان من قوله وما يعلمان من احد لانهما فعلان مذكوران بعد الملكين فالجواب اما النظم فانه
على ما ذكرته وهو صحيح فاما الاضمار قبل الذكر فان منهما في قوله فيتعلمون منهما اذا كان ضميرا عائدا الى الملكين فان اضمارهما بعد تقدم ذكرهما وذلك
سائغ جائز ونظيره قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات لما تقدم ذكره اضمر اسمه ولو قال ابتلى ربه ابرهيم لم يجز لكونه اضمارا قبل الذكر وهذا بيّن جدا
فالاعتراض بذلك على سيبويه والفرا ساقط واما الجهة الاخرى التي تسقط منها ذلك فهي انه قد قيل في قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر ثلاثة اقوال ياتي شرحها في المعنى قولان منها تعلم السحر فيهما من الملكين وقول منها تعلمه من الشياطين فيكون نظم الكلام على هذا ولكن الشياطين
هاروت وماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما وما انزل على الملكين ببابل اي لم ينزل وما يعلمان من احد اي ما يعلم هروت ومروت من احد
فمنهما على هذا القول لا يرجع الى الملكين انما يرجع الى هروت وماروت اللذين هما الشياطين في المعنى واما حمل الكلام على التثنية والشياطين جمع فسائغ لجواز ان

يحمل على المعنى فيجمع وعلى لفظ هروت وماروت فيثنى ونظيره قوله وان طايفتان من المؤمنين اقتتلوا ثم قال فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى ويجوز
ان يكون يتعلمون معطوفا على يعلمان من قوله وما يعلمان من احد فيكون الضمير الذي في يتعلمون لاحد الا انه جمع لما حمل على المعنى كقوله تعالى فما منكم من
احد عنه حاجزين فاما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله وقيل ان يتعلمون عطف على ما يوجبه معنى الكلام لان المعنى انما نحن فتنة فلا تكفر فياتون فيتعلمون
وهذا قول حسن فهو قول الفرا قال ابو علي وهو عندي جايز لانه من المضمر الذي فهم للدلالة عليه واما كونه خبر المبتدا المحذوف فعلى ان تقديره فهم يتعلمون منهما و
ذلك غير ممتنع وقد قيل في قوله منهما ان الضمير عايد الى السحر والكفر قاله ابو مسلم قال لانه تقدم الدليل عليهما في قوله كفروا وهذا كقوله سبحانه سيذكر من يخشى ويتجنبها
اي يتجنب الذكرى وقوله لقد علموا لمن اشتراه قال الزجاج دخول اللام على لقد على جهة القسم والتوكيد وقال النحويون في قوله لمن اشتراه قولين جعل بعضهم من بمعنى
الشرط وجعل الجواب ما له في الاخرة من خلاق وهذا ليس بموضع شرط وجزاء ولكن المعنى ولقد علموا للذي اشتراه ما له في الاخرة من خلاق كما تقول والله
لقد علمت للذي جاءك ما له من عقل انتهى كلام الزجاج واقول فموضع من رفع بالابتداء وموضع ما له في الاخرة من خلاق رفع على انه خبر الابتداء وهذا قول سيبويه
فاللام في قوله لمن اشتراه لام الابتداء دون القسم لان هذه اللام قد يكون تاكيدا لغير القسم واللام مع الجملة التي بعدها في موضع نصب بعلموا كما ان الاستفهام كذلك في التي
في نحو علمت ازيد في الدار ام عمرو وهذا هو المسمى تعليقا قال ابو علي قول من قال ان من جزاء بعيد لانه اذا كان جزاء فاللام في لمن اشتراه سبب دخولها القسم كاللام
في قوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا ولئن شئنا لنذهبن فيقتضي ذلك قسما والقسم الذي يقتضيه قوله لمن اشتراه اذا حملت من على انه جزاء لا
يخلو من ان يكون علموا لان العلم والظن قد يقامان مقام القسم كما في قوله ولقد علمت لتأتين منيتي وقوله وظنوا ما لهم من محيص او يكون مضمرا بين قوله علموا وقوله
لمن اشتراه ويبعد ان يكون علموا قسما وقوله لمن اشتراه جوابه هاهنا لانه في هذا الموضع محلوف عليه مقسم والقسم عليه لا يكون قسما لانه يلزم من هذا ان يدخل قسم على قسم
لان في اول الكلام قسما وهو المضمر الجالب اللام في لقد وهذا هو القسم الاول والثاني هو الذي يدخل عليه هذا القسم الاول المضمر وهو قد علموا اذا اجبته باللام
فمن جعله ابتداء او بالنفي فمن جعل من جزاء ودخول القسم على القسم يبعد عند سيبويه ولا يسوغ فمن اجل هذا يبعد عنده ان يكون علموا هنا بمنزلة القسم وان
يجاب بجوابه قال سيبويه والخليل لا يقوى وحقك وحق زيد لا فعلن والواو الثاني واو قسم لا يجوز الا مستكرها لانه لا يجوز هذا في محلوف عليه الا ان يضم
الاخر الى الاول ويحلف بهما على المحلوف عليه ولهذا جعلا هو والخليل الحروف في قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى للعطف دون
القسم فلهذا حمل اللام في لمن اشتراه على انها لام ابتداء دون قسم وليست كاللام الاخرى فانها تقتضي قسما لا محالة في نحو قولهم لعمرك لافعلن فلا يلزم على ما اوله
دخول قسم على قسم ويبعد ايضا ان يكون القسم مضمرا بين قوله علموا ولمن اشتراه لان علموا يقتضي مفعوليه واذا وقع قسم بينه وبين مفعوليه لم يجب وكان لغوا كما
انه في نحو قولك زيد والله منطلق وان تأتني والله آتك لغو لا جواب له ولانه لو اجيب للزم اعتماد علمت عليه فصار القسم في موضع نصب لوقوعه موقع
مفعولي علمت وذلك ممتنع لانك لو جعلته في موضع مفعوليه لاخرجته عما وضع له لانه انما وضع ليؤكد به غيره فلو جعلته في موضع المفعولين لاخرجته عن ان
يكون تاكيدا لغيره ولجعلته قائما بنفسه ولو جاز ان يكون في موضع مفعولي علمت لجاز ان يوصل به ويوصف به النكرة وهذا ممتنع فمعلوم اذن ان القسم بعد
علمت لا يلزم ان يكون له جواب فاضمار القسم بعد علموا غير جائز لانه ليس يجوز ان يكون له جواب يدل عليه اذا حذف كما يدل لتفعلن ونحوه من الجواب على القسم
المحذوف فاذا لم يجز ان يكون له جواب لم يجز حذفه وارادته فقد بعد ايضا ان يكون القسم مضمرا بعد علمت فلما كان علموا مقسما عليه في هذا الموضع واذا جعلت
من بغير معنى الذي لزمك ان يكون علمت قسما يكون قوله ما له في الاخرة جوابه وكان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيبويه حمل اللام في لمن على انه لام الابتداء
ومن بمعنى الذي لئلا يلزم ما لا يستحسنه ولا يستجيزه من دخول قسم على قسم فمذهب سيبويه في هذا هو البيّن **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم من نبذ فريق
من اليهود كتاب الله الذي في ايديهم وراء ظهورهم فقال واتبعوا ما تتلوا الشياطين واختلف في المعني بقوله واتبعوا على ثلاثة اقوال احدها انهم اليهود الذين كانوا
على عهد النبي صلى الله عليه واله عن الربيع وابن اسحق والسدي وثانيها انهم اليهود الذين كانوا في زمن سليمان عن ابن عباس وابن جريج وثالثها ان المراد به الجميع لان
متبعي السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان الى ان بعث محمد صلى الله عليه واله وروي عن الربيع ان اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه واله زمانا من التورية لا يسألونه
عن شيء من ذلك الا انزل الله عليه ما سألوا عنه فيخصمهم فلما راوا ذلك قالوا هذا اعلم بما انزل علينا منا وانهم سألوه عن السحر وخاصموه به فانزل الله تعالى
واتبعوا ما تتلوا الشياطين الاية اي اقتدوا بما كانت تتلوا الشياطين اي تتبع وتعمل به عن ابن عباس وقيل معناه تقرأ عن عطا وقتادة وقيل معناه تكذب
عن ابي مسلم يقال تلا عليه اذا كذب قال سبحانه ويقولون على الله الكذب ويقولون على الله ما لا يعلمون فاذا صدق قيل تلا عنه واذا ابهم جاز الامران و
واختلف في قوله الشياطين فقيل هم شياطين الجن لانه المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقيل هم شياطين الانس المتمردون في الضلال كما قال جرير ايام يدعونني

فيجمع

الشيطان من غزلي وكن بهويني اذ كنت شيطانا وقيل هم شياطين الجن والانس وقوله على ملك سليمان كقول ابي النجم فهي على الافق كعين الاحول اى في الافق ثم ان
هذا يحتمل معنيين احدهما في عهد ملك سليمان والثاني في نفس ملك سليمان كما يقال فلان يطعن في ملك فلان وفي نفس فلان وقيل معناه على عهد ملك
سليمان وقال ابو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل على الملكين وقوله وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر بين بهذا ان ما كانت تتلوه الشياطين وتاثره وترويه كان كفرا اذ برأ سليمان عليه السلام منه ولم يبين سبحانه بقوله ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اى
اى شىء كانت تتلوا ثم لم يبين بقوله سبحانه وما كفر سليمان ان ذلك الكفر اى نوع من انواع الكفر حتى قال ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فبين سبحانه
ان ذلك الكفر كان من نوع السحر فان اليهود اضافوا الى سليمان السحر وزعموا ان ملكه كان به فبرأه الله منه وهو قول ابن عباس وابن جبير وقتادة واختلف في
السبب الذي لاجله اضافت اليهود السحر الى سليمان عليه السلام فقيل ان سليمان عليه السلام كان قد جمع كتب السحرة ووضعها في خزانته وقيل كتمها تحت كرسيه لئلا يطلع عليها
الناس ولا يعملوا بها فلما مات سليمان عليه السلام استخرجت السحرة تلك الكتب وقالوا انما تم ملك سليمان بالسحر وبه سخر الجن والانس والطير وزينوا السحر في اعين
الناس بالنسبة الى سليمان عليه السلام وشاع ذلك في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان عليه السلام عن السدى وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام
قال لما هلك سليمان عليه السلام وضع ابليس السحر ثم كتبه في كتاب وطواه وكتب على ظهره هذا ما وضع اصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخاير كنوز
العلم من اراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان الا بهذا وقال المؤمنون وهو عبد الله
ونبيه فقال الله في كتابه واتبعوا ما تتلوا الشياطين الاية وفي قوله ولكن الشياطين كفروا ثلثة اقوال احدها انهم كفروا بما استخرجوه من السحر وثانيها انهم كفروا
بما نسبوه الى سليمان من السحر وثالثها انهم سحروا فعبر عن السحر بالكفر وفي قوله يعلمون الناس السحر قولان احدهما انهم القوا السحر اليهم فتعلموه والثاني انهم دلوهم
على استخراجه من تحت الكرسي فتعلموه وقوله وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فيه وجوه احدها ان المراد ان الشياطين يعلمون الناس السحر والذي
انزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه غير ان الشياطين لما عرفوه استعملوه وان كان المؤمنون
اذا عرفوا اجتنبوه وانتفعوا بالاطلاع على كيفيته وثانيها ان يكون المراد على ما ذكرناه قبل من ان معناه واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما انزل
على الملكين اى معهما وعلى السنتهما كما قال سبحانه ما وعدتنا على رسلك اى معهم وعلى السنتهم وثالثها ان تكون ما بمعنى النفي والمراد وما كفر سليمان ولا انزل الله
السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه التقديم
ويكون في هذا التاويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ويكون الملكان اللذان نفى عنهما السحر جبرئيل وميكائيل عليهما السلام لان سحرة اليهود فيما
ذكر كانت تدعى ان الله عز وجل انزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ويجوز ان يكون هروت وماروت يرجعان الى الشياطين
كانه قال ولكن الشياطين هروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله وكنا لحكمهم شاهدين يعني لحكم داود وسليمان ويكون على هذا قوله وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هاروت وماروت ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن لا على طريق التحذير و
ويجوز على هذا التاويل ايضا الذي يتضمن النفي والجحد ان يكون هروت وماروت اسمين للملكين ونفى عنهما انزال السحر ويكون قوله وما يعلمان راجعا الى قبيلتين
من الجن والى الشياطين من الجن والانس فيحسن التثنية لهذا وروى هذا التاويل في حمل ما على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكى عنه ايضا انه كان
يقرا على الملكين بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر ان ترجع قوله وما يعلمان من احد اليهما ويمكن على هذه القراءة
في الاية وجه اخر وان لم تحمل قوله وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وهو ان يكون هؤلاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتدعيه على ملك سليمان
واتبعوا ما انزل على الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافا الى الله تعالى وان اطلق لانه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون انزاله اليهما بعض الضلال ويكون معنى
انزل وان كان من الارض حمل اليهما لا من السماء انه اتى به من نجود البلاد واعاليها فان من هبط من النجد الى الغور يقال انزل واختلف في بابل فقيل هي بابل
العراق لانه تبلبلت بها الالسن عن ابن مسعود وقيل هي بابل دماوند عن السدى وقيل هي من نصيبين الى راس العين وهروت وماروت قيل هما رجلان
على ما تقدم بيانه وقيل هما ملكان من الملائكة اهبطهما الله الى الارض على صورة الانس لئلا ينفر الناس منهما اذا كانا على صورة الملائكة واختلف في سبب هبوطهما
ليامرا بالدين وينهيا عن السحر ويفرقا بينه وبين المعجز لان السحر كان كثيرا في ذلك الوقت ثم اختلف في ذلك فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر و
ينهيان عن فعله ليكون النهي بعد العلم فان من لا يعرف الشيء لا يمكنه اجتنابه وقال اخرون لم يكن لهما تعليم السحر لما في ذلك من الاغراء بفعله وانما اهبطا
لمجرد النهي اذ كان السحر فاشيا وقيل ايضا في سبب هبوطهما ان الملائكة تعجبت من معاصي بني ادم مع كثرة نعم الله عليهم فقالت طائفة منهم يا ربنا اما تغضب مما يعمل خلقك

ذكر في كتاب الدرر والغرر فاما قوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فيحتمل وجوها منها ان يريد بالاذن العلم من قولهم اذنت فلانا بكذا اذا اعلمته واذنت لكذا اذا سمعته وعلمته ومنها ان يكون الا زايدة فيكون المعنى وما هم
بضارين به من احد باذن الله ويجري مجرى قولك اخذت زيدا فاكرمته ومنها ان يكون اراد بالاذن التخلية وترك المنع فكانه اراد ان العباد لم يعجزوه وما هم بضارين احدا الا بان خلى الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر
والقسر زائدا على منعهم بالزجر والنهي ومنها ان يكون الضرر الذي عنى انه لا يكون الا باذنه اليه واضافه اليه وهو ما يلحق المسحور من الادوية والاغذية والاطعمة التي يطعمها اياها السحرة ويدعون انه موجبة لما يقصده ذلك فيه من الامور وعلوم
ان الضرر الحاصل عند ذلك من فعل الله بالعادة لان الاغذية لا توجب ضررا ولا نفعا وان كان العوض للضرر حيث كان كالفاعل له هو المستحق الذم وعليه يجب العوض ومنها ان يكون الضرر المذكور انما هو يحصل من التفريق بين الازواج

في ارضك ومما يفترون عليك من الكذب والزور ويرتكبون من المعاصي وقد نهيتهم عنها وهم في قبضتك وتحت قدرتك فاحب الله سبحانه ان يعرفهم ما من
عليهم من عجيب خلقهم وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذنوب فقال لهم اندبوا منكم ملكين حتى اهبطهما الى الارض واجعل فيهما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة
والحرص والامل مثل ما جعلت في ولد ادم ثم اختبرهما في الطاعة لي قال فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا من اشد الملائكة قولا في العيب لولد ادم
واستجرار عيب الله عليهم فاوحى الله اليهما ان اهبطا الى الارض فقد جعلت فيكما من طبايع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والامل مثل ما جعلت في
ولد ادم فانظرا ان لا تشركا بي شيئا ولا تقتلا النفس التي حرمتها ولا تزنيا ولا تشربا الخمر ثم اهبطهما الى الارض على صورة البشر ولباسهم فوقع لهما
بناء مشرف فاقبلا نحوه فاذا امراة جميلة حسناء اقبلت نحوهما فوقعت في قلوبهما موقعا شديدا ثم انهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا
اليها فراوداها عن نفسها فقالت ان لي دينا ادين به ولست اقدر في ديني على ان اجيبكما الى ما تريدان الا ان تدخلا في ديني فقالا وما دينك فقالت
لي اله من عبده وسجد له كان لي السبيل الى ان اجيبه الى كل ما سالني فقالا وما الهك قالت هذا الصنم قال فاتيم اينهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لا
لها نجيبك الى ما سالت قالت فدونكما فاشربا الخمر فانه قربان لكما عنده وبه تصلان الى ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال قد نهانا ربنا عنها الشرك والزنا وشرب
الخمر فاتيم اينهما ثم قالا لها ما اعظم البلية بك قد اجبناك قال فشربا الخمر وسجدا للصنم ثم اراداها عن نفسها فلما تهيات لهما دخل عليهما سايل يسال فلما ان راهما
ذعرا منه فقال لهما انكما لمريبان قد خلوتما بهذه المراة الحسناء انكما لرجلا سوء وخرج عنهما فقالت لهما بادرا الى هذا الرجل فاقتلاه قبل ان يفضحكما ويفضحني ثم
دونكما فاقضيا حاجتكما مطمئنان امنان قال فقاما الى الرجل فادركاه فقتلاه ثم رجعا اليها فلم يرياها وبدت لهما سوآتهما ونزع عنهما رياشهما وسقط في
ايديهما فاوحى الله تعالى اليهما انما اهبطتكما الى الارض ساعة من نهار فعصيتما في باربع معاص قد نهيتكما عنها وتقدمت اليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحييا
مني وقد كنتما اشد من نقم على اهل الارض من المعاصي فاختارا عذاب الدنيا او عذاب الاخرة قال فاختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بارض بابل ثم لما
علما الناس رفعا من الارض الى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء الى يوم القيمة هذا الخبر رواه العياشي مرفوعا الى ابي جعفر الباقر عليه السلام ومن
قال بعصمة الملائكة عليهم السلام لم يجوز هذا الوجه وقوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر يعني الملكين ما يعلمان احدا والعرب يستعمل لفظة
علم بمعنى اعلم اى يعرفان صفات السحر وكيفيته حتى يقولا اى الا بعد ان يقولا انما نحن فتنة اى محنة لان الفتنة بمعنى المحنة والاختبار والابتلاء وانما كانا محنة
من حيث القيا الى المكلفين امر السحر لينزجروا عنه ويمتنعوا عن مواقعته وهم اذا عرفوه امكن ان يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا يكفر باستعماله
ولا تعدل عن الغرض في القائه اليك فانما القي اليك لتجتنبه لا لتفعله ولا يكون على هذا التاويل تعلم السحر كفرا كما ان من عرف الزنا لم ياثم بانه عرفه وانما
ياثم بالعمل وقيل ان المراد به نفي تعليمهما السحر والتقدير ولا يعلمان احدا السحر فيقولا انما نحن فتنة فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين والنهي عنه من الملكين
وقوله فلا تكفر يعني به احد ثلثة اشياء احدها فلا تكفر بالعمل بالسحر والثاني فلا تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل بالملكين الناس في ذلك الوقت و
المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر فيكون بتعلمه كافرا وبترك التعلم مؤمنا لان السحر كان قد كثر وهذا ممكن ان يمتحن الله به كما امتحن بالنهر في قوله
فمن شرب منه فليس مني والثالث فلا تكفر بكليهما وقوله فيتعلمون منهما اى من هاروت وماروت وقيل من السحر والكفر وقيل راد بدلا مما علماه ويكون المعنى
انهم يعدلون عما علمهم الملكان من النهي عن السحر الى تعلمه واستعماله كما يقال ليت لنا من كذا وكذا اى بدلا منه وكقول الشاعر جمعت من الخيرات وطبا وعلبة وصرا
لاخلاف المزممة البزل ومن كل اخلاق الكرام نميمة وسعيا على الجار المجاور بالمحل وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجوه احدها انهم يوجدون
احدهما على صاحبه ويبغضونه اليه فيودي ذلك الى الفرقة عن قتادة وثانيها انهم يغوون احد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون
قد بان منه بذلك فقد فارق زوجه الاخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما الاختلاف النحلة وتباين الملة وثالثها انهم يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية
حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة وقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله اى لا يلحقون بغيرهم ضررا الا بعلم الله فيكون على وجه التهديد وقيل
معناه الا بتخلية الله عن الحسن قال من شاء الله منعه فلا يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فيضره وقوله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم معناه يضرهم في
الاخرة ولا ينفعهم وان كان ينفعهم في الدنيا لانهم لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم وقوله ولقد
علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق يعني اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم علموا لمن استبدل السحر بدين الله فالهاء في اشتراه كناية عن
السحر عن قتادة وجماعة ما له في الاخرة من نصيب وقوله ولبئس ما شروا به انفسهم يعني بئس ما باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا التكسب بالسحر وقوله لو كانوا يعلمون
بعد قوله ولقد علموا فيه وجوه احدها ان يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين والذين اخبر عنهم بانهم نبذوا كتاب الله وراء

ظهورهم والذين لم يعلموا هم الذين يعلموا السحر وثانيها ان يكون الذين علموا هم الذين لم يعملوا الا انهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بانهم عالمون بانه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصيرون اليه من العقاب الدائم وثالثها ان يكون الفائدة في نفي العلم بعد اثباته انهم لم يعملوا بما علموا فكانهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه ليصيبا من زاده اذا حضراني قلت لو تعلمانه الم تعلما اني من الزاد مرمل فنفى عنهما العلم ثم اثبته والمعنى في نفي العلم عنهما انهما لم يعملا بما علماه فكانهما لم يعلما وفي هذه الاية دلالة على ان الاضال الخلف باختلاف المقاصد لذلك كان تعلم السحر لازالة الشبهة والتحرز منه واجتنابه ايمانا ولتصديقه واستعماله كفرا واختلف في ماهية السحر على اقوال فقيل انه ضرب من التخييل وصنعة من لطيف الصنائع وقد امر الله تعالى بالتعوذ منه وجعل التحرز بكتابه وآياته منه وانزل فيه سورة الفلق وهو قول الشيخ المفيد ابي عبد الله من اصحابنا وقيل انه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها تخيل الى المسحور ان لها حقيقة وقيل انه يمكن الساحر ان يقلب الانسان حمارا او يقلبه من صورة الى صورة وينشئ الحيوان على وجه الاختراع وهذا لا يجوز ومن صدق به فهو لا يعرف النبوة ولا يأمن ان يكون معجزات الانبياء من هذا النوع ولو ان الساحر والمعزم قدرا على نفع او ضر وعلما الغيب لقدرا على ازالة الممالك واستخراج الكنوز من معادنها والغلبة على البلاد ان يقتل الملوك من غير ان ينالهم مكروه وضرر فلما رأيناهم اسوأ الناس حالا واكثرهم مكيدة واحتيالا علمنا انهم لا يقدرون على شيء من ذلك فاما ما روي من الاخبار ان النبي صلى الله عليه وآله سحر فكان يرى انه فعل ما لم يفعله وانه لم يفعل ما فعله واخبار مفتعلة لا يلتفت اليها وقد قال الله سبحانه حكاية عن الكفار ان يتبعون الا رجلا مسحورا فلو كان السحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالتهم حاشى النبي صلى الله عليه وآله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فانه حجة الله على خلقه وصفوته على بريته

قوله تعالى وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ اية **اللغة** المثوبة والثواب والاجر نظاير ونقيض الثواب العقوبة يقال ثاب يثوب ثوبا وثوابا واثابه اثابة وثوابا ومثوبة والاصل في الثواب ما رجع اليك من شيء يقال اعرت الرجل غنيمة ثم ثابت اليه نفسه وسمي الثواب لانه العايد الى صاحبه مكافاة ما فعل ومنه التثويب في الاذان وهو ترجيع الصوت يقال ثوب الداعي اذا كرر دعاءه الى الحرب او غيرها ويقال انهزم القوم ثم ثابوا اي رجعوا والثوب مشتق من هذا ايضا لانه ثاب لباسا بعد ان كان قطنا او غزلا والمثابة الموضع يثوب اليه الناس وفي الشواذ قراءة قتادة لمثوبة بسكون الثاء وفتح الواو وهي لغة كما قالوا مشورة ومشورة واجمع العرب على قولهم هذا خير منه الا بعض بني عامر فانهم يقولون هذا اخير من ذا واشر من ذا **الاعراب** اللام في لمثوبة لام الابتداء وهي في موضع جواب لو لانها تنبئ عن قولك لاثيبوا والضمير في انهم عايد الى الذين يعلمون السحر **المعنى** ثم قال سبحانه ولو انهم يعني الذين يتعلمون السحر ويعملونه وقيل هم اليهود آمنوا اي صدقوا محمدا والقرآن واتقوا السحر والكفر وقيل جميع المعاصي لمثوبة من عند الله خير اي لاثيبوا وثواب الله خير لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يستعملون ما يعلمونه ليس انهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الانسان لصاحبه وهو يعظه ما ادعوك اليه خير لك لو كنت تعقل او كنت تنظر في العواقب وفي قوله لو كانوا يعلمون وهو خبر علموا او لم يعلموا وجهان احدهما ان معناه لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك اي لعلموا ان ثواب الله خير من السحر والآخر ان المعنى فيه الدلالة على جهلهم وترغيبهم في ان يعلموا ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي ينال بطاعته واتباع مرضاته وفي هذه الاية دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لانه نفى ذلك العلم عنهم

قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ اية **اللغة** المراعاة التفقد للشيء في نفسه او احواله والمراعاة والمحافظة والمراقبة نظاير ونقيض المراعاة الاغفال ورعى الله فلانا اي حفظه ورعيت له حقه وعهده فيمن خلف وارعيته سمعي اذا اصغيت اليه وراعيته بعيني اذا لاحظته وجمع الراعي رعاء ورعاة ورعيان وكل من ولي قوما فهو راعيهم وهم رعيته والمرعي من الناس المسوس والراعي السائس واسترعاه الله خلقه اي ولاه امرهم ليرعاهم والارعاء الابقاء على اخيك والاسم الرعوى والرعيا وراعني سمعك اي استمع ورجل ترعية للذي صنعته وصنعة ابائه الرعاية قال الشاعر يسوسها ترعية جاف فضل واصل الباب الحفظ ونظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرته وارتقبته **المعنى لما تقدم** سبحانه نهى اليهود عن السحر عقبه بالنهي عن اطلاق هذه اللفظة فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا اي استمع منا فحرفت اليهود هذه اللفظة فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة يريدون به النقيصة والوقيعة فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك بقوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وقال قتادة انها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء وقال عطا هي كلمة كانت الانصار تقولها في الجاهلية فنهوا عنها في الاسلام وقال السدي كان ذلك كلام يهودي بعينه يقال له رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة فنهي المسلمون عن ذلك وقال الباقر عليه السلام هذه الكلمة سب بالعبرانية اليه كانوا يذهبون وقيل كان معناه عندهم اسمع

لا سمعت وروي عن الحسن انه كان يقرأ راعنا بالتنوين وهو شاذ لا يؤخذ به ومعنى انظرنا يحتمل وجوها احدها انظرنا نفهم ونتبين ما تعلمنا والآخر فقهنا وبين لنا يا محمد والثالث اقبل علينا ويجوز ان يكون معناه انظر الينا فحذف حرف الجر وقوله واسمعوا يحتمل امرين احدهما ان معناه اقبلوا ما يأمركم به من قوله سمع الله لمن حمده وسمع الله دعاءك اي قبله والثاني ان معناه اسمعوا ما يأتيكم به الرسول من الحسن وللكافرين بمحمد والقرآن عذاب اليم اي موجع قال الحسن والضحاك كل ما في القرآن يا ايها الذين آمنوا فانه نزل بالمدينة **قوله عز وجل مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** اية **اللغة** المودة المحبة والاختصاص بالشيء هو الانفراد به وضد الاختصاص الاشتراك ويقال خصه بالشيء يخصه خصا اذا فضله به والخصاص الفرج والخص بيت من قصب او شجر وانما سمي خصا لانه يرى ما فيه من خصاصة وكل خلل وخرق يكون في السحاب والمنخل فهي الخصاصة واصل الباب الانفراد بالشيء ومنه يقال للفرج الخصايص لانفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينها ويقال خصصته بالفائدة واختصصت انا بها كما يقال افردته بها وانفردت انا بها **الاعراب** الذين كفروا في موضع رفع لانه فاعل يود والمشركين في موضع جر بالعطف على اهل الكتاب وتقديره ولا من المشركين وقوله ان ينزل في موضع نصب لانه مفعول يود ومن في قوله من خير زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من احد وموضع من خير رفع ومن في قوله من ربكم لابتداء الغاية والتي في قوله من اهل الكتاب فللتنويع والتبيين مثل التي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان **المعنى** ثم اخبر سبحانه ايضا عن اليهود فقال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم معناه ما يحب الكافرون من اهل الكتاب ولا من المشركين بالله من عبدة الاوثان ان ينزل الله عليكم شيئا من الخير الذي هو عنده والخير الذي تمنوا ان لا ينزله الله عليهم ما اوحى الى نبيه صلى الله عليه وآله وانزله عليه من القرآن والشرائع بغيا منهم وحسدا والله يختص برحمته من يشاء روي عن امير المؤمنين علي عليه السلام وعن ابي جعفر الباقر عليه السلام ان المراد برحمته هنا النبوة وبه قال الحسن وابو علي والرماني وغيرهم من المفسرين قالوا يختص بالنبوة من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم هذا خبر منه سبحانه ان كل خير نال عباده في دينهم او دنياهم فانه من عنده ابتداء منه اليهم وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل ذو المن والطول

قوله عز وجل مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اية **القراءة** قرأ ابن عامر ما ننسخ بضم النون وكسر السين والباقون بفتحهما وقرأ ابن كثير وابو عمرو ننسأها بفتح النون والسين واثبات الهمزة والباقون بضم النون وكسر السين بلا همز **الحجة** اما قراءة ابن عامر ننسخ فلا يخلو من ان يكون افعل لغة في فعل نحو بدأ وابدأ وحل من احرامه واحل او تكون الهمزة للنقل نحو ضرب واضربته ونسخ الكتاب وانسخته الكتاب او يكون المعنى في انسخت الآية وجدتها منسوخة كقولك احمدت زيدا وابخلته والوجه الصحيح هو الاول وهو ان يكون نسخ وانسخ لغتان متفقتان في المعنى وان اختلفتا في اللفظ وقول من فتح النون ابين واوضح فاما ننسأها فهي من النسء وهو التأخير يقال نسأت الابل عن الحوض انسأها نسأ اذا اخرتها عنه وانتسأت انا اي تأخرت ومنه قولهم انسأ الله اجلك ونسأ في اجلك واما القراءة الاخرى فمن النسيان الذي هو بمعنى السهو او بمعنى الترك **اللغة** النسخ في اللغة ابطال شيء واقامة آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل اي اذهبته وحلت محله وقال ابن دريد كل شيء خلف شيئا فقد انتسخه وانتسخ الشيب الشباب وتناسخ الورثة ان يموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قائم لم يقسم وكذلك تناسخ الازمنة والقرون بعد القرون الماضية واصل الباب الابدال من الشيء غيره وقال علي بن عيسى النسخ الرفع لشيء قد كان يلزم العمل به الى بدل منه وذلك كنسخ الشمس بالظل لانه يصير بدلا منها في مكانها وهذا ليس بصحيح لانه ينتقض بمن يلزمه الصلاة قائما فعجز عن القيام فانه يسقط عنه القيام لعجزه ولا يسمى العجز ناسخا ولا القيام منسوخا وينتقض ايضا بمن تبيح الشيء بحكم العقل وورد الشرع بحظره فانه لا يقال ان الشرع نسخ حكم العقل ولا ان حكم العقل منسوخ واولى ما يحد به النسخ ان يقال هو كل دليل شرعي دل على ان مثل الحكم الثابت بالنص الاول غير ثابت في المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتا بالنص الاول مع تراخيه عنه والنسخ في القرآن على ضروب منها ان يرفع حكم الآية وتلاوتها كما روي عن ابي بكر انه قال كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ومنها ان يثبت الآية في الخط ويرفع حكمها كقوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم الآية فهذه ثابتة اللفظ في الخط مرتفعة الحكم ومنها ما يرتفع اللفظ ويثبت الحكم كآية الرجم فقد قيل انها كانت منزلة فرفع لفظها وقد جاءت اخبار كثيرة بان اشياء كانت في القرآن فنسخ تلاوتها فمنها ما روي عن ابي موسى انهم كانوا يقرأون لو ان لابن آدم واديين من مال لابتغى اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع وعن انس ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا فيهم كتابا بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع وقال ابو عبيدة معنى ننساها او ننسها فلا ننسخها قال طرفة امون كالواح الاران نسأتها على لاحب كانه ظهر برجد اي امضيتها وقال غيره نسأت الابل في ظمئها انساها اذا زدتها في ظمئها يوما او يومين وظمؤها منعها الماء ونسأت الماشية

تنسأنا اذا اسمنت وكل سمين ناسئ قال الزجاج وتاويله ان جلودها نسأت اى تأخرت عن عظامها وقال غيره انما قيل ذلك لانها تأخرت في المرعى حتى
سمنت ويقال للعصا المنسأة لانها ينسأ بها اى يوخر ما يساق من مكانه او يدفع به الانسان عن نفسه الاذى ونسأت ناقتى اذا دفعتها فى السير واصل الباب
التأخير **الاعراب** قوله ما ننسخ ما اسم تاب مناب ان وهو في موضع نصب بننسخ وانما لزمه التقديم وان كان مفعولا ومرتبة المفعول ان يكون بعد الفاعل للنيابة
عن حرف الشرط الذى له صدر الكلام وننسخ مجزوم بالشرط وننسها جزم لانه شرط معطوف عليه ونات مجزوم لانه جزاء ومن فى قوله من اية للتبعيض وقيل هى
مزيدة ولفظ الم ههنا لفظ الاستفهام ومعناه التقرير وتعلم مجزوم بلم لان حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله **المعنى** ما ننسخ من اية قد ذكرنا
حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه ما نرفع من اية او حكم اية وقيل معناه ما نبدل من اية عن ابن عباس ومن قرا او ننسها فمعناه على وجهين فان لفظ
النسى المنقول منه انسى على ضربين احدهما بمعنى النسيان الذى هو خلاف الذكر نحو قوله واذكر ربك اذا نسيت والاخر بمعنى الترك نحو قوله نسوا الله فنسيهم اى
تركوا طاعة الله فترك رحمتهم او ترك تخليصهم فالوجه الاول فى الاية مروى عن قتادة وهو ان يكون محمولا على النسيان الذى هو مقابل الذكر ويجوز
ذلك على الامة بان يؤمروا بترك قراءتها فينسوها على طول الايام ولا يجوز ذلك على النبى صلى الله عليه واله لانه يؤدى الى التنفير كذا ذكره الشيخ ابو
جعفر رحمه الله فى تفسيره وقد جوز جماعة من المحققين ذلك على النبى صلى الله عليه واله قالوا لانه لا يؤدى الى التنفير لتعلقه بالمصلحة ويجوز ايضا ان ينسيهم الله
تعالى ذلك على الحقيقة وان كانوا جمعا كثيرا وجما غفيرا بان يفعل النسيان فى قلوب الجميع وان كان ذلك خارقا للعادة ويكون معجزا للنبى صلى الله عليه
واله واستدل من حمل الاية على النسيان الذى هو خلاف الذكر وجوز كون النبى عليه السلام مرادا به بقوله سبحانه سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله اى ما شاء
ان تنساه قال والى هذا ذهب الحسن وقال ان نبيكم اقرئ القران ثم نسيه وانكر الزجاج هذا القول وقال ان الله تعالى قد انبأ النبى صلى الله عليه واله
فى قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك بانه لا يشاء ان يذهب بما اوحى الى النبى عليه السلام قال ابو على الفارسى هذا الذى احتج به على من ذهب الى
ان ننسها من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا اليه وذلك ان قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك انما هو على ما لا يجوز عليه النسخ والتبديل
من الاخبار والاقاصيص لا ام وحو ذلك مما لا يجوز عليه التبديل والذى تنساه النبى عليه السلام هو ما يجوز ان ننسخ من الاوامر والنواهى الموقوفة على المصلحة
وفى الاوقات التى تكون ذلك فيها اصلح ويدل على ان ننسها من النسيان الذى هو خلاف الذكر قراءة من قرا او ننسها وهى قراءة سعد بن ابى وقاص
وقراءة من قرا او ننسكها وهو المروى عن سالم مولى ابى حذيفة وقراءة من قرا او ننسها وهو المروى عن سعد بن مالك فالمفعول المراد المحذوف فى قراءة
من قرا او ننسها مظهر فى قراءة من قرا ننسكها ما روى عن الضحاك انه قرا ننسها ويؤكد ذلك ايضا ما روى من قراءة ابن مسعود ما ننسك من اية او ننسخها
وبه قرا الاعمش وروى عن مجاهد انه قال قراءة ابى ما ننسخ من اية او ننسك فهذا كله يثبت قراءة من جعل ننسها من النسيان ويؤكد ذلك ما روى عن قتادة
انه قال كانت الاية تنسخ بالاية وينسى الله نبيه من ذلك شيئا والوجه الثانى وهو ان المراد بالنسيان الترك فى الاية مروى عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد
بننسها نامركم بتركها اى بترك العمل بها قال الزجاج انما يقال فى هذا نسيت اذا تركت ولا يقال فيه انسيت تركت وانما معنى ننسها او نتركها اى نامركم بتركها وقال ابو على
من قال انسيت تركت لا يكون مخطيا لانك اذا انسيت فقد نسيت ومن هذا قال على بن عيسى انما فسره المفسرون على ما يؤول اليه المعنى لانه اذا امر بتركها فقد تركها
فان قيل اذا كان نسخ الاية رفعها وتركها ان لا تنزل فما معنى ذلك ولم جمع بينهما قيل ليس معنى تركها الا تنزل وقد غلط الزجاج فى توهمه ذلك وانما معناه اقرارها
فلا ترفع كما قال ابن عباس نتركها فلا نبدلها واضافة الترك الى القديم سبحانه فى نحو هذا اتساع كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات لا يبصرون وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى
بعض اى خليناهم وذاك واما من قرا او ننساها على معنى التاخير فقيل فيه وجوه احدها ان معناه او نوخرها فلا ننزلها وننزل بدلا منها ما يقوم مقامها
فى المصلحة او يكون اصلح للعباد منها وثانيها ان معناه نوخرها الى وقت ثان ونأتى بدلا منها فى الوقت المتقدم بما يقوم مقامها وثالثها ان يكون معنى التاخير ان
ينزل القران فيعمل به ويتلى ثم يوخر بعد ذلك بان ينسخ فيرفع تلاوته البتة ويمحا فلا ينسى ولا يعمل بتاويله مثل ما روى عن زر بن حبيش ان ابيا قال له
كم يقرؤن الاحزاب قال بضعا وسبعين اية قال قد قراتها ونحن مع رسول الله صلى الله عليه واله اطول من سورة البقرة اورده ابو على فى كتاب الحجة
ورابعها ان يوخر العمل بالتاويل لانه نسخ ويترك خطه مثبتا وتلاوته قرآنا يتلى وهو ما حكى عن مجاهد تثبت خطها ويبدل حكمها والوجهان الاولان عليهما
الاعتماد ولان الوجهين الاخيرين يرجع معناهما الى معنى النسخ فلا يحسن اذ يكون فى التقدير محصوله ما ننسخ من اية او ننسخها وهذا لا يصح على ان الوجه الاول
ايضا فيه ضعف لانه لا فائدة فى تاخير ما لم يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه فالاقوى هو الوجه الثانى وقوله نات بخير منها او مثلها فيه قولان احدها
نات بخير منها لكم فى التسهيل والتيسير كالامر بالقتال الذى سهل على المسلمين بقوله الان خفف الله عنكم او مثلها فى السهولة كالعبادة بالتوجه الى

الزر بالكسر الذى يوضع فى القميص والجمع ازرار وزر بن حبيش كزبير تابعى

الكعبة

الكعبة بعد ان كان الى بيت المقدس عن ابن عباس والثانى نات بخير منها فى الوقت الثانى اى هى فى الوقت الثانى خير لكم من الاولى فى الوقت الاول فى
باب المصلحة او مثلها فى ذلك عن الحسن وقوله الم تعلم ان الله على كل شئ قدير قيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه واله وقيل هو خطاب لجميع المكلفين والمراد
الم تعلم ايها السامع او ايها الانسان ان الله قادر على ايات وسور مثل القران ينسخ بها ما امر فيقوم فى المنفع مقام المنسوخ وعلى القول الاول معناه
الم تعلم يا محمد انه سبحانه قادر على نصرك والانتصار لك من اعدائك وقيل هو عام فى كل شئ واستدل من زعم انه لا يجوز نسخ القران بالسنة المعلومة بهذه
الاية قال اضاف الاتيان بخير منها الى نفسه والسنة لا يضاف اليه حقيقة ثم قال بعد ذلك الم تعلم ان الله على كل شئ قدير فلا بد من ان يكون اراد ما
يختص سبحانه بالقدرة عليه من القران المعجز والصحيح ان القران يجوز ان ينسخ بالسنة المقطوع عليها ومعنى خير منها اى اصلح لنا فى ديننا وانفع لنا بان يستحق
به مزيد الثواب فاما اضافة ذلك اليه تعالى فصحيحة لان السنة انما هى بوحيه تعالى وامره فاضافتها اليه تعالى كاضافة كلامه ولحو الاية انما يدل على
انه قادر على ان ينسخ الاية بما هو اصلح وانفع سواء كان ذلك بقران او سنة وفى هذه الاية دلالة على ان القران محدث وانه غير الله تعالى لان القديم لا
يصح نسخه ولانه اثبت له مثلا وانه سبحانه قادر عليه وما كان داخلا تحت القدرة فهو فعل والفعل لا يكون الا محدثا **النظم** لما قال سبحانه فى الاية الاولى ما
يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم دل بهذه الاية على انه سبحانه لا يخليهم من انزال خير اليهم بخلاف ما تمناه اعداؤهم
فيهم وانه ابدا ينزل عليهم ما هو اصلح لهم عن على بن عيسى وقيل انه سبحانه لما عاب اليهود باشياء ورد عليهم ما راموا به الطعن فى امر نبينا عليه واله السلام وكان
ما طعنوا به فيه انه يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته فبين الله سبحانه جواز ذلك ردا عليهم عن ابى مسلم **قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير اية اللغة** الولى هو القيم بالامر ومنه ولى عهد المسلمين ودون الله سوى الله قال امية
بن ابى الصلت يا نفس ما لك دون الله من واق وما على حدثان الدهر من باق والنصير الناصر وهو المؤيد والمقوى **الاعراب** الم تعلم استفهام تقرير قد تثبت
ويؤول فى المعنى الى الايجاب فكانه يقول قد علمت حقيقته كما قال جرير الستم خير من ركب المطايا فلهذا خاطب به النبى صلى الله عليه واله وقيل ان الاية وان كان خطابا
للنبى صلى الله عليه واله فالمراد به امته كقوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء ومثله قول الكميت فى مدح النبى عليه السلام لج بتفضيلك اللسان ولو اكثر فيك الضجاج واللجب
وقيل افرطت بل قصدت ولو عنفنى القائلون او ثلبوا انت المصفى المهذب المحض فى النسبة ان نص قومك النسب فاخرج كلامه مخرج الخطاب للنبى عليه السلام
واراد به اهل بيته لان احدا من المسلمين لا يعنف مادح النبى صلى الله عليه واله ولا يكثر الضجاج واللجب فى اطناب القول فيه فكانه قال الم تعلم ايها الانسان
ان الله له ملك السموات والارض لانه خلقهما وما فيهما وقوله وما لكم من قال الا ان خطاب للنبى عليه السلام قال اتى بضمير الجمع فى الخطاب تفخيما لامره وتعظيما لقدره ومن
قال هو خطاب له وللمؤمنين او لهم خاصة فالمعنى الم تعلموا ما لكم ايها الناس من دون الله اى سوى الله من ولى يقوم بامركم ولا نصير ناصر ينصركم **قوله عز وجل
ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل اية اللغة** السؤال هو
ان يطلب امر ممن يعلمه بمعنى الطلب وسواء السبيل على ثلثة اوجه بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط فى قوله الى سواء الجحيم وبمعنى غير فى قولك اتيت سواك اى غيرك
ومعنى ضل ههنا ذهب عن الاستقامة قال الاخطل كنت القذى فى موج اكدر مزبد قذف الاتى به فضل ضلالا اى ذهب يمينا وشمالا والسبيل والطريق
والمذهب نظائر والجمع السبل **الاعراب** ام هذه منقطعة فان ام على ضربين متصلة ومنقطعة فالمتصلة عديلة الالف وهى مفرقة لما جمعته اى كما ان
او مفرقة لما جمعته تقول اضرب ايهم شئت زيدا ام عمرا ام بكرا كما تقول اضرب احدهم زيدا او عمرا او بكرا والمنقطعة لا تكون الا بعد كلام لانها بمعنى بل وهمزة الا
كقول العرب انها لابل ام شاء كانه قال بل اهى شاء فقوله ام تريدون تقديره بل اتريدون ومثله قول الاخطل كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من
الرباب خيالا ان تسالوا موصول وصلة فى محل النصب لانه مفعول تريدون كما ان الكاف حرف جر وما حرف موصول سئل موسى جملة فعلية هى صلة ما والموصول
والصلة فى محل الجر بالكاف والكاف يتعلق بتسالوا والجار والمجرور فى محل النصب على المصدر ومن قبل فى محل النصب لانه ظرف قوله سئل ومن اسم الشرط فى محل الرفع
بالابتداء والفاء فى قوله فقد ضل سواء السبيل فى محل الجزم لانه جواب الشرط ومعنى حرف الشرط الذى تضمنه من مع الجملتين فى محل الرفع لانه خبر المبتدا **النزول**
اختلف فى سبب نزول الاية فروى عن ابن عباس انه قال ان رافع بن حرملة ووهب بن زيد قالا لرسول الله صلى الله عليه واله ائتنا بكتاب تنزله علينا من
السماء نقراه وفجر لنا انهارا نتبعك ونصدقك فانزل الله هذه الاية قال الحسن عنى بذلك مشركى العرب فقد سالوا فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
الى قوله او تاتى بالله والملائكة قبيلا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا قال السدى سالت العرب محمدا ان ياتيهم بالله فيروه جهرة وقال مجاهد سالت
قريش محمدا ان يجعل لهم الصفا ذهبا فقال نعم ولكن يكون لكم كالمائدة لقوم عيسى بن مريم عليه السلام فرجعوا وقال ابو على الجبائى روى ان رسول الله صلى الله عليه واله

سأله قوم ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الثمر وغيره من الماكولات كما سألوا موسى عليه السلام اجعل لنا الهاً كما لهم الهة **المعنى** ام تريدون اي بل اتريدون ان تسألوا رسولكم يعني النبي محمد كما سئل موسى كما سأل قوم موسى من قبل من الاقتراحات والمحالات ومن يتبدل الكفر بالايمان اي من استبدل الجحود بالله وبآياته بالتصديق بالله والاقرار به وبآياته واقتراح المحالات على النبي صلى الله عليه وآله وسؤاله الاعينيه بعد وضوح الحق بالبراهين فقد ضل سواء السبيل اي ذهب عن قصد الطريق وقيل عن طريق الاستقامة وقيل عن وسط الطريق حيث من اطرافه **النظم** ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما دل الله تعالى بما تقدم على تدبيره لهم فيما ياتي به من الآيات وما ينسخه واختياره لهم ما هو الاصلح في كل حال قال اما ترضون بذلك وكيف تتخيرون محالات مع اختيار الله لكم ما يعلم فيه من المصلحة فاذا اتى باية تقوم بها الحجة فليس لاحد الاعتراض عليها ولا اقتراح غيرها لان ذلك بعد صحة البرهان بها يكون تعنتاً قوله عز وجل **ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير** **آية اللغة** الحسد ارادة زوال النعمة عن المحسود اليه او كراهة النعمة التي هو فيها وارادة ان تصير تلك النعمة بعينها اليه وقد يكون تمني زوال النعمة الغير حسداً وان لم يطمع الحاسد في تحول تلك النعمة اليه واشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لاحد واما الغبطة فهي ان يريد مثل النعمة التي فيها الغير وان لم يرد زوالها عنه ولا يكره كونها له فهذه غير مذموم والحسد مذموم ويقال حسدته على الشيء احسده حسداً وحسدته الشيء بمعنى واحد ومنه قول الشاعر يحسد الناس الطعاما والصفح والعفو والتجاوز عن الذنب بمعنى ويقال لظاهر جلد الانسان صفحته وكذا هو من كل شيء ومنه صافحته اي لقيت صفحة كفه صفحة كفي وقولهم صفحت عنه فيه قولان احدهما ان معناه لم اوآخذه بذنبه وابديت له مني صفحة جميلة والآخر انه لم ير مني ما ينقبض صفحته ويقال صفحت الورقة اي تجاوزتها الى غيرها ومنه تصفحت الكتاب وقد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأه **الاعراب** من في قوله من اهل الكتاب يتعلق بمحذوف تقديره فريق كائنون من اهل الكتاب فيكون صفة لكثير من بعد في محل النصب على الظرف والعامل فيه يردونكم وكفاراً مفعول ثاني ليردّ ومفعوله الاول كم من يردونكم وفي انتصاب قوله حسداً وجهان احدهما ان الجملة التي قبله تدل على الفعل الذي هو مصدره وتقديره حسدوكم حسداً كما يقال فلان يتمنى لك الشر حسداً فكانه قال يحسدك حسداً والآخر ان يكون مفعولاً له فكانه قال يردونكم كفاراً لاجل الحسد كما يقال جئته خوفاً منه وقوله من عند انفسهم يتعلق بقوله ود كثير لا بقوله حسداً لان حسد الانسان لا يكون من غير نفسه قاله الزجاج وقال غيره يجوز ان يتعلق بقوله حسداً على التوكيد كقوله عز وجل ولا طائر يطير بجناحيه ويحتمل وجهاً آخر وهو ان يكون اليهود قد اضافوا الكفر والمعاصي الى الله تعالى فقال سبحانه تكذيباً لهم ان ذلك من عند انفسهم وقوله ما تبين ما حرف موصول وتبين لهم الحق صلته والموصول والصلة في محل الجر باضافة بعد اليه حتى ياتي الله ياتي منصوب باضمار ان وهما في محل الجر بحتى والجار والمجرور مفعول فاعفوا واصفحوا **النزول** نزلت الآية في حيي بن اخطب واخيه ابي ياسر بن اخطب وقد دخلا على النبي عليه السلام حين قدم المدينة فلما خرجا قيل لحيي اهو نبي قال هو هو فقيل فما له عندك قال العداوة الى الموت وهو الذي نقض العهد واثار الحرب يوم الاحزاب عن ابن عباس وقيل نزلت في كعب بن الاشرف عن الزهري وقيل في جماعة اليهود عن الحسن **المعنى** ثم اخبر الله عز اسمه عن سرائر اليهود فقال ود اي تمنى كثير من اهل الكتاب كحيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وامثالهما لو يردونكم معناه ان يردونكم يا معشر المسلمين اي يرجعونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً منهم لكم بما اعد الله لكم من الثواب والخير وانما قال كثير من اهل الكتاب لانه انما آمن منهم القليل كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وقيل انما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوة فيهم وذهابها عنهم وزوال الرياسة اليهم وقوله من عند انفسهم قد بينا ما فيه في الاعراب وقوله من بعد ما تبين لهم الحق اي من بعد ما تبين لهم ان محمداً رسول الله والاسلام دين الله عن ابن عباس وقتادة والسدي وقوله فاعفوا واصفحوا اي تجاوزوا عنهم وقيل ارسلوهم فانهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه وانما امرهم بالعفو والصفح وان كانوا مضطهدين مقهورين من حيث ان كثيراً من المسلمين كانوا عزيزين في عشائرهم واقوامهم يقدرون على الانتقام من الكفار فامرهم الله بالعفو وان كانوا قادرين على الانتصاف حتى ياتي الله بامره اي بامره لكم بعقابهم او يعاقبهم هو على ذلك ثم اتاهم بامره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون الآية عن ابي علي وقيل بامره اي باية القتل والسبي لبني قريظة والجلاء لبني النضير عن ابن عباس وقيل بامره بالقتال عن قتادة فانه قال هذه الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وبه قال الربيع والسدي وقيل نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وروي عن الباقر عليه السلام انه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا اذن له فيه حتى نزل جبرئيل بهذه الآية اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفاً وقوله ان الله على كل شيء قدير فيه ثلثة اقوال احدها انه قدير على عقابهم اذ هو على كل شيء قدير عن ابي علي وثانيها انه قدير على ان يدعو الى دينه بما احب مما هو الاليق بالحكمة فيامر بالصفح تارة وبالعقاب اخرى على حسب المصلحة عن الزجاج والثالث انه لما امر بالامهال والتاخير

في قوله فاعفوا واصفحوا قال ان الله قادر على عقوبتهم بان يامرك بقتالهم ويعاقبهم في الآخرة بنفسه قوله عز وجل **واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير** **آية الاعراب** ما اسم للشرط في موضع رفع بالابتداء وتقدموا شرط من خير من بيان والجار والمجرور مفعول تقدموا وتجدوه مجزوم لانه جزاء وعلامة الجزم في الشرط والجزاء سقوط النون ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه ما مع الشرط والجزاء في محل الرفع لانه خبر المبتدأ وما في قوله بما تعملون اسم موصول او حرف موصول والصلة والموصول في موضع جر بالباء والباء متعلق ببصير الذي هو خبر ان **المعنى** لما امر الله سبحانه المسلمين بالصفح عن الكفار والتجاوز وعلم انه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود وغيرهم لهم امرهم بالاستعانة على ذلك بالصلوة والزكوة فان في ذلك معونة لهم على الصبر مما يجوزون به من الثواب والاجر كما قال في موضع آخر واستعينوا بالصبر والصلوة وقوله وما تقدموا لانفسكم معناه ما تقدموا لانفسكم من خير اي من طاعة واحسان وعمل صالح تجدوه عند الله اي تجدوا ثوابه معداً لكم عند الله وقيل معناه تجدوه مكتوباً محفوظاً عند الله ليجازيكم به وفي هذا دلالة على ان ثواب الخيرات والطاعات لا يضيع ولا يبطل ولا يحبط لانه اذا احبطه لا يجدونه وقوله ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم يجازيكم على الاحسان بما يستحقونه من الثواب وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يستيقن انه يجازيه على ذلك من لا يخفى عليه شيء من عمله ففي هذا دلالة على الوعد والوعيد والامر والزجر وان كان خبراً عن غير ذلك في اللفظ قوله عز وجل **وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** **آية اللغة** في هود ثلثة اقوال احدها انه جمع هائد كعائذ وعوذ وعائط وعوط وهو جمع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد والهائد التائب الراجع الى الحق وثانيها ان يكون مصدراً يصلح للواحد والجمع كما يقال رجل فطر وقوم فطر ورجل صوم وقوم صوم وثالثها ان يكون معناه الا من كان يهوداً فحذف الياء الزائدة والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد وهو ما امكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك وفرق علي بن عيسى بين الدلالة والبرهان بان قال الدلالة قد تنبئ عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر وقد تنبئ عن معنى يشهد بمعنى آخر والبرهان ليس كذلك لانه بيان عن معنى ينبئ عن معنى آخر وقد نوزع في هذا الفرق وقيل انه يجب ان يكون البرهان ما يشهد للدعوى **الاعراب** قالوا جملة فعلية والجنة ظرف مكان ليدخل والا هاهنا لنقض النفي ومن موصول وهو مع صلته مرفوع الموضع بانه فاعل يدخل ولن يدخل مع ما بعده معمول قالوا وان حرف شرط وجوابه محذوف تقديره ان كنتم صادقين فهاتوا برهانكم **المعنى** ثم حكى سبحانه نبذاً من اقوال اليهود ودعاويهم الباطلة فقال وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى وهذا على الايجاز وتقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهودياً وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانياً ووحد كان لان لفظة من قد تكون للواحد وقد تكون للجماعة وانما قلنا ان الكلام مقدر هذا التقدير لان من المعلوم ان اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة ولا النصارى لليهود فعلمنا انه ادرج الخبر عنهما للايجاز من غير اخلال بشيء من المعنى فان شهرة الحال تغني عن البيان الذي ذكرناه ومثله قول حسان بن ثابت امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء تقديره ومن يمدحه وينصره غير انه لما كان اللفظ واحداً جمع مع الاول فصار كانه اخبار عن جملة واحدة وانما حقيقته عن بعضين مفترقين وقوله تلك امانيهم اي تلك المقالة اماني كاذبة يتمنونها على الله تعالى عن قتادة والربيع وقيل امانيهم اباطيلهم بلغة قريش عن المؤرج وقيل معناه تلك اقاويلهم وتلاوتهم من قولهم تمنى اي تلا وقد يجوز في العربية امانيهم بالتخفيف والتثقيل اجود قل يا محمد هاتوا اي احضروا وليس بامر بل هو تعجيز وانكار بمعنى اذا لم يمكنكم الاتيان ببرهان يصحح مقالتكم فاعلموا انه باطل فاسد برهانكم اي حجتكم عن الحسن ومجاهد والسدي ان كنتم صادقين في قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى وفي هذه الآية دلالة على فساد التقليد الا ترى انه لو جاز التقليد لما امروا بان ياتوا فيما قالوه ببرهان وفيها ايضاً دلالة على جواز المحاجة في الدين قوله عز وجل **بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** **آية اللغة** اسلم يستعمل في شيئين احدهما اسلمه الى كذا اي صرفه اليه تقول اسلمت الثوب اليه والثاني اسلم له بمعنى اخلص له ومنه قوله ورجلاً سلماً لرجل اي خالصاً وقال زيد بن عمرو بن نفيل اسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخراً ثقالاً واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذباً زلالاً ويروى واسلمت نفسي والوجه مستقبل كل شيء ووجه الانسان محياه ويقال وجه الكلام تشبيهاً بوجه الانسان لانه اول ما يبدو منه ويعرف به ويقال هذا وجه الرأي اي الذي يبدو منه ويعرف به والوجه من كل شيء اول ما يبدو ويظهر بظهوره ما بعده وقد استعملت العرب لفظ وجه الشيء وهم يريدون نفسه الا انهم ذكروه باللفظ الاشرف الانبه ودلوا عليه كما قال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه اي الا هو ويبقى وجه ربك اي ربك وقال الاعشى واول الحكم على وجهه ليس قضاء بالهوى الجائر اي على ما هو به من الصواب وقال ذو الرمة تطاوعت همي في الجلى وجدناه من الامر لم يترك خلاجاً نزولها يريد والجلي النازل من الامر **الاعراب** بلى تدخل في جواب الاستفهام مثل قوله الست بربكم قالوا بلى ويصلح ان يكون تقديره هنا اما يدخل الجنة احد فقيل بلى من اسلم وجهه لله لان ما تقدم يقتضي هذا

السؤال ويصلح ان يكون جوابا للجحد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول لي قد قام ويكون التقدير هنا ليس الامر كما قال الزاعمون لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولكن من اسلم وجهه لله وهو محسن فهو يدخلها ومن اسلم يجوز ان يكون من موصولا ويجوز ان يكون للشرط فيكون اسلم اما صلة له واما مجزوم الموضع بكونه شرطا ويكون مبتداء والفاء في قوله فله اجره للجزاء واللام يتعلق بمحذوف في محل الرفع لانه خبر لقوله اجره والمبتدا مع خبره في محل الرفع لو وقع بعد الفاء والفاء مع ما دخل فيه في محل الجزم ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في محل الرفع بانه خبر المبتدا وان كان من موصولا فمن مع اسلم مبتدا والفاء مع الجملة بعده خبره وعند ربه ظرف مكان في موضع النصب على الحال تقديره كاينا عند ربه والعامل فيه المحذوف الذي تعلق به اللام وذو الحال الضمير المستكن فيه وقوله وهو محسن في موضع نصب على الحال وانما قال فله اجره على التوحيد ثم قال ولا خوف عليهم لان من مفرد اللفظ مجموع المعنى فيحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى المعنى ثم رد الله عليهم مقالتهم فقال بلى من اسلم وجهه لله قيل معناه من اخلص نفسه لله بان سلك طريق مرضاته عن ابن عباس وقيل وجهه لطاعة الله وقيل فوض امره الى الله وقيل استسلم لامر الله وخضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الخضوع والانقياد وانما خص الوجه لانه اذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بساير جوارحه وهو محسن في عمله وقيل وهو مومن وقيل مخلص فله اجره عند ربه معناه فله جزاء عمله عند الله تعالى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وهذا ظاهر على قول من يقول انه لا يكون على اهل الجنة خوف عليهم ولا حزن في الاخرة واما على قول من قال ان بعضهم يخاف ثم يامن معناه انهم لا يخافون فوت جزاء اعمالهم لانهم يكونون على ثقة بان ذلك لا يفوتهم قوله عز وجل **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** **اللغة** القيامة مصدر الا انه صار كالعلم على وقت بعينه وهو الوقت الذي يبعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم يقول قام يقوم قياما مثل عاذ يعوذ عياذا وعيادة **الاعراب** وهم يتلون جملة من مبتداء وخبر منصوبة الموضع على الحال والعامل قالت وذو الحال اليهود والنصارى والكاف في كذلك يتعلق بيتلون او بقال الذين وتقديره وهم يتلون الكتاب كتلاوتهم او قال الذين لا يعلمون وهم المشركون كقول اليهود والنصارى ومثل صفة مصدر محذوف تقديره قولا مثل قولهم **النزول** قال ابن عباس انه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه واله اتتهم احبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه واله فقال رافع بن حرملة ما انتم على شيء وجحد نبوة عيسى وكفر بالانجيل فقال رجل من اهل نجران ليست اليهود على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتورية فانزل الله هذه الاية **المعنى** ثم بين الله سبحانه ما بين اهل الكتاب من الاختلاف مع تلاوة الكتاب فقال وقالت اليهود ليست النصارى على شيء يعني في دينهم بالنصرانية وقالت النصارى ليست اليهود على شيء في دينهم باليهودية وهم يتلون الكتاب اي يقراونه وذكر فيه وجهان احدهما ان فيه حل الشبهة بانه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار لما لم يوت على انكاره ببرهان فلا ينبغي ان يدخل الشبهة بانكار اهل الكتاب لملة الاسلام اذ كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه الاخر ثم بين ان سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم في الانكار لدين الاسلام والوجه الاخر لمن انكر ذلك من اهل الكتاب على جهة العناد اذ قد ساوى المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع فلم ينفعه علمه وقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم معناه ان مشركي العرب الذين هم جهال وليس لهم كتاب هكذا قالوا لمحمد واصحابه انهم ليسوا على شيء من الدين مثل ما قالت اليهود والنصارى بعضهم لبعض عن السدي ومقاتل وقيل ان مشركي العرب قالوا بان جميع الانبياء والامم لم يكونوا على شيء وكانوا على خطاء اي فقد ساووكم يا معشر اليهود في الانكار وهم لا يعلمون وقيل ان هؤلاء الذين لا يعلمون امم كانت قبل اليهود والنصارى قبل التورية والانجيل كقوم نوح وعاد وثمود قالوا لانبيائهم لستم على شيء عن عطا وقيل ان الاصح ان المراد بقوله كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم اسلاف اليهود والمراد بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء هؤلاء الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه واله لانه يحكي قول المبطل للمبطل فلا يجوز ان يعطف عليه قول المبطل للمحق وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيه وجوه احدها ان حكمه بينهم ان يكذبهم جميعا ويدخلهم النار عن الحسن وثانيها ان حكمه فيهم الانصاف من الظالم للمكذب بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذب عن ابي علي وثالثها ان حكمه ان يريهم من يدخل الجنة عيانا ومن يدخل النار عيانا وهذا هو الحكم الفصل في الاخرة بما يصير اليه كل فرقة فاما الحكم بينهم في العقد فقد بينه الله جل وعز فيما اظهر من حجج المسلمين وفي عجز الخلق عن ان ياتوا بمثل هذا القران عن الزجاج قوله عز وجل **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** اية بلا خلاف بصري اية واحدة عند غيرهم عد اهل البصرة خائفين اية **اللغة** المنع والصد والحيلولة نظاير وضد المنع الاطلاق يقال منعه فامتنع ورجل منيع لا يخلص اليه وهو في عز ومنعة يخفف ويثقل وامراة منيعة لا تؤاتى على فاحشة والسعي والركض والعدو نظاير وضد السعي الوقف وفلان يسعى على عياله اي يكسب لهم وسعى للسلطان اذا ولي امر الصدقة قال الشاعر سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين والعقال الصدقة عام وساعي الرجل الامة اذا فجر بها ولا يكون المساعاة الا في الاماء والخراب والهدم والنقض نظاير والخربة سعة خرق الاذن وكل ثقب مستدير والخارب اللص قال الاصمعي لا يقال الخارب لكل لص انما هو سارق الابل والخرابة سرقة الابل **الاعراب** من موضعه رفع وهو استفهام واظلم رفع لانه خبر الابتداء وموضع ان نصب على البدل من مساجد وهو بدل الاشتمال والتقدير ومن اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه ويجوز ان يكون موضع ان نصبا على انه مفعول له فيكون تقديره كراهة ان يذكر فيها اسمه ويجوز ان يكون على حذف من وتقديره من ان يذكر وان يدخلوها في موضع رفع بانه اسم كان وقيل ان كان ههنا مزيدة وتقديره ما لهم ان يدخلوها فعلى هذا يكون موضع ان يدخلوها رفعا بالابتداء والا حرف الاستثناء وهو ههنا لنقض النفي وخائفين منصوب على الحال وقوله خزي مرتفع من وجهين احدهما الابتداء والاخر ان يكون مرتفعا بلهم وقوله في الدنيا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وذو الحال الضمير المستكن في لهم وكذلك قوله في الاخرة **النزول** اختلفوا في المعنى بهذه الاية فقال ابن عباس ومجاهد انهم الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت ايام عمر فاظهر الله المسلمين عليهم وصاروا لا يدخلونه الا خائفين وقال الحسن وقتادة هو بخت نصر خرب بيت المقدس واعانه عليه النصارى وروي عن ابي عبد الله عليه السلم انهم قريش حين منعوا رسول الله صلى الله عليه واله دخول مكة والمسجد الحرام وبه قال البلخي والرماني والجبائي وضعف هذا الوجه الطبري بان قال ان مشركي قريش لم يسعوا في تخريب المسجد الحرام وقوله يفسد بان عمارة المساجد انما يكون بالصلوة فيها وخرابها بالمنع من الصلوة فيها وقد وردت الرواية بانهم هدموا مساجد كان اصحاب النبي عليه السلم يصلون فيها بمكة لما هاجر النبي عليه السلم الى المدينة قال وهو ايضا لا يتعلق بما قبله من ذم اهل الكتاب كما يتعلق به اذا عني به النصارى وبيت المقدس وجوابه قد جرى ايضا ذكر غير اهل الكتاب في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون وهذا اقرب لان الكلام خرج مخرج الذم فمرة توجه الذم الى اليهود ومرة الى النصارى ومرة الى عبدة الاوثان والمشركين **المعنى** ومن اظلم اي واي احد اشد واعظم ظلما ممن منع مساجد الله من ان يذكر فيها اسمه ويكون معناه لا احد اظلم ممن منع ان يذكر في مساجد الله اسمه سبحانه وعمل في المنع من اقامة الجماعة فيها والعبادة واذا حمل قوله مساجد الله على بيت المقدس او الكعبة فانما جاء بجمعه على احد وجهين اما ان يكون مواضع السجود فان للمسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد ويقال للجملة مسجد واما ان يدخل في هذه اللفظة المساجد التي بناها المسلمون للصلاة وروي عن زيد بن علي عن ابائه عن علي عليه السلم انه اراد جميع الارض لقول النبي صلى الله عليه واله جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا وقوله وسعى في خرابها اي عمل في تخريبها والتخريب اخراجهم اهل الايمان منها عند الهجرة وقيل هو صدهم عنها ويجوز حمله على الامرين وقيل المراد المنع عن الصلوة والطاعة فيها وهو السعي في خرابها وقوله اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين فيه خلاف قال ابن عباس معناه انه لا يدخل نصراني بيت المقدس الا نهك ضربا وابلغ عقوبة وهو كذلك اليوم ومن قال المراد به المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الاية امر النبي صلى الله عليه واله مناديا فنادى الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بهذا البيت عريان فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك وقال الجبائي بين الله سبحانه انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول غيره من المساجد فان دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه الا ان يدخل الى بعض الحكام لخصومة بينه وبين غيره فيكون دخوله خايفا من الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته ولا يقعد فيه مطمئنا كما يقعد المسلم قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهذا يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال بهذه الاية على ان الكفار لا يجوز ان يمكنوا من دخول المساجد على كل حال فاما المسجد الحرام خاصة فيستدل على ان المشركين يمنعون من دخوله ولا يمكنون منه لحكومة ولا غيرها بان الله تعالى قد امر بمنعهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال الزجاج اعلم الله سبحانه في هذه الاية ان امر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف الى مساجدهم الا خايفا وهذا كقوله سبحانه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فكانه قيل اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين لاعزاز الله الدين واظهاره المسلمين وقوله لهم في الدنيا خزي قيل فيه وجوه احدها ان يراد بالخزي انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون عن قتادة وثانيها ان المراد به القتل وسبي الذراري والنساء ان كانوا حربا واعطاء الجزية ان كانوا ذمة عن الزجاج وثالثها ان المراد بخزيهم في الدنيا انه اذا قام المهدي وفتح قسطنطنية فحينئذ يقتلهم عن السدي ورابعها ان المراد بالخزي طردهم عن دخول المساجد عن ابي علي وقوله ولهم في الاخرة عذاب عظيم يعني يوم القيمة يعذبهم الله في نار جهنم بالعذاب الاعظم اذ كانوا من كل ظالم اظلم قوله عز وجل **وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** اية **اللغة** المشرق والشرق اسمان لمطلع الشمس والقمر وشرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اضاءت ويقال لا افعل ذلك ما ذر شارق او ما طلع قرن الشمس وايام التشريق ايام تشريق اللحم في الشمس وفي الحديث لا تشريق الا في مصر او في مسجد جامع اي لا صلاة عيد لان وقتها طلوع الشمس والمغرب والمغيب بمعنى وهو موضع الغروب يقال غربت الشمس تغرب اذا غابت

واصل الغرب الحد والتباعد وغربة النوى بعد المتنائى وغرب السيف حده سمى بذلك لانه يمضى فلا يرد فهو ماخوذ من الابعاد والواسع الغنى سمى به لسعة مقدوراته وقيل هو الكثير الرحمة والسعة والفسحة من النظاير وضد السعة الضيق ويقال وسع يسع سعة واوسع الرجل اذا صار ذا سعة فى المال الاعراب اللام فى قوله لله المشرق لام الملك وانما وحد المشرق والمغرب لانه اخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجمع كما يقال اهلك الناس الدينار والدرهم واين بنى لتضمنه معنى الحرف وانما بنى على الفتح لالتقاء الساكنين وفيه معنى الشرط وتولوا مجزوم بالشرط وجوابه فثم وجه الله وعلامة الجزم فى تولوا سقوط النون واين فى موضع نصب لانه ظرف لقوله تولوا وما فى قوله اينما هى التى تسمى الكافة لعمل الجزم ولذلك لم يجازبا اذ وحيث حتى تضم اليهما ما فيقال حيثما تكن اكن واذما تفعل افعل ويجوز فى اين الجزم وان لم يدخل ما عليها كقول الشاعر اين تصرف بنا العداة تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاقى وثم موضعه نصب لانه ظرف مكان وبنى على الفتح لالتقاء الساكنين وانما بنى فى الاصل لانه معرفة وحكم الاسم المعروف ان يكون جامدا فبنى لتضمنه معنى الحرف الذى يكون به التعريف والعهد الا ترى انه لا تستعمل الا فى مكان معهود معروف لمخاطبك النزول اختلف فى سبب نزول الاية فقيل ان اليهود انكروا تحويل القبلة الى الكعبة عن بيت المقدس فنزلت الاية ردا عليهم عن ابن عباس واختاره الجبائى وقال بين سبحانه انه ليس فى جهة دون جهة كما تقوله المجسمة وقيل كان للمسلمين التوجه حيث شاؤا فى صلوتهم وفيه نزلت الاية ثم نسخ ذلك بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام عن قتادة قال وكان النبى صلى الله عليه واله قد اختار التوجه الى بيت المقدس وكان له ان يتوجه حيث شاء وقيل نزلت الاية فى صلوة التطوع على الراحلة تصليها حيثما توجهت اذا كنت فى سفر واما الفرايض فقوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره يعنى ان الفرايض لا تصليها الا الى القبلة وهذا هو المروى عن ائمتنا عليهم السلام قالوا وصلى رسول الله صلى الله عليه واله ايماء على راحلته اينما توجهت حيث خرج الى خيبر وحين رجع من مكة وجعل الكعبة خلف ظهره وروى عن جابر قال بعث رسول الله صلى الله عليه واله سرية كنت فيها فاصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة فقالت طايفة منا قد عرفنا القبلة هى ههنا قبل الشمال فصلوا وخطوا خطوطا وقال بعضنا القبلة ههنا قبل الجنوب وخطوا خطوطا فلما اصبحوا وطلعت الشمس اصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سالنا النبى صلى الله عليه واله عن ذلك فسكت فانزل الله تعالى هذه الاية المعنى ولله المشرق والمغرب اراد ان المشرق والمغرب لله ملكا وقيل اراد انه خالقهما وصانعهما وقيل معناه ان الله يتولى اشراق الشمس من مشرقها واغرابها فى مغربها فاينما تولوا فثم وجه الله معناه فاينما تولوا وجوهكم فحذف المفعول للعلم به فثم اى فهناك وجه الله اى قبلة الله عن الحسن ومجاهد وقتادة والوجه والجهة والوجهة القبلة ومثله الوزن والزنة والعرب تسمى القصد الذى يتوجه اليه وجها قال الشاعر استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل معناه اليه القصد بالعبادة وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم كقوله تعالى يريدون وجهه اى يريدونه بالدعاء ويقال لما قرب من المكان هنا ولما تراخى ثم وهناك وقوله كل شىء هالك الا وجهه اى الا هو ويبقى وجه ربك اى ويبقى ربك عن الكلبى وقيل معناه فثم رضوان الله يعنى الوجه الذى يؤدى الى رضوانه كما يقال هذا وجه الصواب عن ابى على والرمانى ان الله واسع اى غنى عن ابى عبيدة وتقديره غنى عن طاعاتكم وانما يريدها لما فيه منافعكم وقيل واسع الرحمة فلذلك رخص فى الشريعة عن الزجاج وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء عليم اى عالم بوجوه الحكمة فبادروا الى ما امركم به وقيل عليم بمن يضع رحمته على وجه الحكمة وقيل عالم بنياتكم حيثما صليتم ودعوتم النظم ووجه اتصال الاية بما قبلها ان التقدير لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد ان تذكروه حيث كنتم من ارض فلله المشرق والمغرب والجهات كلها عن على بن عيسى وقيل لما تقدم ذكر الصلوة والمساجد عقبه بذكر القبلة وبيانها قوله عز وجل وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ اية القراءة قرا ابن عامر قالوا بغير واو والباقون بالواو الحجة حذف الواو ههنا يجوز من وجهين احدهما ان تستانف الجملة فلا يعطفها على ما تقدم والاخر ان الجملة التى هى قالوا اتخذ الله ولدا ملابسة بما قبلها من قوله ومن اظلم ممن منع مساجد الله الاية فان الذين قالوا اتخذ الله ولدا من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها كما استغنى عنها فى نحو قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولو كان وهم فيها خالدون لكان حسنا اللغة الاصل فى القنوت الدوام ثم يستعمل على وجوه منها ان يكون بمعنى الطاعة كقوله كل له قانتون اى مطيعون ومنها ان يكون بمعنى الصلوة كقوله يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى ويعنى طول القيام وروى جابر بن عبد الله قال سئل النبى صلى الله عليه واله اى الصلوة افضل قال طول القنوت اى طول القيام ويكون بمعنى الدعاء قال صاحب العين القنوت فى الصلاة دعاء بعد القراءة فى اخر الوتر يدعو قائما ومنه قوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما ويكون بمعنى السكوت قال زيد بن ارقم كنا نتكلم فى الصلوة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام النزول نزلت الاية فى النصارى حيث قالوا المسيح ابن الله وقيل نزلت فيهم وفى مشركى العرب حيث قالوا الملئكة بنات الله المعنى لما حكى سبحانه قول اليهود فى امر القبلة ورد عليهم ذكر مقالتهم فى التوحيد ردا عليهم فقال وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه اى اجلالا له عن اتخاذ الولد وتنزيها عن القبائح والسوء والصفات التى لا يليق به وروى عن طلحة بن عبيد الله انه سال النبى عليه السلام عن معنى قوله سبحانه فقال تنزيها لله عن كل سوء بل له ما فى السموات والارض هذا رد عليهم قولهم اتخذ الله ولدا اى ليس الامر

كما زعموا له ما فى السموات والارض ملكا والولد لا يكون ملكا للاب لان البنوة والملك لا يجتمعان فكيف تكون الملائكة الذين هم فى السماء والمسيح الذى هو فى الارض ولدا لله فنبه بذلك على ان المسيح وغيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزلة ساير الخلق وقيل معناه بل له ما فى السموات والارض فعلا والفعل لا يكون من جنس الفاعل والولد لا يكون الا من جنس ابيه فان من تبنى انسانا فالذى تبناه لا بد من ان يكون من جنسه وقوله كل له قانتون قال مجاهد وابن عباس معناه مطيعون وقال السدى كل له مطيع يوم القيمة وقال الحسن كل قايم له بالشهادة انه عبده وقال الجبائى كل دائم على حال واحدة بالشهادة بما فيه من اثار الصنعة والدلالة على الربوبية وقال ابو مسلم كل فى ملكه وقهره يتصرف فيه كيف يشاء لا يمتنع عليه قوله عز وجل بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اية القراءة قرا ابن عامر فيكون نصبا والباقون بالرفع الحجة قال ابو على يمتنع النصب فى قوله فيكون لان قوله كن وان كان على لفظ الامر فليس بامر ولكن المراد به الخبر لان المنتفى الذى ليس بكائن لا يؤمر ولا يخاطب فالتقدير نكون فيكون فاللفظ لفظ الامر والمراد الخبر كقولهم فى التعجب اكرم بزيد فاذا لم يكن قوله كن امرا فى المعنى وان كان على لفظه لم يجز ان ينصب الفعل بعد الفاء بانه جواب له كما لم يجز النصب فى الفعل الذى يدخله الفاء بعد الايجاب نحو ساتيك فاحدثك الا ان يكون فى شعر نحو قوله لنا هضبة لا ينزل الذل وسطها ويأوى اليها المستجير فيعصما ويدل ايضا على امتناع النصب فيه ان الجواب بالفاء الجزاء فلا يجوز اذهب فيذهب على قياس قراءة ابن عامر كن فيكون لان المعنى يصير ان ذهبت ذهبت وهذا كلام لا يفيد وانما يفيد اذا اختلف الفاعلان والفعلان نحو قم فاعطيك لان المعنى ان قمت اعطيتك واذا كان الامر على هذا لم يكن ساروى عنه من نصبه فيكون متجها ويمكن ان يقال فيه ان اللفظ لما كان على لفظ الامر حمله على اللفظ كما حمل ابو الحسن فى نحو قوله قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلوة على انه جرى مجرى جواب الامر وان لم يكن جوابا على الحقيقة فالوجه فى يكون الرفع على ان يكون معطوفا على كن لان المراد به تكون فيكون او يكون خبر مبتداء محذوف كانه فهو يكون اللغة البديع بمعنى المبدع مثل السميع بمعنى المسمع وبينهما فرق من حيث ان فى بديع مبالغة ليست فى مبدع ويستحق الوصف به فى غير حال الفعل على الحقيقة بمعنى ان من شانه انشاء الاشياء على غير مثال واحتذاء والابتداع والاختراع والانشاء نظاير وكل من احدث شيئا فقد ابدعه والاسم البدعة وفى الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها الى النار القضاء والحكم من النظاير واصل القضاء الفصل واحكام الشىء قال ابو ذويب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع اى احكمهما ثم يتصرف على وجوه منها الامر والوصية كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اى وصى ربك وامر ومنها ان يكون بمعنى الاخبار والاعلام كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل اى اخبرناهم وقوله وقضينا اليه ذلك الامر اى عهدنا الى لوط ومنها ان يكون بمعنى الفراغ نحو قوله فاذا قضيتم مناسككم اى فرغتم من امر المناسك وقوله فاذا قضيتم الصلوة وفيما رواه على بن موسى الرضا عن ابيه عن جده الصادق عليه السلام قال القضاء على عشرة اوجه ذكر فيه الوجوه الثلثة التى ذكرناه والرابع بمعنى الفعل فى قوله فاقض ما انت قاض اى فافعل ما انت فاعل ومنه قوله اذا قضى امرا يعنى اذا فعل امرا كان فى علمه ان يفعله انما يقول له كن فيكون ومنه قوله اذا قضى الله ورسوله امرا يقول لما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا فعل الله ورسوله شيئا فى تزويج زينب ان يكون لهم الخيرة من امرهم والخامس قوله ليقض علينا ربك اى لينزل علينا الموت وقوله لا يقضى عليهم فيموتوا اى لا ينزل بهم الموت وقوله فوكزه موسى فقضى عليه اى فانزل به الموت والسادس قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر اى وجب العذاب فوقع باهل النار وكذا قوله وقال الشيطان لما قضى الامر والسابع قوله وكان امرا مقضيا اى مكتوبا فى اللوح المحفوظ انه يكون والثامن بمعنى الاتمام فى نحو قوله فلما قضى موسى الاجل وايما الاجلين قضيت اى اتممت وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه يعنى من قبل ان يتم جبرئيل اليك الوحى والتاسع بمعنى الحكم والفصل كقولهم وقضى بينهم بالحق وان ربك يقضى بينهم اى يفصل بينهم وفى الانعام يقضى الحق اى يفصل الامر بيني وبينكم بالعذاب والعاشر بمعنى الخلق فى قوله فقضيهن سبع سموات اى خلقهن المعنى لما نزه سبحانه نفسه عن اتخاذ الاولاد ودل عليه بان له ما فى السموات والارض اكد ذلك بقوله بديع السموات والارض اى منشئ السموات والارض على غير مثال امتثله ولا احتذاء من صنع خالق كان قبله واذا قضى امرا قيل معناه اذا فعل امرا اى اراد احداث امر كقوله تعالى واذا قرات القرآن فاستعذ بالله اى اذا اردت قراءة القرآن وقيل معناه اذا احكم امرا وقيل معناه حكم وحتم بانه يفعل امرا والاول اوجه وقوله فانما يقول له كن فيكون اختلف فيه على وجوه احدها انه بمنزلة التمثيل لان المعدوم لا يصح ان يخاطب ولا يؤمر وحقيقة معناه ان منزلة الفعل فى تسهيله وتيسيره عليه وانتفاء التعذر عنه كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان برأسه او بيده كذا اذا حرك راسه او اومى بيده ولم يقل شيئا على الحقيقة وكما قال ابو النجم قد قالت الانساع للبطن الحق قدما فاضحت كالفنيق المحنق وقال العجاج يصف ثورا وفيه كالاعراض للعكوم فكر ثم قال فى التفكير ان الحيوة اليوم فى الكرور وقال عمرو بن حممة الدوسى فاصبحت مثل النسر طارت فراخه اذا رام تطيارا يقال له قع وقال اخر وقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب والمشهور فيه قول الشاعر امتلأ الحوض وقال قطنى وهو قول ابى على وابى القسم وجماعة من المفسرين وثانيها انه علامة جعلها الله للملائكة

كالموجود اذا سمعوها علموا انه احدث امرا وهذا هو المحكي عن ابي الهذيل وثانيها ما قال بعضهم ان الاشياء المعدومة لما كانت معلومة عند الله تعالى صارت
فصح ان يخاطبها ويقول لما شاء ايجاده منها كن والاصح من الاقوال الاول وهو الاشبه بكلام العرب ويؤيده قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طائعين وان حمل على القول الثاني فالمراد ان يقول للملائكة على جهة الاعلام منه لهم واخبارا اياهم عن الغيب كن اي يقول الكون فيكون
فاعل كن الله وهو في المعنى الخبر وان كان اللفظ لفظ الامر على ما تقدم بيانه وقد يجوز على هذا ان يكون فاعل كن الشيء المعدوم المراد كونه تقديره يقول
من اجله للملائكة يكون شيء كذا فيكون ذلك على ما يخبر به لا خلف له ولا تبديل عما يخبر به واما القول الثالث فبعيد لان المعدوم لا يصح خطابه ولا امره
بالكون والوجود فيخرج بهذا الامر الى الوجود لان ذلك امتثال للامر ويلحق له بالقبول والطاعة وهذا انما يتصور من المامور الموجود دون المعدوم
ولو صح ذلك لوجب ان يكون المامور المعدوم فاعلا لنفسه كما يكون الملقى لما يؤمر به بالقبول فاعلا لما امر به وهذا فاسد ظاهر البطلان وقال بعضهم
انما يقول كن عند وجود الاشياء لا قبلها ولا بعدها كقوله تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون وانما اراد انه يدعوهم في
حال خروجهم لا قبله ولا بعده وهذا الوجه ايضا ضعيف لان من شرط حسن الامر ان يتقدم المامور به وكذلك الدعاء وفي هذه الاية دلالة على انه سبحانه
لا يجوز ان يتخذ ولدا لانه اذا ثبت انه منشئ السموات والارض ثبت بذلك انه سبحانه ليس بصفة الاجسام والجواهر لان الجسم يتعذر عليه فعل الاجسام
ومن كان بهذه الصفة لم يجز عليه اتخاذ الولد ولانه سبحانه قد انشأ عيسى من غير اب من حيث هو مبدع الاشياء فجل عن اتخاذ الابناء وتعالى علوا
كبيرا **قوله عز وجل وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا**
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ آية اللغة اليقين والعلم والمعرفة نظاير في اللغة ونقيضه الشك والجهل وايقن وتيقن واستيقن بمعنى وقال صاحب العين
اليقن اليقين قال وما بال الذي ابصرته العيون من قطع ياس ولا من يقن واليقين علم يثلج به الصدر ولذلك يقال وجدت برد اليقين ولا يقال وجدت
برد العلم **الاعراب** لولا بمعنى هلا ولا تدخل الا على الفعل ومعناها التحضيض قال تعدون عقر النيب افضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا اي
هلا تعقرون الكمي المقنع والكاف في كذلك يتعلق بقال والجار والمجرور في موضع نصب على المصدر اي كقولهم **المعنى** لما بين الله سبحانه حالهم في انكارهم التوحيد
وادعائهم عليه اتخاذ الاولاد عقبه بذكر خلافهم في النبوات وسلوكهم في ذلك طريق التعنت والعناد فقال وقال الذين لا يعلمون وهم النصارى عن مجاهد
واليهود عن ابن عباس ومشركوا العرب عن الحسن وقتادة وهو الاقرب لانهم الذين سالوا المحالات ولم يقتصروا على ما ظهر واقترحوا من المعجزات وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الايات الى اخرها ولانه وصفهم بانهم لا يعلمون فبين انهم ليسوا اهل الكتاب ومن قال المراد به النصارى قال لانه قال
قبلها وقالوا اتخذ الله ولدا وهم الذين قالوا المسيح ابن الله وهذا لا دلالة فيه لانه يجوز ان يذكرهم ثم يستانف فيخبر عن قوم اخرين على ان مشركي العرب قد
اضافوا ايضا الى الله سبحانه البنات فدخلوا في جملة من قال اتخذ الله ولدا وقوله لولا يكلمنا الله معاينة فيخبرنا بانك نبي وقيل هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى
من الانبياء وقوله او تاتينا اية اي تاتينا اية موافقة لدعوتنا كما جاءت الانبياء ايات موافقة لدعوتهم ولم يرد انه لم ياتهم اية لانه قد جاءتهم الايات المعجزات
وقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم قيل هم اليهود حيث اقترحوا الايات على موسى عن مجاهد لانه حمل قوله الذين لا يعلمون على النصارى وقيل هم اليهود و
النصارى جميعا عن قتادة والسدي وقيل ساير الكفار الذين كانوا قبل الاسلام عن ابي مسلم تشابهت قلوبهم اي اشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة والاعتراض
على الانبياء من غير حجة والتعنت والعناد كقول اليهود لموسى ارنا الله جهرة وقول النصارى للمسيح انزل علينا مائدة من السماء وقول العرب لنبينا صلى الله عليه وآله
حول لنا الصفا ذهبا ولذلك قال سبحانه اتواصوا به وقوله قد بينا الايات يعني الحجج والمعجزات التي يعلم بها صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله لقوم يوقنون اي
يستدلون بها من الوجه الذي يجب الاستدلال به فايقنوا لذلك فكذلك فاستدلوا انتم حتى توقنوا كما ايقن اولئك والمعنى قيل ان فيما ظهر من الايات الباهرات الدالة
على صدقه كفاية لمن ترك التعنت والعناد فان قيل لم لم يؤت الايات التي اقترحوها لتكون الحجة عليهم اكد قلنا الاعتبار في ذلك بالمصالح ولو علم الله سبحانه
ان في اظهار ما اقترحوه من الايات مصلحة لاظهرها فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن في اظهارها مصلحة **قوله عز وجل إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**
وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ آية القراءة قرا نافع ولا تسال بفتح التاء والجزم على النهي وروى ذلك عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وابن عباس وكذلك القراء في
البلخي والباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله **الحجة** الرفع في تسال يحتمل وجهين احدهما ان يكون حالا فيكون مثل ما عطف عليه من قوله بشيرا ونذيرا اي وغير مسؤول
ويكون ذكر الجملة بعد المفرد الذي هو قوله بشيرا كما ذكر الجملة في قوله ويكلم الناس في المهد بعد ما تقدم من المفرد وكذلك قوله ومن المقربين وهو هنا يجري مجرى
الجملة والاخر ان يكون منقطعا من الاول مستانفا كانه قيل ولست تسال عن اصحاب الجحيم واما قراءة نافع ولا تسال بالجزم ففيه قولان احدهما ان يكون على النهي

عن المسئلة والاخر ان يكون النهي لفظا والمعنى على تفخيم ما اعد لهم من العقاب كقول القايل لا تسال عن حال فلان اي قد صار الى اكثر مما تريده وسالت يتعدى
الى مفعولين مثل اعطيت قال الشاعر سالتاني الطلاق اذ رأتاني قل مالي قد جئتماني بنكر ويجوز ان يقتصر فيه على مفعول واحد ثم يكون على ضربين احدهما ان يتعدى
بغير حرف كقوله واسالوا ما انفقتم فاسالوا اهل الذكر والاخر ان يتعدى بحرف كقوله تعالى سال سائل بعذاب واقع وقولهم سالت عن زيد واذا تعدى الى
مفعولين كان على ثلثة اضرب احدها ان يكون بمنزلة اعطيت كقوله سالت عمرا بعد بكر حقا فمعنى هذا استعطيته اي سالته ان يفعل ذلك والاخر ان يكون بمنزلة
اخترت الرجال زيدا وذلك قوله تعالى ولا يسال حميم حميما اي لا يسال حميم عن حميمه والثالث ان يتعدى الى المفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منهما استفهام و
ذلك كقوله تعالى سل بني اسرائيل كم اتيناهم وسل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا الاية **اللغة** الجحيم النار بعينها اذا شب وقودها وصار كالعلم جهنم
كقول امية بن ابي الصلت اذا شبت جهنم ثم زادت واعرض عن قوابسها الجحيم وجحمت النار تجحم جحما اذا اضطرمت والجحمة العين بلغة حمير قال ايا جحمتي بكي على ام واهب
قتيلة قلوب باحدى المذانب وجحما الاسد عيناه وجاحم الحرب شدة القتل في معركتها قال سعد بن مالك بن ضبيعة والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح الا الفتى
الصبار في النجدات والفرس الوقاح **المعنى** بين الله سبحانه في هذه الاية انه ايد نبيه محمدا صلى الله عليه وآله بالحجج وبعثه بالحق فقال انا ارسلناك يا محمد بالحق قيل
بالقران عن ابن عباس وقيل بالاسلام عن الاصم وقيل على الحق اي بعثناك على الحق كقوله سبحانه خلق الله السموات والارض بالحق اي على انها حق لا باطل وقوله
بشيرا ونذيرا اي بشيرا لمن اتبعك بالثواب ونذيرا لمن خالفك بالعقاب وقوله ولا تسال عن اصحاب الجحيم اي لا تسال عن احوالهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله اذا
قيل له انما انت بشير ونذير ولست تسال عن اهل الجحيم وليس عليك اجبارهم على القبول منك ومثله قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقوله ليس عليك هداهم و
قيل معناه لا تؤاخذ بذنبهم كقوله سبحانه عليه ما حمل وعليكم ما حملتم اي فعليه الابلاغ وعليكم القبول **قوله عز وجل وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى**
تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ آية اللغة الرضى
والمحبة والمودة نظاير وضد الرضا الغضب والرضى ايضا بمعنى المرضي وهو من بنات الواو بدلالة قولهم الرضوان ويقول رجل رضا وامراة رضا ورجال ونساء
رضا واللذة والملة والنحلة والديانة نظاير وملة رسول الله صلى الله عليه وآله الامر الذي ونحوه واستمل الرجل اذا اخذ في ملة الاسلام اي قصد ما امل منه والاملال والاملاء
الكتاب ليكتب **الاعراب** تتبع نصب بحتى قال سيبويه والخليل ان الناصب للفعل بعد حتى ان الا انها لا تظهر بعد حتى ويدل على ان حتى لا تنصب بنفسها انها
تجر الاسم في نحو قوله حتى مطلع الفجر ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم يعمل في فعل ولا حرف جار يكون ناصبا للفعل فصار مثل اللام في قولك ما كان زيد ليفعل
في انها جارة والناصب ليضرب ان المضمرة ولا يجوز اظهارها مع هذه اللام ايضا هو ضمير مرفوع بالابتداء او فصل والهدى خبر المبتدا او خبر ان وقوله
من العلم يتعلق بمحذوف في موضع الحال وذو الحال الموصوف المحذوف الذي قوله الذي جاءك صفته وكذلك قوله من الله في موضع الحال ومن ولي في
موضع رفع بالابتداء ومن مزيدة وقوله ما لك من الله من ولي ولا نصير في موضع الجزاء للشرط ولكن الجزاء اذا قدر فيه القسم لا يجزم فلا يكون في موضع جزم ولا
ان يكون فيه احد الحروف الدالة على القسم فحرف ما هاهنا يدل على القسم فلهذا لم يجزم **المعنى** كانت اليهود والنصارى يسالون النبي صلى الله عليه وآله الهدنة
ويرونه انه ان هادنهم وامهلهم اتبعوه فايسه الله تعالى من موافقتهم فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم وقيل ايضا ان النبي صلى الله
عليه وآله كان مجتهدا في طلب ما يرضيهم ليدخلوا في الاسلام فقيل له دع ما يرضيهم الى ما امرك الله به من مجاهدتهم وهذا يدل على انه لا يصح ارضاء اليهود
ولا النصارى على حال لانه تعالى علق رضاهم بان يصير عليه السلام يهوديا او نصرانيا واذا استحال ذلك استحال ارضاؤهم يعني انه لا يرضى كل فرقة منهم الا ان يتبع ملتهم
اي دينهم وقيل قبلتهم قل ان هدى الله هو الهدى اي قل يا محمد لهم ان دين الله الذي يرضاه هو الهدى اي الدين الذي انت عليه عن ابن عباس وقيل
معناه ان هدى الله يعني القران هو الذي يهدي الى الجنة لا طريقة اليهود والنصارى وقيل معناه ان قولك لا اله الا الله هي الدلالة وهدى الله هو الحق كما يقال
طريقة فلان هي الطريقة وقوله ولئن اتبعت اهواءهم اي مرادهم وقال ابن عباس معناه ان صليت الى قبلتهم بعد الذي جاءك من العلم اي من البيان من الله تعالى
وقيل من الدين ما لك يا محمد من الله من ولي يحفظك عن عقابه ولا نصير اي معين وظهير يعينك عليه ويدفع بنصره عقابه عنك وهذه الاية تدل على ان من
علم الله تعالى منه انه لا يعصي يصح وعيده لانه علم ان نبيه عليه السلام لا يتبع اهواءهم فجرى مجرى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك والمقصود منه التنبيه على ان حال
امته فيه اغلظ من حاله لان منزلتهم دون منزلته وقيل الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته **قوله عز وجل الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ**
أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ آية الاعراب الذين اتيناهم رفع بالابتداء ويتلونه في موضع خبره واولئك ابتداء ثان و
يؤمنون به خبره وان شئت كان اولئك يؤمنون به في موضع خبر المبتدا الذي هو الذين ويتلونه في موضع نصب على الحال وان شئت كان خبر المبتداء

يتلونه واولئك جميعا فيكون للابتداء خبران كما تقول هذا حلو حامض وحق تلاوته منصوب على المصدر النزول قيل نزلت في اهل السفينة الذين قدموا
مع جعفر بن ابي طالب من الحبشة وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا عن ابن عباس وقيل هم من آمن من
اليهود كعبد الله بن سلام وسعيد بن عمرو وتمام بن يهودا واسد واسيد ابني كعب وابن يامين وابن صوريا عن الضحاك وقيل هم اصحاب محمد عن قتاده وعكرمة
فعلى القولين الاولين يكون المراد بالكتاب التورية وعلى القول الاخير المراد به القرآن المعنى الذين آتيناهم اي اعطيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اختلف
في معناه على وجوه احدها انه يتبعونه يعني التورية حق اتباعه ولا يحرفونه ثم يحلون حلاله ويقفون عند حرامه ومنه قوله والقمر اذا تلاها اي تبعها عن
ابن مسعود ومجاهد وقتادة الا ان المراد به القرآن عندهم وثانيها ان المراد به يصفونه حق صفته في كتبهم لمن يسألهم من الناس عن الكلبي وعلى هذا
يكون الهاء راجعة الى محمد صلى الله عليه وآله وثالثها ما روي عن ابي عبد الله عليه السلم ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الاولى ويستعيذ
من الاخرى ورابعها ان المراد يقرؤونه حق قراءته يرتلون الفاظه ويفهمون معانيه وخامسها ان المراد يعملون حق العمل به فيعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه
ويكلون ما اشكل عليهم الى عالمه عن الحسن وقوله اولئك يؤمنون به اي بالكتاب عن اكثر المفسرين وقيل بالنبي عليه السلم عن الكلبي ومن يكفر به وهم اليهود وقيل
هم جميع الكفار وهو الاولى لعمومه فاولئك هم الخاسرون خسروا انفسهم واعمالهم وقيل خسروا في الدنيا الظفر والنصرة وفي الاخرة ما اعد الله للمؤمنين
من نعيم الجنة قوله عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين آية هذه الآية قد تقدم مثلها في راس نيف و
اربعين آية ومضى تفسيرها وقيل في سبب تكريرها ثلاثة اقوال احدها ان نعم الله سبحانه لما كانت اصول كل نعمة كرر التذكير بها مبالغة في استدعائهم الى ما
يلزمهم من شكرها ليقبلوا الى طاعة ربهم المظاهر نعمه عليهم وثانيها هو انه لما باعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير والاعادة والتكرير ابلاغا في الحجة وتاكيدا
للتذكرة وثالثها انه سبحانه لما ذكر التورية وفيها الدلالة على شان عيسى ومحمد عليهما السلم في النبوة والبشارة بهما ذكرهم نعمته عليهم بذلك وما فضلهم به كما عدد
النعم في سورة الرحمن وكرر قوله فباي آلاء ربكما تكذبان فكل تقريع جاء بعد تقريع فانما هو موصول بتذكير نعمة غير الاولى وثالثة غير الثانية الى آخر السورة
وكذلك الوعيد في سورة المرسلات بقوله ويل يومئذ للمكذبين انما هو بعد الدلالة على اعمال توجب التكذيب بما تدعوا اليه الادلة قوله عز وجل واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون آية ومثل هذه الآية ايضا قد تقدم ومر تفسيره قوله عز وجل و
اذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين آية القراءة قرأ ابن
عامر ابراهام ههنا وفي موضع من القرآن والباقون ابراهيم وقرأ حمزة وحفص عهدي باسكان الياء والباقون بفتحها الحجة في ابراهيم خمس لغات ابراهيم وابراهام
وابرام حذفت الالف استخفافا قال الشاعر عذت بما عاذ به ابرام وابراهم قال امية مع ابراهم التقي وموسى وابرهم قال نحن آل الله في كعبته لم يزل ذاك على
عهد ابرهم والوجه في هذه التغييرات ما تقدم ذكره من قولهم ان العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه وتلعبت به ضروبا فغيرتها واما قوله عهدي فانما فتح
الياء اذا تحرك ما قبلها لان اصل هذه الياء الحركة لانها بازاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء ومن اسكنها فانه يحتج بان الفتحة مع الياء قد كرهت
في الكلام كما كرهت الحركتان الاخريان فيها الا ترى انهم قد اسكنوها في حال السعة اذا الزموا تحريكها بالفتحة كما اسكنوها اذا الزموا تحريكها بالحركتين الاخريين و
ذلك قولهم قالي قلا وبادي بدا ومعدي كرب فالياء في هذه المواضع موضع الفتحة التي في آخر اول الاسمين نحو حضرموت وقد اسكنت كما اسكنت في الجر و
الرفع اللغة الابتلاء الاختبار والتمام والكمال والوفاء نظاير وضد التمام النقصان يقال تم تماما واتمه وتممه تتميما وتتمة والتم الشيء التام ولكل حاملة تمام بفتح التاء
وكسرها وبدر تمام وليل تمام بالكسر والذرية والنسل والولد نظاير وبعض العرب تكسر منها الذال فيقول ذرية وروي انه قراءة زيد بن ثابت وبعضهم فتحها فقال
ذرية وفي اصل الكلمة اربعة مذاهب من الذر او من الذرء ومن الذرو والذري فان جعلته من الذر فوزنه فعيلة ذريرة ثم الزمت التخفيف او البدل
كنبي في اكثر اللغة والبرية وان اخذته من الذرء فوزنه فعلية كعمرية او فعيلة نحو ذريرة فلما كثرت الراآت ابدلت الاخيرة ياء وادغم الياء الاولى فيها نحو سرية فيمن
اخذها من السر وهو النكاح او فعولة نحو ذرورة فابدلوا الياء الاخيرة كما ذكرنا فصار ذروية ثم ادغم فصار ذرية وان اخذته من الذرو او الذري فوزنه
فعولة او فعيلة وفيه كلام كثير يطول به الكتاب ذكره ابن جني في المحتسب والنيل والالحاق والادراك نظائر والنيل والنوال ما يناله من معروف انسان وانالة معروفه
ونوله اعطاه فالطرف ان تقول فقد تقعقع وترب النجم يجري بالظهر وقولهم نولك ان تفعل كذا معناه حقك ان تفعل الاعراب اللام في قوله للناس يتعلق
بمحذوف تقديره اماما مستقرا للناس فهو صفة لاماما فلما قدمه انتصب على الحال ويجوز ان يتعلق بجاعلك وقوله اماما مفعول ثان لجاعل ومن ذريتي يتعلق
بمحذوف تقديره واجعل من ذريتي المعنى واذكروا اذ ابتلى ابراهيم ربه اي اختبره وهو مجاز وحقيقته امر ابراهيم ربه وكلفه وسمي ذلك اختبارا لان ما يستعمل

الامر فيما مثل ذلك يجري على جهة الاختبار والامتحان فاجرى على مثل اسم امور العباد على طريق الاتساع وايضا فان الله سبحانه لما عامل عباده معاملة
المبتلي المختبر اذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم انهم سيفعلونه قبل ان يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازي المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه سمي امره ابتلاء وحقيقة
الابتلاء تشديد التكليف وقوله بكلمات فيه خلاف فروي عن الصادق عليه السلم انه ما ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده اسمعيل ابي العرب فاتمها ابرهيم وعزم
عليها وسلم لامر الله فلما عزم قال الله تعالى ثوابا له لما صدق وعمل بما امره الله اني جاعلك للناس اماما ثم انزل الله عليه الحنيفية وهي الطهارة وهي
عشرة اشياء خمسة في الراس وخمسة في البدن فاما التي في الراس فاخذ الشارب واعفاء اللحى وطم الشعر والسواك والخلال واما التي في البدن فحلق
الشعر من البدن والختان وتقليم الاظافير والغسل من الجنابة والطهور بالماء فهذه الحنيفية الطاهرة التي جاء بها ابرهيم عليه السلم فلم تنسخ ولا تنسخ الى يوم
القيمة وهو قوله واتبع ملة ابرهيم حنيفا ذكره علي بن ابرهيم بن هاشم رحمه الله في تفسيره وقال قتاده وهو احدى الروايتين عن ابن عباس انها عشر خصال
كانت فرضا في شرعه سنة في شرعنا المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك في الراس والختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم
الاظفار والاستنجاء بالماء في البدن وفي الرواية الاخرى عن ابن عباس انه ابتلاه بثلثين خصلة من شرايع الاسلام لم يبتل احد بها فاقامها كلها الا ابرهيم
عليه السلم اتمهن فكتب له البراءة فقال وابرهيم الذي وفى وهي عشر في سورة براءة التائبون العابدون الى آخرها وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
الى آخرها وعشر في سورة المؤمنين قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون وروي عشر في سورة سأل سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون
فجعلها اربعين وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه امره بمناسك الحج وقال الحسن ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس والختان وبذبح ابنه وبالنار و
بالهجرة فكلهن وفى لله فيهن وقال مجاهد ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهي قوله اني جاعلك للناس اماما الى آخر القصة وقال ابو علي الجبائي اراد بذلك
كلما كلفه من الطاعات العقلية والشرعية والآية محتملة لجميع هذه الاقاويل التي ذكرناها وكان سعيد بن المسيب يقول كان ابرهيم عم اول الناس اضاف الضيف و
اول الناس اختتن واول الناس قص شاربه واستحد واول الناس راى الشيب فلما راه قال يا رب ما هذا قال هذا الوقار قال يا رب زدني وقارا وهذا
ايضا قد رواه السكوني عن ابي عبد الله عليه السلم ولم يذكر واول من قص شاربه واستحد وزاد فيه اول من قاتل في سبيل الله ابرهيم واول من اخرج الخمس ابرهيم
واول من اتخذ النعلين ابرهيم واول من اتخذ الرايات ابرهيم وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة باسناده مرفوعا الى المفضل بن عمر عن الصادق
عليه السلم قال سألته عن قول الله عز وجل واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقاها آدم عليه السلم من ربه فتاب عليه وهو انه قال يا رب اسألك
بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي فتاب الله عليه انه هو التواب الرحيم فقلت يا ابن رسول الله فما يعني بقوله فاتمهن قال يعني فاتمهن الى القائم باثني عشر اماما تسعة
من ولد الحسين عليه السلم قال المفضل فقلت له يا ابن رسول الله فاخبرني عن قول الله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه قال يعني بذلك الامامة جعلها الله في عقب
الحسين الى يوم القيمة فقلت يا ابن رسول الله فكيف صارت الامامة في ولد الحسين دون ولد الحسن وهما جميعا ولدا رسول الله وسبطاه وسيدا شباب اهل
الجنة فقال ان موسى وهرون نبيان مرسلان اخوان فجعل الله النبوة في صلب هرون دون صلب موسى ولم يكن لاحد ان يقول لم فعل الله ذلك وان الامامة
خلافة الله عز وجل ليس لاحد ان يقول لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن لان الله عز وجل هو الحكيم في افعاله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال الشيخ ابو جعفر
ابن بابويه رحمه الله ولقوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات وجه آخر فان الابتلاء على ضربين احدهما مستحيل على الله تعالى والاخر جائز فالمستحيل هو ان يختبر
ليعلم ما تكشف الايام عنه وهذا ما لا يصح لانه سبحانه علام الغيوب والاخر ان يبتليه حتى يصبر فيما يبتليه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق و
لينظر اليه الناظر فيقتدي به فيعلم من حكمة الله عز وجل انه لم يكل اسباب الامامة الا الى الكافي المستقل بها الذي كشفت الايام عنه فاما الكلمات سوى ما ذكرناه فمنها
اليقين وذلك قوله عز وجل وليكون من الموقنين ومنها المعرفة بالتوحيد والتنزيه عن التشبيه حين نظر الى الكوكب والقمر والشمس ومنها الشجاعة بدلالة قوله فجعلهم
جذاذا الا كبيرا لهم ومقاومته وهو واحد الوفا من اعداء الله تعالى ومنها الحلم وقد تضمنه قوله عز وجل ان ابرهيم لحليم اواه منيب ومنها السخاء ويدل عليه قوله
هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين ثم العزلة عن العشيرة وقد تضمنه قوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله ثم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان ذلك في
قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآيات ثم دفع السيئة بالحسنة في جواب ابيه في قوله لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا فقال سلام عليك ساستغفر لك ربي
انه كان بي حفيا ثم التوكل وبيان ذلك في قوله الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم المحنة في النفس حين جعل في المنجنيق وقذف به في النار ثم المحنة في الولد حين
امر بذبح ابنه اسمعيل عليه السلم ثم المحنة في الاهل حين خلص الله حرمته من عبادة القبطي في الخبر المشهور ثم الصبر على سوء خلق سارة ثم استقصاره النفس في الطاعة
بقوله ولا تخزني يوم يبعثون ثم النزاهة في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية ثم الجمع لشروط الطاعات في قوله ان صلوتي ونسكي ومحياي الى قوله وانا

اوالمسلمين استجابة لله دعوته حين قال رب ارنى كيف تحيى الموتى الايه ثم اصطفاه الله سبحانه اياه فى الدنيا ثم شهادته له فى العاقبة انه من الصالحين فى قوله ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين ثم اقتداء من بعده من الانبياء به فى قوله ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين الاية وفى قوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا انتهى كلام الشيخ رحمه الله وقوله فاتمهن معناه وفى بهن فى قول الحسن وعمل بهن على التمام فى قول قتادة والضمير فى اتمهن عايد الى الله تعالى فى قول ابى القسم البلخى وهو اختيار الحسين بن على المغربى قال البلخى والكلمات هى الامامة على ما قال مجاهد قال لان الكلام متصل ولم يفصل بين قوله انى جاعلك للناس اماما وبين ما تقدمه بواو العطف فاتمهن الله بان اوجب بها الامة له بطاعته واضطلاعه بما ابتلاه به وقوله قال انى جاعلك للناس اماما معناه قال الله تعالى انى جاعلك اماما يقتدى بك فى افعالك واقوالك لان المستفاد من لفظ الامام امران احدهما انه المقتدى به فى افعاله واقواله والثانى انه الذى يقوم بتدبير الامة وسياستها والقيام بامورها وتاديب جناتها وتولية ولاتها واقامة الحدود على مستحقيها ومحاربة من يكيدها ويعاديها فعلى الوجه الاول لا يكون نبى الا وهو امام وعلى الوجه الثانى لا يجب فى كل نبى ان يكون اماما اذ يجوز ان لا يكون مامورا بتاديب الجناة ومحاربة العداة والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكفار فلما ابتلا الله سبحانه ابرهيم بالكلمات فاتمهن جعله اماما للانام جزاء له على ذلك والدليل عليه ان قوله جاعلك عمل فى قوله اماما واسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضى لا يعمل عمل الفعل ولو قلت انا ضارب زيد امس لم يجز فوجب ان يكون المراد جعله الله اماما اما فى الحال او الاستقبال والنبوة كانت حاصلة له قبل ذلك وقوله قال ومن ذريتى اى واجعل من ذريتى من يوشح بالامامة ويرشح بهذه الكرامة وقيل انما قال ذلك على جهة التعرف ليعلم هل يكون فى عقبه ائمة يقتدى بهم ام لا وان يكون ذلك على وجه السوال من الله تعالى ان يجعلهم كذلك وقوله قال لا ينال عهدى الظالمين قال مجاهد العهد الامامة وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم اى لا يكون الظالم اماما فهذا يدل على انه يجوز ان يعطى ذلك بعض ولده اذ لم يكن ظالما لانه لو لم يرد ان يجعل احدا منهم اماما للناس لوجب ان يقول فى الجواب لا او لا ينال عهدى ذريتك وقال الحسن معناه ان الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيرا وان كانوا قد يعاهدون فى الدنيا فيوفى لهم وقد كان يجوز فى العربية ان يقال لا ينال عهدى الظالمون لان ما نالك فقد نلته وقد روى ذلك فى قراءة ابن مسعود واستدل اصحابنا بهذه الاية على ان الامام لا يكون الا معصوما عن القبايح لان الله سبحانه نفى ان ينال عهده الذى هو الامامة ظالم ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالما اما لنفسه واما لغيره فان قيل انما نفى ان يناله ظالم فى حال ظلمه فاذا تاب لا يسمى ظالما فيصح ان يناله فالجواب ان الظالم وان تاب فلا يخرج من ان تكون الاية قد تناولته فى حال كونه ظالما فاذا نفى ان يناله فقد حكم بانه لا ينالها والاية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت فيجب ان يكون محمولة على الاوقات كلها فلا ينالها الظالم وان تاب فيما بعد قوله عز وجل **وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَاَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ اِبْرٰهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا اِلٰى اِبْرٰهِيمَ وَاِسْمٰعِيلَ اَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** **القراءة** قرا نافع وابن عامر واتخذوا مفتوحة الخاء وقرا الباقون واتخذوا مكسورة الخاء **الحجة** من قرا بكسر الخاء فانه على الامر والالزام ويكون عطفا على قوله يا بنى اسرائيل اذكروا ويجوز ان يكون عطفا على قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس من طريق المعنى لان معناه توبوا واتخذوا ومن قرا بالفتح عطفه على ما تقدم من الفعل الذى اضيف اليه اذ فكانه اذ اتخذوا **اللغة** البيت والماوى والمنزل نظاير والبيت من ابيات الشعر سمى بذلك لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت من بيوت الناس اهله والبيت من بيوتات العرب وهى اخباؤها وامرة الرجل قال الراجز ما لى اذا اجذبها صايت اكبر قد عالنى ام بيت والمثابة ههنا الموضع الذى يثاب اليه من ثاب يثوب مثابة ومثابا وثوبا اذا رجع قال ورقة بن نوفل فى صفة الحرم مثاب لافناء القبائل كلها تخب اليه اليعملات الطلايح ومنه ثاب اليه عقله اى رجع بعد عزوبه واصل مثابة مثوبة نقلت حركة الواو الى الثاء ثم قلبت الفا لتحركها فى الاصل وانفتاح ما قبلها وقيل ان التاء فيه للمبالغة كما قيل نسابة وقيل ان معناهما واحد كمقامة ومقام قال زهير وفيهم مقامات حسان وجوهها واندية ينتابها القول والفعل وجمع المقام مقاوم قال وانى لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها والطايف والحايل والداير نظاير ويقال طاف يطوف طوفا اذا دار حول الشئ واطاف به اطافة اذا الم به واطاف به اذا احاط به والطايف العاس والطوافون المماليك والطايف الجن والشيطان وهو كل شئ يغشى القلب من وسواسه وهو طيف ايضا والعاكف المقيم على الشئ اللازم له وعكف يعكف عكفا وعكوفا قال النابغة عكوف على ابياتهم يثمدونها رمى الله فى تلك الاكف الكوانع والعاكف المعتكف فى المسجد وقلما يقولون عكف وانما يقولون اعتكف والركع جمع الراكع والسجود جمع الساجد وكل فعل على فعول جاز فى جمع الفاعل منه ان يكون على فعول كالقعود والركوع والسجود ونحوها **المعنى** واذ جعلنا عطف على قوله واذ ابتلى وذلك معطوف على قوله يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى والبيت الذى جعله الله مثابة هو البيت الحرام وهو الكعبة وروى انه انما سمى البيت الحرام لانه حرم على المشركين ان يدخلوه وسمى الكعبة لانها مربعة وصارت مربعة لانها بحذاء البيت المعمور وهو مربع وصار البيت المعمور مربعا لانه بحذاء العرش وهو مربع وصار العرش مربعا لان

الكلمات التى بنى عليها الاسلام اربع وهى سبحن الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقوله مثابة للناس ذكر فيه وجوه فقيل ان الناس يثوبون اليه كل عام اى ليس هو مرة فى الزمان فقط على الناس عن الحسن وقيل معناه انه لا ينصرف عنه احد وهو يرى انه قد قضى منه وطرا فهم يعودون اليه عن ابن عباس وقد ورد فى الخبر ان من رجع من مكة وهو ينوى الحج من قابل زيد فى عمره ومن خرج من مكة وهو لا ينوى العود اليها فقد قرب اجله وقيل معناه يحجون اليه فيثابون عليه وقيل مثابة معاذا او ملجا وقيل مجمعا والمعنى فى الكل يؤول الى انهم يرجعون اليه مرة بعد مرة وقوله وامنا اى وموضع امن وانما جعله الله امنا بان حكم ان من عاذ به والتجا اليه لا يخاف على نفسه ما دام فيه وبما جعله فى نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا يتعرضون من فيه فهو امن على نفسه وماله وان كانوا يتخطفون الناس من حوله ولعظم حرمته لا يقام فى الشرع الحد على من جنى جناية فالتجا اليه والى الحرم لكن يضيق عليه فى المطعم والمشرب والبيع والشرا حتى يخرج منه فيقام عليه الحد فان احدث فيه ما يوجب الحد اقيم عليه الحد فيه لانه هتك حرمة الحرم فهو امن من هذه الوجوه وكان قبل الاسلام يرى الرجل قاتل ابيه فى الحرم فلا يتعرض له وهذا شئ كانوا قد توارثوه من دين اسمعيل عليه السلم فبقوا عليه الى ايام نبينا صلى الله عليه واله وقوله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى قال ابن عباس الحج كله مقام ابرهيم وقال عطا مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار وقال مجاهد الحرم كله مقام ابرهيم وقال الحسن وقتادة والسدى هو الصلوة عند مقام ابرهيم امرنا بالصلوة عنده بعد الطواف وهو المروى عن الصادق عليه السلم وقد سئل عن الرجل يطوف بالبيت طواف الفريضة ونسى ان يصلى ركعتين عند مقام ابرهيم فقال يصليها ولو بعد ايام ان الله تعالى قال واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى هذا هو الظاهر لان مقام ابرهيم اذا اطلق لا يفهم منه الا المقام المعروف الذى هو فى المسجد الحرام وفى المقام دلالة ظاهرة على نبوة ابرهيم عليه السلم فان الله تعالى جعل الحجر تحت قدميه كالطين حتى دخلت قدمه فيه وكان فى ذلك معجزة له وروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم انه قال نزلت ثلثة احجار من الجنة مقام ابرهيم وحجر بنى اسرائيل والحجر الاسود استودعه الله ابرهيم عليه السلم حجرا ابيض وكان اشد بياضا من القراطيس فاسود من خطايا بنى ادم

القصة ابن عباس قال لما اتى ابرهيم باسمعيل وهاجر فوضعهما بمكة واتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسمعيل امراة منهم وماتت هاجر واستاذن ابرهيم عليه السلم سارة ان ياتى هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم ابرهيم عليه السلم وقد ماتت هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لها ابرهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندى شئ وما عندى احد فقال لها ابرهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه السلم وقولى له فليغير عتبة بابه وذهب ابرهيم عليه السلام فجاء اسمعيل فوجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاءك احد قالت جاءنى شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشانه قال فما قال لك قالت قال لى اقرئى زوجك السلم وقولى له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج اخرى فلبث ابرهيم ما شاء الله ان يلبث ثم استاذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له واشترطت عليه ان لا ينزل فجاء ابرهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجئ الان ان شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز او بر او شعير او تمر لكان اكثر ارض الله برا وشعيرا وتمرا فقالت له انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقى اثر قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقى اثر قدمه عليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلم وقولى له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل عليه السلم وجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاءك احد قالت نعم شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لى كذا وكذا وقلت له كذا وغسلت راسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال اسمعيل ذاك ابرهيم عليه السلم وقد روى هذه القصة بعينها على بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابى عمير عن ابان عن الصادق عليه السلم وان اختلفت بعض الفاظه وقال فى اخرها وقال فى اخرها اذا جاء زوجك فقولى له قد جاء ههنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيرا قال فاكب اسمعيل على المقام يبكى ويقبله وفى رواية اخرى عنه عليه السلم ان ابرهيم استاذن سارة ان يزور اسمعيل فاذنت له على ان لا يلبث عنها وان لا ينزل من حماره قيل له كيف كان ذلك فقال ان الارض طويت له وروى عبد الله بن عمرو عن رسول الله عليه السلم قال الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا ذلك لاضاءا ما بين المشرق والمغرب وقوله مصلى فيه اقوال قيل مدعى من صليت اى دعوت عن مجاهد وقيل قبلة عن الحسن وقيل موضع صلوة فامر ان يصلى عنده عن قتادة والسدى وهذا هو المروى عن ائمتنا عليهم السلم واستدل اصحابنا به على ان صلوة الطواف فريضة مثل الطواف لان الله تعالى امر بذلك وظاهر الامر يقتضى الوجوب ولا صلوة واجبة عند مقام ابرهيم عليه السلم غير صلوة الطواف بلا خلاف وقوله وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اى امرناهما والزمناهما ان طهرا بيتى اى قلنا لهما طهرا بيتى لان ان هذه هى المفسرة التى تكون عبارة عن القول اذا صاحبت من الالفاظ

ما يتضمن معنى القول كقوله سبحانه عهدنا هنا وذكر في التطهير هنا وجوه احدها ان المراد طهراه من الفرث والدم الذي كان يطرحه المشركون عند البيت قبل ان يصير في يد ابرهيم واسمعيل عن الجبائي وثانيها ان المراد طهراه من الاصنام التي كانوا يعلقونها على باب البيت قبل ابرهيم عليه السلام عن مجاهد وقتادة وثالثها ان المراد طهراه ببنائكما له على الطهارة كما قال سبحانه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير وانما اضاف البيت الى نفسه تفضيلا له على ساير البقاع وتمييزا وتخصيصا وقوله للطايفين هم الدايرون حول البيت والعاكفين هم المجاورون للبيت وقال سعيد بن جبير ان الطايفين هم الطارون على مكة من الافاق والعاكفين هم المقيمون فيها وقال ابن عباس العاكفون هم المصلون والاول اصح لانه المفهوم من اطلاق اللفظ وقوله والركع السجود قيل هم المصلون عند البيت يركعون ويسجدون عن قتادة وقيل هم جميع المسلمين لان من شان المسلمين الركوع والسجود عن الحسن وقال عطا اذا طاف به فهو من الطايفين واذا جلس فهو من العاكفين واذا صلى فهو من الركع السجود وقال رسول الله صلى الله عليه واله ان لله عز وجل في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة تنزل على هذا البيت ستون منها للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين ٥ قوله عز وجل وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ اية القراءة قرا ابن عامر فامتعه بسكون الميم خفيفة من امتعت والباقون بالتشديد وفتح الميم من متعت وروى في الشواذ عن ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على الدعاء من ابرهيم عليه السلام وعن ابن محيص ثم اطره بادغام الضاد في الطاء الحجة قال ابو علي التشديد في امتعه اولى لان التنزيل عليه قال سبحانه يمتعكم متاعا حسنا وقال متعناهم متاع الحيوة الدنيا ووجه قراءة ابن عامر ان امتع لغة قال الراعي خليلين من شعبين شتى تجاورا قديما وكانا بالتفرق امتعا قال ابو زيد امتعت بالشيء اذا تمتعت به فاما قراءة ابن عباس فامتعه فيحتمل امرين عن ابن جني احدهما ان يكون الضمير في قال لابرهيم قال ابرهيم ايضا ومن كفر فامتعه يا رب وحسن اعادة قال لطول الكلام ولانه انتقل من الدعاء لقوم الى الدعاء على اخرين والاخر ان يكون الضمير في قال لله تعالى اي فامتعه يا خالق او يا اله يخاطب بذلك نفسه عز وجل فجرى ذلك على ما تعتاده العرب من امر الانسان لنفسه كقول الاعشى وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ اللغة البلد والمصر والمدينة نظاير واصله من قولهم بلد الاثر في الجلد وغيره وجمعه ابلاد ومن ذلك سمي البلاد لانها مواضع مواطن الناس وتاثيرهم ومن ذلك قولهم لكركرة البعير بلدة لانه اذا برك تاثرت والاضطرار هو الفعل في الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره ولهذا لا يقال فلان مضطر الى اللون وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لما لم يكن اللون من جنس مقدوره ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره والمصير الحال التي يؤدى اليها اولها وصار وحال وال نظاير وصير كل امر مصيره وصير الباب شقه وفي الحديث من نظر في صير باب فقد دمر وصيور الامر اخره الاعراب قوله من آمن محله نصب لانه بدل من اهله وهو بدل البعض من الكل كما تقول اخذت المال ثلثه وجعلت متاعك بعضه على بعض وقوله ومن كفر يجوز ان يكون موصولا وصلة في موضع الرفع على الابتداء ويجوز ان يكون من اسماء الشرط في موضع رفع بالابتداء وكفر شرطه وفامتعه الفاء وما بعده جزاء ومعنى حرف الشرط الذي تضمنه من مع الشرط والجزاء في موضع خبر المبتدا وعلى القول الاول فالفاء وما بعده خبر المبتدا وبئس المصير فعل وفاعل في موضع الرفع لانه خبر مبتداء محذوف تقديره وبئس المصير النار او العذاب وانتصب قليلا على وجهين احدهما ان يكون صفة للمصدر نحو قوله متاعا حسنا قال سيبويه ترى الرجل يعالج شيئا فيقول رويدا اي علاجا رويدا وانما وصفه بالقلة مع ان التمتع يدل على التكثير من حيث كان الى نفاد ونقص وفناء كقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل والثاني ان يكون وصفا للزمان اي زمانا قليلا ويدل عليه قوله سبحانه عما قليل ليصبحن نادمين وتقديره بعد زمان قليل كما يقال عرق عن الحمى واطعم عن الجوع اي بعد الحمى وبعد الجوع المعنى واذكر اذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد يعني مكة امنا اي ذا امن كما يقال بلد اهل اي ذو اهل وقيل معناه يامنون فيه كما يقال ليل نائم اي ينام فيه قال ابن عباس يريد حراما محرما لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاه والى هذا المعنى يؤول ما روي عن الصادق عليه السلام من قوله من دخل الحرم مستجيرا به فهو امن من سخط الله عز وجل ومن دخله من الوحش والطير كان امنا من ان يهاج او يؤذى حتى يخرج من الحرم وقال رسول الله صلى الله عليه واله يوم فتح مكة ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد من قبلي ولا تحل لاحد من بعدي ولم تحل لي الا ساعة من النهار فهذا الخبر وامثاله المشهورة في روايات اصحابنا تدل على ان الحرم كان امنا قبل دعوة ابرهيم عليه السلام وانما تاكدت حرمته بدعائه عليه السلام وقيل انما صار حرما بدعائه عليه السلام وقبل ذلك كان كساير البلاد واستدل عليه بقول النبي صلى الله عليه واله ان ابرهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وقيل كانت مكة حراما قبل الدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حراما بعد الدعوة فالاول بمنع الله اياها من الاصطلام والائتفاك كما لحق ذلك غيرها من البلاد وبما جعل في النفوس من تعظيمها والهيبة لها والثاني بالامر بتعظيمها على السنة الرسل فاجابه الله تعالى الى ما سال وانما سال ان يجعلها امنا من الجدب والقحط لانه اسكن اهله بواد غير ذي

زرع ولا ضرع ولم يساله امنها من الائتفاك والخسف الذي كان حاصلا لها وقيل انه عليه السلام ساله الامرين على ان يديمهما وان كان احدهما مستانفا والاخر قد كان قبل وقوله وارزق اهله من الثمرات اي اعطهم من انواع الرزق والثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر سال لهم الثمرات ليجتمع لهم الامن والخصب فيكونوا في رغد من العيش وروي عن ابي جعفر عليه السلام ان المراد بذلك ان الثمرات تحمل اليهم من الافاق وروي عن الصادق عليه السلام قال هو ثمرات القلوب اي حببهم الى الناس ليثوبوا اليهم وانما خص بذلك من امن بالله لان الله تعالى كان قد اعلمه انه يكون في ذريته الظالمون في جواب مسئلته اياه والذرية الا بقوله لا ينال عهدي الظالمين فخص بالدعاء في الرزق المؤمنين تادبا بادب الله تعالى وقيل انه عليه السلام ظن انه اذا دعا للكافر بالرزق انهم يكثرون بمكة ويفسدون فربما يصدون الناس عن الحج فخص بالدعاء اهل الايمان وقوله قال ومن كفر فامتعه قليلا اي قال الله سبحانه قد استجبت دعوتك فيمن امن منهم ومن كفر فامتعه بالرزق الذي ارزقه الى وقت مماته وقيل فامتعه بالبقاء في الدنيا وقيل امتعه بالامن والرزق الى خروج محمد صلى الله عليه واله فيقتله ان اقام على كفره او يجليه عن مكة عن الحسن ثم اضطره الى عذاب النار اي ادفعه الى النار واسوقه اليها في الاخرة وبئس المصير اي المرجع والماوى والمال قوله عز وجل وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اية اللغة الرفع والاعلاء والاصعاد نظاير ونقيض الرفع الوضع ونقيض الاصعاد الانزال يقال رفع يرفع رفعا وارتفع الشيء نفسه والمرفوع من عدو الفرس دون الحضر وفوق الموضوع يقال ارفع من دابتك والرفع نقيض الخفض في كل شيء والرفعة نقيض الذلة والقواعد والاساس والاركان نظاير واحد القواعد قاعدة واصله في اللغة الثبوت والاستقرار فمن ذلك القاعدة من الجبل وهي اصله وقاعدة البناء اساسه الذي بني عليه وامراة قاعدة اذا اتت عليها سنون لم تتزوج واذا لم تحمل المراة او النخلة قيل قد قعدت فهي قاعدة وجمعها قواعد وتاويله انها قد ثبتت على ترك الحمل فاذا قعدت عن الحيض فهي قاعد بغير هاء لانه لا فعل لها في قعودها عن الحيض وقعدت المراة اذا اتت باولاد لئام فهي قاعدة وقيل في ان واحدة النساء القواعد قاعد قولان احدهما انها من الصفات المختصة بالمونث نحو الطالق والحايض فلم يحتج الى علامة التانيث والاخر وهو الصحيح ان ذلك على معنى النسبة اي ذات قعود كما يقال نابل ودارع اي ذو نبل وذو درع ولا يراد بذلك تبيين الفعل الاعراب قوله من البيت الجار والمجرور يتعلق بيرفع او بمحذوف فيكون في محل النصب على الحال وذو الحال القواعد وموضع الجملة من قوله ربنا تقبل منا نصب بقول محذوف كانه قال يقولان ربنا تقبل منا والعامل فيما قبله لانه من تمام الحال لان يقولان في موضع الحال المعنى ثم بين سبحانه كيف بنى ابرهيم البيت فقال واذ يرفع وتقديره واذكر اذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت اي اصول البيت التي كانت قبل ذلك عن ابن عباس وعطا قالا قد كان ادم عليه السلام بناه ثم عفا اثره فجدده ابرهيم عليه السلام وهذا هو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقال مجاهد بل انشاه ابرهيم بامر الله عز وجل وكان الحسن يقول اول من حج البيت ابرهيم وفي روايات اصحابنا ان اول من حج البيت ادم عليه السلام وذلك يدل على انه كان قبل ابرهيم عليه السلام وروي عن الباقر عليه السلام انه قال ان الله تعالى وضع تحت العرش اربع اساطين وسماه الضراح وهو البيت المعمور وقال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا في الارض بيتا بمثاله وقدره وامر من في الارض ان يطوفوا بالبيت وفي كتاب العياشي باسناده عن الصادق عليه السلام قال ان الله انزل الحجر الاسود من الجنة لادم عليه السلام وكان البيت درة بيضاء فرفعه الله تعالى الى السماء وبقي اساسه فهو حيال هذا البيت وقال يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فامر الله سبحانه ابرهيم واسمعيل ان يبنيا البيت على القواعد وعن امير المؤمنين عليه السلام ان اول شيء نزل من السماء الى الارض فهو البيت الذي بمكة انزله الله ياقوتة حمراء ففسق قوم نوح في الارض فرفعه وقوله واسمعيل اي يرفع ابرهيم واسمعيل اساس الكعبة يقولان ربنا تقبل منا وفي حرف عبد الله بن مسعود ويقولان ربنا تقبل منا ومثله قوله سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اي يقولون وقال بعضهم تقديره يقول ربنا يريده الى ابرهيم عليه السلام قال لان ابرهيم وحده رفع القواعد من البيت وكان اسمعيل صغيرا في وقت رفعها وهو شاذ غير مقبول لشذوذه فان الصحيح ان ابرهيم واسمعيل كانا يبنيان الكعبة جميعا وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجر فوصفا بانهما رفعا البيت عن ابن عباس وفي قوله ربنا تقبل منا دليل على انهما بنيا الكعبة مسجدا لا مسكنا لانهما التمسا الثواب عليه والثواب انما يطلب على الطاعة ومعنى تقبل منا اثبنا على عملنا وهو مشبه بقبول الهدية فان الملك اذا قبل الهدية من انسان اثابه على ذلك وقوله انك انت السميع العليم اي انت السميع لدعائنا العليم بنا وبما يصلحنا وروي عن الباقر عليه السلام ان اسمعيل اول من شق لسانه بالعربية وكان ابوه يقول له وهما يبنيان البيت يا اسمعيل هابي ابن اي اعطني حجرا فيقول له اسمعيل بالعربية يا ابة هاك حجرا فابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة وفي هذه الاية دلالة على ان الدعاء عند الفراغ من العبادة مرغب فيه

مندوب اليه كما فعله ابرهيم واسمعيل عليهما السلام قصة هاجر واسمعيل وهاجر روى علي بن ابرهيم بن هاشم عن ابيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق عليه السلم قال ان ابرهيم عليه السلم كان نازلا في بادية الشام فلما ولد له من هاجر اسمعيل اغتمت سارة من ذلك غما شديدا لانه لم يكن له منها ولد وكانت تؤذي ابرهيم في هاجر وتغمه فشكا ذلك ابرهيم الى الله عز وجل فاوحى الله اليه انما مثل المراة مثل الضلع المعوج ان تركته استمتعت به وان رمت ان تقيمه كسرته وقد قال القائل في ذلك هي الضلع العوجاء لست تقيمها الا ان تقويم الضلوع انكسارها ثم امره ان يخرج اسمعيل وامه عنها فقال اي رب الى اي مكان قال الى حرمي وامني واول بقعة خلقتها من ارضي وهي مكة وانزل عليه جبرئيل بالبراق فحمل هاجر واسمعيل وابرهيم فكان ابرهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع الا قال يا جبرئيل الى ههنا الى ههنا فيقول جبرئيل لا امض امض حتى وافى مكة فوضعه في موضع البيت وقد كان ابرهيم عاهد سارة ان لا ينزل حتى يرجع اليها فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر فالقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلت تحته فلما سرحهم ابرهيم ووضعهم واراد الانصراف عنهم الى سارة قالت له هاجر لم تدعنا في هذا الموضع الذي ليس فيه انيس ولا ماء ولا زرع فقال ابرهيم عليه السلم ربي الذي امرني ان اضعكم في هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى وهو جبل بذي طوى التفت اليهم ابرهيم فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الى قوله يشكرون ثم مضى وبقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش اسمعيل فقامت هاجر في الوادي حتى صارت في موضع المسعى فنادت هل في الوادي من انيس فغاب عنها اسمعيل فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنت انه ماء فنزلت في بطن الوادي وسعت فلما بلغت المسعى غاب عنها اسمعيل ثم لمع لها السراب في ناحية الصفا وهبطت الى الوادي تطلب الماء فلما غاب عنها اسمعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت الى اسمعيل حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت الى اسمعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعدت حتى جمعت حوله رملا وانه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحش على الماء فنظرت جرهم الى تعكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا الى امراة وصبي نزول في ذلك الموضع قد استظلوا بشجرة قد ظهر لهم الماء فقالوا لهاجر من انت وما شانك وشان هذا الصبي فقالت انا ام ولد ابرهيم خليل الرحمن عليه السلم وهذا ابنه امره الله ان يتركنا ههنا فقالوا لها اتاذنين ان تكون بالقرب منكم قالت حتى اسال ابرهيم عليه السلم قال فزارها ابرهيم يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله ان ههنا قوما من جرهم يسالونك ان تاذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا افتاذن لهم في ذلك فقال ابرهيم نعم فاذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم وانست هاجر واسمعيل بهم فلما زارهم ابرهيم في المرة الثالثة ونظر الى كثرة الناس حولهم سر بذلك سرورا شديدا فلما تحرك اسمعيل وكانت جرهم قد وهبوا لاسمعيل كل واحد منهم شاة وشاتين فكانت هاجر واسمعيل يعيشان بها فلما بلغ مبلغ الرجال امر الله تعالى ابرهيم ان يبني البيت فقال يا رب في اي بقعة قال في البقعة التي انزلت على ادم القبة فاضاءت الحرم قال ولم تزل القبة التي انزلها الله على ادم قائمة حتى كان ايام الطوفان في زمن نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبة وغرقت الدنيا ولم تغرق مكة فسمي البيت العتيق لانه اعتق من الغرق فلما امر الله عز وجل ابرهيم ان يبني البيت لم يدر في اي مكان يبنيه فبعث الله جبرئيل عليه السلم فخط له موضع البيت وانزل عليه القواعد من الجنة وكان الحجر الذي انزله الله على ادم اشد بياضا من الثلج فلما مسته ايدي الكفار اسود قال فبنى ابرهيم البيت ونقل اسمعيل الحجر من ذي طوى فرفعه في السماء تسعة اذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه ابرهيم ووضعه في موضعه الذي هو فيه وجعل له بابين بابا الى المشرق وبابا الى المغرب فالباب الذي الى المغرب تسمى المستجار ثم القى عليه الشيح والاذخر وعلقت هاجر على بابه كساء كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه وفرغ حج ابرهيم واسمعيل ونزل عليهما جبرئيل يوم التروية لثمان خلت من ذي الحجة فقال يا ابرهيم قم فارتو من الماء لانه لم يكن بمنى وعرفات ماء فسميت التروية لذلك ثم اخرجه الى منى فبات بها ففعل به ما فعل بادم فقال ابرهيم عليه السلم لما فرغ من بناء البيت رب اجعل هذا البلد امنا وارزق اهله من الثمرات الاية قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم اية القراءة قرا ابن كثير ارنا باسكان الراء في كل القران ووافقه ابن عامر وابو بكر عن عاصم في السجدة ربنا ارنا اللذين وقرا ابو عمرو بالاختلاس لكسرة الراء من غير اشباع في كل القران والباقون بالكسر الحجة الاختيار كسر الراء لانها كسرة للهمزة حولت الى الراء لان اصله اراينا فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت الهمزة ولان في اسكان الراء بعد اسقاط الهمزة اجحافا بالكلمة وابطالا للدلالة على الهمزة ومن سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد وفخذ وذلك نحو قول الشاعر لو عصر منه البان والمسك انعصر وقالت سليمى اشتر لنا سويقا واشتر وعجل خادما لبيقا واما الاختلاس فلطلب الخفة وبقاء الدلالة على حذف الهمزة اللغة الاسلام هو الانقياد لامر الله تعالى بالخضوع والاقرار بجميع ما اوجب الله وهو والايمان واحد عندنا وعند المعتزلة وفي الناس من قال بينهما فرق ويبطله قوله سبحانه ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه والمناسك هنا المتعبدات قال الزجاج كل متعبد منسك والنسك في اللغة العبادة ورجل ناسك عابد وقد نسك نسكا والنسك

الذبيحة يقال من فعل كذا فعليه نسك اي دم يهريقه والنسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي يذبح فيه النسائك والمنسك ايضا هو النسك نفسه قال سبحانه ولكل امة جعلنا منسكا وقال ابن دريد النسك اصله ذبائح كانت تذبح في الجاهلية والنسيكة شاة كانوا يذبحونها في المحرم في الاسلام ثم نسخ ذلك بالاضاحي قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا قال ابو علي الفسوي المناسك جمع منسك وهو المصدر جمع لاختلاف ضروبه الاعراب اللام في لك تتعلق بمسلمين ومن ذريتنا من فيه يتعلق بمحذوف تقديره واجعل من ذريتنا فالجار والمجرور مفعول اجعل وامة مفعول ثان لاجعل وارنا يحتمل وجهين احدهما ان يكون منقولا من رايت الذي هو ادراك البصر نقلت الهمزة فتعدت الى مفعولين والتقدير حذف المضاف كانه ارنا مواضع مناسكنا اي عرفنا ها لنقضي نسكنا فيها وذلك نحو مواقيت الاحرام والموقف بعرفات وموضع الطواف فهذا من رايت الموضع واريته اياه والاخر ان يكون منقولا من نحو قولهم فلان يرى راي الخوارج فيكون معناه علمنا مناسكنا ومثله قول الشاعر اريني جوادا مات هزلا لعلني اري ما ترين او بخيلا مخلدا اراد دليني ولم يرد روية العين المعنى ثم ذكر تمام دعائهما عليهما السلم فقال سبحانه ربنا واجعلنا مسلمين لك اي قالا ربنا واجعلنا مسلمين في مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين في ماضي عمرنا بان توفقنا وتفعل بنا الالطاف التي تدعونا الى الثبات على الاسلام ويجري ذلك مجرى ان يؤدب احدنا ولده ويعرضه لذلك حتى صار اديبا فيجوز ان يقال جعل ولده اديبا وعكس ذلك اذا عرضه للبلاء والفساد جاز ان يقال جعله ظالما فاسدا وقيل ان معنى مسلمين موحدين مخلصين لك لا نعبد الا اياك ولا ندعو ربا سواك وقيل قائمين بجميع شرايع الاسلام مطيعين لك لان الاسلام هو الطاعة والانقياد والخضوع وترك الامتناع وقوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل من ذريتنا اي من اولادنا ومن للتبعيض وانما خص بعضهم لان الله تعالى اعلم ابرهيم عليه السلم ان في ذريته من لا ينال عهده لما يرتكبه من الظلم وقال السدي اراد بذلك العرب والصحيح الاول امة مسلمة لك اي جماعة موحدة منقادة لك يعني امة محمد صلى الله عليه واله بدلالة قوله وابعث فيهم رسولا منهم ويروى عن الصادق عليه السلم ان المراد بالامة بنو هاشم خاصة وقوله وارنا مناسكنا اي عرفنا هذه المواضع التي يتعلق النسك بها لنفعله عندها ونقضي عباداتنا فيها على حد ما يقتضيه توفيقنا عليها قال قتادة فاراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والافاضة من عرفات ومن جمع ورمي الجمار حتى اكمل بهما الدين وقال عطا ومجاهد معنى مناسكنا مذابحنا والاول اقوى وقوله وتب علينا فيه وجوه احدها انهما قالا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبد والانقطاع الى الله تعالى ليقتدي بهما الناس فيها وهذا هو الصحيح وثانيها انهما سالا التوبة على ظلمة ذريتهما وثالثها ان معناه ارجع علينا بالمغفرة والرحمة وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة عليهم او ارتكاب القبيح منهم لان الدلائل القاهرة قد دلت على ان الانبياء معصومون منزهون عن الكباير والصغاير وليس هنا موضع بسط الكلام في ذلك انك انت التواب اي القابل للتوبة من عظايم الذنوب وقيل الكثير القبول للتوبة مرة بعد اخرى الرحيم بعباده المنعم عليهم بالنعم العظام وتكفير السيئات والاثام وفي هذه الاية دلالة على انه يحسن الدعاء بما يعلم الداعي انه يكون لا محالة لانهما كانا عالمين بانهما لا يقارفان الذنوب والاثام ولا يفارقان الدين والاسلام قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم اية اللغة العزيز القدير الذي لا يغالب وقيل هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء اراد فعله ونقيض العز الذل وعز يعز عزة وعزا اذا صار عزيزا وعز يعز عزا اذا قهر ومنه قولهم من عز بز اي من غلب سلب واعز الشيء اذا صلب وهو من العزاز من الارض وهو الطين الصلب الذي لا يبلغ ان يكون حجارة وعز الشيء اذا قل حتى لا يكاد يوجد واعتز فلان بفلان اذا اشرف به والحكيم معناه المدبر الذي يحكم الصنع ويحسن التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل ويكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات الاعراب ابعث جملة فعلية معطوفة على تب فيهم يتعلق بابعث ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره رسولا كائنا فيهم فيكون في موضع نصب على الحال ويتلو منصوب الموضع بكونه صفة لقوله رسولا اي تاليا وعليهم يتعلق بيتلو المعنى الضمير في قوله فيهم يرجع الى الامة المسلمة التي سال الله ابرهيم ان يجعل من ذريته والمعنى بقوله وابعث فيهم رسولا منهم هو نبينا صلى الله عليه واله السلم انه قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة عيسى عليهما السلم يعني قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وهو قول الحسن وقتادة وجماعة من العلماء ويدل على ذلك انه دعا بذلك لذريته الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنته الاية في قوله ربنا وابعث فيهم اي في هذه الذرية رسولا منهم ولم يبعث الله من هذه صورته الا محمدا صلى الله عليه واله وقوله يتلو عليهم اياتك اي يقرا عليهم اياتك التي توحي بها اليه ويعلمهم الكتاب اي القران وهذا لا يعد من التكرار لانه خص الاول بالتلاوة ليعلموا بذلك انه معجز دال على صدقه ونبوته وخص الثاني بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد وادلته ويشتمل عليه من احكام شريعته وقوله والحكمة قيل هي ههنا السنة عن قتادة وقيل المعرفة بالدين والفقه في التاويل

عن ابن زيد وقيل العلم بالاحكام التى لا يدرك علمها الا من قبل الرسل عن ابن زيد وقيل انه صفة للكتاب كانه وصفه بانه كتاب وانه حكمة وانه ايات وقيل
الحكمة شئ يجعله الله فى القلب ينوره به كما ينور البصر فيدرك المبصر وقيل هى مواعظ القران وحلاله وحرامه عن مقاتل وكل حسن وقوله ويزكيهم اى يجعلهم مطيعين
مخلصين والزكاء هو الطاعة والاخلاص لله سبحانه عن ابن عباس وقيل معناه يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه عن ابن جريج وقيل معناه يستدعيهم الى
فعل ما يزكون به من الايمان والصلاح عن الجبائى وقيل يشهد لهم بانهم ازكيا يوم القيمة اذا شهد على كل نفس بما كسبت عن الاصم وقوله انك انت العزيز الحكيم اى
القوى فى كمال قدرتك المنيع فى جلال عظمتك المحكم لبدايع صنعتك وانما ذكرهاتين الصفتين لاتصالهما بالدعاء فكانه قال فرغبنا اليك فى دعائنا لانك القادر
على اجابتنا العالم بما فى ضمايرنا وبما هو اصلح لنا مما لا يبلغه علمنا وقصار بصايرنا وفى هذه الاية دلالة على ان ابرهيم واسمعيل عليهما السلم دعوا
لمحمد صلى الله عليه وآله بجميع شرايط النبوة لان تحت التلاوة الاداء وتحت التعليم البيان وتحت الحكمة السنة ودعوا الامة باللطف الذى لاجله تمسكوا بالكتاب
والشرع فصاروا ازكياء وهذا الان الدعاء صدر من اسمعيل عليه السلم فعلم بذلك ان النبى المدعو به من ولد لا من ولد اسحق ولم يكن فى ولد اسمعيل نبى الا
نبينا صلى الله عليه وآله سيد الانبياء **قوله عز وجل وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرٰهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ**
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ اية اللغة الرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة ورغبت فيه ضد رغبت عنه والرغبة والمحبة والارادة نظاير ونقيض الرغبة
الرهبة ونقيض المحبة البغضة ونقيض الارادة الكراهة ويقول رغبت فيه رغبة ورغبا ورغبا ورغبى اذا املت اليه ورغبت عنه اذا اصددت عنه ورجل
رغيب بين شديد الاكل وفرس رغيب الشحوة اى كثير الاخذ بقوايمه من الارض وموضع رغيب واسع والرغيبة العطا الكثير الذى يرغب فى مثله والاصطفا
والاختيار والاجتباء نظاير والصفا والنقا والخلوص نظاير والصفو نقيض الكدر وصفوة كل شئ خالصه وصفى الانسان اخوه الذى يصافيه المودة
وناقة صفى كثيرة اللبن ونخلة صفية كثيرة الحمل والجمع الصفايا واصطفينا على وزن افتعلنا من الصفوة وانما قلبت التاء طاء لانها اشبه بالصاد بالاستعلا
والاطباق وهى من مخرج التاء فاتى بحرف وسط بين الحرفين **الاعراب** من يرغب لفظ من للاستفهام ومعناه الجحد فكانه قال ما يرغب عن ملة ابرهيم
ولا يزهد فيها الا من سفه نفسه اى الذى سفه نفسه فمن الاولى على الاستفهام والثانية بمعنى الذى والا حرف الاستثناء ويجوز ان يكون لنقض النفى
ومن اسم موصول وسفه نفسه صلته والموصول والصلة فى محل النصب على الاستثناء او فى محل الرفع بكونه بدلا من الضمير الذى فى يرغب وفى انتصاب نفسه
خلاف قال الاخفش معناه سفه نفسه وقال يونس اراها لغة قال الزجاج اراد ان فعل لغة فى المبالغة كما ان فعل كذلك ويجوز على هذا القول
سفهت زيدا بمعنى سفهت زيدا وقال ابو عبيدة معناه اهلك نفسه واوبق نفسه فهذا كله وجه واحد والوجه الثانى ان يكون على التفسير كقوله فان
طبن لكم عن شئ منه نفسا وهو قول الفرا قال ان العرب توقع سفه على نفسه وهى معرفة وكذلك بطرت معيشتها وانكر الزجاج هذا الوجه قال ان معنى
التمييز لا يحتمل التعريف لان التمييز انما هو واحد يدل على جنس او خلة تخلص من خلال فاذا عرفته صار مقصودا قصده وهذا لم يقله احد ممن تقدم من
النحويين والوجه الثالث ان يكون على التمييز والاضافة على تقدير الانفصال كما تقول مررت برجل مثله اى مثل له والوجه الرابع ان يكون على حذف الجار فى
معنى سفه فى نفسه كقوله سبحانه ولا جناح عليكم ان تسترضعوا اولادكم اى لاولادكم فحذف حرف الجر من غير ظرف ومثله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة
النكاح ومثله قول الشاعر نغالى اللحم للاضياف نيا ونبذله اذا نضج القدور والمعنى نغالى باللحم قال الزجاج وهذا مذهب صحيح والوجه الخامس ما
اختاره الزجاج وهو ان سفه بمعنى جهل وهو موافق فى المعنى لما قاله السراج فى قوله بطرت معيشتها ان البطر مستقل للنعمة غير راض بها فعلى هذا يكون نفسه
مفعولا به وانه فى الاخرة فى يتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال وذو الحال الضمير المستكن فى قوله من الصالحين **النزول** روى ان عبد الله بن
سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لقد علمتما ان صفة محمد فى التورية فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله هذه الاية **المعنى**
لما بين سبحانه قصة ابرهيم وان ملته ملة محمد صلى الله عليه وآله عقبه بذكر الحث على اتباعها فقال ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه اى لا يترك دين ابرهيم وشريعته
الا من اهلك نفسه واوبقها وقيل اضل نفسه عن الحسن وقيل جهل قدره لان من جهل خالقه فهو جاهل بنفسه عن الاصم وقيل جهل نفسه بما فيها من الايات
الدالة على ان لها صانعا ليس كمثله شئ عن ابى مسلم وقوله ولقد اصطفيناه فى الدنيا اى اخترناه بالرسالة واجتبيناه وانه فى الاخرة لمن الصالحين اى من الفايزين
عن الزجاج وقيل معناه لمع الصالحين اى مع ابايه الانبياء فى الجنة عن ابن عباس وقيل انما خص الاخرة بالذكر وان كان فى الدنيا كذلك لان المعنى من الذين
يستوجبون على الله سبحانه الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص الثواب فى الاخرة دون الدنيا وصفه فيها بما ينبئ عن ذلك وفى قوله سبحانه ومن يرغب عن ملة
ابرهيم الا من سفه نفسه دلالة على ان ملة ابرهيم داخلة فى ملة محمد صلى الله عليه وآله مع زيادات فى ملة محمد فبين ان الذين يرغبون من الكفار عن ملة محمد التى هى ملة ابرهيم قد سفهوا

انفسهم وهذا معنى قول قتادة والربيع ويدل عليه قوله ملة ابيكم ابرهيم **قوله عز وجل إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**
اية الاعراب قال فعل وفاعل وله جار ومجرور واللام يتعلق بقال وقال ربه مجرور الموضع باضافة اذ اليه واللام فى لرب العالمين يتعلق باسلمت
المعنى هذا متصل بقوله ولقد اصطفيناه وموضع اذ نصب باصطفيناه وتقديره ولقد اصطفيناه حين قال له ربه اسلم واختلف فى انه متى قيل له ذلك فقال
الحسن كان هذا حين افلت الشمس وراى ابرهيم تلك الايات والادلة فاستدل بها على وحدانية الله سبحانه وقال يا قوم انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى
الاية وانه اسلم حينئذ وهذا يدل على انه كان ذلك قبل النبوة وانه قال له ذلك الهاما اى استدعاه الى الاسلام فاسلم حينئذ لما وضح له طريق الاستدلال بما
راى من الايات ولا يصح ان يوحى الله اليه قبل اسلامه بانه نبى الله لان النبوة حال اجلال واعظام ولا يكون ذلك قبل الاسلام وقال ابن عباس انما قال ذلك ابرهيم
عليه السلم حين خرج من السرب وقيل انما قال ذلك بعد النبوة ومعنى اسلم استقم على الاسلام واثبت على التوحيد كقوله سبحانه فاعلم انه لا اله الا الله وقيل ان معنى
اسلم اخلص دينك بالتوحيد وقوله اسلمت لرب العالمين اى اخلصت الدين لله رب العالمين **قوله عز وجل وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا**
بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ اية القراءة قرا اهل المدينة والشام واوصى بهمزة بين الواوين وتخفيف الصاد وقرا الباقون
ووصى مشددة الصاد **الحجة** حجة من قرا ووصى قوله تعالى فلا يستطيعون توصية فتوصية مصدر وصى مثل قطع تقطيعة ولا يكون مصدر اوصى لانك لو قلت
فى مصدره ايصية لكان يجتمع ثلاث ياءات فرفض ذلك وحجة من قرا واوصى بها ابرهيم قوله يوصيكم الله ومن بعد وصية توصون بها واوصى واوصى
وامر وعهد بمعنى وقد قالوا وصى النبت اذا اتصل بعضه ببعض فالوصية كان الموصى بالوصية وصل حبل امره بالموصى اليه **الاعراب** يعقوب رفع
لانه عطف على ابرهيم والتقدير ووصى ابرهيم ويعقوب وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل انه على الاستيناف كانه قال ووصى يعقوب ان يا بنى
ان الله اصطفى لكم الدين والاول اظهر والفرق بين التقديرين ان الاول لا اضمار فيه لانه معطوف والثانى فيه اضمار والهاء فى بها يعود الى الملة وقد
تقدم ذكرها وهو قول الزجاج وقيل انها تعود الى الكلمة التى هى اسلمت لرب العالمين والالف واللام فى الدين للعهد دون الاستغراق لانه اراد المسلمين دين
الاسلام وقوله فلا تموتن وان كان على اللفظ النهى لهم عن الموت فالنهى على الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت عليه ومثله من كلام العرب لا ارينك
ههنا فالنهى فى اللفظ للمتكلم وانما هو فى الحقيقة للمخاطب فكانه قال لا تتعرض لان اراك بكونك ههنا وقوله وانتم مسلمون جملة فى موضع الحال وتقديره
لا تموتوا الا مسلمين وذو الحال الواو فى تموتوا ومعناه ليأتكم الموت وانتم مسلمون **المعنى** لما بين عز اسمه دعاء ابرهيم لذريته وحكم بالسفه على من
رغب عن ملته ذكر اهتمامه بامر الدين وعهده به الى بنيه فى وصيته فقال ووصى بها اى بالملة او بالكلمة التى هى قوله اسلمت لرب العالمين ويؤيده
قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه وقيل بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله ابرهيم بنيه انما خص البنين لان اشفاقه عليهم اكثر وهم بقبول وصيته اجدر
والا فمن المعلوم انه كان يدعو جميع الانام الى الاسلام ويعقوب هو ابن اسحق وانما سمى يعقوب لانه وعيصا كانا توامين فتقدم عيص وخرج يعقوب
على اثره اخذا بعقبه عن ابن عباس والمعنى ووصى يعقوب بنيه الاثنى عشر وهم الاسباط يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين اى فقالا جميعا يا بنى ان الله
اختار لكم دين الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اى لا تتركوا الاسلام فيصادفكم الموت على تركه او لا تتعرضوا للموت على ترك الاسلام بفعل الكفر
وقال الزجاج معناه الزموا الاسلام فاذا ادرككم الموت صادفكم مسلمين وفى هذه الاية دلالة على الترغيب فى الوصية عند الموت وانه ينبغى ان
يوصى الانسان من يلى امره بتقوى الله ولزوم الدين والطاعة **قوله عز وجل أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا**
تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ إِلٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ اية اللغة
الشهداء جمع شهيد والشاهد والحاضر من النظاير يقول حضرت القوم احضرهم حضورا اذا شهدتهم والحضيرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة
واحضر الفرس احضارا اذا عدا عدوا شديدا وحاضرت الرجل محاضرة اذا عدوت معه وحاضرته اذا جاثيته عند السلطان او فى خصومة وحضرة
الرجل فناؤه واصل الباب الحضور خلاف الغيبة **الاعراب** ام ههنا منقطعة وهو لا يجئ الا ويتقدمها كلام لانها التى تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام
كانه قيل بل اكنتم شهداء ومعناها ههنا الجحد اى ما كنتم شهداء وانما كان اللفظ على الاستفهام والمعنى على خلافه لان اخراجه مخرج الاستفهام ابلغ فى الكلام
واشد مظاهرة فى الحجاج اذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة او الانكار له فيظهر الفضيحة واذ الاولى ظرف من قوله شهداء واذ الثانية بدل
من اذ الاولى وقيل العامل فى الثانية حضر وكلاهما جايز وما للاستفهام وهو منصوب الموضع لانه مفعول تعبدون ومن بعدى الجار والمجرور فى موضع النصب
على الظرف وقوله الها منصوب على احد وجهين ان يكون حالا فكانه قال نعبد الهك فى حال وحدانيته او يكون بدلا من الهك ويكون الفايدة فيه

ذكر التوحيد ونحن له مسلمون جملة في موضع الحال ويجوز ان يكون على الاستيناف فلا يكون لها موضع من الاعراب وابرهيم واسمعيل واسحق في موضع
جر على البدل من ابائك كما تقول مررت بالقوم اخيك وغلامك صاحبك المعنى خاطب سبحانه اهل الكتاب فقال ام كنتم شهداء اي ما كنتم حضورا
اذ حضر يعقوب الموت وما كنتم حضورا اذ قال يعقوب لبنيه ما تعبدون من بعدي ومعناه انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الاباطيل بان
تنسبوهم الى اليهودية والنصرانية فاني ما بعثتهم الا بالحنيفية وذلك ان اليهود قالوا ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فرد الله تعالى عليهم قولهم
وانما قال ما تعبدون ولم يقل من تعبدون لان الناس كانوا يعبدون الاصنام فقال اي الاشياء تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله
ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق وانما قدم ذكر اسماعيل على اسحق لانه كان اكبر منه واسمعيل كان عم يعقوب وجعله ابا له لان العرب تسمي العم ابا كما تسمي الجد
ابا وذلك لانه يجب تعظيمهما كتعظيم الاب ولهذا قال النبي صلى الله عليه واله ردوا على ابي يعني العباس عمه الها واحدا ونحن له مسلمون اي مذعنون مقرون
بالعبودية وقيل خاضعون منقادون مستسلمون لامره ونهيه قولا وعقدا وقيل داخلون في الاسلام يدل عليه قوله ان الدين عند الله الاسلام قوله
عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون اية اللغة الامة على وجوه الاول الجماعة كما
في الاية والثاني القدوة والامام في قوله ان ابرهيم كان امة والثالث القامة في قول الاعشى وان معوية الاكرمين حسان الوجوه طوال الامم والرابع
الاستقامة في الدين والدنيا قال النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو امة وهو طايع اي ذو ملة ودين والخامس الحين في قوله و
ادكر بعد امة والسادس اهل الملة الواحدة في قولهم امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه واله واصل الباب القصد من امه يؤمه اما اذا قصده وخلت
اي مضت واصله الانفراد يقال خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان من اهله اذا انفرد منهم والفرق بين الخلو والفراغ ان الخلو اذا لم يكن مع الشيء
غيره وقد فرغ من الشيء وهو معه يقال فرغ من البناء وهو معه فاذا قيل خلا منه فليس معه والكسب العمل الذي يجلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس وكسب
لاهله اذا اجتلب ذلك لهم بعلاج ومراس ولذلك لا يطلق الكسب في صفة الله الاعراب قوله لها ما كسبت يحتمل ان يكون في موضع نصب على الحال كانه
قيل ملازمة ما تستحقه بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لانها مستانفة فلا يكون جزءا من الاول لكن تكون متصلة به في المعنى وان لم يكن جزءا منه لانهما
خبران في المعنى عن شيء واحد فكانه قيل الجماعة قد خلت والجماعة لها ما كسبت عما كانوا يعملون ما اسم موصول وكانوا يعملون صلته والموصول والصلة في
موضع الجر بعن وعن يتعلق بتسألون المعنى تلك امة قد خلت اي جماعة قد مضت يعني ابرهيم واولاده لها ما كسبت اي ما عملت من طاعة او معصية ولكم
يا معشر اليهود والنصارى ما كسبتم اي ما عملتم من طاعة او معصية ولا تسألون عما كانوا يعملون اي لا يقال لكم لم عملوا كذا وكذا على جهة المطالبة لكم بما يلزمهم
من اجل اعمالهم كما لا يقال لهم لم علمتم انتم كذا وكذا وانما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره كما قال سبحانه ولا تزر وازرة وزر اخرى وفي الاية دلالة على
بطلان قول المجبرة ان الابناء يواخذون بذنوب الاباء وان ذنوب المسلمين تحمل على الكفار لان الله نفى ذلك قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا
او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اية اللغة الحنيف المايل عن الاديان الباطلة الى الدين الحق قال
ابن دريد الحنيف العادل عن دين الى دين وبها سميت الحنيفية لانها مالت عن اليهودية والنصرانية وقيل الحنيف الثابت على الدين المستقيم والحنيفية الاستقامة
على دين ابرهيم وانما قيل للذي يقبل احدى قدميه على الاخرى احنف تفألا بالسلامة كما قيل للمهلكة مفازة تفألا بالفوز والنجاة وهو كثير من المفسرين واهل
اللغة وقال الزجاج اصله من الحنف وهو ميل في صدر القدم وسمي الاحنف لحنف كان به وقالت حاضنته وهو ترقصه والله لولا حنف برجله ما كان في صبيانكم
كمثله وفي الحديث احب الاديان الى الله تعالى الحنيفية السمحة وهي ملة النبي صلى الله عليه واله لا حرج فيها ولا ضيق الاعراب جزم تهتدوا على الجواب للامر
ومعنى الشرط قايم في الكلام اي ان تكونوا على هذه الملة تهتدوا فانما الجزم تهتدوا على الحقيقة بالجزاء وقوله ملة ابرهيم انتصابه وجوه احدها ان تقديره بل نتبع
ملة ابرهيم لان قولهم كونوا هودا او نصارى يتضمن معنى اتبعوا اليهودية او النصرانية وتقديره قالوا اتبعوا اليهودية قل بل اتبعوا ملة ابرهيم فهذا عطف على المعنى
والثاني ان يكون على الحذف كانه قيل بل نتبع ملة ابرهيم فالاول عطف والثاني حذف والثالث ان ينتصب على تقدير بل نكون اهل ملة ابرهيم فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه كقوله واسأل القرية فهذا عطف على اللفظ وحنيفا نصب على الحال اي في حال حنيفيته النزول عن ابن عباس ان عبد الله بن صوريا
وكعب بن الاشرف ومالك بن الضيف وجماعة من اليهود ونصارى اهل نجران خاصموا اهل الاسلام كل فرقة تزعم انها احق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا
موسى افضل الانبياء وكتابنا التورية افضل الكتب وقالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وكل فريق منهما قالوا للمؤمنين
كونوا على ديننا فانزل الله هذه الاية وقيل ان ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه واله ما الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى

مثل ذلك فانزل الله تعالى هذه الاية المعنى وقالوا الضمير يرجع الى اليهود والنصارى اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى
كل فريق دعا الى ما هو عليه ومعنى تهتدوا اي تصيبوا طريق الحق كانهم قالوا اهتدوا الى الحق اي اذا فعلتم ذلك كنتم قد اهتديتم وصرتم على سنن الاستقامة
قل يا محمد بل ملة ابرهيم اي بل نتبع دين ابرهيم وعلى الوجه الاخر قل اتبعوا دين ابرهيم وقد عرفت الوجوه الثلاثة في الاعراب فلا معنى لاعادتها حنيفا مستقيما
وقيل مايلا الى دين الاسلام وفي الحنيفية اربعة اقوال احدها انها حج البيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وثانيها انها اتباع الحق عن مجاهد وثالثها
انها اتباع ابرهيم فيما اتى به من الشريعة التي صار بها اماما للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرايع الاسلام والرابع انها الاخلاص لله وحده
في الاقرار بالربوبية والاذعان للعبودية وكل هذه الاقوال ترجع الى ما قلناه من معنى الاستقامة والميل الى ما اتى به ابرهيم عليه السلام من الملة وما كان
من المشركين اي وما كان ابرهيم من المشركين نفى الشرك عن ملته واثبته في اليهود والنصارى حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله وفي قوله سبحانه
بل ملة ابرهيم حجة على وجوب اتباع ملة ابرهيم عليه السلام لسلامتها من التناقض ولوجود التناقض في اليهودية والنصرانية فلذلك صارت ملة ابرهيم اولى
بالاتباع من غيرها فمن التناقض في اليهودية منعهم من جواز النسخ مع ما في التورية من الدلالة على جوازه وامتناعهم من العمل بما تقدمت به البشارة في التورية من
اتباع النبي الامي مع اظهارهم التمسك بها وامتناعهم من الاذعان لما دلت عليه الايات الظاهرة والمعجزات الباهرة من نبوة عيسى ومحمد صلى الله عليهما مع
اقرارهم بنبوة موسى عليه السلام لدلالة المعجزات عليها الى غير ذلك من انواع التناقض ومن التناقض في قول النصارى قولهم الاب والابن وروح القدس
اله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن وان الاب اله والابن اله وروح القدس اله وامتناعهم من ان يقولوا ثلثة الهة الى غير ذلك من مناقضاتهم
المذكورة في الكتب قوله عز وجل قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون اية اللغة الاسباط واحدهم سبط
وهم اولاد اسرائيل وهو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وهم اثنا عشر سبطا من اثني عشر ابنا وقالوا الحسن والحسين سبطا رسول الله اي ولداه والاسباط في
بني اسرائيل بمنزلة القبايل في ولد اسمعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون الى اب واحد والسبط في اللغة الشجر فالسبط الذين هم من شجرة واحدة
وقال ثعلب يقال سبط عليه العطاء او الضرب اذا تابع عليه حتى فصل بعضه ببعض وانشد التوزي في قطيع بقر كانه سبط من الاسباط شبهه بالجماعة
من الناس يتتابعون في امر ومن ثم قيل لولد يعقوب اسباط والفرق بين التفريق والفرق ان التفريق جعل الشيء مفارقا لغيره والفرق نقيض
الجمع والجمع جعل الشيء مع غيره والفرق جعل الشيء لا مع غيره والفرق بالحجة هو البيان الذي يشهد ان الحكم لاحد الشيئين دون الاخر الاعراب ما في
تقديره ما اوتيه حذف الهاء العايد الى الموصول ومن في قوله من ربهم يتعلق باوتي او بمحذوف فيكون مع المحذوف في موضع نصب على الحال وذو الحال
ما اوتي لا نفرق جملة منفية منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه امنا ومنهم يتعلق بمحذوف ومجرور الموضع بكونه صفة لاحد ومعنى احد منهم اي بين اثنين
او جماعة وتقديره لا نفرق بين احد واحد منهم المعنى قولوا امنا بالله خطاب للمسلمين وقيل خطاب للنبي والمؤمنين امرهم الله تعالى باظهار ما يدينون به
على الشرح فبدأ بالايمان بالله لانه اول الواجبات ولانه بتقدم معرفته تصح معرفة النبوات والشرايع وما انزل الينا يعني القران نؤمن بانه حق وصدق ونتبعه
في الحال وان تقدمته كتب وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط قال قتادة هم يوسف واخوته بنو يعقوب ولد كل واحد منهم امة
من الناس فسموا الاسباط وبه قال السدي والربيع ومحمد بن اسحق وذكروا اسماء الاثني عشر يوسف وابن يامين وروبيل ويهوذا وشمعون
ولاوي ودان وقهاب ويشجر ونفتالي وجاد واشر فهم ولد يعقوب لا خلاف بين المفسرين فيه وقال كثير من المفسرين انهم كانوا انبياء
والذي يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا انبياء باجمعهم لان ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوه بيوسف عليه السلام لا خفاء فيه والنبي عندنا معصوم من القبايح
صغيرها وكبيرها وليس في ظاهر القران ما يدل على انهم كانوا انبياء وقوله وما انزل اليهم لا يدل على انهم كانوا انبياء لان الانزال يجوز ان يكون على بعضهم ممن
كان نبيا ولم يقع منه ما ذكرناه من الافعال القبيحة ويحتمل ان يكون مثل قوله وما انزل الينا وان كان المنزل على النبي عليه السلام خاصة لكن المسلمين
لما كانوا مامورين بما فيه اضيف الانزال اليهم وقد روى العياشي في تفسيره عن حنان بن سدير عن ابيه عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال قلت له اكان
ولد يعقوب انبياء قال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولاد الانبياء ولم يكونوا فارقوا الدنيا الا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وقوله وما اوتي موسى
وعيسى اي اعطيا وخصهما بالذكر لانه احتجاج على اليهود والنصارى والمراد بما اوتي موسى التورية وبما اوتي عيسى الانجيل وبما اوتي النبيون اي
وما اعطي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم بان نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله اليهود والنصارى فكفرت اليهود بعيسى ومحمد وكفرت النصارى بمحمد عليهما السلام

بليمان ونبينا محمد صلى الله عليه واله ونحن له مسلمون اى نحن لما تقدم ذكره وقيل لله خاضعون بالطاعة مذعنون بالعبودية وقيل منقادون لامره ونهيه وقد مضى هذا مستوفى فيما قبل وفايدة الاية الامر بالايمان بالله تعالى والاقرار بالنبيين وما انزل اليهم من الكتب والشرايع والرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من النبوة وان كانت شرايعهم غير لازمة لنا فان الايمان بهم لا يقتضى لزوم شرايعهم وروى عن الضحاك انه قال علّموا اولادكم واهاليكم وخدمكم اسماء الانبياء الذين ذكرهم الله فى كتابه حتى يؤمنوا بهم ويصدقوا بما جاؤا به فان الله تعالى يقول قولوا امنا بالله الاية ❊ قوله عز وجل فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اية اللغة الشقاق المنازعة والمحاربة ويحتمل ان يكون اصله ماخوذ من الشق لانه صار فى شق صاحبه للعداوة والمباينة ويحتمل ان يكون ماخوذا من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه والكفاية بلوغ الغاية يقال يكفى ويجزى ويغنى بمعنى واحد وكفى يكفى كفاية اذا قام بالامر وكفاك هذا الامر اى حسبك ورايت رجلا كافيك من رجل اى كفاك به رجلا الاعراب الباء فى قوله بمثل ما امنتم به يحتمل ثلاثة اشياء احدها ان يكون زايدة والتقدير فان امنوا مثل ما امنتم به اى مثل ما يمانكم به كما يقال كفى بالله اى كفى الله قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا والثانى ان يكون المعنى بمثل هذا ولا تكون زايدة كانه قال فان امنوا على مثل ايمانكم كما تقول كتبت على مثل ما كتبت وبمثل ما كتبت كانك تجعل المثل آلة توصلها الى العمل وهذا اجود من الاول والثالث ان تلغى مثل كما الغيت الكاف فى قوله ليس كمثله شىء واشباهه وهذا اضعف الوجوه لانه اذا امكن حمل كلام الله على فايدة فلا يجوز حمله على الزيادة وزيادة الاسم اضعف من زيادة الحرف نحو ما ولا وما اشبه ذلك وقوله فقد اهتدوا فى محل الجزم او فى محل الرفع لانه جواب شرط مبنى وكذلك قوله فانما هم فى شقاق وانما هى لاثبات الشىء ونفى غيره وهم مبتدا وفى شقاق فى موضع خبره النزول لما نزل قوله تعالى قولوا امنا بالله الاية قراها النبى صلى الله عليه واله على اليهود والنصارى فلما سمعت اليهود ذكر عيسى انكروا وكفروا وقالت النصارى ان عيسى ليس كساير الانبياء لانه ابن الله فنزلت الاية المعنى فان امنوا اخبر الله سبحانه ان الكفار متى امنوا على حد ما امن المؤمنون به فقد اهتدوا الى طريق الجنة وقيل سلكوا طريق الاستقامة والهداية وقيل كان ابن عباس يقول اقرؤا فان امنوا بما امنتم به فليس لله مثل وهذا محمول على انه فسر الكلام لا انه انكر القراءة الظاهرة مع صحة المعنى وقوله وان تولوا اى اعرضوا عن الايمان وجحدوه ولم يعترفوا به فانما هم فى شقاق اى فى خلاف قد فارقوا الحق وتمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس وقريب منه ما روى عن الصادق عليه السلم انه قال يعنى فى كفر وقيل فى ضلال عن ابى عبيدة وقيل فى منازعة ومحاربة عن ابن زيد وقيل فى عداوة عن الحسن فسيكفيكهم الله وعد الله سبحانه رسوله بالنصرة والكفاية ممن يعاديه من اليهود والنصارى الذين شاقوه وفى هذا دلالة بيّنة على نبوته وصدقه صلى الله عليه واله المعنى ان الله سبحانه يكفيك يا محمد امرهم وهو السميع لاقوالهم العليم باعمالهم فى ابطال امرك ولن يصلوا اليك ❊ قوله عز وجل صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون اية اللغة صبغة الله ماخوذ من الصبغ لان بعض النصارى كانوا اذا ولد لهم مولود غمسوه فى ماء لهم يسمونه المعمودية يجعلون ذلك تطهيرا له فقيل صبغة الله تطهير الله لا تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقيل ان اليهود تصبغ ابناءها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى اى يلقنون اولادهم اليهودية والنصرانية عن قتادة والجبائى لما روى ان عمر بن الخطاب اخذ العهد على بنى تغلب ان لا يصبغوا اولادهم اى لا يلقنوهم النصرانية لكن يدعونهم حتى يبلغوا فيختاروا لانفسهم ما شاؤا من الاديان وقيل سمى الدين صبغة لانه هيئة تظهر بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلوة وغير ذلك من الاثار الجميلة التى هى كالصبغة عن الجبائى قال امية فى صبغة الله كان اذ نسى العهد وخلى الصواب اذ يعزما ويقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء وضمها وكسرها صبغا بفتح الصاد وكسرها الاعراب نصب صبغة الله على انه بدل من قوله ملة ابرهيم وتفسير له عن الاخفش وقيل انه نصب على الاغراء تقديره اتبعوا صبغة الله او الزموا صبغة الله ومن استفهام وهو مبتدا واحسن خبره وصبغة نصب على التمييز المعنى صبغة الله اى اتبعوا دين الله عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد ويقرب منه ما روى عن الصادق عليه السلم قال يعنى به الاسلام وقيل شريعة الله التى هى الختان الذى هو تطهير عن الفراء والبلخى وقيل فطرة الله التى فطر الناس عليها عن ابى العالية وغيره ومن احسن من الله صبغة اى لا احد احسن من الله صبغة اى دينا اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الجحد عن الحسن وغيره ونحن له عابدون اى من نحن له عابدون يجب ان يتبع صبغته لا ما صبغنا عليه الاباء والاجداد وقيل ونحن له عابدون فى اتباعنا ملة ابرهيم صبغة الله ❊ قوله عز وجل قل اتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون اية اللغة المحاجة والمجادلة والمخاصمة نظاير والاعمال والاحداث والافعال نظاير والاخلاص والافراد والاختصاص نظاير وضد الخالص المشوب الاعراب وهو ربنا وربكم المبتدا وخبره فى موضع النصب على الحال والعامل فيه تحاجوننا وذو الحال

الواو ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم مبتدان وخبران والجملتان فى موضع نصب على الحال بالعطف على وهو ربنا وربكم ونحن له مخلصون كذلك المعنى امره الله سبحانه نبيه عليه السلم فى هذه الاية ان يقول لهؤلاء اليهود وغيرهم اتحاجوننا فى الله ومعناه فى دين الله اى اتخاصموننا وتجادلوننا فيه وهو سبحانه خالقنا وخالقكم والمنعم علينا وعليكم واختلف فى محاجتهم كيف كانت فقيل كانت محاجتهم للنبى عليه السلم انهم يزعمون انهم اولى بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب وقيل بل كانت محاجتهم انهم قالوا نحن احق بالايمان من العرب الذين عبدوا الاوثان وقيل كانت محاجتهم انهم قالوا يا محمد ان الانبياء كانوا منا ولم يكن من العرب نبى فلو كنت نبيا لكنت منا وقال الحسن كانت محاجتهم بان قالوا نحن اولى بالله منكم وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وكان غرضهم بذلك ان الدين يلتمس من جهتهم وان النبوة اولى ان تكون فيهم فبين سبحانه انه اعلم بتدبير خلقه بقوله وهو ربنا وربكم اى خالقنا وخالقكم فهو اعلم حيث يجعل رسالته ومن الذى يقوم باعبايها ويحملها على وجه يكون اصلح للخلق واولى بتدبيرهم وقوله ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى لنا ديننا ولكم دينكم وقيل معناه ما علينا مضرة من اعمالكم وما لكم منفعة من اعمالنا فضرر اعمالكم عليكم ونفع اعمالنا لنا وقيل انه انكار لقولهم ان العرب تعبد الاوثان وبيان لان لا حجة فيه اذ كل ماخوذ بما كسبت يداه ولا يؤخذ احد بجرم غيره وقوله ونحن له مخلصون اى موحدون والمراد بذلك ان المخلص اولى بالحق من المشرك وقيل معناه الرد عليهم بما احتجوا من عبادة العرب للاوثان وكانه قيل لا عيب علينا فى ذلك اذ كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من اسلافكم اذا اعتقدتم الانكار عليهم ذلك ❊ فصل فى الاخلاص روى عن حذيفة بن اليمان قال سالت النبى عليه السلم عن الاخلاص ما هو قال سالت جبرئيل عن ذلك فقال سالت رب العزة عن ذلك فقال هو سر من سرى استودعته قلب من احببت من عبادى وروى عن ابى ادريس الخولانى عن النبى صلى الله عليه واله قال ان لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب ان يحمد على شىء من عمل الله وقال سعيد بن جبير الاخلاص ان يخلص العبد دينه وعمله لله ولا يشرك به فى دينه ولا يرائى بعمله احدا وقيل الاخلاص ان يستوى اعمال العبد فى الظاهر والباطن وقيل ما استتر من الخلايق واستصفى من العلايق وقيل هو ان يكتم حسناته كما يكتم سيئاته ❊ قوله عز وجل ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل انتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون اية القراءة قرا اهل الكوفة غير ابى بكر وابن عامر ام تقولون بالتاء والباقون بالياء الحجة الاولى على الخطاب فيكون ام متصلة بما قبلها من الاستفهام كانه قال اتحاجوننا فى الله ام تقولون ان الانبياء كانوا على دينكم والتقدير باى الحجتين تتعلقون فى امرنا ابالتوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن لهم متبعون والثانى وهو القراءة بالياء على العدول من الحجاج الاول الى حجاج اخر فكانه قال بل يقولون ان الانبياء من قبل ان تنزل التورية والانجيل كانوا هودا او نصارى ويكون ام هذه هى المنقطعة فيكون قد اعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبة جاهل تشنيعة فيقول قد قامت عليه الحجة ام يقول بابطال النظر المؤدى الى المعرفة اللغة الاعلم والاعرف والادرى بمعنى واحد والاظلم والاجور والاعتى نظاير وافعل هذه يستعمل بمعنى الزيادة وانما يصح معناه فيما يقع فيه التزايد كقولهم افضل واطول واكثر واخفى واسهى واحد والغفلة والسهو والنسيان نظاير وهو ذهاب المعنى عن النفس والصحيح ان السهو ليس بمعنى وانما هو فقد علوم مخصوصة فان استمر به السهو صحة سمى جنونا واذا قارنه ضرب من الضعف سمى اغماء واذا قارنه ضرب من الاسترخاء سمى نوما وان قارنه نوع من الطرب سمى سكرا واذا حصل السهو بعد علم سمى نسيانا الاعراب ام الله الله مبتدا وخبره محذوف تقديره ام الله اعلم وعنده ظرف مكان لكتم او يكون صفة لشهادة تقديره شهادة كائنة عنده ومن الله صفة لشهادة ايضا وهى صفة بعد صفة المعنى قد ذكرنا الفرق بين فى المعنى بين قوله ام تقولون على المخاطبة وقوله ام يقولون بالياء على ان يكون المعنى لليهود والنصارى وهم غيب وفى هذا احتجاج عليهم فى قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى من وجوه احدها ما اخبر به نبينا صلى الله عليه واله مع ظهور المعجز الدال على صدقه والثانى ما فى التورية والانجيل من ان هؤلاء الانبياء كانوا على الحنيفية والثالث عندهم انما يقع اسم اليهودية على من تمسك بشريعة التورية واسم النصرانية على من تمسك بشريعة الانجيل والكتابان انزلا بعدهم كما قال سبحانه وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده والرابع انهم ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم الله سبحانه بهذه الوجوه وقوله قل انتم اعلم ام الله صورته الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله انتم اشد خلقا ام السماء بناها ومعناه قل يا محمد لهم انتم اعلم ام الله وقد اخبر الله سبحانه انهم كانوا على الحنيفية وزعمتم انهم كانوا هودا او نصارى فيلزمكم ان تدعوا انكم اعلم من الله وهذا غاية الخزى فان قيل لم قال انتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمونه

فكتموه وانما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم فالجواب ان من قال انهم كانوا على ظن وتوهم فوجه الكلام على قوله واضح ومن قال انهم كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا
يجحدونه فمعناه ان منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه ذلك مع اقراره بان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان ما دل على انه لا يخفى
عليه شيء وهو انه عالم لذاته يعلم جميع المعلومات وقوله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله فيه اقوال احدها ان من في قوله من الله لابتداء الغاية وهو متصل بالشهادة
لا بالكتمان معناه وما احد اظلم ممن يكون عنده شهادة من الله فيكتمها والمراد بهذه الشهادة ان الله تعالى بين في كتابهم صحة نبوة محمد صلى الله عليه واله
والبشارة به عن الحسن وقتادة وقيل المراد بها ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب واولاده كانوا حنفاء مسلمين فكتموا هذه الشهادة وادعوا انهم كانوا على
دينهم عن مجاهد فهذه شهادة من الله عندهم كتموها والثاني ان من متصل بالكتمان اى من اظلم ممن كتم ما في التورية من الله اى من عباد الله او كتم شهادة ان يؤديها
الى الله والثالث ان المراد من اظلم في كتمان الشهادة من الله لو كتمها وذلك نحو قولهم من اظلم ممن جهد على الفقير الضعيف من السلطان الغنى القوى والمعنى انه يلزمكم انه لا
احد اظلم من الله اذ كتم شهادة عنده ليوقع عباده في الضلالة وهو الغنى عن ذلك المتعالى اى لو كانوا هودا او نصارى لاخبر بذلك وهذا معنى قول البلخي وابي مسلم و
قوله وما الله بغافل عما تعملون اوعدهم سبحانه بما يجمع كل وعيد اى ليس الله بساه عن كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله تعالى وقيل هو على عمومه اى لا
يخفى على الله شيء من المعلومات فكونوا على حذر من الجزاء على اعمالكم بما تستحقونه من العقاب قوله عز وجل تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون اية قد مضى تفسير هذه الاية وقيل في وجه تكراره انه عنى بالاول ابرهيم ومن ذكر معه من الانبياء وبالثاني اسلاف
اليهود وقيل انه اذا اختلفت الاوقات والمواطن لم يكن التكرير معيبا ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه يقول اذا سلم لكم ما ادعيتم من ان الانبيا كانوا
على دين اليهودية او النصرانية فليس لكم فيه حجة لانه لا يمتنع اختلاف الشرايع بالمصالح فلله سبحانه ان ينسخ من الشرايع ما شاء ويقر منها ما شاء على حسب
ما يقتضيه الحكمة وقيل ان ذلك ورد مورد الوعظ لهم والزجر حتى لا يتكلوا على فضل الاباء والاجداد فان ذلك لا ينفعهم اذا خالفوا امر الله قوله عز وجل
سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم
اية اللغة السفيه والجاهل والغبى نظاير وقد ذكرنا معنى السفه والسفيه فيما مضى وولاه عنه اى صرفه وقلبه واشتقاقه من الولى وهو القرب وهو حصول الثاني
بعد الاول من غير فصل فالثاني يلي الاول والثالث يلي الثاني ثم هكذا ابدا وولى عنه خلاف ولى اليه مثل قولك عدل عنه وعدل اليه وانصرف عنه وانصرف اليه فان
كان الذي يليه متوجها اليه فهو مول اليه واذا كان متوجها الى خلاف جهته فهو مول عنه والقبلة مثل الجلسة للحال التي تقابل الشيء غيره عليها كما ان الجلسة للحال
التي يجلس عليها وكان يقال فيما حكى هو لي قبلة وانا له قبلة ثم صار علما على الجهة التي تستقبل في الصلوة الاعراب من الناس في محل النصب حال من السفهاء ما
هو مبتداء وولاهم خبره وعن قبلتهم مفعول ولى المعنى ثم ذكر سبحانه الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس الى الكعبة فقال سيقول السفهاء
من الناس اى سوف يقول الجهال وهم الكفار الذين هم بعض الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اى اى شيء حولهم وصرفهم يعني المسلمين عن بيت المقدس
الذي كانوا يتوجهون اليها في صلوتهم واختلف في الذين قالوا ذلك فقال ابن عباس وغيره هم اليهود وقال الحسن هم مشركوا العرب وان رسول الله لما حول الى الكعبة
من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبلة ابائك ثم رجعت اليها فليرجعن الى دينهم وقال السدى هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالاسلام واختلف في
سبب مقالتهم ذلك فقيل انهم قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ عن ابن عباس وقيل انهم قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها ارجع الى قبلتنا نتبعك
ونؤمن بك ارادوا بذلك فتنته عن ابن عباس ايضا وقيل انما قاله مشركوا العرب ليوهموا ان الحق ما هم عليه واما الوجه في الصرف عن القبلة الاولى ففيه قولان
احدهما انه لما علم الله تعالى في ذلك من تغير المصلحة والاخر لما بينه الله سبحانه بقوله لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا
الى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين الذين كانوا يتوجهون الى الكعبة فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه واله الى المدينة كانت اليهود يتوجهون الى بيت المقدس
فامروا بالتوجه الى الكعبة ليتميزوا من اولئك قل لله المشرق والمغرب هو امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم من بيت المقدس
الى الكعبة المشرق والمغرب ملك لله سبحانه يتصرف فيهما كيف شاء على ما يقتضيه حكمته وفي هذا ابطال لقول من زعم ان الارض المقدسة اولى بالتوجه اليها
لانها مواطن الانبياء وقد شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها فرد الله سبحانه عليهم بان المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما
يعلمه من مصالح العباد وعن ابن عباس كانت الصلوة الى بيت المقدس بعد مقدم النبي صلى الله عليه واله المدينة سبعة عشر شهرا وعن البراء بن عازب قال
صليت مع رسول الله صلى الله عليه واله نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة اورده مسلم في الصحيح وعن انس بن مالك انما كان ذلك تسعة
اشهر او عشرة اشهر وعن معاذ بن جبل ثلثة عشر شهرا ورواه علي بن ابرهيم باسناده عن الصادق عليه السلام قال تحولت القبلة الى الكعبة بعد ما صلى النبي عليه واله السلام

اعلم هو الدال على انه

الجزء الثاني

بمكة ثلث عشرة سنة الى بيت المقدس وبعد مهاجره الى المدينة صلى الى بيت المقدس سبعة اشهر قال ثم وجهه الله الى الكعبة وذلك ان اليهود كانوا يعيرون
رسول الله صلى الله عليه واله ويقولون له انت تابع لنا تصلي الى قبلتنا فاغتم رسول الله صلى الله عليه واله من ذلك غما شديدا وخرج في جوف الليل ينظر الى
افاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك امرا فلما اصبح وحضر وقت صلوة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى من الظهر ركعتين فنزل عليه جبرئيل عليه السلام
فاخذ بعضديه وحوله الى الكعبة فانزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فكان صلى ركعتين
الى بيت المقدس وركعتين الى الكعبة فقالت اليهود والسفهاء ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قال الزجاج انما امر بالصلوة الى بيت المقدس لان مكة
وبيت الله الحرام كانت العرب الفة لحجه فاحب الله ان يمتحن القوم بغير ما الفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وقوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم اى
يدله ويرشده الى الدين وانما سماه الصراط لانه طريق الى الجنة المؤدى اليها كما يؤدى الطريق الى المقصد وقيل الى طريق الجنة قوله عز وجل وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا
لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله
بالناس لرءوف رحيم اية القراءة قرا ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم لرؤف على وزن رعوف وقرا ابو جعفر لروف مثقل غير مهموز و
الباقون لرؤف على وزن رعف الحجة وجه من قرا رؤف ان بناء فعول اكثر في كلامهم من فعل الا ترى ان باب ضروب وصبور اكثر من باب يقظ وحذر وقد جاء على هذه
الزنة من صفات الله تعالى نحو غفور وشكور وودود ولا يعلم فعلا فيها وقال كعب بن مالك الانصاري نطيع نبينا ونطيع ربا هو الرحمن كان بنا رؤفا ومن
قرا رؤفا قال ان ذلك الغالب على اهل الحجاز قال الوليد بن عقبة لمعوية وشر الطالبين فلا تكنه لقاتل عمه الرؤف الرحيم وقال جرير ترى للمسلمين عليك حقا كفعل
الوالد الرؤف الرحيم اللغة الوسط العدل وقيل الخيار ومعناهما واحد لان العدل خير والخير عدل وقيل اخذ من المكان الذي هو يعدل المسافة
منه الى اطرافه وقيل بل اخذ من التوسط بين المقصر والغالي فالحق معه قال مورج اى وسطا بين الناس وبين انبيائهم قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا
طرقت احدى الليالي بمعظم قال صاحب العين الوسط من كل شيء اعدله وافضله وقيل الواسط والوسط كما قيل اليابس واليبس وقيل في صفة النبي عليه السلم
كان من اوسط قومه اى من خيارهم والعقب مؤخر القدم وعقب الانسان نسله قال ثعلب نرد على اعقابنا اى نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه
والعقبة الكرة بعد الكرة في الركوب والمشي والتعقيب الرجوع الى امر تريده ومنه ولم يعقب وعقب الليل النهار يعقبه والاضاعة مصدر اضاع يضيع و
ضاع الشيء ضياعا وضيع الشيء تضييعا وقال صاحب العين ضيعة الرجل حرفته يقال ما ضيعتك اى حرفتك ومنه كل رجل وضيعته وترك عياله بضيعة
ومضيعة والضيعة والضياع معروف واصل الضياع الهلاك قال ابو زيد رافت بالرجل اراف به رافة ورآفة ورؤفت اروف به بمعنى الاعراب في الاية
ثلث لامات مختلفات فاللام في قوله لتكونوا لام كي وتكونوا في موضع نصب باضمار ان وتقديره لان تكونوا وان تكونوا في موضع جر باللام لانها اللام الجارة
في اصل واللام في قوله وان كانت لكبيرة لام تاكيد وهي لام الابتداء وصلت بينها وبين ان لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وهي تلزم ان المخففة من
الثقيلة لئلا يلتبس بان النافية التي هي بمعنى ما في مثل قوله ان الكافرون الا في غرور وقال الكوفيون ان في مثل هذا الموضع بمعنى ما واللام بمعنى
الا تقديره وما كانت الا كبيرة وانكر البصريون ذلك لانه لو كان كذلك لجاز ان يقال جاء القوم لزيدا بمعنى الا زيدا واما اللام في قوله وما كان الله
ليضيع ايمانكم فلام تاكيد النفي واصلها لام الاضافة ايضا وينتصب الفعل بعدها باضمار ان ايضا الا انه لا يجوز اظهار ان بعدها لان التقدير ما كان الله مضيعا
ايمانكم فلما حمل معناه على التاويل حمل لفظه ايضا على التاويل من غير تصريح باظهار ان ويجوز اظهار ان بعد لام كي كما ذكرناه والكاف في قوله وكذلك كاف
التشبيه وهو في موضع النصب بالمصدر وذلك اشارة الى الهداية من قوله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم والتقدير انعمنا عليكم بالعدالة كما انعمنا عليكم
بالهداية والعامل في الكاف جعلنا كانه قيل يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فقد انعمنا عليكم بذلك وجعلناكم امة وسطا فانعمنا مثل ذلك الانعام
الا ان جعلنا يدل على انعمنا وهدى الله صلة الذين والضمير العايد الى الموصول محذوف فتقديره على الذين هداهم الله والجار والمجرور في محل النصب
على الاستثناء تقديره وان كانت لكبيرة على الكل الا على الذين هدى الله المعنى ثم بين سبحانه فضل هذه الامة على ساير الامم فقال سبحانه وكذلك جعلناكم
امة وسطا وقد ذكرنا وجه تعلق الكاف المضاف الى ذلك بما تقدم اخبر عز اسمه انه جعل امة نبيه محمد صلى الله عليه واله عدلا وواسطة بين الرسول و
الناس ومتى قيل اذا كان في الامة من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك فالجواب ان المراد به من كان بتلك الصفة ولان كل عصر لا يخلو من جماعة
هذه صفتهم وروى بريد بن معوية العجلي عن الباقر عليه السلام قال نحن الامة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه وفي رواية اخرى قال الينا

يوجع الغالي وبالحق المقصر وروى الحاكم ابو القسم الحكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي عليه السلام ان الله تعالى ايانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس ورسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في ارضه ونحن الذين قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله لتكونوا شهداء على الناس فيه ثلثة اقوال احدها ان المعنى لتشهدوا على الناس باعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الآخرة كما قال وجيء بالنبيين والشهداء وقال ويوم يقوم الاشهاد وقال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة والانبياء وامة محمد صلى الله عليه وآله والجوارح كما قال يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم الآية والثاني ان المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول شهيدا مؤديا للدين اليكم وسمى الشاهد شاهدا لانه يبين ولذلك يقال للشهادة بينة والثالث انهم يشهدون للانبياء على اممهم المكذبين لهم بانهم قد بلغوا وجاز ذلك لاعلام النبي صلى الله عليه وآله اياهم بذلك وقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا اي شاهدا عليكم بما يكون من اعمالكم وقيل حجة عليكم وقيل شهيدا لكم بانكم قد صدقتم يوم القيمة فيما تشهدون به ويكون على بمعنى اللام كقوله وما ذبح على النصب اي للنصب وقوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قيل معناه كنت عليها وانت عليها يعني الكعبة كقوله سبحانه كنتم خير امة اي انتم خير امة وقيل وهو الاصح يعني بيت المقدس التي كانوا يصلون اليها اي ما صرفناك عن القبلة التي كنت عليها الا لنعلم او ما جعلنا القبلة التي كنت عليها فصرفناك عنها الا لنعلم وحذف لدلالة الكلام عليه وفي قوله الا لنعلم اقوال اولها ان معناه ليعلم حزبنا من النبي والمؤمنين كما يقول الملك فتحنا بلد كذا اي فتح اولياؤنا والثاني ان معناه ليحصل المعلوم موجودا وتقديره لنعلم انه موجود فلا يصح وصفه بانه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده والثالث ان معناه ليعاملكم معاملة المختبر الممتحن الذي كانه لا يعلم اذ العدل يوجب ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلم انه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما والرابع ما قاله علم الهدى المرتضى قدس الله روحه وهو ان قوله لنعلم يقتضي حقيقته ان يعلم هو وغيره ولا يحصل علمه مع علم غيره الا بعد حصول الاتباع فاما قبل حصوله فيكون القديم سبحانه هو المتفرد بالعلم به فصح ظاهر الآية وقوله من يتبع الرسول اي يؤمن به ويتبعه في اقواله وافعاله ممن ينقلب على عقبيه فيه قولان احدهما ان قوما ارتدوا عن الاسلام لما حولت القبلة جهلا منهم بما فيه من وجوه الحكمة والآخر ان المراد به كل مقيم على كفره لان جهة الاستقامة اقبال وخلافها ادبار ولذلك وصف الكافر بانه ادبر واستكبر وانه كذب وتولى اي عن الحق وقوله وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله الضمير في كانت يعود الى القبلة على قول ابي العالية اي وقد كانت القبلة كبيرة وقيل الضمير يرجع الى التحويلة ومفارقة القبلة الاولى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو الاقوى لان القوم انما ثقل عليهم التحول لا نفس القبلة وقيل الضمير يرجع الى الصلوة عن ابن زيد وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعني التحويلة الى بيت المقدس لان العرب لم تكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لم يعرف ما فيها من وجه الحكمة فاما الذين هداهم الله لذلك فلا يعظم عليهم وهم الذين صدقوا الرسول في التحول الى الكعبة وانما خص المؤمنين بانه هداهم وان كان قد هدى جميع الخلق لانه ذكرهم على طريق المدح ولانهم الذين انتفعوا بهدى الله وغيرهم كانه لم يعتد بهم وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم قيل فيه اقوال احدها لما حولت القبلة قال ناس كيف باعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الاولى فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم عن ابن عباس وقتادة وقيل انهم قالوا كيف بمن مات من اخواننا قبل ذلك وكان مات اسعد بن زرارة والبراء بن معرور وكانا من النقباء فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس ويمكن على هذا ان تحمل الايمان على اصله في التصديق اي لا يضيع تصديقكم بامر تلك القبلة وثانيها انه لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة اتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبة وانه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه لان التذكير به يبعث على ملازمة الحق والرضا به عن الحسن وثالثها انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر السبب الذي استحقوا به ذلك الانعام وهو ايمانهم بما حملوه اولا فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم الذي استحققتم به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة عن ابي القسم البلخي وقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم رؤوف بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم والرافة اشد الرحمة ووصف سبحانه بالرافة والرحمة على انه يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع لشيء منه وقيل انه سبحانه دل بقوله رؤف رحيم على انه منعم على الناس بتحويل القبلة واستدل كثير من العلماء بهذه الآية على ان اجماع الامة حجة من حيث انه وصفهم بانهم عدول فاذا اعدلهم الله سبحانه لم يجز ان تكون شهادتهم مردودة والصحيح انها لا تدل على ذلك لان ظاهرها لا يقتضي ان يكون كل واحد من الامة بهذه الصفة ومعلوم خلاف ذلك ومتى حمل الآية على بعض الامة لم يكونوا باولى من حملها على المعصومين والائمة من آل الرسول عليهم السلام وفي هذه الآية دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لانه قال وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فاخبر الله سبحانه هو الجاعل لتلك القبلة وانه هو الذي نقلها عنها وذلك هو النسخ قوله عز وجل

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ اللغة الرؤية هي ادراك الشيء بالبصر ويطلق

الابصار ثم يستعمل بمعنى العلم والتقلب والتحول والتصرف نظائر وهو التحرك في الجهات ويقال وليتك القبلة اي صيرتك تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى في فعلت منه لانك تقول وليت الدار فلا يكون فيه دلالة على انك واجهتها فعلت في هذه الكلمة ليس بمنقول من فعلت الذي هو وليت وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة في نحو قوله ويولون الدبر وقوله يولوكم الادبار فهذا منقول من قولهم داري تلي داره تقول وليت سيامنة ولا تلي سيامنة مثل فرح وفرحته والرضا والمحبة نظيران وانما يظهر الفرق بضديهما والمحبة ضدها البغض والرضا ضده السخط وهو يرجع الى الارادة فاذا قيل رضاء عنه فكانه اراد تعظيمه وثوابه واذا قيل رضي عمله فكانه اراد ذلك والسخط ارادة الانتقام وشطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاءه قال الشاعر وقد اظلكم من شطر ثغركم هول له ظلم يغشاكم قطعا اي من نحو ثغركم وقال ان العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور اي نحوها قال الزجاج يقال هؤلاء القوم مشاطرونا اي دورهم تتصل بدورنا كما يقال هؤلاء يناحوننا اي نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره وقصده ومنه للمثل احلب حلبا لك شطره اي نصفه وشطرت الشيء جعلته نصفين والحرام المحرم كما ان الكتاب بمعنى المكتوب والحساب بمعنى المحسوب والحق وضع الشيء في موضعه اذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح والغفلة هي السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا كان السهو عاما فهو فوق الغفلة لان النائم لا يقال له غفل الاعجاز الاعراب حيثما كنتم موضع كنتم جزم بالشرط وتقديره وحيثما تكونوا والفاء وما بعده في موضع الجزاء ولا يجازى بحيث واذ حتى يكف كل واحد منهما بما وذلك لانها لا يكونان الا مضافين الى ما بعدها من الجملة قبل المجازاة بهما فالزما في المجازاة ما يكفهما عن الاضافة فتمنع الجزاء بهما وذلك لان الفعل اذا وقع في موقع اسم ارتفع والمضاف اليه في موضع اسم مجرور وموضعه جر بالاضافة فيمتنع جزمه بالجزاء مع وجود شرط الرفع فيه فلما كان كذلك كفا بما ليتهيأ بها الجزم فعل الشرط وشطر منصوب على الظرف النزول قال المفسرون كانت الكعبة احب القبلتين الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لجبرئيل وددت ان الله صرفني عن قبلة اليهود الى غيرها فقال له جبرئيل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فادع ربك وسله ثم ارتفع جبرئيل وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يديم النظر الى السماء رجاء ان يأتيه جبرئيل بالذي سأل ربه فانزل الله تعالى هذه الآية وقال المعنى قد نرى يا محمد تقلب وجهك يا محمد في السماء لانتظار الوحي في امر القبلة وقيل في سبب تقليب النبي وجهه في السماء وجهان احدهما انه كان وعد بتحويل القبلة عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا للموعود كما ان من انتظر شيئا فانه يجعل بصره الى الجهة التي يتوقع وروده منها والثاني انه كان يكره قبلة بيت المقدس ويهوى قبلة الكعبة وكان لا يسال الله هاهنا ذلك لانه لا يجوز للانبياء ان يسألوا الله تعالى شيئا من غير ان يؤذن لهم فيه لانه يجوز ان لا يكون فيه مصلحة فلا يجابون الى ذلك فيكون فتنة لقومهم واختلف في سبب ارادته عليه السلام تحويل القبلة الى الكعبة فقيل لان الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام وقبلة آبائه عن ابن عباس وقيل لان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا عن مجاهد وقيل ان اليهود قالوا ما درى محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد وقيل كانت العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم فكان في التوجه اليها استمالة لقلوبهم ليكونوا احرص على الصلوة اليها وكان عليه السلام حريصا على استدعائهم الى الدين ويحتمل ان يكون عليه السلام انما احب ذلك لجميع هذه الوجوه اذ لا تنافي بينها وقوله فلنولينك قبلة ترضاها اي فلنصرفنك الى قبلة تريدها وتحبها وانما اراد به محبة الطباع لانه كان يحبط القبلة الاولى قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام اي حول نفسك نحو المسجد الحرام لان وجه الشيء نفسه وقيل انما ذكر الوجه لانه يظهر التوجه وقال ابو علي الجبائي اراد بالشطر النصف فامر الله تعالى بالتوجه الى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة وهذا خطاء لانه خلاف اقوال المفسرين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره اي اينما كنتم من الارض من بر او بحر سهل او جبل فولوا وجوهكم نحوه فالاول خطاب للنبي عليه السلام واهل المدينة والثاني خطاب لجميع اهل الآفاق ولو اقتصر على الاول لجاز ان يظن ان ذلك قبلتهم حسب فبين الله سبحانه انه قبلة لجميع المصلين في مشارق الارض ومغاربها وذكر ابو اسحق الثعلبي في كتابه عن ابن عباس انه قال البيت كله قبلة وقبلة البيت الباب والبيت قبلة اهل المسجد والمسجد قبلة اهل الحرم والحرم قبلة اهل الارض كلها وهذا موافق لما قاله اصحابنا ان الحرم قبلة من نأى عن الحرم من اهل الآفاق وقوله وان الذين اوتوا الكتاب اراد به علماء اليهود وقيل علماء اليهود والنصارى ليعلمون انه الحق من ربهم اي يعلمون ان تحويل القبلة الى الكعبة حق مامور به من ربهم وانما علموا ذلك بانه كان في بشارة الانبياء لهم انه يكون نبي من صفاته كذا وكذا وكان في صفاته انه يصلي الى القبلتين وروي انهم قالوا عند التحويل ما امرت بهذا يا محمد وانما هو شيء ابتدعته من تلقاء نفسك مرة الى هنا ومرة الى هنا فانزل الله تعالى هذه الآية وبين انهم يعلمون خلاف ما يقولون وما الله بغافل عما يعملون اي ليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء من كتمان صفة محمد صلى الله عليه وآله والمعاندة ودل هذا على ان المراد بالآية قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ على الكذب وعلى ان يظهروا خلاف

ماسيطنون فاما الجمع العظيم فلا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب ولا يتاتى فيهم كلهم ان يظهروا خلاف ما يعلمون وهذه الاية ناسخة لفرض التوجه
الى بيت المقدس وقال ابن عباس اول ما نسخ من القران فيما ذكر لنا شان القبلة وقال قتادة نسخت هذه الاية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ السنة
بالقران وهذا هو الاقوى لانه ليس فى القران ما يدل على التعبد بالتوجه الى بيت المقدس ومن قال انما نسخت قوله فاينما تولوا فثم وجه الله قال هذه
الاية عندنا مخصوصة بالنوافل فى حال السفر روى ذلك عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وليست بمنسوخة واختلف الناس فى صلاة النبى صلى الله
عليه واله الى بيت المقدس فقال قوم كان عليه السلام يصلى بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله تعالى ان يصلى الى بيت المقدس ثم اعيد الى الكعبة
وقال قوم كان يصلى بمكة الى بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلى فى غير المكان الذى يمكن هذا فيه وقال قوم بل كان يصلى
بمكة وبعد قدومه الى المدينة الى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة بينه وبينها ثم امره الله بالتوجه الى الكعبة قوله عز وجل ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد
ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين اية الاعراب اختلف النحويون فى ان لئن لم اجيبت بجواب لو فقال الاخفش اجيبت بجواب لو
لان الماضى وليها كما يلى لو فدخلت كل واحدة منهما على صاحبتها قال سبحانه ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا اجرى لئن مجرى لو وقال
ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة اجرى لو مجرى لئن وقال سيبويه واصحابه ان معنى لظلوا ليظلن فمعنى لئن غير معنى لو وكل واحدة منهما على
حقيقتها وحقيقة معنى لو انها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره كقولك لو اتيتنى لاكرمتك فامتنع الاكرام لامتناع الاتيان ومعنى ان ان تقع بها الشيء
لوقوع غيره يقول ان تاتنى اكرمك فالاكرام يقع بوقوع الاتيان ولو لما مضى وان لما يستقبل وانما جئ فى الجواب بهذا التداخل لدلالة اللام
على معنى القسم فجئ بجواب القسم اغنى عن جواب الشرط لدلالته عليه وكذلك قوله انك اذا لمن الظالمين ليس بجواب للشرط ولكنه جواب القسم وقد اغنى عن الجزاء
بدلالته عليه وانما يجاب الشرط بالفعل او بالفاء او باذا على ما هو مشروح فى مواضعه المعنى ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب فى الكلام معنى القسم
اى والله لئن اتيت الذين اعطوا الكتاب يعنى اهل العناد من علماء اليهود والنصارى عن الزجاج والبلخى وقيل المعنى جميع اهل الكتاب عن الحسن
وابى على بكل اية اى بكل حجة ودلالة ما تبعوا قبلتك اى لا يجتمعون على اتباع قبلتك على القول الثانى وعلى القول الاول لا يؤمن منهم احد لان المعاند
لا ينفعه الدلالة وانما ينفع الجاهل الذى لا يعلم وما انت بتابع قبلتهم فى معناه اربعة اقوال احدها انه دفع لتجويز النسخ وبيان ان هذه القبلة
لا تنسخ وثانيها انه على وجه المقابلة لقوله ما تبعوا قبلتك كما يقال ما هم بتاركى انكار الحق وما انت بتارك الاعتراف به فيكون الذى جر الكلام الثانى هو
التقابل للكلام الاول وثالثها ان المراد ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف وجهتهم لان النصارى تتوجه الى الجهة المشرق الذى ولد فيه
عيسى عليه السلام واليهود الى بيت المقدس فبين الله سبحانه ان ارضاء الفريقين محال ورابعها ان المراد حسم اطماع اهل الكتاب من اليهود اذ كانوا طمعوا
فى ذلك وظنوا انه يرجع الى الصلوة الى بيت المقدس وقوله وما بعضهم بتابع قبلة بعض فى معناه قولان احدهما انه لا تصير النصارى كلهم يهودا ولا تصير اليهود
كلهم نصارى ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام وهذا من الاخبار بالغيب قال الحسن والسدى والاخر ان معناه اسقاط اعتلالهم بانه لا يجوز مخالفة اهل
الكتاب فيما ورثوه عن انبياء الله وان بيت المقدس لم يزل كان قبلة الانبياء فهو اولى بان يكون قبلة اى فكما جاز ان يخالف بين جهتيهم للاستصلاح جاز ان
يخالف بوجهة ثالثة فى زمان اخر للاستصلاح ويحتمل ايضا ان يجرى الكلام على الظاهر لانه لم يثبت ان يهوديا تنصر ولا ان نصرانيا تهود فلا ضرورة بنا
الى العدول عن الظاهر الى التاويل وهذا قول القاضى وقوله ولئن اتبعت اهواءهم الخطاب للنبى عليه السلام وفيه اربعة اقوال اولها ان المراد به غيره من
امته وان كان الخطاب له والمراد الدلالة على ان الوعيد يستحق باتباع اهوائهم وان اتباعهم ردة عن الحسن والزجاج وثانيها ان المراد ان اتبعت اهواءهم
فى المداراة لهم حرصا على ان يؤمنوا انك اذا لمن الظالمين لنفسك مع اعلامنا اياك انهم لا يؤمنون عن الجبائى وثالثها ان معناه الدلالة على فساد
مذاهبهم وتبكيتهم بها وان من يتبعهم كان ظالما ورابعها انه على سبيل الزجر عن الركون اليهم ومقاربتهم تقوية لنفسه ومنعه عنه ليستمر على
عداوتهم عن القاضى من بعد ما جاءك من العلم اى من الايات والوحى الذى هو طريق العلم وقيل من بعد ما علمت ان الحق ما انت عليه من القبلة والدين
انك اذا لمن الظالمين وقد مضى معناه وهو مثل قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وفى هذه الاية دلالة على فساد قول من قال انه لا يصح الوعيد بشرط
وان من علم الله تعالى انه يؤمن لا يستحق العقاب اصلا لان الله تعالى علق الوعيد بشرط يوجب انه متى حصل الشرط حصل استحقاق العقاب وفيها دلالة
على فساد قول من زعم ان فى المقدور لطفا لو فعله الله تعالى بالكافر لآمن لا محالة لقوله لئن اتيتهم بكل اية ما تبعوا قبلتك فعلى قول من قال المراد به

من بعده

على الحقيقة

المعاند لا ينفعه شئ من الايات وعلى قول من قال المراد به جميع الكفار فلا لطف لهم ايضا يؤمنون عنده فعلى الوجهين معا يبطل قولهم وفيها دلالة ايضا
على ان جميع الكفار لا يؤمنون قوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
يعلمون اية المعنى اخبر الله سبحانه انهم يعرفون النبى عليه السلام وصحة نبوته فقال الذين اتيناهم الكتاب اى اعطيناهم الكتاب وهم العلماء منهم
يعرفونه اى يعرفون محمدا وانه حق كما يعرفون ابناءهم والضمير فى يعرفونه يعود الى العلم من قوله من العلم يعنى النبوة وقيل الضمير يعود الى امر القبلة اى يعرفون
ان امر القبلة حق عن ابن عباس فان قيل كيف قال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وهم كانوا يعرفون ابناءهم من جهة الحكم ويعرفون امر النبى من جهة الحقيقة قيل انه
شبه المعرفة بالمعرفة ولم يشبه طريق المعرفة بطريق المعرفة وكل واحدة من المعرفتين كالاخرى وان اختلف الطريقان وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
يعلمون انما خص الفريق منهم لان من اهل الكتاب من اسلم كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما قوله عز وجل الحق من ربك فلا تكونن من
الممترين اية اللغة الامتراء الاستخراج وقيل الاستدرار قال الاعشى تدر على اسوق الممترين ركضا اذا ما السحاب ارجحن يعنى الشاكين فى
درورها لطول سيرها وقيل المستخرجين ما عندها قال صاحب العين المرى مسحك ضرع الناقة تمريها بيدك لتسكن للحلب والريح تمرى السحاب مريا و
المرية من ذلك والمرية الشك ومنه الامتراء والتمارى والمماراة والمراء الجدال واصل الباب الاستدرار يقال بالشكر تمترى النعم اى تستدر الاعراب
الحق مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف وتقديره ذلك الحق او هو الحق ومثله مررت برجل كريم زيد اى هو زيد ولو نصب لجاز فى العربية على تقدير اعلم
الحق من ربك او الزم الحق والنون فى لا تكونن نون التاكيد تؤكد بها الامر والنهى ولا تؤكد بها الخبر لما كان الخبر يدل على كون المخبر به وليس كذلك
الامر والنهى والاستخبار فالزم الخبر التاكيد بالقسم وجوابه واختصت هذه الاشياء بنون التاكيد ليدل على اختلاف المعنى فى المؤكد ولما كان الخبر
اصل الجملة اكد بابلغ التاكيد وهو القسم المعنى هو الحق من ربك وهو ما اتاه الله من الوحى والكتاب والشرايع فلا تكونن من الممترين من الشاكين
فى الحق الذى تقدم اخبار الله تعالى به وفى عناد من كتم النبوة وامتناعهم من الاجماع على ما قامت به الحجة وقيل من الممترين فى انه يلزمك العلم به وهذا
اولى لانه اعم والخطاب وان كان متوجها الى النبى عليه السلام فالمراد به الامة كقوله عز اسمه يا ايها النبى اذا طلقتم ولمثاله وقيل الخطاب له لانه انما لا يجوز عليه
الملازمة امر الله سبحانه ولو لم يكن هناك امر لم تصح الملازمة وفى هذا دلالة على جواز ثبوت القدرة على خلاف المعلوم خلافا لقول المجبرة قوله
عز وجل ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شئ قدير اية القراءة قرا
ابن عامر وابو بكر عن عاصم هو مولاها وروى ذلك عن ابن عباس ومحمد بن على الباقر والباقون موليها الحجة من قرا هو موليها فالضمير الذى
هو هو لله تعالى والتقدير الله موليها اياه حذف المفعول الثانى لجرى ذكره للظهر وهو كل فى قوله ولكل وجهة وهو مبتدا وموليها خبره والجملة
التى هو موليها فى موضع رفع لكونها وصفا للوجهة ومن قرا هو مولاها فالضمير الذى هو هو لكل وقد جرى ذكره وقد استوفى الاسم الجارى على الفعل
المبنى للمفعول مفعوليه اللذين يقتضيهما احدهما الضمير المرفوع من مولى والاخر ضمير المؤنث ويجوز ان يكون الضمير الذى هو هو فى قوله هو موليها عايدا
الى كل والتقدير لكل وجهة هو موليها وجهه اى كل اهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم الى تلك الجهة اللغة واختلف اهل العربية فى وجهة فبعضهم ذهب
الى انه مصدر شذ عن القياس فجاء مصححا ومنهم من يقول هو اسم ليس بمصدر جاء على الاصل وانه لو كان مصدرا لجاء معتلا للزوم ان يجئ فعله ايضا مصححا
الاقوى ان هذا المصدر انما اعتل على الفعل حيث كان عاملا عمله وعلى حركاته وسكونه فلو صح لصح الفعل لان هذه الافعال المعتلة اذا صحت فى موضع
يتبعها باقى ذلك وجهة اسم للمتوجه والجهة المصدر قالوا وجه الحجر جهة ماله يريدون هنا المصدر وما زائدة وله فى موضع الصفة للنكرة والاستباق والابتدار
والاسراع نظاير وله فى هذا الامر سبقة وسابقة وسبق اى سبق الناس اليه المعنى هذا بيان لامر القبلة ايضا وقوله ولكل وجهة فيه اقوال احدها
ان معناه لكل اهل ملة من اليهود والنصارى قبلة عن مجاهد واكثر المفسرين وثانيها ان لكل نبى وصاحب ملة وجهة اى طريقة وهى الاسلام وان
اختلف الاحكام كقوله سبحانه لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يعنى شرايع الانبياء عن الحسن وثالثها ان لكل من المسلمين واهل الكتاب قبلة يعنى صلاتهم
الى بيت المقدس وصلوتهم الى الكعبة عن قتادة ورابعها ان لكل قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة او قدامها او عن
يمينها او عن شمالها وهو اختيار الجبائى هو موليها اى الله موليها اياهم ومعنى توليته لهم اياها انه امرهم بالتوجه نحوها فى صلاتهم اليها ويدل على ذلك
قوله فلنولينك قبلة ترضاها وقيل معناه لكل مول الوجهة وجهه او نفسه الا انه استغنى عن ذكر النفس والوجه وكل وان كان مجموع المعنى فهو
موحد اللفظ فجاء البناء على لفظه فلذلك قال هو وفى الكناية عنه وان كان المراد به الجمع والمعنى كل جماعة منهم يولونها وجوههم ويستقبلونها

وقوله فاستبقوا الخيرات معناه سارعوا الى الخيرات عن الربيع والخيرات هي الطاعات لله تعالى وقيل معناه بادروا الى القبول من الله عز وجل فيما يامركم به مبادرة من يطلب السبق اليه عن الزجاج وقيل معناه تنافسوا فيما رغبتكم فيه من الخير فلكل عندي ثوابه عن ابن عباس وقوله اينما تكونوا يات بكم الله جميعا اي حيثما متم من بلاد الله سبحانه يات بكم الله الى المحشر يوم القيمة وروي في اخبار اهل البيت عليهم السلام ان المراد به اصحاب المهدي في اخر الزمان قال الرضا عليه السلام وذلك والله ان لو قام قائمنا يجمع الله اليه جميع شيعتنا من جميع البلدان ان الله على كل شيء قدير قادر على جمعكم وحشركم وعلى كل شيء **قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون اية المعنى** ومن حيث خرجت من البلاد فول وجهك شطر المسجد الحرام فاستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام وقيل في تكراره وجوه احدها انه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التاكيد والتبيين ليعرف الخلق الى الحال الثانية من الحال الاولى على يقين وثانيها انه مقدم لما ياتي بعده ويتصل به فاشبه الاسم الذي تكرر ليخبر عنه باخبار كثيرة كقولك زيد كريم زيد عالم وزيد فاضل وما اشبه ذلك مما يذكر لتعلق الفايدة به وثالثها انه في الاول بيان لحال الحضر وفي الثاني بيان لحال السفر وقوله انه للحق من ربك معناه وان التوجه الى الكعبة للحق المامور به من ربك ويحتمل ان يراد بالحق الثابت الذي لا يزول ولا ينسخ كما وصف القديم سبحانه بانه الحق اي الثابت الذي لا يزول وما الله بغافل عما تعملون معناه هنا التهديد كما تقول الملك لعبده ليس يخفى علي ما انتم فيه ومثله قوله ان ربك لبالمرصاد **قوله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون اية الاعراب** لئلا يكون هو لان لا كتبت الهمزة ياء لكسرة ما قبلها وترك نافع همزها تخفيفا وادغمت النون في اللام وموضع من لئلا نصب والعامل فيه فولوا وقال الزجاج العامل فيه ما دخل الكلام من معنى عرفتكم ذلك لئلا يكون وكذلك قوله ولاتم نعمتي اللام متعلق بقوله فولوا وتقديره لان اتم وقوله الا الذين ظلموا منهم فيه اقوال احدها انه استثناء منقطع كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن ويقال ما له علي حق الا التعدي والظلم لكنه يتعدى ويظلم وقال النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب فكانه يقول ان كان فيهم عيب فهذا وليس هذا بعيب فاذا ليس فيهم عيب وهكذا في الاية ان كان على المومنين حجة فللظالم في احتجاجه وليس للظالم حجة فاذا ليس عليهم حجة والثاني ان يكون الحجة بمعنى المحاجة فكانه قال لئلا يكون للناس عليكم حجاج الا الذين ظلموا فانهم يحاجونكم بالباطل فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا والثالث ما قاله ابو عبيدة ان الا ههنا بمعنى الواو اي ولا الذين ظلموا وانكر عليه الفراء والمبرد قال الفراء الواو لا ياتي بمعنى الا الا ان يتقدمه استثناء كما قال الشاعر وما بالمدينة دار غير واحدة دار الخليفة الا دار مروانا اي الا دار الخليفة ودار مروان وانشد الاخفش وارى لها دارا باعدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم اي ارى لها دارا ورمادا وقال المبرد لا يجوز ان يكون الا بمعنى الواو اصلا والرابع انه فيه اضمار على وتقديره الا على الذين ظلموا منهم فكانه قيل لئلا يكون عليهم حجة الا على الذين ظلموا فانه يكون الحجة عليهم وهم الكفار عن قطرب وهو اختيار الازهري قال علي بن عيسى وهذان الوجهان بعيدان والاختيار القول الاول **المعنى** قد مضى الكلام في معنى اول الاية وقيل في تكراره وجوه احدها انه لاختلاف المعنى وان اتفق اللفظ لان المراد بالاول من حيث خرجت منصرفا عن التوجه الى بيت المقدس فول وجهك شطر المسجد الحرام والمراد بالثاني اين كنت من البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة وسائر الاقطار وثانيها انه من مواضع التاكيد لما جرى من النسخ ليثبت في القلوب وثالثها انه لاختلاف المواطن والاوقات التي تحتاج الى هذا المعنى فيها وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة قيل فيه وجوه اولها ان معناه ان لا يكون لاهل الكتاب عليكم حجة اذا لم تصلوا نحو المسجد الحرام بان يقولوا ليس هذا هو النبي المبشر به اذ ذاك النبي يصلي بالقبلتين وثانيها ان معناه لا تعدلوا عما امركم الله به من التوجه الى الكعبة فيكون لهم عليكم حجة بان يقولوا لو كنتم تعلمون انه من عند الله لما عدلتم عنه عن الجبائي وثالثها ما قاله ابو روق ان حجة اليهود انهم كانوا قد عرفوا ان النبي المبعوث في اخر الزمان قبلته الكعبة فلما راوا محمدا يصلي الى الصخرة احتجوا بذلك فصرفت قبلته الى الكعبة لئلا يكون لهم عليه حجة الا الذين ظلموا منهم يريد الا الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من انه يحول الى الكعبة وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا وقد مضى ذكر ما فيه من الاقوال في الاعراب وانما اختلف العلماء في وجه الاستثناء لان الظالم لا يكون له حجة لكنه يورد ما هو في اعتقاده حجة وان كانت باطلة كما قال سبحانه حجتهم داحضة وقيل المراد بالذين ظلموا قريش واليهود فاما قريش فقالوا قد علم انا على هدى فرجع الى قبلتنا وسيرجع الى ديننا واما اليهود فقالوا لم ينصرف عن قبلتنا عن علم وانما فعله برايه وزعم انه قد امر به وقيل المراد بالذين ظلموا العموم يعني ظلموكم بالمقاتلة وقلة الاستماع وقوله فلا تخشوهم واخشوني لما ذكرهم بالظلم والخصومة والمحاجة طيب نفوس المومنين فقال لا تخافوهم ولا تلتفتوا الى ما يكون منهم فان عاقبة السوء عليهم ولا حجة لاحد منهم عليكم ولا يد وقيل لا تخشوهم في استقبال الكعبة واخشوا عقابي في ترك استقبالها فاني احفظكم من كيدهم و

قوله ولاتم نعمتي عليكم عطف على قوله لئلا يكون لاحد عليكم حجة ولاتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابرهيم عليه السلام بين سبحانه انه حول القبلة لهذين الغرضين زوال المقالة وتمام النعمة وروي عن ابن عباس قال ولاتم نعمتي عليكم في الدنيا والاخرة فاما في الدنيا فانصركم على عدوكم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واما في الاخرة فجنتي ورحمتي وروي عن علي عليه السلام قال النعم ستة الاسلام والقران ومحمد عليه السلام والستر والعافية والغنى عما في ايدي الناس ولعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا ولعل من الله واجب عن الحسن وجماعة وقيل لتهتدوا الى ثوابها وقيل الى التمسك بها **قوله عز وجل كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اية اللغة** الارسال التوجيه بالرسالة والتحميد لها ليؤدي الى من قصد والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق واصله من الاتباع ومنه تلاه اي تبعه والتزكية النسبة الى الازدياد من الافعال الحسنة التي ليست بمشوبة ويقال ايضا على معنى التعريض لذلك بالاستدعاء اليه واللطف فيه يقال زكى فلان فلانا اذا اطراه ومدحه وزكاه حمله على ما له فيه الزكاء والنماء والطهارة والقدس والحكمة هي العلم الذي يمكن به الافعال المستقيمة **الاعراب** ما في قوله كما ارسلنا مصدرية فكانه قال كارسالنا فيكم ويحتمل ان يكون كافة كما قال الشاعر اعلاقة ام الوليد بعد ما افنان راسك كالثغام المخلس فانه يجوز كما زيد يحسن اليك فاحسن الى اسيابه والعامل في الكاف من قوله كما يجوز ان يكون الفعل الذي قبله وهو قوله ولاتم نعمتي عليكم فعلى هذا لا يوقف عند قوله ولعلكم تهتدون ويكون الوقف عند قوله ما لم تكونوا تعلمون ويجوز ان يكون الفعل الذي بعده وهو قوله فاذكروني اذكركم وعلى هذا يوقف عند قوله تهتدون ويبتدا بقوله كما ارسلنا ولا يوقف عند قوله تعلمون والاول احد قولي الزجاج واختاره الجبائي والثاني قول مجاهد والحسن واحد قولي الزجاج وقوله منكم في موضع نصب لانه صفة لقوله رسولا وكذلك قوله يتلوا وما بعده في موضع الصفة **المعنى** قوله كما ارسلنا التشبيه فيه على القول الاول معناه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة لان الله تعالى لطف لعباده بها على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة واما على القول الثاني فمعناه ان في بعثة الرسول منكم اليكم نعمة عليكم لانه يحصل لكم به عز الرسالة فكما انعمت عليكم بهذه النعمة العظيمة فاذكروني واشكروا لي واعبدوني في انعم عليكم بالجزاء والثواب والخطاب للعرب على قول جميع المفسرين وقوله رسولا يعني محمدا صلى الله عليه واله منكم بالنسب لانه من العرب ووجه النعمة عليهم بكونه من العرب ما حصل لهم من الشرف والذكر وان العرب لم يكن لتتبع رسولا يبعث اليهم من غيرهم مع نخوتهم وعزتهم في نفوسهم فكون الرسول منهم يكون ادعى لهم الى الايمان به وباتباعه وقوله يتلوا عليكم اياتنا اراد بها القران ويزكيكم ويعرضكم لما تكونوا به ازكياء من الامر بطاعة الله واتباع مرضاته ويحتمل ان يكون معناه ينسبكم الى انكم ازكياء بشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به ويعلمكم الكتاب والحكمة الكتاب القران والحكمة هي القران ايضا جمع بين الصفتين لاختلاف فايدتهما كما يقال الله العالم بالامور كلها القادر عليها وقيل اراد بالكتاب القران وبالحكمة الوحي من السنة وما لا يعلم الا من جهته من الاحكام وقوله ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اي لا سبيل لكم الى علمه الا من جهة السمع فذكرهم الله بالنعمة فيه ويكون التعليم لما عليه دليل من جهة العقل تابعا للنعمة فيه ولا سيما اذا وقع موقع اللطف **قوله عز وجل فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون اية اللغة** الذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وقد يكون بالقول وكلاهما يحضر به المعنى للنفس وفي اكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان وليس ذلك بموجب ان لا يكون الا بعد نسيان لان كل من حضره المعنى بالقول او العقد او الخطور بالبال ذاكر له واصله التنبيه على الشيء فمن ذكرته شيئا فقد نبهته عليه واذا ذكر بنفسه فقد تنبه عليه والذكر الشرف والنباهة والفرق بين الذكر والخاطر ان الخاطر ما يمر بالقلب والذكر قد يكون بالقول ايضا وفي قوله اشكروا لي محذوف اي اشكروا لي نعمتي لان حقيقة الشكر الاعتراف بالنعمة وفي قوله ولا تكفرون ايضا محذوف لان الكفر هو ستر النعمة وجحدها لا ستر المنعم وقولهم حمدت زيدا وذممته لا حذف فيه وان كنت انما تحمد او تذم من اجل الفعل كما انه ليس في قولك زيد متحرك حذف وان كان انما تحرك لاجل الحركة فليس كل كلام دل على معنى غير مذكور يكون فيه حذف الا ترى ان قولك زيد ضارب دل على مضروب وليس بمحذوف فالحمد للشيء دلالة على انه محسن والذم دلالة على انه مسيء كقولك نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو وقالوا شكرتك وشكرت لك وانما قيل شكرتك لايقاع اسم المنعم موقع النعمة فعدي الفعل بغير واسطة والاجود شكرت لك النعمة لانه الاصل في الكلام قال الشاعر هم جمعوا بؤسي ونعمى عليكم فهلا شكرت القوم اذ لم تقابل ومثل ذلك نصحتك ونصحت لك وذكرنا الوجه في حذف الياء في مثل ولا تكفرون فيما مضى **المعنى** فاذكروني اذكركم قيل معناه اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي عن سعيد بن جبير وبيانه قوله سبحانه واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقيل اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي عن ابن عباس وبيانه قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقيل اذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة عن ابن كيسان وبيانه لئن شكرتم لازيدنكم

وقيل اذكروني على ظهر الارض اذكركم في بطنها وقد جاء في الدعاء اذكرني عند البلى اذا نسيني الناسون من الورى وقيل اذكروني في الدنيا اذكركم في العقبى وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في الشدة والبلاء وبيانه قوله سبحانه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الخبر تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وقيل اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة بيانه قوله ادعوني استجب لكم وروى عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال قال النبي صلى الله عليه وآله ان الملك ينزل الصحيفة من اول النهار واول الليل يكتب فيها عمل ابن ادم فاملوا في اولها خيرا وفي اخرها فان الله يغفر لكم ما بين ذلك ان شاء الله فان الله يقول اذكروني اذكركم وقال الربيع في هذه الاية ان الله عز وجل ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره وقوله واشكروا لي اي اشكروا نعمتي واظهروها واعترفوا بها ولا تكفرون ولا تستروا نعمتي بالجحود يعني بالنعمة قوله كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الاية قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين اية الاعراب الذين امنوا موضعه رفع بانه صفة لاي كما ان الناس كذلك في قوله يا ايها الناس وقد ذكرناه فيما مضى وهو قول جميع النحويين الا الاخفش فانه جعله صلة لاي ويرفعه بانه خبر مبتدا محذوف كانه قيل يا من هم الذين امنوا الا انه لا يظهر المحذوف مع اي وانما حمله على ذلك لزوم البيان لاي فقال الصفة لا تلزم وانما يلزم الصلة قال علي بن عيسى والوجه عندي ان يكون صفة بمنزلة الصلة في اللزوم وقد ذكرنا الوجه في لزومها ايضا عند قوله سبحانه يا ايها الناس اعبدوا ربكم وقال ابو علي لا يجوز ان يكون اي في النداء موصولة لانها لو كانت موصولة لوصلت بكل واحدة من الجمل الاربعة ولم يقتصر بها على ضرب واحد منها لان ذلك لم يفعل بشيء من الاسماء الموصولة في موضع ولجاز ايضا ان يقال يا ايها رجل لان خبر المبتدا لا يجوز ان يكون مقصورا على المعرفة بالالف واللام لا يعدو عنه وفي امتناع جميع النحويين من اجازة ذلك ما يدل على فساد هذا القول وايضا فلو كانت موصولة للزم جواز اظهار المبتدا المحذوف من الصلة فكان يجوز يا ايها هو الرجل ويا ايتها هي المرأة ولا خلاف في انه لا يجوز ذلك المعنى قد مضى تفسير قوله استعينوا بالصبر والصلوة فيما مضى يخاطب المؤمنين فيقول استعينوا بالصبر اي بحبس النفس عما تشتهيه من المقبحات وحملها على ما تنفر عنها من الطاعات والى هذا المعنى اشار امير المؤمنين عليه السلام في قوله الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب بالصلوة لما فيها من الذكر والخشوع لله وتلاوة القران الذي يتضمن ذكر الوعد والوعيد والهدى والبيان وما هذه صفته يدعو الى الحسنات ويزجر عن السيئات واختلف في ان الاستعانة بها على ماذا فقيل على جميع الطاعات كانه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيره من الطاعات وقيل على الجهاد في سبيل الله وقوله ان الله مع الصابرين فيه وجهان احدهما ان معناه انه معهم بالمعونة والنصرة كما يقال السلطان معك فلا تبال بمن لقيت والاخر ان المراد هو معهم بالتوفيق والتسديد اي يسهل عليهم اداء العبادات والاجتناب عن المقبحات ونظيره قوله سبحانه ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا يجوز ان يكون مع هنا بمعنى الاجتماع في المكان لان ذلك من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي الاية دلالة على ان في الصلوة لطفا للعبد لانه تعالى امرنا بالاستعانة بها ويؤيده قوله سبحانه ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قوله عز وجل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون اية اللغة السبيل الطريق وسبيل الله طريق مرضاته وانما قيل للجهاد سبيل الله لانه طريق الى ثواب الله عز وجل والقتل هو نقض بنية الحيوة والموت عند من قال انه معنى عرض ينافي الحيوة منافاة التعاقب ومن قال انه ليس بمعنى قال هو عبارة عن بطلان الحيوة وهو الاصح فاما الحيوة فلا خلاف في انها معنى وهي عرض يصير الجملة كالشيء الواحد حتى يصير قادرا او عالما او مريدا او واحدا ولا يقدر على فعل الحيوة الا الله تعالى والشعور هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهو الحواس وكذلك لا يوصف تعالى بانه شاعر ولا بانه يشعر وانما يوصف بانه عالم ويعلم وقيل ان الشعور هو ادراك ما دق للطف الحس ماخوذ من الشعر لدقته ومنه الشاعر لانه يفطن من اقامة الوزن وحسن النظم لما لا يفطن له غيره الاعراب قوله اموات مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف تقديره لا تقولوا هم اموات ولا يجوز فيه النصب كما يجوز قلت حسنا لان حسنا في موضع المصدر كانه قال قلت قولا حسنا فاما قوله ويقولون طاعة فيجوز فيه النصب في العربية على تقدير نطيع طاعة والفرق بين بل ولكن ان لكن نفي لاحد الشيئين اثبات للاخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو وليس كذلك بل لانها اضراب عن الاول واثبات للثاني وكذلك وقعت في الايجاب قام زيد بل عمرو النزول عن ابن عباس انها نزلت في قتلى بدر وقتل يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكانوا يقولون مات فلان فانزل الله تعالى هذه الاية المعنى لما امر الله سبحانه بالصبر والصلوة للازدياد في القوة بهما على الجهاد قال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات فنهى ان يسمى من قتل في الجهاد اموات بل احياء اي بل هم احياء وفيه اقوال احدها وهو الصحيح انهم احياء على الحقيقة الى ان تقوم الساعة وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد واليه ذهب الحسن وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء واختاره الجبائي والرماني وجميع المفسرين والثاني ان المشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد يقتلون نفوسهم في الحروب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فاعلم الله انه ليس الامر على ما قالوه وانهم سيحيون يوم القيمة ويثابون عن البلخي ولم يذكر ذلك غيره والثالث معناه

لا تقولوا هم اموات في الدين بل هم احياء بالطاعة والهدى ومثله قوله سبحانه او من كان ميتا فاحييناه فجعل الضلال موتا والهداية حيوة عن الاصم والرابع ان المراد انهم احياء لما نالوا من جميل الذكر والثناء كما روي عن امير المؤمنين عليه السلام من قوله هلك خزان الاموال والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة واثارهم في القلوب موجودة والمعتمد هو القول الاول لان عليه اجماع المفسرين ولان الخطاب للمؤمنين وكانوا يعلمون ان الشهداء على الحق والهدى وانهم ينشرون ويحيون يوم القيمة فلا يجوز ان يقال لهم ولكن لا تشعرون من حيث انهم كانوا يشعرون ذلك ويقرون به ولان حمله على ذلك يبطل فائدة تخصيصهم بالذكر ولو كانوا ايضا احياء بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل ايضا ولكن لا تشعرون لانهم كانوا يشعرون ذلك ووجه تخصيص الشهداء بكونهم احياء وان كان غيرهم من المؤمنين قد يكون احياء في البرزخ انه على جهة التقديم للبشارة بذكر حالهم ثم البيان لما يختصون به من انهم يرزقون كما في الاية الاخرى يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله فان قيل نحن نرى جثث الشهداء مطروحة على الارض لا تتصرف ولا نرى فيها شيئا من علامات الاحياء فالجواب ان على مذهب من يقول بالانسان من اصحابنا ان الله تعالى يجعل لهم اجساما كاجسامهم في دار الدنيا يتنعمون فيها دون اجسامهم التي في القبور فان النعيم والعذاب انما يصل عنده الى النفس التي هي الانسان المكلف عنده دون الجثة ويؤيد ذلك ما رواه الشيخ ابو جعفر في كتاب تهذيب الاحكام مسندا الى علي بن مهزيار عن القاسم بن محمد عن الحسين بن احمد عن يونس بن ظبيان قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام جالسا فقال ما يقول الناس في ارواح المؤمنين قلت يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش فقال ابو عبد الله سبحان الله المؤمن اكرم على الله ان يجعل روحه في حوصلة طاير اخضر يا يونس المؤمن اذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فياكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا وعنه وعن ابي عمير عن حماد عن ابي بصير قال سالت ابا عبد الله عليه السلام عن ارواح المؤمنين فقال في الجنة على صور ابدانهم لو رايته لقلت فلان فاما على مذهب من قال من اصحابنا ان الانسان هذه الجملة المشاهدة وان الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان وهو اجزاء الجو فالقول انه يلطف اجزاء من الانسان لا يمكن ان يكون الحي حيا باقل منها يوصل اليها النعيم وان لم تكن تلك الجملة بكمالها لانه لا معتبر بالاطراف واجزاء السمن في كون الحي حيا فان الحي لا يخرج بمفارقتها من كونه حيا وربما قيل ان الجثة يجوز ان يكون مطروحة في الصورة ولا تكون ميتة فتصل اليه اللذات كما ان النائم حي وتصل اليه اللذات مع انه لا يحس ولا يشعر بشيء من ذلك فيرى في النوم ما يجد به السرور والالتذاذ حتى انه يود ان يطول نومه فلا ينتبه وقد جاء في الحديث انه يفسح له مد بصره ويقال له نم نومة العروس وقوله ولكن لا تشعرون اي لا تعلمون انهم احياء وفي هذه الاية دلالة على صحة مذهبنا في سؤال القبر واثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة على ما تظاهرت به الاخبار وانما حمل البلخي الاية على حياة الحشر لانكاره عذاب القبر قوله عز وجل ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين اية اللغة البلاء الاختبار ويكون بالخير والشر والخوف انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر والجوع ضد الشبع وهو المخمصة والمجاعة عام فيه جوع وحقيقة الجوع الشهوة الغالبة الى الطعام والشبع زوال الشهوة ولا خلاف ان الشهوة معنى في القلب لا يقدر عليه غير الله تعالى والجوع منه واما الشبع فهو معنى عند ابي علي الجبائي وهو فعله تعالى وهو عند ابي هاشم ليس بمعنى وهكذا القول في العطش والري والنقص نقيض الزيادة والنقصان يكون مصدرا واسما ونقص الشيء ونقصته لازم ومتعد ودخل عليه نقص في عقله ودينه ولا يقال نقصان والنقيصة الوقيعة في الناس والنقيصة انتقاص الحق ونقصته تنقصا واعرضه واصل النقص الحط من التمام والمال معروف واموال العرب انعامهم ورجل مال اي ذو مال والثمرة افضل ما تحمله الشجرة الاعراب فتحت الواو في لنبلونكم كما فتحت الراء في لتنصرنكم وهو انه بني على الفتحة لانها اخف اذا استحق البناء على الحركة كما استحق ما حكم في النداء البناء على الحركة من الخوف والجوع الجار والمجرور صفة شيء المعنى لما بين الله سبحانه ما كلف عباده من العبادات عقبه ببيان ما امتحنهم به من فنون المشقات فقال ولنبلونكم اي نختبرنكم ومعناه نعاملكم معاملة المختبر ليظهر المعلوم منكم والخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وآله عن عطا والربيع ولو قيل انه خطاب لجميع الخلق لكان ايضا صحيحا بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال اي بشيء من الخوف وشيء من الجوع وشيء من نقص الاموال فاوجز وانما قال من الخوف على وجه التبعيض لانه لم يكن مؤبدا وانما عرفهم سبحانه ذلك ليوطنوا انفسهم على المكاره التي تلحقهم في نصرة النبي صلى الله عليه وآله لما لهم فيها من المصلحة فاما سبب الخوف فكان قصد المشركين لهم بالعداوة وسبب الجوع تشاغلهم بالجهاد في سبيل الله عن المعاش واحتياجهم الى الانفاق فيه وقيل القحط الذي لحقهم والجدب الذي اصابهم وسبب نقص الاموال الانقطاع بالجهاد عن العمارة ونقص الانفس بالقتل في الحروب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل نقص الاموال هلاك المواشي والانفس بالموت وقوله والثمرات قيل اراد ذهاب حمل الاشجار بالجوائح وقلة النبات وارتفاع البركات وقيل اراد به الاولاد لان الولد ثمرة القلب وانما قال ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عمارة البستان وعن مناكحة النسوان فيقل نتاج البساتين وحمل النبات والبنين ووجه الابتلاء بهذه الاشياء ما يقتضيه

الحكمة من الالطاف ودقايق المصالح والاغراض ويدخره سبحانه لهم ما يرضيهم به من جلايل الاعواض وقيل في وجه اللطف في ذلك قولان احدهما ان من
جاء من بعدهم اذا اصابهم مثل هذه الامور علموا انه لا يصيبهم ذلك لنقصان درجة وحط مرتبة فانه قد اصاب ذلك من هو اعلى درجة منهم وهم اصحاب النبي صلى الله
عليه واله والاخر ان الكفار اذا شاهدوا المومنين يتحملون المشاق في نصرة الرسول وموافقتهم وتنالهم هذه المكاره فلا يتغيرون في قوة البصيرة ونفاذ
السريرة علموا انهم انما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين وكونهم من معرفة صدقه على اليقين فيكون ذلك داعيا لهم الى قبول الاسلام والدخول في جملة المسلمين
وقوله وبشر الصابرين اى اخبرهم بما لهم على الصبر في تلك المشاق والمكاره من المثوبة الجزيلة والعاقبة الجميلة قوله عز وجل الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون آيتان القراءة
امال الكسائي في بعض الروايات النون من انا واللام من لله والباقون بالتفخيم الحجة وانما جازت الامالة في هذه الالف مع اسم الله للكسرة مع كثرة الاستعمال
حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة قال الفراء لا يجوز امالة انا مع غير اسم الله تعالى في مثل قولك انا لزيد وانما لم يجز ذلك لان الاصل في الحروف وما جرى
مجراها امتناع الامالة فيها فلا يجوز امالة حتى ولكن وما اشبه ذلك لان الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث امتنع فيها التصريف الذي يكون في الاسماء
والافعال اللغة المصيبة المشقة الداخلة على النفس لما يلحقها من المضرة وهو من الاصابة كانها تصيبها بالنكبة والرجوع مصير الشيء الى ما كان يقال
رجعت الدار الى فلان اذا ملكها مرة ثانية وهو نظير العود والمصير والاهتداء الاصابة لطريق الحق المعنى ثم وصف عز اسمه الصابرين فقال الذين اذا
اصابتهم مصيبة اى نالتهم نكبة في النفس والمال فوطنوا انفسهم على ذلك احتسابا للاجر قالوا انا لله هذا اقرار بالعبودية اى نحن عبيد الله وملكه و
انا اليه راجعون هذا اقرار بالبعث والنشور اى نحن الى حكمه نصير ولهذا قال امير المومنين عليه السلم ان قولنا انا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا
انا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك وانما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة لما فيها من الدلالة على ان الله تعالى يجبرها ان كانت عدلا
وينصف من فاعلها ان كانت ظلما وتقديره انا لله تسليما لامره ورضاء بتدبيره وانا اليه راجعون ثقة بانا نصير الى عدله وانفراده بالحكم في امورنا و
في الحديث من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وقال عليه السلم من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا و
ان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب وروى الصادق عليه السلم عن ابايه عن النبي صلى الله عليه واله قال اربع من كن فيه كتبه الله
من اهل الجنة من كانت عصمته شهادة ان لا اله الا الله ومن اذا انعم الله عليه النعمة قال الحمد لله ومن اذا اصاب ذنبا قال استغفر الله ومن اذا اصابته
مصيبة قال انا لله وانا اليه راجعون وقوله اولئك اشارة الى الذين وصفهم من الصابرين عليهم صلوات من ربهم اى ثناء جميل من ربهم وتزكية وهو بمعنى
الدعاء لان الثناء يستحق دائما ففيه معنى اللزوم وقيل بركات من ربهم وعن ابن عباس مغفرة من ربهم ورحمة اى نعمة عاجلا واجلا فالرحمة النعمة على المحتاج
وكل احد محتاج الى نعمة الله في دنياه وعقباه واولئك هم المهتدون اى المصيبون طريق الحق في الاسترجاع وقيل الى الجنة والثواب وكان عمر بن الخطاب
اذا قرا هذه الاية قال نعم العدلان ونعمت العلاوة قوله عز وجل ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه
ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم آية القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم من يطوع بالياء وتشديد الطاء والواو وكذلك
ما بعده ووافقهم زيد ورويس عن يعقوب في الاول والباقون تطوع على انه فعل ماض وروي في الشواذ عن علي عليه السلم وابن عباس وانس وسعيد
بن جبير وابي بن كعب وابن مسعود الا يطوف بهما الحجة يمكن ان يكون لا على هذه القراءة زايدة كما في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب اى ليعلم وكقوله من
غير لا عصف ولا اصطراف اى من غير عصف تطوع تقديره يتطوع الا انه ادغم الياء في الطاء لتقاربهما اللغة الصفا الاصل الحجر الاملس ماخوذ من الصفو
واحده صفاة قال امرؤ القيس لها كفل كصفاة المسيل ابرز عنها جحاف مضر فهو مثل حصاة وحصى ونواة ونوى وقيل ان الصفا واحد قال المبرد
الصفا كل حجر لا يخلطه غيره من طين او تراب وانما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص واصله من الواو لانك تقول في تثنيته صفوان ولا يجوز امالته
والمروة في الاصل الحجارة الصلبة اللينة وقيل الحصاة الصغيرة والمرو لغة في المروة وقيل هو جمع مثل تمرة وتمر قال ابو ذويب حتى كاني للحوادث
مروة بصفا المشرق كل يوم تقرع والمرو نبت واصله الصلابة فالنبت انما سمي بذلك لصلابة بزره وقد صارا اسمين لجبلين معروفين بمكة والالف
واللام فيهما للتعريف لا للجنس والشعاير المعالم للاعمال وشعاير الله معالمه التي جعلها مواطن للعبادة وكل معلم لعبادة من دعاء او صلوة او غيرهما
فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعاير شعيرة فشعاير الله اعلام متعبداته من موقف او مسعى او منحر من شعرت به اى علمت قال الكميت نقتلهم جيلا
فجيلا تراهم شعاير قربان بهم يتقرب والحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار وفي الشريعة عبارة عن قصد البيت بالعمل المشروع من الاحرام والطواف

والسعي

والسعي والوقوف بالموقفين وغير ذلك قال الشاعر واشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا يكثرون التردد اليه لسودده
والعمرة هي الزيارة اخذ من العمارة لان الزاير يعمر المكان بزيارته وهي في الشرع زيارة البيت بالعمل المشروع والجناح الميل عن الحق يقال جنح
اليه جنوحا اذا مال واجنحته فاجتنح اى امليته وجناحا الطاير يداه ويدا الانسان جناحاه وجناحا العسكر جانباه والطواف الدوران
حول الشيء ومنه الطايف وفي عرف الشرع الدور حول البيت والطايفة الجماعة كالحلقة الدايرة ويطوف اصله يتطوف ومثله يطوع والفرق
بين الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في الفريضة والنافلة والتطوع التبرع بالنافلة خاصة واصلهما من الطوع الذي هو الانقياد
والشاكر فاعل الشكر وانما يوصف سبحانه بانه شاكر مجازا وتوسعا لانه في الاصل هو المظهر للانعام عليه والله يتعالى ان يكون عليه نعمة لاحد
الاعراب قوله من حج ومن تطوع يحتمل امرين احدهما ان يكون من موصولا بمنزلة الذي والاخر ان يكون للجزاء فان كان موصولا فلا موضع للفعل
الذي بعده وهو مع صلته في موضع رفع بالابتداء والفاء على هذا مع ما بعده في قوله فلا جناح عليه فان الله شاكر في موضع رفع بانه خبر المبتدا
الموصول وان كان للجزاء كان الفعل بعده في موضع جزم وكانت الفاء مع ما بعدها ايضا في موضع جزم لوقوعهما موقع الفعل المجزوم الذي
هو جزاء والفعل الذي هو حج او تطوع على لفظ الماضي والتقدير به للمستقبل كما ان ذلك في قولك ان اكرمتني اكرمتك كذلك وقوله فان
الله شاكر انما يصح ان يقع موقع الجزاء او موقع خبر المبتدا وان لم يكن فيه ضمير عايد لان تقديره فان الله يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة
وايجاب المكافاة وانما دخلت الفاء في خبر المبتدا الموصول لما فيه من معنى الجزاء وان لم يكن في موضع الجزم الا ترى ان هذه الفاء تودن بان
الثاني وجب لوجوب الاول المعنى لما ذكر الله سبحانه امتحانه العباد بالتكليف والالزام مرة وبالمصايب والالام اخرى ذكر سبحانه ان من جملة
ذلك امر الحج فقال ان الصفا والمروة من شعاير الله اى انهما من اعلام متعبداته وقيل من مواضع نسكه وطاعاته عن ابن عباس وقيل من دين
الله عن الحسن وقيل فيه حذف وتقديره الطواف بين الصفا والمروة من شعاير الله وروي عن جعفر الصادق عليه السلام انه قال نزل ادم على
الصفا ونزلت حوا على المروة فسمي الصفا باسم ادم المصطفى وسميت المروة باسم المراة وقوله فمن حج البيت اى قصده بالافعال المشروعة او اعتمر
اى اتى بالعمرة بالمناسك المشروعة وقوله فلا جناح عليه اى لا حرج عليه ان يطوف بهما قال الصادق عليه السلم كان المسلمون يرون ان الصفا و
المروة مما ابتدع اهل الجاهلية فانزل الله هذه الاية وانما قال فلا جناح عليه ان يطوف بهما وهو واجب وطاعة على الخلاف فيه لانه كان على
الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة صنم يقال له نايلة وكان المشركون اذا طافوا بهما مسحوهما فتحرج المسلمون عن الطواف بهما لاجل الصنمين
فانزل الله تعالى هذه الاية عن الشعبي وكثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما الى تحرجهم عن الطواف بهما لاجل الصنمين لا الى عين
الطواف كما لو كان الانسان محبوسا في موضع لا يمكنه الصلوة الا بالتوجه الى ما يكره التوجه اليه من المخرج وغيره فيقال له لا جناح عليك في الصلاة
الى هذا المكان فلا يرجع رفع الجناح الى عين الصلوة لان عين الصلوة واجبة وانما يرجع الى التوجه الى ذلك المكان وروي رواية اخرى
عن ابي عبد الله عليه السلم انه كان ذلك في عمرة القضاء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله شرط عليهم ان يرفعوا الاصنام فتشاغل رجل
من اصحابه حتى اعيدت الاصنام فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه واله فقيل له ان فلانا لم يطف وقد اعيدت الاصنام فنزلت هذه الاية
فلا جناح عليه ان يطوف بهما اى والاصنام عليهما قال فكان الناس يسعون والاصنام على حالها فلما حج النبي صلى الله عليه واله رمى بها
وقوله ومن تطوع خيرا فيه اقوال اولها ان معناه من تبرع بالطواف والسعي بين الصفا والمروة بعدما ادى الواجب من ذلك عن ابن عباس
وغيره وثانيها ان معناه من تطوع بالحج والعمرة بعد اداء الحج والعمرة المفروضين عن الاصم وثالثها ان معناه من تطوع بالخيرات وانواع
الطاعات عن الحسن ومن قال ان السعي ليس بواجب قال معناه من تبرع بالسعي بين الصفا والمروة وقوله فان الله شاكر اى مجاز له على ذلك
وانما ذكر لفظ الشاكر تلطفا بعباده ومظاهرة في الاحسان والانعام اليهم كما قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله سبحانه لا
يستقرض عن عوز ولكنه ذكر هذا اللفظ على طريق التلطف اى يعامل عباده معاملة المستقرض من حيث ان العبد ينفق في حال
غناه فياخذ اضعاف ذلك في حال فقره وحاجته فكذلك لما كان يعامل عباده معاملة الشاكر من حيث انه يوجب الثناء والثواب
سمى نفسه شاكرا وقوله عليم اى بما تفعلونه من الافعال فيجازيكم عليها وقيل عليم بقدر الجزاء فلا يبخس احدا حقه وفي هذه الاية دلالة على
ان السعي بين الصفا والمروة عبادة ولا خلاف في ذلك وهو عندنا فرض واجب في الحج وفي العمرة وبه قال الحسن وعايشة وهو مذهب الشافعي

السعي وهو قوله صلى الله عليه وآله كتب عليكم فاسعوا فاما ظاهر الآية فانما يدل على اباحة ما كرهوه من السعي وعند ابي حنيفة واصحابه هو تطوع وهو

والصحابه وقال ان السنة اوجب اختيار الجبائي وروى ذلك عن انس وابن عباس وعندنا وعند الشافعي من تركه متعمدا فلا حج له **قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** آية **النزول** المعني بالآية اليهود والنصارى مثل كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وابن صوريا وزيد بن التابوه وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا امر محمد ونبوته وهم يجدونه مكتوبا في التورية والانجيل مثبتا فيهما عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر اهل العلم وقيل انه متناول لكل من كتم ما انزل الله وهو اختيار البلخي وهو الاولى لانه اعم فيدخل فيه اولئك وغيرهم **المعنى** ثم حث الله سبحانه على اظهار الحق وبيانه ونهى عن اخفائه وكتمانه فقال ان الذين يكتمون اي يخفون ما انزلنا من البينات اي من الحجج المنزلة في الكتب والهدى اي الدلائل فالاول علوم الشرع والثاني ادلة العقل فعم بالوعيد في كتمان جميعها وقيل اراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته عليه السلام وبالهدى ما يؤديه الى الخلق من الشرائع وقيل البينات والهدى هي الادلة وهما بمعنى واحد وانما كرر لاختلاف لفظيهما من بعد ما بيناه للناس في الكتاب يعني التورية والانجيل من صفته عليه السلام ومن الاحكام وقيل في الكتب المنزلة من عند الله وقيل اراد بقوله ما انزلنا من البينات الكتب المتقدمة وبالكتاب القرآن اولئك يلعنهم الله اي يبعدهم من رحمته بايجاب العقوبة ولا يجوز لعن من لا يستحق العقوبة ويلعنهم اللاعنون قيل الملائكة والمؤمنون عن قتادة والربيع وهو الصحيح لقوله سبحانه عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقيل دواب الارض وهوامها تقول منعنا القطر بمعاصي بني آدم عن مجاهد وعكرمة وقيل كل شيء سوى الثقلين الجن والانس عن ابن عباس وقيل اذا تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فان لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود الذين كتموا ما انزل الله عن ابن مسعود فان قيل كيف يصح ذلك على قول من قال المراد باللاعنين البهائم وهذا الجمع لا يكون الا للعقلاء قيل لما اضيف اليها فعل ما يعقل عوملت معاملة من يعقل كقوله سبحانه والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وانما اضيف اللعن الى من لا يعقل لان الله يلهمهم اللعن عليهم لما في ذلك من الزجر عن المعاصي لان الناس اذا علموا انهم اذا عملوا هذه المعاصي استحقوا اللعن حتى انه يلعنهم الدواب والهوام كان لهم في ذلك ابلغ الزجر وقيل انما يكون ذلك في الآخرة يكمل الله عقولها فيلعنهم وفي الآية دلالة على ان كتمان الحق مع الحاجة الى اظهاره من اعظم الكبائر وان من كتم شيئا من علوم الدين وفعل مثل فعلهم فهو مثلهم في عظم الجرم ويلزمه ما لزمهم من الوعيد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وفيها ايضا دلالة على وجوب الدعاء الى التوحيد والعدل لان في كتاب الله تعالى ما يدل عليهما تاكيدا لما في العقول من الادلة **قوله عز وجل الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم** آية **اللغة** التوبة هي الندم الذي يقع موقع التنصل من الشيء وذلك بالتحسر على مواقعته والعزم على ترك معاودته ان امكنت المعاودة على مثله في القبح وهذا اقوى لان الامة اجمعت على سقوط العقاب عند هذه التوبة وفيما عداها خلاف واصلاح العمل هو اخلاصه من قبيح يشوبه والتبيين هو التعريف للعلم الذي يمكن به صحة التمييز من البين الذي هو القطع **الاعراب** موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام الموجب ومعنى الاستثناء الاختصاص بالشيء دون غيره فاذا قلت جاءني القوم الا زيدا فقد اختصصت زيدا بانه لم يجئ واذا قلت ما جاءني الا زيد فقد اختصصته بالمجيء واذا قلت ما جاءني زيد الا راكبا فقد اختصصته بهذه الحالة دون غيرها من المشي والعدو وغيرهما **المعنى** ثم استثنى الله سبحانه في هذه الآية من تاب واصلح وبين من جملة من استحق اللعنة فقال الا الذين تابوا اي ندموا على ما قدموا واصلحوا نياتهم فيما يستقبل من الاوقات وبينوا اختلف فيه فقال اكثر المفسرين بينوا ما كتموه من البشارة بالنبي صلى الله عليه وآله وقيل بينوا التوبة واصلاح السريرة بالاظهار لذلك فان من ارتكب المعصية سرا كفاه التوبة سرا ومن اظهر المعصية يجب عليه ان يظهر التوبة وقيل بينوا التوبة باخلاص العمل فاولئك اتوب عليهم اي اقبل توبتهم والاصل في اتوب افعل التوبة الا انه لما وصل بحرف الاضافة دل على ان معناه اقبل التوبة وانما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة والقابل لها للترغيب في صفة التوبة اذ وصف بها القابل لها وهو الله عز اسمه وذلك من انعام الله على عباده لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنب ان الوصف بها عيب فلذلك جعلت في اعلى صفات المدح وانا التواب هذه اللفظة للمبالغة اما لكثرة ما يقبل التوبة واما لانه لا يرد تائبا منيبا اصلا ووصفه سبحانه نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب يدل على ان اسقاط العقاب عند التوبة تفضل من الله سبحانه ورحمة من جهته على ما قاله اصحابنا وانه غير واجب عقلا على ما ذهب اليه المعتزلة فان قالوا قد يكون الفعل الواجب نعمة اذا كان منعما بسببه كالثواب والعوض لما كان منعما بالتكليف وبالآلام التي يستحق بها الاعواض جاز ان يطلق عليها اسم النعمة فالجواب ان ذلك انما قلناه في الثواب والعوض ضرورة ولا ضرورة ههنا تدعو الى ذلك **قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** آيتان **اللغة** واحد الناس انسان في المعنى فاما في اللفظ فلا واحد له فهو كنفر ورهط مما يقال انه اسم الجمع والخلود اللزوم ابدا والبقاء الوجود وقتين فصاعدا ولذلك لم يجز في صفات الله تعالى خالد وجاز باق ولذلك يقال اخلد الى قوله اي لزم معنى ما اتى به ومنه قوله ولكنه اخلد الى الارض اي مال اليها ميل اللازم لها والفرق

بقي

بين الخلود والدوام ان الدوام هو الوجود في الازل والآزال فاذا قيل دام المطر فهو على المبالغة وحقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا والخلود هو اللزوم ابدا والتخفيف هو النقصان من المقدار الذي له والعذاب الالم الذي له امتداد والانظار الامهال قدر ما يقع النظر في الخلاص واصل النظر الطلب فالنظر بالعين هو الطلب بالعين وكذلك النظر بالقلب او باليد او بغيرهما من الحواس ويقول انظر الثوب اين هو اي اطلبه اين هو والفرق بين العذاب والايلام ان الايلام قد يكون بجزء من الالم في الوقت الواحد مقدار ما يتألم به والعذاب الالم الذي له استمرار في اوقات ومنه العذب لاستمراره في الحلق والعذبة لاستمرارها بالحركة **الاعراب** وهم كفار جملة في موضع الحال واجمعين تاكيد وانما اكد به ليرتفع الايهام والاحتمال وقيل ان ينظر في تحقيق الاستدلال ولهذا لم يجز الاخفش رايت احد الرجلين كليهما واجاز رايتهما كليهما لانك اذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل ازلت الايهام للفساد واذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط في المقصد وانت لما ذكرت التثنية في قولك احد الرجلين وذكرت احد كنت بمنزلة من ذكر الحكم والدليل عليه فاما ذكر التثنية في رايتهما فمنزلة ذكر الحكم وحده وخالدين منصوب على الحال والعامل فيه الظرف من قوله عليهم لانه فيه معنى الاستقرار للعنة وذو الحال الهاء والميم من عليهم كقولك عليهم المال صاغرين وقوله فيها الهاء يعود الى اللعنة في قول الزجاج والى النار في قول ابي العالية لا يخفف عنهم العذاب جملة في موضع الحال ولا هم ينظرون كذلك وهم تاكيد للضمير في فعل مقدر تفسيره هذا الظاهر تقديره ولا ينظرون هم **المعنى** لما بين سبحانه حال من كتم الحق وحال من تاب منهم عقبه بحال من يموت من غير توبة منهم او من الكفار جميعا فقال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ماتوا مصرين على الكفر وانما قال وماتوا وهم كفار مع ان كل كافر ملعون في حال كفره ليصير الوعيد فيه غير مشروط لان بالموت يفوت التلافي بالتوبة فلذلك شرط سبحانه وبين ان الكفار لو لم يموتوا على كفرهم لم يكن هذه حالهم وقيل ان هذا الشرط انما هو في خلود اللعنة ثم قال خالدين فيها اولئك عليهم لعنة الله اي ابعاده من رحمته وعقابه والملائكة والناس اجمعين فان قيل كيف قال والناس اجمعين وفي الناس من لا يلعن الكافر فالجواب من وجوه احدها ان كل احد من الناس يلعن الكافر اما في الدنيا واما في الآخرة او فيهما جميعا كما قال ويوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا عن ابي العالية وثانيها انه اراد به المؤمنين كانه لم يعتد بغيرهم كما يقال والمؤمنون هم الناس عن قتادة والربيع وثالثها انه لا يمتنع احد من لعن الظالمين فيدخل في ذلك الكافر لانه ظالم عن السدي واللعنة انما تكون من الناس على وجه الدعاء ومن الله على وجه الحكم وقوله خالدين فيها اي دائمين فيها اي في تلك اللعنة عن الزجاج والجبائي وقيل في النار لانه كالمذكور لشهرته في حال المعذبين ولان اللعن ابعاد من الرحمة وايجاب للعقاب والعقاب يكون في النار واما الخلود في اللعنة فيحتمل امرين احدهما الاستحقاق للعنة بمعنى انها حق عليهم ابدا والثاني في عاقبة اللعنة وهي النار التي لا تفنى ابدا وقوله لا يخفف عنهم العذاب اي يكون عذابهم على وتيرة واحدة فلا يخفف احيانا ويشتد احيانا ولا هم ينظرون اي لا يمهلون للاعتذار كما قال سبحانه ولا يؤذن لهم فيعتذرون قطعا للطمع في التوبة عن ابي العالية وقيل معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر **قوله عز وجل والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم** آية **اللغة** الواحد شيء لا ينقسم عددا كان او غيره ويجري على وجهين على الحكم وعلى جهة الوصف فالحكم كقولك جزء واحد فانه لا ينقسم من جهة انه جزء والوصف كقولك انسان واحد ودار واحدة فانه لا ينقسم من جهة انه انسان **الاعراب** هو من قوله لا اله الا هو في موضع رفع على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل الا زيد كانك قلت ليس الا زيد فيما تريد من المعنى اذا لم تعتد بغيره ولا يجوز النصب على قولك ما قام احد الا زيدا لان البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني والمعنى ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد في الاخبار انما هو على الاول والعبارة الواضحة ان هو بدل من محل اله قبل التركيب وقوله لا اله الا هو مراد اثبات الله سبحانه وهو بمنزلة قولك الله الاله وحده وانما كان كذلك لانه القادر على ما يستحق به العبادة ولا لم يدل على النفي في الخبر من قبل انه لم يدل على الموجود ولا معدوم سوى الله لكنه نقيض لقول من ادعى الها مع الله وانما النفي اخبار بعدم شيء كما ان الاثبات اخبار بوجوده **النزول** ابن عباس قال ان كفار قريش قالوا يا محمد صف وانسب لنا ربك فانزل الله هذه الآية وسورة الاخلاص **المعنى** والهكم اي خالقكم والمنعم عليكم بالنعم التي لا تعد عليا غيره والذي يحق له العبادة وقال علي بن عيسى معنى الاله هو المستحق للعبادة وهذا غلط لانه لو كان كذلك لما كان القديم سبحانه الها فيما لم يزل لانه لم يفعل في الازل ما يستحق به العبادة ومعنى قولنا انه يحق له العبادة انه قادر على ما اذا فعله استحق به العبادة وقوله اله واحد وصفه سبحانه بانه واحد على اربعة اوجه احدها انه ليس بذي ابعاض ولا يجوز عليه الانقسام ولا يحتمل التجزية والثاني انه واحد لا نظير له ولا شبيه والثالث انه واحد في الالهية واستحقاق العبادة والرابع انه واحد في صفاته التي يستحقها لنفسه فان معنا وصفنا الله تعالى بانه قديم انه المختص بهذه الصفة لا يشاركه فيها غيره ووصفنا له بانه عالم قادر انه المختص بكيفية استحقاق هاتين الصفتين لان المراد به انه عالم لجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل وقادر على الاجناس كلها لا يجوز عليه العجز ووصفنا له بانه حي باق انه لا يجوز عليه الموت والفناء فصار الاختصاص بكيفية الصفات كالاختصاص بنفس الصفات فكل هذه الصفات يستحقها سبحانه وحده

على وجه لا يشارکه فيه غيره وقوله لا اله الا هو کلمة اثبات الالهية لله تعالی وحده ومعناه الله هو الاله وحده واختلف فی هل فيها نفی المثل عن الله سبحانه فقال المحققون ليس فيها نفی المثل عنه لان النفی انما يصح فی موجود او معدوم والله عز اسمه ليس له مثل موجود ولا معدوم وقال بعضهم فيها نفی المثل المقدر عن الله سبحانه وقوله الرحمن الرحيم انما قرن الرحمن الرحيم بقوله لا اله الا هو لانه بين به سبب استحقاق العبادة علی عباده وهو ما انعم عليهم من النعم العظام التی لا يقدر عليها احد غيره فان الرحمة هی النعمة علی المحتاج اليها وقد ذکرنا معنی الرحمن الرحيم فيما مضی **النظم** والاية متصلة بما قبلها وبما بعدها فاتصالها بما قبلها کاتصال الحسنة بالسيئة لتمحو اثرها وتحذر من مواقعها لانه لما ذکر الشرک واحکامه اتبع ذلک بذکر التوحيد واحکامه واتصالها بما بعدها کاتصال الحکم بالدلالة علی صحته لان ما ذکر فی الاية التی بعدها حجج علی صحة التوحيد **قوله عز وجل إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** **اية القراءة** قرأ حمزة والکسائی الريح علی التوحيد والباقون علی الجمع ولم يختلفوا فی توحيد ما ليس فيه الف ولام وقرأ ابو جعفر الرياح علی الجمع کل القرآن الا فی الذاريات وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم الرياح فی عشرة مواضع فی البقرة والاعراف والحجر والکهف والفرقان والنمل والروم فی موضعين وفاطر والجاثية وقرأ نافع اثنا عشر موضعا هذه العشرة وفی ابرهيم وعسق وقرأ ابن کثير فی خمسة مواضع البقرة والحجر والکهف واول الروم والجاثية وقرأ الکسائی الرياح فی ثلاثة مواضع فی الحجر والفرقان واول الروم ووافقه حمزة الا فی الحجر **الحجة** قال ابن عباس الرياح للرحمة والريح للعذاب وروی ان النبی صلی الله عليه وآله کان اذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ويقوی هذا الخبر قوله سبحانه ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات ويشبه ان يکون النبی عليه السلام انما قصد بقوله هذا الموضع وبقوله لا تجعلها ريحا قوله سبحانه وفی عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقد يخص اللفظة فی التنزيل بشیء فيکون امارة له فمن ذلک ان عامة ما جاء فی القرآن من قوله وما يدريک مبهم غير مبين وکان من لفظ ما ادراک مفسر کقوله وما ادراک ما الحاقة وما القارعة وما يدريک لعل الساعة قريب قال ابو علی وتصريف الرياح علی الجمع اولی لان کل واحدة من الرياح مثل الاخری فی دلالتها علی التوحيد ومن وحد فانه اراد الجنس کما قالوا اهلک الناس الدينار والدرهم فاما قوله ولسليمان الريح عاصفة وان کانت الريح کلها سخرت له فالمراد بها الجنس والکثرة وان کان قد سخرت له ريح بعينها کان کقولک الرجل وانت تريد به العهد واما قوله وفی عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم فهی واحدة يدل عليه قوله فارسلنا عليهم ريحا صرصرا وفی الحديث نصرت بالصبا واهلکت عاد بالدبور فهذا يدل علی انها واحدة **اللغة** الخلق هو الاحداث للشیء علی تقدير من غير احتذاء علی مثال ولذلک لا يجوز اطلاقه الا فی صفات الله سبحانه لانه لا احد سوی الله يکون جميع افعاله علی ترتيب من غير احتذاء علی مثال وقد استعمل الخلق بمعنی المخلوق کما استعمل الرضا بمعنی المرضی وهو بمنزلة المصدر وليس بمعنی المصدر فی المخلوق واختلف اهل العلم فيه اذا کان بمعنی المصدر فقال قوم هو الارادة له وقال آخرون انما هو علی معنی مقدر کقولک وجود وعدم وحدوث وقدم وهذه الاسماء تدل علی مسميات قدمها اللسان عن المعانی المختلفة والا فالمعنی بها هذا الموصوف فی الحقيقة والسموات جمع السماء وکل سقف سماء غير انه اذا اطلق لم يفهم منه غير السموات السبع وانما جمعت السماء ووحدت الارض لانه لما ذکر السماء بانها سبع فی قوله فسويهن سبع سموات وقوله خلق سبع سموات جمع لئلا يوهم التوحيد معنی الواحدة من هذه السبع وقوله ومن الارض مثلهن وان دل علی معنی السبع فانه لم يجر علی جهة الافصاح بالتفصيل فی اللفظ وايضا فان الارض لتشاکلها تشبه الجنس الواحد الذی لا يجوز جمعه الا ان يراد الاختلاف وليس تجری السموات مجری الجنس المتفق لانه دبر فی کل سماء امرها التدبير الذی هو حقها والاختلاف نقيض الاتفاق واختلاف الليل والنهار اخذ من الخلف لان کل واحد منهما يخلف صاحبه علی وجه المعاقبة وقيل هو من اختلاف الجنس کاختلاف السواد والبياض لان احدهما لا يسد مسد الاخر فی الادراک والمختلفان ما لا يسد احدهما مسد الاخر فيما يرجع الی ذاته والليل هو الظلام المعاقب للنهار واحده ليلة فهو مثل تمر وتمرة والنهار هو الضياء المتسع واصله الاتساع ومنه قول الشاعر: ملکت بها کفی فانهرت فتقها * يری قائم من دونها ما وراءها

ای اوسعت وانما جمعت الليل ولم يجمع النهار لان النهار بمنزلة المصدر کقولک الضياء يقع علی الکثير والقليل علی انه قد جاء جمع النهار علی وجه الشذوذ قال الشاعر: لولا الثريدان هلکنا بالضمر * ثريد ليل وثريد بالنهر

والفلک السفن يقع علی الواحد والجمع والفلک فلک السماء وکل مستدير فلک قال صاحب العين قيل هو اسم للدوران خاصة وقيل بل اسم للاطباق سبعة فيها النجوم وفلکت الجارية اذا استدار ثديها واصل الباب الدور وما انزل من السماء قال قوم السماء يقع علی السحاب لان کل ما علاک فهو سماء قال علی بن عيسی قيل ان السحاب بخارات تصعد من الارض وذلک جائز لا يقطع به ولا مانع من صحته من دليل عقل ولا سمع والسماء السقف قال سبحانه وجعلنا السماء سقفا محفوظا والسماء المعروفة سقف الارض واصله من السمو وهو

العلو فالسماء الطبقة العالية علی الطبقة السافلة والارض الطبقة السافلة ويقال ارض البيت وارض الغرفة فهو سماء لما تحته من الطبقة السافلة وارض لما فوقه الا انه صار ذلک الاسم بمنزلة الصفة الغالبة علی السماء المعروفة وهذا الاسم کالعلم علی الارض المعروفة والبحر هو الخرق الواسع للماء الذی يزيد علی سعة النهر والمنفعة هی اللذة والسرور وما ادی اليهما او الی واحد منهما والنفع والخير والحظ نظائر وقد يکون المنفعة بالالام اذا ادت الی اللذات والاحياء فعل الحياة وحياة الارض عمارتها بالنبات وموتها خرابها بالجفاف الذی يمتنع معه النبات والبث التفريق وکل شیء بثثته فقد فرقته ومنه بث الغم لانه تفريق القلب والدابة من الدبيب وکل شیء خلقه الله مما يدب فهو دابة وصار بالعرف اسما لما يرکب والتصريف التقليب وصرف الدهر تقلبه وجمعه صروف والسحاب مشتق من السحب وهو جر الشیء علی وجه الارض کما تسحب المرأة ذيلها وکل منجر منسحب وسمی سحابا لانجراره فی السماء والتسخير والتذليل والتمهيد نظائر يقال سخر الله لفلان کذا اذا سهله له وسخرت الرجل اذا کلفته عملا بلا اجرة وهی السخرة وسخرت منه اذا استهزأت به والرياح اربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فالشمال عن يمين القبلة والجنوب عن يسارها والصبا والدبور متقابلتان فالصبا من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب انشد ابو زيد: اذا قلت هذا حين اسلو يهيجنی * نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

فاذا جاءت الريح بين الصبا والشمال فهی النکباء والتی بين الجنوب والصبا الجربياء والصبا هی القبول والجنوب تسمی الازيب وتسمی النعامی والشمال يسمی محوة لانه يمحو السحاب وتسمی مسعا ونسعا وتسمی الجنوب لاقحا والشمال حائلا قال ابو داود يصف سحابا: لقحن بجيا للقح الجنوب * فاصبحن ينتجن ماء الحيا

قوله للقح الجنوب ای لالقاح الجنوب وقال زهير: جرت سنحا فقلت لها اجيزی * نوی مشمولة فمتی اللقاء

مشمولة ای مکروهة لانهم يکرهون الشمال لبردها وذهابها بالغيم فصار کل مکروه عندهم مشمولا **المعنی** لما اخبر الله سبحانه الکفار بان الههم واحد لا ثانی له قالوا ما الدلالة علی ذلک فقال سبحانه ان فی خلق السموات والارض ای فی انشائهما مقدرين علی سبيل الاختراع واختلاف الليل والنهار وکل واحد منهما يخلف صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الاخر علی وجه المعاقبة واختلافهما فی الجنس واللون والطول والقصر والفلک التی تجری فی البحر ای السفن التی تحمل الاحمال بما ينفع الناس خص النفع بالذکر وان کان فيه نفع وضر لان المراد هنا عد النعم ولان الضار غيره انما يقصد منفعة نفسه والنفع بها يکون برکوبها والحمل عليها فی التجارات والمکاسب وما انزل الله من السماء ای من نحو السماء عند جميع المفسرين وقيل يريد به السحاب من ماء يعنی المطر فاحيا به الارض بعد موتها ای فعمر به الارض بعد خرابها لان الارض اذا وقع عليها المطر انبتت واذا لم يصبها مطر لم تنبت ولم يتم نباتها فکانت من هذا الوجه کالميت وقيل اراد به احياء اهل الارض باخراج الاقوات وغيرها مما تحيا به نفوسهم وبث فيها من کل دابة ای فرق فی الارض من کل حيوان يدب واراد بذلک خلقها فی مواضع متفرقة وتصريف الرياح ای تقليبها بان جعل بعضها صبا وبعضها دبورا وبعضها شمالا وبعضها جنوبا وقيل تصريفها بان جعل بعضها ياتی بالرحمة وبعضها ياتی بالعذاب عن قتادة وروی ان الريح هاجت علی عهد ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال بعضهم لا تسبوا الريح ولکن قولوا اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا والسحاب المسخر ای المذلل بين السماء والارض يصرفها کيف يشاء من بلد الی بلد ومن موضع الی موضع لآيات ای حججا ودلالات لقوم يعقلون قيل انه عام فی العقلاء من استدل منهم ومن لم يستدل وقيل انه خاص بمن استدل به لان من لم ينتفع بتلک الدلالات ولم يستدل بها صار کانه لا عقل له فيکون مثل قوله انما انت منذر من يخشاها وقوله هدی للمتقين وذکر سبحانه الايات والدلالات ولم يذکر علی ماذا يدل فحذف لدلالة الکلام عليه وقد بين العلماء تفصيل ما يدل عليه فقالوا اما السموات والارض فيدل تغير اجزائهما واحتمالهما الزيادة والنقصان وانهما من الحوادث لا ينفکان علی حدوثهما وان حدوثهما وخلقهما يدل علی ان لهما خالقا لا يشبههما ولا يشبهانه لانه لا يقدر علی خلق الاجسام الا القديم القادر لنفسه الذی ليس بجسم ولا عرض اذ جميع ما هو بصفة الاجسام والاعراض محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث لاستحالة التسلسل ويدل کونهما علی وجه الاتقان والاحکام والاتساق والانتظام علی کون فاعلهما عالما حکيما واما اختلاف الليل والنهار وجريهما علی وتيرة واحدة واخذ احدهما من صاحبه الزيادة والنقصان وتعلق ذلک بمجاری الشمس والقمر فيدل علی عالم مدبر يدبرهما علی هذا الحد لا يسهو ولا يذهل من جهة انه افعال محکمة واقعة علی نظام وترتيب لا يدخلها تفاوت ولا اختلال واما الفلک التی تجری فی البحر بما ينفع الناس فيدل لحصول الماء علی ما نراه من الرقة واللطافة التی لولاها لما امکن جری السفن عليه وتسخير الرياح لاجرائها فی خلاف الوجه الذی يجری الماء اليه علی منتهی دبره لک لمنافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من قبل الاجسام لان الاجسام يتعذر عليها فعل ذلک واما الماء الذی ينزل من السماء فيدل انشاؤه وانزاله قطرة قطرة لا تلتقی اجزاؤه ولا تتألف فی الجو فينزل مثل السيل فيخرب البلاد وتبقيته فی الجو مع ان من طبع الماء الانحدار الی وقت نزوله بقدر الحاجة فی اوقاتها علی ان مدبره قادر علی ما يشاء من الامور عالم حکيم خبير واما احياء الارض بعد موتها فيدل بظهور الثمار وانواع النبات وما يحصل به من اقوات الخلق وارزاق الحيوانات واختلاف طعومها والوانها وروائحها واختلاف مضارها ومنافعها فی الاغذية

والادوية على كمال قدرته وبدايع حكمته سبحانه من عليم حكيم ما اعظم شانه واما بث كل دابة فيها فيدل على ان لها صانعا خالقا لها منعما بانواع النعم خالقا للذوات المختلفة في التراكيب المتنوعة من اللحم والعظم والاعصاب والعروق وغير ذلك من الاعضاء والاجزاء المتضمنة لبدايع الفطرة وغرايب الحكم الدالة على عظم قدرته وحسيم نعمته واما الرياح فيدل تصريفها بتحريكها وتفريقها في الجهات مرة حارة ومرة باردة وتارة لينة واخرى عاصفة وطورا عقيما وطورا لاقحة على ان مصرفها قادر على ما لا يقدر سواه اذ لو اجتمع الخلايق كلهم على ان يجعلوا الصبا دبورا او الشمال جنوبا لما امكنهم ذلك واما السحاب المسخر فيدل على ان ممسكه هو القدير الذي لا شبه له ولا نظير لانه لا يقدر على تسكين الاجسام بغير علاقة ولا دعامة الا الله سبحانه وتعالى القادر لذاته الذي لا نهاية لمقدوراته فهذه هي الايات الدالة على انه سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شيء عالم لا يخفى عليه شيء حي لا تلحقه الافات ولا تغيره الحادثات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير استشهد بحدوث هذه الاشياء على قدمه وازليته وبما وسمها به من العجز والتسخير على كمال قدرته وبما ضمنها من البدايع على عجايب حكمته وفيها ايضا اوضح دلالة على انه سبحانه المنان على عباده بفوايد النعم المنعم عليهم بما لا يقدر غيره على الانعام بمثله من جزيل القسم فيعلم بذلك انه سبحانه الاله الذي لا يستحق العبادة سواه وفي هذه الاية ايضا دلالة على وجوب النظر والاستدلال وان ذلك هو الطريق الى المعرفة وفيها البيان لما يجب فيه النظر وابطال التقليد

قوله عز وجل **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** آية **القراءة** قرا نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى الذين ظلموا بالتاء على الخطاب وقرا الباقون بالياء وكلهم قرؤا اذ يرون العذاب بفتح الياء الا ابن عامر فانه قرا اذ يرون بالضم وقرا ابو جعفر ويعقوب ان القوة لله وان الله بكسر الهمزة فيهما والباقون بفتحهما **الحجة** قال ابو علي حجة من قرا ولو يرى الذين ظلموا بالياء ان لفظ الغيبة اولى من لفظ الخطاب من حيث انه يكون اشبه بما قبله من قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهو ايضا اشبه بما بعده من قوله كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات وحجة من قرا ولو ترى فجعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله السلام لكثرة ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى ويكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به الكافة واما فتح ان القوة فيمن قرا بالتاء فلا يخلو من ان يكون ترى من رؤية البصر او المتعدية الى مفعولين فان جعلته من رؤية البصر لم يجز ان يتعدى الى ان لانها قد استوفت مفعولها الذي يقتضيه وهو الذين ظلموا ولا يجوز ان يكون المتعدية الى مفعولين لان المفعول الثاني في هذا الباب هو المفعول الاول في المعنى وقوله ان القوة لله لا يكون الذين ظلموا فاذن يجب ان يكون منتصبا بفعل اخر غير ترى وذلك الفعل هو الذي يقدر جوابا للو كانه ولو ترى الذين ظلموا اذ يرون العذاب لراوا ان القوة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقنوا معه انه قوي عزيز وان الامر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك او شكهم فيه ومذهب من قرا بالياء ابين لانهم ينصبون ان بالفعل الظاهر دون المضمر والجواب في هذا النحو يجيء محذوفا فاذا اعمل الجواب في شيء صار بمنزلة الاشياء المذكورة في اللفظ فحمل المفعول اليه يخالف ما عليه ساير هذا النحو من الاي التي حذفت الاجوبة منها لتكون ابلغ في باب التوعيد هذا كلام ابي علي الفارسي ونحن نذكر ما قاله غيره في كسر ان القوة وفتحها في الاعراب وحجة من قرا اذ يرون العذاب قوله وردوا العذاب وقوله ولو اذ ارى الذين ظلموا العذاب وحجة ابن عامر قوله كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات لانك اذا بنيت هذا الفعل للمفعول به قلت يرون اعمالهم حسرات **اللغة** الانداد الاشباه والامثال واحدها ند وقيل هي الاضداد واصل الند المثل المناوي والحب خلاف البغض والمحبة هي الارادة الا ان فيها حذفا لا يكون في الارادة فاذا قلت احب زيدا فالمعنى اني اريد منافعه او مدحه واذا قلت احب الله زيدا فالمعنى انه يريد ثوابه وتعظيمه واذا قلت احب الله فالمعنى اريد طاعته واتباع اوامره ولا يقال اريد زيدا ولا ان الله يريد المؤمن ولا اني اريد الله فاعتيد الحذف في المحبة ولم يعتد في الارادة وقيل ان المحبة ليس من جنس الارادة بل هي من جنس ميل الطبع كما يقول احب ولدي اي يميل طبعي اليه وهذا من المجاز بدلالة انهم يقولون احببت ان افعل بمعنى اردت ان افعل ويقال احبه احبابا وحبه حبا ومحبة واحب البعير احبابا اذا برك فلا يثور وهو كالحران في الخيل قال ابو عبيدة ومنه قوله احببت حب الخير عن ذكر ربي اي لصقت بالارض لحب الخير حتى فاتتني الصلوة وترى قال ابو علي الفارسي هو من رؤية العين يدل على ذلك تعديته الى مفعول واحد تقديره ولو يرون ان القوة لله اي لو يرى الكفار ذلك ويدل عليه قوله اذ يرون العذاب والقوة العقد وهو ضد الرخاوة والقوة والقدرة واحد **الاعراب** ويجوز فتح ان من ثلثة اوجه وكسرها من ثلاثة اوجه مع القراءة بالياء فاما الفتح فالاول ان يفتح بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر وتقديره ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب قوة الله وشدة عذابه والثاني ان يفتح على حذف اللام كقولك لان القوة لله والثالث على تقدير الواو ان القوة لله وان الله شديد العذاب على الاتصال بما حذف من الجواب واما الوجه الاول في الكسر فعلى الاستيناف والثاني على الحكاية مما حذف من الجواب كانه قيل لقالوا ان القوة لله والثالث على الاتصال بما حذف من الحال كانه قيل يقولون ان القوة لله فاما مع القراءة بالتاء فيجوز ايضا كسر ان من ثلثة

اوجه وفتحها من ثلثة اوجه فاما الفتح فاولها ان يكون على البدل كقولك ولو ترى الذين ظلموا ان القوة لله عليهم عن الفراء وقال ابو علي هذا لا يجوز فكان الكسر مع التاء قال الفراء والاختيار مع الياء الفتح ومع التاء الكسر لان قوله ان القوة ليس للذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتملا عليهم والثاني ان يفتح على حذف اللام كقولك لان القوة والثالث لرايت ان القوة لله واما الكسر مع التاء فكالكسر مع الياء قال الفراء والاختيار مع الياء الفتح ومع التاء الكسر لان الرؤية قد وقعت على الذين وجواب لو محذوف كانه قيل لراوا مضرة اتخاذهم للانداد او لراوا امرا عظيما لا يحصر بالاوهام وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولك لو رايت السياط تاخذ فلانا لان المحذوف ياخذ كل امر ومن قرا ولو يرى بالياء فالذين ظلموا في موضع رفع بانهم الفاعلون ومن قرا بالتاء فالذين ظلموا في موضع نصب وقوله جميعا نصب على الحال كانه قيل ان القوة ثابتة لله في حال اجتماعها وهو صفة مبالغة بمعنى اذا راوا مقدورات الله فيما تقدم الوعيد به علموا ان الله سبحانه قادر لا يعجزه شيء وقوله يحبونهم في موضع نصب على الحال من الضمير في يتخذ وان كان الضمير في يتخذ على التوحيد لانه يعود الى من ويجوز ان يعود اليه الضمير على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى ويجوز ان يكون يحبونهم صفة لقوله اندادا قال ابو علي لو قلت كيف جاء اذ في قوله اذ يرون العذاب وهذا امر مستقبل فالقول انه جاء على لفظ المضي لارادة التقريب في ذلك كما جاء وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وان الساعة قريب وعلى هذا قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومن هذا الضرب ما جاء في التنزيل من قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم **المعنى** ومن الناس للتبعيض هاهنا اي بعض الناس من يتخذ من دون الله اندادا يعني الهتهم من الاوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة ومجاهد واكثر المفسرين وقيل رؤساهم الذين يطيعونهم طاعة الارباب من الرجال عن السدي وعلى هذا المعنى ما روى جابر عن ابي جعفر عليه السلام انه قال هم ائمة الظلمة واشياعهم وقوله يحبونهم كحب الله على هذا القول الاخير ادل لانه يبعد ان يحبوا الاوثان كحب الله مع علمهم بانها لا تنفع ولا تضر ويدل ايضا عليه قوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يحبون عبادتهم او التقرب اليهم او الانقياد لهم او جميع ذلك كحب الله فيه ثلاثة اقوال احدها كحبهم الله اي كحب المؤمنين الله عن ابن عباس والحسن والثاني كحبهم الله يعني الذين اتخذوا الانداد فيكون المعنى بمن يعرف الله من المشركين ويعبد معه الاوثان ويسوي بينهما في المحبة عن ابي علي وابي مسلم والثالث كحب الله اي كالحب الواجب عليهم اللازم لهم لا الواقع والذين آمنوا اشد حبا لله يعني حب المؤمنين فوق حب هؤلاء وحبهم اشد من وجوه احدها اخلاصهم العبادة والتعظيم له والثناء عليه من الاشراك وثانيها انهم يحبونه عن علم بانه المنعم ابتداء وانه يفعل بهم في جميع الاحوال ما هو الاصلح لهم في التدبير وقد انعم عليهم بالكثير فيعبدونه عبادة الشاكرين ويرجون رحمته على يقين فلا بد ان يكون حبهم له اشد وثالثها انهم يعلمون ان له الصفات العلى والاسماء الحسنى وانه الحكيم الخبير الذي لا مثل له ولا نظير يملك النفع والضر والثواب والعقاب واليه المرجع والمآب فهم اشد حبا لله بذلك ممن عبد الاوثان واختلف في معنى قوله اشد فقيل اثبت وادوم لان المشرك ينتقل من صنم الى صنم عن ابن عباس وقيل لان المؤمن يعبده بلا واسطة والمشرك يعبده بواسطة عن الحسن وقوله ولو يرى الذين ظلموا تقديره ولو يرى الظالمون اي يبصرون وقيل لو يعلم هؤلاء الظالمون حين يرون العذاب والصحيح الاول كما تقدم بانه هذا على قراءة من قرا بالياء ومن قرا بالتاء فمعناه ولو ترى يا محمد عن الحسن والخطاب له والمراد غيره وقيل معناه لو ترى ايها السامع او ايها الانسان الظالمين اذ يرون العذاب وقوله ان القوة لله فيه حذف اي لرايت ان القوة لله جميعا فعلى هذا يكون متصلا بجواب لو ومن قرا بالياء فمعناه ولو يرى الظالمون ان القوة لله جميعا لراوا مضرة فعلهم وسوء عاقبتهم ومعنى قوله ان القوة لله جميعا ان الله سبحانه قادر على اخذهم وعقوبتهم وفي هذا وعيد وتهديد الى ان هؤلاء الجبابرة مع تعززهم اذا حشروا ذلوا وخافوا لو وقد بينا الوجوه في فتح ان وكسرها فالمعنى تابع لها ودائر عليها وجواب لو محذوف على جميع الوجوه وان الله شديد العذاب وصف العذاب بالشدة توسع ومبالغة في الوصف فان الشدة من صفات الاجسام **النظم** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الله سبحانه اخبر ان مع وضوح هذه الايات والدلالات التي سبق ذكرها اقام قوم على الباطل وانكار الحق فكانه قال ابعد هذا البيان وظهور البرهان يتخذون من دون الله اندادا

قوله عز وجل **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ** آيتان **اللغة** التبرؤ في اللغة والتفصي والتزيل نظاير واصل التبرؤ التولي والتباعد للعداوة واذا قيل برئ الله من المشركين فكانه باعدهم من رحمته للعداوة التي استحقوها بمعصيته واصله من الانفصال ومنه برا من مرضه وبرى يبرا برءا وبرى من الدين براءة والاتباع طلب الاتفاق في مقال او فعال او مكان واذا قيل اتبعه ليلحقه فالمراد ليتفق معه في المكان والتقطع التباعد بعد اتصال والسبب الوصلة الى المتعذر بما يصلح من الطلب والاسباب الوصلات واحدها سبب ومنه سمي الحبل سببا لانك تتوصل به الى ما انقطع عنك من ماء بئر وغيره ومضت سبة من الدهر اي ملاوة والكرة الرجعة

قال الاخطل ولقد عطفن على فزارة عطفة كرّ المنيح وجلن ثم مجالا والكر نقيض الفر قال صاحب العين الكر الرجوع عن الشي والكر الحبل الغليظ وقيل
الشديد الفتل والحسرات جمع الحسرة وهي اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق بالماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل لان
الحسرة انما هي على مافات بوقوعه او بنقضي وقته والحسرة والندامة من النظاير يقال حسر يحسر حسرا وحسرة اذا كمد على الشي الفايت وتلهف عليه واصل الحسر
الكشف يقول حسرت العمامة عن راسي اذا كشفتها وحسر عن ذراعه حسرا والحاسر الذي لا درع عليه ولا مغفر الاعراب العامل في اذ قوله شديد العذاب
اي وقت التبري وانتصب فنتبرأ على انه جواب التمني بالفاء كانه قال لو ان لنا كرة فنتبرأ وكلما عطف الفعل على ما تاويله تاويل المصدر نصب باضمار ان ولا
يجوز اظهارها فيما الفصيح بلفظ المصدر فيه لانه لما حمل الاول على التاويل حمل الثاني على التاويل ايضا ويجوز فيه الرفع على الاستيناف اي فنحن نتبرأ منهم على
حال واما قوله لو ان لنا كرة ففي موضع الرفع لفعل محذوف تقديره لو صح ان لنا كرة لان لو في التمني وفي غيره يطلب الفعل وان شئت قلت تقديره لو ثبت
ان لنا كرة واقول ان جواب لو هنا ايضا في التقدير محذوف ولذلك افاد في الكلام معنى التمني فيكون تقديره لو ثبت ان لنا كرة فنتبرأ منهم لتشفينا بذلك
وجاز بناهم صاعا بصاع وهذا شي احوجه الي الاعتبار ولم اره في الاصول وهو الصحيح الذي لا غبار عليه وبالله التوفيق واما العامل في الكاف من
من كذلك فعل يريهم الله اي يريهم الله اعمالهم حسرات كذلك اي مثل تبري بعضهم من بعض وذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما وقيل تقديره يريهم اعمالهم
حسرات كما اراهم العذاب وذلك لانهم ايقنوا بالهلاك في كل واحد منهما المعنى لما ذكر الذين اتخذوا الانداد ذكر سوء حالهم في المعاد فقال سبحانه
اذ تبرأ الذين اتبعوا وهم القادة والرؤساء من مشركي الانس عن قتادة والربيع وعطا وقيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن عن السدي وقيل
شياطين الجن والانس والاظهر هو الاول من الذين اتبعوا اي من الاتباع السفلة ورأوا اي راي التابعون والمتبوعون العذاب اي عاينوه حين
دخلوا النار وتقطعت بهم الاسباب فيه وجوه احدها الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد وقتادة والربيع والثاني الارحام التي كانوا
يتعاطفون بها عن ابن عباس والثالث العهود التي كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس ايضا والرابع تقطعت بهم اسباب اعمالهم التي كانوا يوصلونها
عن ابن زيد والسدي والخامس تقطعت بهم اسباب النجاة عن ابي علي وظاهر الاية يحتمل الكل فينبغي ان يحمل على عمومه فكانه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن
ان يتعلق به فلا ينتفعون بالاسباب على اختلافها من منزلة او قرابة او مودة او حلف او عهد على ما كانوا ينتفعون بها في الدنيا وذلك نهاية في الاياس
وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي عودة الى دار الدنيا وحال التكليف فنتبرأ منهم اي من القادة في الدنيا كما تبرؤا منا في الاخرة كذلك
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم فيه اقوال احدها ان المراد المعاصي يتحسرون عليها لم عملوها عن الربيع وابن زيد وهو اختيار الجبائي والبلخي والثاني المراد
الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها وضيعوها عن السدي والثالث ما رواه اصحابنا عن ابي جعفر عليه السلم قال هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيرا
فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره والرابع ان الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون
عليه لم فرطوا فيها والاية محتملة لجميع هذه الوجوه والاولى الحمل على العموم وما هم بخارجين من النار اي يخلدون فيها بين سبحانه في الاية انهم يتحسرون في وقت
لا ينفعهم فيه الحسرة وذلك ترغيب في التحرز في وقت ينفع فيه الحسرة واكثر المفسرين على ان الاية واردة في الكفار كابن عباس وغيره وفي هذه الاية دلالة على انهم كانوا
قادرين على الطاعة والمعصية لانه لا يحسن في المعقول ان يتحسر الانسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه او على فعل ما كان لا يمكنه الاتيان به الا ترى انه لا
يتحسر الانسان على انه لم يصعد السماء لما لم يكن قادرا على الصعود الى السماء قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين اية القراءة قرا نافع وابو عمرو وحمزة وابو بكر الا البرجمي خطوات بسكون الطاء حيث وقع والباقون بضمها
وروي في الشواذ عن علي عليه السلم خطؤات بضمتين وهمزة وعن ابي السمال خطوات بفتح الخاء والطاء الحجة ما كان على فعلة من الاسماء فالاصل في جمعه التثقيل
نحو غرفة وغرفات وحجرة وحجرات لان التحريك فاصل بين الاسم والصفة ومن اسكنه فقال خطوات فانه نوى الضمة واسكن الكلمة عنها طلبا للخفة ومن ضم الخاء
والطاء مع الهمزة فكانه ذهب بها مذهب الخطيئة فجعل ذلك على مثال فعلة من الخطا هذا قول الاخفش وقال ابو حاتم ارادوا اشباع الفتحة في الواو فانقلبت
همزة ومن فتح الخاء والطاء فهو جمع خطوة فيكون مثل غرفة وغرفات اللغة الاكل هو البلع عن مضغ وبلع الذهب واللؤلؤ وما اشبهه ليس باكل في الحقيقة وقد
قيل النعام تاكل الجمر فاجروه مجرى اكل الطعام والحلال هو الجائز من افعال العباد ونظيره المباح واصله الحل نقيض العقد وانما سمي المباح حلالا لانحلال
عقد الحظر عنه ولا يسمى كل حسن حلالا لان افعال الله تعالى حسنة ولا يقال انها حلال اذ الحلال الطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال حل يحل حلا لا وحل
يحل حلولا وحل العقد يحله حلا واحل من احرامه وحل فهو محل وحلال وحلت عليه العقوبة والطيب هو الخالص من شايب ينغص وهو على ثلثة اقسام

الطيب المستلذ والطيب الجائز والطيب الطاهر والاصل هو المستلذ الا انه وصف به الطاهر والجائز تشبيها اذ ما يزجر عنه العقل والشرع كالذي تكرهه
النفس في الصرف عنه وما يدعو اليه بخلاف ذلك والطيب الحلال والطيب النظيف واصل الباب الطيب خلاف الخبيث والخطوة بعد ما بين القدمي
الماشي والخطوة المرة من الخطو يقال خطوت خطوة واحدة وجمع الخطوة خطى واصل الخطو نقل القدم وخطوات الشيطان اثاره والعدو المباعد
عن الخير الى الشر والولي نقيضه الاعراب حلالا صفة مصدر محذوف اي كلوا شيئا حلالا ومن في قوله مما في الارض يتعلق بكلوا او بمحذوف يكون معه في
محل النصب على الحال والعامل فيه كلوا وذو الحال قوله حلالا وقوله طيبا صفة بعد صفة النزول عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني عامر
بن صعصعة وبني مدلج لما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فنهاهم الله عن ذلك المعنى لما قدم سبحانه ذكر التوحيد
واهله والشرك واهله اتبع ذلك ذكر ما انعم به سبحانه على الفريقين من النعم والاحسان ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لما في ذلك من الجحود لنعمه والكفران
فقال يا ايها الناس وهذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بني ادم كلوا لفظه لفظ الامر ومعناه الاباحة مما في الارض حلالا طيبا لما اباح الاكل بين ما يجب ان
يكون عليه من الصفة لان في الماكول ما يحرم وفيه ما يحل فالحرام يعقب الهلكة والحلال يقوي على العبادة وانما يكون حلالا بان لا يكون مما يتناوله الحظر
ولا يكون لغير الاكل فيه حق وهو يتناول جميع المحللات واما الطيب فقيل هو الحلال ايضا فجمع بينهما لاختلاف اللفظين تاكيدا وقيل معناه ما يستطيبونه
ويستلذونه في العاجل والاجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اختلف في معناه فقيل اعماله عن ابن عباس وقيل خطاياه عن مجاهد وقتادة وقيل طاعتكم اياه
عن السدي وقيل اثاره عن الخليل وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم ان من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق والنذور في المعاصي وكل يمين
بغير الله تعالى وقال القاضي يريد وساوس الشيطان وخواطره وقال الماوردي هو ما ينقلهم به من معصية الى معصية حتى يستوعبوا جميع المعاصي ماخوذ
من خطو القدم في نقلها من مكان الى مكان حتى يبلغ مقصده انه لكم عدو مبين اي مظهر للعداوة بما يدعوكم اليه من خلاف الطاعة لله تعالى واختلف
الناس في الماكل والمنافع التي لا ضرر على احد فيها فمنهم من ذهب الى انها على الحظر ومنهم من ذهب الى انها على الاباحة واختاره المرتضى قدس الله روحه
ومنهم من وقف بين الامرين وجوز كل واحد منهما وهذه الاية دالة على اباحة الماكل الا ما دل الدليل على حظره فجاءت مؤكدة لما في العقل قوله عز وجل
انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون اية اللغة الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل فاما الامر في
اللغة فهو قول القائل لمن دونه افعل اذا كان الامر مريدا للمامور به وقيل هو الدعاء الى الفعل بصيغة افعل والسوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل
او الشرع وسمي ايضا ما تنفر عنه النفس سوءا تقول ساءني كذا يسوءني سوءا وقيل انما سمي القبيح سوءا لسوء عاقبته لانه يلتذ به في العاجل والفحشاء والفاحشة
والقبيحة والسيئة نظاير وهي مصدر نحو السراء والضراء يقال فحش فحشا وفحشاء وكل من تجاوز قدره فهو فاحش وافحش الرجل اذا اتى بالفحشاء وكل
ما لا يوافق الحق فهو فاحشة وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة معناه خروجها من بيتها بغير اذن زوجها المطلق لها والقول كلام له عبارة تنبئ
عن الحكاية وذلك كلام زيد يمكن ان يحكي عمرو بعبارة عنه تنبئ عن الحكاية له فيقول قال زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد يؤذن بانه يحكي بعده
كلاما وليس كذلك اذا قال تكلم زيد لانه لا يؤذن بالحكاية والعلم ما اقتضى سكون النفس وقيل هو تبين الشي على ما هو به للمدرك له المعنى لما
قدم سبحانه ذكر الشياطين عقبه ببيان ما يدعوا اليه من مخالفة الدين فقال انما يامركم بالسوء اي بالمعاصي عن السدي وقتادة وقيل بما يسوء فاعله
اي يضره فهو في المعنى مثل الاول والفحشاء قيل المراد به الزنا وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما فيه حد عن ابن عباس وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون قيل هو دعواهم له الانداد والاولاد ونسبتهم اليه الفواحش عن ابي مسلم وقيل المراد به جميع المذاهب الفاسدة والاعتقادات الباطلة مما
يسال على هذا ان يقال كيف يامرنا الشيطان ونحن لا نشاهده ولا نسمع كلامه فالجواب ان معنى امره هو دعاؤه اليه كما يقول نفسي تامرني بكذا اي
تدعوني اليه وقيل انه يامر بالمعاصي حقيقة وقد يعرف ذلك الانسان من نفسه فيجد نقل بعض الطاعات عليه وميل نفسه الى بعض المعاصي والوسوسة
هي الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي فيلقي اليه الشيطان اشياء بصوت خفي في اذنه ومتى قيل كيف يميز الانسان بين ما يلقي اليه الشيطان وما تدعو
اليه النفس فالقول انه لا ضير عليه اذا لم يميز بينهما فانه اذا ثبت عنده ان الشيطان قد يامر بالمعاصي جوز في كل ما كان من هذا الجنس ان يكون
من قبل الشيطان الذي ثبت له عداوته فيكون ارغب في فعل الطاعة مع ثقلها عليه وفي ترك المعاصي مع ميل النفس اليها مخالفة للشيطان
الذي هو عدوه قوله عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون اية اللغة الفينا اي صادفنا ووجدنا والاب والوالد واحد والاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم الاعراب

او لو هي واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع ومثل هذا الواو ثم اذا اما وقع امنتم به وانما جعلت همزة الاستفهام للتوبيخ لانه يقتضي ما الاقرار به فضيحة عليه كما يقتضي الاستفهام الاخبار بما يحتاج اليه وانما دخلت الواو في مثل هذا الكلام لانك اذا قلت اتتبعه ولو ضرك فمعناه اتتبعه على كل حال وليس كذلك اتتبعه لو ضرك لان هذا خاص وذاك عام فدخلت الواو لهذا المعنى النزول ابن عباس قال دعا النبي عليه السلم اليهود الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ابائنا فهم كانوا اعلم منا فنزلت هذه الاية وفي رواية الضحاك عنه انها نزلت في كفار قريش المعنى لما تقدم ذكر الكفار بين سبحانه حالهم في التقليد وترك الاجابة الى الاقرار بصدق النبي عليه السلم فيما جاء به من الكتاب المجيد فقال واذا قيل لهم اختلف في الضمير فقيل يعود الى من في قوله من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركو العرب وقيل يعود الى الناس من قوله يا ايها الناس فعدل عن المخاطبة الى الغيبة كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل يعود الى الكفار اذ قد جرى ذكرهم ويصلح ايضا ان يعود اليهم وان لم يجر ذكرهم لان الضمير يعود الى المعلوم كما يعود الى المذكور والقايل لهم هو النبي عليه السلم والمسلمون اتبعوا ما انزل الله اي من القران وشرايع الاسلام وقيل في التحريم والتحليل قالوا اي الكفار بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام اذا كان الخطاب للمشركين او في التمسك باليهودية اذا كان الخطاب لليهود او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا اي لا يعلمون شيئا من امور الدين ولا يهتدون اي لا يصيبون طريق الحق ومعناه لو ظهر لكم انهم لا يعلمون شيئا ما لزمهم معرفته اكنتم تتبعونهم ام كنتم تعرفون عن اتباعهم فقد تبين ان الواجب عن اتباعهم فقد تبين ان الواجب اتباع الدليل دون اتباع هؤلاء قوله عز وجل ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون اية اللغة المثل قول سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول نعق الراعي بالغنم ينعق نعيقا اذا صاح بها زجرا قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا ونعق الغراب نعاقا ونعيقا اذا صوت من غير ان يمد عنقه ويحركها ونغق بالغين بمعناه فاذا مد عنقه وحركها ثم صاح قيل نعب والناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء رجلها اليسرى ومنكبها الايمن وهو الذي يسمى الهنعة وهما اضوء كواكب الجوزاء والدعاء طلب الفعل من المدعو ونظيره الامر والفرق بينهما يظهر بالرتبة والنداء مصدر ناديته مناداة ونداء والدعاء والسؤال بمعناه والندى له وجوه في المعنى يقال ندى الماء وندى الخير والشر وندى الصوت وندى الحضر فالندى هو البلل وندى الخير هو المعروف يقال اندى فلان علينا ندى كثيرا ويده ندية بالمعروف وندى الصوت بعد مذهبه وندى الحضر صحة جريه واشتق النداء من ندى الصوت ناداه اي دعاه بارفع صوته المعنى ثم ضرب الله سبحانه مثلا للكفار في تركهم اجابة من يدعوهم الى التوحيد وركونهم الى التقليد فقال ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق اي يصوت بما لا يسمع من البهايم الا دعاء ونداء واختلف في تقدير الكلام وتاويله على وجوه اولها ان المعنى مثل الذين كفروا في دعائك اياهم اي مثل الداعي لهم الى الايمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهايم التي لا تفهم وانما تسمع الصوت فكما ان الانعام لا تحصل لها من دعاء الداعي الا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك اياهم الى الايمان الا السماع دون تفهم المعنى لانهم يعرضون عن قبول قولك وينصرفون عن تامله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه وهذا كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه من الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير اي بتسليمي على الامير وهذا معنى قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وهو اختيار الجبائي والرماني والطبري وثانيها ان يكون المعنى مثل الذين كفروا ومثلنا او مثل الذين كفروا ومثلك يا محمد كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء اي كمثل الانعام المنعوق بها والناعق الراعي الذي يكلمها وهي لا تعقل فحذف المثل الثاني اكتفاء بالاول ومثله قوله سبحانه وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد وقال ابو ذويب عصيت اليها القلب اني لامرها مطيع فما ادري ارشد طلابها اراد ارشد ام غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الامر وهو قول الاخفش والزجاج وهذا لان في الاية تشبيه شيئين بشيئين تشبيه الداعي الى الحق بالراعي وتشبيه المدعوين من الكفار بالانعام فحذف ما حذف للايجاز وابقى في الاول ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي وفيما ابقى دليل على ما القى وثالثها ان المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام كمثل الراعي في دعاء الانعام بتعال وما جرى مجراه من الكلام فكما ان من دعا البهايم يعد جاهلا فداعي الحجارة اشد جهلا منه لان البهايم تسمع الدعاء وان لم تفهم معناه والاصنام لا يحصل لها السماع ايضا عن ابي القسم البلخي وغيره ورابعها ان مثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام وهي لا تعقل ولا تفهم كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة ويكون المثل مصروفا الى غير الغنم وما اشبهها مما يسمع وان لم تفهم وعلى هذا الوجه ينتصب دعاء ونداء بينعق والا ملغاة لتوكيد الكلام كما في قول الفرزدق هم القوم الا حيث سلوا سيوفهم وضحوا بلحم من محل ومحرم والمعنى هم القوم من حيث سلوا سيوفهم وخامسها ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم الذي لا يفهم دعاء الناعق فاضاف سبحانه المثل الثاني الى الناعق

وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في القلب نحو قولهم طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وانشد الفراء ان سراجا لكريم مفخره تحلى به العين اذا ما تجهره اي تحلى بالعين وانشد ايضا كانت فريضة ما تقول كما كان الزناء فريضة الرجم والمعنى كما كان الرجم فريضة الزنا وانشد وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل اي ما تزيد مخافة وعل على مخافتي وقال العباس بن مرداس فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوك الا ما اطيق اراد فديت بنفسي نفسه ثم وصفهم سبحانه بما يجري مجرى التهجين والتوبيخ فقال صم بكم عمي اي صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمي عن الابصار لها وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي وقد مر بيانه في اول السورة اسقط من هذا فهم لا يعقلون اي هم بمنزلة من لا عقل له اذ هم لم ينتفعوا بعقولهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون اية اللغة الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون على وجهين احدهما الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المنعم عليه بالاعتقاد لها والثاني الطاعة بحسب جلالة النعمة فالاول لازم في كل حال من احوال الذكر والثاني انما يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق واما العبادة فهي ضرب من الشكر الا انها غاية فيه ليس وراءها شكر ويقترن به ضرب من الخضوع ولا يستحق العبادة الا الله سبحانه لانها انما يستحق باصول النعم التي هي الحيوة والقدرة والشهوة وانواع المنافع وبقدر من النفع لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله سبحانه باستحقاقها الاعراب ما رزقناكم موصول وصلة والعايد من الصلة الى الموصول محذوف وتقديره ما رزقناكموه وجواب الشرط محذوف تقديره ان كنتم اياه تعبدون فكلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله المعنى ثم خاطب سبحانه المؤمنين وذكر نعمه الظاهرة عليهم واحسانه اليهم فقال يا ايها الذين امنوا كلوا ظاهره الامر والمراد به الاباحة لان تناول المشتهى لا يدخل في التعبد وقيل انه امر من وجهين احدهما بالاكل الحلال والاخر بالاكل وقت الحاجة دفعا للضرر عن النفس قال القاضي وهذا مما يعرض في بعض الاوقات والاية غير مقصورة عليه فيحمل على الاباحة من طيبات ما رزقناكم اي مما تستلذونه وتستطيبونه من الرزق وفيه دلالة على النهي عن اكل الخبيث في قول البلخي وغيره كانه قيل كلوا من الطيب دون الخبيث كما انه لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالا على حظر الحرام وهذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم فاما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لان قول القايل كل من مال زيد لا يدل على انه اراد تحريم ما عداه لانه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصة وما عداه موقوف على بيان اخر وليس كذلك ما ضده قبيح لانه يكون من البيان تقبيح ضده واشكروا لله لله سبحانه على نعامه علينا بما جعله لنا من لذيذ الرزق امرنا بالشكر لان الانعام يقتضي الشكر وقوله ان كنتم اياه تعبدون اي ان كنتم تعبدونه عن علم بكونه منعما عليكم وقيل ان كنتم مخلصين له في العبادة وذكر الشرط هاهنا انما هو على وجه المظاهرة في الحجاج ولما فيه من حسن البيان وتلخيص الكلام ان كانت العبادة لله سبحانه واجبة عليكم بانه الهكم فالشكر له واجب عليكم بانه منعم محسن اليكم قوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم اية القراءة قرا ابو جعفر الميتة مشددة كل القران وقرا اهل الحجاز والشام والكسائي فمن اضطر بضم النون وابو جعفر منهم بكسر الطاء من اضطر والباقون بكسر النون الحجة الميتة اصلها الميّتة فحذف الياء الثانية استخفافا لثقل اليائين والكسرة والاجود في القراءة الميتة بالتخفيف وقوله فمن اضطر بالضم فهو للاتباع كما ضمت همزة الوصل في انصر واما الكسر فهو على اصل الحركة لالتقاء الساكنين واما قراة ابي جعفر فمن اضطر فلان الاصل اضطرر فسكنت الراء الاولى للادغام ونقلت حركتها الى الحرف الذي قبلها فصار اضطر والاصل ان لا تنقل حركة الراء عند اسكانها لان الفاء على حركتها الاصلية اللغة الاهلال في الذبيحة رفع الصوت بالتسمية وكان المشركون يسمون الاوثان والمسلمون يسمون الله والهلال المطر سدة انصبابه والهلال غرة القمر لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير والمحرم يهل بالاحرام وهو ان يرفع صوته بالتلبية واستهل الصبي اذا بكى وقت الولادة والاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه وذلك كالجوع الذي يحدث للانسان فلا يمكنه الامتناع منه والفرق بين الاضطرار والالجاء ان الالجاء قد تتوفر معه الدواعي الى الفعل من جهة الضرر والنفع وليس كذلك الاضطرار قال صاحب العين رجل لحم اذا كان اكولا للحم وبيت لحم يكثر فيه اللحم والحمت القوم اذا قتلتهم وصاروا لحما والملحمة الحرب ذات القتل الشديد واستلحم الطريق اذا اتسع واللحمة قرابة النسب واصل الباب اللزوم ومنه اللحم للزوم بعضه بعضا واصل البغي الطلب من قولهم بغى الرجل حاجته يبغي بغاء قال الشاعر لا يمنعنك من بغاء الخير تعقاد التمايم ان الاشايم كالايامن والايامن كالاشايم والبغاء طلب الزنا والعادي المتعدي الاعراب انما تفيد اثبات الشيء الذي يذكر بعدها ونفي ما عداه كقول الشاعر وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي وانما كانت لاثبات الشيء ونفي ما سواه من قبل ان ان لما كانت للتوكيد وانضاف اليها ما للتوكيد ايضا اكدت ان من جهة التحقيق للشيء واكدت ما من جهة نفي ما عداه فاذا قلت انما انا بشر فكانك قلت ما انا الا بشر ولو كانت ما بمعنى الذي لكتبت

مفصولة ومثله قوله انما الله اله واحد اى لا اله الا اله واحد ومثله انما انت نذير اى لا نذير الا انت فاذا ثبت ذلك فلا يجوز فى الميتة الا النصب لان ما كان فى
لو كانت ما بمعنى الذى لجاز فى الميتة الرفع وغير باغ منصوب على الحال وتقديره لا باغيا ولا عاديا ولا يجوز ان تقع الا هنا فى موضع غير لما قلنا انه بمعنى النفى
ولذلك عطف عليه بلا فاما الا فمعناها فى الاصل الاختصاص لبعض من كل وليس ههنا كل يصلح ان يخص منه المعنى لما ذكر الله سبحانه الحجة الطيبات
عقبه بتحريم المحرمات فقال انما حرم عليكم الميتة وهو ما يموت من الحيوان والدم ولحم الخنزير خص اللحم لانه المعظم والمقصود والا فجملته محرمة وما اهل به لغير الله قيل فيه قولان
احدهما انه ما ذكر عليه اسم غير الله سبحانه عليه عن الربيع وجماعة من المفسرين والاخر انه ما ذبح لغير الله عن مجاهد وقتادة والاول اوجه فمن اضطر الى اكل هذه
الاشياء ضرورة مجاعة عن اكثر المفسرين وقيل ضرورة اكراه عن مجاهد وتقديره فمن خاف على النفس من الجوع ولا يجد ما كولا يسد به الرمق وقوله غير باغ ولا عاد
فيه ثلثة اقوال احدها غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوعة عن الحسن وقتادة ومجاهد وثانيها غير باغ فى الافراط ولا عاد فى التقصير عن الزجاج وثالثها غير
باغ على امام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريقة المحقين وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وعن مجاهد وسعيد بن جبير واعترض على بن عيسى على
هذا القول بان قال ان الله سبحانه لم يبح لاحد قتل نفسه والتعرض للقتل قتل فى حكم الدين ولان الرخصة لاجل المجاعة لا لاجل سفر الطاعة وهذا فاسد لان
الباغى على الامام معرض نفسه للقتل فلا يجوز له لذلك استباحة ما حرم الله كما لا يجوز له ان يستبقى نفسه بقتل غيره من المسلمين وقوله ان الرخصة لاجل المجاعة غير
مسلم على الاطلاق بل هو مخصوص بمن لم يعرض نفسه لها فلا اثم عليه اى لا حرج عليه وانما ذكر هذا اللفظ ليبين انه ليس بمباح فى الاصل وانما رفع الحرج
لاجل الضرورة ان الله غفور رحيم انما ذكر المغفرة لاحد امرين اما ليبين انه اذا كان يغفر المعصية فانه لا يأخذ بما رخص فيه واما لانه وعد بالمغفرة
عند الانابة الى طاعة الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة وغيرها قوله عز وجل ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
اية اللغة البطن خلاف الظهر والبطن الغامض من الارض والبطن من العرب دون القبيلة الاعراب الذين مع صلته منصوب بان واولئك رفع بالابتداء
وخبره ما يأكلون فى بطونهم الا النار والمبتدا وخبره جملة فى موضع الرفع بكونها خبر ان والنار نصب بيأكلون النزول المعنى بهذه الاية اهل الكتاب باجماع
المفسرين الا انها متوجهة على قول كثير منهم الى جماعة قليلة من اليهود وهم علماؤهم ككعب بن الاشرف وحيى بن اخطب وكعب بن اسد وكانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا
ويرجون كون النبى منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال ماكلتهم فغيروا صفته فانزل الله هذه الاية المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال
سبحانه ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اى صفة محمد والبشارة به عن ابن عباس وقتادة والسدى وقيل كتموا الاحكام عن الحسن والكتاب على القول
الاول هو التورية وعلى الثانى يجوز ان يحمل على القرآن وعلى ساير الكتب ويشترون به ثمنا قليلا اى يستبدلون به عوضا قليلا وليس المراد انهم اذا اشتروا به ثمنا
كثيرا كان جايزا بل الفايدة فيه ان كل ما يأخذون فى مقابلة ذلك من حطام الدنيا فهو قليل وللعرب فى ذلك عادة معروفة ومذهب مشهور ومثله فى القرآن
ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به ويقتلون النبيين بغير حق وفيه دلالة على ان من ادعى ان مع الله الها اخر لا يقوم له على قوله برهان وان
قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق وذلك بان يوصف الشئ بما لا بد ان يكون عليه من الصفة ومثله فى الشعر قول النابغة يحفه جانبا نيق وتتبعه مثل الزجاجة
لم تكحل من الرمد اى ليس بها رمد فتكحل له وقول الاخر لا يغمز الساق من اين ولا وصب ولا يعض على شرسوفه الصفر اى ليس بساقه اين ولا وصب فيغمزها
من اجلهما وقول سويد بن ابى كاهل من اناس ليس فى اخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع ولم يرد ان فى اخلاقهم فحشا اجلا وجزعا غير سيئ بل نفى الفحش
والجزع عن اخلاقهم وفى امثال هذا كثرة اولئك يعنى الذين كتموا ذلك واخذوا الاجر على الكتمان ما يأكلون فى بطونهم الا النار معناه ان اكلهم فى الدنيا
وان كان طيبا فى الحال فكانهم لم يأكلوا الا النار لان ذلك يؤديهم الى النار كقوله سبحانه فى اكل مال اليتيم انما يأكلون فى بطونهم نارا عن الحسن والربيع و
اكثر المفسرين وقيل انهم يأكلون النار حقيقة فى جهنم عقوبة لهم على كتمانهم فيصير ما اكلوا فى بطونهم نارا يوم القيمة فسماه فى الحال بما يصير اليه فى المآل وانما ذكر البطن
وان كان الاكل لا يكون الا فى البطن لوجهين احدهما ان العرب تقول جعت فى غير بطنى وشبعت فى غير بطنى اذا جاع من يجرى جوعه مجرى جوعه وشبعه مجرى
شبعه فذكر ذلك لازالة اللبس والاخر انه لما استعمل المجاز بان اجرى على الرشوة اسم النار حقق بذكر البطن ليدل على ان النار تدخل اجوافهم ولا يكلمهم الله
يوم القيمة فيه وجهان احدهما انه لا يكلمهم بما يحبون وفى ذلك دليل على غضبه عليهم وان كان يكلمهم بالسؤال والتوبيخ وبما يغمهم كما قال فلنسألن الذين
ارسل اليهم وقال اخسئوا فيها ولا تكلمون وهذا قول الحسن والجبائى والثانى انه لا يكلمهم اصلا فيحمل ايات المسائلة على ان الملائكة تسائلهم عن الله وبامره
ويتأول قوله اخسئوا فيها على دلالة الحال وانما يدل نفى الكلام على الغضب فى الوجه الاول من حيث ان الكلام وضع فى الاصل للفايدة فلما انتفى الفايدة على جهة

الحرمان دل على الغضب فاما الكلام على وجه الغم والايلام فخارج عن ذلك ولا يزكيهم معناه لا يثنى عليهم ولا يصفهم بانهم ازكياء ومن لا يثنى الله عليه فهو معذب
وقيل لا يقبل اعمالهم كما يقبل اعمال الازكياء وقيل معناه لا يطهرهم من خبث اعمالهم بالمغفرة ولهم عذاب اليم اى موجع مولم قوله عز وجل اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار اية الاعراب ما اصبرهم قيل ما للتعجب كالتى فى قوله قتل الانسان ما اكفره
اى قد حل محل ما يتعجب منه وحكى عن بعض العرب انه قال لخصمه ما اصبرك على الله اى ما اجرأك على عذاب الله وقيل انه للاستفهام على معنى اى شئ اصبرهم يقال اصبرت
السبع والرجل ونحوه اذا نصبته لما يكره قال الحطيئة قلت لها اصبرها دائبا ويحك امثال طريف قليل اى الزمها واضطرها المعنى اولئك اشارة الى من تقدم ذكرهم
الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى استبدلوا الكفر بالنبى صلى الله عليه وآله بالايمان به فصاروا بمنزلة من يشترى السلعة بالثمن وقيل ان المراد بالضلالة كتمان
امره مع علمهم به وبالهدى اظهاره وقيل المراد بالضلالة العذاب وبالهدى الثواب وطريق الجنة اى استبدلوا النار بالجنة وقوله والعذاب بالمغفرة قيل انه تاكيد
لما تقدم عن ابى مسلم وقيل انهم كانوا اشتروا العذاب بالمغفرة لما عرفوا ما اعد الله لمن عصاه من العذاب ولمن اطاعه من الثواب ثم اقاموا على ما هم عليه من المعصية
مصرين عن القاضى وهذا اولى لانه اذا امكن حمل الكلام على زيادة فايدة كان اولى فكان اشتراءهم الضلالة يرجع الى عدولهم عن طريق العلم الى طريق الجهل
واشتراءهم العذاب بالمغفرة يرجع الى عدولهم عما يوجب الجنة الى ما يوجب النار وقوله فما اصبرهم على النار فيه اقوال احدها ان معناه ما اجرأهم على النار ذهب
اليه الحسن وقتادة ورواه على بن ابرهيم باسناده عن ابى عبد الله عليه السلام والثانى ما اعملهم باعمال اهل النار عن مجاهد وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام
والثالث ما ابقاهم على النار كما يقال ما اصبر فلانا على الحبس عن الزجاج والرابع ما ادومهم على النار اى ما ادومهم على عمل اهل النار كما يقال ما اشبه سخاءك
بحاتم اى بسخاء حاتم عن الكسائى وقطرب وعلى هذه الوجوه فظاهر الكلام التعجب والتعجب لا يجوز على القديم سبحانه لانه عالم بجميع الاشياء لا يخفى عليه شئ والتعجب انما
يكون مما لا يعرف سببه واذا ثبت ذلك فالغرض ان يدلنا على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجيب لنا منهم والخامس ما روى عن ابن عباس ان المراد اى شئ
اصبرهم على النار اى حبسهم عليها فيكون للاستفهام ويمكن حمل الوجوه الثلثة المتقدمة على الاستفهام ايضا فيكون المعنى اى شئ اجرأهم على النار واعملهم باعمال اهل النار
وابقاهم على النار وقال الكسائى هو استفهام على وجه التعجب وقال المبرد هذا حسن لانه كالتوبيخ لهم والتعجيب لنا كما يقال لمن وقع فى ورطة ما اضطرك الى هذا اذا كان
غنيا عن التعرض للوقوع فى مثلها والمراد به الانكار والتقريع على اكتساب سبب الهلاك وتعجيب الغير منه ومن قال معناه ما اجرأهم فانه عنده من الصبر الذى هو الحبس
ايضا لان بالجراءة يصبر على الشدة قوله عز وجل ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد اية اللغة
الاختلاف الذهاب الى جهة التفرق فى الجهات واصله من اختلاف الطريق تقول اختلفنا الطريق فجاء هذا من هنا وجاء ذلك من هنا ثم استعمل فى الاختلاف
فى المذاهب تشبيها بالاختلاف فى الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الاخر من الاعتقاد فاما اختلاف الاجناس فهو ما لا يسد احدهما
مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض والشقاق والمشاقة الخلاف كل واحد فى شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحد منهما ما يشق
على الاخر لاجل العداوة الاعراب قال الزجاج ذلك مرفوع بالابتداء والخبر محذوف اى ذلك الامر ويجوز ان يكون مرفوعا بخبر الابتداء اى الامر ذلك
ويحتمل ان يكون موضع ذلك نصبا على تقدير فعلنا ذلك لان فى الكلام ما يدل على فعلناه المعنى ذلك اشارة الى احد ثلثة اشياء اولها ذلك الحكم بالنار
عن الحسن وثانيها ذلك العذاب وثالثها ذلك الضلال وفى تقدير خبره ثلثة وجوه احدها ما ذكرناه من قول الزجاج وثانيها ان تقديره ذلك الحكم فيهم او حل
بهم من العذاب او ذلك الضلال معلوم بان الله نزل الكتاب بالحق فحذف لدلالة ما تقدم من الكلام عليه والثالث ذلك العذاب لهم بان الله نزل الكتاب
بالحق ويكون الباء مع ما بعده فى موضع الخبر ومن ذهب الى ان المعنى ذلك الحكم بدلالة ان الله نزل الكتاب بالحق فالكلام على صورته ومن ذهب الى ان المعنى
ذلك العذاب او الضلال بان الله نزل الكتاب بالحق ففى الكلام محذوف وتقديره فكفروا به والمراد بالكتاب ههنا التورية وقال الجبائى هو القرآن وغيره
وقال بعضهم المراد بالاول التورية وبالثانى القرآن وان الذين اختلفوا فى الكتاب قيل هم الكفار اجمع عند اكثر المفسرين اختلفوا فى القرآن على اقوال فمنهم
من قال هو كلام السحرة ومنهم من قال كلام تعلمه ومنهم من قال كلام تقوله وقيل هم اهل الكتاب من اليهود والنصارى عن السدى اختلفوا فى التاويل والتنزيل من
التورية والانجيل لانهم حرفوا الكتاب وكتموا صفة النبى عليه السلام وجحدت اليهود الانجيل والقرآن وقوله لفى شقاق بعيد اى بعيد عن الالفة بالاجتماع
على الصواب وقيل بعيد فى الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه بالضلال وكلاهما عادل عن الحق والسداد وقيل فى اختلاف شديد فيما يتصل باحكام
التورية والانجيل قوله عز وجل ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة
والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة

وَاٰتَى الزَّكٰوةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ اِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ اُولٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَاُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

القراءة قرا حفص عن عاصم غير هبيرة وحمزة ليس البر بنصب الرا والباقون بالرفع وروى في الشواذ عن ابن مسعود وابي ليس البر بان تولوا بالبا وقرا نافع وابن عامر ولكن البر بالتخفيف والرفع والباقون ولكن البر بالتشديد والنصب **الحجة** قال ابو علي حجة من رفع البر ان ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل اولى من كون المفعول بعده وحجة من نصب البر انه قد حكي عن بعض شيوخنا انه قال في هذا النحو ان يكون الاسم ان وصلتها اولى لشبهها بالمضمر في انها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكانه اجتمع مضمر ومظهر والاولى اذا اجتمعا ان يكون المضمر الاسم من حيث كان اذهب في الاختصاص من المظهر قال ابن جني يجوز ان يكون انما نصب البر مع البا بان جعل البا زايدة كقولهم كفى بالله وكيلا **اللغة** البر العطف والاحسان مصدر ويجوز ان يكون بمعنى البار اي الواسع الاحسان والبر الصدق والبر الايمان والتقوى واصله من الاتساع ومنه البر خلاف البحر لاتساعه واختلف اهل اللغة والفقهاء في المسكين والفقير ايهما اسوأ حالا فقال جماعة المسكين الذي لا شيء له والفقير الذي له ما لا يكفيه وهو قول يونس وابن دريد وقول ابي حنيفة وقال آخرون الفقير الذي لا شيء له والمسكين من له شيء يسير وهو قول الشافعي والسبيل الطريق وابن السبيل هو المنقطع به اذا كان في سفر محتاجا وان كان في بلده ذا يسار وهو من اهل الزكوة وقيل انه الضيف عن قتادة وانما قيل للمسافر ابن الطريق للزومه الطريق كما قيل للطير ابن الماء قال ذو الرمة وردت اعتسافا والثريا كانها على قمة الراس ابن ماء محلق والرقاب جمع رقبة وهي اصل العنق ويعبر به عن جميع البدن يقال اعتق الله رقبته ومنه قوله فتحرير رقبة والباساء البؤس والفقر والضراء السقم والوجع وهما مصدران بنيا على فعلاء وليس لهما افعل لان افعل وفعلاء في الصفات والنعوت ولم ياتيا في الاسماء التي ليست بنعوت **الاعراب** من نصب البر جعل ان مع صلتها اسم ليس اي ليس توليتكم وجوهكم البر كله ومن رفع البر فالمعنى ليس البر كله توليتكم وكلا المذهبين حسن لان كل واحد من اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافآ في كون احدهما اسما والاخر خبرا كما تتكافأ النكرتان وقد ذكرنا الوجه في ترجيح احد المذهبين على الاخر ولكن البر اذا شددت لكن نصبت البر واذا خففت رفعت البر وكسرت النون مع التخفيف لالتقاء الساكنين واما الاخبار عن البر بمن امن ففيه وجوه ثلثة احدها ان يكون البر بمعنى البار فجعل المصدر في موضع اسم الفاعل كما يقال ماء غور اي غاير ورجل صوم اي صائم ومثله قول الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار اي انها مقبلة ومدبرة ومثله تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا اي نائحة وثانيها ان المعنى ولكن ذا البر من امن بالله فحذف المضاف من الاسم وثالثها ان يكون التقدير ولكن البر بر من امن بالله فحذف المضاف من الخبر واقام المضاف اليه مقامه كقول الشاعر وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب وكقول النابغة وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارد عاقل اي على مخافة وعل ومثله قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج ثم قال كمن امن اي كايمان من امن وقوله والموفون بعهدهم في رفعه قولان احدهما ان يكون رفعا على المدح لان النعت اذا طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح والمعنى وهم الموفون والاخر ان يكون معطوفا على من امن والمعنى ولكن ذا البر او ذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم واما قوله والصابرين فمنصوب على المدح ايضا لان مذهبهم في الصفات والنعوت اذا طالت ان يعترضوا بينها بالمدح او الذم ليميز الممدوح او المذموم وتقديره اعني الصابرين قال ابو علي والاحسن في هذه الاوصاف التي تقطع للرفع من موصوفها والمدح او القطع منهم والذم ان يخالف باعرابها ولا يجعل كلها جارية على موصوفها ليكون ذلك دلالة على هذا المعنى وانفصالا لما يذكر للتنويه والتنبيه او النقص والغض مما يذكر للتخليص والتمييز بين الموصوفين المشتبهين في الاسم المختلفين في المعنى ومن ذلك قول الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وذا الراي حين تغم الامور بذات الصليل وذات اللجم فنصب ليث الكتيبة وذا الراي على المدح وانشد ايضا فليت التي فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين غيوث الحيا في كل محل ولزبة اسود الشرى يحمين كل عرين ومما نصب على الذم سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور وهو ان هذا الموضع من مواضع الاطناب في الوصف واذا خولف باعراب الالفاظ كان اشد وقع فيما يعنى ويعترض لضرورة الكلام وكونه يذكر مرة وجملا وكونه في الاجزاء على الاول وجها واحدا وجملة واحدة فلذلك يستبق قول سيبويه في قوله والمقيمين الصلوة انه محمول على المدح قول من قال انه محمول على قوله بما انزل اليك والمقيمين الصلوة انه محمول على المدح قول من قال انه محمول على قوله بما انزل الله اليك وبالمقيمين الصلوة وان كان هذا غير ممتنع وقال بعض النحويين ان الصابرين معطوف على ذوي القربى قال الزجاج وهذا لا يصلح الا ان يكون والموفون رفعا على المدح للمضمرين لان ما في الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول قال ابو علي لا وجه لهذا القول لان والصابرين لا يجوز حمله على واتى المال على حبه سواء كان قوله والموفون بعهدهم عطفا على الموصول او مدحا لان الفصل بين الصلة يقع به اذا كان مدحا كما يقع به اذا كان مفردا معطوفا على الموصول بل الفصل بينهما بالمدح اشنع لكون المدح

جملة والجملة ينبغي ان يكون في الفصل اشنع واقبح بسبب زيادتها على المفرد وان كان الجميع من ذلك ممتنعا **النزول والنظم** لما حولت القبلة وكثر الخوض في نسخها وصار كانه لا يراعى بطاعة الله الا التوجه للصلوة واكثر اليهود والنصارى ذكرها انزل الله سبحانه هذه الاية عن ابي القسم البلخي وعن قتادة انها نزلت في اليهود **المعنى** ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب بين سبحانه ان البر كله ليس في الصلوة فان الصلوة انما امر بها لكونها مصلحة في الايمان وصارفة عن الفساد وكذلك العبادات الشرعية انما امر بها لما فيها من الالطاف والمصالح الدينية وذلك يختلف بالازمان والاوقات فقال ليس البر كله في التوجه الى الصلوة حتى يضاف الى ذلك غيره من الطاعات التي امر الله بها عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابو مسلم وقيل معناه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق ولا ما عليه اليهود من التوجه الى المغرب عن قتادة والربيع واختاره الجبائي والبلخي ولكن البر من امن بالله اي لكن البر بر من امن بالله كقولهم السخاء حاتم والشعر زهير اي السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير عن قطرب والزجاج والفرا واختاره الجبائي وقيل ولكن البار او ذا البر من امن بالله اي صدق بالله ويدخل فيه جميع ما لا يتم معرفة الله سبحانه الا به كمعرفة حدوث العالم واثبات المحدث وصفاته الواجبة والجائزة وما يستحيل عليه سبحانه ومعرفة عدله وحكمته واليوم الاخر يعني القيمة ويدخل فيه التصديق بالبعث والحساب والثواب والعقاب والملئكة اي بانهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون والكتاب اي وبالكتب المنزلة من عند الله الى انبيائه والنبيين وبالانبياء كلهم وانهم معصومون مطهرون وفيما ادوه الى الخلق صادقون وان سيدهم وخاتمهم محمد صلى الله عليه واله وان شريعته ناسخة لجميع الشرايع والتمسك بها لازم لجميع المكلفين الى يوم القيمة واتى المال اي واعطى المال على حبه فيه وجوه احدها ان الكناية راجعة الى المال اي على حب المال فيكون المصدر مضافا الى المفعول وهو معنى قول ابن عباس وابن مسعود قال هو ان تعطيه وانت صحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وثانيها ان يكون الهاء راجعة الى من امن فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه وهو مثل الوجه الاول سواء في المعنى وثالثها ان يكون الهاء راجعة الى الايتاء الذي دل قوله اتى عليه والمعنى على حب الاعطا ويجري ذلك مجرى قول القطامي هم الملوك وابناء الملوك لهم والاخذون به والساسة الاول فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله الملوك عليه ورابعها ان الهاء راجعة الى الله لان ذكره سبحانه قد تقدم اي يعطون المال على حب الله وخالص وجهه قال المرتضى قدس الله روحه لم نسبق الى هذا الوجه في هذه الاية وهو احسن ما قيل فيها لان تاثير ذلك ابلغ من تاثير حب المال لان المحب للمال الضنين به متى بذله واعطاه ولم يقصد به القربة الى الله تعالى لم يستحق شيئا من الثواب وانما يؤثر حبه المال في زيادة الثواب متى حصل قصد القربة والطاعة ولو تقرب بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لاستحق الثواب ذوي القربى اراد به قرابة المعطي كما روي عن النبي صلى الله عليه واله انه سئل عن افضل الصدقة فقال جهد المقل على ذي الرحم الكاشح وقوله عليه السلم لفاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله ان لي سبعين مثقالا من ذهب قال اجعليها في قرابتك ويحتمل ان يكون اراد قرابة النبي عليه واله السلم كما في قوله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم واليتامى اليتيم من لا اب له مع الصغر وقيل اراد يعطيهم انفسهم المال وقيل اراد ذوي اليتامى ان يعطي من يكفلهم لانه لا يصح ايصال المال الى من لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى في موضع جر عطفا على القربى وعلى القول الاول يكون في موضع نصب عطفا على ذوي القربى والمساكين يعني اهل الحاجة وابن السبيل يعني المنقطع به عن ابي جعفر عليه السلم ومجاهد وقيل الضيف عن ابن عباس وقتادة وابن جبير والسائلين اي الطالبين للصدقة لانه ليس كل مسكين يطلب وفي الرقاب فيه وجهان احدهما عتق الرقاب بان يشترى ويعتق والاخر في رقاب المكاتبين والاية محتملة للامرين فينبغي ان تحمل عليهما وهو اختيار الجبائي والرماني وفي هذه الاية دلالة على وجوب اعطاء مال الزكوة المفروضة بلا خلاف وقال ابن عباس في المال حقوق واجبة سوى الزكوة وقال الشعبي هي محمولة على وجوب حقوق في مال الانسان غير الزكوة مما له سبب وجوب كالانفاق على من يجب عليه نفقته وعلى من يجب عليه سد رمقه اذا خاف عليه التلف وعلى ما يلزمه من النذور والكفارات ويدخل فيها ايضا ما يخرجه على التطوع والقربة الى الله لان ذلك كله من البر واختاره الجبائي قالوا ولا يجوز حمله على الزكوة المفروضة لانه عطف عليه الزكاة وانما خص هؤلاء لان الغالب انه لا يوجد الاضطرار الا في هؤلاء واقام الصلوة اي ادّاها لمواقيتها وعلى حدودها واتى الزكوة اي اعطى زكاة ماله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا اي والذين اذا عاهدوا عهدا اوفوا به يعني العهود والنذور التي بينهم وبين الله تعالى والعقود التي بينهم وبين الناس وكلاهما يلزم الوفاء به والصابرين في البأساء والضراء يريد بالبأساء البؤس والفقر وبالضراء الوجع والعلة عن ابن مسعود وقتادة وجماعة من المفسرين وحين البأس يريد وقت القتال وجهاد العدو وروي عن علي عليه السلم انه قال كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه يريد اذا اشتد الحرب اولئك اشارة الى من تقدم ذكرهم الذين صدقوا اي صدقوا الله فيما قبلوا منه والتزموه علما وتمسكوا به

عن ابن عباس والحسن وقيل الذين صدقت نياتهم لاعمالهم على الحقيقة واولئك هم المتقون اى اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم واستدل اصحابنا بهذه الاية على ان المعنى
بها امير المؤمنين عليه السلام لانه لا خلاف بين الامة انه كان جامعا لهذه الخصال فهو مراد بها قطعا ولا قطع على كون غيره جامعا لها ولهذا قال الزجاج والفراء انها مخصوصة
بالانبياء المعصومين لان هذه الاشياء لا يؤديها بكليتها على حق الواجب فيها الا الانبياء عليهم السلام قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف
من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم اية اللغة كتب فرض واصل الكتابة الخط الدال على معنى فسمي به ما دل على الفرض قال الشاعر كتب
القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول والقصاص والمقاصة والمعاوضة والمبادلة نظاير يقال قص اثره اى تلا شيئا بعد شيء ومنه القصاص لانه يتلو
اصل الجناية ويتبعه وقيل هو ان يفعل بالثاني مثل ما فعله هو بالاول مع مراعاة المماثلة ومنه اخذ القصص كانه يتبع اثارهم شيئا بعد شيء والحر نقيض العبد والحر
من كل شيء اكرمه واحرار البقول ما يوكل غير مطبوخ وحرير الكتابة اقامة حروفها والعفو الترك وعفت الديار اى تركت حتى درست والعفو عن المعصية ترك العقاب عليها
وقيل معنى العفو هنا ترك القود بقبول الدية من اخيه وجمع الاخ الاخوة اذا كانوا لاب واذا لم يكونوا لاب فهم اخوان ذكر ذلك صاحب العين والتادية والاداء تبليغ الغاية
يقال ادى فلان ما عليه وفلان ادى الامانة من غيره الاعراب فاتباع مبتدأ وخبره محذوف اى فعليه اتباع او خبر لمبتدأ محذوف اى فحكمه اتباع ولو كان في غير
القرآن لجاز فاتباعا بالمعروف واداء اليه باحسان على معنى فليتبع اتباعا وليؤد اداء ولكن الرفع عليه اجماع القراء وهو الاجود في العربية النزول نزلت هذه الاية في
حيين من العرب لاحدهما طول على الاخر فكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور واقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا
جراحاتهم على الضعف من جراح اولئك حتى جاء الاسلام فانزل الله هذه الاية المعنى لما بين سبحانه ان البر لا يتم الا بالايمان والتمسك بالشرايع بين الشرايع وبدأ
بالدماء والجراح لانه الاهم فقال كتب عليكم اى فرض عليكم واوجب وقيل كتب عليكم في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ على جهة الفرض القصاص في القتلى المساواة في القتلى
اى يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول ولا خلاف ان المراد به قتل العمد لان العمد هو الذي يجب فيه القصاص دون الخطاء المحض وشبه العمد ومتى قيل كيف قال كتب عليكم
القصاص في القتلى والاولياء مخيرون بين القصاص والعفو واخذ الدية والمقتص منه لا فعل له فيه فلا وجوب عليه فالجواب من وجهين احدهما انه فرض عليكم
ذلك ان اختار اولياء المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقا وقد يكون مخيرا فيه والثاني انه فرض عليكم التمسك بما حد عليكم وترك مجاوزته الى ما لم يحد
لكم واما من يتولى القصاص فهو امام المسلمين ومن يجري مجراه فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبة الولي لانه حق الادمي ويجب على القاتل تسليم النفس الحر بالحر والعبد
بالعبد والانثى بالانثى قال الصادق عليه السلام لا يقتل حر بعبد ولكن يضرب ضربا شديدا ويغرم دية العبد وهذا مذهب الشافعي وقالوا ان قتل رجل امراة فاراد
اولياء المقتول ان يقتلوا ادوا نصف ديته الى اهل الرجل وهذا هو حقيقة المساواة فان نفس المراة لا تساوي نفس الرجل بل هي على النصف منها فيجب اذا اخذت النفس الكاملة
بالناقصة ان يرد فضل ما بينهما وكذلك رواه الطبري في تفسيره عن علي عليه السلام ويجوز قتل العبد بالحر والانثى بالذكر اجماعا وليس في الاية ما يمنع من ذلك لانه لم
يقل ولا يقتل الانثى بالذكر ولا العبد بالحر فما تضمنته الاية معمول به وما قلناه مثبت بالاجماع وبقوله سبحانه النفس بالنفس وقوله فمن عفي له من اخيه شيء فيه قولان
احدهما ان معناه من ترك له وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد من اخيه اى من دم اخيه فحذف المضاف للعلم به واراد بالاخ المقتول سماه اخا للقاتل
فدل ان اخوة الاسلام بينهما لم ينقطع وان القاتل لم يخرج عن الايمان بقتله وقيل اراد بالاخ العافي الذي هو ولي الدم سماه الله اخ القاتل وقوله شيء دليل على ان
بعض الاولياء اذا عفا سقط القود لان شيئا من الدم قد بطل بعفو البعض والله تعالى قال فمن عفي له من اخيه شيء والضمير في قوله له وفي اخيه كلاهما يرجع الى من هو
القاتل اى من ترك له القتل ورضي منه بالدية هذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو ان يقبل الدية في قتل العمد ولم يذكر سبحانه العافي لانه معلوم ان المراد به من له القصاص
والمطالبة وهو ولي الدم والقول الاخر ان المراد بقوله فمن عفي له ولي الدم والهاء في اخيه يرجع اليه وتقديره فمن بذل له من اخيه يعني اخ الولي وهو المقتول الدية ويكون
العافي معطي المال ذكر ذلك عن مالك ومن نصر هذا القول قال ان لفظ شيء منكر والقود معلوم فلا يجوز الكناية عنه بلفظ النكرة فيجب ان يكون المعنى فمن بذل له من اخيه مال
وذلك يجوز ان يكون مجهولا لا يدرى انه يعطيه الدية او جنسا اخر ومقدار الدية او اقل او اكثر فصح ان يقال فيه شيء وهذا ضعيف والقول الاول اظهر وقد ذكرنا الوجه في
تنكير قوله شيء هناك واما الذي له العفو عن القصاص فكل من يرث الدية الا الزوج والزوجة عندنا واما غير اصحابنا من العلماء فلا يستثنونهما وقوله فاتباع بالمعروف اى
على العافي اتباع بالمعروف اى لا يشدد في الطلب وينظره ان كان معسرا ولا يطالبه بالزيادة على حقه وعلى المعفو له اداء اليه باحسان اى الدفع عند الامكان من غير مطل
وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل المراد فعلى المعفو عنه الاتباع والاداء وقوله ذلك اشارة الى جميع ما تقدم تخفيف
من ربكم ورحمة معناه انه جعل لكم القصاص او الدية او العفو وخيركم بينها وكان لاهل التوراة القصاص او العفو ولاهل الانجيل العفو او الدية وقوله فمن اعتدى

بعد

بعد ذلك اى بان قتل بعد قبول الدية او العفو عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل بان قتل غير قاتله
او طلب اكثر مما وجب له من الدية وقيل بان جاوز الحد بعد ما بين له كيفية القصاص قال القاضي ويجب حمله على الجميع لعموم اللفظ فله عذاب اليم في الاخرة ع
قوله عز وجل ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب لعلكم تتقون اية اللغة الالباب العقول واحدها لب ماخوذ من لب النخلة و
لب بالمكان والب به اذا اقام واللبيب اللبيب المعنى ثم بين سبحانه وجه الحكمة في ايجاب القصاص فقال ولكم ايها المخاطبون في القصاص حيوة فيه قولان
احدهما ان معناه في ايجاب القصاص حيوة لان من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا للحيوة عن مجاهد وقتادة واكثر اهل العلم والثاني ان
معناه لكم في وقوع القصاص حيوة لانه لا يقتل الا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله اهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائل عن السدي والمعنيان
جميعا حسنان ونظيره من كلام العرب القتل انفى للقتل الا ان ما في القرآن اكثر فايدة واوجز في العبارة وابعد من الكلفة بتكرير الجملة واحسن تاليفا بالحروف
المتلايمة فاما كثرة الفايدة فلان فيه جميع ما في قولهم القتل انفى للقتل وزيادة معان منها ابانة العدل لذكره القصاص ومنها ابانة العوض المرغوب فيه وهو الحياة
ومنها الاستدعاء بالرغبة والرهبة وحكم الله به واما الايجاز في العبارة فان الذي هو نظير القتل انفى للقتل قوله القصاص حيوة وهو عشرة احرف وذلك اربعة
عشر حرفا واما بعده من الكلفة فهو ان في قولهم القتل انفى للقتل تكريرا غيره ابلغ منه واما الحسن بتاليف الحروف المتلايمة فانه مدرك بالحس وموجود باللفظ فان
الخروج من الفاء الى اللام اعدل من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء اعدل من الخروج من الالف الى اللام فباجتماع
هذه الاوجه التي ذكرناها كان ابلغ منه واحسن وان كان الاول حسنا بليغا وقد اخذه الشاعر فقال ابلغ ابا مسمع عني مغلغلة وفي العتاب حيوة بين اقوام
وهذا وان كان حسنا فبينه وبين لفظ القرآن ما بين اعلا الطبقة وادناها واول ما فيه ان ذلك استدعاء الى العتاب وهذا استدعاء الى العدل وفي
ذلك ايهام وفي الاية بيان عجيب وقوله يا اولي الالباب معناه يا ذوي العقول لانهم الذين يعرفون العواقب ويتصورون ذلك فلذلك خصهم لعلكم تتقون
في لعل ثلاثة اقوال احدها انه بمعنى اللام اى لتتقوا والثاني انه للرجاء والطمع كانه قال على رجائكم وطمعكم في التقوى والثالث على معنى التعرض اى على تعرضكم للتقوى
وفي تتقون قولان احدهما لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص عن ابن عباس والحسن وابن زيد والثاني لعلكم تتقون ربكم باجتناب معاصيه وهذا
اعم قوله عز وجل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين
اية اللغة المعروف هو العدل الذي لا يجوز ان ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشيء بحيث يمكن ان يدرك والحق هو الفعل الذي لا يجوز انكاره
وقيل هو ما علم صحته سواء كان قولا او فعلا او اعتقادا وهو مصدر حق يحق حقا الاعراب قوله كتب عليكم المعنى وكتب عليكم الا ان الكلام اذا طال استغنى
عن العطف بالواو وعلم ان معناه معنى الواو ولان القصة الاولى قد استتمت وفي القصة الثانية ذكر ما في الاولى فاتصلت هذه بتلك لاجل الذكر والوصية
لم ترفع لاحد وجهين اما بانه اسم ما لم يسم فاعله وهو كتب واما بانه مبتدأ وقوله للوالدين خبره والجملة في موضع رفع على الحكاية لان معنى كتب عليكم قيل لكم
الوصية للوالدين واما العامل في اذا ففيه وجهان احدهما كتب فكانه قيل كتب عليكم الوصية وقت المرض والاخر ما قاله الزجاج وهو ان الوصية رغب فيها
في حال الصحة فتقديره كتب عليكم ان توصوا وانتم قادرون على الوصية قايلين اذا حضرنا الموت فلفلان كذا وحقا نصب على المصدر وتقديره احق ذلك
حقا وقد استعمل على وجه الصفة بمعنى ذي الحق كما وصف بالعدل فعلى هذا يكون نصبا على الحال ويجوز ان يكون مصدرا كتب من غير لفظه تقديره كتب كتابا
المعنى ثم بين سبحانه شريعة اخرى وهو الوصية فقال كتب عليكم اى فرض عليكم اذا حضر احدكم الموت اى اسباب الموت من مرض ونحوه من الهرم ولم يرد اذا
عاين الباس وملك الموت لان تلك الحالة تشغله عن الوصية وقيل فرض عليكم الوصية في حال الصحة ان تقولوا اذا حضرنا الموت فافعلوا كذا ان ترك خيرا
اى مالا واختلف في المقدار الذي تجب الوصية عنده فقال الزهري في القليل والكثير مما يقع عليه اسم المال وقال ابراهيم النخعي من الف درهم الى خمسمائة وقال
ابن عباس ثمانمائة درهم وروي عن علي عليه السلام انه دخل على مولى له في مرضه وله سبعمائة درهم او ستمائة فقال الا اوصي فقال لا انما قال الله سبحانه ان
ترك خيرا وليس لك كثير مال وهذا هو الماخوذ به عندنا لان قوله الوصية للوالدين والاقربين اى الوصية لوالديه وقرابته بالمعروف اى بالشيء الذي
يعرف اهل التمييز انه لا جور فيه ولا حيف ويحتمل ان يرجع ذلك الى قدر ما يوصي لان من يملك المال الكثير اذا اوصى بدرهم فلم يوص بالمعروف ويحتمل ان يرجع الى
الموصى لهم فكانه امر بالطريقة الجميلة في الوصية فليس من المعروف ان يوصي للغني ويترك الفقير ويوصي للقريب ويترك الاقرب منه ويجب حمله على كلا الوجهين
حقا على المتقين اى حقا واجبا على من اثر التقوى وهذا تاكيد في الوجوب واختلف في هذه الاية فقيل انها منسوخة في الوارث ثابتة في غير الوارث وقيل انها غير
منسوخة اصلا وهو الصحيح عند المحققين من اصحابنا لان من قال انها منسوخة باية المواريث فقوله باطل بان النسخ بين الخبرين انما يكون اذا تنافى العمل بموجبهما

ولانيا فى بين اية المواريث واية الوصية فكيف يكون هذا ناسخة لتلك مع فقد التنافى ومن قال انها منسوخة بقوله عليه السّلم لا وصيّة لوارث فقد ابعد
لان الخبر لو سلم من كل قدح لكان يقتضى الظن ولا يجوز ان ينسخ كتاب الله تعالى الذى يوجب العلم اليقين بما يقتضى الظن ولو سلمنا الخبر مع ما
ورد من الطعن على رواته لخصصنا عموم الاية وحملنا ها على انه لا وصية لوارث بما يزيد على الثلث لان ظاهر الاية يقتضى ان الوصية جايزة
لهم بجميع ما يملك وقول من قال حصول الاجماع على ان الوصية ليست بفرض يدل على انها منسوخة يفسد بان الاجماع انما هو على انها
لا يفيد الفرض وذلك لا يمنع من كونها مندوبا اليها مرغبا فيها وقد روى اصحابنا عن ابى جعفر عليه السّلم انه سئل هل يجوز الوصية
للوارث فقال نعم وتلا هذه الاية وروى السكونى عن ابى عبد الله عليه السّلم عن ابيه عن على عليهم السّلم قال من لم يوص عند موته
لذوى قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية ومما يؤيد ما ذكرناه ما روى عن النبى صلى الله عليه واله وسلم انه قال من مات بغير
وصية مات ميتة جاهلية وعنه عليه السّلم قال من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصا فى مروته وعقله وروى عن ابى عبد الله عليه السّلم
انه قال ما ينبغى لامرء مسلم ان يبيت الا ووصيته تحت راسه **قوله عز وجل فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم اية المعنى** ثم اوعد سبحانه على تغيير الوصية فقال فمن بدله اى بدل الوصية وغيرها
من الاوصياء او الاولياء او الشهود وانما ذكر حملا على الايصاء كقوله فمن جاءه موعظة اى وعظ والتبديل تغيير الشئ عن الحق
فيه بان يوضع غيره فى موضعه بعد ما سمعه من الموصى الميت وانما ذكر السماع ليدل على ان الوعيد لا يلزم الا بعد العلم والسماع فانما
اثمه اى اثم التبديل على الذين يبدلونه اى على من يبدل الوصية وبرئ الميت ان الله سميع عليم اى سميع لما قاله الموصى من العدل
او الجنف عليم بما يفعله الوصى من التصحيح او التبديل وقيل سميع لوصاياكم عليم بنياتكم وقيل سميع لجميع المسموعات عليم بجميع المعلومات
وفى هذه الاية دلالة على ان الوصى او الوارث اذا فرط فى الوصية او غيرها لا ياثم الموصى بذلك ولم ينقص من اجره شئ وانه لا يجازى
احد على عمل غيره وفيها ايضا دلالة على بطلان قول من يقول ان الوارث اذا لم يقض دين الميت فانه يؤخذ به فى قبره او فى الاخرة
لما قلناه من انه يدل على ان العبد لا يؤاخذ بجرم غيره اذ لا اثم عليه بتبديل غيره وكذلك لو قضى عنه الوارث من غير ان يوصى به لم يزل
ذلك عقابه الا ان يتفضل الله باسقاطه عنه **قوله عز وجل فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم اية القراءة** قرا اهل الكوفة غير حفص ويعقوب موصّ بالتشديد وقرا الباقون موص بالتخفيف
الحجة ذكرناها عند قوله ووصى بها ابرهيم **اللغة** الجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال صاحب العين هو الميل فى الكلام وفى
الامور كلها يقال جنف علينا فلان واجنف فى حكمه وهو مثل الحيف الا ان الحيف فى الحكم خاصة والجنف عام ورجل اجنف فى احد شقيه
ميل على الاخر قال الشاعر فى الجنف انى امرؤ منعت ارومة عامر ضيمى وقد جنفت على خصوم **الاعراب** من فى قوله من موص يتعلق
بمحذوف تقديره فمن خاف جنفا كائنا من موص فموضع الجار والمجرور مع المحذوف نصب على الحال وذو الحال قوله جنفا وبين ظرف
مكان لاصلح والضمير فى بينهم عايد الى معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصى والاصلاح لانه يدل على الموصى لهم ومن يتنازعهم والشد
الفراء فى مثله اعمى اذا ما جارتى خرجت حتى توارى جارتى الخدر ويصم عما كان بينهما سمعى وما بى غيره وقر اراد بينها وبين
زوجها وانما ذكرها وحدها **المعنى** لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصية بين فى هذه الاية ان ذلك يلزم من غيره حقا بباطل فاما من
غيره باطلا بحق فهو محسن فقال فمن خاف اى خشى وقيل علم لان فى الخوف طرفا من العلم وذلك ان القايل اذا قال اخاف ان
يقع امر كذا فكانه يقول اعلم وانما يخاف لعله بموقعه ومنه قوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا وقوله الا ان يخافا
ان لا يقيما حدود الله من موص جنفا اى ميلا عن الحق فيما يوصى فان قيل كيف قال فمن خاف لما قد وقع والخوف انما يكون لما لم يقع
قيل ان فيه قولين احدهما انه خاف ان يكون قد زل فى وصيته فالخوف يكون فى المستقبل وهو ان يظهر ما يدل على انه قد زل لانه
من جهة غالب الظن والثانى انه لما اشتمل على الواقع وعلى ما لم يقع جاز فيه خاف فيامره بما فيه الصلاح فيما لم يقع وما وقع رده الى
العدل بعد موته وقال الحسن الجنف هو ان يوصى فى غير القرابة وانما قال ذلك لان عنده الوصية للقرابة واجبة والاثم ان يخلا فى
وقيل المراد من خاف من موص فى حال مرضه الذى يريد ان يوصى فيه جنفا وهو ان يعطى بعضا ويضر ببعض فلا اثم عليه

القضيم الطلع والحصرم ... ادا الرجل جارته فى الاخر ... اجار بنا ببين فانك طالقه

ان

ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويصلح بين الموصى والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف ولا اثم ان يكون
قوله فاصلح بينهم اى فيما يخاف من حدوث الخلاف فيه فيما بعد ويكون قوله فمن خاف على ظاهره ويكون الخوف متوقعا غير واقع و
هذا قريب غير ان الاول عليه اكثر المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السّلم وقوله او اثما الاثم ان يكون
الميل عن الحق على وجه العمد والجنف ان يكون على جهة الخطاء من حيث لا يدرى انه يجوز وهو معنى قول ابن عباس
والحسن وروى ذلك عن ابى جعفر عليه السّلم فاصلح بينهم اى بين الورثة والمختلفين فى الوصية وهم الموصى
لهم فلا اثم عليه لانه متوسط مريد للاصلاح وانما قال لا اثم عليه ولم يقل يستحق الاجر لان المتوسط انما يجرى
امره فى الغالب على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله اياه فبين سبحانه لنا انه لا اثم عليه فى
ذلك اذا قصد الاصلاح وقيل انه لما بين اثم المبدل وهذا ايضا ضرب من التبديل بين مخالفته للاول
بكونه غير ماثوم برده الوصية الى العدل فان الله غفور رحيم يعنى اذا كان يغفر الذنوب ويرحم المذنب
فاولى واحرى ان يكون كذلك ولا ذنب وروى عن الصادق عليه السّلم فى قوله جنفا
او اثما انه يعنى اذا اعتدى فى الوصية وزاد على الثلث وروى ذلك عن ابن عباس
وروى عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال من حضره الموت فوضع وصيته
على كتاب الله كان ذلك كفارة لما ضيع من زكوته فى حياته

تم هذا الجزء الاول بعون الله تعالى وحسن توفيقه بقرية
الابرده من قراء مشهد المقدس اخر نهار السبت ثمان عشر
من شهر جميد الاول سنه اثنا وسبعين والف
من الهجرة النبوية عليه الصلوة والتحية
على يد الفقير الى الله تعالى جلال
بن حسن بن جلال بن قاسم
الابردهى والحمد لله
رب العالمين وصلى الله
على محمد واله
الطاهرين

م م م م
م م م
م
م
م
م
م

الجزو الثانى من مجمع البيان فى تفسير القران

للشيخ الامام علامة علماء الانام امين الدين

الطبرسى اطاب الله ثراه وجعل

الجنة

مثو اه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اية اللغة

الصوم في اللغة هو الامساك ومنه يقال للصمت صوم لانه امساك عن الكلام قال ابن دريد كل شئ سكنت حركته فقد صام صوما قال النابغة خيل صيام وخيل غير صايمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما اى قيام وصامت الريح ركدت وصامت الشمس اذا استوت في منتصف النهار وصام النهار ايضا بمعناه قال امرء القيس فدعها وسل الهم عنك بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا والصوم ذرق النعام واصل الباب هو الامساك وهو في الشرع امساك عن اشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص فالاسم شرعي فيه معنى اللغة والصيام بمعنى الصوم يقال صمت صوما وصياما الاعراب الصيام رفع بانه اسم ما لم يسم فاعله وقوله كما كتب اى مثل ما كتب فما هذه مصدرية وتقدير الكلام كتب عليكم الصيام كتابة مثل كتابة على الذين من قبلكم فحذف المصدر واقيم صفته مقامه ويحتمل ان يكون موضع الكاف نصبا على الحال من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضا اى في هذه الحال المعنى ثم بين سبحانه فريضة اخرى فقال يا ايها الذين امنوا اى يا ايها المصدقون روى عن الصادق عليه السلام انه قال لذة ما في النداء ازال تعب العبادة والعناء وقال الحسن اذا سمعت الله عز وجل يقول يا ايها الذين امنوا فارع لها سمعك فانها لامر تؤمر به او لنهي تنهى عنه كتب عليكم الصيام اى فرض عليكم العبادة المعروفة في الشرع وانما خص المؤمنين بالخطاب لقبولهم لذلك ولان العبادة لا تصح الا منهم ووجوبه عليهم لا ينافي وجوبه على غيرهم وقوله كما كتب على الذين من قبلكم فيه اقوال احدها انه شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الامم اى كتب عليكم صيام ايام كما كتب عليهم صيام ايام وليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض علينا ولا وقته بعدد الصوم المفروض عليهم او وقته وهو اختيار ابو مسلم والجبائي وثانيها انه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى وكان يتفق لهم في الحر الشديد والبرد الشديد فحولوه الى الربيع وزادوا في عدده عن الحسن والشعبي وقيل كان الصوم علينا من العتمة الى العتمة ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام والشراب من وقت صلوة العتمة الى وقت صلوة العتمة وقال بعضهم كان يحرم من وقت النوم الى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله الذين من قبلكم النصارى على قول الحسن والشعبي واهل الكتاب من اليهود والنصارى على قول غيرهما وقوله لعلكم تتقون اى لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم عن الجبائي وقيل لتكونوا اتقياء بما لطف لكم في الصيام فانه اقوى الوسائل والتوصل الى الكف عن المعاصي كما روى عن النبي عليه السلام انه قال الصوم جنة من النار وسال هشام بن الحكم ابا عبد الله عليه السلام عن علة الصيام فقال انما فرض الصيام ليستوى به الغني والفقير وذلك ان الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فاراد الله سبحانه ان يذيق الغني مس الجوع ليرق على الضعيف ويرحم الجايع قوله عز وجل اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون اية القراءة قرا ابو جعفر ونافع وابن عامر فدية طعام مساكين على اضافة فدية الى طعام وجمع المساكين وقرا الباقون فدية منونة طعام رفع مسكين موحد مجرور وقرا حمزة والكسائي ومن يطوع خيرا والباقون تطوع وقد مضى ذكره وروى في الشواذ يطوقونه عن ابن عباس بخلاف وعايشة وسعيد بن المسيب وعكرمة وعطا ويطوقونه على معنى يتطوقونه عن مجاهد وعن ابن عباس وعن عكرمة وروى عن ابن عباس ايضا يطيقونه ويطيقونه ايضا الحجة من قرا فدية طعام مسكين فطعام مسكين عطف بيان لفدية وافراد مسكين جايز وان كان المعنى على الكثرة لان المعنى على كل واحد طعام مسكين قال ابو زيد يقال اتينا الامير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة واما من اضاف الفدية الى الطعام كاضافة البعض الى ما هو بعض له فانه سمى الطعام الذي يفدى به فدية ثم اضاف الفدية الى الطعام الذي يعم الفدية وغيرها وهو على هذا من باب خاتم حديد واما من قرا يطوقونه فانه يفعلونه من الطاقة فهو كقولك يجشمونه ويكلفونه ويجعل له كالطوق في اعناقهم ويطوقونه كقولك يتكلفونه ويتجشمونه واما يطيقونه فانه يتطيقونه يتفعلونه الا ان العينين ابدلتا ياء كما قالوا في تصور الحرف تيّر ويطيقونه يفعلونه منه اللغة السفر اصله من السفر الذي هو الكشف يقال سفر يسفر سفرا وانسفرت الابل اذا انكشفت ذاهبة وسفرت الريح السحاب قال العجاج سفر الشمال الزبرج المزبرجا الزبرج السحاب الرقيق وفي السفر يظهر ما لا يظهر في الحضر وينكشف من اخلاق الناس ما لا ينكشف الا به والعدة فعلة من العد وهي بمعنى المعدودة كالطحن بمعنى المطحون والحمل بمعنى المحمول والطوق الطاقة وهي القوة يقال الشئ يطوقه طوقا وطاقة واطاق اطاقة اذا قوى عليه وطوقه تطويقا البسه الطوق وهو معروف من ذهب كان او من فضة لانه يكسبه قوة بما يعطيه من الجلالة وكل شئ استدار فهو طوق وطوقه الامر اى حمله كالطوق في عنقه الاعراب اياما قال الزجاج يجوز في انتصابه وجهان اجودهما ان يكون ظرفا كانه كتب عليكم الصيام في ايام والعامل فيه الصيام كان المعنى كتب

عليكم ان تصوموا اياما وقال بعض النحويين انه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك اعطى زيد المال قال وليس هذا بشئ لان الايام هنا معلقة بالصوم وزيد والمال مفعولان لاعطى فلك ان تقيم ايهما شئت مقام الفاعل وليس في هذا الا نصب اياما بالصيام قال ابو علي اياما يجوز في انتصابه وجهان احدهما ان ينتصب على الظرف والاخر ان ينتصب انتصاب المفعول به على السعة واذا انتصب على انه ظرف جاز ان يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في ايام وان شئت اتسعت فنصبته نصب المفعول به فيقول على هذا ايام مكتوب ايام عليه او يا كاتب ايام الصيام وانما جاز اضافة اسم الفاعل والمفعول الى ايام لاخراجك اياه عن ان يكون ظرفا واتساعك في تقديره اسما واذا كان الامر على ما ذكرناه كان ما منعه ابو اسحق من اجازة ان كتب عليكم الصيام اياما بمنزلة اعطى زيد المال جائز غير ممتنع قال ولا يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام على ان يكون المعنى كتب عليكم الصيام في ايام لان ذلك وان كان مستقيما في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك الا ترى انك ان حملته على ذلك فصلت بين الصلة والموصول ما اجنبي منهما وذلك ان اياما تصير من صلة الصيام وقد فصلت بينهما بمصدر كتب لان التقدير كتب عليكم الصيام كتابا مثل كتابته على من كان قبلكم فالكاف في كما متعلقة بكتب وقد فصلت بها بين المصدر وصلته وليس من واحد منهما واقول انه يستقيم ان ينتصب اياما بالصيام اذا جعلت الكاف من قوله كما كتب على الذين من قبلكم في موضع نصب على الحال اى مفروضا مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولا وكتب صلة وفي كتب ضمير يعود اليها والموصول وصلته في موضع جر باضافة الكاف اليه والكاف في موضع نصب بانه صفة للمحذوف الذي هو الحال من الصيام فعلى هذا لا يفصل بين الصلة والموصول ما هو اجنبي بينهما على ما ذكره الشيخ ابو علي وقوله فعدة من ايام اخر تقديره فعليه عدة فيكون ارتفاع عدة على الابتداء على قول سيبويه وعلى قول الاخفش يكون مرتفعا بالظرف على ما تقدم بيانه ويجوز ان يكون تقديره فالذي ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من ايام اخر فيكون عدة خبر الابتداء واخر لا ينصرف لانه وصف معدول عن الالف واللام لان نظايرها من الصغرى والكبرى لا يستعمل الا بالالف واللام لا يجوز نسوة صغر وان تصوموا في موضع رفع بالابتداء وخير خبره ولكم صفة لخير المعنى اياما معدودات اى معلومات محصورات مضبوطات كما يقال اعطيت مالا معدودا اى محصورا متعينا ويجوز ان يريد بقوله معدودات انها قلايل كما قال سبحانه دراهم معدودة يريد بها انها قليلة واختلف في هذه الايام على قولين احدهما انها غير شهر رمضان وكانت ثلثة ايام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ وعطا عن ابن عباس وروى ثلثة ايام من كل شهر وصوم عاشوراء عن قتادة ثم قيل انه كان تطوعا وقيل بل كان واجبا واتفق هؤلاء على ان ذلك منسوخ بصوم رمضان والاخر ان المعنى بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس والحسن واختاره الجبائي وابو مسلم وعليه اكثر المفسرين قالوا اوجب سبحانه الصوم اولا فاجمله ولم يبين انها يوم او يومان ام اكثر ثم بين سبحانه انها ايام معلومات وابهم ثم بينه بقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران قال القاضي وهذا اولى لانه اذا امكن حمله على معنى من غير اثبات نسخ كان اولى ولان ما قاله زيادة لا دليل عليه فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر عطف على قوله سفر وهو ظرف على قوله مريضا وهو اسم مع ان الظرف لا يعطف على الاسم لانه وان كان ظرفا فهو بمعنى الاسم وتقديره فمن كان منكم مريضا او مسافرا فالذي ينوب مناب صومه عدة من ايام اخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الافطار لان الله سبحانه اوجب القضاء بنفس السفر والمرض ومن قدر في الاية فافطر فقد خالف الظاهر وقد ذهب الى وجوب الافطار في السفر جماعة من الصحابة كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام فقد روى ان عمر بن الخطاب امر رجلا صام في السفر ان يعيد صومه وروى يوسف بن الحكم قال سالت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال ارايت لو تصدقت على رجل صدقة فردها عليك الا تغضب فانها صدقة من الله تصدق بها عليكم وروى عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه واله الصايم في السفر كالمفطر في الحضر وروى عن ابن عباس انه قال ان الافطار في السفر عزيمة وروى اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال الصايم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر وعنه عليه السلام قال لو ان رجلا مات صايما في السفر ما صليت عليه وعنه عليه السلام قال من سافر افطر وقصر الا ان يكون رجلا سفره الى صيد او في معصية الله وروى العياشي باسناده مرفوعا الى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله عليه السلام قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه واله يصوم في السفر تطوعا ولا فريضة نزلت هذه الاية بكراع الغميم عند صلاة الهجير فدعا رسول الله صلى الله عليه واله باناء فشرب وامر الناس ان يفطروا فقال قوم قد توجه النهار ولو تممنا يومنا هذا فسماهم رسول الله صلى الله عليه واله العصاة فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله صلى الله عليه واله وعلى الذين يطيقونه الهاء تعود الى الصوم عند اكثر اهل العلم اى يطيقون الصوم خير الله المطيقين الصوم من الناس كلهم بين ان يصوموا ولا يكفروا وبين ان يفطروا ويكفروا عن كل يوم باطعام مسكين لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل ان الهاء تعود الى الفداء عن الحسن وابي مسلم واما المعنى بقوله الذين يطيقونه ففيه ثلاثة اقوال اولها انه ساير الناس كما قدمنا ذكره من التخيير والنسخ بعده وهو قول ابن عباس والشعبي وثانيها ان هذه الرخصة كانت للحوامل والمراضيع والشيخ الفاني ثم نسخ من الاية الحامل والمرضع و بقي

الشيخ الكبير عن الحسن وعطاء وثالثها ان معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه ولا نسخ فيه عن السدي وقد رواه بعض اصحابنا عن ابي عبد الله عليه السلام قال معناه وعلى الذين كانوا يطيقون الصوم ثم اصابهم كبر او عطاش وشبه ذلك فعليهم كل يوم مد وروى علي بن ابرهيم باسناده عن الصادق عليه السلام قال وعلى الذين يطيقونه فدية من مرض في شهر رمضان فافطر ثم صح فلم يقض ما فاته حتى جاء شهر رمضان اخر فعليه ان يقضي ويتصدق لكل يوم مدا من طعام وقوله فدية طعام مسكين اختلف في مقدار الفدية فقال اهل العراق نصف صاع عن كل يوم وقال الشافعي مد عن كل يوم وعندنا ان كان قادرا فمدان فان لم يقدر اجزاه مد واحد وقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له قيل معناه من اطعم اكثر من مسكين واحد عن عطاء وطاوس وقيل اطعم المسكين الواحد اكثر من قدر الكفاية حتى يزيده على نصف صاع عن مجاهد وجمع بين القولين قول ابن عباس من تطوع خيرا بزيادة الاطعام وقيل معناه من عمل برا في جميع الدين فهو خير له عن الحسن وقيل من صام مع الفدية عن الزهري وقوله وان تصوموا خير لكم اي وصومكم خير لكم من الافطار والفدية وكان هذا مع جواز الفدية فاما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز اصلا وقيل معناه الصوم خير لمطيقه وافضل ثوابا من التكفير لمن افطر بالعجز ان كنتم تعلمون ان الصوم خير لكم من الفدية وقيل ان كنتم تعلمون افضل اعمالكم في قوله سبحانه وعلى الذين يطيقونه دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل **قوله عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** **القراءة** قرا ابو بكر عن عاصم ولتكملوا بالتشديد والباقون لتكملوا بالتخفيف وقرا ابو جعفر اليسر والعسر بالتثقيل فيهما والباقون بالتخفيف **الحجة** حجة من قرا التكميل قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم ومن قرا لتكملوا فلان فعل وافعل كثيرا ما يستعمل احدهما موضع الاخر قال النابغة فكملت مائة فيها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد **اللغة** الشهر معروف وجمعه في القلة اشهر وفي الكثرة شهور واصله من اشتهار الهلال يقال شهرت الحديث اظهرته وشهرت السيف انتضيته واتان شهرية عريضة ضخمة واصل الباب الظهور واصل رمضان من الرمض وهو شدة وقع الشمس على الرمل وغيره وانما سموه رمضان لانهم سموا الشهور بالازمنة التي وقعت فيها فوافق رمضان ايام رمض الحر وقد جمعوا رمضان على رمضانات وقيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى فروي عن مجاهد لا يقل رمضان ولكن قل شهر رمضان فانك لا تدري ما رمضان وقد جاء في الاخبار عن النبي صلى الله عليه واله انه قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل انما سمي رمضان لانه يرمض الذنوب اي يحرقها والقرآن اصله الجمع لقولهم ما قرات الناقة سلا قط اي ما جمعت رحمها على سلا ومنه القراءة والقاري لانه يجمع الحروف والفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل والارادة اصلها الواو لانك تقول راودته على ان يفعل كذا مراودة ومنه راد يرود رودا ومنه الرائد وفي المثل الرائد لا يكذب اهله واصل الباب الطلب والارادة بمعنى الطلب للمراد لانها كالسبب واليسر ضد العسر واليسار الغنى والسعة واليسار اليد اليسرى واليسر الجماعة يجتمعون على الجزور في الميسر والجمع الايسار واصل الباب السهولة واصل العسر الصعوبة يقال عسر الشيء عسرا ورجل اعسر يعمل بشماله واعسر الرجل اذا افتقر وضد ايسر ويقال كمل الشيء واكملته وكملته اي تممته **الاعراب** شهر رمضان في ارتفاعه ثلاثة وجوه احدها ان يكون خبر مبتدا محذوف يدل عليه قوله اياما اي هي شهر رمضان والثاني ان يكون بدلا من الصيام فكانه قال كتب عليكم شهر رمضان والثالث ان يرتفع بالابتداء ويكون خبره الذي انزل فيه القرآن وان شئت جعلت الذي انزل فيه القرآن صفة له واضمرت الخبر حتى كانه قال وفيما كتب عليكم شهر رمضان اي صيام شهر رمضان ورمضان لا ينصرف للتعريف وزيادة الالف والنون المضارعتين لالفي التانيث ويجوز في العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين احدهما صوموا شهر رمضان والاخر على البدل من قوله اياما وقوله هدى في موضع نصب على الحال اي هاديا للناس وقوله فمن شهد منكم الشهر فالشهر ينتصب على انه ظرف لا على انه مفعول لانه لو كان مفعولا به للزم الصيام المسافر لشهود الشهر شهادة المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا ان معناه فمن شهد منكم المصر في الشهر ولا يكون مفعولا به كما لو قلت احييت شهر رمضان يكون مفعولا به فان قلت كيف جاء ضميره متصلا في قوله فليصمه اذا لم يكن مفعولا به قلنا لان الاتساع وقع فيه بعد ان استعمل ظرفا على ما تقدم بيان امثاله وانما عطف الظرف على الاسم في قوله ومن كان مريضا او على سفر لانه بمعنى الاسم فكانه قال او مسافرا كقوله سبحانه دعانا لجنبه او قاعدا او قائما اي دعانا مضطجعا واما العطف باللام في قوله ولتكملوا العدة ففيه وجهان احدهما انه عطف جملة على جملة لان بعده محذوفا وتقديره ولتكملوا العدة شرع ذلك او اريد ذلك ومثله قوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين اي ونريه ذلك ليكون من الموقنين

والثاني

والثاني ان يكون عطفا على تاويل محذوف دل عليه ما تقدم من الكلام لانه لما قال يريد الله بكم اليسر دل على انه قد فعل ذلك ليسهل عليكم فجاز ولتكملوا العدة عطفا عليه قال الشاعر بادت وغير آيهن مع البلا الا رواكد جمرهن هباء ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغيب ساره المعزاء اي سائره فعطف على تاويل الكلام الاول كانه قال بها رواكد ومشجج هذا قول الزجاج والاول قول الفراء **المعنى** ثم بين سبحانه وقت الصوم فقال شهر رمضان اي هذه الايام المعدودات شهر رمضان او كتب عليكم شهر رمضان او شهر رمضان هو الشهر الذي انزل فيه القرآن فبين انه خصه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو انه انزل فيه القرآن الذي عليه مدار الدين والايمان ثم اختلف في قوله انزل فيه القرآن فقيل ان الله تعالى انزل جميع القرآن في ليلة القدر الى السماء الدنيا ثم انزل على النبي صلى الله عليه واله بعد ذلك نجوما في طول عشرين سنة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل انه ابتدئ انزاله في ليلة القدر من شهر رمضان عن ابن اسحق وقيل انه كان ينزل الى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج اليه في تلك السنة جملة واحدة ثم ينزل على مواقع النجوم ارسالا في الشهور والايام عن السدي بسنده عن ابن عباس وروى الثعلبي باسناده عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه واله قال انزلت صحف ابرهيم لثلث مضين من شهر رمضان وفي رواية الواحدي في اول ليلة منه وانزلت توراة موسى لست مضين من رمضان وانزل الانجيل على عيسى لثلث عشرة ليلة خلت من رمضان وانزل زبور داود لثمان عشرة ليلة مضت من رمضان وانزل الفرقان على محمد لاربع وعشرين من شهر رمضان وهذا بعينه رواه العياشي عن ابي عبد الله عليه السلام عن ابائه عن النبي صلى الله عليه واله وقيل المراد بقوله انزل فيه القرآن انه انزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه كما يقول القائل انزل الله في الزكوة كذا يريد في فرضها ثم وصف سبحانه القرآن بقوله هدى للناس اي هاديا للناس ودالا لهم على ما كلفوه من العلوم وبينات من الهدى اي ودلالات من الهدى قيل المراد بالهدى الاول الهدى من الضلالة وبالثاني بيان الحلال والحرام عن ابن عباس وقيل اراد بالاول ما كلف من العلم وبالثاني ما يشتمل عليه من ذكر الانبياء وشرائعهم واخبارهم لانها لا تدرك الا بالقرآن عن الاصم والقاضي وقوله والفرقان اي مما يفرق بين الحق والباطل وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به وروى الحسن بن محبوب عن ابي ايوب عن ابي الورد عن ابي جعفر عليه السلام قال خطب رسول الله صلى الله عليه واله الناس في اخر جمعة من شعبان فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس انه قد اظلكم شهر فيه ليلة خير من الف شهر وهو شهر رمضان فرض الله صيامه وجعل قيام ليلة فيه بتطوع صلاة كمن تطوع بصلاة سبعين ليلة فيما سواه من الشهور وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كاجر من ادى فريضة من فرائض الله فيما سواه ومن ادى فيه فريضة من فرائض الله كان كمن ادى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور وهو شهر الصبر وان الصبر ثوابه الجنة وهو شهر المواساة وهو شهر يزيد الله فيه من رزق المؤمن ومن فطر فيه مؤمنا صائما كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لذنوبه فيما مضى فقيل له يا رسول الله ليس كلنا يقدر على ان يفطر صائما فقال ان الله تبارك وتعالى كريم يعطي هذا الثواب من لم يقدر منكم الا على مذقة من لبن يفطر بها صائما او شربة من ماء عذب او تمرات لا يقدر على اكثر من ذلك ومن خفف فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه وهو شهر اوله رحمة ووسطه مغفرة واخره اجابة والعتق من النار ولا غنى بكم عن اربع خصال خصلتين ترضون الله بهما وخصلتين لا غنى بكم عنهما اما اللتان ترضون الله بهما فشهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله واما اللتان لا غنى بكم عنهما فاما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسالون الله الجنة وتتعوذون به من النار **وقال** رسول الله صلى الله عليه واله نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف وقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فيه وجهان احدهما فمن شهد منكم المصر وحضر ولم يغب في الشهر والالف واللام في الشهر للعهد والمراد به شهر رمضان فليصم جميعه وهذا معنا ما رواه زرارة عن ابي جعفر عليه السلام انه قال لما سئل عن هذه ما ابينها لمن عقلها قال من شهد رمضان فليصمه ومن سافر فيه فليفطر وقد روي ايضا عن علي عليه السلام وابن عباس ومجاهد وجماعة من المفسرين انهم قالوا من شهد الشهر بان دخل عليه الشهر وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله والثاني من شاهد منكم الشهر مقيما مكلفا فليصم الشهر بعينه وهذا نسخ للتخيير بين الصوم والفدية وان كان موصولا به في التلاوة لان الاتصال لا يعتبر عند التلاوة بل عند الانزال والاول اقوى وقوله ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر قد مضى تفسيره في الاية المتقدمة وحد المرض الذي يوجب الافطار ما يخاف الانسان معه الزيادة المفرطة في مرضه وروى ابو بصير قال سالت ابا عبد الله عن حد المرض الذي على صاحبه فيه الافطار قال هو مؤتمن عليه مفوض اليه فان وجد ضعفا فليفطر وان وجد قوة فليصم كان المرض على ما كان وروي ايضا

ان قالك كل مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان صلاته وبه قال الحسن وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء واما السفر الذي يوجب الافطار عندنا فما
كان مباحا او طاعة وكانت المسافة ثمانية فراسخ اربعة وعشرين ميلا وعند الشافعي ستة عشر فرسخا وعند ابي حنيفة اربعة وعشرين فرسخا واختلف في العدة
من الايام الاخر فقال الحسن وجماعة هي على التضييق اذا برأ المريض وقدم المسافر وقال ابو حنيفة موسع فيها وعندنا موقت بما بين رمضانين ويجوز متتابعا
ومفرقا والتتابع افضل فان فرط حتى لحقه رمضان اخر لزمته الفدية مع القضاء وبه قال الشافعي وقوله يريد الله بكم اليسر اي في الرخصة للمريض والمسافر
اذ لم يوجب الصوم عليهما وقيل يريد الله بكم اليسر في جميع اموركم ولا يريد بكم العسر اي التضييق عليكم وفيه دلالة على بطلان قول المجبرة لانه بين ان في افعال
المكلفين ما يريده سبحانه وهو اليسر وفيها ما لا يريده وهو العسر ولانه اذا كان لا يريد بهم العسر فان لا يريد تكليف ما لا يطاق اولى وقوله ولتكملوا
العدة تقديره يريد الله لان يسهل عليكم ولان تكملوا اي تتموا عدة ما افطرتم فيه وهي ايام السفر والمرض بالقضاء اذا اقمتم وبرأتم فتصوموا للقضاء بعدد ايام
الافطار على القول الاخر فتقديره ولاكمال العدة شرع الرخصة في الافطار ويحتمل ان يكون معناه ولتكملوا عدة الشهر لانه مع الطاقة وعدم العذر تسهل
عليكم العدة والمريض والمسافر يتعسر عليهما ذلك فيكملان العدة في وقت اخر ومن قال ان شهر رمضان لا ينقص ابدا استدل بقوله ولتكملوا
العدة وقال بين سبحانه ان عدة شهر رمضان محصورة يجب صيامها على الكمال ولا يدخلها نقصان ولا اختلال والجواب عنه من وجهين احدهما ان المراد
اكملوا العدة التي وجب عليكم صيامها وقد يجوز ان يكون هذه العدة تارة ثلثين وتارة تسعة وعشرين والاخر ما ذكرناه من ان المراد راجع الى القضاء
ويؤيده انه سبحانه ذكره عقيب ذكر السفر والمرض وقوله ولتكبروا الله على ما هداكم المراد به تكبير ليلة الفطر عقيب اربع صلوات المغرب والعشاء الاخرة والغداة
وصلوة العيد على مذهبنا وقال ابن عباس وجماعة التكبير يوم الفطر وقيل المراد به ولتعظموا الله على ما ارشدكم له من شرايع الدين ولعلكم تشكرون اي
لتشكروا الله على نعمه قوله عز وجل وَاِذَا سَاَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَاِنِّي قَرِيبٌ اُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ اِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ
لْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ اللغة اجاب واستجاب بمعنى قال الشاعر وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك
مجيب قال المبرد بينهما فرق وهو ان في الاستجابة معنى الاذعان وليس ذلك في الاجابة واصله من الجوب وهو القطع ويقال جاب البلاد يجوبها
جوبا اذا قطعها واجاب الكلام بمعناه والجابة والاجابة بمعنى والصحيح ان الجابة والطاعة والطاقة ونحوها اسماء بمعنى المصادر واجاب عن السؤال
جوابا وانجاب السحاب اذا انقشع واصل الباب القطع فاجابة السائل القطع بما سأل لان سؤاله على الوقف ايكون ام لا يكون والرشد نقيض الغي رشد
يرشد رشدا ورشد يرشد رشدا ورجل رشيد وولد فلان لرشدة خلاف لزنية واصل الباب اصابة الخير ومنه الارشاد وهو الدلالة على وجه الاصابة
للخير الاعراب اذا ظرف زمان للفعل الذي يدل عليه قوله فاني قريب اجيب دعوة الداعي تقديره فاخبرهم يا محمد اني بهذه الصفة ولا يجوز ان يعمل فيه قريب
او اجيب لامرين احدهما ان لا يجوز ان يعمل فيما قبل ان لما بين في موضعه وقوله اجيب في موضع رفع بانه خبر ان ايضا فهو خبر بعد خبر النزول روي عن الحسن
ان سائلا سأل النبي صلى الله عليه واله اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت الاية وقال قتادة نزلت جوابا لقوم سألوا النبي صلى الله عليه واله كيف
ندعو المعنى لما ذكر سبحانه الصوم عقبه بذكر الدعاء ومكانه منه واجابته اياه فقال واذا سألك عبادي عني الاقرب ان يكون السؤال عن صفته سبحانه
لا عن فعله لقوله سبحانه فاني قريب وفيه حذف اي فقل اني قريب فدل بهذا على انه سبحانه لا مكان له اذ لو كان له مكان لم يكن قريبا من كل من يناجيه
وقيل معناه اني سريع الاجابة الى دعاء الداعي لان السريع والقريب متقاربان وقيل معناه اني اسمع دعاء الداعي كما يسمعه القريب المسافة منهم فجازت
لفظة قريب لحسن البيان بها فاما قرب المسافة فلا يجوز عليه سبحانه لان ذلك انما يتصور فيمن كان متمكنا في مكان وذلك من صفات المحدثات وقوله اجيب
دعوة الداعي اذا دعاني مفهوم المعنى وقوله فليستجيبوا لي قال ابو عبيدة معناه فليجيبوني فيما دعوتهم اليه وقال المبرد والسراج معناه فليذعنوا للحق بطلب
موافقة ما امرتهم به ونهيتهم عنه وقال مجاهد معناه فليستجيبوا لي بالطاعة وقيل معناه فليدعوني وروي عن النبي صلى الله عليه واله اعجز الناس من عجز عن
الدعاء وابخل الناس من بخل بالسلام وليؤمنوا بي اي وليصدقوا بجميع ما انزلته وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال وليؤمنوا بي اي وليتحققوا اني
قادر على اعطائهم ما سألوه لعلهم يرشدون اي لعلهم يصيبون الحق ويهتدون اليه واذا سئل فقيل نحن نرى كثيرا من الناس يدعون الله فلا يجيبهم فما
معنى قوله اجيب دعوة الداع اذا دعاني فالجواب انه ليس احد يدعو الله سبحانه على ما توجبه الحكمة الا اجابه الله فان الداعي اذا دعا يجب ان يسأل ما
فيه صلاح له في دينه ولا يكون فيه مفسدة له ولا لغيره ويشترط ذلك بلسانه او ينويه بقلبه فالله سبحانه يجيبه اذا اقتضت المصلحة اجابته او يؤخر الاجابة
ان كانت المصلحة في التأخير واذا قيل انما يقتضيه الحكمة لا بد ان يفعله سبحانه فما معنى الدعاء واجابته فالجواب ان الدعاء عبادة في نفسها يعبد الله سبحانه بها

لما في ذلك من اظهار الخضوع والافتقار اليه سبحانه وايضا فانه لا يمتنع ان يكون وقوع ما سأله انما صار مصلحة بعد الدعاء ولا يكون مصلحة قبل الدعاء ففي
الدعاء هذه الفائدة ويؤيد ذلك ما روى عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه واله ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا
اثم الا اعطاه بها احدى خصال ثلث اما ان يعجل دعوته واما ان يدخر له في الاخرة واما ان يدفع عنه من السوء مثلها قالوا يا رسول الله اذا نكثر قال الله
الله اكثر وفي رواية انس بن مالك الله اكثر واطيب ثلث مرات وروى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ان العبد ليدعو
وهو يحبه فيقول يا جبرئيل اقض لعبدي هذا حاجته واخرها فاني احب ان لا ازال اسمع صوته وان العبد ليدعو الله عز وجل وهو يبغضه فيقول يا جبرئيل
اقض لعبدي هذا حاجته باخلاصه وعجلها فاني اكره ان اسمع صوته وروى عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال ربما اخرت عن العبد اجابة الدعاء ليكون
اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الامل وقيل لابرهيم بن ادهم ما بالنا ندعو الله فلا يستجيب لنا فقال لانكم عرفتم الله فلم تطيعوه وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته
وعرفتم القران فلم تعملوا بما فيه واكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة فلم تطلبوها وعرفتم النار فلم تهربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه
ووافقتموه وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ودفنتم الاموات فلم تعتبروا بهم وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس قوله عز وجل اُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ
الرَّفَثُ اِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَاَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللّٰهُ اَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ اَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْاٰنَ
بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْاَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْاَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ اَتِمُّوا الصِّيَامَ
اِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَاَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ اٰيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ اية اللغة الرفث الجماع ههنا بلا خلاف وقيل ان اصله القول الفاحش فكنى به عن الجماع قال الزجاج الرفث اللغو ورفث التكلم قال الاخفش
انما عداه بالى في الاية لانه بمعنى الافضاء واللباس الثياب التي من شانها ان تستر الابدان ويشبه به الاغشية فيقال البس السيف بالحلية والعرب تسمي المرأة
لباسا وازارا قال اذا ما الضجيع ثنى عطفه تثنت فكانت عليه لباسا وقال الابلغ الا ابلغ ابا حفص رسولا فدى لك من اخي ثقة ازاري قال اهل اللغة
معناه امرأتي والاختيان الخيانة ويقال خانه يخونه خونا وخيانة واختانه اختيانا وخائنة الاعين مسارقة النظر الى ما لا يحل واصل الباب منع
الحق والمباشرة الصاق البشرة بالبشرة وهي ظاهر الجلد والابتغاء طلب البغية والخيط الابيض بياض الفجر والخيط الاسود سواد الليل فاول النهار طلوع
الفجر الثاني لانه اوسع ضياء قال ابو دواد فلما اضاءت لنا غدوة ولاح من الصبح خيط انارا والخيط في اللغة معروف يقال خاط يخيط خياطة والخيط القطيع
من النعام ونعامة خيطا قيل خيطها طول قصبها وعنقها وقيل اختلاط سوادها ببياضها والسواد والبياض لونان كل واحد منهما اصل بنفسه وبيضة الاسلام
مجتمعه وابتاضوهم اي استأصلوهم بمعنى اقتعلوا بيضتهم والسواد والمساودة المسارة لان الخفاء فيه كخفاء الشخص في سواد الليل وسواد العراق سمي به لكثرة
الماء والشجر الذي يسود به الارض وسواد كل شيء شخصه وسويداء القلب وسواده دمه الذي فيه وقيل حبة القلب والعكوف والاعتكاف اصله اللزوم
يقال عكفت بالمكان اي اقمت به ملازما له قال الطرماح فبات بنات الليل حولي عكفا عكوف البواكي بينهن صريع وهو في الشرع عبارة عن اللبث في
مكان مخصوص للعبادة والحد على وجوه الحد المنع وحدود الله فرايضه قال الزجاج هي ما منع الله عز وجل من مخالفتها والحد جلد الزاني وغيره والحد
حد السيف ونحوه والحد حد الدار والحد الفرق بين الشيئين والحد نهاية الشيء التي يمنع ان يدخله ما ليس منه او ان يخرج عنه ما هو منه وقال الخليل الحد
الجامع المانع والحداد البواب قال الاعشى فقمنا ولما يصح ديكنا الى جونة عند حدادها يعني صاحبها الذي يحفظها ويمنعها وكل من منع شيئا فهو حداد
ومن ذلك احدت المرأة على زوجها معناه امتنعت من الزينة والحديد انما سمي حديدا لانه يمتنع به من الاعداء فاصل الباب المنع النزول روى علي بن ابرهيم بن هاشم
عن ابيه رفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال كان الاكل محرما في شهر رمضان بالليل بعد النوم وكان النكاح حراما بالليل والنهار في شهر رمضان وكان رجل
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله يقال له مطعم بن جبير اخو عبد الله بن جبير الذي كان رسول الله صلى الله عليه واله وكله بفم الشعب يوم احد في خمسين من
الرماة ففارقه اصحابه وبقي في اثني عشر رجلا فقتل على باب الشعب وكان اخوه هذا مطعم بن جبير شيخا ضعيفا وكان صايما فابطات عليه اهله بالطعام
فنام قبل ان يفطر فلما انتبه قال لاهله قد حرم علي الاكل في هذه الليلة فلما اصبح حضر حفر الخندق فاغمي عليه فراه رسول الله صلى الله عليه واله فرق له وكان قوم
من الشباب ينكحون بالليل سرا في شهر رمضان فانزل الله تعالى هذه الاية فاحل النكاح بالليل في شهر رمضان والاكل بعد النوم الى طلوع الفجر واختلف العامة
في اسم هذا الرجل من الانصار فقال بعضهم قيس بن صرمة وقيل ابو صرمة وقيل ابو قيس بن صرمة وقيل صرمة بن اياس وقالوا جاء الى رسول الله صلى الله عليه واله فقال عملت في النخل
نهاري اجمع حتى امسيت فاتيت اهلي لتطعمني فابطات فنمت فايقظوني وقد حرم علي الاكل وقد امسيت وقد جهدني الصوم فقال عمر يا رسول الله اعتذر اليك من مثله

فايقظوه

رجعت الى اهلى بعد ما صليت العشاء فاتيت امراتى وقام رجال فاعترفوا بمثل الذى سمعوا فنزلت الاية عن ابن عباس والسدى **المعنى** لما بين سبحانه فرض الصيام وما يتعلق به من الاحكام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث اى الجماع وقال ابن عباس ان الله سبحانه حيى يكنى بما شاء ان الرفث واللباس والمباشرة والافضاء هو الجماع وقال الزجاج الرفث كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المراة وهذا يقتضى تحريما متقدما ازيل عنهم والمراد بليلة الصيام الليلة التى يكون من غدها الصوم وروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم كراهية الجماع فى اول ليلة من كل شهر الا اول ليلة من شهر رمضان فانه يستحب ذلك لمكان الاية والاشبه ان يكون المراد به ليالى الشهر كله وانما وحد لانه اسم جنس يدل على الكثرة هن لباس لكم وانتم لباس لهن اى هن سكن لكم وانتم سكن لهن كما قال وجعلنا الليل لباسا اى سكنا عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والمعنى تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة اى قل ما يصبر احد الزوجين عن الاخر وقيل انما جعل كل واحد منهما لباسا للاخر لانضمام جسد كل واحد منهما الى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذى يلبسه فلما كانا يلتبسان عند الجماع سمى كل واحد منهما لباسا لصاحبه قال الربيع هن فراش لكم وانتم لحاف لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم لما حرم عليهم الجماع والاكل بعد النوم وخالفوا فى ذلك ذكرهم الله بالنعمة فى الرخصة التى نسخت تلك التحريم فقال علم الله انكم تخونون انفسكم بالمعصية اى لا تؤدون الامانة بالامتناع عن المباشرة وقيل معنا تختانون تنقصون انفسكم من شهواتها وتمنعونها من لذاتها باجتناب ما نهيتم عنه فخفف الله عنكم فتاب عليكم قبل توبتكم ونيل بمعناه ورخص لكم وازال التشديد عنكم وعفا عنكم فيه وجهان احدهما غفر ذنوبكم والاخر ازال التحريم ذلك عنكم وذلك عفو عن تحريمه عليهم فالان باشروهن بالليل اى جامعوهن لفظه امر ومعناه الاباحة وابتغوا ما كتب الله لكم فيه قولان احدهما اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد عن الحسن واكثر المفسرين وهو ان يجامع الرجل اهله رجاء ان يرزقه الله تعالى ولدا يعبده ويسبح له والاخر اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذى بينه فى كتابه فان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزايمه وقوله وكلوا واشربوا اباحة للاكل والشرب حتى يتبين لكم اى يظهر ويميز لكم على التحقيق الخيط الابيض من الخيط الاسود اى النهار من الليل فاول النهار طلوع الفجر الثانى وقيل بياض الفجر من سواد الليل وقيل بياض اول النهار من سواد اخر الليل وانما شبه ذلك بالخيط لان القدر الذى يحرم الافطار من البياض يشبه الخيط فيزول به مثله من السواد ولا اعتبار بالانتشار من الفجر يحتمل من معنيين احدهما ان يكون بمعنى التبعيض لان المعنى من بعض الفجر وليس الفجر كله عن ابن دريد والاخر انه للتبيين لانه بين الخيط الابيض فكانه قال الخيط الابيض الذى هو الفجر وروى ان عدى بن حاتم قال للنبى صلى الله عليه واله انى وضعت خيطين من شعر ابيض واسود فكنت انظر فيهما فلا يتبين لى فضحك رسول الله حتى رؤى نواجذه وقال يا ابن حاتم انما ذلك بياض النهار وسواد الليل فابتداء الصوم من هذا الوقت ثم بين سبحانه الانتهاء فقال ثم اتموا الصيام الى الليل اى من وقت طلوع الفجر الثانى وهو المستطير المعترض الذى يأخذ الافق وهو الفجر الصادق الذى تجب عنده الصلوة الى وقت دخول الليل وهو بعد غروب الشمس وعلامة دخوله على الاستظهار سقوط الحمرة من جانب المشرق واقبال السواد منه والا فاذا غابت الشمس مع ظهور الافاق فى الارض المبسوطة وعدم الجبال والروابى فقد دخل الليل وقوله ولا تباشروهن فى معناه قولان ههنا احدهما انه اراد به الجماع عن ابن عباس والحسن وقتادة والثانى انه اراد الجماع وكل ما دونه من قبلة وغيرها عن مالك وابن زيد وهو مذهبنا وقوله وانتم عاكفون فى المساجد اى معتكفون اى لا تباشروهن فى حال اعتكافكم فى المساجد والاعتكاف عندنا لا يصح الا فى احد المساجد الاربعة المسجد الحرام ومسجد النبى صلى الله عليه واله ومسجد الكوفة ومسجد البصرة وعند ساير الفقهاء يجوز فى ساير المساجد الا ان مالكا قال انه يختص بالجامع ولا يصح الاعتكاف عندنا الا بصوم وبه قال ابو حنيفة ومالك وعند الشافعى يصح بغير صوم وعندنا لا يكون اقل من ثلثة ايام وعند ابى حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة ايام لا يجوز اقل منه وعند الشافعى ساعة ولو ساعة واحدة وفى الاية دلالة على تحريم المباشرة فى الاعتكاف ليلا ونهارا لانه علق المباشرة بحالة الاعتكاف وقوله تلك حدود الله تلك اشارة الى الاحكام المذكورة فى الاية حدود الله حرمات الله عن الحسن وقيل معاصى الله عن الضحاك وقيل ما منع الله منه عن الزجاج فلا تقربوها اى فلا تاتوها وقيل معناه تلك فرايض الله فلا تقربوها بالمخالفة كذلك اى مثل هذا البيان الذى ذكر يبين الله اياته للناس اى حججه وادلته على ما امرهم به ونهاهم عنه واباحه اياه وفى هذا دلالة على انه سبحانه اراد التقوى من جميع الناس قوله عز وجل **ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون** **اية** **اللغة** الباطل الذاهب الزايل يقال بطل اذا ذهب وقيل الباطل هو ما تعلق بالشئ على خلاف ما هو به خبرا كان او اعتقادا او ظنا او تخيلا والحكم هو الخبر الذى يفصل به بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعة الاخر ويقال ادلى فلان بحجته اذا اقامها وهو من قولهم ادليت الدلو فى البئر اذا ارسلتها ودلوتها اذا اخرجتها فمعنى قولهم ادلى بحجته ارسلها واتى بها على صحة وفى تشبيه الخصومة بارسال الدلو فى البئر وجهان احدهما انه تعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذى

هو الحبل والثانى انه يمضى فيه من غير تثبت كمضى الدلو فى الارسال من غير تثبت والفريق القطعة المعزولة من الجملة سواء كان من الناس او من غيرهم والاثم الفعل الذى يستحق به الذم **الاعراب** وتدلوا محله جزم على النهى عطفا على قوله ولا تاكلوا ويحتمل ان يكون نصبا على الظرف ويكون نصبه باضمار ان كقول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتى مثله عار عليك اذا فعلت عظيم اى لا تجمع بينهما **المعنى** ثم بين سبحانه شريعة من شرايع الاسلام نسقا على ما تقدم من بيان الحلال والحرام فقال ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى لا ياكل بعضكم مال بعض بالظلم والغصب والوجوه التى لا تحل كقوله سبحانه ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تاكلوا اموالكم باللهو واللعب مثل ما يؤخذ فى القمار والملاهى لان كل ذلك من الباطل وروى عن ابى جعفر عليه السلم انه يعنى بالباطل اليمين الكاذبة يقتطع بها الاموال وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال كانت قريش تقامر الرجل فى اهله وماله فنهاهم الله والاولى حمله على الجميع لان الاية تحتمل الكل وتدلوا بها الى الحكام وتلقوها الى القضاة وقيل فيه اقوال احدها انها الودايع وما لا تقوم عليه بينة عن ابن عباس والحسن وقتادة وثانيها انه مال اليتيم فى يد الاوصياء لانهم يدفعونه الى الحاكم اذا طولبوا به ليقتطعوا بعضه ويقوم لهم فى الظاهر حجة عن الجبائى وثالثها انه ما يؤخذ بشهادة الزور عن الكلبى والاولى ان يحمل على الجميع لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم اى لتاكلوا طايفة من اموال الناس بالفعل الموجب للاثم بان يحكم الحاكم بالظاهر وكان الامر فى الباطن بخلافه وانتم تعلمون ان ذلك الفريق من المال ليس بحق لكم وانتم مبطلون وهذا اشد فى الزجر وقال ابو عبد الله عليه السلم علم الله سبحانه انه سيكون فى هذه الامة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله المؤمنين ان يتحاكموا اليهم وهم يعلمون انهم لا يحكمون بالحق وهذا يدل على ان الاقدام على المعصية مع العلم او مع التمكن من العلم اعظم قوله عز وجل **يسالونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون** **اية** **القراءة** قرا ابن كثير وابن ذكوان والكسائى البيوت والشيوخ واخواتها بكسر اوايلها الا الغيوب وقرا حمزة وحماد ويحيى عن عاصم كلها بالكسر الا الجيوب وقالون يكسر منها البيوت فقط والباقون بالضم **الحجة** من كسر اوايل هذه الكلمات انما فعل ذلك لاجل الياء ابدل من الضمة الكسرة لان الكسرة اشد موافقة للياء من الضمة لها كما كسروا الفاء من عيينة وشييخ فى تصغير عين وشيخ وناب وان لم يكن فى ابنية التصغير على هذا الوزن لتقريب الحركة مما بعدها ومن ضمها فعلى الاصل لانها فعول **اللغة** الاهلة جمع هلال واشتقاقه من قولهم استهل الصبى اذا بكى حين يولد او صاح وقولهم اهل القوم بالحج اذا رفعوا اصواتهم بالتلبية وانما قيل هلال لانه حين يرى يهل الناس بذكره يقال اهل الهلال واستهل ولا يقال اهل ويقال اهللنا الهلال واهللنا شهر كذا اى دخلنا فيه وقد اختلف فى تسميته هلالا كم يسمى ومتى يسمى قمرا فقال بعضهم يسمى هلالا لليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا الى ان يعود فى الشهر الثانى وقال اخرون يسمى هلالا ثلث ليال ثم يسمى قمرا وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخط دقيقة وهذا قول الاصمعى وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يبهر ضوؤه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون فى الليلة السابعة واسم القمر عند العرب الزبرقان واسم دارته الهالة واسم ضوئه الفخت والميقات مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل والتوقيت تقدير الوقت وكل ما قدرت غايته فهو موقت والميقات منتهى الوقت والاخرة ميقات الخلق والاهلال ميقات الشهر والحج ذكرنا معناه فيما سبق والبر النفع الحسن والظهر الصفحة المقابلة لصفحة الوجه والباب المدخل يقال منه بوبت تبويبا اذا جعله ابوابا والبواب الحاجب لانه يلزم الباب والبابة القطعة من الشئ كالباب من الجملة **الاعراب** قوله للناس فى موضع رفع صفة لمواقيت تقديره هى مواقيت كاينة للناس والباء فى قوله بان تاتوا مزيدة لتاكيد النفى وان تاتوا فى موضع الجر بالباء والجار والمجرور فى موضع النصب بانها خبر ليس وقوله ولكن البر من اتقى قيل فيه وجهان احدهما ان تقديره ولكن البر من اتقى كما قلناه فى قوله ولكن البر من امن بالله والاخر ان تقديره ولكن البار من اتقى وضع المصدر موضع الصفة **النزول** روى ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله ان اليهود يكثرون مسالتنا عن الاهلة فانزل الله هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا انهم سالوا رسول الله لم خلقت هذه الاهلة فانزل الله هذه الاية **المعنى** ثم بين سبحانه شريعة اخرى فقال يسالونك عن الاهلة اى عن احوال الاهلة فى زيادتها ونقصانها ووجه الحكمة فى ذلك قل يا محمد هى مواقيت للناس والحج اى هى مواقيت يحتاج الناس الى مقاديرها فى صومهم وفطرهم وعدد نسائهم ومحل ديونهم وحجهم فبين سبحانه ان وجه الحكمة فى زيادة القمر ونقصانه ما يتعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا لان الهلال لو كان مدورا ابدا مثل الشمس لم يكن التوقيت به وفيه اوضح دلالة على ان الصوم لا يثبت بالعدد وانه يثبت بالهلال لانه سبحانه نص على ان الاهلة هى المعتبرة فى المواقيت والدلالة على الشهور فلو كانت الشهور انما تعرف بطريق العدد لخص التوقيت بالعدد دون رؤية الاهلة لان عند اصحاب العدد لا عبرة

بروية الاهلة في معرفة المواقيت وقوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها فيه وجوه احدها انه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من ابوابها ولكنهم كانوا ينقبون في ظهر بيوتهم اي في مؤخرها نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس وقتادة وعطا ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام وقيل الا الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وجشم وبنو عامر بن صعصعة كانوا لا يفعلون ذلك وانما سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة وقيل انما كانت الحمس تفعل ذلك وانما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم وبين السماء شيء وثانيها ان معناه ليس البر بان تاتوا الامور من غير جهاتها وينبغي ان تاتوا الامور من جهاتها اي الامور كان وهو المروي عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام وثالثها ان معناه ليس البر طلب المعروف من غير اهله ولكن البر من اتقى قد مضى معناه واتوا البيوت من ابوابها قد مضى معناه وقال ابو جعفر عليه السلام آل محمد ابواب الله وسبله والدعاة الى الجنة والقادة اليها والادلاء عليها الى يوم القيمة وقال النبي صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتى المدينة الا من بابها ويروى انا مدينة الحكمة واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه واتقوا ما نهاكم الله عنه وزهدكم فيه لكي تفلحوا بالوصول الى ثوابه الذي ضمنه للمتقين النظم وجه اتصال قوله ليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها بقوله يسألونك عن الاهلة انه لما بين ان الاهلة مواقيت للناس والحج وكانوا اذا احرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليه قوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وقيل انه سبحانه لما بين ان امورنا مقدرة باوقات قرن به قوله وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها اي فكما ان اموركم مقدرة باوقات فليكن افعالكم جارية على الاستقامة باتباع ما امر الله به والانتهاء عما نهى عنه لان اتباع ما امر به خير من اتباع ما لم يؤمر به قوله عز وجل وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ اية اللغة القتال والمقاتلة محاولة الرجل قتل من يحاول قتله والتقاتل محاولة كل واحد من المتعاديين قتل الآخر والاعتداء مجاوزة الحد يقال عدا طوره اذا جاوز حده النزول عن ابن عباس نزلت هذه الاية في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج هو واصحابه في العام الذي ارادوا فيه العمرة وكانوا الفا واربعمائة فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدي بالحديبية ثم صالحهم المشركون على ان يرجع من عامه ويعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة ايام فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء فيرجع الى المدينة من فوره فلما كان العام المقبل تجهز عليه السلام واصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لا تفي لهم قريش بذلك وان يصدوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم وكره رسول الله صلى الله عليه وآله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فانزل الله تعالى هذه الاية وعن الربيع بن انس وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذه اول اية نزلت في القتال فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فنسخت هذه الاية المعنى ثم بين سبحانه امر الجهاد فقال مخاطبا للمؤمنين وقاتلوا اي جاهدوا الكفار في سبيل الله اي دين الله وهو الطريق الذي بينه للعباد ليسلكوه على ما امرهم به ودعاهم اليه الذين يقاتلونكم قيل امروا بقتال المقاتلين دون النساء وقيل انهم امروا بقتال اهل مكة والاولى حمل الاية على العموم الا من اخرجه الدليل ولا تعتدوا اي لا تجاوزوا من قتال من هو من اهل القتال الى قتال من لم تؤمروا بقتاله وقيل معناه لا تعتدوا بقتال من لم يبدأكم بقتال ان الله لا يحب المعتدين ظاهره انه يسخط عليهم لانه على جهة الذم وقد ذكرنا معنى المحبة فيما مضى واختلف في الاية هل هي منسوخة ام لا فقال بعضهم منسوخة على ما ذكرناه وروي عن ابن عباس ومجاهد انها غير منسوخة بل هي خاصة في النساء والذراري وقيل امر بقتال اهل مكة وروي عن ائمتنا عليهم السلام ان هذه الاية ناسخة لقوله كفوا ايديكم واقيموا الصلوة وكذلك قوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم ناسخ لقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم قوله عز وجل وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ اية القراءة قرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم كله بغير الف والباقون بالف في جميع ذلك الحجة من قراها بغير الف فانما اتبع المصحف لانه كتب في المصاحف بغير الف ومن قرا بالالف قال انما حذف الالف في الخط كما في الرحمن اللغة ثقفته اثقفه ثقفا وثقافة اي وجدته ومنه قولهم رجل ثقف لقف اي يجد ما يطلبه وثقف الرجل ثقافة فهو ثقف وثقف ثقفا بالتحريك فهو ثقف اذا كان سريع التعلم والثقاف حديدة يقوم بها الرماح المعوجة والتثقيف التقويم والفتنة اصلها الاختبار ثم ينصرف الى معان منها الابتلاء نحو قوله وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء على اثر ابتلاء ومنها العذاب كقوله جعل فتنة الناس كعذاب الله ومنها الصد عن الدين نحو قوله واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك والمراد بها في الاية الشرك بالله وبرسوله الاعراب حيث فيه ثلث لغات ضم الثاء وفتحها وكسرها فالضم لشبهها بالغاية نحو قبل وبعد لانه منع الاضافة الى المفرد مع لزوم معنى الاضافة اياه فجرى لذلك مجرى قبل وبعد في البناء على الضم والفتح لاجل البناء كما فتحت اين وكيف والكسر لاجل ان الاصل في التحريك لالتقاء الساكنين

والجملة بعد حيث في موضع جر باضافة حيث اليها في الموضعين ويقاتلوا منصوب باضمار ان وهو صلة ان والموصول والصلة في محل جر بحتى وحتى تتعلق بتقاتلوا النزول نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام فعابوا المؤمنين بذلك فبين الله سبحانه ان الفتنة في الدين وهو الشرك اعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وان كان غير جائز المعنى ثم خاطب سبحانه المؤمنين مبينا لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال واقتلوهم اي الكفار حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم يعني اخرجوهم من مكة كما اخرجوكم منها والفتنة اشد من القتل اي شركهم بالله وبرسوله اعظم من القتل في الشهر الحرام وسمي الكفر فتنة لان الكفر يؤدي الى الهلاك كما ان الفتنة تؤدي الى الهلاك وقيل لان الكفر فساد يظهر عند الاختبار وقوله ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه نهي عن ابتدائهم بقتال او قتل في الحرم حتى يبتدئ المشركون بذلك فان قاتلوكم اي بدؤكم بذلك فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين اي يقتلوا حيث ما وجدوا وفي نهي عن ابتدائهم بقتال او قتل في الحرم حتى يبتدئ المشركون بذلك فان كان في الاية دلالة على وجوب اخراج الكفار من مكة حتى لا تكون فتنة والسنة قد وردت ايضا بذلك وهو قوله عليه السلام لا يجتمع في جزيرة العرب دينان قوله عز وجل فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية اللغة الانتهاء الامتناع والنهي والنهي الزجر عن الفعل بصيغة لا تفعل مع كراهة الناهي لذلك الفعل والامر الدعاء الى الفعل بصيغة افعل مع ارادة الامر لذلك والنهي الغدير لمنعه الماء ان يفيض والنهى بمنزلة المنع ونهاية الشيء غاية والنهى جمع نهية وهي العقل والتناهي هي المواضع التي ينهبط فيها ماء السماء واحدها تنهية والانهاء ابلاغ الشيء نهايته والمغفرة تغطية الذنب بما يصير به بمنزلة غير الواقع في الحكم المعنى فان انتهوا اي امتنعوا من كفرهم بالتوبة منه عن مجاهد وغيره فان الله غفور لهم رحيم بهم فاقتصر في الكلام على ما تقدم من الشرط عليه وفيه دلالة على انه يقبل توبة القاتل عمدا لانه بين انه عز اسمه يقبل توبة المشرك والشرك اعظم من القتل قوله عز وجل وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ اية اللغة الدين ههنا الاذعان بالطاعة كما في قول الاعشى هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصيال وقيل هو الاسلام واصل الدين العبادة قال الشاعر اذا ما الله ادين لها وضيني اهذا دينه ابدا وديني وقد استعمل بمعنى الطاعة في قوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك وبمعنى الاسلام في قوله ان الدين عند الله الاسلام لان الشريعة يجب ان يجرى فيها على عادة مستمرة المعنى ثم بين سبحانه غاية وجوب القتال فقال مخاطبا للمؤمنين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام ويكون الدين لله اي وحتى يكون الطاعة لله والانقياد لامر الله وقيل حتى يكون الاسلام لله اي حتى لا يبقى الكفر ويظهر الاسلام على الاديان كلها فان انتهوا اي امتنعوا من الكفر واذعنوا للاسلام فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا عقوبة عليهم وانما العقوبة بالقتل على الكافرين المقيمين على الكفر فسمى القتل عدوانا من حيث كان عقوبة على العدوان وهو الظلم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا وحسن ذلك لازدواج الكلام والمزاوجة هنا انما حصلت في المعنى لان التقدير فان انتهوا عن العدوان فلا عدوان الا على الظالمين وهذا الوجه مروي عن قتادة والربيع وعكرمة وقيل معنى العدوان الابتداء بالقتال عن مجاهد والسدي وهذه الاية ناسخة للاولى التي تضمنت النهي عن القتال في المسجد حتى يبدؤا واما القتال فيه فلا يجاب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا في الاسلام عن الحسن والجبائي وعلى ما ذكرناه في الاية الاولى عن ابن عباس انها غير منسوخة فلا يكون هذه الاية ناسخة بل يكون مؤكدة وقيل بل المراد بها انهم اذا ابتدؤا بالقتال في الحرم تجب مقاتلتهم حتى يزول الكفر قوله عز وجل الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ اية اللغة انما سمي الشهر الحرام لانه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال ونحوه والحرمات جمع حرمة وهي ما يجب حفظه ويحرم هتكه والحرام هو القبيح الممنوع من فعله والحلال المطلق المأذون فيه والقصاص الاخذ للمظلوم من الظالم من اجل ظلمه اياه واعتدى عليه وعدا عليه بمعنى مثل قرب واقترب وجلب واجتلب وقيل ان في افتعل مبالغة ليست في فعل المعنى ثم بين الله سبحانه القتال في الشهر الحرام فقال الشهر الحرام بالشهر الحرام المراد به ههنا ذو القعدة وهو شهر الصد عام الحديبية والاشهر الحرم اربعة ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب كانوا يحرمون فيها القتال حتى لو ان رجلا لقي قاتل ابيه او اخيه لم يتعرض له بسوء وانما قيل ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال وقيل في تقديره وجهان احدهما انه قتال الشهر الحرام اي في الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقيل انه الشهر الحرام على جهة العوض لما فات في السنة الاولى ومعناه الشهر الحرام ذو القعدة الذي دخلتم فيه مكة واعتمرتم وقضيتم منها

وظلمكم فى سنة سبع بالشهر الحرام ذى القعدة الذى صددتم فيه عن البيت ومنعتم من مرادكم فى سنة ست والحرمات قصاص قيل فيه قولان احدهما ان الحرمات قصاص بالمراغمة بدخول البيت فى الشهر الحرام قال مجاهد لان قريشا فخرت بردها رسول الله صلى الله عليه واله عام الحديبية محرما فى ذى القعدة عن البلد الحرام فادخله الله عز وجل مكة فى العام المقبل فى ذى القعدة فقضى عمرته واقصه بما حيل بينه وبينه وهو معنى قول قتادة والضحاك والربيع وعبد الرحمن بن زيد وروى عن ابن عباس وابى جعفر الباقر عليه السلم مثله والثانى ان الحرمات قصاص بالقتال فى الشهر الحرام اى لا يجوز للمسلمين الا قصاصا قال الحسن ان مشركى العرب قالوا لرسول الله انهيت عن قتالنا فى الشهر الحرام قال نعم وانما اراد المشركون ان يغزوه فى الشهر الحرام فيقاتلوه فانزل الله سبحانه هذا اى ان استحلوا منكم فى الشهر الحرام شيئا فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم وبه قال الزجاج والجبائى وانما جمع الحرمات لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام وقيل لان كل حرمة تستحل فلا يجوز الا على وجه المجازاة فمن اعتدى عليكم اى ظلمكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم اى جازوه باعتدائه وقابلوه بمثله والثانى ليس باعتداء على الحقيقة ولكن سماه اعتداء لانه مجازاة اعتداء وجعله مثله وان كان ذلك جورا وهذا عدل لانه مثله فى الجنس وفى مقدار الاستحقاق ولانه ضرر كما ان ذلك ضرر فهو مثله فى الجنس والمقدار والصفة واتقوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة لهم او يريد ان نصرة الله معهم واصل مع للمصاحبة فى المكان او الزمان وفى هذه الاية دلالة على ان من غصب شيئا واتلفه يلزمه رد مثله ثم ان المثل قد يكون من طريق الصورة فى ذوات الامثال ومن طريق المعنى كالقيم فيما لا مثل له قوله عز وجل وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ اية اللغة الانفاق اخراج شئ عن ملك المالك غير لانه لو اخرجه الى هلاك لم يسم انفاقا والالقاء تصيير الشئ الى جهة السفل وقد يقال القى عليه مسئلة مجاز كما يقال طرح عليه مسئلة وقد يقال لكل من اخذ فى عمل القى يديه اليه وفيه قال لبيد حتى اذا القت يدا فى كافر واجن عورات الثغور ظلامها يعنى الشمس اى بدءت فى المغيب والتهلكة والهلاك واحد وقيل التهلكة مصدر بمعنى الاهلاك وليس فى كلام العرب مصدر على تفعلة بضم العين الا هذا وقيل التهلكة كلما تصير عاقبته الى الهلاك واصل الهلاك الضياع وهو مصير الشئ بحيث لا يدرى اين هو ومنه يقال للكافر هالك وللميت هالك وللمعذب هالك والهلوك الفاجرة والهالكى الحداد واصله ان بنى الهالك بن عمرو كانوا قيونا فنسب اليه كل قين والاحسان هو ايصال النفع الحسن الى الغير وليس المحسن من فعل الفعل الحسن لان مستوفى الدين لا يسمى محسنا وان كان فعله حسنا ولا يقال ان القديم سبحانه بفعل العقاب محسن وان كان العقاب حسنا وانما اعتبرنا النفع الحسن لان من اوصل نفعا قبيحا الى غيره لا يقال انه محسن اليه الاعراب الباء فى بايديكم زائدة كما يقال جذبت الثوب وبالثوب وعلمته وعلمت به قال الشاعر ولقد ملأت على نصيب جلده مساءة ان الصديق يعاتب اى ملأت جلده مساءة وقيل ليست الباء زائدة ولكنها على اصل الكلام من وجهين احدهما ان كل فعل متعد اذا كنى عنه او قدر على المصدر دخلته الباء تقول ضربته ثم تكنى عنه فتقول فعلت به ويقول اوقعت الضرب به فجاء على اصل الافعال المتعدية والاخر انه لما كان معناه لا تهلكوا انفسكم بايديكم دخلت الباء لتدل على هذا المعنى وهو خلاف اهلك نفسه بيد غيره المعنى لما اوجب سبحانه القتال فى سبيل الله عقبه بذكر الانفاق فيه فقال وانفقوا فى سبيل الله معناه وانفقوا من اموالكم فى الجهاد وطريق الدين وكل ما امر الله سبحانه به من الخير وابواب البر فهو سبيل الله لان السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق الى الله والى رحمة الله وثوابه الا انه كثر استعماله فى الجهاد لان الجود بالنفس اقصى غاية الجود والجهاد هو الامر الذى يخاطر فيه بالروح فكانت له مزية ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل فى معناه وجوه احدها انه اراد لا تهلكوا انفسكم بايديكم بترك الانفاق فى سبيل الله فيغلب عليكم العدو عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وثانيها انه عنى به لا تركبوا المعاصى باليأس من المغفرة عن البراء بن عازب وعبيدة السلمانى وثالثها ان المراد لا تقحموا الحرب من غير نكاية فى العدو ولا قدرة على دفاعهم عن الثورى واختاره البلخى ورابعها ان المراد لا تسرفوا فى الانفاق الذى يأتى على النفس عن الجبائى ويقرب منه ما روى عن ابى عبد الله عليه السلم لو ان رجلا انفق ما فى يديه فى سبيل من سبيل الله ما كان احسن ولا وفق

لقوله

لقوله سبحانه ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين يعنى المقتصدين وقال عكرمة معناه احسنوا الظن بالله يبر بكم وقال عبد الرحمن بن زيد احسنوا بالعود على المحتاج والاولى حمل الاية على جميع هذه الوجوه فلا تنافى فيها وفى هذه الاية دلالة على تحريم الاقدام على ما يخاف منه على النفس وعلى جواز ترك الامر بالمعروف عند الخوف لان فى ذلك القاء النفس الى التهلكة وفيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار والبغاة اذا خاف الامام على نفسه او على المسلمين كما فعله رسول الله صلى الله عليه واله عام الحديبية وفعله امير المؤمنين بصفين وفعله الحسن مع معوية من المصالحة لما تشتت امره وخاف على نفسه وشيعته فان عورضنا بان الحسين عليه السلم قاتل وحده فالجواب ان فعله عليه السلم يحتمل وجهين احدهما انه ظن انهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله صلى الله عليه واله والاخر انه غلب على ظنه انه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبرا كما فعله بابن عمه مسلم وكان القتل مع عز النفس والجهاد اهون عليه قوله عز وجل وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ اية اللغة قد ذكرنا حقيقة الحج والعمرة فيما مضى عند قوله فمن حج البيت او اعتمر فلا معنى لاعادته والاحصار المنع يقال للرجل الذى قد منعه الخوف او المرض من التصرف قد احصر فهو محصر ويقال للرجل الذى قد حبس قد حصر فهو محصور وقال الفراء يجوز ان يقوم كل واحد منهما مقام الاخر وخالفه فيه ابو العباس المبرد والزجاج قال المبرد ونظيره حبسه جعله فى الحبس واحبسه عرضه للحبس واقتله عرضه للقتل وكذلك حصره حبسه اى اوقع به الحصر واحصره عرضه للحصر وحصر حصرا اذا عيى فى الكلام والحصير البخيل الحبسه رفده والحصر الذى لا يبوح بسره لانه قد حبس نفسه عن البوح به والحصير الحبس والحصير الملك والحصور الهيوب المحجم عن الشئ والحصور الذى لا اربة له فى النساء واصل الباب الحبس وفى اصل الهدى قولان احدهما انه من الهدية يقال اهديت الهدية اهداء واهديت الهدى الى بيت الله اهداء فعلى هذا انما يكون هديا لاجل التقرب به الى الله تعالى والاخر انه من هداه اذا ساقه الى الرشاد فسمى هديا لانه يساق الى الحرم الذى هو موضع الرشاد وواحد الهدى هدية كما يقال شرية وشرى وتمرة وتمر وجمع الهدى هدى على وزن فعيل كما يقال عبد وعبيد وكلب وكليب وقيل واحد الهدى هدية مثل مطية ومطى قال الفرزدق حلفت برب مكة والمصلى واعناق الهدى مقلدات والحلق حلق الراس يقال حلق وحلق والمحلق موضع الحلق بمنى والمحلق الحلاق وحلق الطاير فى الهواء اذا ارتفع وحلق ضرع الناقة اذا ارتفع لبنها والحلق مجرى الطعام والشراب فى المرى وحلوق الارض مجاريها فى اوديتها وحلاق المنية واصل الباب الاستدارة والراس على كل شئ والاذى كل ما تاذيت به ورجل اذ اذا كان شديد التاذى واصله الضرب بالشئ والنسك جمع نسكة وهى الذبيحة ويجمع ايضا نسايك كصحيفة وصحايف وصحف وكل ما ذبح لله سبحانه فهو نسيكة والنسك العبادة ومنه رجل ناسك اى عابد والتمتع اصله الاستلذاذ والاستمتاع ومتعة الحج هى ان يعتمر فى اشهر الحج ثم يحل ويتمتع بالاحلال بان يفعل ما يفعله الحلال ثم يحرم بالحج من غير رجوع الى الميقات فهو احلال بين احرامين واهل الرجل زوجته والتاهل التزوج واهل الرجل اخص الناس به واهل البيت سكانه واهل الاسلام من يدين به واهل القران من يقرأه ويقوم بحقوقه واهلته لهذا الامر اى جعلته اهلا له وقولهم اهلا ومرحبا اى اختصاصا بالتحية والتكرمة والعقاب مصدر يقال عاقبه عقابا ومعاقبة وعقوبة واصله من عقب الشئ اى خلفه فكان القبيح يعقبه الشدة وعقب الانسان نسله وعقبه مؤخر قدمه الاعراب قوله فما استيسر من الهدى موضع ما رفع كانه قال فعليه ما استيسر ويجوز ان يكون موضعه نصبا وتقديره فاهدوا ما استيسر والرفع اولى لكثرة نظايره كقوله ففدية من صيام فعدة من ايام فصيام ثلثة ايام فى الحج وقوله فى الحج متعلق بالمصدر وليس فى موضع خبر فهذا النحو قد جاء مرفوعا على تقدير اضمار خبر المعنى

ثم بين سبحانه فرض الحج والعمرة على العباد بعد بيانه فريضة الجهاد فقال واتموا الحج والعمرة لله اى اتموهما بمناسكهما وتادية كل ما فيهما عن
ابن عباس ومجاهد وقيل معناه اقيموهما الى اخر ما فيهما وهو المروى عن امير المؤمنين وعلى بن الحسين وعن سعيد بن جبير ومسروق
والسدى وقوله لله اى اقصدوا بهما التقرب الى الله والعمرة واجبة عندنا مثل الحج وبه قال الشافعى فى الجديد وقال اهل العراق
انها مسنونة واركان افعال الحج النية والاحرام والوقوف بعرفة والوقوف بالمشعر وطواف الزيارة والسعى بين الصفا والمروة واما
الفرايض التى ليست باركان فالتلبية وركعتا الطواف وطواف النساء وركعتا الطواف واما المسنونات من افعال الحج فمذكورة فى الكتب
المصنفة فيه واركان فرايض العمرة النية والاحرام وطواف الزيارة والسعى واما ما ليس بركن من فرايضها فالتلبية وركعتا الطواف و
طواف النساء وركعتا الطواف له وقوله فان احصرتم فيه قولان احدهما ان معناه ان منعكم خوف او عدو او مرض فامتنعتم لذلك
عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطا وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلام والثانى معناه ان منعكم حابس قاهر عن مالك فما استيسر من الهدى
فعليكم ما سهل من الهدى او فاهدوا ما تيسر من الهدى اذا اردتم الاحلال والهدى يكون من ثلثة انواع جزور او بقرة او شاة وايسرها
شاة وهو المروى عن على وابن عباس والحسن وقتادة وروى عن ابن عمر وعايشة انه ما كان من الابل والبقر دون غيرهما والاول هو الصحيح
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله اى لا تحللوا من احرامكم حتى يبلغ الهدى محله وينحر او يذبح واختلف فى محل الهدى على
قولين احدهما انه الحرم فاذا ذبح به يوم النحر احل عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وعطا والثانى انه الموضع الذى يصد فيه
لان النبى صلى الله عليه واله نحر هديه بالحديبية وامر اصحابه ففعلوا مثل ذلك وليست الحديبية من الحرم عن مالك واما على مذهبنا
فالاول حكم المحصر بالمرض والثانى حكم المصدود بالعدو وان كان الاحرام بالحج فمحله منى يوم النحر وان كان الاحرام بالعمرة فمحله مكة
فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه او من مرض منكم مرضا يحتاج فيه الى الحلق للمداواة او تاذى بهوام راسه ابيح له الحلق بشرط
الفدية وروى اصحابنا ان هذه نزلت فى انسان يعرف بكعب بن عجرة وانه كان قد قمل راسه وقوله ففدية اى فحلق لذلك العذر
فعليه فدية اى بدل وجزاء يقوم مقام ذلك من صيام او صدقة او نسك المروى عن ائمتنا عليهم السلام ان الصيام ثلثة ايام والصدقة
على ستة مساكين وروى عشرة مساكين والنسك شاة وهو مخير فيها وقوله فاذا امنتم معناه فاذا امنتم الموانع من العدو والمرض
وكل مانع فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى اى فعليه ما تيسر من الهدى والتمتع عندنا هو الفرض اللازم لمن لم يكن من
حاضرى المسجد الحرام وحاضر المسجد الحرام هو من كان على اثنى عشر ميلا من كل جانب الى مكة فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من
الحاضرين وصفة التمتع بالعمرة الى الحج ان ينشئ الاحرام فى اشهر الحج ثم يدخل الى مكة فيطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر ويحل
من احرامه ثم ينشئ احراما اخر للحج من المسجد الحرام ويخرج الى عرفات ثم يفيض الى المشعر وياتى بافعال الحج على ما هو مذكور فى الكتب وفى
بعض ذلك خلاف بين الفقهاء والهدى واجب على المتمتع بلا خلاف لظاهر التنزيل على خلاف فى انه نسك فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام
فى الحج اى فمن لم يجد الهدى ولا ثمنه فعليه صيام ثلثة ايام فى الحج وعندنا ان هذه الايام الثلثة يوم قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة
وان صام فى اول العشر جاز ذلك رخصة وان صام يوم التروية ويوم عرفة قضى يوما اخر بعد انقضاء ايام التشريق وان فاته صوم
يوم التروية ايضا صام الايام الثلثة بعد ايام التشريق متتابعات وقوله وسبعة اذا رجعتم اى وسبعة ايام اذا رجعتم الى بلادكم
واهاليكم وبه قال عطا وقتادة وقيل معناه اذا رجعتم من منى فصوموها فى الطريق عن مجاهد والاول هو الصحيح عندنا وقوله
تلك عشرة كاملة فيه اقوال احدها ان المعنى كاملة من الهدى اى اذا وقعت بدلا منه استكملت ثوابه عن الحسن وهو المروى عن
ابى جعفر عليه السلام واختاره الجبائى وثانيها انه لازالة الابهام لئلا يظن ان الواو بمعنى او فيكون كانه قال فصيام ثلثة ايام
فى الحج او سبعة اذا رجعتم لانه اذا استعمل او بمعنى الواو جاز ان يستعمل الواو بمعنى او كما قال فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث
ورباع فالواو هنا بمعنى او فذكر ذلك لارتفاع اللبس عن الزجاج وابى القسم البلخى وثالثها انه قال كاملة للتوكيد كما قال جرير ثلث
واثنتان فهن خمس وسادسة تميل الى شمام وقوله ذلك لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام اى ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة الى
الحج ليس لاهل مكة ومن يجرى مجراهم وانما هو لمن لم يكن من حاضرى مكة وهو من يكون بينه وبينها اكثر من اثنى عشر ميلا من كل جانب واتقوا

الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله شديد العقاب لمن عصاه **الحديث** روى معوية بن عمار عن الصادق
عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه واله اقام بالمدينة عشر سنين لم يحج ثم انزل الله عليه واذن فى الناس بالحج الاية فامر
المؤذنون ان يؤذنوا باعلى اصواتهم بان رسول الله صلى الله عليه واله يحج من عامه هذا فعلم به من حضر المدينة واهل العوالى
والاعراب فاجتمعوا فخرج رسول الله صلى الله عليه واله فى اربع بقين من ذى القعدة فلما انتهى الى ذى الحليفة فزالت الشمس اغتسل
ثم خرج حتى اتى المسجد الذى عند الشجرة فصلى فيه الظهر واحرم بالحج ثم ساق الحديث الى ان قال فلما وقف رسول الله بالمروة
بعد فراغه من السعى اقبل على الناس بوجهه فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان هذا جبرئيل واومى بيده الى خلفه يامرنى ان امر من لم يسق
هديا ان يحل ولو استقبلت من امرى ما استدبرت لصنعت مثل ما امرتكم ولكنى سقت الهدى ولا ينبغى لسايق الهدى ان يحل
حتى يبلغ الهدى محله فقال له رجل من القوم انخرج حجاجا ورؤسنا تقطر فقال انك لن تؤمن بها ابدا فقام اليه سراقة بن مالك
بن جعشم الكنانى فقال يا رسول الله علمتنا ديننا فكانا خلقنا اليوم فهذا الذى امرتنا به لعامنا هذا او لما يستقبل فقال له رسول
الله صلى الله عليه واله بل هو للابد الى يوم القيمة ثم شبك بين اصابعه بعضها فى بعض وقال دخلت العمرة فى الحج الى يوم القيمة
وقدم على من اليمن على رسول الله صلى الله عليه واله وهو بمكة فدخل على فاطمة عليها السلام وهى قد احلت فوجد ريحا طيبة ووجد عليها ثيابا مصبوغة
فقال ما هذا يا فاطمة قالت امرنا بهذا رسول الله فخرج على الى رسول الله مستفتيا محرشا على فاطمة فقال يا رسول الله انى رايت فاطمة
قد احلت وعليها ثياب مصبوغة فقال رسول الله صلى الله عليه واله انا امرت الناس بذلك وانت يا على بم اهللت قال قلت يا رسول الله اهلالا كاهلال
رسول الله فقال رسول الله كن على احرامك مثلى وانت شريكى فى هديى قال ونزل رسول الله بمكة بالبطحاء هو واصحابه ولم ينزل
الدور فلما كان يوم التروية عند زوال الشمس امر الناس ان يغتسلوا ويهلوا بالحج فخرج النبى واصحابه مهلين بالحج حتى اتوا منى
فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخرة والفجر ثم غدا والناس معه وكانت قريش تفيض من المزدلفة وهى جمع ويمنعون
الناس ان يفيضوا منها فانزل الله على نبيه ثم افيضوا من حيث افاض الناس يعنى ابرهيم واسمعيل واسحق فى افاضتهم منها ومن
كان بعدهم فلما رات قريش ان قبة رسول الله صلى الله عليه واله قد مضت كانه دخل فى انفسهم شئ للذى كانوا يرجون من
الافاضة من مكانهم حتى انتهى الى نمرة وهى بطن عرنة بحيال الاراك فضرب قبته وضرب الناس اخبيتهم عندها فلما زالت
الشمس خرج رسول الله صلى الله عليه واله ومعه قريش وقد اغتسل وقطع التلبية حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس وامرهم
ونهاهم ثم صلى الظهر والعصر باذان واقامتين ثم مضى الى الموقف فوقف به فجعل الناس يبتدرون اخفاف ناقته يقفون الى
جانبها فنحاها ففعلوا مثل ذلك فقال ايها الناس انه ليس موضع اخفاف ناقتى الموقف ولكن هذا كله موقف واومى بيده الى
الموقف فتفرق الناس وفعل مثل ذلك بالمزدلفة فوقف حتى وقع القرص قرص الشمس ثم افاض وامر الناس بالدعة حتى
اذا انتهى الى المزدلفة وهى المشعر الحرام صلى المغرب والعشاء الاخرة باذان واحد واقامتين ثم اقام حتى صلى فيها الفجر
وعجل ضعفاء بنى هاشم بالليل فامرهم ان لا يرموا الجمرة جمرة العقبة حتى تطلع الشمس فلما اضاء له النهار افاض حتى انتهى الى
منى فرمى جمرة العقبة وكان الهدى الذى جاء به رسول الله اربعا وستين او ستا وستين وجاء على باربع وثلثين
او ست وثلثين فنحر رسول الله صلى الله عليه واله ستا وستين بدنة ونحر على اربعا وثلثين بدنة وامر رسول الله
صلى الله عليه واله ان يؤخذ من كل بدنة منها جذوة من لحم ثم يطرح فى برمة ثم يطبخ فاكل رسول الله صلى الله عليه واله
منها وعلى وحسيا من مرقها ولم يعط الجزارين جلودها ولا جلالها ولا قلايدها وتصدق به وحلق وزار البيت ورجع
الى منى واقام بها حتى كان اليوم الثالث من اخر ايام التشريق ثم رمى الجمار ونفر حتى انتهى الى الابطح فقالت عايشة يا رسول الله
ترجع نساؤك بحجة وعمرة معا وارجع بحجة فاقام بالابطح وبعث معها عبد الرحمن بن ابى بكر الى التنعيم فاهلت بعمرة ثم جاءت فطافت
بالبيت وصلت ركعتين عند مقام ابرهيم وسعت بين الصفا والمروة ثم اتت النبى صلى الله عليه واله فارتحل من يومه ولم يدخل
المسجد ولم يطف بالبيت ودخل من اعلى مكة من عقبة المدنيين وخرج من اسفل مكة من ذى طوى **قوله عز وجل الحج اشهر**

جعشم

مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ اية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فلا رفث ولا فسوق ولا جدال بالفتح وقرا ابو جعفر جميع ذلك بالرفع والتنوين وقرا الباقون الجميع بالفتح الحجة حجة من فتح الجميع ان يقول انه اشد مطابقة للمعنى المقصود الا ترى انه اذا فتح فقد نفى جميع الرفث والفسوق كما انه اذا قال لا ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فاذا رفع ونون فكان النفي لواحد منه الا ترى ان سيبويه يرى انه اذا قال لا غلام عندك ولا جارية فهو جواب من سال فقال اغلام عندك ام جارية فالفتح اولى لان النفي قد عم والمعنى عليه وحجة من رفع انه يعلم من الفحوى انه ليس المنفي رفثا واحدا ولكنه جميع ضروبه وان النفي قد يقع فيه الواحد موقع الجميع وان لم يبن فيه الاسم مع لا نحو ما جاءني الداء اللغة الرفث اصله في اللغة الافحاش في النطق قال العجاج عن اللغا ورفث التكلم وقيل الرفث بالفرج الجماع وباللسان المواعدة للجماع وبالعين الغمز للجماع والفسوق الخروج من الطاعة والجدال في اللغة والمجادلة والمنازعة والمشاجرة والمخاصمة نظاير وجدلت الحبل فتلته والجديل زمام البعير فعيل بمعنى مفعول والمجدل القصر والجدالة الارض ذات الرمل الرقيق وغلام جادل اذا ترعرع واشتد والزاد الطعام الذي يتخذ للسفر والمزود وعاء يجعل فيه الزاد وكل من انتقل بخير من عمل اوكسب فقد تزود منه تزودا واللب العقل سمي بذلك لانه افضل ما في الانسان وافضل كل شيء لبه الاعراب الحج مبتداء واشهر خبره وتقديره اشهر الحج اشهر معلومات ليكون الثاني هو الاول في المعنى او الحج حج اشهر معلومات فحذف المضاف اي لا حج الا في هذه الاشهر فلا حج على هذا متسع فيها مخرجه عن الظروف والمعنى على ذلك الا ترى ان الحج في الاشهر ويجوز ان يجعل الحج الاشهر على الاتساع لكونه فيها ولكثرته من الفاعلين له كما قالت الخنساء ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار جعلتها الاقبال والادبار لكثرتهما منها وقوله فلا رفث اذا فتحت فعلى البناء وقد تقدم بيانه فيما مضى واذا رفعت فعلى الابتداء ويكون في الحج خبرا لهذه المرفوعات واذا فتحت ما قبل المرفوع واثبت ما بعده مرفوعا جاز ان يكون عطفا على الموضع وجاز ان يكون بمعنى ليس كما في قوله من فر عن نيرانها فانا ابن قيس لا براح وما بعد الفاء في موضع الرفع لوقوعه موقع الفعل المضارع بعد الفاء والفاء مع ما بعده في محل الجزم او في محل الرفع لانه جواب شرط مبني المعنى الحج اي اشهر الحج اشهر معلومات اي اشهر موقتة معينة لا يجوز فيها التبديل والتغيير بالتقديم والتاخير اللذين كانا يفعلهما النساة الذين انزل فيهم انما النسيء زيادة في الكفر الاية واشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة على ما روى عن ابي جعفر عليه السلام وبه قال ابن عباس ومجاهد والحسن وروى ذلك في اخبارنا وانما صارت هذه اشهر الحج لانه لا يصح الاحرام بالحج الا فيها بلا خلاف وعندنا لا يصح ايضا الاحرام بالعمرة التي يتمتع بها الى الحج الا فيها ومن قال ان جميع ذي الحجة من اشهر الحج قال لانه يصح ان يقع فيها بعض افعال الحج مثل صوم الايام الثلثة وذبح الهدي ومتى قيل كيف سمي الشهرين وبعض الثالث اشهرا فجوابه ان الاثنين قد يقع عليه لفظ الجمع كما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين وايضا فقد يضاف الفعل الى الوقت وان وقع في بعض ويضاف الوقت اليه كذلك تقول صليت صلاة يوم الجمعة وصلوة يوم العيد وان كانت الصلوة في بعضه وقدم زيد يوم كذا وان كان قدم في بعضه فكذلك جاز ان يقال شهر الحج ذو الحجة وان وقع الحج في بعضه فمن فرض فيهن الحج معناه فمن اوجب على نفسه فيهن الحج اي فمن احرم فيهن بالحج بلا خلاف او بالعمرة التي يتمتع بها الى الحج على مذهبنا فلا رفث كنى بالرفث عن الجماع هاهنا عند اصحابنا وهو قول ابن مسعود وقتادة وقيل هو مواعدة الجماع والتعريض للنساء به عن ابن عباس وابن عمر وعطا وقيل هو الجماع والتعرض له بمداعبة او مواعدة عن الحسن ولا فسوق روى اصحابنا انه الكذب وقيل هو معاصي الله كلها عن ابن عباس والحسن وقتادة وهذا اعم ويدخل فيه الكذب وقيل هو التنابز بالالقاب لقوله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان عن الضحاك وقيل هو السباب لقوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر عن ابرهيم ومجاهد وقال بعضهم لا يجوز ان يراد به هنا الا ما نهي المحرم عنه مما يكون حلالا له اذا احل لاختصاصه بالنهي عنه وهذا تخصيص للعموم بلا دليل وقد يقول القايل ينبغي ان تقيد لسانك في رمضان لئلا تفسد صومك وقد جاء في الحديث اذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولا يكون يوم صومك كيوم فطرك فانما خصه بذلك لعظم حرمته ولا جدال في الحج روى اصحابنا انه قول لا والله وبلى والله صادقا وكاذبا وللمفسرين فيه قولان احدهما انه المراء والسباب

والاغضاب

والاغضاب على جهة المحك واللجاج عن ابن عباس وابن مسعود والحسن والثاني ان معناه لا جدال في ان الحج قد استدار في ذي الحجة لانهم كانوا ينسئون الشهور فيقدمون ويؤخرون فربما اتفق في غيره عن مجاهد والسدي وما تفعلوا من خير يعلمه الله معناه وما تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به لان الله تعالى عالم بجميع المعلومات على كل حال الا انه جعل يعلمه في موضع يجازه للمبالغة في صفة العدل اي انه يعاملكم معاملة من يعلمه اذا ظهر منكم فيجازي به وذلك تاكيد ان الجزاء لا يكون الا بالفعل دون ما يعلم انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وتزودوا فان خير الزاد التقوى قيل فيه قولان احدهما ان معناه ان قوما كانوا يرمون بازوادهم ويتسمون بالمتوكلة فقيل لهم تزودوا من الطعام ولا تلقوا كلكم على الناس وخير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن وقتادة ومجاهد والثاني ان معناه تزودوا من الاعمال الصالحة فان خير الزاد التقوى وذكر ذلك في ابناء اعمال الحج لانه احق شيء بالاستكثار من اعمال البر فيه واتقون فيما امرتكم به ونهيتكم عنه يا اولي الالباب يا ذوي العقول قوله عز وجل لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ اية اللغة الجناح الحرج في الدين وهو الميل عن الطريق المستقيم والابتغاء الطلب والافاضة ماخوذة من فيض الاناء عن امتلائه فمعنى افضتم دفعتم من عرفات الى المزدلفة عن اجتماع وكثرة ويقال افاض القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه واكثروا التصرف وافاض الرجل اناءه اذا صبه وافاض الرجل بالقداح اذا ضرب بها لانها تقع متفرقة قال ابو ذويب وكانهن ربابة وكانه يسر يفيض على القداح ويصدع وافاض البعير بجرته اذا رمى بها متفرقة كثيرة قال الراعي وافضن بعد كظومهن بجرة من ذي الابارق اذ رعين حقيلا فالاضافة في اللغة لا يكون الا عن تفرق وكثرة وعرفات اسم للبقعة المعروفة يجب الوقوف بها في الحج ويوم عرفة يوم الوقوف بها واختلف في سبب تسميتها بعرفات فقيل لان ابرهيم عليه السلام عرفها بما تقدم له من النعت لها والوصف روي عن علي عليه السلام وابن عباس وقيل انها سميت بذلك لان ادم وحوا اجتمعا فيه فتعارفا بعد ان كانا افترقا عن الضحاك والسدي وقد رواه اصحابنا ايضا وقيل سميت بذلك لعلوها وارتفاعها ومنه عرف الديك وقيل سميت بذلك لان ابرهيم عليه السلام كان يريه جبرئيل المناسك فيقول عرفت عرفت عن عطا وروي عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلام راى في المنام انه يذبح ابنه فاصبح يروي يومه اجمع اي يفكر اهو امر من الله ام لا فسمي يوم التروية ثم راى في الليلة الثانية فلما اصبح عرف انه من الله فسمي يوم عرفة وروي ابن جبرئيل عليه السلام قال لادم عليه السلام هناك اعترف بذنبك واعرف مناسكك فقال ربنا ظلمنا انفسنا الاية فلذلك سميت عرفة والمشعر الحرام هو المزدلفة سميت مشعرا لانه معلم للحج والصلوة والمقام والمبيت به والدعاء عنده من اعمال الحج وانما سمي المشعر مزدلفة لان جبرئيل قال لابرهيم عليه السلام بعرفات ازدلف الى المشعر الحرام فسمي المزدلفة وسمي جمعا لانه يجمع به بين المغرب والعشاء الاخرة باذان واحد واقامتين وسميت منى منى لان ابرهيم تمنى هناك ان يجعل الله مكان ابنه كبشا يامره بذبحه فدية له الاعراب جناح اسم ليس وخبره عليكم وموضع ان تبتغوا نصب على تقدير ليس عليكم جناح في ان تبتغوا فلما اسقط في عمل فيها معنى جناح والمعنى لستم تاثمون في ان تبتغوا وعرفات اسم معرفة لمواضع جرت مجرى موضع واحد لاتصال بعضها ببعض وانما صرفت وان كان فيها سببان من اسباب منع الصرف وهو التعريف والتانيث لانها على حكاية الجمع فالتنوين فيها بازاء النون في مسلمون ولو سميت امراة بمسلمون لم يحذف هذه النون ويقول اقبلت مسلمون ورايت مسلمين ويجوز في عرفات حذف التنوين ايضا تشبيها بالواحد اذا كان اسما لواحد الا انه لا يكون الا مكسورا وان اسقطت التنوين ومثلها اذرعات في قول امرء القيس تنورتها من اذرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال اكثر الرواية بالتنوين وقد انشد بالكسر بغير تنوين والاول اختيار النحويين لما ذكرنا من اجرائهم اياه مجرى مسلمون واما فتح التاء فخطاء وان كنتم ان هنا هي المخففة من الثقيلة بدلالة ان لام الابتداء معها واذا خففت لم تعمل وكنتم من قبله لمن الضالين لا موضع له من الاعراب لانه وقع بعد حرف غير عامل وانما هذه الواو عطفت جملة على جملة المعنى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم قيل كانوا يتاثمون بالتجارة في الحج فرفع الله سبحانه بهذه اللفظة الاثم عمن يتجر في الحج عن ابن عباس ومجاهد والحسن وعطا وفي هذا تصريح

بالاذن فى التجارة وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلم وقيل كان فى الحج اجراء ومكارون وكان الناس يقولون انه لاحج لهم فبين
سبحانه انه لا اثم على الحاج فى ان يكون اجيرًا لغيره او مكاريا وقيل معناه لاجناح عليكم ان تطلبوا المغفرة من ربكم عن ابن عباس رواه جابر
عن ابى جعفر عليه السلم فاذا افضتم من عرفات اى دفعتم عنها بعد الاجتماع فيها فاذكروا الله عند المشعر الحرام فى هذا دلالة على ان
الوقوف بالمشعر الحرام فريضة كما ذهبنا اليه لان ظاهر الامر على الوجوب فقد اوجب الله سبحانه الذكر فيه ولا يجوز ان يوجب الذكر فيه
الا وقد اوجب الكون فيه وكان كل من اوجب الذكر فيه فقد اوجب الوقوف وتقدير الكلام فاذا افضتم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام و
اذكروا الله فيه واذكروه كما هداكم معناه واذكروه بالثناء والشكر على حسب نعمه عليكم بالهداية فان الشكر يجب ان يكون على حسب النعمة
فى عظم المنزلة كما يجب ان يكون على مقدارها لو صغرت النعمة ولا يجوز التسوية بين من عظمت نعمه ومن صغرت نعمه وتقدير الكلام واذكروه
ذكرا مثل هدايته اياكم وان كنتم اى وانكم كنتم من قبله اى من قبل الهدى وقيل من قبل محمد صلى الله عليه واله فيكون كناية عن غير مذكور لمن الضالين
عن النبوة والشريعة فهداكم اليه **قوله عز وجل ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم اية**
اللغة الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة تغطية للذنب والفرق بين غفور وغافر ان فى غفور مبالغة لكثرة المغفرة فاما غافر
فيستحق الوصف به من وقع منه الغفران والعفو هو المغفرة وقد فرق بينهما بان العفو ترك العقاب على الذنب والمغفرة تغطية الذنب بايجاب
المثوبة ولذلك كثرت المغفرة فى صفات الله دون صفات العباد فلا يقال استغفر السلطان كما يقال استغفر الله **المعنى** ثم افيضوا
من حيث افاض الناس قيل فيه قولان احدهما ان المراد به الافاضة من عرفات وانه امر لقريش وحلفائها وهم الحمس لانهم كانوا لا يقفون
مع الناس بعرفة ولا يفيضون منها ويقولون نحن اهل حرم الله فلا نخرج منه وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون منها فامرهم الله
بالوقوف بعرفة والافاضة منها كما يفيض الناس واراد بالناس ساير العرب عن ابن عباس وعايشة وعطا ومجاهد والحسن وقتادة
وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وقال الضحاك انه امر لجميع الحاج ان يفيضوا من حيث افاض ابرهيم عليه السلم عن الضحاك قال ولما كان
ابرهيم اماما كان بمنزلة الامة فسماه وحده ناسا والثانى ان المراد به الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمى
والنحر عن الجبائى قال والاية تدل عليه لانه قال فاذا افضتم من عرفات ثم قال ثم افيضوا فوجب ان يكون افاضة ثانية فدل ذلك على
ان الافاضتين واجبتان والناس المراد به ابرهيم كما انه فى قوله الذين قال لهم الناس نعيم بن مسعود الاشجعى وقيل الناس ابرهيم واسمعيل
واسحق عليهم السلم ومن بعدهم من الانبياء عليهم السلم عن ابى عبد الله عليه السلم ومما يسال على القول الاول ان يقال اذا كان ثم
للترتيب فما معنى الترتيب ههنا وقد روى اصحابنا فى جواب ان ههنا تقديما وتاخيرا وتقديره ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من
ربكم ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واستغفروا الله ان الله غفور رحيم
وقيل اراد بالناس آدم عن سعيد بن جبير والزهرى وقيل هم اهل اليمن وربيعة عن الكلبى وقيل هم العلماء الذين يعلمون الدين ويعلمونه
الناس واستغفروا الله اى اطلبوا المغفرة منه بالندم على ما سلف من المعاصى ان الله غفور اى كثير المغفرة رحيم واسع الرحمة
قوله عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا اتنا فى الدنيا
وما له فى الاخرة من خلاق اية اللغة اصل القضاء فصل الامر على احكام وقد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك وقد يفصل
بان يجعل على تمام كقوله فقضاهن سبع سموات وقد يفصل بالاخبار به على القطع كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل وقد يفصل بالحكم كقضاء
القاضى على وجه الالزام والخلاق النصيب من الخير واصله التقدير فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق وقيل انه من الخلق فهو
نصيب مما يوجبه الخلق الكريم **الاعراب** اشد فى موضع جر ولكنه لا ينصرف لانه على وزن الفعل وهو صفة ويجوز ان يكون منصوبا
على المصدر على واذكروه اشد ذكرا وذكرا منصوب على التمييز فى الاخرة الجار والمجرور يتعلق بما يتعلق به اللام فى له وله فى موضع
الخبر للمبتدأ الذى هو من خلاق فان من مزيدة والجار والمجرور فى موضع رفع بالابتداء ويجوز ان يكون فى الاخرة فى موضع نصب على الحال
والعامل فيه ما فى له من الفعل **المعنى** فاذا قضيتم مناسككم معناه فاذا اديتم مناسككم وقيل فاذا فرغتم من مناسككم والمناسك
جمع المنسك والمنسك يجوز ان يكون موضع النسك ويجوز ان يكون مصدرا فان كان موضعا فالمعنى فاذا قضيتم ما وجب عليكم ايقاعه

فى متعبداتكم وان كان بمعنى المصدر فانما جمع لانه يشتمل على افعال واذكار فجاز جمعه كالاصوات اى فاذا قضيتم افعال الحج فاذكروا الله
واختلف فى الذكر على قولين احدهما ان المراد به التكبير المختص بايام منى لانه الذكر المرغب فيه المندوب اليه فى هذه الايام والاخر
ان المراد به ساير الادعية فى تلك المواطن لان الدعاء فيها افضل منه فى غيرها كذكركم اباءكم معناه ما روى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم
انهم كانوا اذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك ويعدون مفاخر ابائهم وماثرهم ويذكرون ايامهم القديمة واياديهم الجسيمة فامرهم سبحانه ان
يذكروه مكان ذكرهم اباءهم فى هذا الموضع او اشد ذكرا او يزيدوا على ذلك بان يذكروا نعم الله سبحانه ويعدوا الاءه ويشكروا
نعماءه لان اباءهم وان كانت لهم عليهم ايادٍ ونعم فنعم الله سبحانه عليهم اعظم واياديه عندهم افخم ولانه سبحانه المنعم بتلك الماثر والمفاخر
على ابائهم وعليهم هذا هو الوجه فى تشبيه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذى هو دونه فى الوجوب وهو قول الحسن وقتادة
وقيل معناه فاستغيثوا بالله وافزعوا اليه كما يفزع الصبى الى ابيه فى جميع اموره ويلهج بذكره فيقول يا ابه عن عطا والاول اصح و
قوله فمن الناس من يقول ربنا اتنا فى الدنيا بين سبحانه ان الناس فى تلك المواطن اصناف فمنهم من يسال نعيم الدنيا ولا يسال نعيم
الاخرة لانه غير مومن بالبعث والنشور وما له فى الاخرة من خلاق اى نصيب من الخير موفور **قوله عز وجل ومنهم من يقول ربنا**
اتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة حسنة وقنا عذاب النار اية اللغة الفرق بين القول والكلام ان القول يدل
على الحكاية وليس كذلك الكلام نحو قال الحمد لله فاذا اخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق والحكاية على ثلثة اوجه حكاية على اللفظ
والمعنى نحو قال اتونى افرغ عليه قطرا اذا حكاه من يعرف لفظه ومعناه وحكاية على اللفظ نحو ما اذا حكاه من يعرف لفظه
دون معناه وحكاية على المعنى نحو ان تقول نحاسا بدل قوله قطرا والايتاء الاعطاء واصله الاتى بمعنى المجى فاتى اذا كان منه
المجى واتى غيره حمله على المجى فيقال اتاه ما يحب واتى غيره ما يحب وقى اصله من وقى يقى وقاية ووقاء والوقاء اصله الحجز بين الشيئين
والوقاء الحاجز الذى يسلم به من الضرر **المعنى** لما ذكر سبحانه دعاء من سأله من امور الدنيا فى تلك المواقف الشريفة ما لا يرضيه
عقبه بما يساله المومنون فيها من الدعاء الذى رغب فيه فقال ومنهم من يقول ربنا اتنا اى اعطنا فى الدنيا حسنة وفى الاخرة
حسنة اى نعيم الدنيا ونعيم الاخرة عن انس وقتادة وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انها السعة فى الرزق والمعاش
وحسن الخلق فى الدنيا ورضوان الله والجنة فى الاخرة وقيل العلم والعبادة فى الدنيا والجنة فى الاخرة وقيل هى المال فى الدنيا
وفى الاخرة الجنة عن ابن زيد والسدى وقيل هى المرأة الصالحة فى الدنيا وفى الاخرة الجنة عن على عليه السلم وروى عن النبى صلى الله
عليه واله انه قال من اوتى قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مومنة تعينه على امر دنياه واخرته فقد اوتى فى الدنيا حسنة وفى
الاخرة حسنة ووقى عذاب النار **قوله عز وجل اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب اية اللغة**
النصيب الحظ وجمعه انصباء وانصبة وحد النصيب الجزء الذى يختص به البعض من خير او شر والكسب الفعل الذى يجتلب به نفع
او يدفع به ضرر والسريع من العمل هو القصير المدة يقال سرع يسرع سرعة وسرعا فهو سريع واقبل فلان فى سرعان قومه اى فى اوايلهم
المعنى اولئك لهم نصيب مما كسبوا اى حظ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه والله سريع
الحساب ذكر فيه وجوه احدها ان معناه سريع المجازاة للعباد على اعمالهم وان وقت الجزاء قريب ويجرى مجرى قوله سبحانه وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وعبر عن الجزاء بالحساب لان الجزاء كفاء للعمل وبمقداره فهو حساب له يقال احسبنى الشىء كفانى
وثانيها ان يكون المراد به انه يحاسب اهل الموقف فى اوقات يسيرة لا يشغله حساب احد عن حساب غيره كما لا يشغله شان عن شان
وورد فى الخبر ان الله سبحانه يحاسب الخلايق كلهم فى مقدار لمح البصر وروى بقدر حلب شاة وهذا احد ما يدل على انه سبحانه
ليس بجسم وانه لا يحتاج فى فعل الكلام الى آلة لانه لو كان كذلك لما جاز ان يخاطب اثنين فى وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان
يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبة الخلق على اعمالهم طويلة وروى عن امير المومنين عليه السلم انه قال
معناه انه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة وثالثها ان معناه انه سبحانه سريع القبول لدعاء هؤلاء والاجابة لهم من غير احتباس
فيه وبحث عن المقدار الذى يستحقه كل داع كما يحتبس المخلوق للاحصاء والحساب ويقرب منه ما روى عن ابن عباس انه قال

يريد انه لاحساب على هؤلاء انما يعطون كتبهم باعمالهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزنا عنكم وهذه حسناتكم قد ضعفناها لكم قوله عز وجل
وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ اية اللغة المعدودات تستعمل كثيرا في اللغة للشئ القليل وكل عدد قل او كثر فهو معدود ولكن معدودات
ادل على القلة لان كل قليل يجمع بالالف والتاء والحشر جمع القوم من كل ناحية الى مكان والمحشر المكان الذي يحشرون فيه وحشرتهم
السنة اذا اجحفت بهم لانها تضمهم من النواحي الى المصر وسهم حشر خفيف لطيف لانه ضامر باجتماعه واذن حشرة لطيفة ضامرة و
حشرات الارض دوابها الصغار لاجتماعها من كل ناحية فاصل الباب الاجتماع الاعراب العامل في اللام من قوله لمن اتقى فيه قولان
احدهما ان تقديره ذلك لمن اتقى فيكون الجار والمجرور في موضع خبر المبتدا وانما حذف ذلك لان الكلام الاول دل عليه وعد للعامل
والثاني ان يكون العامل فيه معنى لا اثم عليه لانه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى المعنى واذكروا الله في ايام معدودات هذا
امر من الله تعالى للمكلفين ان يذكروه في ايام معدودات وهي ايام التشريق ثلثة ايام بعد النحر والايام المعلومات عشر ذي الحجة
عن ابن عباس والحسن واكثر اهل العلم وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلم وذكر الفراء ان المعلومات ايام التشريق والمعدودات
العشر والذكر الماموربه هو ان يقول عقيب خمس عشرة صلوة الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر
على ما هدانا والحمد لله على ما ابلانا والله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام واول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر واخره عقيب
صلوة الفجر من يوم الرابع من النحر هذا لمن كان بمنى ومن كان بغير منى من الامصار يكبر عقيب عشر صلوات اولها صلوة الظهر يوم النحر
ايضا هذا هو المروي عن الصادقين عليهم السلم وفي ذلك خلاف بين الفقهاء ووافقنا في ابتداء التكبير من صلوة الظهر يوم النحر
ابن عباس وابن عمر وقوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه المعنى في ذلك الرخصة في جواز النفر في اليوم
الثاني من التشريق والافضل ان يقيم الى النفر الاخير وهو الثالث من التشريق واذا نفر في الاول نفر بعد الزوال الى غروب الشمس
فان غربت فليس له ان ينفر الى اليوم الثالث وقوله فلا اثم عليه فيه قولان احدهما ان معناه لا اثم عليه لان سيئاته صارت مكفرة
بما كان من حجة المبرور وهو معنى قول ابن مسعود والثاني ان معناه لا اثم عليه في التعجل والتاخر وانما نفى الاثم لئلا يتوهم
متوهم ان في التعجيل اثما وانما قال فلا اثم عليه في التاخر على جهة المزاوجة كما يقال ان اعلنت الصدقة فحسن وان اسررت فحسن
وان كان الاسرار احسن وافضل عن الحسن وقوله لمن اتقى فيه قولان احدهما ان الحج يقع مبرورا مكفرا للسيئات اذا اتقى ما
نهى الله عنه والاخر ما رواه اصحابنا ان قوله لمن اتقى متعلق بالتعجل في اليومين وتقديره فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه لمن
اتقى الصيد الى انقضاء النفر الاخير وما بقي من احرامه ومن لم يتقها فلا يجوز له النفر في الاول وهو المروي عن ابن عباس
واختاره الفراء وقد روي ايضا عن ابي عبد الله عليه السلم في قوله فمن تعجل في يومين اي من مات في هذين اليومين
فقد كفر عنه كل ذنب ومن تاخر اي من انسئ اجله فلا اثم عليه بعدها اذا اتقى الكباير وقوله واتقوا الله اي اجتنبوا
معاصي الله واعلموا انكم اليه تحشرون اي تحققوا انكم بعد موتكم تجمعون الى الموضع الذي يحكم الله فيه بينكم ويجازيكم
على اعمالكم قوله عز وجل وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ
الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ايتان اللغة
الاعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن ومنه العجب بالنفس وهو السرور بها سرور المعجب من الشئ استحسانا له وذلك اذا تعجبت من شئ
حسن تقول عجب وتعجب وعجبه غيره واعجبه واستعجب الرجل اذا اشتد تعجبه قال الازهري العجب كل شئ غير مالوف والالد الشديد
الخصومة يقال منه لددت تلد لددا ولده يلده اذا غلبه في الخصومة ولد الدواء في حلقه اذا اوجره في احد شقي فمه واللديدان
جانبا الوادي ولديدا كل شئ جانباه والتلدد التلفت عن تحير والخصام قيل انه جمع الخصم عن الزجاج وفعل اذا كان
صفة فانه يجمع على فعال نحو صعب وصعاب واذا كان اسما فانه يجمع في القلة على افعل وفي الكثرة على فعال كفرخ وافرخ
وفراخ وقيل الخصام مصدر كالمخاصمة عن الخليل والتولي هو الانحراف والزوال عن الشئ في خلاف جهته وقوله سعى

قد يكون بمعنى عمل وقد يكون بمعنى اسرع قال الاعشى وسعى لكندة سعي غير مواكل قيس فضر عدوها وبنى لها اي عمل لكندة والافساد هو
عمل الضرر بغير استحقاق ولا وجه من وجوه المصلحة والاهلاك العمل الذي ينفي الانتفاع والحرث الزرع والنسل العقب من الولد
الحرث كل نبات والنسل كل ذات روح يقال نسل ينسل نسولا اذا خرج فسقط ومنه نسل وبر البعير او ريش الطاير والناس نسل
ادم لخروجهم من ظهره واصل الباب النسول الخروج الاعراب ليفسد نصب باضمار ان ويجوز اظهارها بان يقال لان يفسد ولا يجوز
اظهار ان في قوله ليذر من ما كان الله ليذر المومنين والفرق بينهما ان اللام في ليفسد على اصل الاضافة في الكلام واللام في
ليذر لتاكيد النفي كما دخلت الباء في ليس زيد بقايم النزول قال ابن عباس نزلت الايات الثلاث في المرائي لانه يظهر خلاف ما
يبطن وهو المروي عن الصادق عليه السلم الا انه غير المعني به وقال الحسن نزلت في المنافقين وقال السدي نزلت في الاخنس بن شريق
وكان يظهر الجميل بالنبي عليه السلم والمحبة له والرغبة في دينه ويبطن خلاف ذلك المعنى ثم بين سبحانه حال المنافقين بعد ذكره
احوال المومنين والكافرين فقال ومن الناس من يعجبك قوله اي يستحسن كلامه يا محمد ويعظم موقعه من قلبك في الحيوة الدنيا
اي يقول امنت بك وانا لك صاحب ونحو ذلك ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف بالله ويشهد على انه مضمر ما يقول فيقول
اللهم اشهد علي به وضميره على خلافه وهو الد الخصام اي وهو اشد المخاصمين خصومة ومن قال ان الخصام مصدر فمعناه
وهو شديد الخصومة عند المخاصمة جدل مبطل واذا تولى اي اعرض عن الحسن وقيل معناه ملك الامر وصار واليا عن
الضحاك ومعناه اذا ولي سلطانا جار وقيل ولي عن قوله الذي اعطاه عن ابن جريج سعى في الارض اي اسرع في المشي عندك
وقيل عمل في الارض ليفسد فيها قيل ليقطع الرحم ويسفك الدماء عن ابن جريج وقيل ليظهر الفساد ويعمل بالمعاصي ويهلك الحرث
والنسل اي البنات والاولاد وذكر الازهري ان الحرث النساء والنسل الاولاد لقوله تعالى نساؤكم حرث لكم وروي عن
الصادق عليه السلم ان الحرث في هذا الموضع الدين والنسل الناس والله لا يحب الفساد اي العمل بالفساد وفيه دلالة على
بطلان قول المجبرة ان الله سبحانه يريد القبايح لانه سبحانه نفى عن نفسه محبة الفساد والمحبة هي الارادة لان كل ما احب الله ان يكون
فقد اراد ان يكون وما لا يحب ان يكون لا يريد ان يكون قوله عز وجل وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ
جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ اية اللغة الاتقاء طلب السلامة بما يحجز من المخافة واتقاء الله انما هو اتقاء عذابه والاخذ ضد الاعطاء
والعزة القوة التي يمتنع بها من الذلة والمهاد الوطاء من كل شئ وطاءة فقد مهدته والارض مهاد لاجل توطيته للنوم والقيام
عليه المعنى ثم بين سبحانه صفة من تقدم من المنافقين فقال واذا قيل له اتق الله اي واذا قيل لهذا المنافق اتق الله فيما نهاك
عنه من السعي في الارض بالفساد واهلاك الحرث والنسل اخذته العزة بالاثم قيل في معناه قولان احدهما حملته العزة وحمية
الجاهلية على فعل الاثم ودعته اليه كما يقال اخذته بكذا اي الزمته ذلك واخذته الحمى اي لزمته والثاني اخذته العزة من اجل
الاثم الذي في قلبه من الكفر عن الحسن فحسبه جهنم اي فكفاه عقوبة من ضلالته ان يصلى نار جهنم ولبئس المهاد اي القرار عن الحسن
كما قال في موضع اخر وبئس القرار لان القرار كالوطاء في الثبوت عليه وقيل انما سميت جهنم مهادا لانها بدل من المهاد كما قال سبحانه
فبشرهم بعذاب اليم لانه موضع البشرى بالنعيم على جهة البدل منه وفي هذه الاية دلالة على ان من تكبر عن قبول الحق اذا دعي اليه
كان مرتكبا اعظم كبيرة وكذلك قال ابن مسعود ان من الذنوب التي لا تغفر ان يقال للرجل اتق الله فيقول عليك نفسك قوله
عز وجل وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ اية اللغة الشراء من
الاضداد يقال شرى اذا باع وشرى اذا اشترى وقوله وشروه بثمن بخس اي باعوه والمرضاة والرضا ضد السخط وقد تقدم
معنى الرؤوف الاعراب ابتغا نصب لانه مفعول له كقول الشاعر واغفر عوراء الكريم ادخاره واعرض عن قول اللئيم تكرما
النزول روى السدي عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية في علي بن ابي طالب حين هرب النبي صلى الله عليه واله من المشركين
الى الغار ونام علي على فراش النبي صلى الله عليه واله ونزلت الاية بين مكة والمدينة وروي انه لما نام على فراشه قام جبرئيل عند
راسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب يباهي الله تعالى بك الملائكة وقال عكرمة نزلت

فی ابی ذر الغفاری جندب بن السکن وصهیب بن سنان لان اهل ابی ذر اخذوا اباذر فانفلت منهم فقدم علی النبی صلی الله علیه
و اله فلما رجع مهاجرا اعرضوا عنه فانفلت حتی نزل علی النبی صلی الله علیه و اله واما صهیب فانه اخذه المشرکون من اهله فافتدی
منهم بماله ثم خرج مهاجرا و روی عن علی وابن عباس ان المراد بالایة الرجل یقتل علی الامر بالمعروف والنهی عن المنکر و قال قتادة نزلت
فی المهاجرین والانصار و قال الحسن هی عامة فی کل مجاهد فی سبیل الله المعنی ثم عاد سبحانه الی وصف المؤمن الامر بالمعروف
فی قوله واذا قیل له اتق الله لان هذا القایل امر بالخیر والمعروف فقال ومن الناس من یشری ای یبیع نفسه ابتغاء مرضاة الله ای
لابتغاء رضا الله وانما اطلق علیه اسم البیع لانه انما فعل ما فعل لطلب رضاء الله کما ان البایع یطلب الثمن بالمبیع والله رؤوف بالعباد
ای واسع الرحمة بعبیده ینیلهم ما حاولوه من مرضاته و ثوابه قوله عز وجل یا ایها الذین امنوا ادخلوا فی السلم کافة
ولا تتبعوا خطوات الشیطان انه لکم عدو مبین ایة القراءة قرا اهل الحجاز و الکسای السلم بفتح السین والباقون بکسرها
اللغة قال الاخفش السلم بکسر السین الصلح و فیه ثلاث لغات السلم والسلم والسلم وانشدنا ایلا انی سلم لاهلک فاقبلی سلمی قال ابو عبیدة السلم
بکسر السین والاسلام واحد وهو فی موضع اخر المسالمة والصلح والسلم الاستسلام و منه قوله تعالی و رجلا سلما لرجل ای مستسلما
لسقاه المایرین منه فیکون مصدرا وصف به ویحتمل ایضا ان یکون فعلا بمعنی فاعل مثل بطل وحسن ونظیره بابس ویبس ووسط
ووسط اللغة کافة معناه جمیعا واشتقاقه فی اللغة مما یکف الشیء فی اخره ومن ذلک کفة القمیص لحاشیته لانها تمنعه من ان
ینتشر وکل مستطیل فحرفه کفة ویقال فی کل مستدیر کفة نحو کفة المیزان واستکف السایل و یکفف اذا بسط کفه للسوال وکل شیء
جمعته فقد کففته واستکف القوم بالشیء اذا احدقوا به الاعراب کافة منصوب علی الحال من الواو فی ادخلوا وقیل هو حال من
السلم ولکم یتعلق بمحذوف فهو فی موضع النصب علی الحال من عدو المعنی لما قدم سبحانه ذکر الفرق الثلاث من العباد دعا جمیعهم
الی الطاعة والانقیاد وقال یا ایها الذین امنوا ای صدقوا الله ورسوله ادخلوا فی السلم ای فی الاسلام ای دوموا فیما دخلتم
فیه کقوله یا ایها الذین امنوا امنوا بالله ورسوله عن ابن عباس والسدی والضحاک ومجاهد وقیل معناه ادخلوا فی الطاعة
عن الربیع وهو اختیار البلخی والکلام محتمل للامرین وحملها علی الطاعة اعم ویدخل فیه ما رواه اصحابنا من ان المراد به الدخول
فی الولایة کافة ای جمیعا ای ادخلوا جمیعا فی الاسلام او الطاعة والاستسلام وقیل معناه ادخلوا فی السلم کافة ای فی جمیع شرایع الاسلام
ولا یترکوا بعضه و یؤید هذا القول ما روی ان قوما من الیهود اسلموا و سالوا النبی صلی الله علیه واله ان یبقی علیهم تحریم السبت
ویحرم لهم الابل فامرهم ان یلتزموا جمیع احکام الاسلام ولا تتبعوا خطوات الشیطان ای اثاره و نزغاته لان ترککم شیئا من شرایع الاسلام
اتباع للشیطان انه لکم عدو مبین ای مظهر للعداوة بامتناعه من السجود لادم و بقوله لاحتنکن ذریته الا قلیلا قوله عز وجل
فان زللتم من بعد ما جاءتکم البینات فاعلموا ان الله عزیز حکیم ایة اللغة یقال زل الرجل یزل زللا و زللا و مزلة اذا اذنب
و زل فی الطریق زلیلا واصله من الزوال ومعنی الزلة الزوال عن الاستقامة والعزیز هو القدیر المنیع الذی لا یعجزه شیء واصل
العزة الامتناع ومنه ارض عزاز اذا کانت ممتنعة بالشدة و قد ذکرنا معنی الحکیم فیما سبق الاعراب ما حرف موصول جاءتکم صلته و
اعلم احاجة فی محل الرفع لانها بعد الفاء فی جواب الشرط والفاء مع الجملة فی محل الجزم او محل الرفع لانه جواب شرط مبنی المعنی لما امر الله
سبحانه عباده بالطاعة عقبه بالوعید علی ترکها فقال فان زللتم ای تنحیتم عن القصد وعدلتم عن الطریق القویم الذی امرکم الله سبحانه
بیانه من بعد ما جاءتکم البینات ای الحجج والمعجزات فاعلموا ان الله سبحانه عزیز فی نقمته لا یمتنع شیء من بطشه وعقوبته حکیم فیما
شرع من احکام دینه لکم وفیما یفعله بکم من العقاب علی معاصیکم بعد اقامة الحجة علیکم قوله عز وجل هل ینظرون الا ان یاتیهم الله
فی ظلل من الغمام والملائکة وقضی الامر والی الله ترجع الامور ایة القراءة قرا ابو جعفر والملائکة بالجر والباقون بالرفع و
قرا ابن عامر وحمزة والکسای ترجع الامور بفتح التاء والباقون بضمها الحجة من قرا والملائکة بالجر فانه عطفها علی الغمام ای فی ظلل من الغمام
و فی ظلل من الملائکة و قرا السبعة بالرفع عطفا علی قوله الله ای الا ان یاتیهم الله و ان یاتیهم الملائکة وحجة من قرا ترجع
الامور علی بناء الفعل للمفعول بقوله ثم ردوا الی الله و لئن رددت الی ربی و لئن رجعت الی ربی وحجة من قرا ترجع علی بناء الفعل

للفاعل قوله والا الی الله تصیر الامور الیه مرجعکم اللغة النظر هنا بمعنی الانتظار کما فی قول الشاعر فبینا نحن ننظره اتانا معلق
شکوة و زناد راع ای ننتظره واصل النظر الطلب لادراک الشیء واذا استعمل بمعنی الانتظار فلان المنتظر یطلب ادراک ما یتوقع واذا
کان بمعنی الفکر بالقلب فلان المفکر یطلب به المعرفة واذا کان بالعین فلان الناظر یطلب الرؤیة و الظلل جمع ظلة وهی ما یستظل به من
الشمس وسمی السحاب ظلة لانه یستظل به من الشمس والغمام السحاب الابیض الرقیق سمی بذلک لانه یغم ای یستر الاعراب هل حرف استفهام بمعنی
النفی الا هنا لنقض النفی ان یاتیهم الله فی موضع نصب بینظرون من الغمام یتعلق بمحذوف فهو جملة ظرفیة فی موضع الجر صفة ظلل المعنی
ثم عقب سبحانه ما تقدم من الوعید بوعید اخر فقال هل ینظرون الا ان یاتیهم الله فی ظلل من الغمام ای هل ینتظر هؤلاء المکذبون بایات
الله الا ان یاتیهم امر الله او عذاب الله و ما توعدهم به علی معصیته فی ستر من السحاب وقیل قطع من السحاب وهذا کما یقال قتل الامیر فلانا
وضربه واعطاه وان لم یتول شیئا من ذلک بنفسه بل فعل بامره فاسند الیه لامره به وقیل معناه ما ینتظرون الا ان یاتیهم جلایل ایات الله
غیر انه ذکر نفسه تفخیما للایات کما یقال دخل الامیر البلد ویراد بذلک جنده وانما ذکر الغمام لیکون اهول فان الاهوال تشبه بظلل الغمام
کما قال سبحانه واذا غشیهم موج کالظلل وقال الزجاج معناه یاتیهم الله بما وعدهم من العذاب والحساب کما قال فاتیهم الله من حیث لم یحتسبوا
ای اتاهم بخذلانه ایاهم وهذه الاقوال متقاربة المعنی بل المعنی فی الجمیع واحد ای هل ینتظرون الا یوم القیمة وهو استفهام یراد به النفی والانکار ای
ما ینتظرون کما یقال هل یطالب بمثل هذا الا متعنت ای ما یطالب ومثله فی التنزیل هل ینظرون الا ان یاتیهم الملائکة او یاتی امر ربک و قد یقال اتی
وجاء فیما لا یجوز علیه المجیء والذهاب یقولون اتانی وعید فلان وجاءنی کلام فلان واتانی حدیثه ولا یراد به الاتیان الحقیقی قال اتانی فلم
اسر به حین جاء فی حدیث باعلی القنتین عجیب وقال اخر اتانی نصرهم وهم بعید بلادهم بارض الخیزران واما قوله والملائکة وقد ذکرنا الوجه
فی رفعه وجره قبل وقیل معنی الایة الا ان یاتیهم الله بظلل من الغمام ای بجلایل ایاته وبالملائکة وقوله وقضی الامر معناه وفرغ من الامر وهو
المحاسبة وانزال اهل الجنة فی الجنة واهل النار فی النار وهذا فی الاخرة وقیل معناه وجب العذاب ای عذاب الاستیصال وهذا فی الدنیا والی الله
ترجع الامور ای الیه ترد الامور فی سواله عنها ومجازاته علیها وکانت الامور کلها له فی الابتداء فملک بعضها فی الدنیا غیره ثم تصیر کلها الیه فی الحشر
لا یملک احد هناک شیئا وقیل الیه ترجع امور الدنیا والاخرة قوله عز وجل سل بنی اسرائیل کم اتیناهم من ایة بینة ومن یبدل نعمة الله
من بعد ما جاءته فان الله شدید العقاب ایة الاعراب کم فی موضع نصب لانه مفعول ثان لاتینا وانما وجب له صدر الکلام لتضمنه معنی
الاستفهام ثم ان هذه الجملة التی هی کم اتیناهم من ایة قد وقعت موقع المفعول الثانی لقوله سل من ایة یتعلق باتینا ایضا و ما حرف موصول
جاءت صلته والموصول والصلة فی موضع جر باضافة بعد الیه المعنی سل یا محمد بنی اسرائیل ای اولاد یعقوب علیه السلم وهم الیهود الذین
کانوا حول المدینة والمراد به علماؤهم وهو سوال تقریر لتاکید الحجة علیهم کم اتیناهم ای اعطیناهم من ایة بینة من حجة واضحة ظاهرة مثل الید
البیضاء وقلب العصا حیة وفلق البحر وتظلیل الغمام علیهم وانزال المن والسلوی عن الحسن ومجاهد وقیل کم من حجة واضحة لمحمد تدل علی صدقه
عن الجبای ومن یبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فی الکلام حذف وتقدیره فبدلوا نعمة الله وکفروا بایاته وخالفوه فضلوا واضلوا ومن یبدل
الشکر علیها بالکفران وقیل من یصرف دلالة الله عن وجوهها بالتاویلات الفاسدة الخالیة من البرهان فان الله شدید العقاب له وقیل
شدید العقاب لمن عصاه فیدخل فیه هذا المذکور وفی الایة دلالة علی فساد قول المجبرة فی انه لیس لله سبحانه علی الکافر نعمة لانه حکم علیهم
بتبدیل نعم الله کما قال فی موضع اخر یعرفون نعمة الله ثم ینکرونها ونحو ذلک ومن وجه اخر وهو انه اضاف التبدیل الیهم واوعدهم علیه بالعقوبة
فلو لم یکن فعلهم لما استحقوا العقوبة والتبدیل هو ان یحرف او یکتم او یاول علی خلاف جهته کما فعلوه فی التورية والانجیل وکما فعله مبتدعة الامة
فی القران النظم لما بین الله سبحانه الشرایع وان الناس فیها ثلاث فرق مؤمن وکافر ومنافق ثم وعد واوعد وبین بعد ذلک ان ترکهم الایمان
لیس لتقصیر فی الحجج ولکن لسوء طباعهم وخبث فعالهم فقد فعلوا قبلک یا محمد هذا الصنیع فقال سل بنی اسرائیل قوله عز وجل زین للذین
کفروا الحیوة الدنیا ویسخرون من الذین امنوا والذین اتقوا فوقهم یوم القیمة والله یرزق من یشاء بغیر حساب
ایة اللغة التزیین والتحسین واحد والزین خلاف الشین والزینة اسم جامع لکل ما یتزین به الاعراب الدنیا صفة الحیوة بغیر
حساب الجار والمجرور فی محل النصب علی الحال والعامل فیه یرزق وذو الحال الضمیر فی یرزق او الموصول الذی هو من یشاء وتقدیره غیر

محاسب او غير محاسب النزول نزلت الاية فى ابى جهل وغيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا فكانوا يسخرون من قوم من المومنين فقراء مثل عبد الله بن مسعود وعمار وبلال وخباب ويقولون لو كان محمد نبيا لاتبعه اشرافنا عن ابن عباس وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى واصحابه يسخرون من ضعفاء المومنين عن مقاتل وقيل نزلت فى رؤساء اليهود من بنى قريظة والنضير وقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين عن عطا ولا مانع من نزوله فى جميعهم المعنى ثم بين سبحانه ان عدولهم عن الايمان انما هو لايثارهم الحيوة الدنيا فقال زين للذين كفروا الحيوة الدنيا وفيه قولان احدهما ان الشيطان زينها لهم بان قوى دواعيهم وحسن فعل القبيح والاخلال بالواجب اليهم فاما الله سبحانه فلا يجوز ان يكون المزين لهم اياها لانه زهد فيها واعلم انها متاع الغرور وقال قل متاع الدنيا قليل عن الحسن والجبائى والاخر ان الله زينها لهم بان خلق فيها الاشياء المعجبة المحبوبة وبما خلق لهم من الشهوة لها كما قال زين للناس حب الشهوات الاية وانما كان كذلك لان التكليف لا يتم الا مع الشهوة فان الانسان انما يكلف بان يدعى الى شئ تنزع نفسه اليه وهذا معنى قول النبى صلى الله عليه واله حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وانما ذكر الفعل وهو مسند الى الحيوة لان تانيث الحيوة غير حقيقى وهى بمعنى العيش والبقاء ونحوهما ولانه فصل بين الفعل والفاعل بقوله للذين كفروا واذا قالوا فى التانيث الحقيقى حضر القاضى اليوم امراة وجوزوا التذكير فيه فهو فى التانيث غير الحقيقى اجوز ويسخرون من الذين امنوا ويهزؤن من المومنين لفقرهم وقيل لايمانهم بالبعث وجدهم فى ذلك وقيل لزهدهم فى الدنيا ويمكن حمله على الجميع اذ لا ينافى بين هذه الاقوال والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة اى الذين اجتنبوا الكفر فوق الكفار فى الدرجات وقيل اراد ان تنعم هؤلاء بنعيم الاخرة اكثر من استمتاع هؤلاء بنعيم الدنيا وقيل اراد ان حالهم فى الاخرة فوق حال هؤلاء الكفار لانهم فى عليين وهؤلاء فى سجين وهذا كقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومثله قول حسان يعنى رسول الله صلى الله عليه واله وابا جهل فشركما لخيركما الفداء وقيل انه اراد ان حال المومنين فى الهزء بالكفار والضحك منهم فى الاخرة فوق حال هؤلاء فى الدنيا ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب قيل فيه اقوال احدها ان معناه يعطيهم الكثير الواسع الذى لا يدخله الحساب من كثرته وثانيها انه لا يرزق الناس فى الدنيا على مقابلة اعمالهم وايمانهم وكفرهم فلا يدل بسط الرزق للكافر على منزلته عند الله وان قلنا ان المراد به فى الاخرة فمعناه ان الله لا يثيب المومنين فى الاخرة على قدر اعمالهم التى سلفت عنهم بل يزيدهم تفضلا وثالثها انه يعطيه عطاء لا يأخذه بذلك اخذ ولا يسأله عنه سائل ولا يطلب عليه جزاء ولا مكافاة ورابعها انه يعطى العدد من الشئ لا يضبط بالحساب ولا ياتى عليه العدد لان ما يقدر عليه غير متناه ولا محصور فهو يعطى الشئ لا من عدد اكثر منه فينقص منه كمن يعطى الالف من الالفين والعشرة من المائة عن قطرب وخامسها ان معناه يعطى اهل الجنة ما لا يتناهى ولا ياتى عليه الحساب وكل هذه الوجوه جائز حسن قوله عز وجل كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اية القراءة قرا ابو جعفر القارى وحده ليحكم بضم الياء وفتح الكاف والباقون بفتح الياء وضم الكاف الحجة وجه القراءة الظاهرة ان الكتاب يحكم ويكون على التوسع كقوله سبحانه هذا كتابنا ينطق ويجوز ان يكون فاعل يحكم الله اى ليحكم الله فى عباده ووجه قراءة ابى جعفر ظاهر اللغة الامة على وجوه ذكرناها عند قوله تلك امة قد خلت وهى هنا بمعنى الملة والدين الاعراب مبشرين ومنذرين نصب على الحال بالحق فى موضع الحال والعامل فيه انزل وذو الحال الكتاب ليحكم جار ومجرور واللام يتعلق بانزل وبغيا بينهم نصب على انه مفعول له اى لم يوقعوا الاختلاف الا للبغى ويجوز ان يكون مصدرا وقع موقع الحال وما اسم موصول واختلفوا صلته واللام يتعلق بهدى ومن الحق فى موضع الحال من الموصول والعامل فيه هدى والباء فى باذنه يتعلق بهدى ايضا المعنى ثم بين سبحانه احوال من تقدم من الكفار تسلية للنبى صلى الله عليه واله فقال كان الناس امة واحدة اى ذوى امة اى اهل ملة واحدة وعلى دين واحد فحذف المضاف واختلف فى انهم على اى دين كانوا فقال قوم انهم كانوا على الكفر وهو المروى عن ابن عباس فى احدى الروايتين والحسن واختاره الجبائى ثم اختلفوا فى

اى

نفسه عند او تنزعه عن شئ تتوق م

الى قوله فاليوم الذين امنوا من م

اى وقت كانوا كفارا فقال الحسن كانوا كفارا بين ادم ونوح وقال بعضهم كانوا كفارا بعد نوح الى ان بعث الله ابرهيم والنبيين بعده وقال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبى وهذا غير صحيح لان الله تعالى بعث كثيرا من الانبياء المومنين فان قيل كيف يجوز ان يكون الناس كلهم كفارا والله سبحانه لا يجوز ان يخلى الارض من حجة له على خلقه قلنا يجوز ان يكون الحق هناك فى واحد او جماعة قليلة لم يمكنهم اظهار الدين خوفا وتقية فلم يعتد بهم اذ كانت الغلبة للكفار وقال اخرون انهم كانوا على الحق وهو المروى عن قتادة ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن عباس فى الرواية الاخرى ثم اختلفوا وقال ابن عباس وقتادة هم كانوا بين ادم ونوح وهم عشر فرق كانوا على شريعة من الحق فاختلفوا بعد ذلك وقال الواقدى والكلبى هم اهل سفينة نوح حين غرق الله الخلق ثم اختلفوا بعد ذلك والتقدير على قول هؤلاء كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وقال مجاهد المراد به ادم كان على الحق اماما لذريته فبعث الله النبيين فى ولده وروى اصحابنا عن ابى جعفر الباقر عليه السلم انه قال كانوا قبل نوح عليه السلم امة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلالا فبعث الله النبيين وعلى هذا فالمعنى انهم كانوا متعبدين بما فى عقولهم غير مهتدين الى نبوة ولا شريعة ثم بعث الله النبيين بالشرايع لما علم ان مصالحهم فيها فبعث الله اى ارسل الله النبيين مبشرين لمن اطاعهم بالجنة ومنذرين لمن عصاهم بالنار وانزل معهم الكتاب اى انزل مع كل واحد منهم الكتاب وقيل معناه وانزل مع بعضهم الكتاب اذ الانبياء لم يكونوا منزلين حتى نزل الكتاب معهم واراد به مع بعضهم لانه لم ينزل مع كل نبى كتاب وقيل المراد به الكتب لان الكتاب اسم الجنس فمعناه الجمع وقوله بالحق اى بالصدق والعدل وقيل معناه وانزل الكتاب بانه حق وانه من عند الله تعالى وقيل معناه وانزل الكتاب بما فيه من بيان الحق وقوله ليحكم بين الناس الضمير فى يحكم يرجع الى الله اى ليحكم الله منزل الكتاب وقيل يرجع الى الكتاب اى ليحكم الكتاب فاضاف الحكم الى الكتاب وان كان الله هو الذى يحكم على جهة التفخيم لامر الكتاب فيما اختلفوا فيه من الحق قبل انزال الكتاب ومتى سئل عن هذا فقيل اذا كانوا مختلفين فى الحق فكيف عمهم الكفر فى قول من قال انهم كانوا كلهم كفارا فجوابه انه لا يمتنع ان يكونوا كفارا وبعضهم يكفر من جهة الغلو وبعضهم من جهة التقصير كما كفرت اليهود والنصارى فى المسيح عليه السلم وقالت النصارى هو رب وقالت اليهود كاذب وقوله وما اختلف فيه الا الذين اوتوه معناه وما اختلف فى الحق الا الذين اعطوا العلم به كاليهود فانهم كتموا صفة النبى صلى الله عليه واله بعد ما اعطوا العلم به من بعد ما جاءتهم البينات اى الادلة والحجج الواضحة وقيل التورية والانجيل وقيل معجزات محمد صلى الله عليه واله بغيا بينهم اى ظلما وحسدا وطلبا للرياسة وقوله فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه معناه فهدى الله الذين امنوا للحق مما اختلفوا فيه بعلمه والاذن بمعنى العلم مشهور فى اللغة قال الحرث بن حلزة اذنتنا ببينها اسماء اى اعلمتنا وانما خص المومنين لانهم اختصوا بالاهتداء وقيل ان معنى باذنه بلطفه فعلى هذا يكون فى الكلام محذوف اى فاهتدوا باذنه وانما قال هداهم لما اختلفوا فيه من الحق ولم يقل هداهم للحق فيما اختلفوا فيه لانه لما كانت العناية بذكر الاختلاف كان اولى بالتقديم فقدمه ثم فسره بمن والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فيه اقوال احدها ان المراد به البيان والدلالة والصراط المستقيم هو الاسلام وخص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف عن الجبائى وثانيها ان المراد يهديهم باللطف فيكون خاصا بمن علم من حاله انه يصلح به عن البلخى وابن الاخشيد وثالثها ان المراد به يهديهم الى طريق الجنة اى ياخذ بهم على طريقها فيكون مخصوصا بالمومنين قوله عز وجل أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ اية القراءة قرا نافع وحده حتى يقول بالرفع والباقون بالنصب الحجة من نصب فالمعنى وزلزلوا الى ان قال الرسول وما ينتصب بعد حتى من الافعال على ضربين احدهما ان يكون بمعنى الى كما فى الاية والاخر ان يكون بمعنى كى كما يقول اسلمت حتى ادخل الجنة فهذا تقديره اسلمت كى ادخل الجنة والاسلام قد كان والدخول لم يكن وفى الوجه الاول كلا الفعلين السبب والمسبب قد مضى واما من قرا بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون الا فعل حال ويجى بناء على ضربين احدهما ان يكون الفعل الذى هو السبب الاول قد مضى والفعل الثانى المسبب لم يمض كما يقول مرض حتى لا يرجونه ويتجه الاية على هذا الوجه لان المعنى زلزلوا فيما مضى حتى ان الرسول يقول الان متى نصر الله وحكيت الحال التى كانوا عليها كما حكيت الحال فى قوله هذا من شيعته وهذا من عدوه والثانى ان يكون الفعلان جميعا قد مضيا نحو سرت

قوله اذنتنا اعلمتنا ومنه قوله تعالى نقل اذنتكم على سواء والبين الفراق يقال بان بيانا بينا وبينونة ولم يعرف اسماء لانه اسم لامرأة وهو معرفة ولو كنت رجلا به لكان الاكثر الصرف لانه جمع اسم وقال سيبويه لا ينصرف اذا سميت به رجلا لان اصله ان يكون اسما للمؤنث فقد صار عنده بمنزلة زينب

حتى ادخلها فالدخول متصل بالسير بلا فصل بينهما والحال محكية كما كانت فى الوجه الاول الا ترى ان ما مضى لا يكون حالا وحتى اذا
رفع الفعل بعدها حرف يستانف الكلام بعدها وليست العاطفة ولا الجارة واذا انتصب الفعل بعدها فهى الجارة وينتصب الفعل بعدها
باضمار ان كما ينتصب بعد اللام والفعل وان المضمرة معها فى موضع جر بحتى اللغة الزلزلة شدة الحركة والزلزال البلية المزعجة بشدة
الحركة والجمع زلازل واصله من قولك زال الشئ عن مكانه ضوعف لفظه مضاعفة نحو صر وصرصر وصل وصلصل فاذا قلت زلزلته فتاويله
كررت تحريكه عن مكانه الاعراب ام هذه هى المنقطعة ومعناه بل احسبتم والفرق بين ام حسبتم واحسبتم ان ام لا يكون الا متصلة بكلام
والالف التى تكون مستانفة ان تدخلوا موصول وصلته فى موضع نصب بانه مفعول حسبتم وقد سد مسد مفعوليه وقيل مفعوله الثانى
محذوف وتقديره ام حسبتم دخولكم الجنة ثابتا والجنة نصب لانها ظرف مكان لتدخل ولما اصله لم زيد عليها ما فغيرت معناها كما غيرت
معنى لو اذا قيل لوما فصيرته بمعنى هلا والفرق بين لم ولما ان لما يصح ان يوقف عليها مثل قولك فى جواب من يقول اقدم الامير ولما
لجوز ان يقول لم وفى لما توقع لانها عقبة قد اذا انتظر قوم ركوب الامير قلت قد ركب فانه نفيت هذا قلت لما يركب وليس كذلك
لم ويجمعهما نفى الماضى مثل مرفوع بانه صفة محذوف مرفوع بياتى تقديره ولما ياتكم نصب مثل الذى اصاب الذين خلوا من قبلكم واضافة
مثل غير حقيقية لانه فى تقدير الانفصال فالمجرور فى تقدير المنصوب لانه مفعوله ولما مع الجملة فى موضع نصب على الحال والواو واو الحال
تقديره ان تدخلوا الجنة غير مصابين ومستهم الباساء فى موضع الحال ايضا باضمار قد والعامل فيه خلوا وزلزلوا معطوفة على مستهم
ونصر الله مبتداء واضافته غير حقيقية ومتى فى موضع خبر المبتدا النزول قيل نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافة وحصر المسلمون
فى المدينة فدعاهم الله الى الصبر ووعدهم بالنصر عن قتادة والسدى وقيل نزلت فى حرب احد لما قال عبد الله بن ابى لاصحاب النبى
عليه السلم الى متى تقتلون انفسكم لو كان محمد نبيا ما سلط الله عليه الاسر والقتل وقيل نزلت فى المهاجرين من اصحاب النبى صلى الله عليه
واله الى المدينة اذ تركوا ديارهم واموالهم ومسهم الضر عن عطا المعنى ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الامم الخالية تسلية لنبيه
عليه السلم ولاصحابه فيما نالهم من المشركين وامثالهم لان سماع اخبار الصالحين يرغب فى مثل احوالهم فقال ام حسبتم معناه بل اظننتم وخلتم ايها
المؤمنون ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم معناه ولما تمتحنوا وتبتلوا بمثل ما امتحنوا به فتصبروا كما صبروا وهذا
استدعا الى الصبر وبعده الوعد بالنصر والمثل والمثل مثل الشبه والشبه اى لم يصبكم شبه الذين خلوا اى مضوا قبلكم من النبيين والمؤمنين
وفى الكلام حذف مثل محنة الذين او مصيبة الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما اصاب اوليك فقال مستهم الباساء والضراء والمس واللمس
واحد والباساء نقيض النعماء والضراء نقيض السراء وقيل الباساء القتل والضراء الفقر وقيل هو ما يتعلق بمضار الدين من حرب وخروج من
الاهل والمال واخراج فمدحوا بذلك اذ توقعوا الفرج بالصبر وزلزلوا اى حركوا بانواع البلايا وقيل معناه هنا ازعجوا بالمخافة من العدو
وذلك لفرط الحيرة حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله قيل هذا استعجال للموعود كما يفعله الممتحن وانما قاله الرسول استبطاء للنصر
على جهة التمنى وقيل معناه الدعا لله بالنصر ولا يجوز ان يكون على جهة الاستبطاء لنصر الله لان الرسول يعلم ان الله لا يوخر عن الوقت الذى
توجبه الحكمة ثم اخبر الله سبحانه انه ناصر اوليائه لا محالة فقال الا ان نصر الله قريب وقيل ان هذا من كلامهم بانهم قالوا عند الاياس
متى نصر الله ثم تفكروا فعلموا ان الله منجز وعده فقالوا الا ان نصر الله قريب وقيل انه ذكر كلام الرسول والمؤمنين جملة وتفصيله
وقال المؤمنون متى نصر الله وقال الرسول الا ان نصر الله قريب كقوله سبحانه جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اى
لتسكنوا بالليل ولتبتغوا من فضله بالنهار قوله عز وجل يسالونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين و
الاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم اية اللغة النفقة اخراج الشئ من
الملك ببيع او هبة او صلة او نحو ذلك وقد غلب فى العرف على اخراج ما كان من المال من عين او ورق والسوال طلب الجواب بصيغة
مخصوصة من الكلام الاعراب موضع ما من قوله ماذا ينفقون يحتمل الرفع والنصب فاما الرفع فيكون على تقدير ما الذى ينفقون
اى اى شئ الذى ينفقونه والعايد من الصلة محذوف ويكون ذا موصولا بمنزلة الذى وينفقون صلته والنصب على تقدير اى شئ ينفقون
فيكون ما وذا بمنزلة شئ واحد ويكون ذا لغوا الا انه ما مفيد للمعنى وما اسم للشرط فى محل رفع بالابتداء انفقتم فى محل الجزم بما من خير

وتقديره

جار ومجرور فى موضع الحال ومن للتبيين وتقديره ما انفقتموه كائنا من خير فذو الحال الضمير المحذوف فللوالدين الجار والمجرور
خبر مبتداء محذوف وللمبتدا والخبر فى محل الرفع لوقوعهما بعد الفاء والفاء مع ما بعده جواب الشرط ومعنى حرف الشرط الذى تضمنه
ما مع الشرط والجزا فى موضع رفع لانها خبر المبتداء الاول وما تفعلوا ما اسم شرط فى محل النصب بتفعلوا ويجوز ان يكون ما فيما انفقتم
ايضا منصوب الموضع بانفقتم فيكون مفعولا له النزول نزلت فى عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله بما
اتصدق وعلى من اتصدق فانزل الله هذه الاية المعنى يسالونك يا محمد اى شئ ينفقون والسوال عن الانفاق يتضمن السوال عن
المنفق عليه فانهم قد علموا ان الامر وقع بانفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقة وعلى من ينفق فقال قل يا محمد ما انفقتم من خير
اى مال فدل على انه له مقدار او انه مما ينتفع به لان ما لا ينتفع به لا يسمى خيرا فللوالدين والاقربين المراد بالوالدين الاب والام والجد
والجدة وان علوا لانهم يدخلون فى اسم الوالدين والمراد بالاقربين اقارب للمعطى واليتامى اى كل من لا اب له مع صغره والمساكين
الفقراء وابن السبيل المنقطع به واختلفوا فى هذه النفقة فقال الحسن المراد به نفقة التطوع على من لا يجوز وضع الزكوة عنده والزكوة
لمن يجوز وضع الزكوة عنده فهى عامة فى الزكوة المفروضة وفى التطوع وقال السدى الاية واردة فى الزكوة ثم نسخت ببيان مصارف
الزكوة والاول الظهر لانه لا دليل على نسخها واتفق العلماء على انه لا يجوز دفع الزكوة الى الاب والام والجد والجدة والى الاولاد فاما النفقة
فلا خلاف ان النفقة على الوالدين اذا كانا فقيرين واجبة واما النفقة على ذى الرحم فلا يجب عندنا وعند الشافعى ويجب عند ابى حنيفه
وقوله وما تفعلوا من خير اى من عمل صالح يقربكم الى الله فان الله به عليم يجازيكم به من غير ان يضيع منه شئ لانه سبحانه لا يخفى
عليه شئ النظم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان الاية الاولى فيها دعاء الى الصبر على الجهاد فى سبيل الله وفى هذه بيان لوجه
النفقة فى سبيل الله وكل ذلك دعاء الى فعل البر والطاعة قوله عز وجل كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون اية اللغة الكره بالفتح المشقة
التى تحمل على النفس والكره بالضم المشقة حمل على النفس ولم يحمل وقيل الكره الكراهة والكره المشقة وقد يكره الانسان ما لا يشق عليه
وقد يشق عليه ما لا يكرهه وقيل الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف والخير نقيض الشر والخير النفع الحسن والشر الضر
القبيح هذا هو الاصل ثم يستعملان فى غير ذلك توسعا ويقال شر يشر شرارة وشرار النار وشررها لهبها وشرة الشباب نشاط وتشرير
اللحم او الثوب ان تبسطه ليجف والاشرار الاظهار الاعراب وهو كره لكم فيه حذف وتقديره وهو ذو كره لكم ويجوز ان يكون معناه
وهو مكروه لكم فوقع المصدر موقع المفعول ومثله رجل رضا اى ذو رضا ويجوز ان يكون بمعنى مرضى وعسى ان تكرهوا موضع ان
تكرهوا رفع بانه فاعل عسى وعسى هذه تامة لانها تمت بالفاعل ولم يحتج الى الخبر المعنى هذه الاية بيان لكون الجهاد مصلحة لمن
امر به قال سبحانه كتب عليكم القتال اى فرض عليكم الجهاد فى سبيل الله وهو كره لكم اى شاق عليكم تكرهونه كراهة طباع لا على
وجه السخط وقد يكون الشئ مكروها عند الانسان فى طبعه ومن حيث تنفر نفسه عنه وان كان يريده لان الله سبحانه امره
بذلك كالصوم فى الصيف وقيل معناه انه مكروه لكم قبل ان يكتب عليكم لان المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله وعسى ان تكرهوا
شيئا معناه وقد يكرهون شيئا فى الحال وهو خير لكم فى عاقبة اموركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطرة بالروح وهو خير لكم لان لكم فى
الجهاد احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم اى وقد تحبون ما هو شر لكم وهو القعود
عن الجهاد لمحبة الحيوة وهو شر لما فيه من الذل والفقر فى الدنيا وحرمان الغنيمة والاجر فى العقبى والله يعلم اى يعلم ما فيه مصالحكم و
منافعكم وما هو خير لكم فى عاقبة امركم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما يامركم به وان شق عليكم واجمع المفسرون الا عطاء ان
هذه الاية دالة على وجوب الجهاد وفرضه غير انه فرض على الكفاية حتى لو قعد جميع الناس عنه اثموا به وان قام به من فى قيامه
كفاية وغنا سقط عن الباقين وقال عطا ان ذلك كان واجبا على الصحابة ولم يجب على غيرهم وقوله شاذ عن الاجماع قوله عز وجل
يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله
منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم

عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

اية اللغة الصد والمنع والصرف نظاير يقال صد عن الشئ يصد صدودا وصدا اذا اعرض وعدل عنه وصده غيره يصده صدا اذا عدل به عنه ومنعه والصدد ما استقبلك وصار فى قبالتك لانه يعدل الى مواجهتك والصدان ناحيتا الشعب والوادى والصداد ضرب من الجرذان يعدلك بشدة تحرزه والصداد الوزغ لانه يعدل عنه استقذارا له واصل الباب العدول لا يزال من الزوال وهو العدول ومعنى لا يزال يدوم موجودا وما زال اى دام وحبط عمل الرجل حبطا وحبوطا واحبطه الله احباطا والحبط فساد يلحق الماشية فى بطونها لاكل الحباط وهو ضرب من الكلاء يقال حبطت الابل تحبط حبطا اذا اصابها ذلك ثم سمى الهلاك حبطا وفى الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم الاعراب قتال فيه مجرور على البدل من الشهر وهو بدل الاشتمال لان الزمان يشتمل على ما يقع فيه ومثله فى المكان قوله قتل اصحاب الاخدود النار وقال الاعشى لقد كان فى حول ثواء ثويته تقضى لبانات ويسام سائم وقال الكوفيون هو مجرور على اضمار عن وقال بعضهم هو على التكرير وهذه الالفاظ متقاربة فى المعنى وان اختلفت العبارة وقوله قتال مرفوع بالابتداء وكبير خبره وصد عن سبيل الله مبتداء وكفر به معطوف عليه واخراج اهله منه معطوف ايضا عليه وخبره اكبر عند الله اى هذه الاشياء اكبر عند الله اى اعظم اثما واجاز الفراء رفعه على وجهين احدهما انه مردود على كبير اى قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به اى القتال قد جمع انه كبير وانه صد وكفر والاخر ان يجعل الصد كبيرا اى القتال فيه كبير والصد عن سبيل الله كبير فيكون مرتفعا بالابتداء وخبره محذوف وخطاه العلماء فى النحو قالوا لانه يصير المعنى فى التقدير الاول قل القتال فى الشهر الحرام كفر بالله وهذا خطاء بالاجماع وللفراء ان يقول فى هذا المعنى واخراج اهله منه اكبر من القتل فيه لامن الكفر به لان المعنى فى اخراج اهله منه اخراج النبى صلى الله عليه واله والمومنين معه فاما الوجه الاول فلا مخلص للفراء منه والمسجد الحرام مجرور عطف على سبيل الله كانه قال وصد عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وهو قول المبرد وقيل انه عطف على الشهر الحرام كانه قال يسالونك عن القتال فى الشهر الحرام والمسجد الحرام وهو قول الفراء ولا يجوز حمله على البا فى قوله وكفر به لانه لا يعطف على المضمر المجرور الا باعادة الجار الا فى ضرورة الشعر ومن يرتدد على اظهار التضعيف لسكون الثانى ويجوز يرتد بفتح الدال عن التحريك لالتقاء الساكنين باخف الحركات ويجوز بكسر الدال على اصل التحريك لالتقاء الساكنين والفتح اجود

النزول قال المفسرون بعث رسول الله صلى الله عليه واله سرية من المسلمين وامر عليهم عبد الله بن جحش الاسدى وهو ابن عمة النبى عليه السلم وذلك قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرمى فى عير تجارة لقريش فى اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من جمادى وهو رجب فاختصم المسلمون فقال قايل منهم هذه غرة من عدو وغنم رزقتموه ولا ندرى امن الشهر الحرام ام لا وقال قايل منهم لا نعلم هذا اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى ان تستحلوه لطمع اشفيتم عليه فغلب على الامر الذى يريدون عرض الدنيا فشدوا على ابن الحضرمى فقتلوه وغنموا عيره فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمى اول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين وذلك اول فئ اصابه المسلمون فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبى صلى الله عليه واله فقالوا اتحل القتال فى الشهر الحرام فانزل الله هذه الاية

المعنى يسئلونك يا محمد والسائلون اهل الشرك على جهة العيب للمسلمين باستحلالهم القتال فى الشهر الحرام عن الحسن واكثر المفسرين وقيل السائلون اهل الاسلام سالوا عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه عن الشهر الحرام قتال فيه يعنى عن قتال فى الشهر الحرام وهو رجب سمى بذلك لتحريم القتال فيه ولعظم حرمته ولذلك كان يسمى فى الجاهلية منزع الاسنة ومنصل الال لانهم كانوا ينزعون الاسنة والنصال عند دخول رجب انطواء على ترك القتال فيه وكان يدعى الاصم لانه لا يسمع فيه قعقعة السلاح فنسب الصمم اليه كما قيل ليل نايم وسر كاتم وكان الناس لا يخاف بعضهم بعضا ويامن السبل الى ان ينقضى الشهر قل يا محمد قتال فيه اى فى الشهر الحرام كبير اى ذنب عظيم ثم استانف وقال وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام اى والصد عن المسجد الحرام وعلى القول الاخر معناه يسالونك عن قتال فى الشهر الحرام وعند المسجد الحرام وقيل معناه والكفر بالمسجد

الحرام عن الجبائى فحمله عن البا فى قوله وكفر به واخراج اهله يعنى اهل المسجد وهم المسلمون منه اى من المسجد اكبر اى اعظم وزرا عند الله يعنى اخراجهم المسلمين من مكة حين هاجروا الى المدينة والظاهر يدل على ان القتال فى الشهر الحرام كان محرما لقوله قل قتال فيه كبير وذلك لا يقال الا فيما هو محرم محظور وقيل ان النبى صلى الله عليه واله عقل ابن الحضرمى وقوله والفتنة اكبر من القتل معناه الفتنة فى الدين وهو الكفر اعظم من القتل فى الشهر الحرام يعنى قتل ابن الحضرمى وقال قتادة وغيره ان تحريم القتال فى الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال عطا هو باق على التحريم وعندنا انه على التحريم فيمن يرى لهذه الاشهر حرمة ولا يبتدؤن فيها بالقتال وذلك فى الحرم وانما اباح الله تعالى للنبى صلى الله عليه واله قتال اهل مكة عام الفتح فقال النبى صلى الله عليه واله ان الله احلها لى فى هذه الساعة ولا يحلها لاحد من بعدى الى يوم القيمة ومن لا يرى منهم حرمة الحرم وحرمة هذه الاشهر جاز قتاله اى وقت كان والتحريم منسوخ فى حقه وقوله ولا يزالون يقاتلونكم يعنى اهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين حتى يردوكم عن دينكم اى يصرفوكم عن دين الاسلام ويلجاوكم الى الارتداد ان استطاعوا اى ان قدروا على ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العقاب عليه فيمت وهو كافر يعنى مات على كفره فاولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة معناه انها صارت بمنزلة ما لم يكن لايقاعهم اياها على خلاف الوجه المامور به لان احباط العمل وابطاله عبارة عن وقوعه على خلاف الوجه الذى يستحق عليه الثواب وليس المراد انهم استحقوا على اعمالهم الثواب ثم انحبط لانه قد دل الدليل على ان الاحباط على هذا الوجه لا يجوز واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى دايمون النظم نظم الاية وتقديره يسالونك عن القتال فى الشهر الحرام وعند المسجد الحرام فقل ذلك كبير ولكن الكفر بالله وصد المسلمين عن بيت الله ودينه واخراجهم عن اوطانهم اعظم عند الله واكبر وزرا فهؤلاء الكفار مع هذه الافعال يقاتلونكم ليردوكم عن الدين فكل واحد من هذا اعظم مما سالوا عنه قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم اية اللغة الهجر ضد الوصل يقال هجره يهجره هجرا وهجرانا وهجرا وهجرة اذا قطع مواصلته وهجر المريض يهجر هجرا اذا قال ما ينبغى ان يهجر من الكلام وسموا المهاجرين لهجرتهم قومهم وارضهم وانما اطلق على هؤلاء اللفظ الذى يقع على الاثنين لان كل واحد من هؤلاء فعل مثل فعل صاحبه وترك ما تركه اختيارا لصحبة النبى صلى الله عليه واله وجاهد العدو مجاهدة وجهادا اذا حملت نفسك على المشقة فى قتاله والرجاء الامل وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون وقال ابو ذويب اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل اى لم يخف وذلك ان الرجاء للشئ معه الخوف من ان لا يكون فلذلك سمى الخوف باسم الرجا النزول نزلت الاية فى قصة عبد الله بن جحش واصحابه لما قاتلوا فى رجب وقتل واقد السهمى بن الحضرمى فظن قوم انهم سلموا من الاثم فليس لهم اجر فانزل الله الاية فيهم بالوعد المعنى ان الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله والذين هاجروا اى قطعوا عشايرهم وفارقوا منازلهم وتركوا اموالهم وجاهدوا فى سبيل الله اى قاتلوا الكفار فى طاعة الله التى هى سبيله المشروعة لعباده وانما جمع بين هذه الاشياء لبيان فضلها والترغيب فيها لا لان الثواب لا يستحق على واحد منها على الانفراد اولئك يرجون رحمة الله اى يأملون نعمة الله فى الدنيا والعقبى وهى النصرة فى الدنيا والمثوبة فى العقبى والله غفور يغفر ذنوبهم رحيم يرحمهم وانما ذكر لفظ الرجا للمومنين وان كانوا يستحقون الثواب قطعا ويقينا لانهم لا يدرون ما يكون منهم فى المستقبل الاقامة على طاعة الله او الانقلاب عنها الى معصيته ووجه اخر وهو الصحيح وهو ان يرجوا رحمة الله فى غفران معاصيهم التى لم يتفق لهم التوبة منها واخترموا دونها فهم يرجون ان يسقط الله عقابها عنهم تفضلا فاما الوجه الاول فانما يصح على مذهب من يجوز ان يكفر المومن بعد ايمانه او يفعل فى المستقبل كبيرة تحبط ثواب ايمانه وهذا لا يصح على مذهبنا فى الموافاة وقال الحسن اراد به ايجاب الرجاء والطمع على المومنين لان رجاء رحمة الله من اركان الدين واليأس من رحمته كفر كما قال ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويؤيد قوله سبحانه يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه وقوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وليس فى الاية دلالة على ان من مات مصرا على كبيرة لا يرجوا رحمة الله لامرين احدهما ان دليل المفهوم غير صحيح عند اكثر المحصلين والاخر انه قد يجمع عندنا الايمان

والهجرة مع ارتكاب الكبيرة ولا يخرج من هذه صورته عن تناول الاية له النظم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر في الاولى
العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف والرجاء اذ ذاك احق بتدبير الحكماء واوكد في الاستدعاء قوله عز وجل
يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو
كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان
تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم ايتان في الكوفي واية واحدة
فيما عداه عدّ الكوفي تتفكرون اية وتركها غيره القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم اثم كثير بالثاء والباقون بالباء وقرا ابو عمرو وحده قل
العفو بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو علي حجة من قرا بالباء ان يقول الباء اولى لان الكبر مثل العظم ومقابلة الصغر قال سبحانه
كل صغير وكبير مستطر وقد استعملوا في الذنب اذا كان موبقا الكبير كقوله كباير ما تنهون عنه وكباير الاثم فلذلك ينبغي ان يكون
قوله قل فيهما اثم كبير بالباء لان شرب الخمر والميسر من الكبير وقالوا في غير الموبق صغير وصغيرة ولم يقولوا قليل ومقابل الكثير هو القليل
كما ان مقابل الكبير الصغير ويدل على ذلك ايضا قوله واثمهما اكبر من نفعهما واتفاقهم هنا على اكبر ورفضهم الاكثر ووجه من قرا بالثاء
انه قد جاء فيهما انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وفي الحديث
لعن رسول الله صلى الله عليه واله في الخمر عشرة مشتريها والمشتراة له وعاصرها والمعصورة له وساقيها والمستقاة له وحاملها والمحمولة
اليه واكل ثمنها فهذا يقوي قراءة من قرا كثير واما وجه من نصب العفو فهو ان قولهم ماذا تستعمل على ضربين احدهما ان يكون ما مع
ذا اسما واحدا والاخر ان يكون ذا بمعنى الذي فالاول قول العرب عماذا تسال اثبتوا الالف فيما لما كان ما مع ذا بمنزلة اسم واحد
فان الحذف انما يقع اذا كانت الالف اخرا ومن ذلك قول الشاعر يا خزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفقن الى الديرين تحنانا اي ما
بال نسوتكم فاذا كان ما مع ذا بمنزلة اسم واحد كان قوله ماذا ينفقون في موضع نصب بمنزلة ما ينفقون اي ايا ينفقون فجواب هذا
العفو بالنصب واما وجه قول من رفع فهو ان جعل ماذا على الضرب الاخر فيكون تقديره ما الذي ينفقون فجوابه العفو على ان يكون خبر
مبتداء محذوف اي الذي ينفقون العفو ومثله في التنزيل واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين واعلم ان سيبويه لا يجيز
ان يكون ذا بمنزلة الذي الا في هذا الموضع لما قامت الدلالة على ذلك والكوفيون يجيزون في غير هذا الموضع ويحتجون بقول
الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق وبقوله سبحانه وما تلك بيمينك ولا دلالة لهم في الاية فان قوله
بيمينك يجوز ان يكون ظرفا في موضع الحال فلا يكون صلة وكذلك تحملين في البيت والعامل في الحال في الموضعين ما في المبهم من
معنى الفعل اللغة الخمر اصله الستر والخمر ما واراك من الشجر وغيره ومنه الخمار للمقنعة ودخل في خمار الناس اي في الكثير الذي يستتر
فيهم ويقال خامره الداء اذا خالطه قال كثير هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت وخمرت الاناء اي غطيته وفي الحديث
كان عليه السلام يسجد على الخمرة وهي السجادة الصغيرة من الحصير سميت بذلك لانها تستر الوجه عن الارض قال الزجاج وقد لبس على
ابي الاسود الدؤلي فقيل له ان هذا المسكر الذي سمي بغير الخمر حلال فظن ان ذلك كما قيل له ثم رده طبعه الى ان حكم بانهما واحد فقال
دع الخمر يشربها الغواة فانني رايت اخاها مجزيا لمكانها فان لا تكنها او تكنه فانه اخوها غذته امها بلبانها واصل الباب الستر والميسر القمار
اشتق من اليسر وهو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يسر لي هذا الشيء ييسر يسرا وميسرا اذا وجب لك والياسر الواجب بقداح وجب لك
او غيره وقيل للقامر ياسر ويسر قال النابغة او ياسر ذهب القداح بوفره اسف تاكله الصديق مخلع اي قامر وقيل اخذ من التجزية
لان كل شيء جزاته فقد يسرته والياسر الجازر والميسر الجزور وقيل اخذ من اليسر وهو السهولة لانهم كانوا يشتركون في الجزور ليسهل
امرها الا انه على جهة القمار والعفو ماخوذ من الزيادة ومنه حتى عفوا اي زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر ولكنا
نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم اي زايدات الشحم وقيل هو ماخوذ من الترك من قوله فمن عفي له من اخيه شيء اي ترك
ومنه قوله عليه السلام عفوت لكم عن صدقة الخيل اي تركتها فيكون العفو المتروك لغنى عنه والمخالطة مجامعة يتعذر معها
التمييز كمخالطة الخل للماء واشباهه والخليطان الشريكان لاختلاط اموالهما والخليط القوم امرهم واحد والاعنات الحمل على مشقة

لانطاق

لانطاق ثقلا وعنت العظم عنتا اصابه وهن او كسر بعد جبر وعنت عنتا اذا اكتسب ماثما وتعنته تعنتا اذا لبس عليه في سواله
له والاكمة العنوت الطويلة واصل الباب المشقة والشدة الاعراب العامل في الظرف من قوله في الدنيا والاخرة قوله يبين
اي يبين لكم الايات في امر الدنيا والاخرة ويجوز ان يكون يتفكرون ايضا اي تتفكرون في امر الدنيا وامر الاخرة وقوله فاخوانكم
رفع على انه خبر مبتداء محذوف تقديره فهم اخوانكم ويجوز في العربية فاخوانكم بالنصب على تقدير فاخوانكم تخالطون والوجه الرفع
النزول نزلت في جماعة من الصحابة اتوا رسول الله صلى الله عليه واله فقالوا افتنا في الخمر والميسر فانها مذهبة للعقل مسلبة
للمال فنزلت الاية المعنى ثم عاد سبحانه الى بيان الشرايع فقال يسئلونك يا محمد عن الخمر وهي كل شراب مسكر مخالط للعقل مغط عليه
وما اسكر كثيره فقليله خمر هذا هو الظاهر في روايات اصحابنا وهو مذهب الشافعي وقيل الخمر عصير العنب اذا اشتد وغلا وهو مذهب
ابي حنيفة والميسر هو القمار كله عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والحسن وهو المروي عن ائمتنا حتى قالوا ان لعب
الصبيان بالجوز هو القمار قل فيهما اي في الخمر والميسر اثم كبير اي وزر عظيم وكثير من الكثرة ومنافع للناس منفعة الخمر ما كانوا ياخذونه
في اثمانها وما يحصل من اللذة والطرب والقوة بشربها ومنفعة القمار هي ان يفوز الرجل بمال صاحبه من غير كد ولا مشقة
ويرتفق به الفقراء واثمهما اكبر من نفعهما اي ما فيهما من الاثم اكثر مما فيهما من النفع لان نفعهما في الدنيا وما يحصل من الاثم يوجب
سخط الله في الاخرة فلا يظهر في جنبه نفع قليل لا بقاء له قال الحسن في الاية تحريم الخمر من وجهين احدهما قوله واثمهما اكبر وانه
اذا زادت مضرة الشيء على منفعته اقتضى العقل الامتناع عنه والثاني انه بين ان فيهما الاثم وقد حرم في اية اخرى الاثم فقال قل انما
حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم وقيل ان الخمر يسمى اثما في اللغة قال الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذلك الاثم تذهب
بالعقول على انه قد وصف الاثم بانه كبير والكبير محرم بلا خلاف وقال الضحاك معناه واثمهما بعد تحريمهما اكبر من نفعهما قبل تحريمهما و
قال سعيد بن جبير كلاهما قبل التحريم يعني ان الاثم الذي يحدث من اسبابهما اكبر من نفعهما وقال قتادة هذه الاية لا تدل على تحريمهما وانما
تدل الاية التي في المائدة من قوله انما الخمر والميسر الى اخرها وقوله ويسئلونك ماذا ينفقون اي اي شيء ينفقون والسايل عمرو بن
الجموح سال عن النفقة في الجهاد وقيل في الصدقات قل العفو فيه اقوال احدها انه ما فضل عن الاهل والعيال او الفضل عن الغنى عن
ابن عباس وقتادة وثانيها ان العفو الوسط من غير اسراف ولا اقتار عن الحسن وعطا وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام
وثالثها ان العفو ما فضل عن قوت السنة عن ابي جعفر الباقر قال ونسخ ذلك باية الزكوة وبه قال السدي ورابعها ان العفو
اطيب المال وافضله وقوله كذلك وحد الكاف لان الخطاب للنبي صلى الله عليه واله يدخل فيه الامة وقيل تقديره كذلك ايها القبيل
يبين الله لكم الايات اي الحجج في امر النفقة والخمر والميسر وقيل في شرايع الاسلام لعلكم تتفكرون اي لكي تتفكروا في الدنيا والاخرة
اي في امر الدنيا وامر الاخرة فتعلمون ان الدنيا دار بلاء وفناء والاخرة دار جزاء وبقاء فتزهدوا في هذه وترغبوا في تلك وقيل انه من صلة
يبين اي يبين الله لكم الايات في امور الدنيا والاخرة لكي تتفكروا وفي ذلك دلالة على ان الله سبحانه اراد منهم التفكر سواء تفكروا او لم
يتفكروا ويسئلونك عن اليتامى قال ابن عباس لما انزل الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الاية وان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه واشتد ذلك عليهم فسالوا عنه فنزلت هذه الاية ولا بد
من اضمار في الكلام لان السؤال لم يقع عن اشخاص اليتامى ولا ورد الجواب عنها فالمعنى يسئلونك عن القيام على اليتامى او التصرف
في اموال اليتامى قل يا محمد اصلاح لهم خير يعني اصلاح لاموالهم من غير اجرة ولا اخذ عوض منهم خير واعظم اجرا وان تخالطوهم اي
تشاركوهم في اموالهم وتخلطوها باموالكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم باموركم فاخوانكم اي فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم
بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض وهذا اذن لهم فيما كانوا يتحرجون منه من مخالطة الايتام في الاموال من الماكل والمشرب والمسكن
ونحو ذلك ورخصة لهم في ذلك اذا تحروا الصلاح بالتوفير على الايتام عن الحسن وغيره وهو المروي في اخبارنا والله يعلم المفسد
من المصلح معناه والله يعلم من كان غرضه من مخالطة اليتامى افساد مالهم او اصلاح مالهم ولو شاء الله لاعنتكم اي لضيق عليكم في
امر اليتامى ومخالطتهم والزمكم ما كنتم تجتنبونه من مشاركتهم وقال الزجاج معناه لكلفكم ما يشق عليكم فتعنتون ولكنه لم يفعل

والاحكام

كما يبين لكم الايات في الخمر والميسر

وفى هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه اذا لم يشاء اعناتهم ولو اعنتهم لكان جايزا حسنا لكنه وسع عليهم لما فى التوسعة من النعمة فكيف يصح ان يشاء تكليف ما لا يطاق وكيف يكلف ما لا سبيل للمكلف اليه ويامر بما لا يقصر احداثه من جهته واى عنت اعظم من هذا قال البلخى وفيه ايضا دلالة على فساد مذهب من قال انه تعالى لا يقدر على الظلم لان الاعنات بتكليف ما لا يجوز فى الحكمة مقدور ولو شاء لفعله ان الله عزيز يفصل بعزته ما يجب لا يدفعه عنه دافع حكيم فى تدبيره وافعاله ليس له عما توجبه الحكمة مانع قوله عز وجل

ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون اية اللغة النكاح اسم يقع على العقد والوطى وقيل ان اصله الوطى ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما ان الحدث يسمى عذرة وهى اسم للفناء ويسمى غايطا وهو اسم للمكان المطمئن يقال نكح ينكح نكاحا اذا تزوج وانكحه غيره زوجه والامة المملوكة يقال امة بينة الاموة وأميت فلانة وتاميتها اذا جعلتها امة واصل امة فعلة بدلالة قولهم فى جمعها اماء وآم نحو اكمة واكام وأكم الاعراب يؤمن فى محل النصب بان مضمرة وان يؤمن فى موضع جر بحتى يتعلق بينكح من مشركة من يتعلق بخير والجار والمجرور فى محل النصب بانه مفعول به ولو اعجبتكم جواب لو محذوف تقديره ولو اعجبتكم امة مشركة لامة مؤمنة خير منها ولا تنكحوا المشركين المفعول الثانى محذوف تقديره ولا تنكحوا المشركين الازواج حتى يؤمنوا واعراب قوله حتى يؤمنوا وقوله ولو اعجبكم مثل ما قلناه فى حتى يؤمن وقوله ولو اعجبتكم النزول نزلت فى مرثد بن ابى مرثد الغنوى بعثه رسول الله الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان قويا شجاعا فدعته امراءة يقال لها عناق الى نفسها فابى وكانت بينهما خلة فى الجاهلية فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال حتى استاذن رسول الله صلى الله عليه واله فلما رجع استاذن فى التزوج بها فنزلت الاية المعنى لما تقدم ذكر المخالطة بين سبحانه من يجوز مخالطته بالنكاح فقال ولا تنكحوا المشركات اى لا تتزوجوا النساء الكافرات حتى يؤمن اى يصدقن بالله ورسوله وهى عامة عندنا فى تحريم مناكحة جميع الكفار اهل الكتاب وغيرهم وليست بمنسوخة ولا مخصوصة واختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم المشركات على اهل الكتاب وقد فصل الله سبحانه بينهما فقال لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين وما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين وعطف احدهما على الاخر فلا نسخ فى الاية ولا تخصيص وقال بعضهم الاية متناولة جميع الكفار والشرك يطلق على الكل ومن جحد نبوة نبينا محمد صلى الله عليه واله فقد انكر معجزه واضافه الى غير الله وهذا هو الشرك بعينه لان المعجز شهادة من الله بالنبوة ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال الاية منسوخة فى الكتابيات بالاية فى المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب عن ابن عباس والحسن ومجاهد ومنهم من قال انها مخصوصة بغير الكتابيات عن قتادة وسعيد بن جبير ومنهم من قال انها على ظاهرها فى تحريم نكاح كل كافرة كتابية كانت او مشركة عن ابن عمر وبعض الزيدية وهو مذهبنا وسياتى بيان اية المائدة فى موضعها انشاء الله ولامة مؤمنة خير من مشركة معناه مملوكة مصدقة مسلمة خير من حرة مشركة ولو اعجبتكم معناه وان اعجبتكم بمالها او حسبها او جمالها وظاهر هذا يدل على انه يجوز نكاح الامة المؤمنة مع وجود الطول فاما قوله فمن لم يستطع منكم طولا الاية فانما هى على التنزيه دون التحريم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا معناه ولا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من اهل الكتاب وغيرهم حتى يؤمنوا وهذا يؤيد قول من يقول ان قوله ولا تنكحوا المشركات متناول لجميع الكافرات وقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك اى عبد مصدق مسلم خير من حر مشرك ولو اعجبكم ماله او حاله او جماله والفرق بين ولو اعجبكم وبين وان اعجبكم ان لو للماضى وان للمستقبل وكلاهما يصح فى معنى الاية وهو فى العجب الذى هو بمعنى الاستعظام وليس من التعجب اولئك يعنى المشركين يدعون الى النار يعنى الى الكفر والمعاصى التى هى سبب دخول النار وهذا مثل التعليل لان الغالب ان الزوج يدعوا زوجته الى دينه والله يدعوا الى الجنة اى الى فعل ما يوجب الجنة والمغفرة من الايمان والطاعة باذنه اى بامره يعنى بما يامر ويأذن فيه من الشرايع والاحكام عن الحسن والجبائى وقيل باعلامه وقوله ويبين اياته اى حججه وقيل اوامره ونواهيه وما يحظره ويبيحه للناس لعلهم يتذكرون اى لكى يتذكروا او يتعظوا قوله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن

حتى

حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اية القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص حتى يطهرن بتشديد الطاء والهاء والباقون يطهرن بالتخفيف الحجة من قرا يطهرن فانه من طهرت المراءة وطهرت طهرا وطهارة وطهرت بالفتح اقيس لانه خلاف طمثت فينبغى ان يكون على بنائه وايضا فقولهم طاهر يدل على انه مثل قعد فهو قاعد ومن قرا يطهرن فانه يتطهرن فادغم التاء فى الطاء اللغة حاضت المراءة تحيض حيضا ومحيضا ومحاضا والمصدر من هذا الباب المفعل والمفعل جايز فيه قال الراعى بنيت مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا اى قيلولة وامراءة حايض ونساء حيض والاعتزال التنحى عن الشىء وكل شىء نحيته عن موضع فقد عزلته عنه ومنه عزل الوالى وانت عن هذا بمعزل اى متنح وعزل المراءة مخرج الماء من احد جانبيها والجمع عزال والمعزال من الناس الذى لا ينزل مع القوم فى السفر لكنه ينزل ناحية والطهر خلاف الدنس والطهور يكون اسما ويكون صفة فاذا كان اسما كان على ضربين احدهما ان يكون مصدرا كما حكاه سيبويه تطهرت طهورا حسنا وتوضأت وضوءا والاخر ان يكون اسما ليس بمصدر كما جاء فى قوله عليه السلام طهور اناء احدكم كذا وهو اسم لما يطهر به كالفطور والوجور والسعوط والسحور واما كونه صفة فهو فى قوله وانزلنا من السماء ماء طهورا فهذا كالرسول والعجوز ونحو ذلك من الصفات التى جاءت على فعول ولا دلالة فيه على التكرير لما لم يكن متعديا نحو ضروب الا ترى ان فعله غير متعد كما يتعدى ضربت ومن الصفة قوله عليه السلام هو الطهور ماؤه لانه ارتفع به الماء كما يرتفع الاسم بالصفات المتقدمة الاعراب من حيث جار ومجرور لكن حيث مبنى لا يظهر فيه الاعراب وانما بنى لمشابهته الحرف بانه لا يفيد الا مع غيره كالحرف ومن يتعلق بقوله فاتوهن امركم الله جملة فى محل الجر باضافة حيث اليه النزول قيل كانوا فى الجاهلية يتجنبون مواكلة الحايض ومشاربتها ومجالستها فسالوا عن ذلك فنزلت الاية عن الحسن وقتادة والربيع وقيل كانوا يستجيزون اتيان النساء فى ادبارهن ايام الحيض فلما سالوا عنه بين تحريمه عن مجاهد والاول عندنا اقوى المعنى ثم بين سبحانه شريعة اخرى فقال ويسألونك يا محمد والسايل ابو الدحداح فيما قيل عن المحيض اى عن الحيض واحواله قل يا محمد هو اذى معناه قذر ونجس عن قتادة والسدى وقيل دم عن مجاهد وقيل هو اذى لهن وعليهن لما فيه من المشقة قاله القاضى فاعتزلوا النساء فى المحيض اى اجتنبوا مجامعتهن فى الفرج عن ابن عباس وعايشة والحسن وقتادة ومجاهد وهو قول الحسن ويوافق مذهبنا انه لا يحرم منها غير موضع الدم فقط وقيل يحرم ما دون الازار ويحل ما فوقه عن شريح وسعيد بن المسيب وهو قول ابى حنيفة والشافعى ولا تقربوهن بالجماع او بما دون الازار على خلاف فيه حتى يطهرن بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن وبالتشديد معناه يغتسلن عن الحسن ويتوضان عن مجاهد وطاوس وهو مذهبنا فاذا تطهرن اى اغتسلن وقيل توضان وقيل غسلن الفرج فاتوهن فجامعوهن وهو اباحة وان كان صورته الامر كقوله فاذا حللتم فاصطادوا من حيث امركم الله معناه من حيث امركم الله بتجنبه فى حال الحيض وهو الفرج عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع وقيل من قبل الطهر دون الحيض عن السدى والضحاك وقيل من قبل النكاح دون الفجور عن ابن الحنفية والاول اليق بالظاهر قال الزجاج معناه من الجهات التى يحل فيها ان تقرب المراءة ولا تقربوهن من حيث لا يحل اى لا تقربوهن وهن صايمات او محرمات او معتكفات وقال الفراء ولو اراد الفرج لقال فى حيث امركم فلما قال من حيث علمنا انه اراد من الجهة التى امركم الله بها وقال غيره انما قال من حيث لان من لابتداء الغاية فى الفعل نحو قولك ايت زيدا من مأتاه اى من الوجه التى يؤتى منه ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين قيل معناه المتطهرين بالماء عن عطا وقد رواه اصحابنا ايضا فى سبب نزول الاية وقيل يحب المتطهرين من الذنوب عن سعيد بن جبير ولم يذكر المتطهرات لان المؤنث يدخل فى المذكر وقيل التوابين من الكباير والمتطهرين من الصغاير وفى هذه الاية دلالة على وجوب اعتزال المراءة فى حال الحيض وفيها ذكر غاية التحريم ويشتمل ذلك على فصول احدها ذكر الحيض واقله واكثره وعندنا اقله ثلاثة ايام واكثره عشرة ايام وهو قول اهل العراق وعند الشافعى واكثر اهل المدينة اقله يوم وليلة واكثره خمسة عشر يوما وثانيها حكم الوطى فى حال الحيض فان عندنا ان كان فى اوله يلزمه دينار وان كان فى وسطه فنصف دينار وان كان فى اخره فربع دينار وقال ابن عباس عليه دينار ولم يفصل وقا

الحسن يلزمه بدنة او رقبة او عشرون صاعا و ثالثها غاية تحريم الوطى واختلف فيه فمنهم من جعل الغاية انقطاع الدم ومنهم من
قال اذا توضات او غسلت فرجها حل وطيها عن عطا وطاوس وهو مذهبنا وان كان المستحب ان لا يقربها الا بعد الغسل ومنهم
من قال اذا انقطع دمها واغتسلت حل وطيها عن الشافعي ومنهم من قال اذا كان حيضها عشرا فنفس انقطاع الدم يحللها للزوج
وان كان دون العشر فلا يحل وطيها الا بعد الغسل او التيمم او مضى وقت صلوة عليها عن ابي حنيفة قوله عز وجل نساؤكم
حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المومنين اية الاعراب
انى في محل النصب لانه ظرف مكان اذا كان بمعنى حيث او اين او ظرف زمان اذا كان بمعنى متى والعامل فيه واتوا وشئتم
جملة فعلية في موضع الجر باضافة الظرف اليها واذا كان انى بمعنى كيف فهو في محل النصب على المصدر ولا محل لشئتم وتقديره فاتوا حرثكم
اى نوع شئتم النزول قيل نزلت ردا على اليهود اذ قالوا ان الرجل اذا اتى المراة من خلفها في قبلها خرج الولد احول فاكذبهم
الله تعالى عن ابن عباس وجابر وقيل انكرت اليهود اتيان المراة قائمة وباركة فانزل الله اباحته عن الحسن المعنى لما بين الله
سبحانه احوال النساء في الطهر والحيض عقبه بقوله نساؤكم حرث لكم اى منهن تحرثون الولد واللذة فحذف المضاف وهذا في المعنى مثل الاول عن الزجاج وقال
ابو عبيدة كنى بالحرث عن الجماع وثالثها معناه كحرث لكم فحذف كاف التشبيه قال الشاعر النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف
عنم وقد سمى العرب النساء حرثا قال المفضل بن سلمة انشدني ابي اذا اكل الجراد حروث قوم فحرثي همه اكل الجراد يريد امراتي
فاتوا حرثكم اى موضع حرثكم يعنى نساكم انى شئتم معناه من اين شئتم عن قتادة والربيع وقيل كيف شئتم عن مجاهد وقيل متى شئتم
عن الضحاك وهذا خطاء عند اهل اللغة لان انى لا يكون الا بمعنى من اين كما قال انى لك هذا وقيل معناه من اى وجه واستشهد
بقول الكميت انى ومن اين آبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب وليس في البيت شاهد لهم لانه يجوز ان يكون اتى به لاختلاف
اللفظين كما يقولون متى كان هذا واى وقت كان ويجوز ان يكون بمعنى كيف واستدل مالك بقوله انى شئتم على جواز اتيان
المراة في دبرها ورواه عن نافع عن ابن عمر وحكاه زيد بن اسلم عن محمد بن المنكدر وبه قال كثير من اصحابنا وخالف في
ذلك جميع الفقهاء وقالوا ان الحرث لا يكون الا بحيث النسل فيجب ان يكون الوطى حيث يكون النسل واجيبوا عن ذلك بان
النساء وان كن لنا حرثا فقد ابيح لنا وطيهن بلا خلاف في غير موضع الحرث كالوطى فيما دون الفرج وما اشبهه وقوله
وقدموا لانفسكم معناه قدموا الاعمال الصالحة التى امرتم بها ورغبتم فيها ليكون ذخرا لكم عند الله تعالى ووجه اتصاله
بما قبله انه لما قدم الامر بعدة اشياء قال بعدها قدموا لانفسكم بالطاعة فيما امرتم به واتقوا الله اى واتقوا عقاب الله بترك
مجاوزة الحد فيما بين لكم وفي ذلك الحث على العمل بالواجب الذى عرفوه والتحذير من مخالفة ما الزموه وقيل معنى التقديم هنا
طلب الولد فان في اقتناء الولد الصالح يكون تقديما عظيما لقوله عليه السلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا عن ثلاث
ولد صالح يدعو له وصدقة جارية وعلم ينتفع به بعد موته وقيل هو تقديم الافراط لقوله صلى الله عليه واله من قدم ثلثة
من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم فقيل يا رسول الله واثنان قال واثنان وقيل هو التسمية عند الجماع عن
عطا وقيل هو الدعا عند الجماع عن مجاهد ويؤيده ما روى عن ابن عباس قال قال النبى صلى الله عليه واله اذا اراد احدكم
ان ياتى اهله فليقل بسم الله اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان قدر بينهما ولد لم يضره شيطان وقيل هو التزوج
بالعفايف ليكون الولد صالحا طاهرا واعلموا انكم ملاقوه اى ملاقوا جزائه يعنى ثوابه ان اطعتموه وعقابه ان عصيتموه وانما
اضافه اليه على ضرب من المجاز وبشر المومنين بالثواب والجنة ولا يصح حمل اللقاء على الروية لان لفظ اللقاء على معان مختلفة
يقال لقى جهدا ولقى حمامه ولان في الاية اثبات اللقاء لجميع العباد وهذا خلاف ما ذهب اليه اهل التشبيه قوله عز وجل
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم اية اللغة يقال لكل من
يصلح لشئ هو عرضة له والمراة عرضة النكاح والدابة المعدة للسفر عرضة له قال الشاعر وهذى عرضة لا رتحالنا اى عدة
وقال ابو العباس العرضة الاعتراض في الخير والشر واليمين والقسم والحلف واحد قيل اخذ من القوة لانه يتقوى به على الحلف

عليه

عليه ومنه قوله تلقاها عرابة باليمين وقيل اخذ من الجارحة لانهم كانوا عند الايمان يضربون ايديهم على ايديهم فسمى الحلف بذلك
وقيل اخذ من اليمن الذى هو البركة لانه عقد خير يتبرك بذكره للتاكيد الاعراب قوله ان تبروا في موضعه ثلثة اقوال احدها
ان موضعه جر بحذف اللام عن الخليل قال ابو على جاز ان يكون المصدر الذى هو ان مع الفعل في موضع جر وان لم يجز ذلك
في غير ان لامرين احدهما ان الكلام قد طال بالصلة فحسن الحذف والاخر ان ان حرف واذا حذف اللام صار كان حرفا قد
اقيم مقام حرف فعاقبه فلهذا احسن حذف اللام مع ان دون المصدر غير الموصول في اللفظ بالفعل واقول يعنى بذلك انك
اذا قلت جيتك لضرب زيد لم يجز ان تحذف اللام فيقول جيتك ضرب زيد واذا قلت جيتك لان تضرب زيدا جاز ان تحذف
اللام فتقول جيتك ان تضرب زيدا والثانى ان موضعه النصب لانه لما حذف الجار وصل الفعل وهو قول سيبويه وهو القياس
على القولين جميعا فيكون تقديره لان لا تبروا على النفى او لان تبروا على الاثبات فعلى القول الاول وهو النفى يكون في محل النصب
بانه مفعول له وعلى القول الثانى وهو الاثبات يجوز ان يكون مفعولا له ويجوز ان يكون في محل النصب على الحال والعامل فيه ما
في قوله لايمانكم من معنى الفعل تقديره لا تجعلوا الله عرضة لايمانكم كائنة لان تبروا اى لبركم وذو الحال الايمان والثالث ما
قاله قوم ان موضعه رفع تقديره ان تبروا وتتقوا اولى فحذف الخبر الذى هو اولى لانه معلوم المعنى النزول نزلت في عبد الله
بن رواحة حين حلف ان لا يدخل على ختنه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امرأته وكان يقول انى حلفت بهذا فلا يحل لى ان افعله
فنزلت الاية المعنى لما بين سبحانه احوال النساء وما يحل منهن عقبه بذكر الايلاء وهو اليمين التى تحرم الزوجة فابتداء بذكر
الايمان اولا تاسيسا لحكم الايلاء فقال ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم وفي معناه ثلثة اقوال احدها ان معناه لا تجعلوا اليمين
بالله علة مانعة لكم من البر والتقوى من حيث تعتمدونها لتعتلوا بها وتقولوا حلفنا بالله ولم تحلفوا به عن الحسن وطاوس
وقتادة واصله في هذا الوجه الاعتراض الذى هو المانع بينكم وبين البر والتقوى لان المعترض بين الشيئين يكون مانعا من
وصول احدهما الى الاخر فالعلة مانعة كهذا المعترض والثانى ان عرضة معناه حجة فكانه قال فلا تجعلوا اليمين بالله حجة في المنع
من البر والتقوى فان كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر ان غيرها خير منها فافعلوا الذى هو خير ولا تحتجوا بما قد سلف من اليمين
عن ابن عباس ومجاهد والربيع واصله في هذا القول والاول واحد لانه منع من جهة الاعتراض لعلة او حجة والثالث
ان معناه لا تجعلوا اليمين بالله عدة مبتذلة في كل حق وباطل لان تبروا في الحلف بها وتتقوا المآثم فيها عن عايشة لانها قالت لا تحلفوا به
وان بررتم وبه قال الجبائى وابو مسلم وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلم نحو ما رواه عثمن بن عيسى عن ابي ايوب الخزاز قال
سمعت ابا عبد الله عليه السلم يقول لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فانه يقول سبحانه ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قال
ابو مسلم ومن اكثر ذكر شئ في معنى فقد جعله عرضة له وتقول جعلتنى عرضة لقومك قال الشاعر ولا تجعلينى عرضة للوائم
وتقديره على الوجه الاول والثانى لا تجعل الله مانعا من البر والتقوى باعتراضك به حالفا وعلى الوجه الثالث لا تجعل الله مما
تحلف به دائما باعتراضك بالحلف به في كل حق وباطل وقوله ان تبروا قيل في معناه اقوال الاول لان تبروا على معنى الاثبات
اى لان تكونوا بررة اتقياء فان من قلت يمينه كان اقرب الى البر ممن كثرت يمينه وقيل لان تبروا في اليمين والثانى ان المعنى لدفع
ان تبروا او لترك ان تبروا فحذف المضاف عن المبرد والثالث ان معناه ان لا تبروا فحذف لا عن ابي عبيد قال وحذف لا لانه
في معنى القسم كقول امرء القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا اى لا ابرح وانكر المبرد هذا لانه لما كان معه ان بطل ان يكون
جوابا للقسم وانما يجوز والله اقوم في القسم بمعنى لا اقوم لانه لو كان اثباتا لقال لاقومن باللام والنون والمعنى في قول ابي العباس
وابي عبيد واحد والتقدير مختلف وتتقوا اى تتقوا الاثم والمعاصى في الايمان وتصلحوا بين الناس عطف على ما سبق ومعناه لا تجعلوا
الحلف بالله علة وحجة في ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس او لدفع ان تبروا وتتقوا وتصلحوا وعلى الوجه الثالث لا تجعلوا
اليمين بالله مبتذلة لان تبروا وتتقوا وتصلحوا او لكى تكونوا من البررة الاتقياء والمصلحين بين الناس والله سميع لاقوالكم عليم بما في
ضمايركم لا يخفى عليه من ذلك خافية وفي هذه الاية دلالة على ان من حلف على شئ وراى غيره خيرا منه فله ان ينقض فلينقض يمينه

ويفعل الذى هو خير وهل يجب الكفارة فيه خلاف فعند اكثر الفقهاء تجب عليه الكفارة ولا كفارة عليه عندنا ومن اقسم على غيره
ليفعل فعلا او ليمتنع عن فعل فلا يبالى بذلك قال بعضهم ان المقسم عليه يأثم بذلك والصحيح ان المقسم عليه يأثم لقول النبى عليه السلام
من سالكم بالله فاعطوه ومن استعاذكم بالله فاعيذوه قوله عز وجل لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم اية اللغة اصل اللغو الكلام الذى لا فايدة فيه يقال لغا يلغو لغوا اذا اتى بكلام لا فايدة فيه والغى
الكلمة اذا اطرحها لانه لا فايدة فيها واللاغية الكلمة القبيحة الفاحشة ومنه اشتقاق اللغة لانها كلام لا فايدة فيه عند غير اهل
اللغة ولغو الطاير منطقه قال ثعلبة بن صغير المازنى باكرتهم بسباء جون ذارع قبل الصباح وقبل لغو الطاير واللغاء الذكر بالكلام
القبيح لغى يلغى لغى واصل الحلم الاناة وهو فى صفته سبحانه الامهال بتاخير العقاب على الذنب الاعراب فى ايمانكم فى موضع الحال
والعامل فيه يؤاخذ وذو الحال اللغو ما كسبت يجوز ان يكون ما اسما موصولا ويجوز ان يكون حرفا موصولا المعنى ثم بين
سبحانه اقسام اليمين فقال لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم اختلفوا فى يمين اللغو فقيل هو ما يجرى على عادة اللسان من قوله لا
والله وبلى والله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال ولا يظلم بها احد عن ابن عباس وعايشة والشعبى وهو المروى عن ابى
جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وهو قول الشافعى وقيل هو ان يحلف وهو يرى انه صادق ثم تبين انه كاذب فلا اثم عليه
ولا كفارة عن الحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم وهو قول ابى حنيفة واصحابه وقيل هو يمين الغضبان لا يؤاخذ بالحنث فيها
عن ابن عباس ايضا وطاوس وبه قال سعيد بن جبير الا انه اوجب فيها الكفارة وقال مسروق كل يمين ليس له الوفاء بها
فهى لغو ولا يجب فيها كفارة ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اى بما عزمتم وقصدتم لان كسب القلب العقد والنية وفيه حذف
اى من ايمانكم وقيل بان تحلفوا كاذبين او على باطل عن ابرهيم والله غفور يغفر الذنوب حليم يمهل العقوبة على الذنب ولا يعجل بها
قوله عز وجل للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا
الطلاق فان الله سميع عليم ايات اللغة الى الرجل من امرأته يولى ايلاء من الالية والالوة وهى الحلف قال الشاعر كفينا
من تغيب من نزار واحنثنا الية مقسمينا وايتلى وتالى بمعناه وفى التنزيل ولا يأتل اولوا الفضل منكم وقرئ ولا يتال وجمع الالية
الايا والايات كعشية وعشايا وعشيات وجمع الالوة الايا كركوبة وركايب والتربص الانتظار يقال تربصت به قال الشاعر
تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما او يموت حليلها والفئ الرجوع يقال فاء يفئ فيئا اذا رجع وفاء الفئ اذا تحول من جهة
الغداة برجوع الشمس عنه والفرق بين الفئ والظل ما قاله المبرد ان الفئ ما نسخ الشمس لانه هو الراجع والظل ما لا شمس فيه
وكل فئ ظل وليس كل ظل فيئا واهل الجنة فى ظل لا فئ لان الجنة لا شمس فيها وفى التنزيل وظل ممدود وجمع الفئ افياء والفئ
غنايم المشركين افاء الله علينا منهم وهو من رجوع الشئ الى حقه وفلان سريع الفئ من غضبه اى الرجوع والعزم هو العقد على
فعل شئ فى مستقبل الاوقات وهى ارادة متقدمة للفعل باكثر من وقت واحد يتعلق بفعل العازم يقال عزم على الشئ عزما واعتزم
وعزمت عليك لتفعلن اى اقسمت وعزم الراقى كانه اقسم على الداء وما لفلان عزيمة اى ما يثبت على شئ لتلونه وعزايم القرآن
التى يقرأ على ذوى الافات لما يرجى من البرء بها والطلاق حل عقد النكاح بسبب من جهة الرجل وامرأة طالق زعم قوم ان تاء
التانيث انما حذفت لانه لا حظ فيه للمذكر وهذا ليس بشئ لان فى الكلام اشياء كثيرة يشترك فيها المذكر والمونث لا تثبت فيها الهاء
فى المونث يقال بعير ضامر وناقة ضامر وامثاله كثيرة وقال سيبويه انه وقع على لفظ التذكير صفة للمونث لان المعنى شئ طالق
وحقيقته انه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مطفل اى ذات طفل وطالق اى ذات طلاق فاذا اجريته على الفعل قلت طالقة قال
الاعشى يا جارتى بينى فانك طالقة كذاك امور الناس غاد وطارقة واصل الطلاق من الانطلاق وطلقت المرأة عند الولادة فهى
مطلوقة اذا تمخضت والطلق الشوط من الجرى والطلق الحبل الشديد الفتل والسميع من كان على صفة يجب لاجلها ان يدرك
المسموعات اذا وجدت وهى ترجع الى كونه حيا لا افة به والسامع المدرك ويوصف القديم سبحانه فى الازل بانه سميع ولا يوصف
بانه سامع انما يوصف به اذا وجدت المسموعات الاعراب يجوز فى اربعة اشهر ثلثة اوجه الجر على الاضافة وعليه القراءة وهذه الاضافة

غير حقيقية فان الاربعة فى محل النصب وان كان مجرورا للفظ ويجوز فى العربية الرفع والنصب تربص اربعة اشهر كقوله فشهادة
احدهم اربع شهادات بالله ومثله فجزاء مثل ما قتل من النعم وتربص اربعة اشهر كقوله الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا اى تكفتهم احياء
وامواتا المعنى ثم بين سبحانه حكم الايلاء لانه من جملة الايمان والاقسام وشريعة من شرايع الاسلام فقال للذين يؤلون تربص
اى يحلفون وفيه حذف اى ان يعتزلوا عن وطى نسائهم على وجه الاضرار بهن تربص اربعة اشهر اى التوقف والتثبت فى اربعة
اشهر واليمين التى يكون الرجل بها موليا هى اليمين بالله عز وجل او بشئ من صفاته التى لا يشركه فيها غيره على وجه لا يقع موقع
اللغو الذى لا فايدة فيه ويكون الحلف على الامتناع من الجماع على وجه الغضب والضرار وهو المروى عن على عليه السلام وابن عباس والحسن
وقيل فى الغضب والرضا عن ابرهيم والشعبى وجماعة من الفقهاء وقيل هو فى الجماع وغيره من الضرار نحو ان يحلف لا يكلمها عن
سعيد المسيب فان فاءوا اى رجعوا الى امر الله بان يجامعوا عند القدرة عليه او يراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس
ومسروق وسعيد بن المسيب وهو مذهبنا وبه قال ابو حنيفة واصحابه وقيل يكون فايئا بالعزم فى حال العذر الا انه ينبغى ان يشهد
على فيئه عن الحسن وابرهيم وعلقمة وهذا يكون عندنا للعاجز عن الجماع ويجب على الفائى عندنا كفارة ولا عقوبة عليه وبه قال ابن
عباس وسعيد بن المسيب وقتادة وقال الحسن وابرهيم لا كفارة عليه ولا عقوبة لقوله فان الله غفور رحيم ومعنى غفور عندنا انه
لا يتبعه بعقوبة ومن حلف ان لا يجامع اربعة اشهر لا يكون موليا ومن حلف لا يقربها وهى مرضعة مخافة ان يحبل فيضر ذلك
بولدها لا يلزمه حكم الايلاء واذا مضت اربعة اشهر ولم يجامع الزمه الحاكم اما الرجوع والكفارة واما الطلاق فان امتنع حبسه
حتى يفئ او يطلق وقوله وان عزموا الطلاق عزيمة الطلاق عندنا ان يعزم ثم يتلفظ بالطلاق ومتى لم يتلفظ بالطلاق على الوجه
المشروع فان المرأة لا تبين منه الا ان تستعدى فان استعدت وانظره الحاكم اربعة اشهر فانه يوقف بعد الاشهر الاربعة ويقال
له فئ او طلق فان لم يفعل حبسه حتى يطلق وبه قال الشافعى الا انه قال متى امتنع من الطلاق والفئة طلق عنه الحاكم طلقة
رجعية وقال ابو حنيفة واصحابه اذا مضت اربعة اشهر ولم يفئ بانت منه بتطليقة ولا رجعة له عليها وعليها العدة يخطبها فى
العدة ولا يخطبها غيره فان الله سميع عليم سميع قوله ويعلم ضميره وقيل يسمع ايلاءه ويعلم نيته وانما ذكر عقيب الاول فان الله غفور
رحيم لانه لما اخبر عن المولى انه يلزمه الفئ او الطلاق بين انه ان فاء فان الله غفور رحيم بان يقبل رجوعه ولا يتبعه بعقاب ما
ارتكبه وذكر ههنا انه سميع عليم لما اخبر عنه بايقاع الطلاق وكان ذلك مما يسمع اخبر انه لا يخفى عليه وانه يسمعه فكل لا
يليق الا بموضعه وذلك من عظيم فصاحة القرآن قوله عز وجل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا
يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن
فى ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم
اية اللغة القرء جمع قروء وجمعه القليل اقرؤ والكثير اقراء وقروء وصار بناء الكثير فيه اغلب فى الاستعمال فقال ثلثة قروء
مثل ثلثة شسوع استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل ووجه اخر وهو انه لما كانت كل مطلقة يلزمها هذا دخله معنى الكثرة فاتى
ببناء الكثرة للاشعار بذلك فالقرء كثيرة الا انها ثلثة ثلثة فى القسمة وهذا الحرف من الاضداد واصله فى اللغة يحتمل وجهين
احدهما الاجتماع ومنه قراءة القرآن لاجتماع حروفه وما قرأت الناقة سلا قط اى لم يجتمع رحمها على ولد قط قال عمرو بن
كلثوم ذراعى عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا فعلى هذا يقال اقرأت المرأة فهى مقرئ اذا حاضت وانشد له قرء
كقرء الحايض وذلك لاجتماع الدم فى الرحم ويجئ على هذا ان يكون القرء الطهر لاجتماع الدم فى جملة البدن والوجه الثانى
ان اصل القرء الوقت الجارى فى الفعل على عادة وهو يصلح للحيض والطهر يقال هذا قارئ الرياح اى وقت هبوبها قال الشاعر
شنئت العقر عقر بنى شليل اذا هبت لقاريها الرياح اى لوقت هبوبها وشدة بردها والذى يقوى ان القرء الطهر قول
الاعشى وفى كل عام انت جاشم غزوة تشد لاقصاها عزيم عزايكا مورثة مالا وفى الاصل رفعة لما ضاع فيها من قروء نسايكا
فالذى ضاع ههنا الاطهار لا الحيض والبعولة جمع بعل ويقال بعل يبعل بعولة وهو بعل وسمى الزوج بعلا لانه عال على المرأة بملكه

لزوجتها وقوله اتدعون بعلا اى ربا وقيل انه صنم والبعل النخل يشرب بعروقه لانه مستعل على شربه وبعل الرجل بامره اذا ضاق به ذرعا لانه علاه منه ماضاق به ذرعه وبعل الرجل بطر لانه استعلى تكبرا وامراة بعلة لا تحسن لبس الثياب لان الحيرة تستعلي عليها فتدهشها والرجال جمع رجل من الرجلة اى القوة وهو ارجلهما اى اقواهما وفرس رجيل قوى على المشى وسميت الرجل لقوتها على المشى ورجل من جراد قطعة منه تشبيها بالرجل لانها قطعة من الجملة والراجل الذى يمشى على رجله وارتجل الكلام ارتجالا لانه قوى عليه من غير ركوب فكرة وترجل النهار لانه قوى ضيائه بنزول الشمس الى الارض ورجل شعره اذا طوله واصل الباب القوة والدرجة المنزلة الاعراب ان كن يؤمن بالله جواب الشرط محذوف وتقديره ان كن يؤمن بالله لايكتمن وكذلك جواب الشرط من قوله ان ارادوا اصلاحا محذوف وتقديره ان ارادوا اصلاحا فبعولتهن احق بردهن مثل الذى عليهن اضافة مثل غير حقيقية لان الذى عليهن مفعولة المعنى ثم بين سبحانه حكم المطلقات والطلاق فقال والمطلقات اى المخليات عن حبال الازواج بالطلاق وانما يعنى المطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل لان فى الاية بيان عدتهن يتربصن بانفسهن ثلثة قروء معناه ينتظرون بانفسهن انقضاء ثلثة قروء فلا يتزوجن لفظه خبر ومعناه امر والمراد بالقرء الاطهار عندنا وبه قال زيد بن ثابت وعايشه وابن عمر ومالك والشافعى واهل المدينة قال ابن شهاب مارايت احدا من اهل بلادنا الا وهو يقول الاقراء الاطهار الا سعيد بن المسيب المروى عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد ورووه ايضا عن على عليه السلم ان القرء الحيض والمراد بثلثة قروء ثلثة حيض وهو مذهب ابى حنيفه واصحابه واستشهدوا بقوله عليه السلم للمستحاضة دعى الصلوة ايام اقرائك والصلوة انما تترك فى ايام الحيض واستشهد من ذهب الى ان القرء الطهر بقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى فى طهر لم تجامع فيه كما يقال لغرة الشهر وبقول النبى عليه السلم لما طلق ابن عمر زوجته وهى حايض مره فليراجعها فاذا طهرت فليطلق او ليمسك وتلا النبى عليه السلم اذا طلقتم النساء فطلقوهن لقبل عدتهن فاخبر عليه السلم ان العدة الاطهار دون الحيض لانها حينئذ تستقبل عدتها ولو طلقت حايضا لم تكن مستقبلة عدتها الا بعد الحيض وروى اصحابنا عن زرارة قال سمعت ربيعة الراى يقول ان من رأيى ان الاقراء التى سمى الله فى القران انما هى الطهر فيما بين الحيضتين وليس بالحيض قال فدخلت على ابى جعفر عم فحدثته بما قال ربيعة فقال كذب لم يقل برايه وانما بلغه عن على عليه السلم فقلت اصلحك الله اكان على يقول ذلك قال نعم كان يقول انما القرء الطهر تقرئ فيه الدم فتجمعه فاذا جاء الحيض قذفته قلت اصلحك الله رجل طلق امراته طاهرا من غير جماع بشهادة عدلين قال اذا دخلت فى الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها وحلت للازواج قال قلت ان اهل العراق يروون عن على عليه السلم انه كان يقول هو احق برجعتها ما لم تغتسل من الحيضة الثالثة فقال كذبوا ولا يحل لهن اى للمطلقات اللاتى يجب عليهن العدة ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن قيل اراد به الحيض عن ابرهيم وعكرمه وقيل اراد به الحبل عن ابن عباس وقتادة وقيل اراد الحيض والحبل عن ابن عمرو الحسن وهو المروى عن الصادق عليه السلم قال قد فوض الله تعالى الى النساء ثلثة اشياء الحيض والطهر والحمل وهذا القول اعم فالاخذ به اولى وانما لم يحل لهن الكتمان لئلا يبطلن حق الزوج بمنع المراجعة عن ابن عباس وقيل بنسبة الولد الى غيره كفعل الجاهلية عن قتادة وقوله ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر يعنى من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فهذه صفته وحليته وليس هذا بشرط حتى انها اذا لم تكن مؤمنة يحل لها الكتمان ولكن المراد ان الايمان يمنع من ارتكاب هذه المعصية كما يقول الرجل لصاحبه ان كنت مؤمنا فلا تظلم وهذا على وجه الوعيد وبعولتهن احق بردهن فى ذلك يعنى ان ازواجهن اولى بمراجعتهن وهى ردهن الى الحالة الاولى فى ذلك الاجل الذى قدر لهن فى مدة العدة فانه مادامت تلك المدة باقية كان للزوج حق المراجعه ويفوت بانقضائها وفى هذا ما يدل على ان الزوج ينفرد بالمراجعه ولا يحتاج فى ذلك الى رضاء المراة ولا الى عقد جديد واشهاد وهذا يختص الرجعيات وان كان اول الاية عاما فى جميع المطلقات الرجعية والبائنة ان ارادوا اصلاحا لا اضرارا وذلك ان الرجل كان اذا اراد الاضرار بامراته طلقها واحدة وتركها حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها وتركها مدة ثم طلقها اخرى وتركها كما فعل فى الاولى ثم راجعها وتركها مدة اخرى ثم طلقها فجعل الله الزوج احق بالمراجعة على وجه الاصلاح لا على وجه الاضرار وانما شرط الاصلاح فى اباحة الرجعة لا فى ثبوت احكامها للاجماع الامة ان مع ارادة الاضرار تثبت احكام الرجعة وقوله ولهن اى للنساء على ازواجهن

مثل

مثل الذى لهم عليهن من الحق بالمعروف وهذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوايد الجمة وانما اراد بذلك ما يرجع الى حسن العشرة وترك المضارة والتسوية فى القسم والنفقة والكسوة كما ان للزوج حقوقا عليها مثل الطاعة التى اوجبها الله عليها له وان لا تدخل فراشه غيره وان تحفظ ماءه فلا تحتال فى اسقاطه وروى ان امراة معاذ قالت يا رسول الله ما حق الزوجة على زوجها قال ان لا تضرب وجهها ولا تقبحها وان يطعمها مما ياكل ويلبسها مما يلبس ولا يهجرها وروى عنه عليه السلام انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ومن حقكم عليهن ان لا يوطين فرشكم من تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقوله وللرجال عليهن درجة قيل معناه فضيلة منها الطاعة ومنها ان يملك التخلية ومنها زيادة الميراث على قسم المراة والجهاد هذا قول مجاهد وقتادة وقيل معناه منزلة فى الاخذ عليها بالفضل فى المعاملة حتى يقول ما احب ان استوفى منها جميع حقى ليكون لى عليها الفضيلة عن ابن عباس وقيل معناه ان بالمراة ينال اللذة من الرجل كما ينال الرجل منها وله الفضل بنفقته وقيامه عليها عن الزجاج وفى تفسير على بن ابرهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء افضل من حق النساء على الرجال وفى كتاب من لا يحضره الفقيه روى عن الباقر عليه السلم قال جاءت امراة الى رسول الله صلى الله عليه واله فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المراة فقال لها ان تطيعه ولا تعصيه ولا تصدق من بيتها بشئ الا باذنه ولا تصوم تطوعا الا باذنه ولا تمنعه نفسها وان كانت على ظهر قتب ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان خرجت بغير اذنه لعنتها ملائكة السماء وملائكة الارض وملائكة الغضب وملائكة الرحمة حتى ترجع الى بيتها فقالت يا رسول الله من اعظم الناس حقا على المراة قال زوجها قالت فمالى من الحق عليه مثل ماله على قال لا ولا من كل ماية واحد فقالت والذى بعثك بالحق لا يملك رقبتى رجل ابدا وقال عليه السلم لو كنت امرا احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها والله عزيز حكيم اى قادر على ما يشاء يمنع ولا يمنع ويقهر ولا يقهر فاعل ما تدعو اليه الحكمة وقد قيل فى الاية ان المطلقة قبل الدخول والمطلقة الحامل نسختا من هذه الاية بقوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وقيل انهما مخصوصتان من الاية كما ذكرناه فى اول الاية قوله عز وجل الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون اية القراءة قرا ابو جعفر وحمزة الا ان يخافا بضم الياء والباقون بفتحها الحجة خاف فعل يتعدى الى مفعول واحد وذلك المفعول يكون ان وصلتها نحو قوله يخافون ان يتخطفكم الناس ويكون غيرها نحو قوله يخافونهم فوجه قراءة حمزة الا ان يخافا انه لما بنى الفعل للمفعول به اسند الفعل اليه فلم يبق شئ يتعدى اليه فاما ان من قوله ان لا يقيما فان الفعل يتعدى اليه بالجار كما تعدى بالجار فى قوله لو خافك الله عليه حرمه وموضع ان فى الاية جر بالجار المقدر على قول الخليل والكساى ونصب على قول سيبويه واصحابه الا انه لما حذف الجار وصل الفعل الى المفعول الثانى مثل استغفر الله ذنبا وامرتك الخير فقراءته مستقيمة على ما رايت فان قال قائل لو كان يخافا كما قراه لكان ينبغى ان يكون فان خيفا قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خالفه فى قراءته لانهم قد قراءوا الا ان يخافا ولم يقولوا فان خافا وليس يلزم هذا السؤال جميعهم لامرين احدهما انه انصرف من الغيبة الى الخطاب كما قال الحمد لله ثم قال اياك نعبد وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وهذا النحو كثير فى التنزيل وغيره والاخر ان يكون الخطاب فى قوله فان خفتم مصروفا الى الولاة والفقهاء الذين يقومون بامور الكافة وجاز ان يكون الخطاب للكثرة فمن جعله انصرافا من الغيبة الى الخطاب لان ضمير الاثنين فى يخافا ليس يراد به اثنان مخصوصان انما يراد به ان كل من كان هذا شانه فهذا حكمه فاما من قرا يخافا بفتح الياء فالمعنى انه اذا خاف كل واحد من الزوج والمراة ان لا يقيما حدود الله حل الافتداء اللغة المرة والمرتان كالكرة والكرتين واصل المرة المرور خلاف الوقوف والمرة شدة الفتل لاستمرار على الاحكام والامساك خلاف الاطلاق وما بفلان مسكة وتماسك اذا لم يكن فيه خير والممسك البخيل والمسك الاهاب لانه يمسك البدن باحتوايه عليه والمسك السوار لاستمساكه فى اليد والتسريح ماخوذ من السرح وهو الانطلاق وسرح

الماشية فى المرعى سرحا اذا اطلقها ترعى وسرحت الماشيه انطلقت فى المرعى السرحان الذيب لانبساطه السرح والسرحة الشجرة الملتفة لانطلاقها فى وجهة الطول والمسرح المشط لاطلاق الشعر به والسرباح الجراد لانطلاقه فى البلاد وان يخافا معناه ان يظنا قال الشاعر اتانى كلام عن نصيب يقوله وما خفت يا سلام انك عائبى يعنى ما ظننت وانشد الفرا اذا مت فادفنى الى جنب كرمة تروى عظامى بعد موتى عروقها ولا تدفننى فى الفلاة فاننى اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها وقال ابو عبيدة الا ان يخافا معناه يوقنا فان خفتم ههنا فان ايقنتم الاعراب الطلاق رفع بالابتداء مرتان الخبر وقوله فامساك خبر مبتدا محذوف تقديره فالواجب عليكم امساك ولو كان فى الكلام فامساكا بالنصب لكان جائزا على فامسكوهن بمعروف ان يخافا موصول وصلته موضعها نصب بانه مفعول له تقديره مخافتهما وان لا يقيما فى موضع نصب بانه مفعول يخافا تقديره يخافا ترك اقامة حدود الله النزول روى هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة ان امراة اتتها فشكت ان زوجها يطلقها ويسترجعها يضارها بذلك وكان الرجل فى الجاهلية اذا طلق امراته ثم راجعها قبل ان تنقضى عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه واله فنزلت الطلاق مرتان فاين الثالثة قال امساك بمعروف او تسريح باحسان وقوله الا ان يخافا نزل فى ثابت بن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبد الله بن ابى وكان يحبها وتبغضه فقال عليه السلم لها اتردين عليه حديقته فقالت نعم وازيده قال لا حديقته فقط فردت عليه حديقته فقال عليه السلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل فكان اول خلع فى الاسلام المعنى ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال الطلاق مرتان اى الطلاق الذى تملك فيه الرجعة مرتان وفى معناه قولان احدهما انه بيان تفصيل طلاق السنة وهو انه اذا اراد طلاقها ينبغى ان يطلقها فى طهر لم يقربها فيه بجماع تطليقة واحدة ثم يتركها حتى تخرج من العدة او حتى تحيض وتطهر ثم يطلقها ثانية عن ابن عباس ومجاهد والثانى ان معناه البيان عن عدد الطلاق الذى يوجب البينونة مما لا يوجبها وفى الاية بيان انه ليس بعد التطليقتين الا الفرقة البائنة ولفظه الخبر ومعناه الامر اى طلقوا دفعتين وقوله فامساك بمعروف تقديره فالواجب اذا راجعها بعد التطليقتين امساك بمعروف اى على وجه جميل سائغ فى الشريعة لا على وجه الاضرار بهن او تسريح باحسان فيه قولان احدهما انه الطلقة الثالثة والثانى انه ترك المعتدة حتى تبين بانقضاء العدة عن السدى والضحاك وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم ولا يحل لكم خطاب للازواج ان لا تاخذوا فى حال الطلاق والاستبدال مما اتيتموهن اى اعطيتموهن من المهر شيئا ثم استثنى سبحانه الخلع ثم قال الا ان يخافا الا يقيما حدود الله معناه الا ان يغلب على ظنهما ان لا يقيما حدود الله لما بينهما من اسباب التباعد والتباغض وقال ابن عباس هو ان يظهر من المراة النشوز وسوء الخلق بغضا للزوج وقال ابو عبد الله عليه السلم اذا قالت المراة له لا اغتسل لك من جنابة ولا ابر لك قسما ولاوطين فراشك ولادخل عليك بغير اذنك اذا قالت له هذا حل له ان يخلعها وحل له ما اخذ منها وعلى الجملة اذا خاف ان تعصى الله فيه بارتكاب محظور او اخلال بواجب وان لا تطيعه فيما يجب عليها فحينئذ يحل له ان يخلعها وروى مثل ذلك عن الحسن وقال الشعبى هو نشوزها ونشوزه فان خفتم ان لا يقيما حدود الله اى فان ظننتم ان لا يكون بينهما صلاح فى المقام فلا جناح عليهما اى فلا حرج ولا اثم عليهما وهذا يفيد الاباحة وفى قوله عليهما وان كانت الاباحة للزوج وجهان احدهما ان الزوج لو خص بالذكر لاوهم انها عاصية وان كانت الفدية له جائزة فبين الاذن لهما فى ذلك ليزول الايهام عن على ابن عيسى والاخر ان المراد به الزوج وانما ذكر المراة معه لاقترانهما كقوله نسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما هو من الملح دون العذب فجاز للاتساع قال الشيخ ابو جعفر محمد بن الحسن قدس الله روحه وهذا اليق بمذهبنا لان الذى يبيح الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت المراة عاصية واقول ان الذى عندى فى ذلك ان جواز وقوع العصيان منهما هو السبب فى اباحة الخلع ورفع الجناح انما تعلق بالخلع لا باسبابه فالوجه الاول اولى بالاختيار فيما افتدت به اى بذلت من المال واختلف فى ذلك فعندنا ان كان البغض منها وحدها وخاف منها العصيان جاز ان ياخذ المهر وزيادة عليه وان كان منهما فدون المهر وقيل انه يجوز الزيادة على المهر والنقصان من غير تفصيل عن ابن عباس وابن عمر ورجاء بن حيوة وابرهيم ومجاهد وقيل المهر فقط عن الربيع وعطا والزهرى والشعبى ورووه عن على عليه السلم والخلع بالفدية على ثلاثة اوجه احدها ان تكون المراة عجوزا او ذميمة فيضار بها الزوج لتفتدى

فيها

واشق سلامة نظاهر الاية والوجه الاخر مرغوب عنه لعدم دليل من سنن الاستعمال اذ لا يكون الاسلام واحدا فى الحقيقة

نفسها فهذا لا يحل له الفداء لقوله فان اردتم استبدال زوج مكان زوج الايه والثانى ان يرى الرجل امراته على فاحشة فيضار بها لتفتدى نفسها فهذا جائز وهو معنى قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان ياتين بفاحشة مبينة والثالث ان يخافا ان لا يقيما حدود الله لسوء خلق او قلة نفقة من غير ظلم او نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفدية على ما مر تفصيله تلك حدود الله اى اوامره ونواهيه وما نصب من الايات فى الخلع والطلاق والرجعة والعدة فلا تعتدوها اى فلا تجاوزوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله اى يتجاوزها فان يخالف ما حد له فاولئك هم الظالمون واستدل اصحابنا بهذه الاية على ان الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع لانه قال الطلاق مرتان ثم ذكر الثالثة على الخلاف فى انها قوله او تسريح باحسان او قوله فان طلقها ومن طلق ثلثا بلفظ واحد فان لم يات بالمرتين ولا بالثالثة كما انه لما اوجب فى اللعان اربع شهادات فلو اتى بالاربع بلفظ واحد لما اتى بالمشروع ولم يحصل حكم اللعان وكذلك من رمى فى الجمار بسبع حصيات دفعة واحدة لم يجز عنه بلا خلاف فكذلك الطلاق قوله عز وجل فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اية الاعراب موضع ان فى قوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا جر باضمار الجار وتقديره فى ان يتراجعا عن الخليل والكسائى والزجاج وقيل موضعه نصب وهو اختيار الزجاج وباقى النحويين وموضع ان الثانية وهو ان يقيما حدود الله نصب بلا خلاف بظنا وانما جاز حذف فى من ان يتراجعا ولم يجز حذفه من المصدر الذى هو التراجع لطول ان بالصلة كما جاز الذى ضربت زيد لطول الذى بالصلة ولم يجز فى المصدر كما لم يجز فى اسم الفاعل نحو زيد ضارب عمرو يريد ضاربه النزول الزهرى عن عروة عن عايشة قالت جاءت امراة رفاعة القرظى الى رسول الله صلى الله عليه واله فقالت انى كنت عند رفاعة فطلقنى فبت طلاقى فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وما معه مثل هدبة الثوب وانه طلقنى قبل ان يمسنى فارجع الى ابن عمى فتبسم رسول الله صلى الله عليه واله وقال تريدين ان ترجعى الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقى عسيلته وفى قصة رفاعة وزوجته نزل فان طلقها فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره المعنى ثم بين سبحانه حكم التطليقة الثالثة فقال فان طلقها يعنى التطليقة الثالثة على ما روى عن ابى جعفر عليه السلم وبه قال السدى والضحاك وقيل هو تفسير قوله او تسريح باحسان عن مجاهد وهذا على مذهب من جعل التسريح طلاقا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره اى لا تحل هذه المراة اى لا يحل نكاحها لهذا الرجل الذى طلقها حتى تزوج زوجا غيره ويجامعها واختلف فى ذلك فقيل العقد علم بالكتاب والوطى بالسنة عن الجبائى وقيل بل كلاهما علم بالكتاب لان لفظ النكاح يطلق عليهما فكانه قيل حتى تزوج ويجامعها الزوج ولان العقد مستفاد بقوله زوجا والنكاح مستفاد بقوله حتى تنكح وانما اوجب الله تعالى ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المراة على الرجال حتى لا يعجلوا بالطلاق وان يتثبتوا قال ابو مسلم وهذا من الكنايات الفصيحة والايجاز العجيب فان طلقها معناه فان طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما فى ان يتراجعا اى فلا جناح على الزوج وعلى المراة ان يعقدا بينهما عقد النكاح ويعودا الى الحالة الاولى فذكر النكاح بلفظ التراجع ان ظنا ان يقيما حدود الله اى علما وقيل معناه ان ظنا ان يقيما حدود الله فى حسن الصحبة والمعاشرة وانه يكون بينهما الصلاح وتلك اشارة الى الامور التى بينها فى النكاح والطلاق والرجعة حدود الله اوامره ونواهيه يبينها يفصلها لقوم يعلمون خص العالمين بذكر البيان لهم لانهم هم الذين ينتفعون ببيان الايات فصار غيرهم بمنزلة من لا يعتد به ويجوز ايضا ان يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم كما خص جبرئيل وميكائيل بالذكر من بين الملئكة وتدل الاية على انه اذا طلقها الثالثة فلا تحل له الا بعد شرايط الزوج الثانى ووطيه وفرقته وانقضاء عدته وصفة الزوج الذى تحل المراة للزوج الاول ان يكون بالغا ويعقد عليها عقدا صحيحا دائما واختلف فى التحليل على ثلث اقاويل فمنهم من قال اذا نوى التحليل يفسد النكاح ولا تحل للاول عن مالك والاوزاعى والثورى وروى نحوه عن ابى يوسف واحتجوا بقوله صلى الله عليه واله لعن الله المحلل والمحلل له ومنهم من قال اذا لم يشرطه فى العقد حل واذا شرطه يفسد ولا تحل عند الشافعى ومنهم من قال يصح العقد ويبطل الشرط وتحل للاول ولكن يكره ذلك وهو الظاهر من مذهب ابى حنيفة واهل

العراق وقال محمد يصح النكاح ولا تحل الاول وفي قوله فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره دلالة على ان النكاح بغير ولى جايز وان المرأة
لها ان تعقد على نفسها لانه اضاف العقد اليها دون وليها م قوله عز وجل وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ
وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَ
اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اية اللغة الاجل اخر المدة وعاقبة الامور والمراد بالمعروف هنا الحق الذي يدعو اليه العقل
والشرع للمعرفة بصحته خلاف المنكر الذي يزجر عنه العقل او السمع لاستحالة المعرفة بصحته معروف وما لا يجوز المعرفة بصحته منكر
الاعراب فبلغن اجلهن الجملة في موضع جر بالعطف على الجملة قبلها وهي طلقتم النساء مجرورة الموضع باضافة اذا اليها وضرارا نصب على
الحال من الواو في تمسكوهن تقديره لا تمسكوهن مضارين واللام في لتعتدوا يتعلق بتمسكوا او ضرارا وهزوا مفعول ثاني لتتخذوا وما انزل
موصول وصلة في محل النصب بالعطف على نعمة من الكتاب في محل النصب على الحال والعامل فيه اذكروا وذو الحال ما انزل ومن يكون
بمعنى التبيين يعظكم جملة في موضع الحال والعامل فيه انزل المعنى ثم بين سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال اذا طلقتم النساء هذا
خطاب للازواج فبلغن اجلهن البلوغ ههنا بلوغ مقاربة اي قاربن انقضاء العدة لان بعد انقضاء العدة ليس للزوج الامساك
فهذا كما تقول بلغت البلد اذا قربت منه فامسكوهن بمعروف اي راجعوهن قبل انقضاء العدة بما يتعارفه الناس بينهم مما يقبله
النفوس ولا تنكره العقول والمراد بالمعروف ههنا ان يمسكها على الوجه الذي اباحه الله له من القيام بما يجب لها من النفقة وحسن
العشرة وغير ذلك او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا اي لا
تراجعوهن لا لرغبة فيهن بل لطلب الاضرار بهن اما في تطويل العدة او بتضييق النفقة في العدة لتعتدوا اي لتظلموهن ومن
يفعل ذلك اي الامساك للمضارة فقد ظلم نفسه فقد اضر بنفسه وعرضها لعذاب الله ولا تتخذوا ايات الله هزوا اي لا تستخفوا باوامره
ونواهيه وقيل ايات الله قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان واذكروا نعمة الله عليكم فيما اباحه لكم من الازواج
والاموال وما بين من الحلال والحرام وما انزل عليكم من الكتاب يعني القران والحكمة يعني العلوم التي دل عليها والشرايع
التي بينها يعظكم به لتتعظوا فتنزجروا وتفعلوا ما امركم به وتتركوا ما نهاكم عنه واتقوا الله اي معاصيه التي تؤدي الى عقابه وقيل اتقوا
عذابه باتقاء معاصيه واعلموا ان الله بكل شيء عليم من افعالكم وغيرها قوله عز وجل وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ اية اللغة العضل الحبس وقيل هو ماخوذ من المنع وقيل
ماخوذ من الضيق والشدة والامر المعضل الممتنع لصعوبته وعضلت الناقة فهي معضل اذا احتبس ولدها في بطنها وعضلت
الدجاجة اذا احتبس بيضها وتقول عضل المرأة يعضلها ويعضلها عضلا اذا منعها من التزويج ظلما واعضل الداء الاطباء اذا اعياهم
ان يقوموا به وامتنع عليهم بشدته وداء عضال وفلان عضلة من العضل اي داهية من الدواهي الاعراب موضع ان من قوله
ان ينكحن ازواجهن جر عند الخليل والكسائي وتقديره من ان ونصب عند غيرهما بوصول الفعل ذلك يوعظ به مبتدأ وخبر
ومن كان يؤمن بالله في موضع رفع بيوعظ ومنكم في موضع الحال من الضمير في يؤمن النزول نزلت في معقل بن يسار
حين عضل اخته جملا ان ترجع الى الزوج الاول وهو عاصم بن عدي فانه كان طلقها وخرجت من العدة ثم اراد ان يجتمعا بعقد
اخر فمنعها من ذلك فنزلت الاية عن قتادة والحسن وجماعة وقيل نزلت في جابر بن عبد الله وعضل بنت عم له عن السدي والوجهان
لا يصحان على مذهبنا لانه لا ولاية للاخ وابن العم عندنا ولا تاثير لعضلهما فالوجه في ذلك ان تحمل الاية على المطلقين كما في الظاهر
فكانه قال لا تعضلوهن اي لا تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن اضرارا بهن لا رغبة فيهن فان ذلك لا يسوغ في الدين ويجوز
ان يكون العضل محمولا على الجبر والحيلولة بينهن وبين التزويج دون ما يتعلق بالولاية المعنى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
اي انقضت عدتهن فلا تعضلوهن اي لا تمنعوهن ظلما عن التزويج قيل المراد به التخلية وقيل هو خطاب للاولياء ومنع لهم عن عضلهن

وقيل

وقيل خطاب للازواج يعني ان تطلقوهن في السر ولا تظهروا طلاقهن كيلا يتزوجن غيرهم فيبقين لا ممسكات امساك الازواج
ولا مخليات تخلية المطلقات او تطولوا العدة عليهن ان ينكحن ازواجهن اي من رضين بهم ازواجا لهن وقيل الذين كانوا ازواجا
لهن من قبل اذا تراضوا بينهم بالمعروف اي بما لا يكون مستنكرا في عادة ولا خلق ولا عقل وقيل اذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح عن
السدي وقيل اذا تراضيا بالمهر قليلا كان او كثيرا ذلك اشارة الى ما سبق من الامر والنهي يوعظ به يزجر ويخوف به من كان منكم يؤمن
بالله واليوم الاخر انما خصهم بالذكر لانهم الذين انتفعوا به او لانهم اولى بالاتعاظ به وقيل لان الكافر غافل عنه الوعظ لعدم قبوله الا
واعترافه بالله تعالى ذلكم ازكى لكم اي خير لكم وافضل واعظم بركة واحرى ان يجعلكم ازكياء واطهر اي اطهر لقلوبكم من الريبة فانه لعل
في قلبها حبا فاذا منعها من التزويج لم يؤمن ان يتجاوزا الى ما حرم الله وقيل اطهر لكم من الذنوب والله يعلم ما لكم فيه من الصلاح
في العاجل والاجل وانتم لا تعلمون وانتم غير عالمين الا بما اعلمكم وليس لاحد ان يستدل بالاية على ان العقد لا يصح الا بولي لانا قد بينا
ان المراد بالعضل المنع واذا حملنا الاية على انها خطاب للازواج سقط قولهم وهذا اولى لانه لم يجر للاولياء ذكر كما جرى ذكر للمطلقين
قوله عز وجل وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ
ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اية القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير
وقتيبة عن الكسائي لا تضار بالرفع وتشديد الراء وقرا ابو جعفر وحده بتخفيف الراء وسكونها والباقون بتشديدها وفتحها وقرا
ابن كثير وحده ما اتيتم مقصورة الالف والباقون ما آتيتم وكذلك في الروم الحجة من رفع فلان قبله لا يكلف فاتبعه ما قبله
ليكون احسن لتشابه اللفظ فان قلت ان ذلك خبر وهذا امر قيل ان الامر قد يجيء على لفظ الخبر في التنزيل الا ترى الى قوله والمطلقات
يتربصن بانفسهن ويؤكد ذلك ان ما بعده على لفظ الخبر وهو قوله وعلى الوارث مثل ذلك والمعنى ينبغي ذلك فلما وقع موقعه
صار في لفظه ومن فتح جعله امرا وفتح الراء ليكون حركته موافقة لما قبلها وهو الالف فاما قراءة ابي جعفر لا يضار فينبغي ان
يكون اراد لا تضارر كما روي في الشواذ عن ابان عن عاصم الا انه حذف احد الرائين تخفيفا كما قالوا احست في احسست
وظلت ومست في ظللت ومسست ومن قرى اتيتم فالمراد ايتاء المهر كقوله واتيتم احديهن قنطارا وقوله اذا اتيتموهن اجورهن
واما قول ابن كثير فتقديره اذا اسلمتم ما اتيتم نقده او اتيتم سوقه فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ثم حذف الهاء من
الصلة فكانه قال اتيت نقد الف اي بذلته كما يقول اتيت جميلا اي فعلته ويؤيده قول زهير فما يك من خير اتوه فانما توارثه
اباء ابائهم قبل فكما تقول اتيت خيرا فكذلك تقول اتيت نقد الف وقد وقع اتيت موقع اتيت ويجوز ان يكون ما في الاية مصدرا
فيكون التقدير اذا اسلمتم الاتيان والاتيان الماتي مما يبذل بسوق او نقد كقولك ضرب الامير اي مضروبه اللغة
الرضع مص الثدي لشرب اللبن منه يقال رضع يرضع والمصدر الرضع والرضع والرضاع والرضاعة ولئيم راضع يرضع لبن
ناقته من لؤمه لئلا يسمع الضيف صوت الشخب وارضعت المرأة فهي مرضعة وقولهم مرضع بغير هاء ذات رضاع والحول السنة ماخوذ
من الانقلاب في قولك حال الشيء عما كان عليه يحول ومنه الاستحالة في الكلام لانقلابه عن الصواب وقيل اخذ من الانتقال من
قولك تحول عن المكان والكسوة مصدر كسوته ثوبا اي البسته والكسا اي لبس والكسوة اللباس والتكليف الزام المشاق
واصله من الكلف ظهور الاثر لانه يلزمه ما يظهر فيه اثره وتكلف اي تحمل والكلف بالشيء الايلاع به والوسع الطاقة ماخوذ
من سعة المسلك الى الغرض فتمكن لذلك ولو ضاق لعجز عنه والسعة فيه بمنزلة القدرة فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقة و
الفصال الفطام لانفصال المولود عن الاغتذاء بثدي امه الى غيره من الاقوات وفصيلة الرجل بنو ابيه لانفصالهم من اصل
واحد والفصل الفرق والتشاور ماخوذ من الشور وهو اجتناء العسل يقول شرت العسل اشوره شورا اذا اجتنيته من مكانه
والمشورة استخراج الرأي من المستشار لانها تجتنى منه واشار اليه اشارة اومى اليه والمشيرة الاصبع التي تسمى المسبابة لانه يشار بها

والشارة الهيئة واللباس الحسن لانه مما يشار اليه لحسنه والتشوير استخراج سير الدابة كالاجتناء الاعراب عن تراض في موضع الحال
تقديره فان ارادا متراضيين منهما في موضع جر صفة لتراض ان تسترضعوا اولادكم معناه لاولادكم فحذفت اللام لدلالة الاسترضاع
عليه من حيث انه لا يكون الا للاولاد ولا يجوز دعوت زيدا لعمرو وخلاف دعوت زيدا فقط فلا يجوز للالتباس وقوله بالمعروف
جاز ان يتعلق بسلمتم كانه قال اذا اسلمتم بالمعروف ما اتيتم ويجوز ان يتعلق باتيتم على حد قولك اتيته بزيد المعنى لما بين سبحانه
حكم الطلاق عقبه ببيان احكام الاولاد الصغار في الرضاع والتربية وما يجب في ذلك من الكسوة والنفقة فقال والوالدات
اى الامهات يرضعن اولادهن صيغته صيغة الخبر والمراد الامر اى ليرضعن اولادهن كقوله يتربصن بانفسهن وجاز ذلك
للتصرف في الكلام مع رفع الاشكال اذ لو كان خبرا لكان كذبا لجواز ان يرضعن اكثر من حولين واقل وقولك حسبك درهم معناه
اكتف بدرهم تام وقيل هو خبر بمعنى الامر وتقديره والوالدات يرضعن اولادهن حولين في حكم الله الذي اوجبه على عباده فحذف
للدلالة عليه وهذا امر استحباب لا امر ايجاب والمعنى انهن احق برضاعهم من غيرهن بدليل قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى
ثم بين مدة الرضاع فقال حولين كاملين اى عامين تامين اربعة وعشرين شهرا وانما ذكر كاملين وان كانت التثنية تاتي
على استيفاء العدة لدفع الابهام الذي يعرض في الكلام فان الرجل يقول سرت شهرا واقمت عند فلان سنة وان كان قد سار
قريبا من شهر واقام قريبا من سنة وفي هذا بيان لامرين احدهما مندوب والثاني فرض فالمندوب هو ان يجعل الرضاع تمام
الحولين والمفروض هو ان المرضعة يستحق الاجرة في مدة الحولين ولا يستحق فيما زاد عليه واختلف في هذا الحد هل هو لكل مولود
او للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود ولكن لمن ولد بستة اشهر فان ولدت بسبعة اشهر فثلثة وعشرون وان ولدت
لتسعة فاحد وعشرون يطلب بذلك تكملة ثلثين شهرا في الحمل والفصال وعلى هذا يدل ما رواه اصحابنا في هذا الباب لانهم
رووا ان ما نقص عن احد وعشرين شهرا فهو جور على الصبي وقيل ان الحولين حد لكل مولود من غير نقصان ولا زيادة ولا يجوز لهما غير ذلك والرضاع بعد الحولين
لا حكم له في التحريم عندنا وبه قال ابن عباس وابن مسعود واكثر العلماء قالوا المراد بالاية بيان التحريم الواقع بالرضاع ففي
الحولين يحرم وما بعده لا يحرم وقوله لمن اراد ان يتم الرضاعة المفروضة عليه وهذا يدل على ان الارضاع غير مستحق على الام
لانه علقه بالارادة ويدل عليه قوله وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وقال قتادة والربيع فرض الله على الوالدات ان يرضعن
اولادهن حولين ثم انزل الرخصة بعد ذلك فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة يعني ان هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون
ذلك حد محدود وانما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به وعلى المولود له يعني الاب رزقهن يعني الطعام والادام
وكسوتهن يعني لباسهن والمراد رزق الام وكسوتها ما دامت في الرضاعة اللازمة وذلك في المطلقة عن الثوري و
الضحاك واكثر المفسرين بالمعروف يعني على قدر اليسار لانه تعالى علم احوال الناس في الغنى والفقر وجعل حق الحضانة
للام والنفقة على الاب على قدر اليسار ولم يرد به نفقة الزوجات لانه قابلها بالارضاع ونفقة الزوجة لا تجب بسبب الارضاع
وانما تجب بسبب الزوجية وقال بعضهم اراد به نفقة الزوجات وقوله لا تكلف نفس الا وسعها ان لا تلزم الا دون طاقتها
لا تضار والدة بولدها اى لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظا على ابيه فتضر به لان الوالدة اشفق عليه من الاجنبية ولا
مولود له بولده اى لا ياخذه من امه طلبا للاضرار بها فيضر بولده فتكون المضارة على هذا بمعنى الاضرار اى لا تضر الوالدة ولا
الوالد بالولد وانما قال تضار والفعل من واحد لانه لما كان معناه المبالغة كان بمنزلة ان يكون الفعل من اثنين وقيل الضرر
يرجع الى الولد كانه يقول لا يضار كل واحد من الام والاب بالصبي الام بان لا ترضعه والاب بان لا ينفق عليه او بان
ينتزعه من الام والباء زائدة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا والد ولده وقيل معناه لا تضار والدة الزوج بولدها ولو
قيل فجاور لدها الجاز في المعنى وروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام لا تضار والدة بان يترك جماعها خوف الحمل
لاجل ولدها المرتضع ولا مولود له بولده اى لا يمنع نفسها من الاب خوف الحمل فتضر ذلك بالاب وقيل لا تضار والدة بولدها
بان ينزع الولد منها ويسترضع امراة غيرها مع اجابتها الى الرضاع باجرة المثل فعلى هذا يكون معنى بولدها بسبب ولدها ولا

مولود

تزيد لزيد لانه يجوز ان يكون المدعو له مدعوا له اذ معنى دعوت زيدا ح

جور على الصبي قال الثوري وجماعة هو لازم في كل ولد اذا اختلف والداه رجع الى

مولود له اى لا تمتنع هي من الارضاع اذا اعطيت اجرة مثلها وان فعلت استاجر الاب من يرضعه غيرها ولا تمنعه من رؤية الولد فيكون
فيه مضارة بالوالد وقوله بولده بسبب وله ايضا وليس بين هذه الاقوال تناف فالاولى حمل الاية على جميعها وقوله وعلى الوارث
قيل معناه وارث الولد عن الحسن وقتادة والسدي وهو من يرثه اذا مات وقيل وارث الوالد عن قبيصة بن ذويب والاول
اقوى مثل ذلك اى مثل ما كان على الوالد من النفقة والرضاع عن الحسن وقتادة وقيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضارة عن الضحاك
والمفهوم عند اكثر العلماء الامران معا وهو اليق بالعموم واختلفوا في ان النفقة على كل وارث او على بعضهم فقيل هي على العصبات دون
اصحاب الفرائض من الام والاخوة من الام عن عمر بن الخطاب والحسن وقيل على وارث الصبي من الرجال والنساء على قدر النصيب من الميراث
عن قتادة وقيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون من كان ذا رحم ليس بمحرم كابن العم وابن الاخت فيجب على ابن الاخت ولم يجب على
ابن العم وان كان وارثه في تلك الحال عن ابي حنيفة وصاحبيه وقيل على الوارث اى الباقي من ابويه عن سفيان وهو الصحيح عندنا وهو
مذهب الشافعي ايضا لان عنده لا يجبر على نفقة الرضاع الا الوالدان فقط وقد روي ايضا في اخبارنا ان على الوارث كائنا من كان
النفقة وهذا يوافق الظاهر وبه قال قتادة واحمد واسحق وقوله فان ارادا فصالا اى قبل الحولين عن مجاهد وقتادة وهو المروي
عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل قبل الحولين او بعدهما عن ابن عباس عن تراض منهما اى من الاب والام وتشاور يعني اتفاق منهما
ومشاورة وانما شرط تراضيهما وتشاورهما مصلحة للولد لان الوالدة تعلم من تربية الصبي ما لا يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا ويتشاورا
في ذلك ادى الى ضرر الصبي فلا جناح عليهما اى لا حرج عليهما اذا تماسك الولد فان تنازعا رجعا الى الحولين وقوله وان اردتم خطاب
للاباء ان تسترضعوا اولادكم اى لاولادكم اى تطلبوا مراضع لهم غير امهاتهم الرضاع او لعلة بهن من انقطاع لبن او غيره فلا جناح
عليكم اى لا حرج ولا ضيق في ذلك اذا سلمتم ما اتيتم بالمعروف اى سلمتم الى الام اجرة المثل بمقدار ما ارضعت عن مجاهد والسدي
وقيل اذا اسلمتم الاسترضاع عن تواص واتفاق دون الضرار عن ابن شهاب وهذا قول ابن عباس في رواية عطا قال اذا اسلمت امه
ورضي ابوه لعل له غنى يشتري له مرضعا وقيل اذا سلمتم اجرة المسترضعة عن الثوري وقيل اذا سلمتم اجرة الام او الظئر عن ابن
جريج ومعنى قوله اتيتم ضمنتم والتزمتم ثم اوصى بالتقوى فقال سبحانه واتقوا الله يعني معاصيه او عذابه في مجاوزة ما حد لكم واعلموا
ان الله بما تعملون اى باعمالكم بصير اى عليم لا يخفى عليه شيء منها وفي قوله سبحانه لا تكلف نفس الا وسعها دلالة على فساد قول المجبرة
في حسن تكليف ما لا يطاق لانه اذا لم يجز ان يكلف مع عدم الجدة فان لا يكلف مع عدم القدرة احرى فان في الحالين لا سبيل له الى اداء
ما كلف قوله عز وجل والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن
اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير اية القراءة روي في الشواذ عن علي
عليه السلام يتوفون بفتح الياء الحجة قال ابن جني هو على حذف المفعول اى الذين يتوفون اياهم او اجالهم او اعمارهم وحذف المفعول به
كثير في القران وفصيح الكلام اذا كان هناك دليل عليه قال الله تعالى واوتيت من كل شيء اى شيئا قال الحطيئة منعمة تصون اليك
منها كصونك من رداء شرعبي اى تصون الكلام منها وتوفيت الشيء واستوفيته اخذته وافيا اللغة يذر ويدع يترك ولا يستعمل
منها الماضي استغني فيه بترك والعلة في ذلك انهم تركوا الواوات في اول الكلمة حتى انهم لم يلحقوها اولا على جهة الزيادة اصلا الاجل
غاية الوقت في محل الدين ونحو لتاخيره الى ذلك الوقت والاجل نقيض العاجل لتاخيره عن وقت غيره وفعلته من اجل كذا اى
لعاقبة كذا وهي متاخرة عن وقت الفعل والقطيع من بقر الوحش يسمى اجلا وقد تاجل الصوار اى صار اجلا اجلا لتاخر بعضه عن
بعض واجل عليهم شرا اجلا اى جناه لانه اعقبهم شرا والاجلة الاخرة والعاجلة الدنيا والخبير العالم بمخبر الخبر واصله من السهولة
والخبار الارض السهلة واخبرت بالشيء لانه تسهيل لطريق العلم به والخبر الاكار والمخابرة المواكرة وهو ان يزرع على النصف او الثلث
او نحو ذلك تسهيل الزراعة الاعراب الذين يرتفع بالابتداء ويتوفون صلته ومنكم في موضع النصب على الحال من الواو في يتوفون
ويذرون ازواجا عطف على الصلة فهو ايضا من الصلة ويتربصن وما بعده خبر المبتدا واذا كان خبر المبتدا لا يخلو من ان يكون
هو هو او يكون له فيه ذكر فلا يجوز ان يكون هذا الظاهر على الذي هو عليه لخلوه من ضربي خبر الابتداء وقد قيل فيه اقوال احدها

لاولادكم

تبيضه بن ذويب ح

ان تقدير خبر المبتدا ويتربصن بعدهم لان المعنى يتربصن ازواجهم بعدهم اربعة اشهر وعشرا وجاز حذف هذا الذى يتعلق به
الراجع الى المبتدا كما جاز ذلك فى قولهم السمن منوان بدرهم والمعنى على منوان منه بدرهم عن الاخفش و الثانى ان يكون تقديره
ازواجهم يتربصن عن ابى العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتدا الذى هو ازواجهم وساغ هذا الحذف لقيام الدلالة عليه
كما يسوغ حذف المفرد اذا قامت الدلالة عليه وقيام الدلالة على المضاف ان الازواج قد تقدم ذكرهن فساغ اضمارهن وحسن و
اما حذف المضاف اليه فلاقتضاء المبتدا الراجع اليه وقد جاء المبتداء المضاف محذوفا كما جاء المفرد وذلك قوله عز اسمه لا
يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل اى تقلبهم متاع والثالث ان يكون تقديره يتربصن ازواجهم ثم كنى عن الازواج عن الكسائى
وانما قال وعشرا فالتانيث تغليبا لليالى على الايام اذا اجتمعت فى التاريخ لان ليلة كل يوم قبله كما قيل لخمس بقين وقد علم المخاطب
ان الايام داخلة مع الليالى وانشد سيبويه فطافت ثلثا بين يوم وليلة يكون النكير ان تضيف وتجارا فيما فعلن مما مع صلته فى
موضع الجر بفى والجار والمجرور فى موضع النصب على الحال المعنى لما بين سبحانه عدة المطلقات بين عدة الوفاة فقال والذين يتوفون
منكم اى يقبضون ويموتون ويذرون ازواجا اى نساء يتربصن بانفسهن اى ينتظرن انقضاء العدة ويحبسن انفسهن عن التزوج
معتدات اربعة اشهر وعشرا اى وعشر ليال وعشرة ايام وهذه عدة المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولا بها او غير مدخول بها حرة
كانت او امة فان كانت حبلى فعدتها ابعد الاجلين من وضع الحمل اى مضى اربعة اشهر وعشر و وافقنا فى عدة الامة الاصم وخالف
باقى الفقها فى ذلك فقالوا عدتها نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام واليه ذهب قوم من اصحابنا وقالوا فى عدة الحامل انها بوضع الحمل
وان كان بعد على المغتسل وروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابى مسعود البدرى والجمهور وعندنا ان وضع الحمل يخص عدة المطلقة
والذى يجب على المعتدة فى عدة الوفاة اجتنابه هو الزينة والكحل بالاثمد وترك النقلة عن المنزل عن ابن عباس والزهرى والامتناع
من التزوج لا غير عن الحسن واحدى الروايتين عن ابن عباس وعندنا ان جميع ذلك واجب فاذا بلغن اجلهن اى اخر العدة
بانقضائها فلا جناح عليكم قيل انه خطاب للاولياء وقيل لجميع المسلمين لانه يلزمهم منعها عن التزوج فى العدة وقيل معناه لا جناح على النساء
وعليكم فيما فعلن فى انفسهن من النكاح واستعمال الزينة التى لا ينكر مثلها وهذا معنى قوله بالمعروف وقيل معنا قوله بالمعروف ما
يكون جايزا وقيل معناه النكاح الحلال عن مجاهد والله بما تعملون خبير اى عليم وهذه الاية ناسخة لقوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج وان كانت متقدمة عليه فى التلاوة **قوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما عرضتم
به من خطبة النساء او اكننتم فى انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا
ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور
حليم اية** فى الكوفى وايتان فى غيرهم ترك قولا معروفا الكوفى **اللغة** التعريض ضد التصريح وهو ان تضمن الكلام دلالة على ما تريد و
اصله من العرض للشئ الذى هو جانبه وناحية منه وفى الحديث من عرض عرضنا ومن مشا على الكلاء القيناه فى النهر ومعناه من عرض بالقذف
عرضنا له بتاديب لا يبلغ الحد ومن صرح القيناه فى نهر الحد والفرق بين التعريض والكناية ان التعريض تضمين الكلام دلالة على شئ ليس فيه
ذكر له والكناية العدول عن الذكر الاخص بالشئ الى ذكر يدل عليه فالاول كقول القايل ما اقبح البخل يعرض بان المخاطب بخيل والثانى كقولك
زيد ضربته كنيت عنه بالهاء والخطبة الذكر الذى يستدعى به الى عقد النكاح اخذ من الخطاب وهو توجيه الكلام للافهام والخطبة الوعظ
المتسق على ضرب من التاليف وقيل الخطبة ما له اول واخر مثل الرسالة والخطبة للحال نحو الجلسة والقعدة والاكنان الستر للشئ والكن الستر ايضا
والفرق بين الاكنان والكن ان الاكنان الاضمار فى النفس ولا يقال كننته فى نفسى والكن فى معنى الصون وفى التنزيل بيض مكنون و
الكانون يحتاج اليه فى وقت الاكتنان من البرد والكنانة الجعبة الصغيرة تتخذ للنبل والسر فى اللغة على ثلاثة اوجه الاخفاء فى النفس والشرف
فى الحسب يقال فلان فى سر قومه اى فى صميمهم والجماع فى الفرج قال امرء القيس الا زعمت بسباسة اليوم اننى كبرت وان لا يشهد السر
امثالى و قال الاعشى ولا تنكحن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا والعزم عقد القلب على امر يفعله وفى الحديث خير الامور عوازمها
يعنى ما وكدت عزمك عليه والعقدة من العقد وهو الشد المثل يا عاقدا اذكر حلا وعقد اليمين خلاف اللغو **الاعراب** فيما عرضتم الجار والمجرور

فى موضع الحال وكذا قوله من خطبة النساء ان تقولوا فى موضع نصب بدل من سرا تقديره لا تواعدوهن الا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة
النكاح اى على عقدة النكاح فحذف على استخفافا كما قالوا ضرب زيد الظهر والبطن معناه على الظهر والبطن قال سيبويه ان الحذف فى
هذه الاشياء لا يقاس عليه **المعنى** لما تقدم ذكر عدة النساء وجواز الرجعة فيها للازواج عقبه ببيان حال غير الازواج فقال ولا
جناح عليكم اى لا حرج ولا ضيق عليكم يا معشر الرجال فيما عرضتم به من خطبة النساء المعتدات ولا تصرحوا به وذلك بان تذكروا ما يدل
على رغبتكم فيها ثم اختلف فى معناه فقيل التعريض هو ان يقول الرجل للمعتدة انى اريد النكاح وانى احب امراة من صفتها كذا وكذا فيذكر بعض
الصفات التى هى عليها عن ابن عباس وقيل هو ان يقول انك لنافعة وانك لموافقة وانك لمعجبة جميلة وان قضى الله شيئا كان عن
القسم بن محمد والشعبى وقيل هو كل ما كان من الكلام دون عقد النكاح عن ابن زيد او اكننتم فى انفسكم اى اسررتم واضمرتم فى
انفسكم من نكاحهن بعد مضى عدتهن وقيل هو اسرار العزم دون اظهاره والتعريض اظهاره عن مجاهد وابن زيد علم الله انكم ستذكرونهن
برغبتكم فيهن وخوفا منكم ان يسبقكم اليهن غيركم فاباح لكم ذلك ولكن لا تواعدوهن سرا فيه اقوال احدها ان معناه لا تواعدوهن
فى السر لانها اجنبية والمواعدة فى السر تدعو الى ما لا يحل وثانيها ان معناه الزنا عن الحسن وابرهيم وقتادة وقالوا كان الرجل يدخل
على المراة من اجل الزينة وهو معرض بالنكاح فنهوا عن ذلك وثالثها انه العهد على الامتناع من تزويج غيرك عن ابن عباس و
سعيد بن جبير ورابعها هو ان يقول لها انى ناكحك فلا تفوتينى بنفسك عن مجاهد وخامسها ان السر هو الجماع فمعناه لا تصفوا انفسكم بكثرة
الجماع ولا تذكروه عن جماعة وسادسها انه اسرار عقدة النكاح فى السر عن عبد الرحمن بن زيد ويجمع هذه الاقوال ما روى عن الصادق
عليه السلم انه قال لا تصرحوا لهن النكاح والتزويج قال ومن السر ان يقول لها موعدك بيت فلان الا ان تقولوا قولا معروفا يعنى التعريض الذى
اباحه الله تعالى والا بمعنى لكن لان ما قبله هو المنهى عنه وما بعده هو الماذون فيه وتقديره ولكن قولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة
النكاح اى على عقدة النكاح يعنى لا تبتوا النكاح ولا تعقدوا عقدة النكاح فى العدة ولم يرد به النهى عن العزم على النكاح بعد العدة لانه اباح
ذلك بقوله او اكننتم حتى يبلغ الكتاب اجله معناه حتى تنقضى العدة بلا خلاف وقيل الكتاب هو القران والمعنى حتى يبلغ الفرض اجله
وعبر بالكتاب عن الفرض كما يقال كتب اى فرض وهذا لان ما كتب فقد اثبت فقد اجتمعا فى معنى الثبوت وقيل ان هذا تشبيه للعدة
بالدين المؤجل المكتوب اجله فى كتاب فكما يتاخر المطالبة بذلك الدين حتى يبلغ الكتاب اجله فكذلك يتاخر خطبة النكاح فى العدة
الى انقضاء العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من اسراركم وضمايركم فاحذروه فاتقوا عقابه ولا تخالفوا امره واعلموا ان الله غفور
لعباده حليم يمهل العقوبة للمستحقه فلا يعجل بها **قوله عز وجل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا
لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين اية القراءة** قرا حمزة
والكسائى تماسوهن بضم التاء وبالف ههنا موضعان وفى الاحزاب وقرا الباقون تمسوهن وقرا ابو جعفر واهل الكوفة الا ابا بكر
وابن ذكوان قدره بفتح الدال فى الموضعين والباقون باسكانها **الحجة** حجة من قرا تمسوهن قوله تعالى ولم يمسسنى بشر ولم يطمثهن
وانكحوهن والنكاح عبارة عن الوطى قال جرير التاركون على طهر نساءهم والناكحون بشطى دجلة البقرا وحجة من قرا ولا تماسوهن
ان فاعل وفعل قد يراد بكل واحد منهما ما يراد بالاخر وذلك نحو طارقت النعل وعاقبت اللص وقال ابو الحسن يقال هو القدر و
القدر وهم يختصمون فى القدر والقدر قال الشاعر الا يا لقوم للنوايب والقدر وخذ منه بقدر كذا وقدر كذا لغتان وفى كتاب
الله تعالى فسالت اودية بقدرها وقدرها وعلى الموسع قدره وقدره وما قدروا الله حق قدره لو حركت كان جايزا وكذلك انا كل شئ
خلقناه بقدر لو خففت جاز الا ان رؤس الاى كلها متحركة فيلزم الفتح لان ما قبلها مفتوح **اللغة** الموسع الذى يكون فى سعة لغناه
والمقتر الذى يكون فى ضيق لفقره يقال اوسع الرجل اذا اكثر ماله واتسعت حاله واقتر اذا افتقر وقترت الشئ اقتره قترا وقترته تقتيرا
اذا ضيقت للانفاق منه والقتار دخان الشحم على النار لقلته بالاضافة الى بقيته والمقتر الغبار والقتير مسامير الدرع لقلتها وصغرها
والقتير ابتداء الشيب لقلته ويجوز ان يكون مشبها بالدخان اول ما يرتفع والقترة ناموس الصايد لانها كالقتار واصل الباب الاقلال
وقدرت الشئ اقدره قدرا وقدرت على الشئ اقدر عليه قدرة وقدورا **الاعراب** ما لم تمسوهن موصول وصلته فى موضع نصب تقديره

مدة ترك المس فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه والعامل فى الظرف طلق وجواب الشرط محذوف تقديره ان طلقتم النساء
فلا جناح عليكم متاعا انتصب على احد وجهين اما ان يكون حالا من قدره والعامل فيه الظرف اى ممتعا متاعا واما على المصدر اى
متعوهن متاعا وحقا ينتصب ايضا على احد وجهين اما ان يكون حالا من قوله بالمعروف والعامل فيه معنى عرف حقا واما ان يكون
على التاكيد لجملة الخبر كم به حقا واحقه حقا او حق ذلك عليهم حقا كانه قال ايجابا على المحسنين المعنى ثم بين سبحانه حكم الطلاق
قبل الفرض والمسيس فقال لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن هذا اباحة للطلاق قبل المسيس وفرض المهر ورفع الاثم عن
الطلاق قبل الدخول لئلا يتوهم احد ان الطلاق فى هذه الحالة محظور والمس كناية عن الوطى والمفروض صداقها داخلة فى دلالة
الاية وان لم تذكر لان التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن او لم تفرضوا لهن فريضة لان او تنبئ عن ذلك اذ لو كان على الجمع لكان بالواو
والمراد بالفريضة الصداق بلا خلاف لانه يجب بالعقد للمراة فهو فرض لوجوبه بالعقد ومعناه او لم تقدروا لهن مهرا مقدرا وانما خص
التى لم يدخل بها بالذكر فى رفع الجناح دون المدخول بها وان كان حكمها واحدا لامرين احدهما لازالة الشك على ما قدمناه والثانى
لان له ان يطلق التى لم يدخل بها اى وقت شاء بخلاف المدخول بها فانه لا يجوز ان يطلقها الا فى طهر لم يجامعها فيه ومتعوهن اى اعطوهن
من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتمتع به على الموسع قدره اى على الغنى الذى هو فى سعة لغناه على قدر حاله وعلى المقتر قدره
اى على الفقير الذى هو فى ضيق بقدر امكانه وطاقته والمتعة خادم او كسوة او ورق عن ابن عباس والشعبى والربيع وهو المروى عن
ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وهو مذهب الشافعى وقيل هى مثل نصف صداق تلك المراة المنكوحة عن ابى حنيفه واصحابه ثم اختلف
فى ذلك فقيل انما تجب المتعة للتى لم يسم لها صداق خاصة عن سعيد بن المسيب وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله وهو مذهب
ابى حنيفه واصحابه وقيل المتعة لكل مطلقة الا المختلعة والمبارية والملاعنة عن الزهرى وسعيد بن جبير وابى العاليه وقيل المتعة
لكل مطلقة سوى المطلقة المفروض لها اذا طلقت قبل الدخول فانما لها نصف الصداق ولا متعة لها عن ابن عمر ونافع وعطاء وهو مذهب
الشافعى وقد رواه اصحابنا ايضا وذلك محمول على الاستحباب وقوله متاعا اى ومتعوهن متاعا بالمعروف اى وسطا ليس فيه اسراف
ولا تقتير وقيل متاعا معتبرا بحال الرجل فى اليسار والاقتار وقيل معتبرا بحالهما جميعا اذ لا يسوى بين حرة شريفة وبين معتقة لكون
ذلك خارجا عن المتعارف عن القاضى وقال اهل المدينة يؤمر الزوج به من غير ان يجبر عليه وعندنا يجبر عليه وبه قال اهل العراق
حقا على المحسنين اى واجبا على الذين يحسنون الطاعة ويجتنبون المعصية وانما خص المحسنين بذلك تشريفا لهم لانه لا يجب على غيرهم
ودل ذلك على وجوب الاحسان على جميعهم فان على كل انسان ان يكون محسنا فهو كقوله هدى للمتقين وقيل معناه من اراد الحسن
فهذا حقه وحكمه وطريقه عن ابى مسلم هذا كله فى المطلقة فاما المتوفى عنها زوجها اذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث وعليها
العدة اجماعا وقال اكثر الفقهاء لها صداق مثلها وحكى ابو على الجبائى عن بعض الفقهاء انه قال لا مهر لها وهو الذى يليق بمذهبنا لانه
لا نص لاصحابنا فى ذلك قوله عز وجل وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ
إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اية القراءة روى فى الشواذ عن الحسن او يعفو الذى بيده بسكون الواو وعن على عليه السلام ولا تناسوا الفضل الحجة
قال ابن جنى سكون الواو من المضارع فى موضع النصب قليل وسكون الياء فيه اكثر واصل السكون فى هذا انما هو الالف خوان يسعى
ثم شبهت الياء بالالف لقربها منها نحو قوله كان ايديهن بالموماة ايدى جوار بتن ناعمات وقوله كان ايديهن بالقاع القرق ثم شبهت
الواو فى ذلك بالياء قال الاخطل اذا شئت ان تلهو ببعض حديثها رفعن وانزلن القطين المولد او قال ابى الله ان اسمو بام ولا اب
واما قوله تناسوا فانما هو نهى عن فعلهم الذى اختاروه وتظاهروا به كما يقال تغافل وتصام وحسن هذه القراءة انك انما تنهى
الانسان عن فعله والنسيان ظاهره ان يكون من فعل غيره كانه انسى فنسى قال الله تعالى وما انسانيه الا الشيطان الاعراب فنصف
ما فرضتم رفع تقديره فعليكم نصف ما فرضتم وقوله يعفون فى موضع نصب بان الا ان فعل المضارع اذا اتصل به نون ضمير جماعة المؤنث
بنى فيستوى فى الرفع والنصب والجزم وان يعفون موصول وصلة فى محل النصب على الاستثناء ويعفو تقديره او ان يعفو وهو فى محل

النصب بالعطف على الموصول والصلة قبلها وان تعفوا فى موضع رفع بالابتداء واقرب خبره وتقديره والعفو اقرب للتقوى اللام
يتعلق باقرب وهو بمعنى من او الى والالف واللام فى النكاح بدل من الاضافة اذ المعنى او يعفو الذى بيده عقدة نكاحه ومثله
قوله فان الجنة هى الماوى ومعناه هى ماواه المعنى ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال وان طلقتموهن يعنى
ان طلقتم ايها الرجال النساء من قبل ان تمسوهن اى تجامعوهن وقد فرضتم لهن فريضة اى اوجبتم لهن صداقا وقدرتم مهرا
فنصف ما فرضتم اى فعليكم نصف ما قدرتم وهو المهر المسمى الا ان يعفون يعنى الحراير البالغات غير المولى عليهن لفساد عقولهن اى
يتركن ما يجب لهن من نصف الصداق فلا يطالبن الازواج بذلك عن ابن عباس ومجاهد وساير اهل العلم او يعفو اى يترك ويهب الذى
بيده عقدة النكاح قيل هو الولى عن مجاهد وعلقمة والحسن وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام وهو مذهب الشافعى
غير ان عندنا الولى هو الاب او الجد مع وجود الاب الادنى على البكر غير البالغ فاما من عداهما فلا ولاية له الا بتوليتها اياه وقيل
هو الزوج ورووه عن على وسعيد بن المسيب وشريح وابرهيم وقتادة والضحاك وهو مذهب ابى حنيفه ورواه ايضا اصحابنا
غير ان الاول اظهر وهو المذهب ومن جعل العفو للزوج قال له ان يعفو عن جميع النصف ومن جعله للولى من اصحابنا قال له ان
يعفو عن بعضه وليس له ان يعفو عن جميعه فان امتنعت المراة عن ذلك لم يكن لها ذلك اذا اقتضته المصلحة عن ابى عبد الله و
ان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للزوج والمراة جميعا عن ابن عباس وللزوج وحده عن الشعبى قال وانما جمع لانه خطاب لكل زوج
وقول ابن عباس اقوى لعمومه وانما كان العفو اقرب للتقوى من وجهين احدهما ان من ترك لغيره حق نفسه كان
اقرب الى ان لا يظلم غيره بطلب ما ليس له والثانى ان معناه اقرب الى اتقاء معصية الله تعالى لان من ترك حق نفسه كان اقرب
الى ان لا يعصى الله تعالى بطلب ما ليس له ولا تنسوا الفضل بينكم اى لا تتركوا الاخذ بالفضل والاحسان بينكم والافضال فتاخذوا بمر الحكم
واستيفاء الحقوق على الكمال بين الله سبحانه فى هذه الاية الحكم الذى لا يعذر احد فى تركه وهو انه ليس للزوج ان ينقصها من نصف
المهر ولا للمراة ان تطالبه بالزيادة ثم بين طريق الفضل من الجانبين وندب اليه وحث عليه ان الله بما تعملون اى باعمالكم
بصير اى عليم وروى عن سعيد بن المسيب ان هذه الاية ناسخة لحكم المتعة فى الاية الاولى قال ابو القسم البلخى وهذا ليس بصحيح لان
الاية تضمنت حكم من لم يدخل بها ولم يسم لها مهرا اذا طلقها واحد الحكمين غير الاخر واقول اذا بينا ان الاية الاولى انها تناولت
المطلقات غير المدخول بهن سواء فرض لهن المهر او لم يفرض وقلنا ان متعوهن لا يحمل على العموم اذ لا متعة لمن فرض لها المهر وان
لم يدخل بها فلا بد من تخصيص فيه وتقديره حذف اى ومتعوا من طلقتم منهن ولم تفرضوا لهن فريضة وانما جاز هذا الحذف لدلالة ذكر
من فرض لها المهر وحكمها من الاية الاخرى عليه وهذا ما سنح لى ههنا ولم ار احدا من المفسرين تعرض لذكره وبالله التوفيق
قوله عز وجل حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ اية اللغة الحفظ ضبط الشى فى النفس ثم تشبه به ضبطه
بالمنع من الذهاب والحفظ خلاف النسيان واحفظه اغضبه لانه حفظ عليه ما يكرهه ومنه الحفيظة الحمية والحفاظ المحافظة
الوسطى تانيث الاوسط وهو الشى بين الشيئين على جهة الاعتدال واصل القنوت الدوام على امر واحد وقيل اصله الطاعة وقيل
اصله الدعاء فى حال القيام قال على بن عيسى والاول احسن لحسن تصرفه فى الباب لان المداوم على الطاعة قانت وكذلك المداوم
فى صلاته على السكوت الا عن الذكر المشروع وكذلك المداوم على الدعاء ويقال فلان يقنت عليه اى يدعو عليه دائما النزول
عن زيد بن ثابت ان النبى صلى الله عليه واله كان يصلى بالهاجرة وكانت اثقل الصلوات على اصحابه فلا يكون وراءه الا الصف
او الصفان فقال عليه السلم لقد هممت ان احرق على قوم لا يشهدون الصلوة بيوتهم فنزلت هذه الاية المعنى لما حث الله سبحانه
على الطاعة حض الصلوة بالمحافظة عليها لانها اعظم الطاعات فقال حافظوا على الصلوات اى داوموا على الصلوات المكتوبات
فى مواقيتها بتمام اركانها ثم خص الوسطى تفخيما لشانها فقال والصلوة الوسطى كقوله سبحانه من كان عدوا لله وملائكته
ثم قال وجبريل وميكائيل اى والصلوة الوسطى خاصة فداوموا عليها ثم اختلف فى الصلوة الوسطى على اقوال احدها انها
صلوة الظهر عن زيد بن ثابت وابن عمر وابى سعيد الخدرى واسامة وعايشة وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله

عليهما السلم وهو قول ابى حنيفه واصحابه وذكر بعض ائمة الزيديه انها الجمعة يوم الجمعة والظهر ساير الايام ورواه عن على
عليه السلم ويدل عليه سبب نزول الاية وانها وسط النهار واول صلوة فرضت وروى عن على بن ابى طالب قال قال النبى
عليه السلم ان لله فى السماء الدنيا حلقة تزول فيها الشمس فاذا زالت الشمس سبح كل شئ لربنا فامر الله تعالى بالصلوة فى تلك
الساعة وهى الساعة التى تفتح فيها ابواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر ويستجاب فيها الدعاء وثانيها انها صلوة العصر عن ابن
عباس والحسن وروى ذلك عن على وابن مسعود وقتادة والضحاك وروى ذلك عن ابى حنيفه وروى مرفوعا الى النبى
عليه السلم قالوا لانها بين صلاتى النهار وصلاتى الليل وانما خصت بالذكر لانها تقع فى وقت اشتغال الناس فى غالب الامر
وروى عن النبى عليه السلم انه قال الذى يفوته صلوة العصر وكانما وتر اهله وماله وروى بريدة قال قال رسول الله عليه السلم
بكروا بالصلوة فى يوم الغيم فانه من فاتته صلوة العصر حبط عمله وثالثها انها المغرب عن قبيصة بن ذويب قال لانها وسط
فى الطول والقصر بين الصلوات وروى الثعلبى باسناده عن عايشه قالت قال رسول الله صلى الله عليه واله ان افضل
الصلوات عند الله صلوة المغرب لم يحطها الله عن مسافر ولا مقيم فتح الله بها صلوة الليل وختم بها صلوة النهار فمن صلى المغرب وصلى
بعدها ركعتين بنى الله له قصرا فى الجنة ومن صلى بعدها اربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين او اربعين سنة ورابعها انها صلوة
العشاء الاخرة عن بعضهم قال لانها بين صلوتين لا تقصران وروى عن النبى عليه السلم انه قال من صلى العشاء فى جماعة كان
كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة وخامسها انها صلوة الفجر عن معاذ وابن عباس وجابر بن عبد الله
وعطا وعكرمة ومجاهد وهو قول الشافعى قالوا لانها بين صلوتى الليل وصلوتى النهار وبين الظلام والضياء ولانها صلوة
لا تجمع مع غيرها فهى منفردة بين مجتمعين ويدل عليه من التنزيل قوله وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا يعنى تشهده ملئكة
الليل وملائكة النهار وهو مكتوب فى ديوان الليل وديوان النهار قالوا ويدل عليه اخر الاية وقوموا لله قانتين يعنى وقوموا فيها
لله قانتين قال ابو رجا العطاردى صلى بنا ابن عباس فى مسجد البصرة صلوة الغداة فقنت بنا قبل الركوع ورفع يديه فلما فرغ قال
هذه الصلوة الوسطى التى امرنا ان نقوم فيها قانتين اورده الثعلبى فى تفسيره وروى باسناده مرفوعا الى انس بن مالك
قال ما زال رسول الله يقنت فى صلوة الغداة حتى فارق الدنيا وسادسها انها احدى الصلوات الخمس لم يعينها الله سبحانه واخفاها
الله فى جملة الصلوات المكتوبة ليحافظوا على جميعها كما اخفى ليلة القدر فى ليالى شهر رمضان واسمه الاعظم فى جميع الاسماء وساعة
الاجابة فى ساعات الجمعة عن الربيع بن خثيم وابى بكر الوراق وقوموا لله قانتين قال ابن عباس معناه داعين والقنوت هو الدعا
فى الصلوة فى حال القيام وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم وقيل معناه مطيعين عن الحسن وسعيد بن جبير و
قتادة والضحاك وطاوس واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل معناه خاشعين عن مجاهد قال نهوا عن العبث والالتفات
فى الصلوة وقيل ساكتين عن ابن عباس مسعود وزيد بن ارقم والاصل فيه الاتيان بالدعاء او غيره من العبادات فى حال القيام
ويجوز ان يطلق فى ساير الطاعات فانه وان لم يكن فيه القيام الحقيقى فان فيه القيام بالعبادة **قوله عز وجل فان خفتم فرجالا
او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون اللغة** الرجال جمع راجل مثل تجار وصحاب وقيام
فى جمع تاجر وصاحب وقائم والراجل هو الكائن على رجله واقفا كان او ماشيا والركبان جمع راكب كالفرسان جمع فارس وكل
شئ علا شيئا فقد ركبه والركاب المطى وركبت الرجل اركبه ركبا اى ضربته بركبتى واصبت ركبته ايضا وهذا قياس فى جميع الاعضا
نحو رأسته وبطنته وظهرته **الاعراب** رجالا منصوب على الحال تقديره فصلوا رجالا كما علمكم الكاف يتعلق باذكروا وما
مصدرية فيما علمكم وقوله ما لم تكونوا تعلمون موصول وصلة فى موضع المفعول الثانى لعلم **المعنى** لما قدم سبحانه وجوب المحافظة على
الصلوة عقبه بذكر الرخصة عند المخافة فقال فان خفتم اى لم يمكنكم ان يقوموا قانتين موفين الصلوة حقها للخوف عرض لكم فرجالا
اى فصلوا رجالا على ارجلكم وقيل مشاة او ركبانا اى على ظهور دوابكم عنى به صلوة الخوف وصلاة الخوف من العدو ركعتان كما ان
ركعتان فى السفر والحضر الا المغرب فانها ثلث ركعات وروى ان عليا عليه السلم صلى ليلة الهرير خمس صلوات بالايماء وقيل بالتكبير

وان النبى عليه السلم صلى يوم الاحزاب ايماء فاذا امنتم من الخوف فاذكروا الله اى فصلوا صلوة الامن وقيل اذكروا الله بالثناء
عليه والحمد لله كما علمكم من امور دينكم وغير ذلك من امور دنياكم ما لم تكونوا تعلمون **قوله عز وجل والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن
من معروف والله عزيز حكيم اية القراءة** قرا اهل الكوفه وابن كثير والكسائى وابو بكر عن عاصم وصية بالرفع والباقون
بالنصب **الحجة** قال ابو على حجة من قرا وصية بالرفع انه يجوز ان يرتفع من وجهين احدهما ان يكون مبتدا والظرف خبره وحسن الابتداء
بالنكرة لانه موضع تخصيص كما حسن ان يرتفع سلام عليك وخير بين يديك ونحو قوله للملتمس المعروف اهل ومرحب لانها فى موضع
دعاء فجاز فيها الابتداء بالنكرة كما كان معناها كمعنى المنصوب والاخر ان يضمر له خبر فيكون لازواجهم صفة وتقدير الخبر المضمر فعليهم
وصية لازواجهم ومن نصب وصية حمله على الفعل اى ليوصوا وصية ويكون قوله لازواجهم وصفا كما كان فى قول من اضمر الخبر كذلك
ومن حجتهم ان الظرف اذا تاخر من النكرة كان استعماله صفة اكثر واذا كان خبرا تقدم على النكرة اذا لم يكن فى معنى المنصوب كقوله
تعالى ولهم اعمال من دون ذلك ولدينا مزيد واذا تاخرت فالاكثر فيها ان يكون صفات وقال بعضهم لا يجوز غير الرفع لانه لا يمكن الوصية
بعد الوفاة ولان فرض النفقه كان لهن اوصى او لم يوص قال على بن عيسى وهذا غلط لان المعنى والذين يحضرهم الوفاة منكم فلذلك
قال يتوفون على لفظ الحاضر الذى سيطاول نحو قولك الذين يصلون فليعرضوا عن الذكر فيما يشغلهم فاما قوله ان الفرض كان لهن
وان لم يوصوا فغير صحيح لان الزوج اذا فرط فى الوصية فلا ينكر ان يوجبه الله فى الورثة وقال قتادة والسدى كان يجب على الزوج
الوصية لها كما اوجب الوصية للوالدين والاقربين وقوله متاعا نصب على وجهين احدهما انه على تقدير متعوهن متاعا والثانى جعل
الله لهن ذلك متاعا لان ما قبله دل عليه وقوله غير اخراج منصوب على وجهين احدهما ان يكون صفة لمتاع والثانى ان يكون مصدرا
فيكون مصدرا وضع موضع الحال قال الفراء هو كقولك جئتك غير رغبة اليك فكانه قال متعوهن متاعا من مساكنهن واقول ان
تقديره غير مخرجات اخراجا فيكون ذو الحال هن من متعوهن ويجوز ان يكون تقديره غير مخرجين اخراجا فيكون ذو الحال الواو
من متعوهن **المعنى** والذين يتوفون منكم اى الذين يقاربون الوفاة منكم لان المتوفى لا يؤمر ولا ينهى ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم اى فليوصوا وصية لهن ومن رفع فمعناه وصية من الله لازواجهم اى عليهم وصية لهن متاعا الى الحول يعنى ما ينتفعن
به حولا من النفقة والكسوة والسكنى وقيل هو مثل المتعة فى المطلقات وكان واجبا فى المتوفى عنها زوجها بالوصية من مال الزوج
غير اخراج اى لا يخرجن من بيوت الازواج فان خرجن بانفسهن قبل الحول من غير ان يخرجهن الورثة وقيل ان المراد اذا خرجن
بعد مضى الحول وقد مضت العدة وان عصى اذا عن القاضى وغيره فلا جناح عليكم يا معشر اولياء الميت فيما فعلن فى انفسهن من
معروف اختلفوا فى رفع الجناح قيل لا جناح فى قطع النفقة والسكنى عنهن عن الحسن والسدى قالوا وهذا دليل على سقوط النفقة
بالخروج وان ذلك كان واجبا لهن بالاقامة الى الحول فان خرجن قبله بطل الحق الذى وجب لهن بالاقامة وقيل لا جناح عليكم فى
ترك منعهن من الخروج لان مقامها سنة فى البيت غير واجب ولكن خيرها الله تعالى فى ذلك عن الجبائى وقيل لا جناح عليكم ان
تزوجن بعد انقضاء العدة وهذا اوجه وتقديره اذا خرجن من العدة بانقضاء السنة فلا حرج ان تزوجن وقوله من معروف
يعنى طلب النكاح والتزين والله عزيز قادر لا يعجزه شئ حكيم لا يصدر منه الا ما يقتضيه الحكمة واتفق العلماء على ان هذه الاية
منسوخة وقال ابو عبد الله عليه السلم كان الرجل اذا مات انفق على امراته من صلب المال حولا ثم اخرجت بلا ميراث ثم نسختها
اية الربع والثمن فالمراة ينفق عليها من نصيبها وعنه عليه السلم قال نسختها يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ونسختها اية
المواريث **قوله عز وجل وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون
اثنان الاعراب** الوجه فى انتصاب قوله حقا مثل ما قلناه فيما مر فى قوله حقا على المحسنين كذلك الكاف يتعلق بيبين اى
مثل هذا البيان يبين لكم **النزول** قيل لما نزلت ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال بعضهم ان احببت فعلت
وان لم ارد ذلك لم افعل فانزل الله سبحانه هذه الاية عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم **المعنى** لما بين سبحانه بيان احوال المعتدات

عقبه ببيان ما يجب لهن من المتعة فقال وللمطلقات متاع بالمعروف اختلف فيه فقال سعيد بن جبير وابو العالية والزهرى ان المراد
بهذا المتاع المتعة وان المتعة واجبة لكل مطلقة وقال ابو على الجبائى المراد به النفقة وهو المتاع المذكور فى قوله متاعا الى الحول وقال
سعيد بن المسيب الاية منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم وعندنا انها مخصوصة بتلك الاية ان نزلتا معا وان كانت تلك متاخرة فمنسوخة
لان عندنا لا تجب المتعة الا للمطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها مهر فاما المدخول بها فلها مهر مثلها ان لم يسم لها مهر وان سمى
لها مهر فما سمى لها وغير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر ولا متعة فى هذه الاحوال وبه قال الحسن فلا بد من تخصيص هذه الاية
وذكرنا الكلام بالمتعة عند قوله ومتعوهن وقوله بالمعروف حقا على المتقين مضى تفسيره وخص المتقين هنا مثل ما خص المحسنين
هناك كذلك يبين الله لكم اياته اى كما بين الله لكم الاحكام والاداب التى مضت مما تحتاجون الى معرفتها فى دينكم يبين لكم هذه الاحكام
تشبه البيان الذى ياتى بالبيان الماضى والبيان هو الادلة التى يفرق بها بين الحق والباطل لعلكم تعقلون معناه لكى تعقلوا
ايات الله وقيل معناه لكى يكمل عقولكم فان العقل الغريزى انما يكمل بالعقل المكتسب والمراد به استعمال العقل مع العلم به ومن لم يستعمل
العقل فكانه لا عقل له وهذا كقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة جعلهم جهالا لانهم اثروا هواهم على ما علموا انه
الحق **قوله عز وجل الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله
لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون اية اللغة** الرؤية هنا بمعنى العلم ومعنى الم تر الم تعلم وهذه الالف
الف التوقيف وتر متروكة الهمزة واصله الم ترء من رأى يرأى مثل نأى ينأى الا انهم على اسقاط الهمزة هنا للتخفيف **الاعراب** حذر الموت
نصب لانه مفعول له وجائز ان يكون نصبه على المصدر لان خروجهم يدل على حذر الموت حذرا **المعنى** لما ذكر قوله يبين اياته للناس
عقبه بذكر اية من اياته فقال الم تر اى الم تعلم يا محمد او ايها السامع والرؤية علمك الى خبر هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم قيل هم قوم
من بنى اسرائيل فروا من طاعون وقع بارضهم عن الحسن وقيل فروا من الجهاد وقد كتب عليهم عن الضحاك ومقاتل واحتجا بقوله عقيب الاية
وقاتلوا فى سبيل الله وقيل هم قوم حزقيل وهو ثالث خلفاء بنى اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر بنى اسرائيل بعد موسى كان يوشع
بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز وذلك ان امه كانت عجوزا فسالت الله عز وجل الولد وقد كبرت و
عقمت فوهبه الله سبحانه لها وقال الحسن هو ذو الكفل وانما سمى حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا نجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا
فانى ان قتلت كان خيرا من ان تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسالوا حزقيل عن الانبياء السبعين فقال لهم ذهبوا ولا ادرى اين هم
ومنع الله سبحانه ذا الكفل منهم وهم الوف اجمع اهل التفسير على ان المراد بالوف هنا كثرة العدد الا ابن زيد فانه قال معناه خرجوا
مؤتلفى القلوب لم يخرجوا عن تباغض فجعله جمع الف مثل قاعد وقعود وشاهد وشهود واختلف من قال المراد به العدد الكثير فقيل كانوا
ثلاثة الاف عن عطاء الخراسانى وقيل ثمانية الاف عن مقاتل والكلبى وقيل عشرة الاف عن ابى روق وقيل بضعة وثلثين الفا عن السدى
وقيل اربعين الفا عن ابن عباس وابن جريج وقيل سبعين الفا عن عطاء ابن ابى رباح وقيل كانوا عددا كثيرا عن الضحاك والذى يقتضيه
الظاهر انهم كانوا اكثر من عشرة الاف لان بناء فعول للكثير وهو ما زاد على العشرة وما نقص عنها يقال فيه الاف ولا يقال
عشرة الوف حذر الموت اى من خوف الموت فقال لهم الله موتوا قيل فى معناه قولان احدهما ان معناه اماتهم الله كما يقال قالت السماء
فهطلت معناه فهطلت السماء وقلت براسى كذا وقلت بيدى كذا ومعناه اشرت براسى وبيدى وذلك لما كان القول فى الاكثر استفتاحا للفعل
كالقول الذى هو تسمية وما جرى مجراها مما كان مما يستفتح به الفعل صار بمعنى قالت السماء فهطلت اى استفتحت بالهطل وكذلك معناه
ههنا فاستفتح الله باماتتهم والثانى ان معناه اماتهم بقول سمعته الملائكة لضرب من العبرة ثم احياهم قيل ثم احياهم الله بدعاء
نبيهم حزقيل عن ابن عباس وقيل انه شمعون نبى من انبياء بنى اسرائيل ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون لما ذكر النعمة
عليهم بما اراهم من الاية العظيمة فى انفسهم ليلتزموا سبيل الهدى ويتجنبوا طريق الردى ذكر بعده ماله عليهم من الانعام والاحسان
مع ما هم عليه من الكفران وفى هذه الاية حجة على من انكر عذاب القبر والرجعة معا لان احياء اولئك مثل احياء هؤلاء الذين
احياهم الله للاعتبار **القصة** قيل ان اسم القرية التى خرجوا منها هربا من الوباء داوردان قبل واسط قال الكلبى والضحاك ومقاتل

على حذر الموت حذرا

وكالب بن يوحنا

ان ملكا من ملوك بنى اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا ان الارض التى
ناتيها بها الوباء فلا ناتيها حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله تعالى عليهم الموت فلما راوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت
فلما راى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية فى انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار
منك فاماتهم الله جميعا وامات دوابهم واتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا
عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها قالوا واتى على ذلك مدة حتى بليت اجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت اوصالهم فمر عليهم حزقيل
وجعل يتفكر فيهم متعجبا منهم فاوحى الله سبحانه اليه يا حزقيل تريد ان اريك اية واريك كيف احيى الموتى قال نعم فاحياهم الله عز وجل وقيل
انهم كانوا قوم حزقيل فاحياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج حزقيل فى طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت
فى قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك فبقيت وحيدا لا قوم لى فاوحى الله عز وجل اليه قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا
باذن الله فعاشوا وسال عمران بن اعين ابا جعفر عليه السلام عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم احياهم قال احياهم حتى نظر
الناس اليهم ثم اماتهم ام ردهم الى الدنيا حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام قال لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور واكلوا الطعام ونكحوا
النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا باجالهم **قوله عز وجل وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم اية المعنى**
اختلف فى المخاطب بقوله وقاتلوا فى سبيل الله فقيل توجه الخطاب الى الصحابة بعد ما ذكرهم بحال من فر من الموت فلم ينفعه الفرار
يحضهم على الجهاد لئلا يسلكوا فى الفرار من الجهاد سبيل اولئك الذين فروا من الديار وقيل انه خطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير وقيل
لهم قاتلوا فى سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم اى سميع لما يقوله المنافق عليم بما يجنه فاحذروا حاله **قوله عز وجل من ذا
الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون اية القراءة** فيضاعفه
فيه اربع قراءات قرا ابو عمرو ونافع وحمزة والكسائى فيضاعفه بالالف والرفع وقرا عاصم بالالف والنصب وقرا ابن كثير وابو جعفر
فيضعفه بالتشديد والرفع وقرا ابن عامر ويعقوب بالتشديد والنصب وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى يبسط وبسطة وفى الاعراف
ايضا بالسين وروى ايضا عنهم بالصاد ويعقوب وهشام بالسين والباقون مختلف عنهم **الحجة** قال ابو على المرفع فى قوله فيضاعفه وجهان
احدهما ان يعطفه على ما فى الصلة والاخر ان يستانفه فاما النصب فى فيضاعفه فان الرفع احسن منه الا ترى ان الاستفهام انما هو عن
فاعل الاقراض لا عن الاقراض واذا كان كذلك لم يكن مثل قولك اتقرضنى فاشكرك لان الاستفهام ههنا عن الاقراض ووجه
قول ابن عامر وعاصم فى النصب من فيضاعفه انه حمل الكلام على المعنى وذلك انه لما كان المعنى ايكون قرض حمل قوله فيضاعفه
على ذلك كما ان من قرا من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم جزم قوله ويذرهم لما كان معنى قوله فلا هادى له لا يهده ونحو ذلك
مما حمل فيه الكلام على المعنى دون اللفظ كثير فاما القول فى يضاعف ويضعف فكل واحد منهما فى معنى الاخر وقوله اضعافا منصوب
على الحال وتقديره فيكثره فاذا هى اضعاف فيكون حالا بعد الفراغ من الفعل ووجه قول من ابدل من السين الصاد فى هذه المواضع
التى ذكرت ان الطاء حرف مستعل يتصعد من مخرجها الى الحنك ولم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن التسفل فابدل من
السين حرفا من مخرجها فى تصعد الطاء فتلائم الحرفان وصار كل واحد منهما وفق صاحبه فى التصعد فزال بالابدال ما كان يكره
من التصعد عن التسفل ولو كان اجتماع الحرفين على عكس ما ذكرنا وهو ان يكون التصعد قبل التسفل لم يكره ذلك ولم يبدلوا
الا ترى انهم قالوا طسم الطريق وقسوت وقست فلم يكرهوا التسفل عن تصعد كما كرهوا بسط حتى قالوا بصط فابدلوا واما من لم
يبدل السين فى بسطة وترك السين فلانه الاصل ولان ما بين الحرفين من الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته **اللغة** القرض هو
قطع جزء من المال بالاعطاء على ان يرد بعينه او يرد مثله بدلا منه واصل القرض هو القطع بالناب يقال قرض الشىء تقرض اذا قطعه
بنابه واقرض فلان فلانا اذا اعطاه ما يتجازاه منه والاسم منه القرض والتضعيف والمضاعفة والاضعاف بمعنى وهو الزيادة
على اصل الشىء حتى يصير مثلين او اكثر وتقول ضعفت القوم اضعفهم ضعفا اذا كثرتهم فصرت مع اصحابك على الضعف منهم وضعف الشىء
مثله فى المقدار اذا زيد عليه فكل واحد منهما ضعف وضعف الشىء ضعفا وضعفا والضعف خلاف القوة والقبض خلاف البسط يقال

قبضه يقبضه قبضا والقبض ضم الكف على الشيء والتقبض التشنج وتقبض عنه اذا اشمأز عنه لانه ضم نفسه عن الانبساط اليه
وقبض الانسان اذا مات والملك قابض الارواح وبسط يبسط بسطا والبساط ما بسطته والبساط بفتح الباء الارض الواسعة
وكتبت يبسط بالسين وبصطة بالصاد لان القلب على الساكن اوى منه على المتحرك المعنى لما حث سبحانه على الجهاد وذلك يكون
بالنفس والمال اعقبه بالتلطف فى الاستدعاء الى اعمال البر والانفاق فى سبيل الخير فقال من ذا الذى يقرض الله اى ينفق
فى سبيله وطاعته والمراد به الامر وليس هذا بقرض حاجة على ما ظنه اليهود فقالوا انما يستقرض منا ربنا عن عوز فانه فقير
ونحن اغنياء فانزل الله سبحانه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء بل سمى سبحانه الانفاق قرضا تلطفا للدعاء
الى فعله وتاكيد الجزاء عليه فان المقترض يوجب الجزاء قرضا حسنا والقرض الحسن ان ينفق من حلال ولا يفسده بمن ولا اذى
وقيل هو ان يكون محتسبا طيبا به نفسه عن الواقدى وقيل هو ان يكون حسن الموقع عند الانفاق فلا يكون خسيسا والاولى ان
يكون جامعا لهذه الوجوه كلها فلا تنافى بينها فيضاعفه له اضعافا كثيرة اى فيزيده له اى يعطيه ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهو مثل
قوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما عن الحسن والسدى وروى عن الصادق عليه السلام انه قال لما نزلت هذه الاية من جاء
بالحسنة فله خير منها قال رسول الله صلى الله عليه واله رب زدنى فانزل الله سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فقال رسول
الله صلى الله عليه واله رب زدنى فانزل الله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والكثير عند الله لا
يحصى والله يقبض ويبسط معناه الله يقبض الرزق عن قوم بان يقتر عليهم ويبسطه على قوم بان يوسعه عليهم عن الحسن
وابن زيد وقيل معناه يقبض الصدقات ويبسط الجزاء عليها عاجلا او اجلا او كلاهما عن الاصم والزجاج وقيل يقبض الرزق
بموت واحد ويبسط لوارثه واليه ترجعون وهذا تاكيد للجزاء قال الكلبى فى سبب نزول هذه الاية ان النبى صلى الله عليه واله
قال من تصدق بصدقة فله مثلاها فى الجنة فقال ابو الدحداح الانصارى واسمه عمرو بن الدحداح يا رسول الله ان لى حديقتين
ان تصدقت باحديهما فان لى مثليها فى الجنة قال نعم قال وام الدحداح معى قال نعم قال والصبية معى قال نعم قال فتصدق بافضل
حديقتيه فدفعها الى رسول الله صلى الله عليه واله فنزلت الاية فضاعف الله له صدقته الفى الف وذلك قوله اضعافا كثيرة
قال فرجع ابو الدحداح فوجد ام الدحداح والصبية فى الحديقة التى جعلها صدقة فقام على باب الحديقة وتحرج ان يدخلها
فنادى يا ام الدحداح قالت لبيك يا ابا الدحداح قال انى قد جعلت حديقتى هذه صدقة واشترطت مثليها فى الجنة وام الدحداح معى
والصبية معى فقالت بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت فخرجوا منها وسلموا الحديقة الى النبى عليه السلام فقال النبى كم نخلة متدل
عذوقها لابى الدحداح فى الجنة قوله عز وجل أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ
لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ
أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ اية القراءة
قرا نافع وحده هل عسيتم بكسر السين والباقون بفتحها الحجة المشهور فى عسيت فتح السين ووجه قراءة نافع انهم قالوا هو عس
بذلك وما اعساه واعس به حكاه ابن الاعرابى وهذا يقوى قراءة نافع لان عس مثل حر وشج وقد جاء فعل وفعل نحو نقم ونقم
وورى بك زنادى ووريت فكذلك عسيت وعسيت فان اسند الفعل الى ظاهر فقياس عسيتم ان يقول عسى زيد مثل رضى
فان قاله فهو قياس قوله وان لم يقله فسائغ له ان ياخذ باللغتين معا فيستعمل احديهما فى موضع والاخرى فى موضع اخر كما فعل ذلك
غيره اللغة الملأ الجماعة الاشراف من الناس ويروى ان رجلا من الانصار قال يوم بدر ان قتلنا الا عجائز صلعا فقال النبى
صلى الله عليه واله اولئك الملأ من قريش لو رايتهم فى انديتهم لهبتهم ولو امروك لاطعتهم ولاحتقرت فعالك عند فعالهم وملأت
الاناء اترعته لانه يجتمع فيه ما لا يكون مزيد عليه ومالأت الرجل عاونته وتمالؤا على ذا اتفقوا وتعاونوا وملؤ الرجل ملاءة فهو ملى
بالامر اذا امكنه القيام به والملأ الخلق لان جميع افعال صاحبه يجرى عليه يقال احسنوا املاءكم اى اخلاقكم قال تنادوا يال
بهثة اذ راونا فقلنا احسنى ملأ جهينا واصل الباب الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد وانما سمى الاشراف ملأ لانه لا مزية على شرفهم وقيل لان

هيبتهم

هيبتهم تملأ الصدور والملأ مقصور للمتسع من الارض قال الشاعر الاغنياني وارفع الصوت بالملأ فان الملأ عندى يزيد المدى
بعد الاعراب من بنى اسرائيل الجار والمجرور فى محل النصب على الحال والعامل فيه تر او ذو الحال الملأ ومن بعد موسى فى موضع الحال
ايضا وهو حال بعد حال او حال من الضمير فى الجار والمجرور قبله وقوله نقاتل جزم على الجواب للمسئلة التى هى على لفظ الامر اى ان
يبعث لنا ملكا نقاتل ولو كان بالياء لجاز الرفع على ان يكون صفة للملك قال الزجاج والرفع فى نقاتل بعيد يجوز على معنى فانا نقاتل
فى سبيل الله وكثير من النحويين لا يجيز الرفع فيه وقوله ان لا يقاتلوا فى موضع نصب لانه خبر عسى وقوله وما لنا الا نقاتل فى سبيل
الله قال ابو الحسن الاخفش فيه وفى قوله وما لكم ان لا تاكلوا ان ان زائدة كانه قال ما لنا لا نقاتل وما لكم لا تاكلون كقوله
ما لكم لا تنطقون ومالك لا تامنا وقع الفعل المنفى موقع الحال كما وقع للموجب موقعه فى قولك ما لك تفعل وقد قال
ايضا فى نحو ذلك ان المعنى وما لنا فى ان لا نقاتل وما لكم فى ان لا تاكلوا فكانه حمل الاية على وجهين قال ابو على والقول الثانى
اوضح ويكون ان مع حرف الجر فى موضع نصب بالحال كقوله سبحانه فما لهم عن التذكرة معرضين ونحو ذلك ثم حذف الجار فسد ان
وصلتها ذلك المسد والحال فى الاصل هو الجالب للحرف المقدر الا انه ترك اظهاره لدلالة المنصوب عنه عليه ومثله فى وقوع
الظرف موقع الحال قول ابى ذويب يعثرن فى حد الظبات كانما كسيت برود بنى تزيد الاذرع وهذا كما يقال جئت فى الباب اى جئت
لابسا ووجه ثالث ذكره المبرد وان يكون ما جحدا وتقديره ما لنا نترك القتال وعلى الوجهين الاولين تكون ما استفهاما وقد
اخرجنا جملة فى موضع الحال وتقديره وما لنا ان لا نقاتل مخرجين من ديارنا وذو الحال الضمير فى لا نقاتل وقليلا منصوب على
الاستثناء من الموجب المعنى لما قدم سبحانه ذكر الجهاد عقبه بقصة مشهورة فى بنى اسرائيل تضمنت شرح ما نالهم فى قعودهم عنه
تحذيرا من سلوك طريقتهم فيه فقال الم تر اى الم ينته علمك يا محمد الى الملأ اى جماعة الاشراف من بنى اسرائيل من بعد موسى
اذ قالوا لنبى لهم اختلف فى ذلك النبى فقيل اسمه شمعون سمته امه بذلك لان امه دعت الله سبحانه ان يرزقها غلاما فسمع
الله دعاها فيه وهو شمعون بن صفية من ولد لاوى بن يعقوب عن السدى وقيل هو يوشع بن نون بن افراهم بن يوسف بن
يعقوب عن قتادة وقيل هو اشمويل بالعربية اسمعيل عن اكثر المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام ابعث لنا ملكا نقاتل
فى سبيل الله اختلف فى سبب سؤالهم ذلك فقيل كان سبب سؤالهم ذلك استذلال الجبابرة لهم لما ظهروا على بنى اسرائيل و
غلبوهم على كثير من ديارهم وسبوا كثيرا من ذراريهم بعد ان كانت الخطايا قد كثرت فى بنى اسرائيل وعظمت فيهم الاحداث
ونسوا عهد الله عز وجل ولم يكن لهم نبى يدبر امرهم فبعث الله اليهم اشمويل نبيا فقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل
فى سبيل الله اية من نبوتك عن الربيع والكلبى وقيل ارادوا قتال العمالقة فسالوا ملكا يكون اميرا عليهم تنتظم به كلمتهم و
يجتمع امرهم ويستقيم حالهم فى جهاد عدوهم عن السدى وقيل بعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم
كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل ابعث لنا ملكا عن وهب وقال ابو عبد الله عليه السلام كان الملك
فى ذلك الزمان هو الذى يسير بالجنود والنبى يقيم له امره وينبئه بالخبر من عند ربه فاجابهم نبيهم فقال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال اى لعلكم ان فرض عليكم القتال المحاربة مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا ان لا تفوا بما تقولون وتجبنوا فلا
تقاتلوا وانما سالهم عن ذلك ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال وهذا كاخذ العهد عليهم ومعنى عسيتم قاربتم فاذا
قلت عسيت ان افعل كذا فمعناه قاربت فعله قالوا يعنى قال الملأ وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله معناه واى شىء لنا فى ترك
القتال وقيل معناه ليس لنا ترك القتال وقد اخرجنا اللفظ عام ومعناه خاص اى قد اخرج بعضنا من ديارنا وابنائنا اى من
اوطاننا واهالينا بالسبى والقهر على نواحينا والمعنى انهم اجابوا نبيهم بان قالوا انما كنا لا نرغب فى القتال اذ كنا اعزاء لا
يظهر علينا عدونا واما اذا بلغ الامر هذا المبلغ فلا بد من الجهاد فلما كتب عليهم القتال فيه حذف تقديره فسال النبى الله
ان يبعث لهم ملكا يجاهدون معه اعداءهم فسمع الله سبحانه دعوته واجاب مسئلته فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال اى فرض
فلما كتب عليهم القتال تولوا اى اعرضوا عن القيام به وضيعوا امر الله الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر على ما نبينه من بعد

والله عليم بالظالمين هذا تهديد لمن تولى عن القتال لانهم ظلموا انفسهم بمعصية الله تعالى قوله تعالى وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اية اللغة اصطفاه اختاره واستصفاه بمعناه واصله اصتفاه الا ان التاء ابدلت طاء لان التاء من مخرج الطاء والطاء مطبقة كما ان الصاد مطبقة فابدلوها منها لتسهل النطق بها بعد الصاد والبسط الفضيلة في الجسم او المال والجسم حد الطويل العريض العميق بدلالة قولهم جسم جسامة اي ضخم وهذا جسيم اي ضخيم وهذا اجسم من هذا اذا زاد عليه في الطول والعرض والعمق وقيل الجسم هو المؤلف وقيل هو القايم بنفسه والصحيح الاول الاعراب طالوت وداود وجالوت لا تنصرف لانها اسماء اعجمية وفيها سببان التعريف والعجمة فاما جاموس فلو سميت به رجلا لانصرف وان كان اعجميا لانه قد تمكن في العربية لانك تدخل عليه الالف واللام فتقول الجاموس ملكا نصب على الحال والعامل فيه بعث وذو الحال طالوت وانى في موضع نصب لانه خبر يكون والملك اسمه وله في موضع الحال وذو الحال الملك وتقديره انى يكون الملك يستقر له علينا ويجوز ان يكون كان ههنا تامة فيتعلق اللام بيكون وانى في موضع نصب على الحال من يكون وعلينا يتعلق بالملك ونحن احق في محل النصب على الحال ايضا تقديره انى يكون له ان يملك علينا ونحن احق منه بالملك ولم يوت سعة في محل الحال ايضا عطفا على نحن احق والعامل فيه الملك وذو الحال الضمير في ان يملك وتقديره ان يملك علينا غير موتى سعة مالية المعنى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا اي جعله ملكا وكان طالوت من ولد بنيامين بن يعقوب ولم يكن من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وسمي طالوت لطوله ويقال كان سقاء وقيل كان خربندجا وقيل كان دباغا وكانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب وكانت المملكة في سبط يهوذا بن يعقوب وقيل في سبط يوسف وقوله ملكا يعني اميرا على الجيش عن مجاهد وقيل بعثه نبيا بعد ان جعله ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اي من ان يكون له الملك وهذا اول اعتراضهم اذ انكروا تمليكه ونحن احق اي اولى بالملك منه لانا من سبط النبوة والمملكة واوتينا المال ولم يوت سعة من المال اي لم يعط ما يتملك به الناس وهو المال اذ لا بد للملك من مال يحصل به المماليك وقيل معناه لم يوت سعة من المال فيتشرف به ويجبر نقصا لو كان فيه حتى يساوي اهل الانساب فاعلمهم الله تعالى انه اعرف بوجوه الحكمة منهم وان المقصود في الملك والرياسة هو العلم والشجاعة واخبرهم بذلك على لسان نبيهم قال ان الله اصطفاه اي اختاره عليكم عن ابن عباس وزاده بسطة اي فضيلة وسعة في العلم والجسم وكان اعلم بني اسرائيل في وقته واجملهم واتمهم واعظمهم جسما واقواهم شجاعة وقيل كان اذا قام الرجل فبسط يده رافعا لها نال راسه قال وهب كان ذلك فيه قبل الملك وزاده ذلك بعد الملك والله يوتي ملكه من يشاء اي لا تنكروا تمليكه وان لم يكن من اهل بيت الملك فان الله سبحانه مالك الملك يوتي الملك من يشاء والله واسع قيل في معناه ثلاثة اقوال احدها انه واسع الفضل فحذف كما يقال فلان كبير اي كبير القدر والثاني ان الواسع بمعنى الموسع اي يوسع على من يشاء من نعمه كما جاء اليم بمعنى مولم وسميع بمعنى مسمع والثالث ان معناه ذو سعة نحو عيشة راضية اي ذات رضاء ورجل تامر اي ذو تمر ولابن اي ذو لبن وقوله عليم اي عليم بمن ينبغي ان يوتيه الفضل والمملكة اما للاستصلاح واما للامتحان وفي هذه الاية دلالة على ان الملك قد يضاف اليه سبحانه وذلك بان ينصب الملك للتدبير ويعطيه الات الملك ويامر الخلق بالانقياد اليه فعند ذلك يجوز ان يقال بعثه الله ملكا وان لم يكن في البعثة كالانبياء عليهم السلم ويقال في ملكه انه من جهة الله سبحانه لان تصرفه صادر عن اذنه سبحانه وفيها دلالة ايضا ان الملك ليس بواجب ان يكون وراثة وانما هو بحسب ما يعلمه الله من المصلحة وفيها دلالة على ان من شرط الامام ان يكون اعلم من رعيته واكمل وافضل في خصال الفضل والشجاعة لان الله سبحانه علل تقديم طالوت عليهم بكونه اعلم واقوى فلولا ان ذلك شرط لم يكن له معنى قوله عز وجل وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ اية اللغة التابوت بالتاء لغة جمهور العرب والتابوه بالهاء لغة الانصار والسكينة مصدر وقع موضع الاسم نحو القضية والبقية والعزيمة واخذ من السكون الاعراب موضع ان ياتيكم رفع المعنى ان اية ملكه اتيان

التابوت اياكم فيه سكينة من ربكم مبتدا وخبر في موضع النصب على الحال من التابوت مما ترك الجار والمجرور في موضع الصفة لبقية المعنى وقال لهم نبيهم ان اية ملكه اي علامة تمليك الله اياه وحجة صحة ملكه ان ياتيكم التابوت وفي هذا دليل على انهم قالوا لرسولهم ان كان ملكه بامر من الله ومن عنده فاتنا بعلامة تدل على ذلك فاجابهم بهذا وروى علي بن ابرهيم في تفسيره عن ابي جعفر عليه السلام ان التابوت كان الذي انزله الله على ام موسى فوضعت فيه ابنها والقته في البحر وكان في بني اسرائيل يتبركون به فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الالواح ودرعه وما كان عنده من اثار النبوة واودعه اياه عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم وبنو اسرائيل في عز وشرف ما دام فيهم حتى استخفوا به وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات فلما عملوا المعاصي واستخفوا به رفعه الله عنهم فلما سالوا نبيهم ان يبعث لهم ملكا بعث الله لهم طالوت ورد عليهم التابوت وقيل كان في ايدي اعداء بني اسرائيل من العمالقة غلبوهم عليه لما مرج امر بني اسرائيل وحدث فيهم الاحداث ثم انتزعه الله من ايديهم ورده على بني اسرائيل تحمله الملئكة عن ابن عباس ووهب وروى ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم وقيل كان التابوت انزله الله على ادم وفيه صور الانبياء فتوارثه اولاد ادم وكان في بني اسرائيل يستفتحون به على عدوهم وقال قتادة وكان في برية التيه خلفه هناك يوشع بن نون فحملته الملئكة الى بني اسرائيل وقيل كان قدر التابوت ثلثة اذرع في ذراعين عليه صفايح الذهب وكان من شمشاد وكانوا يقدمونه في الحروب ويجعلونه امام جندهم فاذا سمع من جوفه انين زف التابوت اي سار فكان الناس يسيرون خلفه فاذا سكن الانين وقف فوقف الناس بوقوفه فيه سكينة من ربكم قيل في التابوت نفسه وقيل فيما في التابوت واختلف في السكينة فقيل انها السكينة التي كانت فيه ريح هفافة من الجنة لها وجه كوجه الانسان عن علي عليه السلم وقيل كان لها جناحان وراس كراس الهرة من الزبرجد والزمرد عن مجاهد وروى ذلك في اخبارنا وقيل كان فيه اية يسكنون اليها عن عطا وقيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب وبقية مما ترك ال موسى وال هرون قيل انها عصا موسى ورضاض الالواح عن ابن عباس وقتادة والسدي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وقيل هي التورية وشيء من ثياب موسى عن الحسن قيل وكان فيه ايضا لوحان من التورية وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه هذه اقوال اهل التفسير في السكينة والبقية والظاهر ان السكينة امنة وطمانينة جعلها الله سبحانه فيه ليسكن اليه بنو اسرائيل والبقية جايز ان يكون بقية من العلم او شيا من علامات الانبياء عليهم السلم وجايز ان يتضمنهما جميعا على ما قاله الزجاج وقيل اراد بال موسى وهرون يعني مما ترك موسى وهرون تقول العرب ال فلان يريدون نفسه انشد ابو عبيدة فلا تبك ميتا بعد ميت اجنه علي وعباس وال ابي بكر يريد ابا بكر نفسه وقال الجبائي بقية من الشيء وانما تكون لادنا الاوصال لغايتهم اي من النساء تحمله الملئكة قيل حملته الملئكة بين السماء والارض حتى راه بنو اسرائيل عيانا عن ابن عباس والحسن وقيل لما غلب الاعداء على التابوت ادخلوه بيت الاصنام فاصبحت اصنامهم منكبة فاخرجوه ووضعوه ناحية من المدينة فاخذهم وجع في اعناقهم وكل موضع وضعوه ظهر فيه بلاء وموت ووباء فاشير عليهم بان يخرجوا التابوت فاجمع رايهم على ان ياتوا به ويحملوه على عجلة ويشدوها الى ثورين ففعلوا ذلك وارسلوا الثورين فجاءت الملئكة وساقوا الثورين الى بني اسرائيل فعلى هذا يكون معنى تحمله الملئكة تسوقه كما يقول حملت متاعي الى مكة ومعناه كنت سببا لحمله الى مكة ان في ذلك لاية لكم اي في رجوع التابوت اليكم علامة ان الله سبحانه ملك طالوت عليكم ان كنتم مومنين مصدقين ولا يجوز ان يكون على تثبيت الايمان لهم لانهم قد كفروا حين ردوا على نبيهم وقيل ان كنتم مومنين كما تزعمون قوله عز وجل فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ اية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو واهل المدينة غرفة بالفتح والباقون بالضم الحجة قال ابو علي من فتح العين عدى الفعل الى المصدر والمفعول في قوله

محذوف والمعنى الامن اغترف ماء غرفة ومن ضم الغين عدى الفعل الى المفعول به ولم يعده الى المصدر لان الغرفة العين المغترف فهو بمنزلة الا من اغترف ماء والبغداديون يجعلون هذه الاسماء المشتقة من المصادر بمنزلة المصادر ويعملونها كما يعملون المصادر فيقولون عجبت من دهنك لحيتك وقد جاء عن العرب ما يدل عليه وهو قول الشاعر وبعد عطائك المائة الرتاعا فاشيا غير هذا فعلى هذا يجوز ان ينصب الغرفة نصب الغرفة وقد قال سيبويه في نحو الجلسة والركبة انه قد يستغني بعن المصادر او قال يقع مواقعها فهذا كالمقارب لقولهم ولو قيل ان الضم هنا اوجه لقوله فشربوا منه والمشروب منه الغرفة لكان قولا اللغة الفصل القطع وفصل بالجنود اي سار بهم وقطعهم عن موضعهم وفصل الصبي فصالا قطعه عن اللبن والجنود جمع جند وجند الجنود اي جمعهم وفي الحديث الارواح جنود مجندة واصل الباب الجند الغليظ من الارض يقال طعم الماء كما يقال طعم الطعام وانشدوا فان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اراد لم اذق والنقاخ العذب وغرف غرفا واغترف بمعنى والمغرفة الالة التي يغرف بها وغرف غروف كبير والمجاوزة من الجواز يقال جاز الشيء يجوزه اذا قطعه واجازه اجازة اذا استصوبه والشيء يجوز اذا لم تمنع منه دليل وجوز كل شيء وسطه مشبه بمجاز الطريق وهو وسطه الذي يجاز فيه وقيل ان اشتقاق الجوزاء منه لانها تعترض جوز السماء والمجاز في الكلام لانه خروج عن الاصل الى ما يجوز في الاستعمال واصل الباب الاستعمال وهو المرور من غير شيء يصد منه التجاوز عن الذنب لانه المرور عليه بالصفح والطاقة القوة يقال اطقت الشيء اطاقة وطاقة وطوقا مثل اطعت اطاعة وطاعة وطوعا والفئة الطائفة من الناس والجمع فئون وفئات ولا يجوز في عدة الا عدات لان نقص عدة من اوله وليس كذلك فئة وما نقص من اوله يجري في الباب على الاطراد بمنزلة غير المنقوص واما فئة ومائة وعزة فان النقص فيه على غير اطراد وتقول فاوت راسه بالسيف اذا قطعه وانفاء الشيء انفاء اذا انقطع واصل الباب القطع ومنه الفئة لانهم قطعة من الناس الاعراب قوله بيده من فتح فاء غرفة جاز ان يتعلق بالمصدر عنده وجاز ان يعلقه بالفعل ايضا ومن اعمل الغرفة اعمال المصدر جاز ان يتعلق الباء بها في قوله وكلا الامرين مذهب ومن اغترف في موضع نصب بالاستثناء وكم جرية وهي في موضع رفع بالابتداء المعنى فلما فصل طالوت بالجنود في الكلام حذف لدلالة ما بقي عليه وهو فاتاهم التابوت بالصفة التي وعدوا بها فصدقوا وانقادوا لطالوت فلما فصل طالوت اي خرج من مكانه وقطع الطريق بالجنود اي العساكر واختلف في عددهم فقيل كانوا ثمانين الف مقاتل عن السدي وقيل سبعين الفا عن مقاتل وذلك انهم لما راوا التابوت ايقنوا بالنصر فتبادروا الى الجهاد قال يعني طالوت ان الله مبتليكم بنهر اي مختبركم وممتحنكم ومعنى الابتلاء ههنا تمييز الصادق من الكاذب في قوله عن الحسن وكان سبب ابتلائهم بالنهر شكايتهم قلة المياه وخوف التلف من العطش عن وهب وقيل انما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم ويستحقوا به النصر على عدوهم وليتعودوا الصبر على الشدائد فيصبروا عند المحاربة ولا ينهزموا واختلف في النهر الذي ابتلوا به فقيل هو نهر بين الاردن وفلسطين عن قتادة والربيع وقيل هو نهر فلسطين عن ابن عباس والسدي وقوله فمن شرب منه الهاء كناية عن النهر في اللفظ وهو في المعنى للماء يقال شربت من نهر كذا ويراد به الماء فليس مني معناه ليس من اهلي ولا مني وليس من اصحابي وممن يتبعني ومن لم يطعمه اي ومن لم يطعم من ذلك الماء فانه مني اي من اهلي ومني وأو ليائي وهو من الطعم الذي هو ما يذوقه الذوق اي يجد طعمه لا من الطعام والطعم يوجد في الماء وفي الطعام الا من اغترف غرفة بيده الا من اخذ الماء مرة واحدة باليد ومن قرا بضم الغين فمعناه الا من شرب مقدار ملء كفه فشربوا منه اي شرب اكثرهم اكثر من غرفة الا قليلا منهم وقيل ان الذين شربوا منه غرفة كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا عن الحسن وقتادة وجماعة وقيل اربعة الاف رجل ونافق ستة وستون الفا ثم نافق الاربعة الاف الا ثلثمائة وبضعة عشر عن السدي وقيل من استكثر من ذلك الماء عطش ومن لم يشرب الا غرفة روي وذهب عطشه ورد طالوت عند ذلك العصاة منهم فلم يقطعوا معه النهر فلما جاوزه هو والذين امنوا معه معناه فلما تخطى النهر طالوت والمؤمنون معه وهم اصحابه وروي عن البراء بن عازب وقتادة والحسن انه انما جاوز معه المؤمنون خاصة كانوا على عدد اهل بدر وقيل بل جاوز المؤمنون

والكافرون

والكافرون الا ان الكافرين انخزلوا وبقي المؤمنون على عدد اهل بدر عن ابن عباس والسدي وهذا اقوى لقوله سبحانه فلما جاوزه هو والذين امنوا معه فلما راوا كثرة جنود جالوت قالوا الكفار منهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وقال المؤمنون حينئذ الذين عدتهم عدة اهل بدر كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة قال ابو القسم البلخي ويجوز ان يكونوا كلهم مؤمنين غير ان بعضهم اشد ايقانا واقوى اعتقادا وهم الذين قالوا كم من فئة قليلة الى اخره قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي راجعون الى الله تعالى والى جزائه وقيل في يظنون ثلاثة اقوال احدها ان معنى يظنون يستيقنون عن السدي كقول دريد ابن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد اي ايقنوا والثاني ان معناه يحدثون نفوسهم وهو اصل الظن لان حديث النفس بالشيء قد يكون مع الشك وقد يكون مع العلم الا انه قد كثر على ما كان مع الشك والثالث يظنون انهم ملاقوا الله بالقتل في تلك الواقعة كم من فئة اي فرقة قليلة غلبت فئة كثيرة اي قهرت فرقة كثيرة باذن الله اي بنصر عن الحسن لانه اذا اذن الله في القتال نصر فيه على الوجه الذي اذن فيه والله مع الصابرين بالنصر لهم على اعدائهم قوله عز وجل ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اية اللغة البروز اصله الظهور ومنه البراز وهي الارض الفضاء ورجل برز وامراة برزة اي ذو عفة وفضل لظهور ذلك فيها والافراغ الصب للسيال على وجه اخلاء المكان منه يقال فرغ يفرغ فراغا واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي خاليا من الصبر واصل الفراغ الخلو والتثبيت تمكين الشيء في مكانه بلزومه اياه وقد يقال ثبته بمعنى حكم بوجوده ورجل ثبت المقام اذا كان شجاعا لا يبرح موقفه وطعنه فاثبت فيه الرمح اي نفذ فيه لانه يلزم فيه واثبت حجته اقامها ورجل ثبت اي ثقة مامون فيما روى والنصر هو المعونة على العدو ويكون ذلك باشياء منها بزيادة القوة ومنها بالرعب عن الملاقاة ومنها بالاطلاع على العورة ومنها بتخييل الكثرة ومنها باختلاف الكلمة والفرق بين اللطف والنصر ان كل نصر من الله فهو لطف وليس كل لطف نصرا لان اللطف يكون في اخذ طاعة بدلا من معصية وقد يكون في فعل طاعة من النوافل والنصر فعل الله تعالى والصبر من فعل العبد لانه يجازى عليه وهو حبس النفس عما تنازع اليه من الفعل وهو ههنا حبسها عما ينازع اليه من الفرار من القتال المعنى ولما برزوا اي ظهر طالوت والمؤمنون معه لمحاربة جالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ اي اصبب علينا صبرا اي وفقنا للصبر على الجهاد وشبهه بتفريغ الاناء من جهة انه نهاية ما توجبه الحكمة كما انه نهاية ما في الواحد من الانية وثبت اقدامنا اي وفقنا للثبوت حتى لا نفر وانصرنا اعنا على جهاد القوم الكافرين قوم جالوت قوله عز وجل فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين اية القراءة قرا ابو جعفر ونافع ويعقوب دفاع بالالف وفي الحج مثله وقرا الباقون بغير الف الحجة قال ابو علي دفاع يحتمل امرين احدهما ان يكون مصدر الفعل كالكتاب واللقاء ونحو ذلك والثاني ان يكون مصدر الفاعل ويدل عليه قراءة من قرا ان الله يدافع عن الذين امنوا وكان معنى دفع ودافع سواء الا ترى الى قوله ولقد حرصت بان ادافع عنهم فاذا المنية اقبلت لا تدفع كان المعنى حرصت بان ادفع عنهم المنية فاذا المنية لا تدفع فوضع ادافع موضع ادفع واذا كان كذلك فيدفع ويدافع متقاربان اللغة الهزم الدفع يقال هزم القوم في الحرب يهزمهم هزما اذا دفعهم بالقتال وهزم باسنه فانهزموا انهزاما وتهزم السقاء اذا يبس فتصدع لاندفاع بعضه عن بعض والاهتزام الذبح يقال اهتزم شاتك قبل ان يهزل فتهلك لدفع ضياعها بتذكيتها واصل الدفع الصرف عن الشيء والدفاع السيل والدفعة اندفاع الشيء جملة المعنى ثم ذكر سبحانه تمام القصة فهزموهم ولا بد من حذف هنا كانه لما قالوا ربنا افرغ علينا صبرا قال فاستجاب لهم ربهم فهزموهم بنصره اي دفعوهم وكسروهم لان ذكر الهزيمة بعد سؤال النصر دليل على معنى الاجابة ومعنى هزموهم سببوا لهزيمتهم بان فعلوا ما الجاهم اليها فعلى هذا يكون حقيقة وقال ابو علي الجبائي ذلك مجاز لانهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال اخرجه من منزله اذا الجاه الى الخروج ولم يفعل خروجه والصحيح الاول وقوله باذن الله اي بامر الله وقيل بعلم الله وقتل داود جالوت القصة وكان من قصة داود عليه السلم ما رواه علي بن ابرهيم بن هاشم عن الصادقين عليهم السلم

ان الله تعالى اوحى الى نبيهم ان جالوت يقتله من يستوى عليه درع موسى عليه السلم وهو رجل من ولد لاوى بن يعقوب واسمه
داود بن ايشا وكان لايشا عشرة بنين اصغرهم داود فلما بعث الله طالوت الى بنى اسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث الى ايشا
ان احضر واحضر ولدك فلما حضروا دعا واحدا من ولده فالبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه فقال
لايشا هل خلفت من ولدك احدا قال نعم اصغرهم تركته فى الغنم يرعاها فبعث اليه فجاء به فلما دعى اقبل ومعه مقلاع قال فناداه ثلث
صخرات فى طريقه يا داود خذنى فاخذها فى مخلاته وكان حجر الفيروزج وكان داود شديد البطش شجاعا قويا فى بدنه فلما جاء
الى طالوت البسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل وعلى راسه التاج وفى
جبهته ياقوتة تلمع نورا وجنوده بين يديه فاخذ داود حجرا من تلك الاحجار فرمى به فى ميمنة جالوت ووقع عليهم فانهزموا
واخذ حجرا اخر فرمى به فى ميسرة جالوت فانهزموا ورمى بالثالث الى جالوت فاصابه موضع الياقوت فى جبهته ووصلت الى
دماغه ووقع الى الارض ميتا وقيل ان جالوت طلب البراز فخرج اليه داود فرماه بحجر من مقلاع فوقع بين عينيه وخرج من
قفاه واصاب جماعة كثيرة من اهل عسكره فقتلهم وانهزم القوم عن اخرهم عن وهب وغيره من المفسرين واتاه الله الملك
اى اعطاه الملك بعد قتل جالوت بسبع سنين عن الضحاك والحكمة قيل النبوة ولم يكن نبيا قبل قتله جالوت فجمع الله له الملك
والنبوة عند موت طالوت فى حالة واحدة لانه لا يجوز ان يتراس من ليس بنبى على نبى لانه قلب ما توجبه الحكمة لان
النبى يوثق بظاهره وباطنه ولا يخبر الا بحق ولا يدعوا الا الى حق وليس كذلك من ليس بنبى عن الحسن وقيل يجوز ذلك اذا
كان يفعل ما يفعل بامره ومشورته وعلمه مما يشاء من امور الدنيا منها صنعة الدروع وانه كان يلين له الحديد كالشمع
قيل الزبور والحكم بين الناس وكلام الطير والنمل وقيل الصوت الطيب والالحان ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قيل
فيه ثلاثة اقوال احدها لولا دفع الله بجنود المسلمين الكفار ومعرتهم لغلبوا وخربوا البلاد عن ابن عباس ومجاهد والثانى
معناه يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك عن على عليه السلم وقتادة وجماعة من المفسرين ومثله ما رواه جميل عن ابى عبد الله
عليه السلم قال ان الله يدفع بمن يصلى من شيعتنا عمن لا يصلى منهم ولو اجتمعوا على ترك الصلوة لهلكوا وان الله يدفع بمن
يزكى من شيعتنا عمن لا يزكى منهم ولو اجتمعوا على ترك الزكوة لهلكوا وان الله يدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج منهم ولو اجتمعوا
على ترك الحج لهلكوا وقريب معناه ما روى عن النبى عليه السلم انه قال لولا عباد ركع وصبيان رضع وبهايم رتع لصب عليكم
العذاب صبا وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده
واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم والثالث انه فى معنى قول الحسن ما نزع الله بالسلطان
اكثر مما نزع بالقران لان من يمتنع عن الفساد لخوف السلطان اكثر ممن يمتنع منه لاجل الوعد والوعيد الذى فى القران
ولكن الله ذو فضل على العالمين اى ذو نعمة عليهم فى دينهم ودنياهم **قوله عز وجل تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين ايه اللغة** التلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة من غير فاصلة لان التالى للشىء يليه من غير
فصل بغيره واصل التلو ايقاع الشىء بعد الشىء الذى يليه والحق هو وقوع الشىء موقعه الذى هو له من غير تغيير عنه
ومما لا يجوز فيه والرسالة تحميل جملة من الكلام لها فايدة الى المقصود بالدلالة **الاعراب** نتلوها جملة فى موضع الحال
والعامل فيه معنى الاشارة فى تلك وذو الحال ايات الله اى متلوة عليك والباء فى بالحق يتعلق بنتلوا ايضا **المعنى**
تلك اشارة الى ما تقدم ذكره من اماتة الوف من الناس دفعة واحدة واحيائهم دفعة واحدة بدعاء نبيهم ومن تمليك
طالوت وهو من اهل الخمول الذى لا ينقاد لمثله الناس بما جعل الله له من الاية علما على تمليكه ونصرة اصحاب طالوت
مع قلة عددهم وضعفهم على جالوت واصحابه مع قوتهم وشوكتهم ايات الله اى دلالات الله على قدرته نتلوها عليك
نقراها عليك يا محمد بالحق بالصدق وقيل يقراها جبرئيل عليك بالحق بامرنا وانك لمن المرسلين معناه وانك لمن المرسلين
بدلالة اخبارك بهذه الايات مع انك لم تشاهدها ولم تخالط اهلها ولا تعلم ذلك مع عدم المشاهدة ومخالطة اهلها

الا

الا بوحى من جهة الله تعالى والله تعالى لا يوحى الا الى انبيايه **قوله عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ايه الاعراب** درجات منصوبة على الحال والعامل فيه
رفع وذو الحال بعضهم وتقديره رفع بعضهم ذوى درجات فحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بعد الفراغ من الفعل تقديره
ورفع بعضهم فاذا هم ذوو درجات ويجوز ان يكون ظرف مكان ويجوز ان يكون اسما وضع موضع المصدر تقديره ورفع بعضهم
رفعا **المعنى** تلك بمعنى اولئك الا انه اراد به الاشارة الى الجماعة فاتى بلفظ الافراد الذى يكون للمونث المفرد كما يقال القوم خرجت
اى اولئك الذين تقدم ذكرهم من الانبياء فى الكتاب فضلنا بعضهم على بعض انما ذكر الله تفضيل بعض الرسل على بعض لامور احدها
لان لا يغلط غالط فيسوى بينهم فى الفضل كما استووا فى الرسالة وثانيها ان يبين ان تفضيل محمد عليهم كتفضيل من مضى من الانبياء
بعضهم على بعض وثالثها ان الفضيلة قد تكون بعد اداء الفريضة وهذه الفضيلة المذكورة ههنا هى ما خص كل واحد منهم من المنازل
الجليلة نحو كلامه لموسى عليه السلم بلا سفير وكارساله محمدا صلى الله عليه واله الى الكافة من الجن والانس وقيل اراد التفضيل
فى الاخرة لتفاضلهم فى الاعمال وتحمل الاثقال وقيل بالشرايع فمنهم من شرع ومنهم لم يشرع والفرق بين الابتداء بالفضيلة وبين المحاباة
ان المحاباة اختصاص البعض بالنفع على ما توجبه الشهوة دون الحكمة وليس كذلك الابتداء بالفضيلة لانه قد يكون للمصلحة التى لولاها
لفسد التدبير وادى الى حرمان الثواب للجميع فمن حسن النظر لهذا الانسان تفضيل غيره عليه اذا كان فى ذلك مصلحة له فهذا
وجه تدعوا اليه الحكمة وليس كالوجه الاول الذى انما تدعوا اليه الشهوة منهم من كلم الله اى كلمه الله وهو موسى عليه السلم ورفع
بعضهم درجات قال مجاهد اراد به محمدا صلى الله عليه واله فانه تعالى فضله على جميع انبيايه بان بعثه الى جميع المكلفين من جميع
الانس والجن وبان اعطاه جميع الايات التى اعطاها من قبله من الانبياء وبان خصه بالقران الذى لم يعطه غيره وهو المعجزة القائمة
الى يوم القيامة بخلاف ساير المعجزات فانها قد مضت وانقضت وبان جعله خاتم النبيين والحكمة تقتضى تاخير اشرف الرسل لاعظم
الامور واتينا عيسى بن مريم البينات اى الدلالات كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى والاخبار عما كانوا ياكلونه ويدخرونه
فى بيوتهم وايدناه بروح القدس قد مر تفسيره فى الاية الخامسة والثمانين من هذه السورة ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم
اى من بعد الرسل وقال قتادة والربيع من بعد موسى وعيسى واتى بلفظ الجمع لان ذكرهما يغنى عن ذكر المتبعين لهما كقال خرج الامير
فنكوا فى العدو ونكاية عظيمة معناه ولو شاء الله لم يقتتل الذين من بعد الانبياء بان كان يلجيهم الى الايمان ويمنعهم عن الكفر
الا انه لم يلجيهم الى ذلك لان التكليف لا يحسن مع الضرورة والالجاء والجزاء لا يحسن الا مع التخلية والاختيار عن الحسن وقيل معناه
لو شاء الله ما امرهم بالقتال من بعد ما جاءتهم البينات من بعد وضوح الحجة فان المقصود من بعثة الرسل قد حصل بايمان
من امن قبل القتال ولكن اختلفوا فمنهم من امن بتوفيق الله ولطفه وحسن اختياره ومنهم من كفر بسوء اختياره ولو شاء الله ما اقتتلوا
كرر ذلك تاكيدا او شبهها وقيل الاول مشية الاكراه اى لو شاء اضطرهم الى حال يرتفع معها التكليف بالكف عن قتالهم ولكن
الله يفعل ما يريد مما تقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون ايه القراءة** قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح فيها اجمع وفى سورة ابرهيم لا بيع فيه ولا خلال وفى الطور لا لغو فيها ولا تاثيم وقرا الباقون
جميعا بالرفع **الحجة** قال ابو على اما من فتح بلا تنوين فانه جعله جواب هل فيها من لغو او تاثيم ومن رفع جعله جواب أفيها لغو او
تاثيم وقد ذكرنا صدرا من القول على النفى فيما تقدم والمعنيان متقاربان فى ان النفى يراد به العموم والكثرة فى القراتين يدل
على ذلك قول امية فلا لغو ولا تاثيم فيها الا ترى انه يريد من نفى اللغو ان كان قد رفعه ما يريد بنفى التاثيم الذى فتحه
ولم ينونه فان جعلت قوله فيها خبرا اضمرت للاول خبرا وان جعلته صفة اضمرت لكل واحد من الاسمين خبرا **اللغة** البيع

هو استبدال المتاع بالثمن والبيع نقيض الشراء والبيع ايضا الشراء لانه تارة عقد على الاستبدال بالثمن وتارة على الاستبدال بالمتاع و
البيعة الصفقة على ايجاب الطاعة والبيعان البايع والمشترى والخلة خالص المودة والخلل الانفراج بين الشيئين وخللته
بالخلال اخله خلا اذا شككته به واختلال الحال انحرافها بالفقر والخليل الخالص المودة والخليل ايضا المحتاج من الخلة والخل
معروف لتخلله لحدته ولطفه فيما يتسرب فيه والخل الرجل الخفيف الجسم والخل الطريق فى الرمل وفى فلان خلة رايعة اى خصلة
والخلة جفن السيف وقد ذكرنا معنا الشفاعة عند قوله ولا يقبل منها شفاعة المعنى لما قص الله تعالى اخبار الامم السالفة
وثبت رسالة نبينا عليه السلم عقبه بالحث على الطاعة فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا محمدا عليه السلم فيما جاء به انفقوا مما
رزقناكم قيل انه اراد به الفرض كالزكوة ونحوها دون النفل لاقتران الوعيد به عن الحسن لان ظاهر الامر يقتضى الايجاب
وقيل تدخل فيه النفل والفرض عن ابن جريج واختاره البلخى وهو الاقوى لانه اعم ولان الاية ليس فيها وعيد على ترك النفقة و
انما فيها اخبار عن عظم اهوال يوم القيمة وشدايدها من قبل ان يأتى يوم اى يوم القيمة لا بيع فيه اى لا تجارة ولا خلة اى ولا صداقة
لانهم بالمعاصى يصيرون اعداء وقيل لان شغله بنفسه يمنعه من صداقة غيره وهذا كقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة اى لغير المؤمنين مطلقا فاما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم انبياؤهم كما
قال الله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ومن ذا الذى يشفع عنده الا باذنه والكافرون هم الظالمون انما ذم الله الكافر بالظلم
وان كان الكفر اعظم منه لامرين احدهما الدلالة على ان الكافر ضر نفسه بالخلود فى النار فقد ظلم نفسه والاخر انه لما نفى البيع
فى ذلك اليوم والخلة والشفاعة واخبر انه قد حرم الكافر هذه الامور قال وليس ذلك بظلم منا بل الكافرون هم الظالمون
لانهم عملوا بانفسهم ما استحقوا به حرمان هذه الامور ووجه اخر فى فايدة تخصيص الكافر بالظلم وهو ان ظلم الكافر هو غاية الظلم
وليس يبلغ ظلم المؤمنين بانفسهم وغيرهم مبلغ ظلم الكافرين ونظيره قول القايل فلان هو الفقيه فى البلد وفلان هو الفاضل
ويراد به تقدمه على غيره فيما اضيف اليه **قوله عز وجل اللّه لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى**
السموات وما فى الارض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم ايتان
بصرى اية واحدة عند غيرهم عد البصرى الحى القيوم اية **فضل الاية** ذكر ابن ذنجويه الفسوى فى كتاب الترغيب باسناد متصل الى
ابى بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ابا المنذر اى اية فى كتاب الله اعظم قلت الله لا اله الا هو الحى القيوم قال فضرب
فى صدرى ثم قال ليهنك العلم والذى نفس محمد بيده ان لهذه الاية للسانا وشفتين يقدس الملك عند ساق العرش وروى الثعلبى
باسناده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه واله من قرا اية الكرسى دبر صلوة مكتوبة كان الذى يتولى قبض
نفسه ذو الجلال والاكرام وكان كمن قاتل مع انبياء الله حتى استشهد وباسناده عن على بن ابى طالب قال سمعت نبيكم صلى الله عليه
واله على اعواد المنبر وهو يقول من قرا اية الكرسى فى دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها
الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره **وعنه** قال سمعت رسول الله عليه السلم
يقول يا على سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد
الجبال الطور وسيد الشجر السدر وسيد الشهور الاشهر الحرم وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران
البقرة وسيد البقرة اية الكرسى يا على ان فيها لخمسين كلمة فى كل كلمة خمسون بركة وروى عن عبد الله بن مسعود قال من قرا
عشر ايات من سورة البقرة فى كل ليلة فى بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح اربع ايات من اولها واية الكرسى واثنتين
بعدها وخواتيمها وروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم قال من قرا اية الكرسى مرة صرف الله عنه الف مكروه من مكاره الدنيا
والف مكروه من مكاره الاخرة ايسر مكروه الدنيا الفقر وايسر مكروه الاخرة عذاب القبر وعن ابى عبد الله عليه السلم قال ان
لكل شىء ذروة وذروة القران اية الكرسى **اللغة** الحى من كان على صفة لا يستحيل معها ان يكون عالما قادرا وان شئت قلت هو

من

من كان على صفة يجب لاجلها ان يدرك المدركات اذا وجدت والقيوم اصله قيووم على وزن فيعول الا ان الياء
والواو اذا اجتمعتا واولاهما ساكنة قلبت الواو ياء وادغمت الاولى فى الثانية قياسا مطردا والقيام اصله قوام على
وزن فعال فعل به ما ذكرنا قال امية بن ابى الصلت لم يخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر يقوم قدره المهيمن القيوم والحشر
والجنة والنعيم الا لامر شانه عظيم والسنة النوم الخفيف وهو النعاس قال عدى بن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت
فى عينه سنة وليس بنايم وهو مصدر وسن يسن وسنا وسنة قال المفضل السنة فى الراس والنوم فى القلب والنوم خلاف
اليقظة يقال نام نوما واستنام اليه اى استانس واطمان اليه ناحيته وقال الليث يقال لكل من احرز شيئا او بلغ علمه اقصاه
قد احاط به ويقال وسع فلان الشىء يسعه سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به ويقال لا يسعك هذا اى لا تطيقه ولا
تحتمله الكرسى كل اصل يعتمد عليه قال الشاعر تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كراسى بالاحداث حين تنوب اى علماء بحوادث الامور
وقال اخر نحن الكراسى لا تعد هوازن افعالنا فى النايبات ولا اسد وقال اخر ما لى بامرك كرسى اكاتمه وهل بكرسى علم الغيب
مخلوق وكل شىء تراكب فقد تكارس ومنه الكراسة لتراكب بعض ورقها على بعض ورجل كروس عظيم الراس ويقال كرسى
الملك من مكان كذا الى كذا اى ملكه مشبه بالكرسى المعروف واصل الباب الكرس تراكب الشىء بعضه على بعض واده يؤوده
اودا اثقله وجهده وادت العود اوده اودا فانا اده تحو عجته فانعاج فالاود والاود اعلى وزن الاعوج والعوجا والمعنى
واحد والاود كالعوج والعلى اصله من العلو وهو سبحانه على بالاقتدار ونفوذ السلطان ولا يقال رفيع بالاقتدار لان
الرفعة فى المكان والعلو منقول الى معنى الاقتدار يقال فلان علا على فلان يعلو علوا فهو عال وعلى بمعنى اقتدر ولا
يقال ارتفع عليه وكذلك يقال استعلى عليه بالحجة ولا يقال ارتفع عليه بالحجة والعلو بضم العين وكسرها خلاف السفل وعلا فى
الارض علوا تجبر ومنه قوله ان فرعون علا فى الارض اى تجبر والله تعالى العالى والمتعالى اى القادر القاهر لا يعجزه شىء
وفلان من علية الناس اى من اشرافهم والعظيم معناه العظيم الشان وقيل العظيم بمعنى المعظم كما قالوا فى الخمر العتيق اى المعتقة
والاول اقوى **الاعراب** الله رفع بالابتداء وما بعده خبره والكلام مخرجه مخرج النفى ان يصح اله سوى الله وحقيقة الاثبات
لا اله واحد هو الله فكانه قيل الله الا اله غيره وارتفع هو فى لا اله الا هو على احد وجهين احدهما بالابتداء كانه قال ما اله الا
الله الثانى ان يكون بدلا كانه قال ما اله ثابتا او موجودا الا الله ويجوز فى العربية نصب الله فى قوله لا اله الا الله على استثناء
المعنى لما قدم تعالى ذكر الامم واختلافهم على انبيائهم فى التوحيد وغيره عقبه بذكر التوحيد فقال الله اى من تحق له العبادة
تعليه على اصول النعم وقد ذكرنا اختلاف الاقوال فى اصله وفى معناه فى مفتتح سورة الفاتحة لا اله الا هو اى لا احد تحق العبادة
له ويستحق الالهية غيره الحى قد ذكرنا معناه القيوم القايم بتدبير خلقه من انشائهم ابتداء وايصال ارزاقهم اليهم كما قال وما
من دابة فى الارض الا على الله رزقها عن قتادة وقيل القيوم هو العالم بالامور من قولهم هو يقوم بهذا الكتاب اى يعلم
ما فيه وقيل معناه الدايم الوجود عن سعيد بن جبير والضحاك وقيل معناه القايم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو
عالم بها عن الحسن واللفظ يحتمل جميع هذه الوجوه لا تأخذه سنة اى نعاس ولا نوم ثقيل مزيل للقوة وقيل معناه لا يغفل عن الخلق
ولا يسهو كما يقال للغافل انت نايم وانت وسنان له ما فى السموات وما فى الارض معناه له ملك ما فيهما وله التصرف فيهما من ذا
الذى يشفع عنده الا باذنه هو استفهام معناه الانكار والنفى اى لا يشفع يوم القيمة احد لاحد الا باذنه وامره وذلك ان
المشركين كانوا يزعمون ان الاصنام تشفع لهم فاخبر الله تعالى ان احدا ممن له شفاعة لا يشفع الا بعد ان يأذن الله له فى ذلك
ويامره به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل فيه وجوه احدها ان معناه يعلم ما بين ايديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الاخرة
عن مجاهد والسدى والثانى ان معناه يعلم الغيب الذى تقدمهم من قولك بين يديه اى قدامه وما مضى فهو قدام الشىء فحمل عليه
على هذا المعنى لان هذا اللفظ حقيقة فى الماضى وما خلفهم يعنى الغيب الذى يأتى بعدهم عن ابن جريج والثالث ان ما
بين ايديهم عبارة عما لم يات كما يقال رمضان بين ايدينا وما خلفهم عبارة عما مضى كما يقال فى شوال قد خلفنا رمضان عن الضحاك

ولا يحيطون بشئ من علمه معناه من معلومه كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا اي معلومك و يقال اذا اظهرت اية هذه قدرة الله اي
مقدور الله والاحاطة بالشئ علما ان يعلمه كما هو على الحقيقة الا بما شاء يعني ماشاء ان يعلمهم ويطلعهم عليه وسع كرسيه السموات
والارض اختلف فيه على اقوال احدها وسع علمه السموات والارض عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله
عليهما السلم و يقال للعلما كراسي كما يقال اوتاد الارض لانهم قوام الدين والدنيا وثانيها ان الكرسي ههنا هو العرش عن الحسن وانما سمي
كرسيا لتركب بعضه على بعض وثالثها ان المراد بالكرسي ههنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال اجعل لهذا الحايط كرسيا اي عمادا
يعمد به حتى لا يقع ولا يميل فيكون معناه احاط قدرته بالسموات والارض وما فيهما ورابعها ان الكرسي سرير دون العرش وقد روي
ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم وقريب منه ما روي عن عطا انه قال ما السموات والارض عند الكرسي الا كحلقة في فلاة وما الكرسي
عند العرش الا كحلقة في فلاة ومنهم من قال ان السموات والارض جميعا على الكرسي والكرسي تحت الارض كالعرش فوق السماء وروي
الاصبغ بن نباته ان عليا عليه السلم قال السموات والارض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله اربعة املاك يحملونه باذن
الله ملك منهم في صورة الادميين وهي اكرم الصور على الله وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويشفع ويطلب الشفاعة والرزق لبني ادم
والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهايم وهو يدعو الله ويتضرع ويطلب الشفاعة والرزق للبهايم والملك الثالث في
صورة النسر وهو سيد الطيور وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطيور والملك الرابع في صورة الاسد
وهو سيد السباع وهو يدعو الله ويتضرع اليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع قال ولم يكن في جميع الصور صورة احسن
من الثور ولا اشد انتصابا منه حتى اتخذ الملا من بني اسرائيل العجل وعبدوه خفض الملك الذي في صورة الثور راسه استحياء
من الله ان عبدوا من دون الله بشئ يشبهه وتخوف ان ينزل به العذاب ولا يؤوده حفظهما اي لا يشق على الله تعالى ولا
يثقله حفظ السموات والارض وقيل الهاء في يؤوده يعود الى الكرسي وهذا قول من يقول ان السموات والارض على الكرسي وهو العلي
عن الاشباه والامثال والاضداد والانداد وعن امارات النقص ودلالات الحدث وقيل هو من العلو الذي بمعنى القدرة والسلطان و
والملك وعلو الشان والقهر والاعتلاء والجلال والكبرياء العظيم اي عظيم الشان القادر الذي لا يعجزه شئ العالم الذي
لا يخفى عليه شئ لا نهاية لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته وروي عن علي بن ابرهيم عن ابيه عن الحسين بن خالد انه قرا ابو الحسن الرضا
عليه السلم الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى عالم الغيب
والشهادة الرحمن الرحيم من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه قوله عز وجل لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي
فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم اية اللغة
الرشد نقيض الغي وهو الرشد والرشد ويقال غوى يغوي غيا وغواية اذا سلك طريق الهلاك وغوى اذا خاب قال الشاعر ومن
يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لايما وغوى الفصيل يغوى غوى اذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك والطاغوت
وزنها في الاصل فعلوت وهي مصدر مثل الرغبوت والرهبوت والرحموت ويدل على انها مصدر وقوعها على الواحد والجماعة
بلفظ واحد واصلها طغيوت لانها من الياء يدل على ذلك قوله في طغيانهم ثم ان اللام قدمت الى موضع العين فصار طيغوت
ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت فوزنها الآن بعد القلب فلعوت وجمع طاغوت طواغيت وطواغت و
طواغ على حذف الزيادة وطواغي على العوض من الحذف والعروة عروة الدلو ونحوه لانها متعلقة وعروت الرجل اعروه عروا اذا
الممت به متعلقا بسبب منه واعتراه همّ اذا تعلق به وعرته الحمى تعرو اذا علقت به فالاصل في الباب التعلق قال الازهري العروة
كل نبات له اصل ثابت كالشيح والقيصوم وغيره شبهت عرى الاشياء في لزومها والوثقى تانيث الاوثق والانفصام والانقطاع
والانصداع نظاير قال الاعشى ومبسمها عن شتيت النبات غير اكس ولا منقصم يقال فصمته فانفصم النزول قيل هذه الاية
نزلت في رجل من الانصار كان له غلام اسود يقال له صبيح كان يكرهه على الاسلام عن مجاهد وقيل نزلت في رجل من الانصار
يدعى ابا الحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام الى المدينة يحملون الزيت فلما ارادوا الرجوع من المدينة اتاهم ابنا ابي الحصين

فدعوهما الى النصرانية فتنصرا وخرجا الى الشام فاخبر ابو الحصين رسول الله فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فقال رسول الله
عليه السلم ابعدهما الله هما اول من كفر فوجد ابو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما فانزل الله فلا وربك لا يؤمنون
الاية وكان هذا قبل ان يؤمر النبي بقتال اهل الكتاب ثم نسخ وامر بقتال اهل الكتاب في سورة براءة عن السدي وهكذا قال ابن
مسعود وابن زيد انها منسوخة باية السيف وقال الباقون هي محكمة وقيل كانت المراة من الانصار تكون مقلاتا فتنذر ان عاش لها ولد
تهوده فجاء الاسلام وفيهم جماعة منهم فلما اجليت بنو النضير اذا فيهم ناس من الانصار فقالوا يا رسول الله ابناؤنا واخواننا
فنزلت لا اكراه في الدين فقال عليه السلم خيروا اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجلوهم عن ابن عباس
المعنى لما تقدم ذكر اختلاف الامم وانه لو شاء الله لاكرههم على الدين ثم بين تعالى دين الحق والتوحيد عقبه بان الحق قد
ظهر والعبد مخير فلا اكراه بقوله لا اكراه في الدين وفيه عدة اقوال احدها انه في اهل الكتاب خاصة الذين يوخذ منهم الجزية عن
الحسن وقتادة والضحاك وثانيها انه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدي وغيره وثالثها ان المراد لا تقولوا لمن دخل
في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره عن الزجاج ورابعها انها نزلت في قوم
خاص من الانصار كما ذكرناه في النزول عن ابن عباس وغيره وخامسها ان المراد ليس في الدين اكراه من الله تعالى ولكن
العبد مخير فيه لان ما هو دين في الحقيقة هو من افعال القلوب اذا فعل لوجه وجوبه فاما ما يكره عليه من اظهار الشهادتين
فليس بدين حقيقة كما ان من اكره على كلمة الكفر لم يكن كافرا والمراد الدين المعروف وهو دين الاسلام ودين الله الذي ارتضاه
قد تبين الرشد من الغي قد ظهر الايمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحجج والايات الدالة عقلا وسمعا والمعجزات التي ظهرت
على يد النبي عليه السلم فمن يكفر بالطاغوت قيل فيه اقوال احدها انه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله
عليه السلم وثانيها انه الكاهن عن سعيد بن جبير وثالثها انه الساحر عن ابي العالية ورابعها انه مردة الجن والانس وكل
ما يطغى وخامسها انه الاصنام وما عبد من دون الله وعلى الجملة فالمراد من كفر بما خالف امر الله ويؤمن بالله اي يصدق بالله
وبما جاءت به رسله فقد استمسك اي تمسك واعتصم بالعروة الوثقى اي بالعصمة الوثيقة وعقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا تحله
شبهة وعن مجاهد هو الايمان بالله وبرسوله وجرى هذا مجرى المثل لحسن البيان باخراج ما لا يقع به الاحساس الى ما يقع به لا انفصام
لها اي لا انقطاع لها يعني كما لا ينقطع امر من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع امر من تمسك بالايمان والله سميع لاقوالكم عليم بضمايركم قوله عز وجل الله ولي الذين
امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون اية اللغة الولي من الولي وهو القرب من غير فصل وهو الذي يكون اولى بالغير واحق
بتدبيره ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وبالامر والنهي ومنه المولى من فوق لانه يلي امر العبد بسد الخلة وما به اليه الحاجة
ومنه المولى من اسفل لانه يلي امر المالك بالطاعة ومنه المولى لابن العم لانه يلي امره بالنصرة لتلك القرابة ومنه ولي اليتيم لانه
يلي امر ماله بالحفظ له والقيام عليه والولي في الدين وغيره لانه يلي امره بالنصرة لما توجبه الحكمة والمعاقدة فجميع هذه المواضع
الاولى والاحق ملحوظ فيها وولى عن الشئ اذا ادبر عنه لانه زال عن ان يليه بوجهه واستولى على الشئ اذا احتوى عليه لانه يليه
بالقهر والله تعالى ولي المؤمنين على ثلاثة اوجه احدها انه يتولاهم بالمعونة على اقامة الحجة والبرهان لهم وهدايتهم كقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى وثانيها انه وليهم في نصرهم على عدوهم واظهار دينهم على مخالفيهم وثالثها انه وليهم يتولاهم
بالمثوبة على الطاعة والمجازاة على الاعمال الصالحة المعنى لما ذكر سبحانه المؤمن والكافر بين ولي كل واحد منهما فقال الله ولي الذين
امنوا اي نصيرهم ومعينهم في كل ما بهم اليه الحاجة وما فيه لهم الصلاح من امور دينهم ودنياهم واخرتهم يخرجهم من الظلمات
الى النور اي من ظلمات الضلالة والكفر الى نور الهدى والايمان لان الضلال والكفر في المنع من ادراك الحق كالظلمة في المنع من ادراك المبصرات ووجه
اخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان والطاعة هو انه هداهم اليه ونصب الادلة لهم عليه و
رغبهم فيه وفعل بهم من الالطاف ما يقوي دواعيهم الى فعله لانا قد علمنا انه لولا هذه الامور لم يخرجوا من الكفر الى الايمان فصح

اضافة الاخراج اليه تعالى لكون هذه الامور التى عددناها من جهته تعالى كما يصح من احدنا اذا اشار على غيره بدخول بلد من
البلدان ورغبه فيه وعرفه ماله فيه من الصلاح ان يقول اناادخلت فلانا البلد الفلانى وانا اخرجته من كذا وكذا والذين
كفروا اولياءهم الطاغوت اى متولى امورهم وانصارهم الطاغوت والطاغوت ههنا واحد اريد به الجمع وهذا جائز فى اللغة اذا
كان فى الكلام دليل على الجماعة قال الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب وجلدها فى معنا جلودها وقال
العباس بن مرداس فقلنا اسلموا انا اخوكم فقد برئت من الاحن الصدور والمراد به الشياطين عن ابن عباس وقيل رؤساء الضلالة
عن مقاتل يخرجونهم من النور الى الظلمات الى الطواغيت على ما تقدم ذكره من انهم يغوونهم ويدعونهم الى ذلك ويزينون فعله له
فصح اضافتها اليهم وهذا يدل على بطلان قول من قال ان الاضافة الاولى يقتضى ان الايمان من فعل الله تعالى فى المومن لانه
لو كان كذلك لاقتضت الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين وعندهم لا فرق بين الامرين فى انهما من فعله تعالى عن
ذلك وايضا فلو كان الامر على ما ظنوه لما صار الله تعالى ولياً للمؤمنين وناصرا لهم على ما اقتضته الاية والايمان من فعله لا من
فعلهم ولما كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله فيهم ولم فصل بين الكافر والمومن وهو المتولى
لفعل الامرين فيهما ومثل هذا لا يخفى على منصف فان قيل كيف يخرجونهم من النور وهم لم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه وجهان احدهما
ان ذلك يجرى مجرى قول القايل اخرجنى والدى من ميراثه فمنعه من الدخول فيه اخراج ومثل قوله تعالى فى قصة يوسف انى تركت
ملة قوم لا يومنون بالله ولم يكن فيه قط وقوله ومنهم من يرد الى ارذل العمر وقال الشاعر فان تكن الايام احسن مرة الى فقد
عادت لهن ذنوب ولم يكن لها ذنوب قبل ذلك والوجه الاخر انه فى قوم ارتدوا عن الاسلام عن مجاهد والاول اقوى وقوله
اولئك اصحاب النار الى اخره قد مضى تفسيره قوله عز وجل الم تر الى الذى حاج ابرهيم فى ربه ان اتيه الله الملك
اذ قال ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت قال انا احيى واميت قال ابرهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين اية القراءة قرا اهل المدينة انا احيى
باثبات الالف فى انا والمد اذا كان بعدها همزة مضمومة او مفتوحة نحو انا اخوك فان كان بعدها همزة مكسورة نحو
ان انا الا نذير حذفوا الالف اجماعا الحجة الاصل فى انا الهمزة والنون وانما يلحقها الالف فى الوقف كما ان الهاء يلحق للوقف
فى نحو مسلمونه وكما ان الهاء التى تلحق للوقف تسقط فى الوصل كذلك هذه الالف تسقط فى الوصل وقد جاءت الف انا مثبتة
فى الوصل فى الشعر نحو قول الاعشى فكيف انا وانتحالى القوافى بعد المشيب كفى ذاك عارا وقول الاخر انا شيخ العشيرة فاعرفونى
حميدا قد تذريت السناما قال ابو على وما روى من اثبات الالف فى انا اذا كان بعد الالف همزة فانى لا اعلم بين الهمزة
وغيرها من الحروف فصلا ولا شيئا يجب من اجله اثبات الالف التى حكمها ان يثبت فى الوقف اللغة فى بهت اربع لغات بهت
على وزن ظرف وبهت على وزن ذهب وبهت على ما لم يسم فاعله وهذا هو الافصح وعليه القراءة يقال بهت الرجل
يبهت بهتا اذا انقطع وتحير ويقال بهت الرجل ابهته بهتانا اذا قابلته بكذب فالبهت الحيرة عند استيلاء الحجة لانها كالحيرة للمواجه
بالكذب لان تحير المكذب فى مذهبه كتحير المكذوب عليه ومنه قوله اتاخذونه بهتانا كما قال اتاخذونه ادعاء للكذب فيه الاعراب
الم تر الى الذى انما دخلت الى فى الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقولون اما ترى الى فلان كيف يصنع ومنه معنى هل
رايت فلان فى صنعته كذا فانما دخلت الى من بين حروف الجر لهذا المعنى لانها لما كانت بمعنى الغاية والنهاية صار الكلام بمنزلة
هل انتهت رؤيتك الى من هذه صفته ليدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه لان التعجب انما يكون مما استبهم سببه ولم تجر العادة
به وقد صارت الى ههنا بمنزلة كاف التشبيه لما بينا من العلة اذ كان ما ندر مثله كالذى يبعد وقوعه المعنى لما بين تعالى
انه ولى المومنين وان الكفار لا ولى لهم سوى الطاغوت تسلية لنبيه عليه السلام قص عليه بعده قصة ابرهيم ونمرود فقال
الم تر يا محمد اى الم ينته علمك ورؤيتك الى الذى حاج ابرهيم اى الى من كان كالذى حاج فكانه قال هل رايت كالذى حاج
اى خاصم وجادل ابرهيم وهو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية عن مجاهد وغيره وانما اطلق لفظ المحاجة

وان

[Margin:] اى من الايمان والطاعة والهدى الى ظلمات الكفر والمعصية والضلال واضاف اخراجهم من النور الى الظلمات

[Margin:] وبهت على وزن

وان كانت مجادلة بالباطل ولم يكن له حجة لان فى زعمه ان له حجة واختلف فى وقت هذه المحاجة فقيل عند كسر الاصنام قبل
القائه فى النار عن مقاتل وقيل بعد القائه فى النار وجعلها عليه بردا وسلاما عن الصادق عليه السلام فى ربه اى فى رب
ابرهيم الذى يدعوا الى توحيده وعبادته ان اتاه الله الملك لان اتاه الله الملك الهاء من اتاه يعود الى المحاج لابرهيم اى اعطاه الله الملك
وهو نعيم الدنيا وسعة المال فبطر الملك حمله على محاجة ابرهيم عن الحسن والجبائى والملك على هذا الوجه جائز ان ينعم الله تعالى
به على كل احد فاما الملك بتمليك الامر والنهى وتدبير امور الناس وايجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز ان يؤتيه الله الا من
يعلم انه يدعوا الى الصلاح والسداد والرشاد دون من يدعوا الى الكفر والفساد ولا يصح منه لعلمه بالغيوب والسرائر فتفويض
الولاية الى من هذا سبيله لما فى ذلك من الاستفساد وقيل ان الهاء تعود الى ابرهيم عليه السلام عن ابى القسم البلخى ويسال
على هذا فيقال كيف يكون الملك لابرهيم والحبس والاطلاق الى نمرود وجوابه ان الحبس والاطلاق والامر والنهى كان
من جهته الله تعالى الى ابرهيم عليه السلام وانما كان نمرود يفعل ذلك على وجه القهر والغلبة لا من جهته ولاية شرعية اذ قال
ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت فى الكلام حذف وهو اذ قال له نمرود من ربك فقال ربى الذى يحيى ويميت بدا بذكر الحياة لانها اول
نعمة ينعم الله بها على خلقه ثم يميتهم وهذا ايضا لا يقدر عليه الا الله تعالى لان الاماتة هى ان يخرج الروح من بدن الحى من غير
جرح ولا نقض بنية ولا احداث فعل يتصل بالبدن من جهته وهذا خارج عن قدرة البشر قال انا احيى واميت اى فقال نمرود انا
احيى بالتخلية من الحبس من وجب عليه القتل واميت بالقتل من شئت ممن هو حى وهذا جهل من الكافر لانه اعترض فى المعارضة
على العبادة فقط دون المعنا عادلا عن وجه الحجة بفعل الحيوة للميت او الموت للحى على سبيل الاختراع الذى ينفرد تعالى به ولا يقدر
عليه سواه قال ابرهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قيل فى انتقاله من حجة الى حجة اخرى وجهان احدهما
ان ذلك لم يكن انتقالا وانقطاعا من ابرهيم عليه السلام فانه يجوز من كل حكيم ايراد حجة اخرى على سبيل التاكيد بعد تمام ما ابتدا
من الحجاج وعلامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تاثير عند التامل والتدبر لموضعها من الحجة المعتمد عليها والثانى
ان ابرهيم انما قال ذلك ليبين ان من شان من يقدر على احياء الاموات واماتة الاحياء ان يقدر على اتيان الشمس من المشرق
فان كنت قادرا على ذلك فات بها من المغرب وانما فعل ذلك لانه لو تشاغل معه بانى اردت اختراع الحياة والموت من غير سبب
ولا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر فعدل الى ما هو اوضح لان الانبياء عليهم السلام انما بعثوا للبيان والايضاح وليست امورهم
مبنية على تحاج الخصمين وطلب كل واحد منهما غلبة خصمه وقد روى عن الصادق عليه السلام ان ابرهيم عليه السلام قال له احيى
من قتلته ان كنت صادقا ثم استظهر عليه بما قاله ثانيا فبهت الذى كفر اى تحير عند الانقطاع بما بان من ظهور الحجة فان قيل
فهلا قال له نمرود فليات بها ربك من المغرب قيل عن ذلك جوابان احدهما انه لما علم بما راى من الايات انه لو اقترح ذلك
لاتى به الله تصديقا لابرهيم فكان يزداد بذلك فضيحة فعدل عن ذلك والثانى ان الله تعالى خذله ولطف لابرهيم
عليه السلام حتى انه لم يات بشبهة ولم يلبس والله لا يهدى القوم الظالمين بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد وقيل معناه
لا يهديهم الى المحاجة كما هدى الانبياء وقيل معناه لا يهديهم بالطافه وتاييده اذا علم انه لا لطف لهم وقيل لا يهديهم الى
الجنة وهذا لا يعارض قوله تعالى واما ثمود فهديناهم لانا قد بينا معانى الهداية ووجوهها قبل عند قوله يضل به كثيرا
ويهدى به كثيرا فبعضها عام لجميع المكلفين وبعضها خاص بالمؤمنين وفى هذه الاية دلالة على ان المعارف غير ضرورية
اذ لو كانت كذلك لما صحت المحاجة فى اثبات الصانع وفيها دلالة على فساد التقليد وحسن الحجاج وانه تعالى انما يعلم بافعاله
التى لا يقدر عليها غيره وفى تفسير ابن عباس ان الله تعالى سلط على نمرود بعوضة فعضت شفته فاهوى اليها بيده ليأخذها
فطارت فى منخره فذهب ليستخرجها فطارت فى دماغه فعذبه الله تعالى بها اربعين ليلة ثم اهلكه قوله تعالى او كالذى
مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال
كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى

حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير ﴿٢٥٩﴾ **القراءة** قرا ابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي لبثّ بالادغام والباقون بالاظهار وقرا اهل العراق غير ابي عمرو وعاصم لم يتسن واقتده بحذف الهاء وصلا والباقون باثبات الهاء ولم يختلفوا في اثباتها في الوقف وقرا اهل الحجاز والبصرة ننشرها بضم النون الاولى وبالراء وقرا اهل الكوفة والشام ننشزها بالزاي وروى ابان عن عاصم ننشرها بفتح النون وضم الشين وبالراء وقرا حمزة والكسائي قال اعلم موصولة الالف ساكنة الميم والباقون اعلم مقطوعة الالف مرفوعة الميم **الحجة** قال ابو علي من ادغم لبثت اجرى الثاء والتاء مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا واتفقا في الهمس ومن بيّن ولم يدغم فلتباين المخرجين لان الطاء والدال والتاء من حيز والظاء والذال والثاء من حيز ومن قرا لم يتسنه بالهاء في الوصل فيحتمل وجهين احدهما ان يكون الهاء لاما من السنة فيمن قال شجرة سنهاء فيكون سكون الهاء للجزم والاخر ان يكون من السنة ايضا فيمن قال سنوات وسنوات افيكون من المسنون الذي يراد به المتغير كانه لم يتسنن ثم قلب على حد القلب في تظنن وحكى ان ابا عمرو الشيباني الى هذا كان يذهب في هذا الحرف فالهاء في يتسنه على هذين القولين يكون للوقف فينبغي ان يلحق في الوقف ويسقط في الدرج واما قوله اقتده فانه يجوز ان يكون الهاء كناية عن المصدر ولا يكون التي للوقف ولكن لما ذكر الفعل دل على مصدره فاضمره كما اضمر في قوله ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم وقال الشاعر هذا سراقة للقرآن يدرسه والمرء عند الرشا ان يلقها ذيب فالهاء في يدرسه للمصدر ولا يجوز ان يكون للمفعول لان الفعل قد تعدى الى المفعول باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه مرة ثانية فكذلك قولهم فبهداهم اقتده يكون اقتدِ الاقتداء فيضمر لدلالة الفعل عليه ومن قرا كيف ننشرها فمعناه كيف نحييها يقال انشر الله الميت فنشر وقد وصف العظام بالاحياء قال تعالى من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وكذلك في قوله كيف ننشزها ومن قرا ننشزها بالزاي فالنشز الارتفاع قال ابو الحسن نشزته وانشزته فتقدير ننشزها نرفع بعضها الى بعض للاحياء ومن هذا النشوز من المراة وهو ان تنبو من الزوج في العشرة فلا تلائمه ومن قرا قال اعلم على لفظ الخبر فلانه لما شاهد من احياء الله تعالى وبعثه اياه بعد وفاته ما شاهد اخبر عما تبينه وتيقنه اي اعلم هذا الضرب من العلم الذي لم اكن علمته قبل ومن قرا اعلم على لفظ الامر فالمعنى يؤل الى الخبر وذلك انه لما تبين له ما تبين من الامر الذي لا مجال لشبهة عليه نزل نفسه منزلة غيره فخاطبها كما يخاطب سواها كقول الاعشى ارمى بها البيد اذا هجرت وانت بين القرو والعاصر فقال انت وهو يريد نفسه ومثله قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل فخاطب نفسه كما يخاطب غيره قال ابو الحسن وهو اجود في المعنى **اللغة** اصل الخوا الخلاء قال الراجز يزيد واخوا الارض من خوائه والخوا الفرجة بين الشيئين لخلو ما بينهما وخوت الدار تخوي خواء فهي خاوية اذا باد اهلها لخلوها منهم والخوى الجوع خوى يخوي خوى لخلو البطن من الغذاء والتخوية التفريج بين العضدين والجنبين لخلو ما بينهما بتباعدهما على عروشها اي على ابنيتها قال ابو عبيدة هي الخيام وهي بيوت الاعراب وقال غيره خاوية على عروشها اي بقيت حيطانها لا سقوف عليها وكل بناء عرش وعريش مكة ابنيتها وعرش يعرش عرشا اذا بنى والعريش البيت لارتفاع ابنيته والعرش السرير لارتفاعه عن غيره وعرش الرجل قوام امره وعرش البيت سقفه والتعريش جعل الخشب تحت الكرم ليمتد عليه يقال عرشته وعرّشته واصل القرية الجمع من قريت الماء وسميت قرية لاجتماع الناس فيها للاقامة بها وانّى يحيي اي من اين يحيي او كيف يحيي **والعام** الحول وجمعه اعوام وهو حول ياتي بعد شتوة وصيفة لان فيه سبحا طويلا بما يمكن من التصرف فيه والعوم السباحة والسفينة تعوم في جريها والابل تعوم في سيرها والاعتيام اصطفاء خيار مال الرجل لانه يجري في اخذه شيئا بعد شيء كالسابح في الماء الجاري واعتام الموت النفوس اولا فاولا كذلك فاصل الباب السبح واللبث المكث يقال لبث فهو لابث وتلبث تلبثا اذا تمكث والحمار يقال للوحشي والاهلي واصله من الحمرة لان الحمرة اغلب عليه وحمارة القيظ شدة حره وحمر الفرس يحمر حمرا اذا انتن وموت احمر شديد مشبه بحمرة النار والاسود والاحمر العرب والعجم لان السواد اغلب على لون العرب كما الحمرة على لون العجم ومنه قول الاشعث لعلي عليه السلام غلبتنا عليك هذه الحمراء يعني العجم والنشر خلاف الطي والنشر اذاعة الحديث وحت العود بالمنشار والنشر الرائحة الطيبة وربما قيل في

في الوصل

الخبيثة والنشرة الرقية والنشز بالزاي المرتفع من الارض **الاعراب** او حرف عطف وهو عطف على معنى الكلام الاول وتقديره ارايت كالذي حاج ابرهيم في ربه او كالذي مر على قرية وموضع الكاف نصب بعطفه ومعناه التعجب منه لان كل ما خرج في بابه لعظمه عن حد نظايره فهو مما يتعجب منه يقول ما اجهله اي قد خرج بجهله عن حد نظايره وكذلك لو قلت هل رايت كزيد الجاهل لدللت على مثل الاول في التعجب لما بينا الا ان ما افعله صيغة وضعت للتعجب وليس كذلك هل رايت لانها في الاصل للاستفهام وقيل الكاف زايدة للتوكيد كما زيدت في قوله ليس كمثله شيء والاول اوجه لانه لا يحكم في الزيادة الا ضرورة وقوله انّى استفهام في موضع نصب على الحال من يحيي وتقديره اقادرا يحيي ويجوز ان يكون مصدرا ليحيي وتقديره اي نوع يحيي اي احيا يحيي وهذا اولى لانه يكون سوالا عن كيفية الاحياء لا انكارا لاصل الاحياء وموضع كم نصب بلبثت كانه قيل امائة سنة لبثت ام اقل ام اكثر وقوله ولنجعلك دخلت الواو لايصال اللام بفعل محذوف كانه قال ولنجعلك اية فعلنا ذلك لان الواو لو سقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف في محل النصب على الحال من ننشرها او ننشزها او على المصدر وننشرها جملة في موضع الحال من انظر وذو الحال العظام **المعنى** او كالذي مر اي او هل رايت كالذي مر ومعناه ان شئت فانظر في قصة الذي حاج وان شئت فانظر في قصة الذي مر على قرية وهو عزير عن قتادة وعكرمة والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل هو ارميا عن وهب وهو المروي عن ابي جعفر وقيل هو الخضر عن ابن اسحق والقرية التي مر عليها هو بيت المقدس لما خربه بخت نصر عن وهب وقتادة والربيع وعكرمة وقيل هي الارض المقدسة عن الضحاك وقيل هي القرية التي خرج منها الالوف حذر الموت عن ابن زيد وهي خاوية على عروشها اي خالية وقيل خراب عن ابن عباس والربيع والضحاك وقيل ساقطة على ابنيتها وسقوفها كان السقوف سقطت ووقعت البنيان عليها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها وقيل كيف يحيي الله اهلها بعد ما ماتوا واطلق لفظ القرية واراد به اهلها كقوله تعالى وسئل القرية ولم يقل ذلك انكارا ولا تعجبا ولا ارتيابا ولكن احب ان يريه الله تعالى احياءها مشاهدة كما يقول الواحد منا كيف يكون حال الناس يوم القيمة وكيف يكون حال اهل الجنة في الجنة وكيف يكون اهل النار في النار وكقول ابرهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى احب ان يريه الله تعالى احياء الموتى مشاهدة ليحصل له العلم ضرورة بما حصل له العلم به دلالة لان العلم الاستدلالي ربما اعترته الشبهة فاماته الله مائة عام اي مائة سنة ثم بعثه اي احياه قال كم لبثت في التفسير انه سمع نداء من السماء كم لبثت يعني في مبيتك ومنامك وقيل ان القائل له نبي وقيل ملك وقيل بعض المعمرين ممن شاهد عند موته واحيائه قال لبثت يوما او بعض يوم لان الله تعالى اماته في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في اخر النهار فقال يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام قال بل مكثت في مكانك مائة سنة فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم تغيره السنون وانما قال لم يتسنه على الواحد لانه اراد جنس الطعام والشراب اي انظر الى ما تركته انه لم يتسنه وقيل اراد به الشراب لانه اقرب المذكورين اليه وقيل كان زاده عصيرا وتينا وعنبا وهذه الاشياء اسرع الاشياء تغيرا وفسادا فوجد العصير حلوا والتين والعنب كما جنيا لم يتغيرا وانظر الى حمارك معناه انظر اليه كيف تفرق اجزاؤه وتبدد عظامه ثم انظر كيف يحييه الله وانما قال له ذلك ليستدل بذلك على طول مماته ولنجعلك اية للناس فعلنا ذلك وقيل معناه فعلنا ذلك اجابة لك الى ما اردت ولنجعلك اية للناس اي حجة للناس في البعث وانظر الى العظام كيف ننشزها كيف نحييها وبالزاي كيف نرفعها من الارض فنردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض ثم نكسوها اي نلبسها لحما واختلف فيه فقيل اراد عظام حماره عن السدي وغيره فعلى هذا يكون تقديره وانظر الى عظام حمارك وقيل اراد عظامه عن الضحاك وقتادة والربيع قالوا اول ما احيا الله منه عينه وهو مثل غرقي البيض فجعل ينظر الى العظام البالية المتفرقة تجتمع اليه والى اللحم الذي قد اكلته السباع تاتلف الى العظام من هيهنا ومن هيهنا ويلتزم ويلتزق بها حتى قام وقام حماره فلما تبين له يعني ظهر وعلم وانما علم انه مات مائة سنة لشيئين احدهما باخبار من اراه الاية المعجزة في نفسه وحماره وطعامه وشرابه و

تقطع اوصاله ثم اتصال بعضها الى بعض حتى رجع الى الحالة التى كان عليها فى اوله امره والاخر انه علم ذلك بالاثار الدالة على ذلك
لما رجع الى وطنه فراى ولده ولد ولده شيوخا وقد كان خلفهم اباهم شبابا الى غير ذلك من الامور التى تغيرت والاحوال التى تقلبت وروى
عن على عليه السلام ان عزيرا خرج من اهله وامراته حامل وله خمسون سنة فاماته الله ماية سنة ثم بعثه فرجع الى اهله ابن خمسين
سنة وله ابن له ماية سنة فكان ابنه اكبر منه فذلك من ايات الله وقيل انه رجع وقد احرق بخت نصر التورية فاملاها من ظهر قلبه
فقال رجل منهم حدثنى ابى عن جدى انه دفن التورية فى كرم فان اريتمونى كرم جدى اخرجتها لكم فاروه فاخرجها فعارضوا ذلك بما املى
فما اختلفا فى حرف فقالوا ما جعل الله التورية فى قلبه الا وهو ابنه فقالوا عزير ابن الله قال اعلم اى ايقن ومن قرا اعلم فمعناه على
ما تقدم ذكره من انه يخاطب نفسه وقيل انه امر من الله تعالى له ان الله على كل شىء قدير اى لم اقل ما قلت عن شك وارتياب و
يحتمل انه ازداد بما شاهد وعاين يقينا وعلما اذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علم ضرورة ومعاينة قوله عز وجل واذ
قال ابرهيم رب ارنى كيف تحى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن
اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم القراءة قرا
ابو جعفر وحمزة وخلف ورويس عن يعقوب فصرهن بكسر الصاد والباقون فصرهن بضم الصاد وروى فى الشواذ عن ابن عباس
فصرهن بكسر الصاد وتشديد الراء وفتحها عن عكرمة فصرهن بفتح الصاد وكسر الراء وتشديدها وقرا عاصم فى رواية ابى بكر
جزؤا مثقلا مهموزا حيث وقع وقرا ابو جعفر جزا مشددا والباقون بالهمز والتخفيف الحجة يقال صرته اصوره اى املته ومنه
قول الشاعر يصور عنوقها احوى زنيم اى يميل عنوق هذه الغنم تيس احوى وصرته اصوره قطعته قال ابو عبيدة فصرهن من
الصور وهو القطع قال ابو الحسن وقد قالوا بمعنى القطع صار يصير ايضا وقال الشاعر وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان
الكروم الدوالح ومعنى هذا يميل الجيد من كثرته فقد ثبت ان الميل والقطع يقال فى كل واحد منهما ايضا صار يصير فمن جعل فصرهن
اليك بمعنى املهن اليك حذف من الكلام والمعنى املهن اليك فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فحذف الجملة لدلالة
الكلام عليها كما حذف فى قوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانفلق ومن قدر فصرهن على معنى فقطعهن لم يحتج الى
اضمار ويحتمل كلا الوجهين كل واحد من القراءتين على ما ذكرناه وقوله اليك ان جعلت صرهن بمعنى قطعهن كان اليك
متعلقا بخذ اى خذ اليك اربعة من الطير فقطعهن ثم اجعل وان جعلته بمعنى املهن احتمل اليك ان يكون متعلقا بخذ و
ان يكون متعلقا بصرهن وقياس قول سيبويه ان يكون متعلقا بقوله فصرهن لانه اليه اقرب ومن قرا فصرهن بكسر الصاد وتشديد
الراء فانه يكون من صر يصر اى قطعه والمتعدى من هذا الباب قليل وقد روى عن عكرمة ايضا فصرهن بضم الصاد فيكون من صر
يصر وعلى هذا القياس ومن قرا فصرهن فهو فعلهن من صرى يصرى تصرية اذا حبس وقطع قال رب غلام قد صرى فى فقرته ماء
الشباب عنفوان شرته اى حبسه وقطعه ومنه الشاة المصراة اى المحبوسة اللبن المقطوعة فى ضرعها عن الخروج واما الوجه
فى قراءة من قرا جزؤا بالتثقيل فقد ذكرناه عند قوله تعالى قالوا اتتخذنا هزوا ومن قرا جزا بالتشديد فاصله جزء ثم خففت همزته
ثم انك اذا خففت كان لك السكون وان شئت الاشمام فيقول الجزو وان شئت التشديد فيقول الجز ثم انه وصل على وقفه فقال
جزا كما جاء فى الشعر بازل وجناء او عيهل كان مهواها على الكلكل فاجرى الوصل مجرى الوقف اللغة اطمان يطمئن اطمينانا
اذا توطا والمطمئن من الارض ما انخفض واطمان اليه اذا وثق به لسكون نفسه اليه ولتوطى حاله بالامانة عنده واصل الباب
التوطية والطير معروف وطار يطير طيرانا وطيرورة والباب تدل على خفة الشىء فى الهواء ثم تستعار ذلك فى غيره فى كل سرعة
وتطير من الطيرة وهو زجر الطير بما يكره وطاير الانسان عمله الذى يقلده من خير او شر لانه بمنزلة طاير الزجر فى البركة و
الشوم وفجر مستطير منتشر فى الافق وغبار مستطار وفرس مطار حديد الفؤاد لانه طيار فى جريه والجبل وتد من اوتاد الارض
وجبل فلان على كذا اى طبع ورجل ذو جبلة اذا كان غليظ الجسم والجبلة الامة من الناس واجبل الحافر اذا بلغ الى صلابة
لا يمكنه الحفر عندها ومنه اجبل الشاعر اذا اصعب عليه القول والجزء بعض الشىء وجزاته بعضته والفرق بين الجزء والسهم ان السهم

اى اثار على التورية

شرة الشباب حرصه ونشاطه

من

من الجملة ما ينقسم عليه نحو الاثنين من العشرة وقد يقال الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلثة من العشرة لا ينقسم العشرة عليها و
ان كانت الثلاثة جزءا من العشرة الاعراب العامل فى اذ فى المعنى اذكر اى اذكر هذه القصة عن الزجاج ويجوز ان يكون عطفا
قوله الم تر الى الذى حاج ابرهيم اى والم تر اذ قال وموضع كيف نصب بقوله تحيى الموتى والمعنى باى حال تحى الموتى وقوله ليطمئن
قلبى اللام يتعلق بمعنى ارنى ليطمئن قلبى من الطير صفة لاربعة فعلى هذا يكون من للتبعيض وللتبيين ويجوز ان يتعلق بخذ فعلى
هذا لا يكون الا للتبيين منهن اى جزءا من كل واحد منهن فلما تقدم على جزء وقع موقع النصب على الحال من جزء وقوله سعيا مصدر وقع
موقع الحال فكانه قال تسعين سعيا او ساعيات سعيا المعنى ثم ذكر تعالى ما اراه ابرهيم عليه السلم عيانا من احياء الموتى
فقال واذ قال ابرهيم رب ارنى كيف تحى الموتى اختلف فى سبب سؤال ابرهيم عليه السلم هذا على وجوه احدها ما قاله الحسن وقتادة
والضحاك وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه راى جيفة تمزقها السباع فاكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر فسال
الله تعالى ابرهيم عليه السلم فقال يا رب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطيور ودواب البحر فارنى كيف تحييها لاعاين ذلك
وثانيها ما روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى ان الملك بشر ابرهيم عليه السلم بان الله قد اتخذه خليلا وانه يجيب دعوته
ويحيى الموتى بدعائه فسال الله تعالى ان يفعل ذلك ليطمئن قلبه بان قد اجاب دعوته واتخذه خليلا وثالثها انه سبب السؤال منازعة
نمرود اياه فى الاحياء اذ قال انا احيى واميت واطلق محبوسا وقتل انسانا فقال ابرهيم عليه السلم ليس هذا باحياء وقال يا رب ارنى
كيف تحى الموتى ليعلم نمرود ذلك وروى ان نمرود توعده بالقتل ان لم يحى الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال ليطمئن قلبى اى
بان لا يقتلنى الجبار عن محمد بن اسحق بن يسار ورابعها انه عليه السلم احب ان يعلم ذلك علم عيان بعد ان كان عالما به من جهة الاستدلال
والبرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان وهذا اقوى الوجوه قال اولم تؤمن هذه الف استفهام يراد به التقرير كقول الشاعر
الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح اى قد امنت لا محالة فلم تسال ذا وهذه الالف اذا دخلت على الاثبات فالمراد النفى
كقوله تعالى اانت قلت للناس اى لم تقل قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى بلى انا مؤمن ولكن سالت ذلك لازداد يقينا الى يقينى عن الحسن
وقتادة ومجاهد وابن جبير وقيل لاعاين ذلك ويسكن قلبى الى علم العيان بعد علم الاستدلال وقيل ليطمئن قلبى بانك قد اجبت مسئلتى
واتخذتنى خليلا كما وعدتنى قال فخذ اربعة من الطير مختلفة الاجناس وانما خص الطير من بين ساير الحيوانات لخاصية الطيران
وقيل انها الطاوس والديك والحمام والغراب امر ان يقطعها ويخلط ريشها بدمها هذا قول مجاهد وابن جريج وعطا وابن زيد وهو
المروى عن ابى عبد الله عليه السلم فصرهن اليك اى قطعهن عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقيل معناه اضممهن اليك عن عطا
وابن زيد وقد تقدم بيانه فى وجه القراءة ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا روى عن ابى عبد الله عليه السلم
ان معناه فرقهن على كل جبل وكانت عشرة اجبل ثم خذ بمناقيرهن وادعهن باسمى الاكبر وحلفهن بالعظمة والجبروت ياتينك
سعيا قال ففعل ابرهيم ذلك وفرقهن على عشرة اجبل ثم دعاهن فقال اجبن باذن الله فكانت تجتمع وياتلف لحم كل واحد و
عظمه الى راسه وطارت الى ابرهيم عليه السلم وقيل ان الجبال كانت سبعة عن ابن جريج والسدى وقيل كانت اربعة عن ابن عباس
والحسن وقتادة وقيل اراد كل جبل على العموم بحسب الامكان كانه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقة عليه عن مجاهد والضحاك
ويسال فيقال كيف قال ثم ادعهن ودعاء الجماد قبيح وجوابه انه اراد بذلك الاشارة اليها والايماء لتقبل عليه اذا احياها الله
وقيل معنى الدعاء هاهنا الاخبار عن تكوينها احياء كقوله تعالى كونوا قردة وقوله ايتيا طوعا او كرها عن الطبرى وقول من قال انه
جعل على كل جبل طيرا ثم دعاها بعيد من الصواب والفائدة لانه انما طلب العلم بكونه قادرا على احياء الموتى عيانا وليس فى اتيان طير
حى اليه بالايماء ما يدل على ذلك وفى الكلام حذف فكانه قال فقطعهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا فان الله يحييهن
فاذا احياهن فادعهن فيكون الايماء اليها بعد ان صارت احياء ففعل ابرهيم ذلك فنظر الى الريش يسعى بعضها الى بعض وكذلك العظام
واللحم ثم اتينه مشيا على ارجلهن فتلقى كل طاير راسه وذلك قوله ياتينك سعيا وذكر عن النضر بن شميل قال سالت الخليل بن احمد عن قوله
ياتينك سعيا هل يقال للطاير اذا طار سعى فقال لا قلت فما معناه قال معناه ياتينك وانت تسعى سعيا واعلم ان الله عزيز اى قوى لا يعجز عن شىء حكيم فى افعاله واقواله

تقديره ارنى

وقيل عزيز يذل الاشياء له ولا يمتنع عليه شئ حكيم افعاله كلها حكمة وصواب ومما يسال في هذه الاية ان يقال كيف اجيب
ابرهيم الى ايات الاخرة دون موسى عليه السلم في قوله رب ارني انظر اليك وجوابه من وجهين احدهما انه سال اية لا يصح
معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التي لا يعترضها الشكوك بوجه وابرهيم انما سال في شئ خاص يصح معه التكليف والاخر
ان الاحوال قد تختلف فيكون الاصلح في بعض الاحوال الاجابة وفي بعضها المنع فيما لم يتقدم فيه اذن قوله تعالى مَثَلُ
الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ
لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اية اللغة النبت الحشيش وكل ما نبت من الارض يقال نبت نبتا ونباتا وانبته الله انباتا
والينبوت شجر الخشخاش وانبت الغلام اذا راهق واستبان شعر عانته والسنبلة على وزن فنعلة لقولهم اسبل الزرع بمعنى سنبل
اذا صار فيه السنبل فالاصل فيه الاسبال وهو ارسال الستر ونحوه فكما يستر سبل الستر بالاسبال يستر سبيل الزرع بالسنبل ولانه
صار فيه حب مستور كما يستر بالاسبال والماية معروفة يقال اما الغنم اذا بلغت مائة وامايتها انا اي وفيتها ماية
الافساد بين القوم المعنى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم كمثل حبة وقيل
تقديره مثل الذين ينفقون كمثل زارع حبة وسبيل الله هو الجهاد وغيره من ابواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالاية عامة في النفقة
في جميع ذلك وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم واختاره ابو علي الجبائي وقيل هي خاصة بالانفاق في الجهاد فاما غيره من الطاعات
فانما يجزى بالواحد عشرة امثالها كمثل حبة انبتت اي اخرجت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة يعني ان النفقة في سبيل الله بسبعمائة
ضعف ومتى قيل هل راى في سنبلة ماية حبة حتى يضرب المثل بها فجوابه ان ذلك متصور وان لم ير كقول امرء القيس ومسنونة
زرق كانياب اغوال وقوله تعالى طلعها كانه رؤس الشياطين وايضا فقد راى ذلك في الجاورس ونحوه والله يضاعف لمن يشاء
اي يزيد على سبع ماية لمن يشاء وقيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء وروي عن ابن عمر انه قال لما نزلت هذه الاية قال
رسول الله صلى الله عليه واله رب زد امتي فنزل قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فقال
رب زد امتي فنزل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله والله واسع اي واسع المقدرة وقيل واسع الرحمة لا يضيق
عن المضاعفة عليم بمن يستحق الزيادة عن ابن زيد وقيل عليم بما كان من النفقة وبنية المنفق وما يقصد به من الانفاق النظم
اتصلت هذه الاية بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وما بين الايتين اعتراض بالاستدعاء الى الحق وبيان الحجج
العبر عن علي بن عيسى وقيل لما قص تعالى ما فيه البرهان على التوحيد وما اتى رسله من البينات حث على الجهاد واعلم
ان من عاند بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحث على قتال من كفر بعد هذا البرهان وبين ان في جهادهم والنفقة فيه الثواب
العظيم عن الزجاج قوله عز وجل الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى
لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اية اللغة المن هو ذكر ما ينغص المعروف كقول القايل احسنت
الى فلان ونعشته ونحو ذلك واصل المن القطع ومنه قوله لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع ومنه قولهم حبل منين اي ضعيف لانه
مقطع وسمي ما يكدر المعروف بانه منة يقطع الحق الذي يجب به والمنة النعمة العظيمة سميت بذلك لانها تجل عن قطع الحق بها لعظمها
والمنة القوة في القلب والمن الذي يقع من السماء والمن الذي يوزن به لانه يقطع به على مقدار مخصوص والاذى ضرر يتعجل وصول الالم
المضرور والخوف توقع الضرر وهو يرجع الى الاعتقاد والحزن الغم الذي يغلظ على النفس المعنى لما امر الله تعالى بالانفاق عقبه
ببيان كيفية الانفاق فقال الذين ينفقون اي يخرجون اموالهم في سبيل الله وقد تقدم بيانه ثم لا يتبعون ما انفقوا اي نفقاتهم
منا منه على المعطى ولا اذى له والمن هو ان يقول له الم اعطك كذا الم احسن اليك الم اغنك ونحوها والاذى ان يقول اراحني
الله منك ومن ابتلاني بك ويحتمل ان يكون معنى الاذى ان يعبس وجهه عليه او يعيبه او يؤذيه فيما يدفعه اليه او يصرفه في
بعض اشغاله لسبب انفاقه عليه فكل هذا من المن والاذى الذي يكدر الصنيعة وينغص النعمة ويبطل الاجر والمثوبة وقولهم
اجرهم عند ربهم الى اخره قد مر تفسيره وقيل معناه لهم جزاء اعمالهم عند ربهم وانما قال عند ربهم ليكون النفس اسكن اليه واوثق به لان

ما عنده لا يخاف عليه فوت ولا نقص ولا خوف عليهم من فوت الاجر ونقصانه ولا هم يحزنون لفوته ونقصانه وفي هذه الاية دلالة
على انه يصح الوعد بشرط لان مفهوم الكلام ان تقديره في المعنى ان لم يتبعوا ما انفقوا منا ولا اذى فلهم من الاجر كذا والوعد اذا اشترط
فمتى لم يحصل الشرط لم يحصل استحقاق الثواب وقد روي عن النبي عليه السلم انه قال المنان بما يعطي لا يكلمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه
وله عذاب اليم قوله عز وجل قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ اية اللغة الغني الواسع
الملك والله غني بانه مالك لجميع الاشياء لانه قادر عليها لا يتعذر عليه شئ منها والغنى ضد الحاجة يقال غني يغنى غنى واستغنى
واغناه الله والغناء الكفاية للغني به عن غيره والغنية الاستغناء وقد غني القوم اذا نزلوا في مكان يغنيهم فالمكان الذي ينزلون به
مغنى وقد غني فلان غناء اذا بالغ في التطريب في الانشاد حتى يستغنى الشعر ان يزاد في نغمه وقد غنيت المراة غنيانا قال قيس بن
الحطيم اجد بعمرة غنيانها فتهجر ام شاننا شانها وغنياها غناها والغواني النساء لانهن غنين بجمالهن وقيل بازواجهن والحليم مر ذكره
المعنى قول معروف اي كلام حسن جميل لا وجه فيه من وجوه القبح يرد به السايل وقيل معناه ودعاء صالح نحو ان يقول صنع الله
بك واغناك الله عن المسئلة واوسع الله عليك الرزق واشباه ذلك وقيل معناه عدة حسنة وقيل قول في اصلاح ذات البين
عن الضحاك ومغفرة قيل فيه اقوال احدها ان معناه سلامة من المعصية لان حالها كحال المغفرة في الامان من العقوبة عن الجبائي
وثانيها ان معناه ستر على السايل وسواله وثالثها ان معناه عفو المسئول عن ظلم السايل عن الحسن وعلى هذا فيكون ظلم السايل ان يسال
في غير وقته او يلحف في سواله او يسئ الادب بان يفتح الباب او يدخل الدار بغير اذن فالعفو عن ظلمه خير من صدقة يتبعها
اذى وانما صار القول المعروف والعفو عن الظلم خيرا من الصدقة التي يتبعها الاذى لان صاحب هذه الصدقة لا يحصل
على خير لا على عين ماله في دنياه ولا على ثوابه في عقباه والقول بالمعروف والعفو طاعتان يستحق الثواب عليهما وقد روي
عن النبي عليه السلم انه قال اذا سال السايل فلا تقطعوا عليه مسئلته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين اما بذل يسير
او رد جميل فانه قد ياتيكم من ليس بانس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى والله غني عن صدقاتكم وعن
جميع طاعاتكم لم يامركم بها ولا نهاكم عنها لحاجة منه اليها وانما امركم بها ودعاكم اليها لحاجتكم الى ثوابها حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
وقيل لا يعجل بالعقوبة على من يمن ويؤذي بصدقته ولو وقع ههنا موقع حليم حميد او عليم لم يحسن قوله عز وجل يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ اية اللغة الرياء والمراءاة اصله من الرؤية كانه يفعل ليرى غيره ذلك وجمع في رياء الناس بين همزتين ولم
يجمع في ذوائب وان حال بينهما الالف في كلا الموضعين لخفة الواحد ولانهما مفتوحتان في الواحد فهو اخف لها والصفوان
واحدته صفوانة مثل سعدان وسعدانة ومرجان ومرجانة وهي الحجر الاملس والصفا بمعنى الصفوان وذكر الكسائي
في جمع صفوان صفي وانكر ذلك المبرد وقال انما جمع صفا مثل عصا وعصي وقفا وقفي والتراب والترب واحد وترب
الرجل اذا لصق بالتراب من الفقر ومنه قوله مسكينا ذا متربة لانه قعد على التراب للفقر واترب الرجل اذا صار ماله بعدد
التراب والترب اللدة وقيل فيه اقوال منها ان الاتراب خرجوا الى التراب في وقت من الزمان ومنها انهم صبيان يلعبون
بالتراب ومنها انهم في الاشتباه كالتراب والترائب عظام الصدر لانها متشابهة والوابل المطر الشديد الوقع وبلت السماء
تبل وبلا والوبيل الشديد والوبال سوء العاقبة واصل الباب الشدة والصلد الحجر الصلب الاملس قال الشاعر ولست
بجلب جلب ريح وقرة ولا بصفا صلد عن الخير معزل والصلد من الارض ما لا ينبت شيئا لصلابتها والصلد البخيل وصلد
الزند صلودا اذا لم يور نارا وفرس صلود اذا ابطا عرقه وقدر صلود اذا ابطا غليها واصل الباب ملاسة في صلابة
الاعراب الكاف من قوله كالذي ينفق ماله في موضع نصب على الحال من الواو في تبطلوا ورياء الناس مصدر وضع موضع الحال
من الضمير في ينفق تقديره ينفق ماله مرائيا ويجوز ان يكون مفعولا له عليه تراب جملة في موضع جر بكونه صفة صفوان

لا يستحق ما شاء من الزيادة

تتفق الله عليه المستحق الزكاة

خولكم الله الملك ... اياه

وصلدا حال من تركه وذو الحال الهاء ولا يقدرون جملة فعلية فى موضع الحال والواو فيه عايد الى معنى الذى لانه جنسه لا الى لفظه المعنى ثم اكد الله تعالى ما قدمه بما ضرب من الامثال فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن اى بالمنة على السايل وقيل بالمنة على الله والاذى اى باذى صاحبها ثم ضرب تعالى مثلا لعملا المنافق وعمل المنافق جميعا فانهما اذا فعلا الفعل على غير الوجه المامور به فانهما لا يستحقان عليه ثوابا وهذا هو معنى الابطال وهو ايقاع العمل على غير الوجه الذى يستحق عليه الثواب فقال كالذى ينفق ماله رياء الناس هذا يدخل فيه المؤمن والكافر اذا اخرجا المال للريا ولا يؤمن بالله واليوم الاخر هذا للكافر خاصة فمثله كمثل صفوان اى حجر املس عليه تراب فاصابه وابل اى مطر عظيم القطر شديد الوقع فتركه صلدا اى حجرا صلبا املس شبه تعالى فعل المنافق والمنان بالصفا الذى ازال المطر ما عليه من التراب فانه لا يقدر احد على رد ذلك التراب عليه كذلك اذا دفع المنان صدقته وقرن بها المن فقد اوقعها على وجه لا طريق له الى استدراكه وتلافيه لوقوعها على الوجه الذى لا يستحق عليه الثواب فان وجوه الافعال تابعة لحدوث الافعال فاذا فاتت فلا طريق الى تلافيها وليس فى الاية ما يدل على ان الثواب الثابت المستقر سطل ويزول بالمن فيما بعد ولا بالريا الذى يحصل فيما يستقبل من الاوقات على ما قاله اهل الوعيد لا يقدرون على شئ مما كسبوا اى لا يقدر هؤلاء على نفقتهم ولا على ثوابها ولا يعلمون اين النفقة واين ثوابها ولا يحصلون منها على شئ كما لا يحصل احد على التراب الذى اذهبه المطر من الحجر فقد تضمنت الاية والاى التى قبلها الحث على الصدقة وانفاق المال فى سبيل الخير وابواب البر ابتغاء مرضاة الله تعالى والنهى عن المن والاذى والريا والسمعة والنفاق والخبر عن بطلان العمل بها ومما جاء فى معناه من الحديث ما رواه ابن عباس عن النبى عليه السلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد يسمع اهل الجمع اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فانى لا اقبل عملا خالطه شئ من الدنيا واهلها وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله عليه السلم من اسدى الى مؤمن معروفا ثم اذاه بالكلام او من عليه فقد ابطل الله صدقته ثم ضرب فيه مثلا كالذى ينفق ماله ريا الناس الى قوله الكافرين وقال ابو عبد الله عليه السلم ما من شئ احب الى من رجل سلفت منى اليه يد اتبعته اختها واحسنت ربها له لانى رايت منع الاواخر يقطع لسان شكر الاوايل والله لا يهدى القوم الكافرين اى لا يثيب الكافرين على اعمالهم اذ كان الكفر محبطا لها ومانعا من استحقاق الثواب عليها وانما يثيب المؤمنين يوقعون اعمالهم على الوجوه التى يستحق به الثواب وقيل معناه لا يهديهم الى الجنة باعمالهم كما يهدى المؤمنين وقيل معناه لا يعطيهم ما يعطى المؤمنين من زيادة الالطاف والتوفيق قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير اية القراءة قرا عاصم وابن عامر بربوة بفتح الراء والباقون بضمها وقد روى فى الشواذ عن ابن عباس بربوة بكسر الراء وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو اكلها بالتخفيف وقرا الباقون بالتثقيل اللغة الربوة والربوة والربوة والرباوة والرباوة الرابية قال ابو الحسن والذى يختار ربوة بضم الراء ويؤيد هذا الاختيار قولهم ربى فى الجمع والاكل الماكول يدل على ذلك قوله تعالى تؤتى اكلها اى ما يوكل منها قال الاعشى جندك التالد الطريف من السادات اهل القباب والاكال جمع اكل مثل عنق واعناق والاكل الفعل والاكلة كالطعمة والاكلة الواحدة قال الشاعر وما اكلة ان نلتها بغنيمة ولا جوعة ان جعتها بغرام فتح الالف من الفعلة بدلالة قوله ولا جوعة وان شئت ضممت وعنيت الطعام وقال ابو زيد انه لذو اكل اى له حظ ورزق من الدنيا وضعف الشئ مثله زايدا عليه وضعفاه مثلاه زايدين عليه وقال قوم ضعف الشئ مثلاه والطل المطر الصغار يقال اطلت السماء فهى مطلة وروضة طلة ندية والطل ابطال الدم بان لا يثار لصاحبه طل دمه فهو مطلول لانه بمنزلة ما جاء عليه الطل فاذهبه كانه قيل غسله والطلل ما شخص من الدار لانه كموضع الذى بالطل لعمارة الناس له خلاف المستوى القفر لا الخصب حيث تكون الابنية وصار الطلل اسما لكل شخص والاطلال الاشراف على الشئ وما بالناقة طل اى ما بها طرق وهو الشحم وطلة الرجل امراته واصل الباب الطل المطر الاعراب ابتغاء مرضات الله مفعول له وتثبيتا معطوف عليه بربوة الجار والمجرور فى موضع الصفة لجنة واصابها وابل الجملة فى موضع جر لانها صفة بعد صفة وضعفين حال

من اكل قال الزجاج ارتفع طل على معنى فان لم يصبها وابل به فالذى يصيبها طل فعلى هذا يكون خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون فاعل فعل مقدر اى فيصيبها طل المعنى ومثل الذين ينفقون اى يخرجون اموالهم فى اعمال البر ابتغاء مرضات الله اى طلبا لرضاء الله وتثبيتا من انفسهم بقوة اليقين والبصيرة فى الدين عن سعيد بن جبير والسدى والشعبى وقيل معناه انهم يتثبتون اين يضعون صدقاتهم عن الحسن ومجاهد وقيل معناه وتوطينا لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله عن ابى على الجبائى واعترض على الحسن ومجاهد بانه لو قيل وتثبيتا وليس هذا بشئ لانهم اذا اثبتوا انفسهم فقد ثبتوا وقوله كمثل جنة بربوة معناه كمثل بستان بمرتفع من الارض وانما خص الربوة لان نبتها يكون احسن وريعها يكون اكثر من المتسفل الذى تسيل الماء اليه ويجتمع فيه فلا يطيب ريعه المرتاح قول الاعشى ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل فخص بها الحزن للمعنى الذى ذكرناه اصابها وابل اى اصاب هذه الجنة مطر شديد فاتت اكلها ضعفين اى فاعطت غلتها ضعفى ما تعطى اذا كانت بارض متسفلة ويحتمل ان يكون معناه مرتين فى كل سنة واحدة كما قال تعالى تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ومعناه كل ستة اشهر فيما روى وقال ابو عبد الله عليه السلم معناه يتضاعف ثمرتها كما يتضاعف اجر من انفق ماله ابتغاء مرضات الله فان لم يصبها وابل اى مطر شديد فطل اى اصابها مطر لين اراد به ان خيرها لا يخلف على كل حال ولا ترى الغبار عليها على حال وانما ارتفع فطل على تقدير فالذى يصيبها طل والله بما تعملون بصير معناه عالم باعمالكم فيجازيكم بحسبها وقيل عالم بالمرائى والمخلص عن ابى مسلم وفيه ترغيب وترهيب قوله عز وجل ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اية اللغة الجنة البستان الكثير الشجر لان الشجر يجنه بكثرته فيه والنخيل معروف وقيل انه ماخوذ من نخل المنخل لاستخلاصه كاستخلاص اللباب بالنخل والنخل جمع نخلة وهى شجرة التمر ويذكر ويؤنث قال تعالى كانهم اعجاز نخل منقعر والانتخال الاختيار والتنخل التخير واصل الباب النخل للدقيق والعنب ثمر الكرم ورجل عانب وعنب ورجل عناب عظيم الانف وتحت نقيض فوق وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت اى الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يشعر بهم ذلا والانهار جمع نهر وهو المجرى الواسع من مجارى الماء والاصابة الوقوع على المقصد والكبر حال زايدة على مقدار اخر والفرق بين الكبير والكثير ان الكثير مضمن بعدد وليس كذلك الكبير تقول دار واحدة كبيرة ولا يجوز كثيرة والضعيف يجمع على ضعفاء وضعاف والاعصار غبار يلتف بين السماء والارض كالتفاف الثوب فى العصر قال الشاعر ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا او للمعصرات السحب والفكر جولان القلب بالخواطر يقال افكر وتفكر وفكر بمعنى الاعراب قوله ايود احدكم ان تكون عطف عليه بماض فقال واصابه الكبر قال الفراء يجوز ذلك فى يود لانها تتلقى مرة بلو ومرة بان فجاز ان يقدر احداهما مكان الاخرى لاتفاق المعنى فكانه قال ايود احدكم لو كانت له جنة قال ابو الحسن وعندى انه قد دل بان على الاستقبال ويتضمن الكلام معنى لو على التمنى كانه قيل ايحب احدكم متمنيا له والتمنى يقع على الماضى والمستقبل الا ترى انه يصح ان يتمنى ان كان له ولد ويصح ان يتمنى ان يكون له ولد والمحبة لا يقع الا على المستقبل والفرق بين المودة والمحبة ان المودة قد تكون بمعنى التمنى نحو قولك اود لو قدم زيد بمعنى اتمنى لو قدم زيد فى المستقبل ولا يجوز احب لو قدم ومن فى قوله من نخيل للتبيين وهو فى موضع رفع صفة لجنة تجرى من تحتها الانهار جملة فى موضع رفع بكونها صفة لجنة اذا عادت الهاء الى الجنة او فى محل جر صفة للنخيل اذا عادت الهاء الى النخيل المعنى ايود احدكم ان تكون له جنة اى بستان من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار اى تشتمل على النخيل والاعناب والانهار الجارية له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر اى ولحقه الشيخوخة وطعن فى السن وله ذرية ضعفاء اى اولاد صغار ناقصوا القوة فاصابها اى اصاب تلك الجنة اعصار اى ريح شديدة تهب من تحت الارض نحو السماء مثل العمود وتسميها الناس الزوبعة فيه نار اى فى ذلك الاعصار نار فاحترقت تلك الجنة وهذا مثل ضربه الله تعالى فى الحسرة بسلب النعمة واختلف فيه على وجوه احدها انه مثل للمرائى فى النفقة لانه ينتفع بها عاجلا وينقطع عنه اجلا احوج ما يكون اليه عن السدى وثانيها انه مثل للمفرط فى طاعة الله تعالى بملاذ الدنيا يحصل فى الاخرة للحسرة العظمى

عن مجاهد والمراد به ان حاجته الى الاعمال الصالحة كحاجة هذا الكبير الذى له ذرية ضعفاء الى ثمار الجنة وقد احترقت
فيكون اعظم حسرة لان الكبير قد ييئس من سعى الشباب فى كسبه وكان اضعف املا واشد حسرة كذلك من لم يكن له فى الاخرة
عمل صالح يوصله الى الجنة فحسرته مثل ذلك وثالثها انه مثل للذى يختم عمله بفساد عن ابن عباس وكل هذه الوجوه تحتملها الاية
كذلك اى كهذا البيان الذى بين لكم فى امر الصدقة وقصة ابرهيم والذى مر على قرية وجميع ما سلف يبين الله لكم الايات اى
الدلالات التى تحتاجون اليها فى امور دينكم لعلكم تتفكرون اى تنظرون وتتفهمون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات
ماكسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله
غنى حميد القراءة قرا ابن كثير غير القواس ولا تيمموا بتشديد التاء فيها وفى اخواتها وهى احدى وثلاثون موضعا فى القران
والباقون تيمموا بالتخفيف الحجة كلاهما بمعنى واحد كان ابن كثير رد الحرف الساقط فى القراءة الاخرى وادغم لانه فى الاصل تاآن
تا المخاطبة وتاء الفعل فحذفت تاء الخطاب فى قراءة العامة لئلا تتكرر حرفان مثلان وخفف الكلمة اللغة التيمم التعمد قال خفاف
فعمدا على عينى تيممت مالكا وقال الاعشى تيممت قيسا وكم دونه من الارض من مهمه ذى شزن يقال اممت الشئ خففته ويممته
وامّمته ويمّمته بمعنى اى قصدته ومنه الامام لانه المقصود المعتمد والامام ايضا خيط البناء لانه يمد ويعتمد بالبناء عليه
واليم لجة البحر لانه يعتمد به البعيد من الارض واليمام الحمام لانها تعتمد الى اوكارها بحسن هدايتها والخبيث الردى من كل
شئ وخبث الفضة والحديد ما نفاه الكير لانه ينفى الردى واصله الرداءة والاغماض فى البيع الحط من الثمن لعيب فيه و
ذلك لاخفاء بعض الثمن بالحط له والغموض الخفاء غمض يغمض فهو غامض والتغميض للعين اطباق الجفن والغمض النوم والغمض
المطمئن من الارض واصل الباب الخفاء والاغماض غمض البصر واطباق جفن على جفن قال رؤبة ارّق عينى عن الاغماض برق
سرى فى عارض يهاض ثم صار عبارة عن التسامح والتساهل فى البيع الاعراب قال الفراء الاصل فى ان تغمضوا ان مكسورة
الهمزة لان الكلام فى معنى الجزاء وهو ان اغمضتم بعض الاغماض اخذتموه ومثله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله وانكر ذلك
المحققون قالوا ان هذه التى بمعنى المصدر نحو ان تاتينى خير لك والمعنى ولستم باخذيه الا لاغماضكم فيه النزول روى
عن ابى عبد الله عليه السلام انها نزلت فى اقوام لهم اموال من ربا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله تعالى عن ذلك
وامر بالصدقة من الطيب الحلال وقيل انها نزلت فى قوم كانوا ياتون فى الحشف فيدخلونه فى تمر الصدقة عن على عليه السلام
والبراء بن عازب والحسن وقتادة المعنى لما تقدم ذكر الانفاق وبيان صفة المنفق وانه يجب ان ينوى بالصدقة التقرب
وان يحفظها عما يبطلها من المن والاذى بين تعالى صفة الصدقة والمتصدق عليه ليكون البيان جامعا فقال يا ايها
الذين امنوا خاطب المؤمنين انفقوا اى تصدقوا من طيبات ما كسبتم اى من حلال ما كسبتم بالتجارة عن ابن مسعود
ومجاهد وقيل من خياره وجياده ونظيره قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن عبيد بن رفاعة قال خرج علينا رسول
الله عليه السلام فقال يا معشر التجار انتم فجار الا من اتقى وبرّ وصدق وقال بالمال هكذا وهكذا وهكذا وقال عليه السلام تسعة اعشار
الرزق فى التجارة والجزء الباقى فى السابياء وروت عايشة عنه عليه السلام قال اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه
وقال سعيد بن عمير سئل النبى عليه السلام اى كسب الرجل اطيب قال عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور وقال على عليه السلام من اتجر بغير علم
ارتطم فى الربا ثم ارتطم واختلفوا فى ذلك على وجوه فقيل هذا امر بالنفقة فى الزكوة عن عبيدة السلمانى والحسن وقيل هو فى الصدقة
المتطوع بها لان المفروض من الصدقة له مقدار من القيمة ان قصر عنه كان دينا عليه الى ان يؤديه بتمامه واذا كان مال
المزكى كله رديا فجايز له ان يعطى منه عن ابى على الجبائى وقيل وهو الاصح انه يدخل فيه الفرايض والنوافل والمراد به الانفاق
فى سبيل الخير واعمال البر على العموم وفيه دلالة على ان ثواب الصدقة من الحلال المكتسب اعظم منه من الحلال غير المكتسب و
انما كان كذلك لانه يكون اشق عليه ومما اخرجنا لكم من الارض اى وانفقوا من الغلات والثمار مما يجب فيه الزكوة ولا تيمموا
الخبيث اى لا تقصدوا الردى من المال اى مما كسبتموه او اخرجه الله لكم من الارض تنفقون منه وقيل المراد بالخبيث ههنا الحرام

ويقوى القول الاول قوله ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه لان الاغماض لا يكون الا فى الشئ الردى دون ما هو حرام
وفيه قولان احدهما ان معناه ولا تتصدقوا بما لا تاخذونه من غرمائكم الا بالمسامحة والمساهلة فالاغماض ههنا المساهلة
عن البراء بن عازب والاخر ان معناه مما لا تاخذونه الا ان تحطوا من الثمن فيه عن ابن عباس والحسن وقتادة ومثله
قول الزجاج ولستم باخذيه الا بوكس فكيف تعطونه فى الصدقة واعلموا ان الله غنى عن صدقاتكم حميد اى مستحق للحمد
على نعمه وقيل مستحمد الى خلقه بما يعطيهم من النعم اى مستدع لهم الى ما يوجب لهم الحمد وقيل انه بمعنى الحامد اى انه مع غناه
عنكم وعن صدقاتكم يقبلها منكم ويحمدكم عليها وحميد بهذا الموضع اليق من حليم كما ان حليما بالاية المتقدمة اليق من حميد
لانه تعالى لما امر بالانفاق من طيبات المكاسب بين انه حميد غنى عن ذلك وانه يحمد فاعله اذا فعله على ما امره به ومعناه
انه يجازيه عليه قوله عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله
واسع عليم اية اللغة الفقر الحاجة وهو ضد الغنى والفقر لغة فيه يقال افقره الله افقارا وافتقر افتقارا لان الفقر بمنزلة كسر الفقار
فى تعذر المراد والفقار عظام منتظمة فى النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقرة والافقار اعارة الدابة لتركب ثم ترد والفاقرة الداهية
لانها تكسر الفقار ويقال وعدته الخير ووعدته بالخير وعدا وعدة وموعدا وموعودا وموعدة والفرق بين الوعد والوعيد
ان الوعيد فى الشر خاصة والوعد يصلح بالتقييد للخير والشر معا غير انه اذا اطلق اختص بالخير وكذلك اذا ابهم التقييد
كما يقال وعدته شيئا لانه بمنزلة المطلق والفحشاء الفحش والفاحش البخيل قال طرفة ارى الدهر يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال
الفاحش المتشدد قال على بن عيسى الفحشاء المعاصى وانما سمى البخيل فاحشا لانه مسى برد الاضياف والسؤال قال كعب اخى يا اخى
لا فاحش عند بيته ولا برم عند اللقاء هيوب المعنى ثم حذر تعالى من الشيطان المانع من الصدقة فقال الشيطان يعدكم الفقر
بالنفقة فى وجوه البر وبانفاق الجيد من المال وقيل بتاديته الزكوة التى عليكم فى اموالكم ويامركم بالفحشاء اى المعاصى وترك الطاعات
وقيل بالانفاق من الردى وسماه فحشا لان فيه معصية الله تعالى فان الغنى اذا ترك الانفاق على ذوى الحاجة من اقاربه و
جيرانه ادى ذلك الى التقاطع والله يعدكم مغفرة منه اى يعدكم بالانفاق من خيار المال اى يستر عليكم ويصفح عن عقوبتكم وفضلا
اى ويعدكم ان يخلف عليكم خيرا من صدقتكم ويتفضل عليكم بالزيادة فى ارزاقكم وروى عن ابن عباس انه قال اثنان من الله
واثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصى والفضل فى الرزق واللذان من الشيطان الوعد بالفقر والامر
بالفحشاء وروى عن ابن مسعود انه قال للشيطان لمة وللملك لمة وروى مثله عن ابى عبد الله عليه السلام ثم قال فلمة الشيطان
وعد بالفقر وامر بالفاحشة ولمة الملك امر بالانفاق ونهيه عن المعصية والله واسع عليم ذكرنا معناه فيما تقدم وقيل واسع
معناه يعطى عن سعة بمعنى ان عطيته لا تضره ولا ينقص خزائنه عليم بمن يستحق العطيه ومن لا يستحقها قوله عز وجل يؤتى الحكمة
من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب اية القراءة قرا يعقوب من يؤت بكسر
التاء والباقون بفتحها الحجة من كسر التاء فانه اراد من يؤتيه الله الحكمة وفاعل يؤتى الضمير المستكن فيه العايد الى الله تعالى كما
هو فى قوله يؤتى الحكمة ويؤيد هذه القراءة قراءة الاعمش ومن يؤته الله وحذف ضمير المفعول الذى هو الهاء العايد الى من
الذى هو للجزاء وهو فى موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضمير العايد الى الموصول فى نحو قوله اهذا الذى بعث الله والاولى ان
يكون من على هذه القراءة موصولة فيكون بمعنى الذى لا بمعنى الجزاء واقول يجوز ان يكون من للجزاء هنا ويكون فى موضع نصب بكونه
مفعولا اولا ليؤتى ولزمه التقديم على الفعل مع كونه مفعولا لنيابته عن حرف الشرط الذى له صدر الكلام ومثله من فى قول
زهير رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم ومن قرا ومن يؤت بفتح التاء فاسم ما لم يسم فاعله هو الضمير
المستكن العايد الى من ويؤت مجزوم بمن والجزاء فقد اوتى خيرا كثيرا المعنى ثم وصف تعالى نفسه فقال يؤتى الحكمة اى يعطى الله
الحكمة من يشاء وقيل فى معنى الحكمة وجوه قيل انه علم القران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه
وامثاله عن ابن عباس وابن مسعود وقيل انه علم الدين عن ابن زيد وقيل هو النبوة عن السدى وقيل هو الاصابة فى القول والفعل

عن مجاهد وقيل هو المعرفة بالله تعالى عن عطا وقيل هو الفهم عن ابرهيم وقيل هو خشية الله عن الربيع وقيل هو القران و الفقه عن
ابي عبد الله عليه السلم وروى ايضا عن مجاهد وقيل هو العلم الذى يعظم منفعته وتجل فايدته وهذا جامع للاقوال وقيل هو ما اتاه الله
انبياه واممهم من كتبه واياته ودلالاته التى يدلهم بها على معرفتهم به وبدينه وذلك تفضل منه يؤتيه من يشاء عن ابي على الجبائى
وانما قيل للعلم حكمة لانه يمتنع به من القبيح لما فيه من الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح ويروى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال
ان الله اتاني القران واتاني من الحكمة مثل القران وما من بيت ليس فيه شئ من الحكمة الا كان خرابا الا فتفقهوا وتعلموا ولا تموتوا
جهالا ومن يؤت الحكمة اى من يعط ما ذكرناه فقد اعطى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب اى وما يتعظ بايات الله الا ذووا العقول
فان قيل لم عقد باولى الالباب التذكر وكل مكلف ذو لب قيل لم يطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من المدحة فلذلك عقد
التذكر بهم وهم الذين يستعملون ما يوجبه عقولهم من طاعة الله في كل ما امر به ودعا اليه وسمى العقل لبا لانه انفس ما في الانسان كما انه
لب الثمرة انفس ما فيها **قوله عز وجل وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** **اية**
اللغة النذر هو عقد المرء على النفس فعل شئ من البر بشرط ولا ينعقد ذلك الا بقوله لله على كذا ولا يثبت بغير هذا اللفظ واصل النذر
الخوف لانه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير في الامر ومنه نذر الدم وهو العقد على سفكه للخوف من مضرة صاحبه قال عمرو بن معدى كرب
هم ينذرون دمي وانذر ان لقيت بان اشدا يقال نذرت النذر انذره وانذره ومنه الانذار وهو الاعلام بموضع العدو والخوف
ليتقى والانصار جمع نصير مثل شريف واشراف والنصير هو المعين على العدو **الاعراب** ما بمعنى الذى وما بعدها في صلتها والعايد
اليها ضمير المفعول المحذوف من انفقتم تقديره وما انفقتموه وهو في موضع رفع بالابتداء وخبره فان الله يعلمه والعايد الى المبتداء
من الخبر الهاء في يعلمه ولا يجوز ان يعود الى النفقة لانها مونثة ولا الى النفقة والنذر لان ذلك يوجب التثنية **اقول** ويجوز
ان يكون ما للجزاء فيكون منصوبا بانفقتم ولا يحتاج فيه الى حذف المفعول فيكون تقديره اى شئ انفقتم او نذرتم والفاء في موضع الجزاء
ومن نفقة الجار والمجرور في محل النصب على الحال من انفقتم وذو الحال ما **المعنى** ثم عاد تعالى الى ذكر الانفاق والترغيب فيه فقال وما
انفقتم من نفقة اى ما تصدقتم به من صدقة مما فرض الله عليكم وقيل معناه ما انفقتم في وجوه الخير وسبيل البر من نفقة واجبة او
مندوب اليها او نذرتم من نذر او ما اوجبتموه انتم على انفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلوة او صوم او صدقة ونحو ذلك فان
الله يعلمه معناه يجازى عليه لانه عالم به فدل ذكر العلم على تحقيق الجزاء ايجازا للكلام وما للظالمين اى ليس للواضعين النفقة
والنذر في غير موضعهما مثل ان ينفق رياء او ضرارا او شقاقا او من مال المغصوب او ماخوذ من غير حله او ينذر في معصية
او ترك الوفاء به مع القدرة عليه من انصار من اعوان يدفعون عذاب الله عنهم **قوله عز وجل إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ**
فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ **اية القراءة**
قرا ابن عامر واهل الكوفة غير عاصم فنعما بفتح النون وكسر العين وقرا اهل المدينة غير ورش وابو عمرو ويحيى بكسر النون وسكون
العين وقرا الباقون فنعما بكسر النون والعين وكذلك في النساء نعما يعظكم به وقرا اهل المدينة والكوفة غير عاصم ونكفر بالنون
والجزم وقرا ابن عامر وحفص بالياء والرفع والباقون بالنون والرفع **الحجة** من قرا فنعما فحجته ان اصل الكلمة نعم فجاء بالكلمة على
اصلها كما قال نعم الساعون في الامر المبر ومن قرا فنعما بسكون العين لم يكن قوله مستقيما عند النحويين لان فيه الجمع بين ساكنين
الاول منهما ليس بحرف مد ولين والتقاء الساكنين عندهم انما يجوز هنالك نحو دابة واصيم وتامرونى لان ما في الحرف من المد يصير
عوضا من الحركة وقد انشد سيبويه شعرا قد اجتمع فيه الساكنان على حد اجتماعهما في نعما وهو كانه بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب
كاسر وانكره اصحابه ولعل من قرابه اخفى ذلك كاخذه بالاخفاء في نحو بارئكم فظن السامع الاخفاء اسكانا للطف ذلك في السمع
وخفائه ومن قرا فنعما فانما اتبع العين النون فرارا من الجمع بين ساكنين واختار ابو عبيدة قراءة ابي عمرو وقيل هي لغة النبي صلى الله عليه
واله في قوله لعمرو بن العاص نعما المال الصالح للرجل الصالح هكذا روى في الحديث بسكون العين وقوله ونكفر من رفعه فعلى وجهين
احدهما ان يكون خبر مبتداء محذوف وتقديره ونحن نكفر عنكم والاخر ان يكون كلاما مستانفا مقطوعا مما قبله ولا يكون الحرف

العاطف للاشتراك ويكون لعطف جملة واما من جزم فانه يحمله على موضع فهو خير لكم ومثله قراءة من قرا من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم
لان قوله فلا هادى له في موضع جزم مثل قوله فهو خير لكم واما الياء والنون في قوله ويكفر فلان ما بعده على لفظ الافراد ومن قال ونكفر فانه
اتى بلفظ الجمع ثم افرد كما اتى بلفظ الافراد ثم جمع في قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ثم قال باركنا حوله لنريه من اياتنا **اللغة** الفرق
بين الصدقة والزكوة ان الزكوة لا يكون الا فرضا والصدقة قد يكون فرضا وقد تكون نفلا والاخفاء الستر والخفى الاظهار خفاه يخفيه خفيا
اى اظهره قال امرء القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد والخوافى من الريش ما دون القوادم لانها تخفى بها والخفية
عريش الاسد لانه يختفى فيها واصل الباب الستر والابداء والاظهار والاعلان نظاير والاخفاء والاسرار والاغماض نظاير **الاعراب**
قوله فنعما هى تقديره ان تبدوا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها فما ههنا نكرة وهى في موضع نصب لانه تفسير الفاعل المضمر قبل الذكر في
نعم والابداء هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذى هو الابداء واقيم المضاف اليه الذى هو ضمير الصدقات مقامه لما في الكلام من الدلالة
عليه ولان الفعل المتقدم يدل على مصدره ولان قوله وان تخفوها فهو خير لكم اى الاخفاء خير لكم فكما ان هو هنا ضمير الاخفاء
كذلك يجب ان يكون ضميرا الابداء مرادا هناك **المعنى** ثم ذكر سبحانه صفة الانفاق ورغب فيه بقوله ان تبدوا الصدقات معناه ان
تظهروا الصدقات وتعلنوها فنعما هى اى فنعم الشئ ونعم الامر اظهارها واعلانها اى ليس في ابدائها كراهة وان تخفوها اى تسروها وتؤتوها
الفقراء اى تعطوها الفقراء وتؤدوها اليهم في السر فهو خير لكم اى فالاخفاء خير لكم وابلغ في الثواب واختلفوا في الصدقة التى يكون اخفاؤها
افضل من ابدائها فقيل ان صدقة التطوع اخفاؤها افضل لانه يكون ابعد من الريا واما المفروض فلا يدخله الريا ويلحقه تهمة المنع
باخفائها فاظهارها افضل عن ابن عباس والثورى وكذا رواه على بن ابرهيم عن الصادق عليه السلم قال الزكوة المفروضة يخرج علانية
وتدفع علانية وغير الزكوة ان دفعه سرا فهو افضل وقيل الاخفاء في كل صدقة من زكوة وغيرها افضل عن الحسن وقتادة وهو الاشبه
لعموم الاية ويكفر عنكم من سيئاتكم معناه ونمحو عنكم خطيئاتكم ونغفرها لكم ومن قرا بالرفع فمعناه ونحن نكفر عنكم او يكفر الله عنكم من سيئاتكم
ودخلت من للتبعيض واحتج به من قال المراد بالسيئات الصغاير فاما على مذهبنا فاسقاط العقاب تفضل من الله تعالى فله ان يتفضل
باسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لافاد انه يسقط جميع العقاب وقال بعضهم ان من زايدة وقد يقال كل من طعامى وخذ
من مالى ما شئت فيكون للتعميم والاول اولى ومما جاء في الحديث في صدقة السر قوله صلى الله عليه واله صدقة السر تطفى
غضب الرب وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار ويدفع سبعين بابا من البلاء وقوله صلى الله عليه واله سبعة يظلهم الله في
ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العدل وشاب نشا في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في
الله واجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال فقال انى اخاف الله عز وجل ورجل تصدق بصدقة
فاخفاها حتى لم يعلم يمينه ما ينفق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه وقوله والله بما تعملون معناه انه تعالى عالم
خبير بما تعملونه في صدقاتكم من اخفائها واعلانها لا يخفى عليه شئ من ذلك فيجازيكم على جميعه **قوله عز وجل لَيْسَ عَلَيْكَ**
هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ اية الاعراب ما تنفقوا من خير فلانفسكم شرط وجزاء وما تنفقون الا ابتغاء
وجه الله قيل لفظه نفى ومعناه النهى اى لا تنفقوا كقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون وقيل هى جملة مفيدة بنفسها معطوفة على
ما قبلها وهى خبر على ظاهره وابتغاء نصب لانه مفعول له وما تنفقوا من خير يوف اليكم شرط كالاول وكذلك حذف النون في
الموضعين **النزول** كان المسلمون يمتنعون عن التصدق على غير اهل دينهم فانزل الله هذه الاية عن ابن عباس وابن الحنفية
وسعيد بن جبير وقيل كانت اسماء بنت ابي بكر مع رسول الله صلى الله عليه واله في عمرة القضا فجاءتها امها قتيلة وجدتها وعندها
امراتين تسألانها وهما مشركتان فقالت لا اعطيكما شيئا حتى استامر رسول الله صلى الله عليه واله فانكما لستما على دينى فاستامرته
في ذلك فانزل الله هذه الاية عن الكلبي **المعنى** ليس عليك هداهم قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه احدها ان معناه ليس
عليك هداهم بمنع الصدقة عليهم لتحملهم به على الايمان وهو نظير قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين عن ابن عباس وسعيد بن جبير

وعلى هذا يكون معناه الاباحة للتصدق عليهم بصدقة التطوع و ثانيها ان معناه ليس عليك هديهم بالحمل على النفقة فى وجوه البر و
سبيل الخير عن الحسن و ابى على الجبائى و تقديره ليس عليك ان تهدى الناس الى نيل الثواب والجنة و انما عليك ان تهديهم الى الايمان بان
تدلهم عليه و هذا تسلية للنبى عليه السلام كان يغتم بترك قبولهم منه و امتناعهم عن الايمان لعلمه بما يؤول اليه امرهم من العقاب
الدائم فسلاه الله تعالى بهذا القول و ثالثها ان المراد ليس عليك ان يهتدى الناس بك بعد ان دعوتهم و انذرتهم و بلغتهم ما امرت
بتبليغه و نظيره ان عليك الا البلاغ وليس المعنى ليس عليك ان تهديهم الى الايمان و الطاعة لانه صلوات الله عليه ما بعث الا لذلك
ولكن الله يهدى من يشاء انما علق الهداية بالمشية لمن كان المعلوم منه انه يصلح باللطف اى بلطف الله بزيادة الهدى و التوفيق لمن
نقل عن الزجاج و ابى القسم البلخى و اكثر اهل العلم و قيل معناه يهدى الى طريق الجنة عن الجبائى و ما تنفقوا من خير فلانفسكم اى ما تنفقوا
فى وجوه البر من مال فلانفسكم ثوابه و الغرض فيه الترغيب فى الانفاق لانه اذا علم الانسان ان منفعة انفاقه عايدة اليه مختصة
به كان اسمح بالانفاق و ارغب فيه و احرص عليه و بذلك يفارق عطية الله تعالى لان المنفعة فى عطائه سبحانه عايدة الى المعطى
مختصة به دون الله تعالى و معظم المنفعة فى عطية العبد يرجع اليه و يختص به دون المعطى و ما تنفقون الا ابتغاء وجه الله
اى طلب رضوان الله و هذا اخبار من الله تعالى عن صفة انفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله و لرسوله انهم لا ينفقون ما ينفقونه
الا طلبا لرضاء الله تعالى و قيل ان معناه النهى و ان كان ظاهره الخبر اى لا تنفقوا الا ابتغاء رضوان الله و فى ذكر الوجه هنا قولان احدهما
ان المراد منه تحقيق الاضافة لان ذكر الوجه يرفع الابهام انه له و لغيره و ذلك انك لما ذكرت الوجه و معناه النفس دل على
انك تصرف الوهم عن الاشتراك الى تحقيق الاختصاص و كنت بذلك محققا للاضافة و مزيلا لابهام الشركة و الثانى انك اذا قلت
فعلته لوجه زيد كان اشرف فى الذكر من فعلته له لان وجه الشئ فى الاصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من
غير تحقيق وجه الا ترى انك تقول وجه الراى و وجه الامر و وجه الدليل فلا تريد بتحقيق الوجه و انما تريد اشرف ما فيه من جهة
شدة ظهوره و حسن بيانه و ما تنفقوا من خير يوف اليكم اى يوفر عليكم ثوابه و جزاؤه و التوفية كمال الشئ و انما حسن اليكم مع
التقية فيه لانها تضمنت معنى التادية و قيل معناه تعطون جزاءه وافرا وافيا فى الاخرة عن ابن عباس و انتم لا تظلمون بمنع ثوابه و لا
بنقصان جزائه كقوله آتت اكلها و لم تظلم منه شيئا اى لم تنقص قوله عز و جل **للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون**
ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا و ما تنفقوا من
خير فان الله به عليم **القراءة** قرا حمزة و عاصم و ابو جعفر و ابن عامر يحسبهم بفتح السين كل القران و الباقون بكسرها **اللغة**
قال ابو زيد حسبت الشئ احسبه و احسبه حسبانا و حسبت الشئ حسابا و حسابة و حسبانا و احسبت الرجل احسابا اذا اطعمته و
سقيته حتى شبع و يروى و يعطيه حتى يرضى و الاحصار المنع عن التصرف لمرض او حاجة او مخافة و الحصر هو منع الغير ليس
كالاول لانه منع النفس و قد تقدم عند قوله فان احصرتم و الضرب المشى فى الارض و السيما العلامة التى يعرف بها الشئ و اصله
الارتفاع لانه علامة رفعت للظهور و منه السوم فى البيع و هو الزيادة فى مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد و منه سوم
الخسف للرفع فيه بتحميل ما لا يطيق و منه سوم الماشية ارسالها فى المرعى و التعفف ترك السؤال يقال عف عن الشئ و تعفف
عنه اذا تركه و منه قول رؤبة فعف عن اسرارها بعد العسق اى تركها و الالحاف الالحاح فى المسئلة قال الزجاج معنى الحف
شمل بالمسئلة و هو مستغن عنها و اللحاف من هذا اشتقاقه لانه يشتمل الانسان فى التغطية **الاعراب** العامل فى قوله للفقراء
محذوف و تقديره النفقة للفقراء و قد تقدم ما يدل عليه و قال بعضهم هو مردود على اللام الاولى من قوله و ما تنفقوا من خير
فلانفسكم قال على بن عيسى و هذا لا يجوز لانه بدل الشئ من غيره لا يكون الا و المعنى يشتمل عليه و ليس كذلك ذكر النفس ههنا
لان الانفاق لها من حيث هو عايد عليها و للفقراء من حيث هو واصل اليهم و ليس من باب و لله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا لان الامر لازم للمستطيع خاصة و لا يجوز ان يكون العامل فيه تنفقوا الاخير لانه لا يفصل بين العامل و المعمول فيه بالاجنبى
كما لا يجوز كانت زيدا الحمى تاخذ لا يستطيعون ضربا جملة فى موضع الحال من احصروا و ضربا مفعول يستطيع يحسبهم الجاهل فى موضع

الحال و ذو الحال الفقراء و الحافا مصدر وضع موضع الحال من يسئلون اى لا يسئلون ملحفين و يجوز ان يكون مصدرا لان الالحاف سؤال
على صفة **النزول** قال ابو جعفر عليه السلام نزلت الاية فى اصحاب الصفة و كذلك رواه الكلبى عن ابن عباس و هم نحو من اربعمائة رجل
لم يكن لهم مساكن بالمدينة و لا عشاير يأوون اليهم فجعلوا انفسهم فى المسجد و قالوا نخرج من كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه و آله و كان الرجل اذا
اكل و عنده فضل اتاهم به اذا امسى **المعنى** لما امر الله تعالى بالنفقة و رغب فيها بابلغ وجوه الترغيب و بين ما يكمل ثوابها عقب ذلك
ببيان افضل الفقراء الذين هم مصرف الصدقات فقال للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله معناه النفقة المذكورة فى هذه الاية و ما قبلها
للفقراء الذين حبسوا و منعوا فى طاعة الله اى منعوا انفسهم من التصرف فى التجارة للمعاش اما لخوف العدو من الكفار و اما للمرض و الفقر
و اما للاقبال على العبادة و قوله فى سبيل الله يدل على انهم حبسوا انفسهم عن التقلب لاشتغالهم بالطاعة و العبادة لا يستطيعون لبعض
ما ذكرنا من المعانى ضربا فى الارض لمنعهم انفسهم من التصرف فى التجارة اى الزموا انفسهم الجهاد فى سبيل الله فلا يقع منهم التصرف
لغيره و ليس معناه انهم لا يقدرون عليه كما يقال امرنى الامير بالمقام فى هذا الموضع فلا استطيع ان ابرح منه اى لا ابرح منه لالزامى
نفسى طاعة الامير يحسبهم الجاهل اى يظنهم الجاهل بحالهم و باطن امورهم اغنياء من التعفف اى للامتناع من السؤال و التجمل فى اللباس
و الستر لما هم من الفقر و سوء الحال طلبا لرضوان الله و طمعا فى جزيل ثوابه تعرفهم بسيماهم اى تعرف حالهم بالنظر الى وجوههم لما
ترى من علامة الفقر عن السدى و الربيع و قيل لما ترى من التخشع و الخضوع الذى هو شعار الصالحين عن مجاهد لا يسئلون الناس
الحافا قيل معناه انهم لا يسئلون الناس اصلا و ليس معناه انهم يسئلون من غير الحاف عن ابن عباس و هو قول الفراء و الزجاج و
اكثر ارباب المعانى و فى الاية ما يدل عليه و هو قوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف فى المسئلة و لو كانوا يسئلون لم يكن يحسبهم الجاهل
اغنياء لان السؤال فى الظاهر يدل على الفقر و قوله ايضا تعرفهم بسيماهم و لو سالوا لعرفوا بالسؤال قالوا و انما هو كقولك ما رايت
مثله و انت لم ترد ان له مثلا ما رايته و انما تريد انه ليس له مثل فترى فمعناه لم يكن سؤال فيكون الحاح كقول الاعشى لا يغمز الساق
من اين و من وصب و لا يعض على شرسوفه الصفر و معناه ليس بساقه اين و لا وصب فيغمزها ليس ان هناك اينا و لا يغمز و فى الحديث
ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده و يكره البؤس و التباؤس و يحب الحليم المتعفف من عباده و يبغض الفاحش البذى السائل
الملحف و عنه عليه السلام قال ان الله كره لكم ثلاثا قيل و قال و كثرة السؤال و اضاعة المال و نهى عن عقوق الامهات و وأد البنات
و منع و هات و قال عليه السلام الايدى ثلثة فيد الله العليا و يد المعطى التى تليه و يد السائل السفلى الى يوم القيمة و من سال
و له ما يغنيه جاءت مسئلته يوم القيمة كدوحا او خموشا او خدوشا فى وجهه قيل و ما غناه قال خمسون درهما او عدلها من الذهب
و ما تنفقوا من خير او من مال و قيل معناه فى وجوه الخير فان الله به عليم اى يجازيكم عليه قوله عز و جل **الذين ينفقون**
اموالهم بالليل و النهار سرا و علانية فلهم اجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون اية **الاعراب** سرا و علانية
حالان من ينفقون و تقديره مسرين و معلنين فهما اسمان وضعا موضع المصدر عند ربهم ظرف مكان و العامل فيه ما يتعلق
به اللام من لهم **النزول** قال ابن عباس نزلت الاية فى على عليه السلام كانت معه اربعة دراهم فتصدق بواحد نهارا و بواحد
ليلا و بواحد سرا و بواحد علانية و هو المروى عن ابى جعفر و ابى عبد الله عليهما السلام و روى عن ابى ذر و الاوزاعى انها نزلت
فى النفقة على الخيل فى سبيل الله و قيل هى فى كل من انفق ماله فى طاعة الله على هذه الصفة و على هذا فانا نقول الاية نزلت فى على
عليه السلام و حكمها ساير فى كل من فعل مثل فعله و له فضل السبق الى ذلك **المعنى** ثم بين تعالى كيفية الانفاق و ثوابه فقال
الذين ينفقون اموالهم فى هذه الحالات اى ينفقون على الدوام لان هذه الاوقات متعينة للصدقات و لا وقت لها سواها فلهم
اجرهم عند ربهم اتى بالفاء ليدل على ان الاجر انما هو من اجل الانفاق فى طاعة الله و لا يجوز ان يقال زيد فله درهم لانه ليس فيه
معنى الجزاء و لا خوف عليهم من اهوال يوم القيمة و افزاعها و لا هم يحزنون فيها و قيل لا خوف عليهم من فوت الاجر و نقصانه و لا هم
يحزنون على ذلك قوله تعالى **الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك**
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا و احل الله البيع و حرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف

وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ اية اللغة اصل الربوا الزيادة من قولهم ربا
الشئ يربوا اذا زاد والربا هو الزيادة على راس المال وارباء الرجل اذا عامل فى الرباء ومنه الحديث من اجبى فقد اربى
واصل الربا التخبط الخبط وهو الضرب على غير استواء خبطته اخبطه خبطاه والخبط ضرب البعير الارض بيديه والتخبط ايضا
بمعناه يقال يخبط البعير الارض اذا ضربها بقوايمه ويقال للذى يتصرف فى امر ولا يهتدى فيه هو يخبط خبط عشواء والتخبط المس بالجنون
او التخبل لانه كالضرب على غير استواء فى الادهاش والخباط داء كالجنون لانه اضطراب فى العقل يقال به خبطة من جنون ويقال فلان
مس واولق اى جنون والسلوف التقدم يقال سلف يسلف سلوفا ومنه الامم السالفة اى الماضية والسالفة اعلى العنق والاسلاف
الاعطاء قبل الاستحقاق يقال اسلفته المال اسلافا وسلافة الخمر صفوها لانه اول ما يخرج من عصيرها والعود الرجوع وعيادة المريض
المصير اليه ليعرف خبره والعود من العيدان لانه يعود اذا قطع ومنه العود الذى يتبخر به والمعاد كل شئ اليه المصير والاخرة
معاد الناس والعادة تكرر الشئ مرة بعد اخرى والعيد كل يوم مجمع عظيم لانه يعود فى السنة او الاسبوع والعايدة الصلة لانها تعود بالنفع
على صاحبها الاعراب كما يقوم الكاف فى محل النصب على المصدر والموصول حرف تقديره لا يقومون الا مثل قيام الذى يتخبطه الشيطان
من المس يتعلق بيتخبط ومن للتبيين المعنى لما حث الله تعالى على الانفاق وبين ما يحصل للمنفق من الاجر العاجل والاجل عقبه بذكر
الربوا الذى ظنه الجاهل زيادة فى المال وهو فى الحقيقة محق فى المال فقال الذين ياكلون الربوا فى الدنيا لا يقومون يوم القيمة
الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس معناه الا مثل ما يقوم الذى يصرعه الشيطان من الجنون ويكون ذلك امارة لاهل
الموقف على انهم اكلة الربا عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وقيل ان هذا على وجه التشبيه لان
الشيطان لا يصرع الانسان على الحقيقة ولكن من غلب عليه المرة السوداء وضعف ربما يخيل اليه الشيطان امورا هايلة ويوسوس
اليه فيقع الصرع عنده ذلك من فعل الله تعالى ونسب ذلك الى الشيطان مجازا لما كان عند وسوسته عن ابى الجبائى وقيل
يجوز ان يكون الصرع من فعل الشيطان فى بعض الناس دون بعض عن ابى الهذيل وابن الاخشيد قالا لان الظاهر من القران
يشهد به وليس فى العقل ما يمنع منه ولا يمنع الله تعالى الشيطان عنه امتحانا لبعض الناس وعقوبة لبعضهم على ذنب
الم به ولم يتب منه كما يتسلط بعض الناس على بعض فيظلمه وياخذ ماله ولا يمنعه الله تعالى منه ويكون هذا علامة لاكلى الربوا
يعرفون بها يوم القيمة كما ان على كل عاص من معصيته علامة تليق به فيعرف بها صاحبها وعلى كل مطيع من طاعته امارة
يليق به يعرف بها صاحبها وذلك معنى قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقال النبى صلى الله عليه واله فى شهداء
احد زملوهم بدمائهم وثيابهم وقال عليه السلم تبعث امتى يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء وروى عنه عليه السلم انه
قال لما اسرى بى الى السماء رايت رجالا بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال
هؤلاء اكلة الربوا ورواه اصحابنا عن ابى عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لما اسرى بى الى السماء
رايت قوما يريد احدهم ان يقوم ولا يقدر عليه من عظم بطنه قال قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء الذين ياكلون الربوا
لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس واذا هم بسبيل ال فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا يقولون
ربنا متى تقوم الساعة والوعيد فى الاية متوجه الى كل من اربى وان لم ياكله ولكنه تعالى نبه بذكر الاكل على ساير وجوه الانتفاع
بمال الربوا انما خص الاكل لانه معظم المقاصد من المال ونظيره قوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما الاية والمراد بالاكل فى الموضعين ساير وجوه الانتفاع دون حقيقة الاكل ذلك اى ذلك العقاب لهم
بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا ومعناه بسبب قولهم انما البيع الذى لا ربا فيه مثل البيع الذى فيه الربوا قال ابن عباس كان الرجل
منهم اذا حل دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له زدنى فى الاجل وازيدك فى المال فيتراضيان عليه ويعملان به
فاذا قيل لهم هذا ربوا قالوا هما سواء يعنون بذلك ان الزيادة فى الثمن حال البيع والزيادة فيه بسبب الاجل عند محل الدين
سواء فذمهم الله به والحق الوعيد بهم وخطاهم فى ذلك بقوله واحل الله البيع وحرم الربوا اى احل الله البيع الذى لا ربا

فيه

فيه وحرم البيع الذى فيه الربوا والفرق بينهما ان الزيادة فى احدهما لتاخير الدين وفى الاخر لاجل البيع وايضا فان البيع بدل
لبدل لان الثمن فيه بدل المثمن والربوا زيادة من غير بدل للتاخير فى الاجل او زيادة فى الجنس والمنصوص عن النبى عليه السلم
تحريم التفاضل فى ستة اشياء الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح وقيل الزبيب قال عليه السلم الا مثلا بمثل يدا بيد من
زاد او استزاد فقد اربى لا خلاف فى حصول الربا فى هذه الاشياء الستة وفى غيرها خلاف بين الفقهاء وهو مقيس عليها عندهم و
عندنا ان الربوا لا يكون الا فيما يكال او يوزن واما علة تحريم الربا فقد قيل هى ان فيه تعطيل المعايش والاجلاب والمتاجر اذا
وجد المربى من يعطيه دراهم وفضلا بدراهم وقال الصادق عليه السلم انما شدد فى تحريم الربوا لئلا يمتنع الناس من اصطناع
المعروف قرضا او رفدا فمن جاءه موعظة من ربه معناه فمن جاءه زجر ونهى وتذكير من ربه فانتهى اى فانزجر وتذكر
واعتبر فله ما سلف معناه فله ما اخذ واكل من الربا قبل النهى لا يلزمه رده قال الباقر عليه السلم من ادرك الاسلام وتاب
مما كان عمله فى الجاهلية وضع الله عنه ما سلف وقال السدى معناه له ما اكل وليس عليه رد ما سلف فاما ما لم يقبض
بعد فلا يجوز له اخذه وله راس المال وقوله جاءه موعظة وقال فى موضع اخر قد جاءتكم موعظة لان تانيثه غير حقيقى فان
الموعظة والوعظ بمعنى واحد وامره الى الله معناه امره بعد مجئ الموعظة والتحريم والانتهاء الى الله تعالى ان شاء
عصمه عن اكله وثبته فى انتهائه عنه وان شاء خذله وقيل معناه امره فى حكم الاخرة الى الله تعالى ان لم يتب وهو غير مستحل له
ان شاء عذبه بعدله وان شاء عفا عنه بفضله وقيل معناه وامره الى الله فلا يواخذه بما سلف من الربوا ومن عاد الى اكل
الربوا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجئ الموعظة من ان البيع مثل الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لان ذلك القول لا يصدر الا من كافر يستحل الربوا فلهذا توعد بعذاب الابد ولا خلاف بين الفقهاء ان الربا محرم فى النقد والنسية
وقال بعض من تقدم لا ربا الا فى النسية واما اهل الجاهلية فانهم كانوا يربون بتاخير الدين عن محله الى محل اخر بزيادة
فيه ولا خلاف فى تحريمه ومما جاء فى الحديث فى الربوا ما روى عن على عليه السلم قال لعن رسول الله صلى الله عليه واله
فى الربا خمسة اكله وموكله وشاهديه وكاتبه وعنه عليه واله السلم قال اذا اراد الله بقرية هلاكا ظهر فيه الربا
وعنه عليه واله السلم قال الربا سبعون بابا اهونها عند الله عز وجل كالذى ينكح امه وروى جميل بن دراج عن ابى عبد الله
عليه السلم قال درهم ربا اعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم فى بيت الله الحرام قوله عز وجل يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا
وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ اية اللغة المحق نقصان الشئ حالا بعد حال يقال محقه الله يمحقه محقا
فانمحق وامتحق اى هلك وتلف بذهابه حالا بعد حال والمحاق اخر الشهر لانمحاق الهلال فيه والاثيم المتمادى فى الاثم والاثم
الفاعل للاثم المعنى ثم اكد الله تعالى ما تقدم بقوله يمحق الله الربى اى ينقص الله الربى حالا بعد حال الى ان يتلف المال
كله وقال ابن عباس معناه يهلكه ويذهب بركته وقيل للصادق عليه السلم قد نرى الرجل يربى ويكثر ماله فقال يمحق الله دينه
وان كثر ماله وقال ابو القسم البلخى يمحقه الله فى الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه وتسميته بالفسق ويربى الصدقات
اى وينمى الصدقات ويزيدها بان يثمر المال فى نفسه فى العاجل وبالاجر عليه والثواب فى الاجل وذلك بحسب الانتفاع
بها وحسن النية فيها وقد روى عن النبى عليه السلم انه قال ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب ويربيها
لصاحبها كما يربى احدكم مهره او فصيله حتى ان اللقمة تصير مثل احد والنكتة فى الاية ان المربى انما يطلب بالربا زيادة المال
ومانع الصدقة انما يمنعها لطلب زيادة المال فبين الله تعالى ان الربا سبب النقصان دون النما وان الصدقة سبب النما
دون النقصان والله لا يحب كل كفار اثيم فعال من الكفر وهو المقيم عليه المتمسك به المعتاد له ومعناه ان الله يبغض
كل كفار لنعمته باستحلال الربوا منهمك فى غوايته متماد فى اثمه باكله وانما لم يقل كل كافر لانه اذا استحل الربوا صار كافرا
واذا اكله للربوا مع الاستحلال فقد ضم كفرا الى كفر واذا استحل الربا ولم يعقد عقد الربا لم يلحقه من المذمة ما يلحق من جمع بين
الامرين فالجامع بين الامرين يستدعى من غضب الله ما لا يستدعيه احد الامرين وروى عن النبى عليه واله السلم انه قال يأتى

قال زهير رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطى يعمر فيهرم

على الناس زمان لا يبقى احد الا آكل الربوا فان لم ياكله اصابه من غباره قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ
وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ آية المعنى هذه الاية ظاهرة المراد وقد تقدم تفسيرها
فيما مضى وانما جمع بين هذه الخصال لان الثواب لا يستحق على كل واحدة منها اذ لو كان كذلك لكان فيه تصغيرا من كل واحدة
منها ولكن جمع بينها للترغيب في الاعمال الصالحة والتفخيم لامرها والتعظيم لشانها او لبيان ان الجمع بين هذه الخصال اعظم اجرا
من الافراد بواحدة منها ونظيره قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس الاية فجمع بين هذه الخصال في الوعيد ليبين
ان الوعيد يستحق بكل واحدة منها وللتحذير عن كل خصلة منها لان من المعلوم ان من دعا مع الله الها آخر لا يحتاج الى شرط آخر
في استحقاق الوعيد اذ لو كان الوعيد انما يستحق بمجموع تلك الخصال لكان فيه تسهيل لكل واحدة منها وقد ذكرنا ان امثال هذه الاية
تدل على ان الايمان ليس من افعال الجوارح ولا مشتملا عليها اذ لو كان كذلك لما كان لعطفها عليه معنى لان الشيء لا يعطف على
نفسه فان قالوا ان ذلك يجري مجرى قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والذين كفروا وكذبوا باياتنا فالقول ان الخلاف هنا
كالخلاف هناك لان التكذيب عندنا ليس بالكفر نفسه وانما هو دلالة على الكفر وكذلك الصد عن سبيل الله واستدل بهذه
الاية وامثالها على بطلان التحابط لانه تعالى ضمن الثواب بنفس هذه الخصال ولم يشترط الا يوتى بما يحبطها فان قالوا لا بد من هذا الشرط
كما ان الوعيد على الكفر لا بد من ان يكون مشروطا بارتفاع التوبة فالجواب ان التوبة انما صارت شرطا هناك لمكان اجماع المسلمين
لان التوبة مسقطة للعقاب وانما وعد الله تعالى باسقاط العقاب عندها تفضلا منه تعالى ولا اجماع على ما ادعوه من الشرط في ايات
الوعد فبان الفرق بين الامرين قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ايتان القراءة
قرا عاصم برواية ابي بكر غير ابن غالب والبرجمي وحمزة فآذنوا بمد الالف وكسر الذال والباقون فأذنوا وقرئ في الشواذ لا تظلمون
ولا تُظلَمُونَ اللغة قال سيبويه آذنت اعلمت واذّنت والتاذين النداء والتصويت بالاعلام قال وبعض العرب يجري آذنت مجرى اذّنت
الذي معناه التصويت والنداء قال ابو عبيدة اذنتك بحرب فانت به تاذن اذنا اي علمت فمن قرا فأذنوا بحرب من الله فقصر فالمعنى
اعلموا بحرب من الله والمعنى انكم في امتناعكم من وضع ذلك حرب لله ولرسوله ومن قرا فآذنوا فتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك
بحرب فالمفعول محذوف على قوله فاذا امروا باعلام غيرهم علموهم ايضا لا محالة ففي امرهم بالاعلام ما يعلمون هم ايضا انهم حرب
ان لم يمتنعوا عما هو لعنه وليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهو في الابلاغ آكد الاعراب ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف تقديره
ان كنتم مؤمنين فذروا ما بقي من الربوا وموضع لا تظلمون نصب على الحال من لكم والتقدير فلكم رؤس اموالكم غير ظالمين ولا مظلومين
النزول روي عن ابي جعفر عليه السلام ان الوليد بن المغيرة كان يربي في الجاهلية وقد بقي له بقايا على ثقيف فاراد خالد بن الوليد
المطالبة بها بعد ان اسلم فنزلت الاية وقال السدي وعكرمة نزلت في بقية من الربا كانت للعباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين
في الجاهلية يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في الربا فانزل الله هذه الاية فقال
النبي عليه السلام الا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع واول ربا اضعه ربا العباس بن عبد المطلب وكل دم من دم الجاهلية
موضوع واول دم اضعه دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب كان مرضعا في بني ليث فقتله هذيل وقال مقاتل نزلت في اربعة
اخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي وكانوا يداينون بني المغيرة وكانوا يربون
فلما ظهر النبي عليه السلام على الطايف وصالح ثقيفا اسلم هؤلاء الاخوة الاربعة فطلبوا رباهم من بني المغيرة واختصموا الى عتاب
بن اسيد عامل رسول الله على مكة فكتب عتاب الى النبي عليه السلام بالقصة فانزل الله هذه الاية المعنى ثم بين تعالى حكم
ما بقي من الربوا فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في امر الربوا وفي جميع ما نهيتكم عنه وذروا ما بقي من الربوا واتركوا ما بقي من
الربوا فلا تاخذوه واقتصروا على رؤس اموالكم وقوله ان كنتم مؤمنين معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فاما من ليس بمؤمن فانه
يكون حربا وقيل معناه ان كنتم مؤمنين بتحريم الربوا مصدقين به وبما فيه من المفسدة التي يعلمها الله تعالى فان لم تفعلوا اي

فان لم تقبلوا امر الله تعالى ولم تنقادوا له ولم تتركوا بقية الربوا بعد نزول الاية بتركه فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فايقنوا و
اعلموا بقتال من الله ورسوله والمعنى ايقنوا انكم تستحقون القتل في الدنيا والنار في الاخرة لمخالفة امر الله تعالى ورسوله ومن
قرا فآذنوا فمعناه فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب ومعنى الحرب عداوة الله وعداوة رسوله وهذا اخبار بعظم المعصية وروي
عن ابن عباس وقتادة والربيع ان من عامل بالربا استتابه الامام فان تاب والا قتله وقال الصادق عليه السلام آكل
الربا بعد التنبيه يؤدب فان عاد ادب فان عاد قتل وان تبتم من استحلال الربا واقررتم بتحريمه فلكم رؤس اموالكم دون الزيادة
لا تظلمون باخذ الزيادة على راس المال ولا تظلمون بالنقصان من راس المال قوله عز وجل وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ
إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ اية القراءة قرا ابو جعفر عسرة بضم السين والباقون عسرة باسكانها وهما
لغتان وقرا نافع الى ميسُرة بضم السين والباقون بفتحها وهما لغتان وقرا زيد عن يعقوب ميسُره بضم السين مضافا الى ذلك و
روي ذلك عن مجاهد وقرا عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد والباقون بتشديدها وقد تقدم الكلام في مثله فان الاصل في القراءتين
تتصدقوا فخفف في احديهما بحذف احدى التائين وفي الاخرى بالادغام اللغة النظرة التاخير وهو اسم قام مقام الانظار وهو مثل
الاخر يقال بعته بنظرة وباخرة اي بنسيئة ورايت فلانا باخرة الناس اي في آخرهم والميسرة والميسور بمعنى اليسار والغنى والسعة
وما روي في قراءة من قرا الى ميسُره فلم يجز البصريون لان مفعل لا يجيء في الاحاد الا بالتاء وقد جاء في الجمع قال جميل بثين الزمي لا
ان لزمته على كثرة الواشين اي معون وروى ابلغ النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري قالوا وجمع معونة ومالك جمع مالكة
وهي الرسالة ومثل هذا الذي نقل لا يعتد به سيبويه فربما اطلق القول وقال ليس في الكلام كذا وان كان قد جاء عليه حرف
او حرفان الاعراب كان هذه تامة وهي التي يتم بفاعلها ويكتفى به وتقديره وان وقع ذو عسرة وقيل هي ناقصة محذوفة الخبر
وتقديره وان كان ذو عسرة غريما لكم وكان يجوز لو قرئ وان كان ذا عسرة اي وان كان الذي عليه الدين ذا عسرة وروي ذلك
في الشواذ عن ابي فنظرة مرفوعة لانها خبر مبتداء محذوف والفاء فيه للجزاء تقديره فالذي تعاملونه به نظرة وان تصدقوا في
موضع رفع لانه مبتداء وخبره خير لكم المعنى لما امر تعالى باخذ راس المال من الموسرين بين بعده حال المعسر فقال وان كان ذو عسرة
معناه ان وقع في غرمائكم ذو عسرة ويجوز ان يكون تقديره وان كان غريما لكم ذو عسرة فنظرة اي فالذي تعاملونه به نظرة الى ميسرة
اي الى وقت اليسار اي فالواجب نظرة صيغته صيغة الخبر والمراد به الامر اي فانظروه الى وقت يساره واختلف في حد الاعسار
فروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال هو اذا لم يقدر على ما يفضل عن قوته وقوت عياله على الاقتصار وقال ابو علي الجبائي
هو التعذر بالاعدام او بكساد المتاع او نحوه واختلف في وجوب انظار المعسر على ثلثة اقوال احدها انه واجب في كل دين
عن ابن عباس والضحاك والحسن وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وثانيها انه واجب في دين الربا خاصة عن
شريح وابرهيم النخعي وثالثها انه واجب في دين الربوا بالاية وفي كل دين بالقياس عليه وقال الباقر عليه السلام الى ميسرة معناه
الى ان يبلغ خبره الامام فيقضي عنه من سهم الغارمين اذا كان انفقه في معروف وان تصدقوا خير لكم معناه وان تتصدقوا على
المعسر بما عليه من الدين خير لكم ان كنتم تعلمون الخير من الشر وتميزون ما لكم عما عليكم ومما جاء في معنى الاية من الحديث قوله
صلى الله عليه واله من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وروى بريدة عن النبي عليه السلام
قال من انظر معسرا كان له بكل يوم صدقة وفي هذه الاية دلالة على ان الانسان اذا علم ان غريمه معسر حرم عليه حبسه و
ملازمته ومطالبته بما عليه وانه يجب عليه انظاره الى وقت اليسار وان الصدقة براس المال على المعسر خير وافضل من انظاره
وروي عن ابن عباس وابن عمر ان اخر ما نزل من القران آي الربا قوله عز وجل وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ
ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اية القراءة قرا ابو عمرو ويعقوب ترجعون بفتح التاء والباقون بضمها الحجة لابي
عمرو قوله تعالى ان الينا ايابهم فاضاف المصدر الى الفاعل فهذا بمنزلة ترجعون وآب مثل رجع ومن حجته قوله وانا اليه
راجعون فالينا مرجعهم الاعراب يوما منصوب لانه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لانه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم وقوله ترجعون

فيه الى الله جملة فى موضع نصب لكونه صفة لقوله يوما وتوفى كل نفس ما كسبت فى موضع نصب بانه عطف على صفة يوما الا انه حذف منه
فيه ايضا لدلالة الاول عليه **النزول** هذه اخر اية نزلت من القران وقال جبرئيل ضعها فى راس الثمانين والمائتين من البقرة عن ابن
عباس والسدى قال المفسرون لما نزلت هذه الاية انك ميت وانهم ميتون قال رسول الله صلى الله عليه واله ليتنى اعلم متى يكون ذلك
فانزل الله عز وجل سورة النصر فكان رسول الله عليه السلم يسكت بين التكبير والقراءة بعد نزول هذه السورة فيقول سبحان الله وبحمده
استغفر الله واتوب اليه فقيل له انك لم تكن تقوله قبل هذا قال اما ان نفسى نعيت الى ثم بكى بكاء شديدا فقيل يا رسول الله اوتبكى من الموت
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال فاين هول المطلع واين ضيق القبر وظلمة اللحد واين القيمة والاهوال فعاش
رسول الله عليه السلم بعد نزول هذه السورة عاما تاما ثم نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة وهذه السورة اخر سورة كاملة
نزلت من القران فعاش رسول الله عليه السلم بعدها ستة اشهر ثم لما خرج الى حجة الوداع نزلت عليه فى الطريق يستفتونك قل الله
يفتيكم فى الكلالة الى اخرها فسميت اية الصيف ثم نزل عليه وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم الاية فعاش بعدها احدى
ثمانين يوما ثم نزلت عليه ايات الربوا ثم نزلت بعدها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فهى اخر اية نزلت من السماء فعاش رسول الله
عليه السلم بعدها احدى وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير ومقاتل سبع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا
من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس وروى اصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ولسنة واحدة من ملك
اردشير بن شيرويه بن ابرويز بن هرمز بن نوشيروان نفسى هو صلى الله عليه واله حيا وميتا **المعنى** ثم حذر الله تعالى المكلفين
من بعد ما تقدم من الحدود والاحكام فقال واتقوا يوما معناه واحذروا يوما واخشوا يوما ترجعون فيه الى الله تردون
جميعا الى جزاء الله ويقال الى ملك الله لنفعكم وضركم دون غيره ممن ملكه اياه فى دار الدنيا وهو المراد بكل ما فى القران
من هذا اللفظ لان الله تعالى لا يغيب عنه احد ولا يغيب احد عن علمه وملكه وسلطانه ويدل عليه قوله وهو معكم اينما كنتم وما
يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وانما خص يوم القيمة بهذه الصفة لان الناس اذا حشروا انقطع امرهم وبطل ملكهم ولا يبقى لاحد
منهم امر ولا نهى كما قال تعالى لمن الملك اليوم ثم توفى كل نفس ما كسبت قيل فيه وجهان احدهما توفى جزاء ما كسبت من الاعمال والثانى
توفى ما كسبت من الثواب او العقاب لان الكسب على وجهين كسب العبد لفعله وكسبه لما ليس من فعله كما يكسب المال وهم
لا يظلمون معناه لا ينقصون مما يستحقونه من الثواب ولا يزاد عليهم فيما يستحقونه من العقاب **قوله عز وجل يا ايها الذين**
امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا ياب كاتب
ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى
عليه الحق سفيها او ضعيفا او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم
فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ولا
ياب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة
وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا
تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم اية القراءة
قرا حمزة وحده ان تضل بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرا ابن كثير وابو عمرو وقتيبة فتذكر بالتخفيف والنصب وقرا حمزة
فتذكر بالتشديد والرفع وقرا الباقون فتذكر بالتشديد والنصب وقرا عاصم وحده تجارة حاضرة بالنصب وقرا الباقون بالرفع وقرا
ابو جعفر ولا يضار بتشديد الراء وتسكينها والباقون ولا يضار بالنصب والتشديد **الحجة** الوجه فى قراءة حمزة ان تضل احديهما
بكسر الالف هو انه جعل ان للجزاء والفاء فى قوله فتذكر جواب الجزاء وموضع الشرط وجزائه رفع بكونهما وصفا للمنكورين وهما المراتان
فى قوله فرجل وامراتان وقوله فرجل وامراتان خبر مبتداء محذوف تقديره فمن يشهد رجل وامراتان ويجوز ان يكون رجل مرتفعا
بالابتداء والمراتان معطوفتان عليه وخبر المبتداء محذوف وتقديره فرجل وامراتان يشهدون وقوله ممن ترضون من الشهداء ذكرهم

يعود الى الموصوفين الذين هم رجل وامراتان ولا يجوز ان يكون فيه ذكر لشهيدين المتقدم ذكرهما لاختلاف اعراب الموصوفين
الا ترى ان شهيدين منصوبان ورجل وامراتان اعرابهما الرفع فاذا كان كذلك علمت ان الوصف الذى هو طرف انما هو وصف
لقوله فرجل وامراتان دون من تقدم ذكرهما من الشهيدين والشرط وجزاؤه وصف لقوله امراتان لان الشرط جملة يوصف بها
كما يوصل بها فى نحو قوله الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واللام التى هى لام فى قوله ان تضل فمن جعل ان جزاء فى موضع
جزم وانما حركت بالفتح لالتقاء الساكنين ولو كسرت للكسرة قبلها لكان جايزا فى القياس واما قوله فتذكر فقياس قول سيبويه فى
قوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه والاى التى تلاها معها ان يكون بعد الفاء فى فتذكر مبتداء محذوف ولو اظهرته لكان فهما
تذكر احداهما الاخرى فالذكر العايد الى المبتداء المحذوف الضمير فى قوله احداهما واما الاصل فى تذكر فهو من الذكر الذى هو ضد
النسيان وذكرت فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا انقلته بالهمزة او ضعفت العين منه تعدى الى مفعول اخر وذلك نحو فرحته
وافرحته فمن قراء فتذكر كان ممن جعل التعدية بالتضعيف ومن قراء فتذكر كان ممن نقل بالهمزة فكلاهما سايغ والمفعول الثانى فى
قوله فتذكر احداهما الاخرى محذوف والمعنى فتذكر احداهما الاخرى الشهادة التى تحملتاها واما قراءة الاكثرين وهو ان تضل
بفتح الالف فان يتعلق فيها بفعل مضمر دل عليه هذا الكلام وذلك احد ثلاثة اشياء الاول فهو ان قوله فان لم يكونا رجلين
فرجل وامراتان تدل على قولك فاستشهدوا رجلا وامراتين وعلى هذا فتقديره فليستشهد رجل وامراتان فتعلق ان انما هو بهذا الفعل
والثانى ما قاله ابو الحسن وهو ان تقديره فليكن رجل وامراتان وعلى هذا فيكون معناه فليحدث شهادة رجل وامراتين فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والثالث ان يضمر خبر المبتداء الذى هو فرجل وامراتان اى فرجل وامراتان يشهدون فيكون
يشهدون العامل فى ان وموضع اضماره فيمن فتح الهمزة من ان تضل قبل ان وفيمن كسر ان بعد انقضاء الشرط بجزائه واما موضع
ان هذه فنصب وتقديره لان تضل احديهما فتذكر احديهما فان قيل فان الشهادة انما وقعت للذكر والحفظ لا للضلال الذى هو
النسيان فجوابه ان سيبويه قال امر بالاشهاد لان تذكر احديهما الاخرى وانما ذكر ان تضل لانه سبب الاذكار كما يقول القايل
اعددته ان يميل الحائط فادعمه وهو لا يطلب بذلك ميلان الحائط ولكنه اخبر بعلة الدعم وسببه وقوله فتذكر او فتذكر
بالنصب معطوف على الفعل المنصوب بان واما قراءة من قرا الا ان تكون تجارة حاضرة بالرفع فالوجه فيها ان يكون كان بمعنى
وقع وحدث فكانه قال الا ان يقع تجارة حاضرة مثل قوله وان كان ذو عسرة واما من نصب تجارة حاضرة فيكون على خبر
كان ولم يخل اسم كان من احد شيئين احدهما ان يكون ما يقتضيه الكلام من الاشهاد والارتهان قد علم من فحواه التبايع فاضمر
التبايع لدلالة الحال عليه كما يقال اذا كان غدا فاتنى والاخر ان يكون اضمر التجارة فكانه قال الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
ومثل ذلك قول الشاعر فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم يوما واما قوله
لا يضار ففيه قولان احدهما ان اصله لا يضارر فادغمت الراء فى الراء وفتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا يكتب الكاتب
الا بالحق ولا يشهد الشاهد الا بالحق والثانى ان اصله لا يضارر بفتح الراء الاولى فادغمت فيكون المعنى لا يدع الكاتب على وجه يضر به
وكذا الشاهد والاول ابين واما قراءة ابى جعفر بتسكين الراء مع التشديد ففيه نظر ووجهه انه اجرى الوصل مجرى الوقف كقولهم
ببازل وجناء او عيهل وقد تقدم امثاله **اللغة** يقول داينت الرجل اذا عاملته بدين اخذت منه او اعطيته وتداين القوم او الرجلان
بمعناه قال الشاعر داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا ويقال دنت وادنت اذا اقترضت قال اذان و
انباه الاولون بان المدان ملى وفى والاملال والاملاء يقال امللت عليه وامليت عليه بمعنى والبخس النقص ظلما يقال بخسه
حقه يبخسه بخسا ومنه ثمن بخس ناقص عن حقه والبخس فقؤ العين لانه ادخال نقص على صاحبها والسفيه الجاهل واصل السفه الخفة
قال الشاعر نخاف ان تسفه احلامنا فنخمل الدهر مع الخامل وانما سمى الجاهل بالسفيه لخفة عقله ويقال من الاباء ابى يابى ولم
يات مثله فى اللغة لان فعل يفعل لا ياتى الا ان يكون فى موضع العين من الفعل او اللام حرف من حروف الحلق والقول فيه ان
الالف من ابى اشبهت الهمزة فجاء يفعل منه مفتوحا لهذه العلة والضلال اصله الهلاك يقول العرب ضل الماء فى اللبن ومنه

من تعدى

قوله ان المجرمين فى ضلال وسعر وقيل اصله الذهاب بحيث لا يوجد ومنه ااذا ضللنا فى الارض و السام الملل يقال سام يسلم ساما
اذا امل من الشئ وضجر منه قال زهير سئمت تكاليف الحيوة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسأم واقسط اى اعدل و القسط العدل
ويقال اقسط اذا اعدل و قسط يقسط قسوطا اذا اجار و القسط الحصة **المعنى** لما امر الله تعالى بانظار المعسر و تاجيله عقبه ببيان
احكام الحقوق الموجلة وعقود المداينة فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله اذا تداينتم اى تعاملتم و داين بعضكم
بعضا بدين قيل فيه قولان احدهما انه على وجه التاكيد و تمكين المعنى فى النفس كقوله ولا طاير يطير بجناحيه والاخر انه انما
قال بدين لان تداينتم قد يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذى هو الجزاء وقد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيد بالدين لتخليص اللفظ من الا
الى اجل مسمى اى وقت مذكور معلوم بالتسمية قال ابن عباس ان الاية وردت فى السلم خاصة وكان يقول اشهد ان الله اباح السلم
المضمون الى اجل معلوم وانزل فيه اطول اية فى كتابه و تلا هذه الاية و ظاهر الاية يقع على كل دين موجل سلما كان او غيره وعليه المفسرين
والفقهاء فاكتبوه معناه فاكتبوا الدين فى صك لئلا يقع فيه نسيان او جحود و ليكون ذلك توثقة للحق و نظرا للذى له الحق
و للذى عليه الحق و للشهود فوجه النظر للذى له الحق ان يكون حقه موثقا بالصك والشهود فلا يضيع حقه و وجه النظر
للذى عليه الحق ان يكون ابعد به من الجحود فلا يستوجب النقمة و العقوبة و وجه النظر للشهود انه اذا كتب خطه كان ذلك اقوم
للشهادة وابعد من السهو واقرب الى الذكر واختلف فى هذا الامر فقيل هو مندوب اليه عن ابى سعيد الخدرى والحسن والشعبى وهو
الاصح وعليه الاكثر وقيل هو فرض عن الربيع وكعب و يدل على صحة القول الاول قوله فان امن بعضكم بعضا فليود الذى اوتمن
امانته والمفهوم من هذا الظاهر فان ايتمنه على ماله ان يامنه عليه ثم بين كيفية الكتابة فقال و ليكتب بينكم كاتب بالعدل يعنى
و ليكتب كتاب المداينة او البيع بين المتعاقدين كاتب بالقسط والانصاف والحق لا يزيد فيه ولا ينقص منه فى صفة و لا مقدار
و لا يكتب شيئا يضر باحدهما الا بعلمه و لا ياب كاتب اى ولا يمتنع كاتب ان يكتب الصك على الوجه المامور كما علمه الله من الكتابة
بالعدل وقيل كما فضله الله تعالى بتعليمه اياه فلا يبخل على غيره بالكتابة واختلف فى الكتابة هل هى فرض ام لا فقيل هى فرض
على الكفاية كالجهاد ونحوه عن الشعبى وجماعة من المفسرين واختاره الرمانى والجبائى وجوز الجبائى ان ياخذ الكاتب و الشاهد
الاجرة على ذلك وعندنا لا يجوز ذلك و الورق الذى يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين و يكون الكتاب فى يده
لانه له وقيل واجب على الكاتب ان يكتب فى حال فراغه عن السدى وقيل واجب عليه ان يكتب اذا امر عن مجاهد وعطا وقيل ان
فى الموضع الذى لا يقدر فيه على كاتب الذى عين فيضر بصاحب الدين اذا امتنع فاذا كان كذلك فهو فريضة وان قدر على كاتب
غيره فهو فى سعة اذا قام به غيره عن الحسن وقيل كان واجبا فنسخ بقوله و لا يضار كاتب و لا شهيد عن الضحاك فليكتب امر للكاتب
اى فليكتب الصك على الوجه المامور به وكانت الكتبة على عهد رسول الله عليه السلام فيهم قلة فلذلك اكد بقوله فليكتب اذا الجمع بين
الامر بالشئ والنهى عن تركه ادعى الى فعله من الاقتصار على احدهما ثم بين تعالى كيفية الاملاء على الكاتب فقال وليملل الذى عليه
الحق يعنى المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه فيكتب وليتق الله ربه الذى عليه الحق فى الاملاء ولا يبخس منه شيئا اى لا
ينقص من الحق شيئا لا من قدره و لا من صفته ثم بين الله تعالى حال من لا يصح منه الاملاء فقال فان كان الذى عليه الحق سفيها
اى جاهلا بالاملاء عن مجاهد وقيل صغيرا طفلا عن السدى والضحاك وقيل عاجزا احمق عن ابن زيد او ضعيفا او ضعيف العقل
من عته او جنون وقيل شيخا خرفا او لا يستطيع ان يمل هو اى مجنونا وقيل عييا اخرس عن ابن عباس وقيل الاقرب انه يحمل على
ثلاث صفات لكيلا يودى الى التكرار ثم اختلف فى ذلك فقيل السفيه المجنون والضعيف الصغير ومن لا يستطيع ان يمل الاخرس
ونحوه ثم يدخل فى كل واحد من هو فى معناه وقيل السفيه المبذر والضعيف الصبى المراهق ومن لا يستطيع ان يمل المجنون عن القاضى
فليملل وليه بالعدل قيل معناه فليملل ولى الذى عليه الحق اذا عجز عن الاملاء بنفسه عن الضحاك وابن زيد وقيل معناه ولى
الحق وهو الذى له الحق عن ابن عباس لانه اعلم بدينه فيملى بالحق و العدل ثم امر تعالى بالاشهاد فقال واستشهدوا شهيدين من
رجالكم يعنى اى اطلبوا الشهود واشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم اى من اهل دينكم وقال مجاهد معناه من الاحرار المسلمين

دون

دون العبيد والكفار والحرية ليست شرطا عندنا فى قبول الشهادة وانما الشرط الاسلام مع العدالة وبه قال شريح والبتى وابو ثور
وقيل هذا امر للقضاة بان يلتمسوا عند القضاء بالحق شهيدين من المدعى عند انكار مدعى عليه فيكون السين فى الحالين سين السوال
والطلب فان لم يكونا رجلين يعنى فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان اى فليكن رجل وامراتان او فليشهد رجل وامراتان
ممن ترضون من الشهداء عدالته وهذا يدل على ان العدالة شرط فى الشهود ويدل ايضا على انا لم نتعبد باشهاد مرضيين على الاطلاق
لقوله ممن ترضون ولم يقل من المرضيين لانه لا طريق لنا الى معرفة من هو مرضى عند الله تعالى وانما تعبدنا باشهاد من هو مرضى عندنا
فى الظاهر وهو من ترضى دينه وامانته وتعرفه بالستر والصلاح ان تضل احديهما ان تنسى احدى المراتين فتذكر احديهما الاخرى
وقيل هو من الذكر الذى هو ضد النسيان عن الربيع والسدى والضحاك واكثر المفسرين والتقدير فتذكر احديهما الاخرى
الشهادة التى تحملتاها ومن قرا فتذكر بالتخفيف من الاذكار فهو بهذا المعنى ايضا اى تقول لها هل تذكرين يوم تحملنا الشهادة
فى موضع كذا وبحضرتنا فلان و فلانة حتى تذكر الشهادة و هذا لان النسيان يغلب على النساء اكثر مما يغلب على الرجال وقيل
هو من الذكر اى يجعلها كذكر من الرجال عن سفين بن عيينة والاول اقوى فان قيل لم كرر لفظة احديهما و هلا قال فتذكرها
الاخرى فجوابه على وجهين احدهما انه انما كرر ليكون الفاعل مقدما على المفعول ولو قال فتذكرها الاخرى لكان قد فصل بين الفعل
والفاعل من بالمفعول و ذلك مكروه والثانى ما قاله الحسين بن على المغربى ان معناه ان تضل احدى الشهادتين اى تضيع بالنسيان
فتذكر احدى المراتين الاخرى لئلا يتكرر لفظ احديهما بلا معنى ويؤيد ذلك انه لا يسمى ناسى الشهادة ضالا ويقال ضلت الشهادة
اذا ضاعت كما قال الله تعالى قالوا ضلوا عنا اى ضاعوا منا ثم خاطب تعالى الشهود فقال ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا وفيه معناه ثلثة
اقوال احدها ان معناه ولا يمتنع الشهداء اذا دعوا لاقامة الشهادة عن مجاهد وعطا والشعبى وسعيد بن جبير وهذا اذا كانوا
عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه ولم يخافوا من ادائها ضررا والثانى ان معناه اذا دعوا لاثبات الشهادة وتحملها عن
عن قتادة والربيع و الثالث ان معناه اذا دعوا الى اثبات الشهادة والى اقامتها عن ابن عباس والحسن وعن ابى عبد الله عليه السلام وهو
اولى لانه اعم فايدة ولا تسئموا اى ولا تضجروا و لا تملوا ان تكتبوه اى تكتبوا الحق صغيرا كان الحق او كبيرا وقيل ان هذا خطاب
للشاهد ومعناه لا تملوا ان تكتبوا الشهادة على الحق الى اجله اى الى اجل الدين وقيل معناه الى اجل الشاهد اى الى الوقت الذى
يجوز فيه الشهادة والاول اقوى ذلكم الكتاب او كتبة الشهادة فى الصك اقسط اى اعدل عند الله لانه تعالى امر به واتباع
امره اعدل من تركه واقوم للشهادة اى اصوب للشهادة وابعد من الزيادة و النقصان والسهو والغلط والنسيان وقيل
معناه احفظ للشهادة من القيام على الشئ بمعنى الحفظ وادنى الا ترتابوا اى اقرب الى ان لا تشكوا فى مبلغ الحق والاجل الا ان تكون
تجارة معناه الا ان يقع تجارة اى مداينة ومبايعة حالة يدا بيد ومن قرا بالنصب فمعناه الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة تديرونها
بينكم اى تتناقلونها من يد الى يد نقدا لا نسية فليس عليكم جناح اى حرج وضيق ان لا تكتبوها ومعناه فليس عليكم اثم فى ترك كتابتها
لان الكتبة للوثيقة و لا يحتاج الى الوثيقة الا فى النسية دون النقد واشهدوا اذا تبايعتم اى واشهدوا الشهود على بيعكم
اذا تبايعتم وهذا امر على الاستحباب و الندب عن الحسن وجميع الفقهاء وقال اصحاب الظاهر الاشهاد فرض فى التبايع ولا يضار
كاتب ولا شهيد اصله يضارر بكسر الراء الاولى عن الحسن وقتادة وعطا وابن زيد فيكون النهى للكاتب والشاهد عن المضارة
وعلى هذا فمعنى المضارة ان يكتب الكاتب ما لم يمل عليه و يشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه او بان يمتنع من اقامة الشهادة وقيل
الاصل فيه لا يضارر بفتح الراء الاولى عن ابن مسعود ومجاهد فيكون معناه لا يكلف الكاتب الكتبة فى حال عذر لا يتفرغ اليها
ولا يضيق الامر على الشاهد بان يدعى الى اثبات الشهادة او اقامتها فى حال عذر ولا يعنف عليهما قال الزجاج الاول ابين لقوله
وان تفعلوا فانه فسوق بكم فالفاسق اشبه بغير العدل وبمن حرف الكتاب منه بالذى دعى شاهدا ليشهد او دعى كاتبا ليكتب
وهو مشغول وقال غيره معناه وان تفعلوا مضارة الكاتب والشهيد فان المضارة فى الكتابة و الشهادة فسوق بكم اى خروج
عما امر الله تعالى به واتقوا الله فيما امركم به ونهيكم عنه ويعلمكم الله ما تحتاجون اليه من امور دينكم والله بكل شئ عليم اى عليم

قيل هو من الذكر الذى هو ضد النسيان عن الربيع والسدى والضحاك واكثر المفسرين والتقدير م

بذلك وبكل ما سواه من المعلومات وذكر علي بن ابرهيم بن هاشم في تفسيره ان في البقرة خمسماية حكم وفي هذه الاية خاصة خمسة عشر حكما

قوله عز وجل وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ اية

القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو فرُهُن على وزن فُعُل والباقون فرهان على فعال الحجة قال ابو علي الرهن مصدر ولما نقل فسمي به كسر تكسير الاسماء وجمع على بناءين من ابنية الجموع وهو فعل وفعال وكلاهما من ابنية الكثير وقد تخفف العين من رُهْن كما تخفف في رسل وكتب ومثله رهن ورهن سُقُف وسُقْف قال الاعشى اليت لا اعطيه من ابنائنا رُهُنا فيفسدهم كمن قد افسدا اللغة يقال رهنت عند الرجل رهنا ورهنته رهنا فانا ارهنه اذا وضعته عنده ورهنته ضيعة وقالوا ارهنته ايضا وفعلت فيه اكثر قال الراهنني فيرهنني بنيه وارهنه بني بما اقول قال الاصمعي من روى بيت ابن همام فلما خشيت اظافيرهم نجوت وارهنتهم مالكا فقد اخطا انما الرواية وارهنهم مالكا كما يقول وثبت اليه واصك عينه ونهضت اليه واخذ بشعره ويقال ارهنت لهم الطعام اي ادمته لهم وارهنته بمعناه والطعام راهن وراه وقد ارهنت في ثمن السلعة اذا اسلفت فيه قال عيسهرية ارهنت فيها الدنانير واما قول النبي عليه السلم ولا يغلق الرهن فمعناه ان يقول الراهن ان جئتك بفكاكه الى شهر والا فهو لك بالدين فهذا باطل بلا خلاف المعنى ثم ذكر تعالى حكم الوثيقة بالرهن عند عدم الوثيقة بالاشهاد فقال وان كنتم ايها المتداينون المتبايعون على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا للصك ولا شهودا تشهدونهم فرهن مقبوضة تقديره فالوثيقة رهن فيكون رهن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون التقدير فرهن مقبوضة تقوم مقام الوثيقة بالصك والشهود والقبض شرط في صحة الرهن فان لم يقبض لم ينعقد الرهن بالاجماع فان امن بعضكم بعضا اي فان امن صاحب الحق الذي عليه الحق ووثق به وايتمنه على حقه ولم يستوثق منه بصك ولا رهن فليؤد الذي اؤتمن اي الذي عليه الحق امانته بان لا يجحد حقه ولا يبخس منه شيئا ويؤديه اليه وافيا وقت محله من غير مطل ولا تسويف واراد بقوله امانته اي ما اؤتمن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول وليتق الله ربه معناه وليتق الذي عليه الحق عقوبة الله ربه فيما اؤتمن عليه بجحوده او النقصان منه ولا تكتموا الشهادة يعني بعد تحملها وهو خطاب للشهود ونهي لهم عن كتمان الشهادة اذا دعوا اليها ومن يكتمها اي ومن يكتم الشهادة مع علمه بالمشهود به وعدم ارتيابه فيه وتمكنه من ادائها من غير ضرر بعد ما دعي الى اقامتها فانه آثم قلبه اضاف الاثم الى القلب وان كان الاثم هو الجملة لان اكتساب الاثم بكتمان الشهادة يقع بالقلب لان العزم على الكتمان انما يقع بالقلب ولان اضافة الاثم الى القلب ابلغ في الذم كما ان اضافة الايمان الى القلب ابلغ في المدح قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان والله بما تعملون اي بما تسرونه وتكتمونه عليم وروي عن النبي عليه السلم انه قال لا ينقضي لا ينقضي كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتى يتبوا مقعده من النار وكذلك من كتم الشهادة وفي قوله تعالى فان امن بعضكم بعضا دلالة على ان الاشهاد والكتابة في المداينة ليسا بواجبين وانما هما على سبيل الاحتياط وتضمنت هذه الاية وما قبلها من بدايع لطف الله تعالى ونظره لعباده في امر معاشهم ومعادهم وتعليمهم ما لا يسعهم جهله ما فيه تبصرة لمن تبصر وكفاية لمن تفكر

قوله تعالى لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اية

القراءة قرا ابن عامر وعاصم وابو جعفر ويعقوب فيغفر ويعذب بالرفع وقرا الباقون بالجزم فيهما الحجة قال ابو علي وجه قول من جزم انه اتبعه ما قبله ولم يقطعه منه وهذا اشبه بما عليه كلامهم الا ترى انهم يطلبون المشاكلة ويلزمونها فمن ذلك ان ما كان معطوفا على جملة من فعل وفاعل واشتغل عن الاسم الذي من الجملة التي تعطف عليه الفعل يختار فيه النصب ولو لم يكن ولو لم يكن قبله الفعل والفاعل لاختاروا الرفع على هذا ما جاء في التنزيل نحو قوله تعالى وكلا ضربنا له الامثال وقوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فكذلك ينبغي ان يكون الجزم احسن ليكون مشاكلا لما قبله في اللفظ وهذا النحو من طلبهم المشاكلة كثير ومن لم يجزم قطعه من الاول وقطعه منه على احد وجهين اما ان يجعل الفعل

خبر المبتدا محذوف واما ان يعطف جملة من فعل وفاعل على ما تقدمها المعنى لله ما في السموات وما في الارض اللام لام الملك اي له تصريف السموات والارض وما فيهما وتدبيرهما لقدرته على ذلك ولانه الذي ابدعهما وانشاهما فجميع ذلك ملكه وملكه يصرفه كيف يشاء وان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم وما تعلمون من الطاعة والمعصية او تخفوه اي تكتموه يحاسبكم به الله اي يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه وقيل معناه ان تظهروا الشهادة او تكتموها فان الله يعلم ذلك ويجازيكم به عن ابن عباس وجماعة وقيل انها عامة في الاحكام التي تقدم ذكرها في السورة خوفهم الله تعالى من العمل بخلافها وقال قوم ان هذه الاية منسوخة بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ورووا في ذلك خبرا ضعيفا وهذا لا يصح لان تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف ينسخ وانما المراد بالاية ما يتناوله الامر والنهي من الاعتقادات والارادات وغير ذلك مما هو مستور عنا فاما ما لا يدخل في التكليف من الوساوس والهواجس وما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلالة العقل ولقوله عليه السلم تجوز عن لهذه الامة عن نسيانها وما حدثت به انفسها فعلى هذا يجوز ان يكون الاية الثانية بينت الاولى وازالت توهم من صرف ذلك الى غير وجهه وظن ان ما يخطر بالبال او يتحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فان الله يواخذ به والامر بخلاف ذلك وقوله فيغفر لمن يشاء منهم رحمة وفضلا ويعذب من يشاء منهم ممن استحق العقاب عدلا والله على كل شيء قدير من المغفرة والعذاب عن ابن عباس ولفظ الاية عام في جميع الاشياء والقول فيما يخطر بالبال من المعاصي ان الله تعالى لا يواخذ به وانما يواخذ بما يعزم الانسان ويعقد قلبه عليه مع امكان التحفظ عنه فيصير من افعال القلب فيجازيه به كما يجازيه بافعال الجوارح وانما يجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك المعصية لانه لم يباشرها وهذا بخلاف العزم على الطاعة فان العازم على فعل الطاعة يجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعة كما جاء في الاخبار ان المنتظر للصلوة في الصلوة ما دام ينتظرها وهذا من لطايف نعم الله تعالى على عباده النظم ذكر في كيفية اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه احدها انه لما فرغ من بيان الشرايع ختم السورة بالتوحيد والوعظ والاقرار بالجزاء والثاني انه لما قال والله بكل شيء عليم اتبعه بانه لا يخفى عليه شيء لان له ملك السموات والارض عن ابي مسلم والثالث انه لما امر بهذه الوثايق بين انه انما تعبد بها الامر يرجع الى المكلفين لا لامر يرجع اليه بان له ما في السموات والارض

قوله عز وجل آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ اية

القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم وكتابه والباقون وكتبه على الجمع وقرا يعقوب لا يفرق بين احد من رسله بالياء والباقون بالنون الحجة من قرا كتابه على الواحد ففيه وجهان احدهما انه بمعنى القران والثاني انه بمعنى الجنس فيوافق القراءة الاخرى على الجمع وقد جاء المضاف من الاسماء بمعنى الكثرة نحو قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها فهذا يراد به الكثرة كما يراد بما فيه لام التعريف والاختيار فيه الجمع ليشاكل ما قبله ما بعده ولان اكثر القراء عليه ومن قرا لا يفرق كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اي يقولون ربنا ابصرنا الاعراب غفرانك نصب على انه بدل من الفعل الماخوذ منه فكانه قال اللهم اغفر لنا غفرانك واستغني بالمصدر عن الفعل في الدعاء فصار بدلا عنه معاقبا له المعنى لما ذكر الله تعالى فرض الصلوة والزكوة واحكام الشرع واخبار الانبياء ختم السورة بذكر تعظيمه وتصديق نبيه والمومنين بجميع ذلك فقال امن الرسول اي صدق محمد صلى الله عليه وآله بما انزل اليه من ربه من الاحكام المذكورة في هذه السورة وغيرها والمومنون كل اي كل واحد منهم امن بالله اي صدق باثباته وصفاته ونفي التشبيه عنه وتنزيهه عما لا يليق به وملائكته اي وبملائكته وبانهم معصومون مطهرون وكتبه اي وبان القران وجميع ما انزل من الكتب حق وصدق ورسله وبجميع انبيائه لا نفرق بين احد من رسله اي ويقولون لا نفرق بين احد من رسل الله في الايمان بان نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعله اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقالوا سمعنا واطعنا معناه سمعنا قولك واطعنا امرك اذا جعلته راجعا الى النبي عليه السلم وقيل معناه سمعنا قول الله تعالى وقول الرسول سماع القائلين المطيعين وذلك خلاف ما اخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا سمعنا وعصينا

فعلى تقدير لا يفرق الرسول او كل لا يفرق والنون على تقدير وقالوا لا نفرق م

الى الله تعالى اي سمعنا قوله واطعنا امره اذا جعلته راجعا م

غفرانك ربنا اى يقولون اغفر لنا يا ربنا وقيل معناه يقولون نسألك غفرانك واليك المصير معناه والى جزائك المصير فجعل
مصيرهم الى جزائه مصيرا اليه كقول ابرهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين ومعناه الى ثواب ربى او الى ما امرنى به ربى و
هذا هو اقرار بالبعث والنشور قوله عز وجل لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا
لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا
طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اية اللغة الوسع ما دون
الطاقة وسمى ذلك وسعا لانه يسع الانسان ولا يضيق عنه والخطأ اى كسب خطيئة وقال ابو عبيدة اخطأ وخطئ
لغتان والفرق بين اخطأ وخطئ ان اخطأ قد يكون على وجه الاثم وغير الاثم واما خطئ فاثم لا غير قال الشاعر والناس
يلحون الامير اذا هم خطئوا الصواب ولا يلام المرشد والاصر فى اللغة الثقل قال النابغة يا مانع الضيم ان يغشى سراتهم والحامل
الاصر عنهم بعد ما غرقوا وكل ما عطفك على شئ من عهد او رحم فهو اصر وجمعه آصار يقال اصره يأصره اصرا والاسم الاصر
قال النابغة يا بن الحواصن والحاصنات احصن اصرك حال الافحال اى عهدك والآصرة صلة الرحم للعطف بها قال الكميت
نفحت اديم الود بينى وبينكم بآصرة الارحام لو تتبلل واصل الباب العطف والاصر الثقل لانه يعطف حامله بثقله عليه المعنى
ثم بين تعالى انه فيما امر ونهى لا يكلف الا دون الطاقة فقال لا يكلف الله نفسا الا وسعها اى لا يامر ولا ينهى احدا الا ما
هو له مستطيع وقيل معنى قوله الا وسعها الا يسرها لا عسرها ولم يكلفها طاقتها ولو كلفها طاقتها لبلغ المجهود منها عن سفين
بن عيينة وهذا قول حسن وفى هذا دلالة على بطلان قول المجبرة فى تجويز تكليف العبد ما لا يطيقه لان الوسع هو ما يتسع
له قدرة الانسان وهو فوق المجهود واستفراغ القدرة وقال بعضهم ان معناه الا ما يسعها ويحل لها وهذا خطأ لان من قال
لعبده لا آمرك الا بما اطلق لك ان تفعله كان ذلك عيا منه وخطأ فان نفس الامر اطلاق فكانه قال لا اطلق لك الا ما اطلق
لك ولا آمرك الا ما آمرك وقوله لها ما كسبت معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات وعليها جزاء ما اكتسبت من السيئات و
يجوز ايضا ان يسمى الثواب والعقاب كسبا من حيث حصل بكسبه ربنا لا تؤاخذنا قيل تقديره قولوا ربنا على جهة التعليم
للدعاء عن الحسن وقيل تقديره يقولون ربنا على جهة الحكاية والثناء ان نسينا او اخطأنا قيل فيه وجوه احدها ان المراد
بنسينا تركنا كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم انفسهم اى تركوا طاعة فتركهم من ثوابه وقوله وتنسون انفسكم ومنه قول الشاعر
ولم اك عند الجود للجود قاليا ولا كنت عند الروع للطعن ناسيا اى تاركا والمراد باخطأنا اذنبنا لان المعاصى يوصف
بالخطاء لا من حيث انها ضد الصواب وان كان صاحبها متعمدا فكانه تعالى امرهم ان يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما
فعلوه من المقبحات والثانى ان معنا قوله ان نسينا ان تعرضنا لاسباب يقع عندها النسيان عن الامر والغفلة عن
الواجب او اخطأنا اى تعرضنا لاسباب يقع عندها الخطاء ويحسن الدعاء بذلك كما يحسن الاعتذار منه والثالث ان
معناه لا تؤاخذنا ان نسينا اى ان لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو والغفلة او اخطأنا اى فعلنا فعلا يجب تركه من
غير قصد ويحسن هذا فى الدعاء على سبيل الانقطاع الى الله تعالى واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة به وان كان مأمونا
منه المؤاخذة بمثله ويجرى ذلك مجرى قوله فيما بعد ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به على احد الاجوبة وقوله قل رب احكم بالحق وقد
تقدم ذكر امثاله والرابع ما روى عن ابن عباس وعطا ان معناه لا تعاقبنا ان عصيناك جاهلين او متعمدين وقوله ربنا
ولا تحمل علينا اصرا قيل فيه وجهان احدهما ان معناه لا تحمل علينا عهدا نعجز عن القيام به وتعذبنا بتركه ونقضه عن ابن عباس و
قتادة ومجاهد والربيع والسدى والثانى ان معناه لا تحمل علينا ثقلا عن الربيع ومالك وعطا يعنى لا تشدد الامر علينا
كما حملته على الذين من قبلنا اى على الامم الماضية والقرون الخالية لانهم كانوا اذا ارتكبوا خطيئة عجلت عليهم عقوبتها
وحرم عليهم بسببها ما احل لهم من الطعام كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم واخذ عليهم
من العهود والمواثيق وكلفوا من انواع التكاليف ما لم تكلف هذه الامة تخفيفا عنها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قيل فيه

وجوه

وجوه احدها ان معناه ما يثقل علينا تحمله من انواع التكاليف والامتحان مثل قتل النفس عند التوبة وقد يقول الرجل لامر يصعب عليه
انى لا اطيقه والثانى ان معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلا واجلا والثالث انه على سبيل التعبد وان كان تعالى لا
يكلف ولا يحمل احدا ما لا يطيقه كما ذكرناه قبل واعف عنا ذنوبنا واغفر لنا خطايانا اى استرها وارحمنا بانعامك علينا فى الدنيا و
العفو فى الآخرة وادخال الجنة انت مولانا اى ولينا واولى بالتصرف فينا وناصرنا فانصرنا على القوم الكافرين اى اعنا عليهم بالقهر
لهم والغلبة بالحجة عليهم وقد روى عن النبى صلى الله عليه واله السلم ان الله تعالى قال عند كل فصل من هذا الدعاء فعلت واستجبت
الا كان من هذا الدعاء ففى الحديث المشهور عن النبى صلى الله عليه واله انه قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه
اى كفتا قيام ليلته وعن عبد الله بن مسعود قال لما اسرى برسول الله صلى الله عليه واله انتهى به الى سدرة المنتهى فاعطى ثلاثا الصلوات
الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من امته الا المقحمات وعن ابن المنكدر رفعه الى النبى عليه السلم قال فى آخر
سورة البقرة آيات انهن قرآن وانهن دعاء وانهن يرضين الرحمن وفى تفسير الكلبى باسناد ذكره عن ابن عباس قال بينما رسول الله
صلى الله عليه واله اذ سمع نقيضا يعنى صوتا فرفع راسه فاذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك وقال ان الله يبشرك
بنورين لم يعطهما نبيا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأهما احد الا اعطيته حاجته وروى عن عبد الله بن مسعود
قال كان الرجل اذا تعلم سورة البقرة جد فينا اى عظم

سورة آل عمران مدنية كلها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد
وجميع المفسرين عدد آيها مائتان الاية شامى ومائتان فى الباقين خلافها فى سبع آيات عد الكوفى الم آية والانجيل الثانى آية
وترك وانزل الفرقان وعد البصرى ورسولا الى بنى اسرائيل آية وترك الشامى التورية والانجيل الاول وعد مقام ابرهيم هو وابو جعفر
وترك ابو جعفر مما تحبون وعد اهل الحجاز حتى تنفقوا مما تحبون فضلها روى عن ابى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه واله قال
من قرأ سورة آل عمران اعطى بكل آية منها امانا على جسر جهنم ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله من قرأ سورة آل عمران
يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس يونس قال قال رسول الله صلى الله عليه واله تعلموا سورة البقرة وسورة آل
عمران فانهما الزهراوان وانهما يظلان صاحبهما يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف تفسيرها قوله
عز وجل بسم الله الرحمن الرحيم الم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ خمس آيات بلا خلاف الا ان
الكوفى عد الم آية وترك وانزل الفرقان وغيرهم بالعكس من ذلك القراءة قرأ ابو جعفر والاعشى والبرجمى عن ابى بكر عن عاصم
الم الله بسكون الميم وقطع همزة الله وقرأ الباقون موصولا وبفتح الميم وروى فى الشواذ عن عمر بن الخطاب وابن مسعود و
ابرهيم النخعى والاعمش وعن زيد بن على بن الحسين وجعفر بن محمد الصادق وعن النبى عليه السلم الحى القيام وروى ذلك عن الحسن
الانجيل بفتح الهمزة الحجة قال ابو على اتفاق الجميع على اسقاط الالف الموصولة فى اسم الله تعالى دل على ان الميم ساكنة كما ان ساير حروف
التهجى مبنية على الوقف فلما التقت الميم الساكنة ولام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذى هو لام المعرفة والدليل على
ان التحريك للساكن الثالث وهو مذهب سيبويه ان حروف التهجى يجتمع فيها الساكنان نحو حاميم عين سين قاف وذلك انها مبنية
على الوقف كما ان اسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثالث بالفتح كما حركت النون فى قوله من الله بالفتح لالتقاء الساكنين ولما من
قطع الالف فكانه قدر الوقوف على الميم واستانف فقطع الهمزة لابتدائه بها واما القيام فقد قال ابن جنى انه صفة على فيعال من
قام يقوم ومثله من الصفة الغيداق واصله القيوام التقت الياء والواو وسبقت الاولى بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها
الياء وقراءة الجماعة القيوم فيعول من هذا ايضا واما الانجيل بفتح الهمزة فمثال غير معروف النظير فى كلامهم لانه ليس فى كلامهم
افعيل من نجل اذا اثار واستخرج ومنه نجل الرجل بولده لانه استخرجهم من صلبه ومن بطن امراته قال الاعشى انجب ازمان
والداه به اذ نجلاه فنعم ما نجلا اى انجب والداه به ازمان اذ نجلاه ففصل بين المضاف الذى هو ازمان وبين المضاف اليه

الذى هو اذكى لهم حينئذ ويومئذ بالفاعل وقيل له الانجيل لان به يستخرج علم الحلال والحرام كما قيل توريه وهى فوعلة من ورى الزند اذا قدح واصله وورية فابدلت الواو التى هى الفاء ياء كما قالوا التجاه والتخمة والتكلان والتراث من الوجه والوخامة والوكل والوراثة فهو من ورى الزند اذا اظهر نفاره وذلك من نجل ينجل اذا استخرج لما فى الكتابين من معرفة الحلال والحرام وكما قيل لكتاب نبينا صلى الله عليه واله الفرقان لانه فرق بين الحق والباطل فالمعانى كما ترى متفقة وكلها الاظهار والابراز والفرق بين الاشياء وقال على بن عيسى النجل الاصل فكان الانجيل اصل من اصول العلم وقال غيره النجل الفرع ومنه قيل للولد نجل فكان الانجيل فرع على التورية يستخرج منها وقال ابن فضال هو من النجل وهو السعة يقال عين نجلاء وطعنة نجلاء فكانه قد وسع عليهم فى الانجيل ما ضيق على اهل التورية وكل محتمل **الاعراب** مصدقا نصب على الحال وقوله من قبل اى من قبل انزال الكتاب فلما قطعه عن الاضافة بناه على الضم وموضع هدى نصب على الحال من التورية والانجيل اى هادين ويجوز ان يكون خبر مبتداء محذوف تقديره هما هدى **النزول** قال الكلبى ومحمد بن اسحق والربيع ابن انس نزلت اوايل السورة الى نيف وثمانين اية فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على النبى صلى الله عليه واله وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفى الاربعة عشر ثلثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب امير القوم وصاحب مشورتهم الذى لا يصدرون الا عن رايه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثه بن علقمه اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت ملوك الروم قد شرفوه وموّلوه وبنوا له الكنايس لعلمه واجتهاده فقدموا على رسول الله صلى الله عليه واله المدينة ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية جمال رجال بلحارث بن كعب يقول بعض من راهم من اصحاب رسول الله ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فاقبلوا يضربون بالناقوس فقالت الصحابة يا رسول الله هذا فى مسجدك فقال رسول الله صلى الله عليه واله دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم السيد والعاقب رسول الله فقال لهما رسول الله اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال لهم النبى صلى الله عليه واله السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى ياتى عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صوّر عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله عز وجل فيهم صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين اية **المعنى** ان الله تعالى لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والايمان افتتح هذه السورة بالتوحيد والايمان ايضا فقال الم وقد ذكرنا الاختلاف فيه وفى معناه ومحله فى اول سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم وقد ذكرنا ما فيه فى تفسير اية الكرسى وذكر عن ابن عباس انه قال الحى القيوم اسم الله الاعظم وهو الذى دعا به اصف بن برخيا صاحب سليمان عليه السلم فى حمله عرش بلقيس من سبا الى سليمن قبل ان يرتد اليه طرفه نزل عليك يا محمد الكتاب يعنى القران بالحق فيه قولان احدهما بالصدق فى اخباره والثانى بالحق اى بما توجبه الحكمة من الارسال وهو حق من الوجهين مصدقا لما بين يديه اى لما قبله من كتاب ورسول عن مجاهد وقتادة والربيع وجميع المفسرين وانما قيل ما بين يديه لما قبله لانه ظاهر له كظهور الذى بين يديه وقيل فى معنى مصدقا ههنا قولان احدهما ان معناه مصدقا لما بين يديه وذلك لموافقته لما تقدم الخبر به وفيه دلالة على صحة نبوته صلى الله عليه واله من حيث لا يكون ذلك كذلك الا وهو من عند الله علام الغيوب والثانى ان معناه انه يخبر بصدق الانبياء وبما اتوا به من الكتب ولا يكون مصدقا للبعض ومكذبا للبعض وانزل التورية على موسى والانجيل على عيسى عليهما السلم من قبل اى من قبل انزال القران هدى للناس معناه لما دلالة وبيانا وقيل يعنى به الكتب الثلثة اى ليهتدى كل اهل كتاب بكتابه واهل كل زمان بما انزل فى زمانه وقيل ان هدى

حال من الكتب اى هاديا للناس وانزل الفرقان يعنى به القران وانما كرر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته وان كانت لموصوف واحد لان لكل صفة منها فايدة غير فايدة الاخرى فان الفرقان هو الذى يفرق بين الحق والباطل فيما يحتاج اليه من امور الدين فى الحجج وغيره من الاحكام وذلك كله فى القران ووصفه بالكتاب يفيد ان من شانه ان يكتب وروى عبد الله بن سنان عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال الفرقان هو كل اية محكمة فى الكتاب وهو الذى يصدق فيه من كان قبله من الانبياء وقيل المراد بالفرقان الادلة الفاصلة بين الحق والباطل عن ابى مسلم وقيل المراد به الحجة القاطعة لمحمد على من حاجه فى امر عيسى وقيل المراد به النصر ان الذين كفروا بايات الله اى بحججه ودلالاته لهم عذاب شديد لما بين حججه الدالة على توحيده وصدق انبيائه عقب ذلك بوعيد من خالف فيه وجحده ليتكامل به التكليف والله عزيز اى قادر لا يتمكن احد ان يمنعه من عذاب من يريد عذابه والاصل العزة الامتناع ومنه ارض عزاز اى منيعة السلوك لصعوبتها ومنه يقال من عزّ بزّ اى من غلب سلب لان الغالب ممتنع عن الضيم فالله تعالى عزيز اى منيع من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شئ ذو انتقام اى ذو قدرة على الانتقام من الكفار لا يتهيا لاحد منعه والانتقام مجازاة المسئ على اساءته ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السما لما ذكر تعالى الوعيد على الاخلال بمعرفته مع نصب الادلة على توحيده وصدق انبيائه اقتضوا ان يذكر انه لا يخفى عليه شئ فيكون فى ذلك تحذير من الاغترار بالاستسرار بمعصيته لان المجازى لا يخفى عليه خافية فان قيل فلم قال لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء ولم يقل انه لا يخفى عليه شئ على وجه من الوجوه فيكون اشد مبالغة قلنا لان الغرض ان يعلمنا انه يعلم ما يستسر به فى الارض او فى السماء والافصاح بذكر ذلك اعظم فى النفس واهول فى الصدر مع الدلالة على انه عالم بكل شئ يدل على انه يعلمه من كل وجه يصح ان يعلم منه مع ما فيه من التصرف فى العبارة وانما لا يخفى عليه شئ لانه عالم لنفسه فيجب ان يعلم كل ما يصح ان يكون معلوما وما يصح ان يكون معلوما لا نهاية له فلا يجوز ان يخفى عليه شئ بوجه من الوجوه ◦ **قوله عز وجل هُوَ الَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى الْاَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاۤءُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ اية اللغة** التصوير جعل الشئ على صورة لم يكن عليها والصورة هيئة يكون عليها الشئ بالتاليف واصلها من صاره يصوره اذا اماله لانها مايلة الى بنية بالشبه لها والفرق بين الصورة والصيغة ان الصيغة عبارة عما وضع فى اللغة ليدل على امر من الامور وليس كذلك الصورة لان دلالتها على جعل جاعل شيئا على بنية والارحام جمع رحم واصله الرحمة وذلك لانه مما يتراحم به ويتعاطف يقولون وصلتك رحم والمشية هى الارادة **الاعراب** كيف فى موضع نصب على المصدر تقديره اى نوع يشاء ويشاء جملة فى موضع الحال من يصور اى يصوركم فى الارحام شائيا مريدا اى نوع ارادة **المعنى** هو الذى يصوركم اى يخلق صوركم فى الارحام كيف يشاء على اى صورة شاء وعلى اى صفة شاء من ذكر او انثى او صبيح او ذميم او طويل او قصير لا اله الا هو العزيز فى سلطانه الحكيم فى افعاله ودلت الاية على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وتمام حكمته حيث صور الولد فى رحم الام على هذه الصفة وركب فيه من انواع البدايع من غير الة ولا كلفة وقد تقرر فى عقل كل عاقل ان العالم لو اجتمعوا على ان يخلقوا من الماء بعوضة ويصوروا منه صورة فى حال ما يشاهدونه ويعرفونه لم يقدروا على ذلك ولا وجدوا اليه سبيلا فكيف يقدرون على الخلق فى الارحام فتبارك الله احسن الخالقين وهذا الاستدلال مروى عن جعفر بن محمد عليه السلم **قوله عز وجل هُوَ الَّذِىۤ اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ اٰيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتَابِ وَاُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَاَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاۤءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاۤءَ تَاْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَاْوِيلَهُ اِلَّا اللّٰهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّاۤ اُولُوا الْاَلْبَابِ اية اللغة** المحكم ماخوذ من قولك احكمت الشئ اذا اتقنته واتقنته وام الكتاب اصله ومكة ام القرى ويقال لعلم الجيش ام واصله امهة ولذلك تجمع امهات وقد يقال امات ايضا والمتشابه الذى يشبه بعضه بعضا فيغمض اخذ من الشبه لانه يشتبه به المراد والزيغ الميل والزاغة اماله والزايغ المايل فى الاسنان والابتغاء الطلب والفتنة اصلها الاختبار من قولهم فتنت الذهب بالنار اى اختبرته وقيل معناه خلصته والتاويل التفسير واصله المرجع والمصير من قولهم ال امره الى كذا يؤول اولا اذا صار اليه واولته تاويلا اذا صيرته اليه قال الاعشى على انها كانت تاول حبها تاول ربعى السقاب

فاصبحا اى كان حبها صغيرا فآل الى العظم كما آل السقب وهو الصغير من اولاد النوق الى الكبير والراسخون الثابتون يقال رسخ رسوخا اذا ثبت فى موضعه وارسخه غيره **الاعراب** منه ايات جملة من مبتداء وخبر فى موضع النصب على الحال من انزل تقديره انزل الكتاب محكما ومتشابها هن ام الكتاب جملة فى موضع الرفع لكونها صفة لايات واخر عطف على ايات وهو صفة مبتداء محذوف تقديره ومنه ايات اخر متشابهات ومتشابهات صفة بعد صفة واخر غير منصرف قال سيبويه ان اخر فارقت اخواتها والاصل الذى عليه بناء اخواتها لان اخر اصلها ان تكون صفة بالالف واللام كما يقال الصغرى والصغر فلما عدلت عن مجرى الالف واللام واصل افعل منك وهى مما لا يكون الا صفة منعت الصرف وقال الكسائى انما لم يصرف لانه صفة وهذا غلط لان قولهم مال لبد وحطم منصرفان مع كونهما صفة وابتغاء نصب لانه مفعول له فى الموضعين وكل من عند ربنا مبتداء وخبر وهو اسم دال على المضاف اليه منه عند البصريين ولا يجيزون انا كلا فيها على الصفة واجاز الكوفيون لانه انما حذف عندهم لدلالة عليه اسما كان او صفة وانما بنى قبل على الغاية ولم يبن كل وان حذف من كل واحد منهما المضاف اليه لان قبل ظرف يعرف وينكر ففرق بين ذلك بالبناء الذى يدل على تعريفه بالمضاف اليه والاعراب الذى يدل على تنكيره بالانفصال وليس كذلك كل لانه معرفة فى الافراد دون نكرة فاما ليس غير فبنيت حسب لما فيه من معنى الامر **المعنى** لما تقدم بيان انزال القران عقبه ببيان كيفية انزاله وقال تعالى هو الذى انزل عليك يا محمد الكتاب اى القران منه اى من الكتاب ايات محكمات هن ام الكتاب اى اصل الكتاب واخر متشابهات قيل فى المحكم والمتشابه اقوال احدها ان المحكم ما يدل على المراد بظاهره من غير قرينة يقترن اليه ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولا يظلم مثقال ذرة ونحو ذلك مما لا يحتاج فى معرفة المراد به الى دليل والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه نحو قوله واضله الله على علم فانه يفارق قوله واضلهم السامرى لان اضلال السامرى قبيح واضلال الله تعالى حسن وهذا معنى قول مجاهد والمحكم ما لم تشتبه معانيه والمتشابه ما اشتبهت معانيه وانما يقع الاشتباه فى امور الدين كالتوحيد ونفى التشبيه والجور الا ترى ان قوله ثم استوى على العرش فيحتمل فى اللغة ان يكون كاستواء الجالس على سريره وان يكون بمعنى القهر والاستيلاء والوجه الاول لا يجوز عليه سبحانه وثانيها ان المحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ عن ابن عباس وثالثها ان المحكم ما لا يحتمل من التاويل الا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا عن محمد بن جعفر بن الزبير وابى على الجبائى ورابعها ان المحكم ما لم يتكرر الفاظه والمتشابه ما تكرر الفاظه كقصة موسى وغير ذلك عن ابن زيد وخامسها ان المحكم ما يعلم تعيين تاويله والمتشابه ما لم يعلم تعيين تاويله كقيام الساعة عن جابر بن عبد الله وانما وحد ام الكتاب ولم يقل هن امهات الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره والثانى ان الايات بمجموعها اصل الكتاب وليست كل اية محكمة ام الكتاب واصله لانها جرت مجرى شئ واحد فى انها جاءت به من غير ذكر فلم يكن الاية لها الابه ولا له الابها ولو اراد ان كل واحد منهما اية على التفصيل لقال ايتين فاما الذين فى قلوبهم زيغ اى ميل عن الحق وانما يحصل الزيغ بشك او جهل فيتبعون ما تشابه منه اى يحتجون به على باطلهم ابتغاء الفتنة اى لطلب الضلال والاضلال وافساد الدين على الناس وقيل لطلب التلبيس على ضعفاء الخلق عن مجاهد وقيل لطلب الشرف والمال كما سمى الله سبحانه المال فتنة فى مواضع من كتابه وقيل المراد بالفتنة ههنا الكفر وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم وقول الربيع والسدى وابتغاء تاويله ولطلب تاويله على خلاف الحق وقيل لطلب مدة اكل محمد صلى الله عليه واله من حساب الجمل وابتغاء عاقبته ويدل على ذلك قوله ذلك خير واحسن تاويلا اى عاقبة وقول العرب تاول الشئ اذا انتهى وقال الزجاج معنى ابتغائهم تاويله انهم طلبوا تاويل بعثهم واحيائهم فاعلم الله ان ذلك لا يعلمه الا الله ويدل على ذلك قوله هل ينظرون الا تاويله واختلف فى الذين عنوا بهذا فقيل عنى به وفد نجران لما حاجوا فى امر عيسى عليه السلم وسالوه فقالوا اليس هو كلمة الله وروح منه فقال بلى فقالوا حسبنا فانزل الله فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه يعنى انهم قالوا ان الروح ما فيه بقاء البدن فاجروه على ظاهره والمسلمون يحملونه على ان بقاء الدين كان به فى وقته كما ان بقاء البدن بالروح وقد قامت الدلالة على ان القديم تعالى ليس بذى اجزاء واعضاء وانما يضاف الروح اليه تشريفا للروح كما يضاف البيت اليه ثم انزل ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب عن الربيع وقيل هم اليهود طلبوا علم اكل هذه الامة واستخراجها بحساب

كثير فى الكلام حذف المضاف اليه

احدهما انه على وجه الجواب كانه قيل ما ام الكتاب فقال هن ام الكتاب ح

الجمل عن الكلبى وقيل هم المنافقون عن ابن جريح وقيل بل كل من احتج بالمتشابه لباطله فالاية فيه عامة كالحرورية والسبابية عن قتادة وما يعلم تاويله الا الله والراسخون فى العلم اى الثابتون فى العلم الضابطون له المتقنون فيه واختلفوا فى نظمه وحكمه على قولين احدهما ان الراسخين معطوف على الله بالواو على معنى ان تاويل المتشابه لا يعلمه الا الله والا الراسخون فى العلم فانهم يعلمونه ويقولون على هذا فى موضع النصب على الحال وتقديره قائلين امنا به كل من عند ربنا كقول ابن المفرغ الحميرى الريح تبكى شجوه والبرق يلمع فى غمامة اى والبرق يبكى ايضا لامعا فى غمامة وهذا قول ابن عباس ومجاهد والربيع ومحمد بن جعفر بن الزبير واختيار ابى مسلم وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم فانه قال كان رسول الله صلى الله عليه واله افضل الراسخين فى العلم قد علم جميع ما انزل الله عليه من التنزيل والتاويل وما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تاويله وهو واوصياؤه من بعده يعلمونه كله ومما يؤيد هذا القول ان الصحابة والتابعين اجمعوا على تفسير جميع اى القران ولم نرهم توقفوا عن شئ منه فلم يفسروه فقالوا هذا متشابه لا يعلمه الا الله وكان ابن عباس يقول فى هذه الاية انا من الراسخين فى العلم والقول الاخر ان الواو فى قوله والراسخون فى العلم واو الاستيناف فعلى هذا القول يكون تاويل المتشابه لا يعلمه الا الله تعالى والوقف عند قوله وما يعلم تاويله الا الله ويبتداء والراسخون فى العلم يقولون امنا به فيكون مبتداء وخبرا وهذا قول عايشة وعروة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائى والفراء والجبائى وقالوا ان الراسخين لا يعلمون تاويله ولكنهم يؤمنون به فالاية راجعة على هذا التاويل الى العلم بمدة اكل هذه الامة ووقت قيام الساعة وفناء الدنيا ووقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلم وخروج الدجال ونحو ذلك مما استاثر الله بعلمه ويكون التاويل على هذا القول بمعنى المتاول كقوله هل ينظرون الا تاويله يوم ياتى تاويله يعنى الموعود به وقوله كل من عند ربنا معناه المحكم والمتشابه جميعا من عند ربنا وما يذكر اى وما يتفكر فى ايات الله ولا يرد المتشابه الى المحكم الا اولوا الالباب اى ذووا العقول فان قيل لم انزل الله تعالى فى القران من المتشابه وهلا جعله كله محكما فالجواب انه لو جعل جميعه محكما لاتكل الناس كلهم على الخبر واستغنوا عن النظر ولكان لا يتبين فضل العلماء على غيرهم ولكان لا يحصل لهم ثواب النظر واتعاب الخاطر فى استنباط المعانى وقال القاضى الماوردى قد وصف الله تعالى جميع القران بانه محكم بقوله الر كتاب احكمت اياته ووصف جميعه ايضا بانه متشابه بقوله الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها فمعنى الاحكام الاتقان والمنع وهو ممنوع باتقانه واحكام معانيه عن اعتراض خلل فيه فالقران كله محكم من هذا الوجه وقوله متشابها اى بعضه يشبه بعضا فى الحسن والصدق والصواب والبعد عن الخلل والتناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه قوله عز وجل ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد **اللغة** الهبة تمليك الشئ من غير مثامنة والهبة والنحلة والصلة نظاير وفى لدن خمس لغات لدن ولدن بضم اللام والدال ولدن بفتح اللام والدال ولدن بفتح اللام وسكون الدال وكسر النون ولد بحذف النون والميعاد بمعنى الوعد كما ان الميقات بمعنى الوقت **الاعراب** اللام فى قوله ليوم لا ريب فيه معناه فى يوم وانما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فان تقديره جامع الناس للجزاء فى يوم لا ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء ودخلت على ما يليه فاغنت عن فى ولان حروف الاضافة متواخية لما يجمعها من معنى الاضافة وقد كان يجوز فتح ان فى قوله ان الله لا يخلف الميعاد على تقدير جامع الناس ليوم لا ريب فيه لان الله لا يخلف الميعاد ولم يقرا به **المعنى** ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا هذه حكاية عن قول الراسخين فى العلم الذين ذكرهم فى الاية الاولى وذكر فى تاويله وجوه احدها ان معناه لا تمنعنا لطفك الذى معه يستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الايمان بعد اذ وفقتنا بالطافك حتى اهتدينا اليه وهذا دعاء بالتثبيت على الهداية والامداد بالالطاف والتوفيقات ويجرى مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا ومعناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا فكانهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا بمنعك التوفيق والالطاف عنا فتزيغ ونضل وانما يمنع ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصية ويفرط فيه من التوبة كما قال سبحانه فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وثانيها ان معناه لا يكلفنا من الشدايد ما يصعب علينا فعله وتركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية ونظيره

فلما كتب عليهم القتال تولوا فاضافوا ما يقع من زيغ القلوب اليه تعالى لان ذلك يكون عند تشديده تعالى المحنة عليهم كما قال تعالى
فزادتهم رجسا الى رجسهم فلم يزدهم دعائي الا فرارا وثالثها ما قاله ابو علي الجبائي ان المراد لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك وهو
ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله يشرح صدره للاسلام وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان
بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين ويمنعه الكافرين كما قال اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
ومن ذلك كتابة الايمان في قلوب المؤمنين كما قال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكانهم
سالوا الله تعالى الا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب الى ضده من العقاب ورابعها ان الاية محمولة على الدعاء بان لا يزيغ القلوب عن
اليقين والايمان ولا يقتضي ذلك انه سئل عما لولا المسئلة لجاز ان يفعله لانه غير ممتنع ان يدعوه على سبيل الانقطاع اليه والافتقار
الى ما عنده بان يفعل ما يعلم انه يفعله وبان لا يفعل ما يعلم انه واجب ان لا يفعله اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى
قل رب احكم بالحق ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وقال حاكيا عن ابرهيم ولا تخزني يوم يبعثون فان قيل هلا جاز على هذا ان
يقول ربنا لا تظلمنا ولا تجر علينا فالجواب انما لم يجز ذلك لان فيه تسخطا من السائل فانما يستعمل ذلك فيمن جرت عادته بالجور والظلم
وليس كذلك ما نحن فيه وهب لنا من لدنك رحمة اي من عندك لطفا نتوصل به الى الثبات على الايمان اذ لا نتوصل الى الثبات على الايمان
الا بلطفك كما لا نتوصل الى ابتدائه الا بذلك وقيل نعمة انك انت الوهاب المعطي للنعمة الذي شانه الهبة والعطية ربنا اي ويقولون
يا سيدنا وخالقنا انك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه اي ليس فيه موضع ريب وشك لوضوحه وهذا يتضمن اقرارهم بالبعث
ان الله لا يخلف الميعاد اي لا يخلف الوعد وقيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين في العلم وان خالف اخر الكلام اوله في الخطاب
والغيبة فيكون مثل قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وتقديره فاغفر لنا انك لا تخلف ما وعدته وقيل انه على سبيل الاستيناف وهو
اختيار الجبائي فيكون اخبارا عن الله عز وجل قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك هم وقود النار اية اللغة الوقود الحطب والوقود ايقاد النار المعنى ثم بين سبحانه حال الذين في
قلوبهم زيغ فقال ان الذين كفروا بايات الله ورسوله لن تغني عنهم اي لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا قال ابو عبيدة
من ههنا بمعنى عند وقال المبرد هي على اصلها لابتداء الغاية وتقديره لن تغني عنهم غناء ابتداء وانتهاء وقيل معناه من عذاب الله
شيئا واولئك هم وقود النار اي حطب النار تتقد النار باجسامهم كما قال في موضع اخر حصب جهنم ٥ قوله عز وجل كداب ال
فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب اية اللغة الداب العادة يقال
داب يداب دابا ودابا اذا اعتاد الشيء وتمرن عليه والداب الاجتهاد يقال داب في كذا دابا ودؤوبا اذا اجتهد فيه وبالغ و
نقل من هذا الى العادة لانه بالغ فيه حتى صار عادة له قال زهير لا ترحلن بالفجر ثم لا ذابك الى الليل الا ان يعرجني طفل والذنب
والجرم واحد يقال اذنب فهو مذنب والذنب التلو للشيء يقال ذنبه يذنبه اذا تلاه والذنوب الدلو لانها تالية للحبل في الجذب
والذنوب النصيب لانه كالدلو في الانقسام والذنوب لفرس الوافر شعر الذنب واصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلو من استحقاق
الذم كما ان العقاب سمي بذلك لانه يستحق عقيب الذنب الاعراب الكاف في قوله كداب متصلة بمحذوف وتقديره عادتهم كعادة ال
فرعون فيكون الكاف في موضع رفع بانها خبر المبتداء ولا يجوز ان يعمل فيها كفروا لان صلة الذين قد انقطعت بالخبر ولكن جاز ان يكون
في موضع نصب بوقود النار لان فيه معنى الفعل لا على تقدير يتقد النار باجسامهم كما يتقد باجسام ال فرعون كذبوا جملة
في موضع الحال والعامل فيه المعنى في داب ال فرعون وقد مقدرة معه المعنى عادة هؤلاء الكفار في التكذيب بك وبما انزل
اليك كداب ال فرعون اي كعادة ال فرعون في التكذيب برسولهم وبما انزل اليه عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد والضحاك والسدي
وقيل معناه اجتهاد هؤلاء الكفار في قتالك وابطال امرك كاجتهاد ال فرعون في قهر موسى عليه السلم عن الاصم والزجاج وقيل كعادة
الله في ال فرعون في انزال العذاب بهم بما سلف من اجرامهم وقيل كسنة ال فرعون عن الربيع والكسائي وابي عبيدة وقيل كامر
ال فرعون وشانهم عن الاخفش وقيل كحال ال فرعون عن قطرب والذين من قبلهم يعني كفار الامم الماضية كذبوا باياتنا فاخذهم الله

بذنوبهم

بذنوبهم اي عاقبهم الله بذنوبهم وسمى المعاقبة مواخذة لانها اخذ بالذنوب والاخذ بالذنب عقوبة والله شديد العقاب لمن يغا قبه
قوله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد اية القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم سيغلبون
ويحشرون بالياء فيهما والباقون بالتاء الحجة من اختار التاء فلقوله قد كان لكم اية فاجرى الجميع على الخطاب ومن اختار الياء فللتصرف
في الكلام والانتقال من خطاب المواجه الى الخبر بلفظ الغايب ويؤيده قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف قل للذين
امنوا يغفروا وقيل ان الخطاب لليهود والضمير في سيغلبون للمشركين لان اليهود اظهروا السرور بما كان من المشركين يوم احد فعلى هذا
لا يكون الا بالياء لان المشركين غيب اللغة الحشر الجمع مع سوق ومنه يقال للنبي صلى الله عليه واله الحاشر يحشر الناس على قدميه
كانه يقدمهم وهم خلفه لانه اخر الانبيا فيحشر الناس في زمانه وملته وجهنم اسم من اسماء النار وقيل اخذ من الجهنام وهو البئر
البعيد القعر والمهاد القرار وهو الموضع الذي يتمهد فيه اي ينام عليه مثل الفراش النزول روى محمد بن اسحق بن يسار عن رجاله
قال لما اصاب رسول الله صلى الله عليه واله قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله
مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك
انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله هذه الاية وروي ايضا
عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه اصحابنا ايضا وقيل نزلت في مشركي مكة سيغلبون يوم بدر عن مقاتل وقيل بل نزلت
في اليهود لما قتل الكفار ببدر وهزموا قالت اليهود انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجد في كتابنا بنعته وصفته وانه لا ترد له راية
ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله شكوا وقالوا لا والله ما هو به
فغلب عليهم الشقا فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة لم ينقض فنقضوا ذلك العهد قبل اجله وانطلق كعب
بن الاشرف الى مكة في ستين راكبا فوافقوهم واجمعوا امرهم على رسول الله عليه السلم لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فانزل
الله فيهم هذه الاية عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر ما اصاب القرون الخالية بالتكذيب للرسل من
العذاب حذر هؤلاء ان يحل بهم ما حل باولئك فقال تعالى قل للذين كفروا اما مشركي مكة او اليهود على ما تقدم ذكره ستغلبون اي ستهزمون
وتصيرون مغلوبين في الدنيا وتحشرون اي تجمعون الى جهنم في الاخرة وقد فعل الله ذلك فاليهود غلبوا بوضع الجزية عليهم و
المشركون غلبوا بالسيف واذا قرئ سيغلبون بالياء فقد يمكن ان يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين وانهم قوم اخرون
ويمكن ان يكونوا اياهم قال الفرا يقال للعبد الله انه قايم وانك قايم واذا قرئ بالتاء فلا يجوز ان يظن ذلك فلا يكونون غير المخاطبين وبئس
المهاد اي بئس ما مهد لكم وبئس ما مهدتم لانفسكم عن ابن عباس وقيل معناه بئس القرار عن الحسن وقيل بئس الفراش الممهد لهم
وفي الاية دلالة على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه واله لان مخبره قد خرج على وفق خبره فدل ذلك على صدقه ولا يكون ذلك
على وجه الاتفاق لانه بين اخبارا كثيرة من الاستقبال فخرج الجميع كما قال فكما ان كل واحد منها كان معجزا اذ لا الله تعالى لا يطلع
على غيبه الا من ارتضى من رسول فكذلك هذه الاية واذا ثبت صدقه في احد الخبرين وهو انهم سيغلبون ثبت صدقه في
الخبر الاخر وهو انهم يحشرون الى جهنم قوله عز وجل قد كان لكم اية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار اية القراءة قرا
اهل المدينة والبصرة غير ابي عمرو ترونهم بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ عن ابن عباس يرونهم بضم الياء الحجة قال
ابو علي من قرا يرونهم بالياء فلان بعد الخطاب غيبة وهو قوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم اي يرى الفئة المقاتلة
في سبيل الله الفئة الكافرة مثليهم ومما يؤكد الياء قوله مثليهم ولو كان على التاء لكان مثليكم وان كان قد جاء وما اتيتم من
زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ورايت هنا هي المتعدية الى مفعول واحد يدلك على ذلك تقييده براي العين
واذا كان كذلك كان انتصاب مثليهم على الحال لا على انه مفعول ثان فاما مثل فقد تفرد في موضع التثنية والجمع فمن الافراد
في التثنية قوله وساقيين مثل زيد وجعل ومن افراده على الجمع قوله انكم اذا مثلهم ومن جمعه قوله ثم لا يكونوا امثالكم ومن قرا

ترونهم فللخطاب الذى قبله وهو قوله قد كان لكم اية ترونهم مثليهم فالضمير فى ترونهم للمسلمين والضمير المنصوب للمشركين اى ترون
ايها المسلمون المشركين مثلى المسلمين واما قراءة ابن عباس يرونهم فوجهه ما قاله ابن جنى ان رايت واريت اقوى فى النفس من اريت و
ارى يقول ارى انه سيكون كذا اى هذا غالب ظنى واريت ان سيكون اى اعلمه واتحققه اللغة قد ذكرنا معنى الفئة عند قوله كم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة والالتقاء والتلاقى والاجتماع واحد والايد القوة ومنه قوله داود ذا الايد يقال اد يئد ايدا
ايدا اى قويته وايدته اويده تاييدا بمعناه والعبرة الاية يقال اعتبرت بالشئ عبرة واعتبارا والعبور النفوذ من احد الجانبين الى
الاخر وسميت الاية عبرة لانه يعبر بها من منزل الجهل الى منزل العلم والمعتبر بالشئ تارك جهله واصل الى علمه بما راى والعبارة الكلام
يعبر بالمعنى الى المخاطب والعبارة تعبير الرؤيا والتعبير وزن الدنانير وغيرها والعبرة الدمعة واصل الباب النفوذ الاعراب قوله فئة
يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب الرفع على الاستيناف والابتداء بتقدير منهم فئة كذا واخرى كذا والجر على البدل والنصب على الحال كقول كثير
وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت انشد بالرفع والجر وقال ابن مفرغ وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل
رماها صايب الحدثان فاما التى صحت فازد شنوءة واما التى شلت فازد عمان وقال اخر اذا مت كان الناس صنفين شامت
واخر مثن بالذى كنت اصنع ولا يجوز ان يقول مررت بثلثة صريع وجريح بالجر لانه لم يستوف العدة ويجوز بالرفع على تقدير منهم
صريع ومنهم جريح فان قلت مررت بثلثة صريع وجريح وسليم جاز الرفع والجر فان زدت فيه اقساما جاز الاوجه الثلثة والقراءة
بالرفع لا غير وقوله راى العين يجوز ان يكون مصدر الرؤى والعين فى موضع الرفع كالفاعل ويجوز ان يكون ظرفا للمكان كما
يقول يرونهم امامكم النزول نزلت الاية فى قصة بدر وكان المسلمون ثلثماية وثلثة عشر رجلا على عدة اصحاب طالوت الذين جازوا
معه النهر سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومايتان وستة وثلاثون رجلا من الانصار وكان صاحب راية رسول الله
من المهاجرين على بن ابى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكانت الابل فى جيش رسول الله سبعين بعيرا والخيل
فرسين فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن ابى مرثد وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ
اربعة عشر رجلا من المهاجرين وثمانية من الانصار واختلف فى عدة المشركين فروى عن على وابن مسعود انهم كانوا الفا وعن
قتادة وعروة بن الزبير والربيع كانوا بين تسعماية الى الف وكانت خيلهم ماية فرس ورأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان حرب
بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه واله وكان سبب ذلك عير ابى سفين المعنى لما وعد تعالى الظفر لاهل الايمان بين
ما فعله يوم بدر باهل الكفر والطغيان فقال قد كان لكم اية قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد اى كان لكم ايها اليهود
دلالة ظاهرة وقيل الخطاب للناس جميعا ممن حضر الوقعة وقيل للمشركين واليهود اية اى حجة وعلامة ومعجزة دالة على صدق محمد
صلى الله عليه واله فى فئتين التقتا اى فرقتين اجتمعتا ببدر من المسلمين والكافرين فئة تقاتل فى سبيل الله فى دينه وطاعته
وهم الرسول واصحابه واخرى اى وفرقة اخرى كافرة وهم المشركون من اهل مكة يرونهم مثليهم اى ضعفيهم راى العين فى
ظاهر العين واختلف فى معناه فقيل معناه يرى المسلمون المشركين مثلى عدد انفسهم قللهم الله تعالى فى اعينهم حتى راوهم ستماية وستة
وعشرين نفسا تقوية لقلوبهم وذلك ان المسلمين قد قيل لهم فان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مايتين فاراهم الله عددهم حسب
ما حد لهم من العدد الذى يلزمهم ان يقدموا عليهم ولا يحجموا عنه وقد كانوا ثلثة امثالهم ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير
عن ابن مسعود وجماعة من العلماء وقيل ان الرؤية للمشركين يعنى يرى المشركون المسلمين ضعفى ما هم عليه فان الله تعالى
قبل القتال قلل المسلمين فى اعينهم ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا فى القتال كثرهم فى اعينهم ليجبنوا وقلل المشركين فى اعين
المسلمين ليجترؤا عليهم وتصديق ذلك قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا الاية وذلك احسن اسباب النصر للمؤمنين والخذلان
للكافرين وهذا قول السدى وانما يتاتى هذا القول على قراءة من قرا من بالياء فاما قول من قرا بالتاء فلا يحتمله الا القول الاول
على ان يكون الخطاب لليهود والذين لم يحضروا وهم المعنيون بقوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وهم يهود بنى قينقاع فكانه قال
ترون ايها اليهود المشركين مثلى المسلمين مع ان الله اظفرهم عليهم فلا تغتروا بكثرتكم واختار البلخى هذا الوجه او يكون الخطاب

تفسير الرؤيا

فئة اى ر

وتقليلكم فى اعينهم ر

للمسلمين الذين حضروا الوقعة اى ترون ايها المسلمون المشركين مثلى المسلمين وقال الفراء يحتمل قوله يرونهم مثليهم يعنى ثلثة امثالهم لانك
اذا قلت عندى الف واحتاج الى مثلها فانت تحتاج الى الفين لانك تريد احتاج الى مثلها مضافا اليها لا بمعنى بدلا منها فكانك قلت احتاج
الى مثليها واذا قلت احتاج الى مثليها فانت تحتاج الى ثلثة الاف فكذلك فى الاية المعنى ترونهم مثليهم مضافا اليهم فذلك ثلثة امثالهم قال
والمعجزة انما كان من جهة غلبة القليل الكثير وانكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته لظاهر الكلام وما جاء فى اية الانفال من تقليل الاعداد فان
قيل كيف يصح تقليل الاعداد مع حصول الرؤية وارتفاع الموانع وهل هذا الا قول من جوز ان يكون عنده اجسام لا يدركها او يدرك بعضها
دون بعض قلنا يحتمل ان يكون التقليل فى اعين المؤمنين بان يظنوهم قليلى العدد لا انهم ادركوا بعضهم دون بعض لان العلم بما يدركه
الانسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلا لانا قد ندرك جمعا عظيما باسرهم ونشك فى اعدادهم حتى يقع الخلاف فى حزر عددهم فعلى هذا لو
يكون تاويل تقليل الاعداد وقوله والله يؤيد بنصره من يشاء النصر منه تعالى على الاعداء يكون على وجهين نصر بالغلبة ونصر بالحجة والنصر بالغلبة
انما كان بغلبة العدد القليل للعدد الكثير على خلاف مجرى العادة وبما امدهم الله به من الملئكة وقوى به نفوسهم من تقليل العدو و
النصر بالحجة هو وعده المتقدم بالغلبة لاحدى الطائفتين لا محالة وهذا ما لا يعلمه الا علام الغيوب ان فى ذلك اى فى ظهور المسلمين مع قلتهم
على المشركين مع كثرتهم وتقليل المشركين فى اعين المسلمين وتكثير المسلمين فى اعين المشركين لعبرة لاولى الابصار اى لذوى العقول كما يقال
لفلان بصر بالامور ولا يراد به الابصار بالحواس الذى يشترك فيه ساير الحيوان قوله عز وجل زين للناس حب الشهوات من
النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا
والله عنده حسن المآب اية اللغة الشهوات جمع شهوة وهى توقان النفس الى المشتهى يقال اشتهى يشتهى شهوة واشتهاء والشهوة
من فعل الله تعالى ولا يقدر عليها احد من البشر وهى ضرورية فينا لانه لا يمكننا دفعها عن نفوسنا والقناطير جمع قنطار وهو المال
الكثير العظيم واصله من الاحكام يقال قنطرت الشئ احكمته والقنطر الداهية وقيل اصله من القنطرة وهو البناء المعقود للعبور و
المقنطرة المحصلة قناطير كقولهم دراهم مدرهمة اى مجعولة كذلك ودنانير مدنرة وقيل انما ذكر المقنطرة للتاكيد وقد يؤتى بالمفعول
والفاعل تاكيدا فالمفعول مثل قوله حجرا محجورا ونسيا منسيا والفاعل كقولهم شعر شاعر وموت مائت والمراد بالجميع المبالغة والتاكيد
وسميت الخيل خيلا لاختيالها فى مشيها والاختيال من التخيل لانه يتخيل به صاحبه فى صورة من هو اعظم منه كبرا والمسومة من قولهم
اسمت الماشية وسومتها اذا رعيتها والسيماء الحسن والسيميا بمعناه قال غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا تشق على البصر
والسيما العلامة وهو اصل الباب والمآب المرجع من الاوب وهو الرجوع المعنى ثم انزل الله سبحانه ما اخبر به عن السبب الذى دعا
الناس الى العدول عن الحق والهدى والركون الى الدنيا فقال زين للناس حب الشهوات اى حب المشتهيات ولم يرد بها نفس الشهوة
ولهذا فسرها بالنساء والبنين وغيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل زينها الشيطان عن الحسن قال فوالله ما احد اذم للدنيا ممن خلقها
وقيل زينها الله تعالى لهم بما جعل فى الطباع من الميل اليها وبما خلق فيها من الزينة محنة وتشديدا للتكليف كما قال انا جعلنا ما
على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقيل زين الله تعالى ما يحسن منه وزين الشيطان ما يقبح عن ابى على الجبائى ثم قدم
تعالى ذكر النساء فقال من النساء لان الفتنة بهن اعظم وقال النبى عليه السلام ما نزلت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء
وقال النساء حبايل الشيطان وقال امير المؤمنين عليه السلام المراة شر كلها وشر ما فيها انه لا بد منها وهى عقرب حلوة اللسبة
ثم قال والبنين لان حبهم يدعوا الى جمع الحرام وقال النبى صلى الله عليه واله للاشعث بن قيس هل لك من ابنة حمزة من ولد قال
نعم لى منها غلام ولوددت ان لى بجفنة من طعام اطعمها من معى من بنى جبلة فقال عليه السلام لئن قلت ذلك انهم لثمرة القلوب و
قرة الاعين وانهم مع ذلك لمجبنة مبخلة محزنة والقناطير جمع قنطار واختلف فى مقداره فقيل الف وماتا اوقية عن معاذ بن
جبل وابى بن كعب وعبد الله بن عمر وقيل الف ومايتا مثقال عن ابن عباس والحسن والضحاك وقيل الف دينار او اثنا عشر الف
درهم عن الحسن خلاف وقيل ثمانون الفا من الدراهم او ماية رطل عن قتادة وقيل سبعون الف دينار عن مجاهد وعطا وقيل هو ملء
مسك ثور ذهبا عن ابى نضرة وبه قال الفراء وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام والمقنطرة المضاعفة عن قتادة

وقيل هى تسعة قناطير عن الفرا وقيل هى الاموال المنضدة بعضها فوق بعض عن الضحاك وهى الكاملة المجتمعة وقيل هو من الذهب والفضة
عن الزجاج ولا يصح قول من قال انه من الذهب خاصة لان الله تعالى ذكر القنطار فيهما جميعا وجميع الاقوال ترجع الى الكثرة والخيل المسومة
قيل معناه الافراس الراعية عن سعيد بن جبير وابن عباس والحسن والربيع وقيل هى الحسنة من السيما عن مجاهد وعكرمة والسدى
وقيل هى المعلمة عن قتادة وفى رواية عن ابن عباس وقيل هى المعدة للجهاد عن ابن زيد والانعام وهى جمع النعم وهى الابل والبقر والغنم
من الضان والمعز ولا يقال الجنس منها على الانفراد نعم الا للابل خاصة لانها تغلب عليه جملة وتفصيلا والحرث الزرع ومعناه هذه
كلها محببة الى الناس كما ذكره الله تعالى ثم بين ان ذلك كله مما يتمتع به فى الحيوة ثم يزول عن صاحبه والمرجع الى الله تعالى فاجدر
بالانسان ان يزهد فيه ويرغب فيما عنده به فقال ذلك متاع الحيوة الدنيا يعنى كلما سبق ذكره مما يتمتع به فى الحيوة الدنيا ثم يفنى
والله عنده حسن الماب اى حسن المرجع فالماب مصدر سمى به موضع الاياب قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله
بصير بالعباد اية القراءة قرا ابوبكر عن عاصم ورضوان بضم الراء كل القران والباقون بكسر الراء الحجة الرضوان مصدر فمن
جعله كالريان والحرمان ومن ضمه جعله كالرجحان والشكران والكفران الاعراب منتهى الاستفهام فى اؤنبئكم عند قوله
عند ربهم ثم استانف جنات على تقدير الجواب كانه قيل ماذلك الخير فقال هو جنات وقيل منتهى الاستفهام عند قوله بخير من ذلكم
ثم ابتدا فقال للذين اتقوا عند ربهم جنات ويجوز فى العربية فى اعراب جنات الرفع والجر فالجر على ان يكون اخر الكلام عند ربهم ولا يجوز
الجر على الوجه الاخر للفصل باللام كما لا يجوز امرت لك بالفين ولاخيك مائتين حتى تقول بمائتين ولو قدمت فقلت وبمائتين لاخيك لجاز
وخالدين نصب على الحال المعنى لما صغر الله تعالى الدنيا وزهد فيها فى الاية الاولى عظم الاخرة وشوقها ورغب فيها فى هذه الاية فقال
قل يا محمد لامتك اؤنبئكم اخبركم بخير من ذلكم بانفع لكم مما سبق ذكره فى الاية المتقدمة من شهوات الدنيا ولذاتها وزهراتها للذين
اتقوا ما حرم الله عليهم عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها الانهار وعلى القول الاخر اخبركم بخير مما سبق للذين
اتقوا عند ربهم ثم ابتدا وقال جنات اى ذلك الخير جنات تجرى من تحتها ابنيتها الانهار وبين الله تعالى بهذا ان انهار الجنة جارية ابدا ليست
كانهار الدنيا التى تجرى ماؤها تارة وينقطع اخرى خالدين فيها اى مقيمين فى تلك الجنات وازواج مطهرة من الحيض والنفاس و
جميع الاقذار والادناس والطباع الذميمة والاخلاق اللئيمة ورضوان من الله وورآء هذه الجنات رضوان من الله والله بصير بالعباد
اى خبير بافعالهم واحوالهم قوله عز وجل الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين و
الصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار اية اللغة المغفرة هى الستر للذنوب برفع التبعة والذنب والجرم
بمعنى واحد والفرق بينهما ان اصل الذنب الاتباع فهو ما يتبع عليه العبد من قبح عمله كالتبعة والجرم اصله القطع فهو القبيح الذى
ينقطع به عن الواجب والفرق بين القول والكلام ان القول فيه معنى الحكاية وليس كذلك الكلام والصابر الحابس نفسه عن جميع معاصى
الله والمقيم على ما اوجب عليه من العبادات والصادق المخبر بالشئ على ما هو به والقانت المطيع والاسحار جمع سحر وهو الوقت الذى
قبيل طلوع الفجر واصله الخفا لخفاء الشخص فى ذلك الوقت والسحر منه ايضا لخفاء سببه والسحر الرية لخفاء موضعها الاعراب يجوز فى
موضع الذين الجر والرفع والنصب فالجر للاتباع للذين اتقوا والرفع والنصب على المدح الصابرين نصب على المدح وكذلك باقى
الصفات ويجوز ان يكون جرا على الصفة للذين اتقوا المعنى ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم فى قوله للذين اتقوا فقال الذين
يقولون اى للمتقين القائلين ربنا اننا امنا اى صدقنا الله ورسوله فاغفر لنا ذنوبنا اى استرها علينا وتجاوزها عنا وقنا
اى وادفع عنا عذاب النار ثم وصفهم بصفات اخر ومدحهم واثنى عليهم فقال الصابرين على فعل ما امرهم الله به وترك ما نهاهم عنه
وان شئت قلت الصابرين على الطاعة وعن المعصية والصادقين فى ايمانهم واقوالهم والقانتين قيل المطيعين عن قتادة وقيل
الدائمين على العبادة عن الزجاج وقيل القائمين بالواجبات عن القاضى والمنفقين اموالهم فى سبيل الله ويدخل فيه الزكوة
المفروضة والتطوع بالانفاق والمستغفرين بالاسحار المصلين وقت السحر عن قتادة ورواه الرضا عليه السلم عن ابيه عن

ابى عبدالله عليه السلم وقيل السايلين المغفرة وقت السحر عن انس وقيل المصلين صلوة الصبح فى جماعة عن زيد بن اسلم وقيل الذين ينتهى صلوتهم
الى وقت السحر ثم يستغفرون ويدعون عن الحسن وروى عن ابى عبدالله عليه السلم ان من استغفر الله سبعين مرة فى وقت السحر فهو من اهل
هذه الاية وروى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه واله قال ان الله عز وجل يقول انى لاهم باهل الارض عذابا فاذا نظرت الى عمار
بيوتى والى المتهجدين والى المتحابين فى والى المستغفرين بالاسحار صرفت عنهم قوله عز وجل شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة
واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب ايتان القراءة
قرا الكسائى ان الدين بفتح الالف والباقون بالكسر قال الزجاج وروى عن ابن عباس انه لا اله الا هو بكسر الالف والقراءة انه بالفتح
الحجة قال ابو على الوجه الكسر فى ان لان الكلام الذى قبله قد تم ومن فتح ان جعله بدلا والبدل وان كان فى تقدير جملتين فان
العامل لما لم يظهر اشبه الصفة فاذا جعلته بدلا جاز ان تبدله من شيئين احدهما من قوله انه لا اله الا هو فكان التقدير شهد الله
ان الدين عنده الاسلام فيكون البدل من الضرب الذى الشئ فيه هو هو وان شئت جعلته من بدل الاشتمال لان الاسلام يشتمل
على التوحيد والعدل وان شئت جعلته من القسط لان الدين الذى هو الاسلام قسط وعدل فيكون من البدل الذى الشئ فيه
هو هو وقال غيره ان الاولى والثانية يجوز فى العربية فتحهما جميعا وكسرهما جميعا وفتح الاولى وكسر الثانية وكسر الاولى وفتح
الثانية فمن فتحهما اوقع الشهادة على ان الثانية وحذف حرف الاضافة من الاولى وتقديره شهد الله لانه لا اله الا هو ان الدين
عند الله الاسلام ومن كسرهما اعترض بالاولى على التعظيم لله عز وجل به كما قيل لبيك ان الحمد والنعمة لك وكسر الثانية على الحكاية
لان فى معنى شهد معنى قال قال المورج شهد بمعنى قال فى لغة قيس بن عيلان ومن فتح الاولى وكسر الثانية وهو الاجود وعليه
اكثر القراء اوقع الشهادة على الاولى واستانف الثانية ومن كسر الثانية اعترض بالاولى واوقع الشهادة على الثانية اللغة حقيقة
الشهادة الاخبار بالشئ عن مشاهدة او ما يقوم مقام المشاهدة ومعنى الدين هنا الطاعة واصله الجزاء وسميت الطاعة دينا لانها
للجزاء ومنه الدين لانه كالجزاء فى وجوب القضاء والاسلام اصله السلم واسلم معناه دخل فى السلم واصل السلم السلامة لانه انقياد
على السلامة ويصلح ان يكون اصله التسليم لانه تسليم لامر الله والتسليم من السلامة لانه تادية الشئ على السلامة من الفساد فالاسلام
هو تادية الطاعات على السلامة من الادغال والسلام والايمان بمعنى واحد عندنا وعند المعتزلة غير ان عندهم الواجبات من
افعال الجوارح من الايمان وعندنا الايمان من افعال القلوب الواجبة وليس من افعال الجوارح وقد شرحناه فى اول البقرة والاسلام
يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبى صلى الله عليه واله من العبادات الشرعية والاستسلام له وترك النكير عليه فاذا قلنا دين المؤمن
هو الايمان وهو الاسلام فالاسلام هو الايمان ونظير ذلك قولنا الانسان بشر والانسان حيوان على الصورة الانسانية بشر و
الاختلاف ذهاب احد النفسين الى خلاف ما ذهب اليه الاخر هذا الاختلاف فى الاديان فاما الاختلاف فى الاجناس فهو امتناع
احد الشيئين ان يسد مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته والبغى طلب الاستعلاء بالظلم واصله من بغيت الحاجة اذا طلبتها الاعراب
قيل فى نصب قائما قولان احدهما انه حال من اسم الله تعالى مؤكدة لان الحال المؤكد يقع مع الاسماء فى غير الاشارة يقول انا زيد معروفا
وهو الحق مصدقا وشهد الله قائما بالقسط اى القائم بالعدل والثانى انه حال من هو من قوله لا اله الا هو وبغيا نصب على وجهين احدهما
على انه مفعول له والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب للبغى بينهم مثل حذر الشر ونحو ذلك وقيل انه منصوب بما دل عليه وما اختلف
كانه لما قيل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب دل على وما بغى الذين اوتوا الكتاب فحمل بغيا عليه المعنى لما قدم تعالى ذكر ارباب
الدين اتبعه بذكر اوصاف الدين فقال شهد الله انه لا اله الا هو اى اخبر بما يقوم مقام الشهادة على وحدانيته من عجيب صنعته ولطيف
حكمته وقيل معنى شهد الله قضى الله عن ابى عبيدة قال الزجاج وحقيقته علم الله وبين ذلك فان الشاهد هو العالم الذى
بين ما علمه ومنه شهد فلان عند القاضى اى بين ما علمه فالله عز وجل قد دل على توحيده بجميع ما خلق وبين انه لا يقدر احد
ان ينشئ شيئا واحدا مما انشاه والملائكة اى وشهدت الملئكة بما عاينت من عظيم قدرته واولوا العلم اى وشهد اولوا العلم بما ثبت

عندهم و بين من صنعة الذى لا يقدر عليه غيره و روى عن الحسن ان فى الاية تقديما و تاخيرا و التقدير شهد الله انه لا اله الا هو قائما بالقسط و القسط العدل الذى قامت به السموات و الارض و رواه ايضا اصحابنا فى التفسير و اولوا العلم هم علماء المومنين عن السدى و الكلبى و قيل معنى قوله قائما بالقسط انه يقوم باجراء الامور و تدابير الخلق و جزاء الاعمال بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اى يجرى افعاله على الاستقامة و انما كرر قوله لا اله الا هو لانه بين بالاول انه المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه و بالثانى انه القائم برزق الخلق و تدبيرهم بالعدل لا ظالم فى فعله و العزيز الحكيم مر تفسيره و تضمنت الاية الابانة عن فضل العلم و العلماء لانه تعالى قرن العلماء بالملائكة و شهادتهم بشهادة الملائكة و خصهم بالذكر كانه لم يعتد بغيرهم و المراد بهذا العلم التوحيد و ما يتعلق به من علوم الدين لان الشهادة وقعت عليه و مما جاء فى فضل العلم و العلماء من **الحديث ما رواه جابر بن عبد الله عن النبى عليه السلم انه قال** ساعة من عالم يتكى على فراشه ينظر فى علمه خير من عبادة العابد سبعين عاما و روى انس بن مالك عنه صلى الله عليه و اله انه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة و مدارسته تسبيح و البحث عنه جهاد و تعليمه من لا يعلمه صدقة و تذكره لاهله قربة لانه معالم الحلال و الحرام و منار سبيل الجنة و النار و الانيس فى الوحشة و الصاحب فى الغربة و المحدث فى الخلوة و الدليل على السراء و الضراء و السلاح على الاعداء و القرب عند الغرباء يرفع الله به اقواما فيجعلهم فى الخير قادة يقتدى بهم و يقتص اثارهم و ينتهى الى رايهم و ترغب الملائكة فى خلتهم و باجنحتها تمسحهم و فى صلوتهم تستغفر لهم و كل رطب و يابس يستغفر لهم حتى حيتان البحار و هوامها و سباع الارض و انعامها و السماء و نجومها الا و ان العلم حيوة القلوب و نور الابصار و قوة الابدان يبلغ بالعبد منازل الاحرار و مجالس الملوك و الفكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام و به يعرف الحلال و الحرام و به يوصل الارحام العلم امام العمل و العمل تابعه يلهم السعداء و يحرم الاشقياء و مما جاء فى **فضل هذه الاية** ما رواه انس عن النبى صلى الله عليه و اله قال من قرا شهد الله الاية عند منامه خلق الله منها سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيمة الزبير بن العوام قال قلت لادنون هذه العشية من رسول الله صلى الله عليه و اله و هى عشية عرفة حتى اسمع ما يقول فحبست ناقتى بين ناقة رسول الله و ناقة رجل كان الى جنبه فسمعته يقول شهد الله انه لا اله الا هو الاية فما زال يرددها حتى رفع غالب القطان قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الاية شهد الله انه لا اله الا هو الاية ثم قال الاعمش و انا اشهد بما شهد الله به و استودع الله هذه الشهادة و هى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه و ودعته ثم قلت اية سمعتك ترددها قال و الله لا احدثك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم و اقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثنى ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه و اله يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدى هذا عندى عهدا و انا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة **و قال** سعيد بن جبير كان حول الكعبة ثلثمائة و ستين صنما فلما نزلت شهد الله انه لا اله الا هو الاية خررن سجدا و قوله ان الدين اى الطاعة عند الله هى الاسلام و قيل المراد بالاسلام التسليم لله و لاوليائه و هو التصديق و روى عن امير المومنين فى خطبة له انه قال لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلى الاسلام هو التسليم و التسليم هو اليقين و اليقين هو التصديق و التصديق هو الاقرار و الاقرار هو الاداء و الاداء هو العمل رواه على بن ابرهيم فى تفسيره قال ثم قال عليه السلم ان المومن اخذ دينه عن ربه و لم ياخذه عن رايه ان المومن يعرف ايمانه فى عمله و ان الكافر يعرف كفره بانكاره ايها الناس دينكم دينكم فان السيئة فيه خير من الحسنة فى غيره ان السيئة فيه تغفر و ان الحسنة فى غيره لا تقبل و ما اختلف الذين اوتوا الكتاب معناه و ما اختلف اليهود و النصارى فى صدق نبوة محمد لما كانوا يجدونه فى كتبهم بنعته و صفته و نبوته الا من بعد ما جاءهم العلم ثم اخبر عن علة اختلافهم فقال بغيا بينهم اى حسدا و تقديره و ما اختلف الذين اوتوا الكتاب بغيا بينهم الا من بعد ما جاءهم العلم و العلم المذكور يجوز ان يراد به البينات التى هى طريق العلم فيدخل فيه المبطلون من اهل الكتاب علموا او لم يعلموا و يحتمل ان يراد نفس العلم فلا يدخل فيه الا من علم بصفة محمد و كتمه عنادا و قيل المراد بالذين اوتوا الكتاب اليهود و الكتاب التورية لما عهد موسى عليه السلم اليهم و اقام فيهم يوشع و مضى ثلثة قرون اختلفوا عن الربيع و قيل المراد بالذين اوتوا الكتاب النصارى

صنعة التى

وشهد الملائكة انه لا اله الا هو قائما بالقسط وشهد اولوا العلم انه لا اله الا هو قائما بالقسط

فما بالك فيهما

و الكتاب الانجيل و اختلفوا فى امر عيسى عن محمد بن جعفر بن الزبير و قيل مخرج للجنس و معناه كتب الله المتقدمة و اختلفوا بعدها فى الدين عن الجبائى و من يكفر بايات الله اى بحججه و قيل بالتورية و الانجيل و ما فيهما من صفة محمد صلى الله عليه و اله و قيل بالقران و ما دل عليه فان الله سريع الحساب اى لا يفوته شئ من اعمالهم و قيل معناه سريع الجزاء و حقيقة الحساب ان تاخذ ما لك و تعطى ما عليك **قوله عز و جل فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله و من اتبعن و قل للذين اوتوا الكتاب و الاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا و ان تولوا فانما عليك البلاغ و الله بصير بالعباد اية القراءة** حذف عاصم و حمزة و الكسائى الياء من اتبعنى اجتزاء بالكسرة و اتباعا للمصحف و اثبتها الباقون على الاصل **الحجة** حذف الياء فى اواخر الاى احسن لانها تشبه القوافى و يجوز فى وسط الاى ايضا و احسنها ما كان قبلها نون مثل قوله و من اتبعن فان لم يكن نون جاز ايضا نحو قولك هذا غلام و ما اشبه ذلك و الاجود اثبات الياء و ان شئت اسكنت الياء و ان شئت فتحتها **الاعراب** و من اتبعن فى محل الرفع عطفا على التاء فى قوله اسلمت و لم يؤكد الضمير فلم يقل اسلمت انا و من اتبعنى و لو قلت اسلمت و زيد لم يحسن الا ان يقول اسلمت انا و زيد و انما جاز هنا لطول الكلام فصار طوله عوضا عن تاكيد الضمير المتصل بالمنفصل **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر الايمان و الاسلام خاطب نبيه عليه السلم فقال فان حاجوك المعنى فان حاجك و خاصمك نصارى نجران فقل يا محمد اسلمت وجهى لله و فيه وجهان احدهما ان معناه انقدت لامر الله فى اخلاصى التوحيد له و الحجة فيه انه الزمهم على ما اقروا ان الله خالقهم اتباع امره فى ان لا يعبدوا الا اياه و الثانى ان معناه اعرضت عن كل معبود دون الله و اخلصت قصدى بالعبادة اليه و ذكر الاصل الذى يلزم جميع المكلفين الاقرار به لانه لا يتبعض فيما يحتاج الى العمل عليه فى الدين الذى هو طريق النجاة من العذاب الى النعيم و معنى وجهى هنا نفسى و اضاف الاسلام الى الوجه لان وجه الشئ اشرف ما فيه لانه يجمع الحواس و عليه تظهر اية الحزن و السرور فمن اسلم وجهه فقد اسلم كله و منه قوله كل شئ هالك الا وجهه و من اتبعن يعنى من اقتدى بى فى الدين من المسلمين فقد اسلموا ايضا كما اسلمت و قل يا محمد للذين اوتوا الكتاب يعنى اليهود و النصارى و الاميين اى الذين لا كتاب لهم عن ابن عباس و غيره و هم مشركوا العرب و قد مر تفسير الامى و اشتقاقه عند قوله و منهم اميون ءاسلمتم اى اخلصتم كما اخلصت لفظه لفظ الاستفهام و هو بمعنى التوقيف و التهديد فيكون متضمنا للامر فيكون معناه اسلموا فان الله تعالى ازاح العلل و اوضح السبل و نظيره فهل انتم منتهون اى انتهوا و هذا كما يقول الانسان لغيره و قد وعظه بمواعظ اقبلت وعظى يدعوه بذلك الى قبول الوعظ فان اسلموا فقد اهتدوا الى طريق الحق و ان تولوا اى كفروا و لم يقبلوا و اعرضوا عنه فانما عليك البلاغ و الله بصير بالعباد و معناه هاهنا انه لا يفوته شئ من اعمالهم التى يجازيهم بها لانه بصير بهم اى عالم بهم و بسرائرهم لا يخفى عليه خافية و قيل معناه عالم بما يكون منك فى التبليغ و منهم فى الايمان و الكفر **قوله عز و جل ان الذين يكفرون بايات الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا و الاخرة و ما لهم من ناصرين ايتان القراءة** قرا حمزة يقاتلون بالالف و قيل انما قراها اتباعا لمصحف عبد الله و قاتلوا الذين يامرون و الباقون يقتلون و هى القراءة الظاهرة **الاعراب** انما دخلت الفاء فى قوله فبشرهم بشبه الجزاء و انما يجوز ليت الذى يقوم فيكرمك و جاز ان الذى يقوم فيكرمك لان الذى انما دخلت الفاء فى خبرها لما فى الكلام من معنى الجزاء و ليت تبطل معنى الجزاء و ليس كذلك ان لانها بمنزلة الابتداء **المعنى** لما قدم تعالى ذكر الاحتجاج على اهل الكتاب و حسن الوعد لهم ان اسلموا و شدة الوعيد ان ابوا و ضل فى هذه الاية كفرهم فقال ان الذين يكفرون بايات الله اى يجحدون حجج الله و بيناته و يقتلون النبيين قيل هم اليهود فقد روى عن ابى عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف او نهى عن منكر ثم قرا عليه السلم و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة و اربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة رجل و اثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف و نهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار فى ذلك اليوم و هو الذى ذكره الله تعالى فبشرهم بعذاب اليم اى اخبرهم بان لهم العذاب الاليم و انما قال بشرهم على طريق الاتساع و الاستعارة و البشارة تكون فى الخير دون الشر

النصارى وهم

معناه فانما عليك ان تبلغ وتقيم الحجة وليس عليك ان لا يتولوا

لان فيه

لان ذلك لهم مكان البشارة للمؤمنين ولانها ماخوذة من البشرة وبشرة الوجه تتغير بالسرور فى الخير وبالغم فى الشر ويقال كيف قال فبشرهم
وانما قتل الانبياء اسلافهم فالجواب لانهم رضوا بافعالهم واقتدوا بهم فاجملوا معهم وقيل معناه بشر هؤلاء بالعذاب الاليم لاسلافهم
وقوله بغير حق لايدل على ان فى قتل النبيين ما هو حق بل المراد بذلك ان قتلهم لايكون الا بغير حق كقوله ومن يدع مع الله الها اخر
لا برهان له به والمراد بذلك تاكيد النفى والمبالغة فيه كما يقال فلان لايرجى خيره والغرض فى ذلك انه لاخير عنده على وجه من
الوجوه وكما قال ابو ذويب متعلق انساءه وهاعن فاني كالقرط صاو غبره لايرضع اى ليس له بقية لبن فيرضع وعلى هذا فقد وصف
القتل بما لابد ان يكون عليه من الصفة وهو وقوعه على خلاف الحق وكذلك الدعاء فى قوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان
له به وصفه بانه لايكون الا من غير برهان وقد استدل على بن عيسى بهذه الاية على جواز انكار المنكر مع خوف القتل وبالخبر
الذى رواه الحسن عن النبى عليه السلم انه قال افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جاير يقتل عليه وهذا فيه نظر لان من شرط حسن
انكار المنكر ان لايكون فيه مفسدة ومتى ادى الى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحا والوجه فى الاية والاخبار التى جاءت
فى معناها ان يغلب على الظن ان انكار المنكر لايودى الى مفسدة فيحسن ذلك بل يجب وان يعقبه القتل لانه ليس من شرطه ان يعلم
ذلك بل يكفى فيه غلبة الظن اولئك الذين كفروا بايات الله وقتلوا الانبيا والامرين بالمعروف حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة
يريد باعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتورية واقامة شريعة موسى واراد ببطلانها فى الدنيا انها لم تحقن دماهم
واموالهم ولم ينالوا بها الثناء والمدح وفى الاخرة انهم لم يستحقوا بها مثوبة فصارت كانها لم تكن لان حبوط العمل عبارة عن وقوعه
على خلاف الوجه الذى لايستحق عليه الثواب والاجر ولا المدح وحسن الذكر وانما يحبط الطاعة حتى يصير كانها لم تفعل اذا
وقعت على خلاف الوجه المامور به وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب ٥ قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن
تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون اللغة النصيب الحظ من الشئ وهو القسم
المجعول لمن اضيف اليه والدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغة الامر وبالخبر وبالدلالة والحكم الخبر الذى يفصل الحق
من الباطل ماخوذ من الحكمة وهى المنع والغرور الاطماع فيما لايصح غره يغره غرورا فهو مغرور والغرور الشيطان لانه يغر
الناس والغار الغافل لانه كالمغتر والغرارة الدنيا تغر اهلها والغر الغمر الذى لم يجرب الامور لان من شانه ان يقبل
الغرور والغرور الحظر اخذ منه والغر اثار طى الثوب اطوه على غره اى على اثار طيه والغرز زق الطاير فرخه والافتراء الكذب
وفرى فلان كذبا يفريه فرية والفرى الشق وفرية مفرية اى مشقوقة وقد تفرى خرزها اى تشقق وفريت الاديم
وقطعتها الاعراب يدعون جملة فى موضع الحال من اوتوا يتولى فريق جملة معطوفة على يدعون وهم معرضون فى موضع
نصب ايضا على الحال من يتولى اياما نصب على الظرف لان مس النار يكون فى تلك الايام ومعدودات صفة للايام المعنى
لما قدم سبحانه ذكر الحجاج بين انهم اذا اعضتهم الحجة فزعوا الى الضجة واعرضوا عن المحجة فقال الم تر معناه الم ينته علمك الى
الذين اوتوا اى اعطوا نصيبا اى حظا من الكتاب تدعون الى كتاب الله اختلف فيه فقيل معناه التورية عن ابن عباس
دعى اليها اليهود فابوا لعلمهم بلزوم الحجة لهم لما فيه من الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وصدقه وانما قال اعطوا نصيبا
من الكتاب لانهم كانوا يعلمون بعض ما فيه وقيل معناه القران عن الحسن وقتادة دعوا الى القران لان ما فيه موافق لما فى
التورية من اصول الديانة واركان الشريعة وفى الصفة التى تقدمت البشارة بها ليحكم بينهم يحتمل ثلاثة اشياء احدها ان معناه
ليحكم بينهم فى نبوة النبى صلى الله عليه وآله عن ابى مسلم وجماعة والثانى ان معناه ليحكم بينهم فى امر ابرهيم عليه السلم وان دينه الاسلام
والثالث ان معناه ليحكم بينهم فى امر الرجم فقد روى عن ابن عباس ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكانا ذوى شرف
فيهم وكان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما ورجوا ان يكون عند رسول الله رخصة فى امرهما فرفعوا امرهما الى رسول الله
صلى الله عليه وآله فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمن بن اوفى وبحرى بن عمرو جرت علينا يا محمد ليس عليهما الرجم فقال لهم رسول الله

صلى الله عليه وآله بينى وبينكم التورية قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتورية قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا
فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبرئيل قد وصفه لرسول الله فقال له رسول الله انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم
اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله بشئ من التورية فيها الرجم مكتوب فقال له اقرا فلما اتى على اية الرجم وضع كفه
عليها وقرا ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام الى ابن صوريا ورفع كفه عنها ثم قرا على رسول
الله وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت المراة حبلى تربص بها حتى تضع ما فى بطنها
فامر رسول الله باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فنزلت هذه الاية ثم يتولى فريق منهم اى طايفة منهم عن الداعى وهم
معرضون عن اتباع الحق ذلك معناه شانهم ذلك فهو خبر مبتداء محذوف قال الله تعالى بين العلة فى اعراضهم عنه مع معرفتهم به
والسبب الذى جراهم على الجحد والانكار بانهم قالوا لن تمسنا النار اى لن تصيبنا النار الا اياما معدودات وفيه قولان احدهما
انها الايام التى عبدوا فيها العجل وهى اربعون يوما عن الربيع وقتادة والحسن الا ان الحسن قال هى سبعة ايام والثانى انهم
ارادوا اياما منقطعة عن الجبائى وغرهم فى دينهم اى اطمعهم فى غير مطمع ما كانوا يفترون اى فى دينهم افتراؤهم وكذبهم
واختلفوا فى الافتراء الذى غرهم على قولين احدهما قولهم نحن ابناء الله واحباؤه عن قتادة والاخر قولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودات عن مجاهد وهذا لايدل على خلاف ما ذهبنا اليه من جواز العفو واخراج المعاقبين من اهل الصلوة من النار لانا
نقول ان عقاب من ثبت دوام ثوابه يجب ان لايكون الا منقطعا وان لم نحط علما بمقداره ولا نقول ايام عقابه بعدد ايام عصيانه
كما قالوه وبين القولين بون ظاهر ٥ قوله عز وجل فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون اية الاعراب كيف موضوعة للسؤال عن الحال ومعناه هاهنا التنبيه بصيغة السؤال عن حال من يساق الى النار وفيه
بلاغة واختصار شديد لان تقديره اى حال يكون حال من اغتر بالدعاوى الباطلة حتى اداه ذلك الى الخلود فى العقوبة
ونظيره قول القايل انا اكرمك وان لم تجيئنى فكيف اذا جئتنى معناه فكيف اكرامى لك اذا جئتنى يريد عظم الاكرام والتقدير
فكيف حالهم اذا جمعناهم لانه خبر مبتداء محذوف للعلم به المعنى ثم اكد تعالى ما تقدم فقال فكيف اذا جمعناهم اى فى وقت جمعهم وحشرهم
ليوم اى لجزاء يوم لا ريب فيه لاشك فيه لمن نظر فى الادلة اوليس به موضع ريبة وشك ولو قال جمعناهم فى يوم لم يدل على
الجزاء واللام يدل على ذلك كما يقال جئته ليوم الخميس اى لما يكون فى يوم الخميس ولايعطى جئته فى يوم الخميس هذا المعنى ووفيت
كل نفس ما كسبت فيه قولان احدهما ان معناه وفر على كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب وعقاب والثانى اعطيت ما كسبت اى جزاء
عملها من الثواب والعقاب كما يقال كسب فلان المال بالتجارة والزراعة وهم لا يظلمون اى لاينقصون عما استحقوه من الثواب
ولا يزادون على ما استحقوه من العقاب ٥ قوله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج
النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ايتان فضلهما
روى جعفر بن محمد عن ابيه عن ابائه عن النبى عليه السلم قال لما اراد الله عز وجل ان ينزل فاتحة الكتاب واية الكرسى وشهد الله
وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله عز وجل حجاب وقلن يا رب تهبطنا دار الذنوب
والى من يعصيك ونحن معلقات بالطهور وبالقدس فقال سبحانه وعزتى وجلالى ما من عبد قراكن فى دبر كل صلوة مكتوبة
الا اسكنته حظيرة القدس على ما كان فيه والا نظرت اليه بعينى المكنونة فى كل يوم سبعين نظرة والا قضيت له فى كل يوم
سبعين حاجة ادناها المغفرة والا اعذته من كل عدو ونصرته عليه ولا يمنعه دخول الجنة الا ان يموت وقال معاذ بن جبل حبست
عن رسول الله يوما لم اصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما منعك عن صلوة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودى على
اوقية من تبر وكان على بابى يرصدنى فاشفقت ان يحبسنى دونك قال اتحب يا معاذ ان يقضى الله دينك قلت نعم يا رسول الله
قال قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى قوله بغير حساب رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما تعطى منهما ما تشاء وتمنع منهما ما تشاء

اقض عني فان كان عليك مثل الارض ذهبا لاداه الله عنك **القراءة** قرا حمزة والكسائي وحفص ويعقوب الميت بالتشديد والباقون بالتخفيف **الحجة** قال المبرد لا خلاف بين علماء اهل البصرة انهما سواء وانشد لابن الرعلاء الغساني ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء فجمع بين اللغتين وما مات وما الميت في هذا الباب يستويان في الاستعمال وقال بعضهم الميت بالتشديد الذي لم يمت بعد وبالتخفيف الذي قد مات والصحيح الاول الا ترى انه قد جاء ومنهل فيه الغراب ميت سقيت منه القوم واستقيت فهذا قد مات **اللغة** النزع قلع الشيء عن الشيء وقال نزع فلان الى اخواله اي نزع اليهم بالشبه فصار واحدا منهم لشبهه لهم والنزاع الحنين الى الشيء والنزوع عن الشيء الترك له والايلاج الادخال يقال اولجه فولج ولوجا وولجا والوليجة بطانة الرجل لانه يطلعه على دخلة امره والتولج كناس الظبي لانه يدخله والولج والوليجة شيء يكون بين يدي فناء القوم **الاعراب** اللهم بمعنى يا الله والميم المشددة عند سيبويه والخليل عوض من يا لان يا لا يوجد مع الميم في كلامهم فعلم ان الميم في اخر الكلمة بمنزلة يا في اولها والضمة التي في الهاء ضمة الاسم المنادى المفرد والميم مفتوحة لسكونها وسكون الميم التي قبلها وقال الفراء اصله يا الله ام بخير فالقيت الهمزة وطرحت حركتها على ما قبلها ومثله هلم انما اصله هل ام واعترض على قول الخليل بان الميم انما تزاد مخففة في مثل فم وابنم وبانها اجتمعت مع يا في قول الشاعر وما عليك ان تقولي كلما سبحت او صليت يا اللهما اردد علينا شيخنا مسلما قال علي بن عيسى هذا ليس بشيء لان الميم هنا عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن وضربتن كما كانت النون عوضا عن حرفين في قمتم وضربتموا فاما قمن وذهبن فالنون هناك عوض من حرف واحد واما البيت فانما جاز ذلك فيه لضرورة الشعر واما هلم فان الاصل فيه ان حرف التنبيه وهي ها دخلت على لم عند الخليل وقوله مالك الملك اكثر النحويين على انه منصوب بانه منادى مضاف قال الزجاج ويحتمل ان يكون صفة من اللهم لان اللهم بمنزلة يا الله فيكون مثل قولك يا زيد ذا الجمة تؤتي الملك فعل وفاعل ومفعول في موضع النصب على الحال والعامل فيه حرف النداء وذو الحال اللهم او مالك ومن تشاء مفعول ثان والتقدير تؤتي الملك من تشاء ان تؤتيه وتنزع الملك من تشاء ان تنزع منه وكذا الباقي بيدك الخير مبتدا وخبر في موضع الحال ايضا والعامل فيه تؤتي وتنزع وتعز وتذل وذو الحال الضمير المستكن فيها **النزول** قيل لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة ووعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم الم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس فنزلت هذه الاية عن ابن عباس وانس بن مالك وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال النبي عليه السلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بجب ذي ناب اخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى رسول الله واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها فان المعدل قريب واما ان يامرنا فيه بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك قال فهبط رسول الله صلى الله عليه وآله مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله المعول من يد سلمان فضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها عليه وآله السلم حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله السلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانية وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبير فتح وكبر المسلمون واخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول الله لقد رايت شيئا ما رايت منك قط فالتفت رسول الله الى القوم وقال رايتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رايتم اضاءت لي قصور الحيرة ومداين كسرى كانها انياب الكلاب فاخبرني جبرئيل

ان امتي

ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق لي الذي رايتم اضاءت لي قصور الحمر من ارض الروم كانها انياب الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق لي الذي رايتم اضاءت لي قصور صنعاء كانها انياب الكلاب واخبرني جبرئيل ان امتي ظاهرة عليها فابشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فانزل الله تعالى في هذه القصة قل اللهم مالك الملك الاية رواه الثعلبي باسناده عن عمرو بن عوف **المعنى** لما ذكر مكايد اهل الكتاب علم رسوله كيف يحاجهم وكيف يجيبهم اذا سالوا واجابوا فقال قل يا محمد اللهم يا الله مالك الملك مالك كل ملك وملك فكل مالك دونك هالك وكل ملك دونك يهلك وقيل مالك العباد وما ملكوا عن الزجاج وقيل مالك امر الدنيا والاخرة وقيل مالك النبوة عن مجاهد وسعيد بن جبير تؤتي الملك من تشاء تعطي الملك من تشاء وفيه محذوف اي من تشاء ان تؤتيه وتنزع الملك ممن تشاء ان تنزعه منه كما تقول خذ ما شئت ودع ما شئت ومعناه وتقطع الملك عمن تشاء ان تقطعه عنه على ما توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة واختلف في معناه فقيل تؤتي الملك واسباب الدنيا محمدا واصحابه وامته وتنزعه من صناديد قريش ومن الروم وفارس فلا يقوم الساعة حتى يفتحها اهل الاسلام عن الكلبي وقيل تؤتي النبوة والامامة من تشاء من عبادك وتوليه التصرف في خلقك وبلادك وتنزع الملك على هذا الوجه من الجبابرة بقهرهم وازالة ايديهم فان الكافر او الفاسق وان غلب او ملك فليس ذلك عليك يؤتيه الله لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين وكيف يكون ذلك من ايتاء الله وقد امر بقصر يده عنه وازالة ملكه وتعز من تشاء بالايمان والطاعة وتذل من تشاء بالكفر والمعاصي وقيل تعز المؤمن بتعظيمه والثناء عليه وتذل الكافر بالجزية والسبي وقيل تعز محمدا واصحابه وتذل ابا جهل والمقتولين يوم بدر في القليب وقيل تعز من تشاء من اوليائك بانواع العز في الدنيا والدين وتذل من تشاء من اعدائك في الدنيا والاخرة لانه تعالى لا يذل اولياءه وان افقرهم وابتلاهم فان ذلك ليس على سبيل الاذلال بل ليكرمهم بذلك في الاخرة ويعزهم ويجلهم وغاية الاعزاز والاجلال بيدك الخير اللام للجنس اي الخير كله في الدنيا والاخرة من قبلك وانما قال بيدك الخير وان كان بيده كل شيء من خير او شر لان الاية تضمنت ايجاب الرغبة اليه فلا يحسن في هذه الحالة الا ذكر الخير لان الترغيب لا يكون الا في الخير وهذا كما يقال امر فلان بيد فلان انك على كل شيء قدير اي قادر على جميع الاشياء لا يعجزك شيء تقدر على ايجاد المعدوم وافناء الموجود واعادة ما كان موجودا تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل قيل في معناه قولان احدهما ان معناه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار وينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين والاخر معناه تدخل احدهما في الاخر باتيانه بدلا منه في مكانه عن ابي علي الجبائي تخرج الحي من الميت اي من النطفة وهي ميتة بدليل قوله وكنتم امواتا فاحياكم وتخرج الميت من الحي اي النطفة من الحي وكذلك الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي وقيل ان معناه وتخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن عن الحسن وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وترزق من تشاء بغير حساب معناه بغير تقتير كما يقال فلان ينفق بغير حساب لان من عادة المقتر انه لا ينفق الا بحساب ذكره الزجاج وقيل معناه بغير مخافة نقصان لما عنده فانه لا نهاية لمقدوراته فما يؤخذ منها لا ينقصها ولا هو حساب جزء من كذا جزءا كما يعطي الواحد منا العشرة من المائة والمائة من الالف وقيل ان المراد بمن تشاء ان يرزقه اهل الجنة لانه يرزقهم رزقا لا يتناهى له الحساب ولا العدد لا لاحصاء من حيث انه لا نهاية له ويطابقه قوله فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب **قوله عز وجل لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير** **القراءة** قرا يعقوب وسهل تقية وهو قراءة الحسن ومجاهد والباقون تقاة وامال الكسائي تقاة وقرا نافع وحمزة بين التفخيم والامالة والباقون بالتفخيم **الحجة** الاجود في تقاة التفخيم من اجل الحرف المستعلي وهو القاف وانما جازت الامالة ليؤذن

ان الالف منقلبة عن الياء وتقاة وزنها فعلة نحو تؤدة وتخمة وهما جميعا مصدر اتقى تقاة وتقية واتقاء وتقوى واصلها وقاة الا ان الواو المضمومة ابدلت تاء استثقالا لها فانهم يفرون من ضمة الواو الى الهمزة والى التاء فاما التاء فلقربها من الواو مع انها من حروف الزيادة واما الهمزة فلانها نظيرتها في الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها اولا والتقية الاظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب للخوف على النفس **الاعراب** معنى من ابتداء الغاية من قوله من دون المؤمنين على تقدير لا تجعلوا ابتداء الولاية مكانا دون المؤمنين لان مكان المؤمن الاعلى ومكان الكافر الادون كما تقول زيد دونك ولست تريد ان زيدا في موضع مستفل وانه في موضع مرتفع لكن جعلت الشرف بمنزلة الارتفاع والخسة كالاستفال وقوله فليس من الله في شيء من في من الله يتعلق بمحذوف هو حال والعامل فيه ما يتعلق به في وتقديره فليس في شيء من الله فمن الله في موضع الصفة لشيء فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله ان تتقوا في محل الجر بباء محذوف او في محل النصب بحذف الباء على ما مر امثاله **المعنى** لما بين الله تعالى انه مالك الدنيا والآخرة والقادر على الاعزاز والاذلال نهى المؤمنين عن موالاة من لا اعزاز عندهم ولا اذلال من اعدائه ليكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه المؤمنين دون اعدائه الكافرين فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء اي لا ينبغي للمؤمنين ان يتخذوا الكافرين اولياء لنفوسهم وان يستعينوا بهم ويلتجئوا اليهم ويظهروا المحبة لهم كما قال في عدة مواضع من القرآن نحو قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية وقوله لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ولا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله من دون المؤمنين معناه يجب ان يكون الموالاة مع المؤمنين وهذا نهي عن موالاة الكفار ومعاونتهم على المؤمنين وقيل نهي عن ملاطفة الكفار عن ابن عباس والاولياء جمع الولي وهو الذي يلي امر من ارتضى فعله بالمعونة والنصرة ويجري على وجهين احدهما المعين بالنصرة والآخر المعان فقوله الله ولي الذين آمنوا معناه معينهم بنصرته ويقال المؤمن ولي الله اي معان بنصرة الله وقوله ومن يفعل ذلك معناه من اتخذ الكافرين اولياء من دون المؤمنين فليس من الله في شيء اي ليس هو من اولياء الله والله بريء منه وقيل ليس هو من ولاية الله في شيء وقيل ليس من دين الله في شيء ثم استثنى فقال الا ان تتقوا منهم تقاة والمعنى الا ان يكون الكفار غالبين والمؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن ان لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم فعند ذلك يجوز له اظهار مودتهم بلسانه ومداراتهم تقية منه ودفعا عن نفسه من غير ان يعتقد ذلك وفي هذه الآية دلالة على ان التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس وقال اصحابنا انها جائزة في الاحوال كلها عند الضرورة وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح وليس تجوز من الافعال في قتل المؤمن ولا فيما يعلم او يغلب على الظن انه استفساد في الدين قال المفيد رحمه الله انها قد تجب احيانا وتكون فرضا وتجوز احيانا من غير وجوب وتكون في وقت افضل من تركها وقد يكون تركها افضل وان كان فاعلها معذورا او معفوا عنه متفضلا عليه بترك اللوم عليها وقال الشيخ ابو جعفر رحمه الله ظاهر الروايات تدل على انها واجبة عند الخوف على النفس وقد روي رخصة في جواز الافصاح بالحق عنده روى الحسن ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من اصحاب رسول الله فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله فقال نعم ثم دعا بالآخر فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال افتشهد اني رسول الله فقال اني اصم قالها ثلاثا كل ذلك يجيبه بمثله فضرب عنقه فبلغ ذلك الى رسول الله فقال اما هذا المقتول فمضى على صدقه ويقينه واخذ بفضله فهنيئا له واما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه فعلى هذا يكون التقية رخصة والافصاح بالحق فضيلة وقوله ويحذركم الله نفسه يعني اياه فوضع نفسه مكان اياه ومعناه يحذركم الله عقابه على اتخاذ الكافرين اولياء وعلى ساير المعاصي وذكر نفسه لتحقيق الاضافة كما يقال احذر الاسد اي صولة الاسد وافتراسه دون عينه والى الله المصير معناه الى جزاء الله المرجع وقيل الى حكمه قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السماوات وما في الارض والله على كل شيء قدير **اللغة** الصدر معروف وهو اعلى مقدم كل شيء والصدر الانصراف عن الماء بعد الري والتصدير حزام الرحل لميله الى الصدر والصدار شبيه بالبقيرة تلبسها المرأة لانه قصير يغطي الصدر وما حاذاه **الاعراب** يعلمه الله جزم لانه جواب الشرط وان كان الله تعالى يعلمه كان او لم يكن ومعناه يعلمه كائنا ولا يصح وصفه بذلك قبل ان يكون ورفع ويعلم ما في السماوات على الاستئناف **المعنى** لما تقدم النهي عن اتخاذ الكفار اولياء خوفوا من الابطان بخلاف الاظهار فيما نهوا عنه فقال تعالى

قل يا محمد ان تخفوا اي تسروا ما في صدوركم يعني ما في قلوبكم وانما ذكر الصدر لانه محل القلب او تبدوه اي تظهروه يعلمه الله فلا يخفى عليه وهو مع ذلك يعلم ما في السماوات وما في الارض وانما قال ذلك ليذكر بمعلوماته على التفصيل فيتم التحذير اذ كان من يعلم ما في السماوات وما في الارض على التفصيل يعلم الضمير والله على كل شيء قدير فيقدر على اخذكم ومجازاتكم قوله عز وجل يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد **اللغة** الامد الغاية التي ينتهى اليها قال النابغة الا لمثلك او من انت سابقه سبق الجواد اذا استولى على الامد **الاعراب** في انتصاب يوم وجوه احدها انه منصوب بيحذركم اي يحذركم الله نفسه يوم تجد والثاني بالمصير تقديره الى الله المصير يوم تجد والثالث اذكر يوم تجد وقوله ما عملت ما ههنا بمعنى الذي لانه عمل فيها تجد وهي في موضع نصب ويحتمل ان يكون مع ما بعدها بمعنى المصدر وتقديره يوم تجد كل نفس عملها بمعنى جزاء عملها محضرا منصوب على الحال من تجد اذا جعلته من الوجدان فان جعلته من العلم فهو مفعول ثان وقوله ما عملت من سوء يصلح فيها معنى الذي ويقويه قوله تود بالرفع ولو كان بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحا او مكسورا والرفع جائز على ضعف واقول ان جواب لو ههنا محذوف وتقدير الكلام تود ان بينها وبينه امدا بعيدا لو ثبت ذلك لان لو يقتضي الفعل ولا يدخل على الاسم وان مع اسمه وخبره بمنزلة مصدر فيكون تقديره لو ثبت ان بينها وبينه امدا فيكون في ذكر فاعل الفعل المقدر بعد لو دلالة على مفعول تود المحذوف وفي لفظ تود دلالة على جواب لو هذا ما سنح لي الآن وهو واضح بحمد الله **المعنى** لما حذر العقاب في الآية المتقدمة بين وقت العقاب فقال يوم تجد كل نفس ما عملت في الدنيا من طاعة وخير محضرا ونظيره قوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وعلمت نفس ما احضرت ثم اختلف في كيفية وجود العمل محضرا فقيل تجد صحائف الحسنات والسيئات عن ابي مسلم وغيره وهو اختيار القاضي وقيل ترى جزاء عملها من الثواب والعقاب فاما اعمالهم فهي اعراض قد بطلت ولا تجوز عليها الاعادة فيستحيل ان ترى محضرة وما عملت من سوء معناه وتجد كل نفس الذي عملته من معصية محضرا تود لو ان بينها وبين معصيتها امدا بعيدا اي غاية بعيدة اي تود انها لم يكن فعلتها وقيل معناه مكانا بعيدا عن السدي وقيل ما بين المشرق والمغرب عن مقاتل ويحذركم الله نفسه مر ذكره والله رؤوف بالعباد اي رحيم بهم قال الحسن ومن تمام رأفته بهم ان حذرهم عقابه على معاصيه قوله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين آيتان **اللغة** المحبة هي الارادة الا انها تضاف الى المراد تارة والى متعلق المراد اخرى تقول احب زيدا واحب اكرام زيد ولا تقول في الارادة ذلك لانك تقول اريد اكرام زيد ولا تقول اريد زيدا وانما كان كذلك لقوة تصرف المحبة في موضع ميل الطباع الذي يجري مجرى الشهوة فعوملت تلك المعاملة في الاسم ومحبة الله تعالى للعبد هي ارادته ثوابه ومحبة العبد لله هي ارادته لطاعاته وقالوا احببت فلانا فهو محبوب استغنوا به عن محب كما استغنوا بأحببت عن حببت وقد قال عنترة ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم فجاء به على الاصل وحكى الزجاج عن السدي حببت من الكسائي وقوله ويغفر لكم لا يجوز في القياس ادغام الراء في اللام كما جاز ادغام اللام في الراء في رأيت لان الراء مكسورة ولا يدغم الزائد في الناقص للاخلال به والطاعة اتباع الداعي فيما دعا اليه بامره وارادته ولذلك قد يكون الانسان مطيعا للشيطان فيما يدعو اليه وان لم يقصد ان يطيعه لانه اذا امال معا لجته في نفسه من الدعاء الى المعصية فقد اطاع الداعي اليها **النزول** قال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت الآيتان في وفد نجران من النصارى لما قالوا انا نعظم المسيح حبا لله **المعنى** ثم بين تعالى ان الايمان به لا يجزي الا اذا قارنه الايمان فقال قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقيل معناه ان كنتم تحبون دين الله فاتبعوا ديني يزدد لكم حبا عن ابن عباس وقيل ان كنتم صادقين في دعوى محبة الله تعالى فاتبعوني فانكم ان فعلتم ذلك احبكم الله تعالى وغفر لكم والله غفور رحيم اي كثير المغفرة والرحمة قل اطيعوا الله والرسول اي قل يا محمد ان كنتم تحبون الله كما تدعون فاظهروا دلالة صدقكم بطاعة الله وطاعة رسوله فذلك امارة صدق الدعوى فان تولوا فان اعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله فان الله لا يحب الكافرين معناه انه يبغضهم ولا يريد ثوابهم فدل بالنفي على الاثبات وذلك ابلغ لانه لو قال يبغضهم لجاز ان يتوهم انه يبغضهم من وجه ويحبهم من وجه كما يجوز ان يعلم الشيء من وجه ويجهل من وجه وفي هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه اذا لم يحب الكافرين

من اجل كفرهم ولم يرد ثوابهم لذلك فلا يزيد اذن كفرهم لانه لو اراده لم يكن نفي محبته لهم لكفرهم ❊ قوله عز وجل ان الله اصطفى ادم و نوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ايات اللغة الاصطفى والاجتبا والاختيار نظاير وهو افتعل من الصفوة وهذا من حسن البيان الذي يمثل به المعلوم بالمرئي وذلك ان الصافي هو النقي من شايب الكدر فيما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من شايب الادناس وقد بينا معنى الال فيما مضى عند قوله واذ نجيناكم من ال فرعون ومعنى الذرية واصلها عند قوله ومن ذريتي الاعراب يحتمل نصب ذرية وجهين احدهما ان يكون حالا والعامل فيها اصطفى والثاني ان يكون على البدل من مفعول اصطفى ان الله اصطفى اي اختار واجتبا ادم ونوحا للنبوة وال ابرهيم وال عمران على عالمي زمانهم بان جعل الانبياء منهم وقيل اختار دينهم كقوله وسئل القرية عن الفرا وقيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوة وغيرها من الامور الجليلة التي بيّنها الله لهم لما في ذلك من مصالح الخلق وقيل اختار ادم بان خلقه من غير واسطة واسكنه جنته واسجد له ملايكته و ارسله الى الملايكة والانس واختار نوحا بالنبوة وطول العمر واجابة الدعاء وغرق قومه ونجاته في السفينة واختار ابرهيم بالخلة وتبريد النار واهلاك نمرود وقوله وال ابرهيم وال عمران قيل اراد نفس ابرهيم ونفس عمران كقوله وبقية مما ترك ال موسى وال هرون وقيل ال ابرهيم اولاده اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وفيهم داود وسليمان ويونس وذكريا ويحيى وعيسى وفيهم نبينا صلى الله عليه واله لانه من ولد اسمعيل وقيل ال ابرهيم هم المؤمنون المستمسكون بدينه وهو دين الاسلام عن ابن عباس والحسن واما ال عمران فقيل هم من ال ابرهيم ايضا كما قال ذرية بعضها من بعض فهم موسى وهرون ابنا عمران وهو عمران بن يصهر ابن فاهث بن لاوي بن يعقوب وقيل يعني ال عمران مريم وعيسى وهو عمران بن اشهم بن امون من ولد سليمان بن داود وهو ابو مريم لان الرجل البيت الذي ينسب اليه عن الحسن ووهب وفي قراءة اهل البيت عليهم السلام وال محمد على العالمين وقالوا ايضا ان ال ابرهيم هم ال محمد الذين هم اهله ويجب ان يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبايح لانه تعالى لا يختار ولا يصطفي الا من كان كذلك ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوما من ال ابرهيم وال عمران سواء كان نبيا او اماما ويقال الاصطفاء على وجهين احدهما انه اصطفاه لنفسه اي جعله خالصا له يختص به والثاني انه اصطفاه على غيره اي اختصه بالتفضيل على غيره وعلى هذا الوجه معنى الاية فان قيل كيف اختصهم الله بالتفضيل قبل العمل فالجواب انه اذا كان المعلوم ان صلاح المكلفين لا يتم الا بهم فلا بد من تقديم البشارة بهم والاخبار بما يكون من حسن شمايلهم وافعالهم والتشويق اليهم بما يكون من جلالة اقدارهم وزكاء اخلاقهم ليكون ذلك داعيا للناس الى القبول منهم والانقياد لهم وفي هذه الاية دلالة على تفضيل الانبياء على الملايكة عليهم اجمعين السلام لان العالمين يعم الملايكة وغيرهم من المخلوقين وقد فضلهم تعالى واختارهم على الكل وقوله ذرية اي اولادا واعقابا بعضها من بعض قيل معناه في التناصر في الدين من الاسلام اي دين بعضها من دين بعض كما قال والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي في التناصر والتعاضد على الضلال وهو قول الحسن وقتادة وقيل بعضها من بعض في التناسل والتوالد فانهم ذرية ادم ثم ذرية نوح ثم ذرية ابرهيم وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام لانه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض واختاره ابو علي الجبائي والله سميع عليم فيه قولان احدهما ان معناه سميع لما يقوله الذرية عليم بما يضمرونه فلذلك فضلهم على غيرهم لما في معلومه من استقامتهم في اقوالهم وافعالهم والثاني ان معناه سميع لما تقوله امراة عمران من النذر عليم بما تضمره ونبه بذلك على استحسان ذلك منها النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما وقعت المنازعة في ابرهيم وعيسى واختلفت اقوال اليهود والنصارى فيهما بين تعالى ان من اطاع الرسول عليه السلام قال فيهما ما يقوله هو وقيل انه لما امر بطاعة نبيه عليه السلام وابى ذلك المشركون بين تعالى انه كما اصطفاه لرسالته اصطفى من قبله من الانبياء فلا وجه لانكارهم رسالته قوله عز وجل اذ قالت امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ايات القراءة قرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب بما وضعت بضم التاء وروي عن علي عليه السلام وقرا الباقون وضعت على الحكاية الحجة من قرا بضم التاء جعله من كلام ام مريم ومن قرا باسكان التاء جعل ذلك من

قول الله سبحانه ويقوي قول من اسكن التاء وقوله والله اعلم ولو كان من قول ام مريم لقالت وانت اعلم بما وضعت لانها تخاطب الله تعالى اللغة معنى المحرر في اللغة يحتمل امرين احدهما المعتق من الحرية يقال حررته تحريرا اي اعتقته اي جعلته حرا والاخر من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب اي اخلصته من الفساد واصلحته والتقبل اخذ الشيء على الرضاء به كتقبل الهدية واصل التقبل المقابلة واصل الوضع الحط ووضعت الولد بمعنى ولدت والموضع مكان الوضع والضعة الخساسة لانها تضع من قدر صاحبها والايضاع في السير الرفق فيه لانه حط عن شدة الاسراع والشيطان الرجيم مر تفسيرهما في اول الكتاب الاعراب في موضع اذ قالت اقوال احدها انه نصب باذكر عن الاخفش والمبرد والثاني انه متعلق باصطفى ال عمران عن الزجاج والثالث انه يتعلق بسميع عليم فيعمل فيه معنى الصفتين وتقديره والله مدرك لنيتها وقولها اذ قالت عن علي بن عيسى والرابع انه اذ زايدة فلا موضع لها من الاعراب عن ابي عبيدة وهذا خطاء عند البصريين ومحررا نصب على الحال من ما وتقديره نذرت لك الذي في بطني محررا والعامل فيه نذرت وقوله انثى نصب على الحال المعنى لما ذكر سبحانه اصطفاء ال عمران عقبه بذكر مريم بنت عمران وقال اذ قالت امراة عمران وقد مضى القول فيه واسمها حنة جدة عيسى وكانتا اختين عند عمران بن اشهم من ولد سليمان بن داود وقيل هو عمران بن ماثان عن ابن عباس ومقاتل وليس بعمران ابي موسى عليهما السلام وبينهما الف وثمانماية سنة وكان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل والاخرى كانت عند ذكريا عليه السلام واسمها اشياع واسم ابيها فاقود بن قبيل فيحيى ومريم ابنا خالة رب اني نذرت لك ما في بطني اي اوجبت لك ما في بطني بان اجعل ما في بطني محررا اي خادما للبيعة تخدم في متعبداتنا عن مجاهد وقيل محررا للعبادة مخلصا لها عن الشعبي وقيل عتيقا خالصا لطاعتك لا استعمله في منافعي ولا اصرفه في الحوايج عن محمد بن جعفر بن الزبير قالوا وكان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب ان يقيم فيه اقام وان احب ان يذهب ذهب حيث شاء قالوا وكانت حنة قد امسك عنها الولد حتى اسنت فبينا هي تحت شجرة اذ رات طايرا يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله تعالى ان يرزقها ولدا فحملت بمريم وروي عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله عز وجل اوحى الى عمران اني واهب لك ذكرا مباركا يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله تعالى وجاعله رسولا الى بني اسرائيل فحدث امراته حنة بذلك وهي ام مريم عليها السلام فلما حملت بها قالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني اي نذري وقبول رضاء انك انت السميع لما اقول العليم بما انوي فلهذا بحث الثقة لي فلما وضعتها قيل ان عمران هلك وهي حامل فوضعت بعد ذلك يعني ولدت مريم وكانت ترجوا ان يكون غلاما فلما وضعت خجلت واستحيت وقالت منكسة راسها رب اني وضعتها انثى وقيل فيه قولان احدهما ان المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لانها انثى والاخر ان المراد تقديم الذكر في السؤال لها بانها انثى لان سعيها اضعف وعقلها انقص فقدم ذكرها ليصح القصد لها في السؤال بقولها واني اعيذها بك والله اعلم بما وضعت اخبار منه تعالى بانه اعلم بوضعها لانه هو الذي خلقها وصورها وعلى القراءة الاخرى وانت يا رب اعلم مني بما وضعت وليس الذكر كالانثى لانها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس وقال قتادة لم يكن التحرير الا في الغلمان فيما جرت به العادة وقيل ارادت ان الذكر افضل من الانثى على العموم واصلح للاشياء والهاء في قوله وضعتها كناية عن ما في قوله ما في بطني وجاز ذلك لوقوع ما على ما يؤنث ويحتمل ان يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام واني سميتها اي جعلت اسمها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة فيما قيل وكانت مريم افضل النساء في وقتها واجلهن وروى الثعلبي باسناده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه واله قال حسبك من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امراة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم خافت عليها ما يغلب من النساء من الافات فقالت ذلك وقيل انما استعاذت من طعنة الشيطان في جنبها التي لها يستهل الصبي صارخا فوقاها الله عز وجل وولدها عيسى منه بحجاب فقد روى ابو هريرة ان النبي عليه السلام قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها وقيل انما استعاذت من اغواء الشيطان الرجيم اياها عن الحسن ❊ قوله عز وجل فتقبلها ربها

بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب آية القراءة قرا اهل الكوفة وكفلها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرا اهل الكوفة الا ابا بكر زكريا مقصورا والباقون بالمد ونصب زكريا مع المد ابو بكر وحده والباقون بالرفع الحجة قال ابو على حجة من خفف كفلها قوله تعالى ايهم يكفل مريم وزكريا مرتفع لان الكفالة مسندة اليه ومن شدد كفلها فعلقها الضمير العايد الى ربها من قوله فتقبلها ربها من قوله فتقبلها وصار زكريا مفعولا بعد تضعيف العين والمد والقصر فى زكريا لغتان اللغة انما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لان فيه معنى قبلها كما يقال تكرم كرما لان فيه معنى كرم ومثله وانبتها نباتا حسنا لان فيه معنى فنبتت قال ابو عمرو لا نظير لقبول فى المصادر بفتح فاء الفعل والباب كله مضموم الفاء كالدخول والخروج وقال سيبويه جاء خمسة مصادر على فعول بالفتح قبول ووضوء وطهور وولوع ووقود الا ان الاكثر فى وقود الضم اذا اريد المصدر واجاز الزجاج فى قبول الضم والقبيل الكفيل وهو الضامن ويقال كفلته اكفله كفلا وكفولا وكفالة فانا كافل اذا تكفلت مؤنته ومنه الحديث وانت خير المكفولين اى احق من كفل فى صغره ورضع حتى نشا والمكفول عنه فى الفقه هو الذى عليه الدين والكفيل هو الذى ثبت عليه الدين والمحراب مقام الامام من المسجد واصله اكرم موضع فى المجلس واشرفه قال الزجاج هو المكان العالى الشريف قال ربة محراب اذا جيتها لم القها او ارقى سلما ويقال للمسجد ايضا محراب ومنه ما بناه من محاريب اى من مساجد وقيل انه اخذ من الحرب لانه يحارب فيه الشيطان المعنى فتقبلها ربها مع انوثتها ورضى بها فى النذر الذى نذرته محررة للعبادة فى بيت المقدس ولم يقبل قبلها انثى فى ذلك المعنى وقيل معناه تكفل بها فى تربيتها والقيام بشانها عن الحسن وقبوله اياها انه ما عمرها طرفة عين بل ساعة من ليل او نهار بقبول حسن اصله وهو بتقبل حسن ولكنه محمول على قوله فتقبلها فقبولا حسنا وقيل معناه سلك بها طريق السعداء عن ابن عباس وانبتها نباتا حسنا اى جعل نشوها نشوا حسنا وقيل سوى خلقها فكانت تنبت فى يوم ما تنبت غيرها فى عام عن ابن عباس وقيل انبتها فى رزقها وغذائها حتى تمت امراة بالغة تامة عن ابن جريج وقال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت النهار وقامت الليل وتبتلت حتى غلبت الاحبار وكفلها زكريا بالتشديد معناه ضمها الله عز اسمه الى زكريا وجعله كفيلها ليقوم بها وبالتخفيف معناه ضمها زكريا الى نفسه وضمن القيام بامرها قالوا ان ام مريم اتت بها ملفوفة فى خرقة الى المسجد وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندى فقالت له الاحبار انها لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فيكون عند من خرج سهمه فانطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلا الى نهر جار فالقوا اقلامهم فى الماء فارتفع قلم زكرياء فارتفع فوق الماء ورسبت اقلامهم عن ابن اسحق وجماعة وقيل بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كانه فى طين وجرت اقلامهم مع جرية الماء فذهب بها الماء عن السدى فسهمهم زكريا وقرعهم وكان راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله وكفلها زكريا وكان زكريا من ولد سليمن بن داود وفيه ثلث لغات المد والقصر وزكرى مشددا قالوا فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن اسحق ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد وجعل بابه فى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا يعنى وجد زكريا عندها فاكهة فى غير حينها فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف غضا طريا عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدى وقيل انها لم ترضع قط وانما كان ياتيها رزقها من الجنة عن الحسن قال يا مريم انى لك هذا يعنى قال لها زكريا كيف لك ومن اين لك هذا كالمتعجب منه قالت هو من عند الله اى من الجنة وهذه تكرمة من الله تعالى لها وان كان ذلك خارقا للعادة فان عندنا يجوز ان يظهر الايات الخارقة للعادة على غير الانبياء من الاولياء والاصفياء ومن منع من ذلك من المعتزلة قالوا فيه قولين احدهما ان ذلك كان تاسيسا لنبوة عيسى عليه السلم عن البلخى والاخر انه كان بدعاء زكريا عليه السلم لها بالرزق فى الجملة وكانت معجزة له عن الجبائى ان الله يرزق من يشاء بغير حساب قد مر تفسيره ووجه اتصاله بما تقدم ان يكون حكاية لقول مريم وعلى هذا يكون معنى قوله بغير حساب الا ستحقاق على العمل لانه تفضل يبتدئ الله به من يشاء من خلقه ويحتمل ان يكون اخبارا من الله تعالى على الاستيناف قوله عز وجل هنالك

والمكفول له هو الذى له الدين والمكفول به هو الدين

جواز ذكر معجزة زكريا بدفع الشبهة الامر عليه بمقدار

دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملئكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصلحين آيتان القراءة قرا اهل الكوفة عن عاصم فناديه الملئكة على التذكير والامالة الباقون فنادته الملئكة على التانيث وقرا ابن عامر وحمزة ان الله بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرا حمزة والكسائى يبشرك بفتح الياء والتخفيف والباقون بضم الياء والتشديد الحجة من قرا فنادته بالتاء فلموضع الجماعة كما تقول هى الرجال ومن قرا فناديه فعلى المعنى ومن فتح ان فكان المعنى فنادته بان الله فحذف الجار واوصل الفعل فان فى موضع نصب وعلى قياس قول الخليل فى موضع جر ومن كسر اضمر القول كانه نادته فقالت ان الله فحذف القول كما حذف فى قوله من كسر فى قوله فدعا ربه انى مغلوب فانتصر واضمار القول كثير واما نبشرك فقال ابو عبيدة يبشرك ويبشرك واحد اللغة الهبة تمليك الشئ من غير ثمن والسيد ماخوذ من السواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الاعظم وهو الشخص الذى تجب طاعته لله هذا اذا استعمل مضافا او مقيدا فاما اذا اطلق فلا ينبغى الا لله تعالى والحصور الممتنع عن الجماع ومنه قيل للذى يمتنع ان يخرج مع ندمائه شيئا للنفقة حصور قال الاخطل وشارب مربح بالكاس نادمنى لا بالحصور ولا فيها بسوار ويقال للذى يكتم سره حصور الاعراب هنالك الاصل فيه الظرف من المكان نحو رايته هنا وهناك وهنالك والفرق ان هنا للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما قال الزجاج ويستعمل فى الحال كقولك من ههنا قلت كذا اى من هذا الوجه وفيه معنى الاشارة كقولك ذا وذاك وزيدت اللام لتاكيد التعريف وكسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت فى ذلك وانما بنى لدن ولم يبن عند وان كان بمعناه لانه استبهم استبهام الحروف لانه لا يقع فى جواب اين كما يقع عند فى نحو قولهم اين زيد فيقال عندك ولا يقال لدنك وهو قايم جملة فى موضع الحال من الهاء فى فنادته وقوله يصلى فى المحراب جملة فى موضع الحال من الضمير فى قايم وقوله مصدقا نصب على الحال من يحيى وقوله من الصالحين من ههنا لتبيين الصفة وليس المراد به التبعيض لان النبى لا يكون الا صالحا المعنى هنالك اى عند ذلك الذى راى من فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف على خلاف ما جرت به العادة دعا زكريا ربه فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة اى طمع فى رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العادة قال ذلك وقوله طيبة اى مباركة عن السدى وقيل صالحة نقية العمل وانما انث طيبة وانما سال ولدا ذكرا على لفظ الذرية كما قال الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال انك سميع الدعاء معناه سامع الدعاء بمعنى قابل الدعاء ومجيب له ومنه قول القايل سمع الله لمن حمده اى قبل الله دعاءه وانما قيل السامع للقابل المجيب لان من كان اهلا ان يسمع منه فهو اهل ان يقبل منه ومن لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزلة ما لا يسمع فنادته الملايكة قيل ناداه جبرئيل عليه السلم عن السدى فعلى هذا يكون المعنى ان النداء اتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان فى السفن وانما ركب سفينة واحدة والمراد جاء النداء من جهة الملايكة وقيل نادته جماعة من الملايكة وهو قايم يصلى فى المحراب اى فى المسجد وقيل فى محراب المسجد ان الله يبشرك بيحيى سماه الله هذا الاسم قبل تولده واختلف فيه لم سمى يحيى فقيل لان الله احيا به عقر امه عن ابن عباس وقيل لان الله تعالى احياه بالايمان عن قتادة وقيل لان الله تعالى احيى قلبه بالنبوة ولم يسم قبله احد بيحيى مصدقا بكلمة من الله اى مصدقا بعيسى عليه السلم وعليه جميع المفسرين واهل التاويل الا ما حكى عن ابى عبيدة انه قال بكتاب من الله كما تقولون انشدت كلمة فلان اى قصيدته وان طالت وانما سمى المسيح كلمة الله لانه حصل بكلام الله من غير اب وقيل انما سمى به لان الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله كما سمى روح الله لان الناس كانوا يحيون به فى اديانهم كما يحيون بارواحهم وكان يحيى اكبر سنا من عيسى عليه السلم بستة اشهر وكلف التصديق به فكان اول من صدقه وشهد انه كلمة الله وروحه وكان ذلك احدى معجزات عيسى عليه السلم واقوى الاسباب لاظهار امره فان الناس كانوا يقبلون قول يحيى لمعرفتهم بصدقه وزهده وسيدا فى العلم والعبادة عن قتادة وقيل فى الحلم والتقى وحسن الخلق عن الضحاك وقيل كريما على ربه عن ابن عباس وقيل فقيها عالما عن سعيد بن المسيب وقيل مطيعا لربه عن سعيد بن جبير وقيل مطاعا عن الخليل وقيل سيد المؤمنين بالرياسة عليهم عن الجبائى والجميع يرجع الى اصل واحد وهو انه اهل لتمليكه تدبير من تجب عليه طاعته لما هو عليه من هذه الاحوال وحصورا

وهو الذى لا ياتى النساء عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروى عن ابى عبد الله ومعناه انه يحصر نفسه عن الشهوات اى
يمنعها وقيل الحصور الذى لا يدخل فى اللعب والاباطيل عن المبرد وقيل هو العنين عن ابن المسيب والضحاك وهذا لا يجوز على الانبياء عليهم السلم
لانه عيب وذم لان الكلام خرج مخرج المدح ونبيا من الصالحين اى رسولا شريفا رفيع المنزلة من جملة الانبياء لان الانبياء كلهم كانوا صالحين
وفى هذه الاية دلالة على ان زكريا طمع فى الولد لما راى تلك المعجزات وهو وان كان عالما بانه تعالى يقدر على ان يخلق الولد من العاقر فقد
كان يجوز ان لا يفعل ذلك لبعض التدبير فلما راى خرق العادة بخلق الفاكهة فى غير وقتها قوى ظنه فى انه يفعل ذلك اذا اقتضت المصلحة
كما ان ابرهيم عليه السلم وان كان عالما بانه تعالى يقدر على احياء الميت سال ذلك مشاهدة ليتاكد معرفته وفيها دلالة على ان الولد الصالح
نعمة من الله تعالى على العبد فلذلك بشره به ه قوله عز وجل قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامراتى عاقر
قال كذلك الله يفعل ما يشاء اية اللغة العاقر من الرجال الذى لا يولد له ومن النساء التى لا تلد عقرت تعقر عقرا فهى عاقر قال عبيد
اعاقر مثل ذات رحم ام غانم مثل من يخيب والعقر دية فرج اذا غصبت نفسها وبيضة العقر اخر بيضة والعقر محلة القوم والعقر اصل كل
شئ ويقال غلام بين الغلومة والغلومية وهو الشاب من الناس والغلمة والاغتلام شدة طلب النكاح وسمى الغلام غلاما لانه فى
حال يطلب فى مثلها النكاح والغيلم منبع الماء من الابار لانه طلب لظهوره المعنى قال زكريا يا رب لله عز وجل لا لجبرئيل انى يكون اى من
اين يكون وكيف يكون لى غلام اى ولد وقد بلغنى الكبر اى اصابنى الشيب ونالنى الهرم وانما جاز ان يقول بلغنى الكبر لان الكبر بمنزلة
الطالب له فهو ياتيه بحدوثه فيه والانسان ايضا ياتى الكبر بمرور السنين عليه ولو قلت بلغنى البلد بمعنى بلغت البلد لم يجز لان البلد لا
ياتيك اصلا وقال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن عشرين ومائة سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة وامراتى
عاقر اى عقيم لا تلد فان قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة وقد بشره الله تعالى بان يهب له ذرية طيبة بعد ان سال ذلك قيل انما قال
ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد ايعطيها الله اياه وهما على ما عليه من الشيب ام يصرفهما الى حال الشباب ثم يرزقهما الولد
عن الحسن ويحتمل ان يكون اشتبه الامر عليه ايعطيه الولد من امراته العجوز ام من امراة اخرى شابة فقال تعالى كذلك وتقديره كذلك
الامر الذى انتما عليه وعلى تلك الحالة الله يفعل ما يشاء معناه يرزقك الولد منها فانه هين عليه كما انشاكما ولم تكونا شيئا فانه تعالى
قادر يفعل ما يشاء وقيل فيه وجه اخر وهو انه انما قال ذلك على سبيل الاستعظام بمقدور الله والتعجب الذى يحصل للانسان عند ظهور
اية عظيمة كمن يقول لغيره كيف سمحت نفسك باخراج ذلك الملك النفيس من يدك تعجبا من جوده وقيل انه قال ذلك على وجه التعجب
من انه كيف اجابه الله تعالى الى مراده فيما دعا وكيف استحق ذلك ومن زعم انه انما قال ذلك للوسوسة التى خالطت قلبه من قبل الشيطان
اذ خيلت اليه ان النداء كان من غير الملئكة فقد اخطا لان الانبياء لا بد ان يعرفوا الفرق بين كلام الملك ووسوسة الشيطان ولا يجوز
ان يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الافهام ه قوله عز وجل قال رب اجعل لى اية قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا
واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار اية اللغة فى وزن اية ثلاثة اقوال احدها فعلة الا انه شذ من جهة اعلال العين
مع كون اللام حرف علة وانما القياس فى مثله اعلال اللام نحو حياة ونواة ونظيرها راية وغاية وطاية والثانى فعلة وتقديره ايية
انما قلبت كراهة التضعيف نحو طائى من طى والثالث فاعلة منقوصة قاله على بن عيسى وهذا ضعيف لان تصغيرها اييه ولو كانت
فاعلة لقالوا اوييه الا انه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمة والرمز الايماء بالشفتين وقد استعمل الايماء بالحاجب والعين واليد
قال جوية بن عائذ كان تكلم الابطال رمزا وغمغمة لهم مثل الهدير والعشى من حين زوال الشمس الى غروب الشمس فى قول مجاهد قال الشاعر
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفئ من برد العشى تذوق والعشاء من لدن غروب الشمس الى ان يولى صدر الليل والعشاء طعام
العشى والعشى مقصور ضعف العين واصل الباب الظلمة والابكار من حين طلوع الفجر الى وقت الضحى واصله التعجيل بالشئ يقال ابكر وبكر بكورا
ومنه الباكورة المعنى ثم سال الله زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امراته ليزيد فى العبادة شكرا وقيل ليتعجل السرور به عن الحسن فقال
رب اجعل لى اية اى علامة لوقت الحمل والولد فجعل الله تعالى تلك العلامة فى امساك لسانه عن الكلام الا ايماء من غير افة حدثت فيه
بقوله قال ايتك اى قال الله ويحتمل ان يكون المراد اذ قال جبرئيل ايتك اى علامتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا اى ايماء عن

قتادة وقيل الرمز تحريك الشفتين عن مجاهد وقيل اراد به صوم ثلثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لا يتكلمون الا رمزا عن عطا واذكر ربك
كثيرا يعنى فى هذه الايام الثلثة ومعناه انه لما منع من الكلام عرف انه لم يمنع من الذكر لله تعالى والتسبيح له وذلك ابلغ فى الاعجاز
وسبح اى نزه الله تعالى واراد التسبيح المعروف وقيل معناه صل يقال فرغت من سبحتى اى صلوتى بالعشى والابكار فى اخر النهار واوله
قوله عز وجل واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك
واسجدى واركعى مع الراكعين ايات المعنى قدم الله تعالى ذكر امراة عمران وفصل بنتها على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال
واذ قالت الملئكة اذ هذه معطوفة على اذ فى قوله اذ قالت امراة عمران او يكون معناه اذكر اذ قالت الملئكة وقيل يعنى جبرئيل وحده
ان الله اصطفاك اى اختارك والطف لك حتى تفرغت لعبادته واتباع مرضاته وقيل معناه اصطفاك لولادة المسيح عن الزجاج وطهرك
بالايمان عن الكفر وبالطاعة عن المعصية عن الحسن وسعيد بن جبير وقيل طهرك من الادناس والاقذار التى تعرض للنساء مثل الحيض
والنفاس حتى صرت صالحة لخدمة المسجد عن الزجاج وقيل طهرك عن الاخلاق الدنية والطبايع الردية واصطفاك على نساء العالمين
اى على نساء عالمى زمانك لان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه واله وعليها سيدة نساء العالمين وهو قول ابى جعفر عليه السلم وقد
روى عن النبى عليه السلم انه قال فضلت خديجة على نساء امتى كما فضلت مريم على نساء العالمين وقال ابو جعفر عليه السلم معنى الاية
اصطفاك من ذرية الانبياء وطهرك من السفاح واصطفاك بولادة عيسى من غير فحل وخرج بهذا من ان يكون تكريرا اذ يكون الاصطفاء
على معنيين مختلفين يا مريم اقنتى لربك اى اعبديه واخلصى له العبادة عن سعيد بن جبير وقيل معناه اديمى الطاعة له عن
قتادة وقيل اطيلى القيام فى الصلوة عن مجاهد واسجدى واركعى مع الراكعين كما يعمل الساجدون والراكعون لا ان يكون ذلك
امرا لها بان تعمل السجود والركوع معهم فى الجماعة وقدم السجود على الركوع لان الواو لا يوجب الترتيب فانها فى الاشياء المتغايرة
نظير التثنية فى المتماثلة وانما يوجب الجمع والاشتراك وقيل معناه فاسجدى لله شكرا واركعى اى وصلى مع المصلين وقيل
معناه صلى فى الجماعة عن الجبائى ه قوله عز وجل ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اية اللغة الانباء الاخبار الواحد نبأ والايحاء هو القاء المعنى الى الغير على وجه
يخفى والايحاء الارسال الى الانبياء تقول اوحى الله اليه اى ارسل اليه ملكا والايحاء الالهام ومنه قوله واوحى ربك الى
النحل وقوله بان ربك اوحى لها معناه القى اليها معنا ما اراد منها قال العجاج اوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات
الثبت والايحاء الايماء قال فاوحت الينا والانامل رسلها ومنه قوله فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اشار اليهم والوحى
الكتابة قال رؤبة لقدر كان وحاه الواحى وقال فى سور من ربنا موحية والقلم الذى يكتب به والقلم الذى يجال بين القوم
كل انسان وقلمه وهو القدح والقلم قص الظفر ومقالم الرمح كعوبه واصله قطع طرف الشئ الاعراب قال ابو على اذ فى قوله
اذ يلقون متعلق بكنت واذ فى قوله اذ قالت الملئكة بعد يختصمون متعلق بيختصمون ويجوز ايضا ان يكون متعلقا بكنت كانه
قال وما كنت لديهم اذ قالت الملئكة وهذا انما يجوز عندى اذا قدرت اذا الثانية بدلا من الاولى فان لم تقدره هذا التقدير لم
يجز وانما يجوز البدل فى هذا اذا كان وقت اختصامهم وقت قول الملئكة ليكون بدل المبدل منه فى المعنى المعنى ذلك
اشارة الى ما تقدم ذكره من حديث مريم وزكريا ويحيى من انباء الغيب اى من اخبار ما غاب عنك وعن قومك نوحيه اليك
اى نلقيه اليك معجزة لك وتذكيرا وتبصرة وموعظة وعبرة ووجه الاعجاز فيه ان ما غاب عن الانسان يمكن ان يحصل علمه
بدراسة الكتب او التعلم او الوحى والنبى عليه السلم لم يشاهد هذه القصص ولا قراها من الكتب ولا تعلمها اذ كان نشوه
بين اهل مكة ولم يكونوا اهل كتاب فوضح ان الله تعالى اوحى اليه بها وفى ذلك صحة نبوته وما كنت يا محمد لديهم عندهم اذ
يلقون اقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية فى الماء على ما تقدم ذكره قبل وقيل اقلامهم قداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات
يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة ايهم يكفل مريم وفيه حذف اى لينظروا ايهم تظهر قرعته ليكفل مريم وهذا تعجيب
من الله تعالى نبيه من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بامرها عن قتادة وقيل هو تعجيب من تدافعهم لكفالتها لشدة الازمة

حتى وفق لها خير الكفلاء زكريا عليه السلام وما كنت لديهم اذ يختصمون فيه دلالة على انهم قد بلغوا في التشاح عليها الى حد الخصومة
وفي وقت التشاح قولان احدهما حين ولادتها وحمل امها اياها الى الكنيسة تشاحوا في الذي يحضنها ويكفل تربيتها وهذا الاكثر وقال
بعضهم كان ذلك وقت كبرها وعجز زكريا عن تربيتها وفي هذه الاية دلالة على ان للقرعة مدخلا في تمييز الحقوق وقد قال الصادق عليه السلام
ما تقارع قوم فوضوا امورهم الى الله عز وجل الا خرج سهم المحق وقال اي قضية اعدل من القرعة اذا فوض الامر الى الله عز وجل اليس الله يقول
فساهم فكان من المدحضين وقال الباقر عليه السلام اول من سوهم عليه مريم بنت عمران ثم تلا وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم و
السهام ستة ثم استهموا في يونس عليه السلام ثم كان عبد المطلب ولد له تسعة بنين فنذر في العاشر ان رزقه الله غلاما ان يذبحه فلما ولد عبد الله
لم يقدر ان يذبحه ورسول الله صلى الله عليه وآله في صلبه فجاء بعشر من الابل فساهم عليها وعلى عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشرا فلم تزل السهام
تخرج على عبد الله ويزيد عشرا فلما ان خرجت مائة خرجت السهام على الابل فقال عبد المطلب ما انصفت ربي فاعاد السهام ثلثا فخرجت على الابل
فقال الان علمت ان ربي قد رضي فنحرها قوله عز وجل اذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم
وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين ايتان القراءة ذكرنا القراءة في يبشرك
والقول فيه اللغة المسيح فعيل بمعنى مفعول واصله انه مسح من الاقذار وطهر والمسيح ايضا الذي احد شقي وجهه ممسوح لا عين له
ولا حاجب ولذلك سمي الدجال به وقيل المسيح عيسى بفتح الميم والتخفيف وهو الصديق والمسيح في الدجال بكسر الميم وتشديد السين نحو
شرير عن ابرهيم النخعي وانكره غيره قال الشاعر اذا المسيح يقتل المسيحا والوجيه الكريم على من يساله فلا يرده لكرم وجهه عند خلاف من
يبذل وجهه للسائلة يقال وجه الرجل يوجه وجاهة وله وجاهة عند الناس وجاه اي منزلة رفيعة والكهل ما بين الشاب
والشيخ ومنه اكتهل النبت اذا طال وقوي والمراة كهلة قال الشاعر ولا اعود بعدها كريا امارس الكهلة والصبيا ومنه الكاهل
ما فوق الظهر الى ما يلي العنق وقيل الكهولة بلوغ اربع وثلثين سنة الاعراب وجيها منصوب على الحال المعنى يبشرك بهذا الولد وجيها
ويكلم في موضع النصب ايضا على الحال عطفا على وجيها وجائز ان تعطف بلفظ يفعل على فاعل لمضارعة يفعل فاعلا قال بات يغشيها بعضب
باتر يقصد في اسوقها وجائر اي قاصد في اسوقها وجائر وقوله كهلا حال من يكلمهم المعنى اذ قالت الملائكة قال ابن عباس يريد
جبرئيل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك يخبرك بما يسرك بكلمة منه فيه قولان احدهما انه المسيح عليه السلام سماه كلمة عن ابن عباس و
قتادة وجماعة من المفسرين وانما سمي بذلك لانه كان بكلمة من الله من غير والد وهو قوله كن فيكون يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله
الاية وقيل سمي بذلك لان الله بشر به في الكتب السالفة كما يقول الذي يخبرنا بالامر اذا خرج موافقا لامره قد جاء كلامي فمما جاء من
البشارة به في التورية اتانا الله من سينا فاشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وساعير هو الموضع الذي بعث منه عيسى
عليه السلام وقيل لان الله يهدي به كما يهدي بكلمته والقول الثاني ان الكلمة بمعنى البشارة كانه قال ببشارة منه ولد اسمه المسيح
والاول اقوى ويؤيده قوله انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وانما ذكر الضمير في اسمه وهو عائد
الى الكلمة لانه واقع على مذكر فذهب الى المعنى واختلف في انه لم سمي بالمسيح فقيل لانه مسح بالبركة واليمن عن الحسن وسعيد وقيل لانه
مسح بالتطهير من الذنوب وقيل لانه مسح بدهن زيت بورك فيه وكانت الانبياء يتمسح به عن الجبائي وقيل لانه مسحه جبرئيل بجناحه
وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان وقيل لانه كان يمسح راس اليتامى لله وقيل لانه كان يمسح عين الاعمى فيبصر عن الكلبي
وقيل لانه كان لا يمسح ذا عاهة بيده الا برأ عن ابن عباس في رواية عطا والضحاك وقال ابو عبيدة هو بالسريانية مشيحا فعربته
العرب عيسى بن مريم نسبه الى امه ردا على النصارى انه ابن الله وجيها ذا جاه وقدر وشرف في الدنيا والاخرة ومن المقربين الى
ثواب الله وكرامته ويكلم الناس في المهد اي صغيرا والمهد الموضع الذي مهد لنوم الصبي ويعني بكلامه في المهد قوله اني عبد الله آتاني
الكتاب الاية ووجه كلامه في المهد انه تبرئة لامه مما قذفت به وجلالة له بالمعجزة التي ظهرت فيه وكهلا اي ويكلمهم كهلا بالوحي
الذي ياتيه من الله اعلمها الله انه يبقى الى حال الكهولة وفي ذلك اعجاز لكون المخبر على وفق الخبر وقيل ان المراد به الرد على النصارى
بما كان فيه من التقلب في الاحوال لان ذلك مناف لصفة الاله ومن الصالحين اي ومن النبيين مثل ابرهيم وموسى وقيل ان المراد

بالاية

بالاية يكلمهم في المهد دعاء الى الله وكهلا بعد نزوله من السماء لقتل الدجال وذلك لانه رفع الى السماء وهو ابن ثلث وثلثين سنة وذلك
قبل الكهولة عن زيد بن اسلم وفي ظهور المعجزة في المهد قولان احدهما انها كانت مقرونة بنبوة المسيح لانه تعالى اكمل عقله في تلك الحال
وجعله نبيا واوحى اليه بما تكلم به عن الجبائي وقيل كان ذلك على التاسيس والارهاص لنبوته عن ابن الاخشيد ويجوز عندنا
الوجهان ويجوز ايضا ان يكون معجزة لمريم يدل على طهارتها وبراءة ساحتها اذ لا مانع من ذلك وقد دلت الادلة الواضحة على جوازه
وانما جحدت النصارى كلام المسيح في المهد مع كونه اية معجزة لان في ذلك ابطال مذهبهم لانه قال اني عبد الله وهذا ينافي قولهم انه ابن الله فاستمروا
على تكذيب من اخبر انه شاهده كذلك قوله عز وجل قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اية الاعراب فيكون ههنا لا يجوز فيه غير الرفع لانه لا يصلح ان يكون جوابا للامر الذي هو كن
لان الجواب يجب بوجوب الاول نحو ايتني فاكرمك وقم فاقوم معك ولا يجوز قم فيقوم لانه يكون على تقدير قم فانك ان تقم تقم وهذا لا معنى
له ويكون الوجه الرفع على الاخبار بانه سيقوم ويجوز في قوله ان يقول له كن فيكون النصب عطفا على يقول المعنى قالت مريم رب انى يكون لي
كيف يكون لي ولد ولم يمسسني بشر لم تقل ذلك استبعادا او استنكارا بل انما قالت استفهاما واستعظاما لقدرة الله تعالى لان في طبع
البشر التعجب مما خرج عن المعتاد وقيل انما قالت ذلك لتعلم ان الله تعالى يرزقها الولد وهي على حالتها لم يمسها بشر او يقدر لها زوجا
ثم يرزقها الولد على مجرى العادة قال كذلك الله يخلق ما يشاء اي يخلق ما يشاء مثل ذلك وهي حكاية ما قال لها الملك اي يرزقك
الولد وانت على هذه الحالة لم يمسك بشر اذا قضى امرا وقيل اذا قدر امرا فانما يقول له كن فيكون وقيل في معناه قولان احدهما
انه اخبار بسرعة حصول مراد الله تعالى في كل شيء اراد حصوله من غير مهلة ولا معاناة ولا تكلف سبب ولا اداة وانما كنى بهذا اللفظ
لانه لا يدخل في وهم العباد شيء اسرع من كن فيكون والاخر ان هذه كلمة جعلها الله تعالى علامة للملائكة فيما يريد احداثه و
ايجاده لما فيه من المصلحة والاعتبار وانما استعمل لفظ الامر فيما ليس بامر ههنا ليدل بذلك على ان فعله بمنزلة فعل المامور في انه
لا كلفة فيه على الامر قوله عز وجل ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل انى قد جئتكم باية
من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى
باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ايتان عد اهل الكوفة
والتورية والانجيل اية ولم يعدوا بني اسرائيل لتنكب الاستئناف بان المفتوحة وعد غيرهم بني اسرائيل ولم يعدوا الانجيل طلبوا
تمام صفة المسيح لان تقديره ومعلما ورسولا القراءة قرا اهل المدينة وعاصم ويعقوب وسهل ويعلمه بالياء والباقون بالنون
وقرا نافع اني اخلق بكسر الالف والباقون اني بالفتح وقرا اهل المدينة ويعقوب طائرا ومثله في المائدة وابو جعفر كهيئة الطائر
فيهما والباقون طيرا بغير الف الحجة من قرا يعلمه عطفه على قوله ان الله يبشرك ومن قرا ونعلمه جعله على نحو قد نبانا ومن فتح
اني اخلق جعلها بدلا من اية كانه قال جئتكم باني اخلق لكم ومن كسر احتمل وجهين احدهما الاستئناف وقطع الكلام مما قبله والاخر انه
فسر الاية بقوله اني اخلق كما فسر الوعد في قوله وعد الله الذين امنوا بقوله لهم مغفرة وفسر المثل في قوله كمثل ادم بقوله خلقه من
تراب وهذا الوجه احسن كانه في المعنى كمن فتح وابدل من اية ومن قرا طائرا اراد فيكون ما انفخ فيه او ما اخلقه طائرا فافرد
لذلك او اراد ان يكون كل واحد من ذلك طائرا كما قال فاجلدوهم ثمانين جلدة اي اجلدوا كل واحد منهم اللغة الحكمة والحكم
بمعنى ونظيره الذلة والذل الطين معروف وطينت الكتاب جعلت عليه طينا لاختمه به وطينت البيت تطيينا والهيئة الحال الظاهرة
هاء فلان يهاء هيئة والنفخ معروف نفخ ينفخ نفخا والنفاخة للماء والاكمه الذي يولد اعمى قال سويد بن ابي كاهل كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو
يلحي نفسه لما نزع والادخار الافتعال من الذخر وجوز النحويون تذخرون بالذال الاعراب موضع ويعلمه يحتمل ان يكون نصبا بالعطف
على وجيها ويحتمل ان لا يكون له موضع من الاعراب لانه عطف على جملة لا موضع لها وهي قوله كذلك الله يخلق ما يشاء وقيل هو عطف
على نوحيه اليك وهذا لا يجوز لانه يخرج عن معنى البشارة لمريم ورسولا نصب على تقدير ويجعله رسولا فحذف لدلالة البشارة عليه
ويجوز ان يكون نصبا على الحال عطفا على وجيها الا انه في ذلك الوقت يكون رسولا بل بمعنى انه يرسل رسولا وقال الزجاج المعنى

يكلمهم رسولا بانى قد جئتكم ولو قرئت بالكسر انى قد جئتكم لكان صوابا والمعنى تقول انى قد جئتكم وموضع انى اخلق يحتمل ان يكون خفضا ورفعا فالخفض على البدل من اية والرفع على ما ذكرناه قبل وما تاكلون جايز ان يكون ما هنا بمعنى الذى اى بما تاكلونه وما تدخرونه ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اى انبئكم باكلكم وادخاركم والاول اجود المعنى ويعلمه الكتاب اراد الكتابة عن ابن جريج قال اعطى الله عيسى تسعة اجزاء من الخط وساير الناس جزءا وقيل اراد به بعض الكتب التى انزلها الله على انبيائه سوى التورية والانجيل مثل الزبور وغيره عن ابى على الجبائى وهو اليق بالظاهر والحكمة اى الفقه وعلم الحلال والحرام عن ابن عباس كما روى عن النبى عليه واله السلام اوتيت القران ومثليه قال اراد به السنن وقيل اراد بذلك جميع ما علمه من امور الدين والتورية والانجيل ان قيل لم افردهما بالذكر مع دخولهما فى الحكمة قيل تنبيها على جلالة موقعهما كقوله وملئكته ورسله وجبرئيل وميكائيل وقطع ههنا قصة مريم وولادتها وياتى قصتها فى سورة مريم وابتداء بقصة عيسى عليه السلام ورسولا الى بنى اسرائيل وقد ذكرنا تقديره ومعناه يدل عليه انى قد جئتكم اى قال لهم وكلمهم لما بعث اليهم بانى قد جئتكم باية اى بدلالة وحجة من ربكم دالة على نبوتى ثم حذف الياء فوصل الفعل انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير معناه وهذه الاية انى اقدر لكم واصور لكم من الطين مثل صورة الطير فانفخ فيه اى فى الطير المقدر من الطين وقال فى موضع اخر فيها اى فى الهيئة المقدرة فيكون طيرا باذن الله تعالى وقدرته وقيل بامر الله تعالى وانما وصل قوله باذن الله بقوله فيكون طيرا دون ما قبله لان تصوير الطير على هيئة الطير والنفخ فيه مما يدخل تحت مقدور العباد فاما جعل الطين طيرا حتى يكون لحما ودما وخلق الحيوة فيه مما لا يقدر عليه غير الله تعالى وليس بفعل عيسى عليه السلام وفى التفسير انه صنع من الطين كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طائرا وابرئ الاكمه اى الذى ولد اعمى عن ابن عباس وقتادة وقيل هو الاعمى عن الحسن والسدى والابرص الذى به وضح قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى اليوم خمسون الفا من اطاق منهم ان يبلغه بلغه ومن لم يطق اتاه عيسى يمشى اليه وانما كان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان واحيى الموتى باذن الله انما اضاف الاحياء الى نفسه على وجه المجاز والتوسع ولان الله تعالى كان يحيى الموتى بدعائه وقيل انه احيا اربعة انفس عازر وكان صديقا له وكان قد مات منذ ثلثة ايام فقال لاخته انطلقى بنا الى قبره ثم قال اللهم رب السموات السبع ورب الارضين السبع انك ارسلتنى الى بنى اسرائيل ادعوهم الى دينك واخبرهم انى احيى الموتى فاحيى عازر قال فقام عازر من قبره وبقى وولد له وابن العجوز مر به ميتا على سريره فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع الى اهله وبقى وولد له وابنة العاشر قيل له احييها وقد ماتت امس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولدت وسام بن نوح دعا عليه السلام باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه فقال قد قامت القيمة قال لا ولكنى دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان وكان سام بن نوح قد عاش خمسماية سنة وهو شاب ثم قال له مت فقال بشرط ان يعيذنى الله من سكرات الموت فدعا الله تعالى ففعل وقال الكلبى كان عيسى عليه السلام يحيى الاموات بيا حى يا قيوم وانما خص عيسى عليه السلام بهذه المعجزات لان الغالب كان فى زمانه الطب فاراهم الله تعالى المعجزات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزة اظهر كما ان الغالب لما كان فى زمن موسى عليه السلام السحر اتاهم من جنس ذلك بما اعجزهم عن الاتيان بمثله وكان الغالب فى زمن نبينا صلى الله عليه واله البيان والبلاغة والفصاحة فاراهم الله تعالى المعجزة بالقران الذى بهرهم ما فيه من عجايب النظم وغرايب البيان ليكون ابلغ فى باب الاعجاز بان ياتى كلا من امم الانبياء بمثل ما هم عليه ويعجزون عن الاتيان بمثله اذ لو اتاهم بما لا يعرفونه لكان يجوز ان يخطر ببالهم ان ذلك مقدور للبشر غير انهم لا يهتدون اليه وانبئكم اى اخبركم بما تاكلون اى بالذى تاكلونه وما تدخرون كان يقول للرجل تغذيت بكذا وكذا او رفعت الى الليل كذا ان فى ذلك اى فيما ذكرت لكم لاية اى حجة ومعجزة ودلالة لكم ان كنتم مؤمنين بالله اذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة الا لمن امن بالله لان العلم بالمرسل لا بد ان يكون قبل العلم بالرسول وفى الاية دلالة على ان عيسى عليه السلام كان مبعوثا الى جميع بنى اسرائيل وقوله انى اخلق لكم يدل على ان العبد يحدث ويفعل ويخلق خلافا لقول المجبرة لكن الخالق على الاطلاق هو الله تعالى قوله عز وجل ومصدقا لما بين يدى من التورية ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ايتان اللغة الفرق

بين التصديق والتقليد ان التصديق لا يكون الا فيما تبرهن عند صاحبه والتقليد قد يكون فيما لم يتبرهن ولهذا لا نكون مقلدين للنبى صلى الله عليه واله وان كنا مصدقين له والاحلال هو الاطلاق فى الفعل بتحسينه والتحريم هو حظر الفعل بتقبيحه والاستقامة خلاف الاعوجاج الاعراب مصدقا نصب على الحال وتقديره وجئتكم مصدقا لان اول الكلام يدل عليه ونظيره جئته بما يحب ومعه فالله ولا يكون عطفا على وجيها ولا رسولا لقوله لما بين يدى ولم يقل لما بين يديه وقال ابو عبيدة اراد بقوله بعض الذى حرم كل الذى حرم عليكم واستشهد بقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يعتلق بعض النفوس حمامها قال معناه او يعتلق كل النفوس وانكر الزجاج ذلك وقال معناه او يعتلق نفسى حمامها وخطا ابو عبيدة من وجهين احدهما ان البعض لا يكون بمعنى الكل والثانى انه لا يجوز تحليل جميع المحرمات لانه يدخل الكذب والظلم والقتل فى ذلك المعنى ومصدقا لما بين يدى اى لما انزل قبلى من التورية وما فيه من البشارة بى ومن ارسل قبلى من الانبياء ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم هذا معطوف على معنى قوله مصدقا وتقديره ولاصدق ما بين يدى من التورية ولاحل لكم كما تقول جئته معتذرا ولاجتلب عطفه وقيل ان الذى احل لهم لحوم الابل والشروب وبعض الطيور والحيتان مما كان قد حرم على بنى اسرائيل عن قتادة والربيع وابن جريج ووهب وقيل احل لهم السبت عن الكلبى وجئتكم باية من ربكم اى بحجة تشهد بصدقى فاتقوا الله فى مخالفتى وتكذيبى واطيعون كما امركم الله تعالى به ان الله ربى وربكم اى مالكى ومالككم وانما قال ذلك ليكون حجة على النصارى فى قولهم المسيح ابن الله والمعنى لا تنسبونى اليه فانا عبد له كما انكم عبيد له فاعبدوه وحده هذا صراط مستقيم اى دين مستقيم اى عبادته دين مستقيم وقد استوفينا الكلام فى الرب والصراط المستقيم فى سورة الحمد قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ثلث ايات اللغة الاحساس الادراك بالحاسة والحس القتل لانه يحس بالهلاك والحس العطف لاحساس الرقة على صاحبه والانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف واصل الحوارى الحور وهو شدة البياض ومنه الحوارى من الطعام لشدة بياضه قال الحرث بن حلزة فقل للحواريات تبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح يعنى النساء لبياضهن والشاهد هو المخبر بالشىء عن مشاهدة هذا حقيقته وقد يتصرف فيه فيقال البرهان شاهد بحق اى هو بمنزلة المخبر به عن مشاهدة ويقال هذا شاهد اى معدل للشهادة والمكر الالتفاف ومنه قولهم لضرب من الشجر مكر لالتفافه والممكورة من النساء الملتفة الخلق وحد المكر خب يختدع به العبد لايقاعه فى الضر والفرق بين المكر والحيلة ان الحيلة قد يكون باظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد الى الاضرار بالعبد والمكر حيلة على العبد يوقعه فى مثل الوهق الاعراب قيل ان الى بمعنى مع كقولهم الذود الى الذود ابل اى مع الذود وقال الزجاج لا يجوز ان يقال ان بعض الحروف من حروف المعانى بمعنى الاخر وانما معنى هذا ان اللفظ لو عبر عنه بمع افاد هذا المعنى لا ان الى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد الى عمرو لم يجز ان يقول ذهب زيد مع عمرو لان الى غاية ومع تضم الشىء الى الشىء والحروف قد تتقارب فى الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغة ان معناهما واحد من ذلك قوله عز وجل ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولو كانت على ههنا لادت هذه الفائدة واصل فى انما هو للوعاء والظرفية واصل على لما علا الشىء فقولك التمر فى الجراب لو قلت على الجراب لم يصلح ولكن جاز فى جذوع النخل لان الجذع مشتمل على المصلوب لانه قد اخذ من اقطاره ولو قلت زيد على الجبل او فى الجبل يصلح لان الجبل قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه الحروف المعنى فلما احس اى وجد وقيل ابصر وراى ويقال علم عيسى منهم الكفر وانهم لا يزدادون الا اصرارا على الكفر بعد ظهور الايات والمعجزات امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال والتعرف عما فى اعتقادهم من نصرته فقال من انصارى الى الله وقيل انه لما عرف منهم العزم على قتله قال من انصارى الى الله وفيه اقوال احدها ان معناه من اعوانى على هؤلاء الكفار مع معونة الله عن السدى وابن جريج والثانى ان معناه من انصارى فى السبيل الى الله عن الحسن لانه دعاهم الى سبيل الله والثالث معناه من اعوانى على اقامة الدين المودى الى الله كقوله انى ذاهب الى ربى ومما يسال عن هذا ان عيسى انما بعث للوعظ دون الحرب فلم استنصر عليهم فيقال لهم للحماية من الكافرين الذين ارادوا قتله عند اظهار الدعوة عن الحسن ومجاهد وقيل ايضا يجوز ان يكون طلب النصرة للتمكين من اقامة الحجة وليميز الموافق من المخالف قال الحواريون واختلف فى سبب تسميتهم بذلك على اقوال اولها انهم سموا بذلك لنقاء ثيابهم عن سعيد بن جبير وثانيها انهم كانوا

قصارين يبيضون الثياب عن ابن ابي نجيح عن ابن ابي رطاه و ثالثها انهم كانوا صيادين يصيدون السمك عن ابن عباس والسدى
ورابعها انهم كانوا خاصة الانبياء عن قتادة والضحاك وهذا اوجه لانهم مدحوا بهذا الاسم كانه ذهب الى نقاء قلوبهم كنقاء
الثوب الابيض بالتحوير ويروى عن النبي عليه السلام انه قال الزبير ابن عمتى وحواريى من امتى وقال الحسن الحوارى الناصر والحواريون
الانصار وقال الكلبي وابو روق الحواريون اصفياء عيسى وكانوا اثنى عشر رجلا وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم
كانوا نورانيين عليهم اثر العبادة ونورها وحسنها كما قال سيماهم فى وجوههم من اثر السجود نحن انصار الله معناه نحن اعوان الله
على الكافرين من قومك اى اعوان رسول الله واعوان دين الله امنا بالله اى صدقنا انه واحد لا شريك له واشهد يا عيسى بانا مسلمون
اى كن شهيدا لنا عند الله اشهدوه على اسلامهم لان الانبياء شهداء الله على خلقه يوم القيامة كما قال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا ربنا
اى يا ربنا امنا بما انزلت على عيسى واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اى فى جملة الشاهدين بجميع ما انزلت لنفوز بما فازوا به وننال ما نالوا من كرامتك
وقيل معناه واجعلنا مع محمد وامته عن ابن عباس وقد سماهم الله شهداء بقوله ليكونوا شهداء على الناس اى من الشاهدين بالحق عندك هذا
كله حكاية قول الحواريين وروى انهم اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان او جبلا فيخرج
لكل انسان منهم رغيفين يأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان او جبلا فيخرج ماء فيشربون
قالوا يا روح الله من افضل منا اذا شئنا اطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد امنا بك واتبعناك قال افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه
فصاروا يغسلون الثياب بالكرى قوله ومكروا يعنى كفار بنى اسرائيل الذين عناهم بقوله فلما احس عيسى منهم الكفر ومعناه دبروا القتل على عيسى
عليه السلام ومكر الله اى جازاهم على مكرهم وسمى الجزاء على المكر مكرا كما قال الله يستهزئ بهم وجاء فى التفسير ان عيسى عليه السلام بعد اخراج
قومه اياه وامه من بين اظهرهم عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله وتواطؤا على الفتك به فذلك مكرهم به ومكر الله تعالى
بهم القاؤه الشبه على صاحبهم الذى اراد قتل عيسى حتى قتل وصلب ورفع عيسى الى السماء وقال ابن عباس لما اراد ملك بنى اسرائيل قتل عيسى
دخل خوخة وفيها كوة فرفعه جبرئيل من الكوة الى السماء فقال الملك لرجل منهم خبيث ادخل عليه فاقتله فدخل الخوخة فالقى الله عليه شبه عيسى
فخرج الى اصحابه يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه وظنوا انه عيسى وقال وهب اسروه ونصبوا خشبة ليصلبوه فاظلمت الارض وارسل
الله الملائكة فحالوا بينه وبينهم فاخذوا رجلا يقال له يهودا وهو الذى دلهم على المسيح وذلك ان عيسى عليه السلام جمع الحواريين تلك الليلة
واوصاهم ثم قال ليكفرن بى احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعنى بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين اليهم
وقال ما تجعلون لى ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عليه شبه عيسى لما دخل البيت ورفع عيسى
فاخذ فقال انا الذى دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى واتى على ذلك سبعة ايام قال الله
عز وجل لعيسى اهبط على مريم ثم لتجمع لك الحواريين وبثهم فى الارض دعاة فهبط عليها واشتعل الجبل نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الارض دعاة
ثم رفعه الله تعالى وتلك الليلة هى الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى
اليهم فذلك قوله عز وجل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اى افضل المعاونين وقيل انصف الماكرين واعدلهم لان مكرهم ظلم
ومكره عدل وانتصاف وانما اضاف الله تعالى المكر الى نفسه على مزاوجة الكلام كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم والثانى ليس باعتداء وانما هو جزاء وهذا احد وجوه البلاغة كالمجانسة والمطابقة والمقابلة فالمجانسة مثل قوله تقلب فيه القلوب
والمطابقة كقوله ماذا انزل ربكم قالوا خيرا بالنصب على مطابقة السؤال والمقابلة نحو قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ
باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
الاعراب العامل فى اذ قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال ويحتمل ان يكون تقديره ذاك اذ قال الله وتمثيله ذاك
واقع اذ قال الله ثم حذفت واقع وهو العامل فى اذ واقيمت اذ مقامه وعيسى فى موضع الضم لانه منادى مفرد معرفة لكن لا يبين فيه
الاعراب لانه منقوص وهو لا ينصرف لاجتماع العجمة والتعريف المعنى لما بين الله تعالى ما هم به قوم عيسى من المكر به وقتله عقبه بما انعم به

فتك به انتهز منه فرصة فقتله او جرحه مجاهرة اداعم (؟)

الكوة تفتح وتضم النقبة فى الحائط المصباح آتيز

الخوخة كوة تؤدى الضوء الى البيت ومخترق ما بين كل دارين

عليه من لطف التدبير وحسن التقدير فقال اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك قيل فى معناه اقوال احدها ان المراد انى قابضك برفعك
من الارض الى السماء من غير وفاة بموت عن الحسن وكعب وابن جريج وابن زيد والكلبي وغيرهم وعلى هذا يكون للمتوفى تاويلان احدهما انى رافعك
الى وافيا لم ينالوا منك شيئا من قولهم توفيت كذا واستوفيته اى اخذته تماما والاخر انى متسلمك من قولهم توفيت كذا اى تسلمته
وثانيها انى متوفيك وفاة نوم ورافعك الى فى النوم عن الربيع قال رفعه نائما ويدل عليه قوله هو الذى يتوفاكم بالليل اى ينيمكم لان
النوم اخو الموت وقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الاية وثالثها انى متوفيك وفاة موت عن ابن عباس ووهب
قالا اماته ثلث ساعات فاما النحويون فيقولون هو على التقديم والتاخير اى انى رافعك ومتوفيك لان الواو لا يوجب الترتيب بدلالة
قوله فكيف كان عذابى ونذر والنذر قبل العذاب بدلالة قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهذا مروى عن الضحاك ويدل عليه
ما روى عن النبي عليه السلام انه قال ان عيسى عليه السلام لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيمة وقد صح عنه صلى الله عليه واله انه قال كيف انتم
اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخارى ومسلم فى الصحيح فعلى هذا يكون تقديره انى قابضك بالموت بعد نزولك من السماء
وقوله ورافعك الى فيه قولان احدهما رافعك الى سمائى وسمى رفعه الى السماء رفعا اليه تفخيما لامر السماء ويعنى رافعك الى موضع
لا يكون عليك الا امرى والاخر ان معناه رافعك الى كرامتى كما قال حكاية عن ابرهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى الى حيث امرنى
ربى وسمى ذهابه الى الشام ذهابا الى ربه وقوله ومطهرك من الذين كفروا فيه قولان احدهما مطهرك باخراجك من بينهم وانجائك منهم
فانهم ارجاس جعل مقامه فيما بينهم كملاقاة النجاسة من حيث كان يحتاج الى مجاورتهم ومجالستهم والاخر ان تطهيره منعه من كفرهم بفعلهم
بالقتل الذى كانوا هموا به لان ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائى وقوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة معناه
وجاعل الذين امنوا فوق الذين كذبوا عليك وكذبوك فى العز والغلبة والظفر والنصرة وقيل فى البرهان والحجة والمعنى به النصارى
وقال ابن زيد ولهذا الاترى اليهود حيث كانوا اذلاء من النصارى ولهذا زال الملك عنهم وان كان ثابتا فى النصارى فى بلاد
الروم وغيرها فهم اعز منهم وفوقهم الى يوم القيمة وقال الجبائى فيه دلالة على انه لا يكون لليهود مملكة الى يوم القيمة كما للروم وقيل
المعنى به امة محمد صلى الله عليه واله وانما سماهم تبعا وان كانت لهم شريعة على حدة لانه وجد فيهم التبعية صورة ومعنى اما الصورة فانه
يقال فلان يتبع فلانا اذا جاء بعده واما المعنى فلان نبينا عليه السلام كان مصدقا بعيسى عليه السلام وبكتابه ويقال لمن يصدق غيره
انه يتبعه على ان شريعة نبينا وساير الانبياء عليه وعليهم السلام متحدة فى ابواب التوحيد فعلى هذا هو متبع له اذا كان معتقدا اعتقاده و
قائلا بقوله وهذا القول اوجه لان فيه ترغيبا فى الاسلام ودلالة على ان امة محمد يكونون ظاهرين الى يوم القيمة ولان من دعاه الها
لا يكون فى الحقيقة تابعا له ثم الى مرجعكم اى مصيركم فاحكم بينكم فاقضى بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر عيسى عليه السلام قوله عز وجل
فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم ثلث ايات القراءة قرا حفص و
رويس عن يعقوب فيوفيهم بالياء والباقون بالنون الحجة من قرا بالنون فهو مثل فاعذبهم وحسنه قوله ذلك نتلوه ومن قرا بالياء
فلان ذكر الله قد تقدم فى قوله اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك او صار من لفظ الخطاب الى الغيبة كقوله فاولئك هم المضعفون
بعد قوله وما اتيتم من زكوة الاعراب نتلوه عليك فى موضع رفع بانه خبر ذلك ويجوز ان يكون صلة لذلك ويكون ذلك بمعنى الذى
فعلى هذا لا موضع لقوله نتلوه وتقديره الذى نتلوه وقوله من الايات فى موضع رفع بانه خبره وانشدوا فى مثله عدس ما لعباد عليك
امارة امنت وهذا تحملين طليق تقديره والذى تحملين طليق المعنى فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والاخرة عذابهم
فى الدنيا اذلالهم بالقتل والاسر والسبى والخسف والجزية وكلما فعل بهم على وجه الاستخفاف والاهانة وفى الاخرة عقاب الابد
فى النار وما لهم من ناصرين اى اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اى يوفر عليهم و
يتمم اجورهم اى جزاء اعمالهم والله لا يحب الظالمين اى لا يريد تعظيمهم واثابتهم ولا يرحمهم ولا يثنى عليهم وهذه الاية حجة على من قال
بالاحباط لانه تعالى وعد بتوفية الاجر وهو الثواب والتوفية منافية للاحباط ذلك اشارة الى الاخبار عن عيسى وزكريا ويحيى

وغيرهم نتلوه عليك نقرأه عليك ونكلمك به وقيل نأمر جبرئيل ان يتلوه عليك عن الجبائي من الآيات اي من جملة الآيات والحجج الدالة على صدق نبوتك اذ اعلمتهم بما لا تعلمه الا قارئ كتاب او معلم ولست بواحد منهما فلم يبق الا انك قد عرفته من طريق الوحي والذكر الحكيم والقرآن المحكم وانما وصفه بانه حكيم لانه بما فيه من الحكمة كانه ينطق بالحكمة كما يسمى الدلالة دليلا لانها بما فيها من البيان كانها ينطق بالبيان والبرهان وان كان الدليل في الحقيقة هو الدال قوله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثلث آيات اللغة المثل ذكر سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول وتعالوا اصله من العلو يقال تعاليت تعالى اي جئت واصله المجيء الى ارتفاع الا انه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلم وقيل في الابتهال قولان احدهما بمعنى الالتعان وافتعل المعنى تفاعل كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا وبهله الله اي لعنه وعليه بهلة الله اي لعنة الله والآخر انه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لبيد نظر الدهر عليهم فابتهل اي دعا عليهم بالهلاك فالبهل كاللعن وهو المباعدة من رحمة الله عقابا على معصيته ولذلك لا يجوز ان يلعن من ليس بعاص من طفل او بهيمة او نحوهما الاعراب قوله خلقه من تراب لا موضع له من الاعراب لانه لا يصلح ان يكون صفة لآدم من حيث هو نكرة ولا يكون حالا لانه ماض فهو متصل في المعنى غير متصل في اللفظ لعلامة من علامات الاتصال فيكون رفع على تقدير فهو يكون والحق رفع لانه خبر مبتداء محذوف تقديره ذلك الاخبار في امر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لد لالة شاهد الحال عليه كما تقول الهلال والله اي هذا الهلال وقيل الحق مبتداء وخبره في قوله من ربك النزول قيل نزلت الآيات في وفد نجران العاقب والسيد ومن معهما قالوا لرسول الله هل رأيت ولدا من غير ذكر فنزلت ان مثل عيسى عند الله الآيات فقرأها عليهم عن ابن عباس وقتادة والحسن فلما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى المباهلة استنظروه الى صبيحة غد من يومهم ذلك فلما رجعوا الى رحالهم قال لهم الاسقف انظروا محمدا في غد فان غدا بولده واهله فاحذروا مباهلته وان غدا باصحابه فباهلوه فانه على غير شيء فلما كان من الغد جاء النبي عليه السلام آخذا بيد علي بن ابي طالب والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة تمشي خلفه وخرج النصارى يقدمهم اسقفهم فلما راى النبي صلى الله عليه وآله قد اقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه وزوج ابنته واحب الخلق اليه وهذان ابنا بنته من علي وهذه الجارية بنته فاطمة اعز الناس عليه واقربهم الى قلبه وتقدم رسول الله فجثا على ركبتيه فقال ابو حارثة الاسقف جثا والله كما جثا الانبياء للمباهلة فكع ولم يقدم على المباهلة فقال له السيد ادن يا ابا حارثة للمباهلة فقال لا اني ارى رجلا جريا على المباهلة وانا اخاف ان يكون صادقا ولئن كان صادقا لم يحل والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء فقال الاسقف يا ابا القسم انا لا نباهلك ولكن نصالحك فصالحنا على ما ننهض به فصالحهم رسول الله على الفي حلة من حلل الاواقي قيمة كل حلة اربعون درهما فما زاد او نقص فعلى حساب ذلك وعلى عارية ثلثين درعا وثلثين رمحا وثلثين فرسا ان كان في اليمن كيد ورسول الله ضامن حتى يؤديها وكتب لهم بذلك كتابا وروي ان الاسقف قال لهم اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا عن مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة وقال النبي صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي عليهم نارا ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلهم قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب الا يسيرا حتى رجعا الى النبي عليه السلام واهدى العاقب له حلة وعصا وقدحا ونعلين واسلما المعنى ثم رد الله سبحانه على النصارى قولهم في المسيح انه ابن الله فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي مثل عيسى في خلق الله اياه من غير اب كمثل آدم في خلق الله اياه من غير اب ولا ام فليس هو بابدع واعجب من ذلك فكيف انكروا هذا واقروا بذلك ثم بين كيفية خلقه فقال خلقه اي انشأه من تراب وهذا اخبار عن آدم عليه السلام ومعناه خلق عيسى من الريح ولم يخلق احدا قبله من الريح كما خلق آدم من التراب ولم يخلق قبله احدا من التراب ثم قال له اي لآدم وقيل لعيسى كن اي كن حيا بشرا سويا فيكون اي فكان في الحال على ما اراد وقد مر تفسير هذه الكلمة فيما قبل في سورة البقرة مشروحا وفي هذه الآية دلالة على صحة النظر والاستدلال لان الله تعالى احتج به على المشركين ودل على جواز خلق عيسى من غير اب بخلقه آدم من غير اب ولا ام الحق من ربك اي هذا هو الحق من ربك اضافه الى نفسه تاكيدا وتعليلا

اي هو الحق لانه من ربك فلا تكن ايها السامع من الممترين وقد مر تفسيره في سورة البقرة فمن حاجك معناه فمن جادلك وخاصمك يا محمد فيه اي في قصة عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البرهان الواضح على انه عبدي ورسولي عن قتادة وقيل معناه فمن حاجك في الحق والهاء فيه عائد الى قوله الحق من ربك فقل يا محمد لهؤلاء النصارى تعالوا اي هلموا الى حجة اخرى قاضية فاصلة تميز الصادق من الكاذب ندع ابناءنا وابناءكم اجمع المفسرون على ان المراد بابنائنا الحسن والحسين قال ابو بكر الرازي هذا يدل على ان الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وان ولد الابنة ابن على الحقيقة وقال ابن ابي علان وهو احد ائمة المعتزلة هذا يدل على ان الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال لان المباهلة لا تجوز الا مع البالغين وقال اصحابنا ان صغر السن ونقصانها عن حد بلوغ الحلم لا ينافي كمال العقل وانما جعل بلوغ الحلم حدا لتعلق الاحكام الشرعية وقد كانت سنهما عليهما السلام في تلك الحال سنا لا يمتنع معها ان يكونا كاملي العقل على ان عندنا يجوز ان يخرق الله العادات للائمة ويخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح ان كمال العقل غير معتاد في تلك السن لجاز ذلك فيهم ابانة لهم عمن سواهم ودلالة على مكانهم من الله تعالى واختصاصهم به ومما يؤيده من الاخبار قول النبي ابناي هذان امامان قاما او قعدا ونساءنا اتفقوا على ان المراد به فاطمة عليها السلام لانه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء ويعضده ما جاء في الخبر ان النبي عليه السلام قال فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها وقال عليه السلام ان الله يغضب لغضب فاطمة ويرضى لرضاها وقد صح عن حذيفة انه قال سمعت النبي عليه وآله السلام يقول اتاني ملك فبشرني ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة او نساء امتي وعن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت اسر النبي الى فاطمة شيئا فضحكت فسألتها فقالت قال لي الا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة او نساء المؤمنين فضحكت لذلك ونساءكم اي من شئتم من نسائكم وانفسنا يعني عليا عليه السلام خاصة ولا يجوز ان يكون المعني به النبي صلى الله عليه وآله لانه هو الداعي ولا يجوز ان يدعو الانسان نفسه وانما يصح ان يدعو غيره واذا كان قوله وانفسنا لا بد ان يكون اشارة الى غير الرسول وجب ان يكون اشارة الى علي عليه السلام لانه لا احد يدعي دخول غير امير المؤمنين علي وزوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة وهذا يدل على غاية الفضل وعلو الدرجة والبلوغ منه الى حيث لا يبلغه احد اذ جعله الله تعالى نفس الرسول صلى الله عليه وآله وهذا ما لا يدانيه فيه احد ولا يقاربه ومما يعضده من الروايات ما صح عن النبي عليه السلام انه سئل عن بعض اصحابه فقال له قائل فعلي فقال انما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي وقوله عليه السلام لبريدة الاسلمي يا بريدة لا تبغض عليا فانه مني وانا منه ان الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة وقوله عليه السلام باحد وقد ظهر من نكايته في المشركين ووقايته اياه بنفسه حين قال جبرئيل عليه السلام يا محمد ان هذه لهي المواساة فقال يا جبرئيل انه مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما وانفسكم يعني من شئتم من رجالكم ثم نبتهل اي نتضرع في الدعاء عن ابن عباس وقيل نلتعن فنقول لعن الله الكاذب فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا وفي هذه الآية دلالة على انهم علموا ان الحق مع النبي صلى الله عليه وآله لانهم امتنعوا من المباهلة واقروا بالذل والخزي وانقادوا لقبول الجزية فلو لم يعلموا ذلك لباهلوه وكان يظهر ما زعموا من بطلان قوله في الحال ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وآله متيقنا بنزول العقوبة بعدوه دونه لو باهلوه لما ادخل اولاده وخواص اهله في ذلك مع شدة اشفاقه عليهم قوله عز وجل ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين آيتان اللغة القصص القصة فعل بمعنى مفعول كالنفض والقبض والقصص جمع القصة فقال اقتصصت الحديث وقصصته قصا وقصصا رويته على جهته وهو من اقتصصت الاثر اي اتبعته ومنه اشتق القصاص والقصص الخبر الذي تتابع فيه المعاني والتولي عن الحق اعتقاد خلافه لانه كالادبار عنه بعد الاقبال عليه واصل التولي كون الشيء يلي غيره من غير فصل بينه وبينه والافساد ايقاع الشيء على خلاف ما توجبه الحكمة والفرق بين الفساد والقبح ان الفساد تغيير عن المقدار الذي تدعو اليه الحكمة وليس كذلك القبيح لانه ليس فيه معنى المقدار وانما هو ما تزجر عنه الحكمة كما ان الحسن ما تدعو اليه الحكمة الاعراب ما من اله الا الله دخلت من فيه لعموم النفي لكل اله غير الله وانما افادت من هذا المعنى لان اصلها لابتداء الغاية فدلت على استغراق النفي لابتداء الغاية الى انتهائها قوله لهو يجوز ان يكون هو فصلا ويسميه الكوفيون عمادا فلا يكون له موضع ويكون القصص خبر ان ويجوز ان يكون مبتداء والقصص خبره والجملة خبر ان المعنى ان هذا لهو القصص الحق اي هذا الذي اوحينا اليك في امر عيسى وغيره لهو الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح الامر فهو معاند وما من اله الا الله اي وما لكم احد يستحق

الطلاق اسم الالهية الا الله وان عيسى ليس باله كما زعموا وانما هو عبد الله ورسوله ولو قال ما اله الا الله بغير من لم يفد هذا المعنى فان الله لهو العزيز اى القادر على كمال الحكيم فى الاقوال والافعال والتقدير والتدبير فان تولوا اى فان اعرضوا عن اتباعك وتصديقك وعما اتيت به من الدلالات والبينات فان الله عليم بالمفسدين اى بمن يفسد من خلقه فيجازيهم على افسادهم وانما ذكر ذلك على جهة الوعيد والا فانه تعالى عليم بالمصلح والمفسد جميعا ونظيره قول القائل لغيره انا عالم بشرك وفسادك وقيل معناه انه عليم بهؤلاء المجادلين بغير حق وبانهم لا يقدمون على مباهلتك لمعرفتهم بنبوتك قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اية اللغة قال الزجاج معنى كلمة كلام فيه شرح قصة وان طال ولذلك يقول العرب للقصيدة كلمة يروى ان حسان بن ثابت كان اذا قيل له انشدنا كلمة الحويدرة يعنى قصيدته التى اولها بكرت سمية غدوة فتمتع ومعنى سواء اى عدل وسوى وسوى بمعناه قال زهير اروني خطة لا ضيم فيها يسوى بيننا فيها السواء فان ترك السواء فليس بيني وبينكم بنى حصن بقاء وقيل سواء مستو هو مصدر وضع موضع اسم الفاعل ومعناه الى كلمة مستوية وهو عند الزجاج اسم ليس بصفة وانما جر بتقدير ذات سواء وجوز نصبه على المصدر الاعراب موضع ان لا نعبد فيه وجهان احدهما ان يكون فى موضع جر على البدل من كلمة فكانه قال تعالوا الى ان لا نعبد الا الله والاخر ان يكون فى موضع رفع على تقدير هى ان لا نعبد ولو قرئ ان لا نعبد بالرفع كان ان هى المخففة من الثقيلة فكانه قال انه لا نعبد الا الله كقوله افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا وعلى هذا تثبت النون فى الخط وتكون ان من العوامل فى الاسماء وعلى الاول يكون من العوامل فى الافعال ولا تثبت النون فى الخط ولو قرئ ان لا نعبد الا الله بالاسكان فان مفسرة كالتى فى قوله ان امشوا ولا نعبد نهى النزول قيل فى سبب نزول الاية اقوال احدها انها نزلت فى نصارى نجران عن الحسن والسدى وابن زيد ومحمد بن جعفر بن الزبير وثانيها انها نزلت فى يهود المدينة عن قتادة والربيع وابن جريج وقد رواه اصحابنا ايضا وثالثها انها نزلت فى الفريقين من اهل الكتاب على الظاهر عن ابى على الجبائى وهذا اولى لعمومه المعنى لما تم الحجاج على القوم دعاهم تعالى الى التوحيد والى الاقتداء بمن اتفقوا انه كان على الحق فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب تعالوا اى هلموا الى كلمة سواء اى عادل لا ميل فيه وقيل معناه كلمة مستوية بيننا وبينكم فيها ترك العبادة لغير الله وهى ان لا نعبد الا الله لان العبادة لا تحق الا له ولا نشرك به فى العبادة شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اختلف فى معناه ولا يتخذ بعضنا عيسى ربا فانه كان بعض الناس وقيل ان معناه لا نتخذ الاحبار اربابا بان نطيعهم طاعة الارباب كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال ما عبدوهم من دون الله ولكنهم حرموا لهم حلالا واحلوا لهم حراما فكان ذلك اتخاذهم اربابا من دون الله وقد روى ايضا انه لما نزلت هذه الاية قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلم اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم فقال نعم فقال النبى عليه السلم هو ذاك فان تولوا اى اعرضوا عن الاقرار بالله بالعبودية وان احدا لا يستحق العبادة غيره فقولوا انتم ايها المسلمون مقابلة لاعراضهم عن الحق وتجديدا للاقرار ومخالفة لهم اشهدوا بانا مسلمون اى مخلصون مقرون بالتوحيد وقيل مستسلمون منقادون لما اتى به النبى صلى الله عليه واله والانبياء من الله وقيل مقيمون على الاسلام وهذا تاديب من الله لعبده المؤمن وتعليم له كيف يفعل عند اعراض المخالف بعد ظهور الحجة ليعلم المبطل ان مخالفته لا تؤثر فى حقه وليدل على ان الحق يجب اتباعه من غير اعتبار بالقلة والكثرة قوله تعالى يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون اية القراءة قرا اهل الكوفة ها انتم بالمد والهمز وقرا اهل المدينة وابو عمرو بغير همز ولا مد الا بقدر خروج الالف الساكنة وقرا ابن كثير ويعقوب بالهمز والقصر بغير مد فى وزن هعنتم وقرا ابن عامر بالمد دون الهمز الحجة الكلام فى الهمز والمد كثير والوجه ان من حقق فعلى الاصل لانهما حرفان ها وانتم ومن لم يمد ولم يهمز فللتخفيف من غير اخلال اللغة الفرق بين الحجاج والجدال ان الحجاج يتضمن اما حجة او شبهة فى صورة الحجة والجدال هو فتل الخصم الى المذهب بحجة او شبهة او ايهام فى الحقيقة لان اصله من الجدل وهو شدة الفتل والحجة هو البيان الذى يشهد بصحة المقالة

وهو

وهو والد لا له بمعنى واحد الاعراب ها انتم ها للتنبيه وقد كثر التنبيه فى هذا ولم يكثر فى ها انت لان ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر فقوى بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينه وليس كذلك انت لانه لا يصلح لكل حاضر فى الجملة وانما هو للمخاطب وخبر انتم يجوز ان يكون حاججتم على ان يكون هؤلاء عطف بيان ويجوز ان يكون خبره هؤلاء على ان اولاء بمعنى الذين وما بعده صلة له النزول قال ابن عباس والحسن وقتادة ان احبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه واله فتنازعوا فى امر ابرهيم فقالت اليهود ما كان الا يهوديا وقالت النصارى ما كان الا نصرانيا فانزل الله هذه الاية المعنى يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم اى لم تتنازعون وتجادلون فيه وتدعون انه على دينكم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعد ابرهيم افلا تعقلون ان الاقامة على الدعوى من غير برهان غير جائزة فى العقل فكيف يجوز الاقامة على الدعوى بعد ما ظهر فسادها فان قيل لو دل نزول التورية والانجيل بعد ابرهيم على انه لم يكن على اليهودية والنصرانية لوجب ان يدل نزول القران بعده على انه لم يكن على الاسلام فالجواب ان الكل متفقون على انه عليه السلم مسمى باسم الاسلام غير ان اليهود ادعوا ان الاسلام هو اليهودية والنصارى ادعوا انه هو النصرانية والتورية والانجيل انزلتا من بعد ابرهيم بزمن ليس فيهما اسم الاسلام وليس فى واحد منهما انه كان على دين اليهودية او النصرانية فاما القران وان كان منزلا بعده ففيه وصف ابرهيم بدين الاسلام ونفى اليهودية والنصرانية عنه ففى هذا اوضح حجة على انه كان مسلما وان محمدا وامته الذين لهم اسم الاسلام اولى به منهم وقد قيل ان اليهود اعتقدوا ان اليهودى اسم لمن تمسك بالتورية واعتقد شريعته والنصارى اعتقدوا ان النصرانى اسم لمن تمسك بالانجيل واعتقد شريعته فرد الله دعوى الفريقين واخبر ان التورية والانجيل ما انزلا الا من بعد ابرهيم فكيف يكون متمسكا بحكمهما واما نحن فلم ندع ان المسلم هو المتمسك بحكم القران اذ الاسلام عبارة عن الدين دون احكام الشريعة فوصفناه بالاسلام كما وصفه الله تعالى به فان قيل فهل كان ابرهيم متمسكا بشرايع الاسلام كلها التى نحن عليها قلنا انه كان متمسكا بدين الاسلام وببعض احكام شريعة نبينا عليه السلم لا بجميعها لان من حكم الشريعة قراءة القران فى الصلوة ولم يكن ذلك فى شريعته وانما قلنا انه مسلم وان كان متمسكا ببعض احكام الشريعة لان اصحاب النبى فى بدو الاسلام كانوا مسلمين قبل استكمال الشرع وقبل تمام نزول القران والواحد منا مسلم على الحقيقة وان لم يعلم جميع احكام الشريعة ها انتم يا معشر اليهود والنصارى وهو فى الظاهر تنبيه على انفسهم والمراد به التنبيه على حالهم اذ التنبيه انما يكون فيما قد يغفل عنه الانسان دون ما يعلمه حاججتم جادلتم وخاصمتم فيما لكم به علم معناه حاججتم فى ابرهيم ولكم به علم لوجود اسمه فى التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اى فلم تحاجون فى دينه وشانه وليس لكم به علم لم ينكر الله تعالى عليهم محاجتهم فيما علموه وانما انكر عليهم محاجتهم فيما لم يعلموه والله يعلم شان ابرهيم ودينه وكل ما ليس عليه دليل لانه العالم بجميع المعلومات وانتم لا تعلمون ذلك فلا تتكلموا فيه ولا تضيفوا اليه ما لا تعلمونه واطلبوا علم ذلك ممن يعلمه قوله عز وجل ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين امنوا والله ولى المؤمنين ايتان اللغة قد ذكرنا الاصل فى اليهود والنصارى والحنيف فى سورة البقرة واولى الذى هو بمعنى افعل من غيره لا يجمع ولا يثنى لانه يتضمن معنى الفعل والمصدر على تقدير يزيد فضله على فضله فى افضل منه ومعنا قولنا هذا الفعل اولى من غيره اى بان يفعل وقولنا زيد اولى من غيره معناه انه على حال هو احق بها من غيره والاتباع جريان الثانى على طريقة الاول من حيث هو عليه كالمدلول الذى يتبع الدليل فى سلوك الطريق او فى التصحيح لانه ان صح الدليل صح المدلول عليه بصحته وكذلك المأموم الذى يتبع الامام المعنى ثم كذب الله تعالى اليهود والنصارى فقال ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا نزه ابرهيم عليه السلم وبراه عن اليهودية والنصرانية لانهما صفتا ذم قد دل القران والاجماع على ذلك وهذا يدل على ان موسى عليه السلم ايضا لم يكن يهوديا ولم يكن عيسى نصرانيا فان الدين عند الله الاسلام واليهودية ملة محرفة عن شرع موسى والنصرانية ملة محرفة عن شرع عيسى فهما صفتا ذم جرتا على فرقتين ضالتين ولكن كان حنيفا اى مائلا عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل معناه مستقيما فى دينه مسلما اى كائنا على دين الاسلام وما كان من المشركين قيل ان هذا يتضمن كون اليهودية والنصرانية شركا وقيل معناه لم يكن مشركا على ما يدعيه مشركوا العرب ان اولى الناس بابرهيم يعنى ان احق الناس بنصرة ابرهيم بالحجة او بالمعونة للذين اتبعوه فى وقته وزمانه وتولوه بالنصرة على عدوه حتى ظهر امره وعلت كلمته وهذا النبى والذين امنوا يتولون نصرته بالحجة

اى عدل بيننا وبينكم معنى عادلة لا ميل لها كما يقال رجل عدل

فقيل معناه

لما كان عليه من الحق تبرئة كل عيب عنه اي هم الذين ينبغي لهم ان يقولوا انا على دين ابرهيم ولهم ولايته والله ولي المومنين لانه يتولى نصرتهم
والمومن ولي الله لهذا المعنى بعينه وقيل لانه يتولى نصرة ما امر به من الدين وانما افرد الله النبي عليه السلم بالذكر تعظيما لامره واجلالا لقدره
كما افرد جبرئيل وميكائيل وقيل ليدخل في الولاية ويعود اليه الكناية فان التقدير والذين امنوا به وفي هذه الاية دلالة على ان الولاية
تثبت بالدين لا بالنسب ويعضد بذلك قول امير المومنين عليه السلم ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاءوا به ثم تلا هذه الاية وقال ان
ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته وروى عمر بن يزيد قال قال ابو عبد الله انتم والله
من ال محمد قلت من انفسهم جعلت فداك قال نعم والله من انفسهم قالها ثلثا ثم نظر الي ونظرت اليه فقال يا عمر ان الله يقول في كتابه ان اولى
الناس بابرهيم الاية رواه علي بن ابرهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن منصور بن يونس عنه قوله عز وجل ودت طايفة من اهل الكتاب
لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون اية اللغة ودت بمعنى تمنت فلما كان بمعنى التمني صلح للماضي والحال والاستقبال
فلذلك جاز بلو وليس كذلك المحبة والارادة لانهما لا يتعلقان الا بالمستقبل فلا يجوز ان يقال ارادوا لو يضلونكم لان الارادة تجري
مجرى الاستدعاء الى الفعل او مجرى العلة في ترتيب الفعل فاما التمني فهو تقدير شيء في النفس يستمتع بتقديره والفرق بين ودّ لو يضله و
بين ودّ ان يضله ان ان للاستقبال وليس كذلك لو المعنى ثم بين ان هؤلاء كما ضلوا ادعوا الى الضلال فقال ودت اي تمنت وقيل
ارادت طايفة اي جماعة من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وقيل من اليهود خاصة لو يضلونكم اي يهلكونكم بادخالكم في الضلال
ودعايكم اليه ويستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله إذا ضللنا في الارض ومعناه هلكنا وبطلت صورنا وما يضلون الا انفسهم معناه
لا يرجع وبال الضلال الا على انفسهم ولا يلحق ضرره الا بهم فان المسلمين لا يجيبونهم الى ما يدعونهم اليه من ترك الاسلام الى غيره من الاديان
فيبقى عليهم اثم الكفر ووبال الدعاء الى الكفر وقيل معناه وما يهلكون الا انفسهم اي لا يعتد بما يحصل لغيرهم من الهلاك في جنب ما
حصل لهم وما يشعرون اي وما يعلمون ان وبال ذلك يعود اليهم وقيل وما يشعرون ان الله يدل المومنين على ضلالهم واضلالهم
وقيل وما يشعرون انهم ضلال لجهلهم عن ابي علي الجبائي قوله عز وجل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ايتان الاعراب لم اصله لما حذفت الالف لاتصالها
بالحرف الجار مع وفور معناها طرفا او لدلالة الفتحة عليها وكذلك بم وعم المعنى ثم خاطب الله تعالى الفريقين فقال يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله يعني القران وانتم تشهدون اي تعلمون وتشاهدون ما يدل على صحتها ووجوب الاقرار بها من التورية
والانجيل اذ فيهما ذكر النبي عليه السلم والاخبار بصدق نبوته وبيان صفته وقيل يعني بايات الله ما في كتبهم من البشارة بنبوته عليه السلم
وانتم تشهدون الحجج الدالة على نبوته وقيل يعني بالايات ما في كتبهم ان ابرهيم كان حنيفا مسلما وان الدين هو الاسلام وانتم تشاهدون في
كتبكم ذلك وقيل يعني بها ما يتلو عليهم من غرايب اخبارهم التي علموا انها في كتبهم [illegible] وقيل يعني بالايات الحجج الدالة على نبوة محمد صلى الله
عليه واله وانتم تشهدون ان ظهور المعجزة يدل على صدق الرسالة وثبوت النبوة وقيل وانتم تشهدون اذا خلوتم بصحة دين الاسلام يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل معناه لم تخلطون الحق بالباطل وفيه اقوال احدها ان المراد به تحريفهم التورية والانجيل عن الحسن وابن زيد وثانيها
ان المراد به اظهارهم الاسلام في صدر النهار والرجوع عنه في اخره تشكيكا للناس عن ابن عباس وقتادة وثالثها ان المراد به الايمان
بموسى وعيسى والكفر بمحمد صلى الله عليه واله ورابعها ان المراد ما يعلمونه في قلوبهم من ان محمدا حق بما يظهرونه من تكذيبه عن الجبائي
وابي مسلم وتكتمون الحق اي نبوة محمد وما وجدتموه في كتبكم من نعته والبشارة به وانتم تعلمون انه حق وانما نزلت هذه في طايفة من علمائهم
لان الكتمان انما يجوز على الطايفة القليلة دون الكثيرة وقيل معناه وانتم تعلمون الامور التي يصح بها التكليف والاول اصح لما في الاية
من الدلالة على الكتمان قوله عز وجل وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا
اخره لعلهم يرجعون ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ثلث ايات القراءة قرا ابن كثير آان يوتى احد ممدودا والباقون ان يوتى بغير مد واستفهام الحجة قال ابو علي من قرا ان يوتى

احد

هم اليهود الذين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية

احد فتقديره ولا تومنوا بان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض بين المفعول وفعله واذا حذفت
الجار من ان كان على الخلاف يكون في قول الخليل جرا وفي قول سيبويه نصبا فاما اللام في قوله لمن تبع دينكم فلا يسهل ان تعلقه بتومنوا
وانت قد اوصلته بجار اخر جار فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم ان تعديه الى مفعولين اذا كان يتعدى الى مفعول واحد الا ترى ان
تعدية الفعل بالجار كتعديته بالهمزة وتضعيف العين فكما لا يتكرر هذان كذلك لا يتكرر الجار فاذا لم يسهل تعليق المفعولين به حملته على
المعنى والمعنى لا تقروا بان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع دينكم كما تقول اقررت لزيد بالف فيكون اللام متعلقا بالمعنى ولا تكون زايدة
على حد ان كنتم للرويا تعبرون ولكن يتعلق بالاقرار وان شئت حملت اللام على معنى الجحود لان معنى لا تومنوا اجحدوا فكانه قال اجحدوا الناس
الا لمن تبع دينكم فيكون اللام على هذا زايدة وقد تعدى امن باللام في غير هذا قال الله تعالى فما امن لموسى الا ذرية وقال امنتم له قبل
ان اذن لكم وقال يومن بالله ويومن للمومنين فتعدى مرة بالباء ومرة باللام ووجه قراءة ابن كثير ان ان في موضع رفع بالابتداء لانه لا يجوز
ان يحمل على ما قبله من الفعل لقطع الاستفهام بينهما وخبره تصدقون به وتعترفون به ونحو ذلك مما دل عليه قوله ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم
وهذا على قول من قال ازيد ضربته ومن قال ازيدا ضربته كان ان عنده في موضع نصب ويجوز ان يكون موضع ان نصبا على معنى اتذكرون ان يوتى
احد مثل ما اوتيتم او تشيعون ويدل على ذلك قوله اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم فحديثهم بذلك شاعة منهم له وافشاؤهم
بعضهم بعضا بالحديث بما علموه من امر النبي عليه السلم وعرفوه من وصفه فهذه الاية في معنى قراءة ابن كثير ولعله اعتبرها في قراءته اللغة
الطايفة الجماعة وفي اصلها قولان احدهما انه كالرفقة التي من شانها ان تطوف البلاد في السفر الذي يقع عليه الاجتماع والاخر انها جماعة
يستوي بها حلقة يطاف حولها ووجه النهار اوله وسمي وجها لانه اول ما يواجهك منه كما يقال لاول الثوب وجهه وقيل لانه كالوجه في
انه اعلاه واشرف ما فيه قال الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نسوتنا بوجه نهار النزول قال الحسن والسدي تواطأ
اثنا عشر رجلا من احبار يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد
واكفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك
اصحابه في دينهم وقالوا انهم اهل كتاب وهم اعلم به منا فيرجعون عن دينهم الى دينكم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي كان هذا في شان القبلة
لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار و
ارجعوا الى قبلتكم اخره لعلهم يشكون المعنى لما ذكر تعالى صدرا من كيد القوم عقبه بذكر هذه المكيدة الشديدة فقال وقالت طايفة اي
جماعة من اهل الكتاب اي بعضهم لبعض امنوا بالذي انزل على الذين امنوا يعنون النبي واصحابه وجه النهار اي اول النهار واكفروا اخره واختلف
في معناه على اقوال احدها اظهروا الايمان لهم اول النهار وارجعوا عنه في اخره فانه احرى ان ينقلبوا عن دينهم عن الحسن وجماعة وثانيها امنوا
بصلوتهم الى الكعبة اول النهار واكفروا اخره ليرجعوا بذلك عن دينهم عن مجاهد وثالثها اظهروا الايمان في صدر النهار بما سلف لكم من
الاقرار بصفة محمد ثم ارجعوا في اخره لتوهموهم انه كان قد وقع لكم غلط في صفته لعلهم يرجعون عن دينهم الاسلام عن ابن عباس
وجماعة ولا تومنوا اي لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اليهودية وقام بشرايعكم وهو عطف على ما مضى واختلف في معنى الاية على اقوال احدها
ان معناه ولا تصدقوا بان يوتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والبيان والحجة الا لمن تبع دينكم من اهل الكتاب وقيل انما قال ذلك
يهود خيبر ليهود المدينة لان لا يعترفوا به فيلزمهم العمل به لاقرارهم بصحته وقيل معناه لا تعترفوا بالحق الا لمن تبع دينكم وقوله او يحاجوكم
به عطف على ان يوتى اي ولا تصدقوا بان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلا يكون لهم الحجة عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام
اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء كلام الله تعالى جوابا لليهود وردا عليهم اي قل يا محمد ان
الهدى هدى الله وقل ان الفضل بيد الله فلا ينبغي لهم ان ينكروا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم وهذا معنى قول الحسن والاخفش وابي علي
الفارسي وثانيها ان يكون قوله ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم كلام اليهود وما بعده عن الله تعالى ويكون المعنى قل ان الهدى هدى الله
ان لا يوتى احد مثل ما اوتيتم ايها المسلمون كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي ان لا تضلوا وان لا يحاجوكم عند ربكم لانه لا حجة لهم ويكون
هدى الله بدلا من الهدى والخبر ان لا يوتى احد مثل ما اوتيتم وهذا قول السدي وابن جريج وقال ابو العباس المبرد ان لا ليستعما

حذف ههنا لكن الاضافة هنا معلومة فحذفت الاول واقمت الثاني مقامه والمعنى قل ان الهدى هدى الله كراهة ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم اى من خالف دين الاسلام لان الله تعالى لا يهدى من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين وكذلك تقدير قوله
يبين الله لكم كراهة ان تضلوا وقال قوم ان تقديره قل يا محمد ان الهدى الى الخير هدى الله فلا تجحدوا ايها اليهود ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من
النبوة او ان يحاجوكم بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم عن قتادة والربيع والجبائي وقيل ان الهدى هدى الله معناه ان الحق ما امر الله به
ثم فسر الهدى فقال ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم فالمؤتى هو الشرع وما حاج به هو العقل وتقدير الكلام ان هدى الله ما شرع او ما عهد به
في العقل فهذه اربعة اقوال والقول الخامس ان يكون الكلام من اول الاية الى اخرها لله تعالى وتقديره ولا تؤمنوا ايها المؤمنون الا لمن تبع دينكم وهو
دين الاسلام ولا تصدقوا بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من الدين فلا نبي بعد نبيكم ولا شريعة بعد شريعتكم الى يوم القيمة ولا تصدقوا بان يكون لاحد
حجة عليكم عند ربكم لان دينكم خير الاديان وان الهدى هدى الله وان الفضل بيد الله فيكون الاية كلها خطابا للمؤمنين من الله سبحانه عند
تلبيس اليهود عليهم لئلا يزلوا ويدل عليه ما قاله الضحاك ان اليهود قالوا انا نحاج عند ربنا من خالفنا في ديننا فبين الله سبحانه انهم
هم المدحضون المغلوبون وان المؤمنين هم الغالبون وقوله قل ان الفضل بيد الله قيل يريد به النبوة وقيل الحجج التي اوتيها محمد ومن
معه وقيل نعم الدين والدنيا وقوله بيد الله اى في ملكه وهو القادر عليه العالم بمحل من يؤتيه من يشاء وفي هذه دلالة على ان النبوة ليست
بمستحقة وكذلك الامامة لان الله سبحانه علقه بالمشية والله واسع الرحمة جواد وقيل واسع المقدور يفعل ما يشاء عليم بمصالح الخلق
وقيل عليم حيث يجعل رسالته يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم مر تفسيره في سورة البقرة في العشر التي بعد المائة وفي هذه الاية
معجزة باهرة لنبينا صلى الله عليه واله وسلم اذ فيها اخبار عن سرائر القوم التي لا يعلمها الا علام الغيوب وفيها دفع لمكايدهم ولطف للمؤمنين
في الثبات على عقايدهم قوله عز وجل ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا
يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم
يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين اية القراءة قرا حمزة وابو بكر عن عاصم يؤده بسكون الهاء وروى نحو عن ابى
عمرو وقرا ابو جعفر ويعقوب بكسر الهاء مع الاختلاس وهو الصحيح من مذهب ابى عمرو والباقون بالكسر والاشباع الحجة اما سكون الهاء فان
اكثر النحويين على انه لا يجوز وغلط الزجاج الراوى فيه عن ابى عمرو وقال وحكى سيبويه عنه وهو ضابط لمثل هذا انه كان يكسر كسرا خفيفا وقال
الفراء هذا مذهب لبعض العرب يسكنون الهاء اذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم انتم وقمتم واما الاختلاس فانه للاكتفاء بالكسرة
عن الياء واما الاشباع فعلى الاصل اللغة القنطار قد ذكرنا الخلاف في مقداره في اول السورة والدينار اصله دنّار بنونين فقلبت
احدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا للخفة وجمعه دنانير ودُمْتَ ودِمْتَ لغتان مثل مُتَّ ومِتَّ لكن من كسر الدال والميم قال في المضارع
تمات وتدام وهي لغة ازد السراة وبلى وفي لغتان فاهل الحجاز يقولون اوفيت واهل نجد يقولون وفيت وهما بمعنى الاعراب
الفرق بين ان تقول تامنه بقنطار وبين ان تقول على قنطار ان معنى الباء الصاق الامانة ومعنى على استعلاء الامانة وهما يتعاقبان
في هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به ومررت عليه وبلى يحتمل معنيين احدهما الاضراب عن الاول على جهة الانكار للاول
وعلى هذا الوجه يكون من اوفى بعهده واتقى مكتفية نحو قولك ما قدم زيد فيقال بلى اى بلى قد قدم قال الزجاج ههنا وقف تام ثم استأنف
من اوفى الى اخره لانهم لما قالوا ليس علينا في الاميين سبيل قيل بلى اى بلى عليهم سبيل والثاني الاضراب عن الاول والاعتماد على البيان
الثاني وعلى هذا الوجه لا تكون مكتفية والفرق بين بلى ونعم ان بلى جواب النفي ونعم جواب الاثبات وانما جاز امالة بلى لمشابهتها الاسم
من وجهين احدهما انه يوقف عليها كما يوقف على الاسم والاخر انها على ثلثة احرف ولذلك خالفت لا في الامالة النزول عن ابن عباس
قال يعنى بقوله من ان تامنه بقنطار يؤده اليك عبد الله بن سلام اودعه رجل الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداه اليه فمدحه
الله سبحانه ويعنى بقوله من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك فنحاص بن عازورا وذلك ان رجلا من قريش استودعه دينارا فخانه
وفي بعض التفاسير ان الذى يؤدى الامانة في هذه الاية النصارى والذين لا يؤدونها اليهود المعنى ثم ذكر سبحانه معايب
القوم وان فيهم من يخرج عن العيب فقال ومن اهل الكتاب من ان تامنه اى تجعله امينا على قنطار اى مال كثير على ما قيل فيه من الاقوال

التي

التي مضى ذكرها في اول السورة يؤده اليك اى يرده عند المطالبة ولا يخون فيه ومنهم من ان تامنه بدينار اى على ثمن دينار والمراد تجعله
امينا على قليل من المال لا يؤده اليك عند المطالبة وهم كفار اليهود بالاجماع الا ما دمت عليه قائما معناه الا ان تلازمه وتتقاضاه
عن الحسن وابن زيد وقيل الا ان تدوم قائما بالتقاضي والمطالبة عن قتادة ومجاهد وقيل الا ما دمت عليه قائما بالاجتماع معه والملازمة عن
السدي قال ما دمت قائما على راسه وقيل قائما اى ملحا عن ابن عباس ذلك اى ذلك الاستحلال والخيانة بانهم قالوا ليس علينا في الاميين
سبيل هذا بيان العلة التي لاجلها كانوا لا يؤدون الامانة ويميلون الى الخيانة اى قالت اليهود ليس علينا في اموال العرب التي اصبناها سبيل
لانهم حتى لو اعن دينهم الذى عاملناهم عليه وذلك انهم عاملوا جماعة منهم ثم اسلم من له الحق فامتنع من عليه الحق من اداء الحق وقالوا
انما عاملناكم وانتم على ديننا فاذا فارقتموه سقط حقكم وادعوا ان ذلك في كتبهم فاكذبهم الله تعالى في ذلك بقوله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون انهم يكذبون لان الله تعالى امرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن وابن جريج وانما سموهم اميين لعدم كونهم من اهل الكتاب او لكونهم
من مكة وهي ام القرى ثم رد سبحانه عليهم قولهم فقال بلى وفيه نفي لما قبله واثبات لما بعده كانه قال ما امر الله سبحانه بذلك ولا احبه ولا
اراده بل اوجب الوفاء بالعهد واداء الامانة من اوفى بعهده يحتمل ان يكون الهاء في بعهده عايدة على اسم الله في قوله ويقولون على الله الكذب
فيكون معناه بعهد الله وعهد الله الى عباده امره ونهيه ويحتمل ان يكون عايدة على من ومعناه من اوفى بعهد نفسه لان العهد يضاف تارة
الى العاهد وتارة الى المعهود له واتقى الخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين معناه فان الله يحبه الا انه عدل الى ذكر المتقين ليبين
الصفة التي تجب بها محبة الله وهذه صفة المؤمن فكانه قال والله يحب المؤمنين ولا يحب اليهود وروى عن النبي صلى الله عليه واله انه لما قرا
هذه الاية قال كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعنه صلى الله عليه واله
ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وعنه صلى الله عليه واله
قال من ائتمن على امانة فاداها ولو شاء لم يؤدها زوجه الله من الحور العين ما شاء قوله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم اية النزول نزلت في جماعة من احبار اليهود ابى رافع وكنانة بن ابى الحقيق وحيى بن اخطب وكعب بن اشرف كتموا ما في
التورية من امر محمد صلى الله عليه واله وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرياسة وما كان لهم على اتباعهم عن
عكرمة وقيل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له في ارض قام ليحلف عند رسول الله فلما نزلت الاية نكل الاشعث واعترف بالحق ورد
الارض عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل حلف يمينا فاجرة في تنفيق سلعته عن مجاهد والشعبي المعنى ثم ذكر الله سبحانه الوعيد لهم على
افعالهم الخبيثة فقال ان الذين يشترون اى يستبدلون بعهد الله اى بامر الله سبحانه وما يلزمهم الوفاء به وقيل معناه ان الذين يحصلون
بنكث عهد الله ونقضه وايمانهم اى وبالايمان الكاذبة ثمنا قليلا اى عوضا نزرا وسماه قليلا لانه قليل في جنب ما يفوتهم من الثواب و
يحصل لهم من العقاب وقيل العهد ما اوجبه الله على الانسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما في عقل الانسان من الزجر
عن الباطل والانقياد للحق اولئك لا خلاق لهم اى لا نصيب وافر لهم في نعيم الاخرة ولا يكلمهم الله فيه قولان احدهما انه لا يكلمهم
بما يسرهم بل بما يسوؤهم وقت الحساب لهم عن الجبائي والاخر انه لا يكلمهم اصلا ويكون المحاسبة بكلام الملائكة لهم بامر الله اياهم استهانة
بهم ولا ينظر اليهم يوم القيمة معناه لا يعطف عليهم ولا يرحمهم كما يقال للقائل للغير انظر الى يريد ارحمني وفي هذا دلالة على ان النظر
اذا عدى بحرف الى لا يفيد الرؤية لانه لا يجوز حمله ههنا على انه لا يراهم بلا خلاف ولا يزكيهم اى لا يطهرهم وقيل لا يثنى عليهم
منزلة الاذكياء عن الجبائي وقيل لا يطهرهم من دنس الذنوب والاوزار بالمغفرة بل يعاقبهم وقيل لا يحكم بانهم ازكياء ولا يسميهم بذلك
بل يحكم بانهم كفرة فجرة عن القاضي ولهم عذاب اليم مؤلم موجع وفي تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله
يقول من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال اخيه المسلم لقى الله يوم القيمة وهو عليه غضبان وتلا هذه الاية وروى مسلم بن الحجاج في الصحيح
باسناده من عدة طرق عن ابى ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه واله قال ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم المنان الذى لا يعطي شيئا الا منة والمنفق سلعته بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وروى عن عبد الله بن مسعود عن

المسبل ازاره ارخاه

رسول الله صلى الله عليه وآله قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان اورده مسلم
ايضا في الصحيح قوله عز وجل **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** آية **اللغة** اصل اللى
الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها ومنه لويت الغريم ليا ولياناً اذا امطلته حقه قال الشاعر تطيلين لياني وانت مليئة وحسن
يا ذات الوشاح التقاضيا ومنه الحديث لى الواجد ظلم والالسنة جمع اللسان على التذكير كحمار واحمرة ويقال السن على التانيث كعناق
واعنق والفرق بين حسبت وزعمت ان زعمت يحتمل ان يكون يقينا وظنا وحسبت لا يحتمل اليقين اصلا **الاعراب** لفريقا نصب بانه اسم
ان واللام للتاكيد دخلت على اسم ان اذا كان مؤخرا ولا يجوز ان لزيدا في الدار لئلا يجتمع حرفا تاكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف
فاما قولهم جائني القوم كلهم اجمعون فكل تاكيد للقوم واجمعون تاكيد لكل **النزول** قيل نزلت في جماعة من احبار اليهود كتبوا بايديهم ما ليس
في كتاب الله من نعت النبي عليه السلام وغيره واضافوه الى كتاب الله وقيل نزلت في اليهود والنصارى حرفوا التورية والانجيل وضربوا كتاب الله
بعضه ببعض والحقوا به ما ليس منه واسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس **المعنى** وان منهم اى من اهل الكتاب وهو عطف
على قوله وان من اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار لفريقا اى طائفة يلوون السنتهم بالكتاب معناه يحرفون الكتاب عن جهته ويعدلون
به عن القصد لصدق بالسنتهم فجعل تحريف الكتاب عن جهته ليا باللسان وهذا معنى قول مجاهد وقتادة وابن جريج والربيع
وقيل يفسرونه بخلاف الحق لتحسبوه من الكتاب اى لتظنوا بها المسلمون من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المنزل على موسى ولكنهم يخترعونه
ويبتدعونه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله وفي هذا دلالة على ان المعاصي ليست من عند الله ولا تكون من فعله
لانها لو كانت من فعله لكانت من عنده فان قالوا انها من عنده خلقا وفعلا وليست من عنده انزالا ولا امرا فالجواب لو كانت كذلك
لكانت من عنده على اكد الوجوه فلم يجز اطلاق النفي بانها ليست من عند الله وكما لا يجوز ان يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لاطلاق النفي
بانه ليس من الكتاب كذلك لا يجوز ان يكون من عند الله لاطلاق النفي بانه ليس من عند الله ويقولون على الله الكذب في نسبتهم ذلك
الى الكتاب وهم يعلمون ان ذلك كذب وقيل وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من العقاب قوله عز وجل **مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** آيتان **القراءة** قرا اهل الكوفة و
ابن عامر تعلّمون بالتشديد والباقون تعلمون وقرا عاصم غير الاعشى والبرجمي وحمزة وابن عامر ويعقوب ولا يامركم بنصب الراء والباقون
بالرفع **الحجة** حجة من قال تعلّمون بالتشديد ان التعليم ابلغ في هذا الموضع لانه اذا علّم الناس ولم يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم بترك
عمله داخلا في جملة من وبّخ بقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وحجة من قرا تعلمون ان العالم الدارس تدين بعلمه
ودرسه مما يكون داعيا الى التمسك بعلمه والعمل به ما يدركه العالم المعلم في تعليمه ومن قرا ولا يامركم فعلى القطع من الاول اراد ولا يامركم
الله ومن نصبه فعلى قوله وما كان لبشر ان يامركم ان تتخذوا ومما يقوي الرفع ما روي في حرف ابن مسعود ولن يامركم فهذا يدل على الا
نقطاع من الاول ومما يقوي النصب ما جاء في السير ان اليهود قالوا للنبي يا محمد اتريد ان نتخذك ربا فقال الله ما كان لبشر ان
يؤتيه الله الكتاب ولا ان يامركم **اللغة** البشر يقع على القليل والكثير فهو بمنزلة المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر وهؤلاء بشر كما تقول هذا
خلق وهؤلاء خلق وانما وقع المصدر على القليل والكثير لانه جنس الفعل فصار كاسماء الاجناس مثل الماء والتراب ونحوه والرباني
هو الذي يربّ امر الناس بتدبيره له واصلاحه اياه يقال رب فلان امره ربابة وهو رابّ اذا دبّره واصلحه ونظيره نعس ينعس فهو
نعسان واكثر ما يجيء فعلان من فعل يفعل فيكون العالم ربانيا لانه بالعلم يدبّر الامر ويصلحه وقيل انه مضاف الى علم الرب وهو علم
الدين الذي يامر به الا انه غيّر في الاضافة ليدل على هذا المعنى كما قيل في الاضافة الى البحرين بحراني وكما قيل للعظيم الرقبة رقباني
وللعظيم اللحية لحياني فقيل لصاحب علم الدين الذي امر الله به الرب رباني **النزول** قيل ان ابا رافع القرظي من اليهود ورئيس وفد
نجران قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك الها فقال معاذ الله ان اعبد غير الله او آمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني ولا بذلك

امرني فانزل الله الاية عن ابن عباس وعطا وقيل نزلت في نصارى نجران عن الضحاك ومقاتل وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم
عليك كما يسلم بعضنا على بعض فلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله
فانزل الله الاية **المعنى** لما تقدم ذكر اهل الكتاب وانهم اضافوا ما يتدينون به الى الانبياء عليهم السلام نزههم الله تعالى عن ذلك فقال
ما كان لبشر يعني ما ينبغي لبشر كقوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا وما كان لنا ان نتكلم بهذا اى ما ينبغي وقيل معناه لا يجوز لبشر
ولا يحل له ان يؤتيه الله اى يعطيه الله الكتاب والحكم اى العلم والنبوة اى الرسالة الى الخلق ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من
دون الله اى اعبدوني او اعبدوني معه عن الجبائي وقيل معناه ليس من صفة الانبياء الذين خصهم الله برسالته واجتباهم
لنبوته وانزل عليهم كتبه وجعلهم حكاما علماء ان يدعوا الناس الى عبادتهم وانما قال ذلك على جهة التنزيه للنبي عن مثل هذا القول
لا على وجه النهي وقوله عبادا هو من العبادة قال القاضي وعبيد جائز فيه لانه بمعنى العبودية ولا يمتنع ان يكونوا عبيدا لغير الله
ويمتنع ان يكونوا عبادا لغيره ولكن كونوا ربانيين فيه حذف اى لا ينبغي لهذا البشر ان يقول للناس اعبدوني ولكنه ينبغي ان يقول
لهم كونوا ربانيين وفيه اقوال احدها ان معناه كونوا علماء فقهاء عن علي وابن عباس والحسن وثانيها كونوا حكماء علماء عن قتادة
والسدي وابن ابي رزين وثالثها كونوا حكماء اتقياء عن سعيد بن جبير ورابعها كونوا مدبرين امر الناس في الولاية بالاصلاح عن
ابن زيد وخامسها كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال انفقوا من مالك اى من مالك عن الزجاج وروي عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال ما من مؤمن ولا مؤمنة ولا حر ولا مملوك الا ولله عليه حق واجب ان يتعلم من العلم ويتفقه فيه وقال ابو عبيدة سمعت
رجلا عالما يقول الرباني العالم بالحلال والحرام والامر والنهي وما كان وما يكون وقال ابو عبيدة لم تعرف العرب الرباني وهذا فاسد لان القرآن نزل بلغتهم
وروي عن محمد بن الحنفية انه قال يوم مات ابن عباس مات رباني هذه الامة وقد ذكرنا اشتقاقه قبل بما كنتم تعلمون الكتاب اى القرآن وبما كنتم تدرسون
اى الفقه ومن قرا بالتشديد اراد تعلمونه سواكم فيفيد انهم يعلمون ويعلمون غيرهم والتخفيف لا يفيد اكثر من كونهم عالمين ودخلت الباء في قوله
بما كنتم تعلمون لاحد ثلثة اشياء اما ان يريد كونوا معلمي الناس بعلمكم كما يقال انفعوهم بمالكم او يريد كونوا ربانيين في علمكم ودراستكم وموقع الباء
في او يريد كونوا ممن يستحق ان يطلق له صفة عالم بعلمه على جهة المدح بان تعملوا بما علمتم وذلك ان الانسان انما يستحق الوصف بانه عالم اذا عمل بعلمه
ويدل عليه قوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا يامركم اى ولا يامركم الله عن الزجاج وقيل ولا يامركم محمد عن ابن جريج وقيل ولا يامركم عيسى ومن
نصب الراء عطفه على ان يؤتيه الله فمعناه ولا كان لهذا النبي ان يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا اى الهة كما فعله الصابئون والنصارى
ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون الف انكار اصله الاستفهام وانما استعمل في الانكار لانه مما لو اقر به المخاطب لظهرت فضيحته فلذلك جاء على السؤال
وان لم يكن الغرض تعرف الجواب ومعناه ان الله تعالى انما بعث النبي ليدعوا الناس الى الايمان فلا يبعث من يدعوا المسلمين الى الكفر قوله عز وجل
وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ آيتان **القراءة** قرا حمزة وحده
لما بكسر اللام والباقون بفتحها وقرا نافع آتيناكم على الجمع والباقون اتيتكم على التوحيد **الحجة** الوجه في قراءة حمزة لما اتيتكم بكسر اللام انه يتعلق بالاخذ
كان المعنى اخذ ميثاقهم لهذا ويكون ما على هذا موصولة والعائد الى الموصول من الجملة المعطوفة على صلة وهي قوله جاءكم رسول مصدق لما معكم مظهر
بمنزلة المضمر وهو قوله لما معكم لانه في معنى ما اوتوه من الكتاب والحكمة فهذا يكون مثل قوله انه من يتق ويصبر فان الله تعالى لا يضيع اجر المحسنين لانه
في معنى لا يضيع اجرهم ويجوز ان يكون ما على هذه القراءة حرفا فيكون بمعنى المصدر قال ابو علي ومن فتح اللام وقال لما اتيتكم فان ما فيه يحتمل تاويلين
احدهما ان تكون موصولة والاخر ان يكون للجزاء فمن قدرها موصولة فالقول فيما يقتضيه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم من الراجع الى الموصول
ما تقدم ذكره في قراءة حمزة واما الراجع الى الموصول من الجملة الاولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما اتيتكموه واللام في لما فيمن قدر ما موصولة
لام الابتداء وهي المتلقية لما اجرى مجرى القسم من قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين وموضع ما رفع بالابتداء والخبر لتؤمنن به ولتؤمنن متعلق
بقسم محذوف والمعنى والله لتؤمنن به والذكر الذي في به يعود على الذي اتيتكموه الذي هو المبتداء ونحوه قولك لعبد الله والله لتاتينه والذكر
الذي في لتنصرنه يعود على رسول المتقدم ذكره واذا قدرت ما للجزاء كانت ما في موضع نصب باتيتكم واتيتكم في موضع جزم بالشرط وجاءكم في موضع جزم

بالعطف على اتيتكم واللام الداخلة على ما لا يكون للقسم ولكن يكون بمنزلة اللام فى قوله لئن لم ينته المنافقون والمتلقية للقسم فى قوله لتؤمنن به كما
فى قوله لئن لم ينته المنافقون لنغرينك بهم وهذه اللام الداخلة على ان لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تارة واثباتها تارة كما قال وان لم
ينتهوا عما يقولون ليمسن فيلحق هذه اللام ان مرة ولا يلحق اخرى كما ان ان كذلك فى قولك والله ان لو فعلت لفعلت ووالله لو فعلت فعلت
لما تقدم ذكر النبيين عقبه سبحانه بذكر نبينا عليه السلم وما اخذ من عهده عليهم اجمعين فقال واذ اخذ الله ميثاق النبيين العامل فى اذ محذوف وتقديره
واذكر اذ اخذ الله وقيل هو عطف على ما تقدم من قوله واذ قالت الملائكة وروى عن امير المومنين على وابن عباس وقتادة ان الله تعالى اخذ الميثاق على
الانبياء قبل نبينا صلى الله عليه وآله ان يخبروا اممهم بمبعثه ونعته ويبشروهم به ويامروهم بتصديقه وقال طاوس اخذ الله الميثاق على الانبياء على
الاول والاخر فاخذ ميثاق الاول ليومنن بما جاء به الاخر وقال الصادق عليه السلم تقديره واذ اخذ الله ميثاق امم النبيين بتصديق نبيها والعمل بما
جاءهم به وانهم خالفوهم فيما بعد وما وفوا به وتركوا كثيرا من شريعته وحرفوا كثيرا منها وقوله لما اتيتكم بفتح اللام اذا كانت ما موصولة فتقديره للذى
اتيتكموه اى اعطيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول اى نبى وقيل يعنى محمدا عليه السلم مصدق لما معكم اى لما اتيتكموه من الكتب لتؤمنن به اى بالذى
اتيتكموه ولتنصرن الرسول فعلى هذا يكون المعنى انما اخذ الله الميثاق على ليصدق بعضهم بعضا ويامر بعضهم بالايمان ببعض ويكون النصرة بالتصديق والحجة
وهو المروى عن الحسن وسعيد بن جبير وطاوس واذا كانت ما للجزاء فتقديره اى شىء اتيتكم ومهما اتيتكم من كتاب لتومنن به فالشرط هو ايتاء وايتاهم الكتاب
والحكمة ومجى الرسول والجزاء القسم والمقسم عليه وهو قوله لتومنن به فاغنى جواب القسم عن الجزاء كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقوله من كتاب من هنا
للتبيين لما الحق قولك ما عندك من ورق وعين وهذا خاتم من فضة ويكون على هذا تقديره ان الله سبحانه قال لهم مهما اتيتكم كتابا وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم من ذلك الكتاب والحكمة والله لتومنن به ولتنصرنه فاقروا بذلك واعطوا عليه مواثيقهم وهذا اشبه بما ذكر ان الميثاق اخذ على الانبياء
لياخذوا على اممهم بتصديق محمد اذا بعث ويامروهم بنصرته على اعدائه ان ادركوه وهو المروى عن على وابن عباس وقتادة والسدى واختاره
ابو على الجبائى وابو مسلم ويكون معنى قوله ثم جاءكم جاء اممكم واتباعكم وانما خرج الكلام على النبيين لان ما لزمهم لزم اممهم ومن قرى لما اتيتكم بكسر
اللام فالمعنى اخذ الله ميثاقهم لما اوتوه اى لاجل ما اوتوه من الحكمة والكتاب ولانهم الافاضل وخيار الناس ويكون اللام للتعليل فيقتضى ان يكون
الايتاء سابقا لاخذ الميثاق وقوله لتومنن به متعلقا باخذ الميثاق وهو فى الحاصل راجع الى معنى الشرط والجزاء وقوله ولتنصرنه اى بالبشارة لانه
به قال اى قال الله تعالى للانبياء اقررتم وصدقتموه واخذتم على ذلكم اصرى معناه وقبلتم على ذلكم عهدى ونظيره فان اوتيتم هذا فخذوه وقيل معناه
اخذتم العهد بذلك على اممكم قالوا اى قال الانبياء واممهم اقررنا بما امرتنا بالاقرار به قال الله فاشهدوا بذلك على اممكم وانا معكم من الشاهدين عليكم
وعلى اممكم عن على عليه السلم وقيل فاشهدوا اى فاعلموا ذلك وانا معكم اعلم عن ابن عباس وقيل ليشهد بعضكم على بعض وقيل قال الله للملائكة
اشهدوا عليهم فيكون ذلك كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب وهذه الاية من مشكلات ايات القران وقد غاص النحويون فى وجوه
اعرابها وتحقيقها وشقوا الشعر فى تدقيقها لانها فى موضع اوجز لفظا واكثر فايدة واشد تهذيبا مما ذكرته هنا وبالله التوفيق فمن تولى بعد ذلك
اى فمن اعرض عن الايمان بمحمد بعد هذه الدلالات والحجج وبعد اخذ الميثاق على النبيين الذى سبق ذكره والمقصود بهذا الامم دون النبيين
لانهم قد مضى زمانهم وجاز ذلك لان اخذ الميثاق على النبيين يتضمن الاخذ على اممهم وقد روى عن على عليه السلم انه قال لم يبعث الله نبيا ادم
ومن بعده الا اخذ عليه العهد لان بعث الله محمدا وهو حى ليومنن به ولينصرنه وامره بان ياخذ العهد بذلك على قومه فاولئك هم الفاسقون
ولم يقل الكافرون لان المراد الخارجون فى الكفر الى افحش مراتب الكفر بتمردهم وذلك ان اصل الفسق الخروج عن امر الله الى حال توبقه
وفى الكفر ما هو اكبر كما ان فيما دون الكفر من المعاصى ما هو اكبر وما هو اصغر بالاضافة اليه قوله عز وجل افغير دين الله يبغون وله
اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو
فى الاخرة من الخاسرين ثلث ايات القراءة قرا ابو عمرو يبغون بالياء واليه ترجعون بالتاء مضمومة وقرا بالياء فيهما عباس وحفص ويعقوب وسهل
والباقون بالتاء فيهما جميعا الحجة من قرا بالتاء فيهما فلان اول الاية خطاب للنبى عليه السلم ومن قرا بالياء فعلى تقدير قل لهم افغير دين الله
يبغون فجاء على لفظ الغيبة لانهم غيب وقد تقدم القول فى ترجعون ويرجعون الاعراب افغير دين الله يبغون عطف جملة على جملة كما لو قيل او

غير دين الله يبغون الا ان الفاء رتبت فكانه قيل ابعد تلك الايات غير دين الله يبغون وطوعا وكرها مصدران وقعا موقع الحال وتقديره
طائعين وكارهين كما يقال اتانى ركضا اى راكضا ولا يجوز ان يقول اتانى كلاما اى متكلما لان الكلام ليس بضرب من الاتيان والركض
ضرب منه النزول عن ابن عباس قال اختصم اهل الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه واله فيما اختلفوا بينهم من دين ابرهيم كل فرقة زعمت
انهم اولى بدينه فقال النبى عليه واله السلم كلا الفريقين برى من دين ابرهيم عليه السلم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا ناخذ
بدينك فانزل الله افغير دين الله يبغون المعنى لما بين تعالى بطلان اليهودية وساير الملل غير الاسلام بين عقيبه ان من يتبع
غير دين الله فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال افبعد هذه الايات والحجج يطلبون دينا غير دين الله تعالى وله اسلم من فى السموات
والارض طوعا وكرها قيل فيه اقوال احدها ان معناه اسلم من فى السموات والارض بحالة الناطقة عنه الدالة عليه عند اخذ الميثاق
عليهم عن ابن عباس وثانيها اسلم اى اقر بالعبودية وان كان فيهم من اشرك فى العبادة كقوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
ومعناه ما ركب الله فى عقول الخلايق من الدعاء الى الاقرار له بالربوبية ليتنبهوا على ما فيه من الدلالة عن مجاهد وابى العالية وثالثها
اسلم المؤمن طوعا وكره الكافر كرها عند موته كقوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا عن قتادة واختاره البلخى ومعناه التخويف لهم
من التاخر عما هذه سبيله ورابعها ان معناه استسلم بالانقياد والذلة كقوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا
اى استسلمنا عن الشعبى والجبائى والزجاج وخامسها ان معناه اكراه اقوام على الاسلام وجاء اقوام طائعين عن الحسن وهو المروى
عن ابى عبد الله عليه السلام قال كرها اى فرقا من السيف وقال الحسن والمفضل الطوع لاهل السموات خاصة واما اهل الارض فمنهم من
اسلم طوعا ومنهم من اسلم كرها واليه ترجعون اى الى جزائه تصيرون فبادروا الى دينه ولا تخالفوا الاسلام قل امنا بالله خطاب للنبى
وامر له بان يقول عن نفسه وعن امته امنا بالله وبما انزل علينا الاية كما خاطب رئيس القوم بان يقول عن نفسه وعن رعيته وقد سبق معنا
الاية فى سورة البقرة فان قيل ما معنى قوله ونحن له مسلمون بعد ما سبق الاقرار بالايمان على التفصيل قلنا معناه ونحن له مستسلمون بالطاعة
والانقياد فى جميع ما امر به ونهى عنه وايضا فان اهل الملل المخالفة للاسلام كانوا يقرون كلهم بالايمان ولكن لم يقروا بلفظه الاسلام فلهذا
قال ونحن له مسلمون ومن يبتغ اى ومن يطلب غير الاسلام دينا يدين به فلن يقبل منه بل يعاقب عليه ويدل عليه قوله وهو فى الاخرة
من الخاسرين اى من الهالكين لان الخسران ذهاب راس المال وفى هذا دلالة على ان من ابتغى الاسلام دينا يقبل منه فدل ذلك على ان
الدين والاسلام والايمان واحد وهى عبارات عن معبر واحد قوله عز وجل كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا
ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم اربع
ايات اللغة الخلود فى اللغة طول المكث ولذلك يقال خلد فلان فى السجن وقيل للاثافى خوالد ما دامت فى موضعها فاذا زالت لا تسمى خوالد
والفرق بين الخلود والدوام ان الخلود يقتضى طول المكث فى نحو قولك خلد فى الحبس ولا يقتضى ذلك الدوام ولذلك وصفه تعالى
بالدوام دون الخلود الا ان خلود الكفار المراد به التابيد بلا خلاف بين الامة والابطاء التاخير للعبد لينظر فى امره والفرق
بينه وبين الامهال ان الامهال هو تاخير لتسهيل ما يتكلفه من عمله الاعراب كيف اصله الاستفهام والمراد به هنا الانكار لان
تقع هذه الهداية من الله اى لا يهديهم الله كقوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد اى لا يكون قال الشاعر كيف على الفراش ولما تشمل الشام
غارة شعواء وانما دخله معنى الانكار مع ان اصله الاستفهام لان المسؤل يسال عن للتعجيز عن اقامة البرهان وقد يسال للتوبيخ
مما يظهر من معنى الجواب فى السؤال وقد يسال لما يظهر فيه من الانكار وانما عطف قوله وشهدوا وهو فعل على ايمانهم وهو اسم لان الايمان
مصدر والمراد به الفعل والتقدير بعد ان امنوا وشهدوا واجمعين تاكيد للناس ودخلت الفاء فى قوله فان الله غفور رحيم
لانه يشبه الجزاء اذ كان الكلام قد تضمن معنى ان تابوا فان الله يغفر لهم ولا يجوز ان يكون فى موضع خبر الذين لان الذين فى موضع نصب
بالاستثناء من الجملة التى هى قوله اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله الى اخره ولا يحمل على المنقطع مع حسن الاتصال لانه الاصل فى الكلام
والاسبق الى الافهام النزول قيل نزلت الايات فى رجل من الانصار يقال له الحرث بن سويد بن الصامت وكان قتل المجذر بن زياد

البلوى غدرا وهرب وارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم ندم فارسل الى قومه ان يسئلوا رسول الله هل لى من توبة فسألوا فنزلت الايات الى قوله الا الذين تابوا فحملها اليه رجل من قومه فقال انى لاعلم انك لصدوق وان رسول الله اصدق منك وان الله تعالى اصدق الثلاثة ورجع الى المدينة وتاب وحسن اسلامه عن مجاهد والسدى وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام وقيل نزلت فى اهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبى قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثة حسدا وبغيا عن الحسن والجبائى وابى مسلم المعنى لما بين تعالى ان الاسلام هو الدين الذى به النجاة بين حال من خالفه فقال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم فيه وجوه احدها ان معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالاثابة لهم والثناء عليهم وقد كفروا بعد ايمانهم وثانيها انه على طريق التبعيد كما يقال كيف اهديك الى الطريق وقد تركته اى لا طريق يهديهم به الى الايمان الا من الوجه الذى هداهم به وقد تركوه ولا طريق غيره وثالثها ان المراد كيف يهديهم الله الى الجنة ويثيبهم والحال هذه وقوله وشهدوا ان الرسول حق عطف على قوله بعد ايمانهم دون قوله كفروا وتقديره بعد ان امنوا وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات اى البراهين والحجج وقيل القران وقيل جاءهم ما فى كتبهم من البشارة بمحمد صلى الله عليه واله والله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين ولا يثيبهم ولا يهديهم الى طريق الجنة لان المراد بهذه الهداية المختصة بالمؤمنين دون الهداية العامة المراد فى قوله واما ثمود فهديناهم والمراد بالايمان هنا اظهار الايمان دون الايمان الذى يستحق به الثواب ولهذا فى الاية ما يدل على انهم قد كانوا فى باطنهم مؤمنين مستحقين للثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلق للمخالف به اولئك جزاؤهم على اعمالهم ان عليهم لعنة الله وهى ابعاده اياهم من رحمته ومغفرته ولعنة الملائكة والناس وهى دعاؤهم عليهم باللعنة وبان يبعدهم الله من رحمته خالدين فيها اى فى اللعنة لخلودهم فيما استحقوا باللعنة وهو العذاب لا يخفف عنهم العذاب لا يسهل عليهم ولا هم ينظرون اى ولا يمهلون للتوبة ولا يؤخر عنهم العذاب من وقت الى وقت اخر وانما نفى انظارهم للتوبة لما علم من حالهم انهم لا ينيبون ولا يتوبون كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه على ان التبقية ليست بواجبة وان علم انه لو بقاه اناب واناب عند اكثر المتكلمين الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا اى تابوا من الكفر ورجعوا الى الايمان واصلحوا ضمايرهم وعزموا على ان يثبتوا على الاسلام وهذا احسن من قول من قال واصلحوا اعمالهم بعد التوبة وصلوا وصاموا فان ذلك ليس بشرط فى صحة التوبة اذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمنا بالاجماع فان الله غفور يغفر لهم ذنوبهم رحيم يوجب الجنة لهم وذكر المغفرة دليل على ان اسقاط العقاب بالتوبة تفضل منه تعالى فان ما لا يحسن المؤاخذة اصلا به لا يجد تعليقه بالمغفرة وانما تعلق بالمغفرة ما يكون له المؤاخذة به قوله عز وجل ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون اية النزول قيل نزلت فى اهل الكتاب الذين امنوا برسول الله قبل مبعثه ثم كفروا به بعد مبعثه عن الحسن وقيل نزلت فى اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم وكتبهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقران عن قتادة وعطا وقيل نزلت فى الاحد عشر من اصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا فمتى ما اردنا الرجعة رجعنا فينزل فينا ما نزل فى الحرث فلما افتتح رسول الله مكة دخل فى الاسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافرا ان الذين ماتوا وهم كفار الاية المعنى لما تقدم ذكر التوبة المقبولة عقبه بالتى لا تقبل منها فقال ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا قد ذكرنا الاختلاف فى سبب نزوله وعلى ذلك يدور معناه وقيل كلما نزلت اية كفروا بها فازدادوا كفرا الى كفرهم لن تقبل توبتهم لانها لم يقع على وجه الاخلاص ويدل عليه قوله واولئك هم الضالون ولو حققوا فى التوبة كانوا مهتدين وقيل لن تقبل توبتهم عند رؤية الناس لانها تكون فى حال الالجاء ومعناه انهم لا يتوبون الا عند حضور الموت والمعاينة عن الحسن وقتادة والجبائى وقيل لانها اظهرت الاسلام تورية فاطلع الله تعالى رسوله على سرايرهم عن ابن عباس وقد دل السمع على وجوب قبول التوبة اذا حصلت شرايطها وعليه اجماع الامة واولئك هم الضالون عن الحق والصواب وقيل الهالكون المعذبون قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين اية اللغة الملء اصله الملاء وهو تطفيح الاناء ومنه الملاء الاشراف لانهم يملؤن العين هيبة وجلالة ومنه رجل ملىء بالامر وهو ملىء به من غنى فالملء اسم للمقدار الذى يملأ والملاء المصدر والفدية البدل من الشىء فى ازالة الاذية ومنه فداء الاسير لانه بدل منه فى ازالة القتل والاسر عنه اذا كسر مد واذا فتح قصر يقول فدى لك وفداء لك ويجوز قصر هذا الممدود للضرورة والافتداء افتعال من الفدية الاعراب ذهبا منصوب على التمييز وانما استحق النصب لاشتغال العامل بالاضافة او ما عاقبها من النون الزايدة فجرى مجرى الحال فى اشتغال العامل بصاحبها وجرى مجرى المفعول فى اشتغال العامل عنه بالفاعل وقوله ولو افتدى به قال الفراء هذه الواو زايدة وغلطه

الزجاج لان الكلام اذا امكن حمله على فائدة تحمل عليها ولا يحمل على الزيادة وقال اذا دخلت الواو فى مثل هذا كان ابلغ فى التاكيد كقولك لا اتيك وان اعطيتنى لانها دخلت لتفصيل نفى القبول بعد الاجمال ولو جعلنا الواو زايدة لاوهم ذلك انه لا تقبل منه ملء الارض ذهبا فى الافتداء ويقبل فى غيره المعنى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اى على كفرهم فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اى مقدار ما يملأ الارض من الذهب ولو افتدى به بدل له عوضا ومعناه ان الكافر الذى يعتقد الكفر وان اظهر الايمان لا ينفعه الانفاق بمعنى انه لا يوجب له الثواب وقيل معناه انه لا يقبل منه فى الاخرة ولو وجد اليه السبيل قال قتادة يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا كنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له لقد سئلت ايسر من ذلك فلم تفعل ورواه ايضا انس عن النبى صلى الله عليه واله اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين ذكرنا معناه قوله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم اللغة البر اصله من السعة ومنه البر خلاف البحر والفرق بين البر والخير ان البر هو النفع الواصل الى الغير مع القصد الى ذلك والخير يكون خيرا وان وقع عن سهو وضد البر العقوق وضد الخير الشر المعنى لن تنالوا البر اى لن تدركوا بر الله تعالى باهل طاعته واختلف فى البر هنا فقيل هو الجنة عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الثواب فى الجنة وقيل هو الطاعة والتقوى عن مقاتل وعطا وقيل معناه لن تكونوا ابرارا اى صالحين اتقياء عن الحسن حتى تنفقوا مما تحبون اى حتى تنفقوا المال وانما كنى بهذا اللفظ عن المال لان جميع الناس يحبون المال وقيل معناه ما تحبون من نفايس اموالكم دون رذالها كقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو الزكوة الواجبة وما فرضه الله تعالى فى الاموال عن ابن عباس والحسن وقيل هو جميع ما ينفقه المرء فى سبيل الخير عن مجاهد وجماعة فقد روى عن ابى الطفيل قال اشترى على ثوبا فاعجبه فتصدق به وقال سمعت رسول الله عليه السلام يقول من اثر على نفسه اثره الله تعالى يوم القيمة بالجنة ومن احب شيئا فجعله لله قال الله يوم القيمة قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف وانا اكافيك اليوم بالجنة وروى ان ابا طلحة قسم حايطا له فى اقاربه عند نزول هذه الاية وكان احب امواله اليه فقال له رسول الله صلى الله عليه واله بخ بخ ذلك مال رابح لك وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه واله اسامة بن زيد فكان زيدا وجد فى نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال له رسول الله صلى الله عليه واله اما ان الله قد قبلها منك واعتق ابن عمر جارية كان يحبها وتلا هذه الاية وقال لولا انى لا اعود فى شىء جعلته لله لنكحتها واضاف اباذر الغفارى ضيف فقال للضيف انى مشغول وان لى ابلا فاخرج واتنى بخيرها فذهب وجاء بناقة مهزولة فقال له ابو ذر خنتنى فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ابو ذر ان يوم حاجتى اليه ليوم اوضع فى حفرتى مع ان الله يقول لن تنالوا البر الاية وقال ابو ذر فى المال ثلثة شركاء القدر لا يستامرك ان يذهب بخيرها او شرها من هلك او موت والوارث ينتظرك ان تضع راسك ثم يستاقها وانت ذميم وانت الثالث فان استطعت ان لا تكون اعجز الثلاثة فلا تكن ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان هذا الجمل كان مما احب من مالى واحببت ان اقدمه لنفسى وقال بعضهم دلهم تعالى بهذه الاية على الفتوة فقال لن تنالوا برى بكم الا ببركم باخوانكم والانفاق عليهم من مالكم وجاهكم وما تحبون فاذا فعلتم ذلك نالكم برى وعطفى وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم جاء بالفاء على جواب الشرط وان كان الله تعالى يعلم ذلك على كل حال وفيه وجهان احدهما ان تقديره وما تنفقوا من شىء فان الله يجازيكم به قل او كثر لانه عليم لا يخفى عليه شىء منه والاخر ان تقديره فانه يعلمه الله موجودا على الحد الذى تفعلونه من حسن النية او قبحها فان قيل كيف قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والفقير ينال الجنة وان لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحث على الانفاق وهو مقيد بالامكان وانما اطلق على سبيل المبالغة فى الترغيب والاولى ان يكون المراد لن تنالوا البر الكامل الواقع على اشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون ويروى عن ابن عمر ان النبى عليه السلام سئل عن هذه الاية فقال هو ان ينفق العبد المال وهو شحيح يامل الدنيا ويخاف الفقر النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر فى الاية الاولى لن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا وصل ذلك بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا لئلا يؤدى امتناع قبول الفدية الى الفتور فى الصدقة وما جرى مجراها من وجوه الطاعة قوله عز وجل كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون ايتان اللغة الافتراء اقتراف الكذب واصله قطع ما قدر من الاديم يقال فرى الاديم يفريه فريا اذا قطعه وعلى الاستعلاء

والانابة

طفح الاناء امتلاء حتى تفيض ص

ومعناه هنا اضافة الكذب الى الله من جهة انه امر بما لم يامر به الله واوجب ما لم يوجبه الله وفرق بين كذب عليه وكذب له لان من كذب عليه
يفيد انه كذب فيما يكرهه وكذب له يجوز ان يكون فيما يريد النزول انكر اليهود تحليل النبي صلى الله عليه واله لحوم الابل فقال عليه السلم كان
ذلك حلالا لابرهيم فقالت اليهود كل شئ نحرمه فانه كان محرما على نوح وابرهيم هلم جرا حتى انتهى الينا فنزلت الاية عن الكلبي وابي روق المعنى
كل الطعام اى كل الماكولات كان حلا اى حلالا لبنى اسرائيل واسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب على نفسه فاختلفوا
في ذلك الطعام فقيل ان يعقوب اخذه وجع العرق الذي يقال له النسا فنذر ان شفاه الله ان يحرم العروق ولحم الابل وهو احب الطعام اليه عن ابن
عباس عن مجاهد وقتادة والضحاك وقيل حرم اسرائيل على نفسه لحوم الجزور تعبدا لله وسال الله تعالى ان يجيز له فحرم الله ذلك على ولده عن الحسن
وقيل حرم زايدتي الكبد والكليتين والشحم الا ما حملته الظهور عن عكرمة واختلف في انه عليه السلم كيف حرمه على نفسه فقيل بالاجتهاد وقيل بالنذر وقيل
بنص ورد عليه وقيل حرمه كما يحرم المستظهر في دينه من الزهاد اللذة على نفسه من قبل ان تنزل التورية معناه ان كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل
قبل ان تنزل التورية على موسى فانها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالا لبني اسرائيل واختلفوا فيما حرم عليهم وحالها بعد نزول التورية فقيل انه حرم عليهم ما
كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداء بابيهم يعقوب عن السدي وقيل لم يحرمه الله عليهم في التورية وانما حرم عليهم بعد التورية بظلمهم وكفرهم وكانت بنوا
اسرائيل اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا وصب عليهم رجزا وهو الموت وذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم عن الكلبي وقيل لم يكن شئ من ذلك حراما عليهم في التورية وانما هو شئ حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم واضافوا تحريمه الى الله عن الضحاك فكذبهم
الله تعالى وقال قل يا محمد فاتوا بالتورية فاتلوها حتى يتبين انه كما قلت لا كما قلتم ان كنتم صادقين في دعواكم فاحتج عليهم بالتورية وامرهم بالاتيان
بها وبان يقرؤا ما فيها فانه كان في التورية انها كانت حلالا للانبياء وانما حرمها اسرائيل فلم يجسروا على اخراج التورية لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه واله
وكذبهم وكان ذلك دليلا ظاهرا على صحة نبوة نبينا عليه السلم اذ علم بان في التورية ما يدل على كذبهم من غير ان تعلم التورية ولا قراها فمن افترى
على الله الكذب من بعد ذلك اى فمن اخترق الكذب على الله من بعد قيام الحجة وظهور البينة فاولئك المفترون على الله الكذب هم الظالمون
لانفسهم بفعلهم ما اوجب العقاب عليهم وانما قال من بعد ذلك مع انه يستحق الوعيد بالكذب عليه على كل حال لانه اراد البيان انه انما يواخذ به
بعد اقامة الحجة عليه ومن كذب فيما ليس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبي الذي لا يستحق الوعيد بكذبه النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انها
تفصيل الجملة المتقدمة فانه ذكر الترغيب في الانفاق من المحبوب والطعام مما يحب فرغب فيه وذكر حكمه عن علي بن عيسى وقيل انه لما
تقدم محاجتهم في ملة ابرهيم وكان مما انكروا على نبينا عليه السلم تحليله لحم الجزور وادعوا تحريمه على ابرهيم وان ذلك مذكور في التورية
فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم قوله عز وجل قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اية اللغة الاتباع الحاق
الثاني بالاول لما له به من التعلق فالقوة للاول والثاني يستمد منه والتابع ثان يتدبر بتدبير الاول متصرف بتصريفه في نفسه واصل
الحنف الاستقامة وانما وصف المايل القدم بالحنف تفالا وقيل اصله الميل فالحنيف هنا المايل الى الحق فيما كان عليه ابرهيم من الشرع المعنى
ثم بين تعالى الصدق فيما اخبر به فقال قل صدق الله في ان كل الطعام كان حلالا لبني اسرائيل الا ما حرمه اسرائيل على نفسه وفي ان محمدا على
دين ابرهيم وان دينه الاسلام فاتبعوا ملة ابرهيم في استباحة لحوم الابل والبانها حنيفا اى مستقيما على الدين الذي هو شريعته في حجه ونسكه
وطيب ماكله وتلك الشريعة هي الحنيفية وقيل مايلا عن ساير الاديان الباطلة الى دين الحق وما كان من المشركين برأ الله تعالى ابرهيم
مما كان ينسبه اليهود والنصارى اليه بزعمهم انهم على دينه وكذلك مشركوا العرب واخبر ان ابرهيم كان بريا من المشركين ودينهم والصحيح ان
نبينا صلى الله عليه واله لم يكن متعبدا بشريعة من تقدم من الانبياء ولكن وافقت شريعته شريعة ابرهيم فلذلك قال قل فاتبعوا ملة ابرهيم والا
فالله تعالى هو الذي اوحى بها اليه واوجبها عليه فكانت شريعة له وانما رغب الله تعالى في شريعة الاسلام بانها ملة ابرهيم لان المصالح اذا وافقت
ما يميل اليه النفس ويتقبله العقل بغير كلفة كانت احرى ان يرغب فيها وكان المشركون يميلون الى اتباع ملة ابرهيم فلذلك خوطبوا بذلك
قوله عز وجل ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام ابرهيم ومن
دخله كان امنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين ايتان القراءة
قرا اهل الكوفة غير ابي بكر وابو جعفر حج البيت بكسر الحاء والباقون بفتحها الحجة قال سيبويه حج حجا مثل ذكر ذكرا فحج على هذا مصدر فهذا

حجة لمن كسر الحاء وقال ابو زيد الحج السنون واحدتها حجة قال ابو علي يدل على ذلك قوله ثماني حجج قال الحجة من حج البيت الواحدة قال سيبويه قالوا
حجة اراد واعمل سنة ولم يجيئوا بها على الاصل ولكنه اسم له فقولهم لم يجيئوا بها على الاصل اراد انه لا فعلة من الفعل ولكن كسروه فجعلوه اسما
لهذا المعنى كما قالوا غزاة لعمل وجه واحد ولم يجئ فيه الغزوة وكان القياس اللغة اول الشئ ابتداؤه ويجوز ان يكون المبتدا له اخر و
يجوز ان يكون لا اخر له لان الواحد اول العدد ولا نهاية لاخره ونعيم اهل الجنة له اول ولا اخر له واصل بكة من البك وهو الزحم يقال بكه
يبكه بكا اذا زحمه وتباك الناس اذا ازدحموا فبكة مزدحم الناس للطواف وهو ما حول الكعبة من داخل المسجد الحرام وقيل سميت بكة لانها تبك
اعناق الجبابرة اذا الحدوا فيها بظلم لم يمهلوا والبك دق العنق واما مكة فيجوز ان يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة وابدلت الميم من الباء كقولهم
ضربة لازب ولازم ويجوز ان يكون من قولهم امتك الفصيل ما في ضرع الناقة اذا امتصه امتصاصا شديدا حتى لا يبقى منه شيئا وملك المشاش مكا اذا
تمشش بفيه فسميت مكة بذلك لقلة مائها واصل البركة الثبوت من قولهم برك بروكا وبركا اذا ثبت على حاله فالبركة ثبوت الخير بنموه ومنه البركة
شبه حوض يمسك الماء لثبوته فيه ومنه قول الناس تبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال وحده الاعراب قوله مباركا نصب على الحال بالظرف من بكة
على معنى الذي استقر ببكة مباركا ويجوز ان يكون من الضمير في وضع كانه قيل وضع مباركا وعلى هذا يجوز ان يكون قد وضع قبله بيت ولا يجوز في
التقدير الاول وارتفع مقام ابرهيم فيه خبر مبتدا محذوف وتقديره هو مقام ابرهيم عن الاخفش وقيل هو بدل من ايات عن ابي مسلم ومن استطاع
اليه سبيلا في موضع جر بدل من الناس وهو بدل البعض من الكل النزول قال مجاهد تفاخر المسلمون واليهود فقالت اليهود بيت المقدس
افضل واعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله عز وجل ان اول بيت وضع للناس
المعنى ان اول بيت وضع للناس اى بنى للناس ولم يكن قبله بيت مبنى وانما دحيت الارض من تحتها وهو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق
الله سبحانه السماء والارض خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكانت زبدة بيضاء على الماء عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن ابي عبد الله
انها كانت مهاة بيضاء يعني درة وروى ابو خديجة عنه عليه السلم قال ان الله تعالى انزله لادم من الجنة وكانت درة بيضاء فرفعه الله
الى السماء وبقي اسه وهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يرجعون اليه ابدا فامر الله سبحانه ابرهيم واسمعيل يبنيان البيت
على القواعد وقيل معناه ان اول بيت وضع للعبادة ولم يكن قبله بيت يحج اليه البيت الحرام وقد كانت قبله بيوت كثيرة ولكنه اول بيت
مباركا وهدى وضع للناس عن علي عليه السلم والحسن وقيل اول بيت رغب فيه وطلب منه البركة مكة عن الضحاك وروى اصحابنا ان اول
شئ خلق الله من الارض موضع الكعبة ثم دحيت الارض من تحتها وروى ابو ذر انه سئل النبي صلى الله عليه واله عن اول مسجد وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس للذي ببكة قيل بكة المسجد ومكة الحرم كله يدخل فيه البيوت عن الزهري وضمرة بن ربيعة وهو المروي عن
ابي جعفر عليه السلم وقيل بكة بطن مكة عن ابي عبيدة وقيل بكة موضع البيت والمطاف ومكة اسم البلد وعليه الاكثر وقيل بكة هي مكة والعرب تبدل
الباء ميما مثل سبد راسه وسمده عن مجاهد والضحاك مباركا يعني كثير الخير والبركة وقيل مباركا لثبوت العبادة فيه دايما حتى يحكى ان الطواف
به لا ينقطع ابدا وقيل لانه يضاعف فيه ثواب العبادة عن ابن عباس وروا فيه حديثا طويلا وقيل لانه يغفر فيه الذنوب ويجوز حمله على الجميع
اذ لا تنافي وهدى للعالمين اى دلالة لهم على الله سبحانه باهلاكه كل من قصده من الجبابرة كاصحاب الفيل وغيرهم وباجتماع الظبي في حرمه مع الكلب و
الذيب فلا ينفر عنه مع نفرته عنه في غيره من البلاد وبانمحاق الجمار على كثرة الرماة فلولا انها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجارة مثل الجبال و
باستيناس الطيور فيه بالناس وباستشفاء المريض بالبيت وبان لا يعلوه طير اعظاما لله الى غير ذلك من الدلالات وقيل معناه انهم يهتدون
به الى جهة صلوتهم او يهتدون الى الجنة بحجه والطواف به فيه ايات بينات اى دلالات واضحات والهاء في فيه عايد الى البيت وروى عن ابن عباس
انه قرا فيه اية بينة مقام ابرهيم وحده هو الاية وقال اثر قدميه في المقام اية بينة والاول عليه القراء والمفسرون ارادوا مقام ابرهيم والحجر
الاسود والحطيم وزمزم والمشاعر كلها وازدحام الناس عليها وتعظيمهم لها وقد مضى ذكر مقام ابرهيم في سورة البقرة وسئل الصادق عليه السلم
عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الاسود والباب قيل ولم سمي الحطيم قال لان الناس يحطم بعضهم بعضا وهو الموضع الذي فيه تاب الله على ادم وقال عليه السلم
ان تهيا لك ان تصلي صلوتك كلها الفرايض وغيرها عند الحطيم فافعل فانه افضل بقعة على وجه الارض وبعده الصلوة في الحجر افضل وروى عن ابي
حمزة الثمالي قال قال لنا علي بن الحسين عليه السلم اى البقاع افضل فقلنا الله ورسوله وابن رسوله اعلم فقال لنا افضل البقاع ما بين الركن والمقام

المكان

ولو ان رجلا عمر ما عمر نوح عليه السلام في قومه الف سنة الا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المقام ثم لقي الله عز وجل بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئا وقال الصادق عليه السلام الركن اليماني بابنا الذي ندخل منه الجنة وروي انه من روى من ماء زمزم احدث له به شفاء وصرف عنه داء قال المفسرون ومن تلك الايات مقام ابرهيم وامن الداخل فيه وامن الوحوش من السباع الضارية وانه ما علي عبد على الكعبة الاعتق واذا كان الغيث من ناحية الركن اليماني كان الخصب باليمن واذا عم البيت كان في جميع البلدان وساير ما ذكرناه قبل من الايات وقوله ومن دخله كان امنا عطف على مقام ابرهيم وفي مقام ابرهيم دلالة واضحة لانه حجر صلد يرى فيه اثر قدميه ولا يقدر احد على ان يجعل الحجر في لين الطين الا الله سبحانه وروي عن ابن عباس انه قال ان الحرم كله مقام ابرهيم ومن دخل مقام ابرهيم يعني الحرم كان امنا قيل وفيه اقوال ان الله عطف قلوب العرب في الجاهلية على ترك التعرض لمن لاذ بالحرم والتجاء اليه وان كثرت جريمته ولم يزده الاسلام الا شدة عن الحسن وثانيها انه خبر والمراد به الامر ومعناه ان من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع ولا يشارى ولا يبايع حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وعلى هذا يكون تقديره من دخله فامنوه وثالثها ان معناه من دخله عارفا بجميع ما اوجب الله عليه كان امنا في الاخرة من العقاب الدائم وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام واجمعت الامة على ان من اصاب فيه ما يوجب الحد اقيم عليه الحد فيه ثم لما بين الله سبحانه فضيلة بيته الحرام عقبه بذكر وجوب حجة الاسلام فقال ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومعناه ولله على من استطاع الى حج البيت سبيلا حج البيت اي من وجد اليه طريقا بنفسه وماله واختلف في الاستطاعة فقيل هو الزاد والراحلة عن ابن عباس وابن عمر وقيل ما يمكنه بلوغ مكة باي وجه يمكن عن الحسن معناه القدرة على الوصول اليه والمروي عن ائمتنا عليهم السلام انه وجود الزاد والراحلة ونفقة من يلزمه نفقته والرجوع الى كفاية اما من مال او ضياع او حرفة مع الصحة في النفس وتخلية السرب من الموانع وامكان السير ومن كفر معناه ومن جحد فرض الحج ولم يره واجبا عن ابن عباس والحسن فان الله غني عن العالمين لم يتعبدهم بالعبادة لحاجته اليها وانما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم وقيل ان المعني به اليهود فانه لما نزل قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فامروا بالحج فلم يحجوا فعلى هذا يكون معنى من كفر من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر والله غني عن العالمين وقيل المراد به كفران النعمة لان امتثال امر الله شكر لنعمته وترك المامور به كفران لنعمته وقد روي عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال من لم يحبسه حاجة ظاهرة من مرض حابس او سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او ان شاء نصرانيا وروي عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وفي هذه الاية دليل على فساد قول من قال ان الاستطاعة مع الفعل لان الله اوجب الحج على المستطيع ولم يوجب على غير المستطيع وذلك لا يمكن الا قبل فعل الحج النظم وجه اتصال الاية بما قبلها ان الله امر اهل الكتاب باتباع ملة ابرهيم ومن ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر سبحانه البيت وفضله وحرمته وما يتعلق به في قوله ان اول بيت وضع للناس قوله قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون اللغة البغية الطلب يقال بغيت الشيء ابغيه قال عبد بني الحسحاس بغاك وما تبغيه حتى وجدته

كانك قد واعدته امس موعدا

اي طلبك وما تطلبه ويقال ابغني كذا بكسر الهمزة اي اطلبه لي واصله ابغ لي فحذفت اللام لكثرة الاستعمال واذا قلت ابغني بفتح الهمزة فمعناه اعني على طلبه ومثله احملني واحلبني واحلبني اي اعني على الحلب والعوج بفتح العين ميل كل شيء منتصب نحو القناة والحائط وبكسر العين هو الميل عن الاستواء في طريق الدين وفي القول وفي الارض ومنه قوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا الاعراب من امن في موضع نصب بانه مفعول تصدون والكناية في قوله تبغونها راجعة الى السبيل المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج اهل الكتاب فقال سبحانه مخاطبا للنبي صلى الله عليه وآله يامره بخطاب اليهود والنصارى وقيل اليهود خاصة قل يا محمد لهم يا اهل الكتاب اي قل يا محمد لهم لم تكفرون بايات الله اي بالمعجزات التي اتاها محمد عليه السلام والعلامات التي وافقت في صفته ما تقدمت البشارة به وسماهم اهل الكتاب وان لم يعملوا به ولم يجز مثل ذلك في اهل القران لوجهين احدهما ان القران اسم خاص لكتاب الله تعالى واما الكتاب فلا ينبئ عن ذلك بل يجوز ان يراد به يا اهل الكتاب المحرف عن جهته والثاني الاحتجاج عليهم بالكتاب لاقرارهم به فكانه قيل يا من يقر بانه من اهل كتاب الله لم تكفرون بايات الله واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به التوبيخ وانما جاء التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث انه سوال تعجيز عن اقامة العذر فكانه قال هاتوا العذر في ذلك ان امكنكم والله شهيد على ما تعملون اي حفيظ على اعمالكم محص لها ليجازيكم عليها وقيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجة عليكم فيها وقال عز اسمه في هذا الموضع قل يا اهل الكتاب وفي موضع اخر يا اهل الكتاب لانه سبحانه خاطبهم

في موضع على جهة التلطف في استدعائهم الى الايمان واعرض عن خطابهم في موضع اخر وامر نبيه سبحانه بمخاطبتهم استخفافا بهم لصدهم عن الحق قل يا محمد يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن اي لم تمنعون المومنين عن دين الاسلام الذي هو دين الله وسبيله واختلف في كيفية صدهم عن سبيل الله فقيل انهم كانوا يغرون بين الاوس والخزرج بتذكيرهم الحروب التي كانت بينهم في الجاهلية حتى تدخلهم الحمية والعصبية فينسلخوا عن الدين عن زيد بن اسلم فعلى هذا يكون الاية في اليهود خاصة وقيل الاية في اليهود والنصارى ومعناها لم تصدون بالتكذيب بالنبوة وان صفته ليست في كتبكم عن الحسن وقيل بالتحريف والبهت عن الاصم تبغونها عوجا اي تطلبون لسبيل الله عوجا عن سمت الحق وهو الضلال فكانه قال تبغونها ضلالا الا بالشبه التي تدخلونها على الناس وقيل معناه تطلبون ذلك السبيل على وجه الاستقامة اي على غير الوجه الذي ينبغي ان يطلب وقوله وانتم شهداء فيه قولان احدهما ان معناه انتم شهداء بتقدم البشارة بمحمد في كتبكم فكيف تصدون عنه من يطلبه وتريدون عدولا عنه والاخر ان المراد وانتم عقلاء كما قال سبحانه او القى السمع وهو شهيد اي عاقل وذلك انه يشهد الدليل الذي يميز به بين الحق والباطل فيما يتعلق بالدين وما الله بغافل عما تعملون هذا تهديد لهم على الكفر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم اللغة الطاعة موافقة الارادة الجاذبة للفعل بالترغيب فيه والاجابة موافقة الارادة الداعية الى الفعل ولذلك يجوز ان يكون الله سبحانه مجيبا للعبد اذا فعل ما دعا العبد به ولم يجز ان يكون مطيعا له واصل الاعتصام الامتناع وعصمه يعصمه اذا منعه ولا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع والعصام الحبل لانه يعتصم به والعصم الاوعال لامتناعها بالجبال النزول نزلت في الاوس والخزرج لما اغرى قوم من اليهود بينهم يذكرونهم حروبهم في الجاهلية ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن اسلم والسدي وقيل نزل قوله كيف تكفرون في مشركي العرب عن الحسن المعنى ثم حذر سبحانه المومنين عن قبول قولهم فقال يا ايها الذين امنوا اي صدقوا الله ورسوله وهو خطاب للاوس والخزرج ويدخل غيرهم من المومنين في عموم اللفظ ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب معناه ان تطيعوا هؤلاء اليهود في قبول قولهم واحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية يردوكم بعد ايمانكم كافرين اي يرجعوكم كفارا بعد ايمانكم ثم اكد سبحانه الامر وعظم الشان فقال وكيف تكفرون اي على اي حال يقع منكم الكفر وانتم تتلى عليكم ايات الله وهذا استبعاد ان يقع منهم الكفر مع معرفتهم بايات الله سبحانه وفيهم داع يدعوهم الى الايمان وقيل هو على التعجيب اي لا ينبغي لكم ان تكفروا مع ما تقرأ عليكم في القران المجيد من الايات الدالة على وحدانية الله تعالى ونبوة نبيه صلى الله عليه وآله وفيكم رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وآله ترون معجزاته والكفر وان كان فظيعا في كل حال فهو في مثل هذه الحالة افظع ويجوز ان يكون المراد بقوله وفيكم رسوله القوم الذين كان النبي عليه السلام بين اظهرهم خاصة ويجوز ان يكون المراد به جميع امته لان اثاره وعلاماته من القران وغيره فينا قائمة باقية وذلك بمنزلة وجوده فينا حيا ومن يعتصم بالله ان يتمسك بكتابه واياته وبدينه وقيل من يمتنع بالله عن سواه بان يعبده لا يشرك به شيئا وقيل من يمتنع عن الكفر والهلاك بالايمان بالله وبرسوله فقد هدي الى صراط مستقيم اي طريق واضح عن قتادة وفي هذه الاية علمان بينان كتاب الله ونبي الله فاما نبي الله فقد مضى واما كتاب الله فابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقيل انهم قد شاهدوا في نفسه صلوات الله عليه معجزات كثيرة منها انه كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه ومنها انه كان تنام عيناه ولا ينام قلبه ومنها ان ظله لم يقع على الارض ومنها ان الذباب لم يقع عليه ومنها ان الارض كانت تبتلع ما يخرج منه فكان لا يرى له بول ولا غائط ومنها انه كان لا يطوله احد وان طال ومنها انه كان بين كتفيه خاتم النبوة ومنها انه كان اذا مر بموضع يعلمه الناس لطيبه ومنها انه كان يسطع نور من جبهته في الليلة المظلمة ومنها انه قد ولد مختونا الى غير ذلك من الايات قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون اللغة تقاة من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلثة اوجه تقاة ووقاة واقاة حمله على تياس وجوه واجوه وان كان هذا المثال لم يجئ منه شيء على الاصل نحو تخمة وتكأة غير انه حمله على الاكثر من نظائره والحبل السبب الذي يوصل به الى البغية كالحبل الذي يتمسك به للنجاة من بئر او نحوها ومنه الحبل الامان لانه سبب النجاة قال الاعشى

واذا اجوزها حبال قبيلة اخذت من الاخرى

اليك حبالها ومنه الحبل للحمل في البطن واصله الحبل المفتول قال ذو الرمة هل حبل خرقا بعد اليوم مرموم ام هل لها آخر الايام تكليم وشفا الشئ
مقصور حرفه ويثنى شفوان وجمعه اشفاء واشفى على الشئ اشرف عليه واشفى المريض على الموت من ذلك الاعرب قوله وانتم مسلمون جملة في موضع الحال
وقوله جميعا نصب على الحال ايضا اى واعتصموا في حال اجتماعكم اى كونوا مجتمعين على الاعتصام لا تفرقوا اصله لا تتفرقوا فحذف احد التائين كراهة
لاجتماع المثلين والمحذوفة الثانية لان الاولى علامة الاستقبال وهو مجزوم بالنهي وعلامة الجزم سقوط النون وقوله فانقذكم منها الكناية
في منها عادت الى الحفرة وترك شفاء ومثله قول العجاج طول الليالي اسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي فترك الطول واخبر عن الليالي
النزول قال مقاتل افتخر رجلان من الاوس والخزرج ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين
ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله حكمه في بني قريظة
وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القران ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى
الحديث بينهما فغضبا وتفاخرا ونادا يا لجاء الاوسي الى الاوسي والخزرجي الى الخزرجي ومعهم السلاح فبلغ ذلك النبي عليه السلم فركب حمارا واتاهم
فانزل الله هذه الايات فقراها عليهم فاصطلحوا المعنى لما نهى سبحانه عن قبول اقوال الكافرين بين في هذه الايات ما يجب قبوله فقال يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته معناه اتقوا عذاب الله اى احترسوا وامتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق وكما يجب ان يتقى وينبغي ان يحترس منه وذكر
في قوله حق تقاته وجوه احدها ان معناه ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى عن ابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروي عن
ابي عبد الله عليه السلم وثانيها انه اتقا جميع معاصيه عن ابي علي الجبائي وثالثها انه المجاهدة في الله وان لا يأخذ فيه لومة لائم وان يقام بالقسط
في الخوف والامن عن مجاهد ثم اختلف فيه ايضا على قولين احدهما انه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم عن قتادة والربيع والسدي
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم والاخر انه غير منسوخ عن ابن عباس وطاوس وانكر الجبائي نسخ الاية لما فيه من اباحة بعض المعاصي
قال الرماني والذي عندي انه اذا وجه قوله اتقوا الله حق تقاته على ان يقوموا لله بالحق في الخوف والامن لم يدخل عليه ما ذكره ابو علي لانه لا يمتنع
ان يكون اوجب عليهم ان يتقوا الله على كل حال ثم اباح ترك الواجب عند الخوف على النفس كما قال الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقوله ولا تموتن
الا وانتم مسلمون قد ذكر في سورة البقرة ان معناه لا تتركوا الاسلام وكونوا عليه حتى اذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه وانما قال بلفظ النهي
عن الموت من حيث ان الموت لا بد منه وانما النهي في الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يهلكوا بالانقطاع عن التمكين منه بالموت الا انه وضع كلام
موضع كلام على جهة تصرف الابدال الحسن الاستعارة وزوال اللبس وروي عن ابي عبد الله عليه السلم وانتم مسلمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما
اتى به النبي عليه السلم ومنقادون له واعتصموا بحبل الله اى تمسكوا به وقيل امتنعوا به من غيره وقيل في معنى حبل الله اقوال احدها انه القران
عن ابي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدي وروي ذلك مرفوعا وثانيها انه دين الله والاسلام عن ابن عباس
وابن زيد وثالثها ما رواه ابان بن تغلب عن جعفر بن محمد عليه السلم قال نحن حبل الله الذي قال واعتصموا بحبل الله جميعا والاولى حمله
على الجميع والذي يؤيده ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ايها الناس اني قد تركت فيكم خليفتين ان اخذتم بهما
لن تضلوا بعدي احدهما اكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض
ولا تفرقوا معناه ولا تتفرقوا عن دين الله الذي امركم فيه بلزوم الجماعة والايتلاف على الطاعة واثبتوا عليه عن ابن مسعود وقتادة
وقيل معناه لا تتفرقوا عن رسول الله عن الحسن وقيل عن القران بترك العمل به واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم قيل اراد
ما كان بين الاوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة الى ان الف الله بين قلوبهم بالاسلام فزالت تلك الاحقاد عن ابن
اسحق وقيل هو ما كان بين مشركي العرب من الطوائل عن الحسن والمعنى احفظوا نعمة الله ومنته عليكم بالاسلام وبالايتلاف ورفع ما كان
بينكم من التنازع والاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم في العاجل مع ما اعد لكم من الثواب الجزيل في الاجل اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بجمعكم
على الاسلام ورفع البغضاء والشحناء عن قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا متواصلين واحبابا متحابين بعد ان كنتم متعادين متحاربين وصرتم بحيث
يقصد كل واحد منكم مراد الاخر لان اصل الاخ من توخيت الشئ اذا قصدته وطلبته وكنتم على شفا حفرة من النار اى وكنتم يا اصحاب محمد على
طرف حفرة من جهنم لم يكن بينكم وبينها الا الموت فانقذكم الله منها بان ارسل اليكم رسولا هداكم للايمان ودعاكم اليه فنجيتم باجابته من النار

وانما

وانما قال فانقذكم منها وان لم يكونوا فيها لانهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها قال ابو الجوزا قرا ابن عباس
وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها واعرابي يسمع فقال الاعرابي والله ما انقذهم منها وهو يريد ان يقحمهم فيها فقال ابن
عباس اكتبوها من غير فقيه كذلك يبين الله اى الدلالات والحجج فيما امركم به ونهاكم عنه لعلكم تهتدون اى لكي تهتدوا الى الحق
والصواب قوله عز وجل ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك
هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم اللغة الامة
اشتقاقها من الام الذي هو القصد وفي اللغة تستعمل على ثمانية اوجه منها الجماعة ومنها اتباع الانبياء لاجتماعهم على مقصد واحد ومنها القدوة
لانه يأتم به الجماعة ومنها الدين والملة كقوله انا وجدنا اباءنا على امة ومنها الحين والزمان كقوله سبحانه الى امة معدودة ومنها القامة
يقال رجل حسن الامة اى القامة ومنها النعمة ومنها الامة بمعنى الام الاعراب منكم امة من هنا للتبعيض على قول اكثر المفسرين لان الامر
بالمعروف وانكار المنكر ليسا بفرضين على الاعيان وهما من فروض الكفايات فاى فرقة قامت بها سقطا عن الباقين ومن قال هما من
فروض الاعيان قال ان من ههنا للتبيين ولتخصيص المخاطبين من بين ساير الاجناس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقال الشاعر
اخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزفر اى هو النوفل الزفر لانه وصفه باعطاء الرغائب والنوفل الكثير الاعطاء والزفر
الذي يحمل الاثقال المعنى ولتكن منكم امة اى جماعة يدعون الى الخير اى الى الدين ويامرون بالمعروف بالطاعة وينهون عن المنكر اى المعصية
واولئك هم المفلحون اى الفائزون وقيل كل ما امر الله تعالى ورسوله عنه فهو معروف وما نهى الله ورسوله عنه فهو منكر وقيل المعروف
ما يعرف حسنه عقلا او شرعا والمنكر ما ينكره العقل او الشرع وهذا يرجع في المعنى الى الاول وروي عن ابي عبد الله عليه السلام ولتكن
منكم ائمة كنتم خير ائمة اخرجت للناس وفي هذه الاية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم محلهما وموقعهما من الدين لانه
سبحانه علق الفلاح بهما واكثر المتكلمين على انهما من فروض الكفايات ومنهم من قال هما من فروض الاعيان واختاره الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه
والصحيح ان ذلك انما يجب بالسمع وليس في العقل ما يدل على ذلك الا اذا كان على سبيل دفع الضرر وقال ابو علي الجبائي يجب عقلا والسمع يؤكده
ومما ورد فيه ما رواه الحسن عن النبي عليه السلم قال من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة
كتابه وعن درة بنت ابي لهب قالت جاء رجل الى النبي عليه السلم وهو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال آمرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله وارضاهم وقال ابو الدرداء لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله سلطانا ظالما لا
يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا تغفرون وقال حذيفة ياتي
على الناس زمان لا يكون فيهم جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ثم امر سبحانه بالجماعة وترك الفرقة فقال
سبحانه ولا تكونوا كالذين تفرقوا في الدين وهم اليهود والنصارى عن الحسن وقال الربيع فكانه قال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كاليهود
والنصارى واختلفوا في معناه تفرقوا ايضا وذكرهما للتاكيد واختلاف اللفظين كقول الشاعر متى ادن منه ينأ عني ويبعد وقيل معناه
كالذين تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الديانة من بعد ما جاءهم البينات اى الحجج والكتب وبين لهم الطرق واولئك لهم عذاب عظيم عقوبة
على تفرقهم واختلافهم بعد مجيء الايات والبينات وظاهر الاية يدل على تحريم الاختلاف في الدين وان ذلك مذموم قبيح منهي عنه قوله
عز وجل يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون الاعراب العامل في قوله يوم قوله عظيم وتقديره عظيم عذابهم
يوم تبيض وجوه ولا يجوز ان يكون العامل فيه عذاب لانه موصوف قد فصلت صفته بينه وبين معموله لكن يجوز ان تعمل فيه الجملة لانها
في معنى يعذبون كما يقال المال لزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل والجملة خلف منه وجواب اما في قوله فاما الذين اسودت وجوههم
محذوف وتقديره فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم اكفرتم فحذف لدلالة اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كانه ناطق به وقد
يحذف القول في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اى يقولون
ربنا لدلالة تنكيس الراس من المجرم على سؤال الاقالة ومثله كثير المعنى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه اخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب

اى مثل البيان الذى تلى عليكم يبين الله لكم الايات

اى يثبت لهم العذاب فى يوم هذه صفته وانما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الايمان والطاعة وتسود الوجوه للكافرين عقوبة لهم
على الكفر والسيئات بدلالة ما بعده وهو قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم اى يقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم واختلف فى من عنوا
به على اقوال احدها انهم الذين كفروا بعد اظهار الايمان بالنفاق عن الحسن وثانيها انهم جميع الكفار لاعراضهم عما وجب عليهم الاقرار به من
حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى فيقول اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق عن ابى بن كعب وثالثها انهم اهل الكتاب كفروا بالنبى صلى الله عليه
بعد ايمانهم به اى بنعته وصفته قبل مبعثه عن عكرمة واختاره الزجاج والجبائى ورابعها انهم اهل البدع والاهواء من هذه الامة عن على عليه السلام
ومثله عن قتادة انهم الذين كفروا بالارتداد وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال والذى نفسى بيده ليردن على الحوض ممن صحبنى اقوام حتى
اذا رايتهم اختلجوا دونى فلاقولن اصحابى اصحابى فيقال لى انك لا تدرى ما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على اعقابهم القهقرى ذكره الثعلبى فى تفسيره
وقال ابو امامة الباهلى هم الخوارج وروى عن النبى عليه السلم انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية والالف فى اكفرتم اصله الاستفهام
والمراد به هنا التقريع اى لم كفرتم وقيل المراد التقرير فذوقوا العذاب اى تلقفوا الذوق على التوسع ومعناه انظروا ما صارا اليه عاقبتكم من الله تعالى
بما كنتم تكفرون اى بكفركم واما الذين ابيضت وجوههم وهم المؤمنون ففى رحمة الله اى ثواب الله وقيل جنة الله هم فيها خالدون اعاد كلمة الظرف
وهى قوله فيها تاكيدا لتمكين المعنى فى النفس وقيل انما اعادها لانه دل بقوله ففى رحمة الله على ادخاله اياهم فى الرحمة وبقوله هم فيها خالدون
على خلودهم فيها وسمى الله سبحانه الثواب رحمة والرحمة نعمة يستحق به الشكر وكل نعمة تفضل فى ذلك ان سبب الثواب الذى هو التكليف تفضل فكان
الثواب على هذا الوجه تفضلا وقيل انما جاز ان يكون تفضلا لانه بمنزلة انجاز الوعد والوعد فى انه تفضل مستحق لان المبتدى به قد كان له ان لا
يفعله فلما فعله وجب عليه الوفاء به لان الخلف قبيح وهو مع ذلك تفضل لانه جر اليه تفضل وقال بعضهم المراد بابيضاض الوجوه اشراقها
واسفارها للسرور بنيل البغية والظفر بالمنية والاستبشار بما يصير اليه من الثواب كقوله وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والمراد باسودادها
ظهور اثر الحزن عليها لما تصير اليه من العقاب كقوله ووجوه يومئذ باسرة ووجوه يومئذ عليها غبرة وفى هذا القول عدول عن حقيقة اللفظ من غير
ضرورة والاصح الاول قوله عز وجل تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الارض
والى الله ترجع الامور ايتان المعنى تلك ايات الله اى تلك التى قد جرت ذكرها حجج الله وعلاماته وبيناته نتلوها عليك نقرؤها عليك يا محمد وعلى امتك
ونذكرها لك ونعرفك اياها ونقصها عليك بالحق اى بالحكمة والصواب وما الله يريد ظلما للعالمين معناه لا يظلمهم بان يحملهم من العقاب
ما لم يستحقوه او ينقصهم من الثواب عما استحقوه وانما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم او لحاجته اليه من دفع ضرر او جر نفع تعالى الله عن صفة الجهل
والحاجة وساير صفات النقص علوا كبيرا وكيف يجوز ان يظلم احدا وهو الذى خلقهم وانشاهم وابتدعهم اتاهم من النعم ما لم يسمو اليه هممهم
عرضهم بها لما هو اعظم منها قدرا واجل خطرا وهو نعيم الاخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال ولله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا
وخلقا والى الله ترجع الامور اختلفوا فى كيفية رجوع الامور الى الله تعالى فقيل ان الامور تذهب بالفناء ثم يعيدها الله للمجازاة وقيل ان الله تعالى
قد ملك عباده فى الدنيا امورا وجعل لهم تصرفا ويرتفع جميع ذلك فى الاخرة ويرجع اليه كله كما قال سبحانه لمن الملك اليوم وفى وقوع المظهر موقع
المضمر فى قوله والى الله ترجع الامور قولان احدهما ليكون كل واحد من الكلامين مكتفيا بنفسه والاخر ليكون افخم فى الذكر والوضع موضع تفخيم
وليس كقول الشاعر لا ارى الموت يسبق الموت شئ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا لان البيت مفتقر الى الضمير والاية مستغنية عنه قوله عز وجل كنتم
خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم
الفاسقون اية المعنى لما تقدم ذكر الامر والنهى عقبه سبحانه بذكر من تصدى للقيام بذلك ومدحهم ترغيبا فى الاقتداء بهم فقال كنتم خير امة
اخرجت للناس فيه اقوال احدها ان معناه انتم خير امة وانما قال كنتم لتقدم البشارة بهم فى الكتب الماضية عن الحسن ويعضده ما روى عن
النبى صلى الله عليه واله انه قال انتم وفيتم سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل وثانيها ان المراد كنتم خير امة عند الله فى اللوح المحفوظ
عن الفراء والزجاج وثالثها ان كان ههنا تامة وخير امة نصب على الحال ومعناه وجدتم خير امة وخلقتم خير امة ورابعها ان كان مزيدة
لخروجها الا ان فيها تاكيدا لوقوع الامر لا محالة لانه بمنزلة ما قد كان فى الحقيقة فهى بمنزلة قوله اذكروا اذ انتم قليل وفى موضع اخر اذ كنتم قليلا فكثركم
ونظيره قوله وكان غفورا رحيما لان مغفرته المستانفة كالماضية فى تحقيق الوقوع وخامسها ان كان بمعنى صار كما فى قول الشاعر فخر على

الالاءة لم يوسد وقد كان الدماء له خمارا ومعناه صرتم خير امة خلقت لامركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وايمانكم بالله فتصير هذه الخصال
على هذا القول شرطا فى كونهم خيرا وقد روى عن بعض الصحابة انه قال من اراد ان يكون خير هذه الامة فليؤد شرط الله تعالى فيه
بالايمان بالله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واختلف فى المعنى بالخطاب فقيل هم المهاجرون خاصة عن ابن عباس والسدى وقيل نزلت
فى ابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابى حذيفة عن عكرمة وقيل هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله خاصة عن الضحاك وقيل هو خطاب
للصحابة ولكنه يعم ساير الامة ثم ذكر مناقبهم فقال يامرون بالمعروف اى بالطاعات وينهون عن المنكر اى عن المعاصى وسال ويقال القبيح
ايضا يعرف انه قبيح فلم خص الحسن باسم المعروف وجوابه ان القبيح بمنزلة ما لا يعرف لخموله وسقوطه وجعل الحسن بمنزلة النبيه الجليل القدر
يعرف لنباهته وعلو قدره وتؤمنون بالله اى بتوحيده وعدله ودينه ولو امن اهل الكتاب اى لو صدقوا بالنبى صلى الله عليه واله وبما جاء
به لكان خيرا لهم اى لكان ذلك الايمان خيرا لهم فى الدنيا والاخرة لانهم ينجون بها فى الدنيا من القتل وفى الاخرة من العذاب ويفوزون
بالجنة منهم اى من اهل الكتاب المؤمنون اى المعترفون بما دلت عليه كتبهم من صفة نبينا صلى الله عليه واله والبشارة به كعبد الله بن سلام و
اصحابه من اليهود والنجاشى واصحابه من النصارى واكثرهم الفاسقون اى الخارجون عن طاعة الله وانما وصفهم بالفسق دون الكفر الذى هو
اعظم لان الغرض الاية انهم خرجوا عما يوجبه كتابهم من الاقرار بالحق فى نبوة نبينا صلى الله عليه واله وقيل لانهم فى الكفار بمنزلة الفساق
فى العصاة لخروجهم الى الحال الفاحشة التى هى اشنع واقطع قوله عز وجل لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون
ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ايتان الاعراب الا اذى استثناء متصل وقوله اذى
فى تقدير النصب ومعناه لن يضروكم الا ضررا يسيرا فالاذى وقع موقع المصدر وقيل هو استثناء منقطع لان الاذى ليس من الضرر كقوله لا
يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا قال على بن عيسى هذا ليس بصحيح لان الكلام اذا امكن فيه الاستثناء الحقيقى لم يجز حمله على المنقطع
ويقاتلوكم شرط ويولوكم جزاء وعلامة الجزم فيهما سقوط النون وقوله ثم لا ينصرون رفع على الاستيناف ولم يجزم على العطف لان سبب التولية القتال
وليس كذلك منع النصر لان سببه الكفر ولان الرفع اشكل برؤس الاى المتقدمة وهو مع ذلك عطف جملة على جملة والعامل فى الباء من
من قوله بحبل من الله ضربت على معنى ضربت عليهم الذلة بكل حال الا بحبل وقال الفراء العامل فيه محذوف وتقديره الا ان يعتصموا بحبل من الله
وانشد اتنى بجبلها وصدت مخافة وفى الحبل روعاء الفؤاد فروق اراد رأتنى اقبلت بحبلها فحذف العامل فى الباء وقال قريب لحظو
يحسب من رانى ولست مقيدا انى بقيد اراد انى قيدت بقيد قال على بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين احدهما ان حذف الموصول
عند البصريين لا يجوز لانه اذا احتاج الى صلة يبين عنه فالحاجة الى البيان عنه بذكره اشد وانما يجوز حذف الشئ للاستغناء عنه بدلالة غيره
عليه فلو دل دليل عليه لحذف مع صلته لانه معها بمنزلة شئ واحد والوجه الاخر ان الكلام اذا صح معناه من غير حذف لم يجز تاويله
على الحذف وقيل فى هذا الاستثناء انه منقطع لان الذلة لازمة لهم على كل حال فجرى مجرى قوله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا
خطاء فعامل الاعراب موجود والمعنى على الانقطاع ومثله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وكل انقطاع ففيه ازالة الابهام الذى يلحق الكلام
فقوله لا يسمعون فيها لغوا قد توهم انهم من حيث لا يسمعون فيها لغوا لا يسمعون كلاما فقيل لذلك الا سلاما وكذلك قوله وما كان لمؤمن
ان يقتل مؤمنا على وجه فقيل لذلك الا خطاء وكذلك ضربت عليهم الذلة قد يتوهم انه من غير جواز موادعة فقيل الا بحبل من الله
وقيل ان الاستثناء متصل لان عز المسلمين عزهم بالدفعة وهذا لا يخرجهم من الذلة فى انفسهم النزول قال مقاتل ان رؤس اليهود مثل كعب
وابى رافع وابى ياسر وكنانة وابن صوريا عمدوا الى مؤمنيهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانبوهم لاسلامهم فنزلت الاية المعنى لن
يضروكم الا اذى وعد الله المؤمنين انهم منصورون وان اهل الكتاب لا يقدرون عليهم ولا ينالهم من جهتهم مضرة الا اذى من جهة القول
ثم اختلفوا فى هذا القول فقيل هو كذبهم على الله وتحريفهم كتاب الله وقيل هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذية وان يقاتلوكم اى
وان تجاوزوا عن الايذاء باللسان الى القتال والمحاربة يولوكم الادبار منهزمين ثم لا ينصرون اى لا يعاونون لكفرهم وفى هذه الاية دلالة على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه واله لوقوع مخبره على وفق خبره لان يهود المدينة من بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبى

صلى الله عليه واله وللمسلمين لم يثبتوا لهم قط وانهزموا ولم ينالوا من المسلمين الا بالسب والطعن ضربت عليهم الذلة اى اثبت عليهم الذلة
وانزلت بهم وجعلت محيطة بهم وهو استعارة من ضرب القباب والخيام عن ابى مسلم وقيل معناه الزموا الذلة فثبت فيهم من قولهم ضرب فلان الضريبة
على عبده اى الزمها اياه قال الحسن ضربت الذلة على اليهود فلا يكون لها منعة ابدا وقيل معناه فرض عليهم الجزية والهوان فلا يكونون فى موضع
الا بالجزية ولقد ادركهم الاسلام وهم يؤدون الجزية الى المجوس اينما ثقفوا اى وجدوا وقيل اخذوا وظفر بهم الا بحبل من الله وحبل من الناس على
وجه الذمة وغيرها من وجوه الامان عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسمى العهد حبلا لانه يعقد به الامان كما يعقد الشىء بالحبل و
باؤ بغضب من الله اى رجعوا بغضب الله الذى هو عقابه ولعنه وقيل معناه استوجبوا غضبا من الله وضربت عليهم المسكنة اى الذلة لان المسكين
لا يكون الا ذليلا فسمى الذلة مسكنة عن ابى مسلم وقيل المراد به الفقر لان اليهود ابدا يتفاقرون وان كانوا اغنياء وقد ذكرنا تفسير ما بقى من الاية
فى سورة البقرة النظم ووجه اتصال الاية بما قبلها اتصال البشارة بالظفر لما تقدم الامر بالجهاد لان الامر قد تقدم بانكار المنكر وقيل لما تقدم
ان اكثرهم فاسقون اتصل به ما تسكن قلوب المومنين من عاديتهم ويومنهم من ضررهم قوله عز وجل ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون
ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات و
اولئك من الصالحين ايات اللغة قيل فى واحد اناء قولان احدهما انى مثل معى والاخر انى مثل نحى قال الشاعر حلو ومر كعطف القدح مرته بكل
انى حذاه الليل ينتعل وحكى الاخفش انوا بالواو والمسارعة المبادرة وهى من السرعة والفرق بين السرعة والعجلة ان السرعة هى التقدم فيما يجوز ان
يتقدم فيه وهى محمودة وضدها الابطاء وهى مذموم والعجلة هى التقدم فيما لا ينبغى ان يتقدم فيه وهى مذمومة وضدها الاناة وهى محمودة
النزول قيل سبب نزول الاية انه لما اسلم عبد الله بن سلام وجماعة قالت احبار اليهود ما امن بمحمد الا اشرارنا فانزل الله تعالى ليسوا سواء الى
قوله من الصالحين عن ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل انها نزلت فى اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم
كانوا على عهد عيسى وصدقوا محمدا عن عطاء المعنى ليسوا سواء اختلفوا فى تقديره فى القول الصحيح ان هذا وقف تام وقوله من اهل الكتاب ابتداء كلام
ومعناه ليس الذين ذكرنا من اهل الكتاب سواء اى ليس الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه والذين لم يومنوا سواء فى الدرجة
والمنزلة ثم استانف وبين افتراقهم فقال من اهل الكتاب امة قائمة فحصل بهذا بيان الافتراق وهذا كما لو اخبر القائل عن قوم بخبر فقال ليسوا فلان
يعملون كذا وكذا ثم قال ليسوا سواء فان منهم من يفعل كذا وكذلك لو ذم قبيلة بالبخل والجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد ومنهم الشجاع
فيكون منهم الجواد ومنهم الشجاع ابتداء كلام وقال ابو عبيدة هو على لغة اكلونى البراغيث ومثله قوله ثم عموا وصموا كثير منهم وقول الشاعر رايت
الغوانى الشيب لاح بعارضى فاعرضن عنى بالخدود النواضر قال الزجاج والرمانى وليس الامر كما قال لان ذكر اهل الكتاب قد جرى فاخبر
تعالى انهم غير متساوين لان هذه اللغة ردية فى القياس والاستعمال وقال الفراء يعنى منهم امة قائمة وامة غير قائمة فحذف اكتفاء بذكر احد
الفريقين كما قال ابو ذويب عصيت اليها القلب انى لامرها مطيع فما ادرى ارشد طلابها ولم يقل ام غى وقال اخر اراك فما ادرى اهم هممته و
ذو الهم قدما خاشع متضائل ولم يقل ام غيره لان حاله فى التغير ينبئ ان الهم غيره ام غيره فعلى هذا يكون رفع امة على معنى الفعل وتقديره لا
يستوى امة هادية وامة ضالة وعلى القول الاول رفع على الابتداء وانكر الزجاج هذا القول وقال ليس بنا حاجة هنا الى تقدير محذوف لان
ذكر الفريقين قد جرى فى قوله منهم المومنون واكثرهم الفاسقون ثم قال ليسوا سواء ولا يحتاج الى ان يقدر وامة غير قائمة وقد تقدم صفتهم فى قوله
يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء وقوله امة قائمة فيه وجوه احدها ان معناه جماعة ثابتة على امر الله عن ابن عباس وقتادة والربيع و
ثانيها عادلة عن الحسن ومجاهد وابن جريج وثالثها قائمة بطاعة الله عن السدى ورابعها ان التقدير ذو امة قائمة اى ذو طريقة مستقيمة عن
الزجاج وانشد النابغة وهل ياثمن ذو امة وهو طائع اى ذو طريقة من طرائق الدين قال على بن عيسى وهذا القول ضعيف لانه عدول
عن الظاهر وحكم بالحذف من غير دلالة يتلون ايات الله يقرؤن كتاب الله وهو القران اناء الليل ساعاته واوقاته عن الحسن والربيع وقيل
يعنى جوف الليل عن السدى وقيل اراد به وقت صلاة العتمة لان اهل الكتاب لا يصلونها يعنى انهم يصلون صلوة العتمة عن ابن مسعود وقيل
انه الصلوة ما بين المغرب الى العشاء الاخرة عن الثورى وهى الساعة التى تسمى ساعة الغفلة وهم يسجدون قيل اراد السجود المعروف فى الصلوة فعلى
هذا يكون معناه وهم مع ذلك يسجدون ويكون الواو يعطف جملة على جملة وقيل معناه يصلون فعبر بالسجود عن الصلوة لان السجود ابلغ الاركان

ابو عبيدة واحدها انى مثل نحى والمعى
اناء واناء وانشد للهذلى حلو ومر كعطف القدح
مرته فى كل انى قضاه الليل ينتعل صح

بق قدما كان كذا وكذا
وهو اسم من القدم جعل
اسما من اسماء الزمان
صح

فى التواضع عن الزجاج والفراء والبلخى قالوا لان القراءة لا تكون فى السجود ولا فى الركوع وعلى هذا يكون الواو للحال اى يتلون ايات الله بالليل فى صلاتهم
وهو قول الجبائى ايضا يؤمنون بالله اى بتوحيده وصفاته واليوم الاخر المتاخر عن الدنيا يعنى البعث يوم القيمة ويامرون بالمعروف بالاقرار بنبوة محمد صلى الله
عليه واله وينهون عن المنكر عن انكار نبوته ويسارعون فى الخيرات اى يبادرون الى فعل الخيرات والطاعات خوف الفوات بالموت وقيل معناه يعملون
الاعمال الصالحة غير متثاقلين فيها لعلمهم بجلالة موقعها وحسن عاقبتها واولئك من الصالحين اى من جملتهم وفى عدادهم وهذا نفى لقولهم ما امن
به الا اشرارنا وفى هذه الاية دلالة على عظم موقع صلوة الليل من الله تعالى وقد صح عن النبى صلى الله عليه واله انه قال ركعتان يركعهما العبد فى جوف
الليل الاخير خير له من الدنيا وما فيها ولو لا ان اشق على امتى لفرضتهما عليهم وقال ابو عبد الله عليه السلم ان البيوت التى يصلى فيها بالليل بتلاوة القران
تضئ لاهل السماء كما تضئ نجوم السماء لاهل الارض وقال عليه السلم عليكم بصلوة الليل فانها سنة نبيكم وداب الصالحين قبلكم ومطردة الداء عن اجسادكم
قوله عز وجل وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين اية القراءة قرا اهل الكوفة الا ابا بكر بالياء والباقون بالتاء الا ابا عمرو
فانه كان يخير الحجة وجه القراءة بالياء ان يكون كناية عمن تقدم ذكره من اهل الكتاب ليكون الكلام على طريقة واحدة ووجه التاء انه خلطهم بغيرهم
من المكلفين ويكون خطابا للجميع فى ان حكمهم واحد الاعراب وما تفعلوا ما للمجازاة وتفعلوا مجزوم بالشرط وانما جوزى بما ولم يجاز بكيف لان ما امكن من
كيف لانها تكون معرفة ونكرة لانها للجنس وكيف لا تكون الا نكرة لانها للحال والحال لا يكون الا نكرة لانها للفائدة المعنى وما تفعلوا من خير اى من طاعة
فلن تكفروه اى لن تمنع عنكم جزاءه وسمى منع الجزاء كفرا على الاتساع لانه بمنزلة الجحد والستر له ومعناه لا تجحد طاعتكم ولا تستر بمنع الجزاء وهذا كما يوصف
الله تعالى بانه شاكر وحقيقته انه يثيب على الطاعة ثواب الشاكر على النعمة فلما استعير للثواب الشكر استعير لنقيضه من منع الثواب الكفر لان الشكر فى الاصل
هو الاعتراف بالنعمة والكفر ستر النعمة من المنعم عليه بتضييع حقها والله عليم بالمتقين اى باحوالهم فيجازيهم وانما خص المتقين بالذكر وان كان عليما بالكل لان
الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فنبه بذلك على انه لا يضيع شىء من عملهم قل ام كثر لان المجازى عليم بكل ذلك وهذه الاية تدل على ان شيئا من اعمال الخير والطاعة
لا تبطل البتة خلافا لقول من قال بالاحباط قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون ايات اللغة يقال اغنى عنه اذا دفع عنه ضررا لولاه لنزل به واذا قيل اغناه كذا عن كذا افاد ان احد
الشيئين صار بدلا من الاخر فى نفى الحاجة والغنى الاختصاص بما ينفى الحاجة فان اختص بما ينفى الحاجة فذلك فهو غنى وكذلك الغنى بالجاه والاصحاب
وغير ذلك فاما الغنى فى صفات الله تعالى فهو اختصاصه بكونه قادرا على وجه لا يعجزه شىء وقولنا فيه انه غنى معناه انه لا يجد عليه الحاجة
اصحاب النار انما سموا بذلك لملازمتهم فيها كما يقال هولاء اصحاب الصحراء اذا كانوا ملازمين لها وقد يقال اصحاب العقار يعنى ملاكه واصحاب الرجل
اتباعه واعوانه واصحاب العالم المتعلمون منه فالاضافات تختلف واصل المصاحبة الملازمة والنار اصله من النور وهو جسم لطيف فيه حرارة
ونور واعتماد علوى والريح واحدة الرياح ومنه الروح لدخول الريح الطيبة على النفس وكذلك الارتياح والتروح والراحة من التعب ومنه
الروح لانها كالريح فى اللطافة ومنه الرائحة لان الريح تحملها الى الحس والصر البرد الشديد واصله من الصرير وهو الصوت قال الزجاج الصر
صوت لهيب النار التى كانت فى تلك الريح وجوزان يكون الصرصوت الريح الباردة الشديدة وذلك من صفات الشمال فانها توصف بان لها قعقعة
والصرة شدة الصياح المعنى لما تقدم وصف المومنين عقبه تعالى ببيان حال الكافرين فقال ان الذين كفروا بالله ورسوله لن تغنى عنهم اى لن
تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان هذين معتمد الخلق واعز الاشياء عليهم فاذا
لم يغنيا عن الانسان شيئا فغيرهما اغنى وابعد واولئك اصحاب النار اى ملازموها هم فيها خالدون اى دائمون ثم ضرب مثلا لانفاقهم فقال
مثل ما ينفقون اى شبه ما يخرجون من اموالهم فى هذه الحيوة الدنيا قيل هو ما ينفقون على الكفار فى عداوة الرسول صلى الله عليه واله وقيل ما انفقه
ابو سفيان واصحابه ببدر واحد لما تظاهروا على النبى صلى الله عليه واله وقيل هو ما انفقه سفلة اليهود على علمائهم وقيل هو مثل الجمع صدقات الكفار
ونفقاتهم فى الدنيا عن مجاهد وفى الاية حذف وتقديره مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر فحذف اهلاك لدلالة اخر الكلام عليه
وفيه تقدير اخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيكون تشبيه ذلك الانفاق بالمهلك من الحرث بالرياح فيها صر قيل برد شديد عن ابن عباس والحسن
وقتادة وجماعة وقيل السموم الحارة القاتلة عن ابن عباس ايضا اصابت حرث قوم اى زرع قوم ظلموا انفسهم بالمعاصى فظلمهم اقتضى هلاك حرثهم

عوقبوا بهم وقيل ظلموا انفسهم بان زرعوا في غير موضع الزراعة او في غير وقتها فجاءت الريح فاهلكته تاديبا من الله لهم في وضع الشيء غير موضعه الذي هو حقه وما ظلمهم الله في اهلاك زرعهم لانهم استحقوا ذلك بظلمهم وقيل في قتلهم وسبيهم لانهم استحقوهما بكفرهم ولكن انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون** **اية اللغة** البطانة خاصة الرجل الذين يستبطنون امره ماخوذ من بطانة الثوب الذي يلي البدن لقربه منه وهي نقيض الظهارة وتسمى به الواحد والجمع والمذكر والمونث قال الشاعر اولئك خلصاني نعم وبطانتي وهم عيبتي من دون كل قريب لا يالونكم اي لا يقصرون في امركم خبالا ولا يتركون جهدهم فيما الا يالو الوا اذا افتر وضعف وقصر وما الوته جهدا او شرا اي ما قصرت في فعل ذلك وقال امرؤ القيس وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك اطراف الخطوب ولا آل اي مقصر في الطلب والخبال الشر والفساد ومنه الخبل بفتح الباء وسكونها الجنون لانه فساد العقل ورجل مخبل الراي اي فاسد الراي ومنه الاستخبال طلب اعادة المال لفساد الزمان قال زهير هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا واصل العنت المشقة عنت الرجل عنتا دخلت عليه المشقة واكمة عنوت صعبة المسلك لمشقة السلوك فيها واعنت فلان فلانا حمله على المشقة الشديدة فيما يطالبه به ومنه قوله ولو شاء الله لاعنتكم **الاعراب** من دونكم من للتبعيض والتقدير لا تتخذوا بعض المخالفين في الدين بطانة ويجوز ان يكون لتبيين الصفة فكانه قال لا تتخذوا بطانة من المشركين وهذا اولى لانه اعم ولا يجوز ان يتخذ المؤمن كافرا بطانة على كل حال وقيل ان من هنا زايدة وهذا غير حسن لان الحرف اذا صح حمله على الفايدة لا يحكم فيه بالزيادة وقوله خبالا نصب بانه المفعول الثاني لان الالو يتعدى الى مفعولين ويجوز ان يكون مصدرا لان المعنى يخبلونكم خبالا وموضع قوله ودوا ما عنتم يجوز ان يكون نصبا بانه صفة لبطانة ويجوز ان يكون لا موضع له من الاعراب لانه استيناف جملة وما في قوله ما عنتم مصدرية وتقديره ودوا عنتكم **النزول** نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الصداقة والقرابة والجوار والحلف والرضاع عن ابن عباس وقيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويخالطونهم عن مجاهد **المعنى** نهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومخالطتهم عن خوف الفتنة منهم عليهم فقال يا ايها الذين امنوا اي صدقوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اي لا تتخذوا الكافرين اولياء وخواص من دون المؤمنين تفشون اليهم اسراركم وقوله من دونكم اي من غير اهل ملتكم ثم بين تعالى العلة في المنع من مواصلتهم فقال لا يالونكم خبالا اي لا يقصرون فيما يؤدي الى افساد امركم ولا يدعون جهدهم في مضرتكم وقال الزجاج لا يبقون في القايكم فيما يضركم قال واصل الخبال ذهاب الشيء وقوله ودوا ما عنتم معناه تمنوا ادخال المشقة عليكم وقيل تمنوا اضلالكم عن دينكم عن السدي وقيل تمنوا ان يفتنوكم في دينكم اي يحملوكم على المشقة فيه عن ابن جريج وقوله قد بدت البغضاء من افواههم معناه ظهرت امارات العداوة لكم على السنتهم وفي فحوى اقوالهم وفلتات كلامهم وما تخفي صدورهم من البغضاء اكبر مما يبدونه بالسنتهم قد بينا لكم الايات اي اظهرنا لكم الدلالات الواضحات التي يتميز بها الولي من العدو ان كنتم تعقلون اي تعلمون الفصل بين الولي والعدو وقيل ان كنتم تعلمون مواعظ الله ومنافعها وقيل ان كنتم عقلاء فقد اتاكم من الله البيان الشافي **قوله تعالى ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور** **اية اللغة** العض بالاسنان معروف ومنه العض علف الامصار لان له مضغة في العض ليسمن عليها المال ورجل عض لزاز الخصم لانه يعضه بالخصومة والانامل اطراف الاصابع واصلها النمل المعروف فهو مشبه به في الدقة والتصرف بالحركة ومنه رجل نمل اي نمام لانه ينقل الاحاديث كنقل النملة في الخفي والكثرة **الاعراب** قال الاظهري يحتمل ان يكون اولاء منادى كانه قال يا اولاء وقال غيره ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره وتحبونهم حال وقال الزجاج جائز ان يكون تحبونهم خبر اولاء وتؤمنون عطف على تحبونهم ولا يجوز ان يقول ها قومك اولاء كما جاز ها انتم اولاء لان المضمر احق بها التي للتنبيه لانه كالمبهم في عموم ما يصلح له وليس كذلك الظاهر **المعنى** ثم بين الله سبحانه ما هم عليه من عداوة المؤمنين تاكيدا للنهي عن مصافاتهم فقال ها انتم اولاء تحبونهم قد مر ذكر معناه في الاعراب وتقديره ها انتم الذين تحبونهم او ها انتم اولاء محبين لهم اذا قلنا انه بمعنى الحال اي تنبهوا في حال محبتكم اياهم ولا يحبونكم لما بينكم من مخالفة الدين وقيل تحبونهم لانكم تريدون لهم الاسلام وتدعونهم الى الجنة ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر والضلال وفيه الهلاك وتؤمنون بالكتاب كله الكتاب واحد في موضع الجمع لانه اراد به الجنس كما يقال كثر الدرهم في ايدي الناس ويجوز ان يكون

من

من قولك كتبت كتابا والمراد به كتب الله التي انزلها على انبيائه وفي افراده ضرب من الايجاز واشعار في التفصيل في الاعتقاد ومعناه انكم تصدقون بها في الجملة والتفصيل من حيث تؤمنون بما انزل على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد وساير الانبياء عليهم السلم وهم لا يصدقون بكتابكم واذا لقوكم قالوا امنا معناه اذا راوكم قالوا صدقنا واذا خلوا مع انفسهم عضوا عليكم الانامل اي اطراف الاصابع من الغيظ اي من الغضب والحنق لما يرون من ايتلاف المومنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله اياهم وهذا مثل وليس هناك عض كقول الشاعر اذا راوني اطال الله غيظهم عضوا من الغيظ اطراف الاباهيم وقول ابي طالب يعضون غيظا خلفنا بالانامل قل يا محمد موتوا بغيظكم صيغته صيغة الامر والمعنى الدعاء عليهم فكانه قال اماتكم الله بغيظكم وفيه معنى الذم لهم لانه لا يجوز ان يدعى عليهم هذا الدعاء الا وهم قد استحقوه بما اتوه من القبيح وقيل معناه دام لكم هذا الغيظ بما ترون من علو كلمة الاسلام الى ان تموتوا ان الله عليم بذات الصدور اي بما تضمرونه من النفاق والغيظ على المسلمين **قوله عز وجل ان تمسسكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط** **اية القراءة** قرا نافع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا يضركم خفيفة مكسورة الضاد والباقون مشددة مضمومة الضاد والراء وقرا الحسن وابو حاتم تعملون بالتاء على الخطاب والقراءة المشهورة بالياء **الحجة** من قرا لا يضركم فهو من ضاره يضيره ضيرا ومن قرا لا يضركم فهو من ضره يضره ضرا والضير والضر بمعنى واحد وقد جاء في القران لا ضير واذا اسكن الضر ولا يضركم اصله لا يضرركم نقلت ضمة الراء الاولى الى الضاد وادغمت في الراء الثانية بعد ان ضمت اتباعا لاقرب الحركات اليها والعرب تدغم في موضع الجزم واهل الحجاز يظهرون التضعيف قال الزجاج وهذه الاية جاءت فيها اللغتان جميعا فقوله ان تمسسكم على لغة اهل الحجاز وقوله لا يضركم على لغة غيرهم من العرب ويجوز لا يضركم ولا يضركم فمن قال بالفتح فلان الفتح خفيف مستعمل في التقاء الساكنين في التضعيف ومن قال بالكسر فعلى اصل التقاء الساكنين **اللغة** الكيد والمكيدة المكر الذي يغتال به صاحبه من جهة حيلة عليه ليقع في مكروه به واصله المشقة يقول رايت فلانا يكيد بنفسه اي يقاسي المشقة في سياق المنية ومنه المكايدة لايراد ما فيه المشقة **المعنى** ثم اخبر تعالى عن حال من قدم ذكرهم فقال ان تمسسكم حسنة اي ان تصبكم ايها المومنون نعمة من الله تعالى عليكم بها من الفة او اجتماع كلمة او ظفر بالاعداء تسوهم اي تحزنهم وان تصبكم سيئة اي محنة باصابة العدو منكم لاختلاف الكلمة وما يودي اليه من الفرقة يفرحوا بها هذا قول الحسن وقتادة والربيع وجماعة المفسرين وان تصبروا على اذاهم وعلى طاعة الله وطاعة رسوله والجهاد في سبيله وتتقوا الله بالامتناع من معاصيه وفعل طاعاته لا يضركم ايها المومنون كيدهم اي مكر المنافقين وما يحتالون عليكم شيئا يعني لا قليلا ولا كثيرا لانه تعالى ينصركم ويدفع شرهم عنكم ان الله بما تعملون محيط اي عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لان اصل المحيط بالشيء هو المطيف به من حواليه وذلك من صفات الاجسام فلا يليق به تعالى **قوله عز وجل واذ غدوت من اهلك تبوئ المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المومنون** **اية اللغة** التبوئة اتخاذ المواضع للغير يقال بوات القوم منازلهم وبواتهم ايضا اي وطنتهم واسكنتهم اياها وتبوؤها اي توطنوا ومنه المباءة المراح لانه رجوع الى المستقر المتخذ ومنه بؤت بالذنب اي رجعت به محتملا له والفشل الجبن يقال فشل يفشل فشلا والفشل الرجل الضعيف **الاعراب** العامل في اذ محذوف وتقديره واذكر اذ غدوت وقيل هو عطف على ما تقدم من السورة في قوله قد كان لكم اية في فئتين اي في نصرة تلك الطائفة القليلة على الطائفة الكثيرة اذ غدا النبي عن ابي مسلم وقيل العامل فيه قوله محيط وتقديره والله عالم باحوالكم واحوالهم اذ غدوت وتبوئ حال من غدوت **المعنى** واذكر يا محمد اذ غدوت من اهلك اي خرجت من المدينة غدوة تبوئ المومنين مقاعد اي تهيئ للمومنين مواطن للقتال وقيل معناه تجلسهم وتقعدهم في مواضع للقتال ليقفوا ولا يفارقوها واختلف في اي يوم كان ذلك فقيل يوم احد عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والسدي وابن اسحق وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل كان يوم الاحزاب عن مقاتل وقيل يوم بدر عن الحسن والله سميع اي سميع لما يقوله النبي عليم بما تضمرونه لانهم اختلفوا فمنهم من اشار بالخروج ومنهم من اشار بالمقام وفيه تزكية للزاكي وتهدد للغاوي وقيل سميع لقول المشيرين على النبي عليه السلم عليم بضمائرهم وقيل سميع لجميع المسموعات بصير بجميع المبصرات اذ همت اي قصدت وعزمت طايفتان فرقتان منكم اي من المسلمين ان تفشلا اي تجبنا والطايفتان هما بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار عن ابن عباس وجابر بن عبد الله والحسن وقتادة ومجاهد والربيع وابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم وقال الجبائي نزلت في طائفة من المهاجرين وطائفة من الانصار وكان سبب همهم بالفشل

ان عبد الله بن ابي بن سلول دعاهما الى الرجوع الى المدينة عن لقاء المشركين يوم احد فهمّا به و لم يفعلاه والله وليهما اى ناصرهما وروى عن جابر
بن عبد الله انه قال فينا نزلت وما احب انها لم تكن لقوله والله وليهما وقال بعض المحققين هذا همّ خطرة لا همّ عزيمة لان الله تعالى مدحهما
واخبر انه وليهما ولو كان همّ عزيمة وقصد لكان ذمهم اولى من مدحهم وعلى الله فليتوكل المومنون فى جميع احوالهم وامورهم ذكر غزاة احد
عن ابى عبد الله عليه السلام قال كان سبب غزاة احد ان قريشا لما رجعت من بدر الى مكة وقد اصابهم ما اصابهم من القتل والاسر لانه قتل
منهم سبعون واسر سبعون قال ابو سفين يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم تبكون على قتلاكم فان الدمعة اذا خرجت اذهبت بالحزن والعداوة
لمحمد فلما غزوا رسول الله يوم احد اذنوا لنسائهم فى البكاء والنوح وخرجوا من مكة فى ثلاثة آلف فارس والفى راجل واخرجوا معهم النساء فلما
بلغ رسول الله عليه السلام جمع اصحابه وحثهم على الجهاد فقال عبد الله بن ابى يا رسول الله لا نخرج من المدينة حتى نقاتل فى ازقتها فيقاتل الرجل الضعيف
والمرأة والعبد والامة على افواه السكك وعلى السطوح فما ارادها قوم قط فظفروا بنا ونحن فى حصوننا ودروبنا وما خرجنا الى عدو لنا قط
الا كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاذ وغيره من الاوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا احد من العرب ونحن مشركون نعبد الاصنام
فكيف يطمعون فينا وانت فينا لا حتى نخرج اليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيدا ومن نجا منا كان قد جاهد فى سبيل الله فقبل رسول الله
صلى الله عليه وآله رأيه وخرج مع نفر من اصحابه يتبوّؤن موضع القتال كما قال تعالى واذ غدوت من اهلك الآية وقعد عنه عبد الله بن
ابى وجماعة من الخزرج اتبعوا رأيه ووافت قريش الى احد وكان رسول الله عبأ اصحابه وكانوا سبعمائة رجل ووضع عبد الله بن جبير
فى خمسين من الرماة على باب الشعب واشفق ان يأتى كمينهم من ذلك المكان فقال صلى الله عليه وآله لعبد الله بن جبير واصحابه ان رأيتمونا
قد هزمناهم حتى ادخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان وان رأيتموهم قد هزمونا حتى ادخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم
ووضع ابو سفين خالد بن الوليد فى مائتى فارس كمينا وقال اذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم وعبأ
رسول الله اصحابه ودفع الراية الى امير المومنين على عليه السلام فحمل الانصار على مشركى قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووقع اصحاب رسول الله
فى سوادهم وانحط خالد بن الوليد فى مائتى فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهام فرجع ونظر اصحاب عبد الله بن جبير الى
اصحاب رسول الله ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير قد غنم اصحابنا ونبقى نحن بلا غنيمة فقال لهم عبد الله اتقوا الله فان رسول
الله قد تقدم الينا ان لا نبرح فلم تقبلوا منه واقبلوا ينسلّ رجل فرجل حتى اخلوا مراكزهم وبقى عبد الله بن جبير فى اثنى عشر رجلا وكانت
راية قريش مع طلحة بن ابى طلحة العبدرى من بنى عبد الدار فقتله على عليه السلام فاخذ الراية من سعيد بن ابى طلحة فقتله على وسقطت
الراية فاخذها مسافع بن طلحة فقتله حتى قتل تسعة من بنى عبد الدار حتى صار لواؤهم الى عبد لهم اسود يقال له صواب فانتهى اليه على
فقطع يده فاخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين الى صدره ثم التفت الى ابى سفين فقال هل اعذرت فى بنى عبد الدار فضرب
على راسه فقتله فسقط اللواء فاخذتها عمرة بنت علقمة الكنانية فرفعها وانحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير وقد فر اصحابه وبقى
فى نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم اتى المسلمين من ادبارهم ونظرت قريش فى هزيمتها الى الراية قد رفعت فلاذوا بها وانهزم اصحاب رسول
الله هزيمة عظيمة واقبلوا يصعدون بالجبال وفى كل وجه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله الهزيمة كشف البيضة عن راسه
وقال الىّ انا رسول الله الى اين تفرون عن الله وعن رسوله وكانت هند بنت عتبة فى وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش
دفعت اليه ميلا ومكحلة وقالت انما انت امرأة فاكتحل بهذا وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم فاذا رأوه انهزموا ولم يثبت له احد
وكانت هند قد اعطت وحشيا عهدا لئن قتلت محمدا او عليا او حمزة لاعطينك كذا وكذا وكان وحشى عبدا لجبير بن مطعم حبشيا فقال
وحشى اما محمد فلا اقدر عليه واما على فرأيته حذرا كثير الالتفات فلا مطمع فيه فكمنت لحمزة قال فرأيته يهدّ الناس هدّا فمرّ بى فوطئ على
جرف نهر فسقط فاخذت حربتى فهززتها ورميته بها فوقعت فى خاصرته وخرجت من ثنته فسقط فاتيته فشققت بطنه فاخذت كبده وجئت
بها الى هند فقلت هذه كبد حمزة فاخذتها فى فمها فلاكتها فجعلها الله فى فمها مثل الداعصة وهى عظم راس الركبة فلفظتها ورمت بها قال
رسول الله صلى الله عليه وآله فبعث الله ملكا فحمله ورده الى موضعه قال فجاءت اليه فقطعت مذاكيره وقطعت اذنيه وقطعت يده
ورجله ولم يبق مع رسول الله الا ابو دجانة سماك بن خرشة وعلى فكلما حملت طائفة على رسول الله استقبلهم على فدفعهم عنه حتى انقطع

سيفه فدفع اليه رسول الله سيفه ذا الفقار وانحاز رسول الله الى ناحية احد فوقف وكان القتال من وجه واحد فلم يزل على عليه السلام
يقاتلهم حتى اصابه فى وجهه وراسه ويديه وبطنه ورجليه سبعون جراحة كذا اورده على بن ابرهيم فى تفسيره فقال جبرئيل عليه السلام
ان هذه لهى المواساة يا محمد فقال انه منى وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما قال ابو عبد الله عليه السلام نظر رسول الله الى جبرئيل بين السماء والارض
على كرسى من ذهب وهو يقول لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على روى ابن اسحق والسدى والواقدى وابن جرير وغيرهم قالوا
كان المشركون نزلوا باحد يوم الاربعاء فى شوال سنة ثلث من الهجرة وخرج رسول الله اليهم يوم الجمعة وكان القتال يوم السبت للنصف
من الشهر وكسرت رباعية رسول الله وشج فى وجهه ثم رجع المهاجرون والانصار بعد الهزيمة وقد قتل من المسلمين سبعون وشد رسول الله
بمن معه حتى كشفهم وكان الكفار مثلوا بجماعة وكان حمزة رضى الله عنه اعظمهم مثلة وضربت يد طلحة فشلت وسعد بن ابى وقاص كان
يرمى بين يديه وهو عليه السلام يقول ارم فداك ابى وامى النظم لما امر الله تعالى بالصبر فى قوله وان تصبروا وتتقوا عقبه بنصرة المومنين
يوم بدر وصبرهم على القتال ثم ذكر امتحانهم يوم احد لما تركوا الصبر وقيل نظمه ان تصبروا ينصركم كما نصركم يوم بدر وان لم تصبروا انزل بكم ما نزل
يوم احد حيث خالفتم امر الرسول وذكر ابو مسلم انه متصل بقوله قد كان لكم آية فى فئتين كما تقدم ذكره قوله عز وجل وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ
اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ
بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَ
لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ اربع آيات القراءة قرأ ابن عامر منزّلين مشددة الزاء وقرأ الآخرون منزلين
مخففة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم مسوِّمين بكسر الواو وقرأ الباقون بفتح الواو الحجة حجة من قرأ منزلين بالتخفيف قوله ولولا انزل عليه ملك
ولو انزلنا ملكا ولان الانزال يعم التنزيل وغيره وحجة ابن عامر ما ننزل الملائكة وتنزّل الملائكة والروح فيها الآن تنزل مطاوع نزل ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة وقال ابو الحسن من قرأ مسوِّمين بالكسر فلانهم سوّموا الخيل ومن قال مسوَّمين فلانهم سُوِّموا قال ومسوَّمين معلَّمين ويكون
مرسلين من سوّم الخيل اذا ارسلها ومنه السائمة وقال على بن عيسى الاختيار الكسر لتظاهر الاخبار بانهم سوّموا خيلهم بعلامة وقال رسول الله صلى
سوّموا فان الملائكة قد سوّمت اللغة بدر ما بين مكة والمدينة قال الشعبى سمى بدرا لان هناك ماء لرجل يسمى بدرا فسمى الموضع باسم صاحبه وقال
الواقدى هو اسم للموضع وكل شئ تمّ فهو بدر وسمى بدر السماء بدرا لتمامه وامتلائه وعين بدرة ممتلئة يقال استكفيته الامر فكفانى وكفاك هذا
الامر اى حسبك والفرق بين الاكتفاء والاستغناء ان الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفى الحاجة والاستغناء الاتساع فيما ينفى الحاجة
والامداد هو اعطاء الشئ حالا بعد حال والمد فى السير هو الاستمرار عليه ومد بهم السير اذا طال واستمر ومددت الجيش بمدد وامدّ الجرح
فهو ممدّ اذا صارت فيه المدة ومد النهر ومده نهر آخر ويقال مدّ فى الشر وامده فى الخير واصل الفور فور القدر وهو غليانها عند شدة الحمى ومنه
فورة الغضب لانه كفور القدر ومنه فارت العين بالماء اذا جاشت به ومنه الفوارة لانها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها ومنه جاء على الفور اى
على ابتداء الحمى قبل ان يبرد عنه نفسه وقيل الفور القصد الى الشئ بجدة الاعراب وانتم اذلة فى موضع نصب على الحال ان يمدكم ربكم فى موضع رفع
بانه فاعل يكفيكم وتقديره الن يكفيكم امدادكم وقوله من فورهم هذا هذا فى موضع جر صفة لفورهم وقوله ولتطمئن به قلوبكم معطوفة على قوله
بشرى لكم لان تقديره لتستبشروا به ولتطمئن المعنى ثم بين تعالى ما فعله بهم من النصر يوم بدر فقال ولقد نصركم الله ايها المومنون ببدر بتقوية
قلوبكم وبما امدكم به من الملائكة وبالقاء الرعب فى قلوب عدوكم وانتم اذلة اى ضعفاء عن المقاومة قليلو العدد وقليلو العدة جمع
ذليل وروى عن ابن عباس انه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا والانصار مائتين وستة وثلاثين رجلا الجميع ثلثمائة و
ثلثة عشر رجلا وكان المشركون نحوا من الف رجل وروى عن بعض الصادقين انه قرأ وانتم ضعفاء وقال لا يجوز وصفهم بانهم اذلة وفيهم
رسول الله وكان صاحب راية رسول الله يوم بدر امير المومنين على بن ابى طالب عليه السلام وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة و
قيل سعد بن معاذ فاتقوا الله اى اجتنبوا معاصيه واعملوا بطاعته لعلكم تشكرون اى لتقوموا بشكر نعمته اذ تقول خطاب للنبى عليه السلام
اى اذ تقول يا محمد للمومنين من اصحابك الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة هو اخبار بان النبى صلى الله عليه وآله السلام قال لقومه
الن يكفيكم يوم بدر ان يجعل ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لكم قال ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم ان الامداد بالملائكة كان يوم بدر

وقال ابن عباس لم تقاتل الملئكة الا يوم بدر وكانوا فى غيره من الايام عدد ومددا وقال الحسن كان جميعهم خمسة الاف فمعناه يمددكم ربكم بتمام
خمسة الاف وقال غيره كانوا ثمانية الاف فمعناه بخمسة الاف اخرى وقيل ان الوعد بالامداد بالملئكة كان يوم احد وعدهم الله المدد ان
صبروا عن عكرمة والضحاك منزلين انزلهم من السماء الى الارض لنصرتكم بلى تصديق للوعد اى يفعل كما وعدكم ويزيدكم ان تصبروا
معناه ان صبرتم فى الجهاد وعلى ما امركم الله تعالى وتتقوا معاصى الله ومخالفة رسوله ويأتوكم يعنى المشركون ان رجعوا اليكم من فورهم هذا
اى من وجههم هذا عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع والسدى وعلى هذا فانما هو من فور الابتداء بهم وهو ابتداؤه وقيل معناه من غضبهم
هذا عن مجاهد والضحاك وابى صالح وكان قد غضبوا يوم احد ليوم بدر مما لقوا فهو من فور الغضب وهو غليانه يمددكم ربكم بخمسة الاف
من الملئكة انما قال ذلك لان الكفار فى غزاة احد ندموا بعد انصرافهم لم لم يعبروا على المدينة وهموا بالرجوع فاوحى الله تعالى الى نبيه ان يأمر
اصحابه بالتهيؤ للرجوع اليهم وقال لهم ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ثم قال ان صبرتم على الجهاد وراجعتم الكفار امدكم الله بخمسة الاف
من الملئكة مسومين فاخذوا فى الجهاد وخرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم من الجراح فاخبر المشركين من مر برسول الله انه خرج يتبعكم فخاف
المشركون ان رجعوا ان يكون الغلبة للمسلمين وان يكون قد التام اليهم من كان تاخر عنهم وانضم اليهم غيرهم فدسوا نعيم بن مسعود الاشجعى حتى
يصدهم بتعظيم امر قريش واسرعوا فى الذهاب الى مكة وكفى الله المسلمين امرهم والقصة معروفة ولذلك قال قوم من المفسرين ان جميعهم ثلثة الاف
وقال الحسن جميعهم خمسة الاف منهم ثلثة الاف المنزلين على ان الظاهر يقتضى ان الامداد بثلثة الاف كان يوم بدر لان قوله اذ تقول للمؤمنين
الاية يتعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر الاية ثم استانف حكم يوم احد فقال بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم اى ان رجعوا
اليكم بعد انصرافهم امدكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين وهذا قول البلخى رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال لم يمدوا يوم احد ولا بملك
واحد وعلى هذا فلا تنافى بين الايتين ومتى يسال كيف لم يمدوا بالملئكة فى ساير الحروب **فالجواب** ان ذلك تابع للمصلحة فاذا علم الله سبحانه
فى امدادهم المصلحة امدهم وقوله مسومين بالكسر معلمين اى اعلموا انفسهم ومسومين بالفتح سومهم الله اى اعلمهم وقال ابن عباس والحسن و
قتادة وغيرهم كانوا علموا بالصوف فى نواصى الخيل واذنابها وقال عروة نزلت الملئكة يوم بدر على خيل بلق وعليهم عمايم صفر وقال على وابن
عباس كانت عليهم عمايم بيض ارسلوها بين اكتافهم وقال السدى معنى مسومين بالفتح مرسلين من الناقة السائمة اى المرسلة فى المرعى وما
جعله الله الا بشرى لكم اى وما جعل الامداد والوعد به فالهاء عائدة على غير مذكور باسمه وهو معلوم بالدلالة عليه لان يمدد يدل على
الامداد وبشرى لكم اى بشارة لكم لتستبشروا به ولتطمئن قلوبكم به اى ولتسكن قلوبكم فلا تخافوا كثرة عدد العدو وقلة عددكم وما النصر اى المعونة
الا من عند الله ومعناه ان الحاجة الى الله تعالى لازمة فى المعونة وان امدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونته طرفة عين فى تقوية قلوبكم
وخذلان عدوكم بضعف قلوبهم الى غير ذلك وقيل ان معناه وما هذا النصر بامداد الملائكة الا من عند الله العزيز اى القادر على انتقامه
من الكفار بايدى المؤمنين الحكيم فى تدبيره للعالمين وانما قال ذلك لنعلمهم ان حربهم للمشركين انما هو لاعزاز الدين وقيل العزيز المنيع باقتداره
والحكيم فى تدبيره للخلق **فصل وجيز فى ذكر مغازى رسول الله صلى الله عليه وآله قال المفسرون** جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بنفسه ست وعشرون غزوة فاول غزوة غزاها غزاة الابواء ثم غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة بدر الاولى ثم غزاة بدر الكبرى
ثم غزاة بنى سليم ثم غزوة السويق ثم غزوة ذى امر ثم غزوة احد ثم غزاة نجران ثم غزوة الاسد ثم غزوة بنى النضير ثم غزاة ذات الرقاع ثم غزوة بدر
الاخرة ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة الخندق ثم غزوة بنى قريظة ثم غزوة بنى لحيان ثم غزوة بنى قرد ثم غزوة بنى المصطلق ثم غزاة الحديبية
ثم غزاة خيبر ثم غزاة الفتح فتح مكة ثم غزوة حنين ثم غزوة الطائف ثم غزوة تبوك قاتل عليه السلم منها فى تسع غزوات غزوة بدر الكبرى وهو
يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة ثنتين من الهجرة واحد وهو فى شوال سنة ثلث والخندق وبنى قريظة فى شوال سنة اربع وبنى
المصطلق وبنى لحيان فى شعبان سنة خمس وخيبر سنة ست والفتح فى رمضان سنة ثمان وحنين والطائف فى شوال سنة ثمان فاول غزوة
غزاها بنفسه وقاتل فيها بدر واخرها تبوك واما عدد سراياه فست وثلثون سرية على ما عدد فى مواضعه **قوله عز وجل ليقطع طرفا من
الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شىء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون اللغة** الكبت الخزى وهو صرع
الله العدو واذا اخزاه واذله وقال الخليل الكبت صرع الشىء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا وحقيقة الكبت شدة وهن تقع فى القلب فربما

صح

صرع الانسان لوجهه للخور الذى يدخله والخائب المنقطع عما امل ولا يكون الخيبة الا بعد الامل لانها امتناع نيل ما امل واليأس قد يكون
بعد والياس والرجا نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة والظفر **الاعراب** نصب ويتوب عليهم على ضربين احدهما ان يكون عطفا على ليقطع ويكون
قوله ليس لك من الامر شىء اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فافهم ذلك وعمرا والاخر ان يكون او بمعنى الا
كانه قال ليس لك من الامر شىء الا ان يتوب الله عليهم او يعذبهم فيكون امرك تابعا لامر الله لرضاك بتدبيره فيهم **المعنى** ليقطع طرفا من
الذين كفروا اختلف فى وجه اتصاله بما قبله فقيل يتصل بقوله وما النصر الا من عند الله ومعناه اعطاكم الله هذا النصر وخصكم به ليقطع
طائفة من جميع الذين كفروا بالقتل والاسر وقيل هو متصل بقوله ولقد نصركم الله ببدر اى ولقد نصركم ببدر ليقطع طرفا وقيل معناه
ذلك التدبير ليقطع طرفا اى قطعة منهم والمعنى ليهلك طائفة منهم وقيل ليهدم ركنا من اركان الشرك بالقتل والاسر واما اليوم الذى
قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا فيوم بدر قتل فيه صناديدهم ورؤساؤهم وقادتهم الى الكفر فى قول الحسن والربيع وقتادة وقيل
هو يوم احد قتل منهم فيه ثمانية عشر رجلا وانما قال ليقطع طرفا منهم ولم يقل ليقطع وسطا منهم لانه لا يوصل الى الوسط منهم الا بقطع الطرف
ولان الطرف اقرب الى المؤمنين فهو كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار او يكبتهم معناه او يخزيهم بالخيبة مما املوا من الظفر بكم عن قتادة و
الربيع وقيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجبائى والكلبى وقيل يصرعهم الله على وجوههم وقيل يظفر عليهم عن المبرد وقيل يلعنهم عن السدى وقيل
يهلكهم عن ابى عبيدة فينقلبوا خائبين لم ينالوا مما املوا شيئا ليس لك من الامر شىء قيل هو متصل بقوله وما النصر الا من عند الله فيكون معناه
نصركم الله ليقطع طرفا منهم او يكبتهم وليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شىء عن ابى مسلم وقيل انه اعتراض بين الكلامين وقوله او يتوب عليهم
او يعذبهم فانهم قد استحقوا العذاب وليس لك اى ليس اليك من هذه الاربعة شىء وذلك الى الله تعالى واختلف فى سبب نزوله
فروى عن انس بن مالك وابن عباس والحسن وقتادة والربيع انه لما كان من المشركين يوم احد من كسر رباعية النبى صلى الله عليه وآله
وشجه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف تفلح قوم نالوا هذا من نبيهم وهو مع ذلك حريص على دعائهم الى ربهم فاعلمه الله تعالى انه ليس اليه
الا ان يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين وانما ذلك الى الله تعالى وكان الذى كسر رباعيته وشجه فى وجهه عتبة بن ابى وقاص
فدعا عليه بان لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا فمات كافرا قبل حؤول الحول وادمى وجهه رجل من هذيل فقال له عبد الله بن قمية فدعا
عليه فكان حتفه ان سلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله وروى انه كان عليه السلم يمسح الدم على وجهه ويقول اللهم اهد قومى فانهم
لا يعلمون فعلى هذا يمكن ان يكون وجل من عنادهم واصرارهم على الكفر فاخبر تعالى انه ليس اليه الا ما امر به من تبليغ الرسالة ودعائهم
الى الهدى وذلك مثل قوله فلعلك باخع نفسك الاية وقيل انه عليه السلام استاذن ربه يوم احد فى الدعاء عليهم فنزلت الاية
فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال وانما لم يؤذن له فيه لما كان فى المعلوم من توبة بعضهم عن ابى على الجبائى وقيل اراد رسول الله ان يدعو
على المنهزمين عنه من اصحابه يوم احد فنهاه الله تعالى عن ذلك وتاب عليهم ونزلت هذه الاية ليس لك من الامر شىء اى ليس لك ان تلعنهم
وتدعو عليهم عن عبد الله بن مسعود وقيل لما راى رسول الله والمسلمون ما فعل باصحابه وبعمه حمزة من المثلة من جدع الانوف والاذان
وقطع المذاكير قالوا لئن ادالنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا ولنمثلن بهم مثلة لم يمثلها احد من العرب باحد قط فنزلت الاية عن محمد
ابن اسحق والشعبى وقيل نزلت فى اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من قراء اصحاب رسول الله اميرهم المنذر بن عمرو بعثهم رسول الله
الى بئر معونة فى صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد ليعلموا الناس القران والعلم فقتلهم جميعا عامر بن الطفيل وكان
فيهم عامر بن فهيرة مولى ابى بكر فوجد رسول الله من ذلك وجدا شديدا وقنت عليهم شهرا فنزل ليس لك من الامر شىء عن مقاتل والاصح انها
نزلت فى احد لان اكثر العلماء عليه ويقتضيه سياق الكلام وانما قال ليس لك من الامر شىء مع ان له عليه السلام ان يدعوهم الى الله و
يؤدى اليهم ما امر بتبليغه لان معناه ليس لك شىء من امر عقابهم او استيصالهم او الدعاء عليهم او لعنهم حتى تقطع اياتهم فجاء الكلام على الايجاز
لان المعنى مفهوم للدلالة الكلام عليه وايضا فانه لا يعتد بماله عليه السلم فى تدبيرهم مع تدبير الله تعالى لهم فكانه قال ليس لك من الامر
شىء على وجه من الوجوه وقوله او يتوب عليهم قيل فى معناه وجهان احدهما او يلطف لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم والاخر او
يقبل توبتهم اذا تابوا كقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب ولا تصح هذه الصفة الا لله عز وجل لانه يملك الجزاء بالثواب والعقاب او يعذبهم

اى يعذبهم لله ان لم يتوبوا فانهم ظالمون اى مستحقون للعذاب بظلمهم وفى هذه الاية دلالة على ان ما يتعلق بالنصر والظفر وقبول التوبة والتعذيب
فانما هو الى الله تعالى وليس الى النبى عليه السلام من ذلك شئ وانما اليه الهداية والدعاء فكانه سبحانه قال لا يرفع عنهم السيف الى ان يتوبوا فيتوب
عليهم او يقيموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم قوله عز وجل ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور
رحيم اية الاعراب انما ذكر لفظ ما لانها اعم من من فانها يتناول لما يعقل وما لا يعقل لانها يفيد الجنس ولو قال من فى السموات لم يدخل فيه الا
العقلاء الا ان يحمل على التغليب فى ذلك وليس بحقيقة المعنى لما قال ليس لك من الامر شئ عقب ذلك بان الامر كله لله تعالى ولله ما فى السموات وما
فى الارض ملكا وملكا وخلقا واقتدارا على الجميع يصرفهم كيف يشاء ايجادا وافناء واعادة يغفر لمن يشاء من المومنين ذنوبهم فلا يواخذهم بها ولا
يعاقبهم عليها رحمة منه وفضلا ويعذب من يشاء اى يعذب الكافرين ومن يشاء من مذنبى المومنين ان مات قبل التوبة عدلا ويدل عليه قوله
مغفرا ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية ولولا ذلك لكنا نجوز العفو عن الجميع عقلا وقيل انما ابهم الله تعالى الامر فى التعذيب والمغفرة فلم يبين
من يغفر له ومن يشاء تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف والرجاء فلا يامن عذاب الله تعالى ولا ييأس من روح الله اذ الامن من عذاب الله خسر
والياس من رحمته كفر كما قال تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ويلتفت الى هذا قول الصادق
عليه السلام لو وزن رجاء المومن وخوفه لاعتدلا وقيل انما علق الغفران والعذاب بالمشية لان مشيته مطابقة للحكمة فلا يشاء الا ما يقتضى
الحكمة مشيته وسئل بعضهم كيف يعذب الله تعالى عباده بالاجرام مع سعة رحمته فقال رحمته لا يغلب حكمته اذ لا يكون رحمته برقة القلب
كما يكون الرحمة منا وعن ابن عباس قال معنى الاية يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ممن لم يتب قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون ثلث ايات المعنى لما ذكر الله سبحانه ان له التعذيب لمن يشاء والمغفرة لمن يشاء وصل ذلك بالنهى عما لو فعلوه لاستحقوا عليه
العقاب وهو الربوا فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله لا تاكلوا الربوا ذكر الاكل لانه معظم الانتفاع وان كان
غيره من التصرفات ايضا منهيا عنه والربوا الزيادة على اصل المال بالتاخير عن الاجل الحال وقيل هو ربوا الجاهلية عن عطا ومجاهد
اضعافا مضاعفة قيل فى معناه قولان احدهما ان يضاعف بالتاخير اجلا بعد اجل كلما اخر اجل الى غيره زيد زيادة على المال والثانى معناه
تضاعفون به اموالكم ويدخل فيه كل زيادة محرمة فى المعاملة من جهة المضاعفة ووجه تحريم الربوا هو المصلحة التى علمها الله تعالى
وذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها انه للفضل بينه وبين البيع ومنها انه يدعوا الى العدل ويحض عليه ومنها انه يدعوا الى مكارم الاخلاق
بالاقراض وانظار المعسر من غير زيادة وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام وانما اعاد تعالى تحريم الربوا بعد ما سبق ذكره فى سورة البقرة
لامرين احدهما التصريح بالنهى عنه بعد الاخبار بتحريمه لما فى ذلك من تصريف الحظر له وشدة التحذير منه والثانى لتاكيد النهى عن هذا الضرب
منه الذى يجرى على الاضعاف المضاعفة واتقوا الله معناه اتقوا معاصيه وقيل اتقوا عقابه بترك معاصيه لعلكم تفلحون اى لكى تنجحوا بادراك
ما تاملونه وتفوزوا بثواب الجنة واتقوا النار اى اتقوا الافعال الموجبة لدخول النار التى اعدت اى هيئت واتخذت للكافرين والوجه
فى تخصيص الكفار باعداد النار لهم انهم معظم اهل النار فهم العمدة فى اعداد النار لهم وغيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبع
فهو كقوله فى صفة الجنة اعدت للمتقين ومعلوم انه يدخلها غير المتقين من الاطفال والمجانين وقال الحسن تخصيص الكفار باعداد النار لهم
لا يمنع من مشاركة غيرهم اياهم كما ان تخصيص المرتدين باسوداد الوجوه لا يمنع من مشاركة ساير الكفار اياهم ومثله فى القران كثير
والاصل ان تخصيص الشئ بالذكر لا يدل على ان ما عداه بخلافه واطيعوا الله فيما امركم به واطيعوا الرسول فيما شرع لكم لعلكم ترحمون
اى لكى ترحموا فلا تعذبوا ومما يسال على هذا ان يقال اذا كانت طاعة الرسول طاعة الله فما وجه التكرار فالجواب عنه شيئان
احدهما ان القصد بها طاعة الرسول مع القصد لطاعة الله تعالى والثانى انما قال ذلك ليعلم ان من اطاعه فيما دعا اليه فهو
كمن اطاع الله فيسارع فى ذلك الى الامر الله تعالى النظم وقيل فى اتصال هذه الاية بما قبلها قولان احدهما اتصال الامر بالطاعة بالنهى
عن اكل الربوا فكانه قال واطيعوا الله فيما نهاكم عنه من اكل الربوا وغيره والثانى ما قاله محمد بن اسحق بن يسار انه معاتبة للذين عصوا
رسول الله لما امرهم به يوم احد من لزوم مركزهم فخالفوا واشتغلوا بالغنيمة وكان ذلك سبب هزيمة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

قوله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون فى
السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ايتان القراءة قرا اهل المدينة والشام سارعوا
بغير واو وكذلك هو فى مصاحفهم والباقون بالواو وكذلك هو فى مصاحف مكة والعراق الحجة والفرق بينهما استيناف
الكلام اذا كان بغير واو ووصلها بما تقدم اذا قرئ بواو لانه يكون عطفا على ما تقدم ويجوز ايضا ترك الواو لان الجملة الثانية
ملتبسة بالاولى مستغنية بذلك عن عطفها بالواو كما جاء فى التنزيل ثلثة رابعهم كلبهم وقال سبعة وثامنهم كلبهم اللغة
اصل الكظم شد راس القربة عن ملئها تقول كظمت القربة اذا ملاتها ثم شددت راسها وفلان كظيم ومكظوم اذا كان
ممتليا حزنا وكذلك اذا كان ممتليا غضبا لم ينتقم وكظم البعير والناقة اذا لم يجترا والكظامة القناة التى تجرى تحت الارض
سميت بذلك لامتلائها تحت الارض وفى غريب الحديث لابى عبيد عن اوس بن ابى اوس انه راى النبى عليه السلام اتى كظامة قوم فتوضاء ومسح على قدميه
ويقال اخذ بكظمه اى مجرى نفسه لانه موضع الامتلاء بالنفس والفرق بين الغيظ والغضب ان الغضب ضد الرضا وهو ارادة العقاب المستحق بالمعاصى
ولعنه وليس كذلك الغيظ لانه هيجان الطبع بتكره ما يكون من المعاصى ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم المعنى
لما حذر الله عز اسمه عن الافعال الموجبة للعقاب عقبه بالحث على الافعال الموجبة للثواب فقال وسارعوا اى بادروا الى مغفرة من ربكم باجتناب
معصيته ومعناه الى الافعال التى توجب المغفرة واختلف فى ذلك فقيل سارعوا الى الاسلام عن ابن عباس وقيل الى اداء الفرايض عن على بن
ابى طالب عليه السلام وقيل الى الهجرة عن ابى العالية وقيل الى التكبيرة الاولى عن انس بن مالك وقيل الى اداء الطاعات عن سعيد بن جبير
وقيل الى الصلوات الخمس عن يمان وقيل الى الجهاد عن الضحاك وقيل الى التوبة عن عكرمة وجنة اى والى جنة عرضها السموات والارض اختلف
فى معناه على اقوال احدها ان المعنى عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعض ذلك الى بعض عن ابن عباس والحسن و
اختاره الجبائى والبلخى وانما ذكر العرض بالعظم دون الطول لانه يدل على ان الطول اعظم وليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض و
مثل الاية قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ومعناه الا كخلق وبعث نفس واحدة وقال الشاعر كان عذيرهم بجنوب سلى نعام قاق
فى بلد قفار اى عذير نعام وقال آخر حسبت بغام راحلتى عناقا وما هى ويب غيرك بالعناق اى صوت عناق وثانيها ان معناه ثمنها
لو بيعت كثمن السموات والارض لو بيعتا كما يقال عرضت هذا المتاع للبيع والمراد بذلك عظم مقدارها وجلالة قدرها وانه لا يساويها
شئ وان عظم عن ابى مسلم الاصفهانى وهذا وجه مليح الا ان فيه تعسفا وثالثها ان عرضها لم يرد به العرض الذى هو خلاف الطول وانما اراد سعتها
وعظمها والعرب اذا وصفت الشئ بالسعة وصفته بالعرض قال امرء القيس بلاد عريضة وارض اريضة مواقع غيث فى فضاء عريض وقال ذو الرمة
فاعرض فى المكارم واستطالا اى توسع فيها ويسال فيقال اذا كانت الجنة عرضها السموات والارض فاين تكون النار وجوابه انه روى ان
النبى صلى الله عليه واله وسلم سئل عن ذلك فقال سبحان الله اذا جاء النهار فاين الليل وهذه معارضة فيها اسقاط المسئلة ولان
القادر على ان تذهب بالليل حيث شاء قادر على ان يخلق النار حيث شاء ويسال ايضا فيقال اذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون لها هذا
العرض فالجواب انه قيل ان الجنة فوق السموات السبع تحت العرش عن انس بن مالك وقيل ان الجنة فوق السموات السبع وان النار تحت الارضين
السبع عن قتادة وقيل معنى قولهم ان الجنة فى السماء اى فى ناحية السماء وجهة السماء لا ان السماء تحويها ولا ينكر ان الله يخلق فى العلو
امثال السموات والارضين وان صح الخبر انها فى السماء الرابعة كان كما يقال فى الدار بستان لاتصاله بها وكونه فى ناحية منها وشرع بابه اليها وان
كان اضعاف الدار وقيل ان الله تعالى يزيد فى عرضها يوم القيمة فيكون المراد عرضها السموات والارض يوم القيمة لا فى الحال عن ابى بكر
احمد بن على مع تسليم انها فى السماء وقوله اعدت للمتقين اى المطيعين لله ولرسوله لاجتنابهم المقبحات وفعلهم الطاعات ويجوز لاحترازهم
بالطاعة عن العقوبة وانما اضيفت الى المتقين لانهم المقصودون بها وان دخلها غيرهم من الاطفال والمجانين فعلى وجه التبع وكذلك
حكم الفساق لو عفى عنهم وقيل معناه انه لولا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة للامير وهذا يدل على ان الجنة مخلوقة اليوم
لانها لا يكون معدة الا وهى مخلوقة الذين ينفقون فى السراء والضراء صفة للمتقين وفى معنى السراء والضراء قولان احدهما ان معناه فى اليسر والعسر
عن ابن عباس اى فى حال كثرة المال وقلته والثانى فى حال السرور والاغتمام اى لا يقطعهم شئ عن ذلك عن انفاق المال فى وجوه البر والكاظمين

الغيظ اى المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك والعافين عن الناس يعنى الصافحين
عن الناس المتجاوزين عما يجوز العفو والتجاوز عنه مما لا يؤدى الى الاخلال بحق الله تعالى وقيل العافين عن المملوكين والله يحب المحسنين
اى من فعل ذلك فهو محسن والله يحبه بايجاب الثواب له ويحتمل ان يكون الاحسان شرطا مضموما الى هذه الشرايط قال الثورى الاحسان ان تحسن
الى من اساء اليك فاما الى من احسن اليك فانه متاجرة كنقد السوق خذ منى وهات **فصل** فاول ما عدّ الله تعالى من اخلاق اهل الجنة
السخاء ومما يؤيد ذلك من الاخبار ما رواه انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه واله قال السماح شجرة فى الجنة اغصانها فى الدنيا من تعلق
بغصن من اغصانها قادته الى الجنة والبخل شجرة فى النار اغصانها فى الدنيا فمن تعلق بغصن من اغصانها قادته الى النار وقال عليه السلام الجنة
دار الاسخياء وقال السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار
ثم عدّ تعالى بعد ذلك من اخلاق اهل الجنة كظم الغيظ ومما جاء فيه من الاخبار ما رواه ابو امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه
واله من كظم غيظه وهو يقدر على انفاذه ملاه الله يوم القيمة رضا وفى خبر اخر ملاه الله يوم القيمة امنا وايمانا وقال عليه السلام ليس الشديد
بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ثم ذكر تعالى العافين عن الناس وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله قال
ان هولاء فى امتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا فى الامم التى مضت وفى هذا دليل واضح على ان العفو عن العاصى مرغب فيه مندوب
اليه وان لم يكن واجبا وقال النبى عليه السلام ما عفا رجل عن مظلمة قط الا زاده الله بها عزا ثم ذكر تعالى انه يحب المحسنين والمحسن هو المنعم
على غيره على وجه عار من وجوه القبح ويكون المحسن ايضا هو الفاعل للافعال الحسنة من وجوه الطاعات والقربات وبالله التوفيق ويروى ان
جارية لعلى بن الحسين عليه السلام جعلت تسكب عليه الماء ليتهيأ للصلوة فسقط الابريق من يدها فشجه فرفع راسه اليها فقالت له الجارية ان
الله تعالى يقول والكاظمين الغيظ فقال لها قد كظمت غيظى قالت والعافين عن الناس قال عفا الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال
اذهبى فانت حرة لوجه الله **قوله عز وجل وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** **اللغة** اصل الفاحشة الفحش وهو الخروج على عظم القبح او رأى العين فيه وكذلك قيل للطويل
المفرط انه لفاحش الطول وافحش فلان اذا افحش بذكر الفحش والاصرار اصله الشد من الصرة والصرصرة البرد فكانما هو ارتباط الذنب بالاقامة
عليه وقيل اصله الثبات على الشئ قال الحطيئة يصف الخيل عوابس بالشعث الكماة اذا ابتغوا علالتها بالمحصدات اصرّت اى ثبتت على ذا اخضار وابقية
جريها بالسياط ثبتت على جريها **الاعراب** والذين عطف على المتقين وقيل رفع على الاستيناف كانه عطف جملة على جملة فعلى القول الاول
هم فرقة واحدة وعلى الثانى هم فرقتان ويجوز ان يكون راجعا الى الاولين ويكون محله رفعا على المدح وقوله الا الله يرتفع الله
حملا على المعنى لا على اللفظ اذ ليس قبله جحد وتقديره وهل يغفر الذنوب الا الله او هل احد يغفر الذنوب الا الله ومعناه لا يغفر الذنوب
الا الله لان الاستفهام قد يقع موقع النفى ونعم اجر العاملين اجرهم **النزول** روى ان قوما من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنوا اسرائيل
اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك او اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله
عليه واله فنزلت الاية فقال عليه السلام الا اخبركم بخير من ذلكم وقرأ عليهم هذه الاية عن ابن مسعود وفى ذلك تسهيل لما كان قد
شدد على بنى اسرائيل اذ جعل الاستغفار بدلا منه وقيل نزلت فى نبهان التمار اتته امرأة تبتاع منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد و
فى البيت اجود منه وذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم واتى النبى صلى الله عليه واله وذكر
له ذلك فنزلت الاية عن عطا **المعنى** والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم اختلفوا فى الفاحشة وظلم النفس فقيل الفاحشة الزنا
وظلم النفس ساير المعاصى عن السدى وجابر وقيل الفاحشة الكباير وظلم النفس الصغاير عن القاضى عبد الجبار بن احمد الهمدانى وقيل
الفاحشة اسم لكل معصية ظاهرة او باطنة الا انها لا يكاد يقع الا على الكبيرة عن على بن عيسى وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم قولا
ذكروا الله اى ذكروا وعيد الله فانزجروا عن المعصية واستغفروا لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان وانما مدحهم لانهم تعرضوا للذكر
وقيل ذكروا الله بان قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فانا تبنا نادمين عليها مقلعين عنها وقوله ومن يغفر الذنوب الا الله من لطيف فضل الله

تعالى

تعالى وبليغ كرمه وجزيل منه وهو الغاية فى ترغيب العاصين فى التوبة وطلب المغفرة والنهاية فى تحسين الظن للمذنبين وتقوية رجاء
المجرمين وهذا كما يقول السيد لعبده وقد اذنب ذنبا اعتذر الى ومن يقبل عذرك سواى واذا سئل ان العباد قد يغفر بعضهم لبعض
الاساءة فالجواب ان الذنوب التى يستحق عليها العقاب لا يغفرها الا الله تعالى وايضا فانه اراد الله تعالى غفران الكباير العظام والاساءة
من بعضها الى بعض صغيرة بالاضافة اليها ولم يصروا على ما فعلوا اى لم يقيموا على المعصية ولم يواظبوا عليها ولم يلزموها وقال الحسن هو فعل
الذنب من غير توبة وهو قريب من الاول وذلك لا يكفى فى ان التوبة مجرد الاستغفار مع الاصرار وذلك ان الاستغفار انما يؤثر عند
ترك الاصرار وقد روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار يعنى لا يبقى كبيرة مع التوبة والاستغفار
ولا يبقى الصغيرة صغيرة مع الاصرار وفى تفسير ابن عباس الاصرار السكوت على الذنب بترك التوبة والاستغفار منه وقوله وهم يعلمون
يحتمل وجوها احدها ان معناه وهم يعلمون الخطيئة ذاكرين لها غير ساهين ولا ناسين لانه تعالى يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه وان
لم يتب منه بعينه عن الجبائى والسدى وثانيها ان معناه وهم يعلمون الحجة فى انها خطيئة فاما اذا لم يعلموا ولا طريق لهم الى العلم به كان
الاثم موضوعا عنهم كمن تزوج امة من الرضاع او النسب وهو لا يعلم به فانه لا يأثم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وثالثها ان المراد
وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة ذنوبهم عن الضحاك اولئك اشارة الى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء
الى اخر الكلام اى هؤلاء جزاؤهم على اعمالهم وتوبتهم مغفرة من ربهم اى ستر لذنوبهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها قد
مر تفسيرها فى سورة البقرة ونعم اجر العاملين هذا يعنى ما وصفه من الجنات وانواع الثواب والمغفرة بستر الذنب حتى يصير كانها لم
تعمل فى زوال العار بها والعقوبة والله تعالى متفضل بذلك لان اسقاط العقاب عند التوبة تفضل منه تعالى واما استحقاق الثواب بالتوبة
فواجب لا محالة عقلا لانه لو لم يكن مستحقا بالتوبة لقبح تكليفه التوبة لما فيها من المشقة **النظم** قيل ان الاية اتصلت بما قبلها لانها من صفة
المتقين وقيل انهما فرقتان بين تعالى ان الجنة للمتقين المنفقين فى السراء والضراء الى اخر الاية ولمن تاب ولم يصر **قوله عز وجل قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** **اللغة**
السنة الطريقة المجعولة ليقتدى بها ومن ذلك سنة رسول الله قال لبيد من معشر سنت لهم اباؤهم ولكل قوم سنة وامامها
وقال سليمان بن قتة وان الالى بالطف من ال هاشم تاسوا فسنوا للكرام التاسيا واصل السنة الاستمرار فى جهة يقال سن الماء اذا
صبه حتى يفيض من الاناء وسن السكين بالمسن اذا امره عليه لتحديده ومنه السن واحد الاسنان لاستمرارها على منهاج والسنان لاستمرار
الطعن به والسنن استمرار الطريق والعاقبة ما يؤدى اليها السبب المتقدم وليس كذلك الاخرة لانه قد يمكن ان تجعل هى الاولى فى العدة
والموعظة ما يلين القلب ويدعو الى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح والدعاء الى الجميل وقيل الموعظة هو ما يدعو بالرغبة والرهبة الى
الحسنة بدلا من السيئة **المعنى** لما بين تعالى ما يفعل بالمؤمن والكافر فى الدنيا والاخرة بين ان ذلك عادته فى خلقه فقال قد خلت اى قد
مضت من قبلكم يا اصحاب محمد وقيل خطاب لمن انهزم يوم احد سنن من الله تعالى فى الامم السالفة اذا كذبوا رسله وجحدوا نبوتهم بالاستيصال
وتبقية اثارهم فى الديار للاتعاظ والاعتبار عن الحسن وابن اسحق وقيل سنن امثال عن ابن زيد وقيل سنن امم والسنة الامة عن المفضل
وقال الشاعر ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا راوا مثلكم فى سالف السنن وقيل معناه اهل سنن وقيل معناه قد مضت لكل امة
سنة ومنهاج اذا اتبعوها رضى الله عنهم عن الكلبى فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اى تعرفوا اخبار المكذبين
وما نزل بهم لتتعظوا بذلك وتنتهوا عن مثل ما فعلوه ولا تسلكوا فى التكذيب والانكار طريقتهم فيحل بكم من العذاب ما حل بهم
واراد المكذبين الجاحدين للبعث والنشور والثواب والعقاب جازاهم الله فى الدنيا بعذاب الاستيصال وفى الاخرة باليم العذاب
وعظيم النكال هذا اشارة للقران بيان للناس اى دلالة وحجة لهم كافة عن الحسن وقتادة وقيل اشارة الى ما تقدم من قوله قد خلت
من قبلكم سنن اى هذا الذى عرفتكم بيان للناس عن ابن اسحق واختاره البلخى والطبرى وهدى قال على بن عيسى الفرق بين البيان
والهدى ان البيان اظهار المعنى للنفس كائنا ما كان والهدى بيان لطريق الرشد ليسلك دون طريق الغى وموعظة للمتقين انما
خص المتقين به مع كونه بيانا وهدى وموعظة للناس كافة لان المتقين هم المنتفعون به والمهتدون بهداه والمتعظون بمواعظه

قوله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام
نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ايتان القراءة قرا اهل الكوفة غير
حفص قرح بضم القاف فيهما وكذلك قوله من بعد ما اصابهم القرح والباقون بفتح القاف الحجة قال ابو علي قرح وقرح مثل الضعف والضعف
والكره والكره والدف والدف والشهد والشهد قال ابو الحسن قرح يقرح قرحا وقرحا فهذا يدل على انهما مصدران ومن قال ان القرح الجراحات
باعيانها والقرح الم الجراحات يقبل ذلك منه اذا اتى فيه برواية لان ذلك مما لا يعلم بالقياس اللغة الوهن الضعف والموهن ساعة تمضي من
الليل الاعلون واحدهم الاعلى ومؤنثه العليا وجمعها العليات والعلى والفرق بين اللمس والمس ان اللمس لصوق باحساس والمس لصوق فقط
والدولة الكرة لفريق بنيل المراد واداله الله فلانا من فلان اذا جعل الكرة له عليه وتداول القوم الشيء اذا صار من بعضهم الى بعض وضم الدال
في الدولة وفتحها لغتان وقيل الضم في المال والفتح في الحرب الاعراب وانتم الاعلون جملة في موضع الحال كانه قال لا تحزنوا عالين اي منصورين
على الاعداء ويحتمل ان يكون لا موضع لها من الاعراب لانها اعتراض بوعد مؤكد وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا ان كنتم مؤمنين وانتم الاعلون مع
ذلك وقوله وليعلم الله العامل في اللام محذوف يدل عليه اول الكلام وتقديره وليعلم الله الذين امنوا نداولها ويجوز ان يعمل فيه نداولها
النحو في اللفظ وتقديره نداولها بين الناس لضروب من التدبير وليعلم الله الذين امنوا النزول قيل نزلت الاية تسلية للمؤمنين لما نالهم
يوم احد من القتل والجراح عن الزهري وقتادة وابن ابي نجيح وقيل لما انهزم المسلمون في الشعب واقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين
يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال النبي عليه السلام اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة الا هؤلاء النفر
فانزل الله الاية وثاب نفر رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وانتم الاعلون عن ابن عباس
وقيل نزلت الاية بعد يوم احد حين امر رسول الله اصحابه بطلب القوم وقد اصابهم من الجراح ما اصابهم وقال عليه السلام لا يخرج الا من شهد
معنا بالامس فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الاية عن الكلبي ودليله قوله ولا تهنوا في ابتغاء القوم الاية المعنى ثم حث
الله تعالى المسلمين على النجدة ونهاهم عن الوهن والحزن ووعدهم الغلبة في الحال وحسن العاقبة في المال فقال ولا تهنوا اي لا تضعفوا
عن قتال عدوكم ولا تحزنوا بما يصيبكم في اموالكم وابدانكم وقيل لا تضعفوا بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على ما نالكم من المصائب بقتل الاخوان
وقيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة ولا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة وانتم الاعلون اي الظافرون المنصورون الغالبون عليهم في العاقبة
وقيل اراد وانتم الاعلون في المكان ان كنتم مؤمنين معناه ان من كان مؤمنا يجب ان لا يهن ولا يحزن لثقته بالله ويحتمل ان يكون معناه
ان كنتم مصدقين بوعدي لكم بالنصرة والظفر على عدوكم فلا تهنوا ولا تحزنوا ثم اخذ تعالى في تسلية المؤمنين فقال ان يمسسكم قرح فقد مس
القوم قرح مثله معناه ان يصبكم جراح فقد اصاب القوم جراح مثله عن ابن عباس وقيل ان يصبكم الم وجراحة يوم احد فقد اصاب القوم
ذلك يوم بدر قال انس بن مالك اتي رسول الله صلى الله عليه وآله بعلي يومئذ وعليه نيف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله صلى الله
عليه وآله يمسحها وهي تلتئم باذن الله تعالى كان لم تكن وعن ابن عباس قال لما كان يوم احد صعد ابو سفيان الجبل فقال رسول الله
اللهم انه ليس لهم ان يعلونا فمكث ابو سفيان ساعة وقال يوم بيوم ان الايام دول وان الحرب سجال فقال عليه السلام اجيبوه فقالوا
لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي عليه السلام الله مولانا ولا مولى لكم فقال ابو سفيان اعل
هبل فقال عليه السلام الله اعلى واجل وتلك الايام نداولها بين الناس اي نصرفها مرة لفرقة ومرة عليها عن الحسن وقتادة والربيع والسدي
وابن اسحق وانما يصرف الله الايام بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين احيانا وتشديدها عليهم احيانا لا بنصرة الكفار
عليهم لان الله تعالى لا ينصر الكفار على المسلمين لان النصرة تدل على المحبة والله تعالى لا يحب الكافرين وانما جعل الله الدنيا منقلبة
لكي لا يطمئن المسلم اليها وليقل رغبته فيها وحرصه عليها اذ تفنى لذاتها ويظعن مقيمها ويسعى للاخرة التي يدوم نعيمها وانما جعل الدولة
مرة للمؤمنين ومرة عليهم ليدخل الناس في الايمان على الوجه الذي يجب الدخول فيه كذلك وهو قيام الحجة فانه لو كانت الدولة ابدا للمؤمنين
لكان الناس يدخلون في الايمان على سبيل اليمن والفال على ان كل موضع حضره النبي صلى الله عليه وآله لم يخل من ظفر اما في ابتداء الامر
واما في انتهائه وانما لم يستمر ذلك لما بيناه وقوله وليعلم الله الذين امنوا المفعول الثاني ليعلم محذوف وتقديره وتلك الايام نداولها

النجدة الشدة والشجاعة والشدة والهول والفزع ق

بين الناس لوجوه من المصالح وضروب من الحكمة وليعلم الله الذين امنوا متميزين بالايمان من غيرهم وعلى هذا لا يكون يعلم بمعنى
يعرف لانه ليس المعنى انه يعرف الذوات بل المعنى انه يعلم تميزها بالايمان ويجوز ان يكون المعنى ليعلم الله الذين امنوا بما يظهر من صبرهم
على جهاد عدوهم اي يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال واذا كان الله تعالى يعلمهم قبل اظهارهم الايمان كما يعلمهم بعده فانما
يعلم قبل الاظهار انهم سيتميزون فاذا اظهروه علمهم متميزين ويكون التغير حاصلا في المعلوم لا في العالم كما ان احدنا يعلم الغد
قبل مجيئه على معنى انه سيجيء فاذا جاء علمه جائيا وعلمه يوما لا غدا واذا انقضى فانما يعلمه امس لا يوما ولا غدا ويكون التغير واقعا في
المعلوم لا في العالم وقيل معناه وليعلم اولياء الله الذين امنوا وانما اضاف الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليظهر المعلوم من صبر من يصبر و
جزع من يجزع وايمان من يؤمن وقيل ليظهر المعلوم من الاخلاص والنفاق ومعناه ليعلم الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر احدهما
عن الاخر وقوله ويتخذ منكم شهداء قيل فيه قولان احدهما ان معناه ليكرم بالشهادة من قتل يوم احد عن الحسن وقتادة وابن اسحق و
الاخر ويتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم في ذلك من جلالة القدر وعلو المرتبة والشهداء يكون جمع شاهد
وجمع شهيد عن ابي علي الجبائي وانما سموا شهداء لمشاهدتهم الاعمال التي يشهدون بها واما في جمع الشهيد فلانهم بذلوا الروح عند شهود
الوقعة فلم يفروا والله لا يحب الظالمين ظاهر المعنى وفايدته انه تعالى بين انه لا يمكن الظالمين منهم لمحبته لهم ولكن لاحد المعاني التي
ذكرها وليمحص ذنوب المؤمنين كما قاله فيما بعد قوله عز وجل وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين اية اللغة اصل التمحيص
التخليص قال الخليل المحص الخلوص من العيب ومحصته امحصه محصا اذا خلصته من كل عيب ويقال اللهم محص عنا ذنوبنا اي اذهبها
عنا لانه تخليص الحسنات بتكفير السيئات واصل المحق فناء الشيء حالا بعد حال ولهذا دخله معنى النقصان وامحق الشيء امحاقا وامتحق
الشيء وتمحق اذا ذهبت بركته حالا بعد حال والمحاق اخر الشهر لذهاب ضوء الهلال حالا بعد حال المعنى ثم بين تعالى وجه المصلحة في
مداولة الايام بين الناس فقال وليمحص الله الذين امنوا قيل في معنى الاية اقوال احدها وليمحص الله اي ليبتلي الله الذين امنوا ويمحق الكافرين
ينقصهم عن ابن عباس ومجاهد والسدي وثانيها ليخلص الله ذنوب المؤمنين عن الزجاج وثالثها ينجي الله الذين امنوا من الذنوب بالابتلاء
ويهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن علي بن عيسى وانما قابل بين التمحيص والمحق لان محص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق اولئك
باهلاك انفسهم وهذه مقابلة في المعنى وفي هذه الاية دلالة على ان الله تعالى انما يداول بين الناس لتمحيص ذنوب المؤمنين ومحق الكافرين
وانما يمحقهم بالمداولة لشيئين احدهما ان في تخليتهم وتمكين الكافرين منهم تعريضا اياهم للصبر الذي يستحقون به عظيم الاجر وحط عنهم
كثيرا من اثقال الوزر والثاني ان في ذلك لطفا لهم يعصمهم عن اقتراف الاثم قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون ايتان
اللغة الفرق بين التمني والارادة ان الارادة من افعال القلوب والتمني قول القائل ليت كان كذا وليت لم يكن وقيل ان التمني معنى
في القلب يطابق هذا القول والصحيح هو الاول الاعراب ام في قوله ام حسبتم وهو استفهام على وجه الانكار والفرق بين لم ولما ان لما جواب
لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال واذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كانت لما اصلها لم مؤكدة بحرف كانت جوابا لما هو مؤكد
بحرف وقوله ويعلم الصابرين نصب على الظرف غير العطف اذ ليس المعنى على نفي الثاني والاول وانما هو على نفي اجتماع الثاني والاول
وتقديره وان يعلم فيكون منصوبا باضمار ان والمعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين وروي عن الحسن انه قرا ويعلم
الصابرين بالكسر المعنى لما حث الله تعالى على الجهاد ورغب فيه زاد في البيان والاخبار بان الجنة لا تنال الا بالبلوى والاختبار
فقال ام حسبتم ان تدخلوا الجنة المراد به الانكار اي اظننتم ايها المؤمنون انكم تدخلون الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين اي ولما يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم ويصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال وانما جاز ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم على معنى نفي الجهاد دون العلم لما في ذلك من الايجاز في انتفاء جهادهم لانه لو كان لعلمه وتقديره
ولما يكن المعلوم من الجهاد الذي وجب عليكم لان المعنى مفهوم لا يشتبه ولقد كنتم يا اصحاب محمد تمنون اي تتمنون الموت فحذف احدى
التائين للتخفيف وذلك ان قوما ممن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل احد فلما راوه يوم احد اعرض كثير منهم

عنه فانهزموا فعاقبهم الله على ذلك عن الحسن ومجاهد والربيع وقتادة والسدى من قبل ان تلقوه فقد رايتموه الهاء فى تلقوه ورايتموه
راجعة الى الموت اى من قبل ان تلقوا اسباب الموت وهو الحرب فقد رايتموها لان الموت لا يرى ونحو هذا قول الشاعر والموت تحت لواء
آل محمد اى اسباب الموت وقيل الهاء راجعة الى الجهاد وانتم تنظرون قيل انه تاكيد للرؤية كما يقال رايته عيانا ورايته بعينى وسمعته
باذنى لئلا يتوهم رؤية القلب وسمع العلم وقيل معناه وانتم تتاملون الحال فى ذلك كيف هى فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر وقيل
معناه وانتم تنظرون الى محمد صلى الله عليه وآله وفيه حذف اى فلم انهزمتم لانه موضع عتاب فان قيل كيف يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا
منزلة الشهادة وهل يجوز ذلك قلنا لا يجوز ذلك لان قتل المشركين لهم معصية ولا يجوز تمنى المعاصى كما لا يجوز ارادتها والامر بها
فاذا ثبت ذلك فانما تمنوا الشهادة بالصبر على الجهاد الى ان يقتلوا قوله عز وجل وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ
أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ آية اللغة محمد ا
اخذ من الحمد والتحميد فوق الحمد فمعناه المستغرق لجميع المحامد لان التحميد لا يستوجبه الا المستولى على الامد فى الكمال فاكرم الله عز اسمه
نبيه وحبيبه باسمين مشتقين من اسمه سبحانه محمد واحمد واليه اشار حسان بن ثابت فى قوله الم تر ان الله ارسل عبده ببرهانه والله
اعلى وامجد وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد نبى اتانا بعد ياس وفترة من الدين والاوثان فى الارض تعبد الاعراب
انما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط وتقديره اتنقلبون ان مات او قتل لان الشرط لما انعقد به صار جملة واحدة وخبرا واحدا فكان
بمنزلة تقديم الاسم على الفعل فى الذكر اذا قيل ازيد قام فكذلك تقديمه فى القسم والاكتفاء بجواب الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر حلفت له
ان يدلج الليل لا تزال امامك بيت من بيوتى سائر النزول قال اهل التفسير سبب نزول هذه الاية انه لما ارجف بان النبى صلى الله
عليه وآله قتل يوم احد واشيع ذلك قال اناس لو كان نبيا لما قتل وقال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به وارتد بعضهم
وانهزم بعضهم وكان سبب انهزامهم وتضعضعهم اخلال الرماة بمكانهم من الشعب وكان رسول الله نهاهم عن الاخلال به وامر عبد الله بن
جبير وهو اخو خوات بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلا وقال لا تبرحوا مكانكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم بمكانكم وجاءت قريش على
ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف وينشدن الاشعار وقالت هند نحن بنات
طارق نمشى على النمارق ان تقبلوا نعانق او تدبروا نفارق فراق غير وامق وكان ابو عامر عبد عمرو بن الصيفى اول من لقيهم بالاحابيش
وعبيد اهل مكة فقاتلهم قتالا شديدا وحميت الحرب فقال رسول الله من ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى ينحنى فاخذه
ابو دجانة سماك بن خرشة الانصارى فلما اخذ السيف اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر ويقول انا الذى عاهدنى خليلى ان لا اقوم الدهر
فى الكيول اضرب بسيف الله والرسول فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انها لمشية يبغضها الله الا فى هذا الموضع ثم حمل النبى واصحابه
على المشركين فهزموهم وقتل على بن ابى طالب اصحاب اللواء كما تقدم بيانه وانزل الله نصره على المسلمين قال الزبير فرايت هندا وصواحبها هاربات
مصعدات فى الجبل بادية خدامهن ما دون اخذهن شئ فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا وراوا النبى واصحابه ينتهبون الغنيمة
اقبلوا يريدون النهب واختلفوا فقال بعضهم لا نترك امر رسول الله وقال بعضهم ما بقى من الامر شئ ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر فلما راى
خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة وراى ظهورهم خالية صاح فى خيله من المشركين وحمل على اصحاب النبى عليه السلام من خلفهم
فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه فى وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه واقبل
يريد قتله فذب مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله يوم بدر ويوم احد وكان اسم رايته العقاب عن رسول الله حتى قتل مصعب بن عمير
قتله ابن قمئة فرجع وهو يرى انه قتل رسول الله وقال انى قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل ويقال ان ذلك الصارخ كان ابليس
لعنه الله فانكفا الناس وجعل رسول الله يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين
ورمى سعد بن ابى وقاص حتى اندقت سية قوسه واصيبت يد طلحة بن عبد الله فيبست واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت
على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وآله مكانها فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله ادركه ابى بن خلف الجمحى وهو يقول لا
نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابى قبل ذلك يلقى رسول الله فيقول عندى

رمكة
اعلفها كل يوم فرق ذرة اقتلك عليها فقال رسول الله بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد ودنا منه تناول رسول الله الحربة من الحرث بن
الصمة ثم استقبله فطعنه فى عنقه وخدشه خدشة فتدهدا عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلنى محمد فاحتمله اصحابه وقالوا
ليس عليك باس قال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لى اقتلك فلو بزق على بعد تلك المقالة لقتلنى فلم يلبث الا يوما
حتى مات قالوا وفشا فى الناس ان رسول الله قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى عبد الله بن ابى فياخذ لنا امانا من ابى سفيان وبعضهم
جلسوا والقوا بايديهم وقال اناس من اهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قد
قتل محمد فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر
اليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعنى المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله انطلق الى الصخرة وهو
يدعو الناس فاول من عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت باعلى صوتى يا معاشر المسلمين ابشروا هذا
رسول الله فاشار الى ان اسكت فانحازت اليه طايفة من اصحابه فلامهم النبى صلى الله عليه وآله على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا
وامهاتنا اتانا الخبر بانك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله تعالى وما محمد الا رسول الآية المعنى ثم بين تعالى انه لا ينبغى ان يترك
امر الله تعالى كان الرسول بين اظهرهم او لم يكن فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعنى انه بشر اختاره الله لرسالته الى خلقه
قد مضت قبله رسل بعثوا فادوا الرسالة ومضوا وماتوا وقتل بعضهم وانه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت بمستحيل عليه ولا القتل وقيل
اراد ان اصحاب الانبياء لم يرتدوا عند موتهم او قتلهم فاقتدوا بهم ثم اكد ذلك وقال تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم معناه افان امانه الله
او قتله الكفار ارتددتم كفارا بعد ايمانكم فسمى الارتداد انقلابا على العقب وهو الرجوع القهقرى لان الردة خروج الى اقبح الاديان كما ان الانقلاب
خروج الى اقبح ما يكون من المشى والالف فى قوله افان الف انكار صورته صورة الاستفهام ومثله اختار الفساد على الصلاح والخطاء على الصواب وفى
فى قوله مات او قتل دلالة على ان الموت غير القتل لان الشئ لا يعطف على نفسه فالقتل هو نقض بنية الحيوة والموت افساد البنية التى تحتاج الحيوة
اليها بفعل معان فيه يضاد المعانى التى تحتاج اليها الحيوة وقيل الموت معنى يضاد الحيوة والصحيح الاول ومن ينقلب على عقبيه يعنى من يرتد عن دينه
فلن يضر الله شيئا لانه لا يجوز عليه المضار بل مضرته عائدة عليه لانه يستحق العقاب الدائم وسيجزى الله الشاكرين اى يثيب الله الشاكرين على شكرهم
لنعم الله تعالى واعترافهم وقيل اراد بالشاكرين المطيعين لان الطاعات هى شكر الله على نعمه وهذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعيد لان قوله
فلن يضر الله شيئا دليل على معنى الوعيد فكانه قال من يرتد عاد ضرره عليه ومن شكر وآمن فنفعه يعود اليه فصل فى ذكر ما جاء فى اسم محمد
صلى الله عليه وآله كانت كفار قريش يشتمون مذمما يعنون اسم النبى صلى الله عليه وآله فروى ابو هريرة عن النبى عليه السلام قال الم تروا
كيف صرف الله عنى لعن قريش وشتمهم يشتمون مذمما وانا محمد وفى مسند على بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال اذا
سميتم الولد محمدا فاكرموه واوسعوا له فى المجلس ولا تقبحوا له وجها وما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه احمد او محمد فادخلوه فى مشورتهم
الا خير لهم وما من مائدة وضعت فحضرها من اسمه احمد ومحمد الا قدس ذلك المنزل كل يوم مرتين وعن انس بن مالك قال كان النبى صلى الله عليه وآله
فى السوق فقال رجل يا ابا القسم فالتفت اليه رسول الله فقال الرجل انما ادعو ذاك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله تسموا باسمى ولا تكنوا
بكنيتى وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تجمعوا بين اسمى وكنيتى انا ابو القسم الله يعطى وانا اقسم ثم رخص فى ذلك لعلى وابنه
وعن على بن ابى طالب قال قال لى رسول الله ان ولد لك غلام نحلته اسمى وكنيتى قوله عز وجل وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ آية الاعراب كتابا نصب على
المصدر لفعل محذوف دل عليه اول الكلام مع العلم بان كل ما يكون فقد كتبه الله ذلك كتابا وقال الاخفش اللام فى قوله وما كان لنفس
ان تموت منقول لعماد خلت عليه الى غيره وتقديره وما كان نفس لتموت اى لان تموت المعنى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ومعناه
وما كان نفس لتموت الا باذن الله ومثله ما كان لله ان يتخذ ولدا اى ما كان الله ليتخذ ولدا وقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها معناه ما
كنتم لتنبتوا شجرها لان انبات الشجر لا يدخل تحت قدرة البشر ففى الاية اخبار بان الموت لا يكون الا باذن الله وهذا تسلية عما لحق النفوس بموت النبى
من جهة انه باذن الله ومعناه انه عليه السلام ان مات فانما يموت بامر الله تعالى وعلمه كغيره من الناس فلا عذر لاحد فى ترك دينه بعد موته

وقيل ان فيه حضا على الجهاد من حيث لا يموت احد الا باذن الله اى فلا تتركوا الجهاد خشية القتل فان ذلك لا يؤخر اجلا قد حضر ولا تقدم الجهاد
اجلا لم يحضر فلا معنى للانهزام وقوله باذن الله يحتمل امرين احدهما بعلم الله والاخر بامر الله وقال ابو على الجبائى فيه دلالة على انه لا يقدر على الموت
غير الله كما لا يقدر على ضده من الحيوة غير الله ولو كان من مقدور غيره لم يكن باذنه وقوله كتابا موجلا معناه كتب الله لكل حى اجلا وقتا للحيوة وقتا
لموته لا يتقدم ولا يتاخر وقيل حتما موقتا وحكما لازما مبرما ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها قيل فى معناه اقوال
احدها ان المراد من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ فى الاخرة عن ابن اسحق اى فلا تغتر بحاله فى الدنيا وثانيها من اراد بجهاده
ثواب الدنيا اى هو النصيب من الغنيمة نوته منها فبين ان حصول الدنيا للانسان ليس بموضع غبطة لانها مبذولة للبر والفاجر عن ابى على الجبائى
وثالثها من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوافل مع مواقعة الكبائر جوزى بها فى الدنيا دون الاخرة لاحباط عمله بفسقه وهذا على مذهب من يقول
بالاحباط ومن يرد ثواب الاخرة نوته منها اى ومن يرد بالجهاد واعماله ثواب الاخرة نوته منها فلا ينبغى لاحد ان يطلب بطاعاته غير ثواب الله تعالى ومثله
قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له فى حرثه الاية وقريب منه قول النبى صلى الله عليه وآله من طلب الدنيا بعمل الاخرة فما له فى الاخرة من
نصيب ومن فى قوله منها يحتمل ان يكون زائدة ويحتمل ان يكون للتبعيض لانه انما يستحق الثواب على قدر العمل وسنجزى الشاكرين اى نعطيهم جزاء الشكر
وفى تكراره قولان احدهما انه للتاكيد وللتنبيه على عظم منزلة الشاكر والثانى ان معناه وسنجزى الشاكرين من الرزق فى الدنيا لئلا يتوهم ان الشاكر
يحرم ما يعطى الكافر من نعيم الدنيا عن ابن اسحق وروى ابان بن عثمن عن ابى جعفر عليه السلم انه اصاب عليا عليه السلم يوم احد ستون جراحة وان النبى عليه السلم امر ام سليم وام
عطية ان تداوياه فقالتا انا لا نعالج منه مكانا الا انفتق مكان اخر وقد خفنا عليه فدخله رسول الله والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة
وجعل يمسحه بيده ويقول ان رجلا لقى هذا فى الله فقد ابلى واعذر فكان القرح الذى يمسحه رسول الله يلتئم فقال على الحمد لله اذ لم افر ولم
اول الدبر فشكر الله له ذلك فى موضعين من القران وهو قوله وسيجزى الله الشاكرين وقال ابو على الجبائى وفى هذه الاية دلالة على ان اجل
الانسان هو اجل واحد وهو الوقت الذى يموت فيه لانه لا يقطع بالقتل عن الاجل الذى اخبر الله تعالى بانه اجل لموته وقال ابن الاخشيد
لا دليل فيه على ذلك لان للانسان اجلين اجلا يموت فيه لا محالة واجلا هو موهبة من الله تعالى له ومع ذلك فلن يموت الا عند
الاجل الذى جعله الله اجلا لموته ولا يوتى الا وله النظم اتصل قوله وما كان لنفس ان يموت الا باذن الله بما قبله لانه حث على الجهاد وقيل
لانه تسلية عما لحق النفس من الوجوم بموت النبى عليه السلم وقيل للبيان بان حالهم لا يختلف فى التكليف بان يموت النبى فينبغى ان يتمسكوا بامره
فى حيوته وبعد وفاته قوله عز وجل وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما
استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين فاتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين ثلث ايات القراءة قرا ابن كثير كاين على وزن
كاعن وقرا ابو جعفر بلين الهمزة وهو قراءة الحسن والباقون كاين على وزن كعين وقرا اهل البصرة وابن كثير ونافع قتل بضم القاف بغير
الف وهو قراءة ابن عباس والباقون قاتل بالالف وهو قراءة ابن مسعود الحجة اصل كاين اى دخلت عليه كاف التشبيه كما دخلت
على ذا من كذا وعلى ان من كان وكثر استعمال الكلمة فصارت كلمة واحدة فقلبت قلب الكلمة الواحدة فصار كيان فحذفت الياء الثانية كما
حذفت فى كينونة فصار كيان مثل كيعن ثم ابدلت من الياء الالف كما ابدلت من طائ فصار كاين ثم لينت الهمزة على قراءة ابى جعفر قال
الشاعر وكاين رددنا عنكم من مدجج يجئ امام القوم يردى مقنعا وقال اخر وكاين بالاباطح من صديق يرانى لو اصبت هو المصابا وقال اخر وكاين الكيم قاد من راس فتنة جنودا وامثال الجبال كتايبة و
قد حذفت الياء من اى فى قول الفرزدق تنظرت نصرا والسماكين ايهما على من الغيث استهلت مواطره واما قتل فيجوز ان يكون مسندا الى الضمير بنبى ما
اسند الى هذا الضمير احتمل قوله معه ربيون امرين احدهما ان يكون صفة لنبى فاذا قدرته هذا التقدير كان قوله ربيون مرتفعا بالظرف بلا
خلاف لان الظرف اذا اعتمد على ما قبله جاز ان يرفع على مذهب سيبويه ايضا والاخر ان لا تجعله صفة ولكن حالا من الضمير فى قتل والاخر ان يكون
الاسم الذى اسند اليه قتل فى قوله ربيون فيكون على هذا التقدير قوله معه متعلقا بقتل وعلى القيلين الاخرين الذين هما الصفة والحال متعلقا فى
الاصل بمحذوف وكذلك من قرا قاتل معه فيجوز فيه ما جاز فى قراءة من قرا قتل وحجة من قرا قتل قوله افان مات او قتل وحجة من قرا قاتل
ان المقاتل قد مدح كما مدح المقتول قال سبحانه وقاتلوا وقتلوا ومن جعل قوله معه ربيون صفة اضمر للمبتداء الذى هو كاين خبرا وموضع الكاف الجارة

انه اصاب عليا يوم احد ستون جراحة

وسيجزى الشاكرين

فى كاين مع المجرور رفع كما ان موضع الكاف فى قوله كذا وكذا رفع ولا معنى للتشبيه فيها كما انه لا معنى للتشبيه فى كذا وكذا اللغة الوهن الضعف
وانما قال وما ضعفوا من حيث ان الوهن انكسار الحد بالخوف لجسد وغيره والضعف نقصان القوة والاستكانة اصلها من الكينة وهى الحالة السيئة
يقال بات فلان بكينة اى بنية سوء وبخيبة اى بحالة سوء والاسراف مجاوزة المقدار والافراط بمعناه وضدها التقتير وقيل الاسراف مجاوزة الحق الى الباطل
بزيادة او نقصان والاول اظهر يقال سرفت الشئ اى نسيته لانه جاوزه الى غيره بالسهو عنه المعنى ثم اكد تعالى ما تقدم بقوله وكاين من نبى اى
كم من رسول قاتل اى حارب او قتل معه ربيون ذكرنا تقديره فى الحجة وقيل فى ربيون اقوال احدها انهم علماء فقهاء صبر عن ابن عباس والحسن
وثانيها انها جموع كثيرة عن مجاهد وقتادة وثالثها انهم منسوبون الى الرب ومعناه المتمسكون بعبادة الله عن الاخفش وقال غيره انهم منسوبون
الى علم الرب ورابعها ان الربيون عشرة الاف عن الزجاج وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وخامسها ان الربيون الاتباع والربانيون الولاة
عن ابن زيد ومن اسند الضمير الذى فى قتل الى نبى فالمعنى كم من نبى قتل ذلك النبى وكان معه جماعة كثيرة فقاتل اصحابه بعده وما وهنوا وما فتروا
ومن اسند قتل الى الربيين دون ضمير نبى فالمعنى ما وهن باقيهم بعد ما قتل كثير منهم فى سبيل الله والى هذا ذهب الحسن لانه كان يقول لم يقتل نبى قط
فى معركة والى الاول ذهب ابن اسحق وقتادة والربيع والسدى فعلى هذا يكون النبى المقتول والذين معه لا يهنون بين الله تعالى انه لو كان قتل النبى
صلى الله عليه واله كما ارجف بذلك يوم احد لما اوجب ذلك ان يضعفوا ويهنوا كما لم يهن من كان مع الانبياء بقتلهم وهو المروى عن ابى جعفر ع
وقيل معناه فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما اصابهم فى الجهاد عن دينهم عن ابن اسحق وقيل فما وهنوا اى فما جبنوا عن
قتال عدوهم وما ضعفوا اى ما فتروا وما استكانوا اى ما خضعوا لعدوهم عن الزجاج والله يحب الصابرين فى الجهاد قال ابن الانبارى
اى فقد كان واجبا عليكم ان تقاتلوا على امر نبيكم لو قتل كما قاتل امم الانبياء بعد قتلهم ولم يرجعوا عن دينهم وما كان قولهم عند لقاء العدو
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا والمعنى ما كان قولهم الا استغفارهم اى لا قولهم ربنا اغفر لنا وقوله ان قالوا اسم كان وقولهم خبره والضمير يعود
الى النبى ومن معه على احد القولين والى الربيين فى القول الاخر وقوله اغفر لنا ذنوبنا اى استرها علينا بترك عقابنا ومجازاتنا عليها واسرافنا
فى امرنا اى تجاوزنا الحد وتفريطنا وتقصيرنا رغب الله تعالى اصحاب الرسول عليه السلم فى ان يقولوا هذا القول ولا يقولوا قولا يدل على الضعف
فيطمع الاعداء فيهم وثبت اقدامنا فى جهاد عدوك بتقوية القلوب وفعل الالطاف التى معها تثبت الاقدام فلا تزول للانهزام وقيل ثبتنا على الدين
فتثبت به اقدامنا وانصرنا واعنا على القوم الكافرين بالقاء الرعب فى قلوبهم وامدادنا بالملائكة ثم بين تعالى ما اتاهم عقيب دعائهم فقال فاتيهم
الله يعنى الذين وصفهم اعطاهم الله ثواب الدنيا وهو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم وقهروهم وغلبوهم ونالوا منهم الغنيمة وحسن ثواب الاخرة
وهو الجنة والمغفرة ويجوز ان يكون ما اتاهم من الدنيا من الظفر والفتح والنصر واخذ الغنيمة ثوابا يستحقونه على طاعتهم لان فى ذلك التعظيم
لهم والاجلال ولذلك يقال ان المدح على فعل الطاعة والتسمية بالاسماء الشريفة بعض الثواب ويجوز ان يكون الله تعالى اعطاهم ذلك
تفضلا منه تعالى او لما لهم فيه من اللطف فيكون تسميته بانه ثواب كان مجازا وتوسعا والثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل
والله يحب المحسنين فى اقوالهم وافعالهم والمحسن فاعل الحسن وقيل المحسن الذى يحسن الى نفسه بطاعة ربه وقيل الذى يحسن الى غيره قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ايتان
اللغة الطاعة موافقة الارادة المرغبة فى الفعل وبالترغيب ينفصل من الاجابة وان كان موافقة الارادة حاصلة وفى الناس من قال
الطاعة هى موافقة الامر والاول اصح لان من فعل ما يقتضى العقل وجوبه او حسنه كان مطيعا لله وان لم يكن هناك امر الاعراب يردوكم جزم
لانه جواب الشرط فتنقلبوا عطف عليه وخاسرين نصب على الحال وبل حقيقته للاضراب عن الاول الى الثانى النزول قيل نزلت فى المنافقين
اذ قالوا للمؤمنين يوم احد عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وارجعوا فى دينهم عن على عليه السلم وقيل هم اليهود والنصارى عن الحسن وابن جريج
المعنى ثم امر تعالى بترك الايتمار لمن يثبطهم عن الجهاد من الكفار فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله ان تطيعوا الذين كفروا
اى ان اصغيتم الى قول اليهود والمنافقين ان محمدا قتل فارجعوا الى عشايركم يردوكم على اعقابكم اى يرجعوكم كفارا كما كنتم فتنقلبوا خاسرين
لانفسكم فلا خسران اعظم من ان يبدل الكفر بالايمان والنار بالجنة بل الله مولاكم اى هو اولى بان تطيعوه وهو اولى بنصركم وهو خير الناصرين
انما قال ذلك وان كان نصر غيره لا يعتد به مع نصره استظهارا فى الحجة اى ان اعتد بنصرة غيره فهو خير ناصر لانه لا يجوز ان يغلب وان نصر فهو الناصر

الانبياء الا انثى ... شبطوا عن الارسنفد عنه

وغيره يجوز ان يغلب

فى الحقيقة ان شاء امدكم باهل السماء وان شاء امدكم باهل الارض وان شاء نصركم بالقاء الرعب فى قلوب عدايكم قوله عز وجل سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين اية القراءة قرا ابن عامر وابو جعفر والكسائى ويعقوب وابو حاتم الرعب بضمتين والاخرون بتسكين العين وقد تقدم القول فى مثله اللغة السلطان معناه هنا الحجة والبرهان واصله القوة فسلطان الملك قوته والسلطان البرهان لقوته على دفع الباطل والتسليط على الشىء التقوية عليه مع الاغراء به والسلاطة حدة اللسان مع شدة الصخب للقوة على ذلك مع ايثار فعله والسليط الزيت لقوة اشتعاله بجودته والالقاء اصله فى الاعيان يدل عليه قوله و القى الالواح فالقوا حبالهم واستعمل فى غير عين اتساعا اذ ليس الرعب بعين وكذلك قوله والقيت عليك محبة منى ومثل الالقاء فى ذلك الرمى قال الله تعالى والذين يرمون ازواجهم بالزنا فهذا اتساع لانه ليس بعين وكذلك قوله رمانى بامر كنت منه ووالدى بريا ومن جول الطوى رمانى والمثوى المنزل واصله من الثوا وهو طول الاقامة وام المثوى ربة البيت والثوى الضيف لانه مقيم مع القوم النزول قال السدى لما ارتحل ابو سفين والمشركون يوم احد متوجهين الى مكة قالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به وسياتى هذه القصة فيما بعد فنزلت الاية المعنى ثم بين تعالى ان من جملة نصرته للمومنين القاء الرعب فى قلوب المشركين فقال سنلقى اى سنقذف فى قلوب الذين كفروا الرعب اى الخوف والفزع بما اشركوا بالله اى بشركهم بالله وقولهم عليه ما لا يجوز من الند والشريك ما لم ينزل به سلطانا اى برهانا وحجة يعنى لم يجعل لهم فى ذلك حجة وماواهم اى مستقرهم النار يعذبون فيها وبئس مثوى الظالمين معناه وبئس مقام الظالمين النار وروى ان الكفار دخلوا مكة كالمنهزمين مخافة ان يكون لرسول الله واصحابه الكرة عليهم وقال رسول الله عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر قوله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المومنين اية اللغة الحس القتل على وجه الاستيصال واصله من الاحساس ومنه هل تحس منهم من احد وسمى القتل حسا لانه يبطل الحس والفشل الجبن الاعراب صدق يتعدى الى مفعولين وجواب اذا فى قوله حتى اذا فشلتم قيل فيه وجهان احدهما انه محذوف وتقديره حتى اذا فشلتم امتحنتم والثانى انه على زيادة الواو والتقديم والتاخير وتقديره حتى اذا تنازعتم فى الامر فشلتم عن الفراء قال هذا كقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه والواو زايدة وحتى اذا جاؤها وفتحت وانشد حتى اذا قملت بطونكم ورايتم ابناكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخب والبصريون لا يجيزون هذا ويتاولون جميع ما استشهد به على الحذف لانه ابلغ فى الكلام واحسن النزول ذكر ابن عباس والبراء بن عازب والحسن وقتادة ان الوعد المذكور فى الاية كان يوم احد لان المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتى اخل الرماة بمكانهم الذى امرهم الرسول بالمقام عنده فاتاهم خالد من ورائهم وقتل عبد الله بن جبير ومن معه وتراجع المشركون وقتل من المسلمين سبعون رجلا ونادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين فرجعوا وفى ذلك نزلت الاية المعنى ثم بين تعالى انه صدقهم وعده فقال ولقد صدقكم الله وعده معناه وفى الله لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم فى قوله بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الاية وقيل كان الوعد قول رسول الله للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما ثبتم فى مكانكم اذ تحسونهم اى تقتلونهم باذنه اى بعلمه وقيل بلطفه لان اصل الاذن هو الاطلاق فى الفعل باللطف تيسير للفعل كما ان الاذن كذلك فحسن اجراء اسمه عليه حتى اذا فشلتم معناه جبنتم عن عدوكم وكععتم وتنازعتم فى الامر اى اختلفتم وعصيتم امر نبيكم فى حفظ المكان من بعد ما اراكم ما تحبون من النصرة على الكفار وهزيمتهم والظفر بهم والغنيمة واكثر المفسرين على ان المراد بالجميع يوم احد وقال ابو على الجبائى معناه اذ تحسونهم يوم بدر حتى اذا فشلتم يوم احد وتنازعتم وعصيتم يوم احد من بعد ما اراكم ما تحبون يوم بدر والاولى ان يكون حكاية عن يوم احد على ما بيناه وجواب اذا هنا محذوف يدل الكلام عليه وتقديره حتى اذا فعلتم ذلك ابتلاكم وامتحنكم ورفع النصرة عنكم منكم من يريد الدنيا يعنى الغنيمة وهم الذين اخلوا المكان الذى رتبهم النبى صلى الله عليه واله وامرهم بلزومه ومنكم من يريد الاخرة اراد عبد الله بن جبير ومن ثبت مكانه اى يقصد بجهاده الى ما عند الله عز وجل وروى عن ابن مسعود قال ما كنت ادرى ان احدا من اصحاب رسول الله يريد الدنيا حتى نزلت فينا هذه الاية يوم احد ثم صرفكم عنهم قد ذكر فى اضافة انصرافهم الى الله تعالى وجوه احدها انهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه

ومنهم من لم يعص لانهم قلوا بعد انهزام تلك الفرقة فانصرفوا باذن الله لئلا يقتلوا لان الله تعالى اوجب ثبات المائة للمائتين فاذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك فجاز ان يذكر الله تعالى للفريقين بانه صرفهم وعفا عنهم يعنى صرف بعضهم وعفا عن بعض عن ابى على الجبائى وثانيها ان معناه رفع النصرة عنكم ووكلكم الى انفسكم بخلافكم للنبى عليه السلام فانهزمتم عن جعفر بن حرب وثالثها ان معناه لم يامركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بالمظاهرة فى الانعام عليكم والتخفيف عنكم عن البلخى وقوله ليبتليكم معناه ليختبركم اى يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة فى العدل وذلك انه تعالى انما يجازى عباده على ما يفعلونه دون ما قد علمه منهم ولقد عفا عنكم اى صفح عنكم بعد ان خالفتم امر الرسول وقيل عفا عنكم و تتبعهم بعد ان امركم بالتتبع لهم عن البلخى قال لما بلغوا حمراء الاسد عفا عنهم من ذلك وقال ابو على الجبائى هو خاص بمن لم يعص بانصرافه والاولى ان يكون عاما فى الجميع فانه لا يمتنع ان يكون الله تعالى قد عفى لهم عن المعصية والله ذو فضل على المومنين اى ذو من ونعمة عليهم بنعم الدنيا والدين وقيل بغفران ذنوبهم وقيل بان لم يستاصلهم كما فعل بمن كان قبلهم وروى الواقدى باسناده عن سهل بن سعد الساعدى قال جرح رسول الله صلى الله عليه واله يوم احد وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على راسه فكانت فاطمة بنته تغسل عنه الدم وعلى بن ابى طالب يسكب عليه بالمجن فلما رات فاطمة ان الماء لا يزيد الدم الا كثرة اخذت قطعة حصير فاحرقته حتى اذا صار رمادا الزمته الجرح فاستمسك الدم قوله عز وجل اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طايفة منكم وطايفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شىء قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ايتان القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم تغشى طايفة بالتاء والباقون يغشى بالياء وقرا اهل البصرة كله لله بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو على حجة من قرا يغشى بالياء قوله اذ يغشيكم النعاس امنة فالنعاس هو الغاشى ولان يغشى اقرب الى النعاس فاسناد الفعل اليه اولى ويقال غشينى النعاس وغلب على النعاس ولا تسهل غشيتنى الامنة وحجة من قرا بالتاء ان النعاس وان كان بدلا من الامنة فليس المبدل منه فى طريق ما يسقط من الكلام يدلك على ذلك قولهم الذى مررت به زيدا بو عبد الله وقال وكانه لهق السراة كانه ما حاجبيه معين بسواد فجعل الخبر على الذى يدل منه وحجة من نصب كله ان كله بمنزلة اجمعين على انه للاحاطة والعموم فالوجه ان لا يلى العوامل كما لا يليها اجمعون وحجة ابى عمرو فى رفعه كله وابتدائه به انه وان كان فى اكثر الامر بمنزلة اجمعين لعمومها فقد ابتدى بها كما ابتدى بساير الاسماء نحو قوله وكلهم اتيه يوم القيمة فردا فابتدا به فى الاية اللغة الفرق بين الاصعاد والصعود ان الاصعاد فى مستو من الارض والصعود فى ارتفاع يقال اصعدنا من مكة اذا ابتدانا السفر منها ومنه قول الشاعر هواى مع الركب اليمانين مصعد جنيب وجسمانى بمكة موثق وروى عن الحسن انه قرا تصعدون بفتح التاء والعين وقال انهم صعدوا فى الجبل فرارا وقال الفراء الاصعاد الابتداء فى كل سفر والانحدار الرجوع عنه ولا تلوون اى لا تعرجون على احد كما يفعله المنهزم ولا يذكر هذا الا فى النفى لا يقال لويت على كذا واصله من لى العنق للالتفات والنعاس الوسن وناقة نعوس تنعس بالسماحة فى الدر الاعراب قوله اذ تصعدون العامل فى اذ قوله ولقد عفا عنكم واللام فى قوله لكيلا تحزنوا يتعلق به ايضا وقيل يتعلق بقوله فاثابكم ولا تحزنوا منصوب بكى وامنة مفعول انزل ونعاسا بدل منها وطايفة الاولى مفعول وطايفة الثانية مرفوعة بالابتداء وخبرها يظنون وقد اهمتهم انفسهم فى موضع رفع بالصفة ويجوز ان يكون قد اهمتهم انفسهم خبرا والواو فى وطايفة واو الحال على تقدير يغشى النعاس طايفة فى حال ما اهمت طايفة منهم انفسهم فالجملة فى موضع الحال ويجوز النصب على ان تجعل الواو واو العطف كما يقول ضربت زيدا وعمرا اكرمته فيكون منصوبا على اضمار فعل الذى قد ظهر تفسيره المعنى ثم ذكر تعالى المنهزمين من اصحاب رسول الله يوم احد فقال اذ تصعدون معناه ولقد عفا عنكم اذ تذهبون فى وادى احد للانهزام فرارا من العدو عن قتادة والربيع ولا تلوون على احد اى لا تقيمون على من خلفتم فى الحرب ولا تلتفتون اليهم ولا يقف احد منكم على احد والرسول يعنى محمدا رسول الله صلى الله عليه واله يدعوكم فى اخراكم اى يناديكم من ورائكم فيقول ارجعوا الى عباد الله ارجعوا انا رسول الله يقال جاء فلان فى اخر الناس واخرة الناس واخرى الناس اذا جاء

خلفهم فاثابكم غما بغم اختلف فيه على اقوال احدها ان معناه جعل مكان ما ترجونه من الثواب ان غمكم بالهزيمة وظفر المشركين بكم بغمكم رسول الله
اذ عصيتموه وضيعتم امره فالغم الاول لهم والثاني للنبي عليه السلم واختاره الزجاج وثانيها ان معناه غما على غم او غما مع غم او غما بعد غم
كما يقال نزلت بفلان وعلى فلان حتى فعل كذا او يقال مازلت بزيد حتى فعل اى مع زيد فاراد به كثرة الغم بالندم على ما فعلوا وعا
اصابهم من الشدايد وانهم لا يدرون ما استحقوا به من عقاب الله تعالى وثالثها ان الغم الاول القتل والجراح والثاني الارجاف بقتل
محمد صلى الله عليه واله عن قتادة والربيع ورابعها اثابكم غما يوم احد بغم لحق المشركين يوم بدر عن الحسن وفي هذا القول نظر لان ما لحق
المشركين يوم بدر من جهة المسلمين من الغم انما يوجب المجازاة بالكرامة دون الغم وخامسها ان المراد غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم
وخروجهم الى حمراء الاسد فجعل هذا الغم عوضا عن غم المسلمين بما نيل منهم عن الحسين بن علي المغربي وانما قيل في الغم ثواب لان اصله ما يرجع
الى المجازاة على الفعل طاعة كانت او معصية ثم كثر في جزاء الطاعة فهو كما قال الشاعر اخاف زيادا ان يكون عطاءه ادهم
سودا او محدرجة سمرا لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم معناه فعل بكم هذا الغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا تتركوا
امر النبي عليه السلم ولكيلا تحزنوا ايضا على ما اصابكم من الشدايد في سبيل الله وليكون غمكم بان خالفتم النبي عليه السلم فقط
تقديره ليشغلكم حزنكم على سوء ما صنعتم عن الحزن على غيره وقيل معناه ولقد عفا عنكم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم فان عفو الله تعالى يذهب
كل حزن والله خبير بما تعملون فيه ترغيب في الطاعة وترهيب عن المعصية ثم ذكر تعالى ما انعم به عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا واقبلوا
يعتذرون الى رسول الله صلى الله عليه واله فانزل النعاس عليهم في تلك الحالة حتى كانوا يسقطون على الارض وكان المنافقون
لا يستقرون قد طارت عقولهم فقال ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا لفظ الانزال توسع ومعناه ثم وهب الله لكم ايها المؤمنون
من بعد ما نالكم يوم احد من الغم امنة يعني امنا نعاسا اى نوما وهو بدل الاشتمال عن امنة لان النوم يشتمل على الامن فان الخائف
لا ينام ثم بين تعالى ان تلك الامنة لم تكن عامة بل كانت لاهل الاخلاص وبقي لاهل النفاق الخوف والسهر فقال يغشى طايفة منكم يعني
المؤمنين القى عليهم النوم وكان السبب في ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع الى القتال فقعد المسلمون تحت الحجف متهيئين للحرب فانزل الله
الامنة على المؤمنين فناموا دون المنافقين الذين ازعجهم الخوف بان يرجع الكفار عليهم او يغيروا على المدينة لسوء الظن فطير عنهم
النوم عن ابن اسحق وابن زيد وقتادة والربيع وطايفة قد اهمتهم انفسهم اى وجماعة شغلتهم انفسهم وقيل حملتهم على الهم ومنه قول العرب
همك ما اهمك ومعناه كان همهم خلاص انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية اى يتوهمون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه كظنهم في الجاهلية وقيل
كظن اهل الجاهلية وهم الكفار المكذبون بوعد الله ووعيده وكان ظن المنافقين كظنهم وقيل ظنهم بما ذكر بعده من قوله يقولون هل
لنا من الامر من شيء فهذا تفسير لظنهم يعني يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر والفتح والظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب والانكار
اى انطمع ان يكون لنا الغلبة على هؤلاء اى ليس لنا من ذلك شيء وقيل معناه انا اخرجنا كرها ولو كان الامر الينا ما خرجنا عن الحسن وكان
هذا القايل عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير واصحابهما عن الزبير بن العوام وابن جريح قل يا محمد ان الامر كله لله ينصر من يشاء لا خاذل لمن
نصره ولا ناصر لمن خذله وربما عجل النصر وربما اخره لضرب من الحكمة ولا يكون لوعده خلف والمراد بالامر في الموضعين النصر يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك اى يخفون في انفسهم الشك والنفاق وما لا يستطيعون اظهاره لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء من الظفر كما وعدنا
ما قتلنا ههنا اى ما قتل اصحابنا سكانهم فيما وعد الله نبيه من الاستعلاء على اهل الشرك وتكذيبا به قل يا محمد لهم في جواب ذلك لو كنتم
في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قيل فيه قولان احدهما ان معناه لو لزمتم منازلكم ايها المنافقون والمرتابون وتخلفتم
عن القتال لخرج الى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين فيقتلون ويقتلون والتقدير لو تخلفتم عن القتال لما
تخلف المؤمنون والثاني ان معناه لو كنتم في منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل اى كتب آجالهم وموتهم وقتلهم في اللوح المحفوظ في ذلك الوقت
الى مصارعهم وذلك ان ما علم الله تعالى كونه فانه يكون كما علمه لا محالة وليس في ذلك ان المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله
تعالى ذلك منهم وكتبه لانه كما علم انهم لا يختارون ذلك علم انهم قادرون ولو وجب ذلك لوجب ان لا يكون تعالى قادرا على ما علم انه لا يفعله
والقول بذلك كفر وليبتلي الله ما في صدوركم اى ليختبر الله ما في صدوركم بأعمالكم لانه قد علمه غيبا فيعلمه شهادة لان المجازاة انما تقع على ما علم

مشاهدة

مشاهدة لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج وقيل معناه ليعاملكم معاملة المبتلين مظاهرة في العدل عليكم وقيل انه عطف على
قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم وليبتلي ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم اى يخلص وقيل هذا خطاب للمنافقين اى يامركم بالخروج فلا تخرجون
فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم وتنكشف اسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم وقيل معناه وليبتلي اولياء الله ما في صدوركم كما في قوله الذين
يحاربون الله ورسوله ويؤذون الله ورسوله وقيل انه عطف على قوله امنة نعاسا اى ليظهر عند هذه الاحوال موافقة باطنكم لظاهركم
وليمحص ما في قلوبكم اى يطهرها من الشك بما يريكم من عجايب صنعه ويخلص نياتكم وهذا التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين والله عليم بذات
الصدور معناه ان الله لا يبتليكم ليعلم ما في صدوركم فانه عليم بذلك وانما ابتلاكم ليظهر اسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر قوله عز وجل
ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم المعنى ثم ذكر
تعالى الذين انهزموا يوم احد ايضا فقال ان الذين تولوا منكم اى الذين ولوا الدبر على المشركين باحد منكم ايها المسلمون عن قتادة والربيع وقيل
هم الذين هربوا الى المدينة في وقت الهزيمة عن السدي يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وسيدهم رسول الله صلى الله عليه واله وجمع المشركين
ورئيسهم ابو سفين انما استزلهم الشيطان اى طلب زلتهم عن القتبي وقيل ازل واستزل بمعنى ببعض ما كسبوا من معاصيهم السالفة فلحقهم شومها
وقيل استزلهم بمحبتهم للغنيمة مع حرصهم على تبقية الحياة عن الجبائي قال وفي ذلك الزجر عما يؤدي الى الفتور فيما يلزم من الامور وقيل استزلهم
تذكر خطايا سلفت لهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة فيها عن الزجاج ولقد عفا الله عنهم اعاد تعالى ذكر العفو
تاكيدا لطمع المذنبين في العفو ومنعا لهم عن الياس وتحسينا لظنون المؤمنين ان الله غفور حليم قد مر معناه وذكر ابو القسم البلخي انه لم يبق مع النبي
صلى الله عليه واله يوم احد الا ثلثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين وثمانية من الانصار فاما المهاجرون فعلي وابو بكر وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد
بن ابي وقاص وقد اختلف في الجميع الا في علي عليه السلم وطلحة وقد روى عن عمر بن الخطاب انه قال رايتني اصعد في الجبل كانني اروى ولم يرجع
عثمان من الهزيمة الا بعد ثلث فقال له النبي صلى الله عليه واله لقد ذهبت فيها عريضة قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او
قتلتم لالى الله تحشرون ثلث آيات القراءة قرا ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم بما يعملون بالياء والباقون بالتاء وقرا نافع واهل
الكوفة غير عاصم متم بالكسر ووافقهم حفص في ساير المواضع الا ههنا وقرا الباقون متم بضم الميم وقرا مما يجمعون بالياء حفص غير عاصم والباقون
تجمعون بالتاء الحجة قال ابو علي حجة من قرا بالتاء قوله لا تكونوا كالذين كفروا وحجة من قرا بالياء ان قبلها ايضا غيبة وهو قوله وقالوا
لاخوانهم وما بعده فحمل الكلام على الغيبة والاشهر الاقيس في متم ضم الفاء والكسر شاذ في القياس ونحوه مما شذ وفضل يفضل في الصحيح وانشد
ذكرت ابن عباس بباب ابن عامر وما مر من عمري ذكرت وما فضل واما تجمعون بالتاء فالمعنى على تجمعون ايها المقتولون في سبيل الله او
المايتون ومعنى الياء انه لمغفرة من الله خير مما يجمعه غيركم اللغة الضرب في الارض السير فيها واصله الضرب باليد وقيل هو الايغال في
السير وغزى جمع غاز نحو ضارب وضرب وطالب وطلب الاعراب قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض وضع اذا موضع اذ لاحد
امرين اما لانه متصل بلا تكونوا كهؤلاء اذا اضرب اخوانهم في الارض واما لان الذي اذا كان مبهما غير موقت جرى مجرى ما في الجزاء فيقع
فيه موقع المستقبل نحو ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله معناه يكفرون ويصدون ويجوز لاكرمن الذي اكرمك اذا زرته
لابهام الذي اكرمك اذا زرته لتوقيت الذي من اجل الاشارة اليه بهذا وقوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دونكم وقيل انه يتعلق
بقوله وقالوا لاخوانهم فيكون لام العاقبة عن ابي علي الجبائي وقوله لئن قتلتم استغنى عن جواب الجزاء فيه بجواب القسم فكان جواب القسم اولى
بالذكر لان له صدر الكلام مما يذكر في حشوه واللام في قوله ولئن متم يحتمل امرين احدهما ان يكون خلفا من القسم ويكون اللام في قوله
لالى الله جوابا كقولك والله ان متم او قتلتم لتحشرون الى الله والثاني ان يكون مؤكدة لما بعدها كما تؤكد ان ما بعدها ويكون الثانية
جواب القسم محذوف والنون لا بد منها في فعل المضارع مع لام القسم لان القسم احق بالتاكيد من كل ما يدخله النون من جهة ان ذكر القسم دليل على
انه من مواضع التاكيد فاذا جازت في غيره من الامر والنهي والاستفهام والعرض والجزاء مع ما لزمت في القسم لانه احق بها من غيره والفرق

بين لام القسم ولام الابتداء ان لام الابتداء يصرف الاسم اليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت لزيد خير منك وقد علمت زيدا ليقوم
وليس كذلك لام القسم لانها لا تدخل على الاسم ولا يكسرها ان نحو قد علمت ان زيدا ليقومن وتلزمها النون في المستقبل **المعنى** ثم نهى الله
تعالى عن الاقتداء بالمنافقين في افعالهم واقوالهم فقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يريد عبد الله بن ابي سلول واصحابه
من المنافقين عن السدي ومجاهد وقيل هو عام وقالوا لاخوانهم من اهل النفاق اذا ضربوا في الارض اى سافروا فيها للتجارة او طلب معاش
فماتوا عن السدي وابن اسحق وانما خص الارض بالذكر لان اكثر اسفارهم كان في البر وقيل اكتفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله تعالى سرابيل
تقيكم الحر وقيل لان الارض تشتمل على البر والبحر او كانوا غزى اى غزاة محاربين للعدو فقتلوا لو كانوا مقيمين عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل
الله ذلك حسرة في قلوبهم معناه قالوا هذا القول ليثبطوا المومنين عن الجهاد فلم يقبل المومنون ذلك وخرجوا ونالوا العز والغنيمة فصار
حسرة في قلوبهم فاللام على هذا في ليجعل لام العاقبة وقيل معناه لا تكونوا كهؤلاء الكفار في هذه المقالة لكي يجعل الله تلك المقالة سببا
لالزام الحسرة والحزن قلوبهم لما يحصل لهم من الخيبة فيما املوا من الموافقة ولما فاتهم من عز الظفر والغنيمة والله يحيي ويميت اى هو الذي يحيي
ويميت في السفر والحضر عند حضور الاجل ولا مؤخر لما قدم ولا مقدم لما اخر ولا راد لما قضى ولا محيص عما قدر وهذا يتضمن منع الناس عن
التخلف من الجهاد خشية القتل فان الاحياء والاماتة بيد الله تعالى فلا حيوة لمن قدر الله موته ولا موت لمن قدر حيوته والله بما تعملون
بصير اى مبصر وقيل عليم وهذا يتضمن الترغيب في الطاعة والترهيب عن المعصية ثم حث تعالى على الجهاد وبين ان الشهادة خير من اموال الدنيا المستفادة
بان قال ولئن قتلتم ايها المومنون في سبيل الله اى في الجهاد او متم قاصدين مجاهدة الكفار استوجبتم مغفرة الله ورحمته والمغفرة الصفح
عن الذنوب والرحمة الثواب الجنة وهاتان خير مما تجمعون من الاموال والمقاصد الدنيوية وهذا يتضمن تعزية المومنين وتسليتهم
عما اصابهم في سبيل الله فيه وتقوية لقلوبهم وتهوين للموت والقتل عليهم ثم قال ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون اى سواء متم او
قتلتم فان مرجعكم الى الله تعالى فيجزي كلا منكم كما يستحقه المحسن على احسانه والمسيء على اسائته فاثروا ما يقربكم منه ويوجب لكم رضاه من العمل
بطاعته والجهاد في سبيله ولا تركنوا الى الدنيا وفي هذا المعنى البيت الذي ينسب الى الحسين عليه السلام وهو فان تكن الابدان للموت انشئت
وقتل امرئ في الله بالسيف افضل **سوال** ان قيل كيف عادل بين مغفرة الله ورحمته وبين حطام الدنيا مع تفاوت ما بينهما ولا يقول احد الدرة
خير من البعرة **فجوابه** ان الناس يؤثرون الدنيا على الاخرة حتى انهم يتركون الجهاد في سبيل الله محبة للاستكثار من الدنيا وايثار للمقام فيها
فعلى هذا جاز ذلك قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين **اية اللغة** الفظ الغليظ الجافي القاسي
القلب يقال منه فظظت تفظ فظاظة وانت فظ على وزن فعل الا انه ادغم كصب الفظاظة خشونة الكلام والافتظاظ شرب ماء الكرش
لجفائه على الطباع فان اصل الفظاظة الجفوة والفظ ماء الكرش والفض بالضاد تفريق الشيء والانفضاض التفرق وشاورة المرء مشاورة
وشوارا والاسم المشورة وقيل المشورة وفلان حسن المشورة والصورة اى الهيئة واللباس وانه لصير شير وهو حسن الشارة ومعنى قولهم
شاورت فلانا اظهرت ما عندي وما عنده وشرت الدابة اشورها اذا امتحنتها فعرفت هيئتها في سيرها وشرت العسل واشرته اذا
اخذته من مواضع النحل وعسل مشور ومشار قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا فيها وارياً مشورا وقال عدي بن زيد وغناء يأذن
الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار والعزم عقد القلب على الشيء يريد ان يفعله والعزيمة كذلك قال ابن دريد يقال عزمت عليك اى
اقسمت عليك والتوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والتوكل على الله هو تفويض الامر اليه والثقة بحسن تدبيره واصله الاتكال وهو الاكتفاء
في فعل ما يحتاج اليه بمن يستند اليه ومنه الوكالة لانها عقد على الكفالة بالنيابة والوكيل هو المتكل عليه بتفويض الامر اليه **الاعراب**
فبما رحمة ما زائدة باجماع المفسرين ومثله عما قليل جاءت ما مؤكدة للكلام ودخولها لحسن نظام الكلام كدخولها لاتزان الشعر في نحو قوله
عنترة يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم وقول الفرزدق ناديت انك ان نجوت فبعد ما يأس وقد نظرت اليك شعوب
وذلك ليتمكن المعنى في النفس فيجري مجرى التكرير **المعنى** ثم بين تعالى ان مساهلة النبي اياهم ومجاوزته عنهم من رحمته سبحانه حيث جعله
لين العطف حسن الخلق فقال فبما رحمة اى برحمة من الله لنت لهم ومعناه ان لينك لهم مما يوجب دخولهم في الدين لانك تاتيهم مع

سماحة اخلاقك وكرم سجيتك بالحجج والبراهين ولو كنت يا محمد فظا اى جافيا سيء الخلق غليظ القلب اى قاسي الفؤاد غير ذي رحمة
ولا رأفة لانفضوا من حولك اى لتفرق اصحابك عنك ونفروا منك وقيل انما جمع بين الفظاظة والغلظة وان كانتا متقاربتين
لان الفظاظة في الكلام فنفى الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه فاعف عنهم ما بينك وبينهم واستغفر لهم ما بينهم وبيني وقيل معناه
فاعف عنهم فرارهم باحد واستغفر لهم من ذلك الذنب وشاورهم في الامر اى استخرج آراءهم واعلم ما عندهم واختلفوا في فائدة
مشاورته اياهم مع استغنائه بالوحي عن تعرف صواب الرأي من العباد على اقوال احدها ان ذلك على وجه التطبيب لنفوسهم والتألف
لهم والرفع من اقدارهم ليبين انهم ممن يوثق باقوالهم ويرجع الى آرائهم عن قتادة والربيع وابن اسحق وثانيها ان ذلك ليقتدي
امته في المشاورة ولا يروها نقيصة كما مدحوا بان امرهم شورى بينهم عن سفين بن عيينة وثالثها ان ذلك للامرين لاجلال
اصحابه وليقتدي به امته في ذلك عن الحسن والضحاك ورابعها ان ذلك ليمتحنهم بالمشاورة فيتميز الناصح من الغاش وخامسها ان ذلك
في امور الدنيا ومكايد الحرب ولقاء العدو وفي مثل ذلك يجوز ان يستعين بارائهم عن ابي علي الجبائي فاذا عزمت اى فاذا عقدت
قلبك على الفعل وامضائه وروي عن جعفر بن محمد عم وجابر بن زيد فاذا عزمت بالضم فعلى هذا يكون معناه فاذا عزمت لك
ووفقتك وارشدتك فتوكل على الله اى فاعتمد على الله وثق به وفوض امرك اليه ان الله يحب المتوكلين يعني الواثقين به
والمعتمدين عليه والمنقطعين اليه الواكلين امورهم الى لطفه وتدبيره وفي هذه الاية دلالة على اختصاص نبينا عليه السلام بمكارم
الاخلاق ومحاسن الافعال ومن عجيب امره صلوات الله عليه انه كان اجمع الناس لدواعي الترفع ثم كان ادناهم الى التواضع و
ذلك انه عليه السلام كان اوسط الناس نسبا واوفرهم حسبا واسخاهم واشجعهم وازكاهم وافصحهم وهذه كلها من دواعي الترفع
ثم كان من تواضعه انه كان يرقع الثوب ويخصف النعل ويركب الحمار ويعلف الناضح ويجيب دعوة المملوك ويجلس بالارض وياكل
على الارض وكان يدعو الى الله من غير زبر ولا كهر ولا زجر ولقد احسن من مدحه في قوله فما حملت من ناقة فوق ظهرها ابر
واوفى ذمة من محمد صلى الله عليه وآله وفي الاية ايضا ترغيب للمومنين في العفو عن المسيء وحثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم وعلى مشاورة بعضهم بعضا
فيما يعرض لهم من الامور ونهيهم عن الفظاظة في القول والغلظة والجفاء في الفعل ودعاؤهم الى التوكل عليه وتفويض الامور اليه
وفيها ايضا دلالة على ما نقوله في اللطف لانه تعالى نبه على انه لولا رحمته لم يقع اللين والتواضع ولو لم يكن كذلك لما اجابوه
فبين ان الامور المنفرة منفية عنه وعن سائر الانبياء ومن يجري مجراهم في انه حجة على الخلق وهذا يوجب تنزيههم ايضا عن الكباير
لان التنفير في ذلك اكثر قوله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده
وعلى الله فليتوكل المومنون **اية المعنى** لما امر تعالى نبيه عليه السلام بالتوكل بين معنى وجوب التوكل عليه فقال ان ينصركم الله
على من ناواكم فلا غالب لكم اى فلا يقدر احد على غلبتكم وان كثر عددهم وقل عددكم وان يخذلكم اى يمنعكم معونته ويخل بينكم وبين
اعدائكم بمعصيتكم اياه فمن ذا الذي ينصركم من بعده الهاء تعود الى اسم الله على الظاهر والمعنى على حذف المضاف تقديره من بعد خذلانه
يعني انه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله اياكم ومن هنا معناه التقرير بالنفي في صورة الاستفهام اى لا ينصركم احد من بعده وانما تضمن حرف
الاستفهام معنى النفي لان جوابه يجب ان يكون بالنفي فصار ذكره يغني عن ذكر جوابه وكان ابلغ لتقرير المخاطب فيه وعلى الله فليتوكل المومنون
ظاهر المراد وتضمنت الاية الترغيب في طاعة الله التي يستحق بها النصرة والتحذير من معصيته التي يستحق بها الخذلان مع ايجاب التوكل عليه الذي
يؤمن معه ان يكلهم الى انفسهم فيهلكوا قال ابو علي الجبائي وفي الاية دليل على ان من غلبه اعداء الله من الباغين لم ينصره الله لانه لو نصره
لما غلبوه وذلك بحسب ما في المعلوم من مصالح العباد مع تعريض المومنين لمنازل الابرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم
يجعل على امان من الفجار وهذا انما هو في النصر بالغلبة فاما النصر بالحجة فان الله تعالى نصر المومنين من حيث هداهم الى طريق الحق
بما نصب لهم من الادلة الواضحة والبراهين الساطعة ولولا ذلك لما حسن التكليف وقال ابو القسم البلخي المومنون منصورون ابدا
ان غلبوا فهم المنصورون بالغلبة وان غلبوا فهم المنصورون بالحجة ولا يجوز ان ينصر الله الكافر على وجه وقال الجبائي النصر بالغلبة ثواب لانه لا
يجوز ان ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم وقال ابن الاخشيد ليس بثواب كيف تصرفت الحال لان الله تعالى

قد امرنا ان ننصر الفئة المبغى عليها وقد لاتكون مستحقة للثواب فاما الخذلان فلا خلاف انه عقاب والخذلان هو الامتناع من المعونة على العدو فى وقت الحاجة اليها لانه لو امتنع انسان من معونة من يستغنى عن معونته لم يكن خاذلا له قوله عز وجل وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ آية القراءة قرا ابن كثير وابن عمرو وعاصم ان يغل بفتح الياء وضم الغين وقرا الباقون بضم الياء وفتح الغين الحجة من قرا يغل فمعناه يخون يقال غل فى الغنيمة يغل اذا خان فيها واغل بمعناه قال النمر بن تولب جزى الله عنا جمرة ابنة نوفل جزاء مغل بالامانة كاذب بما سالت عنى الوشاة ليكذبوا على وقد اوليتها فى النوائب ومن قرا يُغَل فمعناه على وجهين احدهما ينسب الى الخيانة ما كان لنبى ان يخون اى والاخر ما كان لنبى ان يخان بمعنى يسرق منه ويؤخذ من الغنيمة التى حازها ويكون تخصيص النبى بذلك تعظيما للذنب وقال ابو على الفرسى والحجة لمن قرا يغل ان ماجاء فى التنزيل من هذا النحو اسند الفعل فيه الى الفاعل نحو ما كان لنا ان نشرك بالله وما كان لياخذ اخاه وما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ولا يكاد يقال ما كان لزيد ان يضرب وما كان زيد ليضرب فيسند الفعل فيه الى المفعول به فكذلك قوله ما كان لنبى ان يغل يسند الفعل فيه الى الفاعل وروى عن ابن عباس انه قرا يغل فقيل له ان عبد الله قرا يغل فقال ابن عباس بلى والله ويقتل وروى عن ابن عباس ايضا انه قال قد كان النبى يقتل فكيف لا يخون اللغة واصل الغلول من الغلل وهو دخول الماء فى خلل الشجر يقال انغل الماء فى اصول الشجر فالغلول الخيانة لانها تجرى فى الملك على خفاء من غير الوجه الذى يحل كالغلل ومنه الغل الحقد لانه يجرى فى النفس كالغلل ومنه الغليل حرارة العطش والغلة كانها تجرى فى الملك من جهات مختلفة والغلالة لانها شعار تحت البدن النزول روى عن ابن عباس وسعيد بن جبير انها نزلت فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعل النبى عليه السلام اخذها وفى رواية الضحاك عنه ان رجلا غل بمخيط اى بابرة من غنايم هوازن يوم حنين فنزلت الاية وعن مقاتل انها نزلت فى غنايم احد حين ترك الرماة المركز لطلب الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم كما لم يقسم يوم بدر ووقعوا فى الغنايم فقال رسول الله صلى الله عليه واله اظننتم انا نغل ولا نقسم لكم فانزل الله تعالى الاية وقيل انه قسم المغنم ولم يقسم للطلايع فلما قدمت الطلايع قالوا قسم الفئ ولم يقسم لنا فعرفه الله تعالى الحكم فيه ونزلت الاية وقيل نزلت فى اداء الوحى كان عليه السلام يقرا القران وفيه عيب دينهم وسب الهتهم فسالوه ان يطوى ذلك فانزل الله الاية المعنى لما قدم سبحانه امر الجهاد وذكر بعده ما يتعلق به من حديث الغنايم والنهى عن الخيانة فيها فقال وما كان لنبى ان يغل وتقديره ما كان لنبى الغلول لان ان مع الفعل بمعنى المصدر اى لا يجتمع النبوة والخيانة وقيل معناه ما كان له ان يكتم شيئا من الوحى عن ابن اسحق وتقديره ما كان له ان يغل امته فيما يودى اليهم وقيل اللام منقولة وتقديره ما كان النبى ليغل كقوله ما كان لله ان يتخذ ولدا ومعناه ما كان الله ليتخذ ولدا وعلى القراءة الاخرى ما كان لنبى ان يخون اى يخونه اصحابه او بمعنى يكتمونه شيئا من المغنم على ما مضى القول فيه وخصه عليه السلام بالذكر وان كان لا يجوز ان يغل غيره من امام وامير للمسلمين لوجهين احدهما لعظم خيانته وانها اعظم من خيانة غيره وهذا كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وان كان اجتناب جميع الارجاس واجبا والاخر ان النبى انما خص بالذكر لانه القايم بامر الغنايم فاذا حرمت الخيانة عليه وهو صاحب الامر فحرمتها على غيره اولى واجدر وقوله ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة معناه انه ياتى به حاملا على ظهره كما روى فى خبر طويل الا لا يغلن احد بعيرا فياتى به على ظهره يوم القيمة له رغاء الا لا يغلن احد فرسا فياتى به على ظهره له حمحمة فيقول يا محمد يا محمد فاقول قد بلغت قد بلغت لا املك لك من الله شيئا عن ابن عباس وابى حميد الساعدى وابن عمر وقتادة قال الجبائى وذلك ليفضح به على رؤس الاشهاد وقال البلخى يجوز ان يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كان الله تعالى اذا فضحه يوم القيمة جرى ذلك مجرى ان يكون حاملا له وله صوت وقد روى فى خبر اخر ان النبى صلى الله عليه واله كان يامر مناديا فينادى فى الناس ردوا الخيط والمخيط فان الغلول عار وشنار يوم القيمة فجاء رجل بكبة من شعر فقال انى اخذتها لاخيط بردعة بعير لى فقال النبى صلى الله عليه واله اما نصيبى منها فهو لك فقال الرجل اما اذا بلغ الامر هذا المبلغ فلا حاجة لى فيها والاولى ان يكون معناه ومن يغلل يوافى بما غل يوم القيمة فيكون ما غلوه على عنقه امارة يعرف بها وذلك حكم الله تعالى فى كل من وافى القيمة بمعصية لم يتب منها واراد الله تعالى ان يعامله بالعدل اظهر عليه من معصيته علامة تليق بمعصيته ليعلمه اهل القيمة بها ويعلموا سبب استحقاقه

العقوبة كما قال تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وهكذا حكمه تعالى فى كل من وافى القيمة بطاعة فانه تعالى يظهر من طاعته علامة يعرف بها ثم توفى كل نفس جزاء ما عملت تاما وافيا وهم لا يظلمون اى لا ينقص احد عن مقدار ما استحقه من الثواب ولا يزاد على مقدار ما استحقه من العقاب وهم لا يظلمون وفى هذه الاية دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تعالى لو عذب اولياءه لم يكن ذلك ظلما منه لانه قد بين انه لو لم يوف ما كسبت لكان ظلما قوله عز وجل أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ آيتان اللغة باء اى رجع يقال باء بذنبه يبوء بوءا اذا رجع به وبوأته منزلا اى هيأته له لانه يرجع اليه والسخط من الله هو ارادة العقاب لمستحقه ولعنه وهو مخالف للغيظ لان الغيظ هو هيجان الطبع وانزعاج النفس ولا يجوز اطلاقه على الله تعالى والمصير المرجع ويفرق بينهما بان المرجع هو انقلاب الشئ الى حال قد كان عليها والمصير انقلاب الشئ الى خلاف الحال التى هو عليها نحو مصير الطين خزفا ولا يقال رجع الطين خزفا لانه لم يكن قبل خزفا والدرجة الرتبة والدرجان مشى الصبى لتقارب الرتب والترقى فى العلم درجة بعد درجة اى منزلة بعد منزلة كالدرجة المعروفة النزول لما امر رسول الله صلى الله عليه واله بالخروج الى احد قعد عنه جماعة من المنافقين واتبعه المؤمنون فانزل الله هذه الاية المعنى لما بين تعالى ان كل نفس توفى جزاء ما كسبت من خير وشر عقبه ببيان من كسب الخير والشر فقال افمن اتبع رضوان الله وفيه اقوال احدها ان معناه افمن اتبع رضوان الله فى العمل بطاعته كمن باء بسخط منه فى العمل بمعصيته عن ابن اسحق وثانيها افمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول كمن باء بسخط من الله فى فعل الغلول عن الحسن والضحاك واختاره الطبرى لانه اشبه بما تقدم وثالثها افمن اتبع رضوان الله بالجهاد فى سبيله كمن باء بسخط من الله فى الفرار منه رغبة عنه عن الزجاج والجبائى وهذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول وماواه جهنم اى مصيره ومرجعه الى جهنم وبئس المصير اى المكان الذى يصار اليه والمستقر والاية استفهام والمراد به التقرير والفرق بين الفريقين اى ليس من اتبع رضاء الله كمن باء بسخطه هم درجات اى هم ذووا درجات عند الله فالمؤمنون ذووا درجة رفيعة والكافرون ذووا درجة خسيسة وقيل فى معناه قولان احدهما ان المراد اختلاف مرتبتى اهل الثواب والعقاب بما لهؤلاء من النعيم والكرامة ولاولئك من العقاب والمهانة وعبر عن ذلك بدرجات مجازا وتوسعا والثانى ان المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فان الجنة طبقات بعضها اعلى من بعض كما جاء فى الخبر ان اهل الجنة ليرون اهل عليين كما يرى النجم فى افق السماء والنار دركات بعضها اسفل من بعض ومثله فى حذف المضاف قول ابن هرمة انشده سيبويه انصب للمنية تعتريهم رجالى ام هم درج السيول اى هم ذوو درج والله بصير بما تعملون اى عليم وفى هذا ترغيب للناس فى اتباع مرضاة الله وتخويف عما يوجب سخطه واعلام بان اسرار العباد عنده علانية وفيه توثيق بانه لا يضيع عمل عامل لديه اذ لا يخفى شئ من ذلك عليه فيثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية قوله عز وجل لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ آية اللغة اصل المن القطع يقال منه يمنه منا اذا قطعه والمن النعمة لانه يقطع بها عن البلية يقال من فلان على بكذا اى استنقذنى به مما انا فيه والمن تكدير النعمة لانه قطع لها عن وجوب الشكر عليها والمنة القوة لانه يقطع بها الاعمال المعنى ثم ذكر تعالى عظيم نعمته على الخلق ببعثة نبينا عليه السلام فقال لقد من الله اى انعم الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وخص المؤمنين بالذكر وان كان صلى الله عليه واله مبعوثا الى جميع الخلق لان النعمة عليهم اعظم لاهتدائهم به وانتفاعهم ببيانه ونظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هدى للمتقين وقوله من انفسهم فيه اقوال احدها ان المراد به من رهطهم يعرفون منشاه وصدقه وامانته وكونه اميا لم يكتب كتابا ولم يقراه ليعلموا ان ما ياتى به وحى منزل ويكون ذلك شرفا لهم وداعيا لهم الى الايمان وثانيها المراد به انه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصا بالعرب وثالثها انه عام لجميع المؤمنين والمراد بانفسهم انه من جنسهم لم يبعث ملكا ولا جنيا وموضع المنة فيه انه بعث فيهم من يعرفون امره وخبروا شانه وقوله يتلو عليهم اياته يعنى القران ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة مضى بيانه فى سورة البقرة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين يعنى انهم كانوا فى ضلال ظاهر بين اى كفار وكفرهم هو ضلالهم فانقذهم الله بالنبى صلى الله عليه واله قوله عز وجل أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آية الاعراب انما دخلت الواو فى اولما العطف جملة على جملة الا انه تقدمها الف الاستفهام لان له صدر الكلام وانما وصلت

هذه الواو الكلام الثاني بالتذكير بالنعمة لفرقة واحدة المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر الجهاد فقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها اى حين اصابكم القتل والجرح وذلك ما اصاب المسلمين يوم احد فانه قتل منهم سبعون رجلا وكانوا هم اصابوا من المشركين يوم بدر مثليها فانهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلا واسروا سبعين عن قتادة وعكرمة والربيع والسدى اى قد اصبتم ايها المسلمون يوم بدر مثليها وقيل قتلتم منهم ببدر سبعين وباحد سبعين عن الزجاج وهذا ضعيف لانه خلاف ما ذكره اهل السير فانه لاخلاف بينهم انه قتل منهم باحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور قلتم انى هذا اى من اى وجه اصابنا هذا ونحن مسلمون وفينا رسول الله وينزل علينا الوحى وهم مشركون وقيل انهم انما استنكروا ذلك لانه وعدهم بالنصر من الله اطاعوا عن الجبائى وقوله قل هو من عند انفسكم اى قل يا محمد ما اصابكم من الهزيمة والقتل من عند انفسكم اى بخلافكم امر ربكم وترككم طاعة الرسول عليه السلم وفيه اقوال احدها ان ذلك مخالفتهم الرسول فى الخروج من المدينة للقتال يوم احد وكان النبى عليه السلم دعاهم الى ان يتحصنوا بها ويدعوا المشركين الى ان يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك فى الجاهلية ونحن الان فى الاسلام فانت يا رسول الله بيننا احق بالامتناع واعز عن قتادة والربيع وثانيها ان ذلك باختيارهم الفداء من الاسرى يوم بدر وكان الحكم فيهم القتل وشرط عليهم انكم ان قبلتم الفداء قتل منكم فى القابل بعدتهم فقالوا رضينا فانا ناخذ الفداء وننتفع به واذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن على عليه السلم وعبيدة السلمانى وهو المروى عن الباقر عليه السلام وثالثها ان ذلك بخلاف الرماة يوم احد لما امرهم رسول الله به من ملازمة مركزهم ان الله على كل شئ قدير اى فهو قادر على نصركم فيما بعد وان لم ينصركم فى الحال لمخالفتكم قوله عز وجل وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله اعلم بما يكتمون آيتان الاعراب الفاء انما دخلت فى قوله فباذن الله لان خبر ما الذى بمعنى الذى يشبه جواب الجزاء لانه معلق بالفعل فى الصلة كتعليقه بالفعل فى الشرط كقولك الذى قام فمن اجله انه كريم اى لاجل قيامه صح انه كريم ومن اجل كرمه قام المعنى وما اصابكم ايها المؤمنون يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يعنى يوم احد من النكبة بقتل من قتل منكم فباذن الله اى بعلم الله ومنه قوله واذان من الله اى اعلام وقيل بتخلية الله بينكم وبينهم التى تقوم مقام الاطلاق فى الفعل برفع الموانع والتمكين من الفعل الذى يصح معه التكليف وقيل بعقوبة الله فان الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبة فكان ذلك عقوبة لهم من الله على تركهم امر رسول الله عليه السلم ولا يجوز ان يكون المراد بالاذن هنا الاباحة والاطلاق كما يقتضيه ظاهر اللفظ لان الله تعالى لا يبيح المعاصى ولا يطلقها وقتل الكافر المسلم من اعظم المعاصى فكيف ياذن فيه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا معناه وليميز المؤمنين من المنافقين لان الله تعالى عالم بالاشياء قبل كونها فلا يجوز ان يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما به الا انه اجرى على المعلوم لفظ العلم مجازا اى ليظهر المعلوم من المؤمن والمنافق وقيل لهم اى للمنافقين تعالوا قاتلوا فى سبيل الله قالوا ان عبد الله بن ابى والمنافقين معه من اصحابه انخزلوا يوم احد نحو من ثلثمائة رجل وقالوا علام نقتل انفسنا وقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى تعالوا قاتلوا فى سبيل الله واتقوا الله ولا تخذلوا نبيكم او ادفعوا عن حريمكم وانفسكم ان لم تقاتلوا فى سبيل الله وقيل معناه او اقيموا معنا وكثروا سوادنا وهذا يدل على ان تكثير سواد المجاهدين معدود فى الجهاد وبمنزلة القتال قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم يعنى قال المنافقون لو علمنا قتالا لقاتلنا معكم قالوا ذلك ابلاء لعذرهم فى ترك القتال والرجوع الى المدينة فقال لهم ابعدكم الله الله يغنى عنكم وقيل انما القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه واله يدعوهم الى القتال عن الاصم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعنى باظهارهم هذا القول صاروا اقرب الى الكفر اذ كانوا قبل ذلك فى ظاهر احوالهم اقرب الى الايمان حتى هتكوا الستر فعلم المؤمنون منهم ما لم يعلموا واللام بمعنى الى يعنى هم الى الكفر اقرب منهم الى الايمان كقوله تعالى الحمد لله الذى هدانا لهذا اى الى هذا يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم ذكر الافواه تاكيدا لان القول قد يضاف اليها وقيل انما ذكر الافواه فرقا بين قول اللسان وقول الكتاب والمراد به قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم واضمارهم انه لو كان قتال لم يقاتلوا معهم ولم ينصروا النبى وقيل معناه يقولون بافواههم من التقرب الى الرسول

عليه السلم والايمان ما ليس فى قلوبهم فان فى قلوبهم الكفر والله اعلم بما يكتمون اى بما يضمرونه من النفاق والشرك قوله عز وجل الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين آية اللغة الدرء الدفع يقال درء اعنه اى دفع قال الشاعر

تقول اذا درات لها وضينى ... اهذا دينه ابدا ودينى

الاعراب موضع الذين يحتمل ان يكون نصبا على البدل من الذين نافقوا ويحتمل ان يكون رفعا على البدل من الضمير فى يكتمون ويحتمل ان يكون رفعا على خبر الابتداء على تقدير هم الذين قالوا المعنى الذين قالوا يعنى المنافقين لاخوانهم فى النسب لا فى الدين يعنى عبد الله بن ابى واصحابه قالوا فى قتلى احد وقعدوا يعنى هؤلاء القائلون عن جابر وقتادة والسدى والربيع لو اطاعونا فى القعود فى البيت وترك الخروج الى القتال ما قتلوا قل لهم يا محمد فادرؤا اى فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين فى هذه المقالة ولا يمكنهم دفع الموت لانه يجوز ان يدل عليهم العدو فيقتلونهم فى قعر بيوتهم وانما الزمهم الله دفع الموت عن انفسهم عقابا لانهم انهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا لان من علم الغيب فى السلامة من القتل يجب ان يدفع عن نفسه الموت فينبغى ان يدفعه هذا القائل فانه احرى عليه وفى هذا ترغيب فى الجهاد وبيان ان كل احد يموت باجله فلا ينبغى ان يجعل ذلك عذرا فى القعود عن الجهاد لان المجاهد يموت باجله والقاعد يموت فيجب ان يكون على الله تعالى التكلان قوله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين ثلث آيات بلا خلاف يرزقون آية ويحزنون آية القراءة قرا ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرا الكسائى وحده ان الله لا يضيع بكسر الالف والباقون بالفتح الحجة من قرا قتلوا بالتخفيف فالوجه فيه ان التخفيف يصلح للقليل والكثير تقول لوجه التثقيل قتلت القوم فيصلح للكثرة كما تقول ضربت زيدا ضربة فيصلح للقلة ووجه التثقيل ان المقتولين كثير وفعل به الكثير دون القليل ووجه الفتح فى ان ان المعنى ويستبشرون بان الله لا يضيع اجرهم ويتوفر ذلك عليهم ويوصله اليهم من غير نقص وبخس والكسر على الاستيناف اللغة اصل البشارة من البشرة لظهور السرور فيها ومنه البشر لظهور بشرته والمستبشر من طلب السرور فى البشارة فوجده ولحقت الشئ والحقته غيرى وقيل لحقت والحقت لغتان بمعنى واحد وجاء فى الدعاء ان عذابك بالكفار ملحق بكسر الحاء اى لاحق والنعمة هى المنفعة التى يستحق بها الشكر اذا كانت خالية من وجوه القبح لان المنفعة على ضربين احدهما منفعة اغترار وحيلة والاخرى منفعة خالصة من شائبة الاساءة والنعمة يعظم بفعل غير المنعم كنعمة النبى عليه السلام على من دعاه الى الاسلام فاستجاب له لان دعاءه انفع من وجهين احدهما حسن النية فى دعائه الى الحق ليستجيب له والاخر قصده الدعاء الى الحق بعلم انه يستجيب له المدعو وانما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة فى الجلالة وعظم المنزلة الاعراب احياء رفع على انه خبر مبتداء محذوف اى بل هم احياء ولا يجوز النصب فيه بحال لانه يصير التقدير فيه بل احسبهم احياء والمراد بل اعلمهم احياء ويرزقون فى موضع رفع صفة لاحياء وفرحين نصب على الحال من يرزقون وهو اولى من رفعه على بل احياء لان النصب يبنى من اجتماع الرزق والفرح فى حال واحدة ولو رفع على الاستيناف لكان جائزا وقال الخليل موضع الا خوف عليهم جر بالباء على تقدير بان لا خوف عليهم وقال غيره موضعه نصب على انه لما حذف حرف الجر وصل الفعل اليه فنصبه كما قيل امرتك الخير اى بالخير وقيل موضع ان لا خوف عليهم الى اخره جر على انه بدل من قوله الذين لم يلحقوا وهو بدل الاشتمال مثل قوله عز وجل الشهر الحرام قتال فيه النزول قيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وقيل نزلت فى شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمن بن شماس وعبد الله بن جحش وسايرهم من الانصار عن ابن مسعود وقتادة والربيع وقال الباقر عليه السلام وكثير من المفسرين انها تتناول قتلى بدر واحد معا وقيل نزلت فى شهداء بئر معونة وكان سبب ذلك على ما رواه محمد بن اسحق بن يسار باسناده عن انس بن مالك وغيره قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بنى عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه واله المدينة واهدى له هدية فابى رسول الله ان يقبلها وقال يا ابا براء لا اقبل هدية مشرك فاسلم ان اردت ان اقبل هديتك وقرا عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان امرك هذا الذى تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوتهم الى امرك

رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله انى اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو برا انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله المنذر بن
عمرو اخا بنى ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت السلمى ونافع
بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر وذلك فى صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد فساروا حتى نزلوا
بير معونة فلما نزلوا قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه واله اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب
رسول الله الى عامر بن الطفيل فلما اتاهم لم ينظر عامر فى كتاب رسول الله فقال حرام يا اهل بير معونة انى رسول رسول الله اليكم وانى اشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الاخر فقال الله
اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء وقد
عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا
بهم فى رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش
حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن امية الضمرى ورجل من الانصار احد بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير
تحوم حول العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا اليه فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى اصابتهم واقفة فقال الانصارى
لعمرو بن امية ماذا ترى قال ارى ان نلحق برسول الله فنخبره الخبر فقال الانصارى لكنى ما كنت لارغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن
عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم
انه كانت على امه فقدم عمرو بن امية الى رسول الله واخبره الخبر فقال رسول الله هذا عمل ابى براء فقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء
فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله بسببه فقال حسان بن ثابت يحرض ابا براء على عامر بن الطفيل ٥ بنى ام البنين الم يرعكم وانتم
من ذوائب اهل نجد ٥ تهكم عامر بابى براء ٥ ليخفره وما خطاء كعمد ٥ الا ابلغ ربيعة ذا المساعى ٥ فما احدثت فى الحدثان بعدى ٥ ابوك ابو الحروب
ابو براء ٥ وخالك ماجد حكم بن سعد ٥ وقال كعب بن مالك لقد طارت شعاعا كل وجه ٥ خفارة ما اجار ابو براء ٥ بنى ام البنين اما سمعتم ٥
دعاء المستغيث مع المساء ٥ وتنويه الصريخ بلى ولكن ٥ عرفتم انه صدق اللقاء ٥ فلما بلغ ربيعة بن ابى البراء قول حسان وقول كعب حمل على عامر بن الطفيل
وطعنه فخر عن فرسه فقال هذا عمل ابى براء ان مت فدمى لعمى ولا يتبعن سواه وان اعش فسارى فيه رايى قال فانزل الله عز وجل فى شهداء
بير معونة قرانا بلغوا قومنا عنا انا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه ثم نسخت ورفعت بعد ما قراناها وانزل عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا
فى سبيل الله الاية المعنى لما حكى الله تعالى قول المنافقين فى المقتولين الشهداء تثبيطا للمؤمنين عن جهاد الاعداء ذكر بعده ما اعد الله للشهداء
من الكرامة وخصهم به من النعيم فى دار المقامة فقال ولا تحسبن والخطاب للنبى عليه السلم او يكون على معنى ولا تحسبن ايها السامع او ايها الانسان
الذين قتلوا فى سبيل الله اى فى الجهاد او فى نصرة دين الله امواتا اى موتى كما مات من لم يقتل فى سبيل الله بل احياء اى بل هم احياء وقد مر تفسيره
فى سورة البقرة عند قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات الاية وقوله عند ربهم فيه وجهان احدهما انهم بحيث لا يملك لهم احد
نفعا ولا ضرا الا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافة لان ذلك من صفة الاجسام وذلك مستحيل عليه تعالى والاخر انهم عند ربهم احياء
من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن ابى على الجبائى وروى عن ابن عباس وابن مسعود وجابر ان النبى صلى الله عليه واله قال لما اصيب
اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى حواصل طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وروى عنه عليه السلام انه قال لجعفر بن ابى طالب وقد
استشهد فى غزاة موتة رايته له جناحان يطير بهما مع الملائكة فى الجنة وانكر بعضهم حديث الارواح وقال ان الروح عرض لا يجوز ان يتنعم و
هذا لا يصح لان الروح جسم رقيق هوائى ماخوذ من الريح ويدل على ذلك انه يخرج من البدن ويرد اليه وهى الحساسة الفعالة دون البدن
وليست من الحيوة فى شىء لان ضد الحيوة الموت وليس كذلك الروح وهذا قول على بن عيسى يرزقون من نعيم الجنة غدوا وعشيا وقيل يرزقون
النعيم فى قبورهم فرحين بما اتاهم الله من فضله اى مسرورين بما اعطاهم الله من ضروب نعمه فى الجنة وقيل فى قبورهم وقيل فرحين
بما نالوا من الشهادة وجزائها ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم اى يسرون باخوانهم الذين فارقوهم وهم احياء فى الدنيا على مناهجهم
من الايمان والجهاد لعلمهم بانهم ان استشهدوا لحقوا بهم وصاروا من كرامة الله تعالى الى مثل ما صاروا هم اليه يقولون اخواننا يقتلون

كما قتلنا فيصيبون من النعيم ما اصبنا عن ابن جريج وقتادة وقيل انه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من اخوانه فيبشر لذلك
ويستبشر كما يستبشر اهل الغائب بقدومه فى الدنيا عن السدى وقيل معناه لم يلحقوا بهم فى الفضل الا ان لهم فضلا عظيما بتصديقهم وايمانهم
عن الزجاج ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اى يستبشرون بان لا خوف عليهم وذلك لانه بدل من قوله الذين لم يلحقوا بهم لان الذين
يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن فالاستبشار هنا انما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين ومعناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لان
الله يتولاهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا من اموالهم لان الله قد اجزل ما عوضهم وقيل معناه لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لان الله
تعالى محص ذنوبهم بالشهادة ولا هم يحزنون على مفارقة الدنيا فرحا بالاخرة يستبشرون يعنى هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل الله الذين وصفهم
بانهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله بنعمة من الله وفضل الفضل والنعمة عبارتان يعبر بهما عن معنى واحد وقيل فى تكراره قولان
احدهما ان المراد انها ليست نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة السرور واللذة فالنعمة ما استحقوه بطاعتهم والفضل ما زادهم تعالى من
المضاعفة فى الاجر والاخر انه للتاكيد وتمكين المعنى فى النفس والمبالغة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين اى يوفر جزاءهم وانما ذكر
ذلك وان كان غيرهم يعلم ذلك لانهم يعلمونه بعد الموت ضرورة وانما يعلم ذلك فى دار التكليف استدلالا وليس الاستدلال كالمشاهدة
ولا الخبر كالمعاينة فان مع الضرورة والعيان يتضاعف سرورهم ويشتد اغتباطهم وفيه دلالة على ان الثواب مستحق وان الله لا يبطله
البتة وان الاثابة لا يكون الا من قبله تعالى ولذلك اضاف نفى الاضاعة الى نفسه وما روى من الاخبار فى ثواب الشهداء اكثر من ان
تحصى اعلاها اسنادا ما رواه على بن موسى الرضا عن ابائه عليهم عن الحسين بن على عليه السلم قال بينا امير المؤمنين عليه السلم
يخطب الناس ويحضهم على الجهاد اذ قام اليه شاب فقال يا امير المؤمنين اخبرنى عن فضل الغزاة فى سبيل الله فقال عليه السلم كنت رديف
رسول الله على ناقته العضباء ونحن منقبلون عن غزوة ذات السلاسل فسالته عما سالتنى عنه فقال ان الغزاة اذا هموا بالغزو كتب
الله لهم براءة من النار فاذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم الملائكة فاذا ودعهم اهلوهم بكت عليهم الحيطان والبيوت ويخرجون من ذنوبهم
كما تخرج الحية من سلخها ويوكل الله عز وجل بكل رجل منهم اربعين ملكا يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ولا يعمل حسنة
الا ضعف له ويكتب له كل يوم عبادة الف رجل يعبدون الله الف سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما اليوم مثل عمر الدنيا واذا صاروا
بحضرة عدوهم انقطع علم اهل الدنيا عن ثواب الله اياهم فاذا برزوا لعدوهم واشرعت الاسنة وفوقت السهام وتقدم الرجل الى الرجل
حفتهم الملائكة باجنحتها يدعون الله بالنصر والتثبيت فنادى مناد الجنة تحت ظلال السيوف فتكون الطعنة والضربة على الشهيد اهون
من شرب الماء البارد فى اليوم الصائف واذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة او ضربة لم يصل الى الارض حتى يبعث الله اليه زوجته من
الحور العين فتبشره بما اعد الله له من الكرامة فاذا وصل الى الارض تقول له الارض مرحبا بالروح الطيبة الذى اخرج من البدن الطيب
ابشر فان لك ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويقول الله عز وجل انا خليفته فى اهله من ارضاهم فقد ارضانى ومن
اسخطهم فقد اسخطنى ويجعل الله روحه فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث تشاء تاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب
معلقة بالعرش ويعطى الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك كل غرفة ما بين صنعاء والشام يملا نورها ما بين الخافقين
فى كل غرفة سبعون بابا على كل باب سبعون مصراعا من ذهب على كل باب سبعون مسبلة فى كل غرفة سبعون خيمة فى كل خيمة سبعون
سريرا من ذهب قوائمها الدر والزبرجد مرمولة بقضبان الزمرد على كل سرير اربعون فراشا غلظ كل فراش اربعون ذراعا على كل فراش
زوجة من الحور العين عربا اترابا فقال اخبرنى يا امير المؤمنين عن العروبة قال هى الغنجة الرضية الشهية لها سبعون الف وصيف و
سبعون الف وصيفة صفر الحلى بيض الوجوه عليهن تيجان اللؤلؤ على رقابهم المناديل بايديهم الاكوبة والاباريق فاذا كان يوم القيمة
فوالذى نفسى بيده لو كان الانبياء على طريقهم لترجلوا لهم لما يرون من بهائهم حتى ياتوا الى موائد من الجواهر فيقعدون عليها ويشفع الرجل
منهم فى سبعين الفا من اهل بيته وجيرته حتى ان الجارين يتخاصمان ايهما اقرب جوارا فيقعدون معى ومع ابرهيم على مائدة الخلد فينظرون
الى الله عز وجل فى كل يوم بكرة وعشيا قوله عز وجل الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ
وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا

بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ثلث آيات اللغة استجاب واجاب بمعنى وقيل استجاب طلب الاجابة واجاب فعل الاجابة والقرح الجرح واصله الخلوص من الكدر ومنه ماء قراح اى خالص والقراح من الارض ما خلص طينه من السبخ وغيره والقريحة خالص الطبيعة واقترحت عليه كذا اى اشتهيته عليه لخلوصه على ما تتوق نفسه اليه كانه قال استخلصته وفرس قارح طلع نابه لخلوصه عن نقص الصغار ببلوغ تلك الحال فالقرح الجراح لخلوص المه الى النفس والاحسان هو النفع الحسن والا فضال النفع الزايد على اقل المقدار حسبنا الله اى كافينا الله واصله من الحساب لان الكفاية بحسب الحاجة وبحساب الحاجة ومنه الحسبان وهو الظن والوكيل الحفيظ وقيل هو الولى واصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل فى صفات الله هو المتولى للقيام بتدبير خلقه لانه مالكهم الرحيم بهم وهو فى غيره انما يعقد بالتوكيل الاعراب موضع الذين يحتمل ثلثة اوجه من الاعراب الجر على ان يكون نعتا للمومنين والاحسن الاشبه بالآية ان يكون فى موضع الرفع على الابتداء وخبره الجملة التى هى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم وكذلك القول فى موضع الذين فى الآية الثانية لانهما نعت لموصوف واحد وقوله لم يمسسهم سوء فى موضع نصب على الحال وتقديره فانقلبوا بنعمة من الله وفضل سالمين والعامل فيه فانقلبوا والنصب على المدح وتقديره اعنى الذين استجابوا واذكر النزول لما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله عليه السلام فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفين وقال الا عصابة تشدد لامر الله تطلب عدوها فانها انكا للعدو وابعد للسمع فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجرح والقرح الذى اصابهم يوم احد ونادى منادى رسول الله الا لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ليرهب العدو وليبلغهم انه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم عن عدوهم لينصرفوا فخرج فى سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال ذكر على بن ابرهيم بن هاشم فى تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال هل من رجل ياتينا بخبر القوم فلم يجبه احد فقال امير المومنين عليه السلم انا اتيك بخبرهم قال اذهب فان كانوا ركبوا الخيل وجنبوا الابل فانهم يريدون المدينة وان كانوا ركبوا الابل وجنبوا الخيل فانهم يريدون مكة فمضى امير المومنين على ما به من الالم والجراح حتى كان قريبا من القوم فراهم قد ركبوا الابل وجنبوا الخيل فرجع واخبر رسول الله بذلك فقال صلوات الله عليه وآله ارادوا مكة فلما دخل رسول الله المدينة نزل عليه جبرئيل فقال يا محمد ان الله عز وجل يامرك ان تخرج ولا يخرج معك الا من به جراحة فاقبلوا يكمدون جراحاتهم ويداوونها فانزل الله على نبيه ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون الآية فخرجوا على ما بهم من الالم والجراح حتى بلغوا حمراء الاسد وروى محمد بن اسحق بن يسار عن عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن ابى السايب ان رجلا من اصحاب النبى عليه السلم من بنى عبد الاشهل كان شهد احدا قال شهدت احدا انا واخ لى فرجعنا جريحين فلما اذن موذن رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج فى طلب العدو قلنا لا تفوتنا غزوة مع رسول الله عليه السلم والله ما لنا دابة نركبها وما منا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله عليه السلم وكنت ايسر جرحا من اخى فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا مع رسول الله صلى الله عليه وآله الى حمراء الاسد فمر برسول الله معبد الخزاعى بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك فى اصحابك ولوددنا ان الله كان اعفاك منهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لقى ابا سفين ومن معه بالروحاء واجمعوا الرجعة الى رسول الله وقالوا قد اصبنا حد اصحابه وقادتهم واشرافهم ثم رجعنا قبل ان نستاصلهم فلما راى ابو سفين معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج فى اصحابه يطلبكم فى جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع اليه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم ما لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصلهم قال فانى والله انهاك عن ذلك فوالله لقد حملنى ما رايت على ان قلت ابياتا فيه من شعر قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتى ° اذ سالت الارض بالجرد الابابيل °
تردى باسد كرام لا تنابلة ° عند اللقاء ولا خرق معازيل °
فظلت عدوا اظن الارض مايلة ° لما سموا برئيس غير مخذول °
وقلت ويل ابن حرب من لقائكم ° اذا تغطمطت البطحا بالخيل °
انى نذير لاهل السبل ضاحية ° لكل ذى اربة منهم ومعقول من جيش

احمد لا وخش تنابلة وليس يوصف ما انذرت بالقيل قال فثنى ذلك ابا سفين ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة نريد الميرة قال فهل انتم مبلغون محمدا عنى رسالة ارسلكم بها اليه واحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ غدا اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا الكرة اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفين الى مكة ومر الركب برسول الله وهو بحمراء الاسد فاخبروه بقول ابو سفين فقال رسول الله واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله الى المدينة بعد الثالثة وقد ظفر فى وجهه ذلك بمعوية ابن المغيرة بن العاص وبابى عزة الجمحى هذا قول اكثر المفسرين وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآيات فى غزوة بدر الصغرى وذلك ان اباسفين قال يوم احد حين اراد ان ينصرف يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك بيننا وبينك فلما كان العام المقبل خرج ابو سفين فى اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله عليه الرعب فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفين انى واعدت محمدا واصحابه ان نلتقى بموسم بدر الصغرى وان هذه عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشرة من الابل اضعها على يدى سهيل بن عمرو فاتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابى سفين فقال لهم بئس الراى رايتم اتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وآله والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله فى اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى وهو ماء لبنى كنانة وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها فى كل عام ثمانية ايام فاقام ببدر ينتظر ابا سفين وقد انصرف ابو سفين من مجنة الى مكة فسماهم اهل مكة جيش السويق ويقولون انما خرجتم تشربون السويق ولم يلق رسول الله واصحابه احدا من المشركين ببدر ووافقوا السوق وكانت لهم تجارات فباعوا واصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين وقد روى ذلك ابو الجارود عن الباقر عليه السلم المعنى الذين استجابوا لله والرسول اى اطاعوا الله فى اوامره واطاعوا رسوله من بعد ما اصابهم القرح اى نالهم الجراح يوم احد للذين احسنوا منهم بطاعة رسول الله واجابته الى الغزو واتقوا معاصى الله اجر عظيم اى ثواب جزيل الذين قال لهم الناس فى الناس الاول ثلثة اقوال احدها انهم الركب الذين دسهم ابو سفين الى المسلمين ليجبنوهم عند منصرفهم من احد لما ارادوا الرجوع اليهم عن ابن عباس وابن اسحق وقد مضت قصتهم والثانى انه نعيم بن مسعود الاشجعى وهو قول ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام والثالث انهم المنافقون عن السدى ان الناس قد جمعوا لكم المعنى به ابو سفين واصحابه عند اكثر المفسرين اى جمعوا جموعا كثيرة لكم وقيل جمعوا الآلات والرجال وانما عبر بلفظ الواحد عن الجميع فى قوله قال لهم الناس لامرين احدهما انه قد جاءهم من جهة الناس فاقيم كلامه مقام كلامهم وسمى باسمهم والآخر انه لتفخيم الشان فاخشوهم اى خافوهم ثم بين الله تعالى ان ذلك القول زادهم ايمانا وثباتا على دينهم واقامة على نصرة نبيهم بان قال فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله اى كافينا الله ووليّنا وحفيظنا والمتولى لامرنا ونعم الوكيل اى نعم الكافى والمعتمد والملجاء الذى يوكل اليه الامور فانقلبوا اى فرجع النبى صلى الله عليه وآله ومن معه من اصحابه بنعمة من الله وفضل اى بعافية من السوء وتجارة رابحة لم يمسسهم سوء اى قتل عن السدى ومجاهد وقيل النعمة ههنا الثبوت على الايمان فى طاعة الله والفضل الربح فى التجارة عن الزجاج وقيل ان اقل ما يفعله الله بالخلق فهو نعمة وما زاد على ذلك فهو الموصوف بانه فضل والفرق بين النعمة والمنفعة ان النعمة لا تكون نعمة الا اذا كانت حسنة والمنفعة قد يكون حسنة وقد تكون قبيحة وهذا لان النعمة يستحق بها الشكر ولا يستحق الشكر بالقبيح واتبعوا رضوان الله بالخروج الى لقاء العدو والله ذو فضل عظيم على المومنين وقد تضمنت الآية التنبيه على ان كل من دهمه امر فينبغى ان يفزع الى هذه الكلمة وقد صحت الرواية عن الصادق عليه السلم انه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع الى قوله تعالى حسبنا الله ونعم الوكيل فانى سمعت الله تعالى يقول بعقبها فانقلبوا بنعمة من الله الآية وروى عن ابن عباس انه قال آخر كلام ابرهيم عليه السلام حين القى فى النار حسبنا الله ونعم الوكيل وقال نبيكم مثلها وتلا هذه الآية قوله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين آية الاعراب كم من ذلكم للخطاب المحض لا للضمير فلا موضع له من الاعراب وقوله يخوف يتعدى الى مفعولين يقال خاف زيد

القتال وخوفه القتال المعنى ثم ذكر تعالى ان ذلك التخويف والتثبيط عن الجهاد من عمل الشيطان فقال انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه
والمعنى انما ذلك التخويف الذى كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان وباغوايه وتسويله يخوف اولياءه المومنين قال ابن عباس
ومجاهد وقتادة يخوف المومنين بالكافرين وقال الزجاج وابو على الفارسى وغيرهما ان تقديره يخوفكم اولياءه اى من اوليايه بدلالة
قوله فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مومنين اى ان كنتم مصدقين بالله فقد اعلمتكم انى اظفركم عليهم ومثله قوله لينذر باسا اى لينذركم بباس
شديد فلما حذف الجار نصبه وقيل معناه ان الشيطان يخوف المنافقين الذين هم اولياؤه ولهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بان
يوسوس اليهم ويرهبهم ويعظم امر العدو فى قلوبهم فيقعدوا عن متابعة الرسول والمسلمون لا يخافونه لانهم يثقون بالنصر الموعود ونظيره
قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون والاول اصح قوله عز وجل ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم
لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الاخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله
شيئا ولهم عذاب اليم ايتان القراءة قرا نافع فى جميع القران يحزن بضم الياء وكسر الزاء الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتحها او
ضم الزاء والباقون فى جميع ذلك يحزن بفتح الياء وضم الزاء وقرا ابو جعفر عكس ما قرا نافع فانه فتح الياء فى جميع القران الا قوله لا
يحزنهم فانه ضم الياء الحجة قال ابو على الجبائى قال سيبويه يقول فتن الرجل وفتنته وحزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك حيث قلت
فتنته وحزنته لم ترد ان تقول جعلته حزينا وجعلته فاتنا كما انك حين تقول ادخلته اردت جعلته داخلا ولكنك اردت
ان تقول جعلت فيه حزنا وفتنة كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا فجئت بفعلته على حدة ولم ترد بفعلته
ههنا تغيير قوله حزن وفتن ولو اردت ذلك لقلت احزنته وافتنته قال وقال بعض العرب افتنت الرجل واحزنته اذ جعلته فاتنا
وحزينا فغير وافعل قال ابو على هذا الذى حكاه عن بعض العرب حجة نافع واما قراءته لا يحزنهم الفزع الاكبر فيشبه ان يكون اتبع فيه
اثرا او احب الاخذ بالوجهين الاعراب قوله شيئا نصب على انه وقع موقع المصدر ويحتمل ان يكون نصب لحذف الباء كانه قال
بشىء مما يضر به كما يقال ما ضربت زيدا شيئا من نقص مال ولا غيره المعنى لما علم تعالى المومنين ما يصلحهم عند تخويف الشيطان اياهم
خص رسوله بضرب من التعليم فى هذه الاية فقال ولا يحزنك ايها الرسول الذين يسارعون فى الكفر يعنى المنافقين عن مجاهد وابن اسحق
وقوما من العرب ارتدوا عن الاسلام عن ابى على الجبائى انهم لن يضروا الله شيئا بكفرهم ونفاقهم وارتدادهم لان الله تعالى لا يجوز عليه
المنافع والمضار وانما قال ذلك على جهة التسلية لنبيه عليه السلم لانه كان يصعب عليه كفر هؤلاء ويعظم عليه امتناعهم عن الايمان و
لا يبعد انه ربما كان يخطر بباله ان مسارعتهم الى الكفر وامتناعهم عن الايمان لتفريط حصل من قبله فامنه الله تعالى من ذلك واخبر ان
ضرر كفرهم راجع اليهم ومقصور عليهم يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الاخرة اى نصيبا فى الجنة واذا كانت الارادة يتعلق بما يصح حدوثه
ولا يتعلق بان لا يكون الشىء فلا بد من حذف فى الكلام ومعناه انه يريد ان يحكم بحرمان ثوابهم الذى عرضوا له بتكليفهم وان يعاقبهم فى الاخرة
على سبيل الجزاء لكفرهم ونفاقهم ولهم عذاب عظيم ظاهر المعنى وهذا يدل على بطلان مذهب المجبرة لانه تعالى نسب اليهم المسارعة الى الكفر واذا كان
ذلك قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبته اليهم ثم استانف تعالى الاخبار بان من اشترى الكفر بالايمان وهم جميع الكفار بهذه الصفة فقال
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اى استبدلوا الكفر بالايمان وقد بينا فيما تقدم اطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز وتوسع وانما شبه
استبدالهم الكفر بالايمان بشراء السلعة بالثمن لن يضروا الله شيئا انما كرر هذا لانه انما ذكر ذلك فى الاية الاولى على طريق العلة لما يوجب
من التسلية عن المسارعة الى الضلالة وذكر فى هذه الاية على وجه العلة لاختصاص المضرة بالعاصى دون المعصى والفرق بين المضرة
والاساءة ان الاساءة لا يكون الا قبيحة والمضرة قد تكون حسنة اذا كانت مستحقة او على وجه اللطف او فيها نفع يوفى عليها او دفع
ضرر اعظم منها ولهم عذاب اليم اى مولم قوله عز وجل ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما
ولهم عذاب مهين اية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ولا يحسبن الذين كفروا ولا يحسبن الذين يبخلون ولا يحسبن الذين يفرحون
كلهن بالياء وكسر السين وكذا فلا تحسبنهم بضم الباء وبالياء وكسر السين وقرا حمزة كلها بالتاء وفتح السين وفتح الباء من تحسبنهم وقرا اهل
المدينة والشام ويعقوب كلها بالياء الا قوله فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء الا ان اهل المدينة ويعقوب كسروا السين وفتحها الشامى

وقرا عاصم والكسائى وخلف كل ما فى هذه السورة بالتاء الا حرفين ولا يحسبن الذين كفروا يبخلون فانهما بالياء غير ان عاصما فتح السين و
كسرها الكسائى الحجة من قرا بالياء فالذين فى هذه الاية فى موضع الرفع بانه فاعل واذا كان الذين فاعلا ويقتضى حسبت مفعولين او ما يسد
مسد المفعولين نحو حسبت ان زيدا منطلق وحسبت ان يقوم عمرو فقوله انما نملى لهم خير لانفسهم قد سد مسد المفعولين اللذين يقتضيهما حسبت
وما يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى الذى فيكون التقدير لا يحسبن الذين كفروا ان الذى نمليه لهم خير لانفسهم والاخر ان يكون ما نملى بمنزلة
الاملاء فيكون مصدرا واذا كان مصدرا لم يقتض راجعا اليه قال المبرد من قرا يحسبن بالياء فتح ان ويقبح الكسر مع الياء وهو جايز على
قبحه لان الحسبان ليس بفعل حقيقى فهو يبطل عمله مع ان المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق يجوز على بعد حسبت ان عبد الله
منطلق وقال ابو على الوجه فيه ان ان يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء ويدخل كل واحد منهما على الابتداء والخبر فكانه قال هنا لا يحسبن
الذين كفروا للاخرة خير لهم واما قراءة حمزة بالتاء من تحسبن وفتح ان فقد خطاه البصريون فى ذلك لانه يصير المعنى ولا تحسبن الذين كفروا
املاءنا وذلك لا يصح غير ان الزجاج قال يجوز على البدل من الذين والمعنى لا تحسبن املاءنا للذين كفروا خيرا لهم ومثله فى الشعر وما كان قيس
هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما قال ابو على لا يجوز ذلك لانك اذا ابدلت ان من الذين كفروا لزمك ان تنصب خيرا من حيث
كان المفعول الثانى ولم ينصبه احد من القراء واذا لم يصح البدل لم يجز فيه الا كسر ان على ان يكون ان وخبرها فى موضع المفعول الثانى
من يحسبن اللغة الاملاء اطالة المدة والملى الحين الطويل والملاء الدهر والملوان الليل والنهار لطول تعاقبهما النزول نزلت فى مشركى مكة
عن مقاتل وفى قريظة والنضير عن عطا المعنى ثم بين تعالى ان امهال الكفار لا ينفعهم اذا كان يؤدى الى العقاب فقال ولا تحسبن اى لا
تظنن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم اى ان اطالتنا لاعمارهم وامهالنا اياهم خير لهم من القتل فى سبيل الله بأحد لان قتل الشهداء
اداهم الى الجنة وبقاء هؤلاء فى الكفر يؤديهم الى العقاب ثم ابتدا تعالى فقال انما نملى لهم اى انما نطيل عمرهم ونترك المعاجلة لعقوبتهم
ليزدادوا اثما اى ليكون عاقبة امرهم ازدياد الاثم فيكون اللام لام العاقبة مثل اللام فى قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا وهم انما اخذوه ليكون لهم سرورا وقرة عين ولكن لما علم الله انه يصير فى اخر امره عدوا وحزنا قال ذلك ومثله فى قول الشاعر امو الناس
لذوى المواث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الاخر ام سماك فلا تجزعى فللموت ما تلد الوالدة وقول الاخر وللموت تغذوا الوالدات
سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن وقول الاخر له ملك ينادى كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب ولا يجوز ان يكون لام الارادة والغرض
لوجهين احدهما ان الارادة القبيحة قبيحة وتلك عنه منفية والاخر انها لو كانت لام الارادة لوجب ان يكون الكفار مطيعين لله تعالى
من حيث فعلوا ما وافق ارادته وذلك خلاف الاجماع وقد قال عز اسمه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وما ارسلنا من رسول
الا ليطاع باذن الله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والقران يصدق بعضه بعضا وعلى هذا فلا بد من تخصيص الاية بمن علم
منه انه لا يؤمن لانه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه اليهم هذا الوعيد المخصوص وقال ابو القسم البلخى معناه ولا تحسبن الذين كفروا ان املا
لهم رضاء بافعالهم وقبول لها بل هو شر لهم لانا نملى لهم وهم يزدادون اثما يستحقون به العذاب الاليم ومثله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس اى ذرانا كثيرا من الخلق سيصيرون الى جهنم بسوء افعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك
نصحى الا شرا وعظى الا فسادا ونظيره قوله تعالى حتى انسوكم ذكرى ومعلوم ان الرسل ما انسوهم ذكر الله على الحقيقة وما بعثوا الا للتذكير
والتنبيه دون الانساء مع ان الانساء ليس من فعلهم فلا يجوز اضافته اليهم ولكنه انما اضيف اليهم لان دعاءهم اياهم لما كان لا
ينجع فيهم ولا يردهم عن معاصيهم فاضيف الانساء اليهم وفى هذا المعنى قوله تعالى حكاية عن نوح فلم يزدهم دعاءى الا فرارا وروى عن
ابى الحسن الاخفش والاسكافى انهما قالا ان فى الاية تقديما وتاخيرا وتقديره ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم ليزدادوا اثما انما نملى لهم
خير لانفسهم وهذا بعيد لانه لو كان كذلك لوجب ان يكون انما الاخيرة مفتوحة الهمزة لانها معمول تحسبن على هذا القول وان يكون
انما الاولى مكسورة الهمزة لانها مبتداة على هذا والتقديم والتاخير لا يغير ان الاعراب عن استحقاقه وذلك بخلاف ما عليه القراءة لان القراء
اجمعوا على كسر الثانية واكثرهم على فتح الاولى ولهم عذاب مهين يهينهم فى نار جهنم قوله عز وجل ما كان الله ليذر المومنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فامنوا بالله ورسله وان تؤمنوا

وتتقوا فلكم اجر عظيم آية القراءة قرا اهل الحجاز والشام وابو عمرو وعاصم حتى يميز وليميز بالتخفيف والباقون بالتشديد وضم الياء الاولى الحجة ماز يميز فعل متعد الى مفعول واحد كما ان ميّز فعل متعد الى مفعول واحد يقال مزته فلم يتميز وزلته فلم يتزيل والتضعيف في ميّز ليس للتعدي و كما ان التضعيف في عوّض ليس للنقل من عاض متعد الى مفعولين كما في قول الشاعر عاضها الله غلاما بعد ما شابت الاصداغ والضرس نقد فلو كان التضعيف في عوض للنقل لتعدى الى ثلثة مفعولين عوّض وعاض لغتان في معنا واحد مثل ميّز وماز النزول قيل ان المشركين قالوا لابي طالب ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فان وجدنا مخبره كما اخبر امنا به فذكر ذلك للنبي عليه السلام فانزل الله تعالى هذه الاية عن السدي والكلبي وقيل سال المؤمنون ان يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق فنزلت الآية عن ابي العالية والضحاك المعنى ما كان الله ليذر اي ليدع ومعناه لا يدع الله المؤمنين على ما انتم عليه يا اهل الكفر من الابهام واشتباه المخلص بالمنافق اي لم يكن يجوز في حكم الله تعالى ان يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي عليه السلام بل يتعبدكم حتى يميز الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن عن قتادة والسدي وقيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم احد على ما مضى شرحه عن مجاهد وابن اسحق وابن جريج وقيل هو خطاب للمؤمنين وتقديره ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق وعلى هذا فيكون قد رجع من الخبر الى الخطاب كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم واختلف في انه تعالى باي شيء ميز بين الخبيث والطيب فقيل بالامتحان وتكليف الجهاد ونحوه مما يظهر به الحال كما ظهر يوم احد بان ثبت المؤمنون وتخلف المنافقون عن الجهاد وقيل بالايات والدلالات التي يستدل بها عليهم وقيل بان ينصر الله تعالى المؤمنين ويكثرهم ويعز الدين ويذل المنافقين والكافرين عن ابي مسلم وقيل بان يفرض الفرايض فيثبت المؤمن على ايمانه ويتميز من ينقلب على عقبيه وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي ما كان الله ليظهر على غيبه احدا منكم فيعلموا ما في القلوب بان هذا مؤمن وهذا منافق ولكن الله يجتبي من رسله اي يختار لرسالته من يشاء فيطلعه على الغيب اي يوقفه على الغيب ويعرفه اياه فامنوا بالله ورسله كما امركم وان تؤمنوا اي تصدقوا وتتقوا عقابه بلزوم امره واجتناب نهيه فلكم في ذلك اجر عظيم وقيل معناه يصطفي من رسله من يشاء ممن يصلح له ولا يطلعه على الغيب عن السدي وفي هذه الاية دلالة على انه لا يجوز ان يصلح جماعة للرسالة فيختار تعالى منهم من يشاء اما لانه اصلح وبالتادية اقوم وعن المنفرات ابعد واما لانهم قد تساووا في جميع الوجوه فيختار من يشاء من بينهم لان النبوة ليست مستحقة ولا جزاء وفيها دلالة على ان الثواب مستحق بالايمان والتقوى خلافا لمن قال انه تفضل قوله عز وجل ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير آية الحجة القراءة ذكرنا اختلاف القراء فيه فمن قرا يحسبن بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن والمفعول الاول محذوف من اللفظ لدلالة اللفظ عليه وهو مثل قولك من كذب كان شرا له اي الكذب وكذلك في الاية ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله البخل هو خيرا لهم فدخلت هو فصلا لان تقدم يبخلون بمنزلة تقدم البخل ومن قرا بالتاء فالفاعل المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وآله والذين يبخلون مفعول اول لتحسبن وخيرا لهم للمفعول الثاني وفي الكلام حذف تقديره ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون خيرا لهم وهو فصل وانما احتيج الى هذا المحذوف ليكون المفعول الثاني هو الاول في المعنى لان هذه الافعال انما تدخل على المبتداء والخبر واذا كان الخبر مفردا فيجب ان يكون هو المبتدا في المعنى والبخل هو منع الواجب لانه تعالى توعد عليه وذم به واصله في اللغة المشقة في الاعطاء وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب يعملون بالياء كناية عن الذين يبخلون والباقون بالتاء على الخطاب المعنى لا تحسبن الباخلون الذين يبخلون بما آتاهم الله اي اعطاهم الله من فضله اي من الاموال فيبخلون باخراج الحقوق الواجبة فيها ذلك البخل هو خيرا لهم وعلى القراءة الاخرى لا تحسبن ايها السامع ولا تظنن يا محمد فالخطاب له والمراد غيره بخل الذين يبخلون خيرا لهم بل هو شر لهم اي ليس ذلك كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة اختلف في معناه فقيل يجعل ما بخل به من المال طوقا في عنقه والاية نزلت في مانعي الزكوة وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وهو قول ابن مسعود وابن عباس والسدي والشعبي وغيرهم و روي عن النبي عليه السلام انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل في عنقه شجاع يوم القيمة ثم تلا عليه السلام هذه

الاية وقال عليه السلام ما من ذي رحم ياتي ذا رحمه يساله من فضل اعطاه الله اياه فيبخل به عنه الا اخرج الله له من جهنم شجاعا يتلمظ بلسانه حتى يطوقه وتلا هذه الاية وقيل معناه يجعل في عنقه يوم القيمة طوق من نار عن النخعي وقيل معناه يكلفون يوم القيمة ان ياتوا بما بخلوا به من اموالهم عن مجاهد وقيل هو كقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فمعناه انه يجعل طوقا فيعذب بها عن الجبائي وقيل معناه انه يعود عليهم وباله فيصير طوقا لاعناقهم كقوله وكل انسان الزمناه طائره في عنقه عن ابي مسلم قال والعرب تعبر بالرقبة والعنق عن جميع البدن الا ترى الى قوله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة وروي عن ابن عباس ايضا ان المراد بالاية الذين يبخلون ببيان صفة محمد والفضل هو التورية التي فيها صفته والاول اليق بسياق الاية ولله ميراث السموات والارض معناه يموت من في السموات والارض ويبقى هو جل جلاله لم يزل ولا يزال فيبطل ملك كل مالك الا ملكه وقد تضمنت الاية الحث على الانفاق والمنع عن الامساك من قبل ان الاموال بعرض الزوال اما بالموت او بغيره من الافات فاجدر بالعاقل ان لا يبخل بانفاقه ولا يحرص على امساكه فيكون عليه وزره ولغيره نفعه والله بما تعملون خبير هذا تاكيد للوعد والوعيد في انفاق المال لاحراز الثواب والاجر والسلامة من الاثم والوزر النظم الوجه في اتصال الاية بما قبلها انهم كما بخلوا بالجهاد بخلوا بالانفاق والزكوة عن علي بن عيسى وقيل انهم مع ما تقدم من احوالهم كتموا امر محمد وبخلوا ببيانه قوله عز وجل لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد آيتان القراءة قرا حمزة سيكتب بضم الياء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء وقرا الباقون سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب ونقول بالنون الحجة الوجه في قراءة من قرا سنكتب ان النون ههنا بعد الاسم الموضوع للغيبة فهو مثل قوله بل الله مولاكم ثم قال سنلقي في قلوب الذين كفروا ولو قال سيكتب بالياء لكان في الافراد كقوله وقذف في قلوبهم الرعب وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقوله ونقول معطوف على سنكتب والوجه في قراءة حمزة وقتلهم انه عطف على ما قالوا وهو في موضع رفع ومن قال وقتلهم فانه عطفه على ما قالوا ايضا وهو في موضع نصب بانه مفعول به اللغة يقال سمع يسمع سمعا اذا ادرك بحاسة الاذن والله تعالى يسمع من غير ادراك بحاسة والسميع من هو على حالة يسمع لاجلها المسموعات اذا وجدت والسامع المدرك لذلك وقال المحققون ان الله تعالى سميع فيما لم يزل وسامع عند وجود المسموع وكونه سميعا بصيرا ليس صفة زايدة على كونه حيا وكونه مدركا صفة زايدة على كونه حيا عالما وكونه سامعا مبصرا بمعناه وقال ابو القسم البلخي فايدة كونه سميعا بصيرا انه يعلم المسموعات والمبصرات وهو لا يثبت للقديم صفة الادراك وقال الخليل كل ما نزل بانسان من مكروه فقد ذاقه الا انه توسع وجاء في الخبر حتى تذوقي من عسيلته ويذوق من عسيلتك كنى بذلك عن الجماع وهذا من الكنايات المليحة والحريق النار وكذلك الحرق بفتح الراء والحرق بسكونه المصدر لقولهم حرقت الشيء بردته بالمبرد الاعراب موضع الباء في قوله بما قدمت ايديكم رفع لانها في موضع خبر المبتدا وهو ذلك وهي متصلة بالاستقرار كانه قيل ذلك استقر بما قدمت ايديكم وان الله انما فتح ان لانه معطوف على ما عملت فيه الباء وتقديره وبان الله فموضعه جر النزول لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وقائله حيي بن اخطب عن الحسن ومجاهد وقيل كتب النبي عليه السلام مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازورا فدعاهم الى الاسلام والصلوة والزكوة فقال فنحاص ان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء ولو كان غنيا لما استقرضنا اموالنا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص فانزل الله تعالى هذه الاية عن عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحق المعنى ثم ذكر تعالى خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال لقد سمع الله قول الذين قالوا قيل معناه ادرك قولهم وقيل علم ذلك عن البلخي ان الله فقير اي ذو حاجة لانه يستدين منا ونحن اغنياء عن الحاجة وقد علموا ان الله لا يطلب القرض وانما قال ذلك تلطفا في الاستدعاء الى الانفاق وانما قالوه تلبيسا على عوامهم وقيل معناه قالوا ان الله فقير لانه يضيق علينا الرزق ونحن اغنياء لانا نوسع الرزق على عيالنا سنكتب ما قالوا قيل معناه سنحفظ ما قالوا وكنى بالكتابة عن الحفظ لانه طريق الى الحفظ وقيل نامر بكتب ذلك في صحايف اعمالهم وانما يفعل ذلك مبالغة في الزجر عن المعصية لان المكلف اذا علم ان افعاله واقواله مكتوبة في الصحايف وانه لا بد من عرضها عليه

قرانه على رؤس الاشهاد يوم التناد كان ذلك ابلغ له فى الزجر عن الماثم وامنع عن ارتكاب الجرايم وقتلهم الانبياء بغير حق اى وسنكتب قبل اسلافهم قتل الانبياء ورضاء هؤلاء به فنجازى كلا بفعله وفيه دلالة على ان الرضا بفعل القبيح يجرى مجرايه فى عظم الجرم لان اليهود الذين وصفوا بقتل الانبياء لم يتولوا ذلك بانفسهم وانما ذموا بذلك لانهم بمنزلة من تولاه فى عظم الاثم ونقول ذوقوا عذاب الحريق يعنى المحرق وانما الفايدة فيه ان يعلم ان العذاب بالنار التى تحرق هى الملتهبة لان ما لم يلتهب لم يسم حريقا وقد يكون العذاب بغير النار ويفيد قوله ذوقوا انكم لا تتخلصون من ذلك يقال ذق هذا البلاء اى انك لست بناج منه ذلك اشارة الى ما سبق اى ذلك العقاب بما قدمت ايديكم معناه بما كنتم عملتموه وجنيتموه على انفسكم وان الله ليس بظلام للعبيد اى وبان الله لا يظلم احدا من عبيده وانما اضافه الى اليد وان كان يكسب الذنوب بجميع الجوارح لان عامة ما يكسبه الانسان انما يكسبه بيده ولان العادة قد جرت باضافة الافعال التى يزاولها الانسان الى اليد وان كان اكتسبها بجارحة اخرى فجرى خطاب القديم علا وجل على عادتهم وفى هذا دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه يدل على انه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد لكان ظلما وذلك على خلاف ما يذهبون اليه من انه تعالى يعذب الاطفال من غير جرم سلف منهم وانه يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم عليه لانه لا ظلم اعظم من ذلك وانما ذكر لفظ ظلام وهو للتكثير تاكيدا لنفى الظلم عنه قوله عز وجل الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ اثنان القراءة قرا ابن عامر وحده بالزبر بالباء وكذلك هى فى مصاحف الشام كما فى فاطر والباقون بغير باء الحجة من حذف الباء فلان واو العطف اغنت عن تكرار العامل ومن اثبتها فانما كرر العامل تاكيدا وكلاهما حسن اللغة القربان مصدر على وزن عدوان وخسران يقول قربت قربانا وقد يكون اسما كالبرهان والسلطان وهو كل ما يتقرب به العبد الى الله تعالى والزبر جمع زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو زبور قال امرؤ القيس لمن طلل ابصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمانى يقال زبرت الكتاب اذا كتبته وزبرت الرجل اذا زجرته والزبرة مجتمع الشعر على كتف الاسد وزبرت البئر احكمت طيها بالحجارة فهى مزبورة والزبر العقل وانما جمع بين الزبر والكتاب ومعناهما واحد لان اصلهما يختلف فهو كتاب لضم حروف بعضها الى بعض وزبور بما فيه من الزبر عن خلاف الحق وانما سمى زبور داود لكثرة ما فيه من المواعظ والزواجر الاعراب الذين قالوا محله جر ردا على الذين قالوا ان الله فقير على تقدير وسمع قول الذين النزول قيل نزلت الاية فى جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وفنحاص بن عازورا قالوا يا محمد ان الله عهد الينا فى التورية ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان زعمت ان الله بعثك الينا فجئنا به نصدقك فانزل الله تعالى هذه الاية عن الكلبى وقيل ان الله امر بنى اسرائيل فى التورية من جاءكم يزعم انه نبى فلا تصدقوه حتى ياتى بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما بغير قربان المعنى ثم ذكر قولهم الاخر فقال الذين قالوا للنبى عليه السلام ان الله عهد الينا اى امرنا وقيل اوصانا فى كتبه وعلى السن رسله ان لا نؤمن لرسول اى لا نصدق رسولا فيما يقول انه من انه جاء به من عند الله تعالى حتى ياتينا بقربان اى حتى يجيئنا بما يتقرب به الى الله من صدقة او بر يتقبل منه وقوله تاكله النار بيان لعلامة التقبل فانه كان علامة قبول قربانهم ان تنزل نار من السماء فتاكله وكان يكون ذلك دلالة على صدق المقرب فيما ادعاه عن ابن عباس قل يا محمد لهؤلاء اليهود قد جاءكم رسل من قبلى يعنى جاء اسلافكم بالبينات يعنى بالحجج الدالة على صدقهم وصحة رسالتهم وحقيقة قولهم كما كنتم تقترحون وتطلبون منهم وبالذى قلتم معناه وبالقربان الذى قلتم فلم قتلتموهم اراد بذلك زكريا ويحيى وجميع من قتلهم اليهود من الانبياء يعنى لم قتلتموهم وانتم مقرون بان الذى جاءوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ان كنتم صادقين فيما عهد اليكم مما ادعيتموه وهذا تكذيب لهم فى قولهم ودليل على عنادهم وعلى ان النبى عليه السلام لو اتاهم بالقربان كما ارادوه لم يؤمنوا به كما لم يؤمن اباؤهم بالانبياء الذين اتوا به وبغيره من المعجزات وانما لم يقطع الله تعالى عذرهم بما سالوه من القربان الذى تاكله النار لعلمه تعالى بان فى الاتيان به مفسدة لهم والمعجزات تابعة للصالح ولان ذلك اقتراح فى الادلة على الله والذى يلزم فى ذلك ان يزيح علتهم بنصب الادلة فقط فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك هذا تسلية للنبى عليه السلام فى تكذيب الكفار اياه وذلك انه تعالى اخبر بانه ليس باول

مكذب

مكذب من الرسل بل كذب قبله رسل جاءوا بالبينات اى بالمعجزات الباهرات والزبر اى الكتب التى فيها الحكم والزواجر والكتاب المنير قيل المراد به التورية والانجيل لان اليهود كذبت عيسى وما جاء به من الانجيل وحرفت ما جاء به موسى من صفة النبى صلى الله عليه واله وبدلت عهده اليهم فيه والنصارى ايضا جحدت ما فى الانجيل من نعته وغيرت ما امرهم به فيه والمنير الذى ينير الحق لمن اشتبه عليه وقيل المنير الهادى الى الحق قوله عز وجل كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ اية اللغة يقال لكل من نجا من هلكة وكل من لقى ما يغتبط به قد فاز فتاويل فاز تباعد من المكروه ولقى ما يحب ومعنى قولهم مفازة للمهلكة التفاؤل وانما المفازة المنجاة كما سموا اللديغ سليما والاعمى بصيرا المعنى ثم بين تعالى ان مرجع الخلق اليه فيجازى المكذبين رسله على اعمالهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه فقال كل نفس ذائقة الموت اى ينزل بها الموت لا محالة فكانها ذاقته وقيل معناه كل نفس ذائقة مقدمات الموت وشدايده وسكراته كقوله تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت وعلى هذا جاء قوله عليه السلام لقنوا امواتكم شهادة ان لا اله الا الله وهذا الظاهر يدل على ان كل نفس تذوق الموت وان كانت مقتولة وان القتل لا ينفك من الموت الذى هو فعل الله تعالى وقيل ان المراد بالموت هنا انتفاء الحيوة والقتيل قد انتفى الحيوة عنه فهو داخل فى الاية وانما توفون اجوركم معناه انما تعطون وليست بدار عمل فمن زحزح عن النار اى بوعد من نار جهنم ونحى عنها وادخل الجنة فقد فاز اى نال المنية وظفر بالبغية ونجا من الهلكة وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور معناه ما لذات الدنيا وشهواتها وزينتها الا متعة متعكموها الغرور والخداع المضمحل الذى لا حقيقة له عند الاختبار لانكم تلتذون بها ثم انها تعود عليكم بالرزايا والفجايع فلا تركنوا اليها ولا تغتروا بها فانما هى غرور وصاحبها مغرور وقيل متاع الغرور القوارير وهو فى الاصل ما لا بقاء له عن عكرمة وفى الاية دلالة على ان اقل نعيم من الاخرة خير من نعيم الدنيا باسره ولذلك قال عليه السلام موضع سوط فى الجنة خير من نعيم الدنيا وما فيها وفيها دلالة على ان كل حى سيموت ولولا ورد السمع بذلك لكان يجوز فى العقل ان يتصل حيوتهم الى وقت المجازاة واذا قيل اليس من قولكم لا بد من قطع بين حال التكليف وحال المجازاة فجوابه ان ذلك القطع كان يجوز ان يحصل مع بقاء الحيوة وفيها دلالة على ان المقتول يحصل فيه الموت وقد اختلف فى الموت فقال ابى على وابى هاشم فعند ابى على الموت معنى يضاد الحيوة وعند ابى هاشم عدم الحيوة فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله فى المقتول قوله عز وجل لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ اية الاعراب اللام فى قوله لتبلون لام التاكيد وفيه معنى القسم والنون تاكيد للقسم وانما ضمت الواو فى لتبلون ولم تكسر لالتقاء الساكنين لانها واو الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها من الضم ومثله اشتروا الضلالة ولو كانت الواو حرف الاعراب لفتحت نحو لن يغزون زيدا النزول نزلت الاية فى كعب بن الاشرف فقال محمد بن مسلمة انا يا رسول الله فخرج هو وابو نايلة فى جماعة فقتلوه غيلة واتوا براسه الى النبى عليه السلام اخر الليل وهو قايم يصلى عن الزهرى وقيل نزلت فى فنحاص اليهودى سيد بنى قينقاع لما بعث رسول الله ابا بكر اليه يستمده وكتب اليه كتابا فلما قراه قال قد احتاج ربكم الى ان نمده فهم ابو بكر ان يضربه ثم ذكر قول النبى عليه السلام لا تفتاتن بشىء حتى ترجع فكف عن عكرمة ومقاتل المعنى ثم بين تعالى ان الدنيا دار محنة وابتلاء وانها انما زويت على المؤمنين ليصبروا فيوجروا فقال لتبلون اى لتوقع عليكم المحن وتلحقكم الشدايد فى اموالكم بذهابها ونقصانها وفى انفسكم ايها المؤمنون بالقتل والمصايب مثل ما نالكم يوم احد ويقال بفرض الجهاد وغيره من الفرايض والقرب التى امرنا بها وانما سماه بلوى مجازا فان حقيقة الاختبار التجربة لا يجوز على الله تعالى لانه العالم بالاشياء قبل كونها وانما يفعل ذلك ليتميز المحق من المبطل عن ابى على الجبائى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعنى كفار مكة وغيرهم اذى كثيرا يعنى ما سمعوه من تكذيب النبى عليه السلام ومن الكلام الذى يغمهم وان تصبروا وتتقوا يعنى ان صبرتم على ذلك وتمسكتم بالطاعة ولم تجزعوا عنده جزعا يبلغ الاثم فان ذلك من عزم الامور اى مما بان رشده وصوابه ووجب على العاقل العزم عليه وقيل من محكم الامور قوله عز وجل وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ اية القراءة قرا ابن كثير وابو بكر وابو عمرو عن عاصم ليبيننه بالياء ولا يكتمونه بالياء ايضا والباقون بالتاء فيهما الحجة حجة من قرا بالتاء قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم والاتفاق عليه وكذلك قوله واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون

العسيب الذي لم ينبت عليه الخوص من السعف وجريدة من النخل مستقيمة دقيقة

الا الله وقد تقدم القول في ذلك وحجة من قرا بالياء ان الكلام حمل على الغيبة لانهم غيب المعنى ثم حكى تعالى عنهم نقض الميثاق والعهود
بعد حكايته عنهم التكذيب بالرسل فقال واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب قيل اراد به اليهود خاصة وقيل اليهود والنصارى وقيل اراد به كل
من اوتي علما بشيء من الكتب لتبيننه للناس والهاء عائد الى محمد صلى الله عليه واله في قول سعيد بن جبير والسدي لان في كتابهم ان محمدا رسول
الله وان الدين هو الاسلام وقيل الهاء عائدة الى الكتاب فيدخل فيه بيان امر النبي صلى الله عليه واله لانه في الكتاب عن الحسن وقتادة ولا تكتمونه
اي لا تخفونه عند الحاجة فنبذوه وراء ظهورهم اي طرحوه خلف ظهورهم ومعناه ضيعوه وتركوه فلم يعملوا به وان كانوا مقرين به عن ابن عباس
ويقال لمن يطرح الشيء ولا يعبا به رماه بظهر قال الفرزدق تميم بن قيس لا تكونن حاجتي بظهر ولا يعيا علي جوابها واشتروا به ثمنا قليلا اي
استبدلوا بعهد الله عليهم ومخالفته وميثاقه عرضا يسيرا من حطام الدنيا يعني ما حصلوه لانفسهم من الماكلة والرشى والهدايا التي اخذوها
من خولتهم وسفلتهم فبئس ما يشترون اي بئس الشيء ذلك اذ يستحقون به العذاب الاليم وان كان نفعا عاجلا ودلت الاية على وجوب اظهار الحق
وتحريم كتمانه فيدخل فيه بيان الدين والاحكام والفتاوى والشهادات وغير ذلك من الامور التي يختص بها العلماء وروى الثعلبي في تفسيره باسناده
عن الحسن بن عمارة قال اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن نجم
الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني باربعين حديثا قوله عز وجل
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم اية القراءة قد ذكرنا
اختلاف القراء في تحسبن وتحسبنهم فيما قبل الحجة قال ابو علي من قرا لا يحسبن بالياء ولا يحسبنهم يفرحون فالذين في موضع رفع بانه فاعل
يحسبن ولم يوقع تحسبن على شيء قال ابو الحسن لا يعجبني قراءة من قرا الاول بالياء لانه لم يوقعه على شيء وبعد انه لم يحسن ان لا يتعدى حسب
لانه قد يجري مجرى اليمين في نحو علم الله لافعلن ولقد علمت لتاتين منيتي وظنوا ما لهم من محيص فكما ان القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالمقسم عليه
فكذلك ظننت وعلمت في هذا الباب وايضا فقد جرى في كلامهم لغوا وما جرى لغوا لا يكون في حكم الجمل المفيدة ومن ثم جاء نحو وما خلت
ابقى بيننا من مودة عراض المذاكي المسنفات القلائصا وانما هو وما ابقى بيننا فالوجه في هذه القراءة انه لم يعد حسبت الى مفعوليه
الذين يقتضيهما لان حسبت في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب لما جعل بدلا من الاول وعدي الى مفعوليه استغنى بها عن تعديته الاول
اليهما كما استغنى في قوله باي كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا علي وتحسب بتعدية احد الفعلين الى المفعولين عن تعدية الاخر اليهما و
الفاء زائدة فالتقدير لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا انفسهم بمفازة من العذاب واما قراءة ولا يحسبنهم بضم الباء فان فعل الفاعل الذي
هو يحسبن تعدى الى ضميره وحذفت واو الضمير لدخول النون الثقيلة فان قيل هلا لم يحذف الواو من يحسبون واثبتها في عود الثوب
ولحاجتي ونحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما في الساكن الاول من زيادة المد التي تقوم مقام الحركة فالقول فيه انه
حذفت كما حذفت مع الخفيفة الا ترى انك لو قلت لا تحسبن زيدا ذاهبا لزمك الحذف فاجري الثقيلة مجرى الخفيفة في هذا وقوله
بمفازة من العذاب في موضع المفعول الثاني وفيه ذكر للمفعول الاول وفعل الفاعل في هذا الباب يتعدى الى ضمير نفسه نحو ظننتني
اخاك لان هذه الافعال لما كانت تدخل على المبتدا والخبر اشبهت ان واخواتها في دخولهن على المبتدا والخبر كدخول هذه الافعال عليهما
وذلك قولك ظننتني ذاهبا كما تقول اني ذاهب ومما يدلك على ذلك قبح دخول النفس عليها لو قلت اظن نفسي تفعل كذا لم يحسن كما
يحسن اظنني فاعلا واما قراءة نافع وابي جعفر وابن عامر لا يحسبن بالياء فلا تحسبنهم بالتاء وفتح الباء فمثل قراءة ابن كثير وابي عمرو الا في قوله
فلا تحسبنهم والمفعولان اللذان يقتضيهما الحسبان في قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوف فان الدلالة تما ذكر من بعد عليهما ولا يجوز
البدل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما فاما قراءة حمزة بالتاء فيهما فحذف المفعول الثاني الذي يقتضيه تحسبن
لان ما يجيء من بعد من قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب يدل عليه ويجوز ان يجعل تحسبنهم بدلا من تحسبن والفاء زائدة كما في قوله واذا
هلكت فعند ذلك فاجزعي النزول نزلت في اليهود حيث كانوا يفرحون باجلال الناس لهم ونسبتهم اياهم الى العلم عن ابن عباس
وقيل نزلت في اهل النفاق لانهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله فاذا رجعوا اعتذروا واحبوا ان يقبل منهم العذر
ويحمدوا بما ليسوا عليه من الايمان عن ابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وقيل اتت يهود خيبر الى النبي عليه السلم فقالوا نحن نعرفك ونؤمن

بك

بك وليس ذلك في قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت الاية فيهم عن قتادة المعنى ثم بين تعالى خصلة اخرى ذميمة من خصال اليهود فقال لا تحسبن
الذين يفرحون اي الفارحين الذين يفرحون بالنفاق ويحبون ان يحمدوا بالايمان وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتمان امر النبي عليه السلام
واحبوا ان يحمدوا بانهم ائمة وليسوا كذلك وقد عرفت المعنى في القراءة بالياء والتاء في الحجة فلا معنى لاعادته وقال ابو القسم البلخي ان اليهود قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه واهل الصلوة والصوم وليسوا باولياء الله ولا احبائه ولا اهل الصلوة والصيام ولكنهم اهل شرك ونفاق وهو المروي
عن ابي جعفر الباقر عليه السلم وقيل معناه انهم يحبون ان يحمدوا على ابطالهم امر محمد وتكذيبهم به والاقوى ان يكون المعنى بالاية من اخبر الله
عنهم انه اخذ ميثاقهم في ان يبينوا امر محمد صلى الله عليه وآله ولا يكتموه والى هذا اكثر اهل التاويل وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي لا تظنهم بمنجاة وبعد من النار
ولهم عذاب اليم اي مولم موجع قوله عز وجل ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير اية المعنى لما ذكر تعالى في الاية
المتقدمة من فرح بمعصية ركبها واحب ان يحمد بما لم يفعله واخبر انه لا نجاة لهم من عذابه قال ولله ملك السموات والارض اي هو مالك
ما في السموات وما في الارض بمعنى انه يملك تدبيرهما وتصريفهما على ما يشاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع والحال هذه في
الخلاص منه والله على كل شيء قدير فيه تنبيه على انه قادر على من اراد اهلاكه وعلى الانشاء والافناء كما يشاء قوله عز وجل ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين
من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد خمس ايات فضلها روى الثعلبي في تفسيره باسناده عن
محمد بن الحنفية عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه واله كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض
الى قوله فقنا عذاب النار وقد اشتهرت الرواية عن النبي عليه السلم انه لما نزلت هذه الايات قال ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتامل ما فيها وورد
عن الائمة من آل محمد عليهم السلم الامر بقراءة هذه الايات الخمس وقت القيام بالليل للصلوة وفي الضجعة بعد ركعتي الفجر وروى محمد بن
علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن معاوية بن وهب قال سمعت ابا عبد الله عليه السلم وذكر ان النبي صلى الله
عليه واله قال كان ياتي بطهور فيخمر عند راسه ويوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فاذا استيقظ جلس ثم قلب بصره في السماء
وتلا الايات من آل عمران ان في خلق السموات الايات ثم يستن ويتطهر ثم يقوم الى المسجد فيركع اربع ركعات على قدر قراءته ركوعه وسجوده
على قدر ركوعه يركع حتى يقال متى يرفع راسه ويسجد حتى يقال متى يرفع راسه ثم يعود الى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو
الايات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيصلي اربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود الى فراشه فينام ما
شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الايات من آل عمران ويقلب بصره في السماء ثم يستن ويتطهر ويقوم الى المسجد فيوتر ويصلي الركعتين ثم
يخرج الى الصلوة اللغة اللب العقل قال الشاعر سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبلنا سبح الجودي والجمد الابرار جمع بر وهو النفع بر الله بطاعته
اياه حتى ارضاه واصل البر الاتساع فالبر الواسع من الارض خلاف البحر والبر صلة الرحم والبر العمل الصالح والبر الحنطة وابر الرجل على اصحابه
اذا زاد عليهم الاعراب الذين يذكرون في موضع جر صفة لاولي الالباب قياما وقعودا نصب على الحال وعلى جنوبهم ايضا في موضع نصب على
الحال ولذلك عطف على قياما وقعودا اي ومضطجعين لان الظرف يكون حالا للمعرفة كما يكون نعتا للنكرة لما فيه من معنى الاستقرار تقول
مررت برجل على الحائط اي مستقر على الحائط وكذا مررت برجل في الدار وتقول انا اصير الى فلان ماشيا وعلى الفرس فيكون موضع على الفرس
نصبا على الحال من الضمير في اصير وقوله ما خلقت هذا باطلا اي يقولون ما خلقت هذا الخلق ولذلك لم يقل هذه ولا هؤلاء وباطلا
نصب على انه المفعول الثاني وتقديره بالباطل او للباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل وخبر ان في قوله من تدخل النار فقد اخزيته جملة مركبة
من الشرط والجزاء والاصل فيها جملتان كل واحدة منهما من فعل وفاعل لان موضع من نصب بتدخل على انه مفعول به وقوله ان امنوا
يحتمل ان يكون ان هذه هي المفسرة بمعنى اي ويحتمل ان يكون الناصبة للفعل لانه يصلح في مثله دخول الباء نحو ينادي بان امنوا المعنى
لما بين تعالى بان له ملك السموات والارض عقبه ببيان الدلالة على ذلك فقال ان في خلق السموات والارض اي في ايجادهما بما فيهما

من العجايب والبدايع واختلاف الليل والنهار اى تعاقبهما ومجئ كل واحد منهما خلف الاخر لايات اى دلالات على توحيد الله وصفاته
لاولى الالباب اى لذوى البصاير والعقول ووجه الدلالة فى خلق السموات والارض ان وجودهما متضمن باعراض حادثة وما لا
ينفك عن الحادث فهو حادث مثله والمحدث لابد له من محدث وموجد يوجده فدل وجودهما وحدوثهما على ان لهما محدثا قادرا ودل
ابداعهما بما فيهما من البدايع والامور الجارية على غاية الانتظام والاتساق على ان مبدعهما عالم لان الفعل المحكم المنتظم لا يصح الا من عالم
كما ان الايجاد لا يصح الا من قادر ودل ذلك ايضا على ان صانعهما قديم لم يزل لانه لو كان محدثا لاحتاج الى محدث فيؤدى الى التسلسل
ووجه الدلالة على تعاقب الليل والنهار ان فى ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه ولا ينقصان منه ونقصان كل واحد منهما
عن الاخر فى حال وزيادته عليه فى حال وازدياد احدهما بقدر نقصان الاخر دلالة ظاهرة على ان لهما صانعا قادرا حكيما لا يدركه
عجز ولا يلحقه سهو ثم وصف تعالى ذوى الالباب فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى هؤلاء الذين يستدلون على
توحيد الله بخلقه السموات والارض هم الذين يذكرون الله قايمين وقاعدين ومضطجعين اى فى ساير الاحوال لان احوال المكلفين لا
تخلو من هذه الاحوال الثلاثة وقد امروا بذكر الله تعالى فى جميعها وقيل معناه يصلون لله على قدر امكانهم فى صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلى قايما
والمريض جالسا وعلى جنبه اى مضطجعا فسمى الصلوة ذكرا رواه على بن ابرهيم فى تفسيره ولا تنافى بين التفسيرين لانه غير ممتنع وصفهم بالذكر
فى هذه الاحوال وهم فى الصلوة وهو قول ابن جريج وقتادة ويتفكرون فى خلق السموات والارض اى ومن صفة اولى الالباب ان
يتفكروا فى خلق السموات والارض ويتدبروا فى ذلك ليستدلوا به على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته ثم يقولون
ربنا ما خلقت هذا باطلا اى ما خلقت هذا الخلق عبثا وقيل بالباطل وللباطل بل خلقته لغرض صحيح وحكمة ومصلحة ليكون
دليلا على وحدانيتك وحجة على كمال حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته او يلحق نقصا بذاته فيقولون سبحانك اى تنزيها
لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقهما عبثا ولا لعبا بل تعريضا للثواب بدلا من العقاب فقنا عذاب النار بلطفك الذى يتمسك معه
بطاعتك وفى هذه الآية دلالة على ان الكفر والضلال والقبايح ليست خلقا لله تعالى لان هذه الاشياء كلها باطلة بلا اختلاف وقد
نفى الله تعالى ذلك بحكايته عن اولى الالباب الذين رضى قولهم بانه لا باطل فيما خلقه سبحانه فيجب بذلك القطع على ان القبايح كلها
غير مضافة اليه تعالى ومنفية عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم حكى عن اولى الالباب الذين وصفهم بانهم ايضا يقولون ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته قيل فيه وجوه احدها ان معناه فضحته واهنته فيكون منقولا من الخزى ونظيره قوله ولا تخزون فى
ضيفى وثانيها قال المفضل معناه اهلكته وانشد اخزى الاله من الصليب الهه ۝ واللابسين ملابس الرهبان ۝ وثالثها ان معناه احللته
محلا ووقفته موقفا يستحيا منه فيكون منقولا من الخزاية التى معناها الاستحياء قال ذو الرمة خزاية ادركته بعد جولته ۝ من
جانب الحبل مخلوطا بها الغضب ۝ واختلف اهل التاويل فى المعنى بهذه الآية فروى انس بن مالك وسعيد بن المسيب وقتادة وابن جريج
ان الاخزاء يكون بالتابيد فى النار وهى خاصة بمن لا يخرج منها وقال جابر بن عبد الله ان الخزى يكون بالدخول فيها وروى عنه
عمرو بن دينار وعطاء انه قال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذلك لخزيا وهذا هو الاقوى لان الخزى انما هو هتك المخزى
وفضيحته ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه وهذا غير مناف لما نذهب اليه من جواز العفو عن المذنبين لان على قول من قال
الخزى هو بالخلود فى النار فمن عفا الله عنه لا يكون اخزاه وان ادخله النار ثم اخرجه منها بعد استيفاء العقاب وعلى قول
من اثبت الخزى بنفس الدخول فانه وان كان خزيا فليس كخزى الكفار ويجب حمل قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه
على الوجهين وعلى قول من جعله من الخزاية التى هى الاستحياء فيكون اخزاء المؤمنين محمولا على الحياء واخزاء الكافرين على الاهانة
والخلود فى النار وقوله وما للظالمين من انصار اى ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبة والقهر لان الناصر هو الذى
يدفع عن المنصور على وجه المغالبة ولا ينافى ذلك ما صح من شفاعة النبى صلى الله عليه وآله والاولياء لاهل الكباير لان
الشفاعة هى على سبيل المسئلة والخضوع والتضرع الى الله تعالى وليست من النصرة فى شئ وصح عن النبى عليه السلام انه قال ليصيبن اقواما
سفع من النار بذنوب اصابوها ثم يخرجون فيسميهم اهل الجنة الجهنميين رواه البخارى فى الصحيح باسناده عن انس بن مالك وفيما رواه ابو سعيد

الخدرى

الخدرى عنه عليه السلام قال فيخرجون وقد امتحشوا وعادوا حمما قال فيلقون فى نهر يقال له نهر الحيوة قال فينبتون فيه كما تنبت الحبة
فى حميل السيل ورواه البخارى ومسلم ايضا فى الصحيح وبما روى فى مثل ذلك من الاخبار لا تحصى وهذا كما تراه صريح فى وقوع العفو عن
مرتكبى الكباير ربنا اننا سمعنا مناديا قيل ان المنادى محمد صلى الله عليه وآله عن ابن مسعود وابن عباس وابن جريج واختاره
الجبائى وقيل انه القران عن محمد بن كعب القرظى وقتادة واختاره الطبرى قال لانه ليس يسمع كل احد قول النبى عليه السلام ولا يراه
والقران سمعه من راه ومن لم يره كما قال تعالى مخبرا عن الجن انا سمعنا قرانا عجبا يهدى الى الرشد ولمن نصر القول الاول ان
يقول ان من بلغه قول النبى عليه السلام ودعوته جاز ان يقول سمعنا مناديا وان كان فيه ضرب من التجوز ومعنا قوله سمعنا
مناديا نداء مناد لان المنادى لا يسمع وقوله ينادى للايمان معناه الى الايمان كقوله تعالى الحمد لله الذى هدانا لهذا ومعناه
الى هذا وكقول الراجز وحى لها القرار فاستقرت ۝ وشدها بالراسيات الثبت ۝ ومثله قوله بان ربك اوحى لها فالمعنى ربنا اننا
سمعنا داعيا يدعوا الى الايمان والتصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع امره ونهيه وقوله ان امنوا
بربكم بحذف الباء وقيل معناه قال لنا امنوا بربكم فامنا اى فصدقنا الداعى فيما دعا اليه من التوحيد والدين واجبناه ربنا فاغفر
لنا ذنوبنا معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها فى القيمة على رءوس الاشهاد بعقوبتك وكفر عنا سيئاتنا معناه امحها بفضلك
ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار معناه واقبضنا اليك فى جملة الابرار واحشرنا معهم فان قيل ما معنى قوله كفر عنا وقد اغنى
عنه قوله فاغفر لنا فالجواب عنه من وجهين احدها ان معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبة وكفر عنا باجتناب الكباير السيئات لان الغفران
قد يكون ابتداء ومن سبب والتكفير لا يكون الا عند فعل من العبد والاول اليق بمذهبنا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
هذه حكاية ايضا عمن تقدم وصفهم بانهم يقولون اعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب ولا تخزنا اى لا تفضحنا او لا
تهلكنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد وهو كلام مستانف بدلالة انه كسر ان والمعنى انك وعدت الجنة لمن امن بك وانت لا تخلف
وعدك فان قيل ما وجه المسئلة فى انجاز الوعد والمعلوم انه يفعله لا محالة فالجواب عنه من وجوه احدها ان ذلك على وجه
الانقطاع الى الله والتضرع له والتعبد كما قال تعالى رب احكم بالحق واختاره على بن عيسى والجبائى والثانى ان الكلام خرج مخرج
المسئلة والمراد الخبر اى توفنا مع الابرار لتوتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة لانهم علموا ان ما وعد الله به حق
ولا بد ان ينجز والثالث ان معناه السؤال والدعاء بان يجعلهم ممن اتاهم ما وعدهم من الكرامة على السن رسله لانهم كانوا
قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله فى انفسهم ثم سالوه ان يوتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند انفسهم لانه لو كان كذلك لكانوا
قد زكوا انفسهم وهم شهدوا بانها تستوجب كرامة الله ولا يليق ذلك بصفة اهل الفضل من المؤمنين والرابع انهم سالوا
ذلك على وجه الرغبة منهم الى الله فى ان يوتيهم ما وعدهم من النصر على اعدائهم من اهل الكفر واعلاء كلمة الحق على الباطل بتعجيل
ذلك لهم لانه لا يجوز ان يكونوا امنوا ووصفهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين ان الله لا يخلف الميعاد فرغبوا الى الله فى تعجيل
ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم فى ذلك وقت فرغبوا اليه فى تعجيل ذلك لهم لما لهم فى ذلك من السرور بالظفر
وهو اختيار الطبرى وقال الآية مختصة بمن هاجر من اصحاب النبى عليه السلام الذين رغبوا فى تعجيل النصرة على اعدائهم وقالوا
لا صبر لنا على اناتك وحلمك وقوى ذلك بما بعد هذه الآية من قوله فاستجاب لهم ربهم الايات والى هذا اومى ابو القسم البلخى ايضا
قوله عز وجل فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ القراءة قرا حمزة والكسائى وخلف وقتلوا وقاتلوا بتقديم الفعل المبنى للمفعول به
على الفعل المبنى للفاعل والتخفيف وقرا الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا وشدد التاء من قتلوا ابن كثير وابن عامر الحجة اما تقديم
قاتلوا على قتلوا فلان القتال قبل القتل وحسن التشديد لتكرر القتل وهو مثل مفتحة لهم الابواب ومن خفف قتلوا فلان فعلوا
يقع على الكثير والقليل والتشديد مختص بالكثير واما تقديم قتلوا على قاتلوا فلان المعطوف بالواو يجوز ان يكون اولا فى المعنى

معناه بان امنوا بربكم

ان معناه اغفر لنا ذنوبنا

وان كان مؤخرا فی اللفظ ویمکن ان یکون الوجه فیه ان یکون لما قتل منهم قاتلوا ولم یهنوا ولم یضعفوا للقتل الذی وقع بهم کقوله تعالی فما وهنوا لما اصابهم فی سبیل الله اللغة الاضاعة الاهلاک ضاع الشیء یضیع ضیاعا اذا هلک واضاع وضیع بمعنی ومنه الضیعة للقریة واما قولهم کل رجل وضیعته فان الضیعة هنا بمعنی الحرفة هاجر فاعل من الهجر وهو ضد الوصل یقال هاجر القوم من دار الی دار ای ترکوا الاولی للثانیة وتهجر الرجل تشبه بالمهاجرین الاعراب من فی قوله من ذکر او انثی للتبیین والتفسیر عن قوله منکم بمعنی لا اضیع عمل عامل منکم من الذکور والاناث فهو بیان للجنس من اضیف العمل الیه ویقال انها مؤکدة بمعنی النفی فی لا اضیع ای لا اضیع عمل ذکر وانثی منکم وبعضکم مبتدا وقوله من بعض فی موضع رفع بانه خبره وثوابا مصدر موکد لان معنی لادخلنهم جنات لاثیبنهم ومثله قوله کتاب الله علیکم لان معنی قوله حرمت علیکم امهاتکم کتب الله علیکم فکتاب الله مصدر مصدق موکد النزول روی ان ام سلمة قالت یا رسول الله ما بال الرجال یذکرون فی الهجرة دون النساء فانزل الله تعالی هذه الایة قال البلخی نزلت الایة وما قبلها فی المطیعین للنبی علیه السلام والمهاجرین معه ثم هی فی جمیع من سلک سبیلهم وحذا حذوهم من المسلمین المعنی ثم عقب سبحانه دعوة المومنین بذکر الاجابة فقال فاستجاب لهم ربهم ای اجاب المومنین الذین تقدم الخبر عنهم انی لا اضیع عمل عامل ای انی لا ابطل عمل عامل منکم من ذکر او انثی رجل او امراة بعضکم فی النصرة والدین والموالاة فحکمی فی جمیعکم حکم واحد فلا اضیع عمل واحد منکم لاتفاقکم فی صفة الایمان وهذا یتضمن الحث علی مواظبة الادعیة التی فی الایات المتقدمة والاشارة الی انها مما تعبد الله تعالی بها وندب الیها ذلک لانه تضمن الاجابة لمن دعا بها فالذین هاجروا الی المدینة وفارقوا قومهم من اهل الکفر واخرجوا من دیارهم اخرجهم المشرکون من مکة واوذوا فی سبیلی ای فی طاعتی وعبادتی ودینی وذلک هو سبیل الله وقتلوا فیها لاکفرن عنهم سیئاتهم یعنی لامحونها عنهم ولاتفضلن علیهم بعفوی ومغفرتی ورحمتی وهذا یدل علی ان اسقاط العقاب تفضل من الله تعالی ولادخلنهم جنات تجری من تحتها الانهار ای من تحت ابنیتها واشجارها الانهار ثوابا ای جزاء لهم من عند الله علی اعمالهم والله عنده حسن الثواب ای عنده حسن الجزاء علی الاعمال ما لا یبلغه وصف واصف ولا یدرک نعت ناعت مما لا عین رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر ویقال حسن الثواب فی دوامه وسلامته من کل شوب من النقصان والتکدیر قوله عز وجل لا یغرنک تقلب الذین کفروا فی البلاد متاع قلیل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد لکن الذین اتقوا ربهم لهم جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها نزلا من عند الله وما عند الله خیر للابرار ثلاث ایات القراءة قرا یعقوب بروایة رویس وزید لا یغرنک ولا یحطمنکم ولا یستخفنک فاما نذهبن بک او نرینک خفیفة النون فی الجمیع والباقون بالتشدید فیها وقرا ابو جعفر لکن الذین اتقوا بتشدید النون والباقون بالتخفیف اللغة الغرور ایهام حال السرور فیما الامر بخلافه فی المعلوم ولیس کل ایهام غرورا لانه قد یتوهمه مخوفا فیحذر منه فلا یقال غره نظیر الخطر والفرق بینهما ان الغرر قبیح کله لانه ترک الحزم فیما یمکن ان یتوثق منه والخطر قد یحسن علی بعض الوجوه لانه من العظم ومن قولهم رجل خطیر ای عظیم والمتاع النفع الذی یتعجل به اللذة اما بوجود اللذة او بما یکون به اللذة نحو المال الجلیل والملک والاولاد والاخوان والمهاد الذی یسکن فیه الانسان ویفترشه وواحد الابرار بر او بار تقول بررت والدی فانا بر واصله برر ولکن الراء ادغمت للتضعیف الاعراب بنی المضارع مع نون التاکید لانه بمنزلة ضم الاسم الی اسم کخمسة عشر ونحوه ومتاع خبر مبتدا محذوف تقدیره تقلبهم متاع قلیل وحذف المبتدا لدلالة ما تقدمه علیه وبئس المهاد حذف المخصوص بالذم من الکلام لدلالة ما تقدمه علیه تقدیره بئس المهاد جهنم ونزلا مصدر موکد ایضا مثل ما تقدم ذکره فی قوله ثوابا من عند الله لان خلودهم فی الجنة انزالهم فیها فصار کانه قال نزلوها نزلا وهو بمعنی انزلوها انزالا وقیل هو نصب علی التفسیر کما یقال هو لک هبة او صدقة عن الفرا وخالدین فیها منصوب علی الحال ای مقدرا لهم الخلود فیها النزول نزلت فی مشرکی العرب وکانوا یتجرون و یتنعمون بها فقال بعض المسلمین ان اعداء الله فی العیش والرخاء وقد هلکنا من الجوع فنزلت الایة وقال الفرا کانت الیهود تضرب فی الارض فتصیب الاموال فانزل الله سبحانه لا یغرنک الایة المعنی لا یغرنک یا محمد الخطاب له والمراد غیره وقیل معناه لا یغرنک ایها الانسان او السامع تقلب الذین کفروا ای تقرفهم فی البلاد سالمین غیر ماخذین

باجرامهم

باجرامهم اعلم الله سبحانه ان ذلک مما لا ینبغی ان یغتبطوا به لان ماواهم ومصیرهم بکفرهم الی النار ولا خیر بخیر بعده النار وقوله متاع قلیل معناه تصرفهم فی البلاد والتنعم متاع قلیل ای یتنعمون بذلک قلیلا ثم یزول وسماه متاعا لانهم متعوا به فی الدنیا ثم ماواهم ای مصیرهم ومرجعهم جهنم وبئس المهاد ای ساء المستقر هی ثم اعلم سبحانه ان من اراد الله واتقاه فله الجنة فقال لکن الذین اتقوا ربهم ولفظة لکن للاستدراک فیکون بخلاف المعنی المتقدم فمعناه لیس للکفار عاقبة خیر انما هی للمومنین المتقین الذین اتقوا ربهم بفعل الطاعات وترک المعاصی لهم جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها نزلا من عند الله بین سبحانه ما یصیرون الیه من النعیم المقیم فی دار القرار المعدة للابرار والنزل ما یعد للضیف من الکرامة والبر والطعام والشراب وما عند الله من الثواب والکرامة خیر للابرار مما یتقلب فیه الذین کفروا لان ذلک عن قریب سیزول وما عند الله سبحانه دائم لا یزول وروی عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خیر لها من الحیوة واما الابرار فقد قال الله تعالی وما عند الله خیر للابرار واما الفجار فقد قال الله تعالی ولا یحسبن الذین کفروا انما نملی لهم خیر لانفسهم الایة وقوله فی النفس الفاجرة ان الموت خیر لها انما یعنی بذلک اذا کانت تدوم علی فجورها قوله عز وجل وان من اهل الکتاب لمن یومن بالله وما انزل الیکم وما انزل الیهم خاشعین لله لا یشترون بایات الله ثمنا قلیلا اولئک لهم اجرهم عند ربهم ان الله سریع الحساب ایة اللغة اصل الخشوع السهولة من قولهم الخشعة وهی سهولة فی الرمل کالربوة والخاشع من الارض الذی لا یهتدی له لان الرمل تعفی اثاره والخاشع الخاضع ببصره والخشوع هو التذلل خلاف التعصب الاعراب خاشعین نصب علی الحال من الضمیر فی یومن وهو عاید الی من وقیل هو حال من الضمیر فی انزل الیهم المجرور بالی والاول احسن النزول واختلفوا فی نزولها فقیل نزلت فی النجاشی ملک الحبشة واسمه اصحمه وهو بالعربیة عطیة وذلک انه لما مات نعاه جبرئیل لرسول الله صلی الله علیه واله فی الیوم الذی مات فیه فقال رسول الله صلی الله علیه واله اخرجوا فصلوا علی اخ لکم مات بغیر ارضکم قالوا ومن هو قال النجاشی فخرج رسول الله صلی الله علیه واله الی البقیع وکشف له من المدینة الی ارض الحبشة فابصر سریر النجاشی وصلی علیه فقال المنافقون انظروا الی هذا یصلی علی علج نصرانی حبشی لم یره قط ولیس علی دینه فانزل الله هذه الایة عن جابر بن عبد الله وابن عباس وقتادة وانس وقیل نزلت فی اربعین رجلا من اهل نجران من بنی الحرث بن کعب واثنین وثلثین من ارض الحبشة وثمانیة من الروم کانوا علی دین عیسی فامنوا بالنبی صلی الله علیه واله عن عطا وقیل نزلت فی جماعة من الیهود کانوا اسلموا منهم عبد الله بن سلام ومن معه عن ابن جریج وابن زید وابن اسحق وقیل نزلت الایة فی مومنی اهل الکتاب کلهم عن مجاهد لان الایة قد تنزل علی سبب ویکون عامة فی کل ما یتناوله عن مجاهد المعنی لما ذم سبحانه اهل الکتاب فیما تقدم وصف طائفة منهم بالایمان واظهار الحق والصدق فقال وان من اهل الکتاب ای من الیهود والنصاری لمن یومن بالله ای یصدق الله ویقر بوحدانیته وما انزل الیکم ایها المومنون وهو القران وما انزل الیهم وهو التوریة والانجیل خاشعین لله ای خاضعین له مستکینین بالطاعة متذللین بها قال ابن زید الخاشع المتذلل الخایف وقال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله لا یشترون بایات الله ثمنا قلیلا ای لا یاخذون عوضا یسیرا علی تحریف الکتاب وکتمان الحق من الرشی والماکل کما

فعله غيرهم ممن وصفهم سبحانه بقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى لكن ينقادون للحق ويعملون بما امرهم الله
به وينتهون عما نهاهم عنه ثم قال اولئك يعنى هؤلاء الذين وصفناهم لهم اجرهم عند ربهم معناه لهم ثواب اعمالهم و
اجر طاعاتهم عند الله مذخورة حتى يوفيهم يوم القيمة ان الله سريع الحساب وصف الحساب بالسرعة لانه سبحانه لا يؤخر الجزاء
عمن يستحقه لطول الحساب لانه لا يخفى عليه شئ من اعمالهم قبل ان يعملوها وبعد ان عملوها فلا حاجة به الى احصاء
عدد فيقع فى الاحصاء ابطاء وقيل معناه انه يحاسب كل الخلق معا فاذا حاسب واحدا فقد حاسب الجميع لانه قادر على ان
يكلمهم فى حالة واحدة كل واحد بكلام يخصه لانه القادر لنفسه عن ابى على الجبائى وانما خص الله سبحانه هذه الطايفة
بالوعد ليبين ان جزاء اعمالهم موفر عليهم ولا يضرهم كفر من كفر منهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا
ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون اللغة اصل الرباط ارتباط الخيل للعدو والربط الشد ومنه قولهم ربط الله على
قلبه بالصبر ثم استعمل فى كل مقيم فى ثغر يدفع عمن وراءه من ارادهم بسوء والرباط ايضا اسم لما يشد به المعنى لما حكى الله
سبحانه احوال المؤمنين والكافرين فيما تقدم حث بعد ذلك على الصبر على الطاعة ولزوم الدين والجهاد فى سبيل الله فقال
يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله اصبروا وصابروا ورابطوا اختلف فى معناها على وجوه احدها ان المعنى اصبروا
على دينكم اى اثبتوا عليه وصابروا الكفار ورابطوهم فى سبيل الله عن الحسن وقتادة وابن جريج والضحاك فعلى هذا يكون
معناه اصبروا على طاعة الله سبحانه وعن معاصيه وقاتلوا العدو واصبروا على قتالهم فى الحق كما يصبرون على قتالكم فى
الباطل وانما اتى بلفظ صابروا هنا لان فاعل انما ياتى لما يكون بين اثنين والرباط هو المرابطة فيكون بين اثنين ايضا
يعنى اعدوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم كقوله سبحانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وثانيها ان المراد اصبروا على دينكم
وصابروا وعدى اياكم ورابطوا عدوى وعدوكم عن محمد بن كعب القرظى وثالثها ان المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن
اسلم وقيل ان معنى رابطوا اى رابطوا الصلوة ومعناه انتظروها واحدة بعد واحدة لان المرابطة لم يكن حينئذ وروى ذلك
عن على عليه السلام وعن جابر بن عبد الله وابى سلمة بن عبد الرحمن وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه سئل عن
افضل الاعمال فقال اسباغ الوضوء فى السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط وروى
عن ابى جعفر الباقر عليه السلام انه قال اصبروا على المصايب وصابروا على عدوكم ورابطوا عدوكم وهو قريب من القول
الاول وقوله واتقوا الله لعلكم تفلحون معناه واتقوا ان تخالفوا الله فيما يامركم به لكى تفلحوا بنعيم الابد وقيل معناه اتقوا
عذاب الله بلزوم امره واجتناب نهيه لكى تظفروا وتفوزوا بنيل المنية ودرك البغية والوصول الى النجح فى الطلبة وذلك
حقيقة الفلاح وهذه الاية تتضمن جميع ما يتناوله التكليف لان قوله اصبروا يتناول لزوم العبادات وتجنب المحرمات وصابروا
يتناول ما يتصل بالغير كمجاهدة الجن والانس وما هو اعظم منها من جهاد النفس ورابطوا يدخل فيه الدفاع عن المسلمين
والذب عن الدين واتقوا الله يتناول الانتهاء عن جميع المناهى والزواجر والايتمار بجميع الاوامر ثم يتبع جميع ذلك الفلاح
والنجاح وبالله التوفيق ❁ تم المجلد الثانى من كتاب مجمع البيان لعلوم القران يوم الاثنين سادس عشر شوال ختم
بالخير والاقبال من سنه اثنا وسبعين الف من الهجرة النبوية بقرية الابرده من قراء مشهد المقدس على يد العبد الضعيف الراجى
عفو الرؤف اللطيف جلال بن حسن بن جلال بن قاسم بن امير احمد الابردهى ختم الله اعماله بالحسنى بمحمد واله الطاهرين
له ولوالديه ولمن نظر فيه وانتفع به ودعا له ولوالديه وللمؤمنين بالرحمة والرضوان امين رب العالمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله

ويتلوه فى الجزء الثالث تفسير السورة التى يذكر فيها النساء

(السبرات جمع سبرة وهى الغداة الباردة)

الجزء الثالث من

كتاب مجمع البيان

لعلوم القرآن

تصنيف الشيخ

الامام العلامة الاجل الزاهد العابد امين الدين ثقة الاسلام والمسلمين
صدر الائمة وبدرهم ابى على الفضل بن الحسن الفضل الطبرسى تغمده الله
بغفرانه وبوّاه بحبوحة جنانه بمحمد واله الطيبين الاطهار رحمة

عدد آیها

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء وهي مدنية كلها وقيل انها مدنية الا قوله ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها الاية وقوله ويستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة الى اخرها فان الايتين نزلتا بمكة الاي ماية وسبع وسبعون اية شامي وستة كوفي وخمس في الباقين شامي خلافهما اثنان ان تضلوا السبيل كوفي شامي فيعذبهم عذابا اليما شامي فضلها ابي بن كعب عن النبي عليه السلم قال من قراها فكانما تصدق على كل من ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ عن الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم وروي عن ابي عمر بن الخطاب انه قال تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فان فيهن الفرايض وروى العياشي باسناده عن امير المومنين عليه السلام قال من قرا سورة النساء في كل جمعة اومن من ضغطة القبر اذا ادخل في قبره نظمها لما ختم الله السورة التي يذكر فيها ال عمران بالامر بالتقوى افتتح ايضا هذه السورة به الا ان هناك خص به المومنين وعم به ههنا ساير المكلفين فقال بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا اية القراءة قرا اهل الكوفة تسالون بتخفيف السين والباقون بتشديدها وقرا حمزة والارحام بالجر والباقون بالنصب وقرئ بالشواذ والارحام بالرفع الحجة من خفف تسالون اراد تتسالون فحذف التاء من تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربة ومن شدد وقال تسالون فانه ادغم التاء في السين وحسن ذلك لاجتماعهما في انهما من حروف طرف اللسان واصول الثنايا واجتماعهما في الهمس فخفف بالادغام كما خفف هناك بالحذف قال ابو علي من نصب الارحام احتمل انتصابه وجهين احدهما ان يكون معطوفا على موضع الجار والمجرور والاخر ان يكون معطوفا على اتقوا وتقديره واتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها واما من جر فانه عطف على الضمير المجرور بالباء وهذا ضعيف في القياس وقليل في الاستعمال وما كان كذلك فترك الاخذ به احسن وانما ضعف في القياس لان الضمير قد صار عوضا مما كان متصلا بالاسم من التنوين فقبح ان يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين ويدل على انه جرى عندهم مجرى التنوين حذفهم الياء من المنادى المضاف اليها كحذفهم التنوين وذلك قولهم يا غلام وهو الاكثر من غيره وجهة الشبه بينهما على انه حرف كما ان التنوين كذلك والمضمر اذهب في مشابهة التنوين من المظهر لانه قد يفصل بين المضاف والمضاف اليه اذا كان ظاهرا بالظرف وبغيرها نحو قول الشاعر كان اصوات من ايغالهن بنا اواخر الميس اصوات الفراريج وقول الاخر من قرع القسي الكنائن وليس المضمر في هذا كالظاهر فلما كان كذلك لم يستجيزوا عطف الظاهر عليه لان المعطوف ينبغي ان يكون مشاكلا للمعطوف عليه وقد جاء ذلك في ضرورة الشعر انشد سيبويه فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والايام من عجب فعطف الايام على موضع الكاف وقال اخر تعلق في مثل السواري سيوفنا وما بينها والكعب غوط نفانف فعطف بالكعب على الهاء والالف في بينها ومثل ذلك لا يجوز في القران والكلام الفصيح قال المازني وذلك لان الثاني في العطف شريك للاول فان كان الاول يصلح ان يكون شريكا للثاني والا لم يصلح ان يكون الثاني شريكا له فكما لا تقول مررت بزيد وك كذلك لا تقول مررت بك وزيد فاما القراءة الشاذة في رفع الارحام فالوجه فيه حمله على الابتداء اي والارحام مما يجب ان تتقوه وحذف الخبر للعلم به اللغة البث النشر

بث الله الخلق ومنه قوله كالفراش المبثوث وبعضهم يقول ابث بمعناه ويقال بثثتك سري وابثثتك سري لغتان واصل الرقيب من الترقب وهو الانتظار ومنه الرقبى لان كل واحد منهما ينتظر موت صاحبه يقال رقب يرقب رقوبا ورقبة ورقبانا فعلى هذا يكون الرقيب فعيلا بمعنى الفاعل وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء المعنى ابتدا الله سبحانه هذه السورة بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها الناس وهو خطاب للمكلفين من جميع البشر وقيل النداء انما كان في ساير كتب الله السالفة بيا ايها المساكين واما في القران فما نزل بمكة فالنداء بيا ايها الناس وما نزل بالمدينة فمرة بيا ايها الذين امنوا ومرة بيا ايها الناس اتقوا ربكم بترك ما امر به وارتكاب ما نهى عنه وقيل معناه اتقوا حقه ان تضيعوه وقيل اتقوا عقابه فكانه قال يحق عليكم ان تتقوا عذاب من انعم عليكم باعظم النعم وهي ان خلقكم من نفس واحدة واوجدكم ومن عظمت عنده النعم فهو بالتقوى اولى وقيل ان المراد به بيان كمال قدرته فكانه قال الذي قدر على ان خلقكم من نفس واحدة فهو على عقابكم اقدر فيحق عليكم ان تتركوا مخالفته وتتقوا عقوبته وقوله الذي خلقكم من نفس واحدة المراد بالنفس هنا ادم عند جميع المفسرين وانما لم يقل نفس واحد بالتذكير وان كان المراد ادم لان لفظ النفس مؤنث بالصيغة فهو كقول الشاعر ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك الكمال فانث على اللفظ ولو قال من نفس واحد لجاز وخلق منها زوجها يعني حوا عليها السلم ذهب اكثر المفسرين الى انها خلقت من ضلع من اضلاع ادم ورووا عن النبي عليه السلم انه قال خلقت المراة من ضلع ان اقمتها كسرتها وفيها عوج استمتعت بها وروي عن ابي جعفر الباقر عليه السلم ان الله تعالى خلق حوا من فضل الطينة التي خلق منها ادم وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وانما من علينا تعالى بان خلقنا من نفس واحدة لانه اقرب الى ان يعطف بعضنا على بعض ويرحم بعضنا بعضا لرجوعنا جميعا الى اصل واحد ولان ذلك ابلغ في القدرة وادل على العلم والحكمة وقوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قيل في معناه قولان احدهما انه من قولهم اسالك بالله ان تفعل كذا وانشدك بالله وبالرحم ونشدتك الله والرحم وكذا كانت العرب تقول عن الحسن وابرهيم وعلى هذا يكون قوله والارحام عطفا على موضع قوله به والمعنى انكم كما تعظمون الله باقوالكم تعظموه بطاعتكم والاخر ان معنى تساءلون به تطلبون حقوقكم وحوائجكم فيما بينكم به والارحام معناه واتقوا الارحام ان تقطعوها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم فعلى هذا يكون منصوبا عطفا على اسم الله تعالى وهذا يدل على وجوب صلة الرحم ويؤيده ما روي عن النبي عليه السلم انه قال قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي امثال هذا الخبر كثرة وصلة الرحم قد تكون بقبول النسب وقد تكون بالانفاق على ذي الرحم وما يجري مجراه وقد روى الاصبغ بن نباتة عن امير المومنين عليه السلم قال ان احدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فايما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليمسه فان الرحم اذا مستها الرحم استقرت وانها متعلقة بالعرش تنادي اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا عن مجاهد وقيل الرقيب العالم عن ابن زيد والمعنا متقارب وانما اتى بلفظة كان المفيدة للماضي لانه اراد انه كان حفيظا على من تقدم زمانا من عهد ادم وولده الى زمان المخاطبين وعالما بما صدر منهم لم يعزب عنه من ذلك شيء قوله عز وجل وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا اية اللغة الحوب الاثم يقال حاب يحوب حوبا وحيابة والاسم الحوب وروي عن الحسن انه قرا حوبا ذهب الى المصدر وتحوب فلان من كذا اذا تحرج منه ونزلنا بحوبة من الارض اي بموضع سوء والحوبة الحزن والتحوب التحزن والحوبا الروح المعنى لما امر سبحانه بالتقوى وصلة الارحام عقبه بباب اخر من التقوى وهو توفير حقوق اليتامى فقال واتوا اليتامى اموالهم وهذا خطاب لاوصياء اليتامى اي اعطوهم اموالهم بالانفاق عليهم في حالة الصغر وبالتسليم اليهم عند البلوغ اذا اونس منهم الرشد وسماهم يتامى بعد البلوغ مجازا لان النبي صلى الله عليه واله قال لا يتم بعد احتلام كما قالوا للنبي عليه السلم يتيم ابي طالب بعد كبره يعنون انه رباه وكقوله سبحانه والقي السحرة ساجدين اي الذين كانوا سحرة ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب معناه لا تستبدلوا ما حرمه الله عليكم من اموال اليتامى بما احله الله لكم من اموالكم واختلف في صفة التبديل فقيل كان اوصياء اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم

والرفيع منه ويجعلون به مكان الخسيس والردى عن ابرهيم النخعى والسدى وسعيد بن المسيب والزهرى والضحاك وقيل معناه لا تبدلوا الخبيث بالطيب بان تتعجلوا الحرام قبل ان ياتيكم الرزق الحلال الذى قدر لكم عن ابى صالح ومجاهد وقيل معناه ما كان اهل الجاهلية يفعلونه من انهم لم يكونوا يورثون النساء ولا الصغار بل ياخذه الكبار عن ابى زيد واقوى الوجوه الاول لانه انما ذكر عقيب اموال اليتامى فيكون معناه لا تاخذوا السمين والجيد من اموالهم وتضعوا مكانها المهزول والردى فيحفظون عليهم عدد اموالهم ومقاديرها ويجحفون بهم فى صفاتها ومعانيها وقوله ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى مع اموالكم ومعناه ولا تضيفوا اموالهم الى اموالكم فتاكلوها جميعا ويحتمل ان يكون معناه لا تخلطوا فى الجيد من اموالهم بالردى من اموالكم فتاكلوها فان فى ذلك اجحافا واضرارا بهم فاما اذا لم يكن فى ذلك اضرار ولا ظلم فلا باس بخلط مال اليتيم بماله فقد روى انه لما نزلت هذه الاية كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه واله فانزل الله تعالى ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم الاية عن الحسن وهو المروى عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام انه كان حوبا كبيرا اى اثما عظيما قوله عز وجل وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ايتان عد الا تعولوا ايه بالاتفاق وهذا مما يشكل ويعسر القراءة قرا ابو جعفر فواحدة بالرفع والباقون بالنصب الحجة القراءة بالنصب على انه مفعول به وتقديره فانكحوا واحدة ومن رفع فعلى انه فواحدة كافية او فواحدة مجزية كقوله فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان يشهدون اللغة الاقساط العدل والانصاف والقسط الجور يقال ثنى ومثنى وثلاث ومثلث ورباع ومربع ولم يسمع فيما زاد عليه الا خماس ومخمس الاعشار فى بيت الكميت وهو قوله فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عشارا وقال صخر الغى ولقد قتلتكم ثناء وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر وعال الرجل يعول عولا وعيالة اى مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص قال ابو طالب بميزان قسط وزنه غير عائل وعال يعيل عيلة اذا احتاج قال الشاعر فما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل اى يفتقر فمن قال معنى قوله الا تعولوا الا تفتقروا فقد اخطا ايضا لان ذلك يكون من الاعالة يقال اعال الرجل يعيل فهو معيل اذا كثر عياله وعال العيال اذا مانهم ومنه قوله عليه السلام ابدا بمن تعول وقد حكى الكسائى عال الرجل يعول اذا كثر عياله والصداق والصداق والصدقة والصدقة المهر والنحلة عطية تكون على غير جهة المثامنة يقال نحلت الرجل اذا وهبت له نحلة ونحلا وسمى النحل نحلا لان الله تعالى نحل منها الناس العسل الذى فى بطونها وهنيئا ماخوذ من هنات البعير بالقطران فالهنء شفاء من المرض كما ان الهناء الذى هو القطران شفاء من الجرب قال ما ان رايت ولا سمعت به كاليوم هانئ اينق جرب متبذلا تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب يقال منه هنانى الطعام ومرانى اى صار لى دواء وعلاجا شافيا وهنئنى ومرئنى بالكسر وهى قليلة وتقول فى المستقبل يهنانى ويمرانى ويهنينى ويمرينى واذا افردوا قالوا امرانى ولا يقولون اهنانى وقد مرء وهذا الطعام مراة ويقال هنات القوم اذا علتهم وهنات فلانا المال اذا وهبته له اهناه هنا ومنه المثل انما سميت هانئا لتهنا اى لتعطى الاعراب قوله ما طاب ما ههنا مصدرية عن الفرا اى فانكحوا الحلال ويروى عن مجاهد ايضا فانكحوا النساء نكاحا طيبا قال المبرد ما ههنا للجنس كقولك ما عندك فالجواب رجل او امراة وقيل لما كان المكان مكان ابهام جاءت ما لما فيها من الابهام كقول العرب خذ من عندى ما شئت وقوله مثنى وثلاث ورباع بدل مما طاب وموضعه النصب وتقديره اثنين اثنين وثلثا ثلثا واربعا اربعا الا انه لا ينصرف لعلتين العدل والوصف قال الزجاج انه لا ينصرف لجهتين لا اعلم احدا من النحويين ذكرهما غيرنا انه معدول عن اثنين اثنين وثلث ثلث وانه عدل عن تانيث وخطاه ابو على الفارسى فى ذلك واورد عليه كلاما كثيرا يطول بذكره الكتاب ثم قال لو جاز ان يقول قائل ان مثنى وبابه معدول عن مونث لما جرى على النساء وواحدتهن مونثة لجاز لاخر ان يقول انه معدول عن مذكر لانه جرى على صفة على اجنحة وواحدها مذكر وانما جرى على النساء من حيث كان تانيثها تانيث الجمع وهذا الضرب من التانيث ليس بحقيقى انما هو من اجل اللفظ فهو مثل النار والدار وما اشبه ذلك وقد جرت هذه الاسماء على المذكر الحقيقى قال صخر الغى

منيت بان تلاقينى المنايا احاد احاد فى شهر حلال وبيت الكتاب ولكنما اهلى بواد انيسه ذئاب تبغى الناس مثنى وموحد فجرى فيه مثنى وموحد على ذئاب وهو جمع مذكر وقال تميم بن مقبل ترى النعرات الزرق تحت لبانه احاد ومثنى اصعقتها صواهله فاحاد ومثنى هنا حال من النعرات وقال ابو على فى القصريات ان مثنى وثلاث ورباع حال من قوله ما طاب لكم من النساء مثنى فهو كقولك جئتك ماشيا وراكبا ومنحدرا وصاعدا تريد انه جئت فى كل حال من هذه الاحوال ولست تريد انك جئته وهذه الاحوال لك فى وقت واحد ومن قدرها على البدل من ما قال انما جاءت الواو ههنا ولم يات او لانه على طريق البدل كانه قال وثلاث بدلا من مثنى ورباع بدلا من ثلاث ولو جاء باو لكان لا يجوز لصاحب المثنى ثلاث ولا لصاحب الثلث رباع وقوله نحلة نصب على المصدر وقوله نفسا منصوب على التمييز كما يقال ضقت بهذا الامر ذرعا وقرت به عينا والمعنى ضاق به ذرعى وقرت به عينى ولذلك وحد النفس لما كانت مفسرة والنفس المراد به الجنس يقع على الواحد والجمع كقول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب ولم يقل جلودها ولو قال فان طبن لكم انفسا لجاز وقوله بالاخسرين اعمالا انما جمع لئلا يوهم انه عمل يضاف الى الجميع كما يضاف القتل الى جماعة اذا رضوا به ومن فى قوله عن شىء منه للتبيين للجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المهر كله لجاز بلا خلاف وهنيئا مريئا نصب على الحال النزول والنظم اختلف فى سبب نزوله وكيفية نظم محصوله واتصال فصوله على اقوال احدها انها نزلت فى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون صداق مثلها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال مهر امثالهن وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء الى اربع عن عائشة وروى ذلك فى تفسير اصحابنا وقالوا انها متصلة بقوله ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن فان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا الاية وبه قال الحسن والجبائى والمبرد وثانيها انها نزلت فى الرجل منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر ويقول ما يمنعنى ان اتزوج كما تزوج فلان فاذا فنى ماله مال على مال اليتيم الذى فى حجره فانفقه فنهاهم الله عن ان يتجاوزوا الاربع لئلا يحتاجوا الى اخذ مال اليتيم وان خافوا ذلك مع الاربع ايضا اقتصروا على واحدة عن ابن عباس وعكرمة وثالثها انهم كانوا يشددون فى اموال اليتامى ولا يشددون فى النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال سبحانه كما تخافون ان لا تعدلوا فى اليتامى فخافوا فى النساء فانكحوا واحدة الى اربع عن سعيد بن جبير والسدى وقتادة والربيع والضحاك واحدى الروايات عن ابن عباس ورابعها انهم كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى واكل اموالهم ايمانا وتصديقا فقال سبحانه ان تحرجتم من ذلك فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا النكاح المباح من واحدة الى اربع عن مجاهد وخامسها ما قاله الحسن ان خفتم الا تقسطوا فى اليتيمة المرباة فى حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما احل لكم من يتامى قراباتكم مثنى وثلاث ورباع وبه قال الجبائى وقال الخطاب متوجه الى ولى اليتيمة اذا اراد ان يتزوجها وسادسها ما قاله الفراء ان كنتم تتحرجون من مواكلة اليتامى فتحرجوا من الجمع بين النساء وان لا تعدلوا بينهن ولا تتزوجوا منهن الا من تامنون معه الجور قال القاضى ابو عاصم القول الاول اولى واقرب الى نظم الاية ولفظها المعنى فان خفتم الا تقسطوا اى بان لا تنصفوا ولا تعدلوا يا معشر اولياء اليتامى فى اليتامى وذكرنا معناه و الاختلاف فيه فى النزول فانكحوا ما طاب لكم اى ما حل لكم ولم يقل ما طاب لكم لان معناه فانكحوا الطيب من النساء والحلال منهن اى من اللاتى تحل نكاحهن دون المحرمات التى ذكرت فى قوله حرمت عليكم امهاتكم الاية ويكون تقديره على القول الاول ان خفتم ان لا تعدلوا فى نكاح اليتامى ان نكحتموهن فانكحوا البوالغ من النساء وذلك انه ان وقع حيف فى حق البوالغ امكن طلب التخلص منه بتطييب نفوسهن والتماس تحليلهن لانهن من اهل التحليل واسقاط الحقوق بخلاف اليتامى فانه ان وقع حيف فى حقهن لم يمكن التخلص منه لانهن لسن من اهل التحليل ولا من اهل اسقاط الحقوق وقوله مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلثا ثلثا واربعا اربعا فلا يقال ان هذا يؤدى الى جواز نكاح التسع فان اثنين وثلثة واربعة تسعة لما ذكرناه فان من قال دخل القوم البلد مثنى وثلاث ورباع لا يقتضى اجتماع الاعداد فى الدخول ولان لهذا العدد لفظا موضوعا وهو تسع فالعدول عنه الى مثنى وثلاث ورباع نوع من العى جل كلامه سبحانه عن ذلك وتقدس وقال الصادق عليه السلام لا يحل لماء الرجل ان يجرى فى اكثر من اربعة ارحام من الحرائر فان خفتم الا تعدلوا بين الاربع او الثلث فى القسم

نكذلك

والنفقة وساير وجوه التسوية فواحدة اي فتزوجوا واحدة او ماملكت ايمانكم اي فاقتصروا على الاماء حتى لا تحتاجوا الى القسم بينهن لانه لاحق لهن في القسم ذلك اشارة الى العقد على الواحدة مع الخوف من الجور فيما زاد عليها ادنى ان لا تعولوا اي اقرب ان لا تميلوا وتجوروا عن ابن عباس والحسن وقتادة ومن قال معناه ادنى ان لا يكثر عيالكم فانه مع ضعفه في اللغة ففي الاية ما يبطله وهو قوله او ماملكت ايمانكم ومعلوم ان ما يحتاج اليه من النفقة عند كثرة الحراير من النساء مثل ما يحتاج اليه عند كثرة الاماء وقيل كان الرجل قبل نزول هذه الاية يتزوج بما شاء من النساء وقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال معناه واعطوا النساء مهورهن عطية من الله سبحانه وذلك ان الله جعل الاستمتاع مشتركا بين الزوجين ثم اوجب لها بازاء الاستمتاع مهرا على زوجها فذلك عطية من الله للنساء وقيل اراد نحلة فريضة مسماة عن قتادة وابن جريج وقيل اراد بالنحلة الدين كما يقال فلان ينحل كذا اي يدين به ذكره الزجاج وابن خالويه واختلف فيمن خوطب بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فقيل هم الازواج امرهم الله اعطاء المهر المدخول بها كملا ولغير المدخول بها على النصف على ما مر شرحه من غير مطالبة منهن ولا مواخذة ولا مخاصمة لان ما يوخذ بالمحاكمة لا يقال له نحلة وهو قول ابن عباس وقتادة وابن جريج واختاره الطبري والجبائي والرماني والزجاج وقيل هم الاولياء لانهم كان اذا زوج ايمته اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك عن ابي صالح وهو المروي عن الباقر رواه ابو الجارود عنه والاول اشبه بالظاهر فان طبن لكم عن شيء منه نفسا خطاب للازواج معناه فان طابت نفوسهن بهبة شيء من الصداق منكم اي فكلوا الموهوب لكم هنيئا مريئا فالهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه شيء والمريء المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا توخذي وفي كتاب العياشي مرفوعا الى امير المومنين علي بن ابي طالب عليه السلام انه جاءه رجل فقال يا امير المومنين اني يوجع بطني فقال الك زوجة قال نعم قال استوهب منها شيئا طيبة به نفسها من مالها ثم اشتر به عسلا ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فاني سمعت الله سبحانه يقول في كتابه وانزلنا من السماء ماء مباركا وقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا فاذا اجتمعت البركة والشفاء والهنيء المريء شفيت ان شاء الله قال ففعل ذلك فشفي وقد استدل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله فانكحوا من حيث ان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وهذا خطأ لانه يجوز العدول عن الظاهر بدليل وقد قام الدليل على ان التزويج غير واجب قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا اية القراءة قرا نافع وابن عامر قيما بغير الف والباقون قياما بالالف الحجة اللغة قال ابو الحسن في قياما ثلث لغات قيام وقيم وقوام وهو الذي يقيمك قال لبيد افتلك ام وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قوامها قال ابو علي ليس قول من قال ان القيم جمع قيمة بشيء انما القيم بمعنى القيام وهو مصدر يدل عليه قوله دينا قيما فالقيمة التي هي معادلة الشيء ومقاومته لا مذهب له ههنا انما المعنى دينا دايما ثابتا لا ينسخ كما نسخت الشرايع التي قبله فيكون مصدرا وصف الدين به ولا وجه للجمع هنا ولا للصفة لقلة مجيء هذا البناء في الصفة الا ترى انه انما جاء في قولهم قوم عدى ومكان سوى وفعل في المصادر كالشبع والرضا ونحوهما اوسع من الوصف فاذا كان كذلك حمل على الاكثر المعنى لما امر الله سبحانه فيما تقدم بدفع مال الايتام اليهم عقبه بذكر من لا يجوز الدفع اليه منهم فقال ولا تؤتوا السفهاء اي لا تعطوا السفهاء اموالكم اختلف في المعنى بالسفهاء على اقوال احدها انهم النساء والصبيان عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وابي مالك وقتادة ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام قال ابن عباس اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة للمال وعلم ان ولده سفيه يفسد المال لم ينبغ له ان يسلطهما على ماله وثانيها ان المراد به النساء خاصة عن مجاهد وابن عمر وروي عن انس بن مالك قال جاءت امراة سوداء جرية المنطق ذات ملح الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت بابي انت وامي يا رسول الله قل فينا خيرا مرة واحدة فانه بلغني انك تقول فينا كل شر قال اي شيء قلت قالت سميتنا السفهاء قال الله سماكن السفهاء في كتابه قالت وسميتنا النواقص فقال وكفى نقصا ان تدعن من كل شهر خمسة ايام لا تصلين فيها ثم قال اما يكفي احداكن انها اذا حملت كان لها كالمرابط في سبيل الله فاذا وضعت كان لها بكل جرعة كعتق رقبة من ولد اسمعيل فاذا سهرت كان لها بكل سهرة تسهرها كعتق رقبة من

ولد اسمعيل وذلك للمومنات الخاشعات الصابرات اللاتي لا يكفرن العشير قال فقالت السوداء يا له فضلا لولا ما يتبعه من الشرط وثالثها انه عام في كل سفيه من صبي او مجنون او محجور عليه للتبذير وقريب منه ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال ان السفيه شارب الخمر ومن جرى مجراه وهذا القول اولى لعمومه وقوله التي جعل الله لكم قياما اي اموالكم التي جعلها الله قواما لمعاشكم ومعادكم يقيمكم فيقيمون بها قياما وقيل معناه ما تعطي ولدك السفيه من مالك الذي جعله الله قوام معاشك فيفسده عليك وتضطر اليه فيصير ربا عليك ينفق مالك عليك وارزقوهم فيها واكسوهم اختلف في معناه فقيل يريد لا تؤتوهم اموالكم التي تملكونها ولكن ارزقوهم منها ان كانوا ممن يلزمكم نفقتهم واكسوهم الاية عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل يريد لا تعط امراتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون عليك واطعمهم من مالك واكسهم عن السدي وابن زيد وهذا امر باحراز المال وحسن سياسته كقوله سبحانه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ويلتفت اليه قول النبي صلى الله عليه وآله نعم المال الصالح للرجل الصالح وقيل عنى بقوله اموالكم اموالهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم اي ولا تؤتوا اليتامى اموالهم وارزقوهم منها واكسوهم عن سعيد بن جبير والاولى حمل الاية على العموم فلا يجوز ان يعطى المال السفيه الذي يفسده ولا اليتيم الذي لم يبلغ ولا الذي بلغ ولم يونس منه الرشد وانما يكون اضافة مال اليتيم الى من له القيام بامره ضربا من المجاز او يكون التقدير لا تؤتوا السفهاء اموالكم التي بعضها لكم وبعضها لهم فيضيعوها وقد روي انه سئل الصادق عليه السلام عن هذا فقيل كيف يكون اموالهم اموالنا فقال اذا كنت انت الوارث له وقولوا لهم قولا معروفا ما ينبههم على الرشد والصلاح في امر المعاش والمعاد حتى اذا بلغوا كانوا على بصيرة من ذلك وفي هذه الاية دلالة على جواز الحجر على اليتيم اذا بلغ ولم يونس منه الرشد لان الله تعالى منع من دفع المال الى السفهاء وفيها ايضا دلالة على وجوب الوصية اذا كانت الورثة سفهاء لان ترك الوصية والحال هذه بمنزلة اعطاء المال لاهل السفه وانما سمي الناقص العقل سفيها لان السفه خفة الحلم ولذلك سمي الفاسق ايضا سفيها لانه لا وزن له عند اهل الدين قوله عز وجل وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا اية اللغة الايناس الابصار من قوله آنس من جانب الطور نارا اخذ من انسان العين وهو حدقتها التي يبصر بها وانست به انسا الفته وفي قراءة عبد الله فان احستم اي احسستم بمعنى وجدتم فحذف احدى السينين نحو قوله فظلتم تفكهون واصل الاسراف تجاوز حد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك في الافراط وربما كان ذلك في التقصير غير انه اذا كان في الافراط يقال منه اسرف يسرف اسرافا واذا كان في التقصير يقال سرف يسرف سرفا ويقال مررت بكم فسرفتكم يراد به سهوت عنكم واخطاتكم قال الشاعر اعطوا هنيدة تحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف يريد انهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطئونها والبدار المبادرة واصل ذلك الامتلاء ومنه البدر القمر لامتلائه نورا والبدرة لامتلائها بالمال والبيدر لامتلائه بالطعام وعين حدرة بدرة مكتنزة والحسيب الكافي من قولهم احسبني الشيء اذا كفاني والحسيب من الحساب المرتفع النسب وقيل الحسيب بمعنى المحاسب الاعراب قوله اسرافا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله بدارا ومن موضع ان يكبروا نصب بالمبادرة اي لا تاكلوها مسرفين ومبادرين كبرهم وقوله بالمعروف الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وكفى بالله الباء مزيدة والجار والمجرور هنا في موضع رفع بانه فاعل كفى وحسيبا منصوب على الحال او التمييز والتقدير كفى الله في حال الحساب المعنى لما امر الله سبحانه بايتاء الايتام اموالهم ومنع من دفع المال الى السفهاء بين هنا الحد الفاصل بين ما يحل من ذلك للولي وما لا يحل فقال وابتلوا اليتامى في عقولهم وصلاحهم في دينهم واصلاحهم اموالهم وهو قول قتادة والحسن والسدي ومجاهد وابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح معناه حتى يبلغوا الحد الذي يقدرون معه على المواقعة وينزلوا وليس المراد بالبلوغ الاحتلام لان في الناس من لا يحتلم او يتاخر احتلامه وهو قول اكثر المفسرين فمنهم من قال اذا كمل عقله واونس منه الرشد سلم اليه ماله وهو الاولى ومنهم من قال لا يسلم ماله اليه وان كان عاقلا حتى يبلغ خمس عشرة سنة وقال اصحابنا

حد البلوغ استكمال الخمسة عشرة سنة او بلوغ النكاح او الانبات وقوله فان انستم منهم رشدا معناه فان وجدتم منهم رشدا او عرفتموه
رشدا واختلف في معنى قوله رشدا فقيل عقلا ودينا وصلاحا عن قتادة والسدي وقيل صلاحا في الدين واصلاحا للمال عن الحسن وابن عباس
وقيل عقلا عن مجاهد والشعبي قالا لا يدفع الى اليتيم ماله وان اخذ بلحيته وان كان شيخا حتى يونس منه رشد العقل والاولى على
ان المراد به العقل واصلاح المال على ما قاله ابن عباس والحسن وهو المروي عن الباقر عليه السلام للاجماع على ان من يكون كذلك لا يجوز
عليه الحجر في ماله وان كان فاجرا في دينه فلذلك اذا بلغ وهو بهذه الصفة وجب تسليم ماله اليه وفيه ايضا دلالة على جواز الحجر على
العاقل اذا كان مفسدا لماله من حيث انه اذا جاز ان يمنع المال عند البلوغ اذا كان مفسدا له فكذلك يجوز الحجر عليه اذا كان
مفسدا له بعد البلوغ وهو المشهور في اخبارنا وقوله فادفعوا اليهم اموالهم خطاب لاولياء اليتيم وهو تعليق جواز الدفع بالشرطين
البلوغ وايناس الرشد فلا يجوز الدفع قبلهما ولا تاكلوها اسرافا اي بغير ما اباحه الله لكم وقيل معناه لا تاكلوا من مال اليتيم فوق
ما تحتاجون اليه فان لولي اليتيم ان يتناول من ماله قدر القوت اذا كان محتاجا على وجه الاجرة على عمله في مال اليتيم وقيل ان كل شيء
اكل من مال اليتيم فهو اكل على وجه الاسراف والاول اليق بمذهبنا فقد روى محمد بن مسلم عن احدهما قال سالته عن رجل بيده ماشية
لابن اخ له يتيم في حجره ايخلط امرها بامر ماشيته قال ان كان يليط حياضها ويقوم على هنتها ويرد نادتها فليشرب من البانها غير منهك للحلاب
ولا مضر بالولد وقوله وبدارا ان يكبروا اي ومبادرة كبرهم ومعناه لا تبادروا باكل مالهم كبرهم ورشدهم حذرا ان يبلغوا فيلزمكم
تسليم المال اليهم ومن كان غنيا فليستعفف بماله عن اكل مال اليتيم ولا ياخذ لنفسه منه قليلا ولا كثيرا يقال استعفف عن الشيء وعف
عنه اذا امتنع منه وتركه ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف معناه من كان فقيرا فلياخذ من مال اليتيم قدر الحاجة والكفاية على جهة القرض
ثم يرد عليه ما اخذ اذا وجد عن سعيد بن جبير ومجاهد وابي العالية والزهري وعبيدة السلماني وهو مروي عن الباقر عليه السلام
وقيل معناه ياخذ قدر ما يسد به جوعته ويستر عورته لا على جهة القرض عن عطا بن ابي رباح وقتادة وجماعة ولم يوجبوا اجرة المثل
لان اجرة المثل ربما كان اكثر من قدر الحاجة والظاهر في روايات اصحابنا ان له اجرة المثل سواء كان قدر كفايته او لم يكن وسئل ابن عباس
عن ولي يتيم له ابل هل له ان يصيب من البانها فقال ان كنت تلوط حوضها وتهنا جربها اصبت من رسلها غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب
والرسل اللبن والنهك المبالغة في الحلب فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا ايضا خطاب لاولياء اليتيم اي اذا دفعتم الى
اليتامى اموالهم بعد البلوغ فاحتاطوا لانفسكم بالاشهاد عليهم كيلا يقع منهم جحود وتكونوا ابعد من التهمة فانظر الى حسن نظر الله تعالى
لليتامى وللاوصياء وكمال لطفه بهم ورحمته لهم وانعامه عليهم وكذلك نظره ولطفه لجميع عباده في امور معاشهم ومعادهم وكفى بالله
حسيبا اي شاهدا على دفع المال اليهم وكفى بعلمه وثيقة وقيل محاسبا فاحذروا محاسبته في الآخرة كما تحذرون محاسبة اليتيم بعد البلوغ
قوله عز وجل للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه
او كثر نصيبا مفروضا آية اللغة الفرق بين الفرض والوجوب ان الفرض يقتضي فارضا فرضه وليس كذلك الوجوب لانه قد يجب الشيء
من نفسه من غير ايجاب موجب ولذلك صح وجوب الثواب والعوض عليه سبحانه ولم يجز ان يقال لذلك فرض ومفروض واصل الفرض
الثبوت فالفرض الحز في سية القوس حيث يثبت الوتر والفرض ما اثبته على نفسك من هبة او صلة والفرض ما اعطيت من غير قرض
لثبوت تمليكه واصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحائط وجبا اذا وقع وسمعت وجبة اي وقعة كالهدة ووجب الحق وجوبا اذا وقع سببه
ووجب القلب وجيبا اذا خفق من فزع ووقعة الاعراب نصيبا مفروضا نصب على الحال لان المعنى فرض للرجال نصيب ثم قال نصيبا
مفروضا حالا مؤكدا وقيل هو اسم في موضع المصدر كقولك قسما واجبا وفرضا لازما ولو كان اسما ليس فيه معنى المصدر لم يجز كقولك
عندي حق درهما ونحو ذلك عندي درهم هبة مقبوضة النزول قيل كانت العرب في الجاهلية يورثون الذكور دون الاناث
فنزلت الآية ردا لقولهم عن قتادة وابن جريج وابن زيد وقيل كانوا لا يورثون الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحريم والمال فقال
سبحانه مبينا حكم اموال الناس بعد موتهم بعد ان بين حكمها في حال حياتهم المعنى للرجال نصيب اي حظ وسهم مما ترك الوالدان
والاقربون اي من تركة الوالدين والاقربين وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون اي وللنساء من قرابة الميت حصة وسهم من

اي من كان غنيا من الاولياء فليستعفف

القرض الحز في القوس موقع الوتر

تركته مما قل منه او كثر اي من قليل التركة وكثيرها نصيبا مفروضا اي حظا فرض الله تسليمه الى مستوجبيه ومستحقيه لا محالة وهذه الآية تدل
على بطلان القول بالعصبة لان الله تعالى فرض الميراث للرجال وللنساء فلو جاز منع النساء من الميراث ويدل ايضا على ان ذوي
الارحام يرثون لانهم من جملة الرجال والنساء الذين مات عنهم الاقربون على ما ذهبنا اليه وهو مذهب ابي حنيفة ايضا ويدخل في
عموم اللفظ ايضا الانبياء وغير الانبياء يورثون كغيرهم الى ما ذهب اليه الفرقة المحقة قوله عز وجل واذا حضر القسمة اولوا
القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا آية المعنى لما بين سبحانه فيما تقدم واختلف الناس في هذه
الآية على قولين احدهما انها محكمة غير منسوخة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وابرهيم ومجاهد والشعبي والزهري والسدي
وهو مروي عن الباقر عليه السلام واختاره البلخي والجبائي والزجاج واكثر المفسرين والفقهاء والآخر انها منسوخة بآي المواريث عن سعيد بن
المسيب وابي مالك والضحاك واختلف من قال انها محكمة على قولين احدهما ان الامر فيها على الوجوب واللزوم عن مجاهد وقال هو ما طابت
به نفس الورثة وقال الآخرون ان الامر فيها على الندب قوله واذا حضر القسمة معناه اذا شهد قسمة الميراث اولوا القربى اي فقراء
قرابة الميت واليتامى والمساكين اي يتاماهم ومساكينهم يرجون ان تعودوا عليهم فارزقوهم منه اي اعطوهم من التركة قبل القسمة
شيئا واختلف في المخاطبين بقوله فارزقوهم على قولين احدهما ان المخاطب بذلك الورثة امروا بان يرزقوا المذكورين اذا كانوا
لا سهم لهم في الميراث عن ابن عباس وابن الزبير والحسن وسعيد بن جبير واكثر المفسرين والآخر ان المخاطب بذلك من حضرته الوفاة و
اراد الوصية فقد امر بان يوصي لمن لا يرثه من المذكورين بشيء من ماله عن ابن عباس وسعيد بن المسيب واختاره الطبري وقولوا
لهم قولا معروفا اي حسنا غير خشن واختلف فيه ايضا فقال سعيد بن جبير امر الله الولي ان يقول للذي لا يرث من المذكورين قولا معروفا
اذا كانت الورثة صغارا يقول ان هذا لليتامى صغار ولكم فيه حق ولسنا نملك ان نعطيكم منه وقيل المامور بذلك الرجل الذي
يوصي في ماله والقول المعروف ان يدعو لهم بالرزق والغنى وما اشبه ذلك وقيل الآية في الوصية على ان يوصي للقرابة ويقولوا
لغيرهم قولا معروفا عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقد دلت الآية على ان الانسان قد يرزق غيره على معنى التمليك فهي حجة على
المجبرة قوله عز وجل وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا آيتان القراءة قرا ابن عامر وابو بكر عن
عاصم سيصلون بضم الياء والباقون بفتحها الحجة قال ابو علي حجة من فتح الياء قوله تعالى اصلوها فاصبروا وجهنم يصلونها الا من
هو صال الجحيم وحجة من ضم الياء انه من اصلاه الله النار كقوله فسوف نصليه نارا اللغة ضعاف جمع ضعيف وضعيفة والسديد
السليم من خلل الفساد واصله من سد الخلل يقال سددته اسده سدا والسداد الصواب وفيهم سداد من عوز بالكسر وسدده
الله اذا قومه والسد الردم وصلى الرجل النار يصليها صلى وصلاء وصليا اي لزمها واصلاه الله اصلاء وهو صال الى النار
من قوم صلي وصالين ويقال صلى بالامر اذا قاسى حره وشدته قال العجاج وصاليات للصلى صلي وقال الفرزدق وقاتل كلب
الحي عن نار اهله ليربض فيها والصلا متكنف وشاة مصلية اي مشوية والسعير بمعنى مسعورة مثل كف خضيب والسعر اشعال
النار واستعرت النار في الحطب ومنه سعر السوق لاستعارها به في النفاق الاعراب ظلما نصب على المصدر لان معنى قوله
ياكلون اموال اليتامى يظلمونهم ويجوز ان يكون في موضع الحال كقولهم جاء فلان ركضا اي يركض المعنى لما امر سبحانه بالقول
المعروف نهاهم عن خلافه وامر بالاقوال السديدة والافعال الحميدة فقال وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا فيه اقوال
احدها انه كان الرجل اذا حضرته الوفاة قعد عنده اصحاب رسول الله وقالوا انظر لنفسك فان ولدك لا يغنون عنك من
الله شيئا فيقدم جل ماله فقال وليخش الذين لو تركوا من بعدهم اولادا صغارا لخافوا عليهم الفقر وهذا نهي عن الوصية بما يجحف بالورثة
وامر لمن حضر الميت عند الوصية ان يامره بان يبقي لورثته ولا يزيد وصيته على الثلث كما ان هذا القائل لو كان هو الموصي لاحب ان
يحثه من حضره على حفظ ماله لورثته ولا يدعهم عالة اي كما تحبون ورثتكم فاحبوا ورثة غيركم وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير
والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك وثانيها ان الامر في الآية لولي مال اليتيم يامره باداء الامانة فيه والقيام بحفظه كما لو خاف

على غلفيه اذا كانوا ضعافا واحب ان نفعل بهم عن ابن عباس ايضا فيكون معناه من كان في حجره يتيم فليفعل به ما يحب ان يفعل بذريته
من بعده والى هذا المعنى يؤول ما روى عن موسى بن جعفر قال ان الله اوعد في مال اليتيم عقوبتين اما احدهما فعقوبة الدنيا و
قوله وليخش الذين لو تركوا الاية قال يعنى بذلك ليخش ان اخلفه في ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى وثالثها انها وردت في حرمان
ذوى القربى ان يوصى لهم بان يقول الحاضر لا توصى لاقاربك ووفر على ورثتك وقوله خافوا عليهم معناه خافوا من خطاء يلحقهم
او ظلم يصيبهم او غضاضة او ضيعة فليتقوا الله اى فليتق هؤلاء في يتامى غيرهم ان يجفوهم ويظلموهم وليعاملوهم بما يحب ان يعامل به
يتاماه بعد موته وقيل فليتقوا الله في الاضرار بالمومنين وليقولوا قولا سديدا اى مصيبا عدلا موافقا للشرع والحق وقيل انه يريد ولا
لا خلل فيه وقيل معناه فليخاطبوا اليتامى خطابا حسنا وقولا جميلا وفي معنى الاية ما روى عن النبي عليه السلام انه قال من سره ان يزحزح
عن النار ويدخل الجنة فلتاته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويحب ان ياتى الى الناس ما يحب ان يوتى اليه
ونهى رسول الله صلى الله عليه واله ان يوصى باكثر من الثلث وقال فالثلث كثير وقال لسعد لان تدع ورثتك اغنياء احب الى من
ان تدعهم يتكففون الناس ثم اوعد سبحانه اكلى مال اليتيم نار جهنم فقال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اى ينتفعون باموال
اليتامى وياخذونها ظلما بغير حق ولم يرد به قصر الحكم على الاكل الذى هو عبارة عن المضغ والابتلاع وفايدة تخصيص الاكل بالذكر
انه معظم منافع المال المقصودة وذكره الله سبحانه تنبيها على ما في معناه من وجوه الانتفاع وكذلك معنى قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل ولا تاكلوا الربوا وانما علق الوعيد بكونه ظلما لانه قد ياكل الانسان على وجه الاستحقاق بان ياخذ منه اجرة المثل او
ياكل منه بالمعروف او ياخذ قرضا على نفسه على ما تقدم القول في ذلك فلا يكون ظلما فان قيل اذا اخذه قرضا او اجرة المثل
فانما اكل مال نفسه ولم ياكل مال اليتيم قلنا به لا بل يكون اكل مال اليتيم لكن على وجه لا يكون ظلما بان التزم عوضه على نفسه
او استحقه بالعمل ولو سلمنا ذلك لجاز ان يكون انما ذكر كونه ظلما لضرب من التاكيد والبيان لان اكل مال اليتيم لا يكون الا
ظلما وسئل الرضا عليه السلام كم ادنى ما يدخل به اكل مال اليتيم تحت الوعيد في هذه الاية فقال قليله وكثيره واحد اذا كان
من نيته ان لا يرده اليهم وقوله انما ياكلون في بطونهم نارا قيل فيه وجهان احدهما ان النار تلتهب من افواههم واسماعهم وانافهم
يوم القيمة ليعلم اهل الموقف انهم اكلة اموال اليتامى عن السدى وروى عن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله يبعث
ناس من قبورهم يوم القيمة تاجج افواههم نارا فقيل له يا رسول الله من هؤلاء فقرا هذه الاية والاخر انه ذكر ذلك على وجه المثل
من حيث ان من فعل ذلك يعود الى جهنم فيمتلى بالنار اجوافهم عقابا على اكلهم مال اليتيم كما قال الشاعر وان الذى اصبحتم تحلبونه دم
غير ان اللون ليس باحمر انصف اقواما اخذوا الابل في الدية يقول انما تحلبون دم القتيل منها الا الالبان وسيصلون سعيرا اى
سيلزمون النار المسعرة للاحراق وانما ذكر البطون تاكيدا كما يقال نظرت بعينى وقلت بلسانى واخذت بيدى ومشيت برجلى
وروى الحلبى عن الصادق عليه السلام قال في كتاب على بن ابى طالب ان اكل مال اليتيم ظلما سيدركه وبال ذلك في عقبه من بعده و
يلحقه وبال ذلك في الاخرة اما في الدنيا فان الله يقول وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الاية واما في الاخرة فان الله يقول ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما قوله عز وجل يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ
فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا اية القراءة قرا اهل المدينة فان كانت واحدة
بالرفع والباقون بالنصب وقرا ابن عامر وابن كثير وابو بكر عن عاصم يوصى بفتح الصاد في الموضعين وقرا حفص الاولى بكسر الصاد
والثانية بالفتح والباقون بكسرها والكسائى بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون بضم الهمزة في الجميع الحجة الاختيار في واحدة النصب لان
التى قبلها لها خبر منصوب وهو قوله فان كن نساء وان كانت الورثة واحدة ووجه الرفع ان وقعت واحدة او وجدت واحدة
اى ان حدث حكم واحدة لان المراد حكمها لا ذاتها ووجه قراءة حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة ان الهمزة حرف مستثقل بدلالة تخفيفهم

الاجيج لهب النار وقد اجت تاج اجيجا واججتها فتاججت وايتجت النار على افتعلت صح

وَأَبْنَاؤُكُمْ

حمزة والكسائى فلامه دنى امها ونحوه بكسر الهمزة والميم وحمزة بطون امهاتكم وبيوت امهاتكم بكسرهما والكسائى بكسر الهمزة وفتح الميم والباقون بضم الهمزة في الجميع وقرا

لما تبعها ما قبلها من الكسرة والياء ليكون العمل فيهما من وجه واحد ويقوى ذلك انها تقارب الهاء وقد فعلوا ذلك بالهاء
في نحو عليه وبه ومن قرا يوصى فلان ذكر الميت قد تقدم في قوله فان كان له اخوة فلامه السدس ومن قرا يوصى فانما حسنه
انه ليس بميت معين انما هو شايع في الجميع فهو في المعنى يؤول الى يوصى الاعراب للذكر مثل حظ الانثيين جملة من مبتدا وخبر
تفسير لقوله يوصيكم الله انما لم يقل للذكر مثل حظ الانثيين بنصب لام مثل فيتعدى قوله يوصيكم الله لانه في تقدير القول فحكاية
الجملة بعده وكانه قال قال الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وقوله الثلث والسدس والربع ونحوها يجوز فيها
التخفيف لثقل الضمة فيقال ثلث وربع وسدس وثمن قال الزجاج ومن زعم ان الاصل التخفيف فيها فثقل فخطا لان الكلام
موضوع على الايجاز لا على التثقيل وانما قيل للاب والام ابوان تغليبا للفظ الاب ولا يلزم ان يقال في ابن وابنة ابنان لانه
يوهم فان لم يوهم جاز ذلك ذكره الزجاج وفريضة منصوب على التوكيد والحال من قوله لابويه ولهؤلاء الورثة ما ذكرنا
مفروضا ففريضة مؤكدة لقوله يوصيكم الله ويجوز ان يكون نصبا على المصدر من يوصيكم الله لان معناه يفرض عليكم فريضة
النزول روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انه قال مرضت فعادنى رسول الله صلى الله عليه واله وابو بكر وهما
يمشيان فاغمى على فدعا بماء فتوضا ثم صبه على فافقت فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالى فسكت رسول الله صلى الله
عليه واله فنزلت في اية المواريث وقيل نزلت في عبد الرحمن اخى حسان الشاعر وذلك انه مات وترك امراة وخمس اخوات فجاءت
الورثة فاخذوا ماله ولم يعطوا امراته شيئا فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه واله فانزل الله تعالى اية المواريث عن
السدى وقيل كانت المواريث للاولاد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله ذلك وانزل اية المواريث فقال رسول
الله صلى الله عليه واله ان الله تعالى لم يرض بملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسم التركات واعطى كل ذى حق حقه عن
ابن عباس المعنى ثم بين سبحانه ما اجمله فيما قبل من قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان الاية بما فصله في هذه الاية فقال
يوصيكم الله اى يامركم ويفرض عليكم لان الوصية منه سبحانه امر وفرض يدل على ذلك قوله ولا تقتلوا النفس التى حرم الله
الا بالحق ذلكم وصاكم به وهذا من الفرض المحكم علينا في اولادكم اى في ميراث اولادكم او في توريث اولادكم وقيل في امور اولادكم
اذا متم ثم بين ما اوصى به فقال للذكر مثل حظ الانثيين اى للابن من الميراث مثل نصيب البنتين ثم ذكر نصيب الاناث من الاولاد
فقال فان كن نساء فوق اثنتين اى فان كانت المتروكات او الاولاد نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك من الميراث ظاهر
الكلام يقتضى ان البنتين لا يستحقان الثلثين لكن الامة اجمعت على ان حكم البنتين حكم من زاد عليهما من البنات وذكر في الظاهر
وجوه احدها ان في الاية بيان حكم البنتين فما فوقهما لان معناه فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن ثلثا ما ترك الا انه قدم ذكر
الفوق على الاثنتين كما روى عن النبى عليه السلام انه قال لا تسافر المراة سفرا فوق ثلثة ايام الا ومعها زوجها او ذو محرم لها
ومعناه لا تسافر سفر ثلثة ايام فما فوقها وثانيها ما قاله ابو العباس المبرد في ان في الاية دليلا على ان للبنتين الثلثين لانه اذا قال
للذكر مثل حظ الانثيين وكان اول العدد ذكرا وانثى وللذكر الثلثان وللانثى الثلث علم من ذلك ان للبنتين الثلثين ثم اعلم
الله بان ما فوق البنتين لهن الثلثان وثالثها ان البنتين اعطيتا الثلثين بدليل لا بفرض لهما مسمى والدليل قوله سبحانه يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك فقد صار للاخت النصف كما ان للبنت النصف
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فاعطيت الابنتان الثلثين كما اعطيت الاختان الثلثين فاعطيت جملة الاخوات الثلثين كما اعطيت
البنات الثلثين ويدل عليه ايضا الاجماع على ان حكم البنتين حكم البنات في استحقاق الثلثين الا ما روى عن ابن عباس
وحكى النظام في كتاب النكت عن ابن عباس انه قال للبنتين نصف وقيراط
ان للبنتين النصف وان الثلثين فرض الثلث من البنات
لان للواحدة النصف وللثلاث الثلثين فينبغى ان يكون للبنتين ما بينهما وان كانت واحدة اى ان كانت المولودة او المتروكة
واحدة فلها النصف اى نصف ما ترك الميت ثم ذكر ميراث الوالدين فقال ولابويه يعنى بالابوين الاب والام والهاء التى اضيف اليه
الابوان كناية عن غير مذكور تقديره ولابوى الميت لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فللاب السدس مع الولد وكذلك

بيان احكام المواريث

الام لها السدس ذكرا كان او انثى واحدا كان او اكثر ثم ان كان الولد ذكرا كان الباقى له وان كانوا ذكورا كان الباقى لهم بالسوية
وان كانوا ذكورا واناثا فللذكر مثل حظ الانثيين وان كانت بنتا فلها النصف بالتسمية ولاحد الابوين السدس ولهما السدسان
والباقى عند ائمتنا عليهم السلم يرد على البنت وعلى احد الابوين او عليهما على قدر سهامهم بدلالة قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض فى كتاب الله وقد ثبت ان قرابة الوالدين وقرابة الولد متساوية لان الولد يتقرب الى الميت بنفسه كما ان الوالدين يتقربان
اليه بانفسهما وولد الولد يقوم مقام الولد للصلب مع الوالدين كل منهم يقوم مقام من يتقرب به وفى بعض هذه المسائل خلاف
بين الفقهاء فان لم يكن له يعنى للميت ولد اى ابن ولا بنت ولا اولادهما لان اسم الولد يعم الجميع وورثه ابواه فلامه الثلث فظاهر
هذا يدل على ان الباقى للاب وفيه اجماع فان كان فى الفريضة زوج فان له النصف وللام الثلث والباقى للاب وهو مذهب
ابن عباس وائمتنا عليهم السلم ومن قال فى هذه المسئلة ان للام ثلث ما يبقى فقد ترك الظاهر وكذلك ان كان بدل الزوج
زوجة فلها الربع وللام الثلث والباقى للاب وقوله وان كان له اخوة فلامه السدس قال اصحابنا انما يكون لها السدس اذا
كان هناك اب ويدل عليه ما تقدمه من قوله وورثه ابواه فان هذه الجملة معطوفة على قوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه
فلامه الثلث وتقديره فان كان له اخوة وورثه ابواه فلامه السدس وقال بعض اصحابنا ان لها السدس مع وجود الاخوة وان لم
يكن هناك اب وبه قال جميع الفقهاء واتفقوا على ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وقد روى عن ابن عباس انه قال لا يحجب الام
من الثلث الى السدس باقل من ثلثة من الاخوة والاخوات كما تقتضيه ظاهر الاية واصحابنا يقولون لا يحجب الام عن الثلث الى السدس الا باخوين
او اخ واختين او اربع اخوات من قبل الاب والام او من قبل الاب خاصة دون الام وفى ذلك خلاف بين الفقهاء قالوا والعرب
تسمى الاثنين بلفظ الجمع فى كثير من كلامهم حكى سيبويه انهم يقولون وضعا رحالهما يريدون رحلى راحلتيهما وقال سبحانه وكنا لحكمهم
شاهدين يعنى حكم داود وسليمان وقال قتادة انما تحجب الاخوة الام مع انهم لا يرثون من المال شيئا معونة للاب لان الاب يقوم
بنفقتهم ونكاحهم دون الام وهذا يدل على انه ذهب الى ان الاخوة للام لا يحجبون على ما ذهب اليه اصحابنا لان الاب لا يلزمه
نفقتهم بالاخلاف من بعد وصية يوصى بها او دين اى يقسم التركة على ما ذكرنا بعد قضاء الديون وانفاذ الوصية ولا خلاف فى
ان الدين مقدم على الوصية والميراث وان احاط بالمال فاما الوصية فقد قيل انها مقدمة على الميراث وقيل بل الموصى له شريك
الوارث له الثلث ولهم الثلثان وقد روى عن امير المومنين عليه السلم انه قال انكم تقراؤن فى هذه الاية الوصية قبل الدين و
ان رسول الله صلى الله عليه واله قضى بالدين قبل الوصية والوجه فى تقديم الدين على الوصية فى الاية ان لفظة او انما هى لاحد
الشيئين او الاشياء ولا يوجب الترتيب فكانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر وهذا كقولهم جالس الحسن او ابن
سيرين اى جالس احدهما مفردا او مضموما الى الاخر اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ذكر فيه وجوه احدها ان معناه
لا تدرون اى هؤلاء انفع لكم فى الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق لكن الله سبحانه قد فرض الفرايض على ما هو عنده حكمة عن مجاهد
وثانيها ان معناه لا تدرون بايهم اسعد فى الدين والدنيا والله يعلمه فاقتسموا على ما بينه من يعلم المصلحة فيه عن الحسن وثالثها ان
معناه لا تدرون ان نفعكم بتربية ابائكم لكم اكثر ام نفع ابائكم بخدمتكم اياه وانفاقكم عليه عند كبره اكثر عن الجبائى ورابعها ان
المعنى اطوعكم لله عز وجل من الاباء والابناء وارفعكم درجة يوم القيمة لان الله تعالى يشفع المومنين بعضهم فى بعض فان كان الوالد
ارفع درجة فى الجنة من ولده رفع الله اليه ولده فى درجته لتقر بذلك عينه وان كان الولد ارفع درجة من والديه رفع الله
والديه الى درجته لتقر بذلك اعينهم عن ابن عباس وخامسها ان المراد لا تدرون اى الوارثين والموروثين اسرع موتا فيرثه
صاحبه فلا تتمنوا موت الموروث ولا تستعجلوه عن ابى مسلم فريضة من الله اى فرض الله ذلك فريضة او كما ذكرناه فى الاعراب
ان الله كان عليما حكيما اى لم يزل عليما بما الحكم حكيما فيما يحكم به عليكم من هذه الاموال وغيرها قال الزجاج فى كان هنا ثلثة اقوال
قال سيبويه كان القوم شاهدوا علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله تعالى كان كذلك اى لم يزل الله على ما شاهدتم وقال
الحسن كان عليما بالاشياء قبل خلقها حكيما فيما يقدر تدبيره منها وقال بعضهم الخبر عن الله فى هذه الاشيا بالمضى كالخبر بالاستقبال والحال

لان

قوله بضة المتجرد البيت مجموعه هكذا روى رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بجس الندامى بضة المتجرد وقد ندامى بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومجسد الندامى الذين يتواصلون
على الشراب وقال ابو عبيدة قد يقع ندامى للذين يتواصلون وان كانوا على غير شراب ... والقينة المغنية وانما
قيل الماقينة لانها تعمل بيدها مع غنائها والعرب تقول لكل من يصنع بيديه قين ... المصبوغ الذى قد يبس عليه الصباغ ... وقيل المجسد المصبوغ
بالزعفران خاصة ... قوله رحيب قطاب الجيب ... بالاضافة والرحيب الواسع
والبضة البيضاء الرخصة قوله قطاب الجيب ... وهو على وزن كتاب مجمع الجيب
... المس وهو قول ابى عبيدة ... القطع ومنه قطاب الجيب

لان الاشياء عند الله فى حال واحدة ما مضى وما يكون وما هو كاين قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم
يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم
ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث
كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد
وصية يوصى بها او دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم اية القراءة روى فى الشواذ قراءة الحسن يورث كلالة
بكسر الراء وقراءة عيسى بن عمر الثقفى يورث وقرا الحسن ايضا غير مضار وصية مضاف الحجة كلاهما منقول من ورث فهذا من اورث و
ذاك من ورث وفى كلتى القراءتين المفعولان محذوفان فكانه قال يورث وارثه ماله وقد جاء حذف المفعولين جميعا قال الكميت
باى كتاب ام باية سنة ترى حبهم عارا على وتحسب فلم يعد تحسب واما قوله غير مضار وصية فيعنى به غير مضار من جهة الوصية او عند
الوصية كقوله طرفة بضة المتجرد اى بضة عند تجردها وهذا كما يقال شجاع حرب وكريم مسئلة اى شجاع عند الحرب وكريم عند المسئلة
اللغة اصل الكلالة الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالراس ومنه الكل لاحاطته بالعدد فالكلالة تحيط باصل النسب الذى
هو الولد والوالد وقال ابو مسلم اصلها من كل اى اعيا وكان الكلالة تناول الميراث من بعد على كلال واعياء وقال الحسين
بن على المغربى اصله عندى ما تركه الانسان وراء ظهره اى ولا خلف ظهره قال والعرب تخبر بهذا الاسم عن جملة النسب والوراثة قال
عامر بن الطفيل وانى وان كنت ابن فارس عامر وفى السر منها والصريح المهذب فما سودتنى عامر عن كلالة ابى الله ان اسمو باما و لا
اب ويروى عن وراثة وقال زياد بن زيد العذرى ولم ارث المجد التليد كلالة ولم يان منى فترة لعقيب ويقال رجل كلالة و
قوم كلالة وامراة كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر الاعراب نصب كلالة على انه مصدر وضع موضع الحال ويكون كان التامة و
يورث صفة رجل وتقديره ان وجد رجل موروث متكلل النسب والعامل فى الحال يورث وذو الحال الضمير فى يورث ويجوز ان ينتصب كلالة
على انه خبر كان على ان يكون كان ناقصة قال الزجاج من قرا يورث بكسر الراء فكلالة مفعول ومن قرا يورث فكلالة منصوب على
الحال غير مضار منصوب على الحال وصية نصب على المصدر اى يوصيكم الله بذلك وصية المعنى ثم خاطب الله سبحانه الازواج فقال
ولكم ايها الازواج نصف ما ترك ازواجكم اى زوجاتكم ان لم يكن لهن ولد لا ذكر ولا انثى ولا ولد ولد فان كان لهن ولد فلكم
الربع مما تركن اى من ميراثهن من بعد وصية يوصين بها او دين قدم تفسيره ولهن اى لزوجاتكم الربع مما تركتم من الميراث ان
لم يكن لكم ولد واحدة كانت الزوجة او اثنتين او ثلثا او اربعا لم يكن لهن اكثر من ذلك فان كان لكم ولد ذكرا او انثى او ولد
ولد فلهن الثمن مما تركتم من الميراث واحدة كانت الزوجة او اكثر من ذلك من بعد وصية توصون بها ايها الازواج او دين قد
مر بيانه مضى بيان ميراث الازواج ثم ذكر ميراث ولد الام فقال وان كان رجل يورث كلالة اختلف فى معنى الكلالة فقال جماعة
من الصحابة والتابعين منهم ابو بكر وعمر وابن عباس فى احدى الروايتين عنه وقتادة والزهرى وابن زيد وهو من عدا الوالد
والولد وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس انه من عدا الوالد وقال الضحاك والسدى انه اسم للميت الذى يورث عنه والمروى عن
ائمتنا عليهم السلم ان الكلالة الاخوة والاخوات والمذكور فى هذه الاية من كان من قبل الام منهم والمذكور فى اخر السورة من كان
منهم من قبل الاب والام او من قبل الاب او امراة هو عطف على قوله وان كان رجل معناه وان كان رجل او امراة يورث ماله
كلالة يورث مالها على قول من قال ان الميت نفسه تسمى كلالة ومن قال انه الحى الوارث فتقديره وان كان رجل يورث فى حال تكلل
نسبه به او امراة يورث كذلك وهو قول ابن عمر واهل الكوفة ويؤيده ما روى عن جابر انه قال اتانى رسول الله صلى الله عليه
واله وانا مريض فقلت وكيف الميراث وانما يرثنى كلالة فنزلت اية الفرايض فالكلالة فى النسب من احاط بالميت وتكلله من الاخوة
والاخوات والولد والوالد ليسا بكلالة لانهما اصلا النسب الذى ينتهى الى الميت ومن سواهما خارج عنهما وانما اشتمل عليهما بالانتساب
من غير جهة الولادة فعلى هذا تكون الكلالة كالاكليل تشتمل الراس وتحيط به وليس من اصله فان الوالد والولد طرفان للرجل فاذا
مات الرجل ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمى ذهاب طرفيه كلالة وقوله وله اخ او اخت يعنى الاخ والاخت من الام فلكل

واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث جعل الذكر والانثى ههنا سواء ولا خلاف بين الامة ان الاخوة والاخوات
من قبل الام متساوون فى الميراث من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار منع الله تعالى من الضرار فى الوصية اى غير موص
وصية تضر بالورثة وقيل اراد غير مضار فى الميراث كره سبحانه الضرار فى الحيوة وبعد الممات عن قتادة وتقدير لا ضرار بعض الورثة بعضا وقيل
هو ان يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرار الورثة فالضرار فى الوصية راجع الى الميراث وهو ان يقر فى وصيته بماله او بعضه لاجنبى
او يقر بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن وارثه او يقر باستيفاء دين له فى مرضه واستيفاء ثمنه لئلا يصل الى وارثه وجاء فى الحديث
ان الضرار فى الوصية من الكباير والله عليم بمصالح عباده حكيم بما توجب الحكمة فى قسمة الميراث والوصايا وغيرها حليم لا يعاجل العصاة
بالعقوبة ويمن عليهم بالانظار والامهال وفى هاتين الايتين دلالة على تقدير سهام اصحاب فرايض المواريث ونحن نذكر من ذلك جملة
موجزة متفق لها عن اهل البيت عليهم السلم دون غيرهم فان الاختلاف فى مسايل المواريث بين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب فمن اراده
وجده فى مظانه اعلم ان الارث يستحق بامرين نسب وسبب فالسبب الزوجية والولاء فالميراث بالزوجية يثبت مع كل نسب والميراث
بالولاء لا يثبت الا مع فقد كل نسب واما النسب فعلى ضربين احدهما ابوا الميت ومن يتقرب بهما والاخر ولده وولد ولده وان سفل و
المانع من الارث بعد وجود سبب وجوبه ثلثة الكفر والرق وقتل الوارث من كان يرثه لولا القتل ولا يمنع الابوين والولد والزوج
والزوجات من اصل الارث مانع ثم هم على ثلثة اضرب الاول الولد يمنع من يتقرب به ومن يجرى مجراه من ولد اخوته واخواته عن اصل
الارث ويمنع من يتقرب بالابوين ويمنع الابوين عما زاد على السدسين الا على سبيل الرد مع البنت او البنات والابوان يمنعان من يتقرب بهما
او باحدهما ولا يتعدى منعهما الى غير ذلك والزوج والزوجة لاحظ لهما فى المنع وولد الولد وان سفل يقوم مقام الولد الادنى عند
فقده فى الارث والمنع ويترتبون الاقرب فالاقرب وهذا سبيل ولد الاخوة والاخوات وان سفلوا عند فقد الاخوة والاخوات مع الاجداد
والجدات ثم ان الميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض والقرابة فالفرض ما سماه الله تعالى ولا يجتمع فى ذلك الا من كانت قرابته متساوية
الى الميت مثل البنت مع الابوين او احدهما لان كل واحد منهم يتقرب الى الميت بنفسه فمتى انفرد احدهم بالميراث اخذ المال كله بعضه بالفرض
والباقى بالقرابة وعند الاجتماع ياخذ كل منهم ما سمى له والباقى يرد عليهم على قدر سهامهم فان نقصت التركة عن سهامهم لمزاحمة الزوج
او الزوجة لهم كان النقص داخلا على البنت او البنتين او البنات دون الابوين او احدهما ودون الزوج والزوجة ويصح اجتماع الكلالتين
مع التساوى قرابتهما واذا فضلت التركة عن سهامهم رد الفاضل على كلالة الاب والام او الاب دون كلالة الام وكذلك اذا نقصت
عن سهامهم لمزاحمة الزوج او الزوجة لهم كان النقص داخلا عليهم دون كلالة الام فان كلالة الام والزوج والزوجة لا يدخل
عليهم النقصان على حال فعلى هذا اذا اجتمع كلالة الاب مع كلالة الام كان لكلالة الام اذا كانت واحدا السدس وللاثنين
فصاعدا الثلث لا ينقصون منه والباقى لكلالة الاب ولا يرث كلالة الاب مع كلالة الاب والام ذكورا كانوا او اناثا فاما من
يرث بالقرابة دون الفرض فاقواهم الولد للصلب ثم ولد الولد يقوم مقام الولد وياخذ نصيب من يتقرب به ذكرا كان او
انثى والبطن الاول يمنع من نزل عنه بدرجة ثم الاب ياخذ جميع المال اذا انفرد ثم من يتقرب به اما ولده او والداه ومن يتقرب بهما من
عم وعمة فالجدات للاب مع الاخ الذى هو ولده فى درجة وكذلك الجدة مع الاخت فهم يقاسمون المال للذكر مثل حظ الانثيين و
من له سببان يمنع من له سبب واحد وولد الاخوة والاخوات يقومون مقام ابائهم وامهاتهم فى مقاسمة الجد والجدة كما يقوم ولد
الولد مقام الولد للصلب مع الاب وكذلك الجد والجدة وان علوا يقاسمان الاخوة والاخوات واولادهم وان نزلوا على حد واحد
واما من يرث بالقرابة ممن يتقرب بالام فهم الجد والجدة من قبلها او من يتقرب بهما من الخال والخالة فان اولاد الام يرثون بالفرض
دون القرابة فالجد والجدة من قبلها يقاسمان الاخوة والاخوات من قبلها ومتى اجتمع قرابة الام مع استوائهم فى الدرج كان لقرابة الام
الثلث بينهم بالسوية والباقى لقرابة الاب للذكر مثل حظ الانثيين ومن له سببان متى بعد احدى القرابتين بدرجة سقط مع التى هى اقرب
سواء كان الاقرب من قبل الاب او من قبل الام الا فى مسئلة واحدة وهى ابن عم لاب وام مع عم لاب فالمال لابن العم هذه اصول
مسايل الفرايض ولتفريعها شرح طويل دونه المشايخ فى كتب الفقه قوله عز وجل تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله

يدخله

او يبيع ماله فى مرضه م

او البنات م

الاب مع قرابة الام م

يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله
نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ايتان القراءة قرا نافع وابن عامر ندخله بالنون فى الموضعين والباقون بالياء فمن قراه بالياء
فلان ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبة ومن قراه بالنون عدل عن لفظ الغيبة الى الاخبار عن الله سبحانه بنون الكبرياء ويقوى
ذلك بل الله مولاكم ثم قال سنلقى اللغة الحد الحاجز بين الشيئين واصله المنع والفصل وحدود الدار تفصلها من غيرها والفوز و
الفلاح والنجاح نظاير الاعراب خالدين فيها نصب على الحال قال الزجاج والتقدير يدخلهم مقدرين الخلود فيها والحال يستقبل بها تقول
مررت برجل معه باز صايدا به غدا اى مقدرا الصيد به غدا وقوله خالدا فيها منصوب على احد وجهين احدهما الحال من الهاء فى
ندخله نارا والتقدير على ما ذكرنا والاخر ان يكون صفة لقوله نارا وهذا كما يقال زيد مررت بدار ساكن فيها فيكون على حذف الضمير
من ساكن هو فيها لان اسم الفاعل اذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل لو قلت يسكن فيها وجب ابرازه فتقول زيد
مررت بدار ساكن هو فيها المعنى لما فرض سبحانه فرايض المواريث عقبها بذكر الوعد فى الايتمار لها والوعيد على التعدى لحدودها فقال تلك
حدود الله اى هذه التى بينت فى امر الفرايض وامر اليتامى حدود الله اى الامكنة التى لا ينبغى ان يتجاوز عن الزجاج واختلف فى معنى الحدود
على اقوال احدها تلك شروط الله عن السدى وثانيها تلك طاعة الله عن ابن عباس وثالثها تلك تفصيلات الله لفرايضه وهو الاقوى
فيكون المراد هذه القسمة التى قسمها الله لكم والفرايض التى فرضها لاحيائكم من امواتكم فصول بين طاعة الله وانما اختصر لوضوح معناه للمخاطبين
ومن يطع الله فيما امر به من الاحكام وقيل فيما فرض له من فرايض المواريث يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها و
ابنيتها الانهار اى ماء الانهار حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى الموضعين خالدين فيها اى دائمين فيها وذلك الفوز اى
الفلاح العظيم وصفه بالعظيم ولم يبين بالاضافة الى ماذا والمراد انه عظيم بالاضافة الى منفعة الخيانة فى التركة من حيث كان
امر الدنيا حقيرا بالاضافة الى امر الاخرة وانما خص الله سبحانه الطاعة فى قسمة المواريث بالوعد مع انه واجب فى كل طاعة اذا فعلت
لوجوبها او لوجه وجوبها ليبين سبحانه عن عظم موقع هذه الطاعة بالترغيب فيها والترهيب عن تجاوزها وتعديها ومن يعص الله
ورسوله فيما بينه من الفرايض وغيرها ويتعد حدوده اى يتجاوز ما حد له من الطاعات يدخله نارا خالدا اى دائما فيها وله
عذاب مهين سماه مهينا لان الله تعالى يفعله على وجه الاهانة كما انه يثيب المؤمن على وجه الكرامة ومن استدل بهذه الاية على
ان صاحب الكبيرة من اهل الصلوة مخلد فى النار ومعاقب لا محالة فقوله بعيد لان قوله ويتعد حدوده يدل على ان المراد
به من تعدى جميع حدود الله وهذه صفة الكفار ولان صاحب الصغيرة خارج بلا خلاف من عموم الاية وان كان فاعلا للمعصية
ومتعديا حدا من حدود الله واذا جاز لهذا القايل اخراجه منه بدليل جاز لغيره ان يخرج عن عمومها من يشفع له النبى صلى الله
عليه واله او يتفضل الله عليه بالعفو بدليل اخر وايضا فان التايب لا بد من اخراجه من عموم الاية لقيام الدليل على وجوب قبول
التوبة فكذلك يجب اخراج من يتفضل الله تعالى باسقاط عقابه منها لقيام الدلالة على جواز وقوع التفضل بالعفو فان جعلوا الاية دلالة
على ان الله سبحانه لا يختار العفو جاز لغيرهم ان يجعلها دلالة على ان العاصى لا يختار التوبة على ان فى المفسرين من حمل الاية على من
تعدى حدود الله وعصاه مستحلا لذلك ومن كان كذلك لا يكون الا كافرا قوله عز وجل واللاتى ياتين الفاحشة
من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله
لهن سبيلا واللذان ياتيانها منكم فاذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما ايتان القراءة
قرا ابن كثير واللذان ياتيانها منكم بتشديد النون وكذلك هذان وفذانك وهاتين وقرا الباقون بتخفيف ذلك كله الا ابا عمرو
فانه شدد فذانك وحدها الحجة قال ابو على القول فى تشديد نون التثنية انه عوض من الحذف الذى لحق الكلمة الا ترى ان ذا قد
حذف لامها وقد حذف الياء من اللذان من التثنية واتفق اللذان وهذان فى التعويض كما اتفقا فى فتح الاوايل منهما فى التحقير
مع ضمها فى غيرهما وذلك نحو اللذيا واللتيا وذيا وتيا اللغة اللاتى جمع التى وكذلك اللواتى قال من اللواتى والتى واللاتى زعمن انى
كبرت لذاتى وقد يحذف التاء من اللاتى فيقال اللاى قال من اللاى لم يحججن يبغين حسبة ولكن ليقتلن البرئ المغفلا المعنى

الحجة

ومعصيته فان من وجود الله حدود طاعة الله م

العظيم م

تقول فى التصغير

لما بين سبحانه حكم الرجال والنساء فى باب النكاح والميراث بين حكم الحدود فيهن اذا ارتكبن الحرام فقال واللاتى ياتين الفاحشة
اى يفعلن الزنا من نسائكم الحراير فالمعنى اللاتى يزنين فاستشهدوا عليهن اربعة منكم اى من المسلمين خاطب الحكام والايمة
ويامرهم بطلب اربعة من الشهود فى ذلك عند عدم الاقرار وقيل هو خطاب للازواج فى نسائهم اى فاشهدوا عليهن اربعة منكم
وقال ابو مسلم المراد بالفاحشة فى الايات لاخلوا المراة بالمراة فى الفاحشة المذكورة عنهن وهذا القول مخالف الاجماع ولما عليه
المفسرون فانهم اجمعوا على ان المراد هنا بالفاحشة الزنا فان شهدوا يعنى الاربعة فامسكوهن يعنى فاحبسوهن فى البيوت حتى
يتوفاهن اى يدركهن الموت فيمتن فى البيوت وكان فى مبداء الاسلام اذا فجرت المراة وقام عليها اربعة شهود حبست فى
بيت ابدا حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم فى المحصنين والجلد فى البكرين او يجعل الله لهن سبيلا قالوا لما نزل قوله تعالى الزانية والزانى
فاجلدوا كل واحد منهما ماية جلدة قال النبى عليه السلم خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد ماية وتغريب عام
والثيب بالثيب جلد ماية والرجم وقال بعض اصحابنا ان من وجب عليه الرجم جلد اولا ثم يرجم وبه قال الحسن وقتادة وجماعة
من الفقهاء وقال الاكثر اصحابنا ان ذلك مختص بالشيخ والشيخة فاما غيرهما فليس عليه غير الرجم وحكم هذه الاية منسوخ عند
جمهور المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم وقال بعضهم انه غير منسوخ لان الحبس لم يكن مو بدا بل كان
مستندا الى غاية فلا يكون بيان الغاية نسخا له كما لو قال افعلوا كذا الى راس الشهر لا يحتاج الى بيان صاحب الشرع بخلاف ما فى الاية وقوله
واللذان ياتيانها اى ياتيان الفاحشة وفيه ثلثة اقوال احدها انهما الرجل والمراة عن الحسن وعطا وثانيها انهما البكران من الرجال
والنساء عن السدى وابن زيد وثالثها انهما الرجلان الزانيان عن مجاهد وهذا لا يصح لانه لو كان كذلك لما كان للتثنية
معنى لان الوعد والوعيد انما ياتى بلفظ الجمع فيكون لكل واحد منهم او بلفظ الواحد للدلالة على الجنس فاما التثنية فلا فايدة فيها
وقال ابو مسلم هما الرجلان يخلوان بالفاحشة بينهما والفاحشة فى الاية الاولى عنده السحق وفى الاية الثانية اللواط فحكم الايتين
عنده ثابت غير منسوخ والى هذا التاويل ذهب اهل العراق فلا حد عندهم فى اللواط والسحق وهذا بعيد لان الذى عليه
جمهور المفسرين ان الفاحشة فى الاية الزنا وان الحكم فى الاية منسوخ بالحد المفروض فى سورة النور ذهب اليه الحسن ومجاهد
وقتادة والسدى والضحاك وغيرهم واليه ذهب البلخى والجبائى والطبرى وقال بعضهم نسخها الحدود بالرجم او الجلد وقوله فاذوهما
قيل فى معناه قولان احدهما هو التعيير باللسان والضرب بالنعال عن ابن عباس والاخر انه التعيير والتوبيخ باللسان عن قتادة والسدى و
مجاهد واختلف فى الاذى والحبس كيف كان فقال الاذى الاخص اولا والاية الاخيرة نزلت من قبل ثم امران توضع فى التلاوة
من بعد فكان الاول الاذى ثم الحبس فى الثيبين والاذى فى البكرين وقيل كان الحبس للنساء والاذى للرجال وقال الفراء ان الاية الاخيرة
نسخت الاية الاولى وقوله فان تابا اى رجعا من الفاحشة واصلحا العمل فيما بعد فاعرضوا عنهما اى اصفحوا عنهما وكفوا عن اذاهما ان الله
كان توابا رحيما يقبل التوبة عن عباده ويرحمهم قال الجبائى فى الاية دلالة على نسخ القران بالسنة لانها نسخت بالرجم او الجلد والرجم
قد ثبت بالسنة ومن لم يجوز نسخ القران بالسنة يقول ان هذه الاية نسخت بالجلد فى الزنا واضيف اليه الرجم زيادة لا نسخا
واما الاذى المذكور فى الاية فغير منسوخ فان الزانى يوذى ويعنف على فعله ويذم لكنه لم يقتصر عليه بل زيد فيه بان اضيف الجلد
او الرجم اليه قوله عز وجل انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله
عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان
ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اللغة اصل التوبة الرجوع وحقيقتها الندم على القبيح
مع العزم على ان لا يعود الى مثله فى القبح وقيل يكفى فى حدها الندم على القبيح والعزم على ان لا يعود الى مثله اعتدنا قيل اصله اعددنا
فالتاء بدل من الدال وقيل هو افعلنا من العتاد وهو العدة قال عدى بن الرقاع تاتيه اسلاب الاعزة عنوة قسرا ويجمع للحروب عتادها
ويقال للفرس المعد للحرب عتد وعتيد الاعراب موضع الذين يموتون جر يكون عطفا على قوله للذين يعملون السوء تقديره ولا
للذين يموتون المعنى لما وصف الله سبحانه نفسه بالتواب الرحيم بين عقيبه شرايط التوبة فقال انما التوبة للذين يعملون السوء

ثم يتوبون من قريب واختلف فى معنى قوله بجهالة على وجوه احدها ان كل معصية يفعلها العبد جهالة وان كانت على سبيل العمد
لانه يدعوا اليها الجهل ويزينها للعبد عن ابن عباس وعطا ومجاهد وقتادة وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم فانه قال
كل ذنب عمله العبد وان كان عالما فهو جاهل حين خاطر بنفسه فى معصية ربه فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لاخوته هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم فى معصية الله وثانيها ان معنى قوله بجهالة انهم
لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشى ضرورة عن الفراء وثالثها ان معناه انهم يجهلون انها ذنوب ومعاصى فيفعلونها
اما بتاويل يخطئون فيه واما بان يفرطوا فى الاستدلال على قبحها عن الجبائى وضعف الرمانى هذا القول لانه بخلاف ما اجمع عليه المفسرون
ولانه يوجب ان لا يكون لمن علم انها ذنوب توبة لان قوله انما التوبة يفيد انها لهولاء دون غيرهم وقال ابو العاليه وقتادة اجمعت
الصحابة على ان كل ذنب اصابه العبد فبجهالة وقال الزجاج انما قال بجهالة لانهم فى اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقية جهال فهو
جهل فى الاختيار ومعنى يتوبون من قريب اى يتوبون قبل الموت لان ما بين الانسان وبين الموت قريب فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت
وقال الحسن والضحاك وابن عمر القريب ما لم يعاين الموت وقال السدى هو ما دام فى الصحة قبل المرض والموت وروى عن امير المومنين
على عليه السلم انه قيل له فان عاد وتاب مرارا قال يغفر الله له قيل الى متى قال حتى يكون الشيطان هو المحسور وفى كتاب من لا يحضره الفقيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله فى اخر خطبة خطبها من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال وان السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر تاب
الله عليه ثم قال وان الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال وان اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال وان
الساعة لكثير من تاب وقد بلغت نفسه هذه واهوى بيده الى حلقه تاب الله عليه وروى الثعلبى باسناده عن عبادة بن الصامت
عن النبى عليه السلم هذا الخبر بعينه الا انه قال فى اخره وان الساعة لكثير من تاب قبل ان يغرغر بها تاب الله عليه وروى ايضا
باسناده عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لما هبط ابليس قال وعزتك وجلالك وعظمتك لا افارق ابن ادم
حتى تفارق روحه عن جسده فقال الله سبحانه وعزتى وعظمتى وجلالى لا احجب التوبة عن عبدى حتى تغرغر بها فاولئك يتوب الله
عليهم اى يقبل توبتهم وكان الله عليما بمصالح العباد حكيما بما يعاملهم به وليست التوبة المقبولة التى ينتفع صاحبها للذين يعملون
السيات اى المعاصى ويصرون عليها ويسوفون حتى اذا حضر احدهم الموت اى اسباب الموت من معاينة ملك الموت وانقطع رجاوه
عن الحيوة وهو حال الياس التى لا يعلمها احد غير المحتضر قال انى تبت الان اى فليس عند ذلك توبة واجمع اهل التاويل على ان هذه
قد تناولت عصاة اهل الاسلام الا ما روى عن الربيع انه قال انها فى المنافقين وهذا لا يصح لان المنافقين من جملة الكفار وقد
بين الكفار بقوله ولا الذين يموتون وهم كفار ومعناه وليست التوبة ايضا للذين يموتون على الكفر ثم يندمون من بعد الموت
اولئك اعتدنا لهم اى هيئنا لهم عذابا اليما موجعا وانما لم يقبل الله عز اسمه التوبة فى حال الباس والياس من الحيوة لانه يكون
العبد هناك ملجاء الى فعل الحسنات وترك القبايح فيكون خارجا من حد التكليف اذ لا يستحق على فعله المدح ولا الذم واذا زال
عنه التكليف لم يصح منه التوبة ولهذا لم يكن اهل الاخرة مكلفين ولا يقبل توبتهم ومن استدل بظاهر قوله سبحانه اعتدنا لهم عذابا
اليما على وجوب العقاب لمن مات من مرتكبى الكباير من المومنين قبل التوبة فالانفصال عن استدلاله ان يقال ان معنى اعداد
العذاب لهم انما هو خلق النار التى هى مصيرهم فالظاهر يقتضى استيجابهم لدخولها وليس فى الاية ان الله تعالى يفعل بهم
ما يستحقونه لا محالة ويحتمل ايضا ان يكون اولئك اشارة الى الذين يموتون وهم كفار لانه اقرب اليه من قوله الذين يعملون السيات
ويحتمل ان يكون التقدير اعتدنا لهم العذاب ان عاملناهم بالعذاب ولم نشا العفو عنهم وتكون الفايدة فيه اعلامهم ما يستحقونه
من العقاب وان لا يامنوا من ان يفعل بهم ذلك فان قوله سبحانه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لا ينافى المشية فيه الا
المومنين من اهل الكباير الذين يموتون قبل التوبة لان المومن المطيع خارج عن هذه الجملة وكذلك التايب لا خلاف فى ان الله
تعالى لا يعذب اهل الطاعة من المومنين ولا التايبين من المعصية والكافر خارج ايضا عن المشية الا من مات مومنا موحدا وقد
ارتكب كبيرة لم يتب منها وقال الربيع ان الاية منسوخة بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لانه من حكم الله تعالى والنسخ جايز فى

الاحكام كما جاز في الاوامر والنواهي وانما يمتنع النسخ في الاخبار بان يقول كان كذا وكذا ثم يقول لم يكن او يقول في المستقبل لا يكون كذا ثم يقول يكون وهذا لا يصح لان قوله اعتدنا وارد مورد الخبر فلا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز في ساير الاخبار قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا

اية القراءة قرا حمزة والكسائي كرها بضم الكاف هنا وفي التوبة والاحقاف ووافقهما عاصم وابن عامر ويعقوب في الاحقاف وقرا الباقون بفتح الكاف في جميع ذلك وقرا بفاحشة مبينة بفتح الياء ابن كثير وابو بكر عن عاصم والباقون بكسر الياء وروي في الشواذ عن ابن عباس مبينة مكسورة الياء خفيفة الحجة الكره والكره لغتان مثل الضعف والضعف والفقر والفقر والدف والدف وقال سيبويه بين الشيء وبينته وابان الشيء وابنته واستبان الشيء واستبنته وتبين وتبينته ومن ابيات الكتاب سل الهموم بكل معطي راسه ناج مخالط صهبة متعيس مغتال احبلة مبين عنقه في منكب زبن المطي عرندس وفي نوادر ابي زيد يبينهم ذو اللب حتى تراهم بسيماهم بيضا لحاهم واصلعا ومن كلامهم قد بين الصبح لذي عينين العضل التضييق بالمنع من التزويج واصله الامتناع يقال عضلت الدجاجة ببيضتها اذا عسرت عليها وعضل الفضاء بالجيش لكثيرة اذا لم يمكن سلوكه لضيقه ومنه الداء العضال للذي لا يبراء والفاحشة مصدر كالعاقبة والعافية قال ابو عبيدة الفاحشة الشنار والفحش القبيح والمعاشرة المصاحبة وهو من العشرة الاعراب ان ترثوا النساء في موضع رفع بانه فاعل يحل وكرها مصدر وضع موضع الحال من النساء والعامل في الحال ترثوا ولا تعضلوهن يجوز ان يكون نصبا بكونه معطوفا على ترثوا وتقديره لا يحل لكم ان ترثوا ولا ان تعضلوا ويجوز ان يكون مجزوما على النهي النزول قيل ان ابا قيس بن الاسلت لما مات عن زوجته كبيشة بنت معن القى ابنه محصن بن ابي قيس ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها فجاءت النبي صلى الله عليه واله يا نبي الله لا انا ورثت زوجي ولا انا تركت فانكح فنزلت هذه الاية عن مقاتل وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل كان اهل الجاهلية اذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها او وليه فورث امراته كما يرث ماله والقى عليها ثوبا فان شاء تزوجها بالصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها فنهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروى ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام وقيل نزلت في الرجل يحبس المراة عنده لا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها عن الزهري وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلام المعنى لما نهى الله تعالى فيما تقدم عن عادات اهل الجاهلية في امر اليتامى والاموال عقبه بالنهي عن الاستنان بسنتهم في النساء فقال يا ايها الذين امنوا اي ايها المؤمنون لا يحل لكم اي لا يسعكم في دينكم ان ترثوا النساء اي نكاح النساء كرها اي على كره منهن وقيل ليس لكم ان تحبسوا صحبتهن ليفتدين بمالهن او بما سقتم اليهن من مهرهن او ليمتن فترثوهن ولا تعضلوهن اي ولا تحبسوهن وقيل لا تمنعوهن عن النكاح لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن واختلف في المعنى بهذا النهي على اربعة اقوال احدها انه الزوج امره الله تعالى بتخلية سبيلها اذا لم يكن له فيها حاجة وان لا يمسكها اضرارا بها حتى تفتدي ببعض مالها عن ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وثانيها انه الوارث نهي عن منع المراة من التزويج كما كانت تفعله اهل الجاهلية اذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها او وليه فورث امراته كما يرث المال والقى عليها ثوبا فان شاء تزوجها بالصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها فنهوا عن ذلك عن الحسن ومجاهد وروى ذلك ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام وقيل نزلت في الرجل يكون تحته المراة يكره صحبتها ولها عليه مهر عن الحسن وثالثها انه المطلق اي لا يمنع المطلقة من التزويج كما كانت تفعله قريش في الجاهلية ينكح الرجل منهم المراة الشريفة فاذا لم توافقه فارقها على ان لا تتزوج الا باذنه ويشهد عليها بذلك ويكتب كتابا فاذا خطبها خاطب فان ارضته اذن لها وان لم تعطه شيئا عضلها فنهى الله عن ذلك عن ابن زيد ورابعها انه الولي خوطب بان لا يمنعها عن النكاح عن مجاهد والقول الاول اصح واظهر الا ان يأتين بفاحشة مبينة اي ظاهرة وقيل فيه قولان احدهما انه يعني الا ان يزنين عن الحسن وابي قلابة والسدي وقالوا اذا اطلع منها على زينة فله اخذ الفدية والاخر ان الفاحشة النشوز عن ابن عباس والاولى حمل الاية على كل معصية وهو المروي عن

ابي

ابي جعفر عليه السلام واختاره الطبري واختلف في هذا الاستثناء وهو قوله الا ان يأتين مما ذا هو فقيل هو من اخذ المال وهو قول اهل التفسير وقيل كان هذا قبل الحدود وكان الاخذ منهن على وجه العقوبة لهن ثم نسخ عن الاصم وقيل من الحبس والامساك على ما تقدم في قوله فامسكوهن في البيوت عن ابي علي الجبائي وابي مسلم الا ان ابا علي قال هو منسوخ وابى ابو مسلم النسخ وعاشروهن بالمعروف اي خالقوهن من العشرة التي هي المصاحبة بما امركم الله به من اداء حقوقهن التي هي النصفة في القسم والنفقة والاجمال في القول والفعل وقيل المعروف ان لا يضربها ولا يسيء القول فيها ويكون منبسط الوجه معها وقيل هو ان يتصنع لها كما تتصنع له فان كرهتموهن اي كرهتم صحبتهن وامساكهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه اي في ذلك الشيء وهو امساكهن على كره منكم خيرا كثيرا من ولد يرزقكم او عطفكم عليهن بعد الكراهية وبه قال ابن عباس ومجاهد وعلى هذا فيكون المعنى ان كرهتموهن فلا تعجلوا طلاقهن لعل الله يجعل فيهن خيرا كثيرا وفي هذا حث للازواج على حسن الصبر فيما تكرهون من الازواج وترغيبهم في امساكهن مع كراهة صحبتهن اذا لم يخافوا في ذلك من ضرر على النفس او الدين او المال ويحتمل ان يكون الهاء عايدا الى الذي يكرهونه اي عسى ان يجعل الله فيما تكرهون خيرا كثيرا والمعنى مثل الاول وقيل المعنى ويجعل الله في فراقكم لهن خيرا عن الاصم قال ونظيره وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته قال القاضي وهذا بعيد لان الله تعالى حث على الاستمرار على الصحبة فكيف يحث على المفارقة قوله عز وجل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا

ايتان اللغة القنطار اصله ماخوذ من القنطرة ومنه القنطر الداهية لانها كالقنطرة في عظم الصورة ويقال قنطر في الامر يقنطر اذا عظمه بتكثير الكلام فيه من غير حاجة اليه والبهتان الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له واصله التحير من قوله فبهت الذي كفر اي تحير لانقطاع حجته فالبهتان كذب يحير صاحبه لعظمه والافضاء الى الشيء هو الوصول اليه بالملامسة واصله من الفضاء وهو السعة فضا يفضو فضوا اذا اتسع الاعراب بهتانا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله واثما المعنى اتاخذونه مباهتين واثمين المعنى لما حث سبحانه على حسن مصاحبة النساء عند الامساك عقبه ببيان حال الاستبدال وقال مخاطبا للازواج وان اردتم ايها الازواج استبدال زوج مكان زوج اي اقامة امراة مقام امراة واتيتم احداهن اي واعطيتم المطلقة التي تستبدلون بها غيرها قنطارا اي مالا كثيرا على ما قيل من انه ملء مسك ثور ذهبا او انه دية الانسان او غير ذلك من الاقوال التي ذكرناها في ال عمران فلا تاخذوا منه اي من المؤتى والمعطى شيئا اي لا ترجعوا فيما اعطيتموهن من المهر اذا كرهتموهن واردتم طلاقهن اتاخذونه بهتانا هذا استفهام انكار اي اتاخذونه باطلا وظلما كالظلم بالبهتان وقيل معناه اتاخذونه بانكار التمليك وسماه بهتانا لان الزوج اذا انكر تمليكه اياها بغير حق استوجب المعطى لها في ظاهر الحكم كان انكاره بهتانا وكذبا واثما مبينا اي ظاهرا لا شك فيه ومتى قيل في الاية لم خص حال الاستبدال بالنهي عن الاخذ مع ان الاخذ محرم مع عدم الاستبدال فجوابه ان مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع من حيث ان الثانية تقوم مقام الاولى فيكون لها ما اخذت الاولى فبين سبحانه ان ذلك لا يجوز وازال هذا الاشكال والمعنى ان اردتم تخلية المراة سواء استبدلتم مكانها اخرى ام لم تستبدلوا فلا تاخذوا مما اتيتموها شيئا وكيف تاخذونه هذا تعجيب من الله تعالى وتعظيم اي عجبا من فعلكم كيف تاخذون ذلك منهن وقد افضى بعضكم الى بعض وهو كناية عن الجماع عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل المراد به الخلوة الصحيحة وان لم يجامع فسمى الخلوة افضاء لوصوله بها الى مكان الوطي وكلا القولين قد رواه اصحابنا في تفسير الكلبي عن ابن عباس ان الافضاء حصوله معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها فقد وجب المهر في الحالين واخذن منكم ميثاقا غليظا قيل فيه اقوال احدها ان الميثاق الغليظ هو العقد الماخوذ على الزوج حالة العقد من امساك بمعروف او تسريح باحسان عن الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة والسدي وثانيها ان المراد به كلمة النكاح التي يستحل بها الفرج عن مجاهد وابن زيد وثالثها قول النبي عليه السلام اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله عن عكرمة والشعبي والربيع وقد قيل في هاتين الايتين ثلثة اقوال احدها انهما محكمتان غير منسوختين لكن للزوج ان ياخذ الفدية من المختلعة لان النشوز حصل من جهتها فالزوج يكون

فی حکم المکن لا المختار لی للاستبدال ولا ینافی حکم الآیتین وحکم ایة الخلع فلا یحتاج الی نسخهما وهو قول الاکثرین وثانیها انهما محکمتان ولیس للزوج ان یاخذ من المختلعة شیا ولا من غیرها لاجل ظاهر الایة عن بکر بن عبد الله المزنی والثالث ان حکمهما منسوخ بقوله فان خفتم الا یقیما حدود الله فلا جناح علیهما فیما افتدت به عن الحسن قوله عز وجل ولا تنکحوا ما نکح اباؤکم من النساء الا ما قد سلف انه کان فاحشة ومقتا وساء سبیلا اللغة النکاح اسم یقع علی العقد ومنه وانکحوا الایامی ویقع علی الوطی ومنه الزانی لا ینکح الا زانیة او مشرکة ای لا یطاء بالحرام الا من تطاوعه ومنه ملعون من نکح یده ملعون من نکح بهیمة قال الشاعر لکنی تستقی لذید النکاح وتفزع من صولة الناکح واصله الجمع ومنه انکحنا الفری فسنری والمقت بغض عن امر قبیح یرکبه صاحبه یقال مقت الرجل الی الناس مقاتة ومقته الناس یمقته مقتا فهو مقیت وممقوت ویقال لذا الرجل من امراة ابیه کان یسمی المقتی ومنهم الاشعث بن قیس وابو معیط جد الولید بن عقبة الاعراب الا ما قد سلف استثنا منقطع لانه لا یجوز استثنا الماضی من المستقبل ونظیره لا تبع من مالی الا ما بعت ولا تاکل الا ما اکلت ومنه لا یذوقون فیها الموت الا الموتة الاولی المعنی لکن ما قد سلف فلا جناح علیکم فیه وقال المبرد جایز ان یکون کان زایدة فی قوله انه کان فاحشة فالمعنی انه فاحشة وانشد فی ذلک قول الشاعر فکیف اذا احللت بدار قوم وجیران لنا کانوا کرام قال الزجاج هذا غلط منه لانه لو کان کان زایدة لم یکن ینصب خبرها والدلیل علیه البیت الذی انشده وجیران لنا کانوا کرام ولم یقل کراما قال علی بن عیسی انما دخلت کان لیدل علی ان ذلک قبل تلک الحال فاحشة ایضا فی قوله تعالی وکان الله غفورا رحیما وقوله وساء سبیلا ای بئس طریقا ذلک الطریق فسبیلا منصوب علی التفسیر وفاعل ساء مضمر تفسیره الظاهر والمخصوص بالذم محذوف النزول قیل نزلت فیما کان یفعل الجاهلیة من نکاح امراة الاب عن ابن عباس وقتادة وعکرمة وعطا وقال تزوج صفوان بن امیة امراة ابیه فاختة بنت الاسود بن المطلب وتزوج حصین بن ابی قیس امراة ابیه کبیشة بنت معن وتزوج منظور بن زیاد امراة ابیه ملیکة بنت خارجة قال اشعث بن سوار توفی ابو قیس وکان من صالحی الانصار فخطب ابنه قیس امراة ابیه فقالت انی اعدک ولدا وانت من صالحی قومک ولکنی اتی رسول الله صلی الله علیه واله فاستامره فاتته فاخبرته فقال لها رسول الله صلی الله علیه واله ارجعی الی بیتک فانزل الله تعالی هذه الایة المعنی لما تقدم ذکر شرایط النکاح عقبه سبحانه بذکر من تحل من النساء ومن لا تحل فقال ولا تنکحوا ما نکح اباؤکم ای لا تتزوجوا ما تزوج اباؤکم وقیل ما وطئه اباؤکم من النساء حرم علیهم ما کان اهل الجاهلیة یفعلونه من نکاح امراة الاب عن ابن عباس وقتادة وعطا وعکرمة وقیل ان تقدیره ولا تنکحوا انکاح ابائکم ای مثل نکاح ابائکم فیکون ما نکح بمنزلة المصدر ویکون ما حرفا موصولا فعلی هذا یکون النهی عن حلایل الاباء وکل نکاح کان لهم فاسد وهو اختیار الطبری والوجه الاول ان یکون ما اسما موصولا لاحتیاج العاید من صلته الیه قال الطبری ان الوجه الثانی اجود لانه لو اراد حلایل الاباء لقال لا تنکحوا من نکح اباؤکم وقد اجیب عن ذلک بانه یجوز ان یکون ذهب به مذهب الجنس ثم قال الا ما قد سلف فانکم لا تواخذون به وقیل معناه الا ما قد سلف فدعوه فهو جایز لکم قال البلخی وهذا خلاف الاجماع وما علم من دین الرسول وقیل معناه لکن ما سلف فاجتنبوه ودعوه عن قطرب وقیل انما استثنی ما قد مضی لیعلم انه لم یکن مباحا لهم انه کان فاحشة ای زنا ومقتا ای بغضا یورث بغض الله یجوز ان یکون الهاء فی انه عایدا الی النکاح بعد النهی فیکون معناه ان نکاح امراة الاب فاحشة ای معصیة محرمة قبیحة ویجوز ان یکون عایدا الی النکاح الذی کان علیه اهل الجاهلیة ای انه کان فاحشة قبل هذا ولا یکون کذلک الا وقد قامت علیهم الحجة بتحریمه من قبل الرسل والاول اقوی وهذا اختیار الجبائی قال ویکون السلامة مما قد سلف فی الاقلاع عنه بالتوبة والانابة قال البلخی ولیس کل نکاح حرمه الله تعالی یکون زنا لان الزنا فعل مخصوص لا یجری علی طریقة لازمة وسنة جاریة ولذلک لا یقال للمشرکین فی الجاهلیة اولاد الزنا ولا لاولاد اهل الذمة والمعاهدین اولاد زنا اذا کان ذلک عقدا بینهم یتعارفونه وقوله وساء سبیلا ای بئس الطریق ذلک النکاح الفاسد وفی هذه الایة دلالة علی ان کل من عقد علیها الاب من النساء تحرم علی الابن دخل بها الاب او لم یدخل وهذا اجماع فان دخل بها الاب علی وجه السفاح فهل تحرم علی الابن ففیه خلاف وعموم الایة یقتضی انه یحرم علیه لان النکاح قد یعبر به عن الوطی وهو الاصل فیه کما یعبر به عن العقد فینبغی ان یحمل اللفظة فی

الایة علی الامرین وامراة الاب وان علا تحرم علی الابن وان سفل بلا خلاف قوله عز وجل حرمت علیکم امهاتکم وبناتکم واخواتکم وعماتکم وخالاتکم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتکم اللاتی ارضعنکم واخواتکم من الرضاعة وامهات نسائکم وربائبکم اللاتی فی حجورکم من نسائکم اللاتی دخلتم بهن فان لم تکونوا دخلتم بهن فلا جناح علیکم وحلائل ابنائکم الذین من اصلابکم وان تجمعوا بین الاختین الا ما قد سلف ان الله کان غفورا رحیما اللغة الربایب جمع ربیبة وهی بنت زوجة الرجل من غیره سمیت بذلک لتربیته ایاها فهی فی معنی مربوبة نحو قتیلة فی موضع مقتولة ویجوز ان یسمی ربیبة سواء تولی تربیتها او لم یتول وسواء کانت فی حجره او لم تکن لانه اذا تزوج بامها فهو رابها وهی ربیبته والعرب تسمی الفاعلین والمفعولین بما یقع بهم ویوقعونه یقولون هذا مقتول وان لم یقتل بعد وهذا ذبیح وان لم یذبح بعد اذا کان یراد ذبحه او قتله وکذلک یقولون هذا اضحیة لما اعد للتضحیة وهذه قتوبة ای هی مما تقتب وحلوبة ای هی مما تحلب وقد یقال لزوج المراة ربیب ابن امراته یعنی انه رابه کما یقال شهید وخبیر بمعنی شاهد وخابر والحلایل جمع الحلیلة وهی بمعنی المحلة مشتقة من الحلال والذکر حلیل وجمعه احلة کعزیز واعزة سمیا بذلک لان کل واحد منهما یحل له مباشرة صاحبه وقیل هو من الحلول لان کل واحد منهما یحال صاحبه ای یحل معه فی الفراش المعنی ثم بین سبحانه المحرمات من النساء فقال حرمت علیکم امهاتکم لا بد فیه من محذوف لان التحریم لا یتعلق بالاعیان وانما یتعلق بافعال المکلف ثم یختلف باختلاف ما اضیف الیه فاذا اضیف الی ماکول نحو حرمت علیکم المیتة والدم فالمراد الاکل واذا اضیف الی النساء فالمراد العقد فالتقدیر حرم علیکم نکاح امهاتکم فحذف المضاف واقیم المضاف الیه مقامه لدلالة مفهوم الکلام علیه وکل امراة رجع نسبک الیها بالولادة من جهة ابیک او من جهة امک باناث رجع نسبها الیها او بذکور فهی امک وبناتکم ای ونکاح بناتکم وکل امراة رجع نسبها الیک بالولادة بدرجة او بدرجات باناث رجع نسبها الیک او بذکور فهی بنتک واخواتکم هو جمع الاخت وکل انثی ولدها شخص ولدک فی الدرجة الاولی فهی اختک وعماتکم هو جمع العمة وکل ذکر رجع نسبک الیه فاخته عمتک وقد تکون العمة من جهة الام مثل اخت ابی امک فصاعدا وخالاتکم جمع الخالة وکل انثی رجع نسبک الیها بالولادة فاختها خالتک وقد تکون الخالة من جهة الاب مثل اخت ام ابیک واخت جدة ابیک فصاعدا واذا خاطب سبحانه وتعالی المکلفین بلفظ الجمع بقوله حرمت علیکم ثم اضاف المحرمات بعد الیهم بلفظ الجمع فالاحاد یقع بازاء الاحاد فکانه سبحانه قال حرم علی کل واحد منکم نکاح امه ومن یقع علیها اسم الام ونکاح بنته ومن یقع علیها اسم البنت وکذلک اسم الجمع وبنات الاخ وبنات الاخت فهذا ایضا علی ما ذکرناه جمع فیقع الاحاد بازاء الاحاد والتحدید فی هؤلاء کالتحدید فی بنات الصلب فهؤلاء السبع هن المحرمات بالنسب وقد صح عن ابن عباس انه قال حرم الله تعالی من النساء سبعا بالنسب وسبعا بالسبب وتلا الایة ثم قال والسابعة ولا تنکحوا ما نکح اباؤکم من النساء ثم ذکر سبحانه المحرمات بالسبب فقال وامهاتکم اللاتی ارضعنکم سماهن امهات للحرمة وکل انثی انتسبت الیها باللبن فهی امک فالتی ارضعتک او ارضعت امراة ارضعتک او رجلا ارضعت بلبانه من زوجته او ام ولد فهی امک من الرضاعة وکذلک کل امراة ولدت امراة ارضعتک او رجلا ارضعک فهی امک من الرضاعة واخواتکم من الرضاعة یعنی بنات المرضعة وهن ثلث الصغیرة الاجنبیة التی ارضعتها امک بلبان ابیک سواء ارضعتها معک او مع ولد قبلک او بعدک والثانیة اختک لامک دون ابیک وهی التی ارضعتها امک بلبان رجل اخر غیر ابیک والثالثة اختک لابیک دون امک وهی التی ارضعتها زوجة ابیک بلبن ابیک وام الرضاعة واخت الرضاعة لولا الرضاعة لم تحرما فان الرضاعة سبب تحریمهما وکل من تحرم بالنسب من اللاتی مضی ذکرهن تحرم امثالهن بالرضاع بقول النبی صلی الله علیه واله ان الله عز وجل حرم من الرضاعة ما حرم من النسب فثبت بهذا الخبر ان السبع المحرمات بالنسب علی التفصیل الذی ذکره الله تعالی محرمات بالرضاع والکلام فی الرضاع یشتمل علی ثلثة فصول احدها مدة الرضاع وقد اختلف فیها فقال اکثر اهل العلم لا یحرم الا ما کان فی مدة الحولین وهو مذهب اصحابنا وبه قال الشافعی وابو یوسف ومحمد وقال ابو حنیفة مدة الرضاع حولان ونصف وقال مالک حولان وشهر واتفقوا ان رضاع الکبیر لا یحرم وروی ذلک عن ابن عمر وابن عباس وهو مذهب مالک والاوزاعی وقال الشافعی انما یحرم خمس رضعات وبه قال عایشة وسعید بن جبیر وقال اصحابنا لا یحرم الا ما انبت اللحم وانشز العظم وانما یعتبر ذلک برضاع یوم ولیلة لا یفصل بینهما برضاع امراة اخری وقال بعض اصحابنا المحرم عشر رضعات متوالیات وثالثها

او خمس عشرة رضعة متوالیات لا یفصل بینها برضاع امراة اخری

كيفية الرضاع فعند اصحابنا لا يحرم الا ما وصل الى الجوف من الثدى فى المجرى المعتاد الذى هو الفم فاما ما يوجر او يسعط او يحقن به فلا يحرم بحال ولبن الميتة لا حرمة له فى التحريم وفى جميع ذلك خلاف وقوله وامهات نسائكم اى حرم عليكم نكاحهن وهذا يتضمن تحريم امهات الزوجات وجداتهن قربن او بعدن من اى وجه كن سواء كن من النسب او من الرضاع وهن يحرمن بنفس العقد ولم يقيد بالدخول وربائبكم يعنى بنات نسائكم من غيركم اللاتى فى حجوركم وهو جمع حجر الانسان والمعنى فى ضمانكم وتربيتكم يقال فلان فى حجر فلان اى فى تربيته ولا خلاف بين العلماء ان كونهن فى حجره ليس بشرط فى التحريم وانما ذكر ذلك لان الغالب انها تكون كذلك وهذا يقتضى تحريم بنت المراة من غير زوجها وتحريم بنت ابنها وبنت بنتها قربت ام بعدت لوقوع اسم الربيبة عليهن من نسائكم اللاتى دخلتم بهن وهذه نعت لامهات الربائب لا غير لحصول الاجماع على ان الربيبة تحل اذا لم يدخل باها قال المبرد اللاتى دخلتم بهن نعت للنساء اللواتى هن امهات الربائب لا غير والدليل على ذلك اجماع الناس على ان الربيبة تحل اذا لم يدخل باها ومن اجاز ان يكون قوله من نسائكم اللاتى دخلتم بهن لامهات الربائب قال الزجاج والدليل على صحة ذلك ان الخبرين اذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا لا يجيز النحويون مررت بنسائك وهربت من نساء زيد الظريفات نعتا لهؤلاء النساء وهؤلاء النساء وروى العياشى فى تفسيره باسناده عن اسحق بن عمار عن جعفر بن محمد عليه السلم عن ابيه ان عليا عليه السلم كان يقول الربائب عليكم حرام من الامهات اللاتى قد دخلتم بهن كن فى الحجور او لم يكن والامهات مبهمات دخل بالبنات او لم يدخل بهن فحرموا ما حرم الله وابهموا ما ابهم الله واختلف فى معنى الدخول على قولين احدهما ان المراد به الجماع عن ابن عباس والاخر انه الجماع وما يجرى مجراه من المسيس والتجريد عن عطا وهو مذهبنا وفى ذلك خلاف بين الفقهاء فان لم تكونوا دخلتم بهن يعنى بام الربيبة فلا جناح عليكم اى لا اثم عليكم فى نكاح بناتهن اذا طلقتموهن او متن وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم اى وحرم عليكم نكاح ازواج ابنائكم ثم ازال الشبهة فى امر زوجة المتبنى به فقال الذين من اصلابكم لئلا يظن ان زوجة المتبنى به يحرم على المتبنى وروى عن عطا ان هذه نزلت حين نكح النبى صلى الله عليه واله امراة زيد بن حارثة فقال المشركون فى ذلك فنزل وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما كان محمد ابا احد من رجالكم وحلائل الابناء من الرضاع محرمات ايضا بقوله عليه السلم ان الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب وان تجمعوا بين الاختين اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين لان ان مع صلتها فى حكم المصدر وهذا يقتضى تحريم الجمع بين الاختين فى العقد على الحراير وتحريم الجمع بينهما فى الوطى بملك اليمين فاذا وطى احديهما فقد حرمت الاخرى عليه حتى تخرج تلك من ملكه وهو قول الحسن واكثر المفسرين والفقهاء الا ما قد سلف استثناء منقطع ومعناه لكن ما سلف لا يواخذكم الله به وليس المراد به ان ما سلف حال النهى يجوز استدامته بلا خلاف وقيل معناه الا ما كان من يعقوب اذ جمع بين اختين ليا ام يهوذا وراحيل ام يوسف عن عطا والسدى ان الله كان غفورا رحيما لا يواخذكم بحكم ما قد سلف من هذه الانكحة قبل نزول التحريم وكل ما حرم الله سبحانه فى هذه الاية فانما هو على وجه التابيد سواء كن مجتمعات او منفردات الا الاختين فانهما تحرمان على وجه الجمع دون الانفراد ويمكن ان يستدل بهذه الاية على ان هؤلاء المحرمات من ذوات الانساب لا يصح ان يملك واحدة منهن لان التحريم عام والمحرمات بالنسب او السبب على وجه التابيد يسمون مبهمات لانهن يحرمن من جميع الجهات وهى ماخوذة من البهيمة التى لا تخالط معظم لونها الوان اخر يقال فرس بهيم لا شية له قوله عز وجل والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما اية القراءة قرا الكسائى وحده والمحصنات ومحصنات فى ساير القران بكسر الصاد الا قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فانه فتح الصاد فيه وقرا الباقون بفتح الصاد فى كل القران وقرا اهل الكوفة الا ابا بكر وابو جعفر واحل لكم بالضم وكسر الحاء وقرا الباقون بفتح الهمزة والحاء الحجة وقع الاتفاق على فتح العين من قوله والمحصنات فى هذه الاية ومعناها النساء اللاتى احصن بالازواج والاحصان يقع على الحرية يدل عليه قوله والذين يرمون المحصنات الاية يعنى الحراير لان من قذف غير حرة لم يجلد ثمانين ويقع ايضا على العفة يدل عليه قوله ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها وقد فسر قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات بالعفايف ويقع على

التزويج كما فى الاية ويقع على الاسلام كما فسر من قراء فاذا احصن بفتح الهمزة باسلمن واصل الجميع المنع لان الحرية تمنع من امتهان الرق والعفة حظر النفس عما حظره الشرع والتزوج فى المراة يحظر خطبتها التى كانت مباحة وقيل ويمنع تصديها للتزويج والاسلام لحظر الدم والمال الذين كانا مباحين قبل الاسلام ومن قرا واحل لكم ما وراء ذلكم قال بناء الفعل للفاعل اشبه بما قبله لان معنى كتاب الله عليكم كتب الله عليكم كتابا واحل الله لكم ومن قراء واحل لكم قال انه فى المعنى يؤل الى الاول وفيه مراعاة ما قبله وهو قوله حرمت عليكم اللغة قال الازهرى يقال للرجل اذا تزوج احصن فهو محصن كقولهم الفج فهو ملفج اذا اعدم وافتقر واسهب فهو مسهب اذا اكثر الكلام وكلام العرب كله على افعل فهو مفعل وقال سيبويه حصنت المراة حصنا فهى حصان مثل جبنت جبنا فهى جبان وقد قالوا حصنا كما قالوا علما والحصان الفحل من الافراس واحصن الرجل امراته واحصنت المراة فرجها من الفجور المسافحة والسفاح الزنا اصله من السفح وهو صب الماء لانه يصب الماء باطلا وسفح الجبل اسفله لانه مصب الماء منه قال الزجاج المسافحة والمسافح الزانيان لا يمتنعان من احد فاذا كانت تزنى بواحد فهى ذات خدن الاعراب كتاب الله نصب على المصدر من فعل محذوف واصله كتب الله كتابا عليكم ثم اضمر الفعل لدلالة ما تقدم من الكلام عليه وهو قوله حرمت عليكم فانه يدل على ما هو مذكور مكتوب عليهم فبقى كتابا الله عليكم ثم اضيف المصدر الى الفاعل كما اضيف الى المفعول فى قولهم ضرب زيد ومثل ذلك قوله تعالى صنع الله وعلى ذلك قول الشاعر ما ان تمس الارض الا منكب منه وحرف الساق طى المحمل لان ما فى البيت يدل على انه طيان فكان تقديره طوى طى المحمل قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا على جهة الامر ويكون المعنى الزموا كتاب الله ولا يجوز ان يكون منصوبا بعليكم لان عليك لا يجوز تقديم منصوبه وقوله ما وراء ذلكم ما اسم موصول فى موضع نصب بانه مفعول على قراءة من قراء واحل لكم بفتح الهمزة ومن قرا واحل لكم بالضم فمحله رفع ويجوز ان يكون محل ان تبتغوا نصبا على البدل من ما ان كان منصوب الموضع او رفعا ان كان محله رفعا ويجوز ان يكون على حذف اللام من لان تبتغوا على ما مر امثاله فيما مضى فيكون مفعولا له ومحصنين نصب على الحال وذو الحال الواو من تبتغوا غير مسافحين صفة لمحصنين وفريضة نصب على المصدر ويجوز ان يكون مصدرا فى موضع الحال اى مفروضة المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم ذكره من المحرمات فقال والمحصنات اى وحرمت عليكم اللاتى احصن من النساء واختلف فى معناه على اقوال احدها ان المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم من سبى من كان لها زوج عن على عليه السلم وابن مسعود وابن عباس ومكحول والزهرى واستدل بعضهم على ذلك بخبر ابى سعيد الخدرى ان الاية نزلت فى سبى اوطاس وان المسلمين اصابوا نساء المشركين وكان لهن ازواج فى دار الحرب فلما نزلت نادى منادى رسول الله الا لا توطا الحبالى حتى يضعن ولا الحيالى حتى يستبرئن بحيضة واجيب عن ذلك بان فيه ضعف هذا الخبر بان سبى اوطاس كانوا عبدة الاوثان ولم يدخلوا فى الاسلام ولا يحل نكاح الوثنية والخبر محمول على ما بعد الاسلام وثانيها ان المراد به ذوات الازواج الا ما ملكت ايمانكم ممن كان لها زوج لان بيعها طلاقها عن ابى بن كعب وجابر بن عبد الله وانس وابن المسيب والحسن وقال ابن عباس طلاق الامة يثبت بستة اشياء سبيها وبيعها وعتقها وهبتها وميراثها وطلاق زوجها وهو الظاهر من روايات اصحابنا وقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف ليس بيع الامة طلاقا بل طلاقها كطلاق الحرة وانما هو فى النبى خاصة لان النبى صلى الله عليه واله خير بريرة بعدما اعتقتها عائشة ولو بانت بالعتق لم يصح تخييرها وقال الاولون ان زوج بريرة كان عبدا ولو كان حرا لم يخيرها النبى عليه السلم وثالثها ان المراد بالمحصنات العفايف الا ما ملكت ايمانكم بالنكاح او ملك استمتاع بالمهر والنفقة او ملك استخدام بالثمن عن ابى العالية وسعيد بن جبير وعطا والسدى كتاب الله عليكم يعنى كتب الله تحريم ما حرم وتحليل ما حلل بالكتاب عليكم كتابا فلا تخالفوه وتمسكوا به عن عطا وقوله واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم قيل فى معناه اربعة اقوال احدها واحل لكم ما وراء ذوات المحارم من اقاربكم عن عطا وثانيها ان معناه احل لكم ما دون الخمس وهى الاربع فما دونها ان تبتغوا باموالكم على وجه النكاح عن السدى وثالثها ما وراء ذلكم مما ملكت ايمانكم عن قتادة ورابعها احل لكم ما وراء ذوات المحارم والزيادة على الاربع ان تبتغوا باموالكم نكاحا او ملك يمين وهذا الوجه احسن الوجوه ولا تنافى بين هذه الاقوال ومعنى ان تبتغوا ان تطلبوا او تلتمسوا باموالكم اما شراء بثمن او نكاحا بصداق

هولاء امهات نسائكم فيكون المعنى وامهات نسائكم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فيخرج ان يكون اللاتى دخلتم بهن لامهات

ان الله كان عفوا اى يغفر الذنوب جميعا رحيما رحم عباده المؤمنين

عن ابن عباس محصنين غير مسافحين اى متزوجين غير زانيين وقيل معناه اعفة غير زناة وقوله فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة قيل المراد بالاستمتاع هنا درك البغية والمباشرة وقضاء الوطر من اللذة عن الحسن ومجاهد وابن زيد فمعناه على هذا فما انتفعتم وتلذذتم من النساء بالنكاح فاتوهن مهورهن وقيل المراد به نكاح المتعة وهو النكاح المنعقد بمهر معين الى اجل معلوم عن ابن عباس والسدى وسعيد بن جبير وجماعة من التابعين وهو مذهب اصحابنا الامامية وهو الواضح لان لفظ الاستمتاع والتمتع وان كان فى الاصل واقعا على الانتفاع والالتذاذ فقد صار بعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد لا سيما اذا اضيف الى النساء فعلى هذا يكون معناه فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعة فاتوهن اجورهن ويدل على ذلك ان الله سبحانه علق وجوب اعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضى ان يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لان المهر لا يجب الا به هذا وقد روى عن جماعة من الصحابة منهم ابى بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم انهم قرءوا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فاتوهن اجورهن وفى ذلك تصريح بان المراد به عقد المتعة وقد اورد الثعلبى فى تفسيره عن حبيب بن ابى ثابت قال اعطانى ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة ابى فرايت فى المصحف فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده عن ابى نضرة قال سالت ابن عباس عن المتعة فقال اما تقرء سورة النساء فقلت بلى قال فما تقرء فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى قلت لا اقراها هكذا قال ابن عباس والله هكذا انزلها الله عز وجل ثلث مرات وباسناده عن سعيد بن جبير انه قرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى وباسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال سالته عن هذه الاية فما استمتعتم به منهن امنسوخة هى قال لا قال الحكم قال على بن ابى طالب لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الا شقى وباسناده عن عمران بن حصين قال نزلت اية المتعة فى كتاب الله عز وجل لم تنزل اية بعدها تنسخها فامرنا بها رسول الله صلى الله عليه واله فتمتعنا مع رسول الله عليه السلام ومات ولم ينهنا عنها فقال رجل بعد برايه ما شاء ومما اورده مسلم بن الحجاج فى الصحيح حدثنا الحسن الحلوانى قال حدثنا عبد الرزاق قال اخبرنا ابن جريج قال قال عطا قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجئناه فى منزله فساله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله عليه السلام وابى بكر وعمر ومما يدل ايضا على ان لفظ الاستمتاع فى الاية لا يجوز ان يكون المراد به الانتفاع والجماع انه لو كان كذلك لوجب ان لا يلزم شىء من المهر من لا ينتفع من المراة بشىء وقد علمنا انه لو طلقها قبل الدخول لزمه نصف المهر ولو كان المراد به النكاح الذى يوجب للمراة بحكم الاية جميع المهر بنفس العقد لانه قال فاتوهن اجورهن اى مهورهن ولا خلاف فى ان ذلك غير واجب وانما يجب الاجر بكماله بنفس العقد فى نكاح المتعة ومما يمكن التعلق به فى هذه المسئلة الرواية المشهورة عن عمر بن الخطاب انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله عليه السلام حلالا انا انهى عنهما واعاقب عليهما فاخبر بان هذه المتعة كانت على عهد رسول الله عليه السلام واضاف النهى عنها الى نفسه بضرب من الراى فلو كان النبى عليه السلام نسخها او نهى عنها او اباحها فى وقت مخصوص دون غيره لاضاف التحريم اليه عليه السلام دون نفسه وايضا فانه قرن بين متعة الحج ومتعة النساء فى النهى ولا خلاف ان متعة الحج غير منسوخة ولا محرمة فوجب ان يكون حكم متعة النساء حكمها وقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من قال ان المراد بالاستمتاع الانتفاع والجماع قال المراد به لا حرج ولا اثم عليكم فيما تراضيتم به من زيادة مهر او نقصانه او حط او ابراء او تاخير وقال السدى معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استيناف عقد اخر بعد انقضاء مدة الاجل المضروب فى عقد المتعة يزيدها الرجل فى الاجر وتزيده فى المدة وهذا قول الامامية وتظاهرت به الروايات عن ائمتهم عليهم السلام ان الله كان عليما حكيما عليما بما يصلح امر الخلق حكيما فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى به حفظ الاموال قوله عز وجل ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم اية القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص فاذا احصن مفتوحة الهمزة والباقون احصن بضم الهمزة وكسر الصاد اللغة الطول الغنا وهو ماخوذ من الطول خلاف القصر شبه الغنا به لانه ينال به معالى الامور والتطول الافضال بالمال والتطاول على الناس الترفع عليهم وكذلك الاستطالة وطال فلان فلانا اذا فضله فى القدرة يقال طاولته

فطلته ولم يحل منه فلان بطائل اى بشىء له من اى فضل وطالت طولك وطيلك اى طالت مدتك قال الشاعر انا محيوك فاسلم ايها الطلل وان بليت وان طالت بك الطيل والطول الحبل قال طرفة لعمرك ان الموت ما اخطاء الفتى لكا لطول المرخى وثنياه باليد والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتاة الامة وان كانت عجوزا لانها كالصغيرة فى انها لا توقر توقير الحرة والفتوة الحداثة ومنه الفتيا يقول افتى الفقيه يفتى لانه فى مسئلة حادثة والخدن الصديق وجمعه اخدان نحو ثوب واثواب ويستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع والخدين بمعناه والعنت الجهد والشدة واكمة عنوت صعبة المرتقى قال المبرد العنت الهلاك ههنا

المعنى ثم بين سبحانه نكاح الاماء فقال ومن لم يستطع منكم طولا اى من لم يجد منكم غنا عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدى وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام ان ينكح اى يتزوج المحصنات المؤمنات اى الحراير المسلمات يعنى لم يقدر على شىء مما يصلح لنكاح الحراير من المهر والنفقة فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم اى امائكم المؤمنات فان مهور الاماء اقل ومؤنتهن اخف فى العادة والمراد به اماء الغير لانه لا يجوز ان يتزوج الرجل بامة نفسه بالاجماع وقيل ان المعنى من هوى الامة فله ان يتزوجها وان كان ذا يسار عن جابر وعطاء وابرهيم وربيعة والقول الاول هو الصحيح وعليه اكثر الفقهاء وفى الاية دلالة على انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية لانه تعالى قيد جواز العقد عليهن بالايمان بقوله من فتياتكم المؤمنات وهو مذهب مالك والشافعى والله اعلم بايمانكم اراد عز اسمه بهذا بيان انه لم يؤخذ علينا الايمان نأخذ بالظاهر فى هذا الحكم اذ لا سبيل لنا الى الوقوف على حقيقة الايمان والله تعالى هو المتفرد بعلم ذلك ولا يطلع عليه احد غيره فانه العالم بالسرائر المطلع على الضمائر بعضكم من بعض قيل فيه ولان احدهما ان المراد به كلكم على الايمان ودينكم واحد فلا ينبغى ان يعير بعضكم بعضا بالهجنة نهى سبحانه عن عادة اهل الجاهلية فى الطعن والتعيير بالاماء فانكحوهن يعنى الفتيات المؤمنات اى تزوجوهن باذن اهلهن اى بامر ساداتهن ومواليهن وفى هذا دلالة على انه لا يجوز نكاح الامة بغير اذن مالكها واتوهن اجورهن اى اعطوا مالكهن مهورهن بالمعروف اى بما لا ينكر فى الشرع وهو ما تراضى عليه الاهلون ووقع عليه العقد وقيل معناه من غير مطل وضرار محصنات اى عفايف يريد تزوجوهن عفايف غير مسافحات اى زوانى وقيل معناه متزوجات غير زانيات وقد قرئ محصنات ومحصنات بفتح الصاد وكسرها على ما مر ذكره فى الاية الاولى ولا متخذات اخدان اى اخلاء فى السر لان الرجل منهم كان يتخذ صديقة فيزنى بها والمراة تتخذ صديقا فتزنى به ويستحلون ما خفى منه فنهى الله تعالى عن الزنا سرا وجهرا فعلى هذا يكون المراد بقوله غير مسافحات ولا متخذات اخدان غير زانيات جهرا ولا سرا فاذا احصن من قرا بضم الهمزة فمعناه فاذا زوجن فاحصنهن ازواجهن وهو بمعنى تزوجن عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة ومن قرا بالفتح فمعناه اسلمن عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وابرهيم والشعبى والسدى وقال الحسن يحصنها الزوج ويحصنها الاسلام فان اتين بفاحشة اى فان زنين فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اى نصف ما على الحراير من حد الزنا وهو خمسون جلدة نصف حد الحرة ذلك اشارة الى نكاح الامة عند عدم الطول لمن خشى العنت منكم يعنى الزنا وهو ان يخاف ان تحمله شدة الشبق على الزنا فيلقى الحد فى الدنيا والعذاب فى الاخرة وعليه اكثر المفسرين وقيل معناه لمن خاف ان يهواها ويزنى بها وقيل معنى العنت الضرر الشديد فى الدين او الدنيا لغلبة الشهوة والاول اصح وان تصبروا خير لكم معناه وصبركم عن نكاح الاماء وعن الزنا خير لكم وان تصبروا مبتداء وخير خبره والله غفور لذنوب عباده رحيم بهم وفايدته ان من لم يصبر عما امر بالصبر عنه ثم تاب غفر الله له ورحمه واستدلت الخوارج بهذه الاية على بطلان الرجم قالوا ان الرجم لا يمكن تبعيضه وقد قال سبحانه فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب فعلمنا ان الرجم لا اصل له والجواب عن ذلك اذا كان المراد بالمحصنات الحراير سقط هذا القول ويدل على ذلك قوله سبحانه فى اول الاية ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات ولا شك انه اراد بها الحراير والعفايف ولان اللاتى لهن ازواج لا يمكن العقد عليهن على ان فى الناس من قال ان المحصنات هنا المراد بها الحراير دون العفايف لانه لو كان مختصا بالعفايف لما جاز العقد على غيرهن ومعلوم ان ذلك جايز هذا والرجم اجمعت الامة على انه من احكام الشرع وتواتر المسلمون بان النبى عليه السلام رجم ماعز بن مالك الاسلمى ورجم يهوديا ويهودية ولم يختلف فيه الفقها

الى اجل مسمى وباسناده عن شعبة عن الحكم بن عتيبة قال سالته عن هذه الاية فما استمتعتم به منهن

من عهد الصحابة الى يومنا هذا فخلاف الخوارج فى ذلك شاذ عن الاجماع فلا يعتد به قوله عز وجل يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ثلاث ايات الاعراب ذكر فى اللام من قوله ليبين لكم ثلثة اقوال احدها ان معناه ان وان ياتى مع امرت واردت لانها تطلب الاستقبال فلا يجوز اردت ان قمت فلما كانت ان فى ساير الافعال تطلب الاستقبال استوثقوا لها باللام وربما جمعوا بين اللام وكى لتاكيد الاستقبال قال الشاعر اردت لكيما لا ترى لى عثرة ومن ذا الذى يعطى الكمال فيكمل وهذا قول الكسائى والفرا وانكر الزجاج وانشد اردت لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس والوفود شهود قال ولو كانت اللام بمعنى ان لم تدخل على كى كما لا تدخل ان على كى قال ومذهب سيبويه واصحابه ان اللام دخلت هنا على تقدير المصدر اى لارادة البيان نحو قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون اى ان كانت عبارتكم للرؤيا وكذلك قوله والذين هم لربهم يرهبون اى هم رهبتهم لربهم قال كثير اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لى ليلى بكل سبيل والقول الثالث ان بعض النحويين ضعف هذين الوجهين بان جعل اللام بمعنى ان لم يقم به حجة قاطعة وحمله على المصدر يقتضى جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيدا وهذا لا يجوز ولكن يجوز فى التقديم والتاخير نحو لزيد ضربت وللرؤيا تعبرون لان عمل الفعل فى التقديم يضعف كعمل المصدر فى التاخير ولذلك لم يجز الافى المتصرف فاما ردف لكم فعلى تاويل ردف ما ردف لكم وعلى ذلك يريد ما يريد لكم وكذلك قوله وامرنا لنسلم اى امرنا بما امرنا لنسلم وهذه الاقوال كلها مضطربة والوجه الصحيح فيه ان مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تبصيركم ليبين لكم المعنى ثم بين سبحانه بعد التحليل والتحريم انه يريد بذلك مصالحنا ومنافعنا فقال سبحانه يريد الله ما يريد ليبين لكم احكام دينكم ودنياكم وامور معاشكم ومعادكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم فيه قولان احدهما يهديكم الى طريق الذين كانوا من قبلكم من اهل الحق لتكونوا مقتدين بهم متبعين اثارهم لما لكم فيه من المصلحة والاخر سنن الذين من قبلكم من اهل الحق والباطل لتكونوا على بصيرة فيما تفعلون وتجتنبون من طرايقهم ويتوب عليكم اى ويقبل توبتكم ويقال يريد التوبة عليكم بالدعاء اليها والحث عليها وتيسير السبيل اليها وفى هذه الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه بين انه لا يريد الا الخير والصلاح والله عليم حكيم مر تفسيره والله يريد ان يتوب عليكم اى يلطف فى توبتكم ان وقع منكم ذلك وقيل يريد ان يوفقكم لها ويقوى دواعيكم اليها ويريد الذين يتبعون الشهوات فيه اقوال احدها ان المعنى بذلك جميع المبطلين فان كل مبطل متبع شهوة نفسه فى باطله عن ابن زيد وثانيها ان المراد بذلك الزناة عن مجاهد وثالثها انهم اليهود والنصارى عن السدى ورابعها انهم اليهود خاصة اذ قالوا ان الاخت من الاب حلال فى التورية والقول الاول اقرب ان تميلوا ميلا عظيما اى تعدلوا عن الاستقامة عدولا بينا بالاستكثار وذلك ان الاستقامة هى المؤدية الى الثواب والفوز من العقاب والميل عنها يؤدى الى الهلاك واستحقاق العذاب واذا قيل لم كرر قوله تعالى يتوب عليكم فجوابه انه للتاكيد وايضا فان فى الاول بيان انه يريد الهداية والابانة وفى الثانى بيان ان ارادته خلاف ارادة اصحاب الاهواء وايضا انه اتى فى الثانى بان ليزول الابهام انه يريد ليتوب ولا يريد ان يتوب وانما قال سبحانه ميلا عظيما لان العاصى يانس بالعاصى كما يانس المطيع بالمطيع ويانس الشكل الى الشكل ويالف به ولان العاصى يريد مشاركة الناس اياه فى المعصية ليسلم عن ذمهم وتوبيخهم ونظيره قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون ودوا لو تكفرون كما كفروا وامثال من احرق كدسه تمنى احراق كدس غيره وعلى ذلك جبلت القلوب يريد الله ان يخفف عنكم يعنى فى التكليف فى امر النساء والنكاح باباحة نكاح الاماء عن مجاهد وطاوس ويجوز ان يريد التخفيف بقبول التوبة والتوفيق لها ويجوز ان يريد التخفيف فى التكليف على العموم وذلك انه سبحانه خفف عن هذه الامة ما لم يخفف عن غيرها من الامم الماضية وخلق الانسان ضعيفا يستميله هواه وشهوته ويستطيشه خوفه وحزنه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ايتان القراءة قرا اهل الكوفة تجارة نصبا والباقون بالرفع

الحجة قال ابو على من رفع فتقديره الا ان تقع تجارة فالاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليس من اكل المال بالباطل ومن نصب تجارة احتمل ضربين احدهما الا ان تكون التجارة تجارة عن تراض ومثل ذلك قول الشاعر اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم يوما والاخر الا ان تكون الاموال اموال تجارة فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه فالاستثناء على هذا الوجه ايضا منقطع المعنى لما بين سبحانه تحريم النساء على غير الوجه المشروع عقبه بتحريم الاموال فى الوجوه الباطلة فقال يا ايها الذين امنوا اى صدقوا الله ورسوله لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ذكر الاكل واراد ساير التصرفات وانما خص الاكل لانه معظم المنافع وقيل لانه يطلق على وجوه الانفاقات اسم الاكل يقال اكل ماله بالباطل وان انفقه فى غير الاكل ومعناه لا ياكل بعضكم اموال بعض وفى قوله بالباطل قولان احدهما انه الربوا والقمار والبخس والظلم عن السدى وهو المروى عن الباقر عليه السلم والاخر معناه بغير استحقاق من طريق الاعواض عن الحسن قال فكان الرجل يتحرج ان ياكل عند احد من الناس بعد ما نزلت هذه الاية الى ان نسخ ذلك بقوله فى سورة النور ليس عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم الى قوله ان تاكلوا جميعا او اشتاتا والاول اقوى لان ما اكل على وجه مكارم الاخلاق لا يكون اكلا بالباطل وثالثها ان معناه اخذه من غير وجهه وصرفه فيما لا يحل الا ان تكون تجارة اى مبايعة ثم وصف التجارة فقال عن تراض منكم اى يرضى كل واحد منكما بذلك وقيل فى معنى التراضى بالتجارة قولان احدهما انه امضاء البيع بالتفرق او التخاير بعد العقد وهو قول شريح والشعبى وابن سيرين ومذهب الشافعى والامامية لقوله عليه السلام البيعان بالخيار ما لم يتفرقا او يكون بيع خيار وربما قالوا او يقول احدهما للاخر اختر والثانى انه البيع بالعقد فقط عن مالك وابى حنيفة ولا تقتلوا انفسكم فيه اربعة اقوال احدها ان معناه لا يقتل بعضكم بعضا لانكم اهل دين واحد وانتم كنفس واحدة كقوله فسلموا على انفسكم عن الحسن وعطا والسدى والجبائى وثانيها انه نهى الانسان عن قتل نفسه فى حال غضب او ضجر عن ابى القسم البلخى وثالثها ان معناه لا تقتلوا انفسكم بان تهلكوها بارتكاب الاثام والعدوان فى اكل المال بالباطل وغيره من المعاصى التى يستحقون بها العذاب ورابعها ما روى عن ابى عبد الله عليه السلم ان معناه لا تخاطروا بنفوسكم فى القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه ان الله كان بكم رحيما ومن رحمته ان حرم عليكم قتل الانفس وافساد الاموال ومن يفعل ذلك قيل ان ذلك اشارة الى اكل الاموال بالباطل وقتل النفس بغير حق وقيل اشارة الى المحرمات فى هذه السورة من قوله يا ايها الذين لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها وقيل اشارة الى فعل كل ما نهى الله تعالى عنه من اول السورة وقيل الى قتل النفس المحرمة خاصة عن عطا عدوانا وظلما قيل هما واحد واتى بهما لاختلاف اللفظين كما قال الشاعر والفى قولها كذبا ومينا وقيل العدوان تجاوز ما امر به والظلم ان ياخذه على غير وجه الاستحقاق وقيل انما قيده سبحانه بالعدوان والظلم لانه اراد به المستحلين فسوف نصليه نارا اى نجعله صلا نار ونحرقه بها وكان ذلك اى ادخاله النار وتعذيبه فيها على الله سبحانه يسيرا هينا لا يمنعه منه مانع ولا يدفعه عنه دافع ولا يشفع عنده الا باذنه شافع قوله عز وجل ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما اية القراءة قرا ابو جعفر ونافع مدخلا كريما مفتوحة الميم وقرا الباقون مدخلا بالضم الحجة قال ابو على من قراء مدخلا احتمل ان يكون مصدرا واحتمل ان يكون مكانا فان حملته على المصدر اضمرت له فعلا دل عليه الفعل المذكور وتقديره ندخلكم فتدخلون مدخلا وان حملته على المكان فتقديره ندخلكم مكانا كريما وهذا اشبه هنا لان المكان قد وصف بالكريم فى قوله سبحانه ومقام كريم ومن قرا مدخلا فيجوز فيه ايضا ان يكون مكانا وان يكون مصدرا اللغة الاجتناب المباعدة عن الشىء وتركه جانبا ومنه الاجنبى ويقال ما ياتينا فلان الا عن جنابة اى عن بعد قال علقمة بن عبدة فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرؤ وسط القباب غريب وقال الاعشى اتيت حريثا زائرا عن جنابة فكان حريث عن عطائى جامدا والتكفير اصله الستر المعنى لما قدم سبحانه ذكر السيئات عقبه بالترغيب فى اجتنابها فقال ان تجتنبوا اى تتركوا جانبا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم اختلف فى معنى الكبيرة فقيل كل ما اوعد الله عز اسمه عليه فى الاخرة عقابا واوجب فيه فى الدنيا حدا فهو كبيرة وهو المروى عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة عن ابن عباس والى هذا ذهب اصحابنا رضى الله عنهم فانهم قالوا المعاصى كلها كباير من حيث

اى لم يزل سبحانه بكم رحيما

كانت قبايح لكن بعضها اكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وانما تكون صغيرة بالاضافة الى ما هو منه اكبر ويستحق العقاب
عليه اكثر والقولان متقاربان وقالت المعتزلة الصغيرة ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه ثم ان العقاب اللازم
عليه يحبط بالاتفاق بينهم وهل يحبط مثله من ثواب صاحبه فعند ابى هاشم ومن يقول بالموازنة يحبط وعند ابى
على الجبائى لا يحبط بل يسقط الاقل ويبقى الاكثر بحاله والكبيرة عندهم ما يكبر عقابه عن ثواب صاحبه قالوا ولا يعرف
شئ من الصغاير ولا معصية الا ويجوز ان يكون كبيرة فان فى تعريف الصغاير اغراء بالمعصية لانه اذا علم المكلف انه
لا ضرر عليه فى فعلها ودعته الشهوة اليها فعلها وقالوا عند اجتناب الكباير يجب غفران الصغاير ولا يحسن معه المواخذة
بها وليس فى ظاهر الاية ما يدل عليه فان معناه على ما رواه الكلبى عن ابن عباس ان تجتنبوا الذنوب التى اوجب الله فيها الحد وسمى
فيها النار نكفر عنكم ما سوى ذلك من الصلوة الى الصلوة ومن الجمعة الى الجمعة ومن شهر رمضان الى شهر رمضان وقيل معنى
ذلك ان تجتنبوا كباير ما نهيتم عنه فى هذه السورة من المناكح واكل الاموال بالباطل وغيره من المحرمات من اول السورة الى
هذا الموضع وتركتموها فى المستقبل كفرنا عنكم ما كان منكم من ارتكابها فيما سلف ولهذا قال ابن مسعود كلما نهى الله عنه
من اول السورة الى راس الثلثين فهو كبير ويعضد هذا القول من التنزيل قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وندخلكم مدخلا كريما اى مكانا طيبا حسنا لا ينغصه شئ وقد ذكرنا
المعنى فى القراءتين قبل فاما تفصيل الكباير الموبقة على ما ورد به الروايات فسنذكر منه جملة مقنعة روى عبد العظيم بن عبد الله
عبد الله الحسنى عن ابى جعفر محمد بن على عن ابيه على بن موسى الرضا عليه السلام قال دخل عمرو بن عبيد البصرى على ابى عبد الله
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فلما سلم وجلس تلا هذه الاية الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش ثم امسك فقال ابو
عبد الله ما اسكتك قال احب ان اعرف الكباير من كتاب الله عز وجل فقال نعم يا عمرو اكبر الكباير الشرك بالله يقول الله
عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وبعده الياس من روح الله
ان الله يقول ولا تيأسوا من روح الله الا القوم الكافرون ثم الامن من مكر الله لان الله يقول ولا يأمن مكر الله الا القوم الخا
سرون ومنها عقوق الوالدين لان الله عز وجل جعل العاق جبارا شقيا فى قوله وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ومنها
قتل النفس التى حرم الله الا بالحق لانه سبحانه يقول ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية وقذف المحصنات
لان الله عز وجل يقول ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم واكل
مال اليتيم ظلما لقوله عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية والفرار من الزحف لان الله عز وجل يقول ومن
يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واكل الربوا
لان الله عز وجل يقول الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ويقول فان
لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله والسحر لان الله عز وجل يقول ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق
والزنا لان الله تعالى يقول ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيه مهانا واليمين الغموس
لان الله عز وجل يقول ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الاخرة والغلول فان الله
سبحانه يقول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ومنع الزكوة المفروضة لان الله عز وجل يقول يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى
بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الاية وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله عز وجل يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه
وشرب الخمر لان الله عز وجل عدل بها عبادة الاوثان وترك الصلوة متعمدا او شيئا مما فرض الله عز وجل لان رسول الله عليه
وآله يقول من ترك الصلوة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله ونقض العهد وقطيعة الرحم لان الله تعالى يقول اولئك
لهم اللعنة ولهم سوء الدار قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول هلك من قال برايه ونازعكم فى الفضل والعلم وروى
عن النبى عليه السلام انه قال الكباير سبع اعظمهن الاشراك بالله وقتل النفس المؤمن واكل الربا واكل مال اليتيم وقذف

المحصنه

وقذف المحصنة وعقوق الوالدين والفرار من الزحف فمن لقى الله سبحانه وهو برئ منهن كان معى فى بحبوحة جنة مصاريعها
من ذهب وروى سعيد بن جبير ان رجلا قال لابن عباس كم الكباير سبع هى قال هى الى سبعمائة اقرب منها الى سبع غير انه
لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار رواها الواحدى فى تفسيره بالاسناد مرفوعا قوله عز وجل ولا تتمنوا ما
فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله
ان الله كان بكل شئ عليما اية القراءة قرا ابن كثير والكسائى وسلوا بغير همز وكذلك كل ما كان امرا للمواجه فى كل
القران والباقون بالهمز ولم يختلفوا فى وليسألوا انما اتفقوا انه مهموز الحجة قال ابو على الهمز وترك الهمز حسنان فلو خففت الهمز فى قوله
وليسألوا كان ايضا حسنا اللغة التمنى هو قول القائل لما لم يكن ليته كان كذا وليته لم يكن كذا لما كان وقال ابو هاشم فى بعض
كلامه التمنى معنى فى القلب ومن قال بذلك قال ليس هو من قبيل الشهوة ولا من قبيل الارادة لان الارادة لا تتعلق الا بما يصح
حدوثه والشهوة لا تتعلق بما مضى كالارادة والتمنى قد يتعلق بما مضى واهل اللغة ذكروا التمنى فى اقسام الكلام النزول
قيل جاءت وافدة النساء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله اليس الله تعالى رب الرجال ورب النساء و
انت رسول الله اليهم جميعا فما بالنا يذكر الله الرجال ولا يذكرنا نخشى ان يكون فينا خير ولا لله فينا حاجة فنزلت هذه الاية
وقيل ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزوا الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث فليتنا رجال فنغزو ونبلغ ما يبلغ
الرجال فنزلت الاية عن مجاهد وقيل لما نزلت اية المواريث قالت الرجال نرجوا ان نفضل على النساء بحسناتنا فى الاخرة
كما فضلنا عليهن فى الميراث فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء وقالت النساء انا لنرجو ان يكون الوزر علينا نصف ما
على الرجال فى الاخرة كما لنا الميراث على نصف من نصيبهم فى الدنيا فنزلت الاية عن قتادة والسدى المعنى لما بين تعالى حكم
المواريث وفضل بعضهم على بعض فى ذلك ذكر تحريم التمنى الذى هو سبب التباغض فقال ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض اى لا يقل احدكم ليت ما اعطى فلانا من المال والنعمة والمراة الحسناء كان لى فان ذلك يكون حسدا ولكن يجوز
ان يقول اللهم اعطنى مثله عن ابن عباس وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام وقيل ان المعنى لا يجوز للرجل ان يتمنى ان لو
كان امراة ولا للمراة ان تتمنى ان لو كانت رجلا لان الله تعالى لا يفعل الا ما هو الاصلح فيكون قد تمنى ما ليس باصلح او ما يكون
مفسدة عن البلخى ويمكن ان يقال فى ذلك انه يجوز ذلك بشرط ان لا يكون مفسدة كما نقوله فى حسن السؤال سواء للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قيل فيه وجوه احدها ان المعنى لكل حظ من الثواب على حسب ما كلفه الله تعالى من الطاعات
بحسن تدبيره فلا تتمنوا خلاف هذا التدبير لما فيه من حرمان حظ الجزيل عن قتادة وثانيها ان لكل فريق من الرجال والنساء
نصيبا مما اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات وغير ذلك من انواع المكاسب فينبغى ان يقنع كل منهم ويرضى بما قسم
الله له وثالثها ان لكل منهما نصيبا من الميراث على ما قسمه الله تعالى عن ابن عباس فالاكتساب على هذا القول بمعنى الاصابة
والاحراز واسألوا الله من فضله معناه ان احتجتم الى مال غيركم فاعجبكم ان يكون لكم مثل ماله فاسألوا الله ان يعطيكم
مثل ذلك من فضله بشرط ان لا يكون فيه مفسدة لكم ولا لغيركم لان المسئلة لا تحسن الا كذلك وجاء فى الحديث عن ابن
مسعود ان النبى صلى الله عليه وآله قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وقال
سفيان بن عيينة لم يأمر بالمسئلة الا ليعطى ان الله كان بكل شئ عليما معناه ان الله عليم بكل شئ ولم يزل كذلك فيعلم
ما يظهرونه وما يضمرونه من الحسد ويقسم الارزاق بين العباد على ما يعلم فيه من الصلاح والرشاد فلا يتمنين احدكم ما قسم لغيره
فانه لا يحصل من تمنيه الا على الغم والاثم قوله عز وجل ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت
ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شئ شهيدا اية القراءة قرا اهل الكوفة عقدت بغير الف والباقون عاقدت
بالف الحجة قال ابو على الذكر الذى يعود من الصلة الى الموصول ينبغى ان يكون ضميرا منصوبا فالتقدير والذين عاقدتهم ايمانكم
الايمان فى اللفظ هى المعاقدة والمعنى على الحالفين الذين هم اصحاب الايمان والمعنى الذين عاقدت حلفهم ايمانكم فحذف المضاف و

اقيم المضاف اليه مقامه فعاقدت اشبه بهذا المعنى لان لكل نفر من المعاقدين يمينا على المحالفة ومن قال عقدت ايمانكم كان المعنى
عقدت حلفهم ايمانكم فحذف الحلف واقام المضاف اليه مقامه والذين قالوا عاقدت حملوا الكلام على المعنى اذ كان من كل واحد من
الفريقين يمين والذين قالوا عقدت حملوا الكلام على لفظ الايمان لان الفعل لم يسند الى اصحاب الايمان فى اللفظ انما اسند
الى الايمان اللغة اصل المولى من ولى الشئ يليه ولاية وهو اتصال الشئ بالشئ من غير فاصل والمولى يقع على وجوه المعتِق والمعتَق
وابن العم والورثة والحليف والولى السيد المطاع والاولى بالشئ والاحق به وهو الاصل فى الجميع فسمى المعتق مولى لانه اولى بميراث المعتَق و
المعتَق اولى بنصرة المعتِق من غيره وابن العم اولى بنصرة ابن عمه لقرابته والورثة اولى بميراث الميت من غيرهم والحليف اولى بامر محالفه
للمحالفة التى جرت بينهما والولى اولى بنصرة من يواليه والسيد اولى بتدبير من يسوده من غيره ومنه الخبر ايما امراة نكحت بغير اذن وليها
اى من هو اولى بالعقد عليها وقال ابو عبيدة فى قوله تعالى النار مولاكم معناه اولى بكم وانشد بيت لبيد فغدت كلى الفرجين تحسب انه
مولى المخافة خلفها وامامها والايمان جمع اليمين وهو اسم يقع على القسم والجارحة والقوة والاصل فيه الجارحة وذلك انهم كانوا
يضربون الصفقة للبيع والبيعة بايمانهم فياخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد ثم يتحالفون عليه فسمى القسم يمينا وقال
اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اى بالقوة الاعراب قوله مما ترك الوالدان الجار والمجرور وقع موقع الصفة بقوله
موالى اى موالى كائنين مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم معطوف على قوله الوالدان والاقربون
فيكون مرفوع الموضع ويحتمل ان يكون مما ترك الوالدان متعلقا بفعل محذوف وتقديره موالى يعطون مما ترك الوالدان
والاقربون ويكون والذين عاقدت ايمانكم مبتداء وقوله فاتوهم نصيبهم خبره المعنى ثم عاد سبحانه الى ذكر المواريث فقال
ولكل اى ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالى ورثة هم اولى بميراثه عن السدى وقيل عصبة عن ابن عباس والحسن
والاول اصح لقوله سبحانه فهب لى من لدنك وليا يرثنى اى جعله مولى لما يرث ووليا له لما كان اولى به من غيره وما كان له كما
يقال لمالك العبد مولاه مما ترك الوالدان والاقربون الموروثون والذين عقدت ايمانكم اى ويرثون مما ترك الذين عقدت
ايمانكم لان لهم وراثة هم اولى بميراثهم فيكون قوله والذين عقدت ايمانكم لان لهم وراثة هم اولى بميراثهم فيكون قوله والذين
عقدت ايمانكم عطفا على قوله الوالدان والاقربون فاتوهم نصيبهم اى فاتوا كلا نصيبه من الميراث وهذا اختيار الجبائى
وقال الحليف لم يؤمر له بشئ اصلا وقال اكثر المفسرين ان قوله والذين عاقدت ايمانكم ايضا فاتوهم نصيبهم ثم اختلفوا فيه على اقوال
احدها ان المراد بهم الحلفاء عن قتادة وسعيد بن جبير والضحاك وقالوا ان الرجل فى الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول
دمى دمك وحربى حربك وسلمى سلمك وترثنى وارثك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف
وعاقد ابو بكر مولى فورثه فذلك قوله فاتوهم نصيبهم اى فاعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض وقال مجاهد معناه فاعطوهم نصيبهم من النصر والعقد والرفد ولا ميراث فعلى هذا تكون الاية غير منسوخة ويؤيده
قوله تعالى اوفوا بالعقود وقول النبى عليه السلم فى خطبته يوم فتح مكة ما كان من حلف فى الجاهلية فتمسكوا به فانه لم
يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا فى الاسلام وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله عليه السلم قال شهدت حلف
المطيبين وانا غلام مع عمومتى فما احب ان لى حمر النعم وانى انكثه وثانيها ان المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله عليه السلم
من المهاجرين والانصار حين قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المواخاة ثم نسخ الله ذلك بالفرايض عن ابن عباس و
ابن زيد وثالثها انهم الذين كانوا يتبنون ابناء غيرهم فى الجاهلية ومنهم زيد مولى رسول الله عليه السلام فامروا فى الاسلام ان
يوصوا لهم عند الموت بوصية فذلك قوله فاتوهم نصيبهم عن سعيد بن المسيب ان الله كان على كل شئ شهيدا اى لم يزل عالما
بجميع الاشياء مطلعا عليها جليها وخفيها قوله عز وجل الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض الى قوله واللاتى تخافون نشوزهن
فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا آية
القراءة قرا ابو جعفر وحده بما حفظ اللهَ بالنصب والباقون بالرفع وقرى فى الشواذ فالصوالح قوانت قواءت طلحة بن مصرف الحجة

قوله

قوله حفظ الله يكون على حذف المضاف كانه قال حفظ امر الله او دين الله كقوله سبحانه ان تنصروا الله اى تنصروا دين الله و
حذف المضاف كثير فى الكلام والوجه فى قراءة من قرا فالصوالح قوانت ان جمع التكسير يدل على الكثرة والالف والتاء موضوعتان
للقلة فهما على حد التثنية بمنزلة الزيدون من الواحد فيكون من الثلث الى العشر والكثرة اليق بهذا الموضع غير ان الالف
والتاء قد جاء على معنى الكثرة كقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات والغرض فى الجميع الكثرة لا
ما هو ما بين الثلثة الى العشرة قال ابن جنى كان ابو على الفارسى ينكر الحكاية المروية عن النابغة وقد عرض عليه حسان شعره وانه لما صار
الى قوله لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرون من نجدة دما قال له النابغة لقد قللت جفانك وسيوفك قال وهذا
خبر مجهول لا اصل له لان الله يقول وهم فى الغرفات امنون ولا يجوز ان تكون الغرف التى فى الجنة من الثلث الى العشر اللغة
يقال رجل قيم وقيام وقوام وهذا البناء للمبالغة والتكثير واصل القنوت دوام الطاعة ومنه القنوت فى الوتر لطول القيام
واصل النشوز الترفع على الزوج بخلافه ماخوذ من قولهم فلان على نشز من الارض اى ارتفاع يقال نشزت المراة تنشز وتنشز والهجر
الترك عن قلى يقال هجرت الرجل اذا تركت كلامه عن قلى والهاجرة نصف النهار لانه وقت يهجر فيه العمل وهجر الرجل البعير اذا ربطه
بالهجار واصل الضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعا واضطجع اضطجاعا اذا استلقى للنوم واضجعته انا وكل شئ املته فقد اضجعته والبغية
الطلب يقال بغيت الضالة اذا طلبتها وقال الشاعر يصف الموت يغشاك وما تبغيه حتى وجدته كانك قد واعدته امس موعد ا
الاعراب الباء فى قوله بما فضل الله وبما انفقوا تتعلق بقوله قوامون وما فى الموضعين مصدرية لا يحتاج الى عائد اليها من صلتها
لانها حرف وقوله بما حفظ الله ايضا يكون ما فيه مصدرية فيكون تقديره بان يحفظهن الله ومن قرا بما حفظ الله نصبا يكون ما اسما
موصولا فيكون التقدير بالشئ الذى يحفظ الله اى يحفظ امر الله النزول قال مقاتل نزلت الاية فى سعيد بن الربيع بن عمرو وكان
من النقباء وفى امراته حبيبة بنت زيد بن ابى زهير وهما من الانصار وذلك انها نشزت عليه فلطمها فقال النبى صلى الله عليه وآله
ارجعوا هذا جبرئيل اتانى وانزل الله هذه الاية فقال النبى صلى الله عليه وآله اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراده الله خير و
رفع القصاص وقال الكلبى نزلت فى سعد بن الربيع وامراته خولة بنت محمد بن مسلمة وذكر القصة نحوها وقال ابو روق نزلت فى جميلة
بنت عبد الله بن ابى وفى زوجها ثابت بن قيس بن شماس وذكر قريبا منه المعنى لما بين سبحانه فضل الرجال على النساء ذكر عقيبه فضلهم
فى القيام بامر النساء فقال الرجال قوامون على النساء اى قيمون على النساء مسلطون عليهن فى التدبير والتاديب والرياضة والتعليم
بما فضل الله بعضهم على بعض هذا بيان سبب تولية الرجال عليهن اى انما ولاهم الله امرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم
والعقل وحسن الراى والعزم وبما انفقوا من اموالهم عليهن من المهر والنفقة كل ذلك بيان علة تقديمهم عليهن وتوليتهم امرهن
فالصالحات قانتات اى مطيعات لله تعالى ولازواجهن عن قتادة والثورى ويدل عليه قوله تعالى يا مريم اقنتى لربك اى
اطيعى على طاعته حافظات للغيب يعنى لانفسهن وفروجهن فى حال غيبة ازواجهن عن قتادة وعطا والثورى ويقال حافظات
لاموال ازواجهن فى حال غيبتهم راعيات لحقوقهم وحرمتهم والاولى ان يحمل على الامرين لانه لا تنافى بينهما بما حفظ الله اى بما حفظهن الله تعالى و
عصمهن لما حفظن ازواجهن بالغيب واللاتى تخافون نشوزهن معناه فالنساء اللاتى تخافون نشوزهن بظهور اسبابه وامارته
الله فى مهورهن والزام ازواجهن النفقة عليهن عن الزجاج وقيل بحفظ الله لهن وعصمته ولولا ان حفظهن الله تعالى
ونشوز المراة عصيانها لزوجها واستيلاؤها عليه ومخالفتها اياه وقال الفراء معناه تعلمون نشوزهن قال وقد يكون الخوف بمعنى
العلم لان خوف الشئ العلم بموقعه فعظوهن واهجروهن فى المضاجع معناه فعظوهن اولا بالقول والنصيحة فان لم ينجع الوعظ و
لم يؤثر النصح بالقول فاهجروهن فى المضاجع عن سعيد بن جبير قال وعنى به الجماع الا انه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها
وقيل معناه فاهجروهن فى الفراش والمبيت وذلك انه يظهر بذلك حبها للزوج وبغضها له فان كانت مائلة اليه لم تصبر على فراقه
فى المضجع فان كانت بخلاف ذلك صبرت عنه عن الحسن وقتادة وعطا والى هذا المعنى يؤل ما روى عن ابى جعفر عليه السلم قال
يحول ظهره اليها وفى تفسير الكلبى عن ابن عباس فعظوهن بكتاب الله تعالى اولا وذلك ان يقول لها اتقى الله تعالى وارجعى الى طاعتى فان

دعت والا اغلظ لها القول فان رجعت والا ضربها ضربا غير مبرح وقيل فى معنى غير المبرح ان لا يقطع لحما ولا يكسر عظما وروى عن ابى جعفر
عليه السلم انه الضرب بالسواك فان اطعنكم اى رجعن الى طاعتكم فى الايتمار لامركم فلا تبغوا عليهن سبيلا اى لا تطلبوا عليهن عللا بالباطل
وقيل سبيلا للضرب والهجران مما ابيح لكم فعله عند النشوز عن ابى مسلم وابى على الجبائى وقيل معناه لا تكلفوهن الحب عن سفين بن عيينة
فيكون المعنى اذا استقام لكم ظاهرهن فلا تعتلوا عليهن بما فى باطنهن ان الله كان عليا كبيرا اى متعاليا عن ان يكلف الا الحق
ومقدار الطاقة والعلو والكبرياء من صفات الله عز وجل وفائدة ذكرهما هنا بيان انتصاره لهن وقوته على الانتصار ان من ضعفن
عنه وقيل المراد به انه سبحانه مع علوه وكبريائه لم يكلفكم الا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن الا ما يطقن قوله عز وجل وَإِنْ خِفْتُمْ
شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا
آية اللغة الشقاق الخلاف والعداوة واشتقاقه من الشق وهو الجزء البائن فالمتشاقان كل واحد منهما فى شق غير شق صاحبه بالعداوة
اى فى ناحية واصل التوفيق الموافقة وهى المساواة فى امر من الامور فالتوفيق هو اللطف الذى يتفق عنده فعل الطاعة بمساواته
فى الوقت والتوفيق بين نفسين هو الاصلاح بينهما والاتفاق فى الجنس والمذهب المساواة بينهما والاتفاق فى الوقوع كرميتين من غير رام المساواة
نادرا الاعراب اصل بين ان يكون ظرفا ثم استعمل اسما هنا باضافة شقاق اليه كما قال سبحانه هذا فراق بينى وبينك وقال ومن بيننا و
بينك حجاب وكان فى الاصل فان خفتم شقاقا بينهما المعنى لما قدم سبحانه الحكم عند مخالفة احد الزوجين صاحبه عقبه بذكر الحكم
عند التباس الامر فى المخالفة فقال فان خفتم اى خشيتم وقيل علمتم والاول اصح لانه لو علم الشقاق يقينا لما احتيج الى الحكمين شقاق بينهما
اى مخالفة وعداوة بين الزوجين فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها اى وجهوا حكما من قوم الزوج وحكما من قوم المرأة لينظرا
فيما بينهما فالحكم القيم بما يسند اليه واختلف فى المخاطب بانفاذ الحكمين من هو فقيل هو السلطان الذى يترافع الزوجان اليه عن سعيد
بن جبير والضحاك واكثر الفقهاء وهو الظاهر فى الاخبار عن الصادقين عليهم السلم وقيل انه الزوجان او اهل الزوجين عن السدى
واختلفوا فى ان الحكمين هل لهما ان يفرقا بالطلاق ان رأياه ام لا فالذى رواه اصحابنا عنهم عليهم السلم انه ليس لهما ذلك الا
بعد ان يستأمرهما ويرضيا بذلك وقيل ان لهما ذلك عن سعيد بن جبير والشعبى والسدى وابرهيم ورووه عن على عليه
السلم ومن ذهب الى هذا القول قال ان الحكمين وكيلان ان يريدا اصلاحا يعنى الحكمين يوفق الله بينهما حتى يحكما بما فيه الصلاح
والضمير فى بينهما عائد الى الحكمين عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى وقيل ان يرد الحكمان اصلاحا بين الزوجين يوفق الله
بين الزوجين اى يؤلف بينهما ويرفع ما بينهما من العداوة والشقاق ان الله كان عليما بما يريد الحكمان من الاصلاح والافساد
خبيرا بما فيه مصالحكم ومنافعكم قوله عز وجل وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَ
الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا آية اللغة الجار اصله من العدول يقال جاوره يجاوره مجاورة وجوارا فهو مجاور له وجار له لعدوله
الى ناحيته فى مسكنه من قولهم جار عن الطريق وجار السهم اذا عدل عن القصد واستجار بالله لانه يسأله العدول به عن النار
والجار ذى القربى القريب والجار الجنب الغريب قال ابو على الجنب صفة على فعل مثل ناقة أجد ومشى سجح فالجنب المتباعد عن اهله يدل
على ذلك مقابلته بقوله والجار ذى القربى والقربى من القرب كالبشرى من البشر واصل المختال من التخيل وهو التصور لانه
يتخيل بحاله مرح البطر فالمختال الصلف التياه ومنه الخيل لانها تختال فى مشيها اى تتبختر والخول الحشم والفخور الذى يعدد مناقبه
كبرا وتطاولا واما الذى يعددها اعترافا بالنعمة فيها فهو شكور غير فخور الاعراب احسانا نصب على المصدر كما يقول ضربا لزيد وتقديره
احسنوا بالوالدين احسانا ويكون نصبا على تقدير استوصوا بالوالدين احسانا فيكون مفعولا به المعنى لما امر سبحانه بمكارم الاخلاق
فى امر اليتامى والازواج والعيال عطف على ذلك بهذه الخلال المشتملة على معالى الامور ومحاسن الافعال فبدأ فى الامر بعبادته
فقال واعبدوا الله ولا تشركوا فى عبادته غيره فان العبادة لا تجوز لغيره لانها لا يستحق الا بفعل اصول النعم ولا يقدر عليها سواه عز اسمه
وبالوالدين احسانا واستوصوا بهما برا وانعاما واحسانا واكراما وقيل ان فيه اضمار فعل اى واوصاكم الله بالوالدين احسانا وبذى القربى

واليتامى

واليتامى والمساكين معناه احسنوا بالوالدين خاصة وبالقرابات عامة يقال احسنت به واحسنت اليه واحسنوا الى المساكين فلا
تضيعوهم واعطوهم ما يحتاجون اليه من الطعام والكسوة وساير ما لا بد منه لهم والجار ذى القربى والجار الجنب قيل معناه
الجار القريب فى النسب والجار الاجنبى الذى ليس بينك وبينه قرابة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل
المراد به الجار ذى القربى منك بالاسلام والجار الجنب المشرك البعيد فى الدين وروى عن النبى عليه السلم انه قال الجيران ثلثة
جار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق حق الجوار المشرك من
اهل الكتاب وقال الزجاج الجار ذى القربى الجار الذى يقاربك وتقاربه ويعرفك وتعرفه والجار الجنب البعيد وروى ان حد
الجوار الى اربعين دارا وروى الى اربعين ذراعا قال ولا يجوز ان يكون المراد بذى القربى القريب من النسب لانه قد سبق ذكر القرابة
والامر بالاحسان اليهم بقوله وبذى القربى ويمكن ان يجاب عنه بان يقال هذا جائز وان كان قد سبق ذكر القرابة لان الجار اذا كان
قريبا فله حق القرابة والجوار والقريب الذى ليس بجار له حق القرابة حسب فخص افراد الجار القريب بالذكر والصاحب بالجنب فى معناه ثلثة
اقوال احدها انه الرفيق فى السفر عن ابن عباس وسعيد بن جبير وجماعة والاحسان اليه بالمواساة وحسن العشرة وثانيها انه الزوجة
عن عبد الله بن مسعود وابن ابى ليلى والنخعى وثالثها انه المنقطع اليك يرجو نفعك ورفدك عن ابن عباس فى احدى الروايتين
وابن زيد ورابعها انه الخادم الذى يخدمك والاولى حمله على الجميع وابن السبيل معناه صاحب الطريق وفيه قولان احدهما انه
المسافر عن مجاهد والربيع وقيل هو الضيف عن ابن عباس قالوا الضيافة ثلثة ايام وما فوقها فهو معروف وكل معروف صدقة
وروى جابر عن النبى عليه السلم انه قال كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ من دلوك
فى اناء اخيك وما ملكت ايمانكم يعنى به المماليك من العبيد والاماء وذكر اليمين تاكيد كما يقال مشت رجلك وبطشت يدك
فموضع ما من قوله وما ملكت ايمانكم جر بالعطف على ما تقدم واحسنوا الى عبيدكم واماءكم بالنفقة والكسوة ولا تحملوهم من الاعمال
ما لا يطيقون امر الله عباده بالاحسان الى هؤلاء اجمع ان الله لا يحب اى لا يرتضى من كان مختالا فخورا على الناس بكثرة المال
تكبرا عن ابن عباس وانما ذكرهما سبحانه لانهما يأنفان من اقاربهم وجيرانهم اذا كانوا فقراء ولا يحسنان عشرتهم وهذه الآية جامعة
تضمنت بيان اركان الاسلام والتنبيه على مكارم الاخلاق ومن تدبرها حق التدبر وتذكرها حق التذكر اغنته عن كثير من
مواضع البلغاء وهدته الى جم غفير من علوم العلماء قوله عز وجل الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا
آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا آية القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم بالبخل بفتح الباء والخاء وكذلك
فى سورة الحديد والباقون بالبخل بالضم الحجة قال سيبويه هما لغتان اللغة البخل اصله مشقة الاعطاء وقيل معناه انه منع الواجب
لانه اسم ذم لا يطلق الا على مرتكب كبيرة وقيل هو منع ما لا ينفع منعه ولا يضر بذله ومثله الشح وضده الجود والاول اليق
بالآية لانه سبحانه نفى محبته عمن كان بهذه الصفة وقال على بن عيسى معناه منع الاحسان لمشقة الطباع ونقيضه الجود
ومعناه بذل الاحسان لانتفاء مشقة الطباع الاعراب الذين يحتمل ان يكون موضعه نصبا من وجهين وان يكون رفعا من
وجهين فاما النصب فعلى ان يكون بدلا من من فى قوله لا يحب من كان وعلى الذم ايضا واما الرفع فعلى الاستيناف بالذم على
الابتداء ويكون الآية الثانية عطفا عليها ويكون الخبر ان الله لا يظلم وعلى البدل من الضمير فى فخور المعنى الذين يبخلون اى
يمنعون ما اوجب الله عليهم من الزكوات وغيرها واختاره الجبائى وابو مسلم وقيل معناه الذين يبخلون باظهار ما علموه من صفة
النبى عليه السلم عن ابن عباس ومجاهد والسدى وابن زيد ويأمرون الناس بالبخل ويأمرون غيرهم بذلك وقيل يأمرون
الانصار بترك الانفاق على رسول الله عليه السلم وعلى اصحابه عن ابن عباس وقيل يأمرون بكتمان الحق ويكتمون ما آتيهم الله
من فضله اى يجحدون ما آتاهم الله من اليسار والثروة اعتذارا لهم فى البخل وقيل معناه يكتمون ما عندهم من العلم ببعث
النبى صلى الله عليه وآله وصفته والاولى ان تكون الآية عامة فى كل من يبخل باداء ما يجب عليه اداؤه ويأمر الناس
وعامة فى كل من كتم فضلا آتاه الله تعالى من العلم وغيره من انواع النعم التى يجب اظهارها وتحرم كتمانها وقد ورد فى الحديث

الى اليتامى بحفظ اموالهم والقيام عليها وغيرهما من وجوه الاحسان واحسنوا الى

اذا انعم الله تعالى على عبد نعمة احب ان يرى اثرها عليه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا معناه اعتدنا للجاحدين ما انعم الله عليهم
عذابا يهانون فيه ويذلون فاضاف الاهانة الى العذاب اذ كان يحصل به قوله تعالى والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر و
انفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما اللغة القرين اصله من الاقتران ومنه القرن لاهل العصر لاقترانهم
والقرن المقاوم في الحرب والقرين الصاحب المألوف وقال عدي بن زيد عن المرء لا تسأل وابصر قرينه فان القرين بالمقارن يقتدي
الاعراب اعراب الذين يحتمل ان يكون ما قلناه ويحتمل ان يكون عطفا على الكافرين فكانه قال واعتدنا للكافرين والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس رئاء مصدر وضع موضع الحال فكانه قال ينفقون مرائين الناس وقرينا نصب على التفسير وموضع ذا من ما
ذا يحتمل وجهين احدهما ان يكون مرفوعا لانه في موضع الذي وتقديره وما الذي عليهم لو آمنوا والثاني ان يكون لا موضع له لانه
مع ما بمنزلة اسم واحد وتقديره واي شيء عليهم لو آمنوا المعنى ثم عطف على ما تقدم بذكر المنافقين فقال الذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس اي مراءاة الناس ولا يؤمنون اي لا يصدقون بالله ولا باليوم الآخر الذي فيه الثواب والعقاب جمع الله سبحانه في
الذم والوعيد بين من ينفق ماله بالريا والسمعة ومن لم ينفق اصلا ومن يكن الشيطان له قرينا اي صاحبا وخليلا في الدنيا
يتبع امره ويوافقه على الكفر وقيل يعني في القيمة وفي النار فساء قرينا اي بئس القرين الشيطان لانه يدعو الى المعصية المؤدية
الى النار وقيل بئس القرين الشيطان حيث يتلاعنان ويتباغضان في النار وماذا عليهم اي اي شيء عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر
وانفقوا مما رزقهم الله قطع الله سبحانه بهذا عذر الكفار في العدول عن الايمان وابطل به قول من قال انهم لا يقدرون على الايمان
لانه لا يحسن ان يقال للعاجز ما ذا عليك لو فعلت كذا فلا يقال للقصير ما ذا عليك لو كنت طويلا وللاعمى ما ذا عليك
لو كنت بصيرا وقيل معناه ما ذا عليهم لو جمعوا الى انفاقهم الايمان بالله لينفعهم الانفاق وكان الله بهم عليما يجازيهم بما يسرون
ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا فلا ينفعهم ما ينفقونه على جهة الريا وفي الآية دلالة على ان الحرام لا يكون رزقا من حيث انه سبحانه
حثهم على الانفاق مما رزقهم واجمعت الامة على ان الانفاق من الحرام محظور قوله عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما آية القراءة قرا ابن كثير ونافع وان تك حسنة بالرفع والباقون
بالنصب وقرا ابن كثير وابن عامر يضعفها بالتشديد والباقون يضاعفها بالالف الحجة من نصب حسنة فمعناه وان تك زنة الذرة
حسنة او ان يك فعله حسنة ومن رفعها فمعناه وان تقع حسنة او ان تحدث حسنة فيكون كان تامة لا تحتاج الى خبر ويضاعف
ويضعف بمعنى واحد قال سيبويه يجيء فاعلت ولا يراد به عمل اثنين وذلك قولهم ناولته وعاقبته وعافاه الله قال ومثل
ذلك ضاعفت وضعفت وناعمت ونعمت وهذا يدل على انهما لغتان اللغة الظلم هو الالم الذي لا نفع فيه يوفي عليه ولا
دفع مضرة اعظم منه عاجلا ولا آجلا ولا يكون مستحقا ولا واقعا على وجه المدافعة واصله وضع الشيء غير موضعه وقيل
اصله الانتقاص من قوله ولم يظلم منه شيئا فالظلم على هذا انتقاص الحق والظلمة انتقاص النور بذهابه وسقاء مظلوم اذا شرب
منه قبل ان يدرك والظليم ذكر النعام لانه يضع الشيء غير موضعه من حيث يحضن غير بيضه واصل المثقال الثقل فالمثقال
مقدار الشيء في الثقل والثقل ما ثقل من متاع السفر الاعراب اصل تك تكون فحذفت الضمة للجزم والواو لسكونها وسكون
النون فاما سقوط النون فلكثرة الاستعمال فكانهم ارادوا ان يجزموا الكلمة مرة اخرى فلم يجدوا حركة لسقوطها فاسقطوا
الحرف وقد ورد القرآن بالحذف والاثبات قال سبحانه ان يكن غنيا او فقيرا ومثل ذلك قولهم لا ادر ولم ابل والاصل لا
ادري ولم ابال ولدن في موضع جر وفيه لغات لد ولدن ولدى ولدا والمعنى واحد ومعناه من قبله ولدن لما يليك
وعند لما يكون يليك ولما بعد منك يقول عندي مال وان كان بينك وبينه بعد واذا اضفته الى نفسك زدت
فيه نونا اخرى ليسلم سكون النون يقول لدني وكذلك مني ومنا المعنى ان الله لا يظلم احدا قط مثقال ذرة اي زنة ذرة وهي
النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترى عن ابن عباس وابن زيد وهي اصغر النمل وقيل هي جزء من اجزاء الهباء في الكوة من اثر الشمس

واما

وانما لا يختار الله تعالى الظلم ولا يجوز عليه الظلم لانه عالم بقبحه مستغن عنه وعالم بغناه عنه وانما يختار القبيح من يختاره
لجهله بقبحه او لحاجته اليه لدفع ضرر او لجر نفع او لجهله باستغنائه عنه والله تعالى منزه عن جميع ذلك وعن سائر صفات
النقص والعجز ولم يذكر سبحانه الذرة ليقصر الحكم عليها بل انما خصها بالذكر لانها اقل شيء مما يدخل في وهم البشر وان يك
حسنة يضاعفها معناه وان يك زنة الذرة حسنة يقبلها ويجعلها اضعافا كثيرة وقيل يجعلها ضعفين عن ابي عبيدة وقيل
معناه يديمها ولا يقطعها ومثله قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وكلتا الآيتين غاية في الحث على الطاعة والنهي عن المعصية
وقوله ويؤت من لدنه اي يعطه من عنده اجرا عظيما وهو ثواب الجنة وفي هذه الآية دلالة على ان منع الثواب والنقصان
منه ظلم لانه لو لم يكن كذلك لما كان لهذا الترتيب في الآية معنى وفيها ايضا دلالة على انه سبحانه قادر على الظلم لانه نزه نفسه
عن فعل الظلم وتمدح بذلك فلو لم يكن قادرا عليه لم يكن فيه مدحة قوله عز وجل فكيف اذا جئنا من كل امة
بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا
يكتمون الله حديثا آيتان القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم تسوى مفتوحة التاء خفيفة السين وقرا يزيد و
نافع وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين وقرا الباقون تسوى بضم التاء وتخفيف السين الحجة قال ابو علي قراءة نافع وابن عامر
تسوى معناه لو تتسوى فادغم التاء في السين لقربها منها وفي قراءة حمزة والكسائي حذف التاء فالتاء اعتلت بالحذف كما اعتلت بالادغام
واما تسوى فهو تفعل من التسوية الاعراب كيف لفظها لفظ الاستفهام ومعناها التوبيخ وتقديره فكيف حال هؤلاء يوم القيمة
وحذف لدلالة الكلام عليه والعامل في كيف الابتداء المحذوف فهو في موضع الرفع بانه خبر المبتدا ولا يجوز ان يكون
العامل في كيف جئنا لانه في موضع جر باضافة اذا اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف كما لا تعمل الصلة فيما قبل
الموصول لانه من تمام الاسم ومن كل امة في موضع نصب على الحال لانه صفة شهيد فلما تقدمه انتصب على الحال والعامل في اذا
جوابه المحذوف لدلالة ما تقدم عليه وشهيدا منصوب على الحال والعامل في يومئذ يود وانما عمل في يومئذ ما بعد اذ ولم يجز
ذلك في اذا جئنا لانه لما اضيف يوم الى اذ بطلت اضافته الى الجملة ونون اذ لتدل على تمام الاسم المعنى لما ذكر سبحانه اليوم
الآخر وصف حال المنكرين له فقال فكيف اي فكيف حال الامم وكيف يصنعون اذا جئنا من كل امة من الامم بشهيد وجئنا بك
يا محمد على هؤلاء يعني قومه شهيدا وهذا كما يقول العرب للرجل في الامر الهائل يتوقعه كيف بك اذا كان كذا يريد بذلك تعظيم
الامر وتهويله وتحذير الرجل عنه وانذاره به وحثه على الاستعداد له ومعنى الآية ان الله تعالى يستشهد يوم القيمة كل نبي
على امته فيشهد لهم وعليهم ويستشهد نبينا صلى الله عليه واله على امته وفي الآية مبالغة في الحث على الطاعة واجتناب المعصية
والزجر عن كل ما يستحيى منه على رؤس الاشهاد لانه يشهد للانسان وعليه يوم القيمة شهود عدول لا يتوقف في الحكم بشهادتهم
ولا يتوقع القدح فيها وهم الانبياء المعصومون والكرام الكاتبون والجوارح والزمان والمكان كما قال سبحانه وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقال ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسؤلا ويوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وفي بعض الاخبار ان المكان والزمان يشهدان
على الرجل باعماله فليتذكر العاقل هذه الشهادة وليستعد لهذه الحالة فكان قد وقعت وكان الشهادة قد اقيمت وروي ان
عبد الله بن مسعود قرا هذه الآية على النبي عليه السلم ففاضت عيناه فاذا كان الشاهد تفيض عيناه لهول هذه المقالة وعظم
هذه الحالة فماذا لعمري ينبغي ان يصنع المشهود عليه يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض معناه
لو يجعلون والارض سواء كما قال سبحانه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ومن التسوية قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوي
بنانه اي نجعلها صفحة واحدة لا يفضل بعضها على بعض فيكون كالكفة فيعجز لذلك عما يستعان عليه من الاعمال بالبنان وروي
عن ابن عباس ان معناه يودون ان يمشي عليهم اهل الجمع يطؤنهم باقدامهم كما يطؤون الارض وعلى القول الاول فالمراد به ان
الكفار يوم القيمة يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء لعلمهم بما يصيرون اليه من العذاب والخلود في النار وروي

ايضا ان البهايم يوم القيمة تصير ترابا فيحقى عند ذلك الكفار انهم صاروا كذلك ترابا وهذا لا يجيز الا من قال ان العوض منقطع وهو الصحيح ومن قال ان العوض دايم لم يصح هذا الخبر وقوله ولا يكتمون الله حديثا قيل فيه اقوال احدها انه عطف على قوله لو تسوى اى ويودون ان لو لم يكتموا الله حديثا لانهم اذا سيلوا قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فتشهد عليهم جوارحهم بما عملوا فيقولون يا ليتنا كنا ترابا وليتنا لم نكتم الله شيئا وليس ذلك بحقيقة الكتمان فانه لا يكتم شيء عن الله تعالى لكنه فى صورة الكتمان وهذا قول ابن عباس وثانيها انه كلام مستانف والمراد به انهم لا يكتمون الله شيئا من امور دنياهم وكفرهم بل يعترفون به فيدخلون النار باعترافهم فانما لا يكتمون لعلمهم بانه لا ينفعهم الكتمان وانما يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فى بعض الاحوال فان للقيامة مواطن واحوالا ففى موطن لا يسمع كلامهم الا همسا كما اخبر سبحانه عنهم وفى موطن ينكرون ما فعلوه من الكفر والمعاصى ظنا منهم ان ذلك لا ينفعهم وفى موطن يعترفون بما فعلوه عن الحسن وثالثها ان المراد انهم لا يقدرون على كتمان شيء من الله تعالى لان جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه فالتقدير لا تكتمه جوارحهم وان كتموه هم ورابعها ان المراد ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه واله وبعثه عن عطا وخامسها ان الاية على ظاهرها فالمراد لا يكتمون الله شيئا لانهم ملجؤن الى ترك القبايح والكذب وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين عند انفسنا لانهم كانوا يظنون فى الدنيا ان ذلك ليس بشرك من حيث تقربهم الى الله تعالى عن ابى القسم البلخى قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا ايه القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم او لمستم بغير الف ههنا وفى المائدة وقرا الباقون لامستم بالف الحجة حجة من قرا لمستم ان هذا المعنى جاء فى التنزيل على فعلتم فى غير موضع قال سبحانه لم يطمثهن انس ولم يمسسنى بشر وحجة من قرا لامستم ان فاعل قد جاء فى معنى فعل نحو عاقبت اللص وطارقت النعل اللغة يقال قرب يقرب متعد وقرب يقرب لازم وقرب الماء يقربه اذا وردهُ واصل السكر من السكر وهو سد مجرى الماء واسم الموضع السكر فالسكر ينسد طريق المعرفة وسكرة الموت غشيته ورجل سكران من قوم سكارى وسكرى والمراة سكرى ايضا ويقال رجل جنب ويستوى فيه المذكر والمونث والواحد والجمع ويقال رجل جنب وقوم جنب وامراة جنب والعابر من العبور يقال عبرت النهر والطريق عبورا اذا قطعته من هذا الجانب الى الجانب الاخر والغايط اصله المطمئن من الارض يقال غايط وغيطان وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غايط وكنوا بالتغوط عن الحدث فى الغايط وقيل انهم كانوا يلقون النجو فى هذا المكان فسمى باسمه على سبيل المجاورة والغوطة موضع كثير الماء والشجر بدمشق وقال مورج الغايط قرار من الارض تحفها اكام تسترها والفعل منه غاط يغوط مثل عاد يعود واللمس يكون باليد ثم اتسع فيه فاوقع على غيره وقالوا التمس وهو افتعل من اللمس فاوقع على ما لا يقع عليه اللمس قال الحر والمجبن والفلنقس ثلاثة فانهم تلمس اراد ابتم تطلب وملقس المعروف طالبه ليس هناك مماسة ولا مباشرة والتيمم القصد ومثله التامم قال الاعشى تيممت قيسا وكم دونه من الارض من مهمه ذى شزن وقال اخر تيممت دارا وتيممت دارا وقد صار فى الشرع اسما للقصد مخصوص وهو ان يقصد الصعيد ويستعمل التراب فى اعضا مخصوصة والصعيد وجه الارض من غير نبات ولا شجر وقال ذو الرمة كانه بالضحى ترمى الصعيد به دبابة فى عظام الراس خرطوم وقال الزجاج الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ترابا كان او غيره وانما سمى صعيدا لانه نهاية ما يصعد اليه من باطن الارض الاعراب وانتم سكارى جملة منصوبة الموضع على الحال والعامل فيه تقربوا وذو الحال الواو من تقربوا وقوله جنبا انما انتصب لكونه عطفا عليه والمراد به الجمع وعابرى سبيل منصوب على الاستثناء وتعلموا منصوب باضمار ان وعلامة النصب سقوط النون ثم انه مع ان المضمرة فى موضع الجر بحتى والجار مع المجرور فى موضع النصب بكونه مفعول تقربوا وكذلك قوله حتى تغتسلوا وقوله على سفر فى موضع نصب عطفا على قوله مرضى وتقديره او مسافرين المعنى لما امر سبحانه فى الاية المتقدمة بالعبادة ذكر عقيبها ما هو من اكبر العبادات وهو الصلوة فقال يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة اى لا تصلوا وانتم سكارى عن ابن عباس وسعيد بن

جبير ومجاهد وابن زيد وقيل معناه لا تقربوا مكان الصلوة اى المساجد للصلاة وغيرها كقوله وصلوات اى مواضع الصلوات عن عبد الله وسعيد بن المسيب والضحاك وعكرمة والحسن ويؤيد هذا قوله الا عابرى سبيل فان العبور انما يكون فى الموضع دون الصلوة وقوله وانتم سكارى اى نشاوى اختلف فيه على قولين احدهما ان المراد به سكر الشراب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا ثم نسخها تحريم الخمر وروى ذلك عن موسى بن جعفر عليه السلم وقد يسال عن هذا فيقال كيف يجوز نهى السكران فى حال السكر مع زوال العقل واجيب عنه بجوابين احدهما انه قد يكون سكران من غير ان يخرج من نقصان العقل الى ما لا يحتمل الامر والنهى والاخر ان النهى انما ورد عن التعرض للسكر فى حال وجوب اداء الصلوة عليهم واجاب ابو على الجبائى بجواب ثالث وهو ان النهى انما دل على ان اعادة الصلوة واجبة عليهم ان ادوها فى حال السكر وقد يسئل ايضا فيقال اذا كان السكران مكلفا فكيف يجوز ان ينهى عن الصلوة فى حال سكره مع ان عمل المسلمين على خلافه واجيب عن ذلك ايضا بجوابين احدهما انه منسوخ والاخر انهم لم يؤمروا بتركها لكن امروا بان يصلوها فى بيوتهم ونهوا عن الصلوة مع النبى عليه السلم فى جماعة تعظيما له وتوقيرا والقول الثانى ان المراد بقوله وانتم سكارى سكر النوم خاصة عن الضحاك وروى ذلك عن ابى جعفر عليه السلم ويعضد ذلك ما روته عايشة عن النبى عليه السلم انه قال اذا نعس احدكم وهو يصلى فلينصرف لعله يدعوا على نفسه وهو لا يدرى حتى تعلموا ما تقولون اى حتى تميزوا ما تقولون من الكلام وقيل معناه حتى تحفظوا ما تتلون من القران وقوله ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا فى معناه قولان احدهما ان المراد به ولا تقربوا الصلوة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين فيجوز لكم اداؤها بالتيمم وان كان لا يرتفع حكم الجنابة به فان التيمم وان كان يبيح الصلوة فانه لا يرفع الحدث عن على عليه السلم وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والاخر ان معناه لا تقربوا مواضع الصلوة من المساجد وانتم جنب الا مجتازين عن جابر والحسن وعطا والزهرى وابرهيم وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وعابرى سبيل اى مارين فى طريق حتى تغتسلوا من الجنابة وهذا القول الاخير اقوى لانه سبحانه بين حكم الجنب فى اخر الاية اذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكرارا وانما اراد سبحانه ان يبين حكم الجنب فى دخول المساجد فى اول الاية ويبين حكمه فى الصلوة عند عدم الماء فى اخر الاية وان كنتم مرضى قيل نزلت فى رجل من الانصار كان مريضا ولم يستطع ان يقوم فيتوضا فالمرض الذى يجوز معه التيمم مرض الجراح والكسر والقروح اذا خاف اصحابها من مس الماء عن ابن عباس وابن مسعود والسدى والضحاك ومجاهد وقتادة وقيل هو المرض الذى لا يستطيع معه تناول الماء او لا يكون هناك من يناوله عن الحسن وابن زيد وكان الحسن لا يرخص للجريح التيمم والمروى عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلم جواز التيمم فى جميع ذلك او على سفر معناه او كنتم مسافرين او جاء احد منكم من الغايط وهو كناية عن قضاء الحاجة قيل ان او ههنا بمعنى الواو كقوله سبحانه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعنى وجاء احد منكم من الغايط وذلك لان المجىء من الغايط ليس من جنس المرض والسفر حتى يصح عطفه عليهما فانهما سبب لاباحة التيمم والرخصة والمجىء من الغايط سبب لايجاب الطهارة او لامستم النساء قيل المراد به اللمس باليد وغيرها عن عمر بن الخطاب وابن مسعود والشعبى وعطا واختاره الشافعى وقيل المراد به الجماع عن على عليه السلم وابن عباس ومجاهد وقتادة واختاره ابو حنيفة والجبائى والصحيح الاول لان الله تعالى بين حكم الجنب فى حال وجود الماء بقوله ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ثم بين عند عدم الماء حكم المحدث بقوله او جاء احد منكم من الغايط فلا يجوز ان يدع بيان حكم الجنب عند عدم الماء مع انه جرى له ذكر فى الاية وبين حكم المحدث ولم يجر له ذكر فعلمنا ان المراد بقوله او لامستم الجماع ليكون بيانا لحكم الجنب عند عدم الماء واللمس والملامسة معناهما واحد لانه لا يلمسها الا وهى تلمسه فقال الموالى المراد به الجماع وقالت العرب المراد به مس المراة فارتفعت اصواتهم الى ابن عباس فقال غلب الموالى المراد به الجماع وسمى الجماع لمسا لانه به يتوصل الى الجماع كما يسمى المطر سماء وقوله فلم تجدوا ماء راجع الى المرضى والمسافرين جميعا بمسافر لا يجد الماء ومريض لا يجد من يوضيه او يخاف الضرر من استعمال الماء وحال السفر يغلب فيها عدم الماء فتيمموا اى تعمدوا وتحروا واقصدوا صعيدا قال الزجاج لا اعلم خلافا بين اهل اللغة فى ان الصعيد وجه الارض وهذا يوافق مذهب اصحابنا فى ان التيمم يجوز

بالحجر سواء كان عليه تراب او لم يكن طيبا اى طاهرا وقيل حلالا عن سفين وقيل منبتا دون السبخة التى لا تنبت كقوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه فامسحوا بوجوهكم وايديكم هذا هو التيمم بالصعيد الطيب واختلف فى كيفية التيمم على اقوال احدها انه ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وهو قول اكثر الفقهاء وابى حنيفة والشافعى وغيرهما وبه قال قوم من اصحابنا وثانيها انه ضربة للوجه وضربة لليدين من الزندين واليه ذهب عمار بن ياسر ومكحول واختاره الطبرى وهو مذهبنا فى التيمم اذا كان بدلا من الجنابة فان كان بدلا من الوضوء كفاضربة واحدة يمسح بها وجهه من قصاص شعره الى طرف انفه ويديه من زنديه الى اطراف اصابعهما وهو المروى عن سعيد بن المسيب وثالثها انه الى الابطين عن الزهرى ان الله كان عفوا يقبل منكم العفو لانه في ابدال التيمم بدلا من الوضوء تسهيل الامر علينا وقيل عفوا كثير الصفح والتجاوز غفورا كثير الستر لذنوب عباده وفى الاية دلالة على ان السكران لا يصح صلوته وقد حصل الاجماع على انه يلزمه القضاء ولا يصح من السكران شىء من العقود كالنكاح والبيع والشرىء وغير ذلك ولا يرفعها كالطلاق والعتاق وفى الطلاق خلاف بين الفريقين فعند ابى حنيفة تقع طلاقه وعند الشافعى لا تقع فى احد القولين فاما ما يلزم به الحدود والقصاص فعندنا انه يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة ويحد بالقذف والزنا لعموم الايات المتناولة لذلك ولاجماع الطائفة عليه قوله عز وجل أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ايتان فى الكوفى عدوا ان تضلوا السبيل اية واحدة فى غيرهم اللغة العداوة الابعاد من حال النصرة وضدها الولاية وهى التقريب من حال النصرة واما البغض فهو ارادة الاستخفاف والاهانة وضده المحبة وهى ارادة الاعظام والكرامة والكفاية بلوغ الغاية فى مقدار الحاجة كفى يكفى كفاية فهو كاف وقوا الاكتفاء الاجتزاء بالشىء دون الشىء ومثله الاستغناء والنصرة الزيادة فى القوة للغلبة ومثلها المعونة وضدها الخذلان ولا يكون ذلك الا عقوبة لان منع المعونة من يحتاج اليها عقوبة الاعراب فى دخول الباء فى قوله بالله قولان احدهما انه لتاكيد الاتصال والثانى لانه دخله معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج وموضعه رفع بالاتفاق النزول نزلت فى رفاعة بن زيد بن السايب ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه لويا لسانهما وعاباه عن ابن عباس المعنى لما ذكر تعالى الاحكام التى اوجب العمل بها وصلها بالتحذير مما دعا الى خلافها فقال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى الم ينته علمك الى الذين اعطوا حظا من علم الكتاب يعنى التورية عن ابن عباس يشترون الضلالة اى يستبدلون الضلالة بالهدى ويكذبون النبى صلى الله عليه بدلا من التصديق وقيل كانت اليهود تعطى احبارها كثيرا من اموالهم على ما كانوا يصنعونه لهم فجعل ذلك اشتراء منهم عن ابى على الجبائى وقيل كانوا ياخذون الرشا عن الزجاج ويريدون ان تضلوا السبيل اى يريد هؤلاء اليهود ان تزولوا ايها المؤمنون عن طريق الحق وهو الدين والاسلام فتكذبوا بمحمد فتكونوا ضلالا وفى ذلك تحذير للمؤمنين ان يستنصحوا احدا من اعداء الدين فى شىء من امورهم الدينية والدنيوية ثم اخبر تعالى بانه اعلم بعداوة اليهود فقال والله اعلم باعدائكم ايها المؤمنون فانتهوا الى طاعتى فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم لكم اليهود فى دينكم فانى اعلم بباطنهم منكم وما هم عليه من الغش والحسد والعداوة لكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا معناه ان ولاية الله لكم ونصرته اياكم تغنيكم عن نصرة هؤلاء اليهود ومن جرى مجراهم ممن تطمعون فى نصره قوله عز وجل مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا اية اللغة اصل اللى الفتل يقال لويت العود الويه ليا ولويت الغريم اذا مطلته واللوية ما تتحف به المراة ضيفها لتلوى بقلبه اليها والوى بهم الدهر اذا افناهم ولوى البقل اذا اصفر ولم يستحكم يبسه والالسنة جمع اللسان وهو الة الكلام واللسان اللغة ومنه قوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ويقول لسنته السنه اذا اخذته بلسانك قال طرفة واذا تلسننى السنها اننى لست بموهون فقر واصل الطعن الطعن بالرمح ونحوه الطعن باللسان الاعراب قيل فى من هاهنا

والصاله وجهان احدهما انه تبيين للذين اوتوا نصيبا من الكتاب ويكون العامل فيه اوتوا وهو فى صلة الذين ويجوز ان لا يكون فى الصلة كما تقول انظر الى النفر من قومك ما صنعوا الثانى ان يكون على الاستيناف والتقدير من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم فالقى الموصوف لدلالة الصفة عليه كما قال ذو الرمة فظلوا ومنهم دمعه سابق لهم واخر يثنى دمعه العين بالمهل وانشد سيبويه وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح وقال الفراء المحذوف من الموصولة والتقدير من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون منا من يقول ذلك ومنا من لا يقوله قال والعرب تضمر من معلوم فى مبتدا الكلام بمن لان من بعض لمن هى منه كما قال وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها وانكر المبرد والزجاج هذا القول قالا لان من تحتاج الى صلة او صفة تقوم مقام الصلة فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا يحسن حذف بعض الكلمة غير مسمع نصب على الحال وراعنا من نونها جعلها كلمة الامر كقولك رويدا وهيتا ومن لم ينون جعلها من المراعاة كما تقول قاصنا ليا مصدر وضع موضع الحال وكذلك قوله وطعنا وتقديره يلوون السنتهم ليا ويطعنون فى الدين طعنا الا قليلا تقديره يؤمنون وهم قليل فيكون قليلا منتصبا على الحال ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف تقديره ايمانا قليلا كما قال الشاعر فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا يريد الا ذاكرا قليلا وسقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين المعنى ثم بين سبحانه صفة من تقدم ذكرهم فقال من الذين هادوا اى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب من اليهود فيكون قوله يحرفون الكلم فى موضع الحال وان جعلته كلاما مستانفا فمعناه من اليهود فريق يحرفون الكلم عن مواضعه اى يبدلون كلمات الله واحكامه عن مواضعها وقال مجاهد يعنى بالكلم التورية وذلك انهم كتموا ما فى التورية من صفة النبى صلى الله عليه واله ويقولون سمعنا وعصينا معناه يقولون بالسنتهم سمعنا وفى قلوبهم عصينا وقيل معناه هؤلاء يقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى يقول هؤلاء اليهود للنبى صلى الله عليه واله اسمع منا غير مسمع كما يقول القايل لغيره اذا سبه بالقبيح اسمع لا اسمعك الله عن ابن عباس وابن زيد وقيل بل تاويله اسمع غير مجاب لك ولا مقبول منك عن الحسن ومجاهد وهذا كله اخبار من الله سبحانه عن اليهود الذين كانوا حوالى المدينة فى عصر النبى صلى الله عليه واله لانهم كانوا يسبونه ويؤذونه بالسىء من القول وراعنا قد ذكرنا معنا فى سورة البقرة ويقال انه كان سبا للنبى عليه السلم تواضعوا عليه ويقال كانوا يقولونه استهزاء وسخرية ويقال انهم كانوا يقولون على وجه التجبر كما يقول القايل لغيره انصت لكلامنا وتفهم عنا فانما هو من المراعاة التى هى المراقبة ليا بالسنتهم اى تحريكا منهم السنتهم بتحريف منهم لمعناه الى المكروه وطعنا فى الدين اى وقيعة فيه ولو انهم قالوا سمعنا قولك واطعنا امرك وقبلنا ما جئتنا به واسمع منا وانظرنا اى انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا لكان خيرا لهم يعنى انفع لهم عاجلا واجلا واقوم اى اعدل واصوب فى الكلام من الكفر والطعن فى الدين ولكن لعنهم الله بكفرهم اى طردهم عن ثوابه ورحمته بسبب كفرهم ثم اخبر تعالى عنهم فقال فلا يؤمنون فى المستقبل الا قليلا منهم فخرج مخبره سبحانه على وفق خبره فلم يؤمن منهم الا عبد الله بن سلام واصحابه وهم نفر قليل ويقال معناه لا يؤمنون الا ايمانا قليلا اى ضعيفا لا اخلاص فيه ولكنهم عصموا دماءهم واموالهم به ويجوز ان يكون المعنى فلا يؤمنون الا قليلا مما يجب الايمان به بقليل قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا اية اللغة الطمس هو عفو الاثر والداثر والدارس بمعنى والادبار جمع دبر واصله من الدبر يقال دبره يدبره دبرا فهو دابر اذا صار خلفه والدابر التابع وقوله والليل اذا دبر معناه تبع النهار والتدبير احكام ادبار الامور وهى عواقبها المعنى ثم خاطب اهل الكتاب بالتخويف والتحذير فقال يا ايها الذين اوتوا الكتاب اى اعطوا علم الكتاب امنوا اى صدقوا بما نزلنا يعنى بما انزلناه على محمد عليه السلم من القران وغيره من احكام الدين مصدقا لما معكم من التورية والانجيل اللذين تضمنا صفة نبينا وصحة ما جاء به من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها اختلف فى معناه على اقوال احدها ان معناه من قبل ان نمحو اثار وجوهكم حتى تصير كالاقفية ونجعل عيونها فى

افتنيها فنمشي القهقري عن ابن عباس وعطية العوفي وثانيها ان المعنى نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها في ضلالتها
ذما لها بانها لا تفلح ابدا عن الحسن ومجاهد والضحاك والسدى ورواه ابو الجارود عن ابي جعفر عليه السلام وثالثها نجعل الشعر
في وجوههم الشعر كالوجوه القرود عن الفرا وابي القسم البلخي والحسين بن علي المغربي ورابعها ان المراد حتى نمحوا اثارهم من
وجوههم اى نواحيهم التى هم بها وهي الحجاز الذى هو مسكنهم ونردها على ادبارها حتى يعودوا الى حيث جاءوا وهو
الشام وحمله على اجلاء بني النضير الى اريحا واذرعات من الشام عن ابن زيد وهذا اضعف الوجوه لانه ترك للظاهر فان
قيل على القول الاول كيف اوعد تعالى ولم يفعل فجوابه على وجوه احدها ان هذا الوعيد كان متوجها اليهم لو لم يؤمنوا وحد
منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعنة واسد بن شعبة واسعد بن عبيد ومخيريق وغيرهم واسلم كعب في ايام عمر ورفع
العذاب عن الباقين ويفعل بهم ذلك في الاخرة على انه سبحانه قال او نلعنهم والمعنى انه يفعل احدهما وقد لعنهم الله
بذلك وثانيها ان الوعيد يقع بهم في الاخرة لانه سبحانه لم يذكر انه يفعل بهم ذلك في الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكره البلخي
والجبائي وثالثها ان هذا الوعيد باق منتظر لهم ولا بد من ان يطمس الله وجوها لليهود قبل قيام الساعة عن المبرد
او نلعنهم اى نخزيهم ونعذبهم عاجلا عن ابي مسلم وقيل معناه نمسخهم قردة كما لعنا اصحاب السبت يعني الذين اعتدوا في السبت
عن السدى وقتادة والحسن وانما قال سبحانه نلعنهم بلفظ الغيبة وقد تقدم خطابهم لاحد امرين اما للتصرف في
الكلام كقوله حتى اذا كنتم في الفلك فخاطب ثم قال وجرين بهم بريح طيبة فكنى عنهم واما لان الضمير عاد الى اصحاب
الوجوه لانهم في حكم المذكور وكان امر الله مفعولا فيه قولان احدهما ان كل امر من امور الله سبحانه من وعد او وعيد
او خبر فانه يكون على ما اخبر به عن الجبائي والاخر ان معناه ان الذى يامر به بقوله كن كائن لا محالة وفي قوله سبحانه
قبل ان نطمس وجوها دلالة على ان لفظة قبل تستعمل في الشيء انه قبل غيره ولم يوجد ذلك الغير ولا خلاف في ان استعماله
يصح ولذلك يقال كان الله سبحانه قبل خلقه قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اللغة افترى اختلق وكذب واصله من خلق الاديم يقال
فريت الاديم افريه فريا اذا قطعته على وجه الاصلاح وافريته اذا قطعته على وجه الافساد الاعراب اثما عظيما منصوب
على المصدر لان افترى بمعنى اثم وهذا كما يقول حمدته شكرا النزول قال الكلبي نزلت في المشركين وحشي واصحابه
وذلك انه لما قتل حمزة وكان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو و
اصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه واله انا قد ندمنا على الذى صنعنا وليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك
وانت تقول بمكة والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون الايتان
وقد دعونا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التى حرم الله وزنينا فلولا هذه لاتبعناك فنزلت الا من تاب وامن
وعمل عملا صالحا الايتان فبعث بهما رسول الله الى وحشي واصحابه فلما قرءوهما كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا
صالحا فلا نكون من اهل هذه الاية فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها
اليهم فقرءوها فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون من اهل مشيته فنزلت يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا فبعث بها اليهم فلما قرءوها دخل هو واصحابه في الاسلام ورجعوا هو الى
رسول الله عليه السلام فقبل منهم ثم قال يا وحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني
فلحق وحشي بعد ذلك بالشام وكان بها الى ان مات روى ابو مجلز عن ابن عمر قال نزلت في المومنين وذلك انه
لما نزلت قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الاية قام النبي عليه السلام على المنبر فتلاها على الناس فقام اليه رجل
فقال والشرك بالله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية فاثبت هذه في الزمر
وهذه في النساء وروى مطرف بن الشخير عن عمر بن الخطاب قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه واله اذا مات الرجل منا

على

على كبيرة شهدنا بانه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية فامسكنا عن الشهادات المعنى ثم انه سبحانه آيس الكفار من رحمته فقال
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء معناه ان الله لا يغفر ان يشرك به احد ولا يغفر ذنب المشرك
لاحد ويغفر ما دون الشرك من الذنوب لمن يريد قال المحققون هذه الاية ارجى اية في القران لان فيه ادخال ما دون
الشرك من جميع المعاصي في مشية الغفران وقف الله سبحانه المومنين الموحدين بهذه الاية بين الخوف والرجاء وبين
العدل والفضل وذلك صفة المومنين ولذلك قال الصادق عليه السلام لو وزن رجاء المومن وخوفه لاعتدلا
ويؤيده قوله سبحانه ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وروى عن ابن عباس
انه قال ثمان ايات نزلت في سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت قوله سبحانه يريد الله ليبين لكم ويريد
الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ان
الله لا يغفر ان يشرك به في الموضعين ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وبيان وجه الاستدلال بهذه الاية على
ان الله تعالى يغفر الذنوب من غير توبة انه نفى غفران الشرك ولم ينف غفرانه على كل حال بل نفى ان يغفره من غير توبة
لان الامة اجمعت على انه سبحانه يغفره بالتوبة وان كان الغفران مع التوبة عند المعتزلة على وجه الوجوب وعندنا على
وجه التفضل فعلى هذا يجب ان يكون المراد بقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء انه يغفر ما دون الشرك من الذنوب
بغير توبة لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين وانما قلنا ذلك لان موضع الكلام الذى يدخله النفي والاثبات وينضم اليه
الاعلى والادون ان يخالف الثاني الاول الا ترى انه لا يحسن ان يقول الرجل انا لا ادخل على الامير الا اذا دعاني وادخل
على من دونه اذا دعاني وانما يكون الكلام مفيدا اذا قال وادخل على من دونه وان لم يدعني ولا معنى لقول من يقول
من المعتزلة ان في حمل الاية على دخال ما دون الشرك في المشية اغراء على المعصية لان الاغراء انما يحصل بالقطع على الغفران
واما اذا كان الغفران معلقا بالمشية فلا اغراء فيه بل يكون العبد به واقفا بين الخوف والرجاء على الصفة التى وصف
الله تعالى بها عباده المرتضين في قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا ويحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه وبهذا وردت الاخبار الكثيرة
من طريق الخاص والعام وانعقد عليه اجماع سلف اهل الاسلام ومن قال ان في غفران ذنوب البعض دون البعض ميلا او محاباة ولا يجوز الميل
والمحاباة على الله تعالى فجوابه ان الله سبحانه متفضل بالغفران وللمتفضل ان يتفضل على قوم دون قوم وانسان دون انسان
وهو عادل في تعذيب من يعذبه وليس يمنع العقل ولا الشرع عن الفضل والعدل ومن قال منهم ان لفظة ما دون ذلك
وان كانت عامة في الذنوب التي هي دون الشرك فانا نخصها ونحملها على الصغائر او ما يقع منه التوبة لاجل عموم ظاهر
ايات الوعيد فجوابه انا نعكس عليكم ذلك فنقول بل خصصوا ظاهر تلك الايات لعموم ظاهر هذه الاية وهذا اولى لما روى عن
بعض السلف انه قال ان هذه الاية استثناء على جميع القران يريد به والله اعلم جميع ايات الوعيد وايضا فان الصغائر تقع
عندكم محبطة لا يجوز المواخذة بها وما هذا حكمه فكيف يتعلق بالمشية فان احدا لا يقول اني افعل الواجب ان شئت وارد
الوديعة ان شئت وقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اى فقد كذب بقوله ان العبادة يستحقها غير الله تعالى واثما
عظيما اى غير مغفور وجاءت الرواية عن امير المومنين عليه السلام انه قال ما في القران اية ارجى عندي من هذه الاية قوله
عز وجل الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله
الكذب وكفى به اثما مبينا اللغة التزكية التطهير والتنزيه وقد يكون الوصف بالتطهير تزكية واصله من الزكا
وهو النمو يقال زكا الزرع يزكوا زكاء وزكا الشيء اذا نما في اصلاح واصل الفتيل من الفتل وهو لي الشيء والفتيلة معروفة
وناقة فتلاء اذا كان في ذراعيها فتل عن الجنب والفتيل بمعنى المفتول وهو عبارة عن الشيء الحقير قال النابغة يجمع الجيش
ذا الالوف ويغزو ثم لا يرزأ العدو فتيلا والنظر هو الاقبال على الشيء بالبصر ومنه النظر بالقلب لانه اقبال على الشيء بالقلب
وكذلك النظر بالرحمة والنظر الى الشيء التامل له والانتظار الاقبال على الشيء بالتوقع له والمناظرة اقبال كل واحد على الاخر

بالمحاجة و النظير مثل الشئ لاقباله على نظيره بالمماثلة والفرق بين النظر والرؤية ان الرؤية هى ادراك المرئى والنظر الاقبال
بالبصر نحو المرئى و لذلك قد لا يراه و لذلك يجوز ان يقال الله تعالى انه راء و لا يقال انه ناظر فتيلا منصوب على انه مفعول لأن
كقولك ما ظلمته حبة قال على بن عيسى ويحتمل ان يكون نصبا على التمييز كقولك تصببت عرقا **النزول** قيل نزلت فى رجال من اليهود
اتوا باطفالهم الى النبى صلى الله عليه واله فقالوا هل على هؤلاء من ذنب فقال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر
عنا بالليل و ما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فكذبهم الله تعالى عن الكلبى وقيل نزلت فى اليهود والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه و قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن الحسن والضحاك و قتادة والسدى وهو المروى عن ابى
جعفر عليه السلام **المعنى** ثم ذكر سبحانه تزكية هؤلاء انفسهم مع كفرهم وتحريفهم الكتاب فقال الم تر معناه الم تعلم وقيل الم تخبر
وهو سؤال على وجه الاعلام و تاويله اعلم قصتهم المرتبة علمك الى هؤلاء الذين يزكون انفسهم اى يمدحونها ويصفونها بالزكاء
و الطهارة بان يقولوا نحن ازكياء وقيل هو تزكية بعضهم بعضا عن ابن مسعود وانما قال انفسهم لانهم على دين واحد فهم كنفس
واحدة بل الله يزكى من يشاء رد الله سبحانه ذلك عليهم وبين ان التزكية اليه يزكى من يشاء اى يطهر من الذنب من يشاء
وقيل معناه يقبل عمله فيصير زكيا و لا يزكى اليهود بل يعذبهم و لا يظلمون فتيلا معناه لا يظلمون فى تعذيبهم و ترك تزكيتهم
فتيلا اى مقدار فتيل و ذكر الفتيل مثلا واختلف فى معناه فقيل هو ما يكون فى شق النواة عن ابن عباس وعطاء و مجاهد و
قتادة وقيل الفتيل ما فى بطن النواة و النقير ما على ظهرها و القطمير قشرها عن الحسن وقيل الفتيل ما فتلته بين اصبعيك من
الوسخ عن ابن عباس وابى مالك و السدى وفى هذه الآية دلالة على تنزيه الله تعالى عن الظلم وانما ذكر الفتيل ليعلم
انه لا يظلم قليلا و لا كثيرا انظر يا محمد كيف يفترون على الله الكذب فى تحريفهم كتابه وقيل فى تزكيتهم انفسهم و قولهم نحن ابناء
الله واحباؤه ولن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى عن ابن جريج وكفى به اى كفى هو اثما مبينا اى وزرا بينا وانما يقال
كفى به فى العظم على جهة المدح او الذم يقال كفى بحال المؤمن نبلا و كفى بحال الكافر خزيا فكانه قيل ليس يحتاج الى حال اعظم منه
ويحتمل ان يكون معناه كفى هذا اثما اى ليس يقصر عن منزلة الاثم **قوله عز وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب يؤمنون بالجبت و الطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك
الذين لعنهم الله و من يلعن الله فلن تجد له نصيرا آية** **اللغة** الجبت لا تصريف له فى اللغة العربية و روى عن سعيد
بن جبير انه قال هو الساحر بلغة الحبشية و هذا محمول على موافقة اللغتين او على ان العرب ادخلوها فى لغتهم فصارت لغة
لهم واللعنة الابعاد من رحمة الله عقابا على معصيته فلذلك لا يجوز لعن البهائم و لا من ليس بعاقل من المجانين والاطفال
لانه سؤال العقوبة لمن لا يستحقها فمن لعن بهيمة او حشرة او نحو ذلك فقد اخطأ لانه سأل الله ما لا يجوز فى حكمته فان قصد
بذلك الابعاد لا على وجه العقوبة جاز **الاعراب** سبيلا منصوب على التمييز كما يقال هذا احسن منك وجها اولئك لفظه
جمع و واحده ذا فى المعنى كما يقال نسوة فى جمع امرأة و غلبت على اولاء ها التى للتنبيه وليس ذلك فى اولئك لان فى حرف
الخطاب تنبيها للمخاطب فصار الكاف معاقبا لها التى للتنبيه فى اكثر الاستعمال **النزول** قيل كان ابو برزة كاهنا فى الجاهلية
فتنافر اليه ناس ممن اسلم فنزلت الآية عن عكرمة وقيل وهو قول اكثر المفسرين ان كعب بن الاشرف خرج فى سبعين راكبا
من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه واله وينقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول
الله فنزل كعب على ابى سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود فى دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل كتاب و محمد صاحب الكتاب
فلا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل فذلك قوله يؤمنون
بالجبت والطاغوت ثم قال كعب يا اهل مكة ليجئ منكم ثلثون ومنا ثلثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدن على
على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال ابو سفيان لكعب انك امرء تقرأ الكتاب ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا واقرب الى
الحق نحن ام محمد قال كعب اعرضوا على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء و نسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم

ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم ودين محمد
الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب **المعنى** ثم قال
بذلك كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود الذين كانوا معه بين الله سبحانه افعالهم القبيحة وضمها الى ما عدده فيما تقدم فقال
يؤمنون بالجبت والطاغوت يعنى بهما الصنمين اللذين كانا لقريش وسجد لهما كعب بن الاشرف ويقولون للذين كفروا ابى
سفين واصحابه هؤلاء اهدى من الذين آمنوا محمد واصحابه سبيلا اى دينا عن عكرمة وجماعة من المفسرين وقيل ان المعنى بالآية حيى بن
اخطب وكعب بن الاشرف وسلام بن ابى الحقيق وابو رافع فى جماعة من علماء اليهود والجبت الاصنام والطاغوت تراجمة الاصنام
الذين كانوا يتكلمون بالتكذيب عنها عن ابن عباس وقيل الجبت الساحر والطاغوت الشيطان عن ابن زيد وقيل الجبت السحر عن مجاهد
والشعبى وقيل الجبت الساحر والطاغوت الكاهن او الشيطان وقيل هما كل ما عبد من دون الله تعالى من حجر او صورة او شيطان عن
ابى عبيدة وقيل الجبت ههنا حيى بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف عن الضحاك وبعض الروايات عن ابن عباس والمراد بالسبيل
فى الآية الدين وانما سمى سبيلا لانه كالطريق فى الاستمرار عليه ليؤدى الى المقصود اولئك اشارة الى الذين تقدم ذكرهم الذين لعنهم
الله اى ابعدهم من رحمته واخزاهم وخذلهم واقصاهم ومن يلعن الله اى ومن يبعده الله فلن تجد له نصيرا اى معينا يدفع عنه عقاب
الله تعالى الذى اعده له وقيل فلن تجد له نصيرا فى الدنيا والآخرة لانه لا يعتد بنصرة من ينصره مع خذلان الله تعالى اياه **قوله
عز وجل ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد
آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ثلث آيات**
اللغة النقير من النقر وهو النكت ومنه المنقار لانه ينقر به والناقور الصور لانه ينقر فيه بالنفخ المصوت والنقير خشبة ينقر
وينبذ فيها واشتق اخص كما يختص بالنقر واحدا واحدا قال طرفة نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر والحسد
تمنى زوال النعمة عن صاحبها لما يلحق من المشقة فى نيله لها وهو خلاف الغبطة لان الغبطة تمنى مثل تلك النعمة لاجل
السرور بها لصاحبها ولهذا صار الحسد مذموما والغبطة غير مذمومة وقيل ان الحسد من افراط البخل لان البخل
منع النعمة لمشقة بذلها والحسد تمنى زوالها لمشقة نيل صاحبها فالعمل فيهما على المشقة بنيل النعمة واصل السعير من السعر
وهو ايقاد النار واستعرت النار والحرب والشر وسعرتها واسعرتها وهو سعرها والسعر سعر المتاع وسعره تسعيرا وذلك
لاستعار السوق بحماها فى البيع والساعور كالتنور **الاعراب** ام هذه هى المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام التى تسمى
المتصلة وتقديره بل الهم نصيب من الملك وقال بعضهم ان همزة الاستفهام محذوفة من الكلام لان ام لا تجئ مبتدأة بها وتقديره
اهم اولى بالنبوة ام لهم نصيب من الملك فيلزم الناس طاعتهم وهذا ضعيف لان حذف الهمزة انما تجوز فى ضرورة الشعر ولا
ضرورة فى القرآن واذن لم تعمل فى يؤتون لانها اذا وقعت بين الفاء والفعل او بين الواو والفعل جاز ان تقدر متوسطة
فتلغى كما تلغى ظننت واخواتها اذا توسطت وتاخرت لان النية بها التاخير فالتقدير فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ولا يلبثون
خلفك الا قليلا اذن ويجوز ان تقدر مستأنفة فتعمل مع حرف العطف فلو قرئ فاذن لا يؤتوا الناس لجاز لكن القراءة سنة
متبعة واذن لا تعمل فى الفعل النصب الا بشروط اربعة ان تكون جوابا لكلام وان تكون مبتدأة فى اللفظ وان لا يكون ما بعدها
متعلقا بما قبلها ويكون الفعل بعدها مستقبلا **المعنى** لما حكم اليهود بان المشركين اهدى من النبى واصحابه بين الله سبحانه
ان الحكم ليس اليهم اذ الملك ليس لهم فقال ام لهم نصيب من الملك وهذا استفهام معناه الانكار اى ليس لهم ذلك وقيل
المراد بالملك ههنا النبوة عن الجبائى اى الهم نصيب من النبوة فيلزم الناس اتباعهم وطاعتهم وقيل المراد بالملك ما كانت اليهود
تدعيه من ان الملك يعود اليهم فى آخر الزمان وانه يخرج منهم من يجدد ملكهم ويدعو الى دينهم فكذبهم الله فاذن لا يؤتون الناس
نقيرا اى لو اعطوا الدنيا وملكها لما اعطوا الناس من الحقوق قليلا ولا كثيرا وفى تفسير ابن عباس لو كان لهم نصيب من الملك
اعطوا محمدا واصحابه شيئا وقيل انهم كانوا اصحاب بساتين واموال وكانوا لا يعطون الفقراء شيئا ام يحسدون الناس معناه بل يحسدون

الناس واختلف فی معنی الناس هنا فقیل اراد به النبی صلی الله علیه واله حسدوه علی ما اتاه الله من النبوة واباحة تسع نسوة و
میله الیهن وقالوا لو کان نبیا لشغلته النبوة عن ذلک فبین الله سبحانه ان النبوة لیس ببدع فی ال ابرهیم فقد اتینا ال ابرهیم
الکتاب والحکمة یعنی النبوة وقد اتینا داود وسلیمان المملکة وکان لداود تسع وتسعون امراة ولسلیمان مایة امراة وقال
بعضهم کان لسلیمان الف امراة سبع مایة سریة وثلثمایة امراة وکان لداود مایة امراة فلا معنی لحسدکم محمدا علی هذا وهم من اولاد
ابرهیم وهم کانوا اکثر تزوجا واوسع مملکة منه عن ابن عباس والضحاک والسدی وقیل لما کان قوام الدین به صار حسدهم
له کالحسد لجمیع الناس وثانیها ان المراد بالناس النبی واله علیهم السلام عن ابی جعفر علیه السلام والمراد بالفضل فیه النبوة وفی
الیه الامامة وفی تفسیر العیاشی باسناده عن ابی الصباح الکنانی قال قال ابو عبدالله علیه السلام یا ابا الصباح نحن قوم فرض الله
طاعتنا لنا الانفال ولنا صفو المال ونحن الراسخون فی العلم ونحن المحسودون الذین قال الله فی کتابه ام یحسدون الناس
الایة قال والمراد بالکتاب النبوة وبالحکمة الفهم والقضاء وبالملک العظیم افتراض الطاعة وقیل ان المراد بالناس محمد واصحابه
لانه قد جری ذکرهم فی قوله هؤلاء اهدی من الذین امنوا سبیلا ومن فضله من نعمته عن ابی علی الجبائی ورابعها ان المراد بالناس
العرب لما صارت النبوة فیهم عن الحسن وقتادة وابن جریح وقیل المراد بالکتاب التورية والزبور والانجیل وبالحکمة ما اوتوا من العلم وقوله
واتیناهم ملکا عظیما المراد بالملک العظیم النبوة عن مجاهد والحسن وقیل الملک العظیم ملک سلیمان عن ابن عباس وقیل ما احل لداود
وسلیمان من النساء عن السدی وقیل الجمع بین سیاسة الدنیا وشرع الدین فمنهم من امن به فیه قولان احدهما ان المراد من اهل الکتاب
من امن بمحمد ومنهم من صد عنه ای اعرض عنه ولم یؤمن به عن مجاهد والزجاج والجبائی ووجه اتصال هذا المعنی بالایة انهم مع
هذا الحسد وغیره من افعالهم القبیحة فقد امن بعضهم به والاخر ان المراد فمن امة ابرهیم من امن بابرهیم ومنهم من اعرض عنه کما
انکم فی امر محمد کذلک ولیس فی ذلک توهین امره کما لم یکن اعراضهم عن ابرهیم موهنا امر ابرهیم وکفی بجهنم سعیرا ای کفی هؤلاء المعرضین
عنه فی العذاب النازل بهم عذاب جهنم نارا موقدة ایقادا شدیدا یرید بذلک انه ان صرف عنهم بعض العذاب فی الدنیا فقد اعد
لهم عذاب جهنم فی العقبی قوله عز وجل **سوف ان الذین کفروا سوف نصلیهم نارا کلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غیرها لیذوقوا العذاب ان الله کان عزیزا حکیما والذین امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجری من تحتها الانهار خالدین فیها ابدا لهم فیها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظلیلا ایتان اللغة** یقال اصلیته النار اذا
القیته فیها وصلیته صلیا اذا شویته وشاة مصلیة مشویة والصلا الشوا وصلی فلان بشر فلان والتبدیل التغییر یقال
ابدلت الشئ بالشئ اذا ازلت عینا بعین کما قال الشاعر عزل الامیر بالامیر المبدل وبدلت بالتشدید اذا غیرت هیئته والعین
واحد یقولون بدلت جبتی قمیصا ای جعلتها قمیصا ذکره المغربی وقد یکون التبدیل بان یضع غیره موضعه قال الله عز اسمه
یوم تبدل الارض غیر الارض والظل اصله الستر من الشمس والظلة السترة والظلیل الکنین **المعنی** لما تقدم ذکر المؤمن والکافر
عقبه بذکر الوعد والوعید علی الایمان والکفر فقال ان الذین کفروا بایاتنا ای جحدوا حججنا وکذبوا انبیاءنا ودفعوا الایات
الدالة علی توحیدنا وصدق نبینا سوف نصلیهم نارا ای نلزمهم نارا نحرقهم فیها ونعذبهم بها ودخلت سوف لتدل علی ان یفعل
ذلک بهم فی المستقبل کلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غیرها قیل فیه اقوال احدها ان الله سبحانه یجدد لهم
جلودا غیر الجلود التی احرقت علی ظاهر القران فی انها غیرها عن قتادة وجماعة من المفسرین واختاره علی بن عیسی ومن قال
علی هذا ان الجلد المجدد لم یذنب فکیف یعذب من لا یستحق العذاب فجوابه ان المعذب الحی ولا اعتبار بالاطراف والجلود وقال
علی بن عیسی ان ما یزاد لا یألم ولا هو بعض لما یألم وانما هو شئ یصل به الالم الی المستحق له وثانیها ان الله سبحانه یجددها بان یردها
الی الحالة التی کانت علیها غیر مخترعة کما یقال جئتنی بغیر ذلک الوجه اذا کان قد تغیر وجهه من الحالة الاولی وکما اذا انکسر الخاتم
فاتخذ منه خاتم اخر یقال هذا غیر الخاتم الاول وان کان اصلهما واحدا فعلی هذا یکون الجلد واحدا وانما یتغیر الاحوال علیه
وهو اختیار الزجاج والبلخی وابی علی الجبائی وثالثها ان التبدیل انما هو للسرابیل التی ذکرها الله سبحانه سرابیلهم من قطران وسمیت

اى يحسدون العرب

السرابیل الجلود علی المجاورة للزومها الجلود وهذا ترک للظاهر بغیر دلیل وعلی القولین الاخیرین لا یلزم سوال التعذیب
لغیر العاصی فاما من قال ان الانسان غیر هذه الجملة المشاهدة وانه المعذب فی الحقیقة فقد تخلص من هذا السوال
وقوله لیذوقوا العذاب معناه لیجدوا الم العذاب وانما قال ذلک لیبین انهم کالمبتدا علیهم العذاب فی کل حال
فیحسون فی کل حالة الما لا کمن یستمر به الشئ فانه یصیر اخف علیه ان الله کان عزیزا ای لم یزل منیعا لا یدافع ولا یمانع و
قیل معناه انه قادر علی لا یمتنع علیه انجاز ما توعد به او وعده حکیما فی تدبیره وتقدیره فی تعذیب من یعذبه وروی الکلبی عن الحسن
قال بلغنا ان جلودهم تنضج کل یوم سبعین الف مرة والذین امنوا بکل ما یجب الایمان به وعملوا الصالحات ای الطاعات الخالصة
سندخلهم جنات تجری من تحتها الانهار ای تحت اشجارها وقصورها الانهار ای ماء الانهار خالدین فیها ای دایمین فیها ابدا لهم
فیها ازواج مطهرة طهرن من الحیض والنفاس ومن جمیع المعایب والادناس والاخلاق الدنیة والطباع الردیة لا یفعلن
ما یوحش ازواجهن ولا یوجد فیهن ما ینفر عنهن وندخلهم مع ذلک ظلا ظلیلا ای کنینا لیس فیه حر ولا برد بخلاف ظل الدنیا
وقیل ظلا دایما لا تنسخه الشمس کما فی الدنیا وقیل ظلیلا متمکنا قویا کما یقال یوم ایوم ولیل الیل وداهیة دهیا یصفون الشئ بمثل
لفظه اذا ارادوا المبالغة قوله عز وجل **ان الله یامرکم ان تؤدوا الامانات الی اهلها واذا حکمتم بین الناس ان تحکموا بالعدل ان الله نعما یعظکم به ان الله کان سمیعا بصیرا ایة القراءة** قد ذکرنا الاختلاف بین القراء فی نعما
ووجوه قراءتهم وحججها فی سورة البقرة **اللغة** یقال ادیت الشئ تادیة وقد یوضع الاداء موضع التادیة فیقام الاسم مقام المصدر والسمیع
هو من کان علی صفة یجب لاجلها ان یسمع المسموعات اذا وجدت والبصیر من کان علی صفة یجب لاجلها ان یبصر المبصرات اذا وجدت
والسامع هو المدرک للمسموعات والمبصر المدرک للمبصرات ولهذا یوصف القدیم سبحانه فیما لم یزل بانه سمیع بصیر ولا یوصف فی
القدم بانه سامع مبصر **الاعراب** قوله نعما یعظکم به تقدیره نعم شیئا شیئا یعظکم به فیکون شیئا تبیینا للاسم الجنس المضمر الذی هو فاعل نعم
والمخصوص بالمدح قد حذف واقیمت صفته مقامه وقوله نعما یعظکم به جملة فی موضع رفع بانها خبر ان **المعنی** ثم امر سبحانه باداء
الامانة فقال ان الله یامرکم ان تؤدوا الامانات الی اهلها قیل فی المعنی بهذه الایة اقوال احدها انها فی کل من اوتمن امانة
من الامانات امانات الله تعالی اوامره ونواهیه وامانات عباده فیما یاتمن بعضهم بعضا من المال وغیره عن ابن عباس وابی
بن کعب وابن مسعود والحسن وقتادة وهو المروی عن ابی جعفر وابی عبدالله علیهما السلام وثانیها ان المراد به ولاة الامر
امرهم الله سبحانه ان یقوموا برعایة الرعیة وحملهم علی موجب الدین والشریعة عن زید بن اسلم ومکحول وشهر بن حوشب وهو اختیار
الجبائی ورواه اصحابنا عن ابی جعفر الباقر وابی عبدالله الصادق علیهما السلام قالا امر الله کل واحد من الائمة ان یسلم الامر
الی من بعده ویعضده انه سبحانه امر الرعیة بعد هذا بطاعة ولاة الامر فروی عنهم علیهم السلام انهم قالوا ایتان احدیهما لنا
والاخری لکم قال الله سبحانه ان الله یامرکم ان تؤدوا الامانات الی اهلها الایة ثم قال یا ایها الذین امنوا اطیعوا الله و
اطیعوا الرسول واولی الامر منکم الایة وهذا القول داخل فی القول الاول لانه من جملة ما ائتمن الله سبحانه علیه الائمة الصادقین
ولذلک قال ابو جعفر علیه ان اداء الصلوة والزکوة والصوم والحج من الامانة ویکون من جملتها الامر بولاة الامر بقسم الصدقات
وغیر ذلک مما یتعلق بحق الرعیة وقد عظم الله سبحانه امر الامانة بقوله یعلم خائنة الاعین وقوله لا تخونوا الله والرسول وقوله
ومن اهل الکتاب من ان تامنه الایة وثالثها انه خطاب للنبی علیه السلام برد مفتاح الکعبة الی عثمن بن طلحة حین قبض منه المفتاح
یوم فتح مکة واراد ان یدفعه الی العباس لیکون له الحجابة والسقایة عن ابن جریح والمعول علی ما تقدم وان صح القول الاخیر و
الروایة فیه فقد دل الدلیل علی ان الامر اذا ورد علی سبب لا یجب قصره علیه بل یکون علی عمومه واذا حکمتم بین الناس ان
تحکموا بالعدل امر الله سبحانه الولاة والحکام ان یحکموا بالعدل والنصفة ونظیره قوله یا داود انا جعلناک خلیفة فی الارض
فاحکم بین الناس بالحق وروی ان النبی علیه السلام قال لعلی سو بین الخصمین فی لحظک ولفظک وورد فی الاثار ان صبیین
ارتفعا الی الحسن بن علی علیهما السلام فی خط کتباه وحکماه فی ذلک لیحکم ای الخطین اجود فبصر به علی علیه السلام فقال یا بنی انظر کیف تحکم

فان هذا حكم من الله ومن تعالى سائلك عنه يوم القيمة ان الله نعما يعظكم به اى نعم الشئ ما يعظكم به من الامر برد الامانة والنهى عن الخيانة والحكم بالعدل ومعنى الوعظ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقيل هو الامر بالخير والنهى عن الشر ان الله كان سميعا لجميع المسموعات بصيرا لجميع المبصرات وقيل عالم باقوالكم وافعالكم وادخل كان تنبيها على ان هذه الصفة واجبة له فيما لم يزل قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا الاية المعنى لما بدا سبحانه فى الاية المتقدمة حث الولاة على تادية حقوق الرعية والنصفة والتسوية بين البرية ثناه فى هذه الاية حث الرعية على طاعتهم والاقتداء بهم والرد اليهم فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله اى الزموا طاعة الله سبحانه فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعوا الرسول اى والزموا طاعة رسوله عليه السلام ايضا وانما افرد الامر بطاعة الرسول وان كانت طاعته مقرونة بطاعة الله سبحانه مبالغة فى البيان وقطعا للتوهم من توهم انه لا يجب لزوم ما ليس فى القران من الاوامر ونظيره قوله سبحانه من يطع الرسول فقد اطاع الله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وما ينطق عن الهوى وقيل معناه اطيعوا الله فى الفرايض والرسول فى السنن عن الكلبى والاول اصح لان طاعة الرسول هى طاعة الله تعالى وامتثال اوامره امتثال اوامر الله تعالى واما المعرفة بانه رسول فهو معرفة برسالته ولا يتم ذلك الا بعد معرفة الله تعالى وليست احديهما هى الاخرى وطاعة الرسول واجبة فى حياته وبعد وفاته لان اتباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلفين ومعلوم ضرورة انه دعا اليها جميع العالمين الى يوم القيمة كما علم انه رسول الله عليه السلام اليهم اجمعين وقوله واولى الامر منكم للمفسرين فيه قولان احدهما انهم الامراء عن ابى هريرة وابن عباس فى احدى الروايتين وميمون بن مهران والسدى واختاره الجبائى والبلخى والطبرى والاخر انهم العلماء عن جابر بن عبد الله وابن عباس فى الرواية الاخرى ومجاهد والحسن وعطا وجماعة وقال بعضهم لانهم الذين يرجع اليهم فى الاحكام ويجب الرجوع اليهم عند التنازع دون الولاة واما اصحابنا فانهم رووا عن الباقر والصادق عليهما السلام ان اولى الامر هم الائمة من ال محمد عليهم السلام اوجب الله طاعتهم بالاطلاق كما اوجب طاعته وطاعة رسوله عليه السلام ولا يجوز ان يوجب الله سبحانه طاعة احد على الاطلاق الا من ثبتت عصمته وعلم ان باطنه كظاهره وامن منه الغلط والامر بالقبيح وذلك ليس بحاصل فى الامراء ولا العلماء سواهم جل الله سبحانه عن ان يامر بطاعة من يعصيه او بالانقياد للمختلفين فى القول والفعل لانه محال ان يطاع المختلفون كما انه محال ان يجتمع ما اختلفوا فيه ومما يدل على ذلك ايضا ان الله تعالى لم يقرن طاعة اولى الامر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته الا واولوا الامر فوق الخلق جميعا كما ان الرسول فوق اولى الامر وفوق ساير الخلق وهذه صفة ائمة الهدى من ال محمد عليهم السلام الذين ثبتت امامتهم وعصمتهم واتفقت الامة على علو رتبتهم وعدالتهم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول معناه فان اختلفتم فى شئ من امور دينكم فردوا المتنازع فيه الى كتاب الله تعالى وسنة الرسول وهو قول مجاهد وقتادة والسدى ونحن نقول الرد الى الائمة القائمين مقام الرسول عليه السلام بعد وفاته هو مثل الرد الى الرسول عليه السلام بعد وفاته هو مثل الرد الى الرسول فى حياته لانهم الحافظون لشريعته وخلفاؤه فى امته فجروا مجراه فيه ثم اكد سبحانه ذلك وعظمه بقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فما ابين هذا واوضحه ذلك اشارة الى طاعة الله وطاعة رسوله واولى الامر والرد الى الله ورسوله خير لكم واحسن تاويلا اى احمد عاقبة عن قتادة والسدى وابن زيد قالوا لان التاويل من ال يؤل اذا رجع والمال المرجع والعاقبة تسمى تاويلا لانه مال الامر وقيل معناه احسن جزاء عن مجاهد وقيل خير لكم فى الدنيا واحسن عاقبة فى الاخرة وقيل معناه احسن من تاويلكم انتم اياه من غير رد الى اصل من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عن الزجاج وهو الاقوى لان الرد الى الله ورسوله ومن يقوم مقامه من المعصومين احسن لا محالة من تاويل بغير حجة واستدل بعضهم بقوله فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول على ان اجماع الامة حجة بان قالوا انما اوجب الله تعالى الرد الى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع فدل على انه اذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد ولا يكون كذلك الا والاجماع حجة وهذا الاستدلال انما يصح لو فرض ان فى الامة معصوما حافظا للشرع فاما اذا لم يفرض ذلك فلا يصح لان تعليق الحكم بشرط او صفة لا يدل

على ان ما عداه بخلافه عند اكثر العلماء فكيف اعتمدوا عليه ههنا على ان الامة لا تجتمع على شئ الا عن كتاب او سنة فكيف يقال انها اذا اجتمعت على شئ لا يجب عليها الرد الى الكتاب والسنة وقد ردت اليهما قوله عز وجل الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا اللغة الطاغوت ذو الطغيان على جهة المبالغة فى الصفة فكل من يعبد من دون الله فهو طاغوت وقد تسمى به الاوثان كما تسمى بانه رجس من عمل الشيطان ويوصف به ايضا كل من طغا بان حكم بخلاف حكم الله تعالى والضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدى الى البغية لان ضد الهدى الذى هو الدلالة على الطريق المؤدى الى البغية وله تصرف كثير يرجع الى هذه النكتة ذكرناه فى سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين وتعالوا اصله من العلو فاذا قلت لغيرك تعال فمعناه ارتفع الى وصددت الاصل فيه ان لا يتعدى تقول صددت عن فلان اصد بمعنى اعرضت عنه ويجوز صددت فلانا عن فلان بالتعدى لانه دخله معنى منعته عنه ومثله رجعت انا ورجعت غيرى لانه دخله معنى رددته الاعراب صدودا نصب على المصدر على وجه التاكيد للفعل كقوله وكلم الله موسى تكليما والمعنى انه ليس ذلك على سبيل مثل الكلام بل حكمه فى الحقيقة وقيل فى معنى تكليما انه كلمه تكليما شريفا عظيما ويمكن تقدير مثل ذلك فى الاية اى يصدون عنك صدودا عظيما النزول كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودى احاكمك الى محمد لانه علم انه لا يقبل الرشوة ولا يجور فى الحكم وقال المنافق لا بل بينى وبينك كعب بن الاشرف لانه علم انه ياخذ الرشوة فنزلت الاية عن اكثر المفسرين وروى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ان اسم هذا المنافق بشر وانهما اختصما الى رسول الله عليه السلام فقضى لليهودى فلما خرجا من عنده قال المنافق انطلق بنا الى عمر بن الخطاب فاقبلا الى عمر فقال اليهودى اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لى عليه فلم يرض بقضائه فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فدخل عمر البيت واخذ السيف ثم خرج اليهما فضرب المنافق به حتى برد ونزلت الاية وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فلذلك قيل له الفاروق المعنى لما امر سبحانه اولى الامر بالحكم بالعدل وامر المسلمين بطاعتهم وصل ذلك بذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله ورسوله فقال الم تر اى الم تعلم وقيل انه تعجب منه سبحانه اى الم تتعجب من صنيع هؤلاء وقيل الم ينته علمك الى هؤلاء الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك من القران وما انزل من قبلك من التورية والانجيل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعنى كعب بن الاشرف عن ابن عباس ومجاهد والربيع والضحاك وقيل انه كاهن من جهينة اراد المنافق ان يتحاكم اليه عن الشعبى وقتادة وقيل اراد ما كانوا يتحاكمون فيه الى الاوثان بضرب القداح عن الحسن وروى اصحابنا عن السيدين الصادق والباقر عليهما السلام ان المعنى به كل من يتحاكم اليه ممن يحكم بغير الحق وقد امروا ان يكفروا به يعنى به قوله سبحانه فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ويريد الشيطان بما زين لهم ان يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق ثم اضلالهم الى الشيطان فلو كان الله تعالى قد اضلهم بخلق الضلال فيهم على ما يقوله المجبرة لنسب اضلالهم الى نفسه دون الشيطان تعالى عن ذلك علوا كبيرا واذا قيل لهم اى للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله فى القران من الاحكام والى الرسول فى حكمه رايت المنافقين يصدون عنك صدودا اى يعرضون عنك اى عن المصير اليك الى غيرك اعراضا قوله عز وجل فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا اللغة الحلف القسم ومنه الحلف لتحالفهم فيه على الامر واصل البلاغة البلوغ يقال بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغة فهو بليغ اذا كان يبلغ بعبارته كثيرا مما فى قلبه ويقال احمق بلغ وبلغ اذا كان مع حماقته يبلغ حيث يريد وقيل معناه قد بلغ فى الحماقة الاعراب موضع كيف رفع بانه خبر مبتدا محذوف والتقدير فكيف صنيعهم اذا اصابتهم مصيبة فكانه قال الاساءة صنيعهم بالجراة على كذبهم ام الاحسان صنيعهم بالتوبة من جرمهم ويجوز

ان يكون موضع كيف نصبا وتقديره كيف يكونون أمُصِرّين ام تائبين يكونون ولو قلت انه رفع على معنى كيف بك كانه قال
أصلاح بك ام فساد بك فيكون مبتداء محذوف الخبر ويحلفون في موضع نصب على الحال وان اردنا الا احسانا جواب القسم
واحسانا مفعول به اى ردنا احسانا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله فكيف صنيع هؤلاء اذا اصابتهم مصيبة اى نالتهم
من الله سبحانه عقوبة بما قدمت ايديهم بما كسبت ايديهم من النفاق واظهار السخط بحكم النبي عليه السلم ثم جاءوك يا محمد يحلفون يقسمون
بالله ان اردنا الا احسانا اى ما اردنا بالتحاكم الى غيرك الا التخفيف عنك فانا نحتشمك برفع الصوت في مجلسك ونقتصر على من
يتوسط لنا برضاء الخصمين دون الحكم المورث للضغاين فقوله الا احسانا اى الى الخصوم وتوفيقا بينهم بالتماس التوسط دون الحمل على
مُرّ الحكم واراد بالتوفيق الجمع والتاليف وقيل توفيقا اى طلبا لما يوافق الحق وقيل ان المعنى بالاية عبد الله بن ابي والمصيبة ما
اصابه من الذل مرجعهم من غزوة بني المصطلق وهي غزوة المريسيع حتى نزلت سورة المنافقين فاضطر الى الخشوع والاعتذار
وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى في سورة المنافقين او مصيبة الموت لما تضرع الى رسول الله في الاقالة والاستغفار واستوهبه
توبة ليتقي به النار يقولون ما اردنا بالكلام بين الفريقين في غزوة بني المصطلق ذكره الحسين بن علي المغربي وفي الاية دلالة
على انه قد يصيب المصيبة بما يكتسبه العبد من الذنوب ثم اختلف في ذلك فقال ابو علي الجبائي لا يكون ذلك الا عقوبة الا في التائب
وقال ابو هاشم يكون ذلك لطفا وقال القاضي عبد الجبار قد يكون ذلك لطفا وقد يكون جزاء وهو موقوف على الدليل اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم من الشرك والنفاق والخيانة فاعرض عنهم اى لا تعاقبهم وعظهم بلسانك وقل لهم في انفسهم قولا
بليغا اى قل لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم فهذا هو القول البليغ لانه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ عن الحسن وقيل معناه
فاعرض عن قبول الاعتذار منهم وعظهم مع ذلك وخوفهم بمكاره تنزل بهم في انفسهم ان عادوا لمثل ما فعلوه عن ابي علي
الجبائي وفي قوله سبحانه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا دلالة على فضل البلاغة وحث على اعتمادها وبيان لكونها احد اقسام الحكمة
لما فيها من بلوغ المعنى الذي يحتاج الى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب قوله عز وجل وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ
تَوَّابًا رَحِيمًا الاعراب ما في قوله وما ارسلنا نافية فلذلك قال من رسول لان من لا تزاد في الايجاب وزيادتها تؤذن
باستغراق الكلام كقولك ما جاءني من احد ولو موضعة لما فيها من معنى الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا ولا يأتي بعدها الا
انّ خاصة وانما اجيز في ان خاصة ان تقع بعدها لانها كالفعل في افادة التاكيد فوضع انّ بعد لو مع اسمها وخبرها ان
يكون فاعل الفعل المضمر بعد لو وتقديره لو وقع انهم جاءوك وقت ظلمهم انفسهم اى لو وقع مجيئهم المعنى ثم لامهم سبحانه على
ردّهم امره وذكر ان غرضه من البعثة الطاعة فقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع يعني به ان الغرض من الارسال
ان يطاع الرسول ويمتثل ما يامر به وانما اقتضى ذكر طاعة الرسول هنا ان هؤلاء المنافقين الذين تحاكموا الى الطاغوت
زعموا انهم يؤمنون به واعرضوا عن طاعته فبين الله سبحانه انه لم يرسل رسولا الا ليطاع وقوله باذن الله اى بامر الله الذي
دلّ به على وجوب طاعتهم والاذن على وجوه احدها يكون بمعنى اللطف كقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله وثانيها
بمعنى التخلية كقوله وما هم بضارين به من احد الا باذن الله وثالثها بمعنى الامر كما في الاية ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اى
بخسوها حقها بادخال الضرر عليها بفعل المعصية من استحقاق العقاب وتفويت الثواب بفعل الطاعة وقيل ظلموا انفسهم
بالكفر والنفاق جاءوك تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك فاستغفروا الله لذنوبهم ونزعوا عما هم عليه واستغفر لهم
الرسول رجع من لفظ الخطاب في قوله جاءوك الى لفظ الغيبة جريا على عادة العرب المالوفة واستغفرت لهم يا محمد ذنوبهم
اى سالت الله تعالى ان يغفر لهم ذنوبهم لوجدوا الله هذا يحتمل معنيين احدهما لوجدوا مغفرة الله لذنوبهم ورحمته
اياهم والثاني لعلموا الله توابا رحيما والوجدان يكون بمعنى العلم وبمعنى الادراك فلا يجوز ان يكون هنا على ظاهره بمعنى الادراك
لانه سبحانه غير مدرك في نفسه توابا اى قابلا لتوبتهم رحيما بهم في التجاوز عنهم عما قد سلف منهم وفي قوله تعالى وما ارسلنا

حشكت الذرة اشلالت ص

اى لم نرسل رسولا من رسلنا م

من رسول الا ليطاع او كد دلالة على بطلان مذهب المجبرة القائلين بان الله سبحانه يريد ان يعصي انبياؤه قوم ويطيعهم
آخرون وذكر الحسن في هذه الاية اثني عشر رجلا من المنافقين ائتمروا فيما بينهم واجتمعوا على امر مكيدة لرسول الله عليه السلم فاتاه جبرئيل
عليه السلم فاخبره بها فقال عليه السلام ان قوما دخلوا يريدون امرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله تعالى حتى اعتذر فوا بذلك
حتى اشفع لهم فلم يقوموا فقال رسول الله عليه السلم مرارا الا تقومون فلم يقم احد منهم فقال عليه السلم قم يا فلان قم يا فلان
حتى عد اثني عشر رجلا فقاموا وقالوا كنا عزمنا على ما قلت ونحن نتوب الى الله من ظلمنا فاشفع لنا فقال الآن اخرجوا عني انا
كنت في اول امركم اطيب نفسا بالشفاعة وكان الله سبحانه اسرع الى الاجابة فاخرجوا عنه حتى لم يرهم وفي الاية دلالة على ان مرتكب
الكبيرة يجب عليه الاستغفار فان الله تعالى سيتوب عليه بان يقبل توبته وتدل ايضا على ان مجرد الاستغفار لا يكفي مع توبته
مصرا على المعصية لانه لم يكن استغفر لهم الرسول ما لم يتوبوا بل ينبغي ان يتوب ويندم على ما فعله ويعزم في القلب على ان لا يعود الى
مثله ثم يستغفر الله باللسان ليتوب الله عليه قوله عز وجل فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا اية اللغة شجر الامر يشجر شجورا اختلط وشاجره في الامر اذا نازعه وتشاجروا فيه
وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه واصل الحرج الضيق وفي الحديث حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج اى
لا ضيق وقيل لا اثم الاعراب لا دخلت في اول الكلام لانها رد الكلام فكانه قيل فليس الامر كما يزعمون انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك
ثم استانف القسم فقال وربك لا يؤمنون وقيل ان لا انها توطية للنفي الذي ياتي فيما بعد لان ذكر النفي في اول الكلام وآخره اوكد
فان النفي يقتضي ان يكون له صدر الكلام وقد اقتضى القسم ان يكون النفي في الجواب وتسليما مصدر موكد والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكرك
للفعل ثانيا ومن حق التوكيد ان يكون محققا لما تذكره في صدر كلامك فاذا قلت ضربت ضربا فمعناه احدثت ضربا احققه حقا النزول
قيل نزلت في الزبير ورجل من الانصار خاصمه الى النبي عليه السلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل كلاهما فقال النبي عليه السلم
للزبير اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري وقال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله عليه السلم ثم قال للزبير
اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل الى جارك وكان رسول الله عليه السلم اشار الى الزبير براى فيه السعة له ولخصمه فلما
احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ويقال ان الرجل كان حاطب بن ابي بلتعة قال الراوي ثم خرجا فمرا على
المقداد فقال لمن كان القضاء يا ابا بلتعة قال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن لذلك يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله
هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا مرة واحدة في حيوة موسى فدعانا موسى الى التوبة
فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله
ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت فانزل الله في شان حاطب بن ابي بلتعة ولية شدقه هذه الاية وقال
الشعبي نزلت في قصة بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى عمر وقد مضى ذكرهما المعنى ثم بين الله تعالى ان الايمان به انما يكون
بالتزام حكم رسول الله والرضاء به فقال فلا اى ليس كما يزعمون انهم يؤمنون مع محاكمتهم الى الطاغوت وربك لا يؤمنون اقسم
الله سبحانه ان هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين ولا يدخلون في الايمان حتى يحكموك اى حتى يجعلوك حكما او حاكما
فيما شجر بينهم اى فيما وقع بينهم من الخصومة والتبس عليهم من احكام الشريعة ثم لا يجدوا في انفسهم اى في قلوبهم حرجا اى شكا في
ان ما قلته حق عن مجاهد وقيل اثما اى لا ياثمون بانكار ذلك عن الضحاك وقيل ضيقا بشك او باثم عن ابي علي الجبائي
وهو الوجه مما قضيت اى مما حكمت ويسلموا تسليما اى ينقادوا لحكمك اذعانا لك وخضوعا لامرك وروي عن الصادق ع
انه قال لو ان قوما عبدوا الله واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاموا رمضان وحجوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله
الا صنع خلاف ما صنع او وجدوا من ذلك حرجا في انفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الاية قوله عز وجل وَلَوْ أَنَّا
كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ثلث ايات القراءة

قرا ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي ان اقتلوا بضم النون او اخرجوا بضم الواو وقرا عاصم وحمزة بكسرهما وقرا ابو عمرو بكسر النون و
ضم الواو وقرا ابن عامر وحده الا قليلا بالنصب وكذلك هو في مصاحف اهل الشام وقرا الباقون بالرفع الحجة اما فضل ابي عمرو بين
الواو والنون فلان الضم في الواو احسن لانها تشبه واو الضمير والجمهور في واو الضمير على الضم نحو لا تنسوا الفضل بينكم قال وانما ضمت
النون لانها كان الهمزة التي ضمت بضم الحرف الثالث فجعلت بمنزلتها وان كانت منفصلة وفي الواو هذا المعنى والمعنى الذي اشرنا
اليه من مشابهة واو الضمير والضمة في ساير هذه احسن لانها في موضع الهمزة قال ابو الحسن وهي لغة حسنة وهي اكثر في الكلام واقيس
ووجه قول من كسر ان هذه الحروف منفصلة من الفعل المضموم الثالث والهمزة متصلة بها فلم يجروا المنفصل مجرى المتصل قال والوجه
في قوله الا قليل الرفع على البدل فكانه قال ما فعله الا قليل لان معنى ما اتاني احد الا زيد وما اتاني الا زيد واحد ومن
نصب فانه جعل النفي بمنزلة الايجاب فان قولك ما اتاني احد كلام تام كما ان جاءني القوم كذلك فنصب مع النفي كما نصب مع الايجاب
الاعراب لو يمتنع بها الشيء لامتناع غيره تقول لو اتاني زيد لاكرمته فالمعنى ان اكرامي امتنع لامتناع اتيان زيد وحقها ان يليها
الفعل فالتقدير هنا لو وقع كتبنا عليهم ويجوز ان يكون ان الشديدة كما نابت عن الاسم والخبر في قولك حسبت ان زيدا عالم نابت
هنا عن الفعل والاسم فيكون المعنى في قوله ولو انا كتبنا عليهم كالمعنى في لو كتبنا عليهم واذن دخلت هنا لتدل على معنى الجزاء
ومعنى اذن جواب وجزاء وهي تقع متقدمة ومتوسطة ومتاخرة وانما تعمل متقدمة خاصة الا ان يكون الفعل بعدها للحال نحو اذن اظنك
خارجا واللام في قوله لاتيناهم ولهديناهم اللام التي تقع في جواب لو كما تقع في جواب القسم في نحو قول امرء القيس حلفت لها بالله حلفة
فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال والفرق بين لام الجواب ولام الابتداء ان لام الابتداء لا تدخل الا على الاسم المبتدأ الا في باب
ان خاصة فانها تدخل على الفعل المضارع لمضارعته الاسم وتقول علمت ان زيدا ليقوم وعلمت ان زيدا ليقومن فتكسر ان الاولى لان علمت
صارت معلقة باللام في ليقوم فانها لام الابتداء اخرت الى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى وتفتح ان الثانية لانها لام
الجواب فاعرفه فانه من دقائق النحو واسراره وصراطا مفعول ثان لهديناهم المعنى ثم اخبر سبحانه عن سرائر القوم فقال ولو انا كتبنا اي
اوجبنا عليهم اي على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم كما اوجبنا على قوم موسى والزمناهم ذلك
فقتلوا انفسهم وخرجوا الى التيه ما فعلوه اي ما فعله هؤلاء للمشقة التي فيه الا قليل منهم قيل ان القليل الذي استثنى الله تعالى
هو ثابت بن قيس بن شماس وقيل هم جماعة من اصحاب رسول الله عليه السلام قالوا والله لو امرنا لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا ومنهم
عبد الله بن مسعود وعمار فقال النبي عليه السلام ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ولو انهم فعلوا ما
يوعظون به اي ما يومرون به لكان ذلك خيرا لهم واشد تثبيتا اي بصيرة في امر الدين كنى عن البصيرة بهذا اللفظ لان من كان
على بصيرة من امر دينه كان ذلك ادعى الى الثبات عليه وكان هو اقوى في اعتقاد الحق وادوم عليه ممن لم يكن على بصيرة منه وقيل
معناه ان قولهم وعظ الله تعالى ووعظ رسوله في امور الدين والدنيا اشد تثبيتا لهم على الحق والصواب وامنع لهم من الضلال
وابعد من الشبهات كما قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل ان معناه اكثر انتفاعا بالحق لان الانتفاع بالحق يدوم
ولا يبطل لانه يتصل بثواب الاخرة والانتفاع بالباطل يبطل ويضمحل ويتصل بعقاب الاخرة وقال البلخي معنى الاية لو فرض عليهم القتل والخروج
من الديار لم يفعلوا فاذا لم نفرض عليهم ذلك فليفعلوا ما امروا به مما هو اسهل عليهم منه فان ذلك خير لهم واشد تثبيتا لهم على
الايمان وفي الدعاء اللهم ثبتنا على دينك ومعناه الطف لنا ما نثبت معه عليه واذا لاتيناهم هذا متصل بما قبله اي ولو انهم
فعلوا ذلك لاتيناهم اي لاعطيناهم من لدنا اي من عندنا اجرا عظيما لا يبلغ احد مداه ولا يعرف منتهاه ولا يدرك فضله وانما
ذكر من لدنا تاكيدا بانه لا يقدر عليه غيره وليدل على الاختصاص فان الاجر يجوز ان يصل الى المثاب على يد بعض العباد فاذا وصل
الثواب اليه بنفسه كان اشرف للعبد وابلغ في النعمة ولهديناهم صراطا مستقيما اي ولثبتناهم مع ذلك على الطريق المستقيم
وقيل معناه ولهديناهم في الاخرة الى طريق الجنة عن ابي علي الجبائي قال ولا يجوز ان يكون الهداية هنا الارشاد الى الدين
لانه سبحانه وعد بها المؤمن المطيع ولا يكون كذلك الا وقد اهتدى قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع

الذين

بما نفعل بهم من الطافه التي يثبتون معها على الطاعة ويلزمون الاستقامة وتقديره ووفقناهم للثبات على الطريق المستقيم م

الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل
من الله وكفى بالله عليما اللغة الصديق المداوم على التصديق بما يوجبه الحق وقيل الصديق الذي عادته الصدق و
هذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل يقال لملازم السكر سكير ولملازم الشرب شريب والشهداء جمع شهيد وهو المقتول
في سبيل الله وليست الشهادة في القتل الذي هو معصيته لكنها حال المقتول في اخلاصه القيام بالحق لله مقرا به وداعيا اليه وهي من
اسماء المدح ويجوز للمرء ان يتمناها ولا يجوز ان يتمنى قتل الكافر اياه لانه معصية وقيل الشهادة هي الصبر على ما امر الله تعالى به من قتال
عدوه فاما الصبر على الالم بترك الانين فليس بواجب وليس الانين بممنوع منه بل هو مباح اذا لم يقل شيئا يكرهه الله تعالى والصالح
من استقامت نفسه بحسن عمله والرفيق الصاحب وهو مشتق من الرفق في العمل وهو الارتفاق فيه ومنه المرافقة والمرفق
من اليد بكسر الميم لانه يرتفق به وقوله ويهيئ لكم من امركم مرفقا اي رفقا يصلح به امركم والمرفق بفتح الميم من مرافق الدار والرفقة الجماعة
في السفر لارتفاق بعضهم ببعض والفضل في اصل اللغة هو الزيادة على المقدار وقد استعمل ايضا في النفع وافعال الله تعالى كلها
فضل وتفضل وافضال لانه لا يقتصر بالعبد على مقدار ما يستحق بعمله فيما بين الناس بل يزيد عليه زيادات كثيرة ولا يجري
ذلك على طريق المساواة الاعراب رفيقا نصب على التمييز ولذلك لم يجمع فكانه قال حسن اولئك رفقاء وقيل انه لم يجمع لان المعنى حسن
كل واحد منهم رفيقا كقوله سبحانه ثم يخرجكم طفلا وقال الشاعر نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا باعين اعداء وهن صديق وقيل انه نصب على
الحال فانه قد يدخل من في مثله فاذا اسقطت من فالحال هو الاختيار لانه من الصفات الداخلة في اسماء الاجناس ويكون التوحيد لما دخله
من معنى حسن كل واحد منهم مرافقا ونظيره لله دره فارسا اي في حال الفروسية النزول قيل نزلت في ثوبان مولى رسول الله
عليه واله السلام وكان شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه ونحل جسمه فقال عليه السلام يا ثوبان
ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف
اني لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة فذاك
حين لا اراك ابدا فنزلت الاية ثم قال عليه السلام والذي نفسي بيده لا يؤمنن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده
والناس اجمعين وقيل ان اصحاب رسول الله عليه السلام قالوا ما ينبغي لنا ان نفارقك فانا لا نراك الا في الدنيا فاما في الاخرة فانك
ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك فنزلت الاية عن قتادة ومسروق بن الاجدع المعنى ثم بين سبحانه حال المطيعين فقال ومن
يطع الله بالانقياد لامره ونهيه والرسول باتباع شريعته والرضا بحكمه فاولئك مع الذين انعم الله عليهم في الجنة ثم بين المنعم
عليهم فقال من النبيين والصديقين يريد انه يستمتع برؤية النبيين والصديقين وزيارتهم والحضور معهم فلا ينبغي ان يتوهم
من اجل انهم في اعلى عليين انه لا يراهم وقيل في معنى الصديق انه المصدق بكل ما امر الله به وبانبيائه لا يدخله في ذلك
شك ويؤيده قوله والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء يعني المقتولين في الجهاد وانما سمي الشهيد
شهيدا لقيامه بشهادة الحق على جهة الاخلاص واقراره به ودعائه اليه حتى قتل وقيل انما سمي شهيدا لانه من شهداء الله
على الناس وانما يستشهدهم الله تعالى لفضلهم وشرفهم فهم عدول الاخرة عن الجبائي قال الشيخ ابو جعفر قدس الله
روحه هذا لا يصح على مذهبه فعنده لا يجوز ان يدخل الجنة الا من هو عدل والله سبحانه وعد من يطيعه بان يحشره مع هؤلاء
وينبغي ان يكون الموعود له غير الموعود بالكون معه والا فيصير التقدير انهم مع نفوسهم والصالحين معناه صلحاء المؤمنين
الذين لم يبلغ درجتهم درجة النبيين والصديقين والشهداء والصالح الفاعل للصلاح الملازم له المتمسك به ويقال هو الذي
صلحت حالته واستقامت طريقته والمصلح الفاعل لما فيه الصلاح ولذلك يجوز المصلح في صفات الله تعالى ولا يجوز الصالح وانما
يقال رجل صالح ومصلح لانه يصلح نفسه وعمله وحسن اولئك رفيقا معناه من كان هؤلاء رفقاؤه فاحسن بهم من رفيق او
فما احسنهم من رفيق وقد مر معناه واعرابه وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال يا ابا محمد لقد ذكركم الله في كتابه
ثم تلا هذه الاية وقال فالنبي رسول الله ونحن الصديقون والشهداء وانتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى ذلك

اشارة الى الكون مع النبيين والصديقين الفضل من الله تفضل به على من اطاعه وكفى بالله عليما بالعصاة والمطيعين والمنافقين والمخلصين ومن يصلح لمرافقة هؤلاء ومن لا يصلح لانه يعلم خائنة الاعين وقيل معناه حسبك به عالما بكنه جزاء المطيعين على حقه وتوفير الحظ فيه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا اية اللغة الحذر والحذر لغتان مثل الاذن والاذن والمثل والمثل والنفر الخروج الى الغزو واصله الفزع نفر ينفر نفورا فزع ونفر اليه فزع من امر اليه والنفر جماعة تفزع الى مثلها والمنافرة المحاكمة للفزع اليها فيما يختلف فيه وقيل انما سميت بذلك لانهم يسالون الحاكم عند التنافر اينا اعز نفرا والثبات جماعات فى تفرقة واحدتها ثبة قال ابو ذؤيب فلما اجتلاها بالايام تحيزت ثبات عليها ذلها واكتيابها والايام الدخان يصف العاسل وتدخينه على النحل وقد تجمع الثبة ثبون وانما جمع على الواو وان كان هذا الجمع مختصا بما يعقل للتعويض عن النقص الذى لحقه لان اصله ثبية ومثله عضون وسنون وعزون فان صغرت قلت ثبيات وسنيات لان النقص قد زال الاعراب ثبات منصوبة على الحال من انفروا وذو الحال الواو وجميعا ايضا منصوب على الحال المعنى ثم امر سبحانه المومنين بمجاهدة الكفار والتاهب لقتالهم فقال يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم قيل فيه قولان احدهما ان معناه احذروا عدوكم باخذ السلاح كما يقال للانسان خذ حذرك اى احذر والثانى ان معناه خذوا اسلحتكم سمى الاسلحة حذرا لانها الالة التى بها يتقى الحذر وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم واقوله ان هذا القول اصح لانه اوفق بمقاييس كلام العرب ويكون من باب حذف المضاف وتقديره خذوا الات حذركم واهب حذركم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار خذوا حذركم فانفروا الى قتال عدوكم اى اخرجوا الى الجهاد ثبات اى جماعات فى تفرقة ومعناه اخرجوا فرقة بعد فرقة فى جهة وفرقة فى جهة اخرى او انفروا جميعا اى مجتمعين فى جهة واحدة وحالة واحدة اذا اوجب الراى ذلك وروى عن ابى جعفر عليه السلم ان المراد بالثبات السرايا وبالجميع العسكر قوله عز وجل وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص ونافع وابو عمرو وابن عامر غير هاشم كان لم يكن بالياء والباقون كان لم تكن بالتاء وروى فى الشواذ عن الحسن ليقولن بضم اللام وروى عن يزيد النحوى والحسن فافوز بالرفع الحجة من قرا بالياء فلان التانيث غير حقيقى وحسن التذكير الفصل الواقع بين الفعل والفاعل ومثل التذكير واخذ الذين ظلموا الصيحة فمن جاءه موعظة من ربه وفى موضع اخر قد جاءتكم موعظة من ربكم وكلا الامرين قد جاء التنزيل به ومن قرا ليقولن بالضم فانه اعاد الضمير الى معنى من مثل قوله ومنهم من يستمعون اليك فان قوله لمن ليبطئن لا يعنى به رجل واحد وانما معناه ان هناك جماعة هذه صفتهم واما من قرا فافوز فانه على انه تمنى الفوز فكانه قال يا ليتنى افوز ولو جعله جوابا لنصبه اى ان اكن معهم افوز اللغة التبطئة التاخر عن الامر يقال ما بطا بك عنا اى ما اخرك عنا ومثله الابطاء وهو اطالة مدة العمل لقلة الانبعاث وضده الاسراع وهو قصر مدة العمل للتبريز فيه ويقال بطؤ فى مشيه يبطؤ بطأ اذا ثقل الاعراب اللام الاولى التى فى قوله لمن لام ان التى هى لام الابتداء بدلالة دخولها على الاسم والثانية التى فى ليبطئن لام القسم بدلالة دخولها على الفعل مع نون التاكيد ومن موصولة بالجالب للقسم وتقديره وان منكم لمن احلف بالله ليبطئن وانما جاز صلة من بالقسم ولم يجز بالامر والنهى لان القسم خبر يوضح الموصول كما يوضح الموصوف فى قولك مررت برجل لتكرمنه لانك خصصته بوقوع الاكرام فى المستقبل من كل رجل غيره وليس كذلك الامر فى قولك مررت برجل اضربه لا يتخصص بالضرب فى الامر كما يتخصص بالخبر كان خففت النون لانك اردت كانه فحذفت الهاء وصارت لم عوضا مما حذف منه وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة جملة اعترضت بين المفعول وفعله فان قوله يا ليتنى كنت معهم فى موضع نصب بكونه مفعول قال وقوله فافوز منصوب على جواب التمنى بالفاء وانتصابه باضمار ان فيكون عطف اسم على اسم وتقديره يا ليتنى كان لى حضور معهم ففوز ولو كان العطف على ظاهره لكان يا ليتنى كنت معهم ففزت النزول قيل انها نزلت فى المومنين لانه سبحانه خاطبهم بقوله وان منكم وقد فرق به المومنين والمنافقين بقوله ما هم منكم ولا منهم وقال اكثر المفسرين نزلت فى المنافقين وانما جمع بينهم

في

فى الخطاب من جهة الجنس والنسب لا من جهة الايمان وهو اختيار الجبائى المعنى لما حث الله سبحانه على الجهاد بين حال المتخلفين عنه وان منكم خاطب المومنين ثم اضاف المنافقين لمن ليبطئن اى هم فى الحال الظاهرة او فى حكم الشريعة من حقن الدم والمناكحة والموارثة وقيل منكم اى من عدادكم ويبطئ ويبطئ بالتشديد والتخفيف معناهما واحد اى من يتاخر عن الخروج مع النبى عليه السلم فان اصابتكم مصيبة فيه من قتل او هزيمة قال قول الشامت المسرور بتخلفه قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شاهدا اى حاضرا فى القتال فكان يصيبنى ما اصابهم وقال الصادق عليه السلم لو ان اهل السماء والارض قالوا قد انعم الله علينا اذ لم نكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين ولئن اصابكم فضل من الله اى فتح او غنيمة ليقولن يا ليتنى كنت معهم وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض يتصل بما تقدمه وتقديره قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا كان لم يكن بينكم وبينهم مودة اى لا يعاضدكم على قتال عدوكم ولا يرعى الذمام الذى بينكم عن ابى على الفارسى وقيل انه اعتراض بين القول والتمنى وتقديره ليقولن يا ليتنى كنت معهم فافوز من الغنيمة فوزا عظيما كانه ليس بينكم وبينه مودة اى يتمنى الحضور لا لنصرتكم وانما يتمنى لنفع نفسه وقيل ان الكلام فى موضعه من غير تقديم وتاخير ومعناه ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن هذا المبطئ قول من لا يكون بينه وبين المسلمين مودة اى كانه لم يعاقدكم على الايمان ولم يظهر لكم مودة على حال يا ليتنى كنت معهم اى يتمنى الغنيمة دون شهود الحرب وليس هذا من قول المخلصين فقد عدوا التخلف فى احدى الحالتين نعمة من الله تعالى وتمنوا الخروج معهم فى احدى الحالتين لاجل الغنيمة وليس ذلك من امارات المودة وعلى هذا فيكون قوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة فى موضع النصب على الحال وقال ابو على الجبائى انه حكاية عن المنافقين قالوا للذين اقعدوهم عن الجهاد كان لم يكن بينكم وبينه اى بين محمد مودة فيخرجكم معه لتاخذوا من الغنيمة وانما قالوا ذلك ليبغضوا اليهم رسول الله عليه السلم يا ليتنى كنت معهم هذا التمنى من قول المبطئين القاعدين تمنوا ان يكونوا معهم فى تلك الغزوة فافوز فوزا عظيما اى اصيب غنيمة عظيمة واخذ حظا وافرا منها قوله عز وجل فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما اية اللغة يقال شريت بمعنى بعت واشتريت وابتعت ويشرون يبيعون قال يزيد بن مفرغ وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامه وبرد اسم غلامه الاعراب فيقتل او يغلب عطف على يقاتل وجواب الشرط فسوف نؤتيه المعنى لما اخبر سبحانه فى الاية الاولى ان قوما يتاخرون عن القتال ويثبطون المومنين عنه حث فى هذه الاية على القتال فقال فليقاتل فى سبيل الله اى فى طريق دين الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اى الذين يبيعون الحيوة الفانية بالحيوة الباقية ويجوز يبيعون الحيوة الدنيا بنعيم الاخرة اى يبذلون انفسهم واموالهم فى سبيل الله بتوطين انفسهم على الجهاد فى طاعة الله وبيعهم اياها بالاخرة هو استبدالهم اياها بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله اى يجاهد فى طريق دين الله وقيل فى طاعة ربه بان يبذل ماله ونفسه ابتغاء مرضاته فيقتل اى يستشهد او يغلب اى يظفر بالعدو وفيه حث على الجهاد فكانه قال هو فائز باحدى الحسنيين ان غلب او غلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما اى نعطيه اعلى اثمان العمل وقيل ثوابا دائما لا تنغيص فيه قوله عز وجل وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا اية اللغة الولدان جمع ولد وولدان مثل خرب وخربان وبرق وبرقان وورل وورلان والاغلب على بابه فعال نحو جبال وجمال وقد ذكرنا القرية فى سورة البقرة الاعراب ما للاستفهام فى موضع رفع بالابتداء ولا تقاتلون فى موضع نصب على الحال وتقديره اى شئ لكم تاركين للقتال والمستضعفين جر بالعطف على ما عملت فيه فى اى وفى المستضعفين وقال المبرد هو عطف على اسم الله تعالى وانما جاز اى يجرى الظالم صفة على القرية وهو فى المعنى للاهل لانها قوية على العمل لقربها من الفعل وتمكنها فى الوصفية بانها تؤنث وتذكر وتثنى وتجمع بخلاف باب افعل منك فلذلك جاز مررت برجل ظالم ابوه ولم يجز مررت برجل خير منه ابوه بل يقال مررت برجل خير منه ابوه ليكون للجملة فى موضع الجر المعنى ثم حث سبحانه على تخليص المستضعفين فقال وما لكم ايها المومنون لا تقاتلون اى اى عذر لكم فى ترك القتال مع اجتماع الاسباب الموجبة للقتال فى سبيل الله تعالى اى فى طاعة الله ويقال فى دين الله ويقال فى نصرة دين الله ويقال

فی اعزاز دین الله واعلاء كلمته و فی المستضعفین ای و فی سبیل المستضعفین او فی سبیل المستضعفین ای نصرة المستضعفین وقیل
فی اعزاز المستضعفین وفی الذب عن المستضعفین من الرجال والنساء والولدان قیل یرید بذلك قوما من المسلمین بقوا بمكة
ولم یستطیعوا الهجرة منهم سلمة بن هشام والولید بن الولید بن عیاش بن ابی ربیعة وابو جندل بن سهیل وجماعة كانوا یدعون الله
تعالی ان یخلصهم من ایدی المشركین ویخرجهم من مكة وهم الذین یقولون ربنا اخرجنا من هذه القریة الظالم اهلها ای یقولون فی
دعائهم ربنا سهل لنا الخروج من هذه القریة یعنی مكة عن ابن عباس والحسن والسدی وغیرهم الظالم اهلها ای التی ظلم اهلها
بافتتان المومنین عن دینهم ومنعهم عن الهجرة واجعل لنا بالطافك وتاییدك من لدنك ای من عندك ولیا یلی امرنا بالكفایة حتی
ینقذنا من ایدی الظلمة واجعل لنا من لدنك نصیرا ینصرنا علی من ظلمنا فاستجاب الله سبحانه دعاءهم فلما فتح رسول الله علیه السلام مكة جعل الله سبحانه نبیه علیه السلام لهم
ولیا فاستعمل علی مكة عتاب بن اسید فجعله الله لهم نصیرا فكان ینصف الضعیف من الشدید فاغاثهم الله تعالی فكانوا اعز بها من
الظلمة قبل ذلك وفی هذه الایة دلالة علی عظم موقع الدعاء من الله تعالی وابطال قول من زعم ان العبد لا یستفید بالدعاء شیئا
لان الله تعالی حكی عنهم انهم دعوا فاجابهم الله واتاهم سؤلهم ولولا انه سبحانه استجاب دعاهم لما كان لذكر دعائهم معنی

قوله عز وجل الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ایة اللغة الطاغوت تقدم ذكره والكید السعی فی فساد الحال علی وجه الاحتیال
یقول كاده یكیده فهو كاید اذا عمل فی ایقاع الضرر به علی وجه الحیلة فیه المعنی ثم شجع المجاهدین ورغبهم فی الجهاد بقوله الذین
امنوا یقاتلون فی سبیل الله ای فی طاعة الله وفی نصرة دینه واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته بلا عجب ولا صلف ولا طمع فی غنیمة والذین
كفروا یقاتلون فی سبیل الطاغوت وطاعته فقاتلوا اولیاء الشیطان یعنی جمیع الكفار وهذا یقوی قول من قال ان الطاغوت
الشیطان ان كید الشیطان كان ضعیفا دخلت كان ههنا مؤكدة لیدل علی ان الضعف لكید الشیطان لازم فی جمیع الاحوال
والاوقات ما مضی منها وما یستقبل ولیس هو عارضا فی حال دون حال وانما وصف سبحانه كید الشیطان بالضعف بالاضافة
الی نصرة الله المومنین عن الجبائی وقیل لانه اخبر بانه سیظهر علیهم المومنین عن الحسن وقیل الضعف دواعی اولیاء الشیطان
الی القتال اذ لا بصیرة لهم وانما یقاتلون بما یدعوا الیه الشبهة والمومنون یقاتلون بما یدعوا الیه الحجة قوله عز وجل أَلَمْ تَرَ
إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ
كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ایة القراءة لا یظلمون بالیاء مكی كوفی غیر عاصم والباقون بالتاء الحجة
من قرا بالیاء فلما تقدم من ذكر الغیبة من قوله الم تر الی الذین قیل لهم ومن قراء بالتاء فلانه ضم الیهم فی الخطاب المسلمین
فغلب الخطاب علی الغیبة الاعراب اذا فریق منهم اذا هذه ظرف مكان وهی بمنزلة الفاء فی تعلیقه الجملة بالشرط وتسمی ظرف
المكان كما فی قول الشاعر وكنت اری زیدا كما قیل سیدا اذا انه عبد القفا واللهازم فهی فی محل النصب بیخشون والكاف فی كخشیة
الله فی محل النصب للمصدر واشد معطوف علیه وخشیة منصوب علی التمییز وهو مما انتصب بعد تمام الاسم ولولا معناها
التحضیض ولا تدخل الا علی الفعل النزول قال الكلبی نزلت فی عبد الرحمن بن عوف الزهری والمقداد بن الاسود الكندی
وقدامة بن مظعون الجمحی وسعد بن ابی وقاص كانوا یلقون من المشركین اذی كثیرا شدیدا وهم بمكة قبل ان یهاجروا
الی المدینة فیشكون الی رسول الله علیه السلام ویقولون یا رسول الله ائذن لنا فی قتال هولاء فانهم قد اذونا فلما امروا
بالقتال وبالمسیر الی بدر شق علی بعضهم فنزلت الایة المعنی ثم عاد تعالی الی ذكر القتال ومن كرهه فقال الم تر الی الذین
قیل لهم وهم بمكة كفوا ایدیكم ای امسكوا عن قتال الكفار فانی لم او مر بقتالهم واقیموا الصلوة واتوا الزكوة فلما كتب ای
فرض علیهم القتال وهم بالمدینة اذا فریق منهم ای جماعة منهم یخشون الناس كخشیة الله ای یخافون القتل من الناس
كما یخافون الموت من الله وقیل یخافون الناس ان یقتلوهم كما یخافون الله ان یتوفاهم وقیل یخافون عقوبة الناس

بالقتل

بالقتل كما یخافون عقوبة الله او اشد خشیة قیل او هنا بمعنی الواو ای واشد خشیة وقیل ان او هنا لابهام الامر علی المخاطب
وقد ذكرنا الوجوه فی مثل هذا عند قوله سبحانه او اشد قسوة فی سورة البقرة وقالوا ربنا لم كتبت علینا القتال قال الحسن لم
یقولوا ذلك كراهة لامر الله تعالی ولكن لدخول الخوف علیهم بذلك علی ما یكون من طبع البشر ویحتمل ان یكونوا
قالوا ذلك استفهاما لا انكارا وقیل انما قالوا ذلك لانهم ركنوا الی الدنیا واثروا نعیمها والاقوال كلها فلو لم یقولوا
ذلك لكان خیرا لهم لولا اخرتنا ای هلا اجلتنا الی اجل قریب وهو الی ان نموت باجالنا ثم اعلم الله تعالی ان الدنیا
بما فیها من وجوه المنافع قلیل فقال قل یا محمد لهولاء متاع الدنیا قلیل ای ما یستمتع بها من منافع الدنیا قلیل لا یبقی والاخرة
خیر لمن اتقی ولا تظلمون فتیلا ای لا یبخسون هذا القدر فكیف ما زاد علیه والفتیل ما تفتله بیدك من الوسخ ثم تلقیه
عن ابن عباس وقیل ما فی شق النواة لانه كالخیط المفتول قوله عز وجل أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ
عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ایة القراءة روی فی الشواذ ان طلحة بن سلیمان قرا
یدرككم الموت برفع الكاف الحجة هذه القراءة ضعیفة علی ان لها وجها وهو ان یكون علی حذف الفاء فكانه قال فیدرككم الموت
ومثله بیت الكتاب من یفعل الحسنات الله یشكرها والشر بالشر عند الله مثلان ای فالله یشكرها اللغة البروج جمع برج
واصله من الظهور یقال تبرجت المراة اذا اظهرت محاسنها والبرج اتساع فی العین لظهور العین بالاتساع والمشیدة المزینة بالشید
وهو الجص والشید رفع البناء یقال شاد بناه یشیده اذا رفعه وانما قیل للجص شید لانه مما یرفع به البناء ویجوز اشاد الرجل بناءه
اما فی الذكر فانه یقال اشاد بذكره لا غیر والفقه الفهم یقال فقه الرجل یفقه فقها والاسم الفقه وصار بعرف الاستعمال علما علی
علم الفقه من علوم الدین وفقه الرجل یفقه فقاهة اذا صار فقیها والتفقه تعلم الفقه الاعراب این من الظروف التی
یجازی بها لتضمنها معنی ان ولا یلزمه ما یقول این تكن اكن واینما تكن اكن وهی تستغرق الامكنة كما ان متی تستغرق الازمنة
وكتبت اینما هنا موصولة وفی قوله اینما كنتم توعدون مفصولة لان ما هنا مزیدة وهناك بمعنی الذی فوصلت هذه كما وصل
الحروف وفصلت تلك كما تفصل الاسماء وقال هؤلاء كثرت فی الكلام حتی توهموا ان اللام متصلة بها وانها حرف واحد ففصلوا
اللام مما بعده فی بعض المواضع ووصلوها فی بعضها ولا یجوز الوقف علی اللام لانها اللام الجارة المعنی ثم خاطبهم سبحانه فقال اینما
تكونوا یدرككم الموت ای اینما كنتم من المواضع والاماكن ینزل بكم الموت ویلحقكم ولو كنتم فی بروج مشیدة قیل یعنی بالبروج القصور
عن مجاهد وقتادة وابن جریج وقیل قصور فی السماء باعیانها عن السدی والربیع وقیل المراد به بروج السماء وقیل البیوت التی فوق
الحصون عن الجبائی وقیل الحصون والقلاع عن ابن عباس فهذه خمسة اقوال والمشیدة المجصصة عن عكرمة وقیل المزینة عن ابی
عبیدة وقیل المطولة فی ارتفاع عن الزجاج وغیره وان تصبهم حسنة یقولوا هذه من عند الله اختلفت فیمن حكی عنهم هذه
المقالة فقیل هم الیهود قالوا ما زلنا نعرف النقص فی ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علینا هذا الرجل عن الزجاج والفراء
فعلی هذا یكون معناه وان اصابهم خصب ومطر قالوا هذه من عند الله وان اصابهم جدب وقحط قالوا هذا من شوم
محمد كما حكی عن قوم موسی وان تصبهم سیئة یطیروا بموسی ومن معه ذكره البلخی والجبائی وهو المروی عن الحسن وابن
زید وقیل هم المنافقون عبد الله بن ابی واصحابه الذین تخلفوا عن القتال یوم احد وقالوا للذین قتلوا فی الجهاد لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا فعلی هذا یكون معناه ان یصبهم ظفر وغنیمة قالوا هذه من عند الله وان یصبهم مكروه وهزیمة
قالوا هذه من عندك یا محمد وبسوء تدبیرك وهو المروی عن ابن عباس وقتادة وقیل هو عام فی الیهود والمنافقین
وهو الاصح وقیل هو حكایة عمن سبق ذكره قبل الایة وهم الذین یقولون ربنا لم كتبت علینا القتال وتقدیره وان تصب هؤلاء
حسنة یقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سیئة یقولوا هذه من عندك قال ابن عباس وقتادة الحسنة والسیئة السراء
والضراء والبؤس والرخاء والنعمة والمصیبة والخصب والجدب وقال الحسن وابن زید هو القتل والهزیمة والظفر والغنیمة

قل يا محمد كل من عند الله اى جميع ما مضى ذكره من الحيوة والخصب والجدب من عند الله وبقضائه وقدره لا يقدر احد على رده ودفعه
ابتلى بذلك عباده ليعرضهم لثوابه بالشكر عند العطية والصبر على البلية فما لهؤلاء القوم اى ما شان هؤلاء المنافقين لا يكادون
يفقهون حديثا اى لا يقاربون فقه معنى الحديث الذى هو القرآن لانهم يبعدون منه باعراضهم عنه وكفرهم به وقيل معناه لا
يفقهون حديثا اى لا يعلمون حقيقة ما يخبرهم به انه من عند الله من السراء والضراء على ما وصفناه قوله عز وجل ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا آية الاعراب
رسولا منصوب بارسلناك وانما ذكره تاكيدا لان ارسلناك دل على انه رسول وشهيدا نصب على التمييز ومعنى من فى قوله من حسنة
ومن سيئة التبيين ولو قال ان اصابك من حسنة كان من زايدة لا معنى لها المعنى ما اصابك من حسنة فمن الله قيل هذا خطاب
للنبى عليه السلام والمراد به الامة عن الزجاج وقيل خطاب للانسان اى ما اصابك ايها الانسان عن قتادة والجبائى قال وعنى
بقوله من حسنة من نعمة فى الدين والدنيا فانها من الله وما اصابك من سيئة اى من المعاصى فمن نفسك وقيل عنى بالحسنة ما اصابهم
يوم بدر من الغنيمة وبالسيئة ما اصابهم يوم احد من الهزيمة عن ابن عباس قال ابو مسلم معناه لما جدوا فى القتال يوم بدر واطاعوا
الله اتاهم النصر ولما خالفوا يوم احد خلى بينهم فهزموا وقيل الحسنة الطاعة والسيئة المعصية عن ابى العالية قال ابو القسم وهذا
كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل الحسنة النعمة والرخا والسيئة القحط والمرض والبلاء والمكاره واللأواء والشدايد التى تصيبهم
فى الدنيا بسبب المعاصى التى يفعلونها وربما تكون لطفا وربما تكون على سبيل العقوبة وانما سماها سيئة مجازا لان الطبع ينفر عنها وان
كانت افعالا حسنة غير قبيحة فيكون المعنى على هذا ما اصابك من الصحة والسلامة وسعة الرزق وجميع نعم الدنيا والدين فمن الله وما اصابك
من المحن والشدايد والالام والمصايب فبسبب ما تكتسبه من الذنوب كما قال سبحانه وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقوله
فمن نفسك معناه فبذنبك عن الحسن وجماعة من المفسرين وفسره ابو القسم البلخى فقال ما اصاب المكلف من مصيبة فهى كفارة ذنب
صغير او عقوبة ذنب كبير او تاديب وقع لاجل تفريط وقد قال النبى عليه السلام ما من خدش بعود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم
الا بذنب وما يعفوا الله عنه اكثر وقيل فمن نفسك اى من فعلك وقال على بن عيسى وفى الاية دلالة على ان الله تعالى لا يفعل الالام
الا على وجه اللطف او العقاب او نجرد العوض لان المصايب اذا كانت كلها من قبل ذنب العبد فهى اما ان يكون عقوبة واما ان
يكون من قبل تاديب المصلحة وقوله وارسلناك للناس رسولا معناه ومن الحسنة ارسلناك يا محمد ومن السيئة خلافك يا محمد وكفى
بالله شهيدا لك وعليك وقيل فى معناه اتصاله بما تقدم ان ما اصابهم فبشوم ذنوبهم وانما انت رسول طاعتك طاعة الله و
معصيتك معصية الله لا يتطير بك بل الخير كله فيك وكفى بالله شهيدا اى كفى الله ومعناه حسبك الله شاهدا لك على رسالتك
وقيل معناه كفى بالله شهيدا على عباده بما يعملون من خير وشر فعلى هذا يكون متضمنا للترغيب فى الخير والتحذير عن الشر قوله عز وجل
من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك
بيت طايفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا آيتان
القراءة قرا ابو عمرو بادغام التا فى الطاء من بيت طايفة وبه قرا حمزة والباقون بالاظهار الحجة انما حسن ادغام التاء فى الطاء
للتقارب الذى بينهما بانهما من حيز واحد ولم يحسن ادغام الطاء فى التاء لان الطاء يزيد على التاء بالاطباق فحسن ادغام الا
نقص من الحروف فى الازيد صوتا ويجب قبح ادغام الازيد فى الانقص ومن بين ولم يدغم فلانفصال الحرفين واختلاف المخرجين
اللغة قال المبرد التبييت كل شئ دبر ليلا قال عبيدة بن همام اتونى فلم ارض ما بيتوا وكانوا اتونى لامر نكر والتبييت الامر يبيت
عليه صاحبه مغتما والبيات ان ياتى العدو ليلا فاصل التبييت احكام الامر ليلا واصل الوكيل القايم بما فوض اليه من التدبير
الاعراب جواب الجزاء فى قوله فما ارسلناك عليهم حفيظا تقديره ومن تولى فليس عليك باس لانك لم ترسل حفيظا عليهم وطاعة
مبتدا اى عندنا طاعة او خبر مبتدا محذوف اى امرنا طاعة ولو نصب على نطيع طاعة لجاز المعنى ثم رغب سبحانه فى طاعة الرسول فقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله بين ان طاعته طاعة الله وانما كان كذلك لانها وان كانت طاعة للنبى عليه السلام من حيث وافقت

ارادته المستند عنه للفعل فانها طاعة الله ايضا على الحقيقة من آمرين كما ان الفعل الواحد لا يكون من فاعلين ومن تولى
اى من اعرض ولم يطع فما ارسلناك عليهم حفيظا اى حافظا لهم من التولى حتى يسلموا عن ابن زيد قال وكان هذا اول
ما بعث كما قال فى موضع اخر ان عليك الا البلاغ ثم امر فيما بعد بالجهاد وقيل معناه ما ارسلناك حافظا لاعمالهم التى
يقع الجزاء عليها فتخاف ان لا تقوم بها لانا نحن نجازيهم عليها وقيل حافظا لهم من المعاصى حتى لا تقع عن الجبائى وفى هذه
الاية تسلية للنبى عليه السلام فى تولى الناس عنه معما فيه من تعظيم شانه بكون طاعته طاعة الله ثم بين سبحانه ان المنافقين
اظهروا طاعته واضمروا خلافه بقوله ويقولون طاعة يعنى به المنافقين عن الحسن والسدى والضحاك وقيل المراد به المسلمون
الذين حكى عنهم انهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية يقولون امرك طاعة كانهم قالوا قابلنا امرك بالطاعة فاذا
برزوا اى خرجوا من عندك بيت طايفة منهم اى قدر جماعة منهم ليلا غير الذى تقول اى غير ما يقولون على جهة التكذيب عن
الحسن وقيل معناه غيروا بالليل وبدلوا ما قالوه بان اضمروا الخلاف عليك فيما امرتهم به او نهيتهم عنه عن ابن عباس وقتادة
والسدى وقيل دبروا ليلا غير ما اعطوك نهارا عن ابى عبيدة والقتيبى والله يكتب ما يبيتون فى اللوح المحفوظ ليجازيهم به و
قيل يكتبه بان ينزله اليك فى الكتاب عن الزجاج فاعرض عنهم امر الله سبحانه نبيه بالاعراض عنهم وان لا يسميهم باعيانهم ابقاء
عليهم وسترا لامورهم الى ان يستقر امر الاسلام وتوكل على الله اى فوض امرك اليه وثق به وكفى بالله وكيلا اى حفيظا لما يفوضه
اليه من التدبير قوله عز وجل افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا
جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم و
لولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا آيتان اللغة التدبر هو النظر فى عواقب الامور والتدابر التقاطع
لان كل واحد يولى الاخر دبره بعدا وتدله ودبر القوم يدبرون دبارا هلكوا لانهم يذهبون فى جهة الادبار عن الغرض و
الفرق بين التدبر والتفكر ان التدبر تصرف القلب بالنظر فى العواقب والتفكر تصرف القلب بالنظر فى الدلايل والاختلاف
هو امتناع احد الشيئين ان يسد مسد الاخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد الذى لا يسد مسد البياض وكذلك الذهاب فى الجهات
المختلفة واصل الاذاعة التفريق قال تبع لما ورد المدينة ولقد شربت على براجم شربة كادت بباقية الحياة تذيع اى تفرق وبراجم
ماء بالمدينة كان يشرب منه فنشبت بحلقه علقة وذاع الخبر ذيعا ورجل مذياع لا يستطيع كتمان خبر واذاع الناس بما فى
الحوض اذا شربوه واذاعوا بالمتاع ذهبوا به والاذاعة والاشاعة والافشاء والاعلان والاظهار نظاير وضد الكتمان والاسرار
والاخفاء واصل الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخرج حتى تقع عليه رؤية العين او معرفة القلب قد استنبط والنبط الماء الذى
يخرج من البئر اول ما تحفر وانبط فلان اى استنبط الماء من طين حر ومنه اشتقاق النبط لاستنباطهم العيون المعنى افلا يتدبرون
القرآن افلا يتفكر اليهود والمنافقون فى القرآن اذ ليس فيه خلل ولا تناقض ليعلموا انه حجة وقيل ليعلموا انهم لا يقدرون
على مثله فيعرفون انه ليس بكلام احد من الخلق وقيل ليعرفوا اتساق معانيه وايتلاف احكامه وشهادة بعضه لبعض وحسن
عباراته وقيل ليعلموا كيف اشتمل على انواع الحكم من امر بحسن ونهى عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعا الى مكارم الاخلاق وحث
على الخير والزهد مع فصاحة اللفظ وجودة النظم وصحة المعنى فيعرفوا انه خلاف كلام البشر والاولى ان يحمل على الجميع لان
من تدبر فيه علم جميع ذلك ولو كان من عند غير الله اى كلام غير الله اى لو كان من عند النبى عليه السلام او كان يعلمه بشر
كما زعموا لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قيل فيه اقوال احدها ان معناه لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهة حق وباطل
عن قتادة وابن عباس والثانى اختلافا فى الاخبار عما يسرون عن الزجاج والثالث من جهة بليغ ومرذول عن ابى
على والرابع تناقضا كثيرا عن ابن عباس وذلك ان كلام البشر اذا طال وتضمن من المعانى ما تضمنه القرآن لم يخل من
التناقض فى المعانى والاختلاف فى اللفظ وكل هذه المعانى منفى عن كتاب الله تعالى كما قال لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه وهذه الاية تضمنت الدلالة على معان كثيرة منها بطلان التقليد وصحة الاستدلال فى اصول الدين

لانه تعالى دعا الى التفكر والتدبر وحث على ذلك ومنها فساد قول من زعم ان القران لا يفهم معناه الا بتفسير الرسول عليه السلام من الحشوية وغيرهم لانه حث على تدبره ليعرفوه ويتبينوه ومنها انه لو كان من عند غيره لكان على وزن كلام العباد ولوجد الاختلاف فيه ومنها ان المتناقض من الكلام لا يكون من فعل الله سبحانه لانه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره والاختلاف في الكلام يكون على ثلثة اضرب اختلاف تناقض واختلاف تفاوت واختلاف تلاوة واختلاف التفاوت يكون في الحسن والقبح والخطاء والصواب ونحو ذلك مما تدعوا اليه الحكمة ويصرف عنه وهذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن البتة كما لا يوجد اختلاف التناقض فاما اختلاف التلاوة فهو ما يتلاءم في الجنس كاختلاف وجوه القراءة واختلاف مقادير الآيات والسور واختلاف الاحكام في الناسخ والمنسوخ فذلك موجود في القران وكله حق وكله صواب واستدل بعضهم بانتفاء التناقض عن القران على انه من فعل الله تعالى بان قالوا لو لم يكن ذلك دلالة لما اخبرنا الله تعالى به ولو لم يخبر بذلك لكان لقايل ان يقول انه يمكن ان يتحفظ في الكلام ويهذب تهذيبا لا يوجد لذلك فيه شيء من التناقض وعلى هذا فلا يمكن ان يجعل انتفاء التناقض جهة اعجاز القران الا بعد معرفة صحة السمع وصدق النبي عليه السلم ثم عاد تعالى الى ذكرهم فقال واذا جاءهم يعني هؤلاء الذين سبق ذكرهم من المنافقين وقيل هم الذين ذكرهم من ضعفة المسلمين امر من الامن او الخوف يريد ما كان يرجف به من الاخبار في المدينة اما من قبل عدو يقصدهم وهو الخوف او من ظهور المؤمنين على عدوهم وهو الامن اذاعوا به اي تحدثوا به وافشوه من غير ان يعلموا صحته كره الله تعالى ذلك لان من فعل هذا فلا يخلو كلامه من كذب ولما يدخل على المؤمنين به من الخوف ثم قال ولو ردوه الى الرسول المعنى ولو سكتوا الى ان يظهره الرسول عليه السلم والى اولي الامر منهم قال ابو جعفر عليه السلم هم الائمة المعصومون وقال السدي وابن زيد وابو علي الجبائي هم امراء السرايا والولاة وقال الحسن وقتادة وغيرهم انهم اهل العلم والفقه الملازمون للنبي عليه السلم لانهم لو سألوه عن حقيقة ما ارجفوا به لعلموه واختاره الزجاج وانكر ابو علي الجبائي هذا الوجه وقال انما يطلق اولوا الامر على من له الامر على الناس لعلمه الذين يستنبطونه اي لعلم ذلك الخبر الذين يستخرجونه عن الزجاج قيل يتجسسونه عن ابن عباس وابي العالية وقيل يتتبعونه ويطلبون علم ذلك عن الضحاك وقيل يسألون عنه عن عكرمة قال الاستنباطهم سؤالهم الرسول عنه وجميع هذه الاقوال متقاربة المعنى منهم قيل ان الضمير في منهم يعود الى اولي الامر وهو الاظهر وقيل يعود الى الفرقة المذكورة من المنافقين او الضعفة ولولا فضل الله عليكم ورحمته اي لولا اتصال مواد الالطاف من جهة الله تعالى وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القران عن ابن عباس وقيل فضل الله ورحمته النبي والقران عن الضحاك وهو اختيار الجبائي وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم فضل الله ورحمته النبي وعلي عليهما السلم لاتبعتم الشيطان الا قليلا قيل فيه اقوال احدها ان في الكلام تقديما وتاخيرا والاستثنا من قوله اذاعوا به عن ابن عباس فيكون معناه اذاعوا به الا قليلا وهو اختيار المبرد والكسائي والفراء والبلخي والطبري قالوا وهذا اولى لان الاذاعة اكثر من الاستنباط وثانيها ان الاستثنا من قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا ويكون تقديره ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه الا قليلا عن اكثر اهل اللغة وثالثها ان المراد ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم على الظاهر من غير تقديم ولا تاخير وهذا كما اتبع الشيطان من كان قبل بعثة النبي عليه السلم الا قليلا منهم لم يتبعوه واهتدوا بعقولهم لترك عبادة الاوثان بغير رسول ولا كتاب وامنوا بالله ووحدوه مثل قس بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل والبراء الشني وابي ذر الغفاري وطلاب الدين وبه قال الانباري ورابعها ان معناه ولولا فضل الله عليكم ورحمته بالنصر والفتح مرة بعد اخرى لاتبعتم الشيطان فيما يلقي اليكم من الوساوس والخواطر الفاسدة المؤدية الى الجبن والفشل الموجبة لضعف النية والبصيرة الا قليلا من افاضل اصحاب رسول الله عليه السلم الذين هم اهل البصاير النافذة والعزايم الثابتة والنيات الخالصة لا ييأسون من رحمة الله ولا يشكون في نصره وانجاز وعده وان ابطا بعض الابطاء والله اعلم

النظم اختلف في وجه اتصال قوله افلا يتدبرون بما قبله فقيل انه يتصل بقوله ويقولون طاعة الآية وان الله تعالى اطلع على اسرار المنافقين ثم بين هنا انه من جهة علام الغيوب ولو كان من جهة غيره لكان المخبر بخلاف الخبر وقيل انه يتصل بقوله وارسلناك

لما بين ارساله امر بتدبر معجزه قوله عز وجل فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا اية اللغة نكل به وندد به وشرد به نظاير واصله النكول وهو الامتناع للخوف يقال نكل عن اليمين وغيرها والنكال ما يمتنع به من الفساد خوفا من مثله من العذاب والنكل القيد المعنى ثم عاد تعالى الى الامر بالقتال فقال فقاتل في سبيل الله قيل في الفاء قولان احدهما انه جواب لقوله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل في سبيل الله فيكون المعنى ان اردت الاجر العظيم فقاتل والاخر ان يكون متصلا بقوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله عن الزجاج ووجه انه لا حظ لك في ترك القتال فتتركه والخطاب للنبي عليه السلم خاصة امره تعالى ان يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه وقوله لا تكلف الا نفسك معناه لا تكلف الا فعل نفسك لانه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فان ضرر ذلك عليهم وحرض المؤمنين على القتال اي حثهم عليه عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اي يمنع شدة الكفار قال الحسن عسى من الله واجب ووجه ذلك ان اطماع الكريم انجاز وانما الاطماع تقوية احد الامرين على الاخر دون قيام الدليل على التكافي في الجواز وخرج عسى في هذا من معنى الشك لخروجها في قول القايل اطع ربك في كل ما امرك به ونفعك عسى ان تفلح بطاعتك والله اشد بأسا اي اشد نكاية في الاعداء منكم واشد تنكيلا اي عقوبة عن الحسن وقتادة وقيل التنكيل الشهرة بالامور الفاضحة عن ابي علي الجبائي وقيل هو ما ينالهم على ايدي المسلمين من الاذلال والسبي والقتل وتخريب الديار وقيل هو الانتقام والاهلاك النزول قال الكلبي ان ابا سفين لما رجع الى مكة يوم احد واعد رسول الله عليه السلم موسم بدر الصغرى وهي سوق يقوم في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد قال للناس اخرجوا الى الميعاد فتثاقلوا وكرهوا ذلك كراهة شديدة او بعضهم فانزل الله تعالى هذه الاية فحرض النبي عليه السلم المؤمنين فتثاقلوا عنه ولم يخرجوا فخرج رسول الله عليه السلم في سبعين راكبا حتى اتى موسم بدر فكفاهم الله تعالى بأس العدو ولم يوافهم ابو سفين ولم يكن قتال يومئذ وانصرف رسول الله بمن معه سالمين قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا اية اللغة اصل الشفاعة من الشفع الذي هو ضد الوتر فان الرجل اذا شفع لصاحبه فقد شفعه اي صار ثانيه ومنه الشفيع في الملك لانه يضم ملك غيره الى ملك نفسه واختلف الامة في كيفية شفاعة النبي عليه السلم يوم القيمة فقالت المعتزلة ومن تابعهم يشفع لاهل الجنة ليزيد الله درجاتهم وقال غيرهم من فرق الامة بل يشفع لمذنبي امته لمن ارتضى الله دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته والكفل في اللغة النصيب واخذ من قولهم اكفلت البعير اذا ادرت على سنامه كساء وركبت عليه وانما يقال ذلك لانه لم يستعمل الظهر كله انما استعمل نصيبا من الظهر وقال الازهري الكفل الذي لا يحسن ركوب الفرس واصله الكفل وهو ردف العجز ومنه الكفالة بالنفس والمال والكفل المثل والمقيت المقتدر لاقتداره على ذلك واقات يقيت اصله من القوت فانه يقوته قوتا اذا اعطاه ما يمسك به رمقه والمقيت اصله من القوت قال الزبير بن عبد المطلب وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا فهذه لغة قريش المعنى من يشفع شفاعة حسنة اي يمش فيها قيل فيه اقوال احدها ان معناه من يصلح بين اثنين يكن له اجر منها ومن يشفع شفاعة سيئة اي يمش بالنميمة يكن له كفل اي اثم منها عن الكلبي عن ابن عباس وثانيها ان الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة شفاعة الناس بعضهم لبعض عن مجاهد والحسن قال ما يجوز في الدين ان يشفع فيه فهو شفاعة حسنة وما لا يجوز ان يشفع فيه فهو شفاعة سيئة وقال ومن يشفع شفاعة حسنة كان له اجر وثواب وان لم يشفع لان الله تعالى قال من يشفع ولم يقل من يشفع ويؤيد هذا قوله عليه السلم اشفعوا تؤجروا وقوله عليه السلم من حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى فقد ضاد الله في ملكه ومن اعان على خصومة بغير علم كان في سخط الله حتى ينزع وثالثها ان المراد بالشفاعة الحسنة الدعاء للمؤمنين وبالشفاعة السيئة الدعاء عليهم عن ابي علي الجبائي قال لان اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم النبي عليه السلم ورابعها ما قاله بعضهم ان المراد بالشفاعة هنا ان يصير الانسان شفيع صاحبه في جهاد عدوه فيحصل له من هذه الشفاعة نصيب في العاجل من الغنيمة والظفر وفي الآجل من الثواب لمنتظر وان صار شفيعا له في معصية او شيء حصل له نصيب من المذمة في العاجل

والعقوبة في الاجل والكفل الوزر عن الحسن وقتادة والنصيب الحظ عن السدي والربيع وجميع اهل اللغة فكانه النصيب من الشر وكان الله على كل شيء مقيتا قيل في معنى المقيت اقوال احدها انه المقتدر عن السدي وابن زيد وثانيها الحفيظ الذي يعطي الشيء قدر الحاجة من الحفظ عن ابن عباس وثالثها الشهيد عن مجاهد ورابعها الحسيب عنه ايضا وخامسها المجازي عن الجبائي اي يجازي على كل شيء من الحسنات والسيئات **النظم** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما قال لا تكلف الا نفسك عقب ذلك بان لك مع هذا دعاء المؤمنين الى الحق ما للانسان في شفاعة صاحبه بخير يصل الى المشفوع له لئلا يتوهم ان العبد من اجل انه لا يؤخذ بعمل غيره لا ينتفع بفعله بعمل غيره عن علي بن عيسى وقيل الوجه فيه ان كل من طلب لغيره خيرا فوصل اليه حصل له نصيب منه وانت قد طلبت لهم الخير حيث دعوتهم الى الجهاد وحرضتهم عليه قال القاضي هذا احسن ما قيل فيه **قوله عز وجل وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا** **اللغة** التحية السلام يقال حيى يحيي تحية اذا سلم وقال الشاعر

انا محيوك يا سلمى فحيينا ... وان سقيت كرام الناس فاسقينا

والتحية البقاء قال من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية يعني الملك وانما سمي بذلك لان الملك يحيى بالسلام والثناء الحسن والحسيب الحفيظ لكل شيء حتى لا يشذ منه شيء والحسيب فعيل من الحساب الذي هو الاحصاء يقال حاسب فلان فلانا على كذا وهو حسيبه اذا كان صاحب حسابه ومن قال الحسيب الكافي فهو من قولهم احسبني فلان الشيء احسابا اذا كفاني وحسبي كذا اي كفاني وقال الزجاج معنى الحسيب انه معطي كل شيء من العلم والحفظ والجزاء مقدار ما يحسبه اي يكفيه ومنه قوله عطاء حسابا اي كافيا **المعنى** واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها امر الله تعالى المسلمين برد السلام على المسلم باحسن مما سلم ان كان مؤمنا والا فليقل وعليكم لا يزيد على ذلك فقوله باحسن منها للمسلمين خاصة وقوله او ردوها لاهل الكتاب عن ابن عباس فاذا قال المسلم السلام عليكم فقلت وعليكم السلام ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقد حييته باحسن منها وهذا منتهى السلام وقيل ان قوله او ردوها للمسلمين ايضا عن السدي وعطاء وابرهيم وابن جريج قالوا اذا سلم عليك المسلم فرد عليه باحسن مما سلم عليك او بمثل ما قال وهذا اقوى لما روي عن النبي عليه السلام انه قال اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم وذكر علي بن ابرهيم في تفسيره عن الصادقين عليهم السلام ان المراد بالتحية في الاية السلام وغيره من البر وذكر الحسن ان رجلا دخل على النبي عليه السلام فقال السلام عليك فقال النبي عليه السلام وعليك السلام ورحمة الله فجاءه اخر وسلم عليه فقال السلام عليك ورحمة الله فقال صلى الله عليه وآله وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فجاء اخر فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال النبي عليه السلام وعليك فقيل يا رسول الله زدت للاول والثاني في التحية ولم تزد في الثالث فقال انه لم يبق لي من التحية شيئا فرددت عليه مثله وروى الواحدي باسناده عن ابي امامة عن مالك بن التيهان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات ومن قال السلام عليكم ورحمة الله كتبت له عشرون حسنة ومن قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته كتبت له ثلثون حسنة ان الله كان على كل شيء حسيبا اي حفيظا عن مجاهد وقيل كافيا وقيل مجازيا عن ابن عباس وفي هذه الاية دلالة على وجوب رد السلام لان ظاهر الامر يقتضي الوجوب وقال الحسن وجماعة من المفسرين ان السلام تطوع والرد فريضة ثم الرد ربما كان من فروض الكفاية وقد يتعين بان كان يخصه بالسلام ولا احد عنده فيتعين عليه الرد **النظم** وجه اتصال هذه الاية بما قبلها ان المراد بالسلام المسالمة التي هي ضد الحرب فلما امر تعالى بقتال المشركين عقبه بان قال من مال الى السلام واعطا ذلك من نفسه وحيى المؤمنين بتحية فاقبلوا منه **قوله عز وجل الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيمة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا** **الاعراب** اللام في ليجمعنكم لام القسم وحديثا نصب على التمييز كما تقول من احسن من زيد فهما فهو استفهام في اللفظ وتقرير في المعنى **المعنى** الله لا اله الا هو قد مر تفسيره ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليبعثكم من بعد مماتكم ويحشرنكم جميعا الى موقف الحساب الذي يقضي فيه بين اهل الطاعة والمعصية وقال الزجاج معناه ليجمعنكم في الموت وفي قبوركم لا ريب فيه اي لا شك في هذا القول وانما سمي يوم القيمة لان الناس يقومون فيه من قبورهم وفي التنزيل يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا اي موعدا لا خلف لوعده وقيل معناه لا احد اصدق من الله في الخبر الذي يخبر به **النظم** لما امر سبحانه ونهى فيما قبل

بين بعده ان لا اله الذي لا يستحق العبادة سواه اي فاعملوا على حسب ما اوجبه عليكم فانه مجازيكم به ثم بين وقت الجزاء وقيل انما اتصل بقوله حسيبا اي انما الحسيب هو الله **قوله عز وجل فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** **اللغة** الاركاس الرد ومنه قول امية بن ابي الصلت فاركسوا في جحيم النار انهم كانوا عصاة وقالوا الافك والزورا قال الفراء يقال اركسهم وركسهم وقد ذكر ان عبد الله وابي بن كعب قرآ ركسهم بغير الف **الاعراب** فئتين نصب على الحال كما تقول ما لك قائما والعامل في الحال معنى الفعل الذي في الظرف اعني قوله لك **النزول** اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فيه فقيل نزلت في قوم قدموا الى المدينة من مكة فاظهروا للمسلمين الاسلام ثم رجعوا الى مكة لانهم استوخموا المدينة فاظهروا الشرك ثم سافروا ببضايع المشركين الى اليمامة فاراد المسلمون ان يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فانهم مؤمنون وقال اخرون انهم مشركون فانزل الله فيهم الاية عن مجاهد والحسن وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل نزلت في الذين تخلفوا عن احد وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم الاية فاختلف اصحاب رسول الله عليه السلام فقال فريق منهم نقتلهم وقال اخرون لا نقتلهم فنزلت الاية عن زيد بن ثابت **المعنى** ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقالت تعالى فما لكم ايها المؤمنون صرتم في امر هؤلاء المنافقين فئتين فرقتين مختلفتين فمنكم من يكفرهم ومنكم من لا يكفرهم والله اركسهم بما كسبوا اي ردهم الى حكم الكفار بما اظهروا من الكفر عن ابن عباس وقيل معناه اهلكهم بكفرهم عن قتادة وقيل خذلهم فاقاموا على كفرهم وترددوا فيه فاخبر عن خذلانه اياهم بانه اركسهم عن ابي مسلم اتريدون ان تهدوا اي تحكموا بهداية من اضل الله اي حكم الله بضلاله وسماه ضالا وقيل معنى اضله الله خذله ولم يوفقه كما وفق المؤمنين لانهم لما عصوا وخالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبة لهم على معصيتهم اي اتريدون الدفاع عن قتالهم مع ان الله تعالى حكم بضلالهم وخذلهم ووكلهم الى انفسهم وقال ابو علي الجبائي معناه اتريدون ان تهدوا الى طريق الجنة من اضله الله عن طريق الجنة والثواب وطعن على القول الاول بانه لو اراد التسمية والحكم لقال من ضلل الله وهذا لا يصح لان العرب تقول اكفرته وكفرته قال الكميت وطايفة قد اكفروني بحبكم وطايفة قالوا مسيء ومذنب وايضا فانه تعالى انما وصف المؤمنين بهدايتهم بان سموهم مهتدين لانهم كانوا يقولون انهم مؤمنون فقال سبحانه لا تختلفوا فيهم وقولوا باجمعكم انهم منافقون ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا معناه ومن نسبه الله الى الضلالة فلن ينفعه ان يحكم غيره بهدايته كما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره وقيل معناه من يجعله الله في حكمه ضالا فلن تجد له في ضلالته حجة عن جعفر بن حرب قال ويدل على انهم هم الذين اكتسبوا ما صاروا اليه من الكفر قوله تعالى على اثر ذلك ودوا لو تكفرون كما كفروا فاضاف الكفر اليهم دون ان يكون الله تعالى اضطرهم اليه **قوله عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** **المعنى** ثم بين تعالى احوال هؤلاء المنافقين فقال ودوا اي ود هؤلاء المنافقون الذين اختلفتم في امرهم يعني تمنوا لو تكفرون انتم بالله ورسوله كما كفروا هم فتكونون سواء اي فتستوون انتم وتكونون مثلهم كفارا ثم نهى المؤمنين ان يوادوهم فقال فلا تتخذوا منهم اولياء اي فلا تستنصحوهم ولا تستنصروهم ولا تستعينوا بهم في الامور حتى يهاجروا اي حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا اهلها المشركين بالله في سبيل الله اي في ابتغاء دينه وهو سبيله فيصيروا عند ذلك مثلكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم هذا قول ابن عباس وانما سمي الدين سبيلا وطريقا لان من سلكه اداه الى النعمة وساقه الى الجنة فان تولوا اي اعرضوا عن الهجرة في سبيل الله عن ابن عباس فخذوهم ايها المؤمنون واقتلوهم حيث وجدتموهم اي اين اصبتموهم من ارض الله في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا اي خليلا ولا نصيرا اي ناصرا ينصركم على اعدائكم **قوله عز وجل إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** **اللغة** الحصر الضيق وكل من ضاقت نفسه عن شيء من فعل او كلام يقال قد حصر ومنه الحصر في القراءة والحصر اعتقال البطن والاعتزال ان يتنحى الرجل عن الشيء يقال اعتزلت البيت وتعزلته قال الاحوص يا بيت عاتكة الذي اتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل وسميت المعتزلة لذلك

معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصري بعد ان كانوا من اهله وذلك ان واصل بن عطا لما اظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين
وتابعه عمرو بن عبيد على التدين به ووافقهم جماعة على هذا المذهب فآل الامر بهم الى الاعتزال للحسن البصري واصحابه فسماهم
الناس معتزلة وجرى عليهم ذلك الاسم **الاعراب** حصرت صدورهم في موضع نصب على الحال وقد مضمرة معه لان الفعل الماضي
لا يكون حالا حتى يكون معه قد اما مضمرة واما مظهرة فان قد تقرب الماضي من الحال فتقديره جاؤكم قد حصرت صدورهم كما
قالوا جاء فلان ذهب عقله اي قد ذهب عقله ويجوز ان يكون حصرت صدورهم منصوب الموضع فانه صفة لموصوف هو حال
على تقدير جاؤكم قوما حصرت صدورهم فحذف الموصوف المنصوب على الحال واقيم صفته مقامه وانما يكون هذا حالا لانه بمنزلة
قولك او جاؤكم موصوفين بحصر الصدور او معروفين بذلك **المعنى** لما امر تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد
الشرك وان لم يوالوهم استثنى من جملتهم فقال الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق معناه الا من وصل من هؤلاء الى قوم
بينكم وبينهم موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف والجوار فحكمهم حكم اولئك في حقن دمائهم واختلف في هؤلاء فالمروي عن ابي
جعفر عليه السلام انه قال المراد بقوله قوم بينكم وبينهم ميثاق هو هلال بن عويمر السلمي واثق عن قومه رسول الله عليه السلام
وقال في موادعته على ان لا نحيف يا محمد من اتانا ولا نخيف من اتاك فنهى الله تعالى ان يعرض لاحد عهد اليهم وبه قال السدي و
ابن زيد وقيل هم بنو مدلج وكان سراقة بن مالك بن جشعم المدلجي جاء الى النبي عليه السلام بعد احد فقال انشدك الله والنعمة
واخذ منه ان لا يغزو قومه فان اسلم قريش اسلموا لانهم كانوا في عقد قريش فحكم الله فيهم ما حكم في قريش ففيهم نزلت هذا ذكره
عمر بن شبه ثم استثنى لهم حالة اخرى فقال او جاؤكم حصرت صدورهم اي ضاقت قلوبهم من ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم يعني من
قتالكم وقتال قومهم فلا عليكم ولا عليهم وانما عني به اشجع فانهم قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة فاخرج النبي
عليه السلام احمال التمر ضيافة وقال نعم الشيء الهدية امام الحاجة وقال لهم ما جاء بكم قالوا قرب دارنا منك وكرهنا حربك
وحرب قومنا يعنون بني ضمرة الذين بينهم وبينهم عهد لقلتنا فيهم فجئنا لنوادعك فقبل النبي عليه السلام ذلك منهم ووادعهم
فرجعوا الى بلادهم ذكره علي بن ابرهيم في تفسيره فامر الله سبحانه المسلمين ان لا يتعرضوا لهؤلاء ولو شاء الله لسلطهم عليكم بتقوية
قلوبهم فيجترئون على قتالكم وقيل هذا اخبار عما في المقدور وليس فيه انه يفعل ذلك بان يامرهم به او ياذن لهم فيه
معناه انه يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك تعالى بل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يفزعوا ويطلبوا الموادعة ويدخل بعضهم
في حلف من بينكم وبينه ميثاق فلقاتلوكم اي لو فعل ذلك لقاتلوكم فان اعتزلوكم يعني هؤلاء الذين امر بالكف عن قتالهم بدخولهم
في عهدكم او بمصيرهم اليكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم يعني صالحوكم او استسلموا لكم كما يقول القائل
القيت اليك قيادي والقيت اليك زمامي اذا استسلم له وانقاد لامره والسلم الصلح فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني اذا
سالموكم فلا سبيل لكم الى نفوسهم واموالهم قال الحسن وعكرمة نسخت هذه الاية والتي بعدها والايتان في سورة الممتحنة لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم في الدين الى قوله الظالمون الايات الاربع بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
الاية **قوله عز وجل سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ
لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا مُبِينًا** **اية النزول** اختلف فيمن عني بهذه الاية فقيل نزلت في قوم كانوا ياتون النبي عليه السلام فيسلمون رياء ثم يرجعون
الى قريش فيرتكسون في الاوثان يبتغون بذلك ان يامنوا قومهم ويامنوا نبي الله فابى الله ذلك عليهم عن ابن عباس ومجاهد
وقيل نزلت في نعيم بن مسعود الاشجعي كان ينقل الحديث بين النبي عليه السلام وبين المشركين عن السدي وقيل نزلت في اسد وغطفان
عن مقاتل وقيل نزلت في عيينة بن حصن الفزاري وذلك انه اجدبت بلادهم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه واله ووادعه
على ان يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له وكان منافقا ملعونا وهو الذي سماه رسول الله عليه السلام الاحمق المطاع في قومه وهو
المروي عن الصادق عليه السلام **المعنى** ثم بين تعالى طائفة اخرى منهم فقال ستجدون اخرين يعني قوما اخرين غير الذين

وصفهم

وصفهم قبل يريدون ان يامنوكم فيظهرون الاسلام ويامنوا قومهم فيظهرون لهم الموافقة في دينهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا
فيها المراد بالفتنة هنا الشرك اي كلما دعوا الى الكفر اجابوا ورجعوا اليه والفتنة في اللغة الاختبار والاركاس الرد وقال الزجاج
اركسوا فيها انتكسوا في عقدهم فالمعنى كلما ردوا الى الاختبار ليرجعوا الى الكفر رجعوا اليه فان لم يعتزلوكم ايها المؤمنون اي
فان لم يعتزلوا قتالكم هؤلاء الذين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم ويلقوا اليكم السلم يعني ولم يستسلموا لكم فيعطوكم المقادة
ويصالحوكم ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اي فاسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم واصبتموهم واولئكم جعلنا
لكم عليهم سلطانا مبينا اي حجة ظاهرة وقيل عذرا بينا في القتال وسميت الحجة سلطانا لانه يتسلط بها على الخصم كما يتسلط بالسلطان
**قوله عز وجل وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا** **اية اللغة** الخطا خلاف الصواب والفعل منه خطئ واخطأ في الامر اي لم يصب الصواب والخطأ والخطاء بالفتح فيهما والخطأ
والخطاء بالتسكين فيهما والخطيئة الذنب والفعل منه خطئ يخطأ اذا اذنب والتحرير تفعيل من الحرية وهو اخراج العبد من الرق الى
الحرية **الاعراب** اجمع المحققون من النحويين على ان قوله الا خطأ استثناء منقطع من الاول على معنى ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
البتة الا ان يخطئ المؤمن ومثله قول الشاعر من البيض لم تظعن بعيدا ولم تطأ على الارض الا ريط برد مرحل والمعنى لم يطأ على
الارض الا ان يطأ ريط البرد اذ ليس ريط البرد من الارض وقد ذكرنا ما قيل في مثله في سورة البقرة عند قوله الا الذين ظلموا منهم
وقال بعضهم ان الاستثناء متصل والمعنى لم يكن لمؤمن ان يقتل متعمدا ومن قتل مؤمنا متعمدا لم يكن مؤمنا فان ذلك يخرجه
عن الايمان ثم قال الا خطأ لا يخرجه من الايمان فتحرير رقبة مبتدأ محذوف الخبر لدلالة الكلام عليه وموضع ان في قوله الا
ان يصدقوا نصب لان المعنى فعليه ذلك الا ان يصدقوا اي الا على ان يصدقوا ثم سقط على ويعمل فيه ما قبله على معنى الحال فهو
مصدر وقع موقع الحال واصل يصدقوا يتصدقوا فادغمت التاء في الصاد لقرب مخرجيهما وقيل ان في قراءة ابي الا ان يتصدقوا
توبة من الله كقولهم فعلت ذلك حذر الشر عن الزجاج فيكون مفعولا له وقيل انه عطف تاب الله بذلك عليكم توبة فيكون
مصدرا مثل كتاب الله عليكم وقد مر ذكره **النزول** نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي اخي ابي جهل لامه لانه كان اسلم
وقتل بعد اسلامه رجلا مسلما وهو لا يعلم باسلامه والمقتول الحرث بن يزيد بن ابي نبيشة العامري عن مجاهد وعكرمة والسدي
قال قتله بالحرة وكان من احد من رده عن الهجرة وكان يعذب عياشا مع ابي جهل وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل
نزلت في رجل قتله ابو الدرداء كان في سرية فعدل ابو الدرداء الى شعب يريد حاجة فوجد رجلا من القوم في غنم له فحمل عليه
بالسيف فقال لا اله الا الله فبدره بضربة ثم جاء بغنمه الى القوم ثم وجد في نفسه شيئا فاتى رسول الله عليه السلام فذكر ذلك له فقال
النبي عليه السلام الا شققت عن قلبه وقد اخبرك بلسانه فلم تصدقه قال فكيف لي يا رسول الله قال فكيف بلا اله الا الله قال ابو الدرداء
فتمنيت ان ذلك اليوم مبتدأ ايماني فنزلت الاية عن ابن زيد **المعنى** ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ معناه ما اذن الله
ولا اباح لمؤمن فيما عهد اليه ان يقتل مؤمنا الا ان يقتله خطأ عن قتادة وغيره وقيل معناه ما كان له كما ليس له الان قتل مؤمن
الا ان يقع القتل خطأ وقيل تقديره ما كان مؤمن ليقتل مؤمنا الا خطأ كقوله تعالى ما كان لله ان يتخذ ولدا معناه ما كان الله ليتخذ
ولدا وقوله تعالى ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اي ما كنتم لتنبتوا شجرها وانما قلنا ان معناه ما ذكرنا لان الله تعالى لا يلحقه الامر
والنهي واثبات الشيء لا يدخل تحت مقدور البشر فلا يصح النهي عنه بمعنى الاية على ما وصفنا ليس من صفة المؤمن ان يقتل مؤمنا الا
خطأ وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا ومن قال ان الاستثناء منقطع قال قد تم الكلام عند قوله ان يقتل مؤمنا ثم قال فان كان
القتل خطأ فحكمه كذا وانما حمل قوله الا خطأ على حقيقة الاستثناء لان ذلك يؤدي الى الامر بقتل الخطأ او اباحته ولا يجوز
منها والخطأ ان يريد شيئا فيصيب غيره مثل ان يرمي الى غرض او الى صيد فيصيب انسانا فيقتله وكذلك لو قتل رجلا ظنه كافرا كما ظن عياش

بن ابی ربیعة او ابوا الدرداء علی ما ذکرناه قبل ومن قتل مومنا خطاء فتحریر رقبة مومنة ای فعلیه اعتاق رقبة مومنة فی
ماله خاصة علی وجه الکفارة حقا لله تعالی والرقبة المؤمنة هی البالغة التی امنت وصلت وصامت لا تجزی فی کفارة القتل
الطفل ولا الکافر عن ابن عباس والشعبی وابرهیم والحسن وقتادة وقیل تجزی کل رقبة ولدت علی الاسلام عن عطا والاول
اقوی لان لفظ المومن لا یطلق الا علی البالغ الملتزم للفرایض الا ان ولد بین مومنین فلا خلاف انه یحکم له بالایمان ودیة
ای وعلیه وعلی عاقلته دیة مسلمة الی اهله ای الی اهل القتیل والمسلمة هی المدفوعة الیهم موفرة غیر منتقصة حقوق اهلها
منها تدفع الی اهل القتیل فیقسم بینهم علی حسب المیراث الا ان یصدقوا یعنی الا ان یتصدق اولیاء القتیل بالدیة علی عاقلة القاتل
ویترکوها علیهم فان کان من قوم عدو لکم وهو مومن معناه فان کان القتیل من جملة قوم هم اعداء لکم یناصبونکم الحرب وهو فی نفسه
مؤمن ولم یعلم قاتله انه مومن فقتله وهو یظنه مشرکا فتحریر رقبة ای فعلی قاتله تحریر رقبة مومنة کفارة ولیس فیه دیة عن
ابن عباس وقیل ان معناه اذا کان القتیل فی عداد قوم اعداء وهو مومن بین اظهرهم لم یهاجر فمن قتله فلا دیة له وعلیه تحریر رقبة
مومنة فقط لان الدیة میراث واهله کفار لا یرثونه عن ابن عباس فی روایة اخری وابرهیم والسدی وقتادة وابن زید وان
کان من قوم بینکم وبینهم میثاق ای عهد وذمة ولیسوا اهل حرب لکم فدیة مسلمة الی اهله یلزم عاقلة قاتله وتحریر رقبة
مومنة تلزم قاتله کفارة لقتله وهو المروی عن الصادق علیه السلم واختلف فی صفة هذا القتیل اهو مومن ام کافر فقیل انه
کافر الا ان یلزم قاتله دیته بسبب العهد عن ابن عباس والزهری والشعبی وابرهیم النخعی وقتادة وابن زید وقیل بل هو مومن
یلزم قاتله الدیة یؤدیها الی قومه المشرکین لانهم اهل ذمة عن الحسن وابرهیم ورواه اصحابنا ایضا الا انهم قالوا یعطی دیته
ورثته المسلمین دون الکفار ولفظ المیثاق یقع علی الذمة والعهد جمیعا فمن لم یجد ای لم یقدر علی عتق الرقبة بان لا یجد العبد
ولا ثمنه فصیام شهرین ای فعلیه صیام شهرین متتابعین توبة من الله لیتوب الله به علیکم فتکون التوبة من فعل الله تعالی وقیل ان
المراد بالتوبة هنا التخفیف من الله لانه تعالی تجوز للقاتل العدول الی الصیام تخفیفا علیه ویکون کقوله تعالی علم ان لن تحصوه
فتاب علیکم وکان الله علیما ای لم یزل علیما بکل شیء حکیما فیما یامر به وینهی عنه واما الدیة الواجبة فی قتل الخطاء فمایة من الابل
بلا خلاف وان اختلفوا فی اسنانها فقیل هی ارباع عشرون بنت مخاض وعشرون ابن لبون ذکر وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقة
روی ذلک عن عثمن وزید بن ثابت ورواه اصحابنا ایضا وقد روی ایضا فی اخبارنا خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون
بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وبه قال الحسن والشعبی وقیل انها اخماس عشرون حقة وعشرون جذعة
وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون بنت مخاض وهو قول ابن مسعود والزهری والثوری والیه ذهب الشافعی
وقال ابو حنیفة هی اخماس ایضا الا انه جعل مکان ابن لبون ابن مخاض وبه قال النخعی ورواه ایضا عن ابن مسعود قال الطبری
هذه الروایات متکافیة والاولی التخییر فاما الدیة من الذهب فالف دینار ومن الورق عشرة الاف درهم وهو الاصح وقیل
اثنا عشر الفا ودیة الخطاء تستادی فی ثلث سنین ولو خلینا وظاهر الایة لقلنا ان دیة الخطاء علی القاتل لکنا علمنا بسنة
الرسول علیه السلم والاجماع ان الدیة فی الخطاء علی العاقلة وهم الاخوة وبنو الاخوة والاعمام وبنو الاعمام واعمام الاب وابناؤهم
والموالی وبه قال الشافعی وقال ابو حنیفة یدخل الوالد والولد فیها ویعقل القاتل وقد روی ابن مسعود عن النبی علیه السلم
انه قال لا یوخذ الرجل بجریرة ابنه ولا الابن بجریرة ابیه ولیس الزام الدیة للعاقلة علی سبیل مواخذة البری بالسقیم لان ذلک
لیس بعقوبة بل هو حکم شرعی تابع للمصلحة وقیل ان ذلک علی سبیل المواساة والمعاونة النظم انه تعالی ذکر الکفار وامر بقتالهم ثم ذکر
من کان بینهم وبین المسلمین عهد ومنع من قتلهم ثم ذکر قتل المومن ووصل به ذکر احکامه من دیة وغیرها قوله عز وجل ومن
یقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فیها وغضب الله علیه ولعنه واعد له عذابا عظیما اية النزول نزلت
فی مقیس بن ضبابة الکنانی وجد اخاه هشاما قتیلا فی بنی النجار فذکر ذلک لرسول الله علیه السلم فارسل معه قیس بن هلال
الفهری وقال قل لبنی النجار ان علمتم قاتل هشام فادفعوه الی اخیه لیقتص منه وان لم تعلموا فادفعوا الیه دیته فبلغ الفهری

الرسالة فاعطوه الدیة فلما انصرف ومعه الفهری وسوس الیه الشیطان فقال ما صنعت شیئا اخذت دیة اخیک فیکون علیک
مسبة اقتل الذی معک لیکون نفس بنفس والدیة فضل فرماه بصخرة فقتله ورکب بعیرا ورجع الی مکة کافرا وانشا یقول قتلت به
فهرا وحملت عقله سراة بنی النجار ارباب فارع فادرکت ثاری واضطجعت موسدا وکنت الی الاوثان اول راجع فقال النبی علیه السلم لا اؤمنه
فی حل وحرم فقتل یوم الفتح رواه الضحاک وجماعة من المفسرین المعنی لما بین تعالی قتل الخطاء وحکمه عقبه ببیان قتل العمد و
حکمه فقال ومن یقتل مومنا متعمدا ای قاصدا الی قتله عالما بایمانه وحرمة قتله وعصمة دمه وقیل معناه مستحلا لقتله عن
عکرمة وابن جریج وجماعة وقیل معنی التعمد ان یقتله علی دینه رواه العیاشی باسناده عن الصادق علیه السلام فجزاؤه جهنم
خالدا مقیما فیها وغضب الله علیه ولعنه ابعده من الخیر وطرده عنه علی وجه العقوبة واعد له عذابا عظیما ظاهر المعنی وصفة
قتل العمد ان یقصد قتل غیره بما جرت العادة بان یقتل مثله سواء کان بحدیدة حادة کالسلاح او بخنق او سم او احراق او
تغریق او موالاة ضرب بالعصا او بالحجارة حتی یموت فان جمیع ذلک عمد یوجب القود وبه قال ابرهیم والشافعی واصحابه وقال
قوم لا یکون قتل العمد الا بالحدید وبه قال سعید بن المسیب وطاوس وابو حنیفة واصحابه واما القتل شبه العمد فهو ان یضربه
بعصا او غیرها مما لم تجر العادة بحصول الموت عنده فیموت وفیه الدیة مغلظة یلزم القاتل خاصة فی ماله دون العاقلة وفی
هذه الایة وعید شدید لمن قتل مومنا متعمدا حرم الله تعالی قتل المومن وغلظ فیه وقال جماعة من التابعین الایة اللینة وهی ان
الله لا یغفر ان یشرک به ویغفر ما دون ذلک لمن یشاء نزلت بعد الشدیدة وهی ومن یقتل مومنا متعمدا وقال ابو الحسن فی قوله
تعالی فجزاؤه جهنم خالدا فیها هی جزاؤه ویروی هذا ایضا عن ابی صالح ورواه العیاشی ایضا باسناده عن ابی عبد الله علیه السلم
وقد روی ایضا مرفوعا الی النبی علیه السلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وروی عاصم بن ابی النجود عن ابن عباس فی فجزاؤه فان شاء
عذبه وان شاء غفر له وروی عن ابی صالح وبکر بن عبد الله وغیره انه کما یقول الانسان لمن یزجره عن امر ان فعلته فجزاؤک القتل
والضرب ثم ان لم یجازه بذلک لم یکن ذلک منه کذبا واعترض علی هذا ابو علی الجبائی فقال ما لا یفعل لا یسمی جزاء الا تری ان الاجیر اذا
استحق الاجرة فالدراهم التی مع مستاجره لا تسمی بانها جزاء عمله وهذا لا یصح لان الجزاء عبارة عن المستحق سواء فعل ذلک او لم یفعل
ولهذا یقال جزاء المحسن الاحسان وجزاء المسیء الاساءة وان لم یتعین المحسن والمسیء حتی یقال انه فعل ذلک به او لم یفعل ویقال
لمن قتل غیره جزاء هذا ان یقتل وانما لا یقال للدراهم انها جزاء الاجیر انما یستحق الاجرة فی الذمة لا فی دراهم معینة فللمستاجر
ان یعطیه منها ومن غیرها ومن تعلق بهذه الایة من اهل الوعید فی ان مرتکب الکبیرة لا بد ان یخلد فی النار فانا نقول له ما
انکرت ان یکون المراد به من لا ثواب له اصلا بان یکون کافرا او یکون قتله مستحلا لقتله او قتله لایمانه فانه لا خلاف ان هذه
صفة من یخلد فی النار ویعضده من الروایة ما تقدم ذکره فی سبب نزول الایة واقوال الایمة فی معناها وبعد فقد اتفقنا
علی ان الایة مخصوصة بمن لا یتوب وان التایب خارج من عمومها ما روی عن ابن عباس انه قال لا توبة لقاتل المومن الا اذا
قتله فی حال الشرک ثم اسلم وتاب وبه قال ابن مسعود وزید بن ثابت فالاولی ان یکون هذا القول منهم محمولا علی سلوک سبیل
التغلیظ فی القتل کما روی عن سفیان الثوری انه سئل عن توبة القاتل فقال کان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له واذا ابتلی
الرجل قالوا تب وروی الواحدی باسناده مرفوعا الی عطا عن ابن عباس ان رجلا ساله القاتل المؤمن توبة فقال لا وساله اخر
القاتل المومن توبة فقال نعم فقیل له فی ذلک فقال جاءنی ذلک ولم یکن قتل فقلت لا توبة لک لکی لا یقتل وجاءنی هذا وقد قتل
فقلت لک توبة لکی لا یلقی نفسه بیده الی التهلکة ومن قال من اصحابنا ان قاتل المومن لا یوفق للتوبة لا ینافی ما قلناه لان هذا القول انما
یتناول ان الایة لا بد من تخصیص الایة بالتوبة جاز ان یخص ایضا بالتفضل فانما یدل علی انه لا یختار التوبة مع انها لو حصلت لازالة العقاب واذا کان لا بد من تخصیص الایة بالتوبة جاز ان یخص ایضا بتفضل الله سلوعده
علیه بالعفو وروی الواحدی باسناده مرفوعا الی الاصمعی قال جاء عمرو بن عبید الی ابی عمرو بن العلاء فقال یا ابا عمرو ویخلف الله ما وعده
قال لا قال افرایت من اوعده علی عمل عقابا ایخلف الله وعده فیه فقال ابو عمرو من العجمة اتیت یا ابا عثمن ان الوعد غیر الوعید ان العرب لا تعد
عارا ولا خلفا ان تعد شرا ثم لا تفعله تری ذلک کرما وفضلا وانما الخلف ان تعد خیرا ثم لا تفعله قال فاوجدنی هذا فی کلام العرب

قال نعم اما سمعت قول الاول واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي ووجدنا في الدعاء المروي بالرواية
الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام يا من اذا وعد وفا واذا توعد عفا وهذا يؤيد ما تقدم وقد احسن يحيى بن معاذ في هذا
المعنى حيث قال الوعد حق والوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم اذا فعلوا ان يعطيهم كذا ومن اولى بالوفاء من
الله والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فاعذبكم ففعلوا فان شاء عفا وان شاء اخذ لانه حقه واولاهما بربنا العفو و
الكرم انه غفور رحيم وروي ان اسحق بن ابرهيم قال سمعت قريش بن انس يقول كنت عند عمرو بن عبيد في بيته فانشا يقول يؤتى بي يوم القيمة
فاقام بين يدي الله تعالى فيقول قلت ان القاتل في النار فاقول انت قلت ومن يقتل مؤمنا الاية فقلت له وما في البيت اصغر
مني ارايت ان قال لك فاني قلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء من اين علمت اني لا اشاء ان اغفر
لهذا قال فما استطاع ان يرد علي شيئا قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا
ان الله كان بما تعملون خبيرا اية القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم فتثبتوا هنا بالثاء والتاء في الموضعين وفي الحجرات و
قرا الباقون بالياء والنون في الجميع وقرا اهل المدينة والشام وحمزة وخلف السلم بغير الف وقرئ في بعض الروايات عن عاصم
بكسر السين وسكون اللام وقرا الباقون السلام بالف وروي عن ابي جعفر القاري من بعض الطرق لست مؤمنا بفتح الميم الثانية وحكى
ابو القسم البلخي انه قراءة محمد بن علي الباقر عليه السلام الحجة قال ابو علي من قرا فتثبتوا فحجته ان التثبت خلاف الاقدام والمراد به
التاني وهو اشد اختصاصا بهذا الموضع ويبين ذلك قوله واشد تثبيتا اي اشد وقفا لهم عما وعظوا بان لا يقدموا عليه ومن
قرا فتبينوا فحجته ان التبين قد يكون اشد من التثبت وقد جاء التبين من الله والعجلة من الشيطان فمقابلة التبين بالعجلة
دلالة على تقارب التثبت والتبين قال الشاعر في موضع التوقف والزجر اذ يدمناه يوعد بابن تميم تبين اين تاه بك الوعيد قال
ومن قرا السلام احتمل ضربين احدهما ان يكون بمعنى التحية اي لا تقولوا لمن حياكم بتحية المسلمين انما قالها تعوذا ولكن ارفعوا
السيف منه والاخر ان يكون المعنى لا تقولوا لمن لم يقاتلكم لست مؤمنا قال ابو الحسن يقال فلان سلام اذا كان لا يخالط احدا
ومن قرا السلم اراد الانقياد والاستسلام الى المسلمين ومنه قوله والقوا الى الله يومئذ السلم اي استسلموا لامره ولما يراد
منهم ومن قرا السلم بكسر السين فمعناه الاسلام والاسلام مصدر اسلم اي صار سلما وخرج عن ان يكون حربا ومن قرا مؤمنا
فانه من الامان ومعناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نؤمنكم اللغة جميع متاع الدنيا عرض يقال ان الدنيا عرض حاضر ويقال
لكل شيء يقل لبثه عرض ومنه العرض الذي هو خلاف الجوهر عند المتكلمين لانه لا يجب له من اللبث ما يجب للاجسام والعرض
ما يعرض للانسان من مرض ونحوه الاعراب تبتغون في موضع نصب على الحال من الواو في تقولوا والكاف من كذلك في موضع
نصب بكونه خبر كان من كنتم النزول قيل نزلت في اسامة بن زيد واصحابه بعثهم النبي عليه السلام سرية فلقوا رجلا قد انحاز بغنم
له الى الجبل وكان قد اسلم فقال لهم السلام عليكم لا اله الا الله محمد رسول الله فبدر اليه اسامة فقتله واستاقوا اغنامه عن السدي
وروي عن ابن عباس وقتادة لما نزلت الاية حلف اسامة لا يقتل رجلا قال لا اله الا الله وبهذا اعتذر الى علي عليه السلام
لما تخلف عنه وان كان عذره غير مقبول لانه قد دل الدليل على وجوب طاعة الامام في محاربة من حاربه من البغاة لا
سيما وقد سمع النبي عليه السلام يقول حربك يا علي حربي وسلمك سلمي وقيل نزلت في محلم بن جثامة الليثي وكان بعثه النبي
عليه السلام في سرية فلقيه عامر بن الاضبط الاشجعي فحياه بتحية الاسلام وكان بينهما احنة فرماه بسهم فقتله فلما جاء الى النبي
عليه السلام جلس بين يديه وساله ان يستغفر له فقال عليه السلام لا غفر الله لك فانصرف باكيا فما مضت عليه سبعة ايام حتى
هلك فدفن فلفظته الارض فقال عليه السلام لما اخبر به ان الارض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم لكن الله اراد ان يعظم
من حرمتكم ثم طرحوه بين صدفي جبل والقوا عليه الحجارة فنزلت الاية عن الواقدي ومحمد بن اسحق بن يسار روياه عن ابن عمر وابن
مسعود وابي حدرد وقيل كان صاحب السرية المقداد عن سعيد بن جبير وقيل ابو الدرداء عن ابن زيد المعنى لما بين تعالى

احكام القتل وانواعه عقب ذلك بالامر بالتثبيت والتاني حتى لا يفعل ما يعقب الندامة فقال يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم
اي سرتم وسافرتم في سبيل الله للغزو والجهاد فتبينوا اي ميزوا بين الكافر والمؤمن وبالثاء والتاء توقفوا وتانوا حتى تعلموا من
يستحق القتل والمعنيان متقاربان والمراد بهما لا تعجلوا في القتل لمن اظهر اسلامه ظنا منكم بانه لا حقيقة لذلك ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلم اي حياكم بتحية اهل الاسلام او استسلم لكم فلم يقاتلكم مظهرا من انه من اهل ملتكم لست مؤمنا اي ليس لايمانك حقيقة
وانما اسلمت خوفا من القتل او لست بامن تبتغون عرض الحيوة الدنيا يعني الغنيمة والمال ومتاع الحيوة الدنيا الذي لا بقاء له
فعند الله مغانم كثيرة اي في مقدوره فواضل ونعم ورزق ان اطعتموه فيما امركم به وقيل ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمنين كذلك
كنتم من قبل اختلف في معناه فقيل كما كان هذا الذي قتلتموه مستخفيا في قومه بدينه خوفا على نفسه منهم كنتم مستخفين باديانكم
من قومكم حذرا على انفسكم عن سعيد بن جبير وقيل كما كان هذا المقتول كافرا فهداه الله كذلك كنتم كفارا فهداكم الله عن ابن زيد
والجبائي وقيل كذلك كنتم اذلاء احادا اذا سار الرجل منكم وحده خاف ان يختطف عن المغربي فمن الله عليكم فيه قولان احدهما
فمن الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله حتى اظهرتم الاسلام بعد ما كنتم تكتمونه من اهل الشرك عن سعيد بن جبير وقيل معناه
فتاب الله عليكم فتبينوا اعاد هذا اللفظ للتاكيد بعد ما طال الكلام وقيل الاول معناه تبينوا حاله والثاني معناه تبينوا
هذه الفوائد بضمائركم واعرفوها واتبعوها ان الله كان اي لم يزل بما تعملون خبيرا عليما قبل ان تعملوه قوله عز وجل لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات
منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما اية القراءة قرا اهل المدينة والشام والكسائي وخلف غير اولي الضرر
بنصب الراء والباقون بالرفع الحجة فالرفع على ان يجعل غير صفة للقاعدين عند سيبويه وكذلك قال في غير المغضوب عليهم
انه صفة للذين انعمت عليهم ومنه قول لبيد واذا جوزيت قرضا فاجزه انما يجزي الفتى غير الجمل فغير صفة للفتى فعلى هذا
يكون التقدير لا يستوي القاعدون الاصحاء والمجاهدون والنصب على الاستثناء من القاعدين ولا يستوي فعل يقتضي
فاعلين فصاعدا فالتقدير لا يستوي القاعدون الا اولي الضرر والمجاهدون قال الزجاج يجوز ان يكون منصوبا على الحال
فيكون المعنى لا يستوي القاعدون في حال صحتهم والمجاهدون كما تقول جاءني زيد غير مريض اي صحيحا ويجوز في غير الجر على ان
يكون صفة للمؤمنين في غير القراءة اللغة الضرر النقصان وهو كل ما يضرك وينقصك من عمى ومرض وعلة والدرجة المنزلة
ودرجته الى كذا اي رقيته اليه منزلة بعد منزلة وادرجت الكتاب اي طويته منزلة بعد منزلة ودرج الرجل مضى لسبيله لانه صار
الى منزلة الاخرة ومنه فلان اكذب من دب ودرج اي اكذب الاحياء والاموات الاعراب درجة منصوب على انه اسم وضع موضع
المصدر اي تفضيلا بدرجة وكلا مفعول وعد والحسنى مفعول ثان ودرجات في موضع نصب بدلا من قوله اجرا عظيما وهو
مفسر للاجر المعنى فضل الله المجاهدين درجات ومغفرة ورحمة ويجوز ان يكون منصوبا على التوكيد لاجرا عظيما لان الاجر العظيم
هو رفع الدرجات من الله والمغفرة والرحمة كما تقول لك علي الف درهم عرفا فقولك عرفا مؤكد لقولك لك علي الف درهم
هو اعتراف فكانك قلت اعرفها عرفا فكانه قيل غفر الله لهم مغفرة واجرهم اجرا عظيما لان قوله اجرا عظيما فيه معنى غفر
ورحم وفضل النزول نزلت الاية في كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن امية من
بني واقف تخلفوا عن رسول الله عليه السلام يوم تبوك وعذر الله اولي الضرر وهو عبد الله بن ام مكتوم رواه ابو حمزة الثمالي
في تفسيره وقال زيد بن ثابت كنت عند النبي عليه السلام حين نزلت عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في
سبيل الله ولم يذكر اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم فكيف وانا اعمى لا ابصر فتغشى النبي عليه السلام الوحي ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر فكتبتها المعنى لما حث تعالى على الجهاد عقبه بما فيه من الفضل والثواب فقال لا يستوي القاعدون
من المؤمنين اي لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من اهل الايمان بالله وبرسوله والمؤثرون الدعة والرفاهية على مقاساة الحرب

والمشقة بلقاء العدو غير اولى الضرر اى الا اهل الضرر منهم بذهاب ابصارهم وغير ذلك من العلل التى لا سبيل لاهلها الى الجهاد للضرر الذى بهم والمجاهدون فى سبيل الله ومنهاج دينه لتكون كلمة الله هى العليا والمستفرغون وسعهم فى قتال اعداء الله و اعداء دينه باموالهم انفاقا لها فيما يوهن كيد الاعداء وانفسهم حملا لها على الكفاح فى اللقاء فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة معناه فضيلة ومنزلة وكلا وعد الله الحسنى معناه وكلا الفريقين من المجاهدين والقاعدين عن الجهاد وعد الله الجنة عن قتادة وغيره من المفسرين وفى هذا دلالة على ان الجهاد فرض على الكفاية لانه لو كان فرضا على الاعيان لما استحق القاعدون بغير عذر اجرا وقيل ان المراد بالكل هنا المجاهد والقاعد من اولى الضرر المعذور عن مقاتل وفضل الله المجاهدين على القاعدين من غير اولى الضرر اجرا عظيما درجات منه اى منازل بعضها اعلى من بعض من منازل الكرامة وقيل هى درجات الاعمال كما يقال الاسلام درجة والفقه درجة والهجرة درجة والقتل فى الجهاد درجة عن قتادة وقيل معنى الدرجات هى الدرجات السبع التى ذكرها فى سورة براءة فى قوله ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطاؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح الى قوله ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون فهذه الدرجات السبع عن عبد الله بن زيد ومغفرة ورحمة هذا بيان خلوص النعيم بانه لا يشوبه غم بما كان منه من الذنوب بل غفر الله له ذلك ثم رحمه باعطائه النعم والكرامات وكان الله غفورا لم يزل الله تعالى غفارا للذنوب صفوحا لعبيده عن العقوبة عليها رحيما بهم متفضلا عليهم وقد يسال فيقال كيف قال فى اول الاية فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة ثم قال فى اخرها وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات وهذا متناقض الظاهر واجيب عنه بجوابين احدهما ان فى اول الاية فضل الله المجاهدين على القاعدين من اولى الضرر درجة وفى الاخرى فضلهم على القاعدين غير اولى الضرر درجات فلا تناقض لان قوله وكلا وعد الله الحسنى يدل على ان القاعدين لم يكونوا عاصين وان كانوا تاركين للفضل والثانى ما قاله ابو على الجبائى وهو انه اراد بالدرجة الاولى علو المنزلة وارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال فلان اعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك انه اعظم منزلة وبالثانية الدرجات فى الجنة التى يتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم وقال المغربى انما كرر لفظ التفضيل لان الاول اراد تفضيلهم فى الدنيا والثانى اراد تفضيلهم فى الاخرة وجاء فى الحديث ان الله تعالى فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة بين كل درجتين مسيرة سبعين خريفا للفرس الجواد المضمر قوله عز وجل **إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا** ثلث ايات **القراءة** روى فى الشواذ عن ابرهيم انه قرا ان الذين توفيهم الملئكة بضم التاء **الحجة** قال ابن جنى معنى هذا كقولك ان الذين يعدون على الملئكة يردون اليهم يحتسبون عليهم فهو نحو من قولك ان المال الذى توفاه امر الله اى يدفع اليها ويحتسب عليها كان كل ملك جعل اليه قبض نفس بعض الناس ثم مكن من ذلك وتوفيه **اللغة** التوفى القبض وتوفيت الشئ استوفيته قبضته والوفاة الموت لان الميت يقبض روحه والتوفى الاحصاء قال الشاعر

ان بنى ادرم ليسوا من احد ... ليسوا الى قيس وليسوا من اسد
ولا توفاهم قريش فى العدد

المعنى احصاهم والماوى المرجع من اوى الى منزله ياوى اويا والاستضعاف وجدان الشئ ضعيفا كالاستطراف ونحوه **الاعراب** توفاهم ان شئت كان لفظه ماضيا فيكون مفتوحا لان الماضى مبنى على الفتح ويجوز ان يكون مستقبلا فيكون مرفوعا على معنى تتوفاهم حذف التاء الثانية لاجتماع تائين وقد ذكرنا مشروحا فى ما تقدم ظالمى انفسهم نصب على الحال اصله ظالمين انفسهم الا ان النون حذفت استخفافا وهى ثابتة فى التقدير كما قال تعالى بالغ الكعبة اى بالغا الكعبة فيم حذف الالف من ما الاستفهام وهو فى موضع جر بفى والجار مع المجرور فى موضع نصب لانه خبر كان وخبر ان قوله قالوا فيم كنتم اى قالوا لهم فحذف لهم لدلالة الكلام عليه ويقال ان خبر ان قوله فاولئك ماويهم جهنم ويكون قالوا لهم فى موضع نصب بكونه صفة لظالمى انفسهم لانه نكرة المستضعفين نصب على الاستثناء من قوله ماويهم جهنم

الا المستضعفين لا يستطيعون حيلة فى موضع نصب على الحال من المستضعفين **النزول** قال ابو حمزة الثمالى بلغنا ان المشركين يوم بدر لم يخلفوا اذ خرجوا احدا الا صبيا او شيخا كبيرا او مريضا فخرج معهم ناس ممن تكلم بالاسلام فلما التقى المشركون ورسول الله عليه السلم نظر الذين كانوا قد تكلموا بالاسلام الى قلة المسلمين فارتابوا فاصيبوا فيمن اصيب من المشركين فنزلت فيهم الاية وهو المروى عن ابن عباس والسدى وقتادة وقيل انهم قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود وقيس بن الوليد بن المغيرة وابو العاص بن منبه بن الحجاج وعلى بن امية بن خلف عن عكرمة ورواه ابو الجارود عن ابى جعفر عليه السلم قال ابن عباس كنت انا من المستضعفين وكنت غلاما صغيرا وذكر عنه ايضا انه قال كان ابى من المستضعفين من الرجال وكانت امى من المستضعفات من النساء وكنت انا من المستضعفين من الولدان **المعنى** ثم اخبر تعالى عن حال من قعد عن نصرة الرسول عليه السلم بعد الوفاة فقال ان الذين توفاهم اى قبض ارواحهم الملئكة ملك الموت او ملك الموت وغيره فان الملئكة تتوفى وملك الموت يتوفى والله يتوفى وما يفعله ملك الموت او الملئكة يجوز ان يضاف الى الله تعالى اذا فعلوه بامره وما يفعله الملئكة جاز ان يضاف الى ملك الموت اذا فعلوه بامره ظالمى انفسهم اى فى حال هم فيها ظالموا انفسهم اذ بخسوها حقها من الثواب وادخلوها عليها العقاب بفعل الكفر قالوا فيم كنتم اى فى اى شئ كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم والتوبيخ لفعلهم قالوا كنا مستضعفين فى الارض يستضعفنا اهل الشرك بالله فى ارضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم ويمنعونا من الايمان بالله واتباع رسوله على جهة الاعتذار قالوا اى قالت لهم الملئكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اى فتخرجوا من ارضكم ودوركم وتفارقوا من يمنعكم من الايمان بالله وبرسوله الى ارض يمنعكم اهلها من اهل الشرك فتوحدوه وتعبدوه وتتبعوا رسوله وروى عن سعيد بن جبير انه قال فى معناه اذا عمل بالمعاصى فى ارض فاخرج منها ثم قال تعالى فاولئك ماويهم اى مسكنهم جهنم وساءت هى اى جهنم مصيرا لاهلها الذين صاروا اليها ثم استثنى من ذلك فقال الا المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان وهم الذين يعجزون عن الهجرة لاعسارهم وقلة حيلتهم ولا يهتدون سبيلا فى الخلاص من مكة وقيل معناه لا يهتدون لسوء معرفتهم بالطريق طريق الخروج منها اى لا يعرفون طريقا الى المدينة عن مجاهد وقتادة وجماعة من المفسرين فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم معناه لعل الله ان يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر ويتفضل عليهم بالصفح عنهم فى تركهم الهجرة من حيث لم يتركوها اختيارا وكان الله عفوا اى لم يزل الله ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده بتركه عقوبتهم على معاصيهم غفورا اى ساترا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها قال عكرمة وكان النبى صلى الله عليه واله يدعو عقيب صلوة الظهر اللهم خلص الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة وضعفة المسلمين من ايدى المشركين قوله عز وجل **وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** اية **اللغة** المهاجرة المفارقة واصله من الهجر الذى هو ضد الوصل والمراغم المضطرب فى البلاد والمذهب واصله من الرغام وهو التراب ومعنى راغمت فلانا هاجرته ولم ابال رغم انفه اى وان لصق بالتراب انفه وارغم الله انفه الصقه بالتراب وقيل اصله الذل والشدة والمراغم المعادى الذى يروم اذلال صاحبه ومنه الحديث اذا صلى احدكم فليلزم جبينه وانفه الارض حتى يخرج منه الرغم اى حتى يذل ويخضع لله تعالى وفعلته على رغمه اى على ذله لما يكره وارغم الله انفه اذله والمراغم الموضع والمصدر من المراغمة قال الى بلد غير دانى المحل بعيد المراغم والمضطرب **النزول** قيل لما نزلت ايات الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندع او جندب بن ضمرة وكان بمكة فقال والله ما انا ممن استثنى الله انى لاجد قوة وانى لعالم بالطريق وكان مريضا شديد المرض فقال لبنيه والله لا ابيت بمكة حتى اخرج منها فانى اخاف ان اموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى اذا بلغ التنعيم مات فنزلت الاية عن ابى حمزة الثمالى وعن قتادة وسعيد بن جبير وقال عكرمة وخرج جماعة من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون وفتنوهم عن دينهم فافتتنوا فانزل الله تعالى فيهم ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله فكتب بها المسلمون اليهم ثم نزلت فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم **المعنى** ثم قال تعالى ومن يهاجر

يعني يفارق اهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه الى ارض الاسلام فى سبيل الله اى فى منهاج دين الله وطريقه الذى شرعه لخلقه يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته اى متحولا من الارض وسعة فى الرزق عن ابن عباس والضحاك والربيع وقيل مزحزحا عما يكره وسعة من الضلالة الى الهدى عن مجاهد وقتادة وقيل مهاجرا فسيحا ومتسعا مما كان فيه من تضييق المشركين عليه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله اخبر تعالى ان من خرج من بلده مهاجرا من ارض الشرك فارا بدينه الى الله ورسوله ثم يدركه الموت قبل بلوغه دار الهجرة وارض الاسلام فقد وقع اجره اى ثواب عمله وجزاء هجرته على الله وكان الله غفورا ساترا على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم رحيما بهم رفيقا وما جاء فى معنى الاية من الحديث ما رواه الحسن عن النبى عليه السلام انه قال من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب الجنة وكان رفيق ابرهيم ومحمد عليهما السلم وروى العياشى باسناده عن محمد بن ابى عمير حدثنى محمد بن حكيم قال ذكرت لابى الحسن عليه السلم زرارة وتوجيهه عبيدا الى المدينة فقال انى لارجوا ان يكون زرارة ممن قال الله ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله الاية قوله عز وجل وَاِذَا ضَرَبْتُمْ فِى الْاَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلٰوةِ اِنْ خِفْتُمْ اَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا اِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا اية

اللغة فى قصر الصلوة ثلث لغات قصرت الصلوة اقصرها وهى لغة القران وقصرتها تقصيرا واقصرتها اقصارا وفتنت الرجل افتنه فهو مفتون لغة اهل الحجاز وتميم وربيعة واهل نجد كلهم واسد يقولون افتنت الرجل فهو فاتن وقد فتن فتونا اذا دخل فى الفتنة وانما قال فى الكافرين انهم عدو لان لفظة فعول تقع على الواحد والجماعة المعنى واذا ضربتم فى الارض معناه اذا سرتم فيها اى سافرتم فليس عليكم جناح اى حرج واثم ان تقصروا من الصلوة فيه اقوال احدها ان معناه ان تقصروا من عدد الصلوة فتصلوا الرباعيات ركعتين عن مجاهد وجماعة من المفسرين وهو قول اكثر الفقهاء ومذهب اهل البيت عليهم السلم وقيل تقصر صلوة الخائف من صلوة المسافر وهما قصران قصر الامن من اربع الى ركعتين وقصر الخوف من ركعتين الى ركعة واحدة عن جابر ومجاهد وقد رواه ايضا اصحابنا وثانيها ان معناه القصر من حدود الصلوة عن ابن عباس وطاوس وهو الذى رواه اصحابنا فى صلوة شدة الخوف وانها تصلى ايماء والسجود اخفض من الركوع فان لم يقدر على ذلك فالتسبيح المخصوص كاف عن كل ركعة وثالثها ان المراد بالقصر الجمع بين الصلوتين والصحيح الاول ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فى الصلوة عن ابن عباس ومثله قوله تعالى على خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم اى يقتلهم وقيل معناه ان يعذبكم الذين كفروا بنوع من انواع العذاب ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اى ظاهر العداوة وفى قراءة ابى بن كعب فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان يفتنكم الذين كفروا من غير ان يقرء ان خفتم وقيل ان معنى هذه القراءة لا يفتنكم او كراهة ان يفتنكم وكما فى قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا وظاهر الاية يقتضى ان القصر لا يجوز الا عند الخوف لكنا قد علمنا جواز القصر عند الامن ببيان النبى عليه السلم ويحتمل ان يكون ذكر الخوف فى الاية قد خرج مخرج الاعم الاغلب عليهم فى اسفارهم وانهم كانوا يخافون الاعداء فى عامتها ومثله فى القران كثير واختلف الفقهاء فى قصر الصلوة فى السفر فقال الشافعى هو رخصة واختاره الجبائى وقال ابو حنيفة هو عزيمة وفرض وهذا هو مذهب اهل البيت عليهم السلم قال زرارة ومحمد بن مسلم قلنا لابى جعفر عليه السلم ما تقول فى الصلوة فى السفر كيف هى وكم هى قال ان الله تعالى يقول واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة فصار التقصير واجبا فى السفر كوجوب التمام فى الحضر قال قلنا انه قال لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلوة ولم يقل افعلوا فكيف اوجب ذلك كما اوجب التمام قال اوليس قال تعالى فى الصفا والمروة فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما الا ترى ان الطواف واجب مفروض لان الله ذكرهما فى كتابه وصنعهما نبيه عليه السلم وكذا التقصير فى السفر شىء صنعه رسول الله عليه السلم وذكره الله فى الكتاب قال قلت فمن صلى فى السفر اربعا ايعيد ام لا قال ان كانت قرئت عليه اية التقصير وفسرت له فصلى اربعا اعاد وان لم تكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا اعادة عليه والصلوة فى السفر كل فريضة ركعتان الا المغرب فانها ثلث ليس فيها تقصير تركها رسول الله فى السفر والحضر ثلث ركعات وفى هذا الخبر دلالة على ان فرض المسافر مخالف لفرض المقيم وقد اجمعت الطائفة على ذلك وعلى انه ليس بقصر وقد روى عن النبى

عليه السلم

تحت وجه زرارة بن اعين ابنه عبيدا الى المدينة ليستخبر له خبر ابى الحسن موسى بن جعفر عم فمات قبل ان يرجع اليه عبيد ابنه كذا محمد بن ابى عمير

يعنى خفتم فتنة الذين كفروا فى انفسكم او دينكم وقيل معناه الا خفتم ان يفتنكم الذين كفروا

عليه السلم انه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر وعندهما ان الخوف بانفراده موجب للقصر وفيه خلاف بين الفقهاء وذهب جماعة من الصحابة والتابعين الى ان الله تعالى عنى بالقصر فى الاية قصر صلوة الخوف من صلوة السفر لا من صلوة الاقامة لان صلوة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر فمنهم جابر بن عبد الله وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت وابن عباس وابو هريرة وكعب وكان من الصحابة قطعت يده يوم اليمامة وابن عمر وسعيد بن جبير والسدى واما حد السفر الذى يجب فيه القصر فعندنا انه ثمانية فراسخ وقيل مسيرة ثلثة ايام بلياليها وهو مذهب ابى حنيفة واصحابه وقيل ستة عشر فرسخا ثمانية واربعون ميلا وهو مذهب الشافعى النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما امر تعالى بالجهاد والهجرة بين صلوة السفر والخوف رحمة منه تعالى وتخفيفا للعباد قوله عز وجل وَاِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَاَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَاْخُذُوا اَسْلِحَتَهُمْ فَاِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَاْتِ طَائِفَةٌ اُخْرٰى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَاْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَاَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ اَسْلِحَتِكُمْ وَاَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اِنْ كَانَ بِكُمْ اَذًى مِنْ مَطَرٍ اَوْ كُنْتُمْ مَرْضٰى اَنْ تَضَعُوا اَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ اَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا اية اللغة اسلحة جمع سلاح مثل حمار واحمرة والسلاح اسم لجملة ما يدفع به الناس عن انفسهم فى الحروب مما يقاتل به خاصة لا يقال للدواب وما اشبهها سلاح والجناح الاثم من جنحت الى المكان اذا عدلت عنه واخذت جانبا عن القصد واذى مقصور يقال اذى فلان يا ذى اذى مثل فزع يفزع فزعا الاعراب وليأخذوا القراءة على سكون اللام والاصل ولياخذوا بالكسر الا ان الكسر يستثقل فيحذف استخفافا وكذلك فلتقم ولتات وموضع ان تضعوا نصب اى لا اثم عليكم فى ان تضعوا فلما سقطت فى عمل ما قبل فيها وعلى المذهب الاخر يكون موضعها جرا باضمار حرف الجر وانما قال لطائفة اخرى ولم يقل اخرون وقال لم يصلوا فليصلوا ولم يقل لم تصل فلتصل حملا للكلام تارة على اللفظ واخرى على المعنى كما قال وان طائفتان من المومنين اقتتلوا ولم يقل اقتتلتا ومثله كثير المعنى ثم ابتدا تعالى ببيان صلوة الخوف فى جماعة فقال واذا كنت يا محمد فيهم يعنى فى اصحابك الضاربين فى الارض الخائفين عدوهم ان يغتروهم فاقمت لهم الصلوة بحدودها وركوعها وسجودها عن الحسن وقيل معناه اقمت لهم الصلوة بان تؤمهم فلتقم طائفة منهم اى من اصحابك الذين انت فيهم معك فى صلوتك وليكن سائرهم فى وجه العدو وتقديره طائفة منهم تجاه العدو ولم يذكر ما ينبغى ان يفعله الطائفة غير المصلية لدلالة الكلام عليه وليأخذوا اسلحتهم اختلف فى هذا فقيل المامور باخذ السلاح الطائفة المصلية مع رسول الله عليه السلم يأخذون من السلاح مثل السيف يتقلدون به والخنجر يشدونه على درعهم وكذلك السكين ونحو ذلك وهو الصحيح وقيل هم الطائفة التى بازاء العدو دون المصلية عن ابن عباس فاذا سجدوا يعنى الطائفة التى تصلى معه وفرغوا من سجودهم فليكونوا من ورائكم يعنى فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو واختلف فى الطائفة الاولى اذا رفعت من السجود وفرغت من الركعة كيف يصنعون فعندنا انهم يصلون ركعة اخرى ويتشهدون ويسلمون والامام قائم فى الثانية ثم ينصرفون الى مواقف اصحابهم ويجىء الاخرون فيستفتحون الصلوة ويصلى بهم الامام الركعة الثانية ويطيل تشهده حتى يقوموا فليصلوا بقية صلوتهم ثم يسلم بهم الامام فيكون للطائفة الاولى تكبيرة الافتتاح وللثانية التسليم وهو مذهب الشافعى ايضا وقيل ان الطائفة الاولى اذا فرغت من ركعة يسلمون ويمضون الى وجه العدو وتاتى الطائفة الاخرى ويصلى بهم ركعة وهو مذهب جابر ومجاهد ومن يرى ان صلوة الخوف ركعة واحدة وقيل ان الامام يصلى بكل طائفة ركعتين فيصلى بهم مرتين بكل طائفة مرة عن الحسن وقيل انه اذا صلى بالطائفة الاولى ركعة مضوا الى وجه العدو وتاتى الطائفة الاخرى فيكبرون ويصلى بهم الركعة الثانية ويسلم الامام ويعودون الى وجه العدو وتاتى الطائفة الاولى فيقضون ركعة بغير قراءة لانهم لاحقون ويسلمون ويرجعون الى وجه العدو وتاتى الطائفة الثانية ويقضون ركعة بقراءة لانهم مسبوقون عن عبد الله بن مسعود وهو مذهب ابى حنيفة ولتات طائفة اخرى لم يصلوا وهم الذين كانوا بازاء العدو فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعنى وليكونوا حذرين من عدوهم

يعنى ائمت لهم الصلوة فلتقم

متاهبين لقتالهم باخذ الاسلحة اى لالات الحرب وهذا يدل على الفرقة المامورة باخذ السلاح فى الاول هم المصلون
دون غيرهم ود الذين كفروا معناه تمنى الذين كفروا لو تغفلون لو تعزلون عن اسلحتكم وتشتغلون عن اخذها تاهبا
للقتال وامتعتكم اى وعن امتعتكم التى بها بلاغكم فى اسفاركم فتسهون عنها فيميلون عليكم ميلة واحدة اى يحملون عليكم
حملة واحدة وانتم متشاغلون بصلاتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم ويستبيحون عسكركم وما معكم المعنى لا تتشاغلوا
باجمعكم بالصلوة عند مواقفة العدو فيتمكن عدوكم من انفسكم واسلحتكم ولكن اقيموها على ما امرتم به ومن عادة العرب
ان يقولوا ملنا عليهم بمعنى حملنا عليهم قال العباس بن عبادة بن فضلة الانصارى لرسول الله عليه السلم ليلة العقبة
الثانيه والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن غدا على اهل منا باسيافنا فقال رسول الله لم نؤمر بذلك يعنى فى ذلك الوقت
ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر معناه ولا حرج عليكم ولا اثم ولا ضيق ان نالكم اذى من مطر وانتم موافقوا عدوكم
او كنتم مرضى يعنى اعلاء او جرحى ان تضعوا اسلحتكم اذا ضعفتم عن حملها لكن اذا وضعتموها فاحترسوا منهم وخذوا حذركم
لئلا يميلوا عليكم وانتم غافلون غارون ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا مذلا لا يبقون فيه ابدا وفى الاية دلالة على
صدق النبى عليه السلم وصحة نبوته وذلك انها نزلت والنبى عليه السلم بعسفان والمشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبى عليه السلم
باصحابه صلوة الظهر بتمام الركوع والسجود فهم المشركون بان يغيروا عليهم فقال بعضهم ان لهم صلوة اخرى احب اليهم من هذه
يعنون صلوة العصر فانزل الله عليه هذه الاية فصلى بهم العصر صلاة الخوف وكان ذلك سبب اسلام خالد بن وليد **النزول**
القصة وفيها دلالة اخرى ذكر ابو حمزة الثمالى فى تفسيره ان رسول الله عليه السلم غزا محاربا وبنى انمار فهزمهم الله واحرزوا
الذرارى والمال فنزل رسول الله والمسلمون ولا يرون من العدو احدا فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله ليقضى حاجته و
قد وضع سلاحه فجعل بينه وبين اصحابه الوادى الى ان يفرغ من حاجته قد درى الوادى والسماء ترش فحال الوادى بين رسول الله
وبين اصحابه وجلس عليه السلم فى ظل سمرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربى وقال له اصحابه يا غورث هذا محمد قد انقطع من اصحابه
فقال قتلنى الله ان لم اقتله وانحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله عليه السلم الا وهو قائم على راسه ومعه السيف
قد سله من غمده فقال يا محمد من يعصمك منى الان فقال رسول الله عليه السلم الله فانكب عدو الله لوجهه وقام رسول الله فاخذ سيفه
وقال يا غورث من يمنعك منى الان قال لا احد قال اتشهد ان لا اله الا الله وانى عبد الله ورسوله قال لا ولكنى اعهد ان
لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله سيفه فقال له غورث والله لانت خير منى قال عليه السلم انى احق
بذلك وخرج غورث الى اصحابه فقالوا يا غورث لقد رايناك قائما على راسه بالسيف فما منعك منه قال الله اهويت له بالسيف
لاضربه فما ادرى من زلجنى بين كتفى فخررت لوجهى وخر سيفى وسبقنى اليه محمد فاخذه ولم يلبث الوادى ان سكن فقطع رسول
الله الى اصحابه فاخبرهم الخبر وقرا عليهم ان كان بكم اذى من مطر الاية كلها **قوله عز وجل فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله**
قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطماننتم فاقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا اية اللغة
اطمان الشى اى سكن وطمانته وطامنته سكنته وقد قيل اطبان بالباء بمعنى اطمان **المعنى** فاذا قضيتم الصلوة معناه فاذا
فرغتم من صلاتكم ايها المومنون وانتم موافقوا عدوكم فاذكروا الله قياما اى فى حال قيامكم وقعودا اى فى حال قعودكم
وعلى جنوبكم اى مضطجعين فقوله على جنوبكم فى موضع نصب عطفا على ما قبله من الحال اى ادعوا الله فى هذه الاحوال لعله ينصركم
على عدوكم ويظفركم بهم مثل قوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون عن ابن عباس
واكثر المفسرين عن ابن مسعود وقيل معناه فاذا اردتم الصلوة فصلوا قياما اذا كنتم اصحاء وقعودا اذا كنتم مرضى لا تقدرون
على القيام وعلى جنوبكم اذا لم تقدروا على القعود عن ابن مسعود وروى عن ابن عباس انه قال عقيب تفسير الاية لم يعذر الله تعالى
احدا فى ترك ذكره الا المغلوب على عقله فاذا اطماننتم فاقيموا الصلوة اختلف فى تاويله فقيل معناه اذا استقررتم فى اوطانكم و
اقمتم فى امصاركم فاتموا الصلوة التى اذن لكم فى قصرها عن مجاهد وقتادة وقيل معناه اذا استقررتم بزوال خوفكم فاتموا حدود الصلوة

ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا اختلف فى تاويله فقيل معناه
عن السدى ومجاهد وابن زيد فى رواية اخرى ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا اختلف فى تاويله فقيل معناه
ان الصلوة كانت على المومنين واجبة مفروضة عن ابن عباس وعطية العوفى والسدى ومجاهد وهو المروى عن الباقر
والصادق عليهما السلم وقيل معناه فرضا موقوتا اى منجما يؤدونها فى انجمها عن ابن مسعود وقتادة والقولان متقاربان
قوله عز وجل ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا
يرجون وكان الله عليما حكيما اية القراءة روى فى الشواذ عن ابى عبد الرحمن الاعرج ان تكونوا تالمون بفتح الالف
الحجة قال ابن جنى ان محمولة على قوله ولا تهنوا فى ابتغاء القوم لانكم تالمون فمن اعتقد نصب ان بعد حذف حرف الجر عنها فان
هنا منصوبة الموضع وهى على مذهب الخليل مجرورة الموضع باللام المرادة وصارت ان لكونها حرفا كالعوض فى اللفظ من اللام
اللغة الوهن الضعف وهن فلان فى الامر يهن وهنا ووهونا فهو واهن والالم الوجع والالم جنس من الاعراض فيكون من
فعل الله تعالى ابتداء وبسبب وقد يكون من فعل العباد بسبب والرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف نحو قول الشاعر لا ترتجى حين
تلاقى الزائدا اسبعة لاقت معا او واحدا وقال ابو ذويب اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل
قال الفراء نوب ونوب وهى النحل وقال سبحانه ما لكم لا ترجون لله وقارا والمعنى لا تخافون لله عظمة وانما استعمل الرجاء فى معنى
الخوف لان الرجاء امل وقد يخاف ان لا يتم **النزول** قيل نزلت فى الذهاب الى بدر الصغرى لموعد ابى سفيان يوم احد
وقيل نزلت يوم احد فى الذهاب خلف ابى سفيان وعسكره الى حمراء الاسد عن عكرمة **المعنى** عاد الكلام الى الحث
على الجهاد فقال سبحانه ولا تهنوا اى ولا تضعفوا فى ابتغاء القوم اى فى طلب القوم الذين هم اعداء الله تعالى واعداء المومنين من اهل
الشرك ان تكونوا ايها المومنون تالمون مما ينالكم من الجراح منهم فانهم يعنى المشركين يالمون ايضا مما ينالهم منكم من الجراح والاذى
كما تالمون اى مثل ما تالمون انتم من جراحهم واذاهم وترجون انتم ايها المومنون من الله الظفر عاجلا والثواب اجلا
على ما ينالكم منهم ما لا يرجون هم على ما ينالهم منكم اى فانتم ان كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون
به اولى واحرى ان تصبروا على حربهم وقتالهم منهم على حربكم وقتالكم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدى
وعكرمة لما اصاب المسلمين ما اصابهم
كان الله عليما بمصالح خلقه حكيما فى تدبيره اياهم وتقدير احوالهم قال ابن عباس وعكرمة لما اصاب المسلمين ما اصابهم
يوم احد وصعد النبى صلى الله عليه واله الجبل جاء ابو سفيان فقال يا محمد لنا يوم ولكم يوم فقال عليه السلم اجيبوه فقال المسلمون
لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال ابو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبى عليه السلم قولوا الله مولانا
ولا مولا لكم قال ابو سفيان اعل هبل فقال النبى عليه السلم قولوا الله اعلى واجل فقال ابو سفيان موعدنا وموعدكم بدر الصغرى ونام
المسلمون وبهم الكلوم وفيهم نزلت ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله الاية وفيهم نزلت ان تكونوا تالمون الاية لان
الله تعالى امرهم على ما بهم من الجراح ان يتبعوهم واراد بذلك ارهاب المشركين فخرجوا الى حمراء الاسد وبلغ المشركين ذلك
فاسرعوا حتى دخلوا مكة **قوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن**
للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ايتان النزول نزلت فى بنى ابيرق كانوا ثلثة اخوة بشر و
بشير ومبشر وكان بشير يكنى ابا طعمة وكان يقول الشعر يهجوا به اصحاب رسول الله صلى الله عليه ثم يقول قاله فلان وكانوا
اهل حاجة فى الجاهلية والاسلام فنقب ابو طعمة على علية رفاعة بن زيد واخذ له طعاما وسيفا ودرعا فشكا ذلك
الى ابن اخيه قتادة بن النعمن وكان قتادة بدريا فتجسسا فى الدار وسالا اهل الدار فى ذلك فقال بنو ابيرق والله ما صاحبكم
الا لبيد بن سهل رجل ذو حسب ونسب فاصلت لبيد بن سهل سيفه وخرج اليهم وقال يا بنى ابيرق اترمونى بالسرق وانتم اولى
به منى وانتم المنافقون تهجون رسول الله وتنسبون الى قريش لتبينن ذلك او لاضعن سيفى فيكم فداروه واتى قتادة
رسول الله عليه السلم فقال يا رسول الله ان اهل بيت منا اهل بيت سوء عدوا على عمى فخرقوا علية له من ظهرها واصابوا له
طعاما وسلاحا فقال رسول الله انظر فى شانكم فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذى هم منه فقال له اسير بن عروة جمع رجالا

من اهل الدار ثم انطلق الى رسول الله عليه السلام فقال ان قتادة بن النعمن وعمه عمدا الى اهل بيت منا لهم حسب ونسب وصلاح واتهموهم بالقبيح وقالوا لهم ما لا ينبغي وانصرف فلما اتى قتادة رسول الله عليه السلام بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله جبها شديدا وقال عمدت الى اهل بيت حسب ونسب تاتيهم بالقبيح وتقول لهم ما لا ينبغي قال فقام قتادة من عند رسول الله ورجع الى عمه فقال ليتني مت ولم اكن كلمت رسول الله عليه السلام فقد قال لي ما كرهت فقال عمه رفاعة الله المستعان فنزلت الايات انا انزلنا اليك الكتاب بالحق الى قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القران فهرب الى مكة وارتد كافرا فنزل على سلافة بنت سعد بن شهيد وكانت امراة من الاوس من بني عمرو بن عوف نكحت في بني عبد الدار فهجاها حسان فقال وقد انزلته بنت سعد واصبحت ينازعها جلد استها وتنازعه ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم وفينا نبي عنده الوحي واضعه فحملت رحله على راسها فالقته بالابطح وقالت ما كنت تاتيني بخير اهديت الى شعر حسان هذا قول مجاهد وقتادة بن النعمن وعكرمة وابن جريج الا ان قتادة وعكرمة قالوا ان بني ابيرق طرحوا ذلك على يهودي يقال له زيد بن السمين فجاء اليهودي الى رسول الله وجاء بنو ابيرق اليه وكلموه ان يجادل عنهم فهم رسول الله عليه السلام ان يفعل وان يعاقب اليهودي فنزلت الاية وبه قال ابن عباس وقال الضحاك نزلت في رجل من الانصار استودع درعا فجحد صاحبها فخونه رجال من اصحاب رسول الله عليه السلام فغضب له قومه وقالوا يا نبي الله خون صاحبنا وهو مسلم امين فعذره النبي عليه السلام وكذب عنه وهو يرى انه بري مكذوب عليه فانزل الله فيه الايات واختار الطبري هذا الوجه قال لان الخيانة انما تكون في الوديعة لا في السرقة **المعنى** ثم خاطب تعالى نبيه عليه السلام فقال انا انزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني القران بالحق الذي فيه لك على عباده وقيل معناه انك احق لتحكم يا محمد بما اراك الله اي اعلمك الله في كتابه ولا تكن للخائنين خصيما نهاه ان يكون لمن خان مسلما او معاهدا في نفسه او ماله خصيما يدافع من طالبه عنه بحقه الذي خانه فيه ويخاصم عنه ثم قال واستغفر الله امره بان يستغفر الله من مخاصمته عن الخائن ان الله كان غفورا رحيما يصفح عن ذنوب عباده ويترك مواخذتهم بها والخطاب وان توجه الى النبي عليه السلام من حيث خاصم عمن راه على ظاهر الايمان والعدالة وكان في الباطن بخلافه والمراد بذلك امته وانما ذكر ذلك على وجه التاديب له في ان لا يبادر بالخصام والدفاع عن خصم الا بعد ان يتبين وجه الحق فيه جل نبي الله عن جميع المعاصي والقبائح وقيل انه عليه السلام لم يخاصم عن الخصم وانما هم بذلك فعاتبه الله عليه **النظم** ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما تقدم ذكر المنافقين والكافرين والاحتجاج عليهم عقب ذلك بذكر الخائنين والامر باجتناب الدفع عنهم وقيل انه تعالى لما بين الاحكام والشرايع في السورة عقبها بان جميع ذلك انزل بالحق **قوله عز وجل ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ثلث ايات اللغة** المجادلة والمخاصمة والمناظرة والمحاجة نظاير وان كان بينها فروق فان المجادلة هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين والمخاصمة المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة والمناظرة فيما بين النظيرين والمحاجة في محاولة اظهار الحجة واصل المجادلة من الجدل وهو شدة الفتل ورجل مجدول كانه قد جدل اي فتل والاجدل الصقر لانه من اشد الطيور قوة والتبييت التدبير للشيء بالليل لان ذلك يكون في وقت رواح الناس الى بيوتهم **الاعراب** ها للتنبيه واعيدت في اولاء والمعنى ها انتم الذين جادلتم عنهم لان هؤلاء وهذا يكونان في الاشارة للمخاطبين الى انفسهم بمنزلة الذين وقد يكونان لغير المخاطبين بمنزلة الذين نحو قول الشاعر عدس ما لعباد عليك امارة نجوت وهذا تحملين طليق **النزول** نزلت الايات في القصة التي ذكرناها قبل **المعنى** ثم نهى تعالى عن المجادلة والدفع عن اهل الخيانة مؤكدا لما تقدم فقال ولا تجادل قيل الخطاب للنبي عليه السلام حين هم ان يبرئ ابا طعمة لما اتاه قومه ينفون عنه السرقة وقيل الخطاب له والمراد قومه وقيل تقديره ولا تجادل ايها الانسان عن

بين الناس

الذين يختانون انفسهم اي يخونون انفسهم ويظلمونها اراد من سرق الدرع ومن شاركه في السرقة والخيانة وقيل المراد قومه الذين مشوا معه الى النبي عليه السلام وشهدوا له بالبراءة عما نسب اليه من السرقة وقيل اراد به السارق وقومه ومن هو في معناهم وانما قال يختانون انفسهم وان خانوا غيرهم لان ضرر خيانتهم كانه راجع اليهم لاحقهم كما يقال لمن ظلم غيره ما ظلمت الا نفسك وكقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما هو فعال من الخيانة اي من كان كثير الخيانة وقد الفها واعتادها وقد يطلق الخوان على الخائن في شيء واحد اذا عظمت تلك الخيانة والاثيم فاعل الاثم وقيل معناه لا يحب من كان خوانا اذ سرق الدرع اثيما اذ رمى به اليهودي وقال ابن عباس في معنى الاية لا تجادل عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة ويرمون بالخيانة غيرهم يريد به سارق الدرع سرق الدرع ورمى بالسرقة الى اليهودي فصار خائنا بالسرقة اثيما في رميه غيره بها يستخفون من الناس اي يكتمون ولا يستخفون من الله وهو معهم يعني الذين مشوا في الدفع عن ابن ابيرق ومعناه يستترون عن الناس بمعاصيهم في اخذ الاموال لئلا يفتضحوا في الناس ولا يستترون من الله وهو مطلع عليهم وقيل معناه يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله وعلمه معهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن الناس ويطلبون اخفاها حياء منهم ولا يتركونها حياء من الله تعالى وهو عالم بافعالهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول اي يدبرون بالليل بالليل قولا لا يرضاه الله تعالى وقيل يغيرون القول من جهته ويكذبون فيه وقيل وانه قول ابن ابيرق في نفسه بالليل ارمي بهذا الدرع في دار اليهودي ثم احلف اني بري منه فيصدقني المسلمون لاني على دينهم ولا يصدقون اليهودي لانه ليس على دينهم وقيل انه رمى بالدرع الى الدار لبيد بن سهل وكان الله بما يعملون محيطا قال الحسن حفيظا لاعمالهم وقال غيره عالما باعمالهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذه الاية تقريع بليغ لمن منعه حياء الناس وحشمتهم وخشيتهم عن ارتكاب القبايح ولا يمنعه خشية الله تعالى عن ارتكابها وهو تعالى احق ان يراقب واجدر ان يحذر ويخاف ومنها ايضا توبيخ لمن يفعل قبيحا ثم يقرف غيره به سواء كان ذلك الغير مسلما او كافرا ها انتم خطاب للذابين عن السارق هؤلاء يعني الذين جادلتم اي خاصمتم ودافعتم عنهم عن الخائنين في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة استفهام يراد به النفي لانه في معنى التقريع والتوبيخ اي لا مجادل عنهم ولا شاهد على براءتهم بين يدي الله تعالى يوم القيمة وفي هذه الاية النهي عن الدفع عن الظالم والمجادلة عنه ام من يكون عليهم وكيلا اي من يحفظهم ويتولى معونتهم بمعنى لا يكون يوم القيمة عليهم وكيل يقوم بامرهم ويخاصم عنهم واصل الوكيل من جعل اليه القيام بالامر والله تعالى يسمى وكيلا بمعنى انه القائم بالامر ويقال انه يسمى وكيلا بمعنى الحافظ ولا يقال انه وكيل لنا وانما يقال هو وكيل علينا **قوله عز وجل ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ثلث ايات اللغة** السوء القبيح الذي يواجه به صاحبه من ساءه يسوءه سوءا اذا واجهه بقبيح يكرهه ورجل سوء من شانه ان يواجه الناس بالمكاره فاما السيئة فهي نقيض الحسنة ويجد اصله من الوجدان وهو الادراك يقال وجدت الضالة وجدانا اذا ادركتها بعد ذهابك عنها ووجدت وجودا علمت والوجود ضد العدم لانه يظهر بالوجود كظهوره بالادراك والكسب فعل يجر به نفع او يدفع به ضرر ولذلك لا يوصف تعالى به **المعنى** ثم بين تعالى طريق التلافي والتوبة مما سبق منهم من المعصية فقال ومن يعمل سوءا اي معصية وامرا قبيحا او يظلم نفسه بارتكاب جريمة وقيل يعمل سوءا بان يسرق الدرع او يظلم نفسه بان يرمي بها بريئا وقيل المراد بالسوء الشرك وبالظلم ما دون الشرك ثم يستغفر الله اي يتب اليه ويطلب منه المغفرة يجد الله غفورا رحيما بين تعالى ان جريمتهم وان عظمت فانها غير مانعة من المغفرة وقبول التوبة اذا استغفروا وتابوا ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ظاهر المعنى ونظيره ولا تكسب كل نفس الا عليها ومن عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وكان الله عليما بكسبه حكيما في عقابه وقيل عليما بافعال عباده حكيما في قضائه فيهم وقيل عليما بالسارق حكيما في ايجاب القطع عليه ثم بين تعالى ان من ارتكب اثما ثم قرف غيره كيف يعظم عقابه فقال ومن يكسب

عن الناس

خطيئة اى يعمل ذنبا على عمد او غير عمد او اثما اى ذنبا تعمده وقيل الخطيئة الشرك والاثم ما دون الشرك ثم يرم به بريئا اى يقذف بذنبه
الى برئ وقيل البرئ هو اليهودى الذى طرح عليه الدرع عن الحسن وغيره وقيل هو لبيد بن سهل وقد مضى ذكرهما قبل وقوله ثم يرم
به اختلف فى الضمير الذى هو الهاء فى به فقيل يعود الى الاثم اى بالاثم وقيل الى واحد منهما وقيل يعنى بكسبه فقد احتمل بهتانا اى
كذبا عظيما يتحير من عظمه واثما مبينا اى ذنبا ظاهرا بينا وفى هذه الايات دلالة على ان الله تعالى لا يجوز ان يخلق افعال خلقه ثم يعذبهم
عليها لانه اذا كان الخالق لها فهم براء منها فلو قيل ان الكسب مضاف الى العبد فجوابه ان الكسب لو كان مفهوما وله معنى لم يخرج
العبد بذلك من ان يكون بريئا لانه اذا قيل ان الله تعالى اوجد الفعل واحدثه واوجد الاختيار فى القلب والفعل لا
يتجزى فقد انتفى عن العبد من جميع جهاته قوله عز وجل وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا آيتان القراءة قرا فسوف يؤتيه بالياء ابو عمرو وحمزة وقتيبة عن الكسائى
وسهل وخلف والباقون بالنون الحجة من قرا بالياء فلما تقدمه من قوله ولولا فضل الله وانزل الله عليك الكتاب ومن قرا
بالنون فلانه اشبه بما بعده من قوله نوله ما تولى ونصله جهنم اللغة الهم ما هممت به ومنه الهمة والهمام الملك العظيم الهمة قال
على بن عيسى النجوى هو الاسرار عند اهل اللغة وقال الزجاج النجوى فى الكلام ما ينفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا
ومعنى نجوت الشئ فى اللغة خلصته والقيته يقال اذا القيته عن البعير او غيره قال الشاعر فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه سيرضيكما
منها سنام وغاربه ونجوت فلانا اذا استنكهته قال نجوت مجالدا فشممت منه كريح الكلب مات حديث عهد واصله من
النجوة ما ارتفع من الارض فالمراد بنجواهم ما يدبرونه بينهم من الكلام وفلان نجى فلان اى مناجيه والقوم نجية الاعراب
الا من امر يجوز ان يكون فى موضع جر المعنى الا فى نجوى من امر ويجوز ان يكون استثناء ليس من الاول ويكون موضعها نصبا ويكون
معناه لكن من امر بصدقة او معروف ففى نجواه خير ونصب ابتغاء مرضات الله بانه مفعول له ويجوز ان يكون من امر
مجرور الموضع ايضا على الاتباع لكثير بمعنى لا خير فى كثير الا فى من امر بصدقة كما يقال لا خير فى القوم الا نفر منهم ويكون النجوى
هنا بمعنى المناجين نحو قوله واذ هم نجوى ويجوز ايضا ان يكون استثناء حقيقيا على تقدير لا خير فى نجوى الناس الا نجوى من امر
وهذا اولى مما تقدم من الاستثناء المنقطع لان حمل الكلام على الاتصال اولى اذا لم يخل بالمعنى النزول قيل نزلت فى بنى ابيرق
وقد مضت قصتهم عن ابى صالح عن ابن عباس وقيل نزلت فى وفد ثقيف قدموا على رسول الله عليه السلم وقالوا يا محمد جئناك
نبايعك على ان لا نكسر اصنامنا بايدينا وعلى ان نتمتع بالعزى سنة فلم يجبهم الى ذلك وعصمه الله منهم عن جويبر عن الضحاك
عن ابن عباس المعنى ثم بين تعالى لطفه برسوله وفضله عليه اذ صرف كيدهم عنه وعصمه من الميل اليهم فقال ولولا فضل الله
عليك ورحمته فضله النبوة ورحمته نصرته اياه بالوحى وقيل فضله تاييده بالطاف ورحمته نعمته عن الجبائى وقيل فضله النبوة ورحمته
العصمة لهمت طايفة منهم لقصدت واضمرت جماعة من هولاء الذين تقدم ذكرهم ان يضلوك قيل فيه اقوال احدها ان المعنى
بهم الذين شهدوا للخائنين من بنى ابيرق بالبراءة عن ابن عباس والحسن والجبائى فيكون المعنى همت جماعة منهم ان يزيلوك عن الحق
بشهادتهم للخائنين حتى اطلعك الله على اسرارهم وثانيها انهم وفد ثقيف الذين التمسوا من رسول الله عليه السلم ما لا يجوز وقد مضى
ذكرهم عن ابن عباس وثالثها انهم المنافقون الذين هموا باهلاك النبى عليه السلم والمراد بالاضلال القتل والاهلاك كما فى
قوله اذا ضللنا فى الارض فيكون المعنى لولا حفظ الله تعالى لك وحراسته اياك لهمت طايفة من المنافقين ان يقتلوك ويهلكوك
ومثله وهموا بما لم ينالوا عن ابى مسلم وما يضلون الا انفسهم اى وما يزيلون عن الحق الا انفسهم وقيل وما يهلكون الا انفسهم و
معناه ان وبال ما هموا به من الاهلاك او الازلال يعود عليهم حتى استحقوا العذاب الدائم وما يضرونك بكيدهم ومكرهم
شيئا فان الله تعالى حافظك وناصرك ومسددك ومؤيدك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى القرآن والسنة وانزل له

بما قبله

من شيء اى لا يضرونك

بما قبله ان المعنى كيف يضلونك وهو ينزل عليك الكتاب ويوحى اليك بالاحكام وعلمك ما لم تكن تعلم اى ما لم تعلمه من
الشرايع وانباء الرسل الاولين وغير ذلك من العلوم وكان فضل الله عليك عظيما قيل فضله عليك منذ خلقك الى
ان بعثك عظيم وقيل فضله عليك عظيم اذ جعلك خاتم النبيين وسيد المرسلين واعطاك الشفاعة وغيرها ثم قال
لا خير فى كثير من نجواهم اى اسرارهم ومعنى النجوى لا يتم الا بين اثنين فصاعدا كالدعوى الا من امر بصدقة فان فى نجواه خيرا
او معروف يعنى بالمعروف ابواب البر لاعتراف العقول بها وقيل لان اهل الخير يعرفونها او اصلاح بين الناس اى تاليف بينهم بالمودة
وقال على بن ابرهيم فى تفسيره حدثنى ابى عن ابن ابى عمير عن حماد عن ابى عبد الله عليه السلم قال ان الله تعالى فرض التحمل فى القرآن
قال قلت وما التحمل جعلت فداك قال ان يكون وجهك اعرض من وجه اخيك فتحمل له وهو قوله لا خير فى كثير من نجواهم الا
من امر بصدقة الاية قال وحدثنى ابى رفعه الى امير المؤمنين على عليه السلم انه قال فرض الله عليكم زكوة جاهكم كما فرض عليكم زكوة
ما ملكت ايديكم ومن يفعل ذلك يعنى ما تقدم ذكره ابتغاء مرضات الله اى لطلب رضاء الله فسوف نؤتيه اى نعطيه اجرا عظيما
اى مثوبة عظيمة فى الكثرة والمنزلة والصفة اما الكثرة فلانه دايم واما المنزلة فلانه مقارن للتعظيم والاجلال واما الصفة فلانه
غير مشوب بما ينغصه وفى الاية دلالة على ان فاعل المعصية هو الذى يضر بنفسه لما يعود عليه من وبال فعله وفيها دلالة على
ان الذى يدعوا الى الضلال هو المضل وعلى ان فاعل الضلال مضل لنفسه وعلى ان الدعاء الى الضلال يسمى اضلالا قوله عز وجل
وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا
اية اللغة الشقاق الخلاف مع العداوة وشق العصا اى فارق الجماعة والشق النصف واصله من الشق وهو القطع طولا وسميت
العداوة مشاقة لان احد المتعادين يصير فى شق غير شق الاخر من اجل العداوة التى بينهما ومنه الاشتقاق فانه قطع الفرع عن
الاصل نوله من الولى وهو القرب يقال ولى الشئ يليه اذا قرب منه وكل ما يليك اى مما يقاربك والولى المطر الذى يلى
الوسمى النزول قيل نزلت فى شان بنى ابيرق سارق الدرع ولما انزل الله تعالى فى تقريعه وتقريع قومه الايات كفر وارتد
ولحق المشركين من اهل مكة ثم نقب حائطا للسرقة فوقع عليه الحائط فقتله عن الحسن وقيل انه خرج من مكة نحو الشام
فنزل منزلا وسرق بعض المتاع وهرب فاخذ ورمى بالحجارة حتى قتل عن الكلبى المعنى لما بين تعالى التوبة عقيبه بذكر حال
الاصرار فقال ومن يشاقق الرسول اى من يخالف محمدا ويعاده من بعد ما تبين له الهدى اى ظهر له الحق والاسلام وقامت
له الحجة وصحة الادلة بثبوت نبوته ورسالته ويتبع سبيلا غير سبيل المؤمنين اى غير طريقهم الذى هو دينهم نوله ما تولى اى نكله
الى ما انتصر به واتكل عليه من الاوثان وحقيقته نجعله يلى ما اعتمده من دون الله تعالى اى يقرب منه وقيل معناه نخلى
بينه وبين ما اختاره لنفسه ونصله جهنم اى نلزمه دخول جهنم عقوبة له على ما اختاره من الضلال بعد الهدى وساءت مصيرا
قد مر معناه وقد استدل بهذه الاية على ان اجماع الامة حجة لانه تعالى توعد على مخالفة سبيل المؤمنين كما توعد على مشاقة
الرسول عليه السلم والصحيح انه لا يدل على ذلك لان ظاهر الاية يقتضى ايجاب متابعة من هو مؤمن على الحقيقة ظاهرا او
باطنا لان من اظهر الايمان لا يوصف بانه مؤمن الا مجازا فكيف يحمل ذلك على ايجاب متابعة من اظهر الايمان وليس كل من اظهر الايمان مؤمنا
ومتى حملوا الاية على بعض الامة حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين وهم الائمة من آل محمد عليهم السلم على ان
ظاهر الاية يقتضى ان الوعيد انما يتناول من جمع بين مشاقة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين فمن اين لهم ان من فعل احدهما
يتناوله الوعيد ونحن انما علمنا ان الوعيد يتناول مشاقة الرسول بانفرادها بدليل غير الاية فيجب ان يسندوا تناول الوعيد اتباع
غير سبيل المؤمنين الى دليل اخر قوله عز وجل إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا اية قد مر تفسيره فيما تقدم وقوله فقد ضل ضلالا بعيدا اى ذهب عن طريق الحق او الغرض
المطلوب وهو النعيم المقيم فى الجنة ذهابا بعيدا لان الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب ابعدها الشرك بالله تعالى
قوله عز وجل إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ

نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن اذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا خمس ايات القراءة القراءة المشهورة الا اناثا وروى في الشواذ عن النبي عليه السلم الا اثنا بتاء قبل النون والا انثا النون قبل الثاء روتهما عنه عايشة وروى عن ابن عباس الا وثنا والا اثنا بضمتين والثاء قبل النون وعن عطا ابن ابي رباح الا اثنا الثاء قبل وهي ساكنة الحجة اما اثن فجمع وثن واصله وثن قلبت الواو همزة نحو اجوه في وجوه واعد في وعد واما اثن بسكون الثاء فهو كاسد بسكون السين واما اناثا بتقديم النون على الثاء فيمكن ان يكون جمع انيث كقولهم سيف انيث للحديد ويمكن ان يكون جمع اناث اللغة المريد والمارد والمتمرد بمعنى وهو العاتي الخارج عن الطاعة والمتملس منها يقال حايط ممرد اي مملس وشجرة مرداء تناثر ورقها ومنه سمي من لم ينبت له لحية امرد اي املس موضع اللحية ومرد الرجل يمرد مرودا اذا عتا وخرج عن الطاعة واصل اللعن البعد ومنه قيل للطريد لعين واصل الفرض القطع والفرضة الثلمة تكون في النهر والفرض الحز الذي يكون في السواك وغيره يشد فيه الخيط والفرض في القوس الحز الذي يكون فيه الوتر والفريضة ما امر الله تعالى به العباد فجعله حتما عليه قاطعا واما قول الشاعر اذا اكلت سمكا وفرضا ذهبت طولا وذهبت عرضا فالفرض ههنا التمر وانما سمي التمر فرضا لانه يوخذ في فرايض الصدقة التبتيك التشقيق البتك القطع بتكته ابتكه والبتكة مثل القطعة والبتك القطع قال زهير حتى اذا ما هوت كف الغلام لها طارت وفي كفه من ريشها بتك والمحيص المعدل يقال حصت عنه احيص حيصا وجضت اجيض جيضا بمعنى قال ولم ندر ان جضنا عن الموت جيضة كم العمر باق والمدى متطاول روي باللغتين الاعراب ان على اربعة اوجه احدها ان النافية كما في الاية ان تدعون اي ما تدعون والثاني ان المخففة من الثقيلة كما في قوله وان كانت لكبيرة ويلزمها اللام التاكيد والثالث ان الجزاء كما في قوله وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا والرابع ان المزيدة نحو ما ان جاءني زيد وما ان طبنا جبن ولكن منايانا ودولت اخرينا لعنه الله جملة في موضع النصب بانها صفة لقوله شيطانا واللام في لاتخذن وفيما بعده لام اليمين وانما يدخل على جواب القسم لانه المقسم عليه فعلى هذا يكون القسم هنا مضمرا في الجميع المعنى لما ذكر في الاية المتقدمة اهل الشرك وضلالهم ذكر في هذه الاية حالهم وفعالهم فقال ان يدعون اي ما يدعوا هؤلاء المشركون وما يعبدون من دونه اي من دون الله الا اناثا فيه اقوال احدها الا اوثانا وكانوا يسمون الاوثان باسم الاناث اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واساف ونايلة عن ابي مالك والسدي ومجاهد وابن زيد ذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره قال كان في كل واحدة منهن شيطانة انثى تتراءا للسدنة وتكلمهم وذلك من صنيع ابليس وهو الشيطان الذي ذكره الله تعالى فقال لعنه الله قالوا واللات كان اسما للصخرة والعزى كان اسما لشجرة الا انهم نقلوها الى الوثن وجعلوها علما عليها وقيل العزى تانيث الاعز واللات تانيث لفظة الله وقال الحسن لكل حي من العرب وثن يسمونه باسم الانثى وثانيها ان المعنى الا امواتا عن ابن عباس والحسن وقتادة فعلى هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون الله الا جمادا او امواتا لا يعقل ولا ينطق ولا يضر ولا ينفع فدل ذلك على غاية جهلهم وضلالهم وسماها اناثا لاعتقاد مشركي العرب الانوثة في كل ما اتضعت منزلته ولان الاناث من كل جنس ارذله وقال الزجاج لان الموات يخبر عنها بلفظ التانيث يقول الاحجار تعجبني ولا يقول يعجبونني ويجوز ان يكون سماها اناثا لضعفها وقلة خيرها وعدم نصرها وثالثها ان المعنى الا ملائكة لانهم كانوا يزعمون ان الملائكة بنات الله تعالى وكانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك وان يدعون الا شيطانا مريدا اي ماردا شديدا في كفره وعصيانه متماديا في شركه وطغيانه يسال على هذا فيقال كيف نفى في اول الكلام عبادتهم لغير الاناث ثم اثبت في اخره عبادتهم الشيطان فاثبت في الاخر ما نفاه في الاول اجاب الحسن عن هذا فقال انهم لم يعبدوا الا الشيطان في الحقيقة لان الاوثان كانت مواتا ما دعت احدا الى عبادتها بل الداعي الى عبادتها الشيطان فاضيفت العبادة الى الشيطان بحكم الدعاء والى الاصنام لاجل انهم كانوا يعبدونها ويدل عليه قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة

اهؤلاء

اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اضافت الملائكة عبادتهم الى الجن من قبل ان الجن دعتهم الى العبادة الملائكة وقال ابن عباس كان في كل واحد من اصنامهم التي كانوا يعبدونها شيطان مريد يدعو المشركين الى عبادتها فلذلك حسن اضافة العبادة الى الشيطان وقيل ليس في الاية اثبات المنفي بل ما يعبدون الا الاوثان والا الشيطان وهو ابليس لعنه الله اي ابعده عن الخير بايجاب الخلود في نار جهنم وقال يعني الشيطان لما لعنه الله لاتخذن من عبادك نصيبا حظا مفروضا اي معلوما عن الضحاك وقيل مقدارا محدودا واصل الاتخاذ اخذ الشيء على وجه الاختصاص فكل من اطاعه فانه من نصيبه وحزبه كما قال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله وروي ان النبي عليه السلم قال في هذه الاية من بني ادم تسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة وفي رواية اخرى من كل الف واحد لله وسايرهم للنار ولابليس اورده ابو حمزة الثمالي في تفسيره ويقال كيف علم ابليس ان له اتباعا يتابعونه والجواب علم ذلك من قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك وقيل انه لما نال من ادم ما نال طمع في ولده وانما قال ذلك ظنا ويؤيد قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ولاضلنهم هذا من مقالة الشيطان يعني لاضلنهم عن الحق والصواب واضلاله دعاؤه الى الضلال وتسبيبه له بحبايله وغروره ووساوسه ولامنينهم يعني امنينهم طول البقاء في الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيمها على الاخرة وقيل معناه اقول لهم ليس وراءكم بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فافعلوا ما شيتم عن الكلبي وقيل معناه امنينهم بالاهواء الباطلة الداعية الى المعصية وازين لهم شهوات الدنيا وزهراتها وادعوا كلا منهم الى نوع يميل طبعه اليه فاصده بذلك عن الطاعة والقيه في المعصية ولآمرنهم فليبتكن اذان الانعام تقديره ولامرنهم بتبتيك اذان الانعام فليبتكن اي ليشققن اذانهم عن الزجاج وقيل ليقطعن الاذان من اصلها وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم وهذا شيء قد كان مشركوا العرب يفعلونه يجدعون اذان الانعام ويقال كانوا يفعلونه بالبحيرة والسايبة وسنذكر ذلك في سورة المايدة انشاء الله تعالى ولامرنهم فليغيرن خلق الله اي لامرنهم بتغيير خلق الله فليغيرنه واختلف في معناه فقيل يريد دين الله وامره عن ابن عباس وابرهيم ومجاهد والحسن وقتادة وجماعة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم ويؤيده قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله واراد بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام وقيل اراد معنى الخصا عن عكرمة وشهر بن حوشب وابي صالح عن ابن عباس وكرهوا الاخصاء في البهايم وقيل انه الوشم عن ابن مسعود وقيل انه اراد الشمس والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها الى عبادتها عن الزجاج ومن يتخذ الشيطان وليا اي ناصرا وقيل ربا يطيعه من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ظاهرا واي خسران اعظم من استبدال النار بالجنة واي صفقة اخسر من استبدل برضاء الشيطان رضاء الرحمن يعدهم الشيطان ان يكون لهم ناصرا ويمنيهم الاكاذيب والاباطيل وقيل معناه يعدهم الغفران انفقوا ما لهم في ابواب البر ويمنيهم طول البقاء في الدنيا ودوام نعيمها ليوثروها على الاخرة وما يعدهم الشيطان الا غرورا اي لا يكون لما يعدهم ويمنيهم اصل وحقيقة والغرور ايهام النفع فيما فيه ضرر اولئك اشارة الى الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله فاغتروا بغروره وتابعوه فيما دعاهم اليه ماواهم مستقرهم جميعا جهنم ولا يجدون عنها محيصا اي مخلصا ولا مهربا ولا معدلا قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا اية قد مر تفسير صدر الاية في هذه السورة وقوله ومن اصدق ونحوه باشمام الزاء كوفي غير عاصم ورويس والباقون بالصاد قد ذكرنا الوجه عند ذكر الصراط في الفاتحة وقوله وعد الله نصب على المصدر وتقديره وعد الله ذلك وعدا فهو مصدر دل معنى الكلام الذي تقدمه على فعله الناصب له وحقا ايضا مصدر موكد لما قبله كانه قال احقه حقا وقيل منصوب على التمييز كما يقال هو اكرم منك فعلا ومعناه وعد الله ذلك وعدا حقا لا خلف فيه ومن اصدق استفهام فيه معنى النفي اي لا احد اصدق من الله قولا فيما اخبر ووعدا فيما وعد قوله عز وجل ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون

نقيرا اتيان القراءة يدخلون الجنة بضم الياء ههنا وفي مريم وحم مكي بصري وابو جعفر وابو بكر والباقون بفتح الياء وضم الخاء
الحجة من قرا يدخلون قوله ادخلوا الجنة ادخلوها بسلام ومن قرا يدخلون فلانهم لا يدخلونها حتى يدخلوها اللغة
الاماني جمع الامنية وهو تقدير الامر في النفس على جهة الاستمتاع به ووزن امنية افعولة من المنية واصله التقدير يقال مني له
الماني اي قدر له المقدر ومنه سميت المنية وهي فعيلة اي مقدرة والنقير النكتة في ظهر النواة كان ذلك نقر فيه الاعراب
اسم ليس مضمر لدلالة الكلام عليه والتقدير ليس الامر باماينكم او ليس الثواب باماينكم ولا يجد مجزوم عطفا على الجزاء لا على الشرط وهو
قوله يجز والوقف عند قوله اهل الكتاب وقف تام ثم استونف الخبر بعدها بمن يعمل ومن في موضع رفع بالابتداء على تقدير ذكرا شيئا له
ومن في قوله من الصالحات مزيدة وقيل هو للتبعيض لان العبد لا يطيق جميعها وقيل انه لتبيين الجنس وقال وهو مومن فوحد ثم قال
فاولئك يدخلون الجنة جمع لان من اسم مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى فيعود الضمير اليه مرة على اللفظ ومرة على المعنى النزول قيل
تفاخر المسلمون واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نبينا خاتم
النبيين وكتابنا يقضي على الكتب ودينا الاسلام فنزلت الاية وقال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فانزل الله تعالى الاية التي بعدها
ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن فافلح المسلمون عن قتادة والضحاك وقيل لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه
وقال اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى نزلت الاية عن مجاهد المعنى لما ذكر تعالى الوعد والوعيد قال
عقيب ذلك ليس باماينكم ومعناه ليس الثواب والعقاب باماينكم ايها المسلمون عن مسروق والسدي وقيل الخطاب لاهل الشرك من قريش
لانهم قالوا لا نبعث ولا نعذب عن مجاهد وابن زيد ولا اماني اهل الكتاب اي ولا باماني اهل الكتاب في انه لا يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى وهذا يقوي القول الاخير على انه لم يجر للمسلمين ذكر في الاماني وذكر اماني الكفار قد جرى في قوله ولامنينهم
هذا وقد وعد الله تعالى المومنين فيما بعد هو غاية الاماني من يعمل سوءا يجز به اختلف في تاويله على اقوال احدها انه يريد بذلك
جميع المعاصي صغايرها وكبايرها وان من ارتكب شيئا منها فان الله تعالى يجازيه عليها اما في الدنيا واما في الاخرة عن عايشة
وقتادة ومجاهد وروي عن ابي هريرة انه قال لما نزلت هذه الاية بكينا وحزنا وقلنا يا رسول الله ما ابقت هذه الاية من شيء فقال
والذي نفسي بيده انها لكما انزلت ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا يصيب احدا منكم مصيبة الا كفر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها
احدكم في قدمه رواه الواحدي في تفسيره مرفوعا وقال القاضي ابو عاصم العامري لئلا يتوهم متوهم ان المعصية لا تضر مع الايمان
كما ان الطاعة لا تنفع مع الكفر وثانيها ان المراد به مشركو قريش واهل الكتاب عن الحسن والضحاك وابن زيد قالوا هو كقوله
وهل نجازي الا الكفور وثالثها ان المراد بالسوء هنا الشرك وعن ابن عباس وسعيد بن جبير ولا يجد له من دون الله وليا ولا
نصيرا معناه ولا يجد الذي يعمل سوءا من معاصي الله وخلاف امره وليا يلي امره وينصره ويحامي عنه ويدفع عنه ما ينزل به من عقوبة الله
ولا نصيرا اي ناصرا ينصره وينجيه من عذاب الله تعالى ومن استدل بهذه الاية على المنع من جواز العفو عن المعاصي فانا نقول له ان مذهب
اهل العموم لا ينفرد بصيغة في اللغة مختصة به ولا يسلم انها تستغرق جميع من فعل السوء بل يجوز ان المراد بها بعضهم على ما ذكره اهل
التاويل كابن عباس وغيره على انهم قد اتفقوا على ان الاية مخصوصة فان التايب ومن كانت معصيته صغيرة لا تتناولهما العموم
فاذا جاز لهم ان يخصوا العموم في الاية بالفريقين جاز لنا ان نخصها بمن يتفضل الله عليه بالعفو وهذا بين والحمد لله قوله
عز وجل ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن انما قال وهو مومن ليبين ان الطاعة لا تنفع من دون
الايمان فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا وعد الله تعالى بهذه الاية جميع المكلفين من الرجال والنساء اذا
عملوا الاعمال الصالحة اي الطاعات الخالصة وهم مومنون موحدون مصدقون بنبيه عليه السلام بانه يدخلهم الجنة و
يثيبهم فيها ولا يبخسهم شيئا مما يستحقونه من الثواب وان كان مقدار نقير في الصغر وقد قابل سبحانه الوعيد العام في الاية التي
قبل هذه الاية بالوعد العام في هذه الاية ليقف المومن بين الخوف والرجاء قوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه
لله وهو محسن واتبع ملة ابرهيم حنيفا واتخذ الله ابرهيم خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ايتان اللغة

الخليل

الخليل مشتق من الخلة بضم الخاء التي هي المحبة او من الخلة بفتح الخاء التي هي الحاجة وانما استعمل بمعنى الصداقة لان كل واحد من
المتصادقين يسد خلل صاحبه وقيل لان كل واحد منهما يطلع صاحبه على اسراره فكانه في خلل قلبه وانما استعمل في الحاجة
للاختلال الذي يلحق الفقير فيما يحتاج اليه ومنه قول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم وقال
الازهري الخليل الذي خص بالمحبة يقال دعا فلان فخلل اي خص الاعراب دينا منصوب على التمييز وهو مما انتصب بعد تمام
الاسم وقوله وهو محسن جملة في موضع النصب على الحال وكذلك قوله وهو مومن في الاية التي قبل وحنيفا منصوب على الحال
وذو الحال الضمير في اتبع والمضمر هو النبي عليه السلام ويجوز ان يكون حنيفا حالا من ملة ابرهيم وكان حقه ان يكون
فيه الهاء لان فعيلا اذا كان بمعنى فاعل للمونث يثبت فيه الهاء الا انه قد جاء مجي ناقة سديس وريح خريق ويجوز ايضا ان
يكون حالا من ابرهيم والحال من المضاف اليه عزيز وقد جاء في الشعر قال النابغة قالت بنو عامر خالوا بني اسد يا بوس
للجهل ضرارا لاقوام اي يا بوس الجهل ضرارا واللام مقحمة لتوكيد الاضافة وخليلا مفعول ثان لاتخذ المعنى ثم بين تعالى من
يستحق الوعد الذي ذكره قبل فقال ومن احسن دينا وهو في صورة الاستفهام والمراد به التقرير ومعناه من اصوب طريقة
واهدى سبيلا اي لا احد احسن اعتقادا ممن اسلم وجهه لله اي استسلم وجهه ههنا ذاته ونفسه كما قال تعالى كل شيء هالك
الا وجهه والمعنى انقاد لله بالطاعة ولنبيه عليه السلام بالتصديق وقيل معنى اسلم وجهه لله قصد تعالى بالعبادة وحده كما اخبر
عن ابرهيم عليه السلام انه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض الاية وقيل معناه اخلص اعماله لله اي اتى بها مخلصا لله فيها
وهو محسن اي فاعل للفعل الحسن الذي امر الله تعالى به وقيل معناه وهو محسن في جميع اقواله وافعاله وقيل
ان المحسن هنا الموحد وروي ان النبي عليه السلام سئل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك واتبع ملة ابرهيم اي اقتدى بدينه وسيرته وطريقته يعني ما كان عليه ابرهيم عليه السلام وامر به بنيه من بعده
واوصاهم به من الاقرار بتوحيده وعدله وتنزيهه عما لا يليق به ومن ذلك الصلوة الى الكعبة والطواف حولها وساير المناسك
حنيفا اي مستقيما على مناهجه وطريقه وقد مر معنى الحنيف في سورة البقرة واتخذ الله ابرهيم خليلا اي محبا لا خلل في مودته
لكمال خلته والمراد بخلته لله انه كان مواليا لاولياء الله ومعاديا لاعداء الله والمراد بخلة الله تعالى له نصرته على من
اراده بسوء كما انقذه من نار نمرود وجعلها عليه بردا وسلاما وكما فعله بملك مصر حين راوده عن اهله وجعله اماما
للناس وقدوة لهم قال الزجاج جايز ان يكون سمي خليل الله بانه الذي احبه الله بان اصطفاه محبة تامة كاملة واحب
الله هو محبة تامة كاملة وقيل سمي خليلا لانه افتقر الى الله وتوكل عليه وانقطع بحوايجه اليه وهو اختيار الفراء وابي القاسم
البلخي وانما خصه الله تعالى بهذا الاسم وان كان الخلق كلهم فقراء الى رحمته تشريفا له بالنسبة اليه من حيث انه فقير
اليه لا يرجو لسد خلته سواه كما خص موسى بانه كليم الله وعيسى بانه روح الله ومحمدا صلى الله عليه واله وعليهم بانه
حبيب الله وقيل انما سمي خليلا لانه تعالى خصه بما لم يخص به غيره من انزال الوحي عليه وغير ذلك من خصايصه و
انما خصه من بين ساير الانبياء بهذا الاسم على المعنيين الذين ذكرناهما وان كان كل واحد من الانبياء خليل الله في
زمانه لانه تعالى خصهم بالنبوة وقد روي عن النبي عليه السلام قال قد اتخذ الله تعالى صاحبكم خليلا يعني نفسه وهذا
الوجه اختيار ابي علي الجبائي قال وكلما تعبد الله تعالى به ابرهيم عليه السلام فقد تعبد به نبينا عليه السلام وزاده اشياء لم يتعبد
بها ابرهيم عليه السلام ومما قيل في وجه خلة ابرهيم ما روي في التفسير ان ابرهيم عليه السلام كان يضيف الضيفان ويطعم المساكين و
ان الناس اصابهم جدب فارتحل ابرهيم الى خليل له بمصر يلتمس منه طعاما لاهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب من اهله مر
بمفازة ذات رمل لينة فملا غرايره من ذلك الرمل لئلا يغتم اهله برجوعه من غير ميرة فحول الله تعالى ما في غرايره دقيقا
فلما وصل الى اهله دخل البيت ونام استحياء منهم ففتحوا الغراير وعجنوا من الدقيق وخبزوا وقدموا اليه طعاما طيبا فسالهم
عليهم السلام من اين خبزوا قالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك فقال اما انه خليلي وليس بمصري فسماه الله خليلا

رواه علي بن ابرهيم عن هرون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلم ثم بين تعالى انه انما اتخذ ابرهيم خليلا لطاعته له ومسارعته الى رضاه لا لحاجة منه سبحانه الى خلته فقال ولله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا فهو مستغن عن جميع خلقه وجميع خلقه محتاجون اليه وكان الله بكل شئ محيطا يعني لم يزل الله تعالى عالما بجميع ما يفعله عباده ومعنى المحيط بالشئ انه العالم به من جميع وجوهه قوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما اية اللغة الاستفتاء والاستفتا بمعنى واحد يقال فاتيته وقاضيته قال الشاعر تعالوا فانا تيكم اعيا وفقعس الى المجد ادنى ام عشيرة حاتم هكذا انشده الحسين بن علي المغربي وهو استفعال من الفتيا وهي الفتوى وافتى في المسئلة بين حكمها الاعراب وما يتلى عليكم موضعه رفع بالابتداء تقديره الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب ايضا يفتيكم فيهن وقال الفراء يجوز ان يكون موضعه جرا على المضمر المجرور في فيهن وهذا بعيد لان الظاهر لا يحسن عطفه على الضمير المجرور وقيل يجوز ان يكون عطفا على النساء في قوله يستفتونك في النساء اي ويستفتونك فيما يتلى عليكم وفي المستضعفين قال الواحدي قوله في يتامى النساء قيل ان تقديره في النساء اليتامى فاضيف الصفة الى الموصوف نحو قولك كتاب الكامل ومسجد الجامع ويوم الجمعة وهذا قول الكوفيين وعند المحققين لا يجوز اضافة الصفة الى الموصوف بل النساء هنا امهات اليتامى اضيفت اليهن اولادهن قال اقول يجوز ان تضاف اليتامى ايضا الى النساء اذا كن من جملتهن فيكون الاضافة بمعنى من كما يقال خيار النساء وشرار النساء وصغار النساء وهذا اشبه بما يساق اليه معنى الاية والمستضعفين جر عطف على يتامى النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط في موضع جر ايضا والتقدير وما يتلى عليكم من الايات في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا لليتامى بالقسط يفتيكم ايضا فيهن المعنى ثم عاد كلام الله عز اسمه الى ذكر النساء والايتام وقد جرى ذكرهم في اول السورة فقال ويستفتونك اي يسألونك الفتوى وهو تبيين المشكل من الاحكام في النساء ويستخبرونك يا محمد عن الحكم فيهن وعما يجب لهن وعليهن وانما حذف ذلك باحاطة العلم بان السؤال في امر الدين انما يقع عما يجوز وعما لا يجوز وما يجب وما لا يجب قل الله يفتيكم فيهن معناه قل يا محمد الله يبين لكم ما سألتم في شأنهن وما يتلى عليكم في الكتاب اي ويفتيكم ايضا ما يقرأ عليكم في الكتاب اي القران وتقديره وكتابه يفتيكم اي يبين لكم الفرائض المذكورة في يتامى النساء اي الصغار اللاتي لم يبلغن وقوله اللاتي لا تؤتونهن اي لا تعطونهن ما كتب لهن واختلف في تأويله على اقوال اولها ان المعنى وما يتلى عليكم في توريث صغار النساء وهو ايات الفرائض التي في اول السورة وكان اهل الجاهلية لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المراة وكانوا يقولون لا نورث الا من قاتل ودفع عن الحريم فانزل الله تعالى اية المواريث في اول السورة وهو معنى قوله لا تؤتونهن ما كتب لهن اي من الميراث عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وثانيها ان المعنى اللاتي لا تؤتونهن ما وجب لهن من الصداق وكانوا لا يؤتون اليتامى اللاتي يكون عليهن حق الصداق فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم وقوله وما يتلى عليكم هو ما ذكره في اول السورة من قوله وان خفتم الا تقسطوا الاية عن عايشه وهو اختيار ابي علي الجبائي واختار الطبري القول الاول واعترض على هذا القول بان قال ليس الصداق مما كتب الله للنساء الا بالنكاح فما لم تنكح فلا صداق لها عند احد وثالثها ان المراد بقوله لا تؤتونهن ما كتب لهن النكاح الذي كتب الله لهن في قوله فانكحوا ما طاب لكم الاية وكان الولي يمنعهن عن التزويج عن الحسن وقتادة والسدي وابن مالك قالوا كان الرجل يكون في حجره اليتيمة بها دمامة ولها مال فكان يرغب ان يتزوجها ويحبسها طمعا ان تموت فيرثها قال السدي وكان جابر بن عبد الله الانصاري له بنت عم عمياء دميمة وقد ورثت عن ابيها مالا فكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها مخافة ان يذهب الزوج بمالها

بمالها فسال النبي عن ذلك فنزلت الاية وقوله وترغبون ان تنكحوهن معناه على القول الاول والثالث وترغبون عن ان تنكحوهن اي عن نكاحهن ولا تؤتونهن نصيبهن من الميراث فيرغب فيهن غيركم فقد ظلمتموهن من وجهين وفي قول عايشه معناه وترغبون في ان تنكحوهن اي في نكاحهن لجمالهن او مالهن والمستضعفين من الولدان معناه ويفتيكم في المستضعفين من الصبيان الصغار ان تعطوهم حقوقهم وكانوا لا يورثون صغيرا من الغلمان والجواري لان ما يتلى عليكم في باب اليتامى من قوله واتوا اليتامى اموالهم يدل على الفتيا في اعطاء حقوق الصغار من الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط اي ويفتيكم في ان تقوموا لليتامى بالعدل في انفسهم وفي مواريثهم واموالهم وتصرفاتهم واعطاء كل ذي حق منهم حقه صغيرا كان او كبيرا ذكرا كان او انثى وفيه اشارة الى قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الاية وما تفعلوا من خير اي مهما فعلتم ايها المؤمنون من عدل وبر في امر النساء واليتامى وانتهيتم في ذلك الى امر الله وطاعته فان الله كان به عليما اي لم يزل به عالما ولا يزال كذلك يجازيكم ولا يضيع عنده شئ منه قوله عز وجل وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا اية القراءة قرا اهل الكوفة ان يصلحا بضم الياء وكسر اللام وسكون الصاد والباقون يصالحا بتشديد الصاد وفتح الياء الحجة الاعرف في الاستعمال يصالحا وزعم سيبويه ان بعضهم قرا يصلحا فيصلحا يفتعلا وافتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صحت الواو في اجتوروا واعتوروا لما كان بمعنى تجاوروا وتعاوروا فهذا حجة لمن قرا ان يصالحا ومن قرا يصلحا فان الاصلاح عند التنازع قد استعمل كما في قوله تعالى فاصلح بينهم وقوله صلحا يكون مفعولا على قراءة من قرا يصلحا كما يقول اصلحت ثوبا ومن قرا يصالحا فيجوز ان يكون صلحا مفعولا ايضا لان تفاعل قد جاء متعديا ويجوز ان يكون مصدرا حذفت زوائده كما قال فان تهلك فذلك كان قدري اي تقديري ويجوز ان يكون قد وضع المصدر موضع الاسم كما وضع الاسم موضع المصدر في نحو قوله بما كرت حاجتها الدجاج بسحرة وقوله وبعد عطائك المائة الرتاعا اللغة النشوز مر ذكره في هذه السورة والشح افراط في الحرص على الشئ ويكون بالمال وبغيره من الاعراض يقال هو شحيح بمودتك اي حريص على دوامها ولا يقال في ذلك بخيل والبخل يكون بالمال خاصة قال الشاعر لقد كنت في قوم عليك اشحة بفقدك الا ان من طاح طايح يودون لو خاطوا عليك جلودهم وهل يدفع الموت النفوس الشحايح الاعراب وان امراة خافت امراة ارتفعت بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر بعدها وهو اضمار قبل الذكر على شريطة التفسير وتقديره ان خافت امراة خافت ولو قلت ان امراة تخف ففرقت بين ان الجزاء والفعل المستقبل فذلك قبيح لان ان لا يفصل بينها وبين ما تجزم وذلك في الشعر جائز في ان وغيرها قال الشاعر فمتى واغل ينبهم يحيوه وتعطف وعليه كاس الساقي فاما الماضي فان غير عاملة في لفظه وان ام حروف الجزاء فجاز ان يفرق بينها وبين الفعل واما غيران فالفصل قبيح فيه مع الماضي والمستقبل جميعا النزول كانت بنت محمد بن مسلمة عند رافع بن خديج وكانت قد دخلت في السن وكانت عنده امراة شابة سواها فطلقها طليقة حتى اذا بقي من اجلها يسير قال ان شئت راجعتك وصبرت على الاثرة وان شئت تركتك قالت بلى راجعني واصبر على الاثرة فراجعها فذلك الصلح الذي بلغنا ان الله تعالى انزل فيه هذه الاية عن ابي جعفر عليه السلم وسعيد بن المسيب وقيل خشيت سودة بنت زمعة ان يطلقها رسول الله عليه السلم فقالت لا تطلقني واحبسني مع نسائك ولا تقسم لي واجعل يومي لعايشه فنزلت الاية عن ابن عباس المعنى لما تقدم حكم نشوز المراة بين تعالى حكم نشوز الرجل فقال وان امراة خافت اي علمت وقيل ظنت من بعلها اي زوجها نشوزا اي استعلاء وارتفاعا بنفسه عنها الى غيرها اما لبغضه واما لكراهته منها شيئا اما دمامتها واما علو سنها او غير ذلك او اعراضا يعني انصرافا بوجهه او ببعض منافعه التي كانت لها منه وقيل يعني باعراضه عنها هجرانه اياها وجفاه بها وميله الى غيرها فلا جناح عليهما اي لا حرج ولا اثم على كل واحد منهما من الزوج والزوجة ان يصالحا بينهما صلحا بان تترك المراة له يومها او تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقة او كسوة او غير ذلك تستعطفه بذلك وتستديم المقام في حباله والصلح

خير معناه والصلح بترك بعض الحق خير من طلب الفرقة بعد الالفة هذا اذا كان بطيبة من نفسها وان لم يكن كذلك فلا يجوز له الا ما يسوغ فى الشرع من القيام بالكسوة والنفقة والقسمة والا طلقها وبهذه الجملة قالت الصحابة والتابعون منهم على عليه السلام وابن عباس وعايشة وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد وغيرهم واحضرت الانفس الشح اختلف فى تاويله فقيل معناه واحضرت انفس النساء الشح على انصبائهن من انفس ازواجهن واموالهم واياماهن منهم عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والسدى وقيل معناه واحضرت انفس كل واحد من الرجل والمرءة الشح بحقه قبل صاحبه فشح المراة يكون بترك حقها من النفقة والكسوة والقسمة وغيرها وشح الرجل بانفاقه على التى لا يريدها وهذا اعم وبه قال ابن وهب وابن زيد وان تحسنوا خطاب للرجال اى ان تفعلوا الجميل بالصبر على من تكرهون من النساء وتتقوا من الجور عليهن فى النفقة والكسوة والعشرة بالمعروف وقيل ان تحسنوا فى اقوالكم وافعالكم وتتقوا معاصى الله فان الله كان بما تعملون خبيرا اى هو تعالى خبير بما يكون منكم فى امرهن يحفظه لكم وعليكم حتى يجازيكم باعمالكم قوله عز وجل وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا اللغة الاستطاعة والقوة والقدرة نظاير والسعة خلاف الضيق والواسع فى صفات القديم سبحانه اختلف فى معناه فقيل انه واسع العطا اى المكثر منه وقيل هو واسع الرحمة ويؤيده قوله سبحانه ورحمتى وسعت كل شىء وقيل انه واسع المقدور المعنى لما تقدم ذكر النشوز والصلح بين الزوجين عقبه تعالى بانه لا يكلف من ذلك ما لا يستطاع فقال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم اى لن تقدروا ان تسووا بين النساء فى المحبة والمودة بالقلب ولو حرصتم على ذلك كل الحرص فان ذلك ليس اليكم ولا تملكونه ولا تكلفونه ولا تواخذون به عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل معناه لن تقدروا ان تعدلوا بالتسوية بين النساء فى كل الامور من جميع الوجوه من النفقة والكسوة والعطية والمسكن والصحبة والبر والبشر وغير ذلك والمراد به ان ذلك لا يخف عليكم بل يثقل ويشق لميلكم الى بعضهن فلا تميلوا كل الميل اى فلا تعدلوا باهوايكم عن من لم تملكوا محبته منهن كل العدول حتى يحملكم ذلك على ان تجوروا على صواحبها فى ترك اداء الواجب لهن عليكم من حق القسمة والنفقة والكسوة والعشرة بالمعروف فتذروها كالمعلقة اى تذروا التى لا تميلون اليها كالتى هى لا ذات زوج ولا ايم عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغيرهم وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام وابى عبد الله عليه السلام وذكر على بن ابرهيم بن هاشم فى تفسيره انه سئل رجل من الزنادقة ابا جعفر الاحول عن قوله تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ثم قال ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وبين القولين فرق قال فلم يكن عندى جواب فى ذلك حتى قدمت المدينة فدخلت على ابى عبد الله عليه السلام فسالته عن ذلك فقال اما قوله فان خفتم الا تعدلوا فانه عنى فى النفقة واما قوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا فانه عنى فى المودة فانه لا يقدر احد ان يعدل بين امراتين فى المودة قال فرجعت الى الرجل فاخبرته فقال هذا ما حملته من الحجاز وروى ابو قلابة عن النبى عليه السلام انه كان يقسم بين نسائه ويقول اللهم هذه قسمتى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك وقوله وان تصلحوا يعنى فى القسمة بين الازواج والتسوية بينهن فى النفقة وغير ذلك وتتقوا الله فى امرهن وتتركوا الميل الذى نهاكم الله تعالى عنه فى تفضيل واحدة على الاخرى فان الله كان غفورا رحيما يستر عليكم ما مضى منكم من الحيف فى ذلك اذا تبتم ورجعتم الى الاستقامة والتسوية بينهن ويرحمكم بترك المواخذة على ذلك وكذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم وروى عن جعفر الصادق عليه السلام عن ابائه ان النبى عليه السلام كان يقسم بين نسائه فى مرضه فيطاف به بينهن وروى ان عليا عليه السلام كان له امراتان فكان اذا كان يوم واحدة لا يتوضا فى بيت الاخرى وكان معاذ بن جبل له امراتان ماتتا فى الطاعون فاقرع بينهما ايهما تدفن قبل الاخرى وقوله وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته يعنى اذا ابى كل واحد من الزوجين مصالحة الاخر بان تطالب المراة بنصيبها من القسمة والنفقة والكسوة وحسن العشرة ويمتنع الزوج من اجابتها الى ذلك ويتفرقا حينئذ بالطلاق فان الله تعالى يغنى كل واحد منهما من سعته اى من سعة فضله ورزقه وكان الله واسعا حكيما اى لم يزل كان واسع الفضل

على عباده حكيما فيما يدبرهم به وفى هذه الاية دلالة على ان الارزاق كلها بيد الله وهو الذى يتولاها بحكمته وان كان ربما اجراها على يدى من يشاء من بريته قوله عز وجل وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ايات المعنى ثم ذكر تعالى بعد اخباره باغناء كل واحد من الزوجين بعد الافتراق من سعة فضله ما يوجب الرغبة اليه فى ابتغاء الخير منه تعالى فقال ولله ما فى السموات وما فى الارض اخبار عن كمال قدرته وسعة ملكه اى فان من يملك ما فى السموات وما فى الارض لا يتعذر عليه الاغناء بعد الفرقة والايناس بعد الوحشة ثم ذكر الوصية بالتقوى فان بها ينال خير الدنيا والاخرة فقال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من اليهود والنصارى وغيرهم واياكم اى واوصيناكم ايضا ايها المسلمون فى كتابكم ان اتقوا الله وتقديره بان اتقوا الله اى اتقوا عذابه باتقاء معاصيه ولا تخالفوا امره ونهيه وان تكفروا اى تجحدوا وصيته اياكم فتخالفوها فان لله ما فى السموات وما فى الارض لا يضره كفرانكم وعصيانكم وهذه اشارة الى ان امر جميع الامم بطاعته ونهيه اياهم عن معصيته ليس استكثارا بهم من قلة ولا استنصارا بهم عن ذلة ولا استغناء بهم عن حاجة فان لله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا وخلقا لا يلحقه العجز ولا يعتريه الضعف ولا يجوز عليه الحاجة وانما امرنا ونهانا نعمة منه علينا ورحمة بنا وكان الله غنيا اى لم يزل تعالى غير محتاج الى خلقه بل الخلايق كلهم محتاجون اليه حميدا اى مستوجبا الحمد عليكم بصنايعه الحميدة اليكم والائه الجميلة لديكم فاستديموا ذلك باتقاء معاصيه والمسارعة الى طاعته فيما يامركم به ثم قال ولله ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا اى حافظا لجميعه لا يعزب عنه علم شىء منه ولا يؤوده حفظه وتدبيره ولا يحتاج مع سعة ملكه الى غيره واما وجه التكرار لقوله ولله ما فى السموات وما فى الارض فى الايتين ثلث مرات فقد قيل انه للتاكيد والتذكير وقيل انه لله عن علل ثلث احدها بيان ايجاب طاعته فيما قضى به لان له ملك السموات والارض والثانى بيان غناه عن خلقه وحاجتهم اليه واستحقاقه الحمد على النعم لان له ما فى السموات وما فى الارض والثالث بيان حفظه اياهم وتدبيره لهم لان له ملك السموات والارض قوله عز وجل إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ايتان المعنى لما ذكر تعالى غناه عن الخلق بان له ملك السموات والارض عقب ذلك بذكر كمال اقتداره على خلقه وان له الاهلاك والانجاء والاستبدال بعد الافناء فقال ان يشا يذهبكم يعنى ان يشاء الله يهلككم ايها الناس ويفنيكم وقيل فيه محذوف اى ان يشا ان يذهبكم يذهبكم ويات باخرين اى بقوم اخرين غيركم ينصرون نبيه ويوازرونه وروى انه لما نزلت هذه الاية ضرب النبى عليه السلام يده على ظهر سلمان وقال هم قوم هذا يعنى عجم الفرس وكان الله على ذلك قديرا اى لم يزل تعالى ولا يزال قادرا على الابدال والافناء والاعادة ثم ذكر تعالى عظيم ملكه وقدرته بان جزاء الدارين عنده فقال من كان يريد ثواب الدنيا اى الغنيمة والمنافع الدنيوية اخبر تعالى عمن اظهر الايمان بمجمد من اهل النفاق يريد عرض الدنيا باظهاره ما اظهر من الايمان بلسانه فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فيطلب المجاهد الثوابين عند الله تعالى عن ابى على الجبائى وقيل انه وعيد للمنافقين وثوابهم فى الدنيا ما ياخذونه من الفىء والغنيمة اذا شهدوا الحرب مع المسلمين وامنهم على نفوسهم واموالهم وذراريهم وثوابهم فى الاخرة النار وكان الله سميعا بصيرا اى لم يزل على صفة يجب لاجلها ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات عند الوجود وهذه الصفة هو كونه حيا لا افة به وقيل انه انما ذكر ذلك هنا ليبين انه يسمع ما يقوله المنافقون اذا خلوا الى شياطينهم ويعلم ما يسرونه من نفاقهم قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا اية القراءة قرا ابن عامر وحمزة ان تلوا بضم اللام وواو واحدة ساكنة والباقون تلووا بواوين الاولى مضمومة واللام ساكنة الحجة من قرا بواو واحدة فحجته ان يقول

اى علك سبحانه الدنيا والآخرة

انه من الولاية وولاية الشئ اقبال عليه وخلافها الاعراض عنه فيكون المعنى ان تقبلوا او تعرضوا فان الله خبيرا بما عملكم يجازى المحسن المقبل باحسانه والمسئ المعرض باعراضه وتركه الاقبال على ما يلزمه ان يقبل عليه قال واذا قرئت تلووا فهو من اللى واللى مثل الاعراض فيكون كالتكرير الا ترى ان قوله لووا روسهم ورايتهم يصدون معناه الاعراض وترك الانقياد للحق ومن قرا تلووا من لوى فحجته ان يقول لا ينكر ان يتكرر اللفظان بمعنى واحد نحو قوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقال الشاعر وهندا اتى من دونها النائ والبعد وقول الاخر والفى قولها كذبا ومينا وقيل ان تلو لا يجوز ان يكون تلووا وان الواو التى هى عين همزت لانضمامها كما همزت فى ادور ثم طرحت الهمزة والقيت حركتها على اللام التى هى ياء فصار تلو كما يطرح الهمزة فى ادور ويلقى حركتها على الدال فيصير ادر اللغة القسط والاقساط العدل يقال اقسط الرجل اقساطا اذا اعدل واتى بالقسط وقسط الرجل يقسط قسوطا اذا جار ويقال قسط البعير يقسط قسطا اذا يبست يده ويد قسطا اى يابسة فكان معنى قسط اقام الشئ على حقيقته فى التعديل وكان قسط اى جار معناه بيس الشئ وافسد جهته المستقيمة والقوام فعال من القيام وهو ان يكون عادته القيام واللى الدفع يقال لويت فلانا حقه اذا دافعته ومطلته ومنه الحديث لى الواجد ظلم اى مطل الغنى جور الاعراب شهداء نصب على الحال من الضمير فى قوله قوامين وهو ضمير الذين امنوا ويجوز ان يكون خبر كان على ان لها خبرين نحو هذا حلو حامض ويجوز ان يكون صفة لقوامين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما لم يقل به لانه اراد فالله اولى بغنى الغنى وفقر الفقير لان ذلك منه تعالى وقيل انما ثنى الضمير لان او فى هذا الموضع بمعنى الواو وقيل انه تعالى لم يقصد غنيا بعينه ولا فقيرا بعينه فهو مجهول وما ذاك حكمه جاز ان يعود اليه الضمير بالتوحيد والتثنية والجمع وقد ذكر ان فى قراءة ابى فالله اولى بهم وقيل انما قال بهما لانهما قد ذكرا كما قال وله اخ او اخت فلكل واحد منهما وقيل انما جاز ذلك لانه اضمر فيه من خاصم على ما نذكره فى المعنى مشروحا وان تعدلوا يجوز ان يكون فى موضع نصب بانه مفعول له اى هربا من ان تعدلوا او كراهة من ان تعدلوا ويجوز ان يكون على معنى فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا المعنى لما ذكر تعالى ان عنده ثواب الدنيا والاخرة عقبه بالامر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والحوب فقال يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط اى دايمين على القيام بالعدل ومعناه ليكن عادتكم القيام بالعدل فى القول والفعل شهداء لله وهو جمع شهيد امر الله تعالى عباده بالثبات والدوام على قول الحق والشهادة بالصدق تقربا اليه وطلبا لمرضاته وعن ابن عباس كونوا قوالين بالحق فى الشهادة على من كانت ولمن كانت من قريب او بعيد ولو على انفسكم اى ولو كانت شهادتكم على انفسكم او الوالدين والاقربين اى على والديكم وعلى اقرب الناس اليكم فقوموا فيها بالقسط والعدل واقيموها على الصحة والحق ولا تميلوا فيها لغنى غنى ولا لفقر فقير فان الله تعالى قد سوى بين الغنى والفقير فيما الزمكم من اقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل وفى هذا دلالة على جواز شهادة الوالد لولده والولد لوالده وعليه وشهادة كل ذى قرابة لقريبه وعليه والى هذا ذهب ابن عباس فى قوله قوله امر الله تعالى المؤمنين ان يقولوا الحق ولو على انفسهم او ابائهم او ابنائهم ولا يحابوا غنيا لغناه ولا مسكينا لمسكنته وقال ابن شهاب الزهرى كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيما بعد تهمة وظهرت منهم امور حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم واما شهادة الانسان على نفسه فيكون بالاقرار للخصم فاقراره له شهادة منه على نفسه وشهادته لنفسه لا يقبل ان يكن غنيا او فقيرا معناه ان يكن المشهود عليه غنيا او فقيرا فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق والشهادة بالصدق وفائدة ذلك ان الشاهد ربما امتنع عن الشهادة للغنى على الفقير لاستغناء المشهود له وفقر المشهود عليه فلا يقيم الشهادة شفقة على الفقير وربما امتنع عن اقامة الشهادة للفقير على الغنى تهاونا للفقير وتوقيرا للغنى او خشية منه او حشمة له فبين تعالى بقوله فالله اولى بهما اى انه اولى بالغنى والفقير وانظر لهما من سائر الناس اى فلا تمتنعوا من اقامة الشهادة على الفقير شفقة عليه ونظرا له ولا من اقامة الشهادة للغنى لاستغنائه عن المشهود به فان الله تعالى امركم بذلك مع علمه بغنى الغنى وفقر الفقير فراعوا امره فيما امركم به فانه اعلم بمصالح العباد منكم فلا تتبعوا الهوى يعنى هوى الانفس فى اقامة الشهادة فتشهدوا على انسان لاحنة بينكم وبينه او وحشة او عصبية وتمنعوا الشهادة لاحد هذه المعانى او تشهدوا لانسان بغير حق لميلكم اليه بحكم صداقة او قرابة ان

تعدلوا اى لان تعدلوا يعنى لاجل ان تعدلوا فى الشهادة قال الفراء هذا كقولهم لا تتبع هواك لترضى ربك اى كيما ترضى ربك وقيل انه من العدول الذى هو الميل والجور ومعناه لا تتبعوا الهوى فى ان تعدلوا عن الحق او لان تعدلوا عن الحق وان تلووا اى تمطلوا فى اداء الشهادة او تعرضوا عن ادائها عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان الخطاب للحكام اى فان تلووا ايها الحكام فى الحكم لاحد الخصمين على الاخر او تعرضوا عن احدهما الى الاخر عن ابن عباس وعن السدى وقيل معناه ان تلووا اى تبدلوا الشهادة او تعرضوا اى تكتموها عن ابن زيد والضحاك وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام فان الله كان بما تعملون خبيرا معناه انه كان عالما بما يكون منكم من اقامة الشهادة او تحريفها والاعراض عنها وفى هذه الاية دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وسلوك طريقة العدل فى النفس والغير وقد روى عن ابن عباس فى معنا قوله وان تلووا او تعرضوا انهما الرجلان يجلسان بين يدى القاضى فيكون لى القاضى واعراضه لاحدهما على الاخر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا اية القراءة قرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو نزل وانزل بالضم وكسر الزاء والباقون نزل وانزل بفتحهما الحجة من قرا بالضم فحجته قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ويعلمون انه منزل من ربك بالحق ومن قرا نزل وانزل فقوله انا نحن نزلنا الذكر وانزلنا اليك الذكر المعنى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله قيل فيه ثلاثة اقوال احدها وهو الصحيح المعتمد عليه ان معناه يا ايها الذين امنوا فى الظاهر بالاقرار بالله ورسوله امنوا فى الباطن ليوافق باطنكم ظاهركم ويكون الخطاب للمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون والكتاب الذى نزل على رسوله هو القران والكتاب الذى انزل من قبل هو التورية والانجيل عن الزجاج وغيره وثانيها ان يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهرا وباطنا فيكون معناه اثبتوا على هذا الايمان فى المستقبل وداوموا عليه ولا تنتقلوا عنه عن الحسن واختار الجبائى قال لان الايمان الذى هو التصديق لا يبقى وانما يستمر بان يجدده الانسان حالا بعد حال وثالثها ان الخطاب لاهل الكتاب امروا بان يؤمنوا بالنبى عليه السلام والكتاب الذى انزل عليه كما امنوا بما معهم من الكتب ويكون فى قوله والكتاب الذى انزل من قبل اشارة الى ما معهم من التورية والانجيل ويكون وجه امرهم بالتصديق بهما وان كانوا مصدقين بهما احد امرين اما ان يكون لان التورية والانجيل فيهما صفات نبينا عليه السلام وتصديقه وتصحيح نبوته فمن لم يصدقه ولم يصدق القران لا يكون مصدقا بهما لان فى تكذيبه تكذيب التورية والانجيل فيجب عليهم التصديق به وبما معه ليكونوا مصدقين بما معهم من التورية والانجيل واما ان يكون الله تعالى امرهم بالاقرار بمحمد وبالقران وبالكتاب الذى انزل من قبله وهو الانجيل وذلك لا يصح الا بالاقرار بعيسى عليه السلام ايضا وانه نبى مرسل ويعضد هذا الوجه ما روى عن عبد الله بن عباس انه قال ان الاية نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب عبد الله بن سلام واسد واسيد ابنى كعب وثعلبة بن قيس وابن اخت عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وهؤلاء من كبار اهل الكتاب قالوا نؤمن بك وبكتابك وبموسى وبالتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب ومن سواهم من الرسل فقيل لهم بل امنوا بالله ورسوله الاية فامنوا كما امرهم الله تعالى ومن يكفر بالله اى يجحده او يشبهه بخلقه او يرد امره ونهيه وملائكته او ينفيهم او ينزلهم منزلا لا يليق بهم كما قالوا انهم بنات الله تعالى وكتبه فيجحدها ورسله فينكرهم واليوم الاخر اى يوم القيمة فقد ضل ضلالا بعيدا اى ذهب عن الحق وقصد السبيل ذهابا بعيدا وقال الحسن الضلال البعيد هو ما لا ائتلاف له والمعنى ان من كفر بمحمد وجحد نبوته فكانه جحد جميع ذلك لانه لا يصح ايمان احد من الخلق بشئ مما امر الله الايمان به وبما انزله الله على وفى هذا تهديد لاهل الكتاب واعلام لهم ان اقرارهم بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر لا ينفعهم مع جحدهم نبوة محمد صلى الله عليه واله ويكون وجوده وعدمه سواء النظم وجه اتصال الاية بما قبلها ان الله تعالى لما بين الاسلام عقبه بالدعاء الى الايمان وشرايطه وقيل انها يتصل بقوله كونوا قوامين بالقسط اى هو الايمان على الوجه المذكور قوله عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم

وبامين بن يامين

الله بالايمان به

والقيام بالقسط

عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المومنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ثلث آيات
اللغة اصل البشارة الخبر السار الذى يظهر به السرور فى بشرة الوجه ثم يستعمل فى الخبر الذى يغم ايضا وضع اخبارهم بالعذاب
موضع البشارة لهم والعرب تقول تحيتك الضرب وعتابك السيف اى تضع الضرب موضع التحية والسيف موضع العتاب قال
الشاعر وخيل قد دلفت بها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع واصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة الشديدة عزاز ومنه
قيل عز على ان يكون كذا اى اشتد على وعز الشئ اى صعب وجوده واشتد حصوله واعتز فلان بفلان اذا استظهر به والعزيز
القوى المنيع بخلاف الذليل المعنى ثم قال تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا قيل فى معناه اقوال احدها انه عنى به ان الذين امنوا
بموسى ثم كفروا بعبادة العجل وغير ذلك ثم امنوا يعنى النصارى بعيسى ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلم عن قتادة
وثانيها ان المراد امنوا بموسى ثم كفروا بعد موسى ثم امنوا بعزير ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه السلم عن الزجاج والفرا
وثالثها انه عنى به طائفة من اهل الكتاب ارادوا تشكيك نفر من اصحاب رسول الله عليه السلم فكانوا يظهرون الايمان بحضرتهم
ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة اخرى فيكفرون ثم ازدادوا الكفر بالثبات عليه الى الموت عن الحسن وذلك معنى قوله
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ورابعها ان
المراد به المنافقون امنوا ثم ارتدوا ثم امنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم عن مجاهد وابن زيد وقال ابن عباس دخل فى هذه
الاية كل منافق كان فى عهد النبى عليه السلم فى البر والبحر لم يكن الله ليغفر لهم باظهارهم الايمان فلو كانت بواطنهم كظواهرهم
فى الايمان لما كفروا فيما بعد ولا ليهديهم سبيلا معناه ولا يهديهم الى سبيل الجنة كما قال فيما بعد ولا ليهديهم طريقا الا طريق
جهنم ويجوز ان يكون المعنى انه يخذلهم ولا يلطف لهم عقوبة لهم على كفرهم المتقدم ثم قال تعالى بشر المنافقين اى اخبرهم
يا محمد بان لهم فى الاخرة عذابا اليما اى وجيعا ان ماتوا على كفرهم ونفاقهم وفى هذا دلالة على ان الاية المتقدمة نزلت فى
شان المنافقين وانه الاصح من الاقوال المذكورة ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال الذين يتخذون الكافرين اى مشركى العرب وقيل اليهود
اولياء اى ناصرين ومعينين واخلاء من دون المومنين اى من غيرهم ايبتغون عندهم العزة اى ايطلبون عندهم القوة و
المنعة باتخاذهم هؤلاء اولياء من دون اهل الايمان بالله تعالى ثم اخبر تعالى ان العزة والمنعة له فقال فان العزة لله جميعا
يريد تعالى انهم لو امنوا مخلصين له وطلبوا الاعتزاز بالله تعالى وبدينه وبرسوله والمومنين لكان ذلك اولى بهم من
الاعتزاز بالمشركين فان العزة بجملتها لله تعالى ومن عنده يعز من يشاء ويذل من يشاء قوله عز وجل وقد نزل عليكم
فى الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم
ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا اية القراءة قرا عاصم ويعقوب نزل بالفتح والباقون نزل بضم النون وكسر الزاء
الحجة والوجه فى القرائتين ما ذكرناه قبل الاعراب اذا قرات نزل بالفتح فان فى موضع نصب لان تقديره نزل الله ذلك واذا
قرات نزل فان فى موضع رفع وان هذه هى المخففة من الثقيلة النزول كان المنافقون يجلسون الى احبار اليهود فيسخرون
من القران فنهاهم الله تعالى عن ذلك عن ابن عباس المعنى لما تقدم ذكر المنافقين وموالاتهم للكفار عقب ذلك بالنهى
عن مجالستهم ومخالطتهم فقال وقد نزل عليكم فى الكتاب اى فى القران ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزا بها اى يكفر
بها المشركون والمنافقون ويستهزؤن بها فلا تقعدوا معهم اى مع هؤلاء المستهزئين الكافرين حتى يخوضوا فى حديث
غيره اى حتى ياخذوا فى حديث غير الاستهزاء بالدين وقيل حتى يرجعوا الى الايمان ويتركوا الكفر والاستهزاء والمنزل فى
الكتاب هو قوله تعالى فى سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره
وفى هذا دلالة على تحريم مجالسة الكفار عند كفرهم بايات الله واستهزائهم بها وعلى اباحة مجالستهم عند خوضهم فى حديث
غيره وروى عن الحسن ان اباحة القعود مع الكفار عند خوضهم فى حديث اخر غير كفرهم واستهزائهم بالقران منسوخ
بقوله تعالى فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين انكم اذا مثلهم يعنى انكم ان جالستموهم على الخوض فى كتاب الله

والمزيد

والمزيد فانتم مثلهم وانما حكم بانهم مثلهم لانهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم على الانكار ولم يظهروا الكراهية لذلك ومتى كانوا
راضين بالكفر كانوا كفارا لان الرضاء بالكفر كفر وفى الاية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة على ذلك وزوال العذر
وان من ترك ذلك مع القدرة عليه فهو مخطئ اثم وفيها ايضا دلالة على تحريم مجالسة الفساق والمبتدعين من اى جنس كانوا وبه
قال جماعة من المفسرين وذهب اليه عبد الله بن مسعود وابرهيم وابو وايل قال ابرهيم ومن ذلك اذا تكلم الرجل فى مجلس بكذب
فيضحك منه جلساؤه فيسخط الله عليهم وبه قال عمر بن عبد العزيز وروى انه ضرب صايما كان قاعدا مع قوم يشربون الخمر وروى
ايضا العياشى باسناده عن على بن موسى الرضا عليه السلم فى تفسير هذه الاية قال سمعت الرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع فى
اهله فقم من عنده ولا تقاعده وروى عن ابن عباس انه قال امر الله تعالى فى هذه الاية بالانفاق ونهى عن الاختلاف و
الفرقة والمراء والخصومة وبه قال الطبرى والبلخى والجبائى وجماعة من المفسرين وقال الجبائى ما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع
صوتهم ولا يقدر على انكاره فليس بمحظور وانما المحظور مجالستهم من غير اظهار كراهية لما يسمعه او يراه قال وفى الاية دلالة
على بطلان قول نفاة الاعراض وقولهم ليس ههنا شئ غير الاجسام لانه قال حتى يخوضوا فى حديث غيره فاثبت غير ما كانوا
فيه وذلك هو العرض ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا اى ان الله يجمع الفريقين من اهل الكفر والنفاق فى
القيمة فى النار والعقوبة فيها كما اتفقوا فى الدنيا على عداوة المومنين والمظاهرة عليهم قوله عز وجل الذين يتربصون بكم فان
كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المومنين
فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا اية اللغة التربص الانتظار والاستحواذ الغلبة
والاستيلاء يقال حاذ الحمار اتنه اذا استولى عليها وجمعها وكذلك حازها قال العجاج يصف ثورا وكلابا يحوذهن
وله حوذى وروى يحوزهن وله حوزى واستحوذ مما خرج على اصله فمن قال حاذ يحيذ لم يقل الا استحاذ يستحيذ ومن قال احوذ
كما قيل احوذت واطيبت بمعنى احذت واطبت فاخرجه على الاصل قال استحوذ والاحوذى الحاذ المنكمش الخفيف فى اموره
المعنى ثم وصف تعالى المنافقين والكافرين فقال الذين يتربصون بكم اى ينتظرون لكم ايها المومنون لانهم كانوا يقولون سيهلك
محمد واصحابه فنستريح منهم ويظهر قومنا وديننا فان كان لكم فتح من الله اى فان اتفق لكم فتح وظفر على الاعداء قالوا الم نكن معكم
نجاهد عدوكم ونغزوهم معكم فاعطونا نصيبنا من الغنيمة فانا شهدنا القتال وان كان للكافرين نصيب اى حظ باصابتهم من
المومنين قالوا يعنى المنافقين اى قال المنافقون للكافرين الم نستحوذ عليكم اى الم نغلب عليكم عن السدى ومعناه الم نغلبكم على
رايكم بالموالاة لكم ونمنعكم من الدخول فى جملة المومنين وقيل معناه الم نبين لكم انا على ما انتم عليه اى لم نضمكم الى انفسنا و
نطلعكم على اسرار محمد واصحابه ونكتب اليكم باخبارهم حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن وابن جريج ونمنعكم
من المومنين اى ندفع عنكم صولة المومنين بتخذيلنا اياهم عنكم وكوننا عيونا لكم حتى انصرفوا عنكم وغلبتموهم فالله يحكم
بينكم يوم القيمة وهذا اخبار منه تعالى عن نفسه بانه الذى يحكم بين الخلايق يوم القيمة ويفصل بينهم بالحق ولن
يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا قيل فيه اقوال احدها ان المراد لن يجعل الله لليهود على المومنين نصرا
ولا ظهورا عن ابن عباس وقيل لا يجعل للكافرين على المومنين سبيلا بالحجة وان جاز ان يغلبوهم بالقوة لكن المومنين
منصورون بالدلالة والحجة عن السدى والزجاج والبلخى قال الجبائى ولو حملناه على الغلبة لكان ذلك صحيحا لان
غلبة الكفار للمومنين ليس من فعل الله تعالى فانه لا يفعل القبيح وليس كذلك غلبة المومنين للكافرين فانه يجوز ان
ينسب اليه تعالى وقيل لن يجعل لهم فى الاخرة عليهم سبيلا لانه مذكور عقيب قوله فالله يحكم بينكم يوم القيمة بين
الله تعالى انه ان ثبت لهم سبيل على المومنين فى الدنيا بالقتل والقهر والنهب والاسر وغير ذلك من وجوه الغلبة فلن
يجعل الله لهم يوم القيمة عليهم سبيلا بحال قوله عز وجل ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا
الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء

كلا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ١٤٣ اية القراءة في الشواذ قراءة عبد الله بن ابي اسحق يرأّون مثل يرعون والقراءة المشهورة يراءون مثل يراعون وقراءة ابن عباس مذبذبين بكسر الذال الثانية الحجة قال ابن جني يرأّون يفعلون من رايت ومعناه يبصرون الناس ويحملونهم على ان يفعلون ما يتعاطون وهذا اقوى من يراءون بالمد على يفاعلون لان معناه يتعرضون لان يروهم ويراءون معناه يحملونهم على ان يروهم قال الشاعر ترى او تراى عند معقد غرزها تهاويل من اجلاد هر مائوم وقوله مذبذبين مثل قول الشاعر مسيرة شهر للبريد المذبذب اى المهتز القلق الذى لا يثبت في مكان فكذلك هؤلاء اللغة يقال ذبذبته فتذبذب اى حركته فتحرك وهو تحريك شئ معلق قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب كسالى منصوب على الحال من الواو في قاموا ومذبذبين منصوب على الحال من المنافقين المعنى ثم بين تعالى افعالهم القبيحة فقال ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم قد ذكرنا معناه في اول البقرة وعلى الجملة خداع المنافقين الله هو اظهارهم الايمان الذى حقنوا به دماءهم واموالهم وقيل معناه يخادعون نبي الله كما قال انا بايعنا الله فسمى مبايعة النبي مبايعة الله للاختصاص ولان ذلك بامره عن الحسن والزجاج ومعنى خداع الله اياهم ان يجازيهم على خداعهم كما قلناه في قوله الله يستهزئ بهم وقيل هو حكمه بحقن دمائهم مع علمه بباطنهم وقيل ان يعطيهم الله نورا يوم القيمة يمشون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور ويضرب بينهم بسور عن الحسن والسدى وجماعة من المفسرين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى اى متثاقلين يراءون الناس يعنى انهم لا يعملون شيئا من اعمال العبادات على وجه القربة الى الله وانما يفعلون ذلك ابقاء على انفسهم وحذرا من القتل وسلب الاموال واذا راهم المسلمون صلوا ليروهم انهم يدينون بدينهم وان لم يرهم احد لم يصلوا وبه قال قتادة وابن زيد وروى العياشي باسناده عن مسعدة بن زياد عن ابي عبد الله عليه السلم عن ابائه ان رسول الله عليه السلم سئل فيم النجاة غدا قال انما النجاة ان لا تخادعوا الله فيخدعكم فانه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لو شعر فقيل له وكيف يخادع الله قال يعمل بما امر الله ثم يريد به غيره فاتقوا الريا فانه شرك بالله ان المرائى يدعى يوم القيمة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل اجرك ولا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممن كنت تعمل له ولا يذكرون الله الا قليلا اى ذكرا قليلا ومعناه ولا يذكرون الله عن نية واخلاص ولو ذكروه مخلصين لكان كثيرا وانما وصف بالقلة لانه لغير الله عن الحسن وابن عباس وقيل لا يذكرون الا ذكرا يسيرا نحو التكبير والاذكار التى يجهر بها ويتركون التسبيح وما يخافت به من القراءة وغيرها عن ابي على الجبائي وقيل انما وصف الذكر بالقلة لانه تعالى لم يقبله وكل ما رده الله فهو قليل مذبذبين بين ذلك اى مرددين بين الكفر والايمان يريد كانه فعل بهم ذلك وان كان الفعل لهم على الحقيقة وقيل معنى مذبذبين مطرودين من هؤلاء ومن هؤلاء من الذب الذى هو الطرد وصفهم تعالى بالحيرة في دينهم وانهم لا يرجعون الى صحة نية لا مع المؤمنين على بصيرة ولا مع الكفار على جهالة وقال رسول الله عليه السلم ان مثلهم مثل الشاة العايرة بين الغنمين تتحير فتنظر الى هذه والى هذه لا تدرى ايها تتبع لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اى لا مع هؤلاء في الحقيقة ولا مع هؤلاء يظهرون الايمان كما يظهره المؤمنون ويضمرون الكفر كما يظهره المشركون فلم يكونوا مع احد الفريقين في الحقيقة فان المؤمنين يضمرون الايمان كما يظهرونه والمشركين يظهرون الكفر كما يضمرونه ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى طريقا ومذهبا وقد مضى ذكر معنى الاضلال مشروحا في سورة البقرة عند قوله وما يضل به الا الفاسقين فلا معنى لاعادته قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ثلث ايات القراءة قرا اهل الكوفة الا ابا بكر الدرك بسكون الراء والباقون الدرك بفتحها الحجة هما لغتان كالنهر والنهر والسمع والسمع والقص والقصص اللغة السلطان الحجة وهو يذكر ويؤنث قالوا قضت عليك به السلطان وامرك به السلطان ولم يات في القران الا مذكرا وقيل للامير سلطان

ومعناه ذو الحجة واصل الدرك الحبل الذى يوصل به الرشاء ويتعلق به الدلو ثم لما كان في النار سفال من جهة الصورة والمعنى قيل له درك ودرك وجمع الدرك ادراك ودروك وجمع الدرك ادرك المعنى ثم نهى تعالى عن موالاة المنافقين فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء اى نصارا من دون المؤمنين فتكونوا مثلهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اى حجة ظاهرة وهو استفهام يراد به التقرير وفيه دلالة على ان الله تعالى لا يعاقب احدا الا بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق وانه لا يعاقب الاطفال بذنوب الاباء وانه كان لا حجة له تعالى على الخلق لولا معاصيهم الى الخلق قال الحسن معناه اتريدون ان تجعلوا لله سبيلا الى عذابكم بكفركم وتكذيبكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فان للنار طبقات ودركات كما ان للجنة درجات فيكون المنافق في اسفل طبقة منها لقبح فعله عن ابن كثير وابي عبيدة وجماعة وقيل ان المنافقين في توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وقيل ان الادراك يجوز ان يكون منازل بعضها اسفل من بعض بالمسافة ويجوز ان يكون ذلك اخبارا عن بلوغ الغاية في العقاب كما يقال ان السلطان بلغ فلانا الحضيض وبلغ فلانا العرش يريدون بذلك انحطاط المنزلة وعلوها لا المسافة عن ابي القسم البلخي ولن تجد لهم نصيرا يا محمد والخطاب لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم فينقذهم من عذاب الله اذ جعلهم في اسفل طبقة من النار ثم استثنى تعالى فقال الا الذين تابوا من نفاقهم واصلحوا نياتهم وقيل ثبتوا على التوبة في المستقبل واعتصموا بالله اى تمسكوا بكتاب الله وصدقوا رسله وقيل وثقوا بالله تعالى واخلصوا دينهم لله اى تبروا من الالهة والانداد وقيل طلبوا بايمانهم رحمة الله ورضاه مخلصين عن الحسن فاولئك مع المؤمنين اى فانهم اذا فعلوا ذلك يكونون مع المؤمنين في الجنة ومحل الكرامة وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما سوف كلمة ترجية وعدة واطماع وهى من امر الله تعالى ايجاب لانه تعالى اكرم الاكرمين ووعد الكريم انجاز ولم يشترط على غير المنافقين في التوبة من الاصلاح والاعتصام ما شرطه عليهم ثم شرط عليهم بعد ذلك الاخلاص لان النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب ثم قال فاولئك مع المؤمنين ولم يقل فاولئك المؤمنون او من المؤمنين غيظا عليهم ثم اتى بلفظ سوف في اجزاء المؤمنين لانضمام المنافقين اليهم هذا اذا اعنى به جميع المؤمنين من تقدم منه الكفر ومن لم يتقدم ويحتمل ان يكون المراد به زيادة الثواب لمن لم يسبق منه كفر ولا نفاق قوله عز وجل ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما اية المعنى خاطب تعالى بهذه الاية المنافقين الذين تابوا وامنوا واصلحوا اعمالهم فقال ما يفعل الله اى ما يصنع بعذابكم والمعنى لا حاجة بالله الى عذابكم وجعلكم في الدرك الاسفل من جهنم لانه لا يجتلب بعذابكم نفعا ولا يدفع به عن نفسه ضررا اذ هما مستحيلان عليه ان شكرتم اى اديتم الحق الواجب لله عليكم وشكرتموه على نعمه وبرسوله واقررتم بما جاء به من عنده وكان الله شاكرا عليما يعنى لم يزل الله تعالى مجازيا لكم على الشكر فسمى الجزاء باسم المجزى عليه عليما بما تستحقونه من الثواب على الطاعات فلا يضيع عنده شئ منها عن قتادة وغيره وقيل انه يشكر القليل من اعمالكم ويعلم ما ظهر وما بطن من افعالكم واقوالكم ويجازيكم عليها وقال الحسن معناه شاكرا لخلقه على طاعتهم مع معناه عنهم وعنها ويعلم اعمالهم قوله عز وجل لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ايتان القراءة القراءة على ضم الظاء من ظلم وروى ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب وغيرهم الا من ظلم بفتح الظاء واللام الحجة قال ابن جني ظلم وظلم جميعا على الاستثناء المنقطع اى لكن من ظلم فان الله لا يخفى عليه امره ودل عليه قوله وكان الله سميعا عليما وموضع من نصب في الوجهين جميعا قال الزجاج فيكون المعنى لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا لكن الظالم يجهر بذلك ظلما قال ويجوز ان يكون موضع من رفعا على معنا لا يحب الله ان يجهر بالسوء من القول الا من ظلم فيكون من بدلا من معنى احد المعنى لا يحب الله ان يجهر احد بالسوء من القول الا المظلوم قال وفيها وجه اخر لا اعلم احدا من النحويين ذكره وهو ان يكون على معنى لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول المعنى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول قيل فيمعناه اقوال احدها لا يحب الله الشتم في الانتصار الا من ظلم فلا باس له ان ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين عن الحسن والسدى وهو المروى عن

ابي جعفر عليه السلام والسدي ونظيره وانتصروا من بعد ما ظلموا قال الحسن ولا يجوز للرجل اذا قيل يا ذا في ان يقابل بمثل ذلك
من انواع الشتم وثانيها ان معناه لا يحب الله الجهر بالدعاء على احد الا ان يظلم انسان فيدعوا على من ظلمه فلا يكره ذلك عن
ابن عباس وقريب منه قول قتادة يكره رفع الصوت بما يسوء الغير الا المظلوم يدعوا على من ظلم وثالثها ان المراد لا يحب ان
يذم احد احدا او يشكوه او يذكره بالسوء الا ان يظلم فيجوز له ان يشكوا ظالمه ويظهر امره ويذكره بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس
عن مجاهد وروى عن ابي عبد الله عليه السلام انه الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه في ان يذكره بسوء
ما فعله وكان الله سميعا عليما يعني سميعا لما يجهر به من سوء القول عليما بصدق الصادق وكذب الكاذب فيجازي كلا
بعمله وفي هذه الاية دلالة على ان الرجل اذا اهتك ستره واظهر فسقه جاز اظهار ما فيه وقد جاء في الحديث قولوا في الفاسق
ما فيه يعرفه الناس ولا غيبة لفاسق وفيها ترغيب في مكارم الاخلاق ونهي عن كشف عيوب الخلق واخبار بتنزيه ذاته عن ارادة
القبائح فان المحبة اذا تعلقت بالفعل فمعناها الارادة ثم خاطب تعالى جميع المكلفين فقال ان تبدوا اي تظهروا خيرا اي
حسنا جميلا من القول لمن احسن اليكم شكرا له على انعامه عليكم او تخفوه اي تتركوا اظهاره وقيل معناه ان تفعلوا خيرا
او تعزموا عليه وقيل يريد بالخير المال اي تظهروا الصدقة او تخفوها او تعفوا عن سوء معناه او تصفحوا عمن اساء اليكم مع القدرة
على الانتقام منه فلا تجهروا له بالسوء من القول الذي اذنت لكم في ان تجهروا به فان الله كان عفوا اي صفوحا عن خلقه يصفح لهم
عن معاصيهم قديرا اي قادرا على الانتقام منهم وهذا حث منه تعالى لخلقه على العفو عن المسيء مع القدرة على الانتقام والمكافاة
فان الله مع كمال قدرته يعفو عنهم ذنوبا اكثر من ذنب من يسيء اليهم وقد تضمنت الاية التي قبلها اباحة الانتصاف من الظالم بشرط
ان يقف فيه على حد الظلم وموجب الشرع النظم الوجه في اتصال الاية الاولى بما قبلها انه لما سبق ذكر اهل النفاق وهو الاظهار
خلاف الابطان بين تعالى انه ليس كلما يقع في النفس يجوز اظهاره فانه ربما يكون ظنا فاذا تحقق ذلك جاز اظهاره عن علي بن عيسى
قوله عز وجل ان الذين يكفرون بالله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين
ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما ثلث ايات القراءة قرا حفص يؤتيهم بالياء
والباقون نؤتيهم بالنون الحجة حجة حفص قوله سوف يؤت الله المؤمنين وحجة من قرا نؤتيهم قوله واتيناه اجره اولئك سنؤتيهم
المعنى لما تقدم تعالى ذكر المنافقين عقبه بذكر اهل الكتاب والمؤمنين فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله من اليهود والنصارى
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي يقولون نصدق بهذا ونكذب بذاك كما فعلت اليهود
صدقوا بموسى ومن تقدم من الانبياء وكذبوا عيسى ومحمدا وكما فعلت النصارى صدقوا عيسى ومن تقدمه من الانبياء وكذبوا بمحمد ويريدون
ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اي طريقا الى الضلالة التي احدثوها والبدعة التي ابتدعوها يدعون جهال الناس اليه اولئك
هم الكافرون حقا اي هؤلاء الذين اخبرنا عنهم بانهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض هم الكافرون حقيقة فاستيقنوا ذلك
ولا ترتابوا بدعواهم انهم يقرون بما زعموا انهم مقرين به من الكتب والرسل فانهم لو كانوا صادقين في ذلك لصدقوا جميع رسل الله
وانما قال تعالى هم الكافرون حقا على وجه التاكيد لئلا يتوهم متوهم ان قولهم نؤمن بالبعض يخرجهم عن حيز الكفار ويلحقهم بالمؤمنين
واعتدنا اي اعددنا وهيانا للكافرين عذابا مهينا يهينهم ويذلهم والذين امنوا بالله ورسله اي صدقوا الله ووحدوه واقروا
بنبوة رسله ولم يفرقوا بين احد منهم بل امنوا بجميعهم اولئك سوف نؤتيهم اي نعطيهم اجورهم سمى الله تعالى الثواب اجرا دلالة على
انه مستحق اي يعطيهم ثوابهم الذي استحقوه على ايمانهم بالله ورسله وكان الله غفورا رحيما اي لم يزل كان عفوا لمن هذه صفتهم ما سلف
لهم من المعاصي والاثام رحيما متفضلا عليهم بانواع الانعام هاديا لهم الى دار السلام قوله عز وجل يسألك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد
ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا و

قلنا

وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا اية القراءة قرا اهل المدينة لا تعدوا بتسكين العين وتشديد
الدال وروى ورش عن نافع لا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال وقرا الباقون لا تعدوا خفيفة الحجة من قرا لا تعدوا فاصله
لا تعتدوا فادغم التاء في الدال لتقاربهما ولان الدال يزيد على التاء في الجهر قال ابو علي وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين اذا
كان الثاني منهما مدغما ولا يكون الاول حرف لين نحو دابة واصيم وتمود الثوب ويقولون ان المد يصير عوضا من الحركة وقد قال ابو
بكر وحبيب بكو فادغموا والمد الذي فيهما اقل من المد الذي يكون فيهما اذا كان حركة ما قبلهما منهما فاذا جاز ذلك مع نقصان المد
الذي فيه لم يمتنع ان يجمع بين ساكنين في نحو تعدوا ويقوى ذلك جواز نحو اصيم ودويبة ومديق ومن قرا لا تعدوا فان الاصل
فيه لا تعتدوا فسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل حركتها الى العين الساكنة قبلها فصار تعدوا ومن قرا لا تعدوا فهو لا تفعلوا اصل
قوله تعالى اذ يعدون في السبت وحجة الاولين قوله اعتدوا منكم في السبت اللغة قال ابو زيد يقول عدا علي اللص اشد العدو و
العدوان والعدا والعدو واذا سرقك وظلمك وعدا الرجل يعدو عدوا في الحضر وقد عدت عينه عن ذلك اشد العدو وتعدوا
وعدا يعدو اذا جاوز يقال ما عدوت ان زرتك اي ما جاوزت ذلك الاعراب قوله جهرة يجوز ان يكون صفة لقولهم اي
قالوا جهرة اي مجاهرة ارنا الله ويجوز ان يكون على ارنا الله رؤية ظاهرة النزول روي ان كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود
قالوا يا محمد ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتورية جملة فنزلت الاية عن السدي المعنى لما انكر تعالى على
اليهود التفريق بين الرسل في الايمان عقبه بالانكار عليهم في طلبهم المحالات مع ظهور الايات والمعجزات فقال يسألك يا محمد اهل
الكتاب يعني اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السماء اختلف في معناه على اقوال احدها انهم سألوا ان ينزل عليهم كتابا من
السماء مكتوبا كما كانت التورية مكتوبة من عند الله في الالواح عن محمد بن كعب والسدي وثانيها انهم سألوا ان ينزل على رجال
منهم باعيانهم كتابا يامرهم الله فيه بتصديقه واتباعه عن ابن جريج واختاره الطبري وثالثها انهم سألوا ان ينزل عليهم كتابا خاصا
لهم عن قتادة قال الحسن انما سألوا ذلك للتعنت والتحكم في طلب المعجزات لا لظهور الحق ولو سألوه ذلك استرشادا لا عنادا
لاعطاهم الله ذلك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك اي لا تعظمن عليك يا محمد مسألتهم اياك انزال الكتاب عليهم من السماء فانهم سألوا موسى
يعني اليهود اعظم من ذلك بعد ما اتاهم بالايات الظاهرة والمعجزة القاهرة التي تكفي الواحدة منها في معرفة صدقه وصحة نبوته
فلم يقنعهم فقالوا ارنا الله جهرة اي معاينة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم انفسهم بهذا القول وقد ذكرنا قصة هؤلاء وتفسير ما في الاية
في سورة البقرة عند قوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الاية وقوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور الاية ثم اتخذوا
العجل اي عبدوه واتخذوه الها من بعد ما جاءتهم البينات اي الحجج الباهرة قد دل الله تعالى بذلك على جهل القوم وعنادهم
فعفونا عن ذلك مع عظم جريمتهم وجنايتهم وقد اخبر تعالى بهذا عن سعة رحمته ومغفرته وتمام نعمته وانه لا جريمة تضيق
عنها رحمته ولا جناية تقصر عنها مغفرته واتينا موسى اي اعطيناه سلطانا مبينا اي حجة بينة ظاهرة تبين عن صدقه وصحة نبوته
ورفعنا فوقهم الطور اي الجبل لما امتنعوا من العمل بما في التورية وانما نقضوه بعبادة العجل وغيره عن ابي علي الجبائي وقال
ابو مسلم انما رفع الله الجبل فوقهم اظلالا لهم من الشمس جزاء لهم بميثاقهم الذي اخذ عليهم بان يعملوا بما في التورية اي بعهدهم جزاء لهم
على ذلك وهذا القول يخالف اقوال المفسرين وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا يعني من باب حطة وقد مر بيانه هناك و
قلنا لهم لا تعدوا في السبت اي لا تتجاوزوا في يوم السبت ما ابيح لكم الى ما حرم الله عليكم عن قتادة قال امرهم الله ان لا ياكلوا الحيتان
يوم السبت واجاز لهم ما عداه واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا وثيقا وكيدا بان ياتمروا باوامره وينتهوا عن مناهيه وزواجره قوله
عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل
رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما اربع ايات اللغة البهتان الكذب الذي يتحير من شدته وعظمه وقد مر معنى المسيح

سورة آل عمران يقال قتلت الشئ خبرا وعلما اى علمته علما تاما وذلك لان القتل هو التذليل ويكون كالدرس فى انه من التذليل ومنه الرسم الدارس لذلته فقولك درست العلم بمعنى ذللته ويقال فى المثل قتل ارضا عالمها وقتلت ارض جاهلها قال الاصمعى معناه ضبط الامر من يعلمه واول المعنى ان العالم يغلب اهل ارضه والجاهل مغلوب مقهور كما ان الجاهل بالطريق لا يهتدى فيردّه فيه

الاعراب ما فى قوله فبما نقضهم لغو اى فبنقضهم ومعناه التوكيد اى فبنقضهم ميثاقهم حقا والجالب للباء فى بنقضهم والعامل فيه قيل انه محذوف اى لعناهم وقيل العامل فيه قوله حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم عن الزجاج وعلى هذا فقوله بل طبع الله عليها بكفرهم الى اخر الاية اعتراض وكذلك قوله وما قتلوه وما صلبوه الى قوله شهيدا وقوله عيسى بن مريم عطف بيان ركّب مع ابن وجعلا كاسم واحد لوقوع الابن بين علمين مع كونه صفة والصفة ربما ركّب مع الموصوف فجعلا كاسم واحد نحو لا رجل ظريف فى الدار ورسول الله صفة للمسيح او بدل منه واتباع الظن منصوب على الاستثناء وهو استثناء منقطع وليس من الاول فالمعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن المعنى ثم ذكر تعالى افعالهم القبيحة ومجازاته اياهم بها فقال فبما نقضهم اى فبنقض هولاء الذين تقدم ذكرهم ووصفهم ميثاقهم اى عهودهم التى عاهدهم الله عليها ان يعملوا بما فى التورية وكفرهم بايات الله اى بجحودهم باعلام الله وحججه وادلته التى احتج بها عليهم فى صدق انبيائه ورسله وقتلهم الانبياء بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم بغير حق اى بغير استحقاق منهم لذلك بكبيرة اتوها او خطيئة استوجبوا بها القتل وقد قدمنا القول فى امثال هذا وانه انما يذكر على سبيل التوكيد فان قتل الانبياء لا يمكن ان يكون الا بغير حق فهو مثل قوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به والمعنى ان ذلك لا يكون البتة عليه برهان وقولهم قلوبنا غلف مضى تفسيره فى سورة البقرة بل طبع الله عليها بكفرهم وقد شرحنا معنى الطبع والختم عند قوله ختم الله على قلوبهم فلا يؤمنون الا قليلا اى لا يصدقون الا تصديقا قليلا وانما وصفه بالقلة لانهم لم يصدقوا بجميع ما كان يجب عليهم التصديق به ويجوز ان يكون الاستثناء من الذين نفى عنهم الايمان فيكون المعنى الا جمعا قليلا فكانه سبحانه علم انه يؤمن منهم جماعة قليلة فيما بعد فاستثناهم من جملة من اخبر عنهم انهم لا يؤمنون وبه قال جماعة من المفسرين قتادة وغيره وذكر بعضهم ان الباء فى قوله فبما نقضهم يتصل بما قبله والمعنى فاخذتهم الصاعقة بظلمهم وبنقضهم ميثاقهم وبكفرهم وبكذا وبكذا يتبع الكلام بعضه بعضا وقال الطبرى ان معناه منفصل عما قبله يعنى فبهذه الاشياء لعناهم وغضبنا عليهم فترك ذكر ذلك لدلالة قوله بل طبع الله عليها بكفرهم على معنى ذلك لان من طبع على قلبه فقد لعن وسخط عليه قال وانما قلنا ذلك لان الذين اخذتهم الصاعقة كانوا على عهد موسى والذين قتلوا الانبياء والذين رموا مريم بالبهتان العظيم وقالوا قتلنا عيسى كانوا بعد موسى بزمان طويل ومعلوم ان الذين اخذتهم الصاعقة لم يكن ذلك عقوبة على رميهم مريم بالبهتان ولا على قولهم انا قتلنا عيسى فبان ذلك ان الذين قالوا هذه المقالة غير الذين عوقبوا بالصاعقة وهذا الكلام انما يتجه على من قال انما يتصل بما قبله ولا يتجه على قول الزجاج وهو الاولى لانه اذا امكن اجراء الكلام على ظاهره من غير تقدير حذف فالاولى ان يجرى عليه وقوله وبكفرهم اى بجحود هؤلاء لعيسى وقولهم على مريم بهتانا اى اعظم كذبا واشنعه وهو رميهم اياها بالفاحشة عن ابن عباس والسدى قال الكلبى مر عيسى عليه السلم برهط فقال بعضهم لبعض انه جاءكم الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه بامه فسمع ذلك عيسى عليه السلم فقال اللهم انت ربى خلقتنى ولم اتهم من تلقاء نفسى اللهم العن من سبنى وسب والدتى فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وقول اليهود انا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاه الله تعالى عنهم اى رسول الله فى زعمه وقيل انه من قول الله تعالى لا على وجه الحكاية عنهم وتقديره الذى هو رسولى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اختلفوا فى كيفية التشبيه وروى عن ابن عباس انه قال لما مسخ الله القوم الذين سبوا عيسى وامه بدعائه بلغ ذلك يهوذا وهو راس اليهود فخاف ان يدعو عليه فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فبعث الله تعالى جبرئيل يمنعه عنهم ويعينه عليهم وذلك قوله وايدناه بروح القدس فاجتمع اليهود حول عيسى عليه السلم فجعلوا يسالونه فيقول لهم يا معشر اليهود ان الله تعالى يبغضكم فثاروا عليه ليقتلوه فادخله جبرئيل عليه السلم خوخة البيت الداخل لها روزنة فى سقفها فرفعه جبرئيل الى السماء فبعث يهوذا راس اليهود رجلا من

اصحابه اسمه ططيانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فى الخوخة فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج على اصحابه قتلوه وصلبوه وقيل القى عليه شبه وجه عيسى ولم يلق عليه شبه جسده فقال بعض القوم ان الوجه وجه عيسى والجسد جسد ططيانوس فاشتبه الامر عليهم وقال وهب بن منبه اتى عيسى عليه السلم ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشرى نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم اسمه سرجس انا فخرج اليهم فقال انا عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه ورفع الله عيسى من يومه ذلك وبه قال قتادة والسدى ومجاهد وابن اسحق وان اختلفوا فى عدد الحواريين ولم يذكر احد غير وهب ان شبهه القى على جميعهم بل قالوا شبهه القى على واحد ورفع عيسى من بينهم قال الطبرى وقول وهب اقوى لانه لو القى الشبه على واحد منهم مع قول عيسى عليه السلم ايكم يلقى عليه شبهى فله الجنة ثم راوا عيسى رفع من بينهم لما اشتبه عليهم ولما اختلفوا فيه ولما جاز ان يشتبه على اعدائه من اليهود الذين ما عرفوه لكن القى شبهه على جميعهم فكانوا يرون كل واحد منهم بصورة عيسى فلما قتل احدهم اشتبه الحال عليهم وقال ابو على الجبائى ان رؤساء اليهود اخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه على موضع عال ولم يمكنوا احدا من الدنو منه فتغيرت حليته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لانهم كانوا احاطوا بالبيت الذى فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا ان يكون ذلك سببا لايمان اليهود به ففعلوا ذلك والذين اختلفوا فيه هم غير الذين صلبوا من صلبوه وانما هم باقى اليهود وقيل ان الذى دلهم عليه وقال هذا عيسى احد الحواريين اخذ على ذلك ثلثين درهما وكان منافقا ثم انه ندم على ذلك واختنق حتى قتل نفسه وكان اسمه بودس زكريا يوطا وهو ملعون فى النصارى وبعض النصارى يقول ان بودس زكريا يوطا هو الذى شبه لهم فقتلوه وهو يقول لست بصاحبكم انا الذى دللتكم عليه وقيل انهم حبسوا المسيح من مع عشرة من اصحابه فى بيت فدخل عليهم رجل من اليهود فالقى الله عليه شبه عيسى ورفع عيسى فقتلوا الرجل عن السدى وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه قيل انه تعالى يعنى بذلك عامتهم لان علماءهم علموا انه غير مقتول عن الجبائى وغيره اراد بذلك جماعتهم اختلفوا فقال بعضهم قتلناه وقال بعضهم لم نقتله ما لهم به من علم الا اتباع الظن اى لم يكن لهم بمن قتلوه علم لكن اتبعوا ظنهم فقتلوه ظنا منهم انه عيسى ولم يكن به وانما شكوا فى ذلك لانهم عرفوا عدة من فى البيت فلما دخلوا عليهم وفقدوا واحدا منهم التبس عليهم امر عيسى وقتلوا من قتلوه على شك منهم فى امر عيسى هذا على قول من قال لم يتفرق اصحابه حتى دخل عليهم اليهود واما من قال تفرق اصحابه عنه فانه يقول كان اختلافهم فى ان عيسى هل كان فيمن بقى او كان فيمن خرج اشتبه الامر عليهم وقال الحسن معناه اختلفوا فى عيسى فقالوا مرة هو عبد الله ومرة هو ابن الله ومرة هو الله وقال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه ان منهم من ادعى انه اله لا يقتل ومنهم من قال قتل وما قتلوه يقينا اختلف فى الهاء فى قتلوه فقيل انه يعود الى الظن اى ما قتلوا ظنهم يقينا كما يقال ما قتلته علما عن ابن عباس وجويبر ومعناه ما قتلوا ظنهم الذى اتبعوه فى المقتول الذى قتلوه وهم يحسبونه عيسى يقينا انه عيسى ولا انه غيره لكنهم كانوا منه على شبهة وقيل ان الهاء عايد الى عيسى عليه السلم يعنى ما قتلوه يقينا اى حقا فهو من تاكيد الخبر عن الحسن اراد ان الله تعالى نفى عن عيسى عليه السلم القتل على وجه التحقيق واليقين بل رفعه الله اليه يعنى بل رفع الله عيسى اليه ولم يصلبوه ولم يقتلوه وقد مر تفسيره فى سورة آل عمران عند قوله اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى وكان الله عزيزا حكيما معناه لم يزل الله تعالى منتقما من اعدائه حكيما فى افعاله وتقديراته فاحذروا ايها السايلون محمدا ان ينزل عليكم كتابا من السماء حلول عقوبته بكم كما حل باوائلكم فى تكذيبهم رسله عن ابن عباس وما مر فى تفسير هذه الاية من ان الله تعالى القى شبه عيسى عليه السلم على غيره فان ذلك من مقدور الله تعالى بلا خلاف بين المسلمين فيه ويجوز ان يفعله تعالى على وجه التغليظ للمحنة والتشديد فى التكليف وان كان ذلك خارقا للعادة فانه يكون معجزا للمسيح عليه السلم كما روى ان جبرئيل عليه السلم كان ياتى نبينا فى صورة دحية الكلبى وما شاكل على هذه الا

فقال بعضهم ان كان هذا ططيانوس فاين عيسى وان كان هذا عيسى فاين ططيانوس

ان يقال قد تواترت اليهود والنصارى مع كثرتهم على ان المسيح قتل وصلب فكيف يجوز عليهم ان يخبروا عن الشئ بخلاف ما هو به
ولو جاز ذلك فكيف يوثق بشئ من الاخبار والجواب ان هؤلاء دخلت عليهم الشبهة كما اخبر الله تعالى عنهم بذلك فلم تكن اليهود
يعرفون عيسى عليه السلم بعينه وانما اخبروا انهم قتلوا رجلا قيل لهم انه عيسى فهم فى خبرهم صادقون وان لم يكن المقتول عيسى
وانما اشتبه الامر على النصارى لان شبه المسيح عليه السلم القى على غيره فراه من هو على صورته مقتولا مصلوبا فلم يخبر احد من
الفريقين الا عما راه فظن ان الامر على ما اخبر به فلا يؤدى ذلك الى بطلان الاخبار بحال قوله عز وجل وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا اية الاعراب ان فى قوله وان من اهل الكتاب نافية
واكثر ما تاتى مع الا وقد تاتى مع غير الا كقوله ولقد مكناهم فى ما ان مكناكم فيه اى فى الذى ما مكناكم
فيه قال الزجاج المعنى وما منهم احد الا ليؤمنن به وكذلك قوله وان منكم الا واردها وكذلك وما منا الا له مقام معلوم
اى وما منا احد الا له مقام ومثله قول الشاعر لو قلت ما فى قومها لم تيثم يفضلها فى حسب وميسم اى ما فى قومها احد يفضلها وذهب
الكوفيون الى ان المعنى وما من اهل الكتاب الا من ليؤمنن به وما منكم الا من هو واردها وما منا الا من له مقام معلوم
واهل البصرة لا يجيزون حذف الموصول وتبقية الصلة المعنى ثم اخبر تعالى انه لا يبقى احد منهم الا ويؤمن به فقال وان
من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اختلف فيه على اقوال احدها ان كلا الضميرين يعود الى المسيح عليه السلم اى ليس يبقى
احد من اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا ويؤمن بالمسيح قبل موت المسيح عليه السلم اذا انزله الله الى الارض وقت
خروج المهدى فى اخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملة واحدة وهى ملة الاسلام الحنيفية دين ابرهيم عليه السلم عن
ابن عباس وابى مالك والحسن وقتادة وابن زيد وذلك حين لا ينفعهم الايمان واختاره الطبرى قال والاية خاصة
لمن يكون منهم فى ذلك الزمان وذكر على بن ابرهيم فى تفسيره ان اباه حدثه عن سليمن بن داود المنقرى عن ابى حمزة الثمالى عن
شهر بن حوشب قال قال الحجاج بن يوسف اية من كتاب الله قد اعيتنى قوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به الاية والله
انى لامر باليهودى والنصرانى فيضرب عنقه ثم ارمقه بعينى فما اراه يحرك شفتيه حتى يخمد فقلت اصلح الله الامير ليس على
ما اولت قال فكيف هو قلت ان عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيمة الى الدنيا ولا يبقى اهل ملة يهودى ولا نصرانى او غيره الا
امن به قبل موت عيسى ويصلى خلف المهدى قال ويحك انى لك هذا ومن اين جئت به قال قلت حدثنى به محمد بن على بن على بن
الحسين بن ابى طالب عليهم السلم فقال جئت والله بها من عين صافية فقيل لشهر ما اردت بذلك قال اردت ان اغيظه وذكر
ابو القسم البلخى مثل ذلك وضعف الزجاج هذا الوجه قال ان الذين يبقون الى زمن عيسى من اهل الكتاب قليل والاية تقتضى
عموم ايمان اهل الكتاب الا ان تحمل على ان جميعهم يقول ان عيسى الذى ينزل فى اخر الزمان نحن نؤمن به وثانيها ان الضمير فى به يعود
الى المسيح والضمير فى موته يعود الى الكتابى ومعناه لا يكون احد من اهل الكتاب يخرج من دار الدنيا الا ويؤمن بعيسى قبل موته
اذا زال تكليفه وتحقق الموت ولكن لا ينفعه الايمان حينئذ وانما ذكر اليهود والنصارى لان جميعهم مبطلون اليهود بالكفر
به والنصارى بالغلو فيه والى هذا ذهب ابن عباس فى رواية اخرى ومجاهد والضحاك وابن سيرين ولو ضربت رقبته لم تخرج
نفسه حتى يؤمن وثالثها ان يكون المعنى ليؤمنن بمحمد عليه السلم قبل موت الكتابى عن عكرمة ورواه ايضا اصحابنا وضعف الطبرى
هذا الوجه بان قال لو كان ذلك صحيحا لما جاز اجرا احكام الكفار عليهم اذا ماتوا وهذا لا يصح لان ايمانهم بمحمد عليه السلم انما
يكون فى حال زوال التكليف فلا يعتد به وانما يضعف هذا القول من حيث لم يجر ذكر لنبينا عليه السلم هنا ولا ضرورة
توجب رد الكناية اليه وقد جرى ذكر عيسى عليه السلم فالاولى ان يصرف اليه ذلك ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يعنى عيسى ع
يشهد عليهم بانه قد بلغ رسالات ربه واقر على نفسه بالعبودية وانه لم يدعهم الى ان يتخذوه الها عن قتادة وابن جريج وقيل يشهد
عليهم بتصديق من صدقه وتكذيب من كذبه عن ابى على الجبائى وفى هذه الاية دلالة على ان كل كافر يؤمن عند المعاينة وعلى ان ايمانه ذلك
غير مقبول كما لم يقبل ايمان فرعون فى حال اليأس عند زوال التكليف ويقرب من هذا ما رواه الامامية ان المحتضرين من جميع الاديان

يرون

يرون رسول الله عليه السلم وخلفاءه عند الوفاة ويروون فى ذلك عن على عليه السلم انه قال للحرث الهمدانى يا حار همدان
من يمت يرنى من مؤمن او منافق قبلا يعرفنى طرفه واعرفه بعينه واسمه وما فعلا فان صحت هذه الرواية فان المراد برؤيتهم
فى تلك الحال العلم بثمرة ولايتهم وعداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من نفوسهم ومشاهدة احوال يدركونها كما قد روى
ان الانسان اذا عاين الموت ارى فى تلك الحالة ما يدل على انه من اهل الجنة او من اهل النار قوله عز وجل فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه و
اكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما اليتان المعنى ثم عطف تعالى على ما تقدم بقوله فبظلم
من الذين هادوا اى من اليهود معناه فبما ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى التى تقدم ذكرها وقد مضى فيما تقدم عن الزجاج
انه قال فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبنقضهم ميثاقهم وما بعده والعامل فى الباء قوله تعالى حرمنا عليهم طيبات و
لما طال الكلام اجمل فى قوله فبظلم ما ذكره قبل واخبر انه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا الله عليه وكفروا باياته
وقتلوا انبياءه وقالوا على مريم بهتانا عظيما وفعلوا ما وصفه الله تعالى طيبات من الماكل وغيرها احلت لهم اى كانت
حلالا لهم قبل ذلك فلما فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الاشياء عليهم عن مجاهد واكثر المفسرين وقال ابو على الجبائى حرم الله تعالى
هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبة لهم على ظلمهم وهى ما بين فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم
الاية وبصدهم عن سبيل الله اى وبمنعهم عباد الله عن دينه وسبيله التى شرعها لعباده صدا كثيرا وكان صدهم عن سبيل الله
على الله الباطل وادعاءهم ان ذلك عن الله وتبديلهم كتاب الله وتحريفهم معانيه عن وجوهه واعظم من ذلك كله جحدهم
نبوة محمد صلى الله عليه واله وتركهم بيان ما علموا من امره لمن جهل من الناس عن مجاهد وغيره واخذهم الربوا اى ما فضل على رؤس
اموالهم بتاخيرهم له عن محله الى اجل اخر وقد نهوا عنه اى عن الربوا واكلهم اموال الناس بالباطل اى بغير استحقاق ولا استيجاب
وهو ما كانوا ياخذونه من الرشى فى الاحكام كقوله واكلهم السحت وما كانوا ياخذونه من اثمان الكتب التى كانوا يكتبونها
بايديهم ويقولون هذا من عند الله وما اشبه ذلك من الماكل الخبيثة عاقبهم الله تعالى على جميع ذلك بتحريم ما حرم عليهم من
الطيبات واعتدنا للكافرين منهم اى هيأنا يوم القيمة لمن جحد منهم الله او الرسل من هؤلاء اليهود عذابا اليما اى موجعا
واختلف فى ان التحريم هل يكون على وجه العقوبة فقال جماعة من المفسرين ان ذلك كان عقوبة واذا جاز التحريم ابتداء
على جهة المصلحة جاز ايضا عند ارتكاب المعصية على جهة العقوبة وقال ابو على الجبائى كان تحريمه عقوبة فمن تعاطى ذلك الظلم و
فى غيرهم وقال ابو هاشم ان التحريم لا يكون الا للمصلحة ولما صار التحريم مصلحة عند اقدامهم على هذا الظلم جاز ان يقال حرم عليهم
بظلمهم قال لان التحريم تكليف يستحق الثواب بفعله ويجب الصبر على ادائه فهو معدود فى النعم بخلاف العقوبات قوله عز وجل لكن
الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة
والمؤمنون بالله واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما اية القراءة قرا حمزة وحده سيؤتيهم بالياء والباقون بالنون الحجة
ذكرنا الوجه فيهما قبل عند قوله اولئك سوف يؤتيهم اجورهم الاعراب اختلف فى نصب المقيمين فذهب سيبويه والبصريون
الى انه نصب على المدح على تقدير اعنى المقيمين الصلوة قالوا اذا قلت مررت بزيد الكريم وانت تريد ان تعرف زيدا الكريم من زيد
غير الكريم فالوجه الجر واذا اردت المدح والثناء وان شئت نصبت فقلت مررت بزيد الكريم كانك قلت اذكر الكريم وان شئت رفعت
فقلت الكريم على هو الكريم وقال الكسائى موضع المقيمين جر وهو معطوف على ما من قوله بما انزل اليك اى وبالمقيمين الصلوة
وقال قوم انه معطوف على الهاء والميم فى قوله منهم على معنى لكن الراسخون فى العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقال اخرون انه
معطوف على الكاف فى اولئك والكاف فى قبلك وهذه الاقوال الاخيرة لا تجوز عند البصريين لانه لا يعطف بالظاهر على المضمر
المجرور من غير اعادة الجار وقد شرحنا هذا فى مبتدا السورة عند قوله والارحام واما ما روى عن عروة عن عائشة قال سالتها
عن قوله والمقيمين الصلوة وعن قوله والصابئون وعن قوله ان هذان فقالت يا ابن اختى هذا عمل الكتاب اخطاوا فى الكتاب

اى بما انزل من قبلك ومن قبل المقيمين الصلوة وقيل انه معطوف على الكاف فى اليك او الكاف فى قبلك م

وما روى عن بعضهم ان فى كتاب الله اشياء ستصلحها العرب بالسنتها قالوا وفى مصحف ابن مسعود والمقيمون الصلوة فمما لا يلتفت اليه لانه لو كان كذلك لم يكن ليعلمه الصحابه الناس على الغلط وهم القدوة والذين اخذوه عن النبى عليه السلم اللغة ثم ذكر تعالى مومنى اهل التورية فقال لكن الراسخون فى العلم وذلك ان عبد الله بن سلام واصحابه قالوا للنبى عليه السلم ان اليهود لتعلم ان الذى جيت به حق وانك لعندهم مكتوب فى التورية فقالت اليهود ليس كما يقولون انهم لا يعلمون شيا وانهم يغرونك ويحدثونك بالباطل فقال الله تعالى لكن الراسخون الثابتون المبالغون فى العلم المدارسون بالتورية منهم اى من اليهود يعنى ابن سلام واصحابه من علماء اليهود والمومنون يعنى اصحاب النبى عليه السلم من غير اهل الكتاب يومنون بما انزل اليك يا محمد من القران والشرايع انه حق وما انزل من قبلك من الكتب على الانبياء والرسل وقيل انما استثنى الله من وصفهم ممن هداه الله لدينه ووفقه لرشده من اليهود الذين ذكرهم فيما مضى من قوله يسالك اهل الكتاب الى هاهنا فقال لكنهم لا يسالونك ما يسال هولاء الجهال من انزال كتاب من السماء لانهم قد علموا مصداق قولك بما قراوا فى الكتب المنزلة على الانبياء ووجوب اتباعك عليهم فلا حاجة بهم الى ان يسالوك معجزة اخرى ولا دلالة غير ما علموه من امرك بالعلم الراسخ فى قلوبهم عن قتادة وعنى والمقيمين الصلوة اذا كان نصبا على المدح والثناء على تقدير واذكر المقيمين الصلوة وهم المؤتون الزكاة ويكون على هذا عطفا على قوله الراسخون فى العلم منهم والمومنون ومعناه والذين يؤدون الصلوة بشرايطها واذا كان جرا عطفا على ما انزل اى يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة فقيل ان المراد بهم الانبياء اى ويومنون بالانبيا المقيمين للصلوة وقيل المراد بهم الملايكة واقامتهم الصلوة تسبيحهم ربهم واستغفارهم لمن فى الارض اى بالملئكة واختاره الطبرى قال لانه فى قراءة ابى كذلك وكذلك هو فى مصحفه وقيل المراد بهم الايمة المعصومون والموتون الزكوة اى والمعطون زكوة اموالهم والمومنون بالله بانه واحد لا شريك له واليوم الاخر وبالبعث الذى فيه جزاء الاعمال اولئك اى هولاء الذين وصفهم الله سيوتيهم اى سيعطيهم اجرا اى ثوابا وجزاء على ما كان منهم من طاعة الله واتباع امره عظيما اى جزيلا وهو الخلود فى الجنة قوله عز وجل

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا

اية القراءة قرا حمزة وخلف زبورا بضم الزاء حيث وقعت والباقون زبورا بفتحها الحجة زبور يجوز ان يكون جمع زبور بحذف الزيادة ومثله نجوم ونجوم وعذوب وعذب ولا نظير لهذه الثلثة ويجوز ان يكون جمع زبر بمعنى المزبور كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن اللغة الزبر احكام العمل فى البير خاصة يقال بير مزبور اى مطوية بالحجارة ويقول ما لفلان زبر اى عقل وزبرة من الحديد قطعة منه وجمعه زبر وزبرت الكتاب ازبره زبرا وزبرته اذبره زبرا كتبته المعنى ثم خاطب الله تعالى نبيه عليه السلم بقوله انا اوحينا اليك يا محمد قدمه فى الذكر وان تاخرت نبوته لتقدمه فى الفضل كما اوحينا الى نوح وقدم نوحا لانه اب البشر كما قال وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل لانه كان اطول الانبياء عمرا وكانت معجزته فى نفسه لبث فى قومه الف سنة الا خمسين عاما لم يسقط له سن ولم تنقص قوته ولم يشب شعره وقيل لانه لم يبالغ احد منهم فى الدعوة مثل ما بالغ فيها فلم يقاس احد من قومه ما قاساه وهو اول من عذبت امته بسبب ان ردت دعوته والنبيين من بعده اى واوحينا الى النبيين من بعد نوح واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب انما ذكر هولاء بعد ذكر النبيين تعظيما لامرهم وتفخيما لشانهم والاسباط وهم اولاد يعقوب وقيل ان الاسباط فى ولد اسحق كالقبايل فى ولد اسمعيل وقد بعث منهم عدة رسل كيوسف وداود وسليمان وموسى وعيسى فيجوز ان يكون اراد بالوحى اليهم الوحى الى الانبياء منهم كما تقول ارسلت الى بنى تميم اذا ارسلت الى وجوههم ولم يصح ان الاسباط الذين هم اخوة يوسف كانوا انبياء وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن قدم عيسى على انبياء كانوا قبله لشدة العناية بامره لغلو اليهود فى الطعن فيه والواو لا يوجب الترتيب واتينا داود زبورا اى كتابا يسمى زبورا واشتهر به كما اشتهر كتاب موسى بالتورية وكتاب عيسى بالانجيل النظم هذه الاية يتصل بما قبلها من قوله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء وهذا يدل على انهم قد سالوه ما يدل

على انهم قد سالوه نبوته فاخبر تعالى انه ارسله كما ارسل من تقدمه من الانبياء واظهر على يده المعجزات كما اظهرها على ايديهم وقيل ان اليهود لما تلا النبى عليهم تلك الايات قالوا ما انزل الله على بشر من شى بعد موسى فكذبهم الله بهذه الايات اذ اخبر انه قد انزل على من بعد موسى من الذين سماهم ومن لم يسمهم عن ابن عباس قوله عز وجل

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا

ايتان الاعراب ورسلا منصوب من وجهين احدهما ان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره الذى ظهر اى وقصصنا رسلا قد قصصناهم عليك كما تقول رايت زيدا وعمرا اكرمته اى واكرمت عمرا اكرمته ويجوز ان ينتصب رسلا على معنى اوحينا لان معنى انا اوحينا اليك انا ارسلناك موحين اليك وارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك هذا قول الزجاج وقال الفرا انه على تقدير انا اوحينا اليك والى رسل قد قصصناهم عليك ورسل لم نقصصهم فلما حذف الى نصب الفعل رسلا مبشرين منصوب على الحال ويجوز ان يكون منصوبا على المدح على تقدير اعنى رسلا مبشرين المعنى ثم اجمل ذكر الرسل بعد تسمية بعضهم فقال ورسلا اى ورسلا اخرين قد قصصناهم عليك اى حكينا لك اخبارهم وعرفناك شانهم وامورهم من قبل قال بعضهم قصهم عليه بالوحى فى غير القران من قبل ثم قصهم عليه من بعد فى القران وقال بعضهم قصهم عليه من قبل هولاء بمكة فى سورة الانعام وفى غيرها لان هذه السورة مدنية ورسلا لم نقصصهم عليك هذا يدل على ان الله تعالى رسلا كثيرة لم يذكرهم فى القران وانما قص بعضهم على النبى عليه السلم لفضيلتهم على من لم يقصصهم عليه وكلم الله موسى تكليما فايدته انه تعالى كلم موسى بلا واسطة ابانة له بذلك من ساير الانبياء لان جميعهم كلمهم الله تعالى بواسطة الوحى وقيل انما قال تكليما ليعلم ان كلام الله تعالى عز ذكره من جنس هذا المعقول الذى يشتق من التكليم بخلاف ما قاله المبطلون وروى ان رسول الله عليه السلم لما قرا الاية التى قبل هذه على الناس قالت اليهود فيما بينهم ذكر محمد النبيين ولم يبين لنا امر موسى فلما نزلت هذه الاية وقراها عليهم قالوا ان محمدا قد ذكره وفضله بالكلام عليهم رسلا مبشرين بالجنة والثواب لمن امن واطاع ومنذرين بالنار والعقاب لمن كفر وعصى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لم ترسل الينا رسولا ولو ارسلت لامنا بك كما اخبر تعالى فى اية اخرى بقوله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وفى هذا دلالة على فساد قول من زعم ان عند الله من اللطف ما لو فعله بالكافر لامن لانه لو كان كذلك لكان للكفار الحجة بذلك على الله تعالى قايمة فاما من لم يعلم من حاله فى انفاذ الرسل اليه لطفا فالحجة قايمة عليه بالعقل وادلته الدالة على توحيد الله وعدله ولو لم يقم الحجة الا بانفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين احدهما ان صدق الرسول لا يمكن العلم به الا بعد تقدم العلم بالتوحيد والعدل فان كانت الحجة عليه بالعقل غير قايمة فلا طريق له الى معرفة النبى وصدقه والثانى انه لو كانت الحجة لا تقوم الا بالرسول لاحتاج الرسول الى رسول آخر حتى يكون الحجة عليه قايمة والكلام فى رسوله كالكلام فيه حتى يتسلسل وذلك فاسد فمن استدل بهذه الاية على ان التكليف لا يصح الا بعد انفاذ الرسل فقد ابعد لما قلناه وكان الله عزيزا اى مقتدرا على الانتقام ممن يعصيه ويكفر به حكيما فيما امر به عباده وفى جميع افعاله قوله عز وجل

لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا

اية النزول قيل ان جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله عليه السلم فقال النبى عليه السلم انى اعلم انكم تعلمون انى رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك ولا نشهد به فانزل الله تعالى هذه الاية المعنى ثم قال تعالى بعد انكارهم وجحودهم لكن الله يشهد بما انزل اليك معناه ان لم يشهد لك هولاء بالنبوة فالله يشهد لك بذلك قال الزجاج الشاهد هو المبين لما يشهد به والله تعالى يبين ما انزل الى رسوله عليه السلم بنصب المعجزة له ويبين صدقه بما يغنى عن بيان اهل الكتاب انزله بعلمه معناه انزل القران وهو يعلم انك موضع لانزاله عليك لقيامك فيه بالحق ودعايك الناس اليه وقيل معناه انزل القران الذى فيه علمه عن الزجاج والملئكة يشهدون بانك رسول الله وان القران نزل عليك من عند الله وكفى بالله شهيدا ومعناه ان شهادة الله يكفى فى تثبيت المشهود ولا يحتاج معها الى شهادة وفى هذه الاية تسلية للنبى عليه السلم عن تكذيب من كذبه ولا يصح قول من استدل على ان الله تعالى عالم بعلم بما فى هذه الاية من قوله انزله بعلمه لانه لو اراد بالعلم ما ذهبوا اليه من كونه ذاتا سواه لوجب ان يكون الله له فى الانزال

كما يقال كتبت بالقلم وعمل النجار بالقدوم ولا خلاف ان العلم ليس باله فى الالات قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ثلث ايات المعنى ان الذين كفروا بانفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله اى عن الدين الذى بعثك به الى خلقه قد ضلوا ضلالا بعيدا يعنى جازوا عن قصد الطريق جوزا شديدا وزالوا عن المحجة التى هى دين الله الذى ارتضاه لعباده وبعثك به الى خلقه زوالا بعيدا من الرشاد ان الذين كفروا اى جحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وآله وظلموا محمدا بتكذيبهم اياه ومقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم اولياء الله حسدا لهم وبغيا عليهم لم يكن الله ليغفر لهم اى لم يكن الله ليعفوا عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها ولا ليهديهم طريقا اى لا يهديهم الى طريق الجنة لان الهداية الى طريق الايمان قد سبقت وعم الله تعالى به جميع المكلفين الا طريق جهنم معناه لكن يهديهم طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر والظلم خالدين فيها اى مقيمين فيها ابدا وكان ذلك اى تخليد هؤلاء الذين وصفهم فى جهنم على الله يسيرا لانه اذا اراد ذلك لم يقدر على الامتناع منه النظم واتصال هذه الايات بما قبلها اتصال النقيض بالنقيض على جهة المقابلة لان ما قبلها يتضمن الشهادة له بالنبوة تسلية له عما يلحقه من تكذيب الكفار وهذه الايات تتضمن تخسير الكفار بذهابهم عن الرشد قوله عز وجل يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا اية الاعراب الباء فى قوله بالحق للتعدية كهمزة افعل تقول جئت الى عمرو واجانى زيد الى عمرو وقوله خيرا لكم قال الزجاج اختلفوا فى نصب خيرا فقال الكسائى انتصب بخروجه من الكلام كقولك تقومن خيرا لك وانته خيرا لك فاذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا ان تنته خير لك وقال الفرا انتصب هذا وقوله انتهوا خيرا لكم لانه متصل بالامر ولم يقل هو ولا الكسائى من اى المنصوبات هو ولا شرحاه وقال الخليل وجميع البصريين ان هذا محمول على معناه لانك اذا قلت انته خيرا لك فانت تدفعه عن امر وتدخله فى غيره كانك قلت انته وات خيرا لك وادخل فيما هو خير لك وانشد سيبويه قول عمر بن ابى ربيعة فواعديه سرحتى مالك او الربا بينهما اسهلا كانه قال ائتى مكانا اسهل المعنى ثم عاد تعالى الى العظة وعم الخلق بذلك فقال يا ايها الناس خطاب لجميع المكلفين وقيل خطاب للكفار قد جاءكم الرسول يعنى محمدا صلى الله عليه وآله بالحق اى بالدين الذى ارتضاه الله لعباده وقيل بولاية من امر الله تعالى بولايته عن ابى جعفر عليه السلام من ربكم اى من عند ربكم فامنوا اى صدقوه وصدقوا بما جاءكم به من عند ربكم خيرا لكم اى ائتوا خيرا لكم مما انتم عليه من الجحود والتكذيب وان تكفروا اى تكذبوه فيما جاءكم به من عند الله تعالى فان لله ما فى السموات والارض اى فان ضرر ذلك يعود عليكم دون الله تعالى فانه يملك ما فى السموات والارض لا ينقص كفركم فيما كذبتم به من نبيه شيئا من ملكه وسلطانه وكان الله عليما بما انتم صائرون اليه من طاعة او معصية حكيما فى امره ونهيه اياكم وتدبيره فيكم وفى غيركم قوله عز وجل يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا اية اللغة اصل الغلو المجاوزة للحد يقال غلا فى الدين يغلو غلوا وغلا بالجارية لحمها وعظمها اذا اسرعت الشباب وتجاوزت لداتها تغلو غلوا وغلاء قال الحرث بن حلزة اليشكرى خمصانة قلق موشحها رود الشباب غلا بها عظم وغلا بسهمه غلوا اذا رمى به اقصى الغاية وتغالى الرجلان تفاعلا من ذلك واصل المسيح الممسوح سماه بذلك لتطهيره اياه من الذنوب والادناس التى يكون فى الآدميين وقيل انه سريانى اصله مسيحا فعرب كما عرب اسماء الانبياء وقيل انه ليس مثل ذلك فان اسحق ويعقوب واسمعيل وغيرها اسماء لا صفات والمسيح صفة فلا يجوز ان يخاطب الله خلقه فى صفة شئ الا بما يفهم واما الدجال فانما سمى المسيح لانه ممسوح العين اليمنى واليسرى وعيسى عليه السلام ممسوح البدن من الادناس والاثام كما روى عن النبى عليه السلام فى ذلك الاعراب ثلثة خبر مبتدا محذوف دل عليه ظاهر الكلام وتقديره ولا تقولوا هم ثلثة وكذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه ففيه اضمار اسم

رافع

رافع لذلك الاسم وانما جاز ذلك لان القول حكاية والحكاية يكون لكلام تام وانتهوا خيرا لكم قد ذكرنا وجه النصب فى خيرا فيما قبل وان يكون فى موضع نصب اى سبحانه من ان يكون فلما حذف حرف الجر وصل اليه الفعل فنصبه وقيل فى موضع جر وقد مر نظايره المعنى ثم عاد تعالى الى حجاج اهل الكتاب فقال يا اهل الكتاب قيل انه خطاب لليهود والنصارى عن الحسن قال لان النصارى غلت فى المسيح فقالت هو ابن الله وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال ثالث ثلثة الاب والابن وروح القدس واليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لغير رشدة فالغلو لازم للفريقين وقيل للنصارى خاصة عن ابى على وابى مسلم وجماعة من المفسرين لا تغلوا فى دينكم اى لا تفرطوا فى دينكم ولا تجاوزوا الحق فيه ولا تقولوا على الله الا الحق اى قولوا انه جل جلاله واحد لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولا تقولوا فى عيسى انه ابن الله او شبهه فانه قول بغير الحق انما المسيح وقد ذكرنا معناه وقيل سمى بذلك لانه كان يمسح الارض مشيا عيسى بن مريم هذا بيان لقوله المسيح يعنى انه ابن مريم لا ابن الله كما زعمه النصارى ولا ابن اب كما زعمت اليهود رسول الله ارسله الله الى الخلق لا كما زعمت الفرقتان المبطلتان وكلمته يعنى انه حصل بكلمة التى هى قوله كن عن الحسن وقتادة وقيل معناه انه يهتدى به الخلق كما اهتدوا بكلام الله ووحيه عن ابى على الجبائى وقيل معناه بشارة الله التى بشرها مريم على لسان الملئكة كما قال واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة وهو المراد بقوله القاها الى مريم كما يقال القيت اليك كلمة حسنة اى قلت وقيل معنى القاها الى مريم خلقها فى رحمها عن الجبائى وروح منه فيه اقوال احدها انه انما سماه روحا لانه حدث عن نفخة جبرئيل فى درع مريم بامر الله تعالى وانما نسبه اليه لانه كان بامره وقيل انما اضافه الى نفسه تفخيما لشانه كما قال الصوم لى وانا اجزى به وقد يسمى النفخ روحا واستشهد على ذلك ببيت ذى الرمة يصف نارا فقلت لها ارفعها اليك واحيها بروحك واقتته لها قيتة قدرا وظاهر لها من يابس الشخت واستعن عليه الصبا واجعل يديك لها سترا ومعنى احيها بروحك اى بنفخك ويقال اقتت النار اذا اطعمتها حطبا والثانى ان المراد به يحيا به الناس فى دينهم كما يحيون بالارواح عن الجبائى فيكون المعنى انه جعلته نبيا يقتدى به ويستن بسنته ويهتدى بهداه والثالث ان معناه انسان احياه الله بتكوينه بلا واسطة من جماع ونطفة كما جرت العادة بذلك عن ابى عبيدة والرابع ان معناه ورحمة منه كما قال فى موضع آخر وايدهم بروح منه اى برحمة منه فجعل الله عيسى رحمة على من امن به واتبعه لانه هداهم الى سبيل الرشاد والخامس ان معناه روح من الله خلقها فصورها ثم ارسلها الى مريم فدخلت فى فيها فصيرها الله تعالى عيسى عن ابى العالية عن ابى بن كعب والسادس ان معنى الروح ههنا جبرئيل عليه السلام فيكون عطفا على ما فى القاها من ضمير ذكر الله تعالى وتقديره القاها الله الى مريم وروح من الله اى جبرئيل عليه السلام القاها ايضا اليها فامنوا بالله ورسله امرهم الله تعالى بتصديقه والاقرار بوحدانيته وتصديق رسله فيما جاؤا به من عنده وفيما اخبروهم به من ان الله تعالى لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد ولا تقولوا ثلثة هذا خطاب للنصارى اى لا تقولوا الهتنا ثلثة عن الزجاج وقيل هذا لا يصح لان النصارى لم يقولوا بثلثة آلهة ولكنهم يقولون اله واحد ثلثة اقانيم اب وابن وروح القدس ومعناه لا تقولوا الله ثلثة اب وابن وروح القدس وقد شبهوا قولهم جوهر واحد ثلثة اقانيم بقولنا سراج واحد ثم يقول انه ثلثة اشياء دهن وقطن ونار وشمس واحدة وانما هى جسم وضوء وشعاع وهذا غلط بعيد لانا لا نعنى بقولنا سراج واحد انه شئ واحد بل هو اشياء على الحقيقة وكذلك الشمس كما يقول عشرة واحدة وانسان واحد ودار واحدة وانما هى اشياء متغايرة فان قالوا ان الله تعالى شئ واحد واله واحد حقيقة فقولهم ثلثة متناقضة وان قالوا انه فى الحقيقة اشياء مثل ما ذكرناه فى الانسان والسراج وغيرهما فقد تركوا القول بالتوحيد والتحقوا بالمشبهة والا فلا واسطة بين الامرين انتهوا عن هذه المقالة الشنيعة اى امتنعوا عنها خيرا لكم اى ائتوا بالانتهاء عن قولكم خيرا لكم مما تقولون انما الله اله واحد اى ليس كما تقولون انه ثالث ثلثة لان من كان له ولد او صاحبة لا يجوز ان يكون الها معبودا ولكن الله الذى له الالهية ويحق له العبادة اله واحد لا ولد له ولا شبيه ولا صاحبة له ولا شريك ثم نزه تعالى نفسه عما يقول المبطلون فقال سبحانه ان يكون له ولد ولفظة سبحانه تفيد التنزيه عما لا يليق به اى هو منزه عن ان يكون له ولد

ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا وخلقا وهو يملكهما وله التصرف فيهما وفيما بينهما ومن جملة ذلك عيسى وامه فكيف يكون المملوك والمخلوق ابناء للمالك الخالق وكفى بالله وكيلا اى حسب ما فى السموات وما فى الارض بالله قيما ومدبرا وراز قا وقيل معناه كفى به حافظا لاعمال العباد حتى يجازيهم عليها فهو تسلية للرسول عليه السلام ووعيد للقايلين فيه تعالى ما لا يليق

قوله عز وجل لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ اَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلّٰهِ وَلَا الْمَلٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ اِلَيْهِ جَمِيعًا فَاَمَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ اُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا اَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا اليان اللغة الاستنكاف الانفة من الشئ واصله فى اللغة من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك قال الشاعر فبا توا فلولا ما تذكر منهم من الحلف لم تنكف لعينيك مدمع ودرهم منكوف نبهرج ردى لانه يمتنع من اخذه لرداءته ونكفت من الامر بكسر الكاف بمعنى استنكفت ايضا حكاها ابو عمرو وقيل لن يستنكف لن ينقبض ولن يمتنع والاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق والتكبر قد يكون باستحقاق فلذلك جاء فى صفات الله تعالى المتكبر ولا يجوز المستكبر النزول يقال ان وفد نجران قالوا للنبى عليه السلام يا محمد لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ اقول فيه قالوا تقول انه عبد الله ورسوله فنزلت الاية المعنى لما تقدم ذكر النصارى والحكايات عنهم فى امر المسيح عقبه تعالى بالرد عليهم فقال لن تستنكف المسيح اى لن يانف ولن يمتنع المسيح يعنى عيسى عليه السلام من ان يكون عبد الله ولا الملئكة المقربون اى ولا الملئكة المقربون يانفون ويستكبرون من الاقرار بعبودية الله تعالى والاذعان له بذلك والمقربون الذين قربهم الله تعالى ورفع منازلهم على غيرهم من خلقه ومن يستنكف عن عبادته اى من يانف عن عبادته ويستكبر اى يتعظم بترك الاذعان لطاعته فسيحشرهم اليه اى سيبعثهم يوم القيمة جميعا بجمعهم لموعدهم عنده ومعنى قوله اليه الى الموضع الذى لا يملك التصرف فيه سواه كما يقال صار امر فلان الى الامير اى لا يملكه غير الامير ولا يراد بذلك المكان الذى فيه الامير واستدل بهذه الاية من قال بان الملئكة افضل من الانبياء عليهم السلام قالوا لان تاخير ذكر الملئكة فى مثل هذا الخطاب يقتضى تفضيلهم لان العادة لم تجر بان يقال لن يستنكف الامير ان يفعل كذا ولا الحارس بل تقدم الادون ويؤخر الاعظم فيقال لن يستنكف الوزير ان يفعل كذا ولا السلطان وهذا يقتضى فضل الملئكة على الانبياء واجاب اصحابنا عن ذلك بان قالوا انما اخر ذكر الملئكة عن ذكر المسيح لان جميع الملئكة افضل واكثر ثوابا من المسيح عليه السلام وهذا لا يقتضى ان يكون كل واحد منهم افضل من المسيح وانما الخلاف فى ذلك وايضا فانا وان ذهبنا الى ان الانبياء افضل من الملئكة فانا نقول انه لا تفاوت فى الفضل بين الانبياء والملئكة مع التقارب والتدانى يحسن ان يقدم ذكر الافضل الا ترى انه يحسن ان يقال ما يستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان اذا كانا متساويين فى المنزلة او متقاربين وانما لا يحسن ان يقال ما يستنكف الامير من كذا ولا الحارس لاجل التفاوت فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم وعد الله تعالى الذين يقرون بوحدانيته ويعملون بطاعته انه يوفيهم اجورهم ويؤتيهم جزاء اعمالهم الصالحة وافيا تاما ويزيدهم من فضله اى يزيدهم على ما كان وعدهم به من الجزاء على اعمالهم الحسنة والثواب عليها من الفضل والزيادة ما لم يعرفهم مبلغه لانه وعد على الحسنة عشر امثالها من الثواب الى سبعين ضعفا والى سبعماية والى الاضعاف الكثيرة والزيادة على المثل تفضل من الله تعالى عليهم واما الذين استنكفوا اى انفوا عن الاقرار بوحدانيته واستكبروا اى تعظموا عن الاذعان له بالطاعة والعبودية فيعذبهم عذابا اليما اى موجعا مولما وجيعا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اى ولا يجد المستنكفون المستكبرون لانفسهم وليا ينجيهم من عذابه وناصرا ينقذهم من عقابه قوله عز وجل يَا اَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَاَمَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ اِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا اليان اللغة البرهان الشاهد بالحق وقيل البرهان البيان يقال برهن قوله اى بينه بحجة والاعتصام الامتناع واعتصم فلان بالله اى امتنع من الشر والعصمة من الله دفع الشر عن عبده وعصمت فلانا هيات له ما يعتصم به والعصمة من الله تعالى على وجهين احدهما بمعنى الحفظ وهو ان يمنع عبده كيد الكائدين كما قال تعالى

لنبيه عليه السلام والله يعصمك من الناس والاخر ان يلطف لعبده بشئ يمتنع عنده من المعاصى الاعراب صراطا انتصب على انه مفعول ثان ليهديهم فانه على معنى يعرفهم صراطا ويجوز ان يكون حالا من الهاء فى اليه بمعنى ويهديهم الى الحق صراطا المعنى لما فصل تعالى ذكر الاحكام التى يجب العمل بها ذكر البرهان بعد ذلك ليكون الانسان على ثقة ويقين فقال يا ايها الناس وهو خطاب للمكلفين من ساير الملل التى قص قصصهم فى هذه السورة قد جاءكم برهان من ربكم اى اتاكم حجة من الله تبرهن لكم عن صحة ما امركم به وهو محمد صلى الله عليه واله لما معه من المعجزات القاهرة الشاهدة بصدقه وقيل هو القران وانزلنا اليكم معه نورا مبينا يبين لكم المحجة الواضحة ويهديكم الى ما فيه النجاة لكم من عذابكم واليم عقابه وذلك النور هو القران عن مجاهد وقتادة والسدى وقيل النور ولاية على بن ابى طالب عليه السلام عن ابى عبد الله عليه السلام فاما الذين امنوا بالله اى صدقوا بوحدانية الله واعترفوا ببعث محمد عليه السلام واعتصموا به اى تمسكوا بالنور الذى انزله الى نبيه فسيدخلهم فى رحمة منه اى نعمة منه وهى الجنة عن ابن عباس وفضل يعنى ما يبسط لهم من الكرامة وتضعيف الحسنات وما يزاد لهم من النعم على ما يستحقونه ويهديهم اليه صراطا مستقيما اى يوفقهم لاصابة فضله الذى يتفضل به على اوليايه ويسددهم لسلوك منهج من انعم عليه من اهل طاعته واقتفاء اثارهم فالاهتداء هداهم والاستنان بسنتهم واتباع دينهم هو الصراط المستقيم الذى ارتضاه منهجا لعباده قوله عز وجل يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِى الْكَلَالَةِ اِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ اُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا اِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَاِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَاِنْ كَانُوا اِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْاُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ اَنْ تَضِلُّوا وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اية اللغة قد ذكرنا معنى الكلالة فى اول السورة والاستفتاء السؤال عن الحكم وهو استفعال من الفتيا ويقال افتا فى المسئلة اذا بين حكمها فتوى وفتيا الاعراب يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة يسال عن اى الفعلين اعمل فى الكلالة والجواب ان المعمل للثانى وهو يفتيكم والتقدير يستفتونك فى الكلالة قل الله يفتيكم فى الكلالة فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ولو اعمل الاول لقال يستفتونك قل الله يفتيكم فيها فى الكلالة واعمال الفعل الثانى هو الاجود وعليه اكثر القران نحو قوله واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ومنه قول طفيل وكمتا مدماة كان متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب فاعمل استشعرت ولو اعمل جرى لقال واستشعرته لون مذهب ومثل ذلك قول كثير قضى كل ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها فاعمل وفى ولو اعمل قضى لقال قضى كل ذى دين فوفاه غريمه وهو كثير فى القران والشعر وقوله ان امرؤ هلك ارتفع امرؤ باضمار فعل يفسره ما بعده وتقديره ان هلك امرؤ هلك ولا يجوز اظهاره لان الثانى يعبر عنه وقوله فان كانتا اثنتين انما ذكر اثنتين وان دلت الالف عليهما لاحد امرين اما ان يكون تاكيدا للضمير كما تقول فعلت انا واما ان يبين ان المطلوب فى ذلك العدد دون غيره من الصفات من صغر او كبر او عقل او عدمه بل متى حصل العدد ثبت الميراث وهذا قول ابى على الفارسى وهو الصحيح وقوله رجالا ونساء بدل من اخوة وهو خبر كان وقوله يبين الله لكم ان تضلوا فى ان تضلوا ثلثة اقوال احدها ان المعنى ان لا تضلوا اضمر حرف النفى وتلخيصه لئلا تضلوا عن الكسائى وانشد القطامى راينا ما يرى البصراء فيها فالينا عليها ان تباعا يريد ان لا تباع وثانيها ما قاله البصريون ان المعنى كراهة ان تضلوا فهو على هذا فى موضع نصب بانه مفعول له ومثله قول عمرو بن كلثوم فعجلنا القرى ان تشتمونا اى كراهة ان تشتمونا قالوا ولا يجوز ان يضمر لا لانه حرف جاء لمعنى فلا يجوز حذفه ولكن يجوز ان يدخل لا فى الكلام موكدة وهو لغو كقوله لان لا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون والمعنى لان يعلم وكقول الشاعر وما الوم البيض ان لا تسخرا اذا راين الشمط القفندرا المعنى ان تسخر وثالثها ما قاله الاخفش وهو ان ان مع الفعل بتاويل المصدر وموضع ان نصب بيبين وتقديره يبين الله لكم الضلال لتجتنبوه النزول اختلف فى سبب نزول الاية فروى عن جابر بن عبد الله انه قال اشتكيت وعندى تسع اخوات لى او سبع فدخل على النبى عليه السلام فنفخ فى وجهى فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصى لاخواتى بالثلثين قال احسن قلت الشطر قال احسن ثم خرج وتركنى ورجع الى فقال يا جابر انى لا اراك ميتا من وجعك هذا وان الله تعالى قد انزل فى الذى لاخواتك فجعل لهن الثلثين قالوا وكان جابر

يقول انزلت هذه الاية فيّ وعن قتادة قال ان الصحابة كان همهم شان الكلالة فانزل الله فيها هذه الاية قال البراء بن عازب اخر سورة نزلت كاملة براءة واخر اية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك الاية اورده البخاري في الجامع البخاري ومسلم في صحيحيهما وقال جابر نزلت بالمدينة وقال ابن سيرين نزلت في مسير كان فيه رسول الله واصحابه وتسمى هذه الاية اية الصيف وذلك ان الله تعالى انزل في الكلالة آيتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول هذه السورة والاخرى في الصيف وهي هذه الاية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال سالت رسول الله صلى الله عليه واله عن الكلالة فقال يكفيك او يجزيك اية الصيف **المعنى** لما بين تعالى في اول السورة بعض سهام الفرايض ختم السورة ببيان ما بقي من ذلك فقال يستفتونك يا محمد اي يطلبون منك الفتيا في ميراث الكلالة قل الله يفتيكم اي يبين لكم الحكم في الكلالة وهو اسم للاخوة والاخوات عن الحسن وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام وقيل هو ما سوى الوالد والولد عن ابي بكر وجماعة من المفسرين ان امرؤ هلك ليس له ولد قال السدي يعني ليس له ولد ذكر وانثى وهو يوافق مذهب الامامية فمعناه ان مات رجل ليس له ولد ولا والد وانما اضمرنا فيه الوالد للاجماع ولان لفظ الكلالة ينبئ عنه فان الكلالة اسم للنسب المحيط بالميت دون اللصيق والوالد لصيق لولد كما ان الولد لصيق للوالد والاخوة والاخوات هم المحيطون بالميت وله اخت يعني وللميت اخت لابيه وامه او لابيه لان ذكر اولاد الام قد سبق في اول السورة فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد يعني به ان الاخت اذا كانت الميتة ولها اخ من اب وام او من اب فالمال كله له بلا خلاف اذا لم يكن هناك ولد ولا والد فان كانتا اثنتين يعني ان كانت الاختان اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الاخ او الاخت من التركة وان كانوا اخوة رجالا ونساء اي اخوة واخوات مجتمعين لاب وام او لاب فللذكر مثل حظ الانثيين وفي قوله تعالى ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد دلالة على ان الاخ والاخت لا يرثان مع البنت لانه تعالى شرط في ميراث الاخ والاخت عدم الولد والولد يقع على الابن والبنت بلا خلاف فيه بين اهل اللغة وما روي من الخبر في ان الاخوات مع البنات عصبة خبر واحد يخالف نص القرآن والى هذا الذي ذكرناه ذهب ابن عباس وهو المروي عن سادة اهل البيت عليهم السلام يبين الله لكم امور مواريثكم ان تضلوا معناه كراهة ان تضلوا ولئلا تضلوا اي لئلا تخطئوا في الحكم فيها وقيل معناه بين الله جميع الاحكام لتهتدوا في دينكم عن ابي مسلم والله بكل شيء عليم اي عالم بجميع ما يحتاج اليه عباده من امر معاشهم ومعادهم على ما توجبه الحكمة وقد تضمنت الاية التي انزلها الله تعالى في اول هذه السورة بيان ميراث الولد والوالد والاية التي بعدها بيان ميراث الازواج والزوجات والاخوة والاخوات من قبل الام وتضمنت هذه الاية التي ختم بها السورة بيان ميراث الاخوة والاخوات من الاب والام او الاخوة والاخوات من قبل الاب عند عدم الاخوة والاخوات من الاب والام وتضمن قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان تداني القربى سبب في استحقاق الميراث فمن كان اقرب رحما وادنى قرابة كان اولى بالميراث من الابعد والخلاف بين الفقهاء في هذه المسائل وفروعها مذكور في كتب الفقه

سورة المائدة هي مدنية

في قول ابن عباس ومجاهد وقال جعفر بن مبشر والشعبي هي مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم فانه نزل والنبي عليه السلام واقف على راحلته في حجة الوداع **عدد آيها** هي مائة وعشرون اية كوفي وثلاثة وعشرون بصري واثنتان وعشرون في الباقين خلافها ثلاث ايات بالعقود ويعفوا عن كثير كوفي فانكم غالبون بصري **فضلها** ابي بن كعب عن النبي عليه السلام قال من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وروى العياشي باسناده عن عيسى بن عبد الله عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضا وانما يؤخذ من امر رسول الله باخره وكان من اخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء لقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلى بطنها حتى رايت سرتها تكاد تمس الارض واغمي على رسول الله حتى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب الجمحي ثم رفع ذلك عن رسول الله عليه السلام فقرا علينا سورة المائدة فعمل رسول الله وعملنا وباسناده عن ابي الجارود عن ابي جعفر محمد بن علي قال من قرا سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس ايمانه بظلم ولا يشرك ابدا وباسناده عن ابي حمزة الثمالي قال سمعت ابا عبد الله الصادق عليه السلام يقول

نزلت

فايدته هنا بيان كونه سبحانه

نزلت المائدة كملا ونزل معها سبعون الف ملك **تفسيرها** لما ختم الله سورة النساء بذكر احكام الشريعة افتتح سورة المائدة ايضا ببيان الاحكام واجمل ذلك بقوله اوفوا بالعقود ثم اتبعه بذكر التفصيل فقال بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد اية **القراءة** المشهور في القراءة حُرُم بضمتين وفي الشواذ عن الحسن ويحيى بن وثاب حُرْم ساكنة الراء **الحجة** هذا كما يقال في رُسُل رُسْل وكُتُب كُتْب قال ابن جني في اسكان حرم مزية وذلك ان الراء تكرير فكادت الراء الساكنة لما فيها من التكرير في حكم المتحرك لزيادة الصوت بالتكرير نحو من زيادته بالحركة **اللغة** يقال وفى بعهده وفاء واوفى ايضا بمعنى واوفى لغة اهل الحجاز وهي لغة القرآن والعقود جمع عقد بمعنى المعقود وهو اوكد العهود والفرق بين العقد والعهد ان العقد فيه معنى الاستيثاق والشد ولا يكون الا بين متعاقدين والعهد قد ينفرد به الواحد فكل عهد عقد ولا يكون كل عقد عهدا واصله عقد الشيء بغيره وهو وصله به كما يعقد الحبل ويقال اعقدت العسل فهو معقد وعقيد قال عنترة وكان ربا او كحيلا معقدا حش الوقود به جوانب قمقم والبهيمة اسم لكل ذي اربع من دواب البر والبحر وقال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن ان تميز والحرم جمع حرام يقال رجل حرام وقوم حرم قال الشاعر فقلت لها فيئي اليك فانني حرام واني بعد ذاك لبيب اي ملب **الاعراب** موضع ما يتلى عليكم نصب بالاستثناء وغير محلي الصيد اختلف فيه فقيل انه منصوب على الحال مما في قوله اوفوا بالعقود من ضمير الذين امنوا عن الاخفش وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله احلت لكم بهيمة الانعام عن الكسائي وقيل انه حال من الكاف والميم في قوله الا ما يتلى عليكم عن الربيع وانتم حرم جملة في موضع الحال من محلي الصيد والصيد مجرور اللفظ منصوب في المعنى وقال الفراء يجوز ان يكون ما يتلى عليكم في موضع رفع كما يقال جاء اخوتك الا زيد وقال الزجاج وهذا عند البصريين باطل لان المعنى عند هذا القائل جاء اخوتك وزيد كانه يعطف بالا كما يعطف بلا ويجوز عند البصريين جاء الرجال الا زيد على معنى جاء الرجال غير زيد فيكون الا زيد صفة للنكرة او ما قارب النكرة من الاجناس **المعنى** خاطب الله تعالى المؤمنين فقال يا ايها الذين امنوا وتقديره يا ايها المؤمنون وهو اسم تكريم وتعظيم اوفوا بالعقود اي بالعهود عن ابن عباس وجماعة من المفسرين ثم اختلف في هذه العهود على اقوال احدها ان المراد بها العهود التي كان اهل الجاهلية عاهد بعضهم بعضا فيها على النصرة والموازرة والمظاهرة على من حاول ظلمهم او بغاهم سوءا وذلك هو معنى الحلف عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن انس والضحاك وقتادة والسدي وثانيها انها العهود التي اخذ الله تعالى على عباده بالايمان به وطاعته فيما احل لهم او حرم عليهم عن ابن عباس في رواية اخرى قال هو ما احل وحرم وما فرض وما حد في القرآن كله اي فلا تتعدوا ولا تنكثوا ويؤيده قوله والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه الى قوله سوء الدار وثالثها ان المراد بها العقود التي يتعاقدها الناس بينهم ويعقدها المرء على نفسه كعقد الايمان وعقد النكاح وعقد البيع وعقد الحلف عن ابن زيد وزيد بن اسلم ورابعها ان ذلك امر من الله تعالى بالوفاء بما اخذ الله به ميثاقهم من العمل بما في التورية والانجيل في تصديق نبينا محمد عليه السلام وما جاء به من عند الله عن ابن جريج وابي صالح واقوى هذه الاقوال قول ابن عباس ان المراد بها عقود الله التي اوجبها على العباد في الحلال والحرام والفرائض والحدود ويدخل في ذلك جميع الاقوال الاخر فيجب الوفاء بجميع ذلك الا ما كان عقدا في المعاونة على امر قبيح فان ذلك محظور بلا خلاف ثم ابتدا تعالى كلاما اخر فقال احلت لكم بهيمة الانعام واختلف في تاويله على اقوال احدها ان المراد به الانعام وانما ذكر البهيمة للتاكيد كما يقال نفس الانسان فمعناه احلت لكم الانعام الابل والبقر والغنم عن الحسن وقتادة والسدي والربيع والضحاك وثانيها ان المراد بذلك اجنة الانعام التي توجد في بطون امهاتها اذا اشعرت وقد ذكيت الامهات وهي ميتة فذكاتها ذكاة امهاتها عن ابن عباس وابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وثالثها ان بهيمة الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش عن الكلبي والفراء والاولى حمل الاية على الجميع الا ما يتلى عليكم معناه الا ما يقرا عليكم تحريمه في القرآن وهو قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير الاية عن ابن عباس

والحسن ومجاهد وقتادة والسدى غير محلى الصيد وانتم حرم من قال انه حال من اوفوا فمعناه اوفوا بالعقود غير محلين الصيد
وانتم محرمون اى فى حال الاحرام ومن قال انه حال من احلت لكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام اى الوحشية من الظباء والبقر
والحمر غير محلين اصطيادها فى الاحرام ومن قال انه حال من يتلى عليكم فمعناه احلت لكم بهيمة الانعام كلها الا ما يتلى عليكم من
الصيد فى اخر السورة غير مستحلين اصطيادها فى حال احرامكم ان الله يحكم ما يريد معناه ان الله يقضى فى خلقه ما يشاء
من تحليل ما يريد تحليله وتحريم ما يريد تحريمه وايجاب ما يريد ايجابه وغير ذلك من احكامه وقضاياه فافعلوا ما امركم به وانتهوا عما
نهاكم عنه وفى قوله احلت لكم بهيمة الانعام دلالة على تحليل اكلها وذبحها والانتفاع بها قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا
تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا
على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب ايه القراءة قرا ابن عامر و
ابو بكر عن عاصم واسمعيل عن نافع شنان بسكون النون الاولى فى الموضعين والباقون شنان بفتحها وقرا ابن كثير
وابو عمرو ان صدوكم بكسر الهمزة والباقون بفتحها الحجة من قرا شنان بالفتح فحجته انه مصدر والمصدر يكثر على الفعلان نحو
الضربان والغليان ومن قرا شنان فحجته ان المصدر يجئ على فعلان ايضا نحو الليان وقول الشاعر وما العيش الا ما تلذ
وتشتهى وان لام فيه ذو الشنان وفندا ويدل على الشنان بالسكون ايضا تخفف الهمزة والقى حركتها على الساكن قبلها على القياس
فيكون المعنى فى القرائتين واحدا وقوله ان صدوكم من كسر ان جعله للجزاء وقوله صدوكم وان كان ماضيا فان الماضى قد يقع
فى الجزاء وليس المراد على ان الجزاء يكون بالماضى ولكن المراد انما كان مثل هذا الفعل يقع منكم كذا وعلى هذا حمل الخليل وسيبويه
قول الفرزدق اتغضب ان اذنا قتيبة حزتا جهارا ولم تغضب لقتل ابن حازم وعلى ذلك قول الشاعر اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة
ولم تجدى من ان تقرى به بدا فانتفاء الولادة امر ماض وقد جعله جزاء والجزاء انما يكون بالمستقبل فكان المعنى ان ننتسب
لا تجدنى مولود لئيمة وجواب ان قد اغنى عنه ما تقدم من قوله ولا يجرمنكم المعنى ان صدوكم عن المسجد الحرام فلا تكتسبوا عدوانا ومن
فتح ان صدوكم فقوله بين لانه مفعول له والتقدير ولا يجرمنكم شنان قوم لان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا فان الثانية فى
موضع نصب بانه المفعول الثانى وان الاولى منصوبة لانه مفعول له اللغة الشعائر جمع شعيرة وهى اعلام الحج واعماله واشتقاقها من قولهم
شعر فلان بهذا الامر اذا علم به والمشاعر المعالم من ذلك والاشعار الاعلام من جهة الحس قيل الشعيرة والاية والعلامة واحدة والحلال
والحل المباح وهو ما لا مزية لفعله على تركه والحرام والحرم ضده وحريم البئر ما حولها لانها تحرم على غير حافرها والحرم الاحرام واحرم الرجل
صار محرما واحرم دخل فى الشهر الحرام ورجل حرمى منسوب الى الحرم والهدى ما يهدى الى الحرم من النعم والقلائد جمع قلادة وهى
ما يقلد بها الهدى والتقليد فى البدن ان يعلق فى عنقها شئ ليعلم انها هدى والقلد السوار لانه كالقلادة لليد والام القصد
يقال اممت كذا اذا قصدته ويممت بمعناه قال الشاعر انى كذاك اذا ما ساءنى بلد يممت صدر بعيرى غيره بلدا ومنها الامام الذى
يقتدى به والامة الدين لانه يقصد والامة بالكسر النعمة لانها تقصد ويقال حللت من الاحرام احل وانت حل والرجل حلال وقالوا حرم الرجل
فهو حرام وقيس وتميم يقولون احل من احرامه فهو محل واحرم فهو محرم والجرم القطع والكسب ولا يجرمنكم اى لا يكسبنكم وهو فعل يتعدى
الى مفعولين وقيل معناه لا يحملنكم عن الكسائى قال بعضهم يقال جرمنى فلان على ان صنعت كذا اى حملنى عليه واستشهدوا بقول
الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا اى حملت وقيل معناه احقت الطعنة لفزارة الغضب وقيل
معناه كسبت فزارة الغضب وشنئت الرجل اشناه شنئا وشنئا وشنأنا وشنانا وشنانا ابغضته وذهب سيبويه الى ان ما كان
من المصادر على فعلان بالفتح لم يتعد فعله الا ان يشذ شئ نحو شنئته شنانا قال سيبويه وقالوا لويته حقه ليانا على فعلان
فعلى هذا يجوز ان يكون الشنان مصدرا مثله وقال ابو زيد رجل شنان وامراة شنانة مصروفان ويقال ايضا رجل شنان غير
منصرف وامراة شنآ وقد جاء الشنان مصدرا ووصفا وهما جميعا قليلان النزول قال ابو جعفر الباقر عليه السلام نزلت هذه الاية

فى رجل من بنى ربيعة يقال له الحطم وقال السدى اقبل الحطم بن هند البكرى حتى اتى النبى عليه السلام وحده وخلف خيله خارج
المدينة فقال الى ما تدعو وقد كان النبى عليه السلام قال لاصحابه يدخل عليكم اليوم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما اجابه
النبى عليه السلام قال انظرنى لعلى اسلم ولى من اشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله عليه السلام لقد دخل بوجه كافر و
خرج بعقب غادر فمر بسرح من سرح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعى ابل
ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم باتوا نياما وابن هند لم ينم بات يقاسيها غلام كالزلم خدلج الساقين ممسوح القدم ثم اقبل
من عام قابل حاجا قد قلد هديا فاراد رسول الله عليه السلام ان يبعث اليه فنزلت هذه الاية ولا آمين البيت الحرام وهو قول
عكرمة وابن جريج وقال ابن زيد نزلت يوم الفتح فى ناس يأمون البيت من المشركين يهلون بعمرة فقال المسلمون يا رسول الله ان هؤلاء
مشركون مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فانزل الله تعالى الاية المعنى ثم ابتدا تعالى بتفصيل الاحكام فقال يا ايها الذين آمنوا
اى صدقوا الله ورسوله فيما وجب عليهم لا تحلوا شعائر الله اختلف فى معنى شعائر الله على اقوال اولها ان معناه لا تحلوا حرمات الله
ولا تتعدوا حدوده وحملوا الشعائر على المعالم اى معالم حدود الله وامره ونهيه وفرائضه عن عطاء وغيره وثانيها ان معناه لا
تحلوا حرم الله وحملوا الشعائر على معالم حرم الله من البلاد عن السدى وثالثها ان معنى شعائر الله مناسك الحج اى لا تحلوا مناسك
الحج فتضيعوها عن ابن جريج وابن عباس ورابعها ما روى عن ابن عباس ان المشركين كانوا يحجون البيت ويهدون الهدايا
ويعظمون حرمة المشاعر وينحرون فى حجهم فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله تعالى عن ذلك وخامسها ان شعائر الله
هى الصفا والمروة والهدى من البدن وغيرها عن مجاهد وقال الفراء كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من الشعائر ولا
يطوفون بينهما فنهاهم الله عن ذلك وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام وسادسها ان المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم فى احرامكم
عن ابن عباس فى رواية اخرى وسابعها ان الشعائر هى العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرم نهاهم الله تعالى ان يتجاوزوها
الى مكة بغير احرام عن ابى على الجبائى وثامنها ان المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة اى المعلمة لتهدى الى بيت الله الحرام عن الزجاج والحسين
بن على المغربى واختاره البلخى واقوى الاقوال هو القول الاول لانه يدخل فيه جميع الاقوال من مناسك الحج وغيرها وحمل الاية على
ما هو اعم اولى ولا الشهر الحرام معناه ولا تستحلوا الشهر الحرام بان تقاتلوا فيه اعداءكم من المشركين كما قال تعالى يسالونك عن
الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير عن ابن عباس وقتادة واختلف فى معنى الشهر الحرام هنا فقيل هو رجب وكانت مضر تحرم فيه
القتال وقيل هو ذو القعدة عن عكرمة وقيل هى الاشهر الحرم كلها نهاهم الله تعالى عن القتال فيها عن الجبائى والبلخى وهذا الىق
بالعموم وقيل اراد به النسئ لقوله انما النسئ زيادة فى الكفر عن القتيبى ولا الهدى اى لا تستحلوا الهدى وهو ما يهدى به الى
بيت الله تعالى من بعير او بقرة او شاة الى بيت الله تعالى تقربا به اليه وطلبا لثوابه فيكون المعنى لا تستحلوا ذلك فتغصبوه اهله ولا تحولوا بينهم
وبين ان يبلغوه محله من الحرم ولكن خلوهم حتى يبلغوا به المحل الذى جعله الله تعالى له وقوله ولا القلائد معناه ولا تحلوا
القلائد وفيه اقوال احدها انه عنى بالقلائد الهدى المقلد وانما كرر لانه اراد المنع من حل الهدى الذى لم يقلد والهدى والهدى
الذى قلد عن ابن عباس واختاره الجبائى وثانيها ان المراد بذلك القلائد التى كان المشركون يتقلدونها اذا ارادوا الحج مقبلين
الى مكة من لحاء السمر واذا خرجوا منها الى منازلهم منصرفين منها الى المشعر عن قتادة قال كان فى الجاهلية اذا خرج الرجل من اهله
يريد الحج تقلد من السمر فلا يعرض له احد واذا رجع تقلد قلادة شعر فلا يتعرض له احد وقال عطا كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم
يامنون به اذا خرجوا من الحرم وقال الفراء اهل الحرم كانوا يتقلدون بلحاء الشجر واهل غير الحرم كانوا يتقلدون بالصوف والشعر
وغيرهما وثالثها انه عنى به المؤمنين نهاهم ان ينزعوا شيئا من شجر الحرم يتقلدون به كما كان المشركون يفعلونه فى جاهليتهم عن عطا
فى رواية اخرى وعن الربيع بن انس ورابعها ان القلائد ما يقلد به الهدى نهاهم عن حلها لانه كان يجب ان يتصدق بها عن
ابى على الجبائى قال هو صوف يفتل ويعلق به على عنق الهدى وقال الحسن هو نعل تقلد بها الابل والبقر ويجب التصدق بها ان كان
لها قيمة والاولى ان يكون نهيا عن استحلال القلائد فيدخل فيه الانسان والبهيمة او يكون نهيا عن استحلال حرمة المقلد هديا كان

ذلك اوانسانا ولا آمين البيت الحرام اى ولا تحلوا قاصدين البيت الحرام اى لا تقاتلوهم لانه من قاتل فى اشهر الحرم فقد احل وقيل لا تحلوا قتال الامين البيت الحرام اى المقاصدين والبيت الحرام بيت الله بمكة وهو الكعبة سمى حراما لحرمته وقيل لانه حرم فيه ما احل فى غيره واختلف فى المعنى بذلك فمنهم من حمله على الكفار واستدل بقوله فيما بعد ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية ومنهم من حمله على من اسلم فكانه نهى ان يوخذ بعد الاسلام بذحل الجاهلية لان الاسلام يجب ما قبله يبتغون اى يطلبون يعنى الذين ياتون البيت الحرام فضلا من ربهم ورضوانا اى ارباحا فى تجاراتهم من الله وان يرضى عنهم بنسكهم على زعمهم فلا يرضى الله عنهم وهم مشركون وقيل يلتمسون رضوان الله عنهم بان لا يحل بهم ما حل بغيرهم من الامم من العقوبة فى عاجل دنياهم عن قتادة ومجاهد وقيل فضلا من الله فى الاخرة ورضوانا منه فيها وقيل فضلا فى الدنيا ورضوانا فى الاخرة وقال ابن عباس ان ذلك فى كل من توجه حاجا وبه قال الضحاك والربيع واختلف فى هذا فقيل هو منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن اكثر المفسرين وقيل لم ينسخ من هذه السورة شئ ولا من هذه الاية لانه لا يجوز ان يبتدى المشركون فى الاشهر الحرم بالقتال الا اذا قاتلوا عن ابن جريج وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام وروى نحوه عن الحسن وذكر ابو مسلم ان المراد به الكفار الذين كانوا فى عهد النبى عليه السلام فلما زال العهد بسورة براءة زال ذلك الحظر ودخلوا فى حكم قوله سبحانه فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقيل لم ينسخ من المايدة غير هذه الاية لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلايد عن الشعبى ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وقيل انما نسخ منها قوله ولا الشهر الحرام الى آمين البيت الحرام ذكر ذلك ابن ابى عروبة عن قتادة قال نسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فى السنة التى نادى على عليه السلام فيها بالاذان وهو قول ابن عباس وقيل لم ينسخ من هذه الاية الا القلايد عن ابى نجيح عن مجاهد واذا حللتم فاصطادوا معناه اذا حللتم من احرامكم فاصطادوا الصيد الذى نهيتم ان تحلوه فاصطادوه ان شئتم حينئذ لان السبب المحرم قد زال عن جميع المفسرين ولا يجرمنكم اى ولا يحملنكم وقيل ولا يكسبنكم شنآن قوم اى بغضاء قوم ان صدوكم اى لان صدوكم اى لاجل انهم صدوكم عن المسجد الحرام يعنى النبى عليه السلام واصحابه لما صدوهم عام الحديبية ان تعتدوا معناه لا يكسبنكم بغضكم قوما الاعتداء عليهم بصدهم اياكم عن المسجد الحرام قال ابو على الفارسى معناه لا يكتسبوا البغض قوم عدوانا ولا تعتدوا هذا فمن فتح ان فوقع اللفظ فى النهى على الشنآن والمعنى بالنهى المخاطبون كما قالوا لا اريتك ههنا ولا تموتن الا وانتم مسلمون ومن جعل شنآن صفة فقد اقام الصفة مقام الموصوف ويكون تقديره لا يحملنكم مبغض قوم والمعنى على الاول ومن قرا ان صدوكم بكسر الالف فقد مر ذكره معناه ان تتجاوزوا حكم الله فيهم الى ما نهاكم عنه نهى الله المسلمين عن الطلب بذحل الجاهلية عن مجاهد وقال هذا غير منسوخ وهو الاولى وقال ابن زيد هو منسوخ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان هو استيناف كلام وليس بعطف على تعتدوا فيكون فى موضع نصب امر الله عباده بان يعين بعضهم بعضا على البر وهو العمل بما امرهم الله به واتقاء ما نهاهم الله عنه ونهاهم ان يعين بعضهم بعضا على الاثم وهو ترك ما امرهم به وارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان وهو مجاوزة ما حد الله تعالى لعباده فى دينهم وفرض لهم فى انفسهم عن ابن عباس وابى العاليه وغيرهما من المفسرين واتقوا الله ان الله شديد العقاب هذا امر منه تعالى بالتقوى ووعيد وتهديد لمن تعدى حدوده وتجاوز امره يقول احذروا معصية الله فيما امركم به ونهاكم عنه فتستوجبوا عقابه وتستحقوا عذابه ثم وصف عقابه بالشدة لانه نار لا يطفا حرها ولا يخمد جمرها نعوذ بالله منها قوله عز وجل حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم اية القراءة روى فى الشواذ قراءة ابن عباس واكيل السبع وعن الحسن وما اكل السبع بسكون الباء وقراء يحيى بن وثاب وابرهيم غير متجنف لاثم الحجة قال ابن جنى الاكيل اسم للماكول كالنطيحة والاكيل للجنس والعموم يصلح للمذكر والمونث تقول مررت بشاة اكيل اى قد اكلها الاسد ونحوه وقوله

وان نعتد معناه

مالنا

مالنا طعام الا الاكيلة اى الشاة اوالجزور المعدة للاكل وان كانت قد اكلت فهى بلا هاء فاكيل السبع ما اكل السبع بعضه والسبع خفيف للسبع قال حسان بن ثابت فى عتبة بن ابى لهب من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع وقوله متجانف ومتجنف بمعنى وتفعل ابلغ من تفاعل فمتجنف بمعنى متميل ومتاود ومتجانف مثل متمايل ومتاود اللغة اصل الاهلال رفع الصوت بالشئ ومثله استهلال الصبى وهو صياحه اذا سقط من بطن امه ومنه اهلال المحرم بالحج والعمرة اذا لبى به قال ابن احمر يهل بالفرقد ركبانها كما يهل الراكب المعتمر وسمى الهلال هلالا لانه يرفع الصوت عنده ويقال خنقه خنقا اذا اطغته ومنه المخنقة القلادة والوقذ شدة الضرب يقال وقذها يقذها وقذا واوقذها ايقاذا اذا اثخنها ضربا قال الفرزدق شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الابكار والردى الهلاك والتردى التهور والنطيحة المنطوحة نقل من مفعول الى فعيل وانما ثبت فيها الهاء وان كان فعيل بمعنى المفعول لا يثبت فيه الهاء مثل لحية دهين وعين كحيل وكف خضيب لانها ادخلت فى حيز الاسماء وقال بعض الكوفيون انما يحذف الهاء من فعيلة بمعنى مفعولة اذا كانت صفة لاسم قد تقدمها مثل كف خضيب وعين كحيل فاما اذا حذف الكف والعين وما يكون فعيل نعتا له واجتزوا بفعيل اثبتوا فيه هاء التانيث ليعلم بثبوتها فيه انها صفة للمونث فيقال رأينا كحيلة وخضيبة والتذكية فرى الاوداج والحلقوم لما كانت فيه حيوة ولا يكون بحكم الميت واصل الذكاء فى اللغة تمام الشئ فمن ذلك الذكاء فى السن والفهم قال الخليل الذكاء ان ياتى فى السن على القروحة وهى فى ذات الحافر وهى البزولة فى ذات الخف وهى الضلوعة فى ذات الظلف وذاك استكمال تمام القوة قال زهير يفضله اذا اجتهدا عليها تمام السن منه والذكاء وفى المثل جرى مذكيات غلاب اى جرى المسان التى قد اسنت مغالبة يريد ان المسان يحتمل ان توخذ بالغلبة لفضل قوتها والصغار لا تحمل على ذلك وتذاكى ويروى غلاء وهى جمع غلوة اى هى يمتد استدادا كما تريد وليست كالجذع الذى لا علم له فيخرج فى اول شوط اقصى ما عنده من الحضر ثم هو مسبوق معنى تمام السن النهاية فى الشباب فاذا انتقص عن ذلك او زاد فلا يقال له الذكاء والذكاء فى الفهم ان يكون تاما سريع القبول وذكيت النار من هذا اى اتممت اشعالها والنصب الحجارة التى كانوا يعبدونها واحدها نصاب وجاز ان يكون واحدا وجمعه انصاب والازلام جمع زلم وزلم وهو القدح والاستقسام طلب القسمة والقسم المصدر والقسم بالكسر النصيب والمخمصة شدة ضمور البطن وهو مفعلة مثل المجبنة والمبخلة من خمص البطن وهو طيه واضطماره من الجوع وشدة السغب دون ان يكون مخلوقا كذلك قال النابغة والبطن ذو عكن خميص لين والنحر تنفجه بثدى مقعد لم يصفها بالجوع وانما وصفها بلطافة طى البطن واما قول الاعشى تبيتون فى المشتاء ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمايصا فمن الاضطمار من الجوع والمتجانف المتمايل للاثم المنحرف اليه من جنف القوم اذا مالوا وكل اعوج فهو اجنف المعنى ثم بين تعالى ما استثناه فى الاية المتقدمة بقوله الا ما يتلى عليكم فقال مخاطبا للمكلفين حرمت عليكم الميتة والدم اى حرم عليكم اكل الميتة والدم والانتفاع بها وهو كل ما له نفس سايلة من دواب البر وطيره مما اباح الله اكله اهليهما ووحشيهما فارقه روحه من غير تذكية وقيل الميتة كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره بغير تذكية فقد روى عن النبى عليه السلام انه سمى السمك والجراد ميتا فقال ميتتان مباحتان الجراد والسمك والدم اى وحرم عليكم الدم وكانوا يجعلونه فى المباعر ويشوونه وياكلونه فاعلم الله تعالى ان الدم المسفوح اى المصبوب حرام فاما المتلطخ باللحم فانه كاللحم وما كان كاللحم مثل الكبد فهو مباح واما الطحال فقد روى الكراهة فيه عن على وابن مسعود واصحابهما واجمعت الامامية على انه حرام وذهب ساير الفقهاء الى انه مباح ولحم الخنزير وانما ذكر لحم الخنزير ليبين انه حرام بعينه لا لكونه ميتة حتى انه لا يحل تناوله وان حصل فيه ما يكون ذكاة لغيره وفايدة تخصيصه بالتحريم مع مشاركة الكلب اياه فى التحريم حالة وجود الحياة وعدمها وكذلك السباع والمسوخ وما لا يحل اكله من الحيوانات ان كثيرا من الكفار اعتادوا اكله والفوه اكثر مما اعتادوه فى غيره وما اهل لغير الله به موضع ما رفع وتقديره وحرم عليكم ما اهل لغير الله به وقد ذكرنا معناه فى سورة البقرة وفيه دلالة على ان ذبايح من خالف الاسلام لا يجوز اكله لانهم يذكرون عليه اسم غير الله لانهم يعنون به من ابد شرع موسى ام اتخذ عيسى او اتخذ ابنا وذلك غير الله فاما من اظهر الاسلام ودان بالتجسيم والتشبيه او الجبر او خالف الحق فعندنا لا يجوز اكل ذبيحته وفيه خلاف بين الفقهاء والمنخنقة

وهي التي تدخل راسها بين شعبتين من شجرة فتختنق وتموت عن السدي وقيل هي التي تختنق بحبل الصائد فتموت عن الضحاك وقتادة
وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقونها فيأكلونها والموقوذة وهي التي تضرب حتى تموت عن ابن عباس وقتادة والسدي
والمتردية وهي التي تقع من جبل او مكان عال او تقع في بئر فتموت عن ابن عباس وقتادة والسدي ومتى وقع في بئر ولا يقدر
على تذكيته جاز ان يطعن ويضرب بالسكين في غير المذبح حتى يبرد ثم يؤكل والنطيحة وهي التي ينطحها غيرها فتموت وما اكل السبع اي و
حرم عليكم ما اكله السبع بمعنى قتله السبع وهو فريسة السبع عن ابن عباس وقتادة والضحاك الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتم ذكاته
تذكيتموه من هذه الاشياء وموضع ما نصب بالاستثناء وروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام ان ادنى ما يدرك به الذكاة
ان يدركه يحرك اذنه او ذنبه او تطرف عينه وبه قال الحسن وقتادة وابرهيم وطاوس والضحاك وابن زيد واختلف في الاستثنا
الى ماذا يرجع فقيل يرجع الى جميع ما تقدم ذكره من المحرمات سوى ما لا يقبل الذكاة من الخنزير والدم عن علي وابن عباس وقيل
هو استثناء من التحريم لا من المحرمات لان الميتة لا ذكاة لها ولا الخنزير فمعناه حرمت عليكم ساير ما ذكرنا الا ما ذكيتم مما احله الله لكم
بالتذكية فانه حلال لكم عن مالك وجماعة من اهل المدينة واختاره الجبائي ومتى قيل ما وجه التكرار في قوله والمنخنقة والموقوذة
الى آخره وما تقدم تحريمه مع انه افتتح الآية بقوله حرمت عليكم الميتة والميتة تعم جميع ذلك وان اختلفت اسباب الموت من خنق او تردّ
او نطح او اهلال لغير الله به او اكل سبع فالجواب ان الفائدة في ذلك انهم كانوا لا يعدّون الميت الا ما مات حتف انفه من دون
شيء من هذه الاسباب فاعلمهم الله تعالى ان الجميع واحد وان وجه الاستباحة هو التذكية المشروعة فقط قال السدي ان ناسا من
العرب كانوا يأكلون جميع ذلك ولا يعدونه ميتا انما يعدون الميت الذي يموت من الوجع وما ذبح على النصب وهي الحجارة التي كانوا يعبدونها
وهي الاوثان عن مجاهد وقتادة وابن جريج يعني وحرم عليكم ما ذبح على النصب على اسم الاوثان وقيل معناه وما ذبح للاوثان تقربا اليها
واللام وعلى متعاقبان الا ترى الى قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين يعني عليك وكانوا يتقربون ويلطخون اوثانهم بدمائها قال
ابن جريج ليست النصب اصناما انما الاصنام ما تصوّر وتنقش بل كانت احجارا منصوبة حول الكعبة وكانت ثلثمائة وستين حجرا وقيل كانت
ثلثمائة منها لخزاعة وكانوا اذا ذبحوا نضحوا الدم على ما اقبل من البيت وشرحوا اللحم وجعلوه على الحجارة فقال المسلمون يا رسول الله كان
اهل الجاهلية يعظمون البيت بالدم فنحن احق بتعظيمه فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية وان تستقسموا بالازلام
موضعه رفع اي وحرم عليكم الاستقسام بالازلام ومعناه طلب قسم الارزاق بالقداح التي كانوا يتفألون بها في اسفارهم وابتداء امورهم
وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وبعضها غفل لم يكتب عليها شيء فاذا ارادوا سفرا او
امرا يهتمون به ضربوا تلك القداح فان خرج السهم الذي عليه امرني ربي مضى لحاجته وان خرج الذي عليه نهاني ربي لم يمض
وان خرج ما ليس عليه شيء اعادوها فبين الله تعالى ان العمل بذلك حرام عن الحسن وجماعة من المفسرين وروي عن علي بن
ابرهيم في تفسيره عن الصادقين عليهم السلام ان الازلام عشرة سبعة لها انصباء وثلثة لا انصباء لها فالتي لها انصباء الفذ والتوأم
والمسبل والنافس والحلس والرقيب والمعلى فالفذ له سهم والتوأم له سهمان والمسبل له ثلثة اسهم والنافس له اربعة اسهم والحلس
له خمسة اسهم والرقيب له ستة اسهم والمعلى له سبعة اسهم والتي لا انصباء لها الوغد والسفيح والمنيح وكانوا يعمدون الى الجزور
فيجزّئونه اجزاء ثم يجتمعون عليه فيخرجون السهام ويدفعونها الى رجل وثمن الجزور على من تخرج له التي لا انصباء لها وهو القمار فحرمه الله
تعالى وقيل هي كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها عن مجاهد وقيل هو الشطرنج عن سفيان بن وكيع ذلكم فسق
معناه ان جميع ما سبق ذكره فسق اي ذنب عظيم وخروج من طاعة الله الى معصيته عن ابن عباس وقيل ان ذلكم اشارة الى الاستقسام
بالازلام اي ان ذلك الاستقسام فسق وهو الاظهر اليوم يئس الذين كفروا من دينكم ليس يريد يوما بعينه بل معناه الآن يئس
الكافرون من دينكم كما يقول القائل اليوم قد كبرت يريد ان الله تعالى حوّل الخوف الذي كان يلحقكم من الكافرين اليهم ويئسوا
من بطلان الاسلام وجاءكم ما كنتم توعدون به في قوله ليظهره على الدين كله والدين اسم لجميع ما تعبّد الله به خلقه وامرهم بالقيام
به ومعنى يئسوا انقطع طمعهم من دينكم ان تتركوه وترجعوا منه الى الشرك عن ابن عباس والسدي وعطا وقيل المراد باليوم يوم عرفة

مى

من حجة الوداع بعد دخول العرب كلها في الاسلام عن مجاهد وابن جريج وابن زيد وكان يوم جمعة ونظر النبي عليه السلام فلم
ير الا مسلما موحدا ولم ير مشركا فلا تخشوهم خطاب للمؤمنين نهاهم الله ان يخشوا ويخافوا من الكفار ان يظهروا على دين الا
ويقهروا المسلمين ويردوهم عن دينهم واخشون اي ولكن اخشوني اي خافوني ان خالفتم امري وارتكبتم معصيتي ان احل
بكم عقابي عن ابن جريج وغيره اليوم اكملت لكم دينكم قيل فيه اقوال احدها ان معناه اكملت لكم فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي
بتنزيلي ما انزلت وبياني ما بينت لكم فلا زيادة في ذلك ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم وكان ذلك يوم عرفة عام حجة
الوداع عن ابن عباس والسدي واختاره الجبائي والبلخي قالوا ولم ينزل بعد هذا على النبي عليه السلام شيء من الفرائض في تحليل
ولا تحريم وانه عليه السلام مضى بعد ذلك باحد وثمانين ليلة فان اعترض معترض فقال اكان دين الله ناقصا وقتا من الاوقات
حتى اتمه في ذلك اليوم فجوابه ان دين الله لم يكن الا كاملا في كل حال ولكن لما كان معرضا للنسخ والزيادة فيه ونزول
الوحي بتحليل شيء وتحريمه لم يمتنع ان يوصف بالكمال اذا امن من جميع ذلك فيه كما توصف العشرة بانها كاملة ولا يلزم ان توصف
بالنقصان لما كانت المائة اكثر منها واكمل وثانيها ان معناه اليوم اكملت لكم حجكم وافردتكم بالبلد الحرام تحجونه دون المشركين فلا
يخالطكم مشرك عن سعيد بن جبير وقتادة واختاره الطبري قال لان الله انزل بعده يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال
الفراء وهي آخر آية نزلت وهذا الذي ذكره لو صح لكان لهذا القول ترجيح لكن فيه خلاف وثالثها ان معناه اليوم كفيتكم خوف الاعداء
واظهرتكم عليهم كما تقول الآن كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد بان كفينا ما كنا نخافه عن الزجاج والمروي عن الامامين ابي
جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انه انما انزل بعد ان نصب النبي عليه السلام عليا علما للانام يوم غدير خم بعد منصرفه عن حجة الوداع
قالا وهو آخر فريضة انزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة وقد حدثنا السيد العالم ابو الحمد مهدي بن نزار الحسني قال
حدثنا ابو القسم عبد الله بن عبد الله الحسكاني قال اخبرنا ابو عبد الله الشيرازي قال اخبرنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد
البصري قال حدثنا احمد بن عمار بن خالد قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال حدثنا قيس بن الربيع عن ابي هرون العبدي
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية قال الله اكبر على اكمال الدين واتمام النعمة ورضاء الرب برسالتي وولاية
علي بن ابي طالب من بعدي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وقال
علي بن ابرهيم في تفسيره حدثني ابي عن صفوان عن العلا ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر قال كان نزولها بكراع الغميم فاقامها رسول الله بالجحفة
وقال الربيع بن انس نزلت في المسير في حجة الوداع واتممت عليكم نعمتي خاطب تعالى المؤمنين بانه اتم النعمة عليهم باظهارهم على المشركين ونفيهم
عن بلادهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه واتممت عليكم نعمتي بان اعطيتكم من العلم والحكمة ما لم يعط قبلكم نبي ولا امة وقيل
ان تمام النعمة دخول الجنة ورضيت لكم الاسلام دينا اي ورضيت لكم الاستسلام لامري والانقياد لطاعتي على ما شرعت لكم من حدوده
وفرائضه ومعالمه دينا اي طاعة منكم لي والفائدة في هذا ان الله تعالى لم يزل يصرف نبيه محمدا واصحابه في درجات الاسلام و
مراتبه درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة حتى اكمل لهم شرايعه وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم قال رضيت لكم الحال التي انتم
عليها اليوم فالزموها ولا تفارقوها ثم عاد الكلام الى القصة المتقدمة في التحريم والتحليل وانما ذكر قوله اليوم يئس الذين كفروا الى رضيت
لكم الاسلام دينا اعتراضا فمن اضطر في مخمصة معناه فمن دعته الضرورة في مجاعة حتى لا يمكنه الامتناع من اكله عن ابن عباس
وقتادة والسدي غير متجانف لاثم اي غير مائل الى اثم وهو نصب على الحال يعني فمن اضطر الى اكل الميتة وما عدد الله تحريمه عند
المجاعة الشديدة غير متعمد لذلك ولا مختار له ولا مستحل فان الله تعالى اباح تناول ذلك له قدر ما يمسك به رمقه بلا زيادة
عليه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وبه قال اهل العراق وقال اهل المدينة يجوز ان يشبع منه عند الضرورة وقيل ان معنى قوله
غير متجانف لاثم غير عاص بان يكون باغيا او عاديا او خارجا في معصية عن قتادة فان الله غفور رحيم في الكلام محذوف دل ما
ذكر عليه والمعنى فمن اضطر الى ما حرمت عليه غير متجانف لاثم فاكله فان الله غفور للذنوب ساتر عليه اكله لا يؤاخذه به وليس
يريد انه يغفر له عقاب ذلك الاكل لانه اباحه له ولا يستحق العقاب على فعل المباح وهو رحيم اي رفيق بعباده ومن رحمته اباح

لم يكن الا في كل حال ولكن

لهم ما حرم عليهم فى حال الخوف على النفس قوله عز وجل يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ اية القراءة المشهور فى القراءة مكلبين بالتشديد وروى عن ابن مسعود والحسن مُكْلِبين بالتخفيف الحجة اكلاب الكلب هو اغراؤه بالصيد وايساده يقال كلب واكلبته واسد واسدته ويحتمل ان يكون من اكلب الرجل اذا اكثرت كلابه كما يقال امشى اذا اكثرت ماشيته والمكلب بالتشديد صاحب الكلاب يقال رجل مكلب وكلّاب اذا كان صاحب صيد بالكلاب وقيل هو الذى يعلّم الكلاب اخذ الصيد اللغة الطيب هو الحلال وقيل هو المستلذ والجوارح الكواسب من الطير والسباع الواحدة جارحة وسميت جوارح لانها تكسب اربابها الطعام بصيدها يقال جرح فلان اهله خيرا اذا كسبهم خيرا وفلان جارحة اهله اى كاسبهم ولا جارحة لفلانة اى كاسبة وبها قال الاعشى

ذات خدّ منضج ميسمها يذكر الجارح ما كان اجترح يعنى اكتسب الاعراب ما ذا احل لهم يحتمل ان يكون ما وحدها اسما وخبره قوله ذا واحل من صلة ذا وتقديره اى الذى احل لهم ويحتمل ان يكون ما وذا اسما واحدا مرفوعا بالابتداء واحل خبره وتقديره اى شئ احل لهم ومكلبين نصب على الحال اى وما علمتم من الجوارح فى حال مصيركم اصحاب كلاب تعلمونهن فى موضع نصب ايضا بانه حال من مكلبين وقوله مما امسكن قيل من هنا زائدة لان جميع ما يمسكنه مباح كقوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد تقديره وينزل من جبال فيها من برد تقديره وينزل من السماء جبالا فيها برد وذكران فى هذه الاية غير ذا من الوجوه سنذكرها اذا انتهينا الى موضعها من الكتاب انشاء الله تعالى وقيل ان من للتبعيض لانه لا يجوز ان ياكل جميع ما يمسكه الكلب فان فى جملته ما هو حرام من الدم والفرث والغدد وغير ذلك مما لا يجوز اكله فمعناه فكلوا مما اباح الله لكم اكله مما امسكن عليكم النزول عن ابى رافع قال جاء جبرئيل الى النبى عليه السلام يستاذن عليه فاذن له وقال قد اذنا لك يا رسول الله فقال اجل ولكنا لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرنى رسول الله ان اقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت الى امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها وجئت الى رسول الله فاخبرته فامرنى فرجعت وقتلت الكلب فجاءوا فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الامة التى امرت بقتلها فسكت رسول الله عليه السلام فانزل الاية فاذن رسول الله عليه السلام فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيها وامر بقتل العقور وما يضر ويؤذى وعن ابى حمزة الثمالى والحكم بن ظهير ان زيد بن الخليل وعدى بن حاتم الطائيين اتيا رسول الله فقالا ان فينا رجلين لهما ستة اكلب تاخذ البقر الوحش والظباء فمنها ما يدرك ذكاته ومنها ما يموت وقد حرم الله الميتة فما ذا يحل لنا من هذا فانزل الله تعالى فكلوا مما امسكن عليكم وسماه رسول الله عليه السلم زيد الخير المعنى لما قدم تعالى ذكر المحرمات عقبه بذكر ما احل فقال يسألونك يا محمد ماذا احل لهم معناه اى شئ احل لهم اى يستخبرك المؤمنون ما الذى احل لهم من المطاعم والمآكل وقيل من الصيد والذبائح قل يا محمد احل لكم الطيبات منها وهى الحلال التى اذن لكم ربكم فى اكله من المأكولات والذبائح والصيد عن ابى على الجبائى وابى مسلم وقيل ما لم يرد بتحريمه كتاب ولا سنة وهذا اولى لما ورد ان الاشياء كلها على الاطلاق والاباحة حتى يرد الشرع بالتحريم وقال البلخى الطيبات ما يستلذ وما علمتم من الجوارح اى واحل لكم ايضا مع ذلك صيد ما علمتم من الجوارح اى واحل لكم ايضا الكواسب من سباع الطير والبهائم فحذف المضاف لدلالة قوله مما امسكن عليكم عليه ولانه جواب عن سؤال السائل عن الصيد وقيل الجوارح هى الكلاب فقط عن ابن عمر والضحاك والسدى وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلم فانهم قالوا هى الكلاب المعلمة خاصة احله الله اذا ادركه صاحبه وقد قتله لقوله فكلوا مما امسكن عليكم وروى على بن ابرهيم فى تفسيره باسناده عن ابى بكر الحضرمى عن ابى عبد الله عليه السلم قال سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال لا تاكل الا ما ذكيت الا الكلاب قلت فان قتله قال كل فان الله يقول وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ثم قال عليه السلم كل شئ من السباع تمسك الصيد على نفسها الا الكلاب المعلمة فانها تمسك على صاحبها وقال اذا ارسلت الكلب المعلم فاذكر اسم الله فهو ذكاته وهو ان يقول بسم الله والله اكبر ويؤيد هذا المذهب بعد من قوله مكلبين اى اصحاب الصيد بالكلاب وقيل اصحاب التعليم للكلاب تعلمونهن مما علمكم الله

اى

اى تؤدبونهن حتى يصرن معلمة مما الهمكم الله بعقولكم حتى تميزتم بين المعلم وغير المعلم وفى هذا دلالة ايضا على ان صيد الكلب غير المعلم حرام اذا لم يدرك ذكاته وقيل معناه تعلمونهن كما علمكم الله عن السدى وهذا بعيد لان من بمعنى الكاف لا يعرف فى اللغة ولا يقارب بينهما لان الكاف للتشبيه ومن للتبعيض واختلف فى صفة الكلب المعلم فقيل هو ان يستشلى لطلب الصيد اذا ارسله صاحبه ويمسك عليه اذا اخذ ويستجيب له اذا دعاه ولا يفر منه فاذا توالى منه ذلك كان معلما عن سعد بن ابى وقاص وسلمان وابن عمر وقيل هو ما ذكرناه كله وان لا ياكل منه عن ابن عباس وعدى بن حاتم وعطا والشعبى وطاوس والسدى روى عدى بن حاتم عن النبى عليه السلم انه قال اذا اكل الكلب من الصيد فلا تاكل منه فانما امسك على نفسه وقيل حد التعليم ان يفعل ذلك ثلاث مرات عن ابى يوسف ومحمد وقيل لا حد لتعلم الكلاب فاذا فعل ما قلناه فهو معلم ويدل على ذلك ما رواه اصحابنا انه اذا اخذ كلب المجوسى فعلمه فى الحال فاصطاد به جاز اكل ما يقتله وقد تقدم ان عند اهل البيت عليهم السلم لا يحل اكل الصيد غير الكلب الا ما ادرك ذكاته ومن اجاز ذلك قال ان تعلم البازى هو ان يرجع الى صاحبه وتعلم كل جارحة من البهائم والطير هو ان يشلى على الصيد فيستشلى ويأخذ الصيد ويدعوه صاحبه فيجيب فاذا كان كذلك كان معلما اكل منه او لم ياكل روى ذلك عن سلمان وعن سعد بن ابى وقاص وابن عمر وقال آخرون ما اكل منه فلا يؤكل روى عن على والشعبى وعكرمة وقوله فكلوا مما امسكن عليكم اى مما امسك الجوارح عليكم وهذا يقوى قول من قال ما اكل منه الكلب لا يجوز اكله لانه امسك على نفسه ومن شرط فى استباحة ما يقتله الكلب ان يكون صاحبه قد سمى عند ارساله فاذا لم يسم لم يجز له اكله الا اذا ادرك ذكاته وادنى ما يدرك به ذكاته ان يجده يتحرك عينه او اذنه او ذنبه فيذكيه حينئذ بفرى الحلقوم والاوداج واذكروا اسم الله عليه اى عند الارسال عن ابن عباس والحسن والسدى وقيل معناه اذكروا اسم الله على ذبح ما تذبحونه وهذا صريح فى وجوب التسمية والقول الاول اصح واتقوا الله اى اجتنبوا ما نهاكم الله عنه فلا تقربوه واحذروا معاصيه التى منها اكل صيد الكلب غير المعلم او ما لم يمسك عليكم او ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد والذبائح ان الله سريع الحساب قدم تفسيره قوله عز وجل الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ اية المعنى ثم بين تعالى فى هذه الاية ما يحل من الاطعمة والانكحة اتماما لما تقدم فقال اليوم احل لكم الطيبات وقد مر معناه وهذا يقتضى تحليل كل مستطاب من الاطعمة الا ما قام الدليل على تحريمه وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اختلف فى الطعام المذكور فى الاية فقيل المراد به ذبايح اهل الكتاب عن اكثر المفسرين واكثر الفقهاء وبه قال جماعة من اصحابنا ثم اختلفوا فمنهم من قال اراد به ذباحة كل كتابى ممن انزل عليه التورية والانجيل ومن دخل فى ملتهم وان لم يكن منهم عن ابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن المسيب والشعبى وعطا وقتادة واجازوا ذبايح نصارى بنى تغلب ومنهم من قال عنى به من انزلت التورية والانجيل عليهم او كان من ابنائهم واما من كان دخيلا فيهم من ساير الامم ودان بدينهم فلا يحل ذبايحهم حكى ذلك الربيع عن الشافعى وحرم ذبايح بنى تغلب من النصارى ورووا ذلك عن على عليه السلم وسعيد بن جبير وقيل المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب ذبايحهم وغيرها من الاطعمة عن ابى الدرداء ذكره عن ابن عباس وابرهيم وقتادة والسدى والضحاك ومجاهد وبه قال الطبرى والجبائى والبلخى وغيرهم وقيل انه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه الى التذكية وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم وبه قال جماعة من الزيدية واما ذبايحهم فلا تحل وطعامكم حل لهم معناه وطعامكم يحل لهم ان تطعموهم والمحصنات من المؤمنات معناه واحل لكم العقد على المحصنات اى العفايف من المؤمنات عن الحسن والشعبى وابرهيم وقيل اراد الحراير عن مجاهد واختاره ابو على فعلى هذا القول لا يدخل الاماء فى الاباحة مع القدرة على طول الحرة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود والنصارى واختلف فى

معناه فقيل هن العفايف حرايركن او اماء حربيات كن او ذميات عن مجاهد والحسن والشعبى وغيرهم وقيل هن الحراير ذميات كن ام حربيات كن وقال اصحابنا لا يجوز عقد الدوام على الكتابية لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر واوّلوا هذه الآية بان المراد بالمحصنات من الذين اوتوا الكتاب اللاتى اسلمن منهن والمراد بالمحصنات من المؤمنات اللاتى كن فى الاصل مؤمنات بان ولدن على الاسلام وذلك ان قوما كانوا يتحرجون من العقد على من اسلمت عن كفر فبين الله تعالى انه لا حرج فى ذلك فلذلك افردهن بالذكر حكى ذلك ابو القسم البلخى قالوا ويجوز ان يكون مخصوصا ايضا بنكاح المتعة وملك اليمين فان عندنا يجوز وطيهن بكلى الوجهين على انه قد روى ابو الجارود عن ابى جعفر عليه السلم انه منسوخ بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وبقوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقوله اذا آتيتموهن اجورهن اى مهورهن وهو عوض الاستمتاع بهن عن ابن عباس وغيره محصنين غير مسافحين يعنى اعفاء غير زانين بكل فاجرة وهو منصوب على الحال ولا متخذى اخدان اى ولا منفردين ببغية واحدة خادنها وخادنته واتخذها صديقة لنفسه يفجر بها وقد مر معنى الاحصان والسفاح والاخدان فى سورة النساء ومن يكفر بالايمان اى ومن يجحد بما امر الله بالاقرار به والتصديق من توحيد الله وعدله ونبوة نبيه فقد حبط عمله الذى عمله واعتقده قربة الى الله تعالى وانما يحبط الاعمال بان لا يستحق عليها ثواب وهو فى الآخرة من الخاسرين اى الهالكين وقيل المعنى بقوله ومن يكفر بالايمان اهل الكتاب ويكون معناه ومن يمتنع عن الايمان ولم يؤمن وفى قوله فقد حبط عمله هنا دلالة على ان حبوط الاعمال لا يترتب على ثبوت الثواب فان الكافر لا يكون له عمل قد ثبت عليه ثواب وانما يكون له عمل فى الظاهر لولا كفره لكان يستحق الثواب عليه فعبر تعالى عن هذا العمل بانه حبط فهو حقيقة معناه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون آية القراءة قرأ نافع وابن عامر ويعقوب والكسائى وحفص والاعشى عن ابى بكر عن عاصم وارجلكم بالنصب والباقون وارجلكم بالجر وقد ذكرنا اختلافهم فى لامستم فى سورة النساء وسنذكر ما قيل فى ارجلكم على القرائتين فى المعنى لان الكلام فيه يتعلق بما اختلف فيه الامة من القول بوجوب غسل الرجلين او مسحهما او التخيير بين المسح والغسل او وجوب الامرين كليهما على ما سنبينه ان شاء الله تعالى اللغة الجنب يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما يقال رجل عدل وقوم عدل ورجل زور وقوم زور ويقال رجل جنب وقوم جنب ورجلان جنب وامرأة جنب وانما هو على تاويل ذو جنب لانه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه ومن العرب من يثنى ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل واجنب الرجل وجنب واجتنب واصل الجنابة البعد قال علقمة فلا تحرمنى نائلا عن جنابة فانى امرؤ وسط القباب غريب فاطهروا معناه فتطهروا الا ان التاء ادغمت فى الطاء فسكن اول الكلمة وزيد فيه الف الوصل وقيل اطهروا المعنى لما تقدم الامر بالوفاء بالعقود ومن جملتها اقامة الصلوة ومن شرايطها الطهارة بين تعالى ذلك بقوله يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة وانتم على غير طهر وحذف الارادة لان فى الكلام دلالة على ذلك ومثله قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة والمعنى اذا اردت قراءة القرآن واذا كنت فيهم فاذا اردت ان تقيم لهم الصلوة وهو قول ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة فعليكم الوضوء عن عكرمة واليه ذهب داود قال وكان على يتوضأ لكل صلوة ويقرأ هذه الآية وكان الخلفاء يتوضؤن لكل صلوة والقول الاول هو الصحيح واليه ذهب الفقهاء كلهم وما رووه من تجديد الوضوء فمحمول على الندب والاستحباب وقيل ان الفرض كان فى بدو الاسلام الوضوء عند كل صلوة ثم نسخ بالتخفيف وبه قال ابن عمر قال حدثتنى اسماء بنت زيد بن الخطاب ان عبد الله ابن حنظلة بن ابى عامر الغسيل حدثها ان النبى عليه السلم امر بالوضوء عند كل صلوة فشق ذلك عليه فامر بالسواك ورفع عنه الوضوء الا من حدث فكان عبد الله يرى ان فرضه على ما كان عليه فكان يتوضأ وروى سليمان بن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله يتوضأ لكل صلوة فلما كان عام الفتح صلى الصلوة كلها بوضوء واحد فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله صنعت شيئا ما كنت تصنعه قال

عبد الله بن حنظلة بن ابى عامر الغسيل الملائكة لانه استشهد يوم احد فغسلته الملائكة

ابن مسعود

عمدا فعلته يا عمر وقيل ان هذا اعلام بان الوضوء لا يجب الا للصلوة لانه روى ان النبى عليه السلم كان اذا احدث امتنع من الاعمال كلها حتى انه لا يرد جواب السلم حتى يتطهر للصلوة ثم يجيب حتى نزلت هذه الآية فاغسلوا وجوهكم هذا امر منه تعالى بغسل الوجه والغسل هو امرار الماء على المحل حتى يسيل والمسح هو ان يبل المحل بالماء من غير ان يسيل واختلف فى حد الوجه فالمروى عن ائمتنا عليهم السلم انه من قصاص شعر الراس الى محادر شعر الذقن طولا وما دخل بين الوسطى والابهام عرضا وقيل حده ما ظهر من بشرة الانسان من قصاص شعر راسه منحدرا الى منقطع ذقنه طولا وما بين الاذنين عرضا دون ما غطاه الشعر من الذقن وغيره كما قلناه وهو المروى عن ابن عباس وابن عمر والحسن وقتادة والزهرى وسعيد وغيرهم واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه وقيل الوجه كل ما دون منابت الشعر من الراس الى منقطع الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا ما ظهر من ذلك لعين الناظر من منابت شعر اللحية والعارض وما بطن وما كان منه داخل الفم والانف وما اقبل من الاذنين على الوجه عن انس بن مالك وام سلمة وعمار ومجاهد وسعيد بن جبير وجماعة واليه ذهب الشافعى وايديكم الى المرافق اى اغسلوا ذلك ايضا والمرافق جمع المرفق وهو المكان الذى يرتفق به اى يتكأ عليه من اليد قال الواحدى كثير من النحويين يجعلون الى ههنا بمعنى مع ويوجبون غسل المرفق وهو مذهب اكثر الفقهاء وقال الزجاج لو كان معناه مع المرافق لم يكن فى المرافق فائدة وكانت اليد كلها يجب ان تغسل ولكنه لما قيل الى المرافق اقتطعت فى الغسل من حد المرفق فالمرافق حد ما ينتهى اليه فى الغسل منها والظاهر على ما ذكره لكن الامة اجمعت على ان من بدأ من المرفقين فى غسل اليدين صح وضوؤه واختلفوا فى صحة وضوء من بدأ من الاصابع الى المرفق واجمعت الامة ايضا على ان من غسل المرفقين صح وضوؤه وقال الشافعى لا اعلم خلافا فى ان المرافق يجب غسلها ومما جاء فى القرآن الى بمعنى مع قوله تعالى من انصارى الى الله اى مع الله وقوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ونحوه قول امرء القيس له كفل كالدعص لبده الندى الى حارك مثل الرتاج المضبب وفى امثال ذلك كثرة وامسحوا برؤسكم وهذا امر بمسح الراس والمسح ان تمسح شيئا بيدك كمسح العرق عن جبينك والظاهر لا يوجب التعميم فى مسح الراس لان من مسح البعض يسمى ماسحا والى هذا ذهب اصحابنا قالوا يجب ان يمسح منه ما يقع عليه اسم المسح وبه قال ابن عمر وابراهيم والشعبى وهو مذهب الشافعى وقيل يجب مسح جميع الراس وهو مذهب مالك وقيل يجب مسح ربع الراس عن ابى حنيفة وروت عنه روايات فى ذلك لا نطول بذكرها وارجلكم الى الكعبين اختلف فى ذلك فقال جمهور الفقهاء ان فرضهما الغسل وقالت الامامية فرضهما المسح دون غيره وبه قال عكرمة وقد روى القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس وانس وابى العالية والشعبى وقال الحسن البصرى بالتخيير بين الغسل والمسح واليه ذهب الطبرى والجبائى الا انهما قالا يجب مسح جميع القدمين ولا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم قال ناصر الحق من جملة ائمة الزيدية يجب الجمع بين الغسل والمسح وروى عن ابن عباس انه وصف وضوء رسول الله فمسح على رجليه وروى عنه انه قال ان فى كتاب الله المسح ويأبى الناس الا الغسل وقال الوضوء غسلتان ومسحتان وقال قتادة فرض الله غسلتين ومسحتين وروى ابن علية عن حميد عن موسى بن انس انه قيل لانس ونحن عنده ان الحجاج خطبنا بالاهواز فذكر التطهير فقال اغسلوا وجوهكم وايديكم وامسحوا برؤسكم وانه ليس شئ من ابن آدم اقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما فقال انس صدق الله وكذب الحجاج وقال الله سبحانه وامسحوا برؤسكم وارجلكم قال وكان انس اذا مسح قدميه بلهما وقال الشعبى نزل جبرئيل بالمسح ثم قال الا ترى ان التيمم يمسح ما كان غسلا ويلغى ما كان مسحا وقال يونس حدثنى من صحب عكرمة الى واسط قال فما رايته غسل رجليه انما كان يمسح عليهما واما ما روى عن سادة اهل البيت عليهم السلم فى ذلك فاكثر من ان يحصى فمن ذلك ما رواه الحسين بن سعيد الاهوازى عن فضالة عن حماد بن عثمن عن غالب بن هذيل قال سألت ابا جعفر عليه السلم عن المسح على الرجلين فقال هو الذى نزل به جبرئيل عليه السلم وعنه عن احمد بن محمد قال سألت ابا الحسن موسى بن جعفر عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفه على الاصابع ثم مسحها الى الكعبين فقلت له لو ان رجلا قال باصبعين من اصابعه هكذا الى الكعبين قال لا الا بكفه كلها فاما وجه القرائتين فى ارجلكم فمن قال بالغسل حمل الجر فيه على انه عطف برؤسكم وقال المراد بالمسح هو الغسل وروى عن ابى زيد انه قال المسح خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلوة وقوى ذلك بان التحديد والتوقيت

اوكان داخل الفم والانف او العين فان الوجه عندهم ما ظهر لعين الناظر ويواجهه دون غيره مجمع

الى الكعبين مجمع

العرقوب عصب موثق خلف الكعبين والجمع عراقيب مثل عصفور وعصافير المصباح المنير

انما جاء فى المغسول ولم يجئ فى الممسوح فلما وقع التحديد فى المسح علم انه فى حكم الغسل لموافقة الغسل فى التحديد وهذا قول ابى على الفارسى
وقال بعضهم هو خفض على الجوار كما قالوا جحر ضب خرب وخرب من صفات الجحر لا الضب وكما قال امرؤ القيس كان ثبيرا فى عرانين وبله
كبير اناس فى بجاد مزمل وقال الزجاج اذا قرئ بالجر يكون عطفا على الرؤس فيقتضى كونه ممسوحا وذكر عن بعض السلف انه قال نزل
جبرئيل بالمسح والسنة الغسل قال والخفض على الجوار لا يجوز فى كتاب الله عز وجل ولكن المسح على هذا التحديد فى القران كالغسل وقال
الاخفش هو معطوف على الرؤس فى اللفظ مقطوع عنه فى المعنى كقول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا المعنى وسقيتها ماء باردا واما القراءة
بالنصب فقالوا انه معطوف على ايديكم لانا رأينا فقهاء الامصار عملوا على الغسل دون المسح ولما روى ان النبى عليه السلام رأى
قوما توضؤا واعقابهم تلوح فقال ويل للعراقيب من النار ذكره ابو على الفارسى واما من قال بوجوب مسح الرجلين حمل الجر والنصب
فى وارجلكم على ظاهر من غير تعسف فالجر للعطف على الرؤس والنصب للعطف على موضع الجار والمجرور وشواهد ذلك فى كلام العرب اكثر
من ان تحصى قالوا ليس فلان بقائم ولا ذاهبا وانشد معاوى انها بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديدا وقال تابط شرا هل انت باعث
دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق فعطف بعبد على موضع دينار فانه منصوب فى المعنى وابعد من ذلك قول الشاعر
جئنى بمثل بنى بدر لقومهم او مثل اخوة منظور بن سيار فانه لما كان معنى جئنى هات او احضر لى مثلهم عطف بالنصب على المعنى واجابوا
عما ذكروه فى وجه الجر والنصب باجوبة نوردها على وجه الايجاز قالوا اما ما ذكروه اولا من ان المراد بالمسح الغسل فباطل
من وجوه احدها ان فائدة اللفظين فى اللغة والشرع مختلفة وقد فرق الله تعالى بين الاعضاء المغسولة وبين الاعضاء الممسوحة
فكيف يكون معنى الغسل والمسح واحدا وثانيها ان الارجل اذا كانت معطوفة على الرؤس وكان الفرض فى الرؤس المسح الذى
ليس بغسل بلا خلاف فيجب ان يكون حكم الارجل كذلك لان حقيقة العطف تقتضى ذلك وثالثها ان المسح لو كان بمعنى الغسل
لسقط استدلالهم بما رووه عن النبى عليه السلم انه توضاء وغسل رجليه لان على هذا لا ينكر ان يكون مسحهما فسموا المسح غسلا
وفى هذا ما فيه فاما استشهاد ابى زيد بقولهم تمسحت للصلوة فالمعنى فيه انهم لما ارادوا ان يخبروا عن الطهور بلفظ موجز ولم
يجز ان يقولوا تغسلت للصلوة لان ذلك تشبيه بالغسل قالوا بدلا من ذلك تمسحت لان المغسول من الاعضاء ممسوح ايضا فتجوزوا
بذلك تعويلا على ان المراد مفهوم وهذا لا يقتضى ان يكونوا جعلوا المسح من اسماء الغسل واما ما قالوه فى تحديد طهارة الرجلين فقد
ذكر المرتضى قدس الله روحه فى الجواب عنه ان ذلك لا يدل على الغسل وذلك لان المسح فعل قد اوجبته الشريعة كالغسل فلا ينكر
تحديده كتحديد الغسل ولو صرح سبحانه فقال وامسحوا ارجلكم وانتهوا بالمسح الى الكعبين لم يكن منكرا فان قالوا ان تحديد اليدين لما
اقتضى الغسل فكذلك تحديد الرجلين يقتضى الغسل قلنا انا لم نوجب الغسل فى اليدين للتحديد بل للتصريح بغسلهما وليس ذلك
فى الرجلين وان قالوا عطف المحدود على المحدود اولى واشبه بترتيب الكلام قلنا هذا لا يصح لان الايدى معطوفة وهى محدودة
على الوجوه التى ليست فى الاية محدودة فاذا جاز عطف الارجل وهى محدودة على الرؤس التى ليست بمحدودة وهذا اشبه مما ذكروه لان
الاية تضمنت ذكر عضو مغسول غير محدود وهو الوجه وعطف عضو مغسول محدود عليه ثم استؤنف ذكر عضو ممسوح غير محدود فيجب
ان يكون الارجل ممسوحة محدودة على الرؤس دون غيرها لتتقابل الجملتان فى عطف مغسول محدود على مغسول وهى غير محدود وعطف
ممسوح محدود على ممسوح غير محدود واما من قال انه عطف على الجوار فقد ذكرنا عن الزجاج انه لم يجوز ذلك فى الكلام فانما
يجوز مع فقد حرف العطف وكل ما استشهد به على الاعراب بالمجاورة فلا حرف فيه حايل بين هذا وذاك وايضا فان المجاورة انما ورد
فى كلامهم عند ارتفاع اللبس والامن من الاشتباه فان احدا لا يشتبه عليه ان خربا لا يكون من صفة الضب ولفظة مزمل
لا يكون من صفة البجاد وليس كذلك الارجل فانها يجوز ان يكون ممسوحة كالرؤس وايضا فان المحققين من النحويين نفوا ان
يكون الاعراب بالمجاورة جايزا فى كلام العرب وقالوا فى جحر ضب خرب ارادوا خرب جحره فحذف المضاف الذى هو جحر واقيم المضاف
اليه وهو الضمير المجرور مقامه واذا ارتفع الضمير استكن فى خرب وكذلك القول فى كبير اناس فى بجاد مزمل فتقديره مزمل
كبيره فبطل الاعراب بالمجاورة جملة وهذا واضح لمن تدبر واما من حمله مثل قول الشاعر علفتها تبنا وماء باردا كانه مر فى

الاية واغسلوا ارجلكم فقوله ابعد من الجميع لان مثل ذلك لو جاز فى كتاب الله تعالى على ضعفه وبعده فى ساير الكلام فانما يجوز اذا
استحال حمله على ظاهره فاما اذا كان الكلام مستقيما ومعناه ظاهرا فكيف يجوز مثل هذا التقدير الشاذ البعيد واما ما قاله
ابو على فى القراءة بالنصب انه معطوف على الايدى فقد اجاب عنه المرتضى قدس الله روحه بان قال جعل التاثير فى الكلام
للقريب اولى من جعله للبعيد فنصب الارجل عطفا على الموضع اولى من عطفها على الايدى والوجوه على ان الجملة الاولى المامور
فيها بالغسل قد نقضت وبطل حكمها باستيناف الجملة الثانية ولا يجوز بعد انقطاع حكم الجملة الاولى ان يعطف عليها فان ذلك
جرى مجرى قولهم ضربت زيدا وعمرا واكرمت خالدا وبكرا فان رد بكر الى خالد فى الاكرام هو وجه الكلام الذى لا يجوز سواه ولا
يجوز رده الى الضرب الذى قد انقطع حكمه ولو جاز ذلك ايضا لترجح ما ذكرناه لتطابق معنى القراءتين ولا يتنافيان واما ما
روى فى الحديث انه عليه السلم قال ويل للعراقيب من النار وغير ذلك من الاخبار التى رووها عن النبى عليه السلام انه
توضاء وغسل رجليه فالكلام فى ذلك انه لا يجوز ان يرجع عن ظاهر القران المعلوم بظاهر الاخبار التى لا يوجب علما وانما تقتضى
الظن على ان هذه الاخبار معارضة باخبار كثيرة وردت من طرقهم ووجدت فى كتبهم ونقلت عن شيوخهم مثل ما روى عن اوس
بن ابى اوس انه قال رأيت النبى عليه السلم توضا ومسح على نعليه ثم قام فصلى وعن حذيفة قال اتى رسول الله عليه السلم سباطة
قوم فبال عليها ثم دعا بماء فتوضاء ومسح على قدميه وذكره ابو عبيدة فى غريب الحديث الى غير ذلك مما يطول ذكره وقوله
ويل للعراقيب من النار قد ورد فيه ان قوما من اجلاف العرب كانوا يبولون وهم قيام فيتشرشر البول على اعقابهم وارجلهم
فلا يغسلونها ويدخلون المسجد للصلوة وكان ذلك سببا لهذا الوعيد واما الكعبان فقد اختلف فى معناهما فعند
الامامية هما العظمان الناتيان فى ظهر القدم عند معقد الشراك ووافقهم فى ذلك محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة وان كان
يوجب غسل الرجلين الى هذا الموضع وقال جمهور المفسرين والفقهاء الكعبان هما عظما الساقين قالوا ولو كان كما قالوه لقال
تعالى وارجلكم الى الكعاب ولم يقل الى الكعبين لان على ذلك القول يقول فى كل رجل كعبان وان كنتم جنبا فاطهروا معناه
ان كنتم جنبا عند القيام الى الصلوة فتطهروا بالاغتسال وهو ان يغسلوا جميع البدن والجنابة انما تكون بانزال الماء الدافق على
كل حال وبالتقاء الختانين وحده غيبوبة الحشفة فى الفرج سواء كان معه انزال ام لم يكن وان كنتم مرضى او على سفر او جاء
احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه قد مر تفسير ذلك فى سورة النساء
فلا معنى لاعادته ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج معناه ما يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء اذا قمتم الى الصلوة والغسل
من الجنابة والتيمم عند عدم الماء او تعذر استعماله ليلزمكم فى دينكم من ضيق ولا ليعنتكم فيه عن مجاهد وجميع المفسرين ولكن
يريد ليطهركم بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الاحداث والجنابة او ينظف اجسادكم بذلك من الذنوب واللام دخلت فيه
لتبيين الارادة اى يريد ذلك ليطهركم كما قال الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لى ليلى بكل سبيل ويؤيد ما قلناه ما روى
عن قتادة عن شهر بن حوشب عن ابى امامة ان النبى عليه السلم قال ان الوضوء يكفر ما قبله وليتم نعمته عليكم اى ويريد الله مع
تطهيركم من ذنوبكم بطاعتكم اياه فيما فرض عليكم من الوضوء والغسل اذا قمتم الى الصلوة مع وجود الماء او التيمم عند عدمه ان يتم
نعمته باباحته لكم التيمم وتصييره لكم الصعيد الطيب طهورا رخصة لكم منه مع سوابغ نعمه التى انعم بها عليكم لعلكم تشكرون اى لتشكروا
الله على نعمه بطاعتكم اياه فيما امركم به ونهاكم عنه وتضمنت هذه الاية احكام الوضوء وصفته واحكام الغسل والتيمم ومسائلها
المتفرعة منها كثيرة موضعها الكتب المؤلفة فى الفقه قوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به
اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور اية الاعراب انما قال ذات الصدور على لفظ التانيث لان
المراد بذلك المعانى التى تحل القلوب ولم يقل ذوات لينبئ عن التفصيل فى كل ذات المعنى لما قدم تعالى ذكر بيان الشرايع
عقبه بتذكير نعمه فقال واذكروا نعمة الله عليكم ولم يقل نعم الله للاشعار بعظم النعمة لا من جهة التضعيف اذ كل نعمة لله فانه
يستحق عليها اعظم الشكر لكونها اصل النعم اذ هى مثل خلق الحيوة والعقل والحواس والقدر والالات وقيل بل لانه ذهب

مذهب الحبش فی ذلک وجملة النعم تسمی نعمة کما ان قطاعا من الارض تسمی رضا میثاقه الذی واثقکم به فیه اقوال احدها ان معناه ما اخذ علیهم رسول الله علیه السلم عند اسلامهم وبیعتهم بان یطیعوا الله فی کل ما یفرضه علیهم مما ساءهم او سرّهم عن ابن عباس والسدی وثانیها ان المراد بالمیثاق ما بیّن لهم فی حجة الوداع من تحریم المحرمات وکیفیة الطهارة وفرض الولایة وغیر ذلک عن ابی الجارود عن ابی جعفر علیه السلم وهذا داخل فی القول الاول اذ هو بعض ما فرض الله تعالی وثالثها ان المراد به مبایعتهم للنبی علیه السلم یوم بیعة العقبة وبیعة الرضوان عن ابی علی الجبائی ورابعها ان معناه ما اخذه علیهم حین اخرجهم من صلب آدم واشهدهم علی انفسهم الست بربکم قالوا بلی عن مجاهد وهذا اضعف الاقوال اذ قلتم سمعنا واطعنا یعنی سمعنا ما تقول واطعناک فیما سمعنا واتقوا الله معناه ان الله علیم بذات الصدور ای بما تضمرونه فی صدورکم من المعانی والمراد بالصدور ههنا القلوب وانما جاز ذلک لان موضع القلب الصدر قوله عز وجل یا ایها الذین آمنوا کونوا قوامین لله شهداء بالقسط ولا یجرمنکم شنآن قوم علی ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوی واتقوا الله ان الله خبیر بما تعملون وعد الله الذین آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظیم والذین کفروا وکذبوا بآیاتنا اولئک اصحاب الجحیم ثلث آیات اللغة جرمت واجرمت بمعنی وقیل معنی لا یجرمنکم لا یدخلنکم فی الجرم کما یقال اثمته ای ادخلته فی الاثم وتقول وعدت الرجل ترید الخیر واوعدت ترید الشر فاذا ذکرت الموعود قلت فیهما جمیعا وعدته واوعدته فقوله تعالی وعد الله الذین آمنوا یدل علی الخیر ثم بین ذلک الخیر فقال لهم مغفرة الاعراب قوامین نصب بانه خبر کان شهداء نصب علی الحال وقوله لهم مغفرة جملة وقعت موقع المفرد کقول الشاعر

وجدنا الصالحین لهم جزاء وجنات وعینا سلسبیلا

ویکون الجملة التی هی لهم مغفرة فی موضع نصب ولذلک عطف فی البیت وعینا ونصب علی الموضع ویحتمل ان یکون موضع لهم مغفرة رفعا ویکون الموعود به محذوفا المعنی لما ذکر تعالی الوفاء بالعهود بیّن تعالی ان ما یلزم الوفاء به ما ذکر فی الآیة فقال تعالی یا ایها الذین آمنوا کونوا قوامین ای قائمین لله ای لیکن من عادتکم القیام لله بالحق فی انفسکم بالعمل الصالح وفی غیرکم بالامر بالمعروف والنهی عن المنکر ویعنی بقوله لله افعلوا ذلک ابتغاء مرضات الله شهداء بالقسط ای بالعدل وقیل معناه کونوا دعاة لله مبینین عن دین الله بالعدل والحق والحجج لان الشاهد یبیّن ما شهد علیه وقیل معناه کونوا من اهل العدالة الذین حکم الله تعالی بان مثلهم یکونون شهداء علی الناس یوم القیمة ولا یجرمنکم شنآن قوم قد ذکرنا معناه فی اول السورة قال الزجاج من حرّک النون من شنآن اراد بغض قوم ومن سکن اراد بغیض قوم ذهب الی ان الشنآن مصدر والشنآن بالسکون صفة علی ان لا تعدلوا ای لا یحملنکم بغضکم ایاهم علی القول الآخر فتقدیره لا یحملنکم بغیض قوم وعدو قوم علی ان لا تعدلوا فی حکمکم فیهم وسیرتکم بینهم فتجوروا علیهم اعدلوا ای اعملوا بالعدل ایها المؤمنون فی اولیائکم واعدائکم هو اقرب للتقوی ای العدل اقرب الی التقوی واتقوا الله ای خافوا عقابه بفعل الطاعات واجتناب السیئات ان الله خبیر ای عالم بما تعملون ای باعمالکم یجازیکم علیها وعد الله الذین آمنوا ای صدقوا وحدانیة الله تعالی واقروا بنبوة محمد علیه السلم وعملوا الصالحات ای الحسنات من الواجبات والمندوبات لهم مغفرة ای مغفرة لذنوبهم وتکفیر لسیئاتهم والمراد به التغطیة والستر واجر عظیم یرید ثوابا عظیما والفرق بین الثواب والاجر ان الثواب یکون جزاء علی الطاعات والاجر قد یکون علی سبیل المعاوضة بمعنی الاجرة والوعد هو الخبر الذی یتضمن النفع من المخبر والوعید هو الخبر الذی یتضمن الضرر من المخبر والذین کفروا ای جحدوا توحید الله وصفاته وانکروا نبوة نبیه وکذبوا بآیات الله ای بدلائله وبراهینه اولئک اصحاب الجحیم معناه انهم یخلدون فی النار لان الصاحبة تقتضی الملازمة قوله عز وجل یا ایها الذین آمنوا اذکروا نعمة الله علیکم اذ هم قوم ان یبسطوا الیکم ایدیهم فکف ایدیهم عنکم واتقوا الله وعلی الله فلیتوکل المؤمنون آیة اللغة الذکر حضور المعنی بالنفس وقد یستعمل الذکر بمعنی القول لان من شانه ان یذکر به المعنی والتذکر هو طلب المعنی لا طلب القول والهم بالامر هو حدیث النفس بفعله یقال هم بالامر یهم هما ومنه الهم وهو الفکر الذی یغم وجمعه هموم واهمّه الامر اذا عنی به فحدث نفسه به والفرق بین الهم بالشیء والقصد الیه انه قد یهم بالشیء قبل ان یریده ویقصده بان یحدث نفسه به وهو

ذی امر غزوة ذی امر کانت بعد مرجعه من غزوة ذات السویق وذلک لما بلغه ان جمعا من غطفان قد تجمعوا یریدون ان یصیبوا من اطراف المدینة علیهم رجل یقال له دعثور بن الحارث من محارب فی اربعمائة رجل وخمسین رجلا واقام ... وهرب منهم الاعراب فوق ذری الجبال ونزل علیه السلم ذا امر وعسکره واصابهم مطر کثیر فذهب رسول الله لحاجة فاصابه ذلک المطر فبل ثوبه وقد جعل رسول الله صلی الله علیه وآله وادی امر بینه وبین اصحابه ثم نزع ثیابه فنشرها لتجف والقاها علی الشجرة ثم اضطجع تحتها والاعراب ینظرون الی کل ما یفعل رسول الله صلی الله علیه وآله فقالت الاعراب لدعثور وکان سیدهم واشجعهم قد امکنک وقد انفرد محمد من اصحابه حیث ان غوث باصحابه لم یغث حتی تقتله فاختار سیفا من سیوفهم صارما ثم اقبل مشتملا علی السیف حتی قام علی راس رسول الله بالسیف مشهورا فقال یا محمد من یمنعک منی الیوم قال الله ودفع جبرئیل فی صدره فوقع السیف من یده فاخذه رسول الله وقام علی راسه وقال من یمنعک منی قال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله والله لا اکثر علیک جمعا ابدا فاعطاه رسول الله سیفه ثم ادبر ثم اقبل بوجهه ثم قال والله لانت خیر منی قال رسول الله انا احق بذلک منک فاتی قومه فقیل له این ما کنت تقول وقد امکنک والسیف فی یدک قال قد کان والله ذلک ولکن نظرت الی رجل ابیض طویل دفع فی صدری فوقعت لظهری فعرفت انه ملک وشهدت ان محمدا رسول الله والله لا اکثر علیه وجعل یدعو قومه الی الاسلام ونزلت یا ایها الذین آمنوا اذکروا نعمة الله علیکم

وهو مع ذلک مقبل علی فعله المعنی ثم خاطب تعالی المؤمنین وذکرهم نعمته علیهم بما دفع عنهم کید الاعداء فقال یا ایها الذین آمنوا اذکروا نعمة الله علیکم اذ هم قوم ای قصدوا ان یبسطوا الیکم ایدیهم واختلف فیمن بسط الیهم الایدی علی اقوال احدها ان الیهود هموا بان یفتکوا بالنبی علیه السلم وهم بنو النضیر دخل رسول الله علیه السلم مع جماعة من اصحابه علیهم وکانوا قد عاهدوه علی ترک القتال وعلی ان یعینوه فی الدیات فقال علیه السلم رجل من اصحابی اصاب رجلین معهما امان منی فلزمنی دیتهما فارید ان تعینونی فقالوا نعم اجلس حتی نطعمک ونعطیک الذی تسالنا وهموا بالفتک بهم فآذن الله به رسوله فاطلع النبی علیه السلم اصحابه علی ذلک وانصرفوا وکان ذلک احدی معجزاته علیه السلم عن مجاهد وقتادة واکثر المفسرین وثانیها ان قریشا بعثوا رجلا لیفتک بالنبی علیه السلم فدخل علیه وفی یده علیه السلم سیف مسلول فقال له ارنیه فاعطاه ایاه فلما حصل فی یده قال ما الذی یمنعنی من قتلک قال الله یمنعک فرمی السیف واسلم واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحی بعثه صفوان بن امیة لیغتاله بعد بدر وکان ذلک سبب اسلام عمرو بن وهب عن الحسن وثالثها ان المعنی بذلک ما لطف الله للمسلمین من کف اعدائهم عنهم حین هموا باستیصالهم باشیاء شغلهم بها من الامراض والقحط وموت الاکابر وهلاک المواشی وغیر ذلک من الاسباب التی انصرفوا عندها عن قتال المؤمنین عن ابی علی الجبائی ورابعها ما قاله الواقدی ان رسول الله علیه السلم غزا قوما من بنی ذبیان ومحارب بذی امر فتحصنوا برؤوس الجبال ونزل رسول الله علیه السلم بحیث یراهم لحاجته فاصابه مطر فبل ثوبه فنشره علی شجرة واضطجع تحته والاعراب ینظرون الیه فجاء سیدهم دعثور بن الحارث حتی وقف علی راسه بالسیف مشهورا فقال یا محمد من یمنعک منی الیوم فقال الله ودفع جبرئیل فی صدره ووقع السیف من یده فاخذه رسول الله علیه السلم وقام علی راسه وقال من یمنعک منی الیوم فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت الآیة وعلی هذا فیکون تخلیص النبی علیه السلم مما هموا به نعمة علی المؤمنین من حیث ان مقامه بینهم نعمة علیهم فلذلک اعتد به علیهم وقوله فکف ایدیهم عنکم ای منعهم علی الفتک بکم واتقوا الله ظاهر المعنی وعلی الله فلیتوکل المؤمنون ای فلیتق المؤمنون بنصر الله ولیتوکلوا علیه فان الله تعالی کافیهم وناصرهم قوله عز وجل ولقد اخذ الله میثاق بنی اسرائیل وبعثنا منهم اثنی عشر نقیبا وقال الله انی معکم لئن اقمتم الصلوة وآتیتم الزکوة وآمنتم برسلی وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاکفرن عنکم سیئاتکم ولادخلنکم جنات تجری من تحتها الانهار فمن کفر بعد ذلک منکم فقد ضل سواء السبیل آیة اللغة المیثاق الیمین المؤکدة لانها یستوثق بها من الامر واصل النقیب فی اللغة من النقب وهو النقب الواسع ونقیب القوم کالکفیل والضمین ینقب عن الاسرار ومکنون الاضمار ومنه نقاب المراة ومنه المناقب الفضائل لانها تظهر بالتنقیب علیها والنقب الطریق فی الجبل ویقال نقب الرجل علی القوم ینقب اذا صار نقیبا وصناعته النقابة ولقد نقب وکذلک عرف علیهم اذا صار عریفا ونکب علیهم ینکب نکابة اذا صار منکبا وهو عون العریف والنقاب الرجل العالم بالاشیاء الذکی القلب الکثیر البحث عن الامور والنقبة اول الجرب وجمعها النقب والنقب قال یتبدی لا یبدی محاسنه یضع الهناء مواضع النقب واصل الباب کله ومعناه التاثیر الذی له عمق ودخول فمن ذلک نقب الحائط ای بلغت فی النقب آخره ومن ذلک النقبة فی الجرب لانه داء شدید الدخول والنقبة السراویل التی لا رجلین لها قد بولغ فی فتحها وانما قیل نقیب لانه یعلم دخیلة امر القوم ویعرف مناقبهم وهو الطریق الی معرفة امورهم قال ابو عبیدة التعزیر التوقیر وانشد وکم من ماجد لهم کریم ومن لیث یعزر فی الندی ای یعظم والعزر الرد والمنع فی قول الفراء یقول عزرت فلانا اذا ادبته وفعلت به ما یردعه عن القبیح ومنه التعزیر فی النصرة والتعظیم لان ذلک یمنع صاحبه ممن اراده بسوء والضلال الرکوب علی غیر هدی وسواء کل شیء وسطه الاعراب انما قال قرضا ولم یقل اقراضا لانه رده الی قرض قرضا فان فی اقرضتم معنی القرض وهذا کقوله والله انبتکم من الارض نباتا لم یقل انباتا وقال امرؤ القیس رضت فذلت صعبة ای اذلال لان فی رضت معنی اذللت المعنی لما بین تعالی خیانة الیهود وهمهم بقتله وما دفع عنه شرهم عقبه بذکر احوال الیهود من خبث سرائرهم وقبح عاداتهم فی خیانة الرسل تسلیة لنبیه علیه السلم فیما هموا به فقال ولقد اخذ الله میثاق بنی اسرائیل ای عهدهم المؤکد بالیمین باخلاص العبادة له والایمان برسله وما یاتون به

من الشرايع وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا امر ناموسى بان يبعث من الاسباط الاثنى عشر اثنى عشر رجلا كالطلايع يتجسسون ويأتون بنى اسرائيل باخبار ارض الشام واهلها الجبارين فاختار من كل سبط رجلا يكون لهم نقيبا اى امينا كفيلا فرجعوا ينهون قومهم عن قتالهم لما راوا من شدة باسهم وعظم خلقهم الا رجلين منهم كالب بن يوفنا ويوشع بن نون عن مجاهد والسدى وقيل اخذنا من كل سبط منهم ضمينا بما عقدنا عليهم من الميثاق فى امر دينهم عن الحسن والجبائى وقيل معناه اثنى عشر رئيسا وقيل شهيدا على قومه عن قتادة قال البلخى يجوز ان يكونوا رسلا ويجوز ان يكونوا قادة وقال ابو مسلم بعثوا انبياء ليقوموا الدين ويعلمون الاسباط التورية ويامرونهم بما فرض الله عليهم وامرهم به وقال الله انى معكم قيل انه خطاب للنقباء عن الربيع وقيل خطاب لبنى اسرائيل الذين اخذ منهم الميثاق ويجوز ان يدخل فيهم النقباء عن اكثر المفسرين اى قال الله لهم فحذف لدلالة الكلام عليه انى معكم بالنصر والحفظ انصركم على عدوى وعدوكم الذى امرتكم بقتالهم ان قاتلتموهم ووفيتم بعهدى وميثاقى الذى اخذته عليكم ثم ابتداء فقال لئن اقمتم الصلوة معشر بنى اسرائيل واتيتم الزكاة اى اعطيتموها وامنتم برسلى اى صدقتم بما اتاكم به رسلى من شرايع دينى وقيل انه خطاب للنقباء وعزرتموهم اى نصرتموهم عن الحسن ومجاهد والزجاج وقيل عظمتموهم ووقرتموهم واطعتموهم عن ابن زيد وابى عبيدة واقرضتم الله قرضا حسنا اى انفقتم فى سبيل الله واعمال البر نفقة حسنة يجازيكم بها فكانه قرض من هذا الوجه وقيل معنى قوله حسنا عفوا عن طيبة نفس وان لا يتبعه منّ ولا اذى وقيل يعنى حلالا لاكفرن عنكم سيئاتكم اى لاغطين على ما مضى من اجرامكم بعفوى واسقاطى عنكم وبال ذلك ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار ظاهر المعنى فمن كفر بعد ذلك منكم اى بعد بعث النقباء واخذ الميثاق فقد ضل سواء السبيل اى اخطاء قصد الطريق الواضح وزال من منهاج الحق وفى هذا دلالة واشارة الى ان الحق بين الغلو والتفريط كما روى عن امير المومنين على عليه السلم اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هى الجادة الى اخر كلامه قوله عز وجل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين اية القراءة قرا حمزة والكسائى قسية بغير الف وقرا الباقون قاسية بالالف الحجة حجة من قرا قسية ان فعيلا قد يجئ بمعنا فاعل مثل شاهد وشهيد وعالم وعليم وعارف وعريف ومن قرا قاسية فلانه الاعرف والاكثر فى مجرى العادة اللغة القسوة خلاف اللين والرقة انشد ابو عبيدة وقد قسوت وقسا لداتى اى فارقنى لين الشباب ولدونته فالقاسى الشديد الصلاب قال ابو العباس الدرهم انما سمى قسيا اذا كان فاسدا زايفا لشدة صوته بالقسى الذى فيه قال ابو زبيد يصف وقع المساحى فى الحجارة لها صواهل فى صم السلام كما صاح القسيات فى ايدى الصياريف قال ابو على احسب قسيا فى الدراهم معربا واذا كان معربا لم يكن من القسى العربى فى شئ الا ترى ان قابوس وابليس وجالوت وطالوت ونحو ذلك من الاسماء الاعجمية التى من الفاظها عربى لا تكون مشتقة من باب القبس والابلاس يدلك على ذلك منعهم الصرف فيها والخائنة الخيانة وفاعلة فى اسماء المصادر كثير نحو عافاه الله عافية واهلكوا بالطاغية وليس لوقعتها كاذبة ويقال سمعت ثاغية الغنم وراغية الابل وقد يقال رجل خائنة على المبالغة قال الشاعر حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الاصبع وقوله مغل بدل من خائنة الاعراب ما فى قوله فبما نقضهم زايدة موكدة اى فبنقضهم ومثله قول الشاعر لشئ ما يسود من يسود يحرفون فى موضع نصب على الحال من قوله فبما نقضهم ميثاقهم اى محرفين الكلم ويجوز ان يكون كلاما مستانفا ويكون التمام عند قوله قاسية وقليلا منهم نصب على الاستثناء من الهاء والميم فى قوله على خائنة منهم المعنى ثم عطف تعالى على ما تقدم فقال فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم فيه تسلية للنبى عليه السلم يقول لا تعجبن يا محمد من هؤلاء اليهود الذين هموا ان يبسطوا ايديهم اليك والى اصحابك ونكثوا العهد الذى بينك وبينهم ويغدرون بك فان ذلك دابهم وعادة اسلافهم الذين اخذت ميثاقهم على طاعتى فى زمن موسى وبعثت منهم اثنى عشر نقيبا فنقضوا ميثاقى وعهدى فلعنتهم بنقضهم ذلك وفى الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر عليه وتقديره فنقضوا ميثاقهم فلعناهم بنقضهم ذلك الميثاق والعهد المؤكد

بوحنا

الميثاق والعهد

اى طردناهم وابعدناهم من رحمتنا على وجه العقوبة عن عطا وجماعة وقيل معناه مسخناهم قردة وخنازير عن الحسن ومقاتل وقيل عذبناهم بالجزية عن ابن عباس وكان نقضهم الميثاق من وجوه منها انهم كذبوا الرسل وقتلوا الانبياء ونبذوا الكتاب وضيعوا حدوده وفرايضه عن قتادة ومنها انهم كتموا صفة النبى عليه السلم عن ابن عباس وجعلنا قلوبهم قاسية اى يابسة غليظة تنبوا عن قبول الحق ولا تلين عن ابن عباس ومعناه سلبناهم التوفيق واللطف الذى يشرح به صدورهم حتى ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وهذا كما يقول الانسان لغيره افسدت سيفك اذا ترك تعاهده حتى صدى وجعلت اظافيرك سلاحك اذا لم يقصها وقيل معناه بينا عن حال قلوبهم وما هى عليها من القساوة وحكمنا بانهم لا يومنون ولا ينجع فيهم موعظة عن الجبائى وقيل معنى قاسية ردية فاسدة من الدراهم القسية اذا كانت زايفة وهذا راجع الى معنى اليبس ايضا لانها تكون يابسة الصوت لما فيها من الغش والفساد ويقال للرحيم لين القلب ولغير الرحيم يابس القلب يحرفون الكلم عن مواضعه اى يفسرونه على غير ما انزل ويغيرون صفة النبى عليه السلم فيكون التحريف بامرين احدهما سوء التاويل والاخر التغيير والتبديل كقوله تعالى ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ونسوا حظا مما ذكروا به اى وتركوا نصيبا مما وعظوا به او مما امروا به فى كتابهم من اتباع النبى عليه السلم فصار كالمنسى عندهم ولو امنوا به واتبعوه لكان ذلك لهم حظا وقيل معناه ضيعوا ما ذكرهم الله فى كتابهم مما فيه رشدهم وتركوا تلاوته فنسوه على مر الايام ولا تزال تطلع على خائنة منهم يعنى على خائن اى معصية عن ابن عباس وقيل كذب وزور ونقض عهد ومظاهرة للمشركين على رسول الله عليه السلم وغير ذلك مما كان يظهر من اليهود من انواع الخيانات وقيل ان معناه يطلع على فرقة خائنة اى جماعة خائنة منهم اذا قالوا قولا خالفوه واذا عاهدوا عهدا نقضوه الا قليلا منهم لم يخونوا فاعف عنهم واصفح ما داموا على عهدك ولم يخونوك عنى بهم القليل الذين استثنيناهم عن ابى مسلم وقيل معناه فاعف عنهم اذا تابوا وبذلوا الجزية عن الحسن وجعفر بن مبشر واختاره الطبرى وقيل انه منسوخ بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله الاية عن قتادة وقيل منسوخ بقوله قاتلوا الذين واما تخافن به من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء عن الجبائى ان الله يحب المحسنين ظاهر المعنى قوله عز وجل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون اية اللغة معنى الاغراء تسليط بعضهم على بعض وقيل معناه التحريش واصله اللصوق يقال غريت بالرجل غرى اذا لصقت به عن الاصمعى وقال غيره غريت به غراء ممدودا واغريت زيدا بكذا حتى غرى به ومنه الغراء الذى يلصق به الاشياء المعنى ثم بين تعالى حال النصارى فى نقضهم ميثاق عيسى كما بين حال اليهود فى نقضهم ميثاق موسى فقال ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اى ومن الذين ذكروا انهم نصارى اخذنا الميثاق بالتوحيد والاقرار بنبوة المسيح وجميع انبياء الله تعالى وانهم كلهم عبيد الله فنقضوا هذا الميثاق واعرضوا عنه وهذا اشارة الى انهم ابتدعوا النصرانية التى هم عليها اليوم وتسموا بها ولهذا لم يقل من النصارى الا انه تعالى اطلق هذا الاسم فى مواضع عليهم لانه صار سمة لهم وعلامة عن الحسن فنسوا حظا مما ذكروا به مر بيانه فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء اختلف فيه فقيل المراد بين اليهود والنصارى عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل المراد بين اصناف النصارى خاصة من اليعقوبية والملكانية والنسطورية من الخلاف والعداوة عن الربيع واختاره الزجاج والطبرى وانما اغرى بينهم العداوة بالاهواء المختلفة فى الدين وذلك ان النسطورية قالت ان عيسى ابن الله واليعقوبية قالت ان الله هو المسيح بن مريم والملكانية وهم الروم قالوا ان الله ثالث ثلثة الله وعيسى ومريم وقيل بامر بعضهم ان يعادى بعضا عن الجبائى فكانه يذهب الى الامر بمعاداة الكفار وان هؤلاء يكفر بعضهم بعضا وقوله الى يوم القيمة عنى به ان المعاداة تبقى بينهم الى يوم القيمة اما بين اليهود والنصارى واما بين فرق النصارى وقيل الوجه فى قوله تعالى اغرينا بينهم العداوة انه تعالى اخبرهم انهم اختلفوا فيما بينهم وكلهم على خطاء وضلال وقد جعل الله تعالى على كل مقالة من مقالاتهم التى اخطاؤا فيها دلالة يعرف بها بعضهم خطاء بعض فيعادوا على ذلك وتباغضوا ولم يعرف كل فرقة منهم خطاء انفسهم

والبغضاء ح

فلما لم يصل كل منهم الى المعرفة نخطاء صاحبه الا من جهة كتاب الله ودلايله والتعادى بينهم كان من اجل ذلك جاز ان يقول فاغرينا بينهم على هذا الوجه عن جعفر بن حرب وقيل الوجه فى ذلك انا احطرنا على بال كل منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن صاحبه وما يهيج العصبية والعداوة عقوبة لهم على تركهم الميثاق وسوف ينبيهم الله عند المحاسبة بما كانوا يصنعون فى الدنيا من نقض الميثاق ويعاقبهم على ذلك بحسب استحقاقهم فكانه لما قال تعالى فاعف عنهم واصفح بين بعد ذلك انه من وراء الانتقام منهم وانه سيجازيهم على صنيعهم وقبيح فعلهم قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ايتان كوفى وثلث عند غيرهم اللغة الرضوان والرضا من الله ضد السخط وهو ارادة الثواب لمستحقه وقال قوم هو المدح على الطاعة والثنا وقال على بن عيسى هو جنس من الفعل يقتضى وقوع الطاعة الخالصة مما يبطلها ويضاد الغضب قال لان الرضا بما مضى يصح وارادة ما مضى لا تصح اذ قد يصح ان يرضى بما كان ولا يصح ان يريد ما كان وهذا الذى ذكره غير صحيح لان الرضا عبارة عن ارادة حدوث الشئ من الغير غير انها لا تسمى بذلك الا اذا وقع مرادها ولم يتخللها كراهية فيقف تسميتها بالرضاء على وقوع المراد فيفعل ارادة تسمى رضا بما كان فسقط ما قاله المعنى لما ذكر تعالى ان اليهود والنصارى نقضوا العهد وتركوا ما امروا به عقب ذلك بدعايهم الى الايمان بمحمد عليه السلم وذكرهم ما اتاهم به من اسرار كتبهم حجة عليهم فقال يا اهل الكتاب يخاطب اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعنى ما بينه عليه السلم من رجم الزانيين واشياء كانوا يحرفونها من كتابهم بسوء التاويل وانما لم يقل يا اهل الكتابين لان الكتاب اسم جنس وفيه معنى العهد فسلك طريقة الايجاز فى اللفظ من حيث كانوا كانهم اهل كتاب واحد ويعفوا عن كثير معناه يترك كثيرا لا يذكره ولا يأخذكم به لانه لم يؤمر به عن ابى على الجبائى وقيل معناه يصفح عن كثير منهم بالتوبة عن الحسن والوجه فى تبيين بعضه وترك بعضه انه يبين ما فيه دلالة على نبوته من صفاته ونعته والبشارة به وما يحتاج الى علمه من غير ذلك مما يتفق له الاسباب التى يحتاج معها الى استعلامه كما اتفق ذلك فى الرجم وما عدا هذين مما ليس فى تفصيله فايدة كفى ذكره فى الجملة قد جاءكم من الله نور عنى بالنور محمدا عليه السلم لانه يهتدى به الخلق كما يهتدى بالنور عن قتادة واختاره الزجاج وقيل عنى به القران لانه يبين الحق من الباطل عن ابى على الجبائى والاول اولى لقوله وكتاب مبين فيكون اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين يهدى به الله اى بالكتاب المبين وهو القران وقيل بالنبى من اتبع رضوانه اى من اتبع رضاء الله فى قبول الايمان والقران وتصديق النبى واتباع الشرايع سبل السلام قيل السلام هو الله تعالى عن الحسن والسدى ومعناه سبل الله وهو شرايعه التى شرعها للعباد وهو الاسلام وقيل انه السلامة من كل مخافة ومضرة الا ما لا يعتد به لانه يؤل الى نفع فى العاقبة عن الزجاج اى يهدى الى طرق السلامة من اتبع ما فيه رضاء الله فالسلام والسلامة كالضلال والضلالة والمراد بقوله يهدى انه يفعل اللطف المؤدى به الى سلوك طريق الحق ويخرجهم من الظلمات الى النور معناه من الكفر الى الايمان لان الكفر يتحير فيه صاحبه كما يتحير فى الظلام ويهتدى بالايمان الى النجاة كما يهتدى بالنور باذنه اى بلطفه ويهديهم الى صراط مستقيم اى يرشدهم الى طريق الحق وهو دين الاسلام عن الحسن وقيل الى طريق الجنة عن الجبائى قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شئ قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير ايتان اللغة الاحباء جمع الحبيب والحب المحبة وقد يكون بمعنى الارادة وقد يكون بمعنى الشهوة ويستعمل فى كل واحد منهما يقال احب استقامة امورك واحب جاريتى الاعراب اللام فى قوله لقد كفر جواب للقسم وتقديره اقسم لقد كفر الذين قالوا وانما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن مع انه ذكر السموات على الجمع

الآن بعد وقوع المراد

لانه اراد به النوعين والصنفين كما قال الشاعر طرقا فتلك هماهمى اقريهما قلصا لواقح كالقسى وحولا فقال طرقا ثم قال فتلك هماهمى المعنى ثم حكى تعالى عن النصارى ما قالوه فى المسيح فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم كفرهم الله تعالى بهذا القول لانهم قالوه على وجه التدين به والاعتقاد لا على وجه الحكاية والانكار وانما كفروا بذلك لوجهين احدهما انهم كفروا بانهم وصفوا المسيح وهو محدث بصفات الله تعالى فقالوا هو اله وكل جاهل بالله كافر لانه لما ضيع نعمة الله تعالى كان بمنزلة من اضافها الى غيره قل يا محمد فمن يملك من الله شيئا اى من يقدر ان يدفع من امر الله شيئا من قولهم ملكت على فلان امره اذا اقتدرت عليه حتى لا يمكنه انفاذ شئ من امره الا بك وتقديره من يملك من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا عنى بذلك انه لو كان المسيح الها لقدر على دفع امر الله تعالى اذا اراد اهلاكه واهلاك غيره وليس بقادر عليه لاستحالة القدرة على مغالبة القديم اى فكيف يجوز اعتقاد الربوبية فيه مع انه مسخر مربوب مقهور وقيل معناه ان من قدر على هذا لم يجز ان يكون معه اله ولا ان يشبهه شئ ولله ملك السموات والارض وما بينهما ومن كان بهذه الصفة فلا ثانى له ودل بذلك على ان المسيح ملك له واذا كان ملكا له لم يكن الها ولا ابنا له لان المملوك لا يجوز ان يكون مالكا فكيف يكون الها وقوله يخلق ما يشاء اى ما يشاء ان يخلقه فان شاء خلق من ذكر وانثى وان شاء خلق من انثى غير ذكر فدل بهذا على انه ليس فى كون المسيح من انثى بغير ذكر دلالة على كونه الها وقوله والله على كل شئ قدير اى يقدر على كل شئ يريد ان يخلقه وفى هذه الاية رد على النصارى القايلين بان الله جل جلاله اتحد بالمسيح فصار الناسوت لاهوتا فيجب ان يعبد ويتخذ الها فاحتج عليهم بان من جاز عليه الهلاك لا يجوز ان يكون الها وكذلك من كان مولودا مربوبا لا يكون ربا ثم حكى عن الفريقين من اهل الكتاب فقال وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قيل ان اليهود قالوا نحن فى القرب من الله بمنزلة الابن من الاب والنصارى كما قالوا المسيح ابن الله جعلوا نفوسهم ابناء الله واحباءه لانهم تاولوا ما فى الانجيل من قول المسيح اذهب الى ابى وابيكم عن الحسن وقيل ان جماعة من اليهود منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وزيد بن التابوه وغيرهم قالوا للنبى صلى الله عليه وآله حين حذرهم بنقمات الله وعقوباته لا تخوفنا فانا ابناء الله واحباؤه فان غضب علينا فانما يغضب كغضب الرجل على ولده يعنى انه يزول عن قريب عن ابن عباس وقيل انه لما قال قوم ان المسيح ابن الله اجرى ذلك على جميعهم كما يقول العرب هذيل شعراء اى فيهم شعراء وكما قالوا فى رهط مسيلمة قالوا نحن انبياء الله اى قال قايلهم وكما قال جرير ندسنا ابا مندوسة القين بالقنى فقال ندسنا وانما النادس رجل من قوم جرير ثم قال تعالى لنبيه محمد عليه السلم قل لهؤلاء المفترين على ربهم فلم يعذبكم بذنوبكم اى فلاى شئ يعذبكم بذنوبكم ان كان الامر على ما زعمتم فان الاب يشفق على ولده والحبيب على حبيبه فلا يعذبه وهم يقرون بانهم يعذبون لانهم لم يقولوا به كذبوا بكتبهم وقد اقرت اليهود بانهم يعذبون اربعين يوما عدد الايام التى عبدوا فيها العجل وقيل ان معناه الماضى وان كان لفظه المستقبل اى فلم عذبكم وقد اقررتم بانه عذبكم عند عبادتكم العجل وعذبكم بان جعل منكم القردة والخنازير وخلى بينكم وبين بخت نصر حتى فعل بكم ما فعل والحبيب لا يعذب حبيبه فلو كنتم احباءه لما عذبكم بل انتم بشر ممن خلق اى ليس الامر على ما قلتم انكم ابناء الله واحباؤه بل انتم خلق من بنى ادم ان احسنتم جوزيتم على احسانكم وان اساءتم جوزيتم على اساءتكم كما يجازى غيركم وليس لكم عند الله الا ما لغيركم من خلقه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء انما علق العذاب بالمشية مع انه تعالى لا يشاء ان يعاقب الا من كان عاصيا لما فى ذلك من البلاغة والايجاز برد الامور الى العالم الحكيم الذى يجريها على وجه الحكمة ولله ملك السموات والارض عليك ذلك وحده لا شريك له يعارضه وما بينهما اى وما بين الصنفين ودل بذلك على انه لا ولد لله لان الولد يكون من جنس الوالد فلا يكون مملوكا له واليه المصير معناه انه يؤل اليه امر العباد فلا يملك ضرهم ونفعهم غيره لانه يبطل تمليكه لغيره ذلك اليوم كما يقال صار امرنا الى القاضى وانما اراد بذلك انه المتصرف فينا والامر لنا لا على معنى قرب المكان قوله عز وجل يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير اية اللغة الفترة فعلة من فتر عن عمله يفتر فتورا اذا سكن فيه وفترته عنه

بالنوع من حيث اضافوها الى غير الله ... والاخر انهم كفروا

ابيه

الذى ... قال ... بالقنا ... من ...

والفترة انقطاع ما بين النبيين عند جميع المفسرين والاصل فيها الانقطاع عما كان الامر عليه من الجد في العمل وفتر الماء اذا انقطع
عما كان عليه من البرد الى السخونة وامراءة فاترة الطرف اى منقطعة عن حدة النظر الاعراب موضع ان تقولوا نصب عند البصريين
وتقديره كراهة ان تقولوا فحذف المضاف الذى هو مفعول له واقيم المضاف اليه مقامه وقال الكسائى والفرا تقديره لئلا تقولوا
ومن فى قوله من بشير مزيدة وفايدتها نفى الجنس وموضع الجار والمجرور رفع تقديره ما جاءنا بشير ولا نذير المعنى ثم عاد تعالى الى
خطاب اهل الكتاب ومحاجتهم واستعطافهم والزامهم الحجة برسول الله عليه السلم فقال يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعنى محمدا
عليه السلم يبين لكم اى يوضح لكم اعلام الهدى وفيه دلالة على انه تعالى اختصه من العلم بما ليس مع غيره على فترة من الرسل اى على
انقطاع من الرسل ودروس من الدين والكتب وفيه دلالة على ان زمان الفترة لم يكن فيه نبى وكان الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما السلم وكانت النبوة متصلة قبل ذلك فى بنى اسرائيل وروى عن ابن عباس انه لم يكن بينهما الا اربعة من الرسل واختلفوا
فى مدة الفترة بينهما فقيل ستمائة سنة عن الحسن وقتادة وقيل خمسمائة وستون سنة عن قتادة فى رواية اخرى وقيل اربعمائة
وبضع وستون سنة عن الضحاك وقيل خمسمائة وستون عن ابن عباس وقيل كان بين ميلاد عيسى ومحمد عليهما السلم خمسمائة وتسع
وستون سنة وكان بعد عيسى اربعة من الرسل وهو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ولا ادرى
من الرابع فكان من تلك المدة مائة واربع وثلثون سنة نبوة وسايرها فترة عن الكلبى ان تقولوا ما جاءنا من بشير بالثواب على
الطاعة ولا نذير بالعقاب على المعصية ثم بين تعالى انه قد قطع عذرهم وازاح علتهم بارسال رسوله فقال فقد جاءكم بشير ونذير وهو
محمد عليه السلم يبشر كل مطيع بالثواب ويخوف كل عاص بالعقاب والله على كل شىء قدير ظاهر وفى هذه الاية دلالة على بطلان
مذهب المجبرة لان الحجة بمنع القدرة اوكد من الحجة بمنع اللطف ويكون الحجة فى ذلك لمن يعلم الله تعالى ان بعثة الانبياء مصلحة لهم
فاذا لم تبعث يكون لهم الحجة فاما من لا يعلم ذلك فيهم فلا حجة لهم وان لم يبعث اليهم الرسل قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين ايتان اللغة اصل التقديس التطهير ومنه قيل للسطل
الذى يتطهر به القدس ومنه تسبيح الله وتقديسه وهو تنزيهه عما لا يجوز عليه من الصاحبة والولد وفعل الظلم والكذب
الاعراب انبياء لا ينصرف معرفة ولا نكرة لعلامة التانيث ولزومها خلاف علامة التانيث فى حمرة وقايمة فانها لا تلزم فلذلك انصرف فى
النكرة وقوله خاسرين منصوب على الحال من الواو فى فتنقلبوا المعنى ثم ذكر تعالى صنيع اليهود فى المخالفة لنبيهم تسلية لنبينا عليه السلم
فى مخالفتهم اياه فقال واذ قال موسى لقومه اى واذكر يا محمد اذ قال موسى لهم يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم واياديه لديكم و
الاية فيكم اذ جعل فيكم انبياء يخبرونكم بانباء الغيب وتنصرون بهم على الاعداء ويبينون لكم الشرايع وقيل هم الانبياء الذين كانوا بعد
موسى مقيمين فيهم الى زمن عيسى عليهما السلم يبينون لهم امور دينهم وجعلكم ملوكا بان سخر لكم من غيركم خدما يخدمونكم عن قتادة وقيل
وقيل انما خاطبهم موسى عليه السلم بذلك لانهم كانوا مملوكين فى ايدى القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وقيل
لانهم كانوا املوك الدور والخدم ولهم نساء وازواج وكل من ملك ذلك ولا يدخل
عليه الا باذن فهو ملك كاينا من كان عن عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن اسلم والحسن ويؤيد ذلك ما روى عن النبى
عليه السلم انه قال من اصبح امنا فى سربه معافى فى بدنه وعنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها وقيل الملك هو الذى له
ما يستغنى به عن تكلف الاعمال وتحمل الاثقال والتكلع فى المعاش عن ابى على الجبائى وقيل انهم جعلوا ملوكا بالمن والسلوى والحجر
والغمام عن ابن عباس ومجاهد وقيل لا يمتنع ان يكون الله تعالى جعل لهم الملك والسلطان ووسع عليهم التوسعة التى يكون
الانسان بها ملكا عن ابى القسم البلخى واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين عالمى زمانهم عن الحسن والبلخى وقيل معناه اعطاكم من اجتماع
هذه الامور وكثرة الانبياء والايات التى جاءتهم وانزال المن والسلوى عليهم عن الزجاج والجبائى واختلفوا فى المخاطب بقوله
واتاكم فقيل هم قوم موسى عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وهو الاظهر وقيل هم امة النبى عليه السلم عن سعيد بن جبير وابى مالك
ثم كلفهم تعالى دخول الارض المقدسة بعد ذكر النعم فقال يا قوم حكاية عن خطاب موسى لقومه ادخلوا الارض المقدسة وهى بيت

المقدس

ولا نذير معناه قد جاءكم رسولنا كراهة ان تقولوا اولان لا تقولوا محتجين يوم القيمة ما جاءنا بشير م

المقدس عن ابن عباس والسدى وابن زيد وقيل هى دمشق وفلسطين وبعض الاردن عن الزجاج والفرا وقيل هى الشام عن
قتادة وقيل هى ارض الطور وما حوله عن مجاهد والمقدسة المطهرة طهرت من الشرك وجعلت مسكنا وقرارا للانبياء والمؤمنين
التى كتب الله لكم اى كتب فى اللوح المحفوظ انها لكم وقيل معناه وهب الله لكم عن ابن عباس وقيل معناه امركم الله بدخولها عن قتادة
والسدى فان اعترض معترض فقال كيف كتب الله لهم مع قوله فانها محرمة عليهم فجوابه انها كانت هبة من الله لهم ثم حرمها عليهم
عن ابن اسحق وقيل ان المراد به الخصوص وان كان الكلام على العموم فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على البعض والذين كتب لهم
دخولها هم الذين كانوا مع يوشع بن نون بعد موت موسى بشهرين ولا ترتدوا على ادباركم اى لا ترجعوا عن الارض التى
امرتم بدخولها عن اكثر المفسرين وقيل لا ترجعوا عن طاعة الله الى معصيته عن الجبائى فتنقلبوا خاسرين الثواب فى الاخرة وانما قال ذلك
لانهم كانوا امروا بدخولها كما امروا بالصلوة وغيرها عن قتادة والسدى وقيل انهم لم يؤمروا بذلك فيكون المراد فتنقلبوا
خاسرين حظكم فى دخولها كما يقال خسر فى البيع فلان القصة لما عبر موسى وبنو اسرائيل البحر وهلك فرعون امرهم الله تعالى بدخول
الارض المقدسة فلما نزلوا على نهر الاردن خافوا من الدخول فبعث موسى عليه السلم من كل سبط رجلا وهم الذين ذكرهم
الله تعالى فى قوله وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا فعاينوا من عظم شانهم وقوتهم شيئا عجيبا فرجعوا الى بنى اسرائيل فاخبروا موسى عليه السلم
بذلك فامرهم ان يكتموا ذلك فوفى اثنان منهم يوشع بن نون من سبط ابن يامين وقيل انه كان من سبط يوسف وكالب بن
يوقنا من سبط يهوذا وعصى العشرة واخبروا بذلك وقيل كتم خمسة منهم واظهر الباقون وفشا الخبر فى الناس فقالوا ان دخلنا
عليهم يكون نساؤنا واهالينا غنيمة لهم وهموا بالانصراف الى مصر وهموا بيوشع وكالب وارادوا ان يرجموهما بالحجارة فاغتاظ
لذلك موسى وقال رب انى لا املك الا نفسى واخى فاوحى الله اليه انهم يتيهون فى الارض اربعين سنة وانما يخرج منهم من لم
يعص الله فى ذلك فبقوا فى التيه اربعين سنة فى ستة عشر فرسخا وقيل تسعة فراسخ وقيل ستة فراسخ وهم ستمائة الف مقاتل
لا تتخرق ثيابهم وتثبت معهم ونزل عليهم المن والسلوى ومات النقباء غير يوشع بن نون وكالب ومات اكثرهم ونشا ذرارهم
فخرجوا الى حرب اريحا وفتحوها واختلف فيمن فتحها فقيل فتحها موسى ويوشع على مقدمته وقيل فتحها يوشع بعد موت موسى وكان
قد توفى موسى وبعثه الله نبيا وروى انهم كانوا فى المحاربة اذ غابت الشمس فدعا يوشع فرد الله تعالى عليهم الشمس حتى فتحوا
اريحا وقيل كانت وفاة موسى وهرون عليهما السلم فى التيه وتوفى هرون قبل موسى بسنة وكان عمر موسى مائة وعشرين
سنة فى ملك افريدون ومنوجهر وكان عمر يوشع مائة وستة وعشرين سنة وبقى بعد وفاته مدبرا لامر بنى اسرائيل سبعا
وعشرين سنة قوله عز وجل قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان
من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا
يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون اربع ايات بصرى ثلث
عند الباقين عد البصرى غالبون وقوله جبارين مما يشكل ولا يعده الجميع اللغة الجبار هو الذى لا ينال بالقهر واصله
فى النخل وهو ما فات اليد طولا والجبار من الناس هو الذى يجبرهم على ما يريد والجبر جبر العظم وهو كالاكراه على الصلاح
قال العجاج قد جبر الدين الاله فجبر وعور الرحمن من ولى العور والجبار فى صفة الله تعالى صفة تعظيم لانه يفيد الاقتدار
وهو تعالى لم يزل جبارا بمعنى ان ذاته تدعوا العارف بها الى تعظيمها والفرق بين الجبار والقهار ان القهار هو الغالب
لمن ناواه اوكان فى حكم المناوى بمعصيته اياه ولا يوصف تعالى فيما لم يزل بانه قهار والجبار فى صفة المخلوقين صفة ذم لانه
يتعظم بما ليس له فان العظمة لله تعالى الاعراب فاذهب انت وربك انما اتى بالضمير المرفوع المنفصل تاكيدا للضمير المستكن وللنصل
من غير ان يؤكد لانه يصير كانه معطوف على الفعل اذا عطف على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له ولا يجوز ان يقال اذهب وزيد
الضمير فان الضمير اذا برز يصير الفعل خاليا منه وقوله اذهب غير فارغ من الضمير وانما حسن العطف على الضمير المتصل فى قوله
فاجمعوا امركم وشركاءكم لان ذكر المفعول صار عوضا من الضمير المنفصل كما كان فى قوله لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا

فى اذهب لبيح العطف عليه فانه يتبيع العطف بالاسم الظاهر على الضمير المستكن م

عوضا منه المعنى ثم ذكر جواب القوم فقال تعالى قالوا يعني بني اسرائيل ان فيها اى فى الارض المقدسة قوما اى جماعة جبارين شديدى البطش والباس والخلق قال ابن عباس بلغ من جبرية هؤلاء القوم انه لما بعث موسى من قومه اثنى عشر نقيبا ليخبروه خبرهم راهم رجل من الجبارين يقال له عوج فاخذهم فى كمه مع فاكهة كان حملها من بستان واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال للملك تعجبا منهم هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه خبرنا قال مجاهد وكان فاكهتهم لا يقدر على حمل عنقود منها خمسة رجال بالخشب ويدخل فى قشر نصف رمانة خمسة رجال وان موسى كان طوله عشرة اذرع وله عصا طولها عشرة اذرع ونزا من الارض مثل ذلك فبلغ كعب عوج بن عنق فقتله وكان طول سريره ثمان مائة ذراع وانا لن ندخلها يعني لقتالهم حتى يخرجوا منها فان يخرجوا يعني الجبارين منها فانا داخلون قال رجلان من جملة النقباء الذين بعثهم موسى ليعرف خبر القوم وقيل هما يوشع بن نون وكالب وقيل كلاب بن يوقنا عن ابن عباس ومجاهد والسدى وقتادة والربيع وقيل رجلان كانا من مدينة الجبارين وكانا على دين موسى لما بلغهما خبر موسى جاآه فاتبعاه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس من الذين يخافون الله تعالى انعم الله عليهما بالاسلام عن قتادة والحسن وقيل يخافون الجبارين اى لم يمنعهم الخوف من الجبارين ان قالوا الحق انعم الله عليهما بالاسلام بالتوفيق للطاعة عن الجبائى وكان سعيد بن جبير يقرأ يخافون بضم الياء وروى تاويل ذلك عن ابن عباس انهما كانا من الجبارين انعم الله عليهما بالاسلام ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اخبر عن الرجلين انهما قالا ادخلوا يا بنى اسرائيل على الجبارين باب مدينتهم وانما علما انهم يظفرون بهم ويغلبونهم اذا دخلوا باب مدينتهم لما اخبر به موسى عليه السلم من وعد الله تعالى بالنصر وقيل لما راوه من الرعب فى قلوب الجبارين فعلما انهم ان دخلوا الباب غلبوا وعلى الله فتوكلوا فى نصر الله على الجبارين ان كنتم مومنين بالله وبما اتاكم به رسوله من عنده ثم اخبر عن قوم موسى بانهم قالوا انا لن ندخلها اى هذه المدينة ابدا ما داموا اى دام الجبارون فيها وانما قالوا ذلك لانهم جبنوا وخافوا من قتالهم لعظم اجسامهم وشدة بطشهم ولم يثقوا بوعد الله تعالى بالنصر لهم عليهم فاذهب يا موسى انت وربك فقاتلا الجبارين انا ههنا قاعدون الى ان تظفر بهم وترجع الينا فحينئذ ندخل وانما لم ينكر موسى عليه السلم عليهم قولهم اذهب انت وربك لامرين احدهما ان الكلام كله يدل على الانكار عليهم والتعجيب عن جهلهم فى تلقيهم امر ربهم بالرد له والمخالفة عليه والاخر انهم انما قالوا ذلك مجازا بمعنى وربك معين لك على ما قاله ابو القسم البلخى والاول اليق بجهل اولئك القوم قال الحسن هذا القول منهم يدل على انهم كانوا مشبهة ولذلك عبدوا العجل ولو عرفوا الله حق معرفته لما عبدوا العجل وقال الجبائى ان كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب من مكان الى مكان فانه كفر وان قالوه على وجه الخلاف فانه فسق واما قوله تعالى فقاتلهم الله انى يوفكون فانه مجاز والمعنى انه يعاديهم عداوة المقاتل ويحل بهم ما يحله المقاتل المستعلى بالاقتدار وعظم السلطان ممن يقاتله قوله عز وجل قال رب انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون فى الارض فلا تاس على القوم الفاسقين اية اللغة اصل التيه التحير الذى لا يهتدى لاجله للخروج عن الطريق الى الغرض المقصود ويقال تاه يتيه تيها وتيها اذا تحير وتيهته وتوهته والتاء اكثر والتيهاء من الارض هى التى لا يهتدى فيها وارض تيهاء والاسى الحزن يقال اسى ياسى اسى اذا حزن قال امرؤ القيس وقوفا بها صحبى على مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل الاعراب اخى يجوز ان يكون فى موضع رفع ويجوز ان يكون فى موضع نصب ورفعه من وجهين احدهما ان يكون عطفا على موضع انى ومثله ان الله برئ من المشركين ورسوله والاخر ان يكون معطوفا على ما فى املك اى لا املك انا واخى الا انفسنا ونصبه ايضا من وجهين احدهما ان يكون عطفا على الياء فى انى اى انى واخى لا نملك الا انفسنا والاخر ان يكون عطفا على نفسى اى لا املك الا نفسى ولا املك الا اخى واربعين نصب على الظرف والعامل فيه قوله يتيهون وقيل هو منصوب بقوله محرمة قال الزجاج هذا خطاء لانه جاء فى التفسير انها محرمة عليهم ابدا المعنى ثم ذكر دعاء موسى على قومه عند مخالفتهم اياه فقال عز اسمه قال اى قال موسى اذ غضب على قومه رب انى لا املك الا نفسى اى لا املك الا تصريف نفسى فى طاعتك لانها التى تجيبنى اذا دعوت واخى اى واخى كذلك لا يملك الا نفسه او يكون معناه ولا املك ايضا الا اخى لانه يجيبنى اذا دعوت فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين

اى

اى فافصل بيننا وبينهم بحكمك وسماهم فسقا وان كانوا قد كفروا بالرد على نبيهم لخروجهم من الايمان الى الكفر فالفسق الخروج من الطاعة الى المعصية والكفر من اعظم المعاصى قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وقيل فى سوال موسى عليه السلم الفرق بينه وبينهم قولان احدهما انه سال الله تعالى ان يحكم ويقضى بما يدل على بعدهم عن الحق والثواب فيما ارتكبوا من العصيان ولذلك القول فى التيه عن ابن عباس والضحاك والاخر انه سال الله ان يفرق بينه وبينهم فى الاخرة بان يكون هؤلاء فى النار ويكون هو فى الجنة ولو دعا عليهم بالهلاك لاهلكوا عن الجبائى قال اى قال الله تعالى لموسى عليه السلام فانها محرمة عليهم اى ان الارض المقدسة حرمت عليهم وفى كيفية التحريم قولان احدهما انه تحريم منع كقول امرء القيس جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى انى امرؤ صرعى عليك حرام يعنى دابة التى هو راكبها ويريد بذلك انى فارس لا تمكنين ان تصرعينى وقيل يجوز ان يكون تحريم تعبد عن ابى على الجبائى والاظهر وقال البلخى يجوز ان يكونوا امروا بان يطوفوا فيه اربعين سنة يتيهون فى الارض يعنى يتحيرون فى المسافة التى بينهم وبينها لا يهتدون سبيلا الى الخروج منها وكان مقدارها ستة فراسخ عن الربيع وكانوا يصبحون حيث امسوا ويمسون حيث اصبحوا عن الحسن ومجاهد وقال اكثر المفسرين ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه وقيل ايضا انهما لم يكونا فى التيه لان التيه عذاب وعذبوا عن كل يوم عبدوا فيه العجل سنة والانبياء لا يعذبون قال الزجاج ان كانا فى التيه فجاز ان يكون الله تعالى سهل عليهما ذلك كما سهل على ابرهيم النار فجعلها عليه بردا وسلاما وشانها الاحراق ومات موسى عليه السلم فى التيه وفتح المدينة يوشع بعده وكان يوشع ابن اخت موسى ووصيه والنبى فى قومه بعده عن ابن عباس وقيل لم يمت فى التيه عن الحسن ومجاهد قالا وفتح المدينة موسى ومتى سئل فقيل كيف يجوز على عقلاء كثيرين ان يسيروا فى فراسخ يسيرة فلا يهتدوا للخروج منها فالجواب عنه من وجهين احدهما ان يكون ذلك بان تحول الارض التى هم عليها اذا ناموا فيرد الى المكان الذى ابتدوا منه عن ابى على والاخر ان يكون ذلك بالاسباب المانعة من الخروج عنها اما بان تمحى العلامات التى يستدلون بها بان يلقى شبه بعضها على بعض ويكون ذلك معجزا خارقا للعادة وقال قتادة لم يدخل بلد الجبارين احد من القوم الا يوشع بن نون وكالب بن يوقنا بعد موت موسى بشهرين وانما دخلها اولادهم معهما فلا تاس على القوم الفاسقين خطاب لموسى امره الله ان لا يحزن على هلاكهم لفسقهم وقال الزجاج هو خطاب للنبى عليه السلم قوله عز وجل واتل عليهم نبا ابنى ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين اية اللغة القربان ما يقصد به القرب من رحمة الله من اعمال البر وهو على وزن فعلان من القرب كالفرقان من الفرق والشكران والكفران من الشكر والكفر وقرابين الملك جلساؤه لقربهم اليه الاعراب اذ قربا متعلق بقوله نبا والتقدير خبر ابنى ادم حين قربا قربانا اى قرب كل واحد منهما قربانا فجمعهما فى الفعل وافرد الاسم لانه يستدل بفعلهما على ان لكل واحد منهما قربانا وقيل ان القربان اسم جنس فهو يصلح للواحد وللعدد على انه مصدر من قرب الرجل قربانا المعنى واتل عليهم اى اقرء عليهم يا محمد نبا ابنى ادم اى خبرهما بالحق اى بالصدق وهما انهما كانا ابنى ادم لصلبه الا الحسن فانه قال كانا رجلين من بنى اسرائيل اذ قربا قربانا اى فعلا فعلا يتقرب به الى الله تعالى فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر تقبل الطاعة ايجاب الثواب عليها قالوا وكانت علامة المقبول فى ذلك الزمان نارا تاتى فتاكل المتقبل ولا تاكل المردود وقيل كانت النار تاكل المردود عن مجاهد والاول اظهر قال لاقتلنك فى الكلام حذف التقدير قال الذى لم يتقبل منه للذى تقبل منه لاقتلنك فقال له لم تقتلنى قال لانه تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى فقال وما ذنبى انما يتقبل الله من المتقين للمعاصى فاطلق للعلم بان المراد انما احق ما يجب ان يخاف منه قال ابن عباس اراد انما يتقبل الله ممن كان زاكى القلب ورد عليك لانك لست بزاكى القلب واستدل بها على ان طاعة الفاسق غير متقبلة لكنها تسقط عقاب تركها وهذا لا يصح لان المعنى ان الثواب انما يستحقه من يوقع الطاعة لكونها طاعة فاما اذا فعلها بغير ذلك فلا يستحق عليها ثوابا ولا يمتنع ان يقع من الفاسق طاعة يوقعها على الوجه الذى يستحق عليه الثواب فيستحقه النظم ووجه اتصال الاية بما قبلها ان الله تعالى اراد ان يبين ان حال اليهود فى نقض العهد

وارتكاب الفواحش كحال ابن ادم فى قتله اخاه و ما عاد عليه من الوبال بتعديه فامر نبيه ان يتلو عليهم اخبارهما تسلية
لنبيه عليه السلم فيما ناله من جهالهم بتكذيبهم وتبكيتا لليهود القصه قالوا ان حوا امراة ادم كانت تلد فى كل بطن غلاما وجارية
فولدت اول بطن قابيل وقيل قابين و توامته اقليما بنت ادم والبطن الثانى هابيل و توامته لبوذا فلما ادركوا جميعا
امر الله ادم ان ينكح قابيل اخت هابيل و هابيل اخت قابيل فرضى هابيل وابى قابيل لان اخته كانت احسنهما وقال ما امر الله
بهذا ولكن هذا من رايك فامرهما ادم ان يقربا قربانا فرضيا بذلك فغدا هابيل و كان صاحب ماشية فاخذ من خير غنمه
زبدا و لبنا وكان قابيل صاحب زرع فاخذ من شر زرعه ثم صعدا فوضعا القربانين على الجبل فاتت النار فاكلت قربان
هابيل و تجنبت قربان قابيل و كان ادم غايبا عنهما بمكة خرج اليها ليزور البيت بامر ربه فقال قابيل لا عشت يا هابيل فى
الدنيا وقد تقبل قربانك و لم يتقبل قربانى وتريد ان تاخذ اختى الحسناء واخذ اختك القبيحة فقال له هابيل ما حكاه الله تعالى
فشدخه بحجر فقتله روى ذلك عن ابى جعفر الباقر عليه السلام وغيره من المفسرين وكان سبب قبول قربان احدهما دون الاخر ان قابيل
لم يكن زاكى القلب فقرب بشر ماله واخسه وقرب هابيل بخير ماله واشرفه واضمر الرضا بحكم الله تعالى وقيل ان سبب اكل
النار للقربان انه لم يكن هناك فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله تعالى و كان تنزل نار من السماء فتاكله وعن اسمعيل بن
رافع ان قربان هابيل كان يرتع فى الجنة حتى فدى به ابن ابرهيم اسمعيل قوله عز وجل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط
يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك
جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين ثلث ايات اللغة البسط المد وهو ضد القبض
تبوء ترجع يقال باء اذا رجع الى المباءة وهى المنزل و باءوا بغضب من الله اى رجعوا والبوء الرجوع بالقود وهم فى هذا
الامر بواء اى سواء طوعت له فعلت له من الطوع والعرب يقول طاع لهذه الظبية اصول هذه الشجرة وطاع له كذا ان كذا
اى اتاه طوعا ولا يقال اطاعته نفسه لان اطاع يدل على قصد لموافقة معنى الامر وليس كذلك طوع لانه بمنزلة انطاع
له اصول الشجرة و فى الفعل ما يتعدى الى نفس الفاعل نحو حرك نفسه وقتل نفسه و فيه ما لا يتعدى الى ذلك نحو امر ونهى
لان الامر والنهى لا يكونان الا من هو اعلى الى من هو دونه الاعراب لئن بسطت اللام للقسم وجوابه ما انا بباسط ولا
يقع ما جوابا للشرط لان ما يكون لها صدر الكلام والقسم لا يخرجها عن ذلك كما جاز ان يكون جواب القسم بان ولام الابتداء ولا
ولم يجز بالفاء لان المقسم عليه ليس يجب بوجوب القسم مؤكد وجواب الشرط يجب لوجوب الشرط فاذا اجتمع جواب القسم اولى
من الجزاء لانه لما تقدم القسم وصار الجزاء فى حشو الكلام غلبه على الجواب فصار له واكتفى به من جواب الشرط لدلالته عليه
المعنى ثم اخبر الله عن هابيل انه قال لاخيه حين هدده بالقتل لما تقبل قربانه و لم يتقبل قربان اخيه لئن بسطت الى
يدك لتقتلنى اى لئن تقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك اى لئن اقتلك قال اهل التفسير ان القتل على سبيل
المدافعة لم يكن مباحا فى ذلك الوقت و كان الصبر عليه هو المامور به ليكون الله تعالى هو المتولى للانتصاف عن الحسن
ومجاهد واختاره الجبائى وقيل ان معنى الاية لئن بسطت الى يدك على سبيل الظلم والابتداء لتقتلنى ما انا بباسط
يدى اليك على وجه الظلم والابتداء عن ابن عباس وجماعة قالوا انه قتله غيلة بان القى عليه وهو نايم صخرة شدخه
بها قال المرتضى قدس الله روحه والظاهر بغير الوجهين اشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط اليه اخوه يده ليقتله
لا يبسط يده ليقتله اى وهو مريد لقتله لان اللام بمعنى كى وهى مبنية على الارادة والغرض ولا شبهة فى قبح ذلك
لان المدافع انما يحسن منه المدافعة للظالم طلبا للتخلص من غير ان يقصد الى قتله فكانه قال له ان ظلمتنى لم اظلمك انى
اخاف الله رب العالمين معناه انى اخاف الله فى مدى يدى اليك لقتلك انى اريد ان تبوء باثمى واثمك معناه انى
لا ابداك بالقتل لانى اريد ان ترجع باثم قتلى ان قتلتنى واثمك الذى كان منك قبل قتلى عن ابن عباس وابن مسعود
والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك و قال الجبائى والزجاج واثمك الذى من اجله لم يتقبل قربانك وقيل معناه باثم

قتلى

قتلى واثمك الذى هو قتل جميع الناس حيث سننت القتل ومعنى تبوء باثمى تبوء بعقاب اثمى لانه لا يجوز لاحد ان يريد معصية الله تعالى من
غيره و لكن يجوز ان يريد عقابه المستحق عليه بالمعصية ومتى قيل كيف يحسن ارادة عقاب لم يقع سببه فان القتل على هذا لم يكن
واقعا فجوابه ان ذلك يحسن بشرط وقوع ما يستحق به العقاب فهابيل لما راى من اخيه العزم على قتله وغلب على ظنه ذلك جاز ان يريد
عقابه بشرط ان يفعل ما عزم عليه فتكون من اصحاب النار اى فتصير بذلك من الملازمين للنار وذلك جزاء الظالمين اى عقاب
العاصين ويحتمل ان يكون هذا اخبار عن قول هابيل ويحتمل ان يكون ابتداء حكم من الله تعالى فطوعت له نفسه قيل فيه اقوال
احدها ان معناه شجعته نفسه على قتل اخيه اى على ان يقتل اخاه عن مجاهد وثانيها ان المراد زينت له نفسه قتل اخيه وثالثها
ان المراد ساعدته نفسه وطاوعته نفسه على قتل اخاه فلما حذف حرف الجر نصب قتل اخيه ومن قال ان معناه زينت له
فيكون قتل اخيه مفعولا به فقتله قال مجاهد لم يدر قابيل كيف يقتله حتى ظهر له ابليس فى صورة طير فاخذ طيرا اخر وترك راسه
بين حجرين فشدخه ففعل قابيل مثله وقيل هو اول قتيل كان فى الناس فاصبح من الخاسرين اى صار ممن خسر الدنيا والاخرة
وذهب عنه خيرهما واستدل بعضهم بقوله فاصبح على انه قتله ليلا وهذا ليس بشئ لان من عادة العرب ان يقولوا اصبح
فلان خاسر الصفقة اذا فعل امرا كان ثمرته الخسران يعنون حصوله كذلك لا انه تعلق بوقت دون وقت قوله
عز وجل فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوءة اخيه قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
فاوارى سوءة اخى فاصبح من النادمين اية اللغة اصل البحث طلب الشئ فى التراب ثم يقال بحث عن الامر بحثا واصل السوءة
التكره يقال ساءه يسوءه سوءا اذا اتاه بما يكرهه قال سيبويه الويل كلمة يقال عند الهلكة وعجزت عن الامر اعجز عجزا ومعجزة ومعجزة
الاعراب يا ويلتا قال الزجاج الوقف عليه فى غير القران يا ويلتاه والنداء لغير الادميين نحو يا حسرتا و يا ويلتا انما وقع فى كلام العرب
على تنبيه المخاطبين وان الوقت الذى تدعى له هذه الاشياء هو وقتها فالمعنى يا ويلتا تعالى فانه من اوانك اى قد لزمنى
الويل وكذلك يا عجباه المعنى يا ايها العجب هذا وقتك على هذا كلام العرب وقراء الحسن يا ويلتى مضافا وذكر الازهرى انها
بمعنى المعنى فبعث الله غرابا يبحث فى الارض قالوا كان هابيل اول ميت من الناس فلذلك لم يدر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه
حتى بعث الله غرابين احدهما حى والاخر ميت وقيل كانا حيين فقتل احدهما صاحبه ثم بحث الارض ودفنه فيها ففعل قابيل به مثل
ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة وفى ذلك دلالة على فساد قول الحسن والجبائى وابى مسلم ان ابنى ادم كانا من بنى
اسرايل وقيل معناه بعث الله غرابا يبحث التراب على القتيل فلما راى قابيل ما اكرم الله به هابيل وانه بعث طيرا يواريه وتقبل قربانه
قال يا ويلتا عن الاصم وقيل كان ملكا فى صورة الغراب وفى هذا دلالة على ان الفعل من الغراب وان كان المعنى به الطير كان
مقصودا ولهذا اضاف تعالى بعثه الى نفسه و لم يقع اتفاقا كما قاله ابو مسلم ولكنه تعالى الهمه و قال الجبائى كان ذلك معجزا مثل
حديث الهدهد وحمله الكتاب ورده الجواب الى سليمان ويجوز ان يريد الله تعالى فهم الغراب حتى يعرف هذا القدر كما نامر
صبياننا فيفهمون عنا ليريه اى ليرى الغراب قابيل كيف يوارى اى يغطى ويستر سوءة اخيه اى عورة اخيه وقال الجبائى يريد جيفة
اخيه لانه ترك حتى انتن فقيل لجيفته سوءة قال يا ويلتا ههنا حذف فان التقدير ليريه كيف يوارى سواه اخيه فواراه فقال القاتل
اخاه يا ويلتا اعجزت ان اكون فى العلم مثل هذا الغراب فاوارى اى استر سوءة اخى والسوءة عبارة عما يكره وعما ينكر فاصبح من
النادمين على قتله ولكن لم يندم على الوجه الذى يكون توبة لكن يندم على الشرب لانه يعد فلذلك لم يقبل ندمه عن الجبائى وقيل
من النادمين على موت اخيه لا على ارتكاب الذنب القصه روت العامة عن جعفر الصادق عليه السلم قال قتل قابيل هابيل وتركه
بالعراء لا يدرى ما يصنع به فقصده السباع فحمله فى جراب على ظهره حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع ينتظر متى يرمى به فتاكله فبعث
الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجليه ثم القاه فى الحفيرة وواراه وقابيل ينظر اليه فدفن اخاه و
عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل اشاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء واغبرت الارض فقال ادم
قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فانشا يقول تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح تغير

كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه الصبيح وقال سالم بن ابي الجعد لما قتل هابيل مكث ادم سنة حزينا لا يضحك ثم اتى فقيل له حياك الله وبياك اي اضحكك قالوا ولما مضى من عمر ادم مائة وثلثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حوا شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وكان وصي ادم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مذعورا لا تأمن من تراه وذهب الى عدن من اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبدها فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار وهو اول من نصب النار وعبدها واتخذ اولاده الات اللهو من اليراع والطنبور والمزامير والعيدان وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله ايام نوح عليه السلام بالطوفان وبقي نسل شيث قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اية القراءة قرا ابو جعفر يزيد وحده من اجل ذلك مكسورة النون موصولة والباقون من اجل مقطوعة الهمزة مفتوحة الحجة قال ابن جني يقال فعلت ذلك من اجلك ومن اجلك ومن جلالك ومن جلالك ومن جراك فيجب على هذا ان يكون قراءة ابي جعفر على تخفيف همزة اجل فحذفها والقاء حركتها على نون من كقولك في تخفيف كم ابلك كم بلك اللغة الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم شرا يأجله اجلا اذا جنى عليهم جناية قال خوات بن جبير واهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا اجله اي انا جانيه وفي هذا المعنى يقال جر عليهم جريرة ثم يقال فعلت ذلك من جراك ومن اجلك اي من جريرتك كانه يقول انت جررتني الى ذلك وانت جنيت علي هذا ومنه الاجل الوقت لانه يجر اليه العقد الاول واجل بمعنى نعم لانه انقياد الى ما جر اليه والاجل القطيع من بقر الوحش واحد الاجال لان بعضها يجر الى بعض قال عدي بن زيد اجل ان الله قد فضلكم فوق من احكى صلبا بازار اراد من اجل فحذف الجار ووصل الفعل اليه فنصبه والاسراف الخروج عن التقصير والاقتصاد وضد التقصير والاقتصاد هو التعديل بلا اسراف ولا اقتار الاعراب اختلف في قوله من اجل ذلك فقيل انه من صلة النادمين اي من اجل انه حين قتل اخاه لم يواره ندم وروي عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله من تمام الكلام الاول وعامة المفسرين على ان قوله من اجل ذلك ابتداء كلام وليس بمتصل بما قبله واحتج ابن الانباري لهذا بانه راس اية وراس الاية فصل قال ولان من جعله من صلة الندم اسقط العلة للكتابة ومن جعله من صلة الكتابة لا يسقط معنى الندم اذ قد تقدم ما كشف عنه فكان هذا اولى المعنى ثم بين تعالى التكليف في باب القتل فقال من اجل ذلك قال الزجاج معناه من جناية ذلك وذلك اشارة الى قتل احد ابني ادم اخاه ظلما كتبنا على بني اسرائيل اي حكمنا عليهم وفرضنا انه من قتل نفسا اي من قتل منهم نفسا ظلما بغير نفس اي بغير قود عن ابن عباس او فساد في الارض او من قتل منهم نفسا بغير فساد كان منها في الارض فاستحقت بذلك قتلها وفسادها في الارض انما يكون بالحرب لله ولرسوله واخافة السبيل على ما ذكره الله في قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا قيل في تاويله اقوال احدها ان معناه هو ان الناس كلهم خصماؤه في قتل ذلك الانسان وقد وترهم وتر من قصد لقتلهم جميعا فاوصل اليهم من المكروه ما يشبه القتل الذي اوصله الى المقتول فكانه قتلهم كلهم ومن استنقذها من غرق او حرق او هدم او ما يميت لا محالة او استنقذها من ضلال فكانما احيا الناس جميعا اي اجره على الله اجر من احياهم اجمعين لانه في اسدائه المعروف اليهم باحيائه اخاهم المؤمن بمنزلة من احيا كل واحد منهم عن مجاهد والزجاج واختاره ابن الانباري وهذا المعنى مروي عن ابي عبد الله عليه السلام ثم قال وافضل من ذلك ان يخرجها من ضلال الى هدى وثانيها ان معناه من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا اي يعذب عليه كما لو قتل الناس كلهم ومن شد على عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا في استحقاق الثواب عن ابن عباس وثالثها ان معناه من قتل نفسا بغير حق فعليه مثل ماثم كل قاتل من الناس لانه سن القتل وسهله لغيره فكان بمنزلة المشارك فيه ومن زجر عن قتلها بما فيه حياتها على وجه يقتدى به فيه بانه يعظم تحريم قتلها كما حرمه الله فلم يقدم على قتلها لذلك فقد احيى الناس بسلامتهم منه فذلك احياؤه اياها عن ابي علي الجبائي وهو اختيار الطبري ويؤيده قوله عليه السلام من

سن

سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ورابعها ان المراد فكانما قتل الناس جميعا عند المقتول ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا عند المستنقذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة وخامسها ان معناه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن عفا عن دمها وقد وجب القود عليها كان كما لو عفا عن الناس جميعا عن الحسن وابن زيد والله تعالى هو المحيي على الحقيقة للخلق لا يقدر على خلق الحياة غيره وانما قال احياها على سبيل المجاز كما حكي عن نمرود انه قال انا احيي واميت فاستبقى واحدا وقتل الاخر وقوله ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات اي بالحجج الدالة على صدقهم وصحة نبوتهم ثم ان كثيرا منهم يعني من بني اسرائيل بعد ذلك في الارض لمسرفون اي مجاوزون حد الحق بالشرك عن الكلبي وبالقتل عن غيره والاولى ان يكون عاما في كل مجاوز عن الحق ويؤيده ما روي عن ابي جعفر عليه السلام المسرفون هم الذين يستحلون المحارم ويسفكون الدماء قوله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ايتان اللغة اصل النفي الاهلاك بالاعدام ومنه النفاية لردي المتاع ومنه النفي وهو ما تطاير من الماء عن الدلو قال الراجز كان متنيه من النفي مواقع الطير من الصفي والنفي الطرد والخزي قال اوس بن حجر ينفون عن طرق الكرام كما ينفي المطارق ما تلي القرد والخزي الفضيحة يقال خزي يخزى خزيا اذا افتضح وخزي يخزى خزاية فهو خزيان اذا استحيا وخزوته اخزوه اذا سسته ومنه قول لبيد واخزها بالبر لله الاجل الاعراب فسادا مصدر وضع موضع الحال ان يسعون في الارض مفسدين وان يقتلوا في موضع رفع بانه خبر المبتدأ الذي هو جزاء والذين تابوا يحتمل ان يكون في موضع رفع بالابتداء وخبره فاعلموا ان الله غفور رحيم ويجوز ان يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله ان يقتلوا الى ما بعده من الحد النزول اختلف في سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي عليه السلام موادعة فنقضوا العهد وافسدوا في الارض عن ابن عباس والضحاك وقيل نزلت في اهل الشرك عن الحسن وعكرمة وقيل نزلت في العرنيين لما نزلوا المدينة مظهرين الاسلام فاستوخموها واصفرت الوانهم فامرهم النبي عليه السلام ان يخرجوا الى ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها ففعلوا ذلك فصحوا ثم مالوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وارتدوا عن الاسلام فاخذهم النبي عليه السلام وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وسمل اعينهم عن قتادة وسعيد بن جبير والسدي وقيل نزلت في قطاع الطريق عن اكثر المفسرين وعليه جل الفقهاء المعنى لما قدم تعالى ذكر القتل وحكمه عقبه بذكر قطاع الطريق والحكم فيهم فقال انما جزاء الذين يحاربون الله اي اولياء الله كقوله تعالى الذين يؤذون الله ورسوله اي يحاربون رسوله ويسعون في الارض فسادا المروي عن اهل البيت عليهم السلام ان المحارب هو كل من شهر السلاح واخاف الطريق سواء كان في المصر او خارج المصر فان اللص المجاهر في المصر وخارج المصر سواء وهو مذهب الشافعي والاوزاعي ومالك وذهب ابو حنيفة واصحابه الى ان المحارب هو قاطع الطريق في غير المصر وهو المروي عن عطاء الخراساني والمعنى في قوله انما جزاء وهم الا هذا عن الزجاج قال لان القائل اذا قال جزاؤك دينار فجائز ان يكون معه غيره واذا قال انما جزاؤك دينار كان المعنى ما جزاؤك غير الدينار ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف قال ابو جعفر وابو عبد الله عليهما السلام انما جزاء المحارب على قدر استحقاقه فان قتل فجزاؤه ان يقتل وان قتل واخذ المال فجزاؤه ان يقتل او يصلب وان اخذ المال ولم يقتل فجزاؤه ان يقطع يده ورجله من خلاف وان اخاف السبيل فقط فانما عليه النفي لا غير وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والربيع وعلى هذا فان او ليست في الاية هنا للاباحة وانما هي مرتبة الحكم باختلاف الجناية وقال الشافعي ان اخذ المال جهرا كان للامام صلبه حيا وان لم يقتل قال ويحد كل واحد بقدر فعله فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثا ثم ينزل قال ابو عبيدة سألت محمد بن الحسن عن قوله او يصلبوا فقال هو ان يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يقتل وهو راي ابي حنيفة فقيل له هذا مثلة قال المثلة يراد به وقيل ان معنى او ههنا الاباحة والتخيير اي ان شاء الامام قتل

معناه ولقد اتت بني اسرائيل الذين ذكرنا قصصهم واخبارهم رسلنا بالايات الواضحة

وان شاء صلب وان شاء نفى عن الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد وقد روى ذلك ايضا عن ابى عبد الله عليه السلم وقوله من خلاف معناه اليد اليمنى والرجل اليسرى او ينفوا من الارض قيل فيه اقوال فالذى يذهب اليه اصحابنا الامامية ان ينفى من بلد الى بلد الى ان يتوب ويرجع وبه قال ابن عباس والحسن والسدى وسعيد بن جبير وغيرهم. الشافعى واليه ذهب قال اصحابنا ولا يمكن من الدخول الى بلاد الشرك ويقاتل المشركون على تمكينهم من الدخول الى بلادهم حتى يتوبوا وقيل هو ان ينفى من بلده الى بلد غيره عن عمر بن عبد العزيز وعن سعيد بن جبير فى رواية اخرى وقال ابو حنيفة واصحابه ان النفى هو الحبس والسجن واحتجوا بان المسجون يكون بمنزلة المخرج من الدنيا اذا كان ممنوعا من التصرف محولا بينه وبين اهله مع معاناته الشدايد فى الحبس وانشد قول بعض المسجونين خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ذلك اى فعل ما ذكرناه لهم خزى اى فضيحة وهوان فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم زيادة على ذلك وفى هذا دلالة على بطلان قول من ذهب الى ان اقامة الحدود تكفير للمعاصى لانه بين تعالى ان لهم فى الآخرة عذابا عظيما مع انه اقيمت عليهم الحدود والمعنى انهم يستحقون العذاب العظيم وليس فى الآية انه يفعل بهم ذلك لا محالة لانه يجوز ان يعفو الله عنهم ويتفضل عليهم باسقاط ما يستحقونه من العذاب الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم لما بين تعالى حكم المحارب استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل ان يؤخذ ويقدر عليه لان توبته بعد قيام البينة عليه ووقوعه فى يد الامام لا ينفعه بل يجب اقامة الحد عليه فاعلموا ان الله غفور رحيم يقبل توبته ويدخله الجنة وفى هذه الآية حجة على من قال لا تصح التوبة من معصية مع الاقامة على معصية اخرى يعلم صاحبها انها معصية لانه تعالى علق بالتوبة حكما لا يخل به الاقامة على معصية هى السكر او غيره قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون آية اللغة اصل الاتقاء فى اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقى السيف بالترس ويقال اتقوا الغريم بحقه والوسيلة فعيلة من قولهم توسلت اليه اى تقربت اليه قال عنترة بن شداد ان الرجال لهم اليك وسيلة ان ياخذوك فتكحلى وتخضبى ويقال وسل اليه اى تقرب اليه قال لبيد بلى كل ذى راى الى الله واسل فمعنى الوسيلة الوصلة والقربة المعنى لما تقدم ذكر القتل والمحاربين عقب ذلك بالموعظة والامر بالتقوى فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى اتقوا معاصيه واجتنبوها وابتغوا اليه الوسيلة اى اطلبوا اليه القربة بالطاعات عن الحسن ومجاهد وعطاء والسدى وغيرهم فكانه قال تقربوا اليه بما يرضيه من الطاعات وقيل الوسيلة افضل درجات الجنة عن عطاء وروى عن النبى عليه السلم انه قال سلوا الله لى الوسيلة فانها درجة فى الجنة لا ينالها الا عبد واحد وارجوا ان اكون انا هو وروى سعد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة عن على عليه السلم قال فى الجنة لؤلؤتان الى بطنان العرش احديهما بيضاء والاخرى صفراء فى كل واحدة منهما سبعون الف غرفة ابوابها واكوابها من عرق واحد فالبيضاء الوسيلة لمحمد واهل بيته والصفراء لابرهيم واهل بيته وجاهدوا فى سبيله اى فى طريق دينه مع اعداء امر الله تعالى بالجهاد فى دين الله لانه وصلة الى ثوابه والدليل على الشئ طريق الى العلم به والسبب للشئ طريق الى الوقوع فيه واللطف طريق الى طاعة الله والجهاد فى سبيل الله قد يكون باليد واللسان والقلب والسيف والقول والكتاب لعلكم تفلحون اى لكى تظفروا بنعيم الابد والمعنى اعملوا على رجاء الفلاح والفوز وقيل لعل وعسى من الله واجب فكانه قال اعملوا لتفلحوا قوله عز وجل ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم آيتان الاعراب خبر ان فى لو وجوابها وقوله ولهم عذاب اليم يحتمل ان يكون فى موضع الحال وان يكون عطفا على خبر ان ولا يجوز ان يكون الخبر يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولو فى موضع الحال كما يقول مررت بزيد لو راه عدوه لرحمه لانه فى موضع معتمد الفايدة مع ان الثانى فى استيناف به وانما اجيبت لو بما ولم يجز ان يجاب ان بما لان ما لها صدر الكلام وجواب لو لا يخرجها من هذا المعنى كما لا يخرجها جواب القسم لانه غير عامل وان عاملة فلذلك لم يصلح ان يجاب ان بلا ولم يصلح ان يجاب بما تقول ان تاتنى لا يلحقك سوء ولا يجوز ما لان لا ينفى عما بعدها ما وجب لما قبلها فى اصل موضوعها كقولك قام زيد

لا عمرو وما ينفى عما بعدها ما لم يجب لغيرها فلذلك كان لها صدر الكلام المعنى ثم اخبر تعالى عن وعيد الكفار فقال ان الذين كفروا لو ان لهم لكل واحد منهم ما فى الارض جميعا من المال والملك والولاية ومثله معه ومثل ذلك معه ليفتدوا به اى ليجعلوا ذلك فداهم ويبذلوه من عذاب يوم القيمة الذى يستحقونه على كفرهم فافتدوا بذلك ما تقبل منهم ذلك الفداء ولهم عذاب اليم اى وجيع يريدون ان يخرجوا من النار اى يتمنون ان يخرجوا من النار عن ابى على الجبائى قال لان الارادة هنا بمعنى التمنى وقيل معنى الارادة على الحقيقة اى كلما دفعتهم النار بلهبها رجوا ان يخرجوا منها وهو كقوله كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عن الحسن وقيل يكادون يخرجون منها اذا دفعتهم بلهبها كما قال تعالى جدارا يريد ان ينقض اى يكاد ويقارب فان قال قايل كيف يجوز ان يريدوا الخروج مع علمهم بانهم لا يخرجون منها فالجواب ان العلم بالشئ لا يكون لا يصرف عن ارادته كما ان العلم بانه يكون لا يصرف عن ارادته وانما الداعى الى الارادة حسنها والحاجة اليها وما هم بخارجين منها يعنى من جهنم ولهم عذاب مقيم اى دايم ثابت لا يزول ولا يحول كما قال الشاعر فان لكم بيوم الشعب منى عذابا دايما لكم مقيما قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير ثلث آيات الاعراب قال سيبويه وكثير من النحويين ارتفع السارق والسارقة على معنى وفيما فرض الله عليكم السارق والسارقة اى حكم السارق والسارقة ومثله قوله جل وعز الزانية والزانى فاجلدوا واللذان ياتيانها منكم فاذوهما قال سيبويه والاختيار فى هذا النصب فى العربية كما تقول زيدا اضربه وابت العامة القراءة الا بالرفع يعنى بالعامة الجماعة وقرا عيسى بن عمر والسارق والسارقة وكذلك الزانى والزانية وقال ابو العباس المبرد الاختيار فيه الرفع بالابتداء لان القصد ليس الى واحد بعينه فليس هو مثل قولك زيدا فاضربه انما هو كقولك من سرق فاقطع يده ومن زنا فاجلده قال الزجاج وهذا القول هو المختار وانما دخلت الفاء فى الخبر لتضمنه معنى الشرط وذكر فى قراءة ابن مسعود والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع اذ ليس فى الجسد الا يمين واحدة قال الفرا وكل شئ موحد من خلق الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع فقيل قد هشمت رؤسهما وملئت ظهورهما وبطونهما ضربا ومثله قوله ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال وانما اختير الجمع على التثنية لان اكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان فى الانسان كاليدين والرجلين واثنان من اثنين جمع لذلك يقال قطعت ارجلهما وفقئت عيونهما فلما جرى الاكثر على هذا ذهب بالواحد اذا اضيف الى اثنين مذهب الاثنين قال ويجوز التثنية كقول الهذلى فتخالسا نفسيهما بنوافذ كنوافذ العبط التى لا ترقع لانه الاصل ويجوز هذا ايضا فيما ليس من خلق الانسان كقولك للاثنين خليتما نساكما وانت تريد امراتين قال ويجوز التوحيد ايضا لو قلت فى الكلام لو قلت السارق والسارقة فاقطعوا يمينهما جاز لان المعنى اليمين من كل واحد منهما كما قال الشاعر كلوا فى بعض بطنكم تعيشوا ويجوز فى الكلام ان يقول ايتنى براس شاتين وبراسى شاة اراد راسى هذا الجنس قال الزجاج انما جمع ما كان فى الشئ منه واحد عند الاضافة الى اثنين لان الاضافة تبين ان المراد بذلك الجمع التثنية لا الجمع وذلك انك اذا قلت اشبعت بطونهما علم ان للاثنين بطنين فقط واصل التثنية الجمع لانك اذا ثنيت الواحد فقد جمعت واحدا الى واحد وربما كان لفظ الجمع اخف من لفظ الاثنين فيختار لفظ الجمع ولا يشتبه ذلك بالتثنية عند الاضافة الى اثنين لانك اذا قلت قلوبهما فالتثنية فيهما قد اغنتك عن تثنية قلب قال وان ثنى ما كان فى الشئ منه واحد فذلك جايز عند جميع النحويين وانشد ظهراهما مثل ظهور الترسين فجاء باللغتين وهذا كما حكينا عن الفرا فى قول الهذلى فتخالسا نفسيهما البيت وقوله جزاء بما كسبا قال الزجاج نصب جزاء بانه مفعول له وكذلك نكالا من الله وان شئت كانا منصوبين على المصدر الذى دل عليه فاقطعوا لان معنى فاقطعوا جازوهم ونكلوا بهم قال الازهرى تقديره لينكل غيره نكالا من مثل فعله من نكل ينكل اذا جبن المعنى لما ذكر تعالى

الحكم فيمن اخذ المال جهارا عقبه ببيان الحكم فيمن اخذ المال اسرارا فقال والسارق والسارقة والالف واللام للجنس فالمعنى كل من سرق رجلا كان او امراة وبدا بالسارق هنا لان الغالب وجود السرقة فى الرجال وبدا فى اية الزنا بالنساء فقال الزانية والزانى لان الغالب وجود ذلك فى النساء فاقطعوا ايديهما اى ايمانهما عن ابن عباس والحسن والسدى وعامة التابعين قال ابو على فى تخطى المسلمين الى قطع الرجل اليسرى بعد قطع اليد اليمنى وتركهم قطع اليد اليسرى دلالة على ان اليد اليسرى لم ترد بقوله فاقطعوا ايديهما الا ترى انها لو اريدت بذلك لم يكونوا ليدعوا نص القران الى غيره وهذا يدل على ان جمع اليد فى هذه الاية على حد جمع القلب فى قوله فقد صغت قلوبكما ودلت قراءة ابن عبد الله بن مسعود على ان المراد بالايدى الايمان قال العلماء ان هذه الاية مجملة فى ايجاب القطع على السارق وبيان ذلك ماخوذ من السنة واختلف فى القدر الذى يقطع به يد السارق فقال اصحابنا يقطع فى ربع دينار فصاعدا وهو مذهب الشافعى والاوزاعى وابى ثور ورووا عن عائشة عن النبى عليه السلم انه قال لا يقطع يد السارق الا فى ربع دينار فصاعدا وذهب ابو حنيفة واصحابه انه يقطع فى عشرة دراهم فصاعدا واحتجوا بما روى عن عطا عن ابن عباس ان ادنى ما يقطع فيه ثمن المجن قال وكان ثمن المجن على عهد رسول الله عليه السلم عشرة دراهم وذهب مالك انه يقطع فى ثلثة دراهم فصاعدا وروى عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله قطع سارقا فى مجن ثمنه ثلثة دراهم وقال بعضهم لا يقطع الخمس الا فى خمسة دراهم واختاره ابو على الجبائى وقال لانه بمنزلة من منع خمسة دراهم من الزكوة فى انه فاسق وقال بعضهم يقطع يد السارق فى القليل والكثير واليه ذهب الخوارج واحتجوا بعموم الاية وبما روى عن النبى عليه السلم انه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فيقطع يده ويسرق الحبل فيقطع يده وهذا الخبر قد طعن اصحاب الحديث فى سنده وذكر ايضا فى تاويله ان المراد بالبيضة بيضة الحديد التى تغفر الراس فى الحرب وبالحبل حبل السفينة واختلف ايضا فى كيفية القطع فقال اكثر الفقهاء انما يقطع من الرسغ بين الكف والساعد ثم ان عند الشافعى يقطع يده اليمنى فى المرة الاولى ورجله اليسرى فى المرة الثانيه ويده اليسرى فى المرة الثالثة ورجله اليمنى فى المرة الرابعة ويحبس فى المرة الخامسة وعند ابى حنيفة لا يقطع فى الثالثة وقال اصحابنا انه يقطع من اصول الاصابع ويترك له الابهام والكف وفى المرة الثانية يقطع رجله اليسرى من اصل الساق ويترك عقبه يعتمد عليها فى الصلوة فان سرق بعد ذلك خلد السجن وهو المشهور عن على عليه السلم واجمعت الطايفة عليه وقد استدل بقوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ولا شك فى انهم انما يكتبونه بالاصابع ولا خلاف ان السارق انما يجب عليه القطع اذا سرق من حرز والامام وحكى عن داود انه يقطع السارق ومن سرق من غير حرز والحرز فى كل شى انما يعتبر فيه حرز مثله فى العادة وحده عندنا كل موضع لم يكن لغير مالكه الدخول اليه والتصرف فيه الا باذنه جزاء بما كسبا اى افعلوا ذلك بهما مجازاة بكسبهما وفعلهما نكالا من الله اى عقوبة على ما فعلاه قال زهير ولولا ان ينال ابا طريف عذاب من خزية او نكال اى عقوبة فمن تاب من بعد ظلمه اى اقلع وندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقة واصلح اى فعل الفعل الصالح الجميل فان الله يتوب عليه اى يقبل توبته باسقاط العقاب بها عن المعصية التى تاب منها ووصف الله تعالى بانه يتوب على التايب فيه فايدة عظيمة وهى ان فى ذلك ترغيبا للعاصى فى فعل التوبة ولذلك وصف تعالى نفسه بالتواب الرحيم ووصف العبد بانه تواب معناه اواب وهو من صفات المدح ان الله غفور رحيم فيه دلالة على ان قبول التوبة تفضل من الله تعالى الم تعلم قيل هو خطاب للنبى عليه السلم والمراد به امته كقوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وقيل هو خطاب للمكلفين وتقديره الم تعلم يا انسان وانما يتصل هذا الخطاب بما قبله اتصال الحجاج والبيان عن صحة ما تقدم من الوعد والوعيد والاحكام ومعناه الم تعلم يا انسان ان الله له ملك السموات والارض اى له التصرف فيهما بلا دافع ولا منازع يعذب من يشاء اذا كان مستحقا للعقاب ويغفر لمن يشاء اذا عصاه ولم يتب لانه اذا تاب فقد وعد تعالى بانه لا يواخذه بذلك بعد التوبة وعند اهل الوعيد يقبح منه ان يواخذه بعد التوبة فعلى الوجهين معا لا تعلق ذلك بالمشية والله على كل شى قدير معناه قوله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين ~~فتنته فلن تملك~~ لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر

قلوبهم

والله عزيز لا يغلب ولا يعجزه عباده حكيم يفعل على وجه الحكمة م

قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم اية اللغة سماعون للكذب اى قايلون له تقول لا اسمع من فلان قوله ومنه سمع الله لمن حمده اى يقبل الله منه حمده وفيه وجه اخر وهو ان معناه انهم يسمعون منك ليكذبوا عليك والسماع الجاسوس الفتنة الاختبار واصله التخليص من قولهم فتنت الذهب فى النار اى خلصته من الغش الاعراب ارتفع سماعون لانه خبر مبتدا محذوف اى هم سماعون ويجوز ان يرتفع على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون مبتدا على قول سيبويه ومعمولا لمنهم على قول الاخفش ويكون تقديره ومنهم فريق سماعون للكذب وقوله لم ياتوك فى موضع جر لانه صفة لقوم وقوله يحرفون الكلم صفة لقوله سماعون فيكون موضعه رفعا ويجوز ان يكون موضعه نصبا على انه حال من الضمير فى اسم الفاعل اى محرفين للكلم بمعنى مقدرين تحريفه اى يسمعون كلام النبى عليه السلم ويقدرون فى انفسهم تحريف ما يسمعون كقولهم معه صقر صايدا به غدا وقوله من بعد مواضعه من باب حذف المضاف والتقدير من بعد وضعه كلامه مواضعه ولو قال فى معناه عن مواضعه لجاز لان معناهما متقارب كما يقال اتيتك بعد فراغى من الشغل وعن فراغى منه ولا يجوز ان يقول رميت بعد القوس بدلا من قولك رميت عن القوس لان المعنى يختلف وذلك ان عن لما عدى الشى الذى هو كالسبب له وبعد انما هو لما تاخر عن كون الشى فما صح فيه معنى السبب ومعنى التاخر جاز فيه الامران وما لم يصح فيه الا احد الامرين فلم يجز الا احد الحرفين النزول قال الباقر عليه السلم وجماعة المفسرين ان امراة من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من اشرافهم وهما محصنان فكرهوا رجمهما فارسلوا الى يهود المدينة وكتبوا اليهم فى ان تسالوا النبى عليه السلم عن ذلك طمعا فى ان ياتى لهم برخصة فانطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسيد وسعيد بن عمرو ومالك بن الضيف وكنانة بن ابى الحقيق وغيرهم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزانى والزانية اذا احصنا ما حدهما فقال وهل ترضون بقضاى فى ذلك قالوا نعم فنزل جبرئيل بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال النبى عليه السلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاى رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودى بقى على وجه الارض بما انزل الله على موسى قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم عبد الله بن صوريا فقال له النبى عليه السلم انى انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى انزل التورية على موسى وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق ال فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن قال ابن صوريا نعم والذى ذكرتنى به لولا خشية ان يحرقنى رب التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن اخبرنى كيف هى فى كتابكم يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا هكذا انزل الله فى التورية على موسى فقال له النبى عليه السلم فماذا كان اول ما ترخصتم به امر الله قال كنا اذا زنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا فى اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل اخر فاراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى يرجم فلانا يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلدوا اربعين جلدة ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غايبا فكرهنا ان نغتابك فقال انه نشدنى بالتورية ولولا ذلك لما اخبرته به فامر بهما النبى عليه السلم فرجما عند باب مسجده وقال انا اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله تعالى فيه يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير فقام ابن صوريا فوضع يديه على ركبتى رسول الله ثم قال هذا مقام العايذ بالله وبك ان تذكر لنا الكثير الذى امرت ان تعفوا عنه فاعرض النبى عليه السلم عن ذلك ثم ساله ابن صوريا عن نومه فقال تنام عيناى ولا ينام قلبى فقال صدقت فاخبرنى عن شبه الولد بابيه ليس فيه من شبه امه شى او بامه ليس فيه من شبه ابيه شى فقال ايهما علا وسبق ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له قال صدقت فاخبرنى ما للرجل من الولد وما للمراة منه قال فاغمى على رسول الله طويلا ثم خلى عنه محمرا وجهه يفيض عرقا فقال اللحم والدم والظفر والشعر للمراة والعظم والعصب والعروق للرجل قال له صدقت امرك امر نبى فاسلم ابن صوريا عند ذلك وقال يا محمد من ياتيك من الملايكة قال جبرئيل قال صفه لى فوصفه النبى عليه السلم فقال اشهد انه فى التورية كما قلت وانك رسول الله حقا فلما اسلم ابن صوريا وقعت فيه

اليهود وشتموه فلما ارادوا ان ينهضوا تعلقت بنو قريظة ببني النضير فقالوا يا محمد اخواننا بنوا النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا
واحد اذا قتلوا منا قتيلا لم يقيدونا واعطونا ديته سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتيلا قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة
واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد الحر منا وجراحاتنا على النصف
من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم فانزل الله في الرجم والقصاص الايات المعنى لما تقدم ذكر اليهود والنصارى عقبه بتسلية النبي عليه السلم
واماته من كيدهم فقال يا ايها الرسول لا يحزنك اي لا يغمك وقرئ لا يحزنك ومعناهما واحد الذين يسارعون اي مسارعة الذين
يسارعون في الكفر اي يبادرون فيه بالاصرار عليه والتمسك به من المنافقين الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين
هادوا اي ومن اليهود سماعون للكذب وقيل هو كناية عن اليهود والنصارى والمنافقين وقيل عن اليهود خاصة والمعنى سماعون
قولك ليكذبوا عليك سماعون كلامك لقوم اخرين لم ياتوك ليكذبوا عليك اذا رجعوا اليهم اي هم عيون عليك لانهم كانوا رسل خيبر واهل
خيبر لم يحضروا عن الحسن والزجاج واختاره ابو علي وقيل معنى سماعون اي قابلون ذلك للكذب سماعون لقوم اخرين ارسلوهم في قصة
زان محصن فقالوا لهم ان افتاكم بالجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فلا تقبلوه لانهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذي في التورية عن ابن عباس و
جابر وسعيد بن المسيب والسدي وقيل انما كان ذلك في قتيل منهم قالوا ان افتاكم بالدية فاقبلوه وان افتاكم بالقود فاحذروه عن
قتادة وقال ابو جعفر عليه السلم كان ذلك في امر بني النضير وبني قريظة يحرفون الكلم اي كلام الله تعالى من بعد مواضعه اي من
بعد ان وضعه الله مواضعه اي فرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه يعني بذلك ما غيروه من حكم الله في الزنا ونقلوه من الرجم
الى اربعين جلدة عن جماعة من المفسرين وقيل نقلوا حكم القتل من القود الى الدية حتى كثر القتل فيهم عن قتادة وقيل اراد به تحريفهم
التورية بتحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال فيها وقيل معناه يحرفون كلام النبي عليه السلم بعد سماعه ويكذبون عليه عن الحسن وابي علي الجبائي
وكانوا يكتبون بذلك الى خيبر وكان اهل خيبر حربا لرسول الله عليه السلم وهذا تسلية للنبي عليه السلم ويقول ان اليهود كيف يؤمنون
بك مع انهم يحرفون كلام الله تعالى في التورية ويحرفون كلامك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا اي يقول يهود
خيبر ليهود المدينة ان اعطيتم هذا اي ان امركم محمد بالجلد فاقبلوه وان لم تعطوه يعني الجلد اي ان افتاكم محمد بالرجم فاحذروه عن
الحسن وقيل معناه ان اوتيتم الدية فاقبلوه وان اوتيتم القود فلا تقبلوه ومن يرد الله فتنته قيل فيه اقوال احدها ان الفتنة العذاب
اي من يرد الله عذابه كقوله على النار يفتنون اي يعذبون وقوله ذوقوا فتنتكم اي عذابكم عن ابي علي وقتادة واختاره الجبائي وابو مسلم
وثانيها ان معناه من يرد الله اهلاكه عن السدي والضحاك وثالثها ان المراد من يرد الله خزيه وفضيحته واظهار ما ينطوي عليه عن
الزجاج ورابعها ان المراد من يرد الله اختباره بما يبتليه من القيام بحدوده فيدع ذلك ويحرفه والاصح الاول فلن تملك له من الله
شيئا اي فلن تستطيع ان تدفع لاجله امر الله الذي هو العذاب او الفضيحة او الهلاك شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم
معناه اولئك اليهود لم يرد الله ان يطهر من عقوبات الكفر التي هي الختم والطبع والضيق قلوبهم كما طهر قلوب المؤمنين منها بان كتب في
قلوبهم الايمان وشرح صدورهم للاسلام عن الحسن والجبائي وقيل معناه لم يرد الله ان يطهرها من الكفر بالحكم عليها بانها برية منه ممدوحة
بالايمان عن البلخي قال القاضي وهذا لا يدل على انه تعالى لم يرد منهم الايمان لان ذلك لا يعقل من تطهير القلب الا على جهة التوسع ولان
قوله لم يرد الله ان يطهر قلوبهم يقتضي كونه مريدا وليس فيه بيان الوجه الذي لم يرد ذلك عليه والمراد بذلك انه لم يرد تطهير قلوبهم مما يلحقها
من الغموم بالمذمة والاستخفاف والعقاب ولذلك قال عقيبه لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم ولو كان اراد ما قالت المجبرة
لم يجعل ذلك ذما لهم ولا عقبه بالذم ولا جعله في حكم الجزاء على ما لاجله عاقبهم واراد ذلك فيهم والخزي الذي لهم في الدنيا هو ما
لحقهم من الذل والصغار والفضيحة بالزام الجزية واظهار كذبهم في كتمان الرجم واجلاء بني النضير من ديارهم وخزي المنافقين باطلاع
النبي عليه السلم على كفرهم قوله عز وجل سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها
حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين ايتان القراءة السحت بضم السين والحاء مكي بصري وابو جعفر والكسائي
وقرا

وقراء الباقون السحت باسكان الحاء الحجة قال ابو علي السحت والسحت لغتان ويستمر التخفيف والتثقيل في هذا النحو وهما اسم الشيء المسحوت كما
وقع الضرب على المضروب في قولهم هذا الدرهم ضرب الامير والصيد على المصيد في قوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اللغة اصل السحت الاستئصال
يقال سحته واسحته اذا استاصله ومن اسحت قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف ويقال للحالق
اسحت اي استاصل وفلان مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يشبع فاسحت ماله افسده واذهبه والحكم هو فصل الامر على وجه الحكمة فيما
يفصل به وقد يفصل بالبيان انه الحق وقد يفصل بالزام الحق والاخذ به كما يفصل الحكام بين الخصوم بما يقطع الخصومة بينهم القضية والتولي
الانصراف عن الشيء والتولي عن الحق الترك له وهو خلاف التولي اليه لانه الاقبال عليه والتولي له هو صرف النصرة والمعونة اليه المعنى ثم وصفهم
تعالى فقال سماعون للكذب قدم تفسيره اعاد الله تعالى ذمهم على استماع الكذب او قبوله تاكيدا وتشديدا ومبالغة في الزجر عنه اكالون للسحت
اي يكثرون الاكل للسحت وهو الحرام وروي عن النبي عليه السلم ان السحت هو الرشوة في الحكم وهو المروي عن ابن مسعود والحسن وقيل السحت الرشوة
في الحكم ومهر البغي وكسب الحجام وعسيب الفحل وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستجعال في المعصية عن علي عليه السلم وروي
عن ابي عبد الله عليه السلم ان السحت انواع كثيرة فاما الرشى في الحكم فهو الكفر بالله وقيل في اشتقاق السحت اقوال احدها ان الحرام انما سمي سحتا
لانه يعقب عذاب الاستيصال والبوار عن الزجاج وثانيها انه انما سمي سحتا لانه لا بركة فيه لاهله فيهلك هلاك الاستيصال عن الجبائي وثالثها
انه انما سمي سحتا لانه القبيح الذي فيه العار نحو ثمن الكلب والخمر فعلى هذا يسحت مروة الانسان عن الخليل فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم اراد
به اليهود الذين تحاكموا الى النبي عليه السلم في حد الزنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل انه اراد بني قريظة وبني النضير لما تحاكموا اليه فخيره الله
تعالى بين ان يحكم بينهم وبين ان يعرض عنهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة وابن زيد والظاهر في روايات اصحابنا ان هذا التخيير ثابت في
الشرع للائمة والحكام وهو قول قتادة وعطا والشعبي وابرهيم وقيل انه منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله عن الحسن وعكرمة ومجاهد وان
تعرض عنهم اي عن الحكم بينهم فلن يضروك شيئا اي لا يقدرون لك على ضرر في دين او دنيا فدع النظر بينهم ان شئت وان اخترت ان تحكم بينهم
فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل وقيل بما في القران وشريعة الاسلام ان الله يحب المقسطين اي العادلين وكيف يحكمونك اي كيف يحكمك يا محمد هؤلاء
اليهود فيهم فيرضوا بك حكما وعندهم التورية التي انزلتها على موسى وهي التي يقرون بها انها كتابي الذي انزلته وانه حق وان ما فيه من حكمي يعلمونه
ولا يتناكرونه فيها حكم الله اي احكامه التي لم تنسخ عن ابي علي وقيل عنى به الحكم بالرجم عن الحسن وقيل معناه فيها حكم الله بالقود عن قتادة ثم
يتولون من بعد ذلك اي يتركون الحكم به جراة على الله وهذا تعجيب للنبي عليه السلم وتقريع لليهود الذين نزلت الاية فيهم فكانه قال كيف يقرون
ايها اليهود بحكم نبي محمد مع انكاركم نبوته وتكذيبكم اياه وانتم تتركون حكمي الذي تقرون بوجوبه وتعترفون بانه جاءكم من عندي وقوله من بعد
ذلك اشارة الى حكم الله تعالى في التورية عن عبد الله بن كثير وقيل من بعد ذلك اي من بعد تحكيمك او حكمك بالرجم لانهم ليسوا على ثقة
وانما طلبوا به الرخصة وما اولئك بالمؤمنين اي وما هم بالمؤمنين بحكمك انه من عند الله مع جحدهم نبوتك وقيل انه اخبار من الله تعالى
عن اولئك اليهود انهم لا يؤمنون بالنبي عليه السلم وبحكمه قوله عز وجل انا انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين
اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا
تشتروا باياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون اية القراءة قرا اهل البصرة وابو جعفر واسمعيل عن نافع واخشوني
بياء في الوصل ويعقوب يقف بالياء ايضا والباقون واخشون بغير ياء في الوقف والوصل الحجة قال ابو علي الاثبات حسن والوقف حسن
لان الفواصل في انها اواخر الاي مثل القوافي في انها اواخر البيوت فما حذف منه الياء في القوافي قول الاعشى وهل يمنعني ارتيادي البلاد
من حذر الموت او يا تين ومن شاني كاسف وجهه اذا ما تبيت وله انكرن اللغة الربانيون فسرناه فيما مضى وهم العلماء البصراء
بسياسة الامور وتدبير الناس والاحبار جمع حبر وهو العالم مشتق من التحبير وهو التحسين فالعالم يحسن الحسن ويقبح القبيح قال الفراء
اكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر الاعراب الباء في قوله بما استحفظوا يتعلق بالاحبار فكانه قال العلماء بما استحفظوا وقال الزجاج تقديره يحكمون
للتائبين من الكفر بما استحفظوا المعنى لما بين تعالى ان اليهود تولوا عن احكام التورية وصف التورية وما انزل فيها فقال انا انزلنا التورية فيها
هدى اي بيان للحق ودلالة على الاحكام ونور اي ضياء لكل ما تشابه عليهم وجلاء لما اظلم عليهم عن ابن عباس وقيل معناه فيها هدى

بيان للحكم الذي جاء وا يستفتون فيه النبي عليه السلم ونور بيان ان امر النبي حق عن الزجاج يحكم بها النبيون الذين اسلموا معناه يحكم بالتورية النبيون الذين اذعنوا لحكم الله تعالى واقروا به ونبينا عليه السلم داخل فيهم عن الحسن وقتادة وعكرمة والسدي والزهري و قال اكثرهم هو المعنى بذلك لما حكم في رجم المحصن وهذا لا يدل على انه عليه السلم كان متعبدا بشرع موسى عليه السلم لان الله تعالى هو الذي اوجب ذلك بوحي انزله اليه عليه السلم لا بالرجوع الى التورية فصار ذلك شرعا له وان وافق ما في التورية ونبه بذلك اليهود على صحة نبوته من حيث اخبر عما في التورية من غامض العلم الذي قد التبس على كثير منهم وقد عرفوا جميعا انه لم يقراء كتابهم ولم يرجع في ذلك الى علمايهم فكان من دلايل صدقه عليه السلم وقيل يريد بالنبيين الانبياء الذين كانوا بعد موسى وذلك انه كان في بني اسراييل الوف من الانبياء بعثهم الله تعالى لاقامة التورية يحدون حدودها ويحلون حلالها ويحرمون حرامها عن ابن عباس فمعناه يقضي بها النبيون الذين اسلموا من وقت موسى الى زمن عيسى وصفهم بالاسلام لان الاسلام دين الله فكل نبي مسلم وليس كل مسلم نبيا وقوله للذين هادوا اي تابوا من الكفر عن ابن عباس وقيل لليهود واللام فيه يتعلق بيحكم اي يحكمون بالتورية لهم وفيما بينهم قال الزجاج وجايز ان يكون المعنى على التقديم والتاخير وتقديره انا انزلنا التورية فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا والربانيون الذين علت درجاتهم في العلم وقيل الذين يعلمون بما يعلمون والاحبار العلماء الخيار عن الزجاج بما استحفظوا اي بما استودعوا من كتاب الله عن ابن عباس وقيل بما امروا بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه عن الجبائي وكانوا عليه شهداء اي كانوا على حكم النبي عليه السلم في الرجم انه ثابت في التورية شهداء عن ابن عباس وقيل كانوا شهداء على الكتاب انه من عند الله وحده لا شريك له عن عطا فلا تخشوا الناس واخشوني اي لا تخشوا يا علماء اليهود الناس في اظهار صفة محمد وامر الرجم واخشوني في كتمان ذلك عن السدي والكلبي وقيل ان الخطاب للنبي عليه السلم وامته اي لا تخشوهم في اقامة الحدود وامضايها على اهلها كاينا من كان واخشوني في ترك امري فان النفع والضر بيدي عن الحسن ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا اي لا تاخذوا بترك الحكم الذي انزلته على موسى ايها الاحبار عوضا خسيسا وهو الثمن القليل نهاهم الله عز اسمه بهذا عن اكل السحت على تحريفهم كتاب الله وتغييرهم حكمه ومن لم يحكم بما انزل الله معناه من كتم حكم الله الذي انزله في كتابه فاخفاه وحكم بغيره من رجم المحصن والقود فاولئك هم الكافرون اختلف في ذلك فمنهم من اجرى ظاهره على العموم عن ابن مسعود والحسن وابرهيم ومنهم من خصصه بالجاحد لحكم الله تعالى عن ابن عباس ومنهم من قال هم اليهود خاصة عن الجبائي فانه قال لا حجة للخوارج فيها من حيث هي خاصة في اليهود واختاره علي بن عيسى لقول الاول وكذلك نقول ان من حكم بما انزل الله مستحلا لذلك فهو كافر وروى البرا ابن عازب عن النبي عليه السلم ان قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وبعده فاولئك هم الظالمون وبعده فاولئك هم الفاسقون كل ذلك في الكفار خاصة اورده مسلم في الصحيح وبه قال ابن مسعود وابو صالح والضحاك وعكرمة وقتادة قوله عز وجل وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ايه القراءة قرا الكسائي العين وما بعده كله بالرفع وقرا ابو جعفر وابن كثير وابن عامر وابو عمرو كلها بالنصب الا قوله والجروح فانه بالرفع والباقون ينصبون جميع ذلك وكلهم ثقل الاذن الا نافعا فانه خففها في كل القران الحجة قال ابو علي حجة من نصب العين بالعين وما بعده انه عطف ذلك كله على ان وجعل الواو للاشتراك في نصب ان ولم يقطع الكلام عما قبله كما فعل ذلك من رفع واما من رفع بعد النصب فقال ان النفس بالنفس والعين بالعين فانه يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون الواو عاطفة جملة على جملة كما يعطف المفرد على المفرد والثاني انه حمل الكلام على المعنى لانه اذا قال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فحمل العين بالعين على هذا كما انه لما كان المعنى في قوله يطاف عليهم بكاس من معين يمنحون كاسا من معين حمل حورا عينا على ذلك كانه يمنحون كاسا ويمنحون حورا عينا ومن ذلك قول الشاعر بادت وغير ايهن مع البلى الا رواكد جمرهن هباء ومشجج اما سواء قذاله فبدا وغير ساره المعزاء لما كان المعنى في بادت وغيرهن الا رواكد بها رواكد حمل مشجحا عليه فكانه قال هناك رواكد ومشجج ومثل هذا في الحمل على المعنى كثير واقول ان من هذا القبيل بيت الفرزدق الذي اخره الا مسحتا او مجلف وقد ذكرناه قبل لانه لما كان المعنى لم يبق من المال الا مسحت حمل مجلفا عليه والوجه

الثالث

الثالث ان يكون عطف قوله والعين بالعين على الذكر المرفوع في الظرف الذي هو الخبر وان لم يؤكد المعطوف عليه بالمضمر المنفصل كما اكد في نحو قوله انه يريكم هو وقبيله الا ترى انه قد جاء لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا فعوض من التاكيد لان الكلام قد طال كما طال في حضر القاضي اليوم امراة قيل هذا انما يستقيم ان يكون عوضا اذا وقع قبل حرف العطف فاما اذا وقع بعد حرف العطف فانه لم يسد ذلك المسد واما قوله والجروح قصاص فمن رفعه فانما يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التي ذكرناها ويجوز ان يستانف والجروح قصاص استينافا ايجاب وابتداء شريعة لا على انه مكتوب عليهم في التورية ويقوي انه من المكتوب عليهم في التورية نصب من نصب فقال والجروح قصاص واما التخفيف في الاذن فلغة مثل السحت والسحت وقد تقدم القول في ذلك المعنى ثم بين تعالى حكم التورية في القصاص فقال وكتبنا عليهم اي فرضنا عليهم اي على اليهود الذين تقدم ذكرهم فيها اي في التورية ان النفس بالنفس ومعناه اذا قتلت نفس نفسا اخرى عمدا فانه يستحق عليها القود اذا كان القاتل عاقلا مميزا او كان المقتول مكافيا للقاتل اما بان يكونا مسلمين حرين او كافرين او مملوكين فاما اذا كان القاتل حرا مسلما والمقتول كافرا او مملوكا ففي وجوب القصاص هناك خلاف بين الفقهاء وعندنا لا يجب القصاص وبه قال الشافعي وقال الضحاك لم يجعل في التورية دية في نفس ولا جرح انما كان العفو او القصاص والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن قال العلماء كل شخصين جرى القصاص بينهما في النفس جرى القصاص بينهما في العين والانف والاذن والسن وجميع الاطراف اذا تماثلا في السلامة من الشلل واذا امتنع القصاص في النفس امتنع ايضا في الاطراف والجروح قصاص هذا عام في كل ما يمكن ان يقتص فيه مثل الشفتين والذكر والانثيين واليدين والرجلين وغيرها ويقتص الجراحات بمثلها الموضحة بالموضحة والهاشمة بالهاشمة والمنقلة بالمنقلة الا المامومة والجايفة فانه لا قصاص فيهما وهي التي تبلغ ام الراس والتي تبلغ الجوف في البدن لان في القصاص فيهما تغريرا بالنفس واما ما لا يمكن القصاص فيه من رض لحم او فك عظم او جراحة يخاف منها التلف ففيه اروش مقدرة والقصاص ههنا مصدر يراد به المفعول اي والجروح متقاصة بعضها ببعض واحكام الجراحات وتفاصيل الاروش في الجنايات كثيرة وفروعها جمة موضعها كتب الفقه فمن تصدق به اي بالقصاص الذي وجب له تصدق به على صاحبه بالعفو واسقطه عنه فهو اي التصدق كفارة له اي للمتصدق الذي هو المجروح او ولي الدم هذا قول اكثر المفسرين فقد قيل معناه فمن عفا فهو مغفرة له عند الله وثواب عظيم عن ابن عباس في رواية عطا والحسن والشعبي و هو المروي عن ابي عبد الله عليه السلم قال يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفي من جراح او غيره وروى عبادة بن الصامت ان النبي عليه السلم قال من تصدق بشيء من جسده كفر الله عنه بقدره من ذنوبه وقيل ان الضمير في له يعود الى المتصدق عليه اي كفارة للمتصدق عليه لانه تقوم مقام اخذ الحق منه عن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير ومجاهد وابرهيم وزيد بن اسلم وعلى هذا فان الجاني اذا عفا عنه المجني عليه كان العفو كفارة لذنب الجاني لا يواخذ به في الاخرة والقول الاول اظهر لان العايد فيه يرجع الى مذكور وهو من وفي القول الثاني يعود الى مدلول عليه وهو المتصدق عليه قوله فمن تصدق به ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون قيل هم اليهود الذين لم يحكموا بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقيل هو عام في كل من حكم بخلاف ما انزل الله فيكون ظالما لنفسه بارتكاب المعصية الموجبة للعقاب وهذا الوجه يوجب ان يكون ما تقدم ذكره من الاحكام يجب العمل به في شريعتنا وان كان مكتوبا في التورية قوله عز وجل وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ايتان القراءة قرا حمزة وحده وليحكم بكسر اللام ونصب الميم والباقون وليحكم بالجزم وسكون اللام على الامر الحجة حجة حمزة انه جعل اللام متعلقة بقوله واتيناه الانجيل فان معناه وانزلنا عليه الانجيل فصار بمنزلة وانزلنا عليك الكتاب ليحكم وحجة من قرا بالجزم انه بمنزلة قوله وان احكم بينهم بما انزل الله فكما امر النبي عليه السلم بذلك فكذلك امروا به في الانجيل اللغة التقفية اتباع الاثر يقال قفاه يقفوه والتقفية الاتباع يقال قفيته بكذا اي اتبعته به وانما سميت قافية الشعر لانها تتبع الوزن والاثار جمع الاثر وهو العلم الذي يظهر للحس واثار القوم ما ابقوا من اعمالهم والمكرمة التي يا ثرها الخلف عن السلف لانها علم يظهر فضله للنفس والاثير الكريم على القوم لانهم يؤثرونه بالبر ومنه الايثار للاختيار فانه افضل احد العملين على الاخر وقد مر تفسير الانجيل في اول ال عمران والوعظ والموعظة هو الزجر عما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه والتنبيه

عليه الاعراب قوله بعيسى بن مريم مصدقا نصب مصدقا على الحال وهدى رفع بالابتداء وفيه خبره قدم عليه ونور عطف على هدى و
مصدقا لما بين يديه من التورية نصب على الحال وليس بتكرير لان الاول حال لعيسى وبيان انه يدعوا الى التصديق بالتورية والثاني حال من
الانجيل وبيان ان فيه ذكر التصديق بالتورية وهما مختلفان وهو عطف على موضع قوله فيه هدى فانه نصب على الحال وتقدير آتيناه الا
مستقرا فيه هدى ونور مصدقا وهدى في موضع نصب بالعطف على مصدقا وموعظة عطف على هدى والتقدير هاديا وواعظا المعنى
لما قدم تعالى ذكر اليهود اتبعه بذكر النصارى فقال وقفينا على آثارهم اي واتبعنا على آثار النبيين الذين اسلموا عن اكثر المفسرين واختاره علي بن
عيسى والبلخي وقيل معناه على آثار الذين فرضنا عليهم الحكم الذي مضى ذكره عن الجبائي والاول اجود في العربية واوضح في المعنى بعيسى بن مريم
اي بعثناه رسولا بعدهم مصدقا لما بين يديه اي لما مضى من التورية التي نزلت على موسى صدق بها وآمن بها وانما قال لما مضى قبله ما بين يديه
لانه اذا كان ما ياتي بعده خلفه فالذي مضى قبله يكون قدامه وآتيناه اي اعطينا عيسى الكتاب المسمى بالانجيل والمعنى انزلنا عليه الانجيل
فيه يعني في الانجيل هدى اي بيان وحجة ودلالة على الاحكام ونور سماه نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور ومصدقا لما بين يديه من
التورية يعني الانجيل يصدق بالتورية لان فيه ان التورية حق وقيل معناه انه تضمن وجوب العمل بالتورية وانه لم ينسخ وقيل معناه انه اتى
على النحو الذي وصف في التورية وهدى اي ودلالة وارشادا ومعناه وهاديا وراشدا وموعظة اي واعظا للمتقين يزجرهم عن المعاصي
ويدعوهم الى الطاعة وانما خص المتقين بالذكر لانهم اختصوا بالانتفاع به والا فانه هدى لجميع الخلق وليحكم اهل الانجيل هذا امر لهم وقيل
في معناه قولان احدهما ان تقديره وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون على حكاية ما فرض عليهم وحذف القول لدلالة ما قبله عليه من قوله و قفينا و
وفعلنا كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون والثاني انه تعالى استانف امر الاهل الانجيل على غير
الحكاية لان احكامه كانت حينئذ موافقة لاحكام القران لم ينسخ بعد عن ابي علي الجبائي والقول الاول اقوى وهو اختيار علي بن عيسى بما
انزل الله فيه اي في الانجيل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قيل ان من هنا بمعنى الذي وهو خبر عن قوم معروفين وهم
اليهود الذين تقدم ذكرهم عن الجبائي وقيل ان من للجزاء اي من لم يحكم من المكلفين بما انزل الله فهو فاسق لان هذا الاطلاق يدل ان
ان المراد من ذهب الى ان الحكمة في خلاف ما امر الله به فلهذا قال فيما قبل فاولئك هم الكافرون فيكون معنى الفاسقين الخارجين عن
الدين وجعلوا الكفر والظلم والفسق صفة لموصوف واحد وقيل ان الاول في الجاحد والثاني والثالث في المقر التارك قوله عز وجل وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ
الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ اللغة اصل مهيمن مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل في ارقت الماء هرقت وقد صرف فقيل هيمن الرجل
اذا ارتقب وحفظ وشهد يهيمن هيمنة فهو مهيمن وعلى هذا فيكون وزنه مفيعل مثل مسيطر ومبيطر وقال الازهري كان في الاصل ايمن
يؤيمن كما ان الاصل في يفعل يؤفعل فعلى هذا يكون على وزن مؤفعل فقلبت الهمزة هاء وروي في الشواذ مهيمنا بفتح الميم عن مجاهد
والشرعة والشريعة واحد وهي الطريقة الظاهرة ~~والشريعة هي الطريقة~~ التي يتوصل منه الى الماء الذي فيه الحيوة فقيل الشريعة في الدين
للطريق الذي يوصل منه الى الحياة في النعيم وهي الامور التي تعبد الله تعالى بها من جهة السمع قال الشاعر اتنسونني يوم الشريعة والقنا
بصفين في اكتافكم قد تكسرا يريد شريعة الفرات والاصل فيه الظهور ويقال اشرعت القنا اذا اظهرت وشرعت في الامر شروعا اذا دخلت
فيه دخولا ظاهرا والناس فيه شرع اي متساوون والمنهاج الطريق المستمر يقال طريق نهج ومنهج اي بين قال الراجز من يك ذا شك فهذا
فلج ماء رواء وطريق نهج قال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستقيم وهذه الالفاظ اذا تكررت فلزيادة فائدة فيه ومنه
قول الحطيئة وهند اتى من دونها النأي والبعد قال فالنأي لما قل بعده والبعد لما كثر بعده وقد جاء ايضا بمعنى واحد قال عنترة حييت
من طلل تقادم عهده اقوى واقفر بعد ام الهيثم واقوى واقفر بمعنى واحد ويقال نهجت لك الطريق وانهجته فهو منهوج ومنهج ونهج الطريق و
انهج اذا وضح والاستباق يكون بين اثنين فصاعدا يجتهد كل منهم ان يسبق غيره قال تعالى واستبقا الباب يعني يوسف وصاحبته مصدقا
حال من الكتاب ومهيمنا كذلك وقيل انه حال من الكاف الذي هو خطاب للنبي عليه السلام والاول اقوى لاجل حرف العطف لانه قال

وبين يديه م

نقفلنا له

وانزلنا اليك الكتاب مصدقا ومهيمنا ولا يجوز ان يعطف حال على حال لغير الاول لا تقول ضربت هند زيدا قاعدا وقائمة ولو قلت
قائمة لغير واو لجاز ويجوز ان يكون عطفا على مصدقا ويكون مصدقا حالا للنبي عليه السلام والاول اظهر المعنى لما بين تعالى نبوة موسى
وعيسى عقب ذلك ببيان نبوة محمد عليه السلام احتجاجا على اليهود والنصارى بان طريقه كطريقهم في الوحي والمعجز فقال وانزلنا اليك يا محمد
الكتاب يعني القران بالحق اي بالعدل مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني التورية والانجيل وما فيهما من توحيد الله وعدله والدلالة على
نبوته والحكم بالرجم والقود على ما تقدم ذكره وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الانبياء ومعنى الكتاب المكتوب كقولهم هذه الدراهم ضرب
الامير اي مضروبه عن ابي مسلم ومهيمنا عليه معناه امينا عليه شاهدا بانه الحق عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وقيل مؤتمنا عن سعيد
بن جبير وابي عبيدة وابن جريج وهو قريب من الاول قال ابن جريج امانة القران ان ما اخبر به الكتب ان كان موافقا للقران يجب التصديق
به والا فلا وقيل معناه حافظا رقيبا عليه عن الخليل وابي عبيدة قالوا وفيه دلالة على ان ما حكى الله تعالى انه كتب عليهم في التورية
يلزمنا العمل به لانه جعل القران مصدقا لذلك وشاهدا به فاحكم بينهم بما انزل الله يعني بين اليهود بالقران في الرجم على الزانيين عن
ابن عباس قال اذا ترافع اهل الكتب الى الحكام يجب ان يحكموا بينهم بحكم القران وشريعة الاسلام لانه امر من الله تعالى بان الحكم بينهم والامر
يقتضي الايجاب وبه قال الحسن ومسروق قال الجبائي وهذا ناسخ للتخيير في الحكم بين اهل الكتاب والاعراض عنهم والترك ولا تتبع اهواءهم يريد فيما حرفوا
وبدلوا من امر الرجم عن ابن عباس عما جاءك من الحق اي عادلا عما جاءك من الحق ويجوز ان يكون عن من صلة معنى لا تتبع اهواءهم لان
معناه لا تزغ فكانه قال لا تزغ عما جاءك من الحق باتباع اهوائهم ومتى قيل كيف يجوز ان يتبع النبي عليه السلام اهواءهم مع كونه معصوما فالجواب
ان النهي يجوز ان يرد عما يعلم انه لا يفعله ويجوز ان يكون الخطاب له عليه السلام والمراد جميع الحكام لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب
للامم الثلث امة موسى وعيسى عليهما السلام وامة محمد صلى الله عليه وعليهما ولا يعنى به قوم كل نبي الا ترى ان ذكر هؤلاء قد تقدم في قوله انا انزلنا التورية
الاية ثم قال وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم قال لكل جعلنا منكم فغلب المخاطب على الغايب شرعة اي شريعة فللتورية
شريعة وللانجيل شريعة وللقران شريعة عن قتادة وجماعة من المفسرين وفي هذا دلالة على جواز النسخ وعلى ان نبينا عليه السلام كان متعبدا
بشريعته فقط وكذلك امته وقيل الخطاب لامة نبينا عليه السلام عن مجاهد والاول اقوى لانه تعالى بين ان لكل نبي شريعة ومنهاجا اي سبيلا
واضحا غير شريعة صاحبه وطريقته ويقوي ذلك قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة في دعوة جميع الانبياء لا تبدل شريعة منها
ولا تنسخ عن ابن عباس وقيل اراد بذلك مشية القدرة اي لو شاء الله لجمعكم على الحق كما قال ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها عن الحسن ولكن
ليبلوكم اي ولكن جعلكم على شرايع مختلفة ليمتحنكم فيما آتاكم اي فيما فرضه عليكم وشرعه لكم وقيل فيما اعطاكم من السنن والكتاب وقال الحسين
بن علي المغربي المعنى لو شاء الله لم يبعث اليكم نبيا فتكونوا متعبدين بما في العقل وتكونون امة واحدة ولكن ليختبركم بما كلفكم من العبادات وهو
عالم بما يؤل اليه امركم فاستبقوا الخيرات اي بادروا فوت الحظ بالتقدم في الخير وقيل معناه بادروا الفوت بالموت والعجز وبادروا الى
ما امركم به فاني لا امر الا بالصلاح عن الجبائي وقيل معناه سابقوا الامم الماضية الى الطاعات والاعمال الصالحة عن الكلبي وفي
هذا دلالة على وجوب المبادرة الى افعال الخيرات ويكون محمولا على الواجبات ومن قال ان الامر على الندب حمله على جميع الطاعات الى الله
مرجعكم جميعا فينبئكم فيخبركم بما كنتم فيه تختلفون من امر دينكم ثم يجازيكم على حسب استحقاقكم قوله عز وجل وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ
وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ آيتان القراءة قراء ابن عامر وحده
تبغون بالتاء والباقون بالياء وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر وابرهيم النخعي افحكم الجاهلية برفع الميم وقراءة الاعمش افحكم الجاهلية
بفتح الحاء والكاف والميم الحجة من قرا يبغون بالياء فلان قبله غيبة وان كثيرا من الناس لفاسقون ومن قرا بالتاء فعلى تقدير قل
لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن قراء افحكم الجاهلية فعلى نحو ما جاء في الشعر قد اصبحت ام الخيار تدعي علي ذنبا كله لم اصنع فيكون
التقدير افحكم الجاهلية تبغونه فحذف العايد من الخبر كما يحذف من الصفة ومن الحال في قولهم الناس رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت
اي اكرمته واهنته ومررت بهند يضرب زيد اي يضربها زيد وقوله افحكم الجاهلية فيكون بمعنى الشياع اي فحكام الجاهلية يبغون

شريعة ومنهاجا م

ومعناه لو شاء الله لجمعكم على ملة واحدة م

اي مصيركم م

اعماله اصنعه م

وجاز ان يقع المضاف جنسا كما جاء عنهم من قولهم منعت العراق قفيزها ودرهمها ثم يرجع المعنى الى قوله افحكم الجاهلية لانه ليس
المراد هنا نفس الحكم فهو اذا على حذف المضاف والمراد افحكم حكم الجاهلية تبغون الاعراب موضع ان احكم نصب بالعطف على الكتاب التقدير
انزلنا اليك الكتاب وان احكم ويجوز ان يكون موضعه رفعا وتقديره من الواجب ان احكم بينهم بما انزل الله ووصلت ان بالامر وان
كان لا يجوز صلة الذى بالامر لان الذى اسم ناقص يجرى صلته فى البيان عنه مجرى الصفة فى بيان النكرة ولذلك لا بد لها من عايد
يعود اليها كما ان الصفة لا بد لها من عايد يعود منها الى الموصوف وليس كذلك ان لانها حرف وهى مع ما بعدها بمنزلة شئ واحد فلما
كان فى فعل الامر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على معنى مصدره وحكم نصب لانه مفعول تبغون وحكما نصب على التميز المعنى وان احكم بينهم
بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم انما كرر تعالى الامر بالحكم بينهم لامرين احدهما انهما حكمان امر بهما جميعا لانهم احتكموا اليه فى زنا المحصن
ثم احتكموا اليه فى قتيل كان بينهم عن الجبائى وجماعة من المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم والثانى ان الامر الاول مطلق
والثانى يدل على انه منزل واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك قيل فيه قولان احدهما ان معناه احذرهم ان يضلوك
عن ذلك الى ما يهوون من الاحكام بان يطمعوك منهم فى الاجابة الى الاسلام عن ابن عباس والثانى ان معناه احذرهم ان يضلوك
بالكذب على التورية انه ليس كذلك الحكم فيها فانى قد بينت لك حكمها عن ابن زيد وفى هذا دلالة على وجوب مجانبة اهل البدع والضلال
وذوى الاهواء وترك مخالطتهم فان تولوا اى فان اعرضوا عن حكمك بما انزل الله فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم قيل
فى معناه اقوال احدها ان معناه فاعلم يا محمد انما يريد الله ان يعاقبهم ببعض اجرامهم وذكر البعض والمراد به الكل كما يذكر العموم ويراد
به الخصوص عن الجبائى والثانى انه ذكر البعض تغليظا للعقاب والمراد انه يكفى ان يؤخذوا ببعض ذنوبهم فى اهلاكهم والتدمير عليهم
والثالث انه اراد تعجيل بعض العقاب بما كان من التمرد فى الاجرام لان عذاب الدنيا يختص ببعض الذنوب دون بعض وعذاب الاخرة
يعم وقيل المراد بذلك اجلاء بنى النضير لان علماءهم لما كفروا وكتموا الحق عوقبوا بالجلاء عن الحسن وقيل المراد بنو قريظة لما نقضوا العهد
يوم الاحزاب عوقبوا بالقتل وان كثيرا من الناس لفاسقون هذا تسلية للنبى عليه السلم عن امتناع القوم من الاقرار بنبوته والاسراع
الى اجابته بان اهل الايمان قليل واهل الفسق كثير فلا ينبغى ان يعظم ذلك عليك ثم انكر تعالى عليهم فعلهم فقال افحكم الجاهلية
تبغون والمراد به اليهود عن مجاهد واختاره الجبائى قال لانهم كانوا اذا وجب الحكم على ضعفائهم الزموهم اياه واذا وجب على اقويائهم
واشرافهم لم يأخذوهم به فقيل لهم افحكم الجاهلية تبغون اى عبدة الاوثان تطلبون وانتم اهل كتاب وقيل المراد به كل من طلب غير حكم
الله فانما يخرج منه الى حكم الجاهلية وكفى بذلك خزيا ان يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم ومن احسن من الله حكما اى لا احد
من حكمه احسن من حكم الله لقوم يوقنون اى عند قوم اقيمت اللام مقام عند عن الجبائى وهذا جائز اذا تقاربت المعانى وارتفع اللبس
فاذا قيل الحكم لهم فلانهم يستحسنونه واذا قيل عندهم فلان عندهم العلم بصحته قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم
مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا
فى انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين
ثلث آيات القراءة قرا ابن عامر وابن كثير ونافع يقول بلا واو والباقون بالواو وكلهم قرا بضم اللام الا ابا عمرو فانه فتحها الحجة من
حذف الواو من قوله ويقول الذين آمنوا فلان فى الجملة المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها وذلك ان من وصف بقوله يسارعون
فيهم الى قوله نادمين هم الذين قال فيهم الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم فلما صار فى كل واحدة من
الجملتين ذكر من الاخرى حسن عطفها بالواو وبغير الواو كما ان قوله سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم لما كان فى
كل واحدة من الجملتين ذكر مما تقدم اكتفى بذلك عن الواو ولانها بالذكر وملابسة بعضها ببعض تدل ترتبط احديهما بالاخرى كما ترتبط بحرف
العطف ويدلك على حسن دخول الواو قوله وثامنهم كلبهم فحذف الواو ومن ويقول لحذفها فى هذه الآية والحاقها كالحاقها فيها واما
الوجه فى قراءة ابى عمرو ويقول بالنصب ان يحمله على ان يكون ان يأتى بدلا من اسم الله كما كان ان اذكره بدلا من الهاء فى انسانيه

من

من قوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ثم يكون ويقول منصوبا معطوفا على ذلك وكانه قال عسى ان يأتى الله بالفتح ويقول الذين آمنوا
ومن رفع فجعله ان يعطف جملة على جملة لا مفردا على مفرد اللغة الاتخاذ هو الاعتماد على الشئ فى اعداده لامر وهو افتعال من الاخذ
اصله ائتخاذ فابدلت الهمزة تاء وادغمتها فى التاء التى بعدها ومثله الاتعاد من الوعد والاخذ يكون على وجوه يقول اخذ الكتاب
اذا تناوله واخذ القربان اذا تقبله واخذه الله من مأمنه اذا اهلكه واصله حوز الشئ الجهة من الجهات والاولياء جمع ولى وهو
النصير لانه يلى بالنصر صاحبه والدائرة ههنا الدولة التى تتحول الى من كانت له عمن فى يديه قال حميد الارقط كنت حسبت الخندق المحفورا يرد عنك
القدر المقدورا ودائرات الدهر ان تدورا يعنى دول الدهر الدائرة من قوم الى قوم وعسى موضوعة للشك وهى من الله تعالى تفيد الوجوب
لان الكريم اذا اطمع فى خير يفعله فهو بمنزلة الوعد فى تعلق النفس به ورجائها له ولذلك حق لا يضيع ومنزلة لا تخيب والفتح القضاء
والفصل ويقال للحاكم الفتاح لانه يفتح الحكم ويفصل به الامر النزول اختلف فى سبب نزوله وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين فقال عطية
بن سعد العوفى والزهرى لما انهزم اهل بدر قال المسلمون لاوليائهم من اليهود آمنوا قبل ان يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن
ضيف اغركم ان اصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال اما لو امرنا العزيمة ان نستجمع عليكم لم تكن لكم يد ان تقاتلونا فجاء عبادة ابن الصامت
الخزرجى الى رسول الله عليه السلم فقال يا رسول الله ان لى اولياء من اليهود كثير عددهم قوية انفسهم شديدة شوكتهم وانى ابرأ الى الله والى
رسوله من ولايتهم ولا مولى لى الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى لكنى لا ابرأ من ولاية اليهود لانى اخاف الدوائر ولا بد لى منهم
فقال رسول الله عليه السلم يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال اذا اقبل فانزل الله الاية
وقال السدى لما كانت وقعة احد اشتدت على طائفة من الناس فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودى وآخذ منه امانا وقال
آخر انا الحق بفلان النصرانى ببعض ارض الشام فآخذ منه امانا فنزلت الاية وقال عكرمة نزلت فى ابى لبابة بن عبد المنذر حين قال لبنى
قريظة اذ رضوا بحكم سعد انه الذبح المعنى لما تقدم ذكر اليهود والنصارى امر تعالى عقيب ذلك بقطع موالاتهم والتبرء منهم فقال يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء اى لا تعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين اليهم وخص اليهود والنصارى بالذكر مع ان سائر
الكفار يجب لتهما فى وجوب معاداتهم بعضهم اولياء بعض هذا ابتداء كلام اخبر تعالى ان بعض الكفار ولى بعض فى العون والنصرة ويدهم
واحدة على المسلمين وفى هذا دلالة على ان الكفر كله كالملة الواحدة فى احكام المواريث لعموم قوله بعضهم اولياء بعض وقال الصادق
عليه السلم لا يتوارث اهل ملتين نحن نرثهم ولا يرثوننا ومن يتولهم منكم اى من استنصر بهم واتخذهم انصارا فانه منهم اى هو كافر مثلهم عن
ابن عباس والمعنى انه محكوم له حكمهم فى وجوب اللعنة والبراءة منه وانه من اهل النار ان الله لا يهدى القوم الظالمين الى طريق الجنة
بكفرهم واستحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها الى طريق النار عن ابى على الجبائى وقيل معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين فى المدح والثناء
والنصرة على الاعداء فترى يا محمد الذين فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق يعنى عبد الله بن ابى عن ابن عباس يسارعون فيهم اى فى موالاة
اليهود ونصارى نجران لانهم كانوا يميرونهم عن الكلبى يقولون اى قائلين وهو فى موضع الحال نخشى ان تصيبنا دائرة اى دولة يدور
لاعداء المسلمين فنحتاج الى نصرهم عن مجاهد والسدى وقتادة وقيل معناه نخشى ان يدور الدهر علينا بمكروه يعنون الجدب فلا يميروننا
عن الكلبى فعسى الله ان يأتى بالفتح يعنى فتح مكة عن السدى وقيل فتح بلاد المشركين عن الجبائى وقيل بالقضاء الفصل عن قتادة
وجمع هذه الاقوال قول ابن عباس يريد فتح الله تعالى لمحمد عليه السلم على جميع خلقه او امر من عنده فيه اعزاز المؤمنين واذلال المشركين
واظهار الاسلام عن السدى وقيل هو اظهار نفاق المنافقين مع الامر بقتلهم عن الحسن والزجاج وقيل هو امر دون الفتح الاعظم
او موت هذا المنافق عن الجبائى وقيل هو القتل وسبى الذرارى لبنى قريظة والجلاء لبنى النضير عن مقاتل وهذا قول ابن عباس او امر
من عنده يريد فيه هلاكهم وهو يحتمل هلاك اليهود وهلاك المنافقين فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين اى فيصبح اهل النفاق
على ما كان منهم من نفاقهم وولايتهم لليهود ودس الاخبار اليهم نادمين عن ابن عباس وقتادة والمعنى اذا فتح الله على المؤمنين ندم
المنافقون والكفار على تقويتهم انفسهم ذلك وكذلك اذا ماتوا وتحققوا دخول النار ندموا على ما فعلوه فى الدنيا من الكفر والنفاق
ويقول الذين آمنوا اى صدقوا الله ورسوله ظاهرا وباطنا تعجبا من نفاق المنافقين واجترائهم على الله بالايمان الكاذبة اهؤلاء الذين

بفاتلنا

ورنا صحبتهم وقيل فى معاونتهم على المسلمين وقيل فى موالاة اليهود

اقسموا بالله يعنى المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انتصبت جهد لانه مصدر اى جهد واجهد ايمانهم قال عطا اى حلفوا باغلظ الايمان
واوكدها انهم لمعكم اى انهم مومنون ومعكم فى معاونتكم على اعدائكم ونصرتكم يريد حلفوا انهم لامثالكم فى الايمان حبطت اعمالهم اى
ضاعت اعمالهم التى عملوها لانهم اوقعوها على خلاف الوجه المامور به وبطل ما اظهروه من الايمان لانه لم يوافق باطنهم ظاهرهم فلم
يستحقوا به الثواب فاصبحوا اى صاروا خاسرين اى خسروا الدنيا والاخرة اما الدنيا فليسوا من الانصار واما الاخرة فقرنهم الله
مع الكفار عن ابن عباس وقيل مغبونين بانفسهم ومنازلهم فى الجنة اذ اصاروا الى النار وورثها المومنون عن الكلبى قوله عز
وجل يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين
يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم آية القراءة قرا ابو
جعفر ونافع وابن عامر يرتدد بدالين والباقون يرتد بدال واحدة مشددة الحجة حجة من ادغم انه لما اسكن الحرف الاول ليدغمه
فى الثانى وكان الثانى ساكنا حرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين وهذه لغة بنى تميم وحجة من اظهر ان الحرف المدغم لا يكون الا ساكنا
والمدغم اذا كان ساكنا والمدغم فيه كذلك التقا ساكنان والتقا الساكنين فى هذا النحو ليس من كلامهم فاظهر الحرف الاول وحركه
واسكن الثانى من المثلين وهذه لغة اهل الحجاز اللغة الذل بكسر الذال ضد الصعوبة وبضمها ضد العز يقال ذلول بين الذل من
قوم اذلة وذليل بين الذل من قوم اذلاء فالاول من اللين والانقياد والثانى من الهوان والاستخفاف والعزة الشدة يقال عززت
فلانا على امره اى غلبته عليه والعزاز الارض الصلبة وعز الشىء يعز اذا لم يقدر عليه واصل الباب الامتناع المعنى لما بين الله تعالى
حال المنافقين وانهم يتربصون الدواير بالمومنين وعلم ان قوما منهم يرتدون بعده فاعلم ان ذلك كاين وانهم لا ينالون امانيهم
وانه تعالى ينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصة يتميزوا بها من بين العالمين فقال يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه اى من
يرجع منكم اى من جملتكم الى الكفر بعد اظهار الايمان فلن يضر الله دينه شيئا فان الله لا يخلى دينه من انصار يحمونه فسوف ياتى الله بقوم
يحبهم ويحبونه اى يحبهم الله تعالى ويحبون الله تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين اى رحماء على المومنين غلاظ شداد
على الكافرين وهو من الذل الذى هو اللين لا من الذل الذى هو الهوان قال ابن عباس تراهم للمومنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده
وهم فى الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته يجاهدون فى سبيل الله بالقتال لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه ولا يخافون لومة
لائم فيما ياتون من الجهاد والطاعات واختلف فيمن وصف بهذه الاوصاف منهم فقيل هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة عن الحسن
وقتادة والضحاك وقيل هم الانصار عن السدى وقيل هم اهل اليمن عن مجاهد قال قال رسول الله عليه السلم اتاكم اهل اليمن هم الين قلوبا
وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية وقال عياض بن غنم الاشعرى لما نزلت هذه الاية اومى رسول الله عليه السلم الى ابى موسى الاشعرى
فقال هم قوم هذا وقيل انهم الفرس وروى ان النبى عليه السلم سئل عن هذه الاية فضرب بيده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم
قال لو كان الدين معلقا بالثريا لتناله رجال من ابناء فارس وقيل هم امير المومنين على بن ابى طالب واصحابه حين قاتل من قاتله من
الناكثين والقاسطين والمارقين وروى ذلك عن عمار وحذيفه وابن عباس وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما
السلم ويويد هذا القول ان النبى عليه السلم وصفه بهذه الصفات المذكورة فى الاية فقال فيه وقد ندبه لفتح خيبر بعد ان رد عنها حامل
الراية اليه مرة بعد اخرى وهو يجبن الناس ويجبنونه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير
فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ثم اعطاها اياه واما الوصف باللين على اهل الايمان والشدة على الكفار والجهاد فى سبيل الله
مع انه لا يخاف فيه لومة لائم فمما لا يمكن احدا دفع على عليه السلم عن استحقاق ذلك لما ظهر من شدته على اهل الشرك والكفر ونكايته فيهم ومقاماته
المشهورة فى تشييد الملة ونصرة الدين والرافة بالمومنين ويوكد ذلك ايضا انذار رسول الله عليه السلم قريشا بقتال على عليه السلم
لهم من بعده حيث جاءه سهيل بن عمرو فى جماعة منهم فقالوا له يا محمد ان ارقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا فقال رسول الله صلى
الله عليه واله لتنتهن يا معشر قريش او ليبعثن الله عليكم رجلا يضربكم على تاويل القران كما ضربتكم على تنزيله فقال له بعض اصحابه من هو
يا رسول الله ابو بكر قال لا فقال فعمر قال لا ولكنه خاصف النعل فى الحجرة وكان على عليه السلم يخصف نعل رسول الله عليه السلم وروى

الشرك

عن

عن على عليه السلم انه قال يوم البصرة والله ما قوتل اهل هذه الاية حتى اليوم وتلا هذه الاية وروى ابو اسحق الثعلبى فى تفسيره
بالاسناد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة ان رسول الله عليه السلم قال يرد على يوم القيمة رهط من اصحابى فيجلون
عن الحوض فاقول يا رب اصحابى اصحابى فيقال انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل ان الاية عامة
فى كل من استجمع هذه الخصال الى يوم القيمة وذكر على بن ابرهيم بن هاشم فى تفسيره انها نزلت فى مهدى الامة واصحابه واولها خطاب لمن ظلم آل
محمد وقتلهم وغصبهم حقهم ويمكن ان ينصر هذا القول بان قوله تعالى فسوف ياتى الله بقوم يوجب ان يكون ذلك القوم غير موجودين
فى وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون بعدهم بهذه الصفة الى قيام الساعة ذلك فضل الله اى محبتهم لله تعالى ولين
جانبهم للمومنين وشدتهم على الكافرين تفضل من الله وتوفيق ولطف منه ومنة من جهته يوتيه من يشاء اى يعطيه من يعلم انه محل له
والله واسع اى جواد لا يخاف نفاد ما عنده عليم بموضع جوده وعطائه فلا يبذله الا لمن تقتضى الحكمة اعطاه وقيل معناه واسع الرحمة
عليم بمن يكون من اهلها قوله عز وجل انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويوتون الزكوة وهم راكعون
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون آيتان اللغة الولى هو الذى يلى النصرة والمعونة والولى الذى
يلى تدبير الامر يقال فلان ولى المراة اذا كان يملك تزويجها وولى الدم من كان اليه المطالبة بالقود والسلطان ولى امر الرعية
ويقال لمن يرشحه لخلافة عليهم بعده ولى عهد المسلمين قال الكميت يمدح عليا عليه السلم ونعم ولى الامر بعد وليه ومنتجع التقوى و
نعم المودب ويروى التقوى وانما اراد ولى الامر والقايم بتدبيره قال المبرد فى كتاب العبارة عن صفات الله تعالى اصل الولى
الذى هو اولى اى احق ومثله المولى والركوع هو التطاطو المخصوص قال الخليل كل شىء ينكب لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد
ان يطاطى راسه فهو راكع وانشد للبيد اخبر اخبار القرون التى مضت ادب كانى كلما قمت راكع قال ابن دريد الراكع الذى يكبو
على وجهه ومنه الركوع فى الصلوة قال الشاعر واقلت حاجب فوق العوالى على شقاء يركع فى الظراب وقد يوصف الخاضع بانه راكع
على سبيل التشبيه والمجاز لما يستعمله من التطامن والتطاطو وعلى ذلك قول الشاعر لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر
قد رفعه والحزب الطايفة والجماعة واصله من قولهم حزبه الامر يحزبه حزبا اذا نابه وكل قوم تشابهت قلوبهم واعمالهم فهم احزاب و
تحزب القوم اذا اجتمعوا وحار خوانية مجمع الخلق غليظ الاعراب لفظه انما مخصصة لما اثبت بعده نافية لما لم يثبت يقول القايل
لغيره انما لك عندى درهم فيكون مثل ان يقول له ليس لك عندى الا درهم وقال انما السخاء حاتم يريدون نفى السخاء عن غيره و
التقدير انما السخاء سخاء حاتم فحذف المضاف والمفهوم من قول القايل انما اكلت رغيفا وانما لقيت اليوم زيدا نفى اكل اكثر من رغيف
ونفى لقاء غير زيد وقال الاعشى ولست بالاكثر منهم حصا وانما العزة للكاثر اراد نفى العزة عمن ليس بكاثر وقوله وهم راكعون جملة
فى موضع النصب على الحال من يوتون اى يوتون الزكوة راكعين كما يقال الجواد من يجود ماله وهو ضاحك وموضع من رفع بالابتداء وفى
يتول ضمير يعود الى من وهو مجزوم بالشرط وموضع الفاء مع ما بعده جزم لما فى ذلك من معنى الجزاء لان تقديره فهو غالب وفى من معنى
ان فلهذا جزم الفعل المضارع ومعنى هذا الحرف الذى فى من مع الشرط والجزاء فى موضع رفع بكونه خبر المبتداء النزول حدثنا السيد
ابو الحمد مهدى ابن النزار الحسينى القاينى قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكانى رحمه الله قال حدثنى ابو الحسن محمد بن القسم الفقيه الصيدلانى
قال اخبرنا ابو محمد عبد الله بن محمد الشعرانى قال حدثنا ابو على احمد بن على بن رزين الباشانى قال حدثنا المظفر بن الحسن الانصارى
قال حدثنا السندى بن على الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى عن قيس بن الربيع عن الاعمش عن عباية بن ربعى قال بينا
عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله اذ اقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله الا قال الرجل
قال رسول الله فقال ابن عباس سالتك بالله من انت فكشف العمامة عن وجهه وقال يا ايها الناس من عرفنى فقد عرفنى ومن لم
يعرفنى فانا جندب بن جنادة البدرى ابو ذر الغفارى سمعت رسول الله عليه السلم بهاتين والا فصمتا ورايته بهاتين والا فعميتا
يقول على قايد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله اما انى صليت مع رسول الله عليه السلم يوما من الايام صلوة
الظهر فسال سايل فى المسجد فلم يعطه احد فرفع السايل يده الى السماء وقال اللهم اشهد انى سالت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى

احد شيئا وكان علي راكعا فاوما بخنصره اليمنى اليه وكان يتختم فيها فاقبل السايل حتى اخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبي عليه السلم
فلما فرغ النبي عليه السلم من صلاته رفع راسه الى السماء وقال اللهم ان اخي موسى سالك فقال رب اشرح لي صدري ويسر لي
امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري فانزلت عليه
قرانا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما اللهم وانا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري
ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اخي اشدد به ظهري قال ابو ذر فوالله ما استتم رسول الله صلى الله عليه واله الكلمة
حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله فقال يا محمد اقراء قال وما اقرا قال اقرا انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون الاية روى هذا الخبر ابو اسحق الثعلبي في تفسيره بهذا الاسناد بعينه وروى ابو بكر
الرازي في كتاب احكام القران على ما حكاه المغربي عنه والطبري والرماني انها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه وهو راكع وهو
قول مجاهد والسدي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وجميع علماء اهل البيت عليهم السلم وقال الكلبي نزلت في عبد الله
بن سلام واصحابه لما اسلموا قطعت اليهود موالاتهم فنزلت الاية وفي رواية عطا قال عبد الله بن سلام يا رسول الله انا رايت عليا
تصدق بخاتمه وهو راكع فنحن نتولاه وقد رواه لنا السيد ابو الحمد عن ابي القسم الحسكاني بالاسناد المتصل المرفوع الى ابي صالح عن ابن عباس
قال اقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه ممن قد امنوا بالنبي عليه السلم فقالوا يا رسول الله ان منازلنا بعيدة وليس لنا
مجلس ولا متحدث دون هذا المجلس وان قومنا لما راونا امنا بالله ورسوله وصدقناه رفضونا والوا على نفوسهم ان لا يجالسونا
ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا فقال لهم النبي عليه السلم انما وليكم الله ورسوله الاية ثم ان النبي عليه السلم خرج الى المسجد
والناس بين قايم وراكع فبصر بسايل فقال النبي عليه السلم هل اعطاك احد شيئا فقال نعم خاتم من فضة فقال النبي عليه السلم من اعطاكه
قال ذلك القايم واوما بيده الى علي فقال النبي عليه السلم على اي حال اعطاك قال اعطاني وهو راكع فكبر النبي عليه السلم ثم قرا
ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون فانشا حسان بن ثابت يقول في ذلك ابا حسن تفديك
نفسي ومهجتي ٭ وكل بطيء في الهدى ومسارع ٭ ايذهب مدحيك المحبر ضايعا ٭ وما المدح في جنب الاله بضايع ٭ فانت الذي اعطيت اذ كنت راكعا
زكوة فدتك النفس يا خير راكع ٭ فانزل فيك الله خير ولاية ٭ وثبتها مثنى الكتاب الشرايع ٭ وفي حديث ابرهيم بن الحكم بن ظهير ان عبد الله بن
سلام اتى رسول الله مع رهط من قومه فشكوا الى رسول الله ما لقوا من قومهم فبينا هم يشكون اذ نزلت هذه الاية واذن بلال فخرج رسول
الله الى المسجد واذا مسكين يسال فقال عليه السلم ماذا اعطيت قال خاتم من فضة قال من اعطاكه قال ذلك القايم فاذا هو علي عليه السلم
قال على اي حال اعطاكه قال اعطاني وهو راكع فكبر رسول الله صلى الله عليه واله وقال ومن يتول الله ورسوله الاية المعنى ثم بين
تعالى من له الولاية على الخلق والقيام بامورهم وتجب طاعته عليهم فقال انما وليكم الله ورسوله اي الذي يتولى مصالحكم ويتحقق
تدبيركم هو الله تعالى ورسوله يفعله بامر الله والذين امنوا ثم وصف الذين امنوا فقال الذين امنوا فقال الذين يقيمون الصلوة بشرايطها
ويؤتون الزكوة اي يعطون الزكوة وهم راكعون اي في حال الركوع وهذه الاية من اوضح الدلايل على صحة امامة علي عليه السلم
بعد النبي عليه السلم بلا فصل والوجه فيه انه اذا ثبت ان لفظة وليكم في الاية يفيد من هو اولى بتدبير اموركم ويجب طاعته عليكم
وثبت ان المراد بالذين امنوا علي عليه السلم ثبت النص عليه بالامامة ووضح والذي يدل على الاول فهو الرجوع الى اللغة فمن تاملها
علم ان القوم نصوا على ذلك وقد ذكرنا قول اهل اللغة قبل فلا وجه لاعادته ثم ان الذي يدل على انها في الاية يفيد ذلك دون
غيره ان لفظة انما على ما تقدم ذكره يقتضي التخصيص ونفي الحكم عمن عدا المذكور كما يقولون ان الفصاحة للجاهلية يعنون نفي الفصاحة
عن غيرهم واذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظة الولي على الموالاة في الدين والمحبة لانه لا تخصيص في هذا المعنى لمؤمن دون اخر والمؤمنون كلهم
مشتركون في هذا المعنى كما قال تعالى والمؤمنون بعضهم اولياء بعض واذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق الا الوجه الاخر وهو التحقق بالامور
وما يقتضي فرض الطاعة على الجمهور لانه لا محتمل للفظة الا الوجهان فاذا ابطل احدهما ثبت الاخر والذي يدل على ان المعنى بالذين امنوا
هو علي عليه السلم الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الاية فيه لما تصدق بخاتمه في حال الركوع وقد تقدم ذكرها

وايضا

وايضا فان كل من قال ان المراد بلفظة ولي ما يرجع الى فرض الطاعة والامامة ذهب الى انه هو المقصود بالاية والمتفرد بمعناها ولا احد
من الامة يذهب الى ان هذه اللفظة تقتضي في الاية ما ذكرناه ويذهب الى ان المعنى بها سواه وليس لاحد ان يقول ان لفظ الذين امنوا لفظ جمع فلا يجوز
ان يتوجه اليه على الانفراد وذلك ان اهل اللغة قد يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفخيم والتعظيم وذلك اشهر في كلامهم
من ان يحتاج الى الاستدلال عليه وليس لهم ان يقولوا ان المراد بقوله وهم راكعون ان هذه شيمتهم وعادتهم ولا يكون حالا لايتاء
الزكوة وذلك لان قوله يقيمون الصلوة وقد دخل فيه الركوع فان لم يحمل قوله وهم راكعون على انه حال من يؤتون الزكوة وحملناه
على ان من صفتهم الركوع كان ذلك كالتكرار غير المفيد والتاويل المفيد اولى من البعيد الذي لا يفيد ووجه اخر في الدلالة على
ان الولاية في الاية مختصة انه تعالى قال انما وليكم الله ورسوله فخاطب جميع المؤمنين ودخل في الخطاب النبي عليه السلم ثم قال
ورسوله فاخرج النبي عليه السلم من جملتهم لكونهم مضافين الى ولايته ثم قال والذين امنوا فوجب ان يكون الذي خوطب بالاية غير
الذي جعلت له الولاية والا ادى ان يكون المضاف هو المضاف اليه بعينه والى ان يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه وذلك
محال واستيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب فمن اراده فليطلبه من مظانه قال الواحدي واستدل اهل العلم بهذه الاية
على ان العمل القليل لا يقطع الصلوة وان دفع الزكوة الى السايل في الصلوة جايز مع نية الزكوة ومن يتول الله بالقيام بطاعته ورسوله
باتباعه والذين امنوا بالموالاة والنصرة فان حزب الله اي جند الله عن الحسن وقيل انصار الله هم الغالبون الظاهرون على اعدائهم
الظافرون بهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين اية القراءة قرا اهل البصرة والكسائي والكفار بالجر وقرا الباقون بالنصب
الحجة حجة من قرا بالجر انه حمل الكلام على اقرب العاملين وهو عامل الجر وحجة من نصب انه عطف على العامل الناصب فكانه قال لا تتخذوا الكفار
اولياء قال الزجاج يجوز في هزوا اربعة اوجه ان شيت قلت هزوا بضم الزاء وتحقيق الهمزة وهو الاصل والاجود وان شيت قلت هزوا
وابدلت الضمة واوا لانضمام ما قبلها وان شيت قلت هزءا باسكان الزاء وتحقيق الهمزة فهذه الاوجه الثلثة جيدة يقرا بهن وفيها
وجه اخر لا يجوز القراءة به وهو ان يقول هزا مثل هدى وذلك انه يجوز اذا اردت تخفيف همزة هزءا ان يطرح حركتها على الزاي كما
تقول رايت خبا تريد خبا اللغة الهزو السخرية وهو اظهار ما يلهو تعجبا مما يجري قال الله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك قال
الشاعر الا هزئت وا عجبها المشيب ٭ فلا نكر لديك ولا عجيب يقال هزئ به يهزء هزوا وتهزوا واستهزا واللعب الاخذ على غير طريق الحق مثل
العبث واصله من لعاب الصبي يقال لعب يلعب لعبا اذا سال لعابه لانه يخرج الى غير جهته فكذلك اللاعب يمر الى غير جهة الصواب
النزول قيل كان رفاعة بن زيد بن التابوه وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت
الاية عن ابن عباس المعنى ثم اكد تعالى النهي عن موالاة الكفار فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا و
لعبا اي اظهروا الايمان باللسان واستبطنوا الكفر فذلك معنى تلاعبهم بالدين من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى
والكفار بالجر اي ومن الكفار اولياء اي بطانة واخلاء فيكون الهزو من الكتابي ومن المشرك والمنافق ويدل على استهزاء المشركين
قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر ويدل على استهزاء المنافقين قوله اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم انما نحن مستهزئون وكل من ذكرنا من المشركين والمنافقين ومن لم يسلم من اليهود والنصارى يقع عليه اسم كافر يدل على ذلك قوله
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين فاذا وقع على المستهزئين اسم كافر حسن ان يكون قوله والكفار تبيينا للاسم الموصول
وهو الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا كما كان قوله والذين اوتوا الكتاب من قبلكم تبيينا له ولو قال من الكفار فبين به الجميع لكن
الكفار كانه على المشركين اغلب واهل الكتاب على من اذا عاهد دخل في ذمة المسلمين وقبلت منه الجزية واقر على دينه اغلب فلذلك
فصل بينهما واما القراءة بالنصب فمعناه لا تتخذوا المستهزئين من اهل الكتاب ولا تتخذوا الكفار اولياء واتقوا الله في موالاتهم بعد النهي
عنه ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده اي ليس من صفات المؤمنين موالاة من يطعن في الدين فمن كان مؤمنا غضب لايمانه على من طعن فيه
وكافاه بما يستحقه من المقت والعداوة قوله عز وجل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون اية اللغة النداء

بطانة الرجل اهله وخاصته استعارة من بطانة الثوب مغرب

الدعاء بمد الصوت على طريقة يا فلان واصله من ندى الصوت وهو بعد مذهبه وصحة جرمه ومنه قولهم انا ديك ولا اناجيك اى اعا لنك
النداء ولا اسارك قال الهجرى قال ابو ذهيل وابرزتها من بطن مكة بعدما اضاءت المنادى بالصلوة فاعتما واصل الباب الندو وهو الاجتماع
يقال ندا القوم ينذون ندوا اى اجتمعوا في النادى ومنه دار الندوة وندى الماء لانه يجتمع قليلا قليلا وندى الصوت منه لانه عن جرم
ندى المعنى ثم اخبر تعالى عن صفة الكفار الذين نهى المؤمنين عن موالاتهم فقال واذا ناديتم ايها المؤمنون الى الصلوة اى دعوتم
اليها اتخذوها الصلوة هزؤا ولعبا قيل في معناه قولان احدهما انهم كانوا اذا سمعوا المؤذن للصلوة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق
السخف والمجون تجهيلا لاهلها وتنفيرا للناس عنها وعن الداعى اليها والآخر انهم كانوا يرون المنادى اليها كاللاعب الهاذى بفعلها
جهلا منهم بمنزلتها ذلك بانهم قوم لا يعقلون قيل فيه قولان احدهما انهم لا يعقلون ما لهم في اجابتهم لو اجابوا اليها من الثواب وما عليهم
في استهزائهم بها من العقاب والثاني انهم بمنزلة من لا عقل له يمنعه عن القبائح ويردعه عن الفواحش قال السدى كان رجل من
النصارى بالمدينة فسمع المؤذن ينادى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال حرق الكاذب فدخلت خادمة
له منزله ليلة بنار وهو نائم واهله فسقطت شرارة فاحترق هو واهله واحترق البيت قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا
الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون اية اللغة يقال نقم الامر ينقم نقما ونقم ينقم اذا انكره والاول
اكثر قال ابو عبيدة بن قيس الرقيات وما نقموا من بنى امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وسمى العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل الاعراب
قوله وان اكثركم فاسقون في موضع نصب وكذلك قوله ان امنا بالله والتقدير هل تنقمون منا الا ايماننا وفسقكم النزول قيل ان نفرا من
اليهود اتوا رسول الله عليه السلم فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق الى قوله
ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته فقالوا والله ما نعلم اهل دين قط اخطاء في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل
الله الاية وما بعدها المعنى ثم امر تعالى رسوله بحجاجهم فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب هل تنقمون منا اى هل تنكرون منا وقيل هل
تسخطون منا وقيل هل تكرهون منا والمعانى متقاربة الا ان امنا بالله فوحدناه ووصفناه بما يليق به من الصفات العلى ونزهناه
عما لا يجوز عليه في ذاته وصفاته وما انزل الينا من القران وما انزل من قبل على الانبياء وان اكثركم فاسقون قال الزجاج معناه هل
تكرهون الا ايماننا وفسقكم اى انما كرهتم ايماننا وانتم تعلمون انا على حق لانكم فسقتم بان اقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة وكسبكم بها الاموال
وهذا معنى قول الحسن لفسقكم نقمتم علينا قال بعض اهل التحقيق وعلى هذا يجب ان يكون موضع ان في قوله وان اكثركم فاسقون نصبا باضمار اللام
على تاويل ولان اكثركم فاسقون وقيل لما ذكر تعالى ما نقم اليهود عليهم من الايمان بجميع الرسل وليس هو مما ينقم ذكر في مقابلته
فسقهم وهو مما ينقم ومثل هذا يحسن في الازدواج بقول القائل هل تنقم منى الا انى عفيف وانك فاجر والا انى غنى وانك فقير فحسن ذلك
لاتمام المعنى بالمقابلة ومعنى فاسقون خارجون عن امر الله طلبا للرياسة وحسدا على منزلة النبوة والمراد بالاكثر من لم يؤمن منهم
لان قليلا من اهل الكتاب امن وقيل في قوله وان اكثركم فاسقون قول اخر ذكره ابو على الجرجانى صاحب النظم قال جعله منظوما بقوله
امنا بالله على تاويل امنا بالله وبان اكثركم فاسقون فيكون موضع ان جرا بالباء وهذا وجه حسن قوله عز وجل قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك
شر مكانا واضل عن سواء السبيل اية القراءة قرا حمزة وحده وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون وعبد الطاغوت
بفتح الباء ونصب التاء وروى في الشواذ قراءة الحسن وابن هرمز مثوبة ساكنة الثاء مفتوحة الواو وكذلك في سورة البقرة لمثوبة
وقراءة ابن عباس وابن مسعود وابرهيم النخعى والاعمش وابان بن تغلب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض الطاغوت
وقراءة ابى بن كعب وعبدوا الطاغوت ورواية عكرمة عن ابن عباس وعبد الطاغوت بتسكين الباء وفتح الدال وقراءة ابى واقد
عباد الطاغوت وقراءة ابى جعفر الرواسى النحوى وعبد الطاغوت كقولك ضرب زيد على ما لم يسم فاعله وقراءة عون العقيلى وابن بريدة وعابد الطاغوت
ورواية علقمة عن ابن مسعود وعبد الطاغوت على وزن صرد فهذه عشر قراءات اثنان منها في السبعة الحجة قال ابو على حجة حمزة في قراءة
وعبد الطاغوت انه حمله على ما عمل فيه جعل كانه وجعل منهم عبد الطاغوت ومعنى جعل خلق كقوله وجعل الظلمات والنور وجعل

منها

منها زوجها وليس عبد لفظ جمع لانه ليس من ابنية الجموع شئ على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان في الاسماء المفردة
المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه الجمع كما في قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولان بناء فعل يراد به المبالغة و
الكثرة نحو يقظ وندس فكان تقديره انه قد ذهب في عبادة الطاغوت كل مذهب وتكرر ذلك منه واما من فتح فقال وعبد الطاغوت
فانه عطفه على بناء الماضى الذى في الصلة وهو قوله لعنه الله وافرد الضمير في عبد وان كان المعنى فيه الكثرة لان الكلام محمول
على لفظ دون معناه وفاعله ضمير من كما ان فاعل الامثلة المعطوف عليها ضمير من فافرد لحمل ذلك جميعا على اللفظ ولو حمل الكل
على المعنى او البعض على اللفظ والبعض على المعنى لكان مستقيما واما الوجه في مثوبة فانه قد خرج على الاصل شاذا قال ابو الفتح ومثله
ما يحكى عنهم الفكاهة مقودة الى الاذى وقياسها مثابة ومقادة ومثله مزيد وقياسه مزاد الا ان مزيدا علم والاعلام قد يحتمل
فيها ما يكره من الاجناس نحو محبب ومكوزة ومريم ومدين ورجاء بن حيوة وشوبة مفعلة ومثوبة مفعلة ونظيرها المبطخة والمبطخة
والمشرقة والمشرقة واصل مثوبة مثوبة فنقلت الضمة من الواو الى الثاء ومثلها معونة وقيل هى مفعولة مثل مقولة ومصوفة على معنى
المصدر قال الشاعر وكنت اذا جارى دعا لمضوفة اشمر حتى ينصف الساق ميزرى قال واما قوله عبد الطاغوت فهو جمع عبد وانشد
انسب العبد الى ابائه اسود الجلدة من قوم عبد هكذا قال ابو الحسن وقال احمد بن يحيى عبد جمع عابد كبازل وبزل وشارف وشرف
وكذلك عبد جمع عابد ومثله عباد وعباد ويجوز ان يكون عباد جمع عبد واما عبد الطاغوت وعبدوا الطاغوت فظاهر واما
عابد الطاغوت فهو واحد في معنى جماعة وكذلك وعبد الطاغوت لانه كحطم ولبد كما ان عبد كحذر وفطن ويقظ وطيف عجز الاعراب
مثوبة نصب على التفسير كقوله هو خير ثوابا موضع من يحتمل ثلاثة اوجه من الاعراب احدها الجر على البدل والتقدير هل انبئكم بمن لعنه
الله والثانى الرفع على خبر المبتدا المحذوف اى هم من لعنه الله والثالث النصب على البدل من موضع الجار والمجرور والتقدير انبئكم من لعنه
الله ومكانا نصب على التمييز المعنى ثم امر تعالى نبيه عليه السلم ان يخاطبهم فقال قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين من اليهود والكفار هل انبئكم اى
هل اخبركم بشر من ذلك مثوبة عند الله اى بشر مما نقمتم من ايماننا ثوابا اى جزاء ان كان ذلك عندكم شرا فانا اخبركم بشر منه عاقبة عند الله
وقيل هل اخبركم بشر من الذين طعنتم عليهم من المسلمين وانما قال بشر من ذلك وان لم يكن في المؤمنين شر على الانصاف في المخاطبة و
المظاهرة في الحجاج كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال من لعنه الله اى ابعده من رحمته وغضب عليه لفسقه وكفره وغضب الله عليه اراد به
العقوبة والاستخفاف به وقيل غضبه ان ضرب عليهم الذلة والمسكنة والجزية اينما كانوا من الارض وجعل منهم القردة والخنازير اى مسخهم قردة
وخنازير قال المفسرون يعنى بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروى الوالبى عن ابن عباس ان الممسوخين من اصحاب
السبت لان شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت قال الزجاج هو نسق على لعنه الله المقدير من لعنه الله ومن عبد الطاغوت
وقال الفراء تاويله وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت فعلى هذا يكون الموصول محذوفا وذلك لا يجوز عند البصريين فالصحيح الاول
والطاغوت هنا الشيطان عن ابن عباس والحسن لانهم اطاعوه طاعة المعبود وقيل هو العجل الذى عبده اليهود عن الجبائى لان الكلام
كله في صفتهم ولا تعلق في هذه الاية للمجبرة لان اكثر ما تضمنته الاية الاخبار بانه خلق من تعبد الطاغوت على قراءة حمزة وغيره ممن قرا
عبادا او عبادا او عبدا او غير ذلك ولا شبهة في انه تعالى خلق الكافر وانه لا خالق للكافر سواه غير ان ذلك لا يوجب ان يكون خلق كفره
وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا انا نستفيد من قوله وجعل منهم من عبد الطاغوت او عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابدا كما نستفيد
من قوله وجعل منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه لان الدليل قد دل على ان ما به يكون
القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعل الله تعالى وليس كذلك ما به يكون الكافر كافرا فانه قد دل الدليل على انه تعالى
متعال عن فعله وخلقه فافترق الامران اولئك شر مكانا لان مكانهم سقر ولا شر في مكان المؤمنين ومثله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا و
قيل معناه انهم شر مكانا في عاجل الدنيا واجل الاخرة ممن نقمتم له من المؤمنين اما في الدنيا فبالقتل والسبى وضرب الذلة والمسكنة عليهم و
الزام الجزية واما في الاخرة فبعذاب الابد واضل عن سواء السبيل اى اجور عن الطريق المستقيم وابعد من النجاة قال المفسرون فلما نزلت
هذه الاية عير المسلمون اهل الكتاب وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير فنكسوا رؤسهم وافتضحوا قوله عز وجل واذا جاؤكم قالوا امنا

وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ثلث ايات اللغة

الفرق بين الاثم والعدوان ان الاثم الجرم كائنا ما كان والعدوان الظلم وقد مر معنى السحت قبل والصنع والعمل واحد وقيل الفرق بينهما ان الصنع مضمن بالجودة من قولهم ثوب صنيع وفلان صنيعة فلان اذا استخلصه على غيره وصنع الله لفلان اى احسن اليه وكل ذلك كالفعل الجيد الاعراب قد يدخل الكلام على وجهين اذا كانت مع الماضى قربته من الحال واذا كانت مع المستقبل دلت على التقليل وموضع الباء من قوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به نصب على الحال لان المعنى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لانه لا يريد انهم قد دخلوا حاملين شيئا وهو كقولك خرج بثيابه اى وثيابه عليه ويد يخرج لابسا ثيابه ومثله قول الشاعر ومستنة كاستنان الخروف قد قطع الحبل بالمرود اى وفيه المرود ويعنى وهذه صفته الفرق بين قولك متى جاء وكم واذا جاء وكم ان متى يتضمن معنى ان الجزاء ويعمل فيه جاء لا يجوز ان يعمل فى اذا لان اذا مضاف الى ما بعده والمضاف اليه لا يعمل فى المضاف لانه من تمامه لبئس اللام فيه لام القسم لا يجوز ان يكون لام الابتداء لانها لا تدخل على الفعل الا فى باب ان خاصة لانها اخرت الى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان فى المعنى وقوله لبئس ما كانوا يعملون يدل على ان الحمد والذم يكون بالافعال لانه بمنزلة لبئس العمل عملهم وتحتمل امرين احدهما ان يكون كافة كما يكون فى انما زيد منطلق وليتما عمرو قائم فلا يكون لها على هذا موضع والثانى ان يكون نكرة موصوفة كانه قيل لبئس شيئا كانوا يعملون ولولا هنا بمعنى هلا قال على بن عيسى واصلها التقرير لوجوب الشئ عن الاول فنقلت الى التحضيض على فعل الثانى من اجل الاول وان لم يذكر ولا بد معها من لا لانه دخلها معنى لم لا يفعل ومتى قيل كيف تدخل لولا على الماضى وهو للتحضيض وفى التحضيض معنى الامر قيل لانها يدخل التحضيض والتوبيخ فاذا كانت مع الماضى فهو توبيخ كقوله تعالى لولا جاؤ عليه باربعة شهداء المعنى ثم اخبر تعالى عن هؤلاء المنافقين بقوله واذا جاؤكم ايها المؤمنون قالوا امنا اى صدقنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به قيل فيه قولان احدهما انهم قد دخلوا به على النبى عليه السلام وخرجوا به من عنده اى دخلوا وخرجوا كافرين والكفر معهم فى كلتى حاليهم عن الحسن وقتادة والثانى ان معناه وقد دخلوا به فى احوالهم وخرجوا به الى احوال اخر كقولك هو يتقلب فى الكفر ويتصرف فيه وقوله وهم قد خرجوا به اكد الكلام بالضمير تعيينا اياهم بالكفر وتمييزا لهم عن غيرهم بهذه الصفة والله اعلم بما كانوا يكتمون معناه بما يكتمونه من نفاقهم اذ اظهروا بالسنتهم ما اضمروا خلافه فى قلوبهم ثم بين تعالى انهم يضمون الى نفاقهم خصالا اخر ذميمة فقال وترى يا محمد كثيرا منهم قيل المراد بالكثير منهم رؤساء وعلماء وهم يسارعون يبادرون فى الاثم والعدوان قيل الاثم الكفر عن السدى والعدوان مجاوزة حدود الله وتعديها وقيل الاثم كل معصية وهو الاولى والعدوان الظلم اى يسارعون فى ظلم الناس وفى الجرم الذى يعود عليهم بالوبال والخسران واكلهم السحت اى الرشوة فى الحكم عن الحسن وسماها سحتا لانه يؤدى الى الاستيصال ويقال لانها يذهب بالبركة من المال قال اهل المعانى اكثر ما يستعمل المسارعة فى الخير كقوله تعالى يسارعون فى الخيرات وفائدة لفظ المسارعة هنا وان كان لفظ العجلة ادل على الذم انهم يعملونه كانهم محقون فيه ولذلك قال ابن عباس فى تفسيره انهم يجترؤن على الخطاء لبئس ما كانوا يعملون اى لبئس العمل عملهم لولا ينهاهم اى هلا ينهاهم والكناية فى هم يعود الى الكثير الربانيون العلماء بالدين الذى من قبل الرب على وجه تغيير الاسم كما قالوا روحانى فى النسبة الى الروح وبحرانى فى النسبة الى البحر وقال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التورية وقال غيره كلهم من اليهود لانه يتصل بذكرهم عن قولهم الاثم اى عن تحريفهم الكتاب وقيل عن كل ما قالوه بخلاف الحق واكلهم السحت اى الحرام والرشوة لبئس ما كانوا يصنعون اى بئس الصنيع صنيعهم حيث اجتمعوا على معصية الله تعالى انزل الله تعالى علماءهم بترك النكير عليهم فيما صنعوا منزلتهم فذم هؤلاء بمثل اللفظة التى ذم بها اولئك وفى هذه الاية دلالة على ان تارك النهى عن المنكر بمنزلة مرتكبه وفيه وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قوله عز وجل وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ اية اللغة اليد تذكر فى اللغة على خمسة اوجه للجارحة والنعمة والقوة

والملك

والملك وتحقيق اضافة الفعل فالنعمة نحو قولهم لفلان عندى يد اشكرها اى نعمة قال عدى بن زيد ولن اذكر النعمان الا بصالح فان له عندى يديا وانعما جمع يدا على يدى كالكليب والعبيد وحسن التكرار لاختلاف اللفظين واليد القوة فى نحو قوله تعالى اولى الايدى والابصار اى ذوى القوى والعقول وانشد الاصمعى للغنوى فاعمد لما تعلو فما لك بالذى لا تستطيع من الامور يدان يريد ليس لك به قوة وعلى هذا ما ذكره سيبويه من قولهم لا يدين بها لك ومعنا هذه التثنية المبالغة فى نفى الاقتدار والقوة على الشئ واليد بمعنى الملك فى قوله تعالى الذى بيده عقدة النكاح اى يملك ذلك وهذه الضيعة فى يد فلان اى فى ملكه واليد بمعنى التولى للشئ واضافة الفعل فى نحو قوله تعالى لما خلقت بيدى اى توليت خلقه تخصيصا لادم وتشريفا بهذا وان كان جميع المخلوقات هو خالقها لا غير ويقول يدى لك رهن بالوفاء اذا ضمنت له شيئا وكان معناه اجتهادى وطاقتى ويستعمل ايضا حيث يراد النصرة وذلك مثل ما جاء فى الحديث وهم يد على من سواهم اى نصرتهم واحدة وكلمتهم مجتمعة على من شق عصاهم قال احمد بن يحيى تغلب اليد الجماعة ومنه الحديث وهم يد على من سواهم وقد يستعار اليد للشئ الذى لا يد له تشبيها لمن له اليد قال ابن الاعرابى يد الدهر كله يقال لا اتيه يد الدهر ويد المسند قال ذو الرمة الا طرقت مى هيوما بذكرها وايدى الثريا جنح فى المغارب واصل هذه الاستعارة لثعلبة بن صغير فى قوله القت ذكاء يمينها فى كافر فجعل فى الشمس يدا فى المغيب لما اراد ان يصفها بالغروب ثم لبيد فى قوله حتى اذا القت يدا فى كافر واجن عورات الثغور ظلامها وقد يستعمل اليد فى مواضع كثيرة يطول ذكرها ولما كان الجواد ينفق باليد والبخيل يمسك اليد عن الانفاق اضافوا الجود والبخل الى اليد فقالوا للجواد مبسوط اليد وسبط البنان فياض الكف وللبخيل كز الاصابع مقبوض الكف جعد الانامل فى اشباه لهذا كثيرة معروفة فى اشعارهم وانكر الزجاج على من ذهب الى ان اليد فى الاية النعمة بان قال ان هذا ينقضه قوله بل يداه مبسوطتان فيكون المعنى بل نعمتاه مبسوطتان ونعم الله اكثر من ان تحصى قال ابو على الفارسى قوله نعمتاه مبسوطتان لا يدل على تقليل النعمة وعلى ان نعمته نعمتان ثنتان ولكنه يدل على الكثرة والمبالغة فقد جاء التثنية يراد بها الكثرة والمبالغة وتعداد الشئ لا المعنى الذى يشفع الواحد المفرد الا ترى الى قولهم لبيك انما هو اقامة على طاعتك بعد اقامة وكذلك سعديك انما هو مساعدة بعد مساعدة وليس المراد بذلك طاعتين ثنتين ولا مساعدتين ثنتين فكذلك المعنى فى الاية ان نعمة متظاهرة متتابعة فهذا وجه وان شئت حملت المثنى على انه تثنية جنس لا تثنية واحد مفرد ويكون احد جنسى النعمة نعمة الدنيا والاخر نعمة الاخرة او نعمة الدين فلا يكون التثنية على هذا مرادا بها اثنين وقد جاء تثنية اسم الجنس فى كلامهم مجيئا واسعا قال الفرزدق وكل رفيقى كل رحل وان هما تعاطى القنا قوماهما اخوان فتاويل الرفيقين فى البيت العموم والشياعة الا ترى انه لا يجوز ان يكون رفيقان اثنان بكل رحل وبعد فاذا كانوا قد استجازوا تثنية الجمع الذى على بناء الكثرة كقوله لاصبح القوم اوبادا ولم يجدوا عند التفرق فى الهيجا جمالين وقبله سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا فكيف لو قد سعى عمرو عقالين وكقول ابى النجم بين رماحى نهشل وعقيل ونحو ما حكاه سيبويه من قولهم لقاحان سودا وان فان تجوز تثنية اسم الجنس اجدر لانه على لفظ الواحد فالتثنية فيه احسن اذ هو اشبه بالفاظ الافراد الاعراب قال ابو على اعلم ان يدا كلمة نادرة ووزنها فعل يدلك على ذلك قولهم ايد وجمعهم له على افعل كالكلب والنفس يدل على انه فعل كما دل اباء واخاء على ان وزن اب واخ فعل واللام منه ياء فهو من باب سلس وقلق ولا يعلم لذلك فى الكلام نظير والذى يدل على ذلك يديت اليه يدا ولا نعلم فى الواو مثله الا ترى انه لم يجئ مثل وعوت وقد جاء فى الاسماء ذلك وهو قولهم واو واما قولهم ذهبوا ايادى سبا اذا ارادوا الافتراق وقول ذى الرمة فيا لك من دار تحمل اهلها ايادى سبا بعدى وطال احتيالها فهو فى موضع حال لانه كقولك ذهبوا متفرقين واذا كان كذلك لا يصح اضافته لان سبا معرفة فيكون المضاف اليه معرفة فاذا كان معرفة وجب ان لا يكون حالا فاما الوجه فيها عندى ان لا يعتد فيها الاضافة ولكن يجعل الاسماء بمنزلة اسم واحد كحضرموت فيمن لم يضف وكان القياس ان يتحرك اللام من ايادى بالفتح فى موضع النصب الا انهم اسكنوه ولم يحركوه وشبهوه بالحالين الاخوين وهذا الضرب قد اطرد فيه الاسكان فقالوا معديكرب وقالى قلا وايادى يدا فاسكنوا جميع ذلك المعنى ثم اخبر تعالى بعظيم فريتهم فقال وقالت اليهود يد الله مغلولة اى مقبوضة عن العطا ممسكة عن الرزق نسبوه الى البخل عن ابن عباس وقتادة وعكرمة

والضحاك قالوا ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه
واله وكذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فقال عند ذلك فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة ولم يقل الى عنقه قال اهل المعاني
انما قال عليه السلام فنحاص ولم ينهه الاخرون ورضوا بقوله فاشركهم الله في ذلك وقيل معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا
الا بما تبر به قسمه قدر ما عبد اباؤنا العجل عن الحسن وقيل انه استفهام تقديره ايد الله مغلولة عنا حيث قتر المعيشة علينا وقال البلخي
يجوز ان يكون اليهود قالوا قولا واعتقدوا مذهبا يؤدي معناه الى ان الله تعالى يبخل في حال ويجود في حال اخرى فحكى عنهم ذلك
على وجه التعجب منهم والتكذيب لهم ويجوز ان يكونوا قالوا ذلك على وجه الهزء من حيث لم يوسع على النبي عليه السلام وعلى اصحابه وليس
ينبغي ان يتعجب من قوم يقولون لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة ويتخذون العجل الها ان يقولوا ان الله يبخل تارة ويجود اخرى
وقال الحسين بن علي المغربي حدثني بعض اليهود بمصر ان طائفة منهم قالت ذلك غلت ايديهم قيل فيه اقوال احدها انه على سبيل الاخبار
اى غلت ايديهم في جهنم عن الحسن واختاره الجبائي ومعناه شدت الى اعناقهم وتاويله انهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء فعلى هذا
يكون في الكلام ضمير الفاء او الواو فتقديره فغلت ايديهم او وغلت ايديهم لان كلامهم قد تم واستونف بعده كلام اخر ومن عادتهم ان يحذفوا
فيما يجري هذا الموضع ومن ذلك قوله واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا والمراد فقالوا ان كلام
موسى قد تم وثانيها ان يكون القول خرج مخرج الدعاء كما قال قاتله الله عن ابي مسلم وعلى هذا يكون معناه تعليمنا وتوفيقنا على الدعاء
عليهم كما علمنا الاستثناء في غير هذه المواضع بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وثالثها ان معناه جعلوا بخلاء والزموا
البخل فهم ابخل قوم فلا تلقى يهوديا ابدا غير لئيم بخيل عن الزجاج ولعنوا بما قالوا اى ابعدوا عن رحمة الله وثوابه وقيل عذبوا في الدنيا
بالجزية وفي الاخرة بالنار عن الحسن ثم رد الله تعالى عليهم بضد مقالتهم فقال بل يداه مبسوطتان اى ليس الامر على ما وصفوه بل هو جواد
فليس لذكر اليد هنا معنى غير افادة معنى الجود وانما قال يداه على التثنية مبالغة في معنى الجود والانعام لان ذلك ابلغ فيه من ان
يقول بل يده مبسوطة ويمكن ان يكون المراد باليد النعمة ويكون الوجه في تثنية النعمة انه اراد نعم الدنيا ونعم الاخرة لان الكل وان
كانت نعم الله تعالى فمن حيث اختص كل منهما بصفة تخالف صفة الاخرى صار كانهما جنسان ويمكن ان يكون تثنية النعمة انه اريد بهما
النعم الظاهرة والباطنة كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقيل ان المراد باليد القوة والقدرة عن الحسن ومعناه
قوتاه بالثواب والعقاب مبسوطتان بخلاف قول اليهود ان يده مقبوضة عن عذابنا ينفق كيف يشاء معناه يعطي كيف يشاء من يشاء
من عباده ويمنع من يشاء منهم لانه متفضل بذلك فيفعل على حسب المصلحة وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
اى سيزدادون عند انزال القران اليك طغيانا وهو التمادي والمجاوزة عن الحد وكفرا انضم الى كفرهم وهذا كما يقول القائل
وعظتك فكانت موعظتي وبالا عليك وما زادتك الا شرا على معنى انك ازددت عندها شرا وذلك مشهور في الاستعمال والقينا بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيمة اى بين اليهود والنصارى عن الحسن ومجاهد وقيل يريد بين اليهود خاصة وقد مر تفسيره في اول
السورة عند قوله فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله اى لحرب محمد عليه السلام عن الحسن ومجاهد وفي
هذا دلالة ومعجزة لان الله تعالى اخبر فوافق خبره المخبر فقد كانت اليهود اشد اهل الحجاز باسا وامنعهم دارا حتى ان قريشا كانت تعتضد
بهم والاوس والخزرج تستبق الى محالفتهم وتتكثر بنصرتهم فاباد الله خضراءهم واستاصل شافتهم واجتث اصلهم فاجلى النبي عليه السلام بني النضير وبني
قينقاع وقتل بني قريظة واسر واهل خيبر وغلب على فدك ودان له اهل وادي القرى فمحا الله تعالى اثارهم صاغرين وقال قتادة
معناه ان الله تعالى اذلهم ذلا لا يعزون بعده ابدا وانما يطفي نار حربهم بالظفر وبما يطلع نبيه عليه من اسرارهم وبما من عليه
من التاييد والنصرة ويسعون في الارض فسادا بمعصية وتكذيب رسله ومخالفة امره ونهيه واجتهادهم في محو ذكر النبي عليه السلام
من كتبهم والله لا يحب المفسدين العاملين بالفساد والمعاصي في ارضه قوله عز وجل وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ايات اللغة اصل التكفير التغطية ومنه تكفر

في

في السلاح والاقتصاد الاستواء في العمل الذي يؤدي الى الغرض واشتقاقه من القصد لان القاصد الى ما يعرف مكانه فهو عامد
على الاستقامة اليه خلاف الطالب المتحير في طلبه الاعراب ساء ما يعملون يحتمل ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر ويحتمل
ان يكون ما بمعنى الذي وما بعدها صلة لها والعائد محذوف المعنى ولو ان اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى امنوا بمحمد
عليه السلام واتقوا الكفر والفواحش لكفرنا عنهم سيئاتهم اى سترناها عليهم وغفرناها لهم ولادخلناهم جنات النعيم ظاهر المعنى
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل اى عملوا بما فيهما دون ان يحرفوا شيئا منهما او يغيروا او يبدلوا كما كانوا يفعلونه ويحتمل ان
يكون معناه عملوا بما فيهما بان اقاموهما نصب اعينهم لئلا يزلوا في شيء من حدودهما وما انزل اليهم من ربهم يريد به القران عن
ابن عباس واختاره الجبائي وقيل المراد به كل ما دل الله عليه من امور الدين لاكلوا من فوقهم بارسال السماء عليهم مدرارا ومن تحت
ارجلهم باعطاء الارض خيرها وبركتها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل المراد لاكلوا ثمار النخيل والاشجار من فوقهم والزرع
من تحت ارجلهم والمعنى لتركوا في ديارهم ولم يجلوا عن بلادهم ولم يقتلوا فكانوا يتمتعون باموالهم وزروعهم وثمارهم وما
رزقهم الله تعالى من النعم وانما خص تعالى الاكل لان ذلك معظم الانتفاع وفي هذا تاسيف لليهود على ما فاتهم واعتداد النعمة
ما كانوا فيه من نعمة الله عليهم وهو جزاء بتبخيلهم اياه في قولهم يد الله مغلولة وقيل ان المعنى في قوله لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم التوسعة كما يقال فلان في الخير من قرنه الى قدمه اى ياتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها ونظير هذه الاية قوله
ولو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جعل الله سبحانه التقوى
من اسباب التوسعة في الرزق منهم امة مقتصدة اى من هؤلاء قوم معتدلون في العمل من غير غلو ولا تقصير وقال ابو علي الجبائي
وهم الذين اسلموا منهم وتابعوا النبي عليه السلام وبه قال مجاهد والسدي وابن زيد وهو المروي في تفسير اهل البيت عليهم السلام
وقيل يريد به النجاشي واصحابه وقيل انهم قوم لم يناصبوا النبي عليه السلام مناصبة هؤلاء حكاه الزجاج ويحتمل ان يكون اراد به
من يقر منهم بان المسيح عبد الله ولا يدعي فيه الالهية وكثير منهم ساء ما يعملون قبح عملهم اى اكثر هؤلاء اليهود والنصارى يعملون
الاعمال السيئة وهم الذين يقيمون على الكفر والجحود بالنبي عليه السلام قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن
رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ اية القراءة قرا
نافع وابن عامر وابو بكر غير عاصم رسالاته على الجمع والباقون رسالته على التوحيد الحجة قال ابو علي حجة من جمع ان الرسل يرسلون
بضروب من الرسائل كالتوحيد والشرايع فلما اختلف الرسائل حسن ان يجمع كما حسن ان يجمع اسماء الاجناس اذا اختلفت
الا ترى انك تقول رايت تمورا كثيرة ونظرت في علوم كثيرة فتجمع هذه الاسماء اذا اردت ضروبها كما تجمع غيرها من الاسماء وحجة
من افرد فهذه الاسماء انما تدل على الكثرة وان لم تجمع كما يدل عليها الالفاظ الموضوعة للجمع فمما يدل على ذلك قوله لا تدعوا اليوم
ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فوقع الاسم الشائع على الجميع كما يقع على الواحد فكذلك الرسالة اللغة ارسل فعل يتعدى الى المفعول
ويتعدى الى الثاني منهما بالجار كقوله انا ارسلنا نوحا الى قومه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ويجوز الاقتصار على احدهما
دون الاخر كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وانا ارسلناك شاهدا وقال فارسل الى هرون فيعدى الى الثاني والاول
مقدر في المعنى وقال فارسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال المعنى خلى بين هذه الابل وبين شربها فلم يمنعها
من ذلك وانشد ابو زيد لعمري لقد جاءت رسالة مالك الى جسد بين العوائد مختبل والرسالة هنا بمعنى الارسال
والمصدر في تقدير الاضافة الى الفاعل والمفعول الاول في تقدير محذوف كما كان في قوله فارسل الى هرون والتقدير
رسالة مالك زيدا الى الجسد والجار والمجرور في موضع نصب بكونه مفعولا ثانيا والمعنى الى ذي جسد لان الرسالة لم تات الجسد
دون سائر المرسل اليه وهذا مثل قوله وبعد عطائك المائة الرتاعا في وضعه العطاء موضع الاعطاء والرسول يكون بمعنى
الرسالة ويكون بمعنى المرسل فاما كونه بمعنى الرسالة فكقول الشاعر لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول
اى برسالة وكونه بمعنى المرسل كقوله تعالى وما محمد الا رسول ومثله في انه فعول بمعنى المفعول قوله وما زلت خيرا منك مذ عض

كارها لجبيك عادى الطريق ركوب يريد انه طريق مركوب مسلوك والعصمة المنع من عصام القربة وهو وكاؤها الذى يشد به
من سير او خيط قال الشاعر وقلت عليكم مالكا ان مالكا سيعصمكم ان كان فى الناس عاصم اى سيمنعكم واعتصم فلان بفلان اى
امتنع المعنى ثم امر الله تعالى نبيه عليه السلام بالتبليغ ووعده العصمة والنصرة فقال يا ايها الرسول وهذا نداء تشريف وتعظيم بلغ اى
اوصل اليهم ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته اكثر المفسرون فيه الاقاويل فقيل ان الله تعالى بعث النبى عليه السلام
برسالة تضايق بها ذرعا وكان يهاب قريشا فازال الله تعالى بهذه الاية تلك الهيبة عن الحسن وقيل يريد به ازالة التوهم من ان
النبى عليه السلام كتم شيئا من الوحى للتقية عن عايشة وقيل غير ذلك وروى العياشى فى تفسيره باسناده عن ابن ابى عمير عن ابن اذينة
عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله قالا امر الله محمدا عليه السلام ان ينصب عليا عليه السلام للناس فيخبرهم بولايته
فتخوف رسول الله ان يقولوا حابى ابن عمه وان يطعنوا فى ذلك عليه فاوحى الله اليه هذه الاية فقام عليه السلام بولايته يوم غدير خم
وهذا الخبر بعينه قد حدثناه السيد ابو الحمد عن الحاكم ابى القسم الحكانى باسناده عن ابى عمير الحاخ فى كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل
وفيه ايضا بالاسناد المرفوع الى حيان بن على العنزى عن ابى صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية فى على فاخذ رسول الله
بيده فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد اورد هذا الخبر بعينه ابو اسحق احمد بن محمد ابن ابرهيم الثعلبى
فى تفسيره باسناده مرفوعا الى ابن عباس قال نزلت هذه الاية فى على امر النبى ان يبلغ فيه فاخذ رسول الله بيد على وقال من كنت مولاه فعلى
مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وقد اشتهرت الروايات عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام ان الله تعالى اوحى الى نبيه عليه السلام
ان يستخلف عليا وكان يخاف ان يشق ذلك على جماعة من الصحابة فانزل الله تعالى هذه الاية تشجيعا له على القيام بما امره باداءه والمعنى
ان تركت تبليغ ما انزل اليك وكتمته كنت كانك لم تبلغ شيئا من رسالات ربك فى استحقاق العقوبة وقال ابن عباس معناه ان كتمت اية مما
انزل اليك فما بلغت رسالته اى لم تكن ممتثلا لجميع الامر والله يعصمك من الناس اى يمنعك من ان ينالوك بسوء ان الله لا يهدى القوم الكافرين
قيل فيه قولان احدهما ان معنى الهداية هنا انه تعالى لا يهديهم بالمعونة والتوفيق والالطاف الى الكفر بل انما يهديهم الى الايمان لان من
هداه الى غرضه فقد اعانه على بلوغه عن على بن عيسى قال ولا يجوز ان يكون المراد لا يهديهم الى الايمان لانه تعالى هداهم الى الايمان بان
دلهم عليه ورغبهم فيه وحذرهم من خلافه والاخر ان المراد به لا يهديهم الى الجنة والثواب عن الجبائى وفى هذه الاية دلالة على صدق النبى
عليه السلام وصحة نبوته من وجهين احدهما انه وقع مخبره على ما اخبر به فيه وفى نظايره فدل ذلك على انه من عند عالم الغيوب والسراير
والثانى انه لا تقدم على الاخبار بذلك الا وهو يامن ان يكون مخبره على ما اخبر به لانه لا داعى له على ذلك الا الصدق وروى ان النبى
عليه السلام لما نزلت هذه الاية قال للحراس من اصحابه كانوا يحرسونه سعد وحذيفة الحقوا بملاحقكم فان الله تعالى عصمنى من الناس قوله عز
وجل قل يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين النزول قال ابن عباس جاء جماعة من اليهود الى رسول الله
فقالوا له الست تقر بان التورية من عند الله قال بلى قالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداه فنزلت الاية المعنى ثم امر تعالى النبى عليه السلام
ان يخاطب اليهود فقال قل يا محمد يا اهل الكتاب لستم على شىء من الدين الصحيح حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم
حتى تقروا بالتورية والانجيل والقران المنزل الى جميع الخلق وقيل معناه حتى تقيموا التورية والانجيل بالتصديق بما فيهما من
البشارة بالنبى محمد عليه السلام والعمل بما يوجبه ذلك فيهما وقيل معناه الامر باقامة التورية والانجيل وما فيهما وانما كان ذلك قبل النسخ
لهما عن الجبائى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا مر تفسيره قبل فلا تاس على القوم الكافرين اى لا تحزن عليهم وهذا
تسلية للنبى عليه السلام اى فلا تحزن فان تكذيب الانبياء عادتهم ودابهم وقيل معناه لا تحزن على هلاكهم وعذابهم فذلك جزاؤهم
بفعالهم قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اية الاعراب واختلف فى وجه ارتفاع قوله والصابئون فقال الكسائى هو نسق على ما فى هادوا قال
الزجاج وهذا خطاء من جهتين احديهما ان الصابى على هذا القول يشارك اليهودى فى اليهودية وليس كذلك فان الصابى

ذكر الكفر بتجاوز الحد فى الظلم منهم فان من رجع الى ما يدا عليهم وقيل معناه لا الحزن على حرم

غير اليهودى وان جعل هاد بمعنى تاب من قوله انا هدنا اليك لا من اليهودية ويكون المعنى تابوا هم والصابئون فالتفسير
جاء بغير ذلك لان معنى الذين امنوا فى هذه الاية انما هو الايمان بافواههم ثم ذكر اليهود والنصارى فقال من امن منهم بالله فله
كذا فجعلهم يهودا ونصارى فلو كانوا مؤمنين لم يحتج الى ان يقال ان من امن منهم فلهم اجرهم وهذا قول الفراء والزجاج فى الانكار عليه
والجهة الاخرى ان العطف على الضمير المرفوع من غير توكيد قبيح وانما ياتى فى ضرورة الشعر كما قال عمر بن ابى ربيعة قلت اذا اقبلت وزهر
تهادى كنعاج الملا تعسفن رملا وقال الفراء انه عطف على الذين لان الذين لا يتبين فيه الاعراب مع ضعف ان قال وهذا يجوز فى مثل الذين والمضمر
نحو انى وزيد قايمان ولا يجوز ان زيدا وعمرو قايمان قال الزجاج وهذا غلط لان ان تعمل النصب والرفع وليس فى العربية ناصب
ليس معه مرفوع لان كل منصوب مشبه بالمفعول والمفعول لا يكون بغير فاعل فكيف يكون نصب ان ضعيفا وهى تتخطاء الظروف
فتنصب ما بعدها نحو ان فيها قوما جبارين ونصب ان من اقوى المنصوبات وقال سيبويه والخليل وجميع البصريين ان قوله والصابئون
محمول على التاخير ومرفوع بالابتداء المعنى ان الذين امنوا والذين هادوا من امن منهم بالله الى اخره والصابئون والنصارى كذلك
ايضا اى من امن منهم بالله واليوم الاخر فلا خوف عليهم وانشدوا قول بشر بن ابى حازم والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق و
المعنى فاعلموا انا بغاة ما بقينا فى شقاق وانتم ايضا كذلك وقول ضابى البرجمى فمن يك امسى بالمدينة رحله فانى وقيار بها لغريب اى
فانى بها لغريب وقيار كذلك وزعم سيبويه ان قوما من العرب يغلطون فيقولون انهم اجمعون ذاهبون وانك وزيد قايمان فجعل سيبويه هذا
غلطا وجعله كقول الشاعر بدا لى انى لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئا اذا كان جائيا المعنى قد مضى تفسير هذه الاية مشروحا فى
سورة البقرة وقد ذكرنا هنا ان المراد بالذين امنوا فى قول الزجاج هم المنافقون ثم ذكر بعد من امن بالقلب وقيل ان من امن
محمول على اليهود والنصارى اى من امن منهم والذين امنوا فى الابتداء محمول على ظاهره من حقيقة الايمان وقيل ان من امن يرجع الى
الجميع ويكون معناه من يستديم الايمان ويستمر عليه قوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول
بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله
بصير بما يعملون ايتان القراءة قرا ابو عمرو وحمزة والكسائى الا تكون بالرفع والباقون بالنصب ولم يختلفوا فى رفع فتنة الحجة
من قرا ان لا تكون بالرفع جعل ان مخففة من الثقيلة واضمر الهاء وجعل حسبوا بمعنى علموا وعلى هذا الوجه تثبت النون فى الخط و
اما النصب فعلى انه جعل ان الناصبة للفعل ولم يجعل حسبوا بمعنى علموا وعلى هذا الوجه يسقط النون من الخط اللغة الهوى هو
لطف محل الشىء من النفس مع الميل اليه بما لا ينبغى فلذلك غلب على الهوى صفة الذم ويقال هوى يهوى هوى وهوى يهوى هويا
اذا انحط من الهواء واهوى بيده اذا انحط بها لياخذ شيئا وهاوية جهنم لانه يهوى فيها وهم يتهاوون فى المهواة اذا سقط
بعضهم على بعض والفرق بين الهوى والشهوة ان الشهوة تتعلق بالمدركات فيشتهى الانسان للطعام ولا يهوى الطعام والحسبان هو قوة احد
النقيضين فى النفس على الاخر ويطرح واصله الحساب فالنقيض القوى يحتسب به دون الاخر اى هو فيما يحتسب ولا يطرح ومنه الحسب
لانه ما يحتسب ولا يطرح لاجل الشرف ومنه قولهم حسبك اى يكفيك لانه حساب الكفاية ومنه احتساب الاجر لانه فيما يحتسب ولا يلغى
والفتنة ههنا العقوبة واصله الاختبار ومنه افتتن بفلانة اذا اهويها لانه ظهر ما يطوى من خبره بها وفتنت الذهب فى النار اذا
خلصته ليظهر خبره فى نفسه متميزا من شايب غيره الاعراب اللام فى لقد لام القسم ونصب فريقا فى الموضعين بانه مفعول به قال ابو على
الافعال على ثلثة اضرب فعل يدل على ثبات الشىء واستقراره وذلك نحو العلم والتيقن والتبين وفعل يدل على خلاف الاستقرار و
الثبات وفعل يجذب مرة الى هذا القبيل فما كان معناه العلم وقع بعده ان الثقيلة ولم يقع بعده الخفيفة الناصبة للفعل وذلك
ان الثقيلة معناها اثبات الشىء واستقراره والعلم بانه كذلك ايضا فاذا وقع عليه واستعمل معه كان وفقه وان الناصبة للفعل لا
يقع على ما كان ثابتا مستقرا فمن استعمال الثقيلة بعد العلم قوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين والم تعلم بان الله يرى لان
الباء زايدة واما ما كان معناه ما لم يثبت ولم يستقر فنحو اطمع واخاف وارجو واخشى ونحو ذلك ويستعمل بعد الخفيفة الناصبة للفعل
قال تعالى والذى اطمع ان يغفر لى ويخافون ان يتخطفكم الناس فخشينا ان يرهقهما واما ما يجذب مرة الى هذا الباب فنحو حسبت وظننت

ونعت وهذا النحو يجعل مرة بمنزلة ارجوا واطمع من حيث كان امرا غير مستقر ومرة يجعل بمنزلة العلم من حيث يستعمل استعماله ومن حيث كان
خلافه والشيء قد يجري مجرى الخلاف نحو عطشان وريان فاما استعمالهم اياه استعمال العلم فهو انهم قد اجابوه بجواب القسم حكى سيبويه ظننت
لتسبقنني وظنوا ما لهم من محيص كما قالوا ولقد علمت لتاتين منيتي ولقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وكلهم قرا فتنة
بالرفع لانهم جعلوا كان بمنزلة وقع ولو نصب وقيل ان لا يكون فتنة على ان لا يكون قوله فتنة لكان جايزا في العربية وانما رفع لاتباع الاثر
وانما حسن وقوع ان الخفيفة من الشديدة في قراءة من رفع وان كان بعده فعل لدخول لا وكونها عوضا من حذف الضمير معه وايلائه
ما لم يكن يليه ولو قلت علمت ان يقول لم يحسن حتى ياتي بما يكون عوضا نحو قد ولا والسين وسوف كما في قوله علم ان سيكون منكم مرضى فان
قلت فقد جاء وان ليس للانسان الا ما سعى فلم يدخل بين ان وليس شيء فانما جاء هذا لان ليس ليس بفعل على الحقيقة واما قوله كثير منهم ففي رفعه
من ثلثة اوجه احدها ان يكون بدلا من الواو في عموا وصموا والثاني ان يكون خبر مبتدا محذوف كانه قال ذوو العمى والصمم كثير منهم والثالث
ان يكون على لغة من قال اكلوني البراغيث وعليه قول الشاعر يلومونني في اشتراء النخيل اهلي فكلهم يعذل وقال الفرزدق لقينا عينا
عند القفاء اولى فاولى لك ذا اقتربه وقال الهذلي ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه المعنى ثم اقسم تعالى
بانه اخذ عليهم الميثاق فقال لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل يريد الايمان المؤكدة التي اخذها انبياؤهم عليهم السلام عليهم في الايمان بمحمد
عليه السلام والاقرار به وقيل اخذ ميثاقهم على الاخلاص في التوحيد والعدل والعمل بما امر به والانتهاء عما نهي عنه والتصديق برسله
والبشارة بمحمد عليه السلام ووجه الاحتجاج عليهم بذلك وان كان اخذ الميثاق على ابائهم انهم عرفوا ذلك في كتبهم واقروا بصحته فالحجة لازمة لهم
وعتب المخالفة يلحقهم كما لحق اباهم وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم اي بما لا يوافق مرادهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون
اي كذبوا طايفة وقتلوا طايفة وان قيل لم عطف المستقبل على الماضي فجوابه ليدل على ان ذلك من شانهم ففيه معنى كذبوا وقتلوا ويكذبون
ويقتلون مع ان قوله يقتلون فاصلة يجب ان يكون موافقا لرؤوس الآي ويمكن ان يقال التقدير فيه فريقا كذبوا لم يقتلوه وفريقا كذبوا يقتلون
فيكون كذبوا صفة للفريق ولم يكن فيه عطف المستقبل على الماضي وعلى الجواب الاول لم يكن كذبوا ويقتلون صفة للفريق لان التقدير كذبوا
فريقا وقد ذكرنا تفسير الفريقين في سورة البقرة عند قوله ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وحسبوا اي وظنوا ان لا يكون فتنة اي عقوبة على
قتلهم وتكذيبهم يريد وظنوا ان الله لا يعذبهم عن عطا عن ابن عباس وقيل حسب القوم ان لا تكون بلية عن قتادة والحسن والسدي وقيل
فتنة اي شدة وقحط عن مقاتل والكل متقارب وقيل وحسبوا افعالهم غير فاتنة لهم وذلك انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه عن
الزجاج وقيل معناه وقدروا ان لا يقع بهم فتنة في الاصرار على الكفر وظنوا ان ذلك لا يكون موبقا لهم عن ابن الانباري فعموا وصموا عن
الحق على التشبيه بالاعمى والاصم لانه لا يهتدي الى طريق الرشد في الدين لاعراضه عن النظر كما لا يهتدي هذا الى طريق الرشد في الدنيا لاجل
عماه وصممه ثم تاب الله عليهم يريد ان فريقا منهم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا اي عادوا الى ما كانوا عليه يريد فلما انقضت تلك القرون
ونشات قرون اخر تخلقوا باخلاق ابائهم فعموا عن الحق وصموا عن استماعه وقيل معناه لما تابوا رفع الله عنهم البلاء ثم صار كثير منهم كما كانوا
وقيل اراد بكثير منهم من كان في عصر نبينا عليه السلام والله بصير بما تعملون اي عليم باعمالهم وهذا كالوعيد لهم قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَ
مَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ثلث ايات اللغة الشرك اصله
الاجتماع في الملك فاذا كان الملك بين نفسين ولا يلزم على ذلك ما يضاف الى كل واحد منهما منفردا كالعبد يكون ملكا لله وهو ملك
الانسان لانه لو بطل ملك الانسان لكان ملكا لله كما كان لم يزد في ملكه شيء لم يكن والمس ههنا معناه ما يكون معه احساس وهو حلوله
فيه لان العذاب لا يمس الحيوان الا احس به وقد يكون المس بمعنى اللمس الاعراب قال الفراء ثالث ثلثة لا يكون الا مضافا ولا يجوز التنوين
في ثالث فنصب ثلثة وكذلك قوله ثاني اثنين لا يكون الا مضافا لان المعنى مذهب اسم كانك قلت واحد من اثنين وواحد من ثلثة
ولو قلت انت ثالث اثنين جاز الاضافة وجاز التنوين ونصب الاثنين وكذلك رابع ثلثة لانه فعل واقع وزاد الزجاج لهذا بيانا فقال

لا يجوز

لا يجوز في ثلثة الا الخفض لان المعنى احد ثلثة فان قلت ثالث اثنين او رابع ثلثة جاز الخفض والنصب اما النصب فعلى قولك
كان القوم ثلثة فربعتهم وانا رابعهم غدا ومن خفض فعلى حذف التنوين كما قال عز وجل هديا بالغ الكعبة وتقديره بالغا الكعبة وقوله
وان لم ينتهوا عما يقولون ليس فيه دلالة على اعتماد القسم في مثل قوله ولئن جئتهم باية ليقولن على الفعل الثاني دون الاول الا ترى انه لو
كان اعتماد القسم على الاول لما حذفت اللام من قوله وان لم ينتهوا كما لم يحذف اللام الثانية في موضع ومثله في الشعر قول عارق الطائي
واقسمت لا احتل الا بصهوة حرام علي رمله وشقايقه فان لم يغير بعض ما قد صنعتم لانتحين للعظم ذو انا عارقه قيل لم لا يجوز ان يكون
اعتماد القسم على اللام الاولى الا انها حذفت كما حذفت من قوله قد افلح من زكاها فجوابه ان ذلك لا يجوز لان اللام انما حذفت
في قد افلح لطول الكلام بما اعترض بين القسم والمقسم عليه ولم يطل الكلام في هذا الموضع فيستجاز حذفها وانما هذه اللام بمنزلة ان في
قولك والله ان لو فعلت لفعلت تثبتها تارة وتحذفها اخرى والقسم لا يعتمد على هذه اللام كما لا يعتمد على ان هذه انشد سيبويه فاقسم لو ان
التقينا وانتم لكان لكم يوم من الشر مظلم فالذي اعتمد عليه اقسم قوله لكان دون ان الا ترى انك تقول اقسم لو جئت لجئت فتحذف ان
كما تحذف هذه اللام فهذه اللام من الزيادات التي اذا دخلت اكدت واذا اسقطت لم يخل سقوطها بالكلام الا ان زيادتها في القسم دون
غيره كما ان ان يزاد في قولهم ما ان في النفي دون غيره وعلى هذا فيكون المعقود بالقسم في قولك لئن اتيتني لاكرمنك انما هو لاكرمنك
ولكن الشرط يكون كالاستثناء من هذه الجملة المعقودة بالقسم كانك اردت ان تقسم على الثبات ان تكرمه ثم بدا لك اذ اردت ذلك
ثم علقت اكرامك اياه باتيانه فصار التقدير والله لاكرمنك ان اتيتني اي ان اتيتني اكرمتك فاستغنيت عن ذكر الجزاء بتقدير
تقديم ما يدل عليه فقولك لئن اتيتني متصل بما يدل عليه لاكرمنك من الجزاء هذا الاتصال وهذه الجملة قد لخصتها من كلام الشيخ
ابي علي المعنى ثم عاد تعالى الى ذكر النصارى فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وهذا مذهب اليعقوبية منهم لانهم
قالوا ان الله تعالى اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصارا شيئا واحدا وصار الناسوت لاهوتا وذلك قولهم انه الاله وقال المسيح يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم اي خالقي وخالقكم ومالكي ومالككم واني واياكم عبيده انه من يشرك بالله بان يزعم ان غيره يستحق العبادة
ومعناه انه لا يقدر احد على فعل ما يستحق به العبادة سوى الله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة والتحريم ههنا تحريم منع لا تحريم عبادة و
معناه فان الله يمنعه الجنة وماواه اي مصيره النار وهذا كله اخبار من المسيح عليه السلام لقومه وما للظالمين من انصار معناه
انه لا ناصر لهم يخلصهم عما هم فيه من انواع العذاب ثم اقسم تعالى قسما اخر فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة والقايلون بهذه المقالة
جمهور النصارى من الملكانية واليعقوبية والنسطورية لانهم يقولون ثلثة اقانيم جوهر واحد اب وابن وروح القدس اله واحد ولا يقولون
ثلثة الهة فيصح ان يحكى عنهم بالعبارة اللازمة وانما قلنا انه يلزمهم ذلك لانهم يقولون الابن اله والاب اله وروح القدس اله والابن
ليس هو الاب وما من اله الا اله واحد اي ليس اله الا الله واحد وانما دخلت من للتوكيد وان لم ينتهوا عما يقولون اي ان لم يرجعوا ويتوبوا
عما يقولون من القول بالتثليث اقسم ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم انما خص تعالى منهم الذين يستمرون على كفرهم لانه علم ان بعضهم
يؤمن عن ابي علي الجبائي والزجاج وقيل انه عني بقوله الذين كفروا الفريقين الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم والذين قالوا هو
ثالث ثلثة والضمير عايد الى اهل الكتاب وليس في هذا دلالة على ان في افعال الجوارح ما هو كفر لانه انما يتضمن ان من قال انه ثالث
ثلثة فهو كافر ولا خلاف في ذلك فان من قال ان الكفر هو الجحود بالقلب قال ان في افعال الجوارح ما يدل على الكفر الذي هو الجحود
مثل هذه المقالة ومثل السجود للصنم وغير ذلك فلا دلالة في الاية على ما قالوه افلا يتوبون الى الله قال الفراء هذا امر في لفظ الاستفهام
كقوله فهل انتم منتهون وانما دخلت الى لان معنى التوبة الرجوع الى طاعة الله لان التايب بمنزلة من ذهب عنها ثم عاد اليها ويستغفرونه
الفرق بين التوبة والاستغفار ان الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء او التوبة او غيرهما من الطاعة والتوبة الندم على المعصية مع العزم على
ان لا يعود الى مثلها في القبح والاستغفار مع الاصرار على القبيح لا يصح والله غفور رحيم يغفر الذنوب ويسترها رحمة منه لعباده وفي
هذه الاية تحريض على التوبة وحث على الاستغفار قوله عز وجل مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ
صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ

وَلَا نَفْعًا وَاللّٰهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ثلث ايات اللغة الصديقة المبالغة فى الصدق والصدّيق فعّيل من ابنية المبالغة كما يقال رجل سكّيت اى بالغ فى السكوت يقال افكه يافكه افكا اذا صرفه والافك الكذب لانه صرف عن الحق وكل مصروف عن الشئ مافوك عنه وانشد ابن السكيت ان تك عن احسن المروة مافوكا ففى اخرين قد افكوا وقد افكت الارض اذا صرفتها المطر وارض مافوكة لم يصبها مطر والموتفكات المنقلبات من الرياح وغيرها الانها صرفت عن وجهها والملك القدرة على تصريفها للقادر عليه ان يصرفه فلك الضر والنفع اخص من القدرة عليهما لان القادر قد يقدر من ذلك على ماله ان يفعل وقد يقدر منه على ما ليس له ان يفعله والنفع هو فعل اللذة او السرور او ما ادى اليهما او الى احدهما مثل الملاذ التى تحصل فى الحيوان والصلة بالمال والوعد باللذة فان جميع ذلك نفع لانه يودى الى اللذة والضر هو فعل الالم والغم او ما ادى اليهما او الى واحد منهما كالالام التى توجد فى الحيوان وكالقذف والسب لان جميع ذلك يودى الى الالم والاهواء جمع هوى النفس مقصور لانه مثل فعل وفَعَل جمعه افعال الاعراب انتصاب غير الحق على وجهين احدهما ان يكون على الحال من دينكم فكانه قال لا تغلوا فى دينكم مخالفين للحق والثانى ان يكون منصوبا على الاستثناء بمعنى لا تغلوا فى دينكم الا الحق فيكون الحق مستثنى من المنهى عن الغلو فيه بان يجوز الغلو فيما هو حق على معنى اتباعه المعنى لما تقدم تعالى ذكر مقالات النصارى عقبه بالرد عليهم والحجاج لهم فقال ما المسيح بن مريم الا رسول اى ليس هو باله قد خلت من قبله الرسل اى كما ان الرسل الذين مضوا قبله ليسوا بالهة وان اتوا بالمعجزات الباهرة فكذلك المسيح فمن ادعى له الالهية فهو كمن ادعى لهم الالهية لتساويهم فى المنزلة وامه صديقة لانها تصدق بايات ربها ومنزلة ولدها وتصدقه فيما اخبرها به بدلالة قوله وصدقت بكلمات ربها عن الحسن والجبائى وقيل سميت صديقة لكثرة صدقها وعظم منزلتها فيما تصدق به من امرها كانا ياكلان الطعام قيل فيه قولان احدهما انه احتجاج على النصارى بان من ولده النساء وهو ياكل الطعام لا يكون الها للعباد لان سبيله سبيلهم فى الحاجة الى الصانع المدبر والمعنى انهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش ساير الخلق فكيف يكون الها من لا يقيمه الا اكل الطعام وهذا معنى قول ابن عباس والثانى ان ذلك كناية عن قضاء الحاجة لان من اكل الطعام لا بد له من ان يحدث فلما ذكر الاكل صار كانه اخبر عن عاقبته انظر كيف نبين لهم الايات امر الله تعالى نبيه وامته بان يفكروا فيما بين الله تعالى من الايات اى الدلالات على بطلان ما اعتقدوه من ربوبية المسيح ثم امر بان ينظر انى يوفكون اى كيف يصرفون عن الحق الذى يؤدى اليه تدبر الايات فالنظر الاول انما هو الى فعله تعالى الجميل فى نصب الايات وازاحة العلل والنظر الثانى الى افعالهم القبيحة وتركهم التدبر للايات ثم زاد تعالى فى الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم نفعا ولا ضرا اى اتوجهون عبادتكم الى من لا يقدر لكم على النفع والضر لان القادر عليهما هو الله تعالى او من يمكنه الله تعالى من ذلك والمستحق للعبادة انما هو القادر على اصول النعم والنفع والضر والخلق والاحياء والرزق ولا يقدر على ذلك غير الله فلا يستحق العبادة سواه والله هو السميع باقوالكم العليم بضمائركم وفى هذا تحذير من الجزاء واستدعاء الى التوبة ثم دعاهم تعالى الى ترك الغلو فقال قل يا محمد للنصارى فانهم المخاطبون هنا وقال قوم انه خطاب لليهود والنصارى لان اليهود ايضا غلوا فى تكذيب عيسى ومحمد عليهما السلام يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم اى لا تجاوزوا الحد الذى حده الله تعالى لكم الى الازدياد وضده التقصير وهو الخروج عن الحد الى النقصان والزيادة فى الحد والنقصان عنه كلاهما فساد ودين الله تعالى الذى امر به هو بين الغلو والتقصير وهو الاقتصاد غير الحق اى مجاوزين للحق الى الغلو او الى التقصير فيفوتكم الحق ومن قال ان الخطاب لليهود والنصارى فغلو النصارى فى عيسى ادعاؤهم له الالهية وغلو اليهود فيه تكذيبهم له ونسبتهم اياه الى انه لغير رشدة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل قال ابن عباس كل هوى ضلالة ويعنى بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء الضلالة من فريقى اليهود والنصارى والاية خطاب للذين كانوا فى عصر النبى عليه السلام نهوا ان يتبعوا اسلافهم فيما ابتدعوه باهوائهم وان يقلدوهم فيما هووا والاهواء ههنا المذاهب والتى تدعو اليها الشهوة دون الحجة لان الانسان قد يستثقل النظر لما فيه من المشقة و

يميل طبيعته الى بعض المذاهب فيعتقده وهو ضلال فيملكه والاتباع هو سلوك الثانى طريقة الاول على وجه الاقتداء به وقد يتبع الثانى الاول فى الحق وقد يتبعه فى الباطل وانما يعلم احدهما بدليل واضلوا كثيرا يعنى به هؤلاء الذين ضلوا عن الحق اضلوا كثيرا من الخلق ايضا ونسب الاضلال اليهم من حيث كان بدعائهم واغوائهم وضلوا عن سواء السبيل قيل فى معناه قولان احدهما انهم ضلوا باضلالهم غيرهم عن الزجاج والثانى انهم ضلوا من قبل بكفرهم بعيسى واضلوا غيرهم وضلوا من بعد بكفرهم بمحمد صلى الله عليه فلذلك كرر ومعنى سواء السبيل مستقيم الطريق وقيل له سواء لاستمراره على استواء وقيل لانه يستقيم بصاحبه الى الجنة والخلود فى النعيم قوله عز وجل لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ثلث ايات اللغة التناهى هنا معنيان احدهما انه تفاعل من النهى اى كانوا لا ينهى بعضهم بعضا والثانى انه بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الامر وتناهى عنه اذا كف عنه لبيس ما يجوز ان يكون ما ههنا كافة لبئس كما تكف فى انما ولكنما وبعدما وربما واللام فيه للقسم ويجوز ان يكون اسما نكرة فكانه قال بئس شيئا فعلوه كما بئس رجلا كان عندك ومحل ان سخط الله عليهم رفع كرفع زيد فى قولك بئس رجلا زيد فيكون مبتداء وبئس وما عملت فيه خبره ويكون خبر مبتداء محذوف كانه لما قال بئس رجلا قيل من هو فقال زيد اى هو زيد ويجوز ان يكون محله نصبا على تاويل بئس الشئ ذلك لان سخط الله عليهم المعنى ثم اخبر تعالى عما جرى على اسلافهم فقال لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود فصاروا قردة وعلى لسان عيسى فصاروا خنازير وانما ذكر عيسى وداود لانهما انبه الانبياء المبعوثين بعد موسى ولما ذكر داود اغنى عن ذكر سليمن لان قولهما واحد عن الحسن ومجاهد وقتادة وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام اما داود فانه لعن اهل ايلة لما اعتدوا فى سبتهم وكان اعتداؤهم فى زمانه فقال اللهم البسهم اللعنة مثل الرداء ومثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردة واما عيسى فانه لعن الذين انزلت عليهم المائدة ثم كفروا بعد ذلك وثانيها ما قاله ابن عباس انه يريد فى الزبور وفى الانجيل كذلك فلذلك قيل على لسان داود وعيسى وثالثها ان يكون داود وعيسى علما ان محمدا نبى مبعوث ولعنا من يكفر به عن الزجاج والاول اصح والمراد ان الله تعالى ايأسهم من المغفرة مع الاقامة على الكفر لدعاء الانبياء عليهم بالعقوبة ودعوتهم مستجابة وانما ذكر اللعن على لسانهما ازالة للايهام بان لهم منزلة بولادة الانبياء تنجيهم من العقوبة ذلك اشارة الى اللعن المتقدم ذكره بما عصوا وكانوا يعتدون اى بمعصيتهم واعتدائهم ثم بين تعالى حالهم فقال كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لم يكن ينهى بعضهم بعضا ولا ينتهون اى لا يكفون عما نهوا عنه قال ابن عباس كان بنو اسرائيل ثلاث فرق فرقة اعتدوا فى السبت وفرقة نهوهم ولكن لم يدعوا مجالستهم ولا مواكلتهم وفرقة لما راوهم يعتدون ارتحلوا عنهم وبقيت الفرقتان المعتدية والناهية المخالطة فلعنوا جميعا ولذلك قال رسول الله عليه السلام لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه ولتاطرنه على الحق اطرا او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم وانما سمى القبيح منكرا لانه ينكره العقل من حيث ان العقل يقبل الحسن ويعترف به ولا يأباه وينكر القبيح ويأباه وما ينكره العقل فهو الباطل وما يقر به فهو الحق وقيل ان المراد بالمنكر هنا صيدهم السمك يوم السبت وقيل هو اخذهم الرشى فى الاحكام وقيل اكلهم الربا واثمان الشحوم ثم اقسم تعالى فقال لبئس ما كانوا يفعلون اى لبئس شيئا فعلهم ترى كثيرا منهم اى من اليهود يتولون الذين كفروا يريد كفار مكة عنى بذلك كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله وذكرنا ذلك عند قوله ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا وقال ابو جعفر الباقر عليه السلام يتولون الملوك الجبارين ويزينون لهم اهواءهم ليصيبوا من دنياهم وفى هذا توبيخ لاولئك القوم وتنبيه على سوء فعالهم وخبث عقايدهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى بئس ما قدموا من العمل لمعادهم فى الاخرة ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون وذهب ابن عباس ومجاهد والحسن الى ان هذه الاية فى المنافقين من اليهود والكناية فى قوله منهم عائدة اليهم ويؤكده ما بعد هذه الاية قوله عز وجل وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ

اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون اية المعنى ولو كانوا يومنون بالله اى لو كانوا يصدقون بالله والنبى محمد وما انزل اليه من القران
ويعتقدون ذلك على الحقيقة كما يظهر ونه ما اتخذوهم يعنى الكافرين اولياء عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل المراد بالنبى
موسى عليه السلم وبما انزل اليه التورية فيكون المراد بهم اليهود الذين جاهروا بالعداوة لرسول الله والتولى للمشركين ويكون معنى
للموالاة التناصر والمعاونة على محاربة النبى عليه السلم ومعاداته ويجوز ان يكون يريد الموالاة على الحقيقة ولكن كثيرا منهم فاسقون
وصفهم بالفسق وان كان الكفر ابلغ فى باب الذم لامرين احدهما انهم خارجون عن امر الله وهذا المعنى لا يظهر بان يصفهم بالكفر و
الاخر ان الفاسق فى كفره هو المتمرد فيه والكلام يدل على انهم فاسقون فى كفرهم اى خارجون الى التمرد فيه قوله عز وجل لتجدن
اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا
مع القوم الصالحين ثلث ايات اللغة قال الزجاج القس والقسيس من رؤساء النصارى فاما القس فى اللغة فهو النميمة ونشر الحديث
يقال قس فلان الحديث قسا قال الفرا وجمع القسيس قساوسة جمعوه على مهالبة وكانت قساسسة فكثرت السينات فابدلوا احديهن
واوا والقسوسة مصدر القس والقسيس وقد تكلمت العرب بها انشد المازنى لو عرضت لايبلى قس اشعث فى هيكله مندس حن
اليها كحنين الطس وقال امية لو كان منقلب كانت قساوسة يحييهم الله فى ايديهم الزبر والرهبان جمع راهب مثل راكب وركبان
وفارس وفرسان والرهبانية مصدر والترهب التعبد فى صومعة واصله من الرهبة والمخافة قال جرير رهبان مدين لو راوك تنزلوا
والعصم من شعف الجبال الفادر وقال بعضهم الرهبان يكون واحدا وجمعا فمن جعله واحدا جعله بناء على فعلان وانشد لو عاينت رهبان
دير فى القلل لانحدر الرهبان يمشى ونزل فيض العين من الدمع امتلاؤها منه كفيض النهر من الماء وفيض الاناء وهو سيلانه عن
شدة امتلائه وفاض صدر فلان بسره وافاض القوم من عرفات الى منى اذا دفعوا وافاضوا فى الحديث اذا تدفعوا فيه والدمع
الماء الجارى من العين ويشبه به الصافى فيقال كانه دمعة والمدامع مجارى الدمع وشجة دامعة تسيل دما والطمع تعلق النفس
بما يهوى ان يكون من معنى المحبوب ونظيره الامل والرجاء والطمع يكون معه الخوف ان لا يكون والصالح هو الذى يعمل الصلاح
فى نفسه فان عمله فى غيره فهو مصلح ولذلك يوصف الله تعالى بانه مصلح ولم يوصف بانه صالح الاعراب اللام فى لتجدن لام القسم والنون
دخلت لتفصل بين الحال والاستقبال هذا مذهب الخليل وسيبويه وعداوة منصوب على التمييز يقولون ربنا فى موضع نصب على الحال
وتقديره قائلين ربنا ولا نؤمن فى موضع نصب على الحال وتقديره اى شئ لنا تاركين الايمان اى فى حال تركنا الايمان ومن الحق معنى
من تبيين الاضافة التى تقوم مقام الصفة كانه قيل والجائى لنا الذى هو الحق وقيل انها للتبعيض لانهم امنوا بالذى جاءهم على التفصيل
النزول والقصة نزلت فى النجاشى واصحابه قال المفسرون ايتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها
من المسلمين يوذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله تعالى منهم قريشا ومنع الله رسوله بعمه ابى طالب فلما راى رسول الله
ما باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يومر بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد
فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا ومخرجا واراد به النجاشى واسمه اصحمة وهو بالحبشية عطية وانما النجاشى اسم الملك كقولهم كسرى وقيصر
فخرج اليها سرا احد عشر رجلا واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود
وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته ام سلمة بنت ابى امية ومصعب بن عمير وعثمن بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابى
حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضا فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك فى رجب فى السنة
الخامسة من مبعث رسول الله عليه السلم وهذه هى الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابى طالب وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر
الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه عمارة
بن الوليد بالهدايا الى النجاشى والى بطارقته ليردوهم اليهم وكان عمارة بن الوليد شابا حسن الوجه واخرج عمرو بن العاص

اهله

اهله فلما ركبوا فى السفينة شربوا الخمر فقال عمارة بن الوليد لعمرو بن العاص قل لاهلك تقبلنى فابى فلما انتشى عمرو دفعه عمارة فى الماء
وتشبث عمرو فى صدر السفينة واخرج من الماء والقى الله بينهما العداوة فى سيرها قبل ان يقدما الى النجاشى ثم وردا على النجاشى
فقال عمرو بن العاص ايها الملك ان قوما خالفونا فى ديننا وسبوا الهتنا وصاروا اليك فردهم الينا فبعث النجاشى الى جعفر
فجاءه وقال ايها الملك سلهم اعبيد نحن لهم فقال لا بل احرار قال فسلهم الهم علينا ديون يطالبوننا بها قال ما لنا عليكم ديون قال
فلكم فى اعناقنا دماء تطالبوننا بها قال عمرو لا قال فما تريدون منا اذيتمونا فخرجنا من بلادكم ايها الملك بعث الله فينا نبيا امرنا
بخلع الانداد وترك الاستقسام بالازلام وامرنا بالصلوة والزكاة والاحسان وايتاء ذى القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر
والبغى فقال النجاشى بهذا بعث الله عيسى ثم قال النجاشى لجعفر هل تحفظ عما انزل الله على نبيك شيئا قال نعم فقرا سورة مريم فلما
بلغ قوله وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قال هذا والله هو الحق فقال عمرو انه مخالف لنا فرده الينا فرفع
النجاشى يده وضرب بها وجه عمرو وقال اسكت والله لئن ذكرته بسوء لافعلن بك وقال ارجعوا الى هذا هديته وقال لجعفر
واصحابه امكثوا فانكم سيوم والسيوم الامنون وامر لهم بما يصلح لهم من الرزق فانصرف عمرو واقام المسلمون هناك بخير دار واحسن
جوار الى ان هاجر رسول الله عليه السلم وعلا امره وهادن قريشا وفتح خيبر فوافاه جعفر الى رسول الله بجميع من كانوا معه فقال رسول الله
عليه السلم لا ادرى انا بفتح خيبر اسر ام بقدوم جعفر ووافا جعفر واصحابه رسول الله عليه السلم فى سبعين رجلا منهم اثنان وستون
من الحبشة وثمانية من اهل الشام فيهم بحيرا الراهب فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القران وامنوا
وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فانزل الله فيهم هذه الايات وقال مقاتل والكلبى كانوا اربعين رجلا اثنان وثلثون من
الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطا كانوا ثمانين رجلا اربعون من اهل نجران من بنى الحرث بن كعب واثنان وثلثون من الحبشة
وثمانية روميون من اهل الشام المعنى ثم ذكر تعالى معادات اليهود للمسلمين فقال لتجدن اشد الناس عداوة
للذين امنوا اليهود والذين اشركوا وصف اليهود والمشركين بانهم اشد الناس عداوة للمومنين لان اليهود ظاهروا المشركين
على المسلمين مع ان المومنين يؤمنون بنبوة موسى عليه السلم والتورية التى اتى بها فكان ينبغى ان يكونوا الى المؤمنين اقرب وافقهم فى الايمان بنبيهم وكتابهم
اقرب وانما جعلوا ذلك حسدا للنبى ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى يعنى الذين قدمنا ذكرهم من النجاشى ملك
الحبشة واصحابه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والسدى او الذين جاءوا مع جعفر مسلمين عن مجاهد ذلك بان منهم اى
من النصارى قسيسين اى عبادا عن ابن زيد وقيل علماء عن قطرب وقيل ان النصارى ضيعت الانجيل وادخلوا فيه
ما ليس فيه وبقى من علمائهم واحد على الحق والاستقامة وهو قسيسا فمن كان على هديه ودينه فهو قسيس ورهبانا اى اصحاب
الصوامع وانهم لا يستكبرون معناه ان هؤلاء النصارى الذين امنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق والانقياد له كما استكبر اليهود
وعباد الاوثان وانفوا من قبول الحق اخبر الله تعالى فى هذه الاية عن عداوة مجاورى النبى صلى الله عليه وآله من اليهود ومودة
النجاشى واصحابه الذين اسلموا معه من الحبشة لان الهجرة كانت الى المدينة وبها اليهود والى الحبشة وبها النجاشى واصحابه ثم وصفهم
فقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول من القران ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق اى معرفتهم بان المتلو عليهم كلام الله
تعالى وانه حق يقولون ربنا امنا اى صدقنا بانه كلامك انزلته على نبيك فاكتبنا مع الشاهدين اى واجعلنا بمنزلة ما قد كتب ودون
وقيل فاكتبنا فى ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ مع الشاهدين اى محمد وامته الذين يشهدون بالحق عن ابن عباس وقيل مع الذين يشهدون
بالايمان عن الحسن وقيل مع الذين يشهدون بتصديق نبيك وكتابك عن الجبائى وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق معناه اى
عذر لا نؤمن بالله وهذا جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفا لهم امنتم عن الزجاج وقيل انهم قدروا فى انفسهم كان سائلا سالهم عنه فاجابوا
بذلك والحق هو القران والاسلام ووصفه بالمجى مجاز كما يقال نزل وانما نزل به الملك فكذلك جاء به الملك وقيل ان جاء بمعنى
حدث نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق ونطمع اى نرجوا ونؤمل ان يدخلنا ربنا يعنى فى الجنة لايماننا بالحق فحذف لدلالة الكلام عليه
مع القوم الصالحين المؤمنين من امة محمد عليه السلم قوله عز وجل فاثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها

وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ايتان اللغة اثابهم اى جازاهم واصل الثواب الرجوع
والاحسان ايصال النفع الحسن الى الغير وضده الاساءة وهى ايصال الضرر القبيح اليه وليس كل من كان من جهته احسان فهو محسن مطلقا
فالمحسن فاعل الاحسان بشرط ان يكون خاليا من وجوه القبح والجحيم النار الشديدة الايقاد وهو هنا اسم من اسماء جهنم وجحم فلان النار اذا
شدد ايقادها ويقال لعين الاسد جحمة لشدة ايقادها قال والحرب لا يبقى لجاحمها التخيل والمراح المعنى فاثابهم اى جازاهم الله بما قالوا
اى بالتوحيد عن الكلبى وعلى هذا فانما علق الثواب بمجرد القول لانه قد سبق من وصفهم ما يدل على اخلاصهم فيما قالوه وهو المعرفة فى قوله
مما عرفوا من الحق والبكاء المؤذن بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب ومعرفته والقول اذا اقترن به المعرفة والاخلاص فهو الايمان الحقيقى
الموعود عليه الثواب وقيل ان المراد بما قالوا بما سالوا يعنى قوله فاكتبنا مع الشاهدين ونطمع ان يدخلنا الاية عن عطاء عن ابن عباس
وهذا يكون القول بمعناه المسئلة الجنة جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها مقيمين فيها وذلك جزاء المحسنين اى المؤمنين عن الكلبى
والموحدين عن ابن عباس والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم لما ذكر تعالى الوعد للمؤمنين ذكر الوعيد لمن كفر منهم
وكذب واطلق اللفظ به ليكون لهم ولمن جرى مجراهم فى الكفر وانما شرط فى الوعيد على الكفر التكذيب بالايات وان كان كل واحد
منهما يستحق به العقاب لان صفة الكفار من اهل الكتاب انهم يكذبون بالايات فلم يصلح ههنا وكذبوا الا انهم جمعوا الامرين وليس من شرط
المكذب ان يكون عالما بان ما كذب به صحيح بل اذا اعتقد ان الخبر كذب سمى مكذبا وان لم يعلم انه كذب وانما يستحق به الذم لانه جعل له
طريق الى ان يعلم صحة ما كذب به قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ايتان النزول والقصة قال
المفسرون جلس رسول الله صلعم يوما فذكر الناس ووصف القيامة فرق الناس وبكوا واجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمن بن مظعون
الجمحى وهم على ع وابوبكر وعبد الله بن مسعود وابو ذر الغفارى وسالم مولى ابى حذيفة وعبد الله بن عمر والمقداد بن الاسود وسلمان
الفارسى ومعقل بن مقرن واتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا فى الارض وهم بعضهم ان يجب مذاكيره فبلغ ذلك رسول الله فاتى دار
عثمن فلم يصادفه فقال لامراته ام حكيم بنت ابى امية واسمها حولاء وكانت عطارة احق ما بلغنى عن زوجك واصحابه فكرهت
ان تكذب رسول الله عليه السلم وكرهت ان تبدى على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمن فقد صدقك فانصرف رسول الله ص
فلما دخل عثمن اخبرته بذلك فاتى رسول الله هو واصحابه فقال لهم رسول الله عليه السلم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا قالوا بلى
يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله عليه السلم انى لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا
وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتى النساء ومن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم
وقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انى لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه
ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله الاية وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال نزلت
فى على عليه السلم وبلال وعثمان بن مظعون فاما على فانه حلف ان لا ينام بالليل ابدا الا ما شاء الله واما بلال فانه حلف ان لا
يفطر بالنهار ابدا واما عثمن بن مظعون فانه حلف ان لا ينكح ابدا المعنى لما تقدم ذكر الرهبان وكانوا قد حرموا على انفسهم الطيبات
نهى الله تعالى المؤمنين عن ذلك فقال يا ايها الذين امنوا اى يا ايها المؤمنون لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وهو يحتمل وجوها
منها ان يريد لا تعتقدوا تحريمها ومنها ان يريد لا تظهروا تحريمها ومنها ان يريد لا تحرموها على غيركم بالفتوى والحكم ومنها ان تريد
لا تجروها مجرى المحرمات فى شدة الاجتناب ومنها ان يريد لا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين فوجب حمل الاية على جميع هذه الوجوه و
الطيبات اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب وقد يقال الطيب بمعنى الحلال كما يقال يطيب له كذا اى يحل ولا

يليق

يليق ذلك بهذا الموضع ولا تعتدوا اى لا تتعدوا حدود الله واحكامه وقيل معناه لا تجبوا انفسكم فسمى الخصاء اعتداء عن ابن
عباس ومجاهد وقتادة والاول اعم فايدة ان الله لا يحب المعتدين معناه يبغضهم ويريد الانتقام منهم وكلوا مما رزقكم الله
لفظه لفظ الامر والمراد به الاباحة حلالا طيبا اى مباحا لذيذا ويسئل ههنا فيقال اذا كان الرزق كله حلالا فلم
قيد ههنا فقال حلالا والجواب انه انما ذكر حلالا على وجه التاكيد كما قال وكلم الله موسى تكليما وقد اطلق تعالى فى موضع اخر
على وجه المدح وهو قوله ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس يريد من طيبات الرزق اللحم وغيره واتقوا الله الذى انتم به
مؤمنون هذا استدعاء الى التقوى بالطف الوجوه وتقديره ايها المؤمنون بالله لا تضيعوا ايمانكم بالتقصير فى التقوى فيكون
عليكم الحسرة العظمى واتقوا فى تحريم ما احله الله لكم وفى جميع معاصيه من به تؤمنون وهو الله تعالى وفى هاتين الايتين
دلالة على كراهة التخلى والتفرد والتوحش والخروج مما عليه الجمهور فى التاهل وطلب الولد وعمارة الارض وقد روى
ان النبى عليه السلم كان ياكل الدجاج والفالوذج وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وقال
فى بطن المؤمن زاوية لا يملاها الا الحلواء وروى ان الحسن كان ياكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخى فقال يا فرقد
ما تقول فى هذا فقال فرقد لا اكله ولا احب اكله فاقبل الحسن على غيره كالمتعجب وقال لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر
هل يعيبه مسلم قوله عز وجل لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ
مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا
حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ايه القراءة قرا ابن عامر وحده عاقدتم برواية ابن
ذكوان وقرا اهل الكوفة غير حفص عقدتم خفيفة والباقون عقّدتم بالتشديد وروى ان قراءة جعفر بن محمد عليه السلم
تطعمون اهاليكم الحجة قال ابو على من قرا عقّدتم مشددة القاف احتمل امرين احدهما ان يكون لتكثير الفعل والاخر لا يراد
به التكثير كما ان ضاعف لا يراد به فعل اثنين ومن قرا عقدتم خفيفة جاز ان يراد به الكثير من الفعل والقليل الا ان فعّل
يختص بالكثير كما ان الركبة يختص بالحال التى يكون عليها المركوب ومن قرا عاقدتم احتمل امرين احدهما ان يكون يراد به عقدتم
كما ان عافاه الله وعاقبت اللص وطارقت النعل بمنزلة فعلت فيكون على هذا قراءته كقراءة من خفف ويحتمل ان يراد بعاقدتم
فاعلت التى يقتضى فاعلين فصاعدا كانه قال يؤاخذكم بما عاقدتم عليه اليمين ولما كان عاقد فى المعنى قريبا من عاهد عداه
بعلى كما يعدى عاهد بها فى قوله اوفى بما عاهد عليه الله واتسع فحذف الجار فوصل الفعل الى المفعول ثم حذف من الصلة
الضمير الذى كان يعود الى الموصول كما حذف من قوله فاصدع بما تؤمر ومثله قول الشاعر كانه واضح الاقراب فى لقح اسمى بهن وعزته الانا
انما هو عزت عليه فاتسع والتقدير يؤاخذكم بالذى عاقدتم عليه الايمان ثم عاقدتموه الايمان فحذف الراجع ويجوز ان يجعل
ما الذى مع الفعل بمعنى المصدر فمن قرا عقدتم وعقّدتم فلا يقتضى راجعا كما لا يقتضيه فى قوله ولهم عذاب اليم بما كانوا
يكذبون وقوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون واما قوله اهاليكم فان اهالى كليالى كان واحدها اهلاة
وليلاة وانشد ابن الاعرابى فى كل يوم ما وكل ليلاه يا ويحه من جمل ما اشقاه ومن ذهب ان اهالى جمع اهلون فقد ابعد
لان هذا الجمع لا يكسر اللغة اللغو فى اللغة ما لا يعتد به قال الشاعر او مائة يجعل اولادها لغوا وعرض المائة الجلمد اى الذى
يعارضها فى قوة الجلد يعنى بالمائة نوقا اى لا يعتد باولادها ولغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله
وبلى والله على سبق اللسان هذا هو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم ويقال عقدت الحبل والعهد واليمين
عقدا قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم البيت وقال فى بيت اخر وان عاهدوا اوفوا وان عاقدوا شدوا وعقدت
العسل فهو معقد وعقيد والتحرير من الحرية قال الفرزدق ابنى غدانة انى حررتكم فوهبتكم لعطية بن جعال ويريد اعتقتكم من ذل الهجاء
ولزوم العار النزول قيل لما نزلت لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا فانزل
الله هذه الاية وقيل نزلت فى عبد الله بن رواحة كان عنده ضيف فاخرت زوجته عشاءه فحلف لا ياكل من الطعام وحلفت المراة

لاتاكلان لم ياكل وحلف الضيف لا ياكل ان لم ياكلا فاكل عبد الله بن رواحة والملاعة فاخبر النبي عليه السلم بذلك فقال له احسنت
عن ابن زيد المعنى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم معنى الكلام في لغو اليمين وحكمه في سورة البقرة ولا كفارة فيه عند اكثر المفسرين
والفقهاء الا ما روي عن ابرهيم النخعي انه قال فيها الكفارة ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان ان جعلت ما موصولة فمعناه بالذي عقدتم عليه
الايمان وان جعلته مصدرية فمعناه بعقدكم او بتعقيدكم الايمان او بمعاقدتكم الايمان وتفسيره ان يعمد الامر ثم يحلف بالله فيعقد عليه
اليمين عن عطا وقيل هو ما عقدت عليه وتعمدته عن مجاهد فكفارته اي كفارة ما عقدتم اذا حنثتم واستغنى عن ذكره لانه مدلول عليه
لان الامة قد اجمعت على ان الكفارة لا تجب الا بعد الحنث اطعام عشرة مساكين واختلف في مقدار ما يعطى كل مسكين فقال
الشافعي مد وهو ثلثا من وقال ابو حنيفة نصف صاع من حنطة او صاع من شعير او تمر وكذلك ساير الكفارات وقال اصحابنا
يعطي كل واحد مدين او مدا والمد رطلان وربع ويجوز ان يجمعهم على ما هذا قدره ليأكلوه ولا يجوز ان يعطي خمسة ما يكفي عشرة
فان كان المساكين ذكورا واناثا جاز ذلك ولكن وقع بلفظ التذكير لانه يغلب في كلام العرب من اوسط ما تطعمون اهليكم قيل
فيه قولان احدهما الخبز والادم لان افضله الخبز واللحم وادونه الخبز والملح واوسطه الخبز والسمن والزيت والاخر انه اوسط
في المقدار اي تعطيهم كما تعطي اهلك في العسر واليسر عن ابن عباس او كسوتهم قيل لكل واحد منهم ثوب ثوب عن الحسن ومجاهد وعطا
وطاوس وهو مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة ما يقع عليه اسم الكسوة والذي رواه اصحابنا ان لكل واحد ثوبين مئزرا وقميصا
وعند الضرورة تجزي قميص واحد او تحرير رقبة عبد او امة والرقبة يعبر بها عن جملة الشخص وهو كل رقبة سليمة من العاهات
صغيرة كانت او كبيرة مومنة كانت او كافرة لان اللفظ مطلقة مبهمة الا ان المومن افضل وهذه الثلاثة واجبة على التخيير و
قيل ان الواجب منها واحد لا بعينه وفايدة هذا الخلاف والكلام في شرحها وفي الادلة على صحة المذهب الاول مذكور في اصول الفقه
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام معناه فكفارته صيام ثلثة ايام فيكون صيامه مرفوعا بالابتداء او بالظرف وحد من ليس بواجد
هو من ليس عنده ما يفضل عن قوته وقوت عياله يومه وليلته وبه قال الشافعي ويجب التتابع في صوم هذه الايام الثلثة وبه
قال ابي وابن عباس ومجاهد وقتادة واكثر الفقهاء وفي قراءة ابن مسعود وابي ثلاثة ايام متتابعات واليمين على ثلاثة اقسام احدها
ما يكون عقدها طاعة وحلها معصية فهذه يتعلق بحنثها الكفارة بلا خلاف وهو كما لو قيل والله لا شربت خمرا والثاني ان يكون
عقدها معصية وحلها طاعة كما يقال والله لا صليت وهذا لا كفارة في حنثه عند اصحابنا وخالف ساير الفقهاء في ذلك والثالث ان
يكون عقدها مباحا وحلها مباحا كما يقول والله لا لبست هذا الثوب فهذه يتعلق بحنثه الكفارة بلا خلاف ذلك اشارة الى ما تقدم
ذكره من الكفارة كفارة ايمانكم اذا حلفتم يعني اذا حلفتم وحنثتم لان الكفارة لا تجب بنفس اليمين وانما تجب باليمين والحنث وقيل تجب
بالحنث بشرط تقدم اليمين واختلف فيمن كفر بعد اليمين قبل الحنث فقال ابو حنيفة لا يجزي وقال الشافعي يجزي واحفظوا ايمانكم قيل في
معناه قولان قال ابن عباس يريد لا تحلفوا ايمانكم عن الحنث فلا تحنثوا وهو اختيار الجبائي وهذا هو الاقوى لان الحلف مباح الا
في معصية بلا خلاف وانما الواجب ترك الحنث وفيه دلالة على ان اليمين في المعصية لا ينعقد لانها لو انعقدت للزم حفظها واذا كانت
لا ينعقد فلا يلزم فيها الكفارة كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون معناه كما بين امر الكفارة وجميع الاحكام يبين الله لكم اياته
وفروضه لتشكروه على تبيينه لكم اموركم ونعمه عليكم قوله عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ
مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ آيتان اللغة الخمر عصير العنب المشتد وهو العصير الذي يسكر كثيره وسمي خمرا لانها
بالسكر يغطي على العقل واصله في الباب التغطية ومنه من قولهم خمرت الاناء اذا غطيته ودخل في خمار الناس اذا اخفى فيما بينهم
والميسر القمار كله من تيسر امر الجزور بالاجتماع على القمار فيه و اصله من اليسر خلاف العسر وسميت اليد اليسرى تفألا بتيسير العمل
بها وقيل لانها تعين اليد اليمنى فيكون العمل ايسر والانصاب الاصنام واحدها نصب وسمي بذلك لانها كانت تنصب للعبادة لها والانتصاب القيام
ومنه النصب التعب من العمل الذي ينتصب له ونصاب السكين لانه ينصب فيه ومناسبة العدو الانتصاب لعداوته قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا والازلام القداح وهي سهام كانوا يجيلونها للقمار وقد ذكرنا
ما قيل فيها في اول السورة والرجز بالزاي هو العذاب واصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقة رجزاء اذا كانت ترتعد
قوايمها في ناحية قال الزجاج الرجس في اللغة اسم لكل ما استقذر من عمل يقال رجس يرجس ورجس يرجس اذا عمل عملا
قبيحا والرجس بفتح الراء شدة الصوت ورعد رجاس شديد الصوت فكان الرجس الذي يقبح ذكره ويرتفع في القبح المعنى ثم عطف
الله تعالى على ما بين من الاحكام بالنهي عن افعال اهل الجاهلية والنقل عنها الى شريعة الاسلام فقال يا ايها الذين امنوا انما الخمر
والميسر وقد مر معناهما في سورة البقرة وقال ابن عباس يريد بالخمر جميع الاشربة التي تسكر وقد قال رسول الله عليه السلم الخمر من
تسع من البتع وهو العسل ومن العنب ومن الزبيب ومن التمر ومن الحنطة ومن الذرة والشعير والسلت والميسر يريد القمار وهو في
اشياء كثيرة انتهى كلامه والانصاب والازلام ذكرناهما في اول السورة رجس من عمل الشيطان لا بد من ان يكون في الكلام
حذف فالمعنى شرب الخمر وتناوله او التصرف فيه وعبادة الانصاب والاستقسام بالازلام رجس اي خبيث من عمل الشيطان وانما
نسبها الى الشيطان وهي اجسام من فعل الله تعالى لما يامر الشيطان به فيها من الفساد فيامر بشرب المسكر ليزيل العقل ويامر
بالقمار ليستعمل فيه الاخلاق الدنية ويامر بعبادة الاصنام لما فيها من الشرك بالله ويامر بالازلام لما فيها من ضعف الراي
والاتكال على الاتفاق وقال الباقر عليه السلم يدخل في الميسر اللعب بالشطرنج وغيره ذلك من انواع القمار حتى ان لعب الصبيان
بالجوز من القمار فاجتنبوه اي كونوا على جانب منه اي في ناحية لعلكم تفلحون معناه كي تفوزوا بالثواب وفي هذه الاية دلالة
على تحريم الخمر وهذه الاشياء من اربعة اوجه احدها انه تعالى وصفها بالرجس وهو النجس والنجس محرم بلا خلاف والثاني انه
نسبها الى عمل الشيطان وذلك يوجب تحريمها والثالث انه امر باجتنابها والامر يقتضي الايجاب والرابع انه جعل الفوز والفلاح
في اجتنابها والهاء في قوله فاجتنبوه راجعة الى عمل الشيطان وتقديره اجتنبوا عمل الشيطان وكل واحد من شرب الخمر وتعاطي
القمار واتخاذ الانصاب والازلام من عمل الشيطان ويجوز ان يكون الهاء عايدة الى الرجس والرجس واقع على الخمر وما ذكر بعدها و
قد قرن الله تعالى الخمر بعبادة الاوثان تغليظا في تحريمها فلذلك قال عليه السلم شارب الخمر كعابد الوثن وفي هذا
دلالة على تحريم ساير التصرفات في الخمر من الشرب والبيع والشراء والاستعمال على جميع الوجوه ثم بين سبحانه انه انما نهى عن الخمر لما
في اجتنابه من الصلاح وخير الدارين فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر قال ابن عباس
يريد سعد بن ابي وقاص ورجلا من الانصار كان مواخيا لسعد فدعاه الى طعام فاكلوا وشربوا نبيذا مسكرا فوقع بين
الانصاري وسعد مراء ومفاخرة فاخذ الانصاري لحي جمل فضرب به سعدا ففزر انفه فانزل الله تعالى ذلك فيهما والمعنى يريد
الشيطان ايقاع العداوة بينكم بالاغواء المزين لكم ذلك حتى اذا اسكرتم ثم زالت عقولكم واقدمتم من القبايح على ما كان يمنعه
منه عقولكم قال قتادة ان الرجل كان يقامر في ماله واهله فيقمر ويبقى حزينا سليبا فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء و
يصدكم عن ذكر الله اي يمنعكم من الذكر لله بالتعظيم والشكر على الايه وعن الصلوة التي هي قوام دينكم فهل انتم منتهون صيغته
الاستفهام والمراد به النهي ومعناه ان يكون على معنى النهي لان الله تعالى ذم هذه الافعال واظهر قبحها فاذا ظهر قبح الفعل للمخاطب ثم استفهم عن تركه
لم يسعه الا الاقرار بالترك فكانه قيل له اتفعله بعد ما ظهر من قبحه ما ظهر فصار المنهي بقوله فهل انتم منتهون في محل من عقد
عليه ذلك باقراره وكان هذا ابلغ في باب النهي من ان يقال انتهوا ولا تشربوا قوله عز وجل وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ اية المعنى لما امر سبحانه باجتناب الخمر
وما بعدها عقبه بالامر بالطاعة له فيه وفي غيره فقال واطيعوا الله واطيعوا الرسول والطاعة هي امتثال الامر
والانتهاء عن المنهي عنه ولذلك يصح ان يكون الطاعة طاعة لاثنين بان يوافق امرهما وارادتهما واحذروا وهذا امر
منه تعالى بالحذر عن المحارم والمناهي قال عطا يريد واحذروا سخطي والحذر هو امتناع القادر من الشيء لما فيه من الضرر
فان توليتم اي ان اعرضتم ولم تعملوا بما امركم به فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين يعني الاداء الظاهر الواضح فوضع كلام

معناه عتق رقبة

وقال غيره واحفظوا ايمانكم

ومعناه النهي وانما جاز في صيغة الاستفهام

معناه الوعد والتهديد بانه قال اعلموا انكم قد استحققتم العقاب لتوليكم عما ادى رسولنا اليكم من البلاغ المبين يعنى الاداء الظاهر الواضح فوضع كلام موضع كلام للايجاز ولو كان الكلام على صيغته من غير هذا التقدير لم يصح لان عليهم ان يعلموا ذلك تولوا اولم يتولوا وما فى قوله انما كافة لان من عملها **قوله عز وجل ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين اية النزول** لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابه يا رسول الله ما تقول فى اخواننا الذين مضوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فانزل الله هذه الاية عن ابن عباس وانس بن مالك والبراء بن عازب ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل انها نزلت فى القوم الذين حرموا على نفوسهم اللحوم وسلكوا طريق الترهب كعثمن بن مظعون وغيره فبين الله لهم انه لا جناح فى تناول المباح مع اجتناب المحرمات **المعنى** ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح اى اثم وحرج فيما طعموا من الخمر والميسر قبل نزول التحريم وفى تفسير اهل البيت عليهم السلم فيما طعموا من الحلال وهذه اللفظة صالحة للاكل والشرب جميعا اذا ما اتقوا شربها بعد التحريم وامنوا بالله تعالى وعملوا الصالحات اى الطاعات ثم اتقوا اى داموا على الاتقاء وامنوا اى داموا على الايمان بفعل الفرايض واحسنوا بفعل النوافل فعلى هذا يكون الاتقاء الاول اتقاء الشرب بعد التحريم والاتقاء الثانى هو الدوام على ذلك والاتقاء الثالث اتقاء جميع المعاصى وضم الاحسان اليه وقيل ان الاول هو اتقاء المعاصى العقلية التى تخص المكلف ولا يتعداه والايمان الاول الايمان بالله تعالى وبما اوجب الايمان بقبح هذه المعاصى ووجوب تجنبها والاتقاء الثانى هو اتقاء المعاصى السمعية والايمان بقبحها ووجوب اجتنابها والاتقاء الثالث يختص بمظالم العباد وبما يتعدى الى الغير من الظلم والفساد وقال ابو على الجبائى ان الشرط الاول يتعلق بالزمان الماضى والشرط الثانى يتعلق بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله والشرط الثالث يختص بمظالم العباد ثم استدل على ان هذا الاتقاء يختص بالمظالم بقوله واحسنوا فان الاحسان اذا كان متعديا وجب ان يكون المعاصى التى امروا باتقائها قبله ايضا متعدية وهذا ضعيف لانه لا تصريح فى الاية بان المراد به الاحسان المتعدى ولا يمتنع ان يريد بالاحسان فعل الحسن والمبالغة فيه وان اختص بالفاعل ولا يتعداه كما يقولون لمن بالغ فى فعل الحسن احسنت واجملت ثم لو سلم ان المراد به الاحسان المتعدى فلم لا يجوز ان يعطف فعل متعدى على فعل لا يتعدى ولو صرح سبحانه فقال اتقوا القبايح كلها واحسنوا الى غيرهم لم يمتنع ولعل ابا على انما عدل فى الشرط الثالث عن ذكر الاحوال لما ظن انه لا يمكن فيه ما امكن فى الاول والثانى وهذا ممكن غير ممتنع بان يحمل الشرط الاول على الماضى والثانى على الحال والثالث على المنتظر المستقبل ومتى قيل ان المتكلمين عندهم لا واسطة بين الماضى والمستقبل فان الفعل اما ان يكون موجودا فيكون ماضيا واما ان يكون معدوما فيكون مستقبلا وانما ذكر الاحوال الثلاث النحويون فجوابه ان الصحيح انه لا واسطة بين العدم والوجود كما ذكرت غير ان الموجود فى اقرب الزمان لا يمتنع ان تسميه حالا ويفرق بينه وبين الغابر السالف والعابر المنتظر ووجدت الاجل المرتضى على بن الحسين الموسوى قدس الله روحه ذكر فى بعض مسائله ان المفسرين تشاغلوا بايضاح الوجه فى التكرار التى تضمنته هذه الاية وظنوا انه المشكل فيها وتركوا ما هو اشد اشكالا وهو انه تعالى نفى الجناح عن الذين امنوا وعملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والايمان وعمل الصالحات والايمان وعمل الصالحات ليس بشرط فى نفى الجناح فان المباح اذا وقع من الكافر فلا اثم عليه ولا وزر قال ولنا فى حل هذه الشبهة طريقان احدهما ان نضم الى المشروط المصرح بذكره غيره حتى يظهر تاثير ما شرط فيكون تقدير الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وغيره اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات لان الشرط فى نفى الجناح لا بد من ان يكون له تاثير حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح وقد علمنا ان باتقاء المحارم ينتفى الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذى لا زيادة عليه ولما ولى ذكر الاتقاء الايمان وعمل الصالحات ولا تاثير لهما فى نفى الجناح علمنا انه اضمر ما تقدم ذكره ليصح الشرط ويطابق المشروط لان من اتقى الحرام فيما يطعم لا جناح عليه فيما يطعمه لكنه قد يصح ان يثبت عليه الجناح فيما اخل به من واجب وضيعه من فرض فاذا شرطنا انه وقع اتقاء القبيح ممن امن بالله وعمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه وليس بمنكر حذف ما ذكرناه لدلالة الكلام عليه فمن عادة العرب ان يحذفوا ما يجرى هذا المجرى ويكون قوة الدلالة عليه مغنية عن النطق به ومنه

قول الشاعر تراه كان الله يجدع انفه وعينيه ان مولاه بات له وفر لما كان الجدع لا يليق بالعين وكانت معطوفة على الانف الذى يليق الجدع به اضمر ما يليق بالعين من البخص وما يجرى مجراه والطريق الثانى هو ان يجعل الايمان وعمل الصالحات هنا ليس بشرط حقيقى وان كان معطوفا على الشرط فكانه تعالى لما اراد ان يبين وجوب الايمان وعمل الصالحات عطفه على ما هو واجب من اتقاء المحارم لاشتراكهما فى الوجوب وان لم يشتركا فى كونهما شروطا فى نفى الجناح فيمن يطعم وهذا توسع فى البلاغة يحار فيه العقل استحسانا واستغرابا انتهى كلامه وقد قيل ايضا فى الجواب عن ذلك ان المومن يصح ان يطلق عليه بانه لا جناح عليه والكافر مستحق للعقاب مغمور به فلا يطلق عليه هذا اللفظ وايضا فان الكافر قد سد على نفسه طريق معرفة التحريم والتحليل فلذلك يخص المؤمن بالذكر وقوله والله يحب المحسنين اى يريد ثوابهم واجلالهم واكرامهم وتبجيلهم ويروى انه قدامة بن مظعون شرب الخمر فى ايام عمر بن الخطاب فاراد ان يقيم عليه الحد فقال ليس على الذين امنوا وعملوا الصلحات جناح فيما طعموا الاية فاراد عمر ان يدرا عنه الحد فقال على عليه السلم اديروه على الصحابة فان لم يسمع احدا منهم قرا عليه اية التحريم فادروا عنه الحد وان كان قد سمع فاستتيبوه واقيموا عليه الحد فان لم يتب وجب عليه القتل **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ايات القراءة** قرا اهل الكوفة ويعقوب فجزاء مثل ما قتل بالاضافة وقرا اهل المدينة وابن عامر او كفارة بغير تنوين طعام على الاضافة والباقون او كفارة بالتنوين طعام بالرفع ولم يختلفوا فى مساكين انه جمع وروى فى الشواذ قراءة عبد الرحمن فجزاء منون مثلا بالنصب قراءة محمد بن على الباقر وجعفر بن محمد عليهما السلم يحكم به ذو عدل منكم **الحجة** قال ابو على حجة من رفع المثل انه صفة للجزاء والمعنى فعليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد وقوله من النعم على هذه القراءة صفة للنكرة التى هى جزاء وفيه ذكر له ولا ينبغى اضافة جزاء الى المثل لانه عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله ولا جزاء عليه لمثل المقتول الذى يقتله ولا يجوز ان يكون قوله من النعم على هذه القراءة متعلقا بالمصدر كما جاز ان يكون الجار متعلقا به فى قوله جزاء سيئة سيئة مثلها لانك قد وصفت الموصول واذا وصفته لم يجز ان تعلق به بعد الوصف شيئا كما انك اذا عطفت عليه او اكدته لم يجز ان تعلق به شيئا بعد العطف عليه والتاكيد له فاما فى قراءة من اضاف الجزاء الى المثل فان قوله من النعم يكون صفة للجزاء كما كان فى قول من نون ولم يضف صفة له ويجوز فيه وجه اخر لا يجوز فى قول من نون ووصف وهو ان تقدره متعلقا بالمصدر ولا يجوز على هذا القول ان يكون فيه ذكر كما يتضمن الذكر لما كان صفة وانما جاز تعلقه بالمصدر على قول من اضاف لانك لم تصف الموصول كما وصفته فى قول من نون فيمتنع تعلقه به ولما من اضاف الجزاء الى مثل فانه وان كان عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فانهم قد يقولون انا اكرم مثلك يريدون انا اكرمك فلذلك اذا قال فجزاء مثل ما قتل من النعم فالمراد جزاء ما قتل واذا كان كذلك كانت الاضافة فى المعنى كغير الاضافة ولو قدرت الجزاء تقدير المصدر فاضفته الى المثل كما تضيف المصدر الى المفعول به لكان جايزا فى قول من جر مثلا على الاتساع الذى ذكرنا الا ترى ان المعنى فجزاء مثل ما قتل على ما قراه ابو عبد الرحمن اى يجازى مثل ما قتل ومنه قول الشاعر بضرب بالسيوف رءوس قوم ازلنا هامهن عن المقيل لما نون المصدر اعمله واما الوجه فى قراءة من رفع طعام مساكين انه جعله عطفا على الكفارة عطف بيان لان الطعام هو الكفارة ومن اضاف الكفارة الى الطعام فلانه لما خير المكفر بين ثلاثة اشياء الهدى والطعام والصيام استجاز الاضافة لذلك فكانه قال كفارة طعام لا كفارة هدى او صيام فاستقامت الاضافة واما ذوا عدل فقد قال ابو الفتح فيه انه لم يوحد ذو لان الواحد يكفى لكنه اراد معنى من اى يحكم به من يعدل ومن يكون للاثنين كما يكون للواحد كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان واقول ان هذا الوجه الذى ذكره ابن جنى بعيد غير مفهوم وقد وجدت

فی تفسیر اهل البیت علیهم السلام منقولا عن السیدین علیهما السلام ان المراد بذی العدل رسول الله واولی الامر بعده وکفی بصاحب القراءة خیرا بمعنی قراءة تدا اللغة الابلاء الاختبار والامتحان واصله اظهار باطن الحال ومنه البلاء النعمة لانه یظهر به باطن حال المنعم علیه فی الشکر او الکفر والبلی الخلوقة لظهور تقادم العهد فیه والغیب ما غاب عن الحواس ومنه الغیبة وهو الذکر بظهر الغیب بالقبیح وحرم جمع حرام ورجل حرام ومحرم بمعنی وحلال ومحل کذلک واحرم الرجل دخل فی الشهر الحرام واحرم ایضا دخل فی الحرم واحرم اهل بالحج والحرم الاحرام ومنه الحدیث کنت اطیب النبی لحرمه واصل الباب المنع وسمیت النساء حرما لانها تمنع والمحروم الممنوع الرزق والمثل والمثل والشبه والشبه واحد والنعم فی اللغة هی الابل والبقر والغنم وان انفردة الابل قیل لها نعم وان انفردة الغنم والبقر لم یسم نعما ذکره الزجاج قال الفراء العدل بفتح العین ما عادل الشیء من غیر جنسه والعدل بالکسر المثل تقول عندی عدل غلامک او شاتک اذا کانت شاة تعدل شاة او غلاما تعدل غلاما فاذا اردت قیمته من غیر جنسه فتحت فقلت عدل وقال البصریون العدل والعدل فی معنی المثل کان من الجنس او من غیر الجنس والوبال ثقل الشیء فی المکروه منه قولهم طعام وبیل اذا کانا ثقیلین غیر نامیین فی المال ومنه قوله فاخذناه اخذا وبیلا ای ثقیلا شدیدا ویقال الخشبة القصار وبیل من هذا قال طرفة بن العبد فمرت کهاة ذات خیف جلالة عقیلة شیخ کالوبیل یلندد

الاعراب لیبلونکم هذه اللام لام القسم ومن فی قوله من الصید للتبعیض ویحتمل وجهین احدهما ان یکون عنی صید البر دون البحر والاخر ان یکون لما عنی الصید ما داموا فی الاحرام وکان ذلک بعض الصید ویجوز ان یکون من لتبیین الجنس کما یقول لا امتحننک بشیء من الورق ای لا امتحننک بالجنس الذی هو ورق کقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان والاوثان کلها رجس فالمعنی اجتنبوا الرجس الذی هو وثن واراد بالصید المصید بدلالة قوله تناله ایدیکم ورماحکم ولو کان الصید مصدرا یکون حدثا فلا یوصف بنیل الید والرمح وانما یوصف بذلک ما کان عینا وقوله بالغیب فی محل النصب علی الحال والمعنی من خافه غایبا کما فی قوله من خشی الرحمن بالغیب ویخشون ربهم بالغیب وقوله وانتم حرم فی موضع نصب علی الحال هدیا بالغ الکعبة منصوب علی الحال والمعنی مقدرا ان یهدی قال الزجاج قال وبالغ الکعبة لفظه لفظ معرفة ومعناه للنکرة ای بالغا للکعبة وحذف التنوین استخفافا واقول یعنی بذلک ان هذه الاضافة لفظیة غیر محضة فیکون فی تقدیر الانفصال والمضاف الیه وان کان مجرورا فی اللفظ فهو منصوب فی المعنی لکن لما حذف التنوین من الاول طلبا للخفة انجر الثانی فی اللفظ وقوله صیاما منصوب علی التمییز المعنی ومثل ذلک من الصیام وقوله فینتقم الله منه فیه اضمار مقدر کانه قال ومن عاد فهو ینتقم الله منه لان الفاء لا تدخل فی جواب الشرط علی الفعل اذا کان مستغنی عنه مع الفعل ویکون موضع الفاء مع ما بعده جزما

المعنی لما تقدم فی اول السورة تحریم الصید علی المحرم مجملا بین سبحانه ههنا ذلک مفصلا فقال یا ایها الذین امنوا خص المومنین بالذکر وان کان الکفار ایضا مخاطبین بالشرایع لانهم القابلون لذلک المنتفعون به وقیل لانه لم یعتد بالکفار لیبلونکم الله ای لیختبرن الله طاعتکم من معصیتکم بشیء من الصید ای بتحریم شیء من الصید وانما بعض لانه عنی صید البر خاصة عن الکلبی وقد ذکرناه قبل مفسرا ومعنی الاختبار من الله تعالی ان یامر وینهی لیظهر المعلوم ویصح الجزاء قال اصحاب المعانی امتحن الله امة محمد صلی الله علیه وآله بصید البر کما امتحن امة موسی علیه السلام بصید البحر تناله ایدیکم ورماحکم وقیل فیه اقوال احدها ان المراد تحریم صید البر والذی تناله الایدی فراخ الطیر وصغار الوحش والبیض والذی تناله الرماح الکبار من الصید عن ابن عباس ومجاهد وهو المروی عن ابی عبد الله علیه السلام وثانیها ان المراد به صید الحرم ینال بالایدی والرماح لانه یانس بالناس ولا ینفرهم فیه کما ینفر فی غیر الحرم وذلک آیة من آیات الله عن ابی علی الجبائی وثالثها ان المراد به ما قرب من الصید وما بعد لیعلم الله من یخافه بالغیب معناه لیعاملکم معاملة من یطلب ان یعلم مظاهرة فی العدل ووجه اخر لیظهر المعلوم وهو ان یخاف بظهر الغیب فینتهی عن صید الحرم طاعة له سبحانه وقیل لیعلم وجود خوف من یخافه بالوجود لانه لم یزل عالما بانه سیخاف فاذا وجد الخوف علم ذلک موجودا وهما معلوم واحد وان اختلفت العبارة عنه فالحدوث انما یدخل علی الخوف لا علی العلم وقوله بالغیب معناه فی حال الخلوة والتفرد وقیل معناه ان یخشی عقابه اذا تواری

بحیث

بحیث لا یقع علیه الحس عن الحسن قال ابو القسم البلخی ان الله تعالی وان کان عالما بما یفعلونه فیما لم یزل فانه لا یجوز ان یثیبهم ولا یعاقبهم علی ما یعلمه منهم وانما یستحقون ذلک اذا علمه واقعا منهم علی الوجه الذی کلفهم علیه فاذا لا بد من التکلیف والابتلاء فمن اعتدی بعد ذلک ای من تجاوز حد الله وخالف امره بالصید فی الحرم وفی حال الاحرام فله عذاب الیم ای مولم ثم ذکر سبحانه عقیب ذلک ما یجب علی هذا الاعتداء من الجزاء فقال یا ایها الذین امنوا لا تقتلوا الصید اختلف فی المعنی بالصید فقیل هو کل الوحش اکل ام لم یوکل وهو قول اهل العراق واستدلوا بقول علی علیه السلام صید الملوک ارانب وثعالب واذا رکبت فصیدی الابطال وهو مذهب اصحابنا وقیل هو کل ما یوکل لحمه وهو قول الشافعی وانتم حرم ای وانتم محرمون بحج او عمرة وقیل معناه وانتم فی الحرم قال الجبائی الایة تدل علی تحریم قتل الصید علی الوجهین معا وهو الصحیح وقال علی بن عیسی یدل علی الاحرام بالحج او بالعمرة فقط ومن قتله منکم متعمدا قیل هو ان یتعمد القتل ناسیا لاحرامه عن الحسن ومجاهد وابن زید وابن جریح وابرهیم قالوا فاما اذا تعمد القتل ذاکرا لاحرامه فلا جزاء فیه لانه اعظم من ان یکون له کفارة وقیل هو ان یتعمد القتل وان کان ذاکرا لاحرامه عن ابن عباس وعطاء والزهری وهو قول اکثر الفقهاء فاما اذا قتل الصید خطاء او ناسیا فهو کالمتعمد فی لزوم الجزاء علیه وهو مذهب عامة اهل التفسیر والعلم وهو المروی عن ائمتنا علیهم السلام قال الزهری نزل القران بالعمد وجرت السنة فی الخطاء فجزاء مثل ما قتل من النعم قد ذکرنا معناه فی القراءتین قال الزجاج ویجوز ان یکون المعنی فجزاء ذلک الفعل مثل ما قتل فیکون جزاء مبتداء ومثل خبره واختلف فی هذه المماثلة اهی فی القیمة او الخلقة فالذی علیه معظم اهل العلم ان المماثلة معتبرة فی الخلقة ففی النعامة بدنة وفی حمار الوحش وشبهه بقرة وفی الظبی والارنب شاة وهو المروی عن اهل البیت علیهم السلام وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والسدی وعطاء والضحاک وغیرهم وقال ابرهیم النخعی یقوم الصید قیمة عادلة ثم یشتری بثمنه مثله من النعم فاعتبر المماثلة بالقیمة والصحیح القول الاول یحکم به ذوا عدل منکم قال ابن عباس یرید یحکم فی الصید فی الجزاء رجلان صالحان ای من اهل ملتکم ودینکم فقیهان عدلان فینظران الی اشبه الاشیاء به من النعم فیحکمان به هدیا بالغ الکعبة ای یهدیه هدیا یبلغ الکعبة قال ابن عباس یرید اذا اتی مکة ذبحه وتصدق به وقال اصحابنا ان کان اصاب الصید وهو محرم بالعمرة ذبح جزاءه او نحره بمکة قبالة الکعبة وان کان محرما بالحج ذبحه او نحره بمنی او کفارة طعام مساکین قیل فی معناه قولان احدهما ان یقوم عدله من النعم ثم یجعل قیمته طعاما ویتصدق به عن عطاء وهو الصحیح والاخر ان تقوم الصید المقتول حیا ثم یجعل طعاما عن قتادة او عدل ذلک صیاما وفیه ایضا قولان احدهما یصوم عن کل مد یقوم من الطعام یوما وهو المروی عن ائمتنا علیهم السلام وهو مذهب ابی حنیفة واختلفوا فی هذه الکفارات الثلث فقیل انها مرتبة عن ابن عباس والشعبی والسدی قالوا وانما دخلت او لانه لا یخرج حکمه عن احدی الثلث وقیل انها علی التخییر عن ابن عباس فی روایة اخری وعطاء والحسن وابرهیم وهو مذهب ابی حنیفة والشافعی وکلا القولین رواه اصحابنا لیذوق وبال امره ای عقوبة ما فعله فی الاخرة ان لم یتب وقیل معناه لیذوق وخامة عاقبة امره وثقله بما یلزمه من الجزاء فان سال سائل فقال کیف یسمی الجزاء وبالا وانما هی عبادة واذا کانت عبادة فهی نعمة ومصلحة فالجواب ان الله سبحانه شدد علیه التکلیف بعد ان عصاه فثقل ذلک علیه کما حرم الشحم علی بنی اسرائیل لما اعتدوا فی السبت فثقل ذلک علیهم وان کان مصلحة لهم عفا الله عما سلف من امر الجاهلیة عن الحسن وعطاء وقیل عفا الله عما سلف من الدفعة الاولی فی الاسلام ای قبل التحریم ومن عاد فینتقم الله منه ای من عاد الی قتل الصید محرما فان الله سبحانه یکافیه عقوبة بما صنع واختلف فی لزوم الجزاء بالمعاودة فقیل انه لا جزاء علیه عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر فی روایات اصحابنا وقیل انه یلزمه الجزاء عن عطاء وسعید بن جبیر وابرهیم وبه قال بعض اصحابنا والله عزیز ذو انتقام معناه قادر لا یغلب ذو انتقام ینتقم ممن یتعدی امره ویرتکب نهیه

قوله عز وجل اُحِلَّ لَکُمْ صَیْدُ الْبَحْرِ وَطَعامُهُ مَتاعاً لَکُمْ وَلِلسَّیّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَیْکُمْ صَیْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ

ایة

اللغة عنی بالبحر جمیع المیاه والعرب تسمی النهر بحرا ومنه قوله ظهر الفساد فی البر والبحر والاغلب علی البحر ان یکون ماوه ملحا ولکن اذا اطلق دخل فیه الانهار

عن عطاء هی مذهب الشافعی والاخر ان یصوم عن کل مد یوما

والسيارة المسافرون الاعراب متاعا نصب على المصدر لان قوله احل لكم يدل على انه قد متعهم به كما انه لما قال حرمت عليكم امهاتكم
كان دليلا على انه كتب عليهم فقال كتاب الله عليكم المعنى ثم بين سبحانه ما يحل من الصيد وما لا يحل فقال احل لكم صيد البحر
اى ابيح لكم صيد الماء وانما احل بهذه الاية الطرى من صيد البحر لان العتيق لا خلاف فى كونه حلالا عن ابن عباس وزيد بن ثابت
وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد وطعامه يعنى طعام البحر ثم اختلف فيه فقيل يريد به ما قذفه البحر ميتا عن ابن
عباس وابن عمر وقتادة وقيل يريد به المملوح عن ابن عباس فى رواية اخرى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ومجاهد وهو الذى
يليق بمذهبنا فانما سمى طعاما لانه يدخر ليطعم فصار كالمقتات من الاغذية فيكون المراد بصيد البحر الطرى وبطعامه المملوح
لان عندنا لا يجوز اكل ما يقذفه البحر ميتا المحرم ولغير المحرم وقيل المراد بطعامه ما ينبت بمائه من الزروع والثمار متاعا
لكم وللسيارة قيل معناه منفعة للمقيم والمسافر عن قتادة وابن عباس والحسن وقيل لاهل الامصار واهل القرى وقيل للمحل و
المحرم وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما هذا يقتضى تحريم الاصطياد فى حال الاحرام وتحريم اكل ما صاده الغير وبه قال علي وابن
عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وقيل ان لحم الصيد لا يحرم على المحرم اذا اصاده غيره عن عمر وعثمن والحسن والصيد قد
يكون عبارة عن المصيد فيكون اسما ويجب حمل الاية على الامرين وتحريم الجميع واتقوا الله الذى اليه تحشرون هذا امر منه
تعالى بان يتقى جميع معاصيه ويجتنب جميع محارمه لان اليه الرجوع فى الوقت الذى لا يملك احد فيه الضر والنفع سواه وهو
يوم القيمة فيجازى المحسن باحسانه والمسئ باساءته قوله عز وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس و
الشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ
عليم اية القراءة قرا ابن عامر وحده قيما للناس بغير الف والباقون قياما بالالف الحجة القيام مصدر كالصيام والعياذ
واما القيم فيجوز ان يكون مصدرا كالشبع ويجوز ان يكون حذف الالف من القيام كما يقصر الممدود وهذا انما يجوز فى الشعر
دون حال السعة واذا كان مصدرا فانما اعل ولم يصح كما صح العوض والحول لان المصدر يعل اذا اعتل فعله لان المصدر
يجرى على فعله فاذا صح حرف العلة فى الفعل صح فى مصدره نحو اللواذ والجواذ واذا اعتل فى الفعل اعتل فى مصدره نحو الصيام و
القيام اللغة سميت الكعبة كعبة لتربيعها اياه الاربع والكعوبة النتو ومنه كعب الانسان لنتوه وكعبت المراءة اذا انتاثديها
وكعبت بمعناه والعرب تسمى كل بيت مربع كعبة وقيل سميت كعبة لانفرادها من البنيان وهذا ايضا يرجع الى الاول لان المنفرد
من البنيان كعبة لنتوه من الارض قال الرمانى والبيت الحرام سمى بذلك لان الله تعالى حرم ان يصاد عنده وان يعضد
شجره وان يختلى خلاه ولانه عظم حرمته وفى الحديث مكتوب فى اسفل المقام انى انا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات
والارض ويوم وضعت هذين الجبلين وحففتها بسبعة املاك حنفا من جاءنى زائرا لهذا البيت عارفا بحقه مذعنا
لى بالربوبية حرمت جسده على النار المعنى لما ذكر سبحانه حرمة الحرم عقبه بذكر البيت الحرام والشهر الحرام فقال جعل الله الكعبة
البيت الحرام اى جعل الله حج الكعبة او نصب الكعبة قياما للناس اى لمعايش الناس ومكاسبهم لانه مصدر قاموا
كان المعنى قاموا بنصبه ذلك لهم فاستتبت معايشهم بذلك واستقامت احوالهم به لما يحصل لهم فى زيارتها من التجارة
وانواع البركة ولهذا قال سعيد بن جبير من اتى هذا البيت اريد شيئا للدنيا والاخرة اصابه وهو المروى عن ابى عبد الله
عليه السلم وقال ابن عباس معناه جعل الله الكعبة امنا للناس بهم لو تركوه عاما واحدا لا يحجونه ما نوظروا ان يهلكوا
عن عطا ورواه على بن ابرهيم عنهم عليهم السلم قال ما دامت الكعبة يحج اليها الناس لم يهلكوا فاذا هدمت وتركوا الحج هلكوا و
الشهر الحرام يعنى الاشهر الحرم الاربعة واحد فرد وثلاثة سرد فالفرد رجب والسرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وانما
خرج مخرج الواحد لانه ذهب به مذهب الجنس وهو عطف على المفعول الاول لجعل كما يقال ظننت زيدا منطلقا و
عمرا والهدى والقلائد مر ذكرهما فى اول السورة وانما ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت لانها من اسباب حج البيت فقد خلت
فى جملته وذكرت معه وكان اهل الجاهلية لا يغزون فى الاشهر الحرم وكانوا ينصلون فيها الاسنة ويتوزع الناس الى

معايشهم

معايشهم وكان الرجل يقلد بعيره او نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف وكانوا قد توارثوا من دين اسمعيل عليه السلم
فبقوا عليه رحمة من الله لخلقه الى ان قام الاسلام فحجزهم عن البغى والظلم قال ابو بكر بن الانبارى قد حصل فى الاية طريقان
احدهما ان الله تعالى امتن على المسلمين بان جعل الكعبة صلاحا لدينهم ودنياهم وقياما لهما والثانى انه اخبر عما
فعله من امر الكعبة فى الجاهلية ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وان الله بكل شئ عليم قد اعترض
على هذا فقيل اى تعلق لهذا بقوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والجواب عنه من وجوه احدها ان فيما جعله
الله تعالى فى البيت الحرام والشهر الحرام من الايات والاعاجيب دلالة على انه تعالى لا يخفى عليه شئ وذلك انه جعل الحرم
امنا يسكن فيه كل شئ فالظبى يانس فيه بالسبع والذئب ما دام فى الحرم فاذا اخرج من الحرم خاف وطلبه السبع وهرب
منه الظبى حتى يرجع الى الحرم فاذا رجع اليه كف عنه السبع وكذلك الطير والحمام يانس بالانسان فاذا اخرج من الحرم خاف
مع امور كثيرة وعجايب شهيرة ذكرنا بعضها فى اول ال عمران عند قوله فيه ايات بينات فيكون ما دبره الله سبحانه من ذلك
دلالة على انه عالم بمصالح الخلق وبكل شئ وثانيها انه سبحانه علم ان العرب يكونون اصحاب عداوات وطوايل وانهم يكونون
حوالى الكعبة فلما خلق السموات والارض جعل الكعبة موضع امن وعظم حرمتها فى القلوب وبقيت تلك الحرمة الى يومنا
هذا فلولا كونه سبحانه عالما بالاشياء قبل كونها لما كان هذا التدبير وفقا للصلاح وثالثها انه تعالى لما اخبر فى هذه السورة
بقصة موسى وعيسى والتورية والانجيل وما فيهما من الاحكام والاخبار وذلك كله مما لم يشاهده نبينا محمد صلى الله عليه
واله ولا احد فى عصره قال فيما بعد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ومعناه لولا انه سبحانه بكل شئ عليم لما جاز ان يخبركم عنهم
فقوله ذلك اشارة الى ما انباهم من علم الغيب والعلم بالكاينات قوله عز وجل اعلموا ان الله شديد العقاب و
ان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اية اللغة العلم ما اقتضى سكون
النفس وان شئت قلت هو اعتقاد الشئ على ما هو به مع سكون النفس الى ما اعتقده والاول اوجز ولا يجوز ان يحد العلم بالمعرفة
لان المعرفة هى العلم فكيف يحد الشئ بنفسه والعلم يتناول الشئ على ما هو به وكذلك الرؤية والفرق بينهما ان العلم يتعلق
بالمعلوم على وجوه والرؤية لا يتعلق بالمرئى الا على وجه واحد والعلم معنى يحل القلب والرؤية ليست معنى على الحقيقة لكن المرائى صفة
بكونه رائيا والعقاب هو الضرر المستحق المقارن للاستخفاف والاهانة ولو اختصرت على ان تقول هو الضرر المستحق لكان كافيا وكذلك لو قلت
هو الضرر الذى يقارنه استخفاف واهانة لكفى وانما سمى عقابا لانه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه والمغفرة هى ستر الخطيئة
برفع عقابها واصل الرسول من الارسال وهو الاطلاق يقال ارسل الطير اذا اطلقه وترسل فى القراءة اذا اثبت فيها واسترسل
الشئ اذا تسلس والرسل اللبن لاسترساله من الضرع والفرق بين الارسال والانباء ان الانباء عن الشئ قد يكون من غير
تحميل النبأ والارسال لا يكون الا بتحميل الرسالة والبلاغ الرسالة والبلاغ وصول المعنى الى غيره وهو ههنا وصول الانذار الى
نفوس المكلفين واصل البلاغ البلوغ ومنه البلاغة وهى ايصال المعنى الى النفس فى حسن صورة من اللفظ والبلاغ الكفاية
لانه يبلغ مقدار الحاجة المعنى لما تقدم بيان الاحكام عقبه بذكر الوعد والوعيد فقال اعلموا ان الله شديد العقاب
لمن عصاه وان الله غفور رحيم لمن تاب واناب واطاع وجمع بين المغفرة والرحمة ليعلم انه لا يقتصر على وضع العقاب عنه بل ينعم
عليه بفضله ولما انذر وبشر فى هذه الاية عقبها بقوله ما على الرسول الا البلاغ اى ليس على الرسول الا اداء الرسالة وبيان
الشريعة فاما القبول والامتثال فانه يتعلق بالمكلفين المبعوث اليهم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اى لا يخفى عليه شئ
من احوالكم التى تظهرونها وتخفونها وفيه غاية الزجر والتهديد وفى قوله سبحانه اعلموا ان الله شديد العقاب الاية
دلالة على وجوب معرفة العقاب والثواب لكونها لطفا فى باب التكليف قوله عز وجل قل لا يستوى الخبيث والطيب
ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولى الالباب لعلكم تفلحون اية اللغة الاستواء على اربعة اقسام استواء
فى المقدار واستواء فى المكان واستواء فى الذهاب واستواء فى الانفاق والاستواء بمعنى الاستيلاء راجع الى الاستواء فى

المكان لانه تمكن واقتدار والخبيث اصله الردى ماخوذ من خبث الحديد وهو رديه بعد ما تخلص بالنار بجيده فبقى الجوهر
امتزاج جيد بردى والاعجاب سرور بما يتعجب منه والعجب والاعجاب والتعجب من اصل واحد والعجب مذموم لانه كبر يدخل على النفس
بحال يتعجب منها وعجب الذنب اصله وعجوب الرمل اخره لانفراده عن جملة كانفراد ما يتعجب منه المعنى لما بين سبحانه الحلال
والحرام بين انهما لا يستويان فقال سبحانه قل يا محمد لا يستوى اى لا يتساوى الخبيث والطيب اى الحرام والحلال عن الحسن والجبائى
وقيل الكافر والمومن عن السدى ولو اعجبك ايها السامع او ايها الانسان كثرة الخبيث اى كثرة ما تراه من الحرام لانه لا يكون
فى الكثير من الحرام بركة ويكون فى القليل من الحلال بركة وقيل ان الخطاب للنبى عليه السلم والمراد امته فاتقوا الله اى اجتنبوا ما حرم
الله تعالى عليكم يا اولى الالباب اى يا ذوى العقول لعلكم تفلحون اى لتفلحوا وتفوزوا بالثواب العظيم والنعيم المقيم قوله عز وجل
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَ
اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ آية اللغة ابدى الشئ اذا اظهره وبدا يبدوا بدوا اذا ظهر وبدا له بداء اذا تغير رايه لانه ظهر له والبادية خلاف
الحاضرة والبدو خلاف الحضر من الظهور الاعراب اشياء فى موضع جر الا انها فتحت لانها لا تنصرف قال الكسائى اشبه اخرها
اخر حمراء وكثر استعمالها فلم تصرف وقد اجمع البصريون على ان قوله هذا خطاء والزموه ان لا ينصرف ابناء واسماء وقال الخليل ان
اشياء اسم للجمع كان اصله شيئاء فعلاء مثل الطرفاء والقصباء والحلفاء فى انها على لفظ الاحاد والمراد الجمع فاستثقلت الهمزتان بينهما
الف وليس بحاجز قوى لاجل انه ساكن ومن جنس الهمزة الا تراه يعود اليها اذا تحركت فقدموا الهمزة التى هى لام الفعل الى اول
الكلمة فقالوا اشياء ووزنها لفعاء كما قالوا فى انوق اينق وفى قوس قسى وهو مذهب سيبويه والمازنى وجميع البصريين قالوا
الدلالة على ان اشياء اسم مفرد ما روى من تكسيرها على اشاوى كما كسر صحراء على صحارى حيث كانت مثلها فى الافراد وقال
الاخفش ابو الحسن سعيد بن مسعدة والفراء اصل اشياء اشيئاء على افعلاء فحذفت الهمزة التى هى لام كما حذفت من قولهم سواية
حيث قالوا سوائة ولزم حذفها فى افعلاء لامرين احدهما تقارب الهمزة واذا كانوا قد حذفوا الهمزة مفردة فاذا تكررت لزم الحذف
والاخر ان الكلمة جمع وقد يستثقل فى الجمع ما لا يستثقل فى الاحاد فوزن اشياء على هذا القول افعاء وذكروا ان المازنى ناظر
الاخفش فى هذا الباب فسأله كيف يصغر اشياء فقال اشيياء فقال له لو كانت افعلاء لردت فى التصغير الى واحدها فيقال
شييات كما قالوا فى تصغير اصدقاء صديقات فقطع الاخفش واجاب عنه ابو على الفارسى فقال ان افعلاء فى هذا الموضع جاز
تحقيرها وان لم يجز فى غير هذا الموضع لانها صارت بدلا من افعال بدلالة استجازتهم اضافة العدد القليل اليها كما اضيف
الى افعال ويدل على كونها بدلا من افعال تذكيرهم العدد المضاف اليها نحو ثلثة اشياء فجاز تصغيرها كما يجوز تصغير افعال
وقوله ان تبد لكم تسؤكم جملة شرطية فى موضع جر لكونها صفة لاشياء النزول اختلف فى نزولها فقيل سال الناس رسول الله حتى
احفوه بالمسالة فقام مغضبا خطيبا وقال سلونى فوالله لا تسألونى عن شئ الا انبئته لكم فقام رجل من بنى سهم يقال له عبد الله بن
حذافة وكان يطعن فى نسبه فقال يا نبى الله من ابى فقال ابوك حذافة بن قيس فقام اليه رجل اخر فقال يا رسول الله اين ابى
فقال فى النار فقام عمر بن الخطاب وقبل رجل فقال يا رسول الله فقال انا يا رسول الله حديث عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا عفا الله عنك فسكن
غضبه فقال اما والذى نفسى بيده لقد صورت لى الجنة والنار انفا فى عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم فى الخير والشر عن الزهرى وقتادة
عن انس وقيل كان قوم يسألون رسول الله استهزاء مرة وامتحانا مرة فيقول له بعضهم من ابى ويقول الاخر اين ابى ويقول الاخر
اذا اضلت ناقته اين ناقتى فانزل الله هذه الاية عن ابن عباس وقيل خطب رسول الله صلى الله عليه واله فقال ان الله كتب
عليكم الحج فقام عكاشة بن محصن ويروى سراقة بن مالك افى كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى عاد مرتين او ثلثا فقال
رسول الله صلى الله عليه واله ويحك وما يومنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم
فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم فاذا
نهيتكم عن شئ فاجتنبوه عن على بن ابى طالب وابى امامة الباهلى وقيل نزلت حين سالوا رسول الله عن البحيرة والسائبة والوصيلة

ومنه قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما عملوا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ولم يجئ فى اقوال العرب البداء بمعنى الندامة وتغير الراى واذا كان لفظ البداء يطلق على الله سبحانه فالمراد به الارادة والظهور دون ما يظن قوم من الجهال وعليه يشهد اقوال العرب واشعارهم نحو ذلك قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمى اصم واذنى غير صماء وامثال ذلك والله اعلم

والحامى عن مجاهد المعنى يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم خاطب الله بها المومنين ونهاهم عن المسئلة
عن اشياء لا يحتاجون اليها فى الدين اذا ابديت واظهرت ساءت وحزنت وذلك نحو ما مضى ذكره من الرجل الذى سال
عن ابيه واشباه ذلك من امور الجاهلية وقيل ان تقديره لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ان تبد لكم تسؤكم فقدم واخر
فعلى هذا يكون قوله عفا الله عنها ان تبد لكم تسؤكم صفة الاشياء ايضا ومعناه كف الله عن ذكرها ولم يوجب فيها حكما و
كلام الزجاج يدل على هذه الاية قال الله اعلم عز وجل ان السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغى ان يقع فانه اذا ظهر فيه الجواب
ساء ذلك وخاصة فى وقت سؤال النبى صلى الله عليه واله على جهة تبيين الايات فنهى الله عز وجل عن ذلك واعلم انه قد
عفا عنها ولا وجه لمسالة ما عفا الله عنه ولعل فيه فضيحة على السائل ان ظهر والى هذا المعنى اشار امير المومنين عليه السلم وفى
قوله ان الله افترض عليكم فرايض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم
عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها وقال مجاهد كان ابن عباس اذا سئل عن الشئ لم يجئ فيه اثر يقول هو من المعفو
ثم يقرأ هذه الاية وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم معناه وان الححتم وسالتم عنها عند نزول القران اظهر لكم جوابها اذا لم
تقصد العنت على محمد فلا تتكلفوا السؤال عنها فى الحال وقيل معناه وان تسألوا عن اشياء حين ينزل القران تحتاجون اليها فى الدين
من بيان محمد ونحو ذلك يكشف لكم وهذه الاشياء غير الاشياء الاولى لانه قال وان تسألوا عنها لانه كان قد سبق ذكر الاشياء
وقيل ان الهاء راجعة الى الاشياء الاولى فبين لهم انكم ان سالتم عنها عند نزول القران فى الوقت الذى ياتيه الملك بالقران
فى الوقت الذى يظهر لكم ما يسألون عنه فى ذلك الوقت فلا تسألوه ودعوه مستورا ثم قال عفى الله عن مسئلتكم التى سلفت
منكم مما كره النبى صلى الله عليه واله لانه غفور حليم فلا تعودوا الى مثلها وهذا قول ابن عباس فى رواية عطا واما على ما ذكرنا
من ان قوله عفا الله عنها على التقديم فيكون تقدير الاية لا تسألوا عن اشياء ترك الله ذكرها وبيانها لانكم لا تحتاجون اليها
فى التكليف ان تظهر لكم تحزنكم وتغمكم وقال بعضهم انها نزلت فيما سالت الامم انبياءها من الايات ويؤيده الاية التى بعدها
النظم وقيل فى اتصال هذه الاية بما قبلها وجوه احدها انها يتصل بقوله تفلحون لان من الفلاح ترك السؤال عما لا يحتاج
اليه وثانيها انها يتصل بقوله ما على الرسول الا البلاغ فانه يبلغ ما فيه المصلحة فلا تسألوه عما لا يعنيكم وثالثها انها يتصل
بقوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون اى لا تسألوه فيظهر سرائركم قوله عز وجل قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا
كَافِرِينَ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ آيتان اللغة البحر الشق وبحرت اذن الناقة ابحرها بحرا اذا شققتها شقا واسعا والناقة
بحيرة وهى فعيلة بمعنى المفعولة مثل النطيحة والذبيحة واصل الباب السعة وسمى البحر بحرا لسعته وفرس بحر واسع الجرى وفى
الحديث انه عليه السلم قال لفرس له وجدته بحرا والسائبة فاعلة من ساب الماء اذا جرى على وجه الارض ويقال سيبت
الدابة اى تركتها تسيب حيث شاءت ويقال للعبد يعتق ولا ولاء عليه لمعتقه سائبة لانه يضع ماله حيث شاء واصله المخلاة وهى
المسيبة اخذت من قولهم سابت الحية وانسابت اذا مضت مستمرة والوصل نقيض الفصل ولعن رسول الله صلى الله عليه واله
الواصلة وهى التى تصل شعر المرأة بشعر اخر فالوصيلة بمعنى الموصولة كانها وصلت بغيرها ويجوز ان يكون بمعنى الواصلة
لانها وصلت اخاها وهذا اظهر فى الاية وانشد اهل اللغة فى البحيرة محرمة لا ياكل الناس لحمها ولا نحن فى شئ كذاك البحائر
وانشدوا فى السائبة وسائبة لله مالى تشكرا ان الله عافى عامرا ومجاشعا وانشدوا فى الوصيلة لتابط شرا اجدك
ما كنت فى الناس ناعقا تراعى بأعلى ذى المجاز الوصائلا وانشدوا فى الحام حماها ابو قابوس فى عز ملكه كما قد حمى اولاد
اولاده الفحل المعنى ثم اخبر سبحانه ان قوما سالوا مثل سؤالهم فلما اجيبوا الى ما سالوا كفروا فقال قد سالها قوم
من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين وفيه اقوال احدها انهم قوم عيسى لما انزل المائدة ثم كفروا بها عن ابن عباس وثانيها انهم
قوم صالح سالوه الناقة ثم عقروها وكفروا بها وثالثها انهم قريش حين سالوا النبى عليه السلم ان يحول الصفا ذهبا عن السدى

عنها اى عفى الله عن تبعة سؤالكم وتكون تقديره عفى الله م

ورابعها انهم كانوا سالوا النبي عليه السلم عن مثل هذه الاشياء يعني من ابي ونحوه فلما اخبرهم بذلك قالوا ليس الامر كذلك
فكفروا به فيكون على هذا نهيا عن سوال النبي عليه السلم عن انساب الجاهلية لانهم لو سالوا عنها ربما ظهر الامر فيها على خلاف حكمهم
فيحملهم ذلك على تكذيبه عن ابي علي الجبائي فان قيل ما الذي يجوز ان يسال عنه وما الذي لا يجوز فالجواب ان الذي لا يجوز
السوال عنه هو ما لا يجوز العمل عليه في الامور الدينية او الدنيوية وما لا يجوز العمل عليه في امور الدين والدنيا لا يجوز السوال
عنه فعلى هذا لا يجوز ان يسال الانسان من ابي لان المصلحة قد اقتضت ان الحكم على كل من ولد على فراش انسان
بانه ولده وان لم يكن مخلوقا من مائه فالمسئلة بخلاف ذلك سفه لا تجوز ثم ذكر تعالى الجواب عما سالوه عنه وقيل انه لما تقدم ذكر الحلال
والحرام بين حال ما يعتقده اهل الجاهلية من ذلك فقال ما جعل الله من بحيرة يريد من ذلك ما حرمها على ما حرمها اهل الجاهلية
ولا امر بها والبحيرة هي الناقة كانت اذا انتجت خمسة ابطن وكان اخرها ذكرا بحروا اذنها وامتنعوا من ركوبها ونحرها ولا تطرد عن
عن ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها عن الزجاج وقيل انهم كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن نظروا
في البطن الخامس فان كان ذكرا نحروه فاكله الرجال والنساء جميعا وان كانت انثى شقوا اذنها فتلك البحيرة ثم لا يجزلها
وبر ولا يذكر عليها اسم الله ان ركبت ولا يحمل عليها وحرم على النساء ان يذقن من لبنها شيئا ولا ان ينتفعن بها وكان
لبنها ومنافعها للرجال خاصة دون النساء حتى تموت فاذا ماتت اشترك الرجال والنساء في اكلها عن ابن عباس وقيل
ان البحيرة بنت السايبة عن محمد بن اسحق ولا سائبة وهي ما كانوا يسيبونه فان الرجل اذا نذر لقدوم من سفر او لبرء من
علة وما اشبه ذلك قال ناقتي سايبة فكانت كالبحيرة في ان لا ينتفع بها وان لا تخلا عن ماء ولا تمنع من مرعى عن الزجاج
وهو قول علقمة وقيل هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما شاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم الهتهم
فيطعمون من لبنها ابناء السبيل ونحو ذلك عن ابن عباس وابن مسعود وقيل ان السايبة هي الناقة اذا تابعت بين عشر اناث
ليس فيهن ذكر سيبت فلم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم خلي
سبيلها مع امها وهي البحيرة عن محمد بن اسحق ولا وصيلة وهي في الغنم كانت الشاة اذا ولدت انثى فهي لهم واذا ولدت
ذكرا جعلوه لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم عن الزجاج وقيل كانت الشاة اذا ولدت
سبعة ابطن فان كان السابع جديا ذبحوه لالهتهم ولحمه للرجال دون النساء وان كان عناقا استحيوها وكانت من عرض الغنم
وان ولدت في البطن السابع جديا وعناقا قالوا ان الاخت وصلت اخاها فحرمت علينا حرما جميعا فكانت المنفعة واللبن
للرجال دون النساء عن ابن مسعود ومقاتل وقيل الوصيلة الشاة اذا اتامت عشر اناث في خمسة ابطن ليس فيها ذكر جعلت
وصيلة فقالوا قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الاناث عن محمد بن اسحق ولا حام وهو الذكر من الابل
كانت العرب اذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يحمل عليه فلا يمنع من ماء ولا مرعى عن ابن عباس
وابن مسعود وهو قول ابي عبيدة والزجاج وقيل انه الفحل اذا لقح ولد ولده قيل حمى ظهره فلا يركب عن الفرا اعلم الله تعالى
انه لم يحرم من هذه الاشياء شيئا وقال المفسرون روى ابن عباس عن النبي عليه السلم ان عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف كان
قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السايبة ووصل
الوصيلة وحمى الحامي قال رسول الله عليه السلم فلقد رايته في النار يوذي اهل النار ريح قصبه ويروى يجر قصبه
في النار ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب هذا اخبار منه تعالى ان الكفار يكذبون على الله بادعائهم ان هذه
الاشياء من فعل الله تعالى او امره واكثرهم لا يعقلون خص الاكثر بانهم لا يعقلون لانهم اتباعهم لا يعقلون ان ذلك
كذب وافتراء كما يعقله الروسا عن قتادة والشعبي وقيل معناه ان اكثرهم لا يعقل ما حرم عليهم وما حلل لهم يعني
ان المعاند هو الاقل منهم عن ابي علي الجبائي وفي هذه الاية دلالة على بطلان مذهب المجبرة لانه تعالى نفى ان يكون
جعل البحيرة وغيرها وعندهم انه تعالى هو الجاعل لذلك والخالق له ثم بين ان هؤلاء قد كفروا بهذا القول وافتروا على الله

الكذب

الكذب بان اضافوا اليه ما ليس بفعل له وهذا واضح قوله عز وجل وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ
وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ اية المعنى
ثم اخبر تعالى عن الكفار الذين جعلوا البحيرة وغيرها ويفترون على الله الكذب من كفار قريش وغيرهم فقال
واذا قيل لهم تعالوا اي هلموا الى ما انزل الله من القران واتباع ما فيه والاقرار بصحته والى الرسول وتصديقه
والاقتداء به وبافعاله قالوا في الجواب عن ذلك حسبنا اي كفانا ما وجدنا عليه اباءنا يعني مذاهب ابائنا ثم اخبر
تعالى منكرا عليهم او لو كان اباؤهم اي انهم يتبعون اباءهم فيما كانوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان وان كان
اباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون اليه وقيل في معنى لا يهتدون قولان احدهما انهم يذمهم بانهم ضلال
والاخر بانهم عمي عن الطريق فلا يهتدون طريق العلم وفي هذه الاية دلالة على فساد التقليد وانه لا يجوز العمل في شيء
من امور الدين الا بحجة وفي هذه الاية دلالة ايضا على وجوب المعرفة وانها ليست بضرورية على ما قاله اصحاب المعارف لانه
تعالى بين الحجاج عليهم فيها ليعرفوا صحته ما دعاهم الرسول اليه ولو كانوا يعرفون الحق ضرورة لم يكونوا مقلدين لابائهم
ونفى سبحانه عنهم الاهتداء والعلم معا لان بينهما فرقا فان الاهتداء لا يكون الا عن حجة وبيان والعلم قد يكون ابتداء عن ضرورة قوله
عز وجل يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ اية القراءة روي في الشواذ عن الحسن لا يضركم وعن ابرهيم لا يضركم الحجة وفي ذلك اربع لغات ضاره يضوره
وضاره يضيره وضره يضره وضره يضره وهي عربية اعني يفعل في المضاعف متعديه وانما جزم يضركم ويضركم لانه جواب
الامر وهو قوله عليكم انفسكم ويجوز ان يكون لا نهيا بمعنى النهي فيكون يضركم مجزوما به الاعراب قال الزجاج عليكم
انفسكم اجريت مجرى الفعل فاذا قلت عليك زيدا فتاويله الزم زيدا وعليكم انفسكم معناه الزموا امر انفسكم وقال
غيره العرب تامر من الصفات بعليك ودونك وعندك فتعديها الى المفعول وتقيمها مقام الفعل فتنصب بها على الاغراء
تقول عليك زيدا كانه قيل خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وعندك زيدا اي حضرك فخذه ودونك اي قرب
منك فخذه وقد تقيم العرب غير هذه من الاحرف مقام الفعل لكن لا تعديه الى المفعول وذلك نحو قولهم اليك عني اي
تاخر وورايك معناها تاخر ولا يجوز ذلك الا في الخطاب لو قلت عليه زيدا لم يجز وقوله لا يضركم الاجود ان يكون اعرابه رفعا ويكون
على جهة الخبر ويجوز ان يكون موضعه جزما ويكون الاصل لا يضرركم الا ان تكون الراء الاولى ادغمت في الثانية فضمت
الثانية لالتقاء الساكنين ويجوز في العربية لا يضركم بفتح الراء ولا يضركم بكسرها فالضم لاتباع الضم الضم والفتح لخفة
الفتح والكسر لان اصل التقاء الساكنين الكسرة وهذا النهي بلفظ غايب يراد به المخاطبون اذا قلت لا يضرك
كفر الكافر فمعناه لا تعدن انت كفره ضررا كانك اذا قلت لا ارينك ههنا فالنهي في اللفظ لنفسك ومعناه لمخاطبك ومعناه
لا تكونن ههنا المعنى لما بين الله تعالى حكم الكفار الذين قلدوا اباءهم واسلافهم وركنوا الى دياناتهم عقبه بالامر
بالطاعة وبيان ان المطيع لا يواخذ بذنوب العاصي فقال يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم من ملابسة المعاصي
والاصرار على الذنوب عن الفرا وغيره وقيل معناه الزموا امر انفسكم فانما الزمكم الله امرها عن الزجاج وهذا موافق
لما روي عن ابن عباس ان معناه اطيعوا امري واحفظوا وصيتي لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي لا يضركم ضلال من ضل
من ابائكم وغيرهم اذا كنتم مهتدين ويقال هل تدل هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وجوابنا ان في هذا وجوها احدها ان الاية لا تدل على ذلك بل توجب ان المطيع لربه لا يواخذ بذنوب العاصي
وثانيها ان الاقتصار على الاهتداء باتباع امر الله انما يجوز في حال التقية او حال لا يجوز تاثير الكاره فيها او يتعلق
بانكار مفسدة وروي ان ابا ثعلبة سال رسول الله عليه السلم عن هذه الاية فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن
المنكر حتى اذا رايت دنيا موثرة وشحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخويصة نفسك وذر

معناه احفظوا انفسكم

عوانهم وثالثها ان هذه الاية اوكد اية فى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الله تعالى خاطبها المومنين فقال عليكم
انفسكم يعنى عليكم اهل دينكم كما قال ولا تقتلوا انفسكم لا يضركم من ضل من الكفار وهذا قول ابن عباس فى رواية عطاء عنه
قال يريد يعظ بعضكم بعضا وينهى بعضكم بعضا ويعلم بعضكم بعضا ما يقربه الى الله ويبعده من الشيطان ولا يضركم من ضل من
المشركين والمنافقين واهل الكتاب الى الله مرجعكم جميعا اى مصيركم ومصير من خالفكم فينبئكم بما كنتم تعملون اى يجازيكم باعمالكم
وفى هذا غاية الزجر والتهديد وفى الاية دلالة على فساد قول من قال ان الله تعالى يعذب الاطفال ويعذب الميت ببكاء الحى
عليه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل
منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان
بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين اية القراءة
روى فى الشواذ عن الحسن والشعبى والاعرج شهادة بينكم وعن الاعرج ايضا شهادة بينكم بنصبهما وروى عن على عليه السلم والشعبى
بخلاف ونعيم بن ميسرة انهم قرأوا شهادة الله بنصب شهادة والمد فى الله وهو قراءة يعقوب برواية روح وزيد وروى
شهادة الله مقصورة عن الحسن ويحيى بن نعيم وسعيد بن جبير والكلبى والشعبى الحجة اما قوله شهادة بالرفع بينكم بالنصب
فعلى نحو القراءة المشهورة شهادة بينكم الا انه حذف التنوين فاجرا الاسم وجوز ان يكون المضاف محذوفا من آخر الكلام اى
شهادة بينكم شهادة اثنين اى ينبغى ان يكون الشهادة المعتمدة هكذا واما بينكم بالنصب والتنوين فعلى اضمار فعل اى ليقم شهادة
بينكم اثنان ذوا عدل واما قوله ولا نكتم شهادة فهو اعم من قراءة الجماعة شهادة الله بالاضافة واما المد فى الله فعلى ان
همزة الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم ووقى همزة الله عن الحذف الذى كان يجب فيها من حيث كانت موصولة ثم فصل
بين الهمزتين بالف كما فى قوله آلذكرين حرم ام الانثيين واما الله مقصورة بالجر فعلى ما حكاه سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم
ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وذلك لكثرة الاستعمال واما تقدير الكلام فعلى انه يقول أنقسم بالله
اى انقدم على هذه اليمين وهذا انما يكون على وجه الاعظام لليمين والتنبيه لها الاعراب قال الزجاج شهادة بينكم ترتفع من
وجهين احدهما ان ترتفع بالابتداء وتكون خبرها اثنان والمعنى شهادة هذه الحال شهادة اثنين فتحذف شهادة ويقام اثنان مقامها
والآخر يكون التقدير فيما فرض عليكم شهادة بينكم ان يشهد اثنان فيرتفع اثنان بشهادة وهو قول الفراء واختار ابو على الفارسى القول
الاول قال واتسع فى بين فاضيف اليه المصدر وهذا يدل على قول من قال ان الظرف يستعمل اسما فى غير الشعر الا ترى انه
قد جاء ذلك فى التنزيل وهو لقد تقطع بينكم بالرفع كما جاء فى الشعر فى نحو قوله فصادف بين عينيه الجبوبا واما قوله اذا حضر
احدكم الموت فيجوز ان يتعلق بالشهادة فيكون معمولها ولا يجوز ان يتعلق بالوصية لامرين احدهما ان المضاف اليه لا يعمل
فيما قبل المضاف لانه لو عمل فيه للزم ان يقدر وقوعه فى موضعه واذا قدر ذلك لزم تقديم المضاف اليه على المضاف
ومن ثم لم يجز القتال زيدا حين ياتى والآخر ان الوصية مصدر فلا يتعلق به ما يتقدم عليه واما قوله حين الوصية فلا يجوز
حمله على الشهادة لانه اذا اعمل فى ظرف من الزمان لم يعمل فى ظرف آخر منه ولكن تحمله على احد ثلاثة اوجه احدها اما ان يتعلق بالموت كانه
يموت فى ذلك الحين وهذا انما يكون على ما قرب منه كقوله حتى اذا حضر فى هذا الحين واما ان يكون محمولا على البدل من اذا
لان ذلك الزمان فى المعنى هو هذا الزمان فتبدله منه كما تبدل الشئ من الشئ اذا كان اياه وقوله منكم صفة لقوله اثنان
كما ان ذوا عدل صفتهما وفى الظرف ضميرهما وقوله او آخران من غيركم تقديره او شهادة آخرين ومن غيركم صفة لآخرين كما
كان منكم صفة لاثنين ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت اعتراض بين الصفة والموصوف وعلم به ان شهادة الآخرين
اللذين هما من غير اهل ملتنا انما تجوز فى السفر فاستغنى عن جواب ان بما تقدم من قوله او آخران من غيركم لانه وان كان على
لفظ الخبر فالمعنى على الامر كان المعنى ينبغى ان تشهدوا اذا ضربتم فى الارض آخرين من غير اهل ملتكم ويجوز ايضا ان يستغنى
عن جواب اذا فى قوله اذا حضر احدكم الموت بما تقدمها فى قوله شهادة بينكم فان جعلت اذا بمنزلة حين فلم تجعل لها جوابا

كان

قوله شهادة م

احدهم الموت قال الى بيت الائ وهذا القول انما يكون قبل الموت واما ان يتعلق بحضر اى اذا حضر

كان بمنزلة الحين وينتصب الموضع بالمصدر الذى هو شهادة بينكم كما تقدم وان قدرت له جوابا كان قوله شهادة بينكم يدل
عليه ويكون موضع اذا فى قوله اذا حضر احدكم الموت نصبا بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله شهادة بينكم لان المعنى ينبغى
ان يشهدوا وقوله تحبسونهما من بعد الصلوة صفة ثانية لقوله او آخران وقوله من بعد الصلوة يتعلق بتحبسونهما فيقسمان
بالله الفاء لعطف جملة على جملة وان شئت جعلت الفاء للجزاء كما فى قول ذى الرمة وانسان عينى يحسر الماء تارة فيبدو وتارات
يجم فيغرق تقديره عندهم اذا حسر هذا فكذلك اذا حبستموهما اقسما وقوله لا نشترى به ثمنا جواب ما يقتضيه قوله فيقسمان
بالله لان اقسم ونحوه يتلقى بما يتلقى به الايمان والتقدير لا نشترى بتحريف شهادتنا ثمنا اى ذا ثمن فحذف المضاف فى الموضعين
وانما ذكر الشهادة لان الشهادة قول كما قال واذا حضر القسمة ثم قال فارزقوهم منه لما كان القسمة يراد به المقسوم الا ترى
ان القسمة التى هى افراز للانصباء لا يرزق منه وانما يرزق من التركة المقسومة ولو كان ذا قربى التقدير ولو كان
المشهود له ذا قربى واضاف الشهادة الى الله لامره باقامتها ونهيه عن كتمانها فى قوله واقيموا الشهادة لله وقوله ومن
يكتمها فانه آثم قلبه هذا كله ماخوذ من كلام ابى على الفارسى وناهيك به فارسا فى هذا الميدان نقابا يخبر عن مكنون هذا
العلم بواضح البيان النزول سبب نزول هذه الاية ان ثلثة نفر خرجوا تجارا من المدينة الى الشام تميم ابن اوس الدارى و
اخوه عدى وهما نصرانيان وابن ابى مارية مولى عمرو بن العاص السهمى حتى اذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن ابى مارية فكتب
وصيته بيده ودسها فى متاعه واوصى اليهما ودفع المال اليهما وقال ابلغا هذا اهلى فلما مات فتحا المتاع واخذا ما اعجبهما
منه ثم رجعا بالمال الى الورثة فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان خرج به صاحبهم ونظروا الى الوصية فوجدوا المال فيها تاما
فكلموا تميما وصاحبه فقالا لا علم لنا به وما دفعه الينا ابلغناه كما هو فرفعوا امرهم الى النبى عليه السلم فنزلت الاية عن الواقدى
عن اسامة بن زيد عن ابيه وعن جماعة المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم المعنى لما قدم تعالى الامر بالرجوع الى ما انزل
عقبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال يا ايها الذين آمنوا اى يا ايها المومنون شهادة بينكم قيل فى معنى الشهادة هنا اقوال احدها
انها الشهادة التى يقام بها الحقوق عند الحكام وقد تقدم ذكر ما قيل فى تقدير الاية على هذا المعنى وهو قول ابن عباس وثانيها
انها بمعنى الحضور كما يقال شهدت وصية فلان ومنه قوله وليشهد عذابهما طائفة ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت فيكون
تقديره ليشهدكم فى سفركم اذا حضركم الموت واردتم الوصية اثنان ذوا عدل منكم اى وصيان من اهل العدل لتجعلهما اثنين
تاكيد اللامر فى الوصية عن ابن الانبارى وهو قول سعيد بن جبير وابن زيد والثالث انها شهادة ايمان بالله ان ارتاب الورثة
بالوصيين من قول القائل فى اللعان اشهد بالله انى لمن الصادقين والاول اقوى واليق بالاية وقال صاحب كتاب نظم
القرآن شهادة مصدر بمعنى المشهود كما يقال رجل عدل ورضا ورجلان عدل ورضا ثم قدر حذف المضاف فيكون المعنى
عدد شهود بينكم اثنان كقوله الحج اشهر معلومات اى وقت الحج اشهر وقال ابن جنى ويجوز ان يكون التقدير مقيم شهادة بينكم
اثنان فيكون على هذين القولين حذف المضاف من المبتدأ وعلى قول الزجاج وابى على من الخبر اذا حضر احدكم الموت حين
الوصية اى حضر اسباب الموت من مرض وغيره قال الزجاج معناه ان الشهادة فى وقت الوصية هى للموت ليس ان الموت
حاضر وهو يوصى انما يقول الموصى صحيحا كان او غير صحيح اذا حضرنى الموت او اذا امت فافعلوا واصنعوا اثنان ذوا عدل
منكم اى من اهل دينكم وملتكم او آخران من غيركم اى من غير اهل ملتكم عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير
وشريح ومجاهد وابن سيرين وابن زيد وابرهيم وهو المروى عن الباقر وعن الصادق عليهما السلم فيكون او معنى او
ههنا للتفصيل لا للتخيير لان المعنى او آخران من غيركم ان لم تجدوا شاهدين منكم وقيل معناه ذوا عدل من عشيرتكم او آخر
ان من غير عشيرتكم عن الحسن والزهرى وعكرمة والاصم قالوا لان عشيرة الموصى اعلم بالحوالة من غيرهم واجدر ان لا
تنسوا ما شهدوا عليه وقالوا لا يجوز شهادة كافر فى سفر ولا حضر واختار الزجاج وذهب جماعة الى ان الاية كانت فى
شهادة اهل الذمة ثم نسخت وقد بين ابو عبيدة هذه الاقاويل ثم قال جل العلماء يتاولونها فى اهل الذمة ويرونها محكمة

ويقوى هذا القول شايع الاثار فى سورة المايدة نعلد المنسوخ وانها من محكم القران واخرما نزل ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم
مصيبة الموت ومعناه فاصابكم الموت علم الله سبحانه ان من الناس من يسافر فيصحبه فى سفره اهل الكتاب دون المسلمين و
ينزل القرية التى لا يسكنها غيرهم ويحضره الموت فلا يجد من يشهد من المسلمين فقال او اخران من غيركم ديكم ان انتم سافرتم فاصابتكم
مصيبة الموت فالعدلان من المسلمين للحضر والسفر ان امكن اشهادهما فى السفر والذميان فى السفر خاصة اذا لم يوجد غيرهما
ثم قال تحبسونهما من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم المعنى تحبسونهما من بعد صلوة العصر لان الناس كانوا يحلفون بالحجاز
بعد صلوة العصر لاجتماع الناس وتكاثرهم فى ذلك الوقت وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم
وقيل هى صلوة الظهر او العصر عن الحسن وقيل بعد صلوة اهل دينهما يعنى الذميين عن ابن عباس والسدى ومعنى تحبسونهما
توقفونهما او يقيمونهما كما يقول مرّ بى فلان على فرس نحبس على دابته اى وقفه وقيل معناه تصبرونهما على اليمين وهو ان يحمل على
اليمين وهو غير متبرع بها ان ارتبتم فى شهادتهما وشككتم وخشيتم ان يكونا قد غيرا او بدلا او كتما او خانا والخطاب فى تحبسونهما للشهود
ويجوز ان يكون خطابا للقضاة ويكون بمعنى الامر اى فاحبسوهما ذكره ابن الانبارى وكان يقف على قوله مصيبة الموت ويبتدئ
بقوله تحبسونهما ويحتمل ان يكون اراد به وصى الميت اذا ارتاب بهما الورثة وادعوا انهما استبدا بشئ من التركة فيصير
ان مدعى عليهما فيحلفان بالله لا نشترى به ثمنا اى لا نشترى بتحريف شهادتنا ثمنا والتقدير لا نشترى به ذا ثمن الا ترى ان الثمن
لا يشترى وانما المبيع يشترى دون ثمنه وقيل ان الهاء فى به يعود الى القسم بالله وقيل لا نبيعه بعرض من الدنيا لان من باع
شيا فقد اشترى ثمنه ونريد ان لا نحابى فى شهادتنا احدا ولو كان المشهود له ذا قربى وخص ذا القربى بالذكر لميل الناس الى
اقاربهم ومن يناسبونه ولا نكتم شهادة الله ابدا اى شهادة لزمنا اداؤها بامر الله تعالى انا اذا لمن الاثمين اى انا ان فعلنا
ذلك كنا من الاثمين قوله عز وجل فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا
أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ
أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ايتان القراءة قرا ابو بكر عن عاصم
وحمزة وخلف ويعقوب استُحِقّ بضم التاء الاوّلين جمع وقرا حفص عن عاصم استحق بفتح التاء والحاء الاوليان بالالف تثنية
الاولى وقرا الباقون استحق بضم التاء الاوليان بالالف الحجة قال الزجاج هذا الموضع من اصعب ما فى القرآن فى الاعراب فالاوليان
فى قول اكثر البصريين يرتفعان على البدل مما فى يقومان المعنى فليقم الاوليان بالميت مقام هذين الخائنين فيقسمان بالله
لشهادتنا احق من شهادتهما فاذا ارتفع الاوليان على البدل فالذى فى استحق من الضمير معنى الوصية المعنى فليقم الاوليان
من الذين استحقت الوصية او الايصاء عليهم وجائز ان يرتفعا باستحق ويكون معناهما الاوليان باليمين اى بان
يحلفا من يشهد بعدهما فان جاز شهادة النصرانيين كان الاوليان على هذا القول النصرانيين او الاخوان من غير
اهل بيت الميت وقال ابو على لا يخلو ارتفاعهما من ان يكون على الابتداء وقد اخر كانه فى التقدير فالاوليان بامر الميت
اخوان من اهله او من اهل دينه يقومان مقام الخائنين الذين عثر على خيانتهما كقولهم تميمى انا او يكون خبر مبتداء
محذوف كانه قال فاخران يقومان مقامهما الاوليان او يكون بدلا من الضمير الذى فى يقومان او يكون مسندا اليه استحق
وقد اجاز ابو الحسن فيه شيئا اخر وهو ان يكون الاوليان صفة لقوله فاخران من غيركم لانه لما وصف اخران اختص فوصف لاجل
الاختصاص الذى صار له بما يوصف به المعارف ومعنى الاوليان بالشهادة على وصية الميت وانهما كانا اولى به ممن اتهم
بالخيانة لانهما اعرف باحوال الميت واموره ولانهما من المسلمين الا ترى ان وصفهم بانه استحق عليهم يدل على انهم مسلمون لان
الخطاب من اول الاية مصروف اليهم فاما ما يسند اليه استحق فلا يخلو من ان يكون الايصاء والوصية او الاثم او الجار والمجرور
وانما جاز استحق الاثم لان اخذه باخذه اثم فسمى اثما كما سمى ما يؤخذ منا بغير حق مظلمة قال سيبويه المظلمة اسم ما اخذ منك
فلذلك سمى هذا المأخوذ باسم المصدر فاما قوله عليهم فيحتمل ثلاثة اضرب احدها ان يكون على فيه بمنزلة قولك استحق على زيد
مال

ای من غیرهم

قرابتهم

استحقا اثما فاخران يقومان مقامهما

الاوليان

مال بالشهادة اى لزمه ووجب عليه الخروج منه لان الشاهدين لما عثر على خيانتهما استحق عليهما ما وليا من امر الشهادة و
القيام بها ووجب عليهما الخروج منها وترك الولاية لها فصار اخراجها منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج
مما وجب عليه هذا كلام ابى على واقول ان الظاهر ان الذين من غيرنا هما المعنيان بذلك على ما قرره والذى يصح فى نفسى ان
التقدير من الذين استحقت عليهم الوصية او استحق عليهم الايصاء وهم عشيرة الميت والاخر ان يكون على فيه بمنزلة من كانه قال
من الذين استحق منهم الاثم ومثل هذا قوله اذا اكتالوا على الناس اى من الناس ولثالث ان يكون على فيه بمنزلة فى كانه استحق فيهم
وقام على مقام فى كما قام فى مقام على فى قوله ولاصلبنكم فى جذوع النخل والمعنى من الذين استحق عليهم بشهادة الاخرين
اللذين هما من غيرنا واقول ان هذا المعنى ايضا انما يلايم الضرب الاول والذى يلايم هذا الضرب ان يقال المعنى من الذين استحق
فيهم الاثم اى بسببهم استحق الاخران من غيرنا اللذان خانا فى الوصية فيهم الاثم بخيانتهما ويمينهما الكاذبة ثم قال ابو على فان
قلت هل يجوز ان يسند استحق الى الاوليان فالقول فى ذلك انه لا يجوز لان المستحق انما يكون الوصية او شيئا منها ولا يجوز
ان يستحقا فيسند استحق اليهما واما من قرا استحق عليهم الاولين على الجمع فهو نعت لجميع الورثة المذكورين فى قوله من الذين استحق
عليهم وتقديره من الاولين الذين استحق عليهم الايصاء او الاثم وانما قيل لهم الاولين من حيث كانوا اولين فى الذكر الا ترى انه
قد تقدم يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم وكذلك اثنان ذوا عدل منكم ذكرا فى اللفظ قبل قوله او اخران من غيركم واحتج
من قرا الاولين على من قرا الاوليان بان قال ارايت ان كان الاوليان صغيرين اراد انهما اذا كانا صغيرين لم يقوما
مقام الكبيرين فى الشهادة ولم يكونا لصغرهما اولى بالميت وان كانا كبيرين كانا اولى به فيقسمان بالله اى يقسم الاخران اللذان
يقومان مقام الشاهدين اللذين هما اخوان من غيرنا وقوله لشهادتنا احق من شهادتهما متلق به فيقسمان بالله ومن قرا
استحق عليهم الاوليان فاستحق ههنا بمعنى حق اى وجب فالمعنى فاخران من الذين وجب عليهم الايصاء بتوصيته بينهم وهم
ورثته وقال ابو على تقديره من الذين استحق عليهم الاوليان بالميت وصيته التى اوصى بها الى غير اهل دينه والمفعول محذوف
فى نحو هذا كثير وقال الامام محمود الزمخشرى معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان
يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهذا احسن الاقوال اللغة عثر الرجل على الشئ يعثر عثورا اذا
اطلع على امر لم يطلع عليه غيره واعثرت فلانا على امرى اطلعته عليه ومنه قوله وكذلك اعثرنا عليهم واصله الوقوع
بالشئ من قولهم عثر الرجل عثارا اذا وقعت اصبعه بشئ صدمته وعثر الفرس عثارا قال الاعشى بذات لوث عفرناة
اذا عثرت فالتعس اولى لها من ان يقال لعا والعثير الغبار لانه يقع على الوجه وغيره والعاثور حفرة تحفر ليعثر بها الاسد
فيصطاد والاستحقاق والاستيجاب قريبان واستحق عليه كانه ملك عليه حق وحققت عليه القضا حقا واحققته
اذا اوجبته ويكون حق بمعنى استحق النزول قالوا لما نزلت الاية الاولى صلى رسول الله العصر ودعا بتميم وعدى فاستحلفهما
عند المنبر بالله ما قبضنا له غير هذا ولا كتمناه وخلى رسول الله صلى الله عليه وآله سبيلهما ثم اطلع على اناء من فضة منقوش
بذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه ونسينا ان نخبركم به فرفعوا امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فنزل قوله فان عثر على انهما استحقا اثما الى آخره فقام رجلان من اولياء الميت احدهما عمرو بن العاص والاخر المطلب بن ابى
وداعة السهمى فحلفا بالله انهما خانا وكذبا فدفع الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الدارى بعد ما اسلم يقول صدق
الله وصدق رسول الله انا اخذت الاناء فاتوب الى الله واستغفره المعنى ثم بين سبحانه الحكم بعد ظهور الخيانة من الوصيين
او الشاهدين فقال فان عثر اى اطلع وظهر على انهما يعنى الشاهدين عن ابن عباس والوصيين عن سعيد بن جبير استحقا
اى استوجبا اثما اى ذنبا بايمانهما الكاذبة وخيانتهما وقصدهما فى شهادتهما الى غير الاستقامة وقيل معناه استحقا عقوبة
اثم من قوله تعالى انى اريد ان تبوء باثمى واثمك اى بعقوبة قتلى وعقوبة معاصيك المتقدمة عن الجبائى فاخران
يقومان مقامهما اى مقام الشاهدين اللذين هما من غيرنا وقيل مقام الوصيين من الذين استحق عليهم الوصية او

استحق عليهم فى الاية هم ورثة الميت والمفهوم من كلام ابى على هذا ان الشاهدين الذين م

وحذف المفعول م

قال التفتازانى العثير الغبار ولا تفتح فيها العين

الاوليان والمعنى ليقم الاوليا بالميت من الذين استحقت عليهم م

يكون التقدير فالاوليان بامر الميت اخوان من اهله يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهما وقد بينا ما قيل فيه
وفى القرائتين الاخريين فيما قبل ويجوز ان يكون الاوليان بدلا من قوله اخران فقد يجوز ابدال المعرفة من النكرة
ومعنى الاولين هو الاقربان الى الميت ويجوز ان يكون معناه الاوليان باليمين وانما كانا اولين باليمين لان الوصيين
ادعيا ان الميت باع الاناء فانتقل اليمين الى الوليين لانهما صارا مدعى عليهما ان مورثهما باع الاناء وكما لو اقر انسان
لاخر بدين وادعى قضاءه حكم برد اليمين الى الذى ادعى الدين لانه صار مدعى عليه انه استوفى وقيل معناه الاوليان بالشهادة
من المسلمين عن ابن عباس وشريح فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما قيل انه على الظاهر اى شهادتنا وقولنا فى وصية
صاحبنا احق بالقبول والصدق من شهادتهما وقولهما وقيل يريد فيقولان والله ليميننا خير من يمينهما عن ابن عباس وسميت
اليمين ههنا شهادة لان اليمين كالشهادة على ما يحلف عليه انه كذلك وما اعتدينا اى ما جاوزنا الحق فيما طلبناه
من حقنا عن ابن عباس وقيل فيما قلناه من ان شهادتنا احق من شهادتهما انا اذا لمن الظالمين تقديره انا ان اعتدينا لمن جملة الظالمين
لنفوسنا وهذه الاية مع الاية التى قبلها من اعوص ايات القران اعرابا ومعنى وحكما ولست تجدهما فى شئ من مظانهما
اوفر فايدة واغزر عايدة واجمع علما ومعنى مما لخصته لك وسقته اليك وبالله التوفيق ثم بين سبحانه وجه الحكمة فى استحلاف
اليهود فقال ذلك ادنى اى ذلك الاحلاف والاقسام او ذلك الحكم اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اى حقها وصدقها ولا يكتمون
بعد ايمانهم فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين ويتحفظون فى الشهادة ومخافة رد اليمين والشهادة
الى المستحق عليهم واتقوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا امانة واسمعوا الموعظة والله لا يهدى القوم الفاسقين الى ثوابه وجنته

قوله عز وجل يَوْمَ يَجْمَعُ اللّٰهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ اية الاعراب

يوم منتصب على تقدير واتقوا يوم يجمع ويتصل بقوله واتقوا الله واسمعوا عن الزجاج وقيل انه يتعلق بقوله لا يهدى القوم الفاسقين
يوم يجمع الله الرسل عن المغربى وقيل انه يتعلق بمحذوف على تقدير احذروا او اذكروا ذلك اليوم المعنى يوم يجمع الله الرسل
هو كقوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وانما انتصب يوما على انه مفعول به ولم ينتصب على الظرف لانهم لم يؤمروا بالتقوى
فى ذلك اليوم والمعنى اتقوا عقاب يوم يجمع الله الرسل لان اليوم لا يتقى ولا يحذر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
فيقول لهم ماذا اجبتم اى ما الذى اجابكم قومكم فيما دعوتموهم اليه وهذا تقرير فى صورة الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين
عند اظهار فضيحتهم على رؤس الاشهاد قالوا لا علم لنا فيه اقوال احدها ان للقيامة اهوالا حتى يزول القلوب من مواضعها
فاذا رجعت القلوب الى مواضعها شهدوا لمن صدقهم وعلى من كذبهم يريد انه عزب عنهم افهامهم من هول يوم القيمة فقالوا لا علم لنا عن
عطا عن ابن عباس والحسن ومجاهد والسدى والكلبى وهو اختيار الفراء وثانيها ان المراد لا علم لنا كعلمك لانك تعلم باطنهم
وذلك هو الذى يقع عليه الجزاء عن الحسن فى رواية اخرى واختاره الجبائى وانكر القول الاول وقال كيف يجوز ذهولهم من
هول يوم القيمة مع قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقوله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويمكن ان يجاب عن ذلك بان
الفزع الاكبر دخول النار وقوله لا خوف عليهم انما هو كالبشارة بالنجاة من اهوال ذلك اليوم مثل ما يقال للمريض لا
باس عليك ولا خوف عليك وثالثها ان معناه لا حقيقة لعلمنا اذ كنا نعلم جوابهم وما كان من افعالهم وقت حياتنا ولا نعلم
ما كان منهم بعد وفاتنا وانما الجزاء والثواب يستحقان بما يقع به الخاتمة مما يموتون عليه عن ابن الانبارى ورابعها ان
المراد لا علم لنا الا ما علمتنا فحذف لدلالة الكلام عليه عن ابن عباس فى رواية اخرى وخامسها ان المراد به تحقيق
فضيحتهم اى انت اعلم بحالهم منا ولا تحتاج فى ذلك الى شهادتنا انك انت علام الغيوب للمبالغة لا للتكثير وقيل اراد به
تكثير المعلوم والمراد انت تعلم ما غاب وما بطن ونحن انما نعلم ما نشاهد وفى هذه الاية دلالة على اثبات المعاد والحشر
والنشر وذكر الحاكم ابو سعد الجشمى فى تفسيره انها تدل على بطلان قول الامامية ان الائمة يعلمون الغيب واقول ان
هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم فانا لا نعلم احدا منهم بل احدا من اهل الاسلام يصف احدا من الناس بعلم الغيب ومن

وصف

(هامش:) امنا من عليه الاراز التحرز ... بالخصم اذا لو علم امره والحلى ... معناه والعلة ... الغرضية م

(هامش:) شيا ولا يزيدون شيا لان اليمين تردع عن امور كثيرة لا يرتدع عنها مع عدم اليمين او يخافوا اى اقرب الى ان يخافوا ان ترد ايمانا الى اولياء الميت بعد ايمانهم م

(هامش:) ولسنا نعلم غيبهم وباطنهم م

وصف مخلوقا بذلك فقد فارق الدين والشيعة الامامية براء من هذا القول من نسبهم الى ذلك فالله فيما بينه وبينهم

قوله عز وجل إِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ آية القراءة

قرا اهل الكوفة غير عاصم ساحر مبين بالالف وكذلك فى سورة يونس وهود والصف وقرا ابن كثير وعاصم فى سورة يونس لساحر مبين بالالف
فقط وقرا اهل المدينة والبصرة والشام سحر مبين بغير الف فى جميع ذلك الحجة من قرا الا سحر جعله اشارة الى ما جاء به كانه
قال ما هذا الذى جئت به الا سحر ومن قرا الا ساحر اشارة الى الشخص لا الى الحديث الذى اتى به وكلاهما حسن لاستواء كل
واحد منهما فى ان ذكره قد تقدم غير ان الاختيار سحر لوقوعه على الحديث والشخص اما وقوعه على الحديث فظاهر واما وقوعه
على الشخص فهو ان يراد به ذو سحر كما جاء ولكن البر من امن اى ذا البر وقالوا انما انت سير وانما هى اقبال وادبار وقد جاء
ايضا فاعل يراد به الكثرة فى حروف ليست بالكثيرة نحو عائذا بالله من شرها اى عياذا او نحو العافية ولم تصر هذه الحروف من
الكثرة بحيث يقاس عليها الاعراب العامل فى اذ يحتمل امرين احدهما الابتداء عطفا على قوله يوم يجمع الله الرسل ثم قال واذكر
اذ قال فيكون موضعه رفعا كما يقول القائل كانا قد وردنا بلد كذا وصنعنا فيه وفعلنا اذ صاح بك صاحب فاجبته وتركتنى والثانى اذكر اذ قال الله فيكون موضعه نصبا يا عيسى بن مريم ويجوز ان يكون عيسى مضموما فى التقدير لانه منادى
مفرد فيكون ندائين وتقديره يا عيسى يا ابن مريم او يكون وصفت المضموم بمضاف فنصبت المضاف كقول الشاعر يا زبرقان
اخا بنى خلف ويجوز ان يكون عيسى مبنيا مع الابن على الفتح فى التقدير لوقوع الابن بين علمين وهذا كما انشده النحويون
من قول الشاعر يا حكم بن المنذر بن الجارود انت الجواد ابن الجواد روى فى حكم الضم والفتح تكلم الناس فى موضع نصب
على الحال من تكلم فالمعنى ومكلما الناس صغيرا وكبيرا المعنى لما عرف سبحانه يوم القيمة بما وصفه به من جمع الرسل فيه عطف
عليه بذكر المسيح فقال اذ قال الله ومعناه اذ يقول الله فى الاخرة وذكر لفظ الماضى تقريبا للقيامة لان ما هو ات فكان
قد اتى يا عيسى بن مريم وهذا اشارة الى بطلان قول النصارى لان من له ام لا يكون الها اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اى
اذكر ما انعمت به عليك وعلى امك واشكره افرد النعمة فى اللفظ ومراده به الجمع كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانما
جاز ذلك لانه مضاف فصلح للجنس ثم فسر نعمته بان قال اذ ايدتك بروح القدس وهو جبرئيل عليه السلام وقد مضى تفسيره فى
سورة البقرة عند قوله وايدناه بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا اى فى حال ما كنت صبيا فى المهد وفى حال ما كنت
كهلا وقال الحسن المهد حجر امه واذ علمتك الكتاب قيل الكتابة يعنى الخط والحكمة اى العلم والشريعة وقيل اراد الكتب فيكون
الكتاب اسم جنس ثم فصله بذكر التورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى اى فاذكر ايضا اذ تصور الطين
بهيئة الطير الذى تريد اى بخلقته وصورته وسماه خلقا لانه كان يقدره وقوله باذنى اى تفعل ذلك باذنى وامرى فتنفخ
فيها الروح لان الروح جسم يجوز ان ينفخه المسيح بامر الله فيكون طيرا باذنى والطير يؤنث ويذكر فمن انث فعلى الجمع ومن ذكر
فعلى اللفظ وواحد الطير طائر فيكون مثل ضائن وضان وراكب وركب وبين بقوله طيرا باذنى انه اذا نفخ المسيح فيها
الروح قلبها الله لحما ودما ويخلق فيها الحياة فصارت طيرا باذن الله اى بامره وارادته لا بفعل المسيح عليه السلام وتبرئ الاكمه
اى تصحح الاكمه الذى ولد اعمى والابرص من برص مستحكم باذنى اى اذكر اذ تدعونى فاحيى الموتى عند دعائك واخرجهم من
القبور حتى يشاهدهم الناس احياء ونسب ذلك ايضا الى المسيح لما كان بدعائه واذ كففت بنى اسرائيل عنك اى عن قتلك و
اذاك اذ جئتهم اى حين جئتهم بالبينات مع كفرهم وعنادهم ويجوز ان يكون تعالى كفهم عنه بالطافه التى لا يقدر عليها
غيره ويجوز ان يكون كفهم بالمنع والقهر كما منع من اراد قتل نبينا صلى الله عليه واله ومعنى جئتهم بالبينات اى اتيتهم بالحجج و

(هامش:) وكهلا عطف على موضع فى المهد وهى جملة ظرفية فى موضع نصب على الحال م

(هامش:) اى تنفخ فيها الروح م

(هامش:) بامرى ومعناه انك تدعونى حتى ابرئ الاكمه والابرص ونسب ذلك الى المسيح لما كان بدعائه وسؤاله واذ تخرج الموتى باذنى م

المعجزات فقال الذين كفروا وجحدوا نبوتك ان هذا الا سحر مبين يعنون به عيسى عليه السلم وسحر مبين يعنى ان ما جاء به سحر ظاهر واضح وينبغي ان يكون قوله سبحانه في اول الاية اذ قال الله اذكر نعمتي عليك اخبر بما قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجة عليهم لانهم ادعوا عليه انه اله ثم عدد النعمة نعمة نعمة على ما بيناه قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون اللغة الوحي القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى ثم ينقسم فيكون بارسال الملك ويكون بمعنى الالهام قال الشاعر الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمأنت اوحى لها القرار فاستقرت اى القى اليها ويروى وحى لها القرار والفرق بين وحى واوحى من وجهين احدهما ان اوحى بمعنى جعلها على صفة ووحى بمعنى جعل فيها اى بمعنى الصفة لان افعل اصله التعدية وقيل انهما لغتان والحوارى خالصة الرجل وخلصائه من الخير الحوارى لانه اخلص لله من كل ما يشوبه واصله الخلوص ومنه حار يحور اذا رجع الى حال الخلوص ثم كثر حتى قيل لكل راجع المعنى ثم بين تعالى تمام نعمته على عيسى فقال واذ اوحيت اى واذكر اذ اوحيت الى الحواريين اى الهمتهم وقيل القيت اليهم بالايات التى اريتهم اياها ومضى الكلام في الحواريين في سورة ال عمران وهم وزراء عيسى عن قتادة وانصاره عن الحسن ان امنوا بي وبرسولي اى صدقوا بي وبصفاتي وبعيسى انه عبدي ونبيي قالوا اى قال الحواريون امنا اى صدقنا واشهد بالله باننا مسلمون قوله عز وجل اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين ايتان القراءة قرا الكسائي وحده هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب والباقون يستطيع بالياء ربك مرفوع وادغم الكسائي اللام في التاء الحجة وجه قراءة الكسائي ان المراد هل تستطيع سؤال ربك وذكروا الاستطاعة في سؤالهم لا لانهم شكوا في استطاعته ذلك كانهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم كانهم قالوا انك مستطيع فما يمنعك ومثل ذلك قولك لصاحبك اتستطيع ان تذهب عني فاني مشغول اى اذهب لانك غير عاجز عن ذلك وان ينزل على هذه القراءة متعلق بالمصدر المحذوف فلا تستقيم الكلام الا على ذلك الا ترى انه لا يصح ان يقول هل يستطيع ان يفعل ذلك وان ينزل في موضع نصب بانه مفعول به والتقدير هل تستطيع ان تسال ربك انزال مائدة من السماء علينا وروى عن ابي عبد الله عليه السلم ما يقارب هذا التقدير قال يعني هل تستطيع ان تدعو ربك واما ادغام اللام في التاء فانه حسن لان ابا عمرو ادغم اللام في الثاء في هثوب الكفار والتاء اقرب الى اللام من الثاء والادغام انما يحسن في المقاربين وانشد سيبويه فذر ذا ولكن هتعين متيما على ضوء برق اخر الليل ناصب اللغة الفرق بين الاستطاعة والقدرة ان الاستطاعة انطباع الجوارح للفعل والقدرة هي ما اوجب كون القادر عليه قادرا ولذلك لا يوصف تعالى بانه مستطيع ويوصف بانه قادر والمائدة الخوان قال الازهري في تهذيب اللغة هي في معنى مفعوله ولفظها فاعلة لانها من العطاء وقد ماد زيد عمرا اذا اعطاه وقيل هي من ماد يميد فهي فاعلة من الميد ويقال مايدة وميدة قال الشاعر وميدة كثيرة الالوان يصنع للاخوان والجيران وماد به البحر يميد فهو مائد اى يحرك به وماد يميد اذا تبختر وماد اهله اذا مادهم واصله الحركة المعنى ثم اخبر سبحانه عن الحواريين وسؤالهم فقال اذ قال الحواريون والعامل في اذ قوله اوحيت ويحتمل ان يكون معناه واذكر اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء وقيل فيه اقوال احدها ان يكون معناه هل يفعل ذلك ربك بمسالتك اياه ليكون علما على صدقك ولا يجوز ان يكون شكوا في قدرة الله سبحانه على ذلك لانهم كانوا عارفين مؤمنين فكانهم سالوا ذلك ليعرفوا صدقه وصحة امره من حيث لا يعترض عليهم فيه اشكال ولا شبهة ومن ثم قالوا وتطمئن قلوبنا كما قال ابرهيم عليه السلم ولكن ليطمئن قلبي عن ابي علي الفارسي وثانيها ان المراد هل يقدر ربك وكان هذا في ابتداء امرهم قبل ان تستحكم معرفتهم بالله تعالى ولذلك انكر عليهم عيسى عليه السلم فقال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لانه لم يستكمل ايمانهم في ذلك الوقت وثالثها ان يكون معناه هل يستجيب لك ربك واليه ذهب السدي في قوله يريد هل يطيعك ربك ان سالته وهذا على ان يكون يستطيع

بمعنى اطاع كما يكون استجاب بمعنى اجاب قال الزجاج يحتمل مسئلة الحواريين عيسى عليه السلم المائدة ضربين احدهما ان يكونوا ارادوا ان يزدادوا تثبيتا كما قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي الموتى وجائز ان يكون مسئلتهم المائدة قبل علمهم انه ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين معناه اتقوا الله ان تسالوه شيئا لم تساله الامم قبلكم وقيل ان معناه الامر بالتقوى مطلقا كما امر الله سبحانه المؤمنين بها في قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله عن ابي علي الفارسي وقيل امرهم ان لا يقترحوا الايات وان لا يتقدموا بين يدي الله ورسوله لان الله تعالى قد اراهم البراهين والمعجزات باحياء الموتى وغيره مما هو اوكد مما سالوه وطلبوه عن الزجاج قالوا اى قال الحواريون نريد ان ناكل منها قيل في معناه قولان احدهما ان تكون الارادة التي هي من افعال القلوب ويكون التقدير فيه نريد السؤال من اجل هذا ذكرنا والاخر ان يكون الارادة هنا بمعنى المحبة التي هي مثل الطباع اى نحب ذلك وتطمئن قلوبنا يجوز ان يكونوا قالوا وهم مستبصرون في دينهم ومعناه نريد ان نزداد يقينا وذلك ان الدلائل كلما كثرت مكنت المعرفة في النفس عن عطاء ونعلم ان قد صدقتنا بانك رسول الله وهذا يقوي قول من قال ان هذا كان في ابتداء امرهم والصحيح انهم طلبوا المعرفة المعاينة والعلم الضروري والتاكد في الاعجاز ونكون عليها من الشاهدين لك عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم قوله عز وجل قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا واية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين ايتان القراءة قرا اهل المدينة والشام وعاصم منزلها مشددا والباقون منزلها مخفف الحجة يقوي التخفيف قوله انزل علينا مائدة والاولى ان يكون الجواب وفق السؤال والوجه في التشديد ان نزل وانزل بمعنى واحد اللغة العيد اسم لما عاد اليك من شيء في وقت معلوم حتى قالوا للخيال عيد ولما يعود اليك من الحزن قال الاعشى فوا كبدا من لاعج الهم والهوى اذا اعتاد قلبي من اميمة عيدها وقال الليث العيد كل يوم مجمع قال العجاج كما يعود العيد نصراني قال المفضل عادني عيدي اى عادتي وانشد عاد قلبي من الطويلة عيد واما قول تابط شرا يا عيد ما لك من شوق وايراق فانه اراد الخيال الذي اعتاده الاعراب يكون لنا في موضع النصب صفة لمائدة ولنا في موضع الحال لان تقديره يكون عيدا لنا فقوله لنا صفة لعيد فلما تقدمه انتصب على الحال وقوله لاولنا واخرنا بدل من قوله لنا المعنى ثم اخبر سبحانه عن سؤال عيسى اياه فقال قال عيسى بن مريم عن قومه لما التمسوا منه وقيل انه لما سال يريد بذلك حين اذن له في السؤال اللهم ربنا انزل علينا مائدة اى خوانا عليه طعام من السماء تكون لنا عيدا قيل في معناه قولان احدهما نتخذ اليوم الذي ينزل فيه عيدا نعظمه نحن ومن ياتي من بعدنا عن السدي وقتادة وابن جريج وهو قول ابي علي الجبائي والثاني ان معناه يكون عائدة فضل من الله علينا ونعمة منه لنا والاول هو الوجه لاولنا واخرنا اى لاهل زماننا ومن يجيء بعدنا وقيل معناه ياكل منها اخر الناس كما ياكل اولهم عن ابن عباس واية منك اى دلالة منك عظيمة الشان في ازعاج قلوب العباد الى الاقرار بمدلولها والاعتراف بالحق الذي تشهد به ظاهرها تدل على توحيدك وصحة نبوة نبيك وارزقنا اى واجعل ذلك رزقا لنا وقيل معناه وارزقنا الشكر عليها عن الجبائي وانت خير الرازقين وفي هذا دلالة على ان العباد قد يرزق بعضهم بعضا لانه لو لم يكن كذلك لم يصح ان يقال له سبحانه انت خير الرازقين كما لا يجوز ان يقال انت خير الالهة لما لم يكن غيره سبحانه الها قال الله مجيبا له الى ما التمسه اني منزلها عليكم يعني المائدة فمن يكفر بعد منكم اى بعد انزالها عليكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين قيل فيه اقوال احدها انه اراد عالمي زمانه فجحد القوم وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير عن قتادة وروي عن ابي الحسن موسى عليه السلم انهم مسخوا خنازير وثانيها انه اراد عذاب الاستيصال وثالثها انه اراد جنسا من العذاب لا يعذب به احدا غيرهم وانما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لانهم كفروا بعدما راوا الاية وهي من ازجر الايات عن الكفر بعد سؤالهم لها فاقتضت الحكمة اختصاصهم بفن من العذاب العظيم الموقع كما اختصت اياتهم بفن

المدية الطعام والخوان عليه الطعام كالميدة

من الزجر العظيم الموقع **القصة** اختلف العلماء فى المايدة هل نزلت ام لا فقال الحسن ومجاهد انها لم تنزل وان القوم لما سمعوا الشرط استعفوا من نزولها وقالوا لا نريدها ولا حاجة لنا فيها فلم تنزل والصحيح انها نزلت لقوله سبحانه انى منزلها عليكم فلا يجوز ان يقع فى خبره الخلف ولان الاخبار قد استفاضت عن النبى صلى الله عليه واله والصحابة والتابعين فى انها نزلت قال كعب انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا واختلفوا فى كيفية نزولها وما عليها فروى عن عمار بن ياسر عن النبى عليه السلم قال نزلت المايدة خبزا ولحما وذلك انهم سالوا عيسى طعاما لا ينفد ياكلون منه قال فقيل لهم فانها مقيمة لكم ما لم تخونوا وتخباوا وترفعوا فان فعلتم ذلك عذبتكم قال فما مضى يومهم حتى خباوا ورفعوا وخانوا وقال ابن عباس ان عيسى بن مريم قال لبنى اسرائيل صوموا ثلثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا ثلثين يوما فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد من الناس فقضينا عمله لاطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله ان ينزل علينا مايدة من السماء فاقبلت الملايكة بمايدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وروى عطا بن السايب عن زادان وميسرة قالا كانت اذا وضعت المايدة لبنى اسرائيل اختلفت عليهم الايدى من السماء بكل طعام الا اللحم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انزل على المايدة كل شىء الا الخبز واللحم وقال عطا نزل عليها كل شىء الا السمك واللحم وقال عطية العوفى نزل من السماء سمكة فيها طعم كل شىء وقال عمار وقتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال قتادة نزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى اسرائيل وقال يمان بن رياب كانوا ياكلون منها ما شاءوا وروى عطا بن ابى رباح عن سلمان الفارسى انه قال والله ما تبع عيسى عليه السلم شيئا من المساوى قط ولا انتهر شيئا ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا اخذ على انفه من نتن شىء قط ولا عبث قط ولما ساله الحواريون ان ينزل عليهم المايدة لبس صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مايدة الاية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها وهى تهوى منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة واليهود ينظرون اليها ينظرون الى شىء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقام عيسى عليه السلم فتوضا وصلى صلوة طويلة ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها تسيل سيلا من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من انواع البقول ما عدا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا امن طعام الاخرة فقال عيسى ليس شيئا مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الاخرة ولكنه شىء افتعله الله بالقدرة العالية كلوا مما سالتم يمددكم ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اليوم اية اخرى فقال عيسى يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسالون اشياء اذا اعطيتموها كرهتموها ما اخوفنى عليكم ان تعذبوا يا سمكة عودى كما كنت باذن الله فعادت السمكة مشوية كما كانت فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها ثم ناكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان اكل منها ولكن ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعا لها عيسى اهل الفاقة والزمنى والمرضى والمبتلين فقال كلوا منها ولكم المهنا ولغيركم البلا فاكل منها الف وثلثمائة رجل وامراة من فقير ومريض ومبتلى وكلهم شبعان يتجشا ثم نظر عيسى الى السمكة فاذا هى كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المايدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت عنهم فلم ياكل منها يومئذ زمن الا صح ولا مريض الا ابرا ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم ياكل منها وكانت اذا نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والصغار والكبار يتزاحمون عليها فلما راى ذلك عيسى جعلها نوبة بينهم فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبة توكل منها حتى اذا فاء الفىء طارت صعدا وهم ينظرون فى ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا يوما ويوما لا فاوحى الله الى عيسى اجعل مايدتى للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فاوحى الله الى عيسى عليه السلم انى شرطت على المكذبين

شرطا ان من كفر بعد نزولها اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلثة وثلثون رجلا باتوا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فى ديارهم فاصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات والكناسات وياكلون العذرة فى الحشوش فلما راى الناس فزعوا الى عيسى وبكوا وبكا على الممسوخين اهلوهم وعاشوا ثلثة ايام حتى هلكوا وفى تفسير اهل البيت عليهم السلم كانت المايدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها وياكلون منها ثم ترفع فقال كبراؤهم ومترفوهم لا ندع سفلتنا ياكلون منها معنا فرفع الله المايدة ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير **قوله عز وجل وَاِذْ قَالَ اللّٰهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ءَاَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَاُمِّىَ اِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى اَنْ اَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ اِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَا اَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ اِلَّا مَا اَمَرْتَنِى بِهِ اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَاَنْتَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ثلث ايات **اللغة** النفس تقع على وجوه فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهى التى اذا فارقها خرج عن كونه حيا ومنه قوله كل نفس ذايقة الموت والنفس ايضا ذات الشىء الذى يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه والنفس ايضا الارادة كما فى قول الشاعر فنفساى نفس قالت ايت ابن بحدل تجد فرجا من كل غمة تهابها ونفس تقول اجهد نجاءك لا تكن كخاضبة لم يغن شيئا خضابها وقال النمر بن تولب اما خليلى فانى لست معجله حتى توامر نفسيه كما زعما نفس له من نفوس القوم صالحة تعطى الجزيل ونفس ترضع الغنما يريد انه بين نفسين نفس تامره بالجود واخرى تامره بالبخل وكنى برضاع الغنم عن البخل كما يقال لئيم راضع والنفس العين التى تصيب الانسان وروى ان رسول الله صلى الله عليه واله كان يرقى فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابى النفوس التى تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان حسودا انفوسا كذوبا وقال ابن قيس الرقيات يتقى اهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقا والتميم وقال مفرس واذا غوا صعدا سعر فليس عليهم منا الحبال ولا نفوس الحسد والنفس الغيب يقال انى لا اعلم نفس فلان اى غيبه فعلى هذا تاويل الاية ويقال النفس ايضا العقوبة وعليه حمل بعضهم قوله سبحانه ويحذركم الله نفسه والرقيب اصله من الترقب هو الانتظار ومعناه الحافظ ورقيب القوم حارسهم والشهيد الشاهد لما يكون ويجوز ان يكون بمعنى العليم **الاعراب** حقيقة اذ ان تكون لما مضى وهذا معطوف على ما قبله فكانه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم وذلك ان يقول يا عيسى وقيل انه سبحانه انما قال له ذلك حين رفعه اليه فيكون القول ماضيا عن البلخى وهو قول السدى والصحيح الاول لان الله تعالى عقب هذه الاية بقوله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم واراد به يوم القيمة وانما خرج هذا مخرج الماضى وهو للمستقبل تحقيقا لوقوعه كقوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ومثله قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت يريد اذ يفزعون وكذلك قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار وقال ابو النجم ثم جزاه الله عنى اذ جزا جنات عدن فى العلالى العلى من دون الله من زايدة مؤكدة للمعنى وقوله ان كنت قلته المعنى ان اكن الان قلته فيما مضى وليس كان فيه على المضى لان الشرط والجزا لا يقعان الا فيما يستقبل وحرف الجزاء تغير معنى الماضى الى الاستقبال لا محالة هذا قول المحققين وقوله ان اعبدوا الله ذكر فى محله وجوه احدها النصب بدلا من ما امرتنى به والثانى ان يكون مجرور الموضع بدلا من الهاء فى به والثالث ان يكون ان مفسرة لما امر به بمعنى اى وعلى هذا فلا موضع لها من الاعراب **المعنى** ثم عطف سبحانه على ما تقدم من امر المسيح عليه السلم فقال واذ قال الله

والمعنى اذ يقول الله يوم القيمة لعيسى ياعيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله هذا
وان خرج مخرج الاستفهام فهو تقريع وتهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى من العرف بين الناس
ان من ادعى على غيره قولا فيقال لذلك الغير من المدعى عليه ذلك القول انت قلت هذا القول ليقول لا
فيكون ذلك استعظاما لذلك القول وتكذيبا لقايله وذكر فيه وجه اخر وهو ان يكون تعالى اراد بهذا القول
تعريف عيسى عليه السلم ان قوما قد اعتقدوا فيه وفى امه انهما الهان لانه يمكن ان يكون عيسى لم يعرف ذلك الا
فى تلك الحال عن البلخى والاول اصح وقد اعترض على قوله فقيل لا نعلم فى النصارى من اتخذ مريم الها والجواب عنه من
وجوه احدها انهم لما جعلوا المسيح الها لزمهم ان يجعلوا والدته ايضا الها لان الولد يكون من جنس الوالدة فهذا على
طريق الالزام لهم والثانى انهم لما عظموهما تعظيم الالهة اطلق اسم الالهة عليهما كما اطلق اسم الرب على الاحبار والرهبان
فى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله لما عظموهم تعظيم الرب والثالث انه يحتمل ان يكون فيهم
من قال بذلك ويعضد هذا القول ما حكاه الشيخ ابو جعفر عن بعض النصارى انه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم
المريمية يعتقدون فى مريم انها الهة فعلى هذا يكون القول فيه كالقول فى الحكاية عن اليهود وقولهم عزير ابن الله
قال يعنى عيسى سبحانك يريد جلالا لك وتعظمت وتعاليت عن عطا وقيل معناه تنزيها لك وبراءة مما لا يجوز عليك
وقيل تنزيها لك من ان تبعث رسولا يدعى الالهية لنفسه ويكفر بنعمتك فجمع بين التوحيد والعدل ثم تبرا من قول
النصارى فقال ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق اى لا يجوز لى ان اقول لنفسى ما لا يحق فامر الناس بعبادتى وانا
عبد مثلهم وانما يحق العبادة لك لقدرتك على اصول النعم ثم استشهد الله سبحانه على براءته من ذلك القول فقال
ان كنت قلته فقد علمته يريد انى لم اقله لانى لو كنت قلته لما خفى عليك لانك علام الغيوب تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما
فى نفسك اى تعلم غيبى وسرى ولا اعلم غيبك وسرك عن ابن عباس وانما ذكر النفس لاوجه الكلام والعادة جارية
بان الانسان يسر فى نفسه فصار قوله ما فى نفسى عبارة عن الاخفاء ثم قال ما فى نفسك على جهة المقابلة والا فالله سبحانه
منزه عن ان يكون له نفس وقلب تحل فيه المعانى ويقوى هذا التاويل قوله سبحانه انك انت علام الغيوب لانه علل
علمه بما فى نفس عيسى بانه علام الغيوب وعيسى عليه السلم ليس كذلك فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكاية عن عيسى
عليه السلم فى جواب ما قرره سبحانه عليه ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم اى لم اقل للناس الا
ما امرتنى به من الاقرار لك بالعبودية وانك ربى وربهم واله والههم فامرتهم ان يعبدوك وحدك لا شريك لك ولا
يشركوا معك غيرك فى العبادة وكنت عليهم شهيدا اى شاهدا ما دمت حيا فيهم بما شاهدته منهم وعلمته وبما ابلغتهم من رسالاتك
التى حملتنيها وامرتنى بادائها اليهم فلما توفيتنى اى قبضتنى اليك وامتنى عن الجبائى وقيل معناه توفاه الرفع الى السماء عن
الحسن كنت انت الرقيب اى الحفيظ عليهم عن السدى وقتادة وانت على كل شىء شهيد اى عالم بجميع الاشياء لا تخفى عليك خافية
ولا يغيب عنك قال الجبائى وفى هذه الاية دلالة على انه سبحانه امات عيسى عليه السلم وتوفاه ثم رفعه اليه لانه بين انه كان
شهيدا عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله سبحانه كان هو الشهيد عليهم وهذا ضعيف لان التوفى لا يستفاد من اطلاقه الموت
الا ترى الى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فبين انه سبحانه يتوفى الانفس التى لم تمت ان تعذبهم فانهم
عبادك لا يقدرون على دفع شىء من انفسهم وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فى هذا تسليم الامر الى مالكه وتفويض الى مدبره
وتبرؤ من ان يكون اليه شىء من امور قومه كما يقول الواحد منا اذا تبرا من تدبير امر من الامور ويريد تفويضه الى غيره
وهذا الامر لا مدخل لى فيه فان شئت فافعله وان شئت فاتركه مع علمه وقطعه على ان احد الامرين لا يكون منه وقيل المعنى
ان تعذبهم فباقامتهم على كفرهم وان تغفر لهم فبتوبة كانت منهم عن الحسن كانه اشترط التوبة وان لم يكن الشرط ظاهرا فى الكلام
وانما لم يقل فانك انت الغفور الرحيم لان الكلام لم يخرج مخرج السؤال فلو قال ذلك لاوهم الدعاء لهم بالمغفرة على ان قوله

العزيز

العزيز الحكيم ابلغ فى المعنى وذلك ان المغفرة قد تكون حكمة وقد لا تكون والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى
الغفران والرحمة اذا كانا صوابين ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة لان العزيز هو المنيع القادر الذى لا يضام والقاهر
الذى لا يرام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم والحكيم هو الذى يضع الاشياء فى مواضعها ولا يفعل الا الحسن الجميل
فالمغفرة والرحمة ان اقتضتهما الحكمة دخلتا فيه وزاد المعنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وصفه بالحكمة فى سائر
افعاله قوله عز وجل قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل
شىء قدير اى ان القراءة قرأ نافع وحده يوم بالنصب والباقون بالرفع الحجة قال ابو على من رفع يوما جعله خبر المبتدأ
الذى هو هذا واضاف يوما الى ينفع والجملة التى من المبتدأ والخبر فى موضع نصب بانه مفعول القول كما يقول قال زيد
عمرو اخوك ومن قال هذا يوم ينفع احتمل امرين احدهما ان يكون مفعول قال تقديره قال الله هذا القصص او هذا الكلام
يوم ينفع الصادقين صدقهم فيوم ظرف للقول وهذا اشارة الى ما تقدم ذكره من قوله اذ قال الله يا عيسى بن مريم
وجاء على لفظ المضى وان كان المراد الاتى كما قال ونادى اصحاب الجنة ونحو ذلك وليس ما بعد قال حكاية فى هذا الوجه
كما كان اياها فى الوجه الاخر ويجوز ان يكون المعنى على الحكاية وتقديره قال الله هذا يوم ينفع اى هذا الذى قصصنا
يقع او يحدث يوم ينفع او خبر المبتدأ الذى هو هذا الظرف لانه اشارة الى حدث وظرف الزمان يكون اخبارا عن
الاحداث والجملة فى موضع النصب بانها مفعول قال ولا يجوز ان يكون فى موضع رفع وقد فتح لان المضاف اليه
معرب وانما يكتسى البناء من المضاف اليه اذا كان المضاف اليه مبنيا والمضاف مبهما كما يكون ذلك فى هذا المضاف
اليه مبنيا نحو من خزى يومئذ ومن عذاب يومئذ وصار فى المضاف البناء للاضافة الى المبنى كما صار فيه الاستفهام بالاضافة
الى المستفهم به نحو غلام من انت وكما صار فيه الجزاء نحو غلام من يضرب اضرب وليس المضارع فى هذا كالماضى فى نحو
قوله على حين عاتبت المشيب على الصبى فقلت الما اصح والشيب وازع لان الماضى مبنى والمضارع معرب فاذا كان
معها لم يكن شىء يحدث من اجله البناء فى المضاف والاضافة الى الفعل نفسه فى الحقيقة لا الى مصدره ولو كانت الا
الى المصدر لم يبن المضاف لبناء المضاف اليه المعنى لما بين عيسى عليه السلم بطلان ما عليه النصارى قال الله
سبحانه هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم يعنى ما صدقوا به فى دار التكليف لان يوم القيمة لا تكليف فيه على احد ولا
يخبر احد فيه الا بالصدق ولا ينفع الكفار صدقهم فى يوم القيمة اذا اقروا على انفسهم بسوء اعمالهم وقيل ان المراد بصدقهم
تصديقهم لرسل الله وكتبه وقيل انه الصدق فى الاخرة وانه ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله تعالى فعلى هذا يكون
المراد به صدقهم فى الشهادة لانبيائهم بالبلاغ لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اى دايمين فيها فى
نعيم مقيم لا يزول رضى الله عنهم بما فعلوا ورضوا عنه بما اعطاهم من الجزاء والثواب ذلك الفوز العظيم وهو ما يحصلون
فيه من الثواب قال الحسن فازوا بالجنة ونجوا من النار ثم بين سبحانه عظيم قدرته واتساع مملكته فقال لله ملك السموات
والارض دون كل ما سواه لقدرته عليه وحده وقيل ان هذا جواب لسؤال يتضمنه الكلام كانه قيل من يعطيهم ذلك الفوز
العظيم فقيل الذى له ملك السموات والارض وجمع السموات ووحد الارض تفخيما لشان السموات وهو على كل شىء قدير فهو
يقدر على المعدومات بان يوجدها وعلى الموجودات ان يعدمها وعلى كثير منها ان يعيدها بعد الافناء وعلى مقدورات غيره بان يقدر عليها
ويمنع منها ويمكن منها وقيل معناه انه قادر على كل شىء يصح ان يكون مقدورا له كقوله خالق كل شىء عن الجبائى

تم المجلد الثالث من كتاب مجمع البيان لعلوم القران يوم الاثنين غرة ذى الحجة الحرام سنه اثنا وسبعين بعد الالف
على يد العبد الفقير الى الله تعالى المذنب المحتاج الملتاج الى رحمة ربه وشفاعة نبيه وائمة المعصومين عليهم السلم جلال بن حسن بن
جلال بن قاسم بن المير احمد الابردهى فى قرية الابرده من قرا مشهد المقدس والحمد لله رب العالمين والصلوة على خير خلقه محمد واله الطاهرين

وما فيهن نزه سبحانه نفسه عما قالت النصارى
ان معه الهم فقال لله ملك السموات والارض لم

المجلد الرابع من مجمع البيان فى تفسير القران

للشيخ الامام العلامه افضل

المتاخرين امين الدين

الطبرسى رحمه الله

عليه

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر ولا تعسر

سورة الانعام

هى مكية عن ابن عباس غير ست ايات وما قدروا الله حق قدره الى اخر ثلث ايات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر ثلث ايات فانهن نزلن بالمدينة وفى رواية اخرى عنه غير ثلث ايات قل تعالوا الى اخر الثلث وباقى السورة نزلت بمكة وروى عن ابى بن كعب وعكرمة وقتادة انها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ومعها سبعون الف ملك قد ملؤا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبى عليه السلم سبحان الله العظيم وخر ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم واكثرها حجاج على المشركين وعلى من كذب بالبعث والنشور **عدد اياتها** هى مائة وخمس وستون اية كوفى ست بصرى شامى سبع حجازى خلافها اربع ايات وجعل الظلمات والنور حجازى لست عليكم بوكيل كوفى كن فيكون والى صراط مستقيم غير الكوفى **فضلها** ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه واله قال انزلت على الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قراها صلى عليه اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من الانعام يوما وليلة جابر بن عبد الله الانصارى عن النبى عليه السلم قال من قرا ثلث ايات من اول سورة الانعام الى قوله ويعلم ما تكسبون وكل الله به اربعين الف ملك يكتبون له مثل عبادتهم الى يوم القيمة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا اراد الشيطان ان يوسوس او يوحى فى قلبه شيئا ضربه بها ضربة الى اخر الخبر وروى العياشى باسناده عن ابى بصير عن ابى عبد الله عليه السلم قال ان سورة الانعام نزلت جملة وشيعها سبعون الف ملك فعظموها فان اسم الله تعالى فيها فى سبعين موضعا ولو يعلم الناس ما فى قراتها من الفضل ما تركوها ثم قال عليه السلم من كانت له الى الله حاجة يريد قضاءها فليصل اربع ركعات بفاتحة الكتاب والانعام وليقل فى صلوته اذا فرغ من القراءة يا كريم يا كريم يا عظيم يا عظيم يا اعظم من كل عظيم يا سميع الدعاء يا من لا تغيره الليالى والايام صل على محمد وال محمد وارحم ضعفى وفقرى وفاقتى ومسكنتى يا من رحم الشيخ يعقوب حين رد عليه يوسف قرة عينه يا من رحم ايوب بعد طول بلائه يا من رحم محمدا ومن اليتم اواه ونصره على جبابرة قريش وطواغيتها وامكنه منهم يا مغيث يا مغيث يا مغيث يقول ذلك مرارا فوالذى نفسى بيده لو دعوت بها ثم سالت الله بها جميع حوايجك لاعطاك وروى على بن ابرهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن ابى الحسن على بن موسى الرضا عليه السلم قال نزلت الانعام جملة واحدة شيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قراها سبحوا له الى يوم القيمة وروى ابو صالح عن ابن عباس قال من قرا سورة الانعام فى كل ليلة كان من الامنين يوم القيمة ولم ير النار بعينه ابدا **تفسيرها** لما ختم الله سبحانه سورة المائدة بانه على كل شئ قدير افتتح سورة الانعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السموات والارض وغيره فقال **بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون** ايتان عراقى شامى وثلث ايات حجازى **اللغة** العدل خلاف الجور وعدلت به غيره اى سويته به وعدلت عنه اعرضت وعدلت الشئ فاعتدل اى قومته فاستقام والاجل الوقت المضروب لانقضاء الامد فاجل الانسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء التاخير واصله التاخير يقال اجله تاجيلا وعجله تعجيلا والاجل نقيض العاجل والامتراء الشك واصله من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ماراه يماريه مراء ومماراة اذا

الحجة

خفق النجم اذا غاب وشبه الخافقين المشرق والمغرب مغرب

الزجل بالتحريك الصوت يقال سحاب زجل اى ذو رعد ص

المرزبة المشددة

استخرج ما عنده بالمناظرة فالامتراء استخراج الشبه المشكلة من غير حل **المعنى** بدا الله سبحانه هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاما بانه المستحق لجميع المحامد لان اصول النعم وفروعها منه تعالى ولان له الصفات العلى فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض يعنى اخترعهما بما اشتملا عليه من عجايب الصنعة وبدايع الحكمة وقيل انه فى لفظ الخبر ومعناه الامر اى احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وان كان فيه معنى الامر لانه ابلغ فى البيان من حيث انه يجمع الامرين وقد ذكرنا من معنى الحمد لله وتفسيره فى سورة الفاتحة ما فيه كفاية وجعل الظلمات والنور يعنى الليل والنهار عن السدى وجماعة وقيل الجنة والنار عن قتادة وانما قدم ذكر الظلمات لانه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السموات قبل الارض ثم عجب سبحانه ممن جعل له شريكا مع ما يرى من الايات الدالة على وحدانيته فقال ثم الذين كفروا اى جحدوا الحق بربهم يعدلون اى يسوون به غيره بان جعلوا له اندادا اما خوذ من قولهم ما اعدل بفلان احدا اى لا نظير له عندى وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخل ثم فى قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو انه سبحانه انكر على الكفار العدل به وعجب المومنين من ذلك ومثله فى المعنى قوله ثم انتم تمترون وما بعده والوجه فى التعجب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بان اصول النعم منه وانه هو الخالق الرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به وايضا فانهم عبدوا ما لا ينفع ولا يضر من الحجارة والموات هو الذى خلقكم من طين يعنى به ادم والمعنى انشاء اباكم واخترعه من طين وانتم من ذريته فلما كان ادم عليه السلم اصلنا ونحن من نسله جاز ان يقول لنا خلقكم من طين ثم قضى اجلا اى كتب وقدر اجلا والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الامر وبمعنى الخلق وبمعنى الاتمام والاكمال واجل مسمى عنده قيل فيه اقوال احدها انه يعنى بالاجلين اجل الحياة الى الموت واجل الموت الى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك واختاره الزجاج وروى ايضا عطا عن ابن عباس قال قضى اجلا من مولده الى مماته واجل مسمى عنده من الممات الى المبعث لا يعلم ميقاته احد سواه فاذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله له فى اجل الحيوة وزاد فى اجل المبعث قال وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وثانيها انه الاجل الذى يحيى به اهل الدنيا الى ان يموتوا واجل مسمى عنده يعنى الاخرة لانه اجل دايم ممدود لا اخر له وانما قال مسمى عنده لانه مكتوب فى اللوح المحفوظ فى السماء وهو الموضع الذى لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائى وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وثالثها ان اجلا يعنى به اجل من مضى من الخلق واجل مسمى عنده يعنى به اجال الباقين عن ابى مسلم ورابعها ان قوله قضى اجلا عنى به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع الى صاحبه عند اليقظة واجل مسمى عنده هو اجل موت الانسان وهو المروى عن ابن عباس ويؤيده قوله ويرسل الاخرى الى اجل مسمى والاصل فى الاجل هو الوقت فاجل الحيوان هو الوقت الذى يكون فيه الحيوة واجل الموت وما يعلم الله تعالى ان المكلف يعيش اليه لو لم يقتل لا يسمى اجلا حقيقة ويجوز ان يسمى ذلك مجازا وما جاء فى الاخبار من ان صلة الرحم تزيد فى العمر والصدقة تزيد فى الاجل وان الله تعالى زاد فى اجال قوم يونس وما اشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله ثم انتم تمترون خطاب للكفار الذين شكوا فى البعث والنشور واحتج عليهم بانه سبحانه خلقهم ونقلهم من حال الى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقرون بانه لا محيص عنه ثم بعد هذا يشكون ويكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغى ان يشك فى انه يصح منه اعادتهم وبعثهم **قوله عز وجل وهو الله فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون اية الاعراب** هو الاشبه ان يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الامر الله يعلم فى السموات والارض سركم وجهركم فالله مبتدا ويعلم خبره وفى السموات وفى الارض فى موضع النصب بيعلم وسركم مفعوله ايضا ولا يكون الظرف الذى هو الجار والمجرور منصوب الموضع بالمصدر وان جعلت الظرف متعلقا باسم الله جاز فى قياس قول من قال ان اصل الله الاله ويكون المعنى هو المعبود فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم ومن جعل اسم الله بمنزلة اسماء الاعلام فلا يجوز ان يتعلق الظرف به الا ان يقدر فيه ضربا من معنى الفعل ويجوز ان يكون هو مبتدا والله خبره والعامل

من اجل الممات الى البعث واذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من اجل البعث

اى القتل هو الوقت الذى يحدث فيه الموت بالقتل

وتقديره الامر المعبود فى السموات وفى الارض يعلم

فى قوله فى السموات وفى الارض اسم الله على ما قلناه ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وهو الله
فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم فيه وجوه على ما ذكرناه فى الاعراب فعلى التقدير الاول يكون معناه الله يعلم فى السموات
وفى الارض سركم وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلق لان الخلق اما ان يكونوا ملائكة فهم فى السماء او بشرا او جنا فهم فى الارض
فهو سبحانه عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه شىء منها ويقويه قوله ويعلم ما تكسبون اى يعلم جميع ما تعملونه من الخير
والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثانى يكون معناه ان المعبود فى السماوات وفى الارض او المتفرد بالتدبير
فى السموات وفى الارض يعلم سركم وجهركم فلا يخفى عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبنى ادم وان جعلت اسم الله علما على هذا التقدير
ثم علقت به قوله فى السموات وفى الارض لم يجز وان علقته بمحذوف يكون خبرا لله او حالا عنه اوهم بان يكون البارى سبحانه
فى محل تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال ابو بكر السراج ان الله وان كان اسما علما ففيه معنى الثناء والتعظيم اللذين تقرب
بهما من الفعل فيجوز ان يوصل لذلك بالمحل وتاويله هو المعظم او نحو ذا فى السموات وفى الارض ثم قال يعلم سركم وجهركم ومثل
ذلك قوله سبحانه وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله قال الزجاج ولو قلت هو زيد فى البيت والدار لم يجز الا ان يكون
فى الكلام دليل على ان زيدا يدبر امر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبر فى البيت والدار ولو قلت هو المعتضد الخليفة فى الشرق
والغرب او قلت هو المعتضد فى المشرق والغرب جاز فعلى مقتضى ما قاله ابو بكر والزجاج يكون فى متعلقه بما دل عليه اسم الله
تعالى ويكون هو الله مبتدا وخبرا والمعنى وهو المتفرد بالالهية فى السماوات وفى الارض لا اله فيهما غيره ولا مدبر لهما سواه
وان جعلت فى السموات خبرا بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو فى السموات وفى الارض بمعنى انه فى كل مكان فلا يكون الى
مكان اقرب منه الى مكان ثم اخبر سبحانه عن هذا المعنى مبينا لذلك موكدا له بقوله يعلم سركم وجهركم اى الخفى المكتوم والظاهر
المكشوف منكم ويعلم ما تكسبون والمعنى يعلم نياتكم واحوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذى ذكرته فى معانى هذه الاية التى
استنبطتها من وجوه الاعراب مما لم اسبق اليه وهو فى استقامة فصوله ومطابقة اصول الدين لمحصوله كما تراه لا غبار عليه
وفيها دلالة على فساد قول من قال ان الله سبحانه فى مكان دون مكان تعالى الله عن ذلك وتقدس وفى قوله يعلم
سركم وجهركم دلالة على انه عالم لنفسه لان من كان عالما بعلم لا يصح ذلك منه قوله عز وجل وما تاتيهم من اية من
ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون البيان الاعراب
من الاولى مزيدة وهى التى تقع فى النفى لاستغراق الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعيض المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار
المذكورين فى اول الاية فقال وما تاتيهم من اية اى لا تاتيهم حجة من ايات ربهم اى من حجه وبيناته كانشقاق القمر وايات
القران وغير ذلك من المعجزات الا كانوا عنها معرضين لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده و
صدق رسوله فقد كذبوا بالحق الذى اتاهم به محمد صلى الله عليه واله من القران وساير امور الدين فسوف ياتيهم
ابناء اى اخبار ما كانوا به يستهزءون والمعنى اخبار استهزائهم وجزاؤه وهو عقاب الاخرة وقيل معناه سيعلمون ما يؤل
اليه استهزاؤهم عن ابن عباس والحسن وبه قال الزجاج ومعنى الاستهزاء ايهام التفخيم فى معنى التحقير قوله عز وجل
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا
الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين اية اللغة القرن اهل كل عصر مأخوذ
من اقترانهم فى العصر قال الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون قال والذى يقع عندى ان القرن اهل كل مدة
كان فيها نبى او كان فيها طبقة من اهل العلم قلت السنون او كثرت والدليل عليه قول النبى عليه السلام خيركم قرنى ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والتمكين اعطاء ما به تصح الفعل كائنا ما كان من الة وغيرها والاقدار اعطاء القدرة
خاصة ومفعال من اسماء المبالغة يقال ديمة مدرار اذا كان مطرها غزيرا ادرارا وهذا كقولهم امراة مذكار
اذا كانت كثيرة الولادة للذكور وكذلك ميناث فى الاناث واصل المدرار من در اللبن اذا اقبل على الحالب منه شىء

كثير ودرت السماء اذا امطرت والدر اللبن ويقال لله دره اى عمله وفى الذم لا در دره اى لا كثر خيره الاعراب كم نصبت
باهلكنا لا بقوله يروا لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو تعليق ومعنى التعليق ان الاستفهام ابطل
عمل يرى فى اللفظ وقد عمل فى معناه وانتقل من الخبر الى الخطاب فى قوله ما لم نمكن لكم اتساعا فى الكلام وقد قال مكناهم وانما
لم يقل ما لم نمكنكم لان العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحته ونصحت له المعنى ثم حذرهم سبحانه ما نزل بالامم قبلهم فقال
الم يروا اى الم يعلم هؤلاء الكفار كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى من امة وكل طبقة مقترنين فى وقت قرن مكناهم فى الارض
ما لم نمكن لكم معناه جعلناهم ملوكا واغنياء كانه سبحانه اخبر النبى صلى الله عليه واله عنهم فى صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال
ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعطكم والمعنى وسعنا عليهم فى كثرة العبيد والاموال والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الامر
وانتم تسمعون اخبارهم وترون ديارهم واثارهم وارسلنا السماء عليهم مدرارا قال ابن عباس يريد الغيث والبركة والسماء
معناه المطر هنا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم ولم يغن ذلك عنهم شيئا لما طغوا واجترؤا علينا وانشانا
من بعدهم قرنا اى خلقنا من بعد هلاكهم جماعة اخرى وفى هذه الاية دلالة على وجوب التفكر والتدبر واحتجاج على
منكرى البعث بان من اهلك من قبلهم وانشا قوما اخرين قادر على ان يفنى العالم وينشئ عالما اخر ويعيد الخلق بعد الافناء
قوله عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اية النزول
نزلت فى النضر بن الحرث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة
من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله عن الكلبى المعنى ثم اخبر الله سبحانه عن عنادهم فقال ولو نزلنا
عليك يا محمد كتابا فى قرطاس اى كتابة فى صحيفة واراد بالكتاب المصدر وبالقرطاس الصحيفة وقيل كتابا معلقا من السماء الى الارض
عن ابن عباس فلمسوه بايديهم اى فعاينوا ذلك معاينة ومسوه بايديهم عن قتادة وغيره قالوا واللمس باليد ابلغ فى الاحساس
من المعاينة فلذلك قال فلمسوه بايديهم دون ان يقول فعاينوه لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اخبر سبحانه
انهم يدفعون الدليل حتى لو اتاهم الدليل مدركا بالحس لنسبوا ذلك الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفى هذه الاية دلالة
على ما يقوله اهل العدل فى اللطف لانه تعالى بين انه انما لم يفعل ما سالوه حيث علم انهم لا يؤمنون عنده قوله عز وجل وقالوا
لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم
ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون ثلث ايات اللغة
قال الزجاج قضى فى اللغة على ضروب كلها ترجع الى معنى انقطاع الشىء وتمامه وقد ذكرنا معانى القضاء فى سورة البقرة
عند قوله اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون يقال لبست الامر على القوم البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا قال
ابن السكيت يقال لبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللبس منع النفس من ادراك الشىء بما هو كالستر
له واصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لانه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لباسا ولبسا والحيق ما يشتمل على الانسان
من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقا وحيوقا وحيقانا بفتح الياء المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا
لولا اى هلا انزل عليه اى على محمد ملك نشاهده فيصدقه ثم اخبر عن عظم عنادهم فقال ولو انزلنا ملكا على ما اقترحوه لما امنوا
به واقتضت الحكمة استيصالهم وان لا ينظرهم ولا يمهلهم وذلك معنى قوله لقضى الامر ثم لا ينظرون اى لاهلكوا بعذاب الاستيصال
عن الحسن وقتادة والسدى وقيل معناه لو انزلنا ملكا اى لو جعلنا الرسول ملكا او الذى ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون
ذلك لجعلناه رجلا لانهم لا يستطيعون ان يروا الملك فى صورته لان اعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة الا بعد التجسم بالاجسام
الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تاتى الانبياء فى صورة الانس وكان جبرئيل عليه السلام ياتى النبى عليه السلام فى صورة دحية
الكلبى وكذلك بنا الخصم اذ تسوروا المحراب واتيانهم ابرهيم ولوطا فى صورة الضيفان من الادميين وللبسنا عليهم ما يلبسون
قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفتهم فى امر النبى عليه السلام فيقولون انما هذا بشر مثلكم فقال لو انزلنا ملكا فراوه

الملك رجلا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم اى فانما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بان
الذى طلبوه لا يزيدهم بيانا بل يكون الامر فى ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو انزلنا ملكا لما عرفوه الا بالفكر
وهم لا يتفكرون فيبقون فى اللبس الذى كانوا فيه واضاف اللبس الى نفسه لانه يقع عند انزاله الملئكة ثم قال سبحانه على
سبيل التسلية لنبيه صلى الله عليه واله من تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به ولقد استهزئ برسل من قبلك يقول لقد استهزئ
الامم الماضية برسلها كما استهزاك قومك فلست باول رسول استهزئ به ولا هم اول امة استهزات برسولها فحاق بالذين
سخروا منهم اى فحل بالساخرين منهم ما كانوا يستهزءون من وعيد انبيائهم بعاجل العقاب فى الدنيا وقيل حاق بهم احاط بهم عن
الضحاك وهو اختيار الزجاج اى احاط بهم العذاب الذى هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف اذا جعلت ما فى قوله ما كانوا
به يستهزءون عبارة عن القران والشريعة وان جعلت ما عبارة عن العذاب الذى كان توعدهم به النبى صلى الله عليه واله
ان لم يؤمنوا استغنيت عن حذف تقدير المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذى كانوا يسخرون من وقوعه قوله عز وجل
قُلْ سِيرُوا فِى الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ قُلْ لِمَنْ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ تلك ايات الاعراب قال الاخفش الذين خسروا انفسهم بدل من الكاف والميم فى ليجمعنكم وقال الزجاج هو فى موضع
رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لان ليجمعنكم مشتمل على ساير الخلق على الذين خسروا انفسهم وغيرهم قال واللام فى ليجمعنكم لام
قسم فجايز ان يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استانف فقال ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجايز ان يكون ليجمعنكم بدلا
من الرحمة مفسرا لها لانه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بانه يمهلهم الى يوم القيمة ليتوبوا المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه
عليه السلم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار سيروا فى الارض اى سافروا فيها ثم انظروا والنظر طلب الادراك بالبصر والفكر
الاستدلال ومعناه هنا فانظروا بابصاركم وتفكروا بقلوبكم كيف كان عاقبة المكذبين المستهزئين وانما امرهم بذلك لان ديار
المكذبين من الامم السالفة كانت باقية واخبارهم فى الخسف والهلاك كانت شايعة فاذا صار هؤلاء فى الارض وسمعوا
اخبارهم وعاينوا اثارهم دعاهم ذلك الى الايمان وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال قل يا محمد لهؤلاء الكفار لمن
ما فى السموات والارض لله الذى خلقها ام للاصنام فان اجابوك فقالوا لله والا فقل انت لله اى ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما
كيف يشاء له كتب على نفسه الرحمة اى اوجب على نفسه الانعام على خلقه وقيل معناه اوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل
اوجب على نفسه الرحمة بانظاره عباده وامهاله اياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا عن معاصيهم وقيل اوجب على نفسه
الرحمة لامة محمد بان لا يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الامم الماضية والقرون الخالية عند التكذيب
بل يؤخرهم الى يوم القيمة عن الكلبى ليجمعنكم الى يوم القيمة اى ليؤخرن جمعكم الى يوم القيمة فيكون تفسيرا للرحمة على ما ذكرنا
ان المراد به امهال العاصى ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور يقول ليجمعنكم الى يوم القيمة الذى انكرتموه
كما يقول جمعت هؤلاء الى هؤلاء اى ضممت بينهم فى الجمع يريد لجمع اخركم الى اولكم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة وهو الذى لا
ريب فيه وقيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم الى هذا اليوم الذى يجحدونه ويكفرون به عن
الاخفش وسال على هذا فيقال كيف يحذر المشركين بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الالزام وايضا
فانه سبحانه انما ذكر ذلك عقيب الدليل ويقال كيف نفى الريب مطلقا فقال لا ريب فيه والكافر مرتاب فيه والجواب
ان الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضا فان الدلايل تزيل الشك والريب فان نعم الدنيا تعم المحسن والمسئ فلا بد
من دار يتميز فيها المحسن من المسئ وايضا فقد صح ان التكليف تعريض للثواب واذا لم يمكن ايصال الثواب فى الدنيا لان من
شانه ان يكون صافيا من الشوايب فلا يكون مقترنا بالتكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار اخرى وايضا فان التمكين من
الظلم من غير انتصاف فى العاجل وانزال الامراض من غير استحقاق ولا ايفاء عوض ولا ينتصف للمظلوم من الظالم الذين خسروا

اعلم ان بعض الاقوام كانوا يقولون يجب ان يكون الرسول ملكا على سبيل الاستهزا وكان يضيق قلب رسول الله صلى الله عليه واله عند سماعه فذكر ذلك ليكون سببا للتخفيف فكانه عذر لانواع من سوء الادب لا يكون مخصوصة بك بل كانت موجودة فى ساير القرون مع انبيائهم كذا

الغاجل يوجب صحة فى العاجل وبح ان لا يكون دار الاخرى فهم الغواب

انفسهم اى اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد فهم لا يؤمنون اى لا يصدقون بالحق ولما ذكر سبحانه ملك السموات والارض
عقبه بذكر ما فيهما فقال وله ما سكن اى له كل متمكن ساكن فى الليل والنهار خلقا وملكا وملكا وانما ذكر الليل
والنهار هنا وذكر السموات والارض فيما قبل لان الاول يجمع المكان والثانى يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكانه
اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون فى الاية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن
الاعرابى انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا اى يحله وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر فى الليل والنهار من
خلق وقيل معناه ما سكن فى الليل للاستراحة وتحرك فى النهار للمعيشة وانما ذكر الساكن دون المتحرك لانه اعم واكثر
ولان عاقبة التحرك السكون ولان النعمة فى السكون اكثر والراحة فيه اعم وقيل اراد الساكن والمتحرك وتقديره وله
ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر احد وجهى الشئ وتحذف الاخر لان المذكور ينبه على المحذوف كقوله سبحانه سرابيل
تقيكم الحر والمراد الحر والبرد ومتى قيل لماذا ذكر السكون والحركة من بين ساير المخلوقات فالجواب لما فى ذلك من التنبيه على
حدوث العالم واثبات الصانع لان كل جسم لا ينفك من الحوادث التى هى الحركة والسكون فاذا لا بد من محرك ومسكن
لاستواء الوجهين فى الجواز ولما نبه على اثبات الصانع عقبه بذكر صفته فقال وهو السميع العليم والسميع هو الذى على صفة
يصح لاجلها ان يسمع المسموعات اذا وجدت وهو كونه حيا لا افة به ولذلك يوصف به فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوه
التدابير فى خلقه وبكل ما يصح ان يعلم وانما جعل الليل والنهار فى هذه الاية كالمسكن لما اشتملا عليه لانه ليس يخرج منهما
شئ فجمع كل الاشياء بهذا اللفظ القليل الحروف وهذا من افصح ما يمكن كما قال النابغة فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت ان المنتاى عنك واسع فجعل الليل مدركا له اذا كان مشتملا عليه قوله عز وجل قُلْ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَتَّخِذُ
وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ايتان القراءة روى فى الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا
يطعم بفتح الياء ومعناه ولا ياكل اللغة الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت ادرى معنى فاطر حتى احتكم الى اعرابيان
فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدات حفرها واصل الفطر الشق ومنه اذا السماء انفطرت اى انشقت قال الزجاج فان
قال قايل كيف يكون الفطر فى معنى الخلق والانفطار فى معنى الانشقاق قيل انهما يرجعان الى شئ واحد لان معنى فطرهما
خلقهما خلقا قاطعا الاعراب غير نصب لانه مفعول اتخذ ووليا مفعول ثان وقوله ان عصيت ربى فيه وجهان احدهما
انه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالاقسام فعلى هذا لا يكون له موضع من الاعراب والاخر انه فى موضع نصب على
الحال فكانه قيل انى اخاف عاصيا ربى عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفا على الوجهين جميعا النزول
قيل ان اهل مكة قالوا لرسول الله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا انه لا يحملك على ذلك الا الفقر فانا نجمع لك
من اموالنا حتى تكون من اغنانا فنزلت الاية المعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سبق ذكرهم اغير الله اتخذ وليا
اى مالكا ومولى وولى الشئ مالكه الذى هو اولى به من غيره والمعنى لا اتخذ غير الله وليا الا انه اخرجه على لفظ الاستفهام لانه
ابلغ من ساير الفاظ النفى فاطر السموات والارض اى خالقهما ومنشيهما من غير احتذاء على مثال وهو يطعم ولا يطعم اى يرزق
ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه احد وقيل انما ذكر الاطعام لان حاجة العباد اليه اشد ولان نفيه عن الله
ادل على نفى شبهه بالمخلوقين لان الحاجة الى الطعام لا تجوز الا على الاجسام واحتج سبحانه بهذا على الكفار لان من خلق
السموات والارض وانشاء ما فيهما واحكم تدبيرهما واطعم من فيهما وهم فقراء اليه معلوم انه الذى ليس كمثله شئ وهو القاهر
الغنى الحى فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يعبد غيره قل يا محمد انى امرت اى امرنى ربى ان اكون اول من اسلم
اى من استسلم لامر الله ورضى بحكمه وقيل معناه امرت ان اكون اول من اخلص العبادة من اهل هذا الزمان عن الكلبى
وقيل اول من اسلم من امتى وامن بعد الفترة عن الحسن وانما كان اول لانه خص بالوحى وقيل معناه ان اكون اول من خضع

وامن وعرف الحق من قومي وان اترك ماهم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين
اى بانك لا ترى من سالك ان تريه نفسك وقول السحرة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين بان هذا
ليس بسحر وانه الحق اى اول المومنين من السحرة ولا تكونن من المشركين وصار امرت بدلا من ذلك لانه حين قال امرت اخبر
انه قيل له ذلك فقوله ولا تكونن معطوف على ما قبله في المعنى قل يا محمد انى اخاف قيل معناه اوقن واعلم وقيل هو من الخوف
ان عصيت ربى اى بترك امره وترك نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره وليا عذاب يوم عظيم يعني يوم القيمة و
معنى العظيم هنا انه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم قوله عز وجل من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك
الفوز المبين اية القراءة قراء حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وابو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الياء وكسر الراء وقرا الباقون
يصرف بضم الياء وفتح الراء الاعراب قال ابو علي فاعل يصرف الضمير العايد الى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العايد
الى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك هو في قراءة ابي فيما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل بمنزلة الضمير
الذي يحذف من الصلة لان من جزاء ولا يكون صلة على ان الضمير انما يحذف من الصلة اذا عاد الى الموصول نحو
اهذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف هنا الى الموصول ولا الى من
التي للجزاء وانما يرجع الى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لان هذا فعل
واحد قد تكرر وعدي الاول منهما الى المفعول فعلم بتعدية الاول ان الثاني بمنزلته واما قراءة من قراء يصرف فالمسند اليه
الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره والذكر العايد الى المبتدأ الذي هو من في القرائتين جميعا الضمير الذي في عنه
ومما يقوى قراءة من قراء يصرف بفتح الياء ان ما بعده من قوله فقد رحمه مسند الى ضمير اسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان
في الاسناد الى هذا الضمير ومما يقوي ذلك ايضا ان الهاء المحذوفة من يصرفه لما كانت في حيز الجزاء وكان ما في حيزه في انه
لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في انه لا يجوز ان يتسلط على الموصول حسن حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة
المعنى من يصرف العذاب عنه يومئذ فقد رحمه الله يريد من غفر له فانه يثيبه الله لا محالة وذكر سبحانه الرحمة مع صرف
العذاب لئلا يتوهم انه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط وذلك الفوز اى الظفر بالبغية المبين الظاهر البين ويحتمل
ان يكون معنى الاية انه لا يصرف العذاب عن احد الا برحمة الله كما روي ان النبي صلى الله عليه واله قال والذي نفسي
بيده ما من الناس احد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل
ووضع يده على فوق راسه وطول بها صوته رواه الحسن في تفسيره قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ايتان
المعنى ثم بين سبحانه انه لا يملك النفع والضر الا هو فقال وان يمسسك الله بضر اى ان يصبك بفقر او مرض او مكروه فلا كاشف
له الا هو اى لا مزيل ولا مفرج له عنه الا هو ولا يملك كفه سواه مما يعبده المشركون وان يمسسك بخير اى وان يصبك
بغنى او سعة في الرزق او صحة في البدن او شيء من محاب الدنيا فهو على كل شيء من الخير والضير قدير ولا يقدر احد على
دفع ما يريد لعباده من مكروه او محبوب فان قيل ان المس من صفات الاجسام فكيف قال ان يمسسك الله قلنا الباء للتعدية
والمراد ان امسك الله ضرا اى جعل الضر يمسك فالفعل للضر وان كان في الظاهر قد اسند الى اسم الله تعالى والضر
اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكاره كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به وهو القاهر ومعناه القادر على ان يقهر غيره فوق عباده
معنى فوق ههنا قهره واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيره وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذي لا ينفك منه احد ومثله
قوله سبحانه يد الله فوق ايديهم يريد انه اقوى منهم وهو الحكيم الخبير معناه انه مع قدرته عليهم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة و
الخبير العالم بالشيء وتاويله انه العالم بما يصح ان يخبر به والخبر علمك بالشيء تقول لي به خبر اى علم واصله من الخبر لانه
طريق من طرق العلم واذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صح وصفه سبحانه فيما لم يزل بانه قاهر وقال بعضهم لا يسمى

قاهرا

المعنى امرت بالامرين جميعا اى امرت بالايمان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين م

اصطفاه اى بعثه م

قاهرا الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا يكون من صفات الافعال فلا يصح وصفه فيما لم يزل به قوله عز وجل قل اى شيء اكبر
شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ اينكم لتشهدون ان مع الله
الهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ايتان الاعراب شهادة نصب على التميز ومن بلغ في محل نصب بالانذار
والعايد الى الموصول محذوف واينكم كتب بالياء لان الهمزة التي قبلها همزة تخفيف بان تجعل بين بين فاذا كانت
مكسورة تجعل بين الهمزة والياء فكتبت بالياء الذين اتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا انفسهم
رفع بكونه نعتا للذين الاولى ويجوز ان يكون رفعا بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره النزول قال الكلبي اتى اهل
مكة رسول الله صلى الله عليه واله فقالوا ما وجد الله رسولا غيرك ما نرى احدا يصدقك فيما تقول ولقد سالنا
عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فارنا من يشهد انك رسول الله كما تزعم فانزل الله تعالى المعنى
قل يا محمد لهؤلاء الكفار اى شيء اكبر اى اعظم شهادة واصدق حتى اتيكم به وادلكم بذلك على اني صادق وقيل معناه اى شيء اكبر
شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ وعليكم بالتكذيب عن الجبائي وقيل معناه اى شيء اعظم حجة واصدق شهادة عن ابن عباس فان
قالوا الله والا فقل لهم الله شهيد بيني وبينكم يشهد لي بالرسالة والنبوة وقيل يشهد لي بتبليغ الرسالة اليكم وتكذيبكم اياي
واوحي الي هذا القران اى انزل الي حجة وشهادة على صدقي لانذركم به اى لاخوفكم به من عذاب الله تعالى ومن بلغ اى
ولاخوف به من بلغه القران الى يوم القيمة وروى الحسن في تفسيره عن النبي صلى الله عليه واله انه قال من بلغه اني ادعوا
الى ان لا اله الا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلغه القران فكانما راى محمدا وسمع
منه وقال مجاهد حيث ما ياتي القران فهو داع ونذير وقراء هذه الاية وفي تفسير العياشي قال ابو جعفر وابو عبد الله
عليهما السلام معناه من بلغ ان يكون اماما من ال محمد فهو ينذر بالقران كما انذر به رسول الله صلى الله عليه واله وعلى
هذا فيكون قوله ومن بلغ في موضع رفع عطفا على الضمير في انذر وفي الاية دلالة على ان الله تعالى يجوز ان يسمى شيئا
لان قوله اى شيء اكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشيء انه ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فالله سبحانه شيء لا كالاشياء
بمعنى انه معلوم لا كالمعلومات التي هي الجواهر والاعراض والاشتراك في الاسم لا يوجب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة
على انه صلى الله عليه واله خاتم الانبياء ومبعوث الى الكافة ثم قال سبحانه موبخا لهم قل يا محمد لهم اينكم لتشهدون ان مع الله
الهة اخرى بعد وضوح الادلة وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وانما قال اخرى ولم يقل اخر لان الالهة جمع والجمع مؤنث فهو
كقوله ولله الاسماء الحسنى وقوله فما بال القرون الاولى ولم يقل الاول ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه واله قل انت
يا محمد لا اشهد بمثل ذلك وان شهدتم باثبات الشريك لله بعد قيام الحجة بوحدانيته والشاهد هو المبين لدعوى المدعي
ثم قال قل يا محمد لمن شهد ان معه الهة اخرى انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون به وبعبادته من الاوثان وغيرها و
لهذا قال اهل العلم تستحب لمن اسلم ابتداء ان ياتي بالشهادتين ويتبرء من كل دين سوى الاسلام ثم ذكر سبحانه ان الكفار
جاهل ومعاند فقال الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وهذا مفسر في سورة البقرة الذين خسروا
انفسهم فهم لا يؤمنون مفسر في هذه السورة فان حملته على انه صفة الذين الاولى فالمعنى به اهل الكتاب فان حملته على
الابتداء فانه يتناول جميع الكفار قال ابو حمزة الثمالي لما قدم النبي صلى الله عليه واله المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام ان
الله تعالى انزل على نبيه ان اهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال يعرف نبي الله بالنعت الذي
نعته الله اذا رايناه فيكم كما يعرف احدنا ابنه اذا راه بين الغلمان وايم الله الذي يحلف به ابن سلام لانا بمحمد اشد معرفة
مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا فاشهد انه هو فاما ابني فاني لا ادري ما احدثت
امه فقال فقد وفقت وصدقت واصبت قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح

هذا استفهام معناه الجحد والانكار وتقديره كيف تشهدون ان مع الله الهة اخرى م

عرفناه م

الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ايات القراءة ويوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وسبا وقرأ في ساير القران بالنون وقرا حفص هنا وفي يونس بالنون وفي ساير القران بالياء وقرا ابو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء وفي ساير الفرقان بالنون وقرا الباقون بالنون في جميع القران الحجة من قرا بالياء رده الى الله في قوله على الله كذبا ومن قرا بالنون ابتداء والياء في المعنى كالنون الاعراب ويوم نحشرهم العامل فيه محذوف على معنى فاذكر يوم نحشرهم وقيل انه معطوف على محذوف كانه قيل لا يفلح الظالمون ابدا ويوم نحشرهم والعايد الى الموصول محذوف من الذين كنتم تزعمون وتقديره تزعمون انهم شركاء فحذف مفعولي الزعم لدلالة الكلام وحالة السؤال عليه المعنى ثم بين سبحانه ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالاشراك فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا معناه ومن اكفر ممن اختلق على الله كذبا فاشرك به الالهة عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد اي لا احد اظلم منه لان جوابه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه او كذب باياته اي بالقران ومحمد ومعجزاته انه لا يفلح الظالمون اي لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار الظالمون والظالم هنا هو الكافر بنبوة محمد المكذب باياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله اية على نبوته ويوم نحشرهم جميعا عنى بهم من تقدم ذكرهم من الكفار لانه سبحانه يحشرهم يوم القيمة من قبورهم الى موضع الحساب ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون اختلف في وجه هذا السؤال فقيل ان المشركين اذا راوا تجاوز الله تعالى عن اهل التوحيد قال بعضهم لبعض اذا سئلتم فقولوا انا موحدون فلما جمعهم الله قال لهم اين شركاؤكم ليعلموا ان الله تعالى يعرف انهم اشركوا به في دار الدنيا وانه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل ان المشركين كانوا يزعمون ان الهتهم ليشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيمة اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم توبيخا لهم وتبكيتا على ما كانوا يدعونه عن اكثر المفسرين وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها لانفسهم ومعنى تزعمون يكذبون قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب وفي هذه الاية دلالة على بطلان الجبر وعلى اثبات المعاد وحشر جميع الخلق قوله عز وجل ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ايات القراءة قرا اهل المدينة وابو عمرو عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالتاء ايضا فتنتهم بالرفع وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب وقرا حمزة والكسائي وخلف والله ربنا بالنصب وقرا الباقون بالجر الحجة من قرا يكن بالياء فتنتهم نصبا فانه انث ان قالوا لما كان القول الفتنة في المعنى كما قال فله عشر امثالها فانث الامثال لما كانت في المعنى الحسنات ومما جاء في الشعر قول لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها فانث الاقدام لما كان العادة في المعنى قال الزجاج ويجوز ان يكون تاويل ان قالوا الا مقالتهم ومن قرا تكن بالتاء فتنتهم رفعا اثبت علامة التانيث في الفعل المسند الى الفتنة والفتنة مؤنثة و على هذه القراءة يكون قوله ان قالوا في موضع نصب بكونه خبر كان ومن قرا لم يكن بالياء فتنتهم نصبا وان قالوا الاسم لان ان اذا وصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر فكما ان المضمر اذا كان مع المظهر كان ان يكون المضمر الاسم احسن فكذلك ان اذا كانت مع اسم غيرها كانت ان يكون الاسم اولى واما من قرا والله ربنا فانه جعل الاسم المضاف وصفا للمفرد ومثل ذلك رايت زيدا صاحبنا وقوله ما كنا مشركين جواب للقسم ومن قرا ربنا بالنصب فصل بالاسم المنادى من المقسم والمقسم عليه والفصل به لا يمتنع وقد فصل بالنداء بين الصلة والموصول لكثرة النداء في الكلام وذلك مثل قول الشاعر ذاك الذي و ابيك يعرف مالك والحق يدفع ترهات الباطل ويجوز ان يكون نصبه على المدح بمعنى اعني ربنا واذكر ربنا اللغة الازهري جماع الفتنة في كلام العرب الامتحان ماخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب اذا اذبتهما بالنار ودفتنتهما وقد فتن الرجل بالمراة وافتتن وقد فتنته المراة وافتتنته قال الشاعر لئن فتنتني لهي بالامس افتتنت سعيدا فامسى قد قلى كل مسلم الاعراب العامل في كيف قوله كذبوا ولا يجوز ان يعمل فيه انظر لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز ان يعمل فيه ما قبله المعنى ثم بين سبحانه جواب القوم عند توجه التوبيخ اليهم فقال ثم لم تكن فتنتهم اختلف في معنى الفتنة هنا على وجوه احدها

ان

ان معناها ثم لم تكن جوابهم لانهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار الا هذا القول وثانيها ان المراد لم يكن معذرتهم الا ان قالوا عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وهذا راجع الى معنى الجواب ايضا وثالثها ما قاله الزجاج ان تاويله حسن لطيف لا يعرفه الا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك والله عز وجل ذكر في هذه الاقاصيص التي جرت امر المشركين وانهم مفتتنون بشركهم ثم اعلم انه لم يكن افتتانهم بشركهم واقامتهم عليه الا ان تبرؤوا منه وانتفوا منه فحلفوا انهم ما كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة ان ترى انسانا يحب غاويا فاذا وقع في هلكة تبرا منه فيقول له ما كانت محبتك فلانا الا ان انتفيت منه فالفتنة ههنا بمعنى الشرك والافتتان بالاوثان ويؤيد ذلك ما رواه عطا عن ابن عباس قال فتنتهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التاويل يرجع الى حذف المضاف لان المعنى لم يكن عاقبة فتنتهم الا البراءة منها بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويسال فيقال كيف يجوز ان يكذبوا في الاخرة ويحلفوا على الكذب والدار ليست بدار تكليف وكل الناس ملجؤون فيها الى ترك القبيح لمشاهدة الحقايق وزوال عوارض الشبه والشكوك ولمعرفتهم بالله سبحانه ضرورة والجواب ان معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند انفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك ان المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الاخرة فعلى هذا يكون قولهم وحلفهم واقعان على وجه الصدق وقيل ايضا انهم انما يحلفون على ذلك لزوال عقولهم لما يلحقهم من الدهشة من اهوال القيمة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويعترفون ويجوز ان ينسبوا اشراكهم في الدنيا بما يلحقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الاهوال انظر المعنى بقول الله تعالى عند حلف هؤلاء انظر يا محمد كيف كذبوا على انفسهم وهذا وان كان لفظه لفظ الاستفهام والمراد به التنبيه على التعجب منهم ومعناه انظر الى اخبارهم عن افترائهم كيف هو فانه لا يمكن النظر الى ما يوجد في الاخرة وانما كذبهم الله سبحانه في قولهم وان كانوا صادقين عند انفسهم لان الكذب هو الاخبار بالشيء لا على ما هو به علم المخبر بذلك او لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين كذبا في الحقيقة جاز ان يقال كذبوا على انفسهم وقيل معناه انظر كيف كذبوا على انفسهم في دار الدنيا لا انهم كذبوا في الاخرة لانهم كانوا مشركين على الحقيقة وان اعتقدوا انهم على الحق عن الجبائي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ضلت عنهم اوثانهم التي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله فذهبت عنهم في الاخرة فلم يجدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل انه عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى انها تضل عن عابديها يوم القيمة ولا تغني عنهم شيئا واختلف اهل العدل في ان اهل الاخرة هل يجوز ان يقع منهم الكذب فالاصح انه لا يجوز على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهش والحيرة في القيمة فاذا استقر اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فحينئذ لا يجوز ان يقع منهم القبيح والكذب ويكون جميعهم ملجئين الى ترك القبيح وبه قال ابو بكر بن الاخشيد واصحابه وقال بعضهم انه يجوز وقوعه منهم على جميع الاحوال قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين اية اللغة الاكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وستره مثل عنان واعنة قال الليث كل شيء وقى شيئا فهو كنانه وكنه والفعل منه كننت واكننت والكنة امراة الابن او الاخ لانها في كنه واستكن الرجل من الحر واكتن استتر والوقر الثقل في الاذن والوقر بكسر الواو الحمل قال ابو زيد وقرت اذنه توقر وقرا وقال الكسائي وقرت اذنه فهي موقورة قال الشاعر وكلام سيئ قد وقرت اذني منه وما بي من صمم واساطير واحدها اسطورة واسطارة ماخوذ من سطر الكتاب وهو سطر وسطر فمن قال سطر جمعه اسطار ومن قال سطر فجمعه في القليل اسطر وفي الكثير سطور قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا لقايل يا نصر نصر نصرا وجمع اسطار اساطير قال الزجاج وتاويل السطر في اللغة ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا وقال الاخفش اساطير جمع لا واحد له نحو ابابيل ومذاكير وقال بعضهم واحد الابابيل ابيل بالتشديد وكسر الالف والجدل الخصومة سمي بذلك لشدته وقيل انه مشتق من الجدالة وهي الارض لان احدهما يلقي صاحبه على الارض الاعراب

ان يفقهوه موضعه نصب على انه مفعول له المعنى لكراهة ان يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة ولما حذفت الكراهة
انتقل نصبها الى ان قاله الزجاج يريد انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجادلونك فى موضع نصب على الحال
النزول قالوا ان نفرا من مشركى مكة منهم النضر بن الحرث وابو سفين بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة واخوه
شيبة وغيرهم جلسوا الى رسول الله صلى الله عليه واله وهو يقرأ القران وقالوا للنضر ما يقول محمد فقال اساطير الاولين
مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية فانزل الله هذه الاية المعنى ثم وصف الله سبحانه حالهم عند استماع القران فقال
ومنهم اى ومن الكفار الذين تقدم ذكرهم من يستمع اليك يريد يستمعون الى كلامك قال مجاهد يعنى قريشا وجعلنا على قلوبهم
اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا قد ذكرنا الكلام فيه فى سورة البقرة عند قوله ختم الله على قلوبهم وقال القاضى ابو عاصم
العامرى اصح الاقوال فيه ما روى ان النبى صلى الله عليه واله كان يصلى بالليل ويقرء القران فى الصلوة جهرا رجاء ان يستمع
الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن فكان المشركون اذا سمعوه اذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقى
عليهم النوم او يجعل فى قلوبهم اكنة ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم ما يقوم به الحجة وينقطع به المعذرة وبعد ما
علم الله سبحانه انهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به فشبه القاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم وبوقر اذانهم لان ذلك
كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطاء وهذا معنى قوله تعالى واذا قرأت القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة
حجابا مستورا وهو قول ابى على الجبائى ويحتمل ذلك وجها اخر وهو انه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم انهم لا يؤمنون
بعقوبات يجعلها فى قلوبهم تكون موانع من ان يفهموا ما يستمعونه ويحتمل ايضا ان يكون سمى الكفر الذى فى قلوبهم كنانا تشبيها
ومجازا واعراضهم عن تفهم القران وقرا توسعا لان مع الكفر والاعراض لا يحصل الايمان والفهم كما لا يحصلان مع الكن
والوقر ونسب ذلك الى نفسه لانه الذى شبه احدهما بالاخر كما يقول احدنا لغيره اذا اثنى على انسان وذكر مناقبه جعلته
فاضلا وبالضد اذا ذكر مقابحه وفسقه يقول جعلته فاسقا وكما يقال جعل القاضى فلانا عدلا وكل ذلك يراد به الحكم عليه
بذلك والابانة عن حاله كما قال الشاعر جعلتنى باخلا كلا ورب منى انى لاسمح كفا منك فى الكرب ومعناه سميتنى باخلا
وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها يريد وان يروا كل عبرة لم يصدقوا بها عن ابن عباس وقيل معناه وان يروا كل علامة ومعجزة
دالة على نبوتك لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج ولو اجرى معنى الاية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لان من لا يمكنه ان
يسمع ويفقه لا يجوز ان يوصف بذلك وكان لا يصح ان يصفهم بانهم كذبوا باياته وغفلوا عنها وهم ممنوعون عن ذلك والذى
يزيل الاشكال انه تعالى قال فى وصف بعض الكفار واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها الاية ولو كان فى اذنيه وقر
مانع عن السماع مزيل للقدرة لكان لا معنى لقوله كان فى اذنيه وقرا وكان لا يستحق المذمة لانه لم يعط الة السمع فكيف
يذم على ترك السمع حتى اذا جاءوك يجادلونك يعنى انهم اذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مجىء مخاصمين مجادلين رادين
عليك قولك ولم يجيئوا مجىء من يريد الرشاد والنظر فى الدلالة الدالة على توحيد الله ونبوة نبيه يقول الذين كفروا ان
هذا اى ما هذا القران الا اساطير الاولين اى احاديث الاولين التى كانوا يسطرونها عن الضحاك وقيل معنى الاساطير
الترهات والبسابس مثل حديث رستم واسفنديار وغيره مما لا فائدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم ان حد لهم هذا القول منهم
وقيل هو مثل قولهم اناكلون ما تقتلون بايديكم ولا ناكلون ما قتله الله تعالى قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون
عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون اية اللغة الناى البعد يقال نايت عنه انأى نأيا ومنه اخذ النؤى
وهو الحاجز حول البيت لئلا يدخله الماء المعنى ثم كنى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال وهم ينهون عنه وينأون
عنه اى ينهون الناس عن اتباع النبى صلى الله عليه واله ويتباعدون عنه فرارا منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفيه والحسن
والسدى وقيل معناه ينهون الناس عن استماع القران لئلا يقع فى قلوبهم صحته ويتباعدون هم عن استماعه عن قتادة ومجاهد
واختاره الجبائى وقيل عنى به ابا طالب بن عبد المطلب ومعناه يمنعون الناس عن اذى النبى صلى الله عليه واله ولا يتبعونه عن

عطا ومقاتل وهذا لا يصح لان هذه الاية معطوفة على ما تقدمها وما تأخرعنها معطوف عليها وكلها فى ذم الكفار المعاندين
للنبى صلى الله عليه واله هذا وقد ثبت اجماع اهل البيت على ايمان ابى طالب واجماعهم حجة لانهم احد الثقلين اللذين
امر النبى صلى الله عليه واله بالتمسك بهما بقوله ان تمسكتم بهما لن تضلوا ويدل على ذلك ما رواه ابن عمر ان
ابا بكر جاء بابيه ابى قحافة يوم الفتح الى رسول الله صلى الله عليه واله فاسلم فقال عليه السلام الا تركت الشيخ فاتيه وكان اعمى
فقال ابو بكر اردت ان ياجره الله والذى بعثك بالحق لانا كنت باسلام ابى طالب اشد فرحا منى باسلام
ابى التمس بذلك قرة عينك فقال عليه السلام صدقت وروى الطبرى باسناده ان رؤساء قريش لما رأوا ذب ابى طالب
عن النبى صلى الله عليه واله اجتمعوا اليه وقالوا جئناك بفتى قريش جمالا وجودا وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه اليك و
تدفع الينا ابن اخيك الذى فرق جماعتنا وسفه احلامنا فنقتله فقال ابو طالب ما انصفتمونى تعطوننى ابنكم فاغذوه
واعطيكم ابنى فتقتلونه بل فليات كل امرئ منكم بولده فاقتله وقال منعنا الرسول رسول المليك ببيض تلألأ كلمع البروق
اذود واحمى رسول المليك حماية حام عليه شفيق واقواله واشعاره المنبئة عن اسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن
ذلك قوله الم تعلموا انا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط فى اول الكتب اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه بالطعان
وبالحرب وقوله من قصيدة وقالوا لاحمد انت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب الا ان احمد قد جاءهم بحق ولم ياتهم بالكذب
وقوله فى حديث الصحيفة وهو من معجزات النبى صلى الله عليه واله وقد كان فى امر الصحيفة عبرة متى ما يخبر غائب القوم
يعجب محا الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطق الحق معرب وامسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا
غير معتب وقوله يحض اخاه حمزة على اتباع النبى صلى الله عليه واله والصبر فى طاعته صبرا ابا يعلى على دين احمد
وكن مظهرا للدين وفقت صابرا فقد سرنى اذ قلت انك مؤمن فكن لرسول الله فى الله ناصرا وقوله من قصيدة
اتيم على نصر النبى محمد اقاتل عنه بالقنا والقنابل وقوله يحض النجاشى على نصر النبى صلى الله عليه واله تعلم مليك الحبش
ان محمدا وزير لموسى والمسيح بن مريم اتى بهدى مثل الذى اتيا به وكل بامر الله يهدى ويعصم وانكم تتلونه فى كتابكم بصدق حديث
لا حديث الترجم ولا تجعلوا لله ندا واسلموا وان طريق الحق ليس بمظلم وقوله فى قصيدة وصيته وقد حضرته الوفاة اوصى
بنصر النبى الخير مشهده عليا ابنى وشيخ القوم عباسا وحمزة الاسد الحامى حقيقته وجعفرا ان يذودوا دونه
الباسا كونوا فدى لكم امى وما ولدت فى نصر احمد دون الناس اتراسا فى امثال لهذه الابيات مما هو موجود فى
قصائده المشهورة ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب على ان ابا طالب لم ينأ عن النبى عليه السلام قط بل كان يقرب منه
ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون اى وما يعلمون
اهلاكهم اياها بذلك قوله عز وجل ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا و
نكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اية ان
القراءة قرأ ولا نكذب ونكون بالنصب حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وقرأ ابن عامر ونكون بالنصب وقرأ الباقون
بالرفع فيهن الحجة قال ابو على من قرأ بالرفع جاز فيه وجهان احدهما ان يكون معطوفا على نرد فيكون قوله ولا نكذب
ونكون داخلا فى التمنى دخول نرد فيه فعلى هذا تمنى الرد وان لا نكذب والكون من المؤمنين ويحتمل الرفع وجها اخر وهو
ان يقطعه من الاول ويكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب ونكون وقال سيبويه هو على قولك فانا لا نكذب كما يقول
القائل دعنى ولا اعود اى فانى ممن لا يعود فانما يسالك الترك وقد اوجب على نفسه ان لا يعود ترك اولم يترك ولم يرد
ان يسالك ان يجمع له الترك وان لا يعود وجه من نصب فقال ولا نكذب ويكون انه ادخل ذلك فى التمنى لان
التمنى غير موجب فهو كالاستفهام والامر والنهى فى انتصاب ما بعد ذلك كله من الافعال اذا دخلت عليها الفاء
او الواو وعلى تقدير ذكر المصدر من الفعل الاول كانه فى التمثيل يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون

من المومنين ومن رفع ولا نكذب ونصب ونكون فان الفعل الذى هو لا نكذب يحتمل وجهين احدهما ان يكون داخلا في التمنى فيكون فى المعنى كالنصب والاخر ان يخبر على الثبات ان لا نكذب رُدّا ولم يردّ ومن نصبهما جميعا جعلهما داخلين في التمنى اللغة يقال وقفت الدابة وقوفا ووقف غيره يقفه وقفا وحكى عن ابى عمرو انه اجازها او قفتك ههنا مع اجماع انه لم يسمعه من العرب وبدا يبدو بدوًا اذا ظهر وفلان ذو بدوات اذا بدا له الراى بعد الراى وبدا لى فى هذا الامر بدًا والبدا لا يجوز على الله سبحانه لانه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال الاعراب ولو ترى جوابه محذوف وتقديره لرايت امرا هايلا ونحو قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال يريد لكان هذا القران وهذه الاجوبة انما تحذف لتعظيم الامر وتفخيمه ومثله قول امرء القيس وجدّك لو شىء اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا وتقديره لو اتانا رسول غيرك لما جئنا ويقال فيقال لم جاز ولو ترى اذ وقفوا واذ هى للماضى والجواب ان الخبر لصحته وصدق المخبر به صار بمنزلة ما وقع المعنى ثم بين سبحانه ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيمة من الحسرة وتمنى الرجعة فقال ولو ترى يا محمد او ايها السامع اذ وقفوا على النار فهذا يحتمل ثلاثة اوجه جايز ان يكون المعنى عاينوا النار وجايز ان يكونوا عليها وهى تحتهم قال الزجاج والاجود ~~وجايز ان يكونوا عليها وهى تحتهم قال الزجاج والاجود~~ ان يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما يقال فى الكلام قد وقفت على ما عند فلان تريد قد فهمته وتبينته وهذا وان كان بلفظ الماضى فالمراد به الاستقبال وانما جاز ذلك لان كل ما هو كاين يوما ما لم يكن بعد فهو عند الله قد كان وانشد فى مثله ستندم اذ ياتى عليك رعيلنا بارعن جرار كثير صواهله فوضع اذ موضع اذا وقد يوضع ايضا اذا موضع اذ كما فى قول الشاعر وندمان يزيد الكاس طيبا سقيت اذا تعرضت النجوم فقالوا اى فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا يا ليتنا نرد الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا اى بكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده ونكون من المومنين يعنى من جملة المومنين بايات الله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اختلف فيه على اقوال احدها ان معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفونه عن جهالهم وضعفائهم مما فى كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم وثانيها ان المراد بل بدا من اعمالهم ما كانوا يخفونه فاظهره الله وشهدت به جوارحهم عن ابى روق وثالثها ان المعنى ظهر للذين اتبعوا الغواة ما كان الغواة يخفونه عنهم من امر البعث والنشور لان المتصل بهذا قوله وقالوا ان هى الا حيوتنا الدنيا الاية عن الزجاج وهو قول الحسن ورابعها ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد وكل هذه الاقوال يعنى ظهرت فضيحتهم فى الاخرة وهتكت استارهم ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه اى لو ردوا الى الدنيا والى حال التكليف كما طلبوا لعادوا الى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب وانهم لكاذبون يسأل على هذا فيقال ان التمنى كيف يصح فيه الكذب وانما يقع الكذب فى الخبر والجواب ان من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمنى وصرف الكذب الى غير الامر الذى تمنوه وقال ان معناه هم كاذبون فيما يخبرون به عن انفسهم فى الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يكون المعنى انهم كاذبون ان اخبروا عن انفسهم فى ~~الدنيا من الاصابة واعتقاد الحق او يكون المعنى انهم كاذبون ان اخبروا عن انفسهم~~ بانهم متى ردوا امنوا وان كان على ما حكى عنهم من التمنى ليس بخبر وقد يجوز ان يحمل على غير الكذب الحقيقى بان يكون المراد انهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمنيهم وهذا مشهور فى كلام العرب يقولون كذبك املك لمن تمنى ما لم يدرك وقال الشاعر كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بنى شاب قرناها تصر وتحلب وقال الاخر كذبتم وبيت الله لا تاخذونها مراغمة ما دام للسيف قايم والمراد ما ذكرناه من الخيبة فى الامل والتمنى فان قال كيف يجوز ان يتمنوا الرد الى الدنيا وقد علموا انهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه احدها انا لا نعلم ان اهل الاخرة يعرفون جميع احكام الاخرة وانما نقول انهم يعرفون الله تعالى معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الايات الملجئة لهم الى المعارف واما التوجع والتمنى للخلاص والدعاء للفرج فيجوز ان يقع ذلك منهم عن البلخى وثانيها ان التمنى قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع التمنى على ان لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما

قد فعله وتقضى وقته وثالثها انه لا مانع من ان يقع منهم التمنى للرد لان يكونوا من المومنين عن الزجاج وفى الناس من جعل بعض الكلام تمنيا وبعضه اخبارا وعلق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا وهذا انما يتساق فى قراءة من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فانا لا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين فيكونون قد اخبروا بما علم الله تعالى انهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من انفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وذكر ان ابا عمرو بن العلا استدل على قراءته بالرفع فى الجميع بان قوله وانهم لكاذبون فيه دلالة على انهم اخبروا بذلك عن انفسهم ولم يتمنوا لان التمنى لا يقع فيه الكذب قوله عز وجل وقالوا ان هى الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ايات المعنى ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الاية وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال وقالوا ان هى اى ما هى الا حيوتنا الدنيا عنوا بذلك انه لا حيوة لنا فى الاخرة وانما هى هذه التى حيينا بها فى الدنيا وما نحن بمبعوثين اى لسنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه واله فقال ولو ترى يا محمد اذ وقفوا على ربهم ليس يصح فى هذه الاية شىء من الوجوه التى ذكرناها فى قوله ولو ترى اذ وقفوا على النار الا وجها واحدا وهو ان المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال وقفته على كلام فلان اى عرفته اياه وقيل ايضا ان المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب التى يفعله بالكفار والثواب الذى يفعله بالمومنين فى الاخرة وعرفوا صحة ما اخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز ان يكون المعنى حبسوا على ربهم ينتظر بهم ما يامر به ويخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدى سيده لما فى ذلك من الفصاحة والافصاح بالمعنى والتنبيه على عظم الامر قال اى يقول الله تعالى لهم وجاء على لفظ الماضى لانه لتحققه كانه قد وقع وقيل معناه تقول الملائكة لهم بامر الله تعالى اليس هذا بالحق كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وقوله هذا اشارة الى الجزاء والحساب والبعث قالوا اى فيقول هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذعنين له بلى هو حق وربنا اقسموا وذكروه واكدوا اعترافهم به قال الله تعالى او الملك بامره فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اى بكفركم وانما قال ذوقوا لانهم فى كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المذوق فى شدة الاحساس من غير ان يصيروا الى حال من شم بالطعام فى نقصان الادراك قوله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ايتان القراءة قرا ابن عامر ولدار الاخرة بلام واحدة وجر الاخرة على الاضافة والباقون بلامين ورفع الاخرة وقرا اهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل افلا يعقلون بالتاء ههنا وفى الاعراف ويوسف ويس ووافقهم حفص الا فى يس وحماد ويحيى عن ابى بكر فى يوسف وقرا الباقون جميع ذلك بالياء الحجة من قرا للدار الاخرة فلان الاخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله وللاخرة خير لك من الاولى وان الدار الاخرة لهى الحيوان وتلك الدار الاخرة فجعلها من اضاف دار الى الاخرة فانه لم يجعل الاخرة صفة للدار فان الشىء لا يضاف الى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة فكانه قال ولدار الساعة الاخرة وجاز وصف الساعة بالاخرة كما وصف اليوم بالاخر فى قوله وارجوا اليوم الاخر قال ابو على انما حسن اضافة الدار الى الاخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لان الاخرة قد صارت كالابطح والابرق الا ترى انه قد جاء وللاخرة خير لك من الاولى فاستعملت استعمال الاسماء ولم يكن مثل الصفات التى لم تستعمل استعمال الاسماء و مثل الاخرة فى انها استعملت استعمال الاسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الاسماء حسن ان لا يلحق لام التعريف فى نحو قوله فى سعى دنيا طال ما قد مدت واما وجه القراءة بالياء فى افلا يعقلون فهو انه قد تقدم ذكر الغيبة فى قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالتاء انه يصلح ان يكون خطابا مستوجها اليهم ويصلح ان يراد الغيب والمخاطبون فيغلب الخطاب اللغة كل شىء اتى فجاة فقد بغت يقال بغته الامر يبغته بغتة قال الشاعر ولكنهم بانوا ولم اخش بغتة وافظع شىء حين يفجاك

البغت والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي يقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير واصله التقدم
فالافراط التقدم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في العجز والتقصير والوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر
وهو الجبل الذي يعتصم به ومنه قيل وزير كانه يعتصم الملك به ومنه قوله تعالى واجعل لي وزيرا ويزرون يفعلون
من وزر يزر وزرا اذا اثم وقيل وزر فهو موزور اذا فعل به ذلك ومنه الحديث في النساء يتبعن جنازة فقيل لهن
ارجعن مازورات غير ماجورات والعامة تقول مازورات والعقل والنهى والحجى متقاربة فالعقل الامساك عن القبيح وقصر
النفس وحبسها على الحسن قال الاصمعي وبالدهناء خبراء يقال لها معقلة قال ونراها سميت معقلة لانها تمسك الماء كما
يعقل الدواء البطن والنهى لا يخلو اما ان يكون مصدرا كالهدى او جمعا كالظلم وهو في معنى ثبات وحبس ومنه النهى والتنهية
للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستنقع فيه لتسفله ويمنع ارتفاع ما حوله من ان يسيح على وجه الارض والحجى اصله من الحجو وهو احتباس
وتمكث قال فلان يحجو به اذا احتبس وحجيت بالشيء وتحجيت به يهمز ولا يهمز اي تمسكت عن الازهري قال ابو علي فكان الحجى مصدر
كالشبع ومن هذا الباب الحجيا اللغز لتمكث الذي يلقى عليه حتى يستخرجه الاعراب يقال ما معنى الغاية في قوله حتى اذا
جاءتهم الساعة وما عامل الاعراب فيها والجواب ان معناها منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيمة والعامل فيها كذبوا الى ان
ظهرت الساعة بغتة فندموا حيث لا ينفعهم الندامة ويقال ما معنى دعاء الحسرة وهي مما لا يعقل والجواب ان العرب
اذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن امر عظيم يقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة
على العباد وقوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ويلتا االد وهذا ابلغ من ان يقول انا حسير على التفريط قال
الزجاج قال سيبويه انك اذا قلت يا عجباه فكانك قلت احضر وتعال يا عجب فانه من ازمانك وتاويل يا حسرتاه انتبهوا
على انا قد خسرنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبيها على عظم شانها وقيل انها بمنزلة الاستغاثة فكانه قيل
يا حسرتنا تعالى فهذا اوانك كما يقال للعجب وقوله ساء ما يزرون تقديره بئس الشيء شيء يزرون وقد ذكرنا عمل نعم وبئس في
ما مضى المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني بلقاء ما وعد الله به من الثواب والعقاب
وجعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى مجازا عن ابن عباس والحسن وقيل المراد بلقاء جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله اي
لقي جزاء عمله ونظيره الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه حتى اذا جاءتهم الساعة اي القيمة بغتة اي فجاءة من غير ان
علموا وقتها قالوا عند معاينة ذلك اليوم واهواله وتباين احوال اهل الثواب والعقاب يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اي
على ما تركنا وضيعنا في الدنيا من تقديم اعمال الاخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء يعود الى الساعة عن الحسن والمعنى على
ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة لها وقيل ان الهاء تعود الى الجنة اي في طلبها والعمل لها عن السدي ويدل عليه ما رواه
الاعمش عن ابي صالح عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه واله في هذه الاية قال يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون
يا حسرتنا وقال محمد بن جرير الهاء تعود الى الصفقة لانه لما ذكر الخسران دل على الصفقة ويجوز ان يكون الهاء يعود الى معنى
ما في قوله ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم اي اثقال ذنوبهم على ظهورهم
وقال ابن عباس يريد اثامهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة
واطيبه ريحا فيقول انا عملك الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا اي ركبانا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقبح شيء صورة واخبثه ريحا فيقول انا عملك السيء طال ما ركبتني
في الدنيا فانا اركبك اليوم وذلك قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج هذا مثل جائز ان يكون جعل ما
ينالهم من العذاب بمنزلة اثقل ما يحمل لان الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال ايضا كما يقول ثقل علي خطاب
فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة اشتدت علي فعلى هذا يكون المعنى انهم يقاسون عذاب اثامهم مقاساة تثقل عليهم ولا
يزايلهم والى هذا المعنى اشار امير المومنين علي عليه السلم في قوله عليه السلم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم اخركم الا ساء

اي كذبوا م

ما يزرون اي بئس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم واعمالهم السيئة اذا كان ذلك عذابا
ونكالا ثم رد عليهم قولهم ما هي الا حيوتنا الدنيا وبين سبحانه ان ما يتمتع به من الدنيا يزول ويبيد فقال وما الحيوة الدنيا
الا لعب ولهو اي باطل وغرور اذا لم يجعل ذلك طريقا الى الاخرة وانما عنى بالحيوة الدنيا اعمال الدنيا لان نفس الدنيا لا
توصف باللعب وما فيه رضا الله من عمل الاخرة لا يوصف به ايضا لان اللعب ما لا يعقب نفعا واللهو ما يصرف عن الجد الى الهزل
وهذا انما يتصور في المعاصي وقيل المراد باللعب واللهو ان الحيوة تنقضي وتفنى ولا تبقى فيكون لذة فانية عن قريب كاللعب واللهو
وللدار الاخرة وما فيها من انواع النعيم والجنان خير للذين يتقون معاصي الله لانها باقية دايمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب
عنهم سرورها افلا تعقلون ان ذلك كما وصفهم فتزهدوا في شهوات الدنيا وترغبوا في نعيم الاخرة وتفعلوا ما يوديهم
الى ذلك من الاعمال الصالحة وفي هذه الاية تسلية للفقراء بما حرموا من متاع الدنيا وتقريع للاغنياء اذا ركنوا الى حطامها
ولم يعملوا لغيرها قوله عز وجل قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد
جاءك من نبإ المرسلين ايتان القراءة قرا نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الزاء والباقون ليحزنك بفتح الياء وضم الزاء
وقرا نافع والكسائي والاعشى عن ابي بكر لا يكذبونك خفيفة وهو قراءة علي والمروي عن جعفر الصادق والباقون يكذبونك
بفتح الكاف والتشديد الحجة قال ابو علي قال سيبويه قالوا حزن الرجل وحزنته وزعم الخليل انك حيث تقول حزنته لم ترد ان
تقول جعلته حزينا كما انك حيث قلت ادخلته اردت جعلته داخلا ولكنك اردت ان تقول جعلت فيه حزنا كما تقول
كحلته جعلت فيه كحلا ودهنته جعلت فيه دهنا ولم يرد بفعلته ههنا تعدى قوله حزن ولو اردت ذلك لقلت احزنته
وجه نافع انه اراد ان تعدى حزن فنقله بالهمز والاستعمال في حزنته اكثر منه في احزنته فالى كثرة الاستعمال ذهب
عامة القراء واما قوله يكذبونك فمن ثقل فهو من فعلته اذا نسبته الى الفعل مثل زنيته وفسقته نسبته الى الزنا والفسق
وقد جاء في هذا المعنى افعلته قالوا اسقيته اي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة واسقيته حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره
وملاعبه فيحتمل هذا ان يكون معنى القراءتين واحدا ويجوز ان يكون لا يكذبونك اي لا يصادفونك كاذبا كما تقول احمدته
اذا اصبته محمودا ويدل على الوجه الاول قول الكميت فطايفة قد اكفرتني بحبكم وطايفة قالت مسيء ومذنب اي نسبتني الى
الكفر قال احمد بن يحيى قال الكسائي يحكى عن العرب اكذبت الرجل اذا اخبرت انه جاء بكذب وكذبته اذا اخبرت انه كذاب
المعنى ثم سلى سبحانه نبيه صلى الله عليه واله على تكذيبهم اياه بعد اقامة الحجة عليهم فقال قد نعلم يا محمد انه ليحزنك
الذي يقولون انك شاعر او مجنون واشباه ذلك فانهم لا يكذبونك دخلت الفاء في انهم لان الكلام الاول يقتضيه
كانه قيل اذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم انهم لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا وان كانوا يظهرون بافواههم التكذيب
عنادا وهو قول اكثر المفسرين ابي صالح وقتادة والسدي وغيرهم قالوا يريد انهم يعلمون انك رسول ولكن يجحدون
بعد المعرفة ويشهد بهذا الوجه ما روى سلام بن مسكين عن ابي يزيد المدني ان رسول الله صلى الله عليه واله لقي ابا جهل
فصافحه ابو جهل فقيل له في ذلك فقال والله اني لاعلم انه صادق ولكنا متى كنا تبعا لعبد مناف فانزل الله الاية وقال
السدي التقى اخنس بن شريق وابو جهل بن هشام فقال له يا ابا الحكم اخبرني عن امر محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا
احد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال ابو جهل ويحك والله محمد الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء
والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لساير قريش وثانيها ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما
جيت ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي عليه السلم انه كان يقرا لا يكذبونك ويقول ان المراد بها انهم لا ياتون بحق
هو احق من حقك وثالثها ان المراد لا يصادفونك كاذبا تقول العرب قاتلناكم فما اجبناكم اي ما اصبناكم جبناء قال الاعشى
اثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا اراد صادف منها خلفا للوعد وقال ذو الرمة تريك بياض

اي ما يقولون م
واختلف في معناه على وجوه احدها ان معناه لا يكذبونك م

لتبهاو وجاكقرن الشمس افتق ثم زالا اى وجد فتقا من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون التشديد
لان افعلت وفعلت يجوزان فى هذا الموضع وافعلت هو الاصل فيه ثم يشدد الوجه ورابعها ان المراد لا ينسبونك الى
الكذب فيما اتيت به لانك كنت عندهم امينا صادقا وانما يدفعون ما اتيت به ويقصدون التكذيب بايات الله ويقوى
هذا الوجه قوله ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك ما روى
ان اباجهل قال للنبى صلى الله عليه واله ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نتهم الذى جئت به ونكذبه وخامسها ان المراد انهم
لا يكذبونك بل يكذبوننى فان تكذيبك راجع الى ولست مختصا به لانك رسول فمن رد عليك فقد رد على ومن كذبك
فقد كذبنى وذلك تسلية منه سبحانه للنبى صلى الله عليه واله وقوله ولكن الظالمين بايات الله اى بالقران والمعجزات
يجحدون بغير حجة سفها وجهلا وعنادا ودخلت الباء فى بايات الله والجحد يتعدى بغير الجار لان معناه هنا التكذيب
اى يكذبون بايات الله وقال ابو على الباء يتعلق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين برد ايات الله وانكار ايات الله يجحدون
ما عرفوه من صدقك وامانتك ومثله قوله سبحانه واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها اى ظلموا بردها او الكفر بها ثم زاد
سبحانه فى تسلية نبيه عليه السلم بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا اى صبروا على ما نالهم
منهم من التكذيب والاذى فى اداء الرسالة حتى جاءهم نصرنا اياهم على المكذبين وهذا امر منه سبحانه لنبيه بالصبر على كفار
قومه الى ان ياتيه النصر كما صبرت الانبياء ولا مبدل لكلمات الله معناه لا احد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة
ولا على اخلاف وعده وان ما اخبر الله به ان يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما وعدك به من نصره فلا بد من
حصوله لانه لا يجوز الكذب فى اخباره ولا الخلف فى وعده وقال الكلبى وعكرمة يعنى بكلمات الله الايات التى وعد فيها
نصر الانبياء نحو قوله كتب الله لاغلبن انا ورسلى فقوله انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين اى خبرهم فى
القران كيف انجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الاخفش من ههنا صلة كما تقول اصابنا من مطر اى مطر وقال غيره من
النحويين لا يجوز ذلك لان من لا تزاد فى الموجب وانما تزاد فى النفى ومن ههنا للتبعيض وفاعل جاء مضمر يدل المذكور
عليه وتقديره ولقد جاءك من نبأ المرسلين نبأ فيكون المعنى انه اخبر عليه السلم ببعض اخبارهم على حسب ما علم من المصالح و
يؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص عليك قوله عز وجل وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ
أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ
إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ثلث ايات اللغة النفق سرب فى الارض له مخلص الى مكان
اخر واصله الخروج ومنه المنافق لخروجه من الايمان الى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد والسلم الدرج وهو
ماخوذ من السلامة قال الزجاج لانه الذى يسلمك الى مصعدك والاستجابة من الجوب وهو القطع وهل عندك جائبة
خبر اى يجوب البلاد والفرق بين يستجيب ويجيب ان يستجيب فيه قبول لما دعى اليه وليس كذلك يجيب لانه يجوز ان يجيب
بالمخالفة كما ان السايل يقول اتوافق فى هذا المذهب ام تخالف فيقول المجيب اخالف عن على بن عيسى وقيل ان اجاب واستجاب
بمعنى الاعراب جواب ان محذوف وتقديره ان استطعت ذلك فافعل قال الفرا وانما يفعله العرب فى كل موضع يعرف
فيه معنى الجواب الا ترى انك تقول للرجل ان استطعت ان تتصدق ان رايت ان تقوم معنا فيترك الجواب للمعرفة به فاذا
قلت ان تقم تصب خيرا فلا بد من الجواب لان معناه لا يعرف اذا طرح الجواب المعنى ثم بين سبحانه ان هؤلاء الكفار لا يؤمنون
فقال مخاطبا لنبيه عليه السلم وان كان كبر اى عظم واشتد عليك اعراضهم وانصرافهم عن الايمان بك وقبول دينك و
امتناعهم من اتباعك وتصديقك فان استطعت اى قدرت وتهيأ لك ان تبتغى اى تطلب وتتخذ نفقا فى الارض اى
سربا ومسلكا فى جوف الارض او سلما اى مصعدا فى السماء ودرجا فتاتيهم باية افضل مما اتيناهم به فافعل عن ابن عباس

يريد

يريد لا اية افضل واظهر من ذلك ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بالالجاء وانما اخبر عز اسمه عن كمال قدرته وانه لو شاء
لالجاءهم الى الايمان ولم يفعل ذلك لانه ينافى التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذى هو الغرض بالتكليف وليس
فى الاية انه سبحانه لا يشاء منهم ان يؤمنوا مختارين او لا يشاء ان يفعل ما يؤمنون عنده مختارين وانما نفى المشية لما يلجئهم الى
الايمان ليبين ان الكفار لم يغلبوه بكفرهم فانه لو اراد ان يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد ان يكون ايمانهم على
الوجه الذى يستحق به الثواب ولا ينافى التكليف فلا تكونن من الجاهلين قيل معناه فلا تجزع فى مواطن الصبر فتقارب حالك
حال الجاهلين بان تسلك سبيلهم عن الجبائى وقيل ان هذا نفى للجهل عنه اى لا تكن جاهلا بعد ان اتاك العلم باحوالهم
وانهم لا يؤمنون فالمراد فلا تجزع ولا تتحسر لكفرهم واعراضهم عن الايمان وغلظ الخطاب تبعيدا وزجرا عن هذه الحال ثم
بين سبحانه الوجه الذى لاجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الايمان فقال انما يستجيب الذين يسمعون ومعناه انما يستجيب الى الايمان
بالله وما انزل اليك من يسمع كلامك ويصغى اليك والى ما تقراه عليه من القران ويتفكر فى اياتك فان من لم يتفكر ولا
يستدل بالايات بمنزلة من لم يسمع كما قيل لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حيوة لمن تنادى وقال الاخر اصم عما ساءه سميع
والموتى يبعثهم الله يريد ان الذين لا يصغون اليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما تقراه عليهم وتبينه لهم من الايات
والحجج بمنزلة الموتى فكما ايست ان تسمع الموتى كلامك الى ان يبعثهم الله فكذلك فايس من هؤلاء ان يستجيبوا لك وتقديره
انما يستجيب المؤمن السامع للحق فاما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجيب الى ان يبعثه الله يوم القيمة فيلجئه الى الايمان وقيل
معناه انما يستجيب من كان قلبه حيا فاما من كان قلبه ميتا فلا ثم وصف الموتى بانه يبعثهم ويحكم فيهم ثم اليه اى الى حكمه يرجعون
وقيل معناه يبعثهم الله من القبر ثم يرجعون الى موقف الحساب ثم عاد سبحانه الى حكاية اقوال الكفار فقال عاطفا على ما تقدم
وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه وهذا اخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا عن معارضته فيما اتى به من القران اقترحوا عليه
مثل ايات الاولين كعصا موسى وناقة ثمود فقال سبحانه فى موضع اخر او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب وقال ههنا قل يا محمد
ان الله قادر على ان ينزل اية اى اية تجمعهم على الهدى عن الزجاج وقيل اية كما سالوها ولكن اكثرهم لا يعلمون ما فى انزالها
من وجوب الاستيصال لهم اذا لم يؤمنوا عند نزولها وما فى الاقتصار بهم على ما اوتوه من الايات من المصلحة وقيل معناه ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان فيما انزلنا من الايات مقنعا وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه الاية فقالوا
انها تدل على ان الله تعالى لم ينزل على محمد اية اذ لو نزلها لذكر عند سؤال المشركين اياها فيقال لهم قد بينا انهم التمسوا اية مخصوصة
وتلك لم يؤتوها لان المصلحة منعت عن اتيانها وقد انزل الايات الدالة على نبوته من القران واتاهم من المعجزات الباهرة
التى شاهدوها ما لو نظروا فيها او فى بعضها حق النظر لعرفوا صدقه وصحة نبوته وقد بين فى اية اخرى انه لو انزل عليه ما التمسوه لم
يؤمنوا فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة الى قوله ما كانوا ليؤمنوا وفى موضع اخر وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه
قل انما الايات عند الله يعنى فى قدرة الله ينزل منها ما يشاء فسقط ما اعترضوا به قوله عز وجل وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي
الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ايتان
اللغة الدابة كل ما يدب من الحيوان واصله الصفة من دب يدب دبيبا اذا مشى مشيا فيه تقارب خطو والدبوب
والديبوب النمام وفى الحديث لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع فالديبوب النمام لانه يدب بالنميمة والقلاع الواشى بالرجل
ليقتلع قال الازهرى تصغير الدابة دويبة الباء مخففة وفيها اشمام الكسر وفى الحديث ايتكن صاحبة الجمل الادبب
تنبحها كلاب الحواب اراد الادب فاظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد دب يدب دببا والجناح احدى ناحيتى الطير اللتين
يتمكن بهما من الطيران فى الهواء واصله الميل الى ناحية الاعراب من مزيدة وتاويله وما دابة ويجوز فى غير القران
ولا طاير بالرفع عطفا على موضع من دابة وقوله من شئ من زايدة ايضا ويفيد التعميم اى ما فرطنا شيئا ما صم وبكم كلاهما خبر

للذين كقولهم هذا حلو حامض ودخول الواو لا يمتنع من ذلك فانه بمنزلة قولك صم بكم المعنى لما بين سبحانه انه قادر على
ان ينزل اية عقبه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال وما من دابة في الارض اي ما من حيوان يمشي
على وجه الارض ولا طاير يطير بجناحيه جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لانها لا تخلوا ان يكون مما يطير بجناحيه او يدب
ومما يسال عنه ان يقال لم قال يطير بجناحيه وقد علم ان الطاير لا يطير الا بالجناح والجواب ان هذا انما جاء للتوكيد ورفع
اللبس لان القايل قد يقول طر في حاجتي اي اسرع فيها وقال الشاعر قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات و
وحدانا وانشد سيبويه فطرت بمنصلي في يعملات دوامي الايد يخبطن السريحا وقيل انما قال بجناحيه لان السمك يطير في الماء
ولا اجنحة لها وانما خرج السمك عن الطاير لانه من دواب البحر وانما اراد سبحانه ما في الارض وما في الجو الا امم اي اصناف
مصنفة تعرف باسمائها يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد امثالكم قيل انه يريد اشباهكم في ابداع الله تعالى اياها وخلقه لها
ودلالتها على ان لها صانعا وقيل انما مثلت الامم من غير الناس بالناس في الحاجة الى مدبر يدبرهم في اغذيتهم واكلهم
ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم الى مراشدهم الى ما لا يحصى كثرة من احوالهم ومصالحهم وانهم يموتون ويحشرون وبين
بهذا انه لا يجوز للعباد ان يتعدوا في ظلم شيء منها فان الله خالقها والمنتصف لها ما فرطنا في الكتاب من شيء اي ما تركنا
وقيل معناه ما قصرنا واختلف في معنى الكتاب على اقوال احدها انه يريد بالكتاب القران لانه ذكر جميع ما يحتاج اليه فيه
من امور الدين والدنيا اما مجملا واما مفصلا والمجمل قد بينه على لسان نبيه صلى الله عليه واله وامرنا باتباعه في قوله
ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا مثل قوله تعالى وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ويروى
عن عبد الله بن مسعود انه قال ما لي لا العن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فقراءة
المراة التي سمعت ذلك منه جميع القران ثم اتته وقالت يا ابن ام عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم اجد فيه لعن الواشمة
فقال لو تلوتيه لوجدتيه قال الله تعالى ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وان مما اتانا رسول الله صلى الله عليه واله
ان قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وهو قول اكثر المفسرين وهذا القول اختيار البلخي وثانيها ان المراد بالكتاب ههنا
الذي هو عند الله عز وجل المشتمل على ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وفيه اجال الحيوان وارزاقه واثاره ليعلم ابن ادم ان
عمله اولى بالاحصاء والاستقصاء عن الحسن وثالثها ان المراد بالكتاب الاجل اي ما تركنا شيئا الا وقد اوجبنا له اجلا ثم يحشرون
جميعا عن ابي مسلم وهذا الوجه بعيد ثم الى ربهم يحشرون معناه يحشرون الى الله بعد موتهم يوم القيمة البهايم والدواب
والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ ان ياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا وعن ابي ذر الغفاري قال بينا انا عند رسول الله صلى الله عليه واله اذ انتطحت عنزان فقال النبي عليه السلم
اتدرون فيما انتطحا فقالوا لا ندري قال لكن الله يدري وسيقضي بينهما وعلى هذا فانما جعلت امثالنا في الحشر والاقتصاص
واختاره الزجاج فقال يعني امثالكم في انهم يبعثون ويؤيده قوله سبحانه واذا الوحوش حشرت ومعنى الى ربهم الى حيث لا
يملك النفع والضر الا الله سبحانه اذ لم يمكن منه كما مكن في الدنيا واستدلت جماعة من اهل التناسخ بهذه الاية على ان
البهايم والطيور مكلفة لقوله امم امثالكم وهذا باطل لانا قد بينا انها من اي وجه يكون امثالنا ولو وجب حمل ذلك على العموم
لوجب ان يكون امثالنا في كونها على مثل صورنا وهيئتنا وخلقنا واخلاقنا وكيف يصح تكليف البهايم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح
الا مع كمال العقل والذين كذبوا باياتنا اي بالقران وقيل بساير الحجج والبينات صم وبكم قد بينا معناهما في سورة البقرة في الظلمات
اي في ظلمات الكفر والجهل لا يهتدون الى شيء من منافع الدين وقيل اراد صم وبكم في الظلمات في الاخرة على الحقيقة عقابا لهم على
كفرهم لانه ذكرهم عند ذكر الحشر عن ابي علي الجبائي من يشاء الله يضلله هذا مجمل قد بينه في قوله وما يضل به الا الفاسقين و
يضلل الله الظالمين والذين اهتدوا زادهم هدى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام والمعنى من يشاء الله يخذله بان
يمنعه الطافه وفوايده وذلك اذا واتر عليه الادلة واوضح له الحجج فاعرض عنها ولم يمعن النظر فيها ويجوز ان يريد من يشاء الله اضلاله

عن

عن طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي ومن يشاء ان يرحمه ويهديه الى الجنة يجعله على الطريق
الذي يسلكه المؤمنون الى الجنة قوله عز وجل قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ اياتان القراءة قرا اهل المدينة
ارايتكم وارايتم وارايت واشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل القران وقرا الكسائي وحده ارءيتكم وارءيت وارءيتم كل القران بترك الهمزة
وقرا الباقون بالهمزة في الجميع كل القران الحجة قال ابو علي من حقق الهمزة فوجه قراءته بين لانه فعلت من الرؤية فالهمزة عين
الفعل ومن قرا بالالف في كل القران من غير همز على مقدار ذوق الهمزة فانه جعل الهمزة بين بين اي بين الالف والهمزة واما
الكسائي فانه حذف الهمزة حذفا الا ترى ان التخفيف القياسي فيها ان يجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا ويلمه وكما انشد احمد
بن يحيى ان لم اقاتل فالبسوني برقعا وكقول ابي الاسود يا با المغيرة رب امر معضل ومما جاء على ذلك قول الاخر ارايت ان جئت به
املودا مرجلا ويلبس البرودا ومما يقوي ذلك قول الشاعر ومن رأى مثل معدان ابن ليلى اذا ما النسع طال على المطية
الاعراب ارايتكم الكاف فيه للخطاب مجردا ومعنى الاسم مخلوع منه لانه لو كان اسما لوجب ان يكون الاسم الذي بعده في نحو قوله
ارايتك هذا الذي كرمت علي وارايتك زيدا ما صنع هو الكاف في المعنى لان رايت يتعدى الى مفعولين يكون الاول منهما
هو الثاني في المعنى وقد علمنا انه ليس الكاف في المعنى واذا لم يكن اسما كان حرفا للخطاب مجردا من معنى الاسمية كالكاف في
ذلك وهنالك وكالتاء في انت واذا ثبت انه للخطاب فالتاء في رايت لا يجوز ان يكون للخطاب لانه لا يجوز ان تلحق الكلمة
علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتانيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجز ذلك افردت التاء في جميع الاحوال
لما كان الفعل لا بد له من فاعل وجعل في جميع الاحوال على لفظ واحد لان ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعلين فيخصص
التانيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التانيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب ما يلحق التاء وما يلحق
الكاف فكان يؤدي الى ما لا نظير له فرفض وهذا من كلام ابي علي الفارسي وجواب ان من قوله ان اتاكم عذاب الله الفعل الذي
دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول ان اتاك زيد اتكرمه وموضع ان وجوابه نصب لانه في موضع مفعولي رايت وقوله ان كنتم
صادقين جوابه محذوف يدل عليه قوله ارايتكم لانه في معنى اخبروا فكانه قال ان كنتم صادقين فاخبروا من تدعون عند نزول
البلاء بكم المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه واله بمحاجة الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء ارايتكم ان اتاكم عذاب الله في الدنيا
كما نزل بالامم قبلكم مثل عاد وثمود او اتتكم الساعة اي القيمة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد واسم للوقت
الذي يبعث فيه العباد والمعنى او اتتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لان قبل البعث يموت الخلق كلهم اغير الله تدعون اي
اتدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الاوثان التي تعلمون انها لا يقدر ان ينفع انفسها ولا غيرها او تدعون الله الذي هو
خالقكم ومالككم لكشف ذلك عنكم ان كنتم صادقين في ان هذه الاوثان الهة لكم احتج سبحانه عليهم بما لا يدفعونه لانهم كانوا
اذا مسهم الضر دعوا الله ثم قال بل اياه تدعون وبل استدراك وايجاب بعد نفي اعلمهم سبحانه انهم اذا لحقتهم الشدايد في البحار
والبراري والقفار يتضرعون اليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه فيكشف ما تدعون اليه ان شاء اي يكشف
الضر الذي من اجله دعوتم ان شاء ان يكشفه وتنسون ما تشركون اي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لانه ليس
عندهم ضر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العايد الى الموصول محذوفا للعلم على تقدير ما تشركون به وقيل معناه انكم في
ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لانه قال تعرضون عنه اعراض الناسي اي لليأس في النجاة
من مثله ويجوز ان يكون ما مع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتنسون شرككم قوله عز وجل وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ
مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا
أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اربع ايات القراءة

قرا ابوجعفر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه ابن عامر الا قوله ولو فتحنا عليهم بابا وحتى اذا فتحنا عليهم بابا فانه خففهما ووافقهما يعقوب في القمر وقراء الباقون في جميع ذلك بالتخفيف الاواضع قد اختلفوا فيها سنذكرها ان شاء الله اذا بلغنا الى مواضعها الحجة من ثقل اراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك اللغة الباساء من الباس والخوف والضراء من الضر وقد يكون الباساء من البؤس والتضرع التذلل يقال ضرع فلان لفلان اذا بخع له وسأله ان يعطيه والمبلس الشديد الحسرة وقال الفراء المبلس المنقطع الحجة قال رؤبة وحضرت يوم الخميس الاخماس وفي الوجوه صفرة وابلاس دابر القوم الذي يدبرهم ويدبرهم لغتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم ويأتي على اعقابهم وانشد المهلب جذ الله دابرهم اضحوا رمادا فلا اصل ولا طرف وقال الاصمعي الدابر الاصل يقال قطع الله دابره اي اصله وانشد فدى لكما رجلي رحلي وناقتي غداة الكلاب اذ تحز الدوابر يقتل القوم فيذهب اصولهم ولا يبقى لهم اثر وقال غيره دابر الامر اخره وروي عن عبد الله انه قال من الناس من لا ياتي الصلوة الا دبريا بضم الدال يعني في اخر الوقت كذا يقوله اصحاب الحديث قال ابو زيد انما هو دبريا بفتح الدال والباء الاعراب لولا للتخصيص ولا تدخل الا على الفعل ومعناه هلا تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على تاويل الكلام الاول فان في قوله هلا تضرعوا دلالة على انهم لم يتضرعوا وقوله بغتة مصدر وقع موقع الحال اي اخذناهم مباغتين المعنى ثم اعلم الله سبحانه نبيه حال الامم الماضية في مخالفة رسلهم ليبين ان حال هؤلاء اذا سلكوا طريق المخالفة كحالهم في نزول العذاب بهم فقال ولقد ارسلنا وههنا محذوف وتقديره رسلا الى امم من قبلك فخالفوهم فاخذناهم وحسن الحذف للايجاز به والاختصار من غير اخلال لدلالة مفهوم الكلام عليه بالباساء والضراء يريد بالفقر والبؤس والاسقام والاوجاع عن ابن عباس والحسن لعلهم يتضرعون ومعناه لكي يتضرعوا قال الزجاج لعل ترج وهذا الترجي للعباد والمعنى فاخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد منهم من التضرع كما قال في قصة فرعون لعله يتذكر او يخشى قال سيبويه المعنى اذهبا انتما على رجائكما والله عالم بما يكون من وراء ذلك اخبر الله انه ارسل الرسل الى اقوام بلغوا من القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم ليخضعوا ويذلوا لامر الله تعالى فلم يخضعوا ولم يتضرعوا وهذا كالتسلية للنبي صلى الله عليه واله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه فهلا تضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكن قست قلوبهم فاقاموا على كفرهم ولم تنجع فيهم العظة وزين لهم الشيطان بالوسوسة والاغراء بالمعصية لما فيها من عاجل اللذة ما كانوا يعملون يعني اعمالهم وفي هذا حجة على من قال ان الله لم يرد من الكافر الايمان لانه سبحانه بين انه انما فعل ذلك بهم ليتضرعوا وبين ان الشيطان هو الذي زين الكفر للكافر بخلاف ما قالته المجبرة من انه سبحانه هو المزين لهم ذلك فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس وقيل ابواب كل شيء كان مغلقا عنهم وتاويله تركوا العمل بذلك وقيل تركوا ما دعاهم اليه الرسل عن مقاتل فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي كل نعمة وبركة من السماء والارض عن ابن عباس وقيل ابواب كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير عن مقاتل والمعنى انه تعالى امتحنهم بالشدائد لكي يتضرعوا ويتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم ابواب النعم والتوسعة في الرزق ليرغبوا بذلك في نعيم الاخرة وانما فعل ذلك بهم وان كان الموضع موضع العقوبة والانتقام دون الاكرام والانعام ليدعوهم ذلك الى الطاعة فان الدعاء الى الطاعة يكون تارة بالعنف وتارة باللطف او لتشديد العقوبة عليهم بالنقل من النعيم الى العذاب الاليم حتى اذا فرحوا بما اوتوا من النعم واشتغلوا بالتلذذ واظهروا السرور بما اعطوا ولم يروه نعمة من الله تعالى حتى يشكروه اخذناهم اي احللنا بهم العقوبة بغتة اي مفاجاة من حيث لا يشعرون فاذا هم مبلسون اي آيسون من النجاة والرحمة عن ابن عباس وقيل اذلة خاضعون عن البلخي وقيل متحيرون منقطعو الحجة والمعاني متقاربة والمراد بقوله ابواب كل شيء التكثير والتفخيم دون التعميم وهو مثل قوله واوتيت من كل شيء والمراد وفتحنا عليهم ابواب اشياء كثيرة واتيناهم خيرا كثيرا وروي عن النبي عليه السلم انه قال اذا رايت الله تعالى يعطي على المعاصي فان ذلك استدراج منه ثم تلا هذه الاية ونحوه ما روي عن امير المؤمنين عليه السلم انه قال يا ابن ادم اذا رايت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره فقطع دابر القوم الذين ظلموا معناه فاستؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل والحمد لله رب العالمين على اهلاك اعدائه واعلاء كلمة رسله حمد الله تعالى نفسه بان استاصل شافتهم وقطع دابرهم لانه سبحانه ارسل اليهم الرسل فانظرهم

نشجب فلانا اذا انتبه ويطلب معروفه

الدبري محركة رأي يسنح اخيرا عند فوت الحاجة والصلوة زائدة وفيها تسكن الباء ولا تقل بضمتين فانه من لحن المحدثين ق

الشافة قرحة تخرج في اسفل القدم فتكوي فتذهب او اذا قطعت مات صاحبها والاصل واستاصل الله شافته اذهبه كما تذهب تلك القرحة او معناه ازاله من اصله

انظرهم بعد كفرهم واخذهم بالباساء والضراء واختبرهم بالمحنة والبلاء ثم بالنعمة والرخاء وبالغ في الانذار والامهال والانظار فهو المحمود على كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الظالمين ودلالة على ان هلاكهم نعمة من الله يجب حمده عليها وروى علي بن ابرهيم عن ابيه عن القسم بن محمد بن سليمان بن داود المنقري عن فضيل بن عياض عن ابي عبد الله عليه السلم قال سالته عن الورع فقال الورع الذي يتورع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء واذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه فاذا راى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد احب ان يعصى الله ومن احب ان يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن احب بقاء الظالمين فقد احب ان يعصى الله وان الله حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قوله عز وجل قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون اربع ايات اللغة صدف عن الشيء صدوفا اذا مال عنه والصدف والصدفة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع وفي الحديث كان عليه السلم اذا مر بصدف مائل اسرع المشي الاعراب من اله ابتداء وخبره وغير صفة لاله ومن استفهام علق الفعل الذي هو ارايتم به الا انه اغنى عنه قوله من اله غير الله ياتيكم به الذي هو مفعول ارايتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لاضربنه ان ذهب ومكث فان قوله ان ذهب ومكث وقع موقع ذاهبا او ماكثا وتقديره مقدرا ذهابه او مكثه ويدل على انه في موضع الحال مشابهته المفرد في انه لا يستقل بنفسه كما يستقل الجمل فان كان جملة في المعنى فانه بدخول حرف الشرط قد صار بمنزلة المفرد في الحاجة الى ما يستند اليه كما احتاج ما وقع موقعه الى ما قبله وليس شيء من الفضلات يقع الجملة موقعه غير الحال فثبت انه في موضع منصوب هو حال فان قيل ان الجزاء مقدر والشرط المذكور في اللفظ مع الجزاء كلام مستقل وانما كان هذا الاستدلال يسوغ لو كان الجزاء غير مقدر قبل الجزاء وان كان مقدرا لا حكم له لانه لا يجوز اظهاره وانما هو شيء ثبت من جهة التقدير فضعف امره ولو جاز اظهاره لكان في موضع الحال وهذا ماخوذ من كلام ابي علي الفارسي ذكره في القصريات مع كلام كثير في معناه قد دقق فيه ولم يسبق اليه وقوله ياتيكم به في موضع رفع بانه صفة اله المعنى ثم زاد سبحانه في الاحتجاج عليهم فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اي اذهب بهما فصرتم صما عميا وختم على قلوبكم اي طبع عليها وقيل ذهب بعقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تفهموا شيئا وانما خص هذه الاشياء بالذكر لان بها تتم النعم دنيا ودينا من اله غير الله ياتيكم به قال الزجاج هذه الهاء تعود الى معنى الفعل المعنى من اله غير الله ياتيكم بما اخذ منكم قال ويجوز ان يكون عائدا الى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلا في القصة معه اذا كان معطوفا عليه قال ابن عباس يريد هؤلاء الذين يعبدون لا يقدرون ان يجعلوا لكم اسماعا وابصارا وقلوبا تعقلون بها وتفهمون اي ان اخذها الله منكم فمن يردها عليكم بين سبحانه بهذا انه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب ان لا تعبدوا سواه انظر كيف نصرف الايات اي نبين لهم في القران الايات عن الكلبي وقيل تصريف الايات توجيهها في الجهات التي تظهرها ثم الاظهار مرة في جهة النعمة ومرة في جهة الشدة وقيل تصريف الايات احداثها دالة على وجوه كما ان الاية المعجزة تدل على فاعلها وعلى قدرته وعلمه وعلى نبوة النبي وصدقه ثم هم يعني الكفار يصدفون اي يعرضون عن تامل الايات والفكر فيها وقيل اعراضهم عنها كفرهم بها وانما قال انظر لانه سبحانه عجب او لا من تتابع نعمه عليهم وصرفه الادلة من تصريف الايات واسباب الاعتبار ثم عجب ثانيا من اعراضهم عنها ثم زاد سبحانه في الحجاج فقال قل ارايتكم اي اعلمتم ان اتاكم عذاب الله اي عذبكم الله بعذاب الكم وارسله الرسل بغتة اي مفاجاة او جهرة اي علانية وانما قابل البغتة بالجهرة لان البغتة تتضمن معنى الخفية لانه ياتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البغتة ان ياتيهم ليلا والجهرة ان ياتيهم نهارا عن الحسن هل يهلك بهذا العذاب الا القوم الظالمون اي الكافرون اي لا يهلك

ينوع

وهذه الجملة في موضع مفعولي ارايتم م ولم يعمل في مفعوليه لفظا وقوله ان اخذ الله سمعكم جوابه محذوف وتقديره فمن ياتيكم به مجمع

المفرد يدل على قوة اتصاله بما قبله حاجته الى ما قبله كالحاج م

بالجهرة لان البغتة تتضمن معنى

الذين يكفرون بالله ويفسدون فى الارض وقيل انهم كانوا يستدعون العذاب فبين انه اذا انزل لايهلك به الا
الكافر وان هلك فيه مومن او طفل فانما يهلك محنة ويعوضه الله على ذلك اعواضا كثيرة يصغر ذلك فى جنبها والمراد
بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الاخرة ثم بين سبحانه انه لايبعث الرسل اربابا يقدرون على كل شئ يسالون عنه
من الايات وانما يرسلهم لما يعلمه من المصلحة فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ثم ذكر ثواب من صدقهم فى
باقى الاية وعقاب من كذبهم فى الاية الثانية فقال فمن امن اى صدق الرسل واصلح اى عمل صالحا فى الدنيا فلا خوف
عليهم فى الاخرة ولاهم يحزنون كما يحزن اهل النار وقيل لايحزنون على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا والذين كذبوا باياتنا اى دلتنا
وحججنا وقيل بمحمد ومعجزاته يمسهم العذاب اى يصيبهم العذاب يوم القيمة بما كانوا يفسقون اى بفسقهم وخروجهم عن الايمان
قوله عز وجل قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى
إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ اية اللغة الخزائن جمع الخزانة وهو اسم المكان الذى يخزن فيه
الشئ وخزن الشئ احرازه بحيث لاينال له الايدى ومنه خزن اللحم خزنا اذا تغير لانه يخبا حتى ينتن المعنى ثم امر
النبى صلى الله عليه واله ان يقول لهم بعد ما اقترحوا الايات منه انى لا ادعى الربوبية وانما ادعى النبوة فقال سبحانه
قل يا محمد لا اقول لكم ايها الناس عندى خزائن الله يريد خزائن رحمة الله عن ابن عباس وقيل خزائن الله مقدوراته
عن الجبائى وقيل ارزاق الخلق حتى يومنوا طمعا فى المال ولا اعلم الغيب الذى يختص الله تعالى بعلمه فانما اعلم قدر
ما يعلمنى الله تعالى من امر البعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وقيل يريد عاقبة ما يصيرون اليه عن ابن عباس
ولا اقول لكم انى ملك لانى انسان تعرفون نسبتى لا اقدر على ما يقدر عليه الملك وقد استدل بهذا على ان الملائكة افضل
من الانبياء وهذا بعيد لان الفضل الذى هو كثرة الثواب لامعنى له ههنا وانما المراد لا اقول انى ملك فاشاهد
من امر الله وغيبه عن العباد ما يشاهده الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الى يريد ما اخبركم الا بما انزله الله الى عن ابن عباس
وقال الزجاج اى ما انبئكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحى من الله عز وجل ثم امره سبحانه فقال قل يا
محمد لهم هل يستوى الاعمى والبصير اى هل يستوى من يعلم ومن لا يعلم وقيل معناه هل يستوى من صدق على نفسه و
اعترف بحاله التى هو عليها من الحاجة والعبودية لخالقه ومن ذهب عن البيان وعمى عن الحق عن البلخى افلا تتفكرون
فتنصفوا من انفسكم وتعملوا بالواجب عليكم من الاقرار بالتوحيد ونفى التشبيه وهذا استفهام يراد به الاخبار يعنى
انهما لا يستويان قوله عز وجل وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اية الاعراب الهاء فى به يعود الى ما من قوله ما يوحى الى وليس مع اسمه وخبره فى موضع نصب على
الحال من يخافون كانه قيل متخلين من ولى وشفيع المعنى ثم امر سبحانه بعد تقديم البينات بالانذار فقال وانذر
اى عظ وخوف به بالقران عن ابن عباس وقيل بالله عن الضحاك الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم يريد المؤمنين
يخافون يوم القيمة وما فيها من شدة الاهوال عن ابن عباس والحسن وقيل معناه يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون
ان يحشروا علما بانه سيكون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون بيعلمون قال الزجاج المراد بهم كل معترف بالبعث
من مسلم وكتابى وانما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو صلى الله عليه واله ينذر جميع الخلق لان الذين يخافون
الحشر الحجة عليهم اوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق عليه السلم انذر بالقران من يرجون الوصول الى ربهم برغبهم فيما
عنده فان القران شافع مشفع ليس لهم من دونه اى غير الله ولى ولا شفيع عن الضحاك وقال الزجاج ان اليهود و
النصارى ذكرت انها ابناء الله واحباؤه فاعلم الله عز اسمه ان اهل الكفر ليس لهم من دون الله ولى ولا شفيع وهذا
الذى قاله ظاهر فى اهل الكفر والمفسرون على ان الاية فى المؤمنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع
على ان شفاعة الانبياء وغيرهم للمؤمنين انما يكون باذن الله لقوله سبحانه من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه فذلك

العارف بالله سبحانه العالم بدينه والجاهل به
وبدينه فجعل الاعمى مثلا للجاهل والبصير مثلا
للعارف بالله وبنبيه وهذا قول الحسن
واختاره الجبائى وفى تفسير اهل البيت ع
هل يستوى صح

راجع الى الله تعالى لعلهم يتقون كى يخافوا فى الدنيا وينتهوا عما نهيتهم عنه عن ابن عباس قوله عز وجل وَلَا
تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ايتان القراءة قرا ابن عامر بالغدوة والعشى فى كل القران بواو والباقون
بالغداة بالف الحجة قال ابو على الوجه بالغداة لانها تستعمل نكرة وتتعرف باللام فاما غدوة فمعرفة لم تتنكر وهو
علم صيغ له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما اسما للجنس كما جعلوا ام حبين اسما للدابة معروفة قال و
زعم يونس عن ابى عمرو وهو القياس انك اذا قلت لقيته يوما من الايام غدوة او بكرة وانت تريد المعرفة لم تنون فهذا يقوى
قراءة من قرا بالغداة والعشى ووجه قراءة ابن عامر ان سيبويه قال زعم الخليل انه يجوز ان يقول اتيتك اليوم غدوة وبكرة فجعلها
بمنزلة ضحوة ومن حجته ان بعض اسماء الزمان جاء معرفة بغير الف ولام نحو ما حكاه ابو زيد من قولهم لقيته فينة غير مصروف و
بعد الفينة فالحق لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك انه يقدر فيه التنكير والشياع كما يقدر فيه ذلك اذا ثنى وذلك
مستمر فى جميع هذا الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم اثنين مباركا واتيتك يوم
اثنين مباركا فجاء معرفة بلا الف ولام كما جاء بالالف واللام ومن ثم انتصب الحال ومثل ذلك قولهم هذا ابن عرس
مقبل اما ان يكون جعل عرسا نكرة وان كان علما واما ان يكون اخبر عنه بخبرين الاعراب فتطردهم جواب للنفى فى
قوله ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ وقوله فتكون نصب لانه جواب للنهى وهو قوله ولا تطرد
اى لا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بينا تقديره فى مواضع النزول روى الثعلبى باسناده عن عبد الله بن مسعود
قال مر الملا من قريش على رسول الله صلى الله عليه واله وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا
يا محمد ارضيت بهؤلاء من قومك افنحن نكون تبعا لهم اهؤلاء الذين من الله عليهم اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك
فانزل الله تعالى ولا تطرد الى اخره وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الاية جاء الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن
حصين الفزارى وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى الله عليه واله قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب
فى ناس من ضعفاء المؤمنين فحقروهم فقالوا يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتى نخلو بك فان وفود العرب تاتيك فنستحيى
ان يرونا مع هؤلاء الاعبد ثم اذا انصرفنا فان شئت فاعدهم الى مجلسك فاجابهم النبى صلى الله عليه واله الى ذلك فقالا له
اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فدعا بصحيفة واحضر عليا عليه السلام ليكتب قال ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبرئيل عليه السلم
بقوله ولا تطرد الذين يدعون الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فنحى رسول الله صلى الله عليه واله الصحيفة واقبل علينا
ودنونا منه وهو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله عز وجل
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الاية قال فكان رسول الله صلى الله عليه واله يقعد معنا ويدعو حتى كادت ركبنا
تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر
نفسى مع قوم من امتى معكم المحيا ومعكم الممات المعنى ثم نهى سبحانه رسول الله صلى الله عليه واله عن اجابة المشركين
فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريد يعبدون ربهم بالصلاة
المكتوبة يعنى صلوة الصبح والعصر عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل المراد بالدعاء ههنا الذكر اى يذكرون
ربهم طرفى النهار عن ابرهيم وروى عنه ايضا ان هذا فى الصلوات الخمس يريدون وجهه يعنى يطلبون ثواب الله ويعملون
ابتغاء مرضات الله لايعدلون بالله شيئا عن عطا قال الزجاج شهد الله لهم بصدق النيات وانهم مخلصون فى ذلك له
اى يقصدون الطريق الذى امرهم بقصده فكانه ذهب فى معنى الوجه الى الجهة والطريق ما عليك من حسابهم من شئ
وما من حسابك عليهم من شئ يريد ما عليك من حساب المشركين شئ ولا عليهم من حسابك شئ انما الله الذى يثيب ولياءه و

ويعذب اعداءه عن ابن عباس فى رواية عطا واكثر المفسرين يردون الضمير الى الذين يدعون ربهم وهو الاشبه وذكروا فيه وجهين احدها ما عليك من عملهم ومن حساب عملهم من شئ عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله سبحانه فى قصة نوح ان حسابهم الا على ربى وهذا لان المشركين ازدروهم لفقرهم وحاجتهم الى الاعمال الدنية وهمّ عليه السّلم بن فع المشركين عليهم فى المجلس فقيل له ما عليك من حسابهم من شئ اى لا يلزمك عار بعملهم فتطردهم ثم قال وما من حسابك عليهم من شئ تاكيد المطابقة الكلام وان كان مستغنى عنه بالاول والوجه الثانى ما عليك من حساب رزقهم من شئ فتملهم وتطردهم اى ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وانما يرزقك واياهم الله الرازق فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم فتكون من الظالمين لهم بطردهم عن ابن زيد وقيل فتكون من الضارين لنفسك بالمعصية عن ابن عباس قال ابن الانبارى عظم الامر فى هذا على النبى صلى الله عليه واله وخوف الدخول فى جملة الظالمين لانه كان قد هم بتقديم الرؤساء واولى الاموال على الضعفاء مقدارًا انه سيجر باسلامهم اسلام قومهم ومن لف لفهم وكان عليه السّلم لم يقصد فى ذلك الا قصد الخير ولم ينو به ازدرا بالفقراء فاعلمه الله ان ذلك غير جايز ثم اخبر الله سبحانه انه يمتحن الفقراء بالاغنياء والاغنياء بالفقراء فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض اى كما ابتلينا قبلك الغنى بالفقير والشريف بالوضيع ابتلينا هؤلاء الرؤسا من قريش بالموالى فاذا نظر الشريف الى الوضيع قد آمن قبله حمى انفًا ان يسلم ويقول سبقنى هذا بالاسلام فلا يسلم وانما قال سبحانه فتنا وهو لا يحتاج الى الاختبار لانه عاملهم معاملة المختبر ليقولوا هذه لام العاقبة المعنى فعلنا هذا ليصبروا ويشكروا فآل امرهم الى هذه العاقبة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا والاستفهام معناه الانكار كانهم انكروا ان يكونوا سبقوهم بفضيلة او خصوا بمنة وقال ابو على الجبائى المعنى فى فتنا شددنا التكليف على اشراف العرب بان امرناهم بالايمان وبتقديم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقديمهم اياهم فى الايمان وهذا امر كان شاقا عليهم فلذلك سماه الله فتنة وقوله ليقولوا اى فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام لا على وجه الانكار اهؤلاء من الله عليهم بالايمان اذ راوا النبى يقدم هؤلاء عليهم وليرضوا بذلك من فعل رسول الله ولم يجعل هذه الفتنة والشدة فى التكليف ليقولوا ذلك على وجه الانكار لان انكارهم لذلك كفر بالله ومعصية والله سبحانه لا يريد ذلك ولا يرضاه ولانه لو اراد ذلك وفعلوه كانوا مطيعين له لا عاصين وقد ثبت خلافه وقوله اليس الله باعلم بالشاكرين هذا استفهام تقرير اى انه كذلك كقول جرير الستم خير من ركب المطايا وفى هذا دليل واضح على ان فقراء المومنين وضعفاءهم اولى بالتقديم والتقريب والتعظيم من اغنيائهم ولقد قال امير المومنين على عليه السّلم من اتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه **قوله عز وجل وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** **اية القراءة** قرا اهل المدينة انه من عمل بالفتح فانه بالكسر وقرا عاصم وابن عامر ويعقوب انه فانه بفتح الالف فيهما وقرا الباقون انه فانه بالكسر فيهما **الحجة** قال ابو على من كسر فقال انه من عمل جعله تفسيرا للرحمة كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير للوعد واما كسر فانه غفور رحيم فلان ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومن ثم حمل قوله فينتقم الله منه على ارادة المبتداء بعد الفاء وحذفه واما من فتح ان فى قوله انه فانه جعل ان الاولى بدلا من الرحمة كانه قال كتب ربكم على نفسه انه من عمل واما من فتحها بعد الفاء فعلى انه اضمر له خبرا وتقديره فله انه غفور رحيم اى فله غفرانه او اضمر مبتداء يكون انه خبرا له اى فامره انه غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون الفتح فى قول من فتح الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم تقديره فله ان له نار جهنم الا ان اضماره هنا احسن لانه ذكره قد جرى فى قوله ان وان شئت قدرت فامره ان له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتداء المضمر واما قراءة كتب ربكم انه فانه فالقول فيها انه ابدل من الرحمة ثم استانف ما بعد الفاء **اللغة** قال المبرد السلام فى اللغة اربعة اشياء مصدر سلمت سلاما وجمع سلامة واسم من اسماء الله عز وجل وشجر فى قوله الا سلام وحرمل ومعنى السلام الذى هو مصدر انه دعاء للانسان بان يسلم من الافات والسلام اسم الله تاويله ذو السلام اى الذى يملك السّلم الذى هو التخلص من المكروه

واما

واما السلام الشجر فهو شجر قوى سمى بذلك لسلامته من الافات والسلام الحجارة سميت بذلك لسلامتها من الرخاوة والصلح يسمى السِلم والسَلم لان معناه السلامة من الشر والسلم الدلو التى لها عروة واحدة لانها اسلم الدلاء من الافات **النزول** اختلف فيمن نزلت فيهم هذه الاية فقيل نزلت فى الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم فكان النبى صلى الله عليه واله اذا راهم بداهم بالسلام عن عكرمة وقيل نزلت فى جماعة من الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم عن عطا وقيل ان جماعة اتوا رسول الله فقالوا انا اصبنا ذنوبا كثيرة فسكت عنهم رسول الله فنزلت الاية عن انس بن مالك وقيل نزلت فى التايبين وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السّلم **المعنى** ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام بتعظيم المومنين فقال واذا جاءك يا محمد الذين يومنون اى يصدقون بآياتنا اى بحججنا وبراهيننا فقل سلام عليكم ذكر فيه وجوه احدها انه سبحانه امر عليه السّلم ان يسلم عليهم من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيه عن الحسن وثانيها ان الله تعالى امر نبيه ان يسلم عليهم تكرمة لهم عن الجبائى وثالثها ان معناه اقبل عذرهم واعترافهم وبشرهم بالسلامة مما اعتذروا منه عن ابن عباس كتب ربكم اى اوجب ربكم على نفسه الرحمة ايجابا موكدا عن الزجاج قال انما خوطب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشئ الموخر انما يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه فى اللوح المحفوظ وقد سبق بيان هذا فى اول السورة انه من عمل منكم سوءًا بجهالة قال الزجاج يحتمل الجهالة هنا وجهين احدهما انه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه اى لم يعرف ان فيه مكروها والاخر انه علم ان عاقبته مكروهة ولكنه آثر العاجل فجعل جاهلا بانه آثر النفع القليل على الراحة الكثيرة والعاقبة الدائمة وهذا اقوى ومثله قوله سبحانه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة الاية وقد ذكرنا ما فيه هناك ثم تاب من بعده واصلح اى رجع عن ذنبه ولم يصر على ما فعل واصلح عمله فانه غفور رحيم **قوله عز وجل وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ** **اية القراءة** قرا اهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرا اهل الكوفة غير حفص وليستبين بالياء سبيل بالرفع **الحجة** من قرا ولتستبين بالتاء سبيل رفعا جعل السبيل فاعلا وانثه كما فى قوله قل هذه سبيلى قال سيبويه استبان الشئ واستبنته ومن قرا ولتستبين بالتاء سبيلُ رفعا فالفعل مسند الى السبيل الا انه ذكر كما فى قوله سبحانه يتخذوه سبيلا والمعنى ليستبين سبيل المومنين وسبيل المجرمين فحذف لان ذكر احد السبيلين يدل على الاخر ومثله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحر عليه ومن قرا بالياء ونصب اللام فتقديره وليستبين انت سبيل المجرمين **الاعراب** كذلك الكاف فى موضع نصب بانه مفعول نفصل وذلك مجرور الموضع باضافة الكاف اليه ويبان ما المشبه وما المشبه به فى قوله وكذلك وفيه جوابان احدهما التفصيل الذى تقدم فى صفة المهتدين وصفة الضالين شبه بتفصيل الدلايل على الحق من الباطل فى صفة غيرهم فى كل مخالف للحق والثانى ان المعنى كما فصلنا ما تقدم من الايات لكم نفصله لغيركم **المعنى** ثم عطف سبحانه على الايات التى احتج بها على مشركى العرب وغيرهم فقال وكذلك اى كما قدمنا نفصل الايات وهى الحجج والدلالات اى نميزها ونبينها ونشرحها على صحة قولكم وبطلان ما يقوله هؤلاء الكفار ولتستبين سبيل المجرمين بالرفع اى ليظهر طريق من عاند بعد البيان او ذهب عن فهم ذلك بالاعراض عنه لمن اراد التفهم لذلك من المومنين ليجانبوها ويسلكوا غيرها وبالنصب ليعرف السامع او السايل او لتعرف انت يا محمد سبيلهم وسبيلهم يريد به ما هم عليه من الكفر والعناد والاقدام على المعاصى والجرايم المودية الى النار وقيل ان المراد بسبيلهم ما عاملهم الله به من الاذلال واللعن والبراءة منهم والامر بالقتل والسبى ونحو ذلك والواو فى ولتستبين للعطف على مضمر محذوف والتقدير ليتفهموا وليستبين سبيل المجرمين والمومنين وجاز الحذف لان فيما ابقى دليلا على ما القى **قوله عز وجل قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ** **اية القراءة** روى فى الشواذ عن الحسن بن يحيى وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها **الحجة** وهما لغتان ضلَلت تضِل وضلِلت تضَل قال ابو عبيدة واللغة الغالبة الفتح **الاعراب** معنى من فى قوله من دون الله اضافة الدعاء الى دون بمعنى ابتداء الغاية

وقرا زيد عن يعقوب وليستبين بالياء سبيل بالنصب وقرا الباقون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع

ومعنى اذا الجزاء والمعنى قد ضللت ان عبدتها المعنى ثم امر سبحانه نبيه بان يظهر البراءة مما يعبدونه فقال قل يا محمد انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله يعنى الاصنام التى تعبدونها وتدعونها الهة قل يا محمد لا اتبع اهواكم فى عبادة ان ما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان عن الزجاج وقيل معناه لا اتبع اهواكم فى طرد المومنين قد ضللت اذا اى ان انا فعلت ذلك عن ابن عباس وما انا من المهتدين الذين سلكوا سبيل الدين وقيل معناه وما انا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى قوله عز وجل قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقضى الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم والله اعلم بالظالمين ايتان القراءة قرا اهل الحجاز وعاصم يقص الحق بالصاد والباقون يقضى الحق الحجة حجة من قرا يقضى قوله والله يقضى بالحق وحكى عن ابى عمرو انه استدل بقوله وهو خير الفاصلين فى ان الفصل فى الحكم ليس فى القصص وحجة من قرا يقص قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل فى القول ايضا فى نحو قوله انه لقول فصل واما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره يقضى القضاء الحق او يقص القصص الحق ويجوز ان يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقوله وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع اللغة البينة الدلالة التى تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم الحادث والاستعجال طلب الشئ فى غير وقته والحكم فصل الامر على التمام الاعراب يقال لم قال كذبتم به والبينة مؤنثة قيل لان البينة بمعنى البيان فانها كناية عن البيان عن الزجاج وقيل كناية عن الرب فى قوله ربى وقوله كذبتم قد مضمر معه لانه فى موضع الحال والحال لا يكون بالفعل الماضى الا ومعه قد اما مظهرة او مضمرة المعنى لما امر النبى صلى الله عليه واله بان يتبرا مما يعبدونه عقب ذلك سبحانه بالبيان انه على حجة من ذلك وبينة وانه لا بينة لهم فقال قل يا محمد لهولاء الكفار انى على بينة من ربى اى على امر بين لا متبع لهوى عن الزجاج وقال الحسن البينة النبوة اى على نبوة من ربى وقيل على حجة ومعجزة دالة على نبوتى وهى القران عن الجبائى وقيل على يقين من ربى عن ابن عباس وكذبتم به اى بما اتيتكم به من البيان يعنى القران ما عندى اى ليس عندى ما تستعجلون به قيل معناه الذى تطلبونه من العذاب كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالذى تعدنا وهذا كقوله ويستعجلونك بالعذاب عن ابن عباس والحسن وقيل هى الايات التى اقترحوها عليه استعجلوها فاعلم الله سبحانه ان ذلك عنده فقال ان الحكم الا لله يريد ان ذلك عند ربى عن ابن عباس يعنى ليس الحكم فى الفصل بين الحق والباطل وفى انزال الايات الا لله يقضى الحق اى يفصل الحق من الباطل ويقص الحق اى يقوله ويخبر به وهو خير الفاصلين لانه لا يظلم فى قضاياه ولا يجوز عن الحق وهذا يدل على بطلان قول من يزعم ان الظلم والقبايح بقضائه لان من المعلوم ان ذلك كله ليس بحق قل يا محمد لهولاء الكفار لو ان عندى اى بيدى وارادتى ما تستعجلون به من انزال العذاب بكم لقضى الامر بينى وبينكم اى لفرغ من الامر بان اهلككم فاستريح منكم ان الامر فيه الى الله تعالى والله اعلم بالظالمين وبوقت عذابهم وما يصلحهم وفى هذا دلالة على انه سبحانه انما يوخر العقوبة بضرب من المصلحة اما لان يومنوا او لغير ذلك من المصالح فهو يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة قوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وهو الذى يتوفيكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ايتان اللغة المفاتح جمع مفتح ومفتح فالمفتح بالكسر المفتاح الذى يفتح به والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الاشياء فهو مفتح قال الفراء فى قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة يعنى خزائنه والتوفى قبض الشئ على التمام يقال توفيت الشئ واستوفيته بمعنى والجرح العمل بالجارحة والاجتراح الاكتساب الاعراب ولا حبة تقديره ولا يسقط من حبة ثابتة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس وقوله الا فى كتاب مبين الجار والمجرور فى موضع الرفع لانه خبر المبتدا تقديره الا هو فى كتاب مبين ولا بد من هذا التقدير لانه لو لم يكن محمولا على هذا الوجب ان لا يعلمها

فى كتاب مبين وهو سبحانه يعلم ذلك فى كتاب مبين والاستثناء منقطع المعنى لما ذكر سبحانه انه اعلم بالظالمين بين عقيبه انه لا يخفى عليه شئ من الغيب ويعلم اسرار العالمين فقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو معناه وعنده خزائن الغيب الذى فيه علم العذاب المستعجل به وغير ذلك لا يعلمها احد الا هو او من اعلمه به وعلمه اياه وقيل معناه وعنده مقدورات الغيب يفتح بها على من يشاء من عباده باعلامه وتعليمه اياه وتيسير السبيل اليه ونصبه الدلالة عليه وكلما لا يعلم اذا استعلم يقال فيه افتح على وقال ابن عمر مفاتح الغيب خمس ثم قرا ان الله عنده علم الساعة الاية وقال ابن عباس معناه وعنده خزائن الغيب من الارزاق والاعمار وتاويل الاية ان الله تعالى عالم بكل شئ من مبتدات الامور وعواقبها فهو يعجل ما تعجيله اصوب واصلح ويوخر ما تاخيره اصوب واصلح وانه الذى يفتح باب العلم لمن يريد من الانبياء والاولياء لانه لا يعلم الغيب سواه ولا يقدر احد ان يفتح باب العلم به للعباد الا الله ويعلم ما فى البر والبحر من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء وما يسقط من ورقة الا يعلمها قال الزجاج المعنى انه يعلمها ساقطة وثابتة وانت تقول ما يجيئك احد الا وانا اعرفه فليس تاويله الا وانا اعرفه فى حال مجيئه فقط وقيل يعلم ما يسقط من ورق الاشجار وما يبقى ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن عند سقوطها ولا حبة فى ظلمات الارض معناه وما يسقط من حبة فى باطن الارض الا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الارض لانه لا يدرك كما لا يدرك ما حصل فى الظلمة وقال ابن عباس يعنى تحت الصخرة فى اسفل الارضين السبع او تحت حجر او شئ ولا رطب ولا يابس قد جمع الاشياء كلها فى قوله ولا رطب ولا يابس لان الاجسام كلها لا تخلو من احد هذين وهو بمنزلة قولك ولا مجتمع ولا متفرق لان الاجسام لا تخلو من ان تكون مجتمعة او متفرقة وقيل يريد ما ينبت وما لا ينبت عن ابن عباس وعنه ايضا ان الرطب الماء واليابس البادية وقيل الرطب الحى واليابس الميت وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال الورقة السقط والحبة الولد وظلمات الارض الارحام والرطب ما يحيا واليابس ما يقبض الا فى كتاب مبين معناه الا وهو مكتوب فى كتاب مبين اى فى اللوح المحفوظ وانما كتبها فى اللوح المحفوظ ليحفظها ويدرسها فانه كان عالما بها قبل ان كتبها ولكن ليعارض الملائكة الحوادث على مر الايام بالمكتوب فيه فيجدونها موافقة للمكتوب فيه فيزدادون علما ويقينا بصفات الله تعالى وايضا فان المكلف اذا علم ان اعماله مكتوبة فى اللوح المحفوظ تطالعها الملائكة قويت دواعيه الى الافعال الحسنة وترك القبايح وقال الحسن هذا توكيد فى الزجر عن المعاصى والحث على البر لان هذه الاشياء التى لا ثواب فيها ولا عقاب اذا كانت محصاة عنده محفوظة فالاعمال التى فيها الثواب والعقاب اولى بالحفظ وقيل ان قوله فى كتاب مبين معناه انه محفوظ غير منسى ولا مغفول عنه كما يقول القائل لغيره ما تصنعه عندى مسطر مكتوب وانما يريد بذلك انه حافظ له يريد مكافاته عليه وانشد ان لسلمى عندنا ديوانا عن البلخى قال الجرجانى صاحب النظم تم الكلام عند قوله ولا يابس ثم استانف خبرا اخر فقال الا فى كتاب مبين يعنى وهو فى كتاب مبين ايضا لانك لو جعلت قوله الا فى كتاب متصلا بالكلام الاول لفسد المعنى ولما نبه سبحانه بهذه الاية على انه عالم لذاته من حيث انه لو كان عالما بعلم لوجب احد ثلثة اشياء كلها فاسدة اما ان تكون له علوم غير متناهية واما ان تكون معلوماته متناهية او يتعلق علم واحد بمعلومات غير متناهية وكلها باطل بالدليل نبه فى الاية التى تليها على انه قادر لذاته من حيث انه قادر على الاحياء والاماتة فقال وهو الذى يتوفيكم بالليل اى يقبض ارواحكم عن التصرف عن ابن عباس وغيره ولفظه على بن عيسى وقيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون كقوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها الاية عن الزجاج والجبائى ويعلم ما جرحتم بالنهار اى ما كسبتم من الاعمال على التفصيل بالنهار على كثرته وفيه اشارة الى رحمته حيث يعلم مخالفتهم اياه ثم لا يعاجلهم بعقوبته ولا يمنعهم فضله ورحمته ثم يبعثكم فيه اى ينبهكم من نومكم فى النهار عن الزجاج والجبائى جعل انباههم من النوم بعثا ليقضى اجل مسمى معناه لتستوفوا اجالكم وترتيب الاية

الدلالة ... بان لا ينصب ... الالة ... قال الزجاج ...

وهو الذى يتوفيكم بالليل ثم يبعثكم فى النهار على علم بما تجرحون بالنهار ليقضى اجل مسمى فاللام يتصل بقوله ثم يبعثكم
فيه الا انه قدم ما من اجله بعثنا بالنهار لانه اهم والعناية به اشد عن على بن عيسى ومعنى القضاء فصل الامر على
تمام ومعنى قضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت وفى هذا حجة على النشاة الثانيه لان منزلتها بعد
الاولى كمنزلة اليقظة بعد النوم فى ان من قدر على احدهما فهو قادر على الاخر ثم اليه مرجعكم يريد اذا اتت المدة المضروبة
لكل نفس نقله الى الدار الاخرة ومعنى اليه الى حكمه وجزائه والى موضع ليس لاحد سواه فيه امر ثم ينبئكم يخبركم بما كنتم
تعملون اى بما غفلتم عنه من اعمالكم وفى هذه الاية دلالة على البعث والاعادة نبه الله سبحانه على ذلك بالنوم واليقظة فان
كلا منهما لا يقدر عليه غيره تعالى فاما ما يصح اعادته من الاشياء فالصحيح اعادته من مذهب اهل العدل فيه ان يكون الشئ
من فعل القديم سبحانه القادر لذاته وان يكون مما يبقى وان لا يكون مما يتولد عن سبب قوله عز وجل وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ
عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ
مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ اثنان القراءة قرا حمزة وحده توفيه والباقون بالتاء وقرا الاعرج
يفرطون فى الشواذ الحجة حجة من قرا بالتاء قوله فقد كذبت رسل وقالت رسلهم وحجة حمزة انه فعل متقدم مسند الى مؤنث
غير حقيقى وانما التانيث للجمع فهو مثل وقال نسوة وان كانت الكتابة فى المصحف بالياء فليس ذلك بخلاف لان الالف الممالة
قد كتبت بياء وقراءة الاعرج من افرط فى الامر اذا قصر فيه فهو بمعنى لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفى من يحضره
منيته وذلك بمعنى لا يزيدون على ذلك ولا يتوفون الا من امروا بتوفيه ونظيره قوله وكل شئ عنده بمقدار المعنى ثم زاد سبحانه
فى بيان كمال قدرته فقال وهو القاهر فوق عباده معناه والله المقتدر المستعلى على عباده الذى هو فوقهم لا بمعنى انه فى مكان
مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لان ذلك من صفة الاجسام والله تعالى منزه عن ذلك ومثله فى اللغة امر فلان فوق
امر فلان اى هو اعلى امرا وانفذ حكما ومثله قوله يد الله فوق ايديهم والمراد به اقوى واقدر منهم وانه القاهر لهم ويقال
هو فوقه فى العلم اى اعلم منه وفوقه فى الجود اى اجود فعبر عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها ويرسل عليكم حفظة
عطف على صلة الالف واللام فى القاهر وتقديره وهو الذى يقهر عباده ويرسل عليكم حفظة اى ملئكة يحفظون اعمالكم
ويحصونها عليكم ويكتبونها وفى هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصى اذا علموا ان عليهم حفظة من عند الله يشهدون
بها عليهم يوم القيمة حتى اذا جاء احدكم الموت توفيه اى يقبض روحه رسلنا يعنى اعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن
وقتادة قالوا وانما يقبضون الارواح بامره ولذلك اضاف التوفى اليه فى قوله قل يتوفيكم ملك الموت وقال الزجاج يريد
بالرسل هنا هؤلاء الحفظة فيكون المعنى يرسلهم للحفظ فى الحيوة والتوفية عند مجئ الممات وحتى هذه هى التى تقع بعدها الجملة
وهم لا يفرطون اى لا يضيعون عن ابن عباس والسدى وقيل لا يغفلون ولا يتوانون عن الزجاج قال ومعنى التفريط
تقدمة العجز فالمعنى انهم لا يعجزون ثم بين سبحانه ان هؤلاء الذين يتوفاهم رسله يرجعون اليه فقال ثم ردوا الى الله
اى الى الموضع الذى لا يملك الحكم فيه الا هو مولاهم الحق قد مر معناه عند قوله انت مولانا والحق اسم من اسماء الله
تعالى واختلف فى معناه فقيل المعنى ان امره كله حق لا يشوبه باطل وجد لا يجاوره هزل فيكون مصدرا وصف به نحو
قولهم رجل عدل وفى قول زهير متى يشتجر قوم تقل سرواتهم هم بيننا فهم رضا وهم عدل وقيل ان الحق بمعنى المحق كما قيل غياث
بمعنى مغيث وقيل ان معناه الثابت الباقى الذى لا فناء له وقيل معناه ذو الحق يريد ان اقواله وافعاله حق الا له الحكم
اى القضاء فيكم يوم القيمة لا يملك الحكم فى ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم فى الدنيا غيره بتمليكه اياه وهو اسرع الحاسبين
اى اذا حاسب فحسابه سريع وقد مضى معناه فى سورة البقرة عند قوله سريع الحساب وروى عن امير المؤمنين عليه السلام
انه سئل كيف يحاسب الله الخلق ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه وروى انه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل
على انه لا يشغله محاسبة احد عن محاسبة غيره ويدل على انه سبحانه يتكلم بلا لسان ولهوات ليصح ان يحاسب الجميع فى وقت
واحد

واحد قوله عز وجل قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ
مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ اثنان القراءة قرا ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء
ههنا وفى الاعراف والباقون خفية بالضم وقرا قل من ينجيكم خفيفة يعقوب وسهل وقرا الباقون ينجيكم وقرا اهل الكوفة
لئن انجانا بالالف الا ان عاصما قرا بالتفخيم والباقون بالامالة وقرا غيرهم من القرا لئن انجيتنا وقرا اهل الكوفة
وابو جعفر وهشام عن ابن عامر قل الله ينجيكم بالتشديد والباقون ينجيكم بالتخفيف الحجة اما خفية فان ابا عبيدة قال خفية
اى تخفون فى انفسكم وحكى غيره خُفية وخِفية لغتان واما خيفة من الخوف انقلبت الياء عن الواو للكسرة قال فلا تقعدن
على زخة وتضمر فى القلب وجدا وخيفا وهو جمع خيفة واما قوله ينجيكم فانهم قالوا نجا زيد فاذا نقل الفعل حسن نقله
بالتضعيف وفى التنزيل فانجاه الله من النار فانجيناه والذين امنوا وفيه ونجينا الذين امنوا فاستوت القراءتان فى الحسن
فاما من قرا انجانا فانه حمله على الغيبة لان ما قبله يدعونه وما بعده قل الله ينجيكم وكلاهما للغيبة ومن قرا لئن انجيتنا
فانه واجه بالخطاب ولم يراع من المشاكلة ما راعاه الكوفيون الاعراب تدعونه فى موضع نصب على الحال تقديره قل
من ينجيكم داعين وقائلين لئن انجيتنا تضرعا نصب بانه حال ايضا من تدعونه وكذلك خفية والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة
ومضمرين الحاجة اليه او معلنين ومسرين المعنى ثم عاد سبحانه الى حجاج الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار من ينجيكم اى
يخلصكم ويسلمكم من ظلمات البر والبحر اى من شدائدهما واهوالهما عن ابن عباس قال الزجاج العرب يقول لليوم الذى
تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى انهم يقولون يوم ذو كواكب اى قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل وانشد بنى اسد
هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوم ذو كواكب اشهب وقال اخر فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى اذا كان يوما ذا
كواكب اشنعا وقال غيره اراد ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة التيه والحيرة فى البر والبحر فجمع لفظه لتدل على معنى الجمع
تدعونه اى تدعون الله عند معاينة هذه الاهوال تضرعا وخفية اى علانية وسرا عن ابن عباس والحسن وقيل معناه
تدعونه مخلصين متضرعين تضرعا بالسنتكم وخفية فى انفسكم وهذا الظاهر لئن انجيتنا اى فى اى شدة وقعتم قلتم لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين لانعامك علينا وهذا يدل على ان السنة فى الدعاء التضرع والاخفاء وقد روى عن النبى
صلى الله عليه واله انه قال خير الدعاء الخفى وخير الرزق ما يكفى ومر عليه السلام بقوم رفعوا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون
اصم ولا غائبا وانما تدعون سميعا قريبا قل يا محمد الله ينجيكم اى ينعم عليكم بالنجاة والفرج يخلصكم من هذه الظلمات ومن كل
كرب اى غم يخلصكم الله من كل غم ثم انتم تشركون بالله تعالى بعد قيام الحجة عليكم ما لا يقدر على الانجاء من كرب وان خف قوله
عز وجل قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ
انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ اية اللغة لبست عليهم الامر البسه اذا لم ابينه وخلطت بعضه ببعضه
لبست الثوب البسه واللبس اختلاط الامر واختلاط الكلام ولابست الامر خالطته والشيع الفرق وكل فرقة شيعة
على حدة وشيعت فلانا اتبعته والتشيع هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع والشيعة صارت فى العرف اسما
لمتبعى امير المؤمنين على عليه السلام على سبيل الاعتقاد لامامته بعد النبى صلى الله عليه واله بلا فصل من الامامية والزيدية
وغيرهم ولا يقع اطلاق هذه اللفظة على غيرهم من المتبعين سواء كان متبوعهم محقا او مبطلا الا ان يسقط عنه
لام التعريف ويضاف بلفظ من للتبعيض فيقال هولاء شيعة بنى العباس او شيعة بنى فلان المعنى ثم عطف سبحانه على
ما تقدم من الحجج التى حاج بها الكافرين ونبه على الاعذار والانذار فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار هو القادر على ان يبعث
اى يرسل عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم قيل فيه وجوه احدها ان عذابا من فوقكم عنى به الصيحة والحجارة و
الطوفان والريح كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط او من تحت ارجلكم عنى به الخسف كما فعل بقارون عن سعيد
بن جبير ومجاهد وثانيها ان المراد بقوله من فوقكم من قبل كباركم ومن تحت ارجلكم من سفلتكم عن الضحاك وثالثها

ان من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت ارجلكم العبيد السوء ومن لاخير فيه عن ابن عباس وهو المروى عن ابى عبد الله
عليه السلام او يلبسكم شيعا اى يخلطكم فرقا مختلفى الاهواء لايكونون شيعة واحدة وقيل هو ان يكلهم الى انفسهم فلا يلطف
لهم اللطف الذى يؤمنون عنده ويخليهم من الطافه بذنوبهم السالفة وقيل عنى به يضرب بعضكم ببعض بما نلقيه بينكم من
العداوة والعصبية وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام ويذيق بعضكم باس بعض اى قتال بعض وحرب بعض ومعناه
يقتل بعضكم بعضا حتى يفنى بعضكم بعضا كما قال وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وقيل هو سوء الجوار عن
ابى عبد الله عليه السلام وقال الحسن التهديد بانزال العذاب والخسف يتناول الكفار وقوله او يلبسكم شيعا يتناول اهل
الصلوة وقال قال رسول الله صلى الله عليه واله سالت ربى ان لايظهر على امتى اهل دين غيرهم فاعطانى وسالته ان لا
يهلكهم جوعا فاعطانى وسالت ان لايجمعهم على ضلالة فاعطانى وسالته ان لايلبسهم شيعا فمنعنى وفى تفسير الكلبى انه لما نزلت
هذه الاية قام النبى صلى الله عليه واله فتوضاء واسبغ وضوءه ثم قام وصلى فاحسن صلوته ثم سال الله سبحانه ان لايبعث على
امته عذابا من فوقهم ولا من تحت ارجلهم ولا يلبسهم شيعا ولا يذيق بعضهم باس بعض فنزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله تعالى سمع
مقالتك وانه قد اجارهم من خصلتين ولم يجرهم من الخصلتين الاخرتين فقال عليه السلام يا جبرئيل ما بقاء امتى مع قتل بعضهم
بعضا فقام وعاد الى الدعاء فنزل الم احسب الناس ان يتركوا الايتين فقال لابد من فتنة تبتلى بها الامة بعد نبيها ليتبين الصادق
من الكاذب لان الوحى انقطع وبقى السيف وافتراق الكلمة الى يوم القيمة وقال ابى بن كعب سيكون فى هذه الامة بين يدى الساعة
خسف وقذف ومسخ ثم اكد سبحانه الاحتجاج عليهم بقوله انظر كيف نصرف الايات اى انظر يا محمد كيف نردد الايات ونظيرها
مرة بعد اخرى بوجوه ادلتها حتى يزول الشبه لعلهم يفقهون اى لكى يعلموا الحق فيتبعوه والباطل فيجتنبوه واذا كان البعث فى
الاية محمولا على التسليط فالمراد به التمكين ورفع الحيلولة دون ان يفعل سبحانه ذلك او يامر به تعالى عن ذلك وفى هذه
الاية دلالة على انه سبحانه قادر على ما المعلوم انه لايفعله قوله عز وجل وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ
لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ايتان كوفى واية واحدة عند غيرهم المعنى لما ذكر سبحانه تصريف الايات قال عقيب ذلك
وكذب به قومك اى بما نصرف عن الجبائى والبلخى وقال الازهرى انها تعود الى القران وهو قول الحسن وجماعة قومك يعنى قريشا
والعرب وهو الحق اى القران او تصريف الايات حق بمعنى انه يدل على الحق او ما فيه حق ثم بين سبحانه ان عاقبة تكذيبهم يعود
عليهم فقال قل يا محمد لست عليكم بوكيل اى لم اومر بمنعكم من التكذيب بايات الله وان احفظكم واحول بينكم وبينه لان الوكيل
هو القائم على الشئ القائم بحفظه والذى يدفع الضرر عنه عن الجبائى وقيل معناه لست بحافظ لاعمالكم لاجازيكم بها انما انا منذر والله سبحانه
هو المجازى عن الحسن وقيل معناه لو امر بجزيكم ولا اخذكم بالايمان كما ياخذ الموكل بالشئ الذى يلزم بلوغ اخره عن الزجاج لكل
نباء مستقر اى لكل خبر من اخبار الله ورسوله حقيقة كائنة اما فى الدنيا واما فى الاخرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لكل
عمل مستقر عند الله حتى يجازى به يوم القيمة عن الحسن وسوف تعلمون فيه وعيد وتهديد لهم اما بعذاب الاخرة واما بالحرب
واخذهم بالايمان شاؤا او ابوا وتقديره وسوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه قوله عز وجل
وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ
بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ايتان
القراءة قرا ابن عامر وحده ينسينك بالتشديد والباقون ينسينك بالتخفيف الحجة حجة من خفف قوله وما انسانيه الا
الشيطان وحجة ابن عامر انه يجوز نقل الفعل بتضعيف العين كما يجوز نقله بالهمزة كما يقال غرمته واغرمته الاعراب ذكرى يجوز
ان يكون فى موضع نصب على معنى ولكن ذكروهم ذكرى ويجوز ان يكون فى موضع رفع على احد وجهين اما ان يكون على
معنى ولكن الذى تامرونهم به ذكرى فيكون خبر المبتدا واما ان يكون عليكم ذكرى اى عليكم ان تذكروهم كما قال ان
عليك الا البلاغ وعلى هذا يكون ذكرى مبتدا النزول قال ابو جعفر عليه السلام لما نزلت فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم

الظالمين

دفع عنهم من خصلتين اجارهم من ان يبعث عليهم عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم ولم يجرهم ... فى الخبر انه صلى الله عليه واله اذا وقع ... امتى لم يرفع عنها الى يوم القيمة م

من الايات م

من ذلكم م

خبر قرار على غاية ينتهى اليها ويظهر عندها قال السدى استقر يوم بدر ما كان يعدهم من العذاب وسمى الوقت مستقرا لانه ظرف للفعل الواقع فيه وقيل معناه لكل ...

الظالمين قال المسلمون كيف نصنع ان كان كلما استهزء المشركون بالقران قمنا وتركناهم فلا ندخل اذا المسجد الحرام
ولا نطوف بالبيت الحرام فانزل الله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ امرهم بتذكيرهم وتبصيرهم
ما استطاعوا المعنى ثم امر سبحانه بترك مجالستهم عند استهزائهم بالقران فقال واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا خاطب
النبى صلى الله عليه واله اى اذا رايت هؤلاء الكفار وقيل الخطاب له والمراد غيره ومعنى يخوضون يكذبون باياتنا و
ديننا عن الحسن وسعيد بن جبير والخوض التخليط فى المفاوضة على سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتبيين فاعرض
عنهم اى اتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا فى حديث غيره اى يدخلوا فى حديث غير الاستهزاء بالقران وانما امر عليه السلام
بالاعراض عنهم لان من حاج من هذه حاله فقد وضع الشئ غير موضعه وحط من قدر البيان والحجاج واما ينسينك الشيطان
المعنى وان انساك الشيطان نهينا اياك عن الجلوس معهم وتنبه على هذا فيقال كيف اضاف النسيان الى الشيطان وهو فعل الله
تعالى والجواب انما اضافه الى الشيطان لان الله تعالى اجرى العادة بفعل النسيان عند الاعراض عن الفكر وتراكم الخواطر
الرديئة والوساوس الفاسدة من الشيطان فجاز اضافة النسيان اليه لما حصل عند فعله كما ان من القى غيره فى البرد
حتى مات فانه يضاف الموت اليه لانه عرضه لذلك وكان كالسبب فيه فلا تقعد بعد الذكرى اى بعد ذكرك نهينا
وما يجب عليك من الاعراض عن الجبائى وقيل معناه بعد ان تذكرهم بدعائك اياهم الى الدين عن ابى مسلم فكانه قال اعرض
فى حال الياس وذكر فى حال الطمع مع القوم الظالمين يعنى فى مجالس الكفار والفساق الذين يظهرون التكذيب بالقران
والايات والاستهزاء بذلك وبه قال سعيد بن جبير والسدى واختاره البلخى وقال كان ذلك فى اول الاسلام و
كان يختص النبى عليه السلام ورخص للمؤمنين فى ذلك ثم لما عز الاسلام وكثر المسلمون نهوا عن مجالستهم ونسخت هذه
الاية بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم قال الجبائى وفى هذه الاية دلالة على بطلان
قول الامامية فى جواز التقية على الانبياء وعلى الائمة وان النسيان لايجوز على الانبياء وهذا القول غير صحيح ولا
مستقيم لان الامامية انما تجوز التقية على الامام فيما يكون عليه دلالة قاطعة توصل الى العلم ويكون المكلف مزاح
العلة فى تكليفه ذلك فاما ما لايعرف الا بقول الامام من الاحكام ولا يكون على ذلك دليل الا من جهته فلا يجوز
عليه التقية فيه وهذا كما اذا تقدم من النبى صلى الله عليه واله بيان فى شئ من الاشياء الشرعية فانه يجوز منه ان لا
يبين فى حال اخرى لامته ذلك الشئ اذا اقتضاه المصلحة الا ترى الى ما روى عن عمر بن الخطاب ساله عن الكلالة
فقال يكفيك اية الصيف واما النسيان والسهو فلم يجوزوهما عليهم فيما يؤدونه عن الله تعالى فاما ما سواه فقد جوزوا
عليهم ان ينسوه او يسهوا عنه ما لم يؤد ذلك الى اخلال بالفعل وكيف لايكون كذلك وقد جوزوا عليهم النوم و
الاغماء وهما من قبيل السهو فهذا ظن منه فاسد وبعض الظن اثم وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ اى على المؤمنين
الذين اتقوا معاصى الله سبحانه من حساب الكفرة شئ بحضورهم مجلس الخوض ولكن ذكرى لعلهم يتقون اى نهوا عن
مجالستهم ليزدادوا تقى وامروا ان يذكروهم وينبهوهم على خطائهم لكى يتقى المشركون اذا راوا اعراض هؤلاء
المؤمنين عنهم وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك عن اكثر المفسرين وقيل معناه ليس على المتقين من الحساب يوم
القيمة مكروه ولا تبعة ولكنه اعلمهم انهم محاسبون وحكم عليهم بذلك لكى يعلموا ان الله محاسبهم فيتقوا عن البلخى
فالهاء والميم على الوجه الاول يعود الى الكفار وفى الثانى الى المؤمنين قوله عز وجل وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا
شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا
كَانُوا يَكْفُرُونَ اية اللغة يقال ابسلته بجريرته اى اسلمته بها والمستبسل المستسلم الذى يعلم انه لايقدر على التخلص قال
الشاعر وابسالى بنى بغير جرم بعوناه ولا بدم مراق اى اسلامى اياهم والبعو الجناية قال الاخفش تبسل اى تجازى

البعو الجناية والجرم قال عوف الاحوص

بعوناه جنيناه م

وقيل تبسل اى ترهن والمعانى متقاربة وهذا بَسْلٌ عليك اى حرام عليك وجايز ان يكون اسد باسل من هذا اى انه
لا يقدر عليه وجايز ان يكون من الاول بمعنى ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه ويقال اعط الراقى بُسْلَتَه اى اجرته
وتاويله انه عمل فى الشئ الذى قد استبسل صاحبه معه والعدل الفداء واصله المثل والحميم الماء الحار اُحِمَّ حتى انتهى غليانه
ومنه الحمّام **الاعراب** ان تبسل فى موضع نصب بانه مفعول له وهو من باب حذف المضاف كراهة ان تبسل وقوله
ليس لها من دون الله صفة لنفس والتقدير نفس عادمة وليًّا وشفيعًا بكسبها اولئك الذين ابسلوا مبتداء وخبر
وقوله لهم شراب من حميم يجوز ان يكون خبرًا ثانيًا لاولئك ويجوز ان يكون كلاما مستانفا **المعنى** ثم عاد سبحانه الى
وصف من تقدم ذكرهم من الكفار فقال وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى دعهم واعرض عنهم وانما اراد به
اعراض انكار لانه قال بعد ذلك وذكر يريد دع ملاطفتهم ومجالستهم ولا تدع مذاكرتهم ودعوتهم ونظيره فى سورة النساء
فاعرض عنهم وعظهم وغرتهم الحياة الدنيا يعنى به اغتروا بحيوتهم وذكر به اى عظ بالقران وقيل بيوم الدين وقيل بالحساب
ان تبسل نفس بما كسبت اى لكى لا تسلم نفس للهلكة بما كسبت اى بما عملت عن الحسن ومجاهد والسدى واختاره الجبائى والفراء
وقيل ان معنى تبسل تهلك عن ابن عباس وقيل تحبس عن قتادة وقيل يؤخذ عن ابن زيد وقيل تسلم الى خزنة جهنم عن عطية
العوفى وقيل تجازى عن الاخفش ليس لها من دون الله ولى اى ناصر ينجيها من العقاب ولا شفيع يشفع لها وان تعدل كل
عدل وان تفد كل فداء لا يؤخذ منها وقيل معناه وان تقسط كل قسط فى ذلك اليوم لا تقبل منها لان التوبة هناك غير مقبولة
وانما تقبل فى الدنيا اولئك الذين ابسلوا اى هلكوا وقيل اسلموا للهلكة ولا مخلص له وقيل ارتهنوا وقيل جوزوا بما
كسبوا اى بكسبهم وعملهم لهم شراب من حميم اى ماء مُغلًا حار وعذاب اليم مؤلم بما كانوا يكفرون اى بكفرهم يريد جزاء على
كفرهم واختلف فى الاية فقيل هى منسوخة باية السيف عن قتادة وقيل ليست بمنسوخة انما هى تهديد ووعيد عن مجاهد
وغيره وفيها دلالة على الوعيد العظيم لمن كانت هذه سبيله من الاستهزاء بالقران وايات الله وتحذير عن سلوك طريقتهم
وقال الفراء ما من امة الا ولهم عيد يلعبون فيه ويلهون الا امة محمد فان اعيادهم صلوة ودعاء وعبادة **قوله عز
وجل قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته
الشياطين فى الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب
العالمين اية** **القراءة** قرا حمزة وحده استهواه بالف ممالة والباقون بالتاء المعجمة من فوق **الحجة** قال ابو على كلا المذهبين
حسن قال الشاعر وكنا ورثناه على عهد تُبّعٍ طويلا سواريه شديدًا دعايمه **اللغة** استهواه من قولهم هوى من خالق
اذا تردى منه ويشبه به الذى زل عن الطريق المستقيم كما ان قوله زل انما هو فى المكان قال تام على متن عدٍ زلج فزل
ثم يشبه به المخطى فى طريقته فى مثل قوله فازلهما الشيطان فكذلك هوى واهواه غيره فيقال اهويته واستهويته بمعنى
كما يقال ازله الشيطان واستزله بمعنى وكذلك استجابة بمعنى اجابة قال فلم يستجبه عند ذاك مجيب والحيران المتردد فى امر لا
يهتدى الى المخرج منه والفعل منه حار يحار حيرة ورجل حاير وحيران وقوم حيارى **الاعراب** كالذى استهوته فى موضع
نصب صفة لمصدر محذوف تقديره انَدْعُوا من دون الله دعاء مثل دعاء الذى استهوته الشياطين فى الارض حيران وحيران
نصب على الحال من مفعول استهوته له اصحاب وصف لحيران ويدعونه صفة لاصحاب اى اصحاب داعون له الى الهدى قائلون
له ائتنا وههنا منتهى الكلام وقوله امرنا لنسلم يقول العرب امرتك لتفعل وامرتك ان تفعل وامرتك بان تفعل فمن قال امرتك
بان تفعل فالباء للالصاق فالمعنى وقع الامر بهذا الفعل ومن قال امرتك ان تفعل فالمعنى امرتك للفعل وقال الزجاج
التقدير امرنا كى نسلم قال الشاعر اريد لانسى ذكرها فكانما تمثل لى ليلى بكل سبيل اى كى انسى **المعنى** ثم امر سبحانه نبيه
صلى الله عليه واله والمؤمنين بخطاب الكفار فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعون الى عبادة الاصنام او
قل ايها الانسان او ايها السامع اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا اى عبدناه ولا يضرنا ان تركنا عبادته ونرد على

اعقابنا هذا مثل يقولون لكل خايب لم يظفر بحاجته رد على عقبيه ونكص على عقبيه وتقديره انرجع القهقرى فى مشينا
والمعنى انرجع عن ديننا الذى هو خير الاديان بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الارض حيران
لا يهتدى الى طريق وقيل معناه استغوته الغيلان فى المهامه عن ابن عباس وقيل معناه دعته الشياطين الى اتباع
الهوى وقيل اهلكته وقيل اذهبت به عن نفطويه وقيل اضلته عن ابى مسلم له اصحاب يدعونه الى الهدى اى الى الطريق
الواضح يقولون له ائتنا ولا يقبل منهم ولا يصير اليهم لانه قد تحير لاستيلاء الشيطان عليه يهوى ولا يهتدى ثم
امر الله سبحانه فقال قل لهؤلاء الكفار ان هدى الله هو الهدى اى دلالة الله لنا على توحيده وامر دينه هو الهدى
الذى يؤدى المستدل به الى الصلاح والرشاد فى دينه وهو الذى يجب ان يعمل عليه ويستدل به فلا يترك ذلك
الى ما تدعون اليه وامرنا لنسلم لرب العالمين معناه وامرنا ان نسلم وقيل معناه ان نسلم امورنا ونفوضها الى
الله ونتوكل عليه فيها **قوله عز وجل وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون وهو الذى
خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم
الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير** اثنان كوفى ثلاث ايات فى الباقين عدوا كن فيكون اية **القراءة** ه **الاعراب**
يحتمل اول الاية وجهين احدهما ان يكون التقدير امرنا لان نسلم ولان نقيم الصلوة والثانى ان يكون محمولا على المعنى
لان معناه امرنا بالاسلام وباقامة الصلوة وموضع ان نصب لان الباء لما سقطت افضى الفعل فنصب عالم الغيب رفع
لانه نعت الذى فى قوله وهو الذى خلق السموات والارض ويحتمل ان يكون فاعل فعل يدل عليه الفعل المسمى للمفعول
به وهو قوله ينفخ فى الصور وهذا كما يقولون اكل طعامك عبد الله والتقدير اكله عبد الله قال الشاعر لِيُبكَ
يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوايح والاول اجود **المعنى** وان اقيموا الصلوة هذا موصول بما قبله اى
وقيل لنا اقيموا الصلوة واتقوه اى واتقوا رب العالمين اى تجنبوا معاصيه فتتقوا عقابه وهو الذى اليه تحشرون
اى تجمعون اليه يوم القيمة فيجازى كل عامل منكم بعمله وهو الذى خلق السموات والارض بالحق فيه قولان احدهما
ان معناه خلقهما للحق لا للباطل عن الحسن والزجاج وغيرهما ومعناه خلقهما حقا وصوابا لا باطلا وخطاء كما قال
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وادخلت الباء والالف واللام كما ادخلت فى نظايرها يقولون فلان
يقول بالحق بمعنى انه يقول حقا لا ان الحق معنى غير القول بل تقديره ان خلقهما حكمة وصواب من حكم الله وهو موصوف
بالحكمة فى خلقهما وخلق ما سواهما من جميع خلقه لا ان هناك حقا سوى خلقهما خلقهما به والقول الاخر ما قاله
قوم ان معناه خلق السموات والارض بكلامه الحق وهو قوله ائتنا طوعا او كرها فالحق صفة قوله وكلامه والاول
هو الصحيح ويوم يقول كن فيكون ذكر فى نصب يوم وجوه احدها ان يكون عطفا على الهاء فى قوله واتقوه اى واتقوا يوم
يقول كن فيكون كما قال سبحانه واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا والثانى ان يكون على معنى واذكر يوم يقول
كن فيكون لان ما بعده واذ قال ابرهيم لابيه ازر عطفا على ذلك قال الزجاج وهو الاجود والثالث ان يكون عطفا
على السموات والمعنى وهو الذى خلق السموات والارض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون فان قيل ان يوم القيمة
لم يات بعد فجوابه ان ما انبا الله بكونه فحقيقة واقع لا محالة واما قوله كن فقد قيل فيه انه خطاب للصور والمعنى
يوم يقول للصور كن فيكون وما ذكر من الصور يدل عليه وقيل ان قوله كن فيه اضمار جميع ما يخلق فى ذلك الوقت
والمعنى ويوم يقول للشئ كن فيكون وهذا انما ذكر ليدل على سرعة امر البعث والساعة فكانه يقول ويوم يقول للخلق موتوا
فيموتون وانتشروا فينتشرون اى لا يتعذر عليه ذلك ولا يتاخر عن وقت ارادته وقيل معناه ويوم يقول كن فيكون
قوله الحق اى يامر فيقع امره اى ما وعدوا به من الثواب وحذروا به من العقاب والحق من صفة قوله وقوله فاعل يكون
كما تقول قد قلت فكان قولك وليس المعنى انك قلت فكان الكلام انما المعنى انه كان ما دل عليه القول واما على القول

المتقدم فيكون قوله مبتداء والحق خبره وقد ذكرنا تفسير قوله كن فيكون في سورة البقرة مستقصى وله الملك يوم ينفخ في الصور
قيل في نصب يوم هنا وجوه احدها ان يكون متعلقا بله الملك وتقديره ان الملك قد وجب له في ذلك اليوم الذي ينفخ
فيه في الصور فقد خص ذلك اليوم بان الملك له فيه كما خص في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والوجه فيه
انه لا يبقى ملك من ملكه الله في الدنيا او يغلب عليه بل يتفرد سبحانه بالملك والثاني ان يكون يوم ينفخ في الصور مبنيا عن
قوله يوم يقول كن فيكون والثالث ان يكون منصوبا بقوله الحق والمعنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور والوجه في اختصاصه
بذلك اليوم وان كان قوله حقا في كل وقت ما بيناه في الوجه الاول وهو مثل قوله والامر يومئذ لله ولا شك ان
الامر في كل وقت لله تعالى والمراد ان ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في اوامره لانها محتومة ليس فيها تخيير ولا يقدر احد
على معصيته واما الصور فقيل فيه انه قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام نفختين فيفنى الخلايق كلهم بالنفخة الاولى ويحيون
بالنفخة الثانية فتكون النفخة الاولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء الاخرة وقال الحسن هو جمع صورة كما ان السور
جمع سورة وعلى هذا فيكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور ويؤيد القول الاول ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي
عليه السلام وانه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبينه واصغى سمعه ينتظر يوم يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول
يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والعرب تقول نفخ الصور ونفخ في الصور قال الشاعر لولا ابن جعدة لم
يفتح قهندزكم ولا خراسان حتى ينفخ الصور عالم الغيب والشهادة اي يعلم ما لا يشاهده الخلق وما يشاهدونه وما لا يعلمه
الخلق وما يعلمونه لا يخفى عليه شيء من ذلك وهو الحكيم في افعاله الخبير العالم بعباده وافعالهم قوله عز وجل واذ
قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة اني اريك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين آيتان القراءة القراءة الظاهرة آزر بالفتح وقرأ يعقوب الحضرمي آزر بضم
الراء وهو قراءة الحسن وابن عباس ومجاهد والضحاك الحجة من قرأ بالفتح جعل آزر في موضع جر بدلا من ابيه او عطف بيان
ومن قرأ بالضم جعله منادى مفردا وتقديره يا آزر مصور وآلهة جمع اله مثل ازار وازرة والمبين هو البين الظاهر و
الملكوت بمنزلة الملك غير ان هذا اللفظ ابلغ لان الواو والتاء تزيدان للمبالغة ومثله الرغبوت والرهبوت ووزنه
فعلوت وفي المثل رهبوت خير من رحموت اي لان يرهب خير من ان يرحم الاعراب العامل في اذ محذوف وتقديره واذكر
اذ قال وقيل انه يتصل بقوله بعد اذ هدانا الله اي وبعد اذ قال ابرهيم والكاف في كذلك كاف التشبيه والمعنى كما اريناه
ابرهيم قبح ما كان عليه ابوه وقومه من المذهب كذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض للاعتبار وقيل شبه رؤية ابرهيم برؤية
محمد عليهما السلام والمعنى كما اريناك يا محمد اريناه ابرهيم وقوله وليكون عطف على محذوف وتقديره نريه الملكوت ليستدل به و
ليكون من الموقنين وقيل انه جملة مستانفة اي وليكون من الموقنين اريناه فاللام يتعلق باريناه المحذوف وقيل ان الواو زائدة
ومعناه ليكون وهذا بعيد المعنى واذ قال ابرهيم اي اذكر اذ قال ابرهيم لابيه آزر فيه اقوال احدها انه اسم اب ابرهيم عن الحسن
والسدي والضحاك وثانيها ان اسم اب ابرهيم تارخ قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف في ان اسم اب ابرهيم تارخ والذي في القرآن
يدل على ان اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذم في لغتهم كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه يا مخطئ فاذا كان كذلك فالاختيار الرفع
وجائز ان يكون وصفا له كانه قال لابيه المخطئ وقيل ان آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد قال الزجاج فاذا كان ذلك
فموضعه نصب على اضمار الفعل كانه قال واذ قال ابرهيم لابيه اتتخذ آزر الها اتتخذ اصناما آلهة وهذا الذي قاله الزجاج يقوي
ما قاله اصحابنا ان آزر كان جد ابرهيم لامه او كان عمه من حيث صح عندهم ان آباء النبي صلى الله عليه وآله الى آدم كلهم كانوا
موحدين واجمعت الطائفة على ذلك ورووا عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين
الى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية ولو كان في آبائه عليه السلام كافر لم يصف جميعهم بالطهارة
مع قوله سبحانه انما المشركون نجس ولهم في ذلك ادلة ليس هنا موضع ذكرها وقوله اتتخذ اصناما آلهة استفهام المراد به

الانكار

اللغة الاصنام جمع صنم والصنم ما كان مصورا والوثن ما كان غير مصور

وجعل اصناما بدلا من آزر واشباهه وقال بعد ان قال اتتخذ آزر

الانكار اي لا تفعل ذلك اني اريك وقومك في ضلال عن الصواب مبين ظاهر وفي الآية حث النبي صلى الله عليه و
آله على محاجة قومه الذين دعوه الى عبادة الاصنام والاقتداء بابيه ابرهيم عليه السلام فيه وتسلية له بذلك وكذلك نري
اي مثل ما وصفنا من قصة ابرهيم وقوله لابيه ما قال نريه ملكوت السموات والارض اي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد
الله عز وجل وقيل معناه كما اريناك يا محمد اريناه آثار قدرتنا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الارض من البحار و
المياه والرياح ليستدل بها وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل يعني بالملكوت آيات السموات والارض عن مجاهد
وقيل ان ملكوت السموات والارض ملكهما بالنبطية عن مجاهد ايضا وقيل ان ملكوت السموات والارض ما يشاهد من الحوادث
الدالة على ان الله سبحانه مالك لهما ولكل شيء بنفسه لا يملكه سواه فاجرى الملكوت على المملوك الذي هو في السماوات والارض
مجازا عن ابي علي الجبائي وقال ابو جعفر عليه السلام كشط الله له عن الارضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السموات حتى رآهن
وما فيهن من الملائكة وحملة العرش وروى ابو بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال لما رأى ابرهيم ملكوت السموات والارض
رأى رجلا يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلثة فدعا عليهم فماتوا فاوحى الله تعالى يا
ابرهيم ان دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فاني لو شئت ان اميتهم لم اخلقهم اني خلقت خلقي على ثلثة
اصناف صنف يعبدني لا يشرك بي شيئا فاثيبه وصنف يعبد غيري فليس يفوتني وصنف يعبد غيري فاخرج من صلبه
من يعبدني وليكون من الموقنين اي من المتيقنين بان الله سبحانه هو خالق لذلك والمالك له النظم وجه اتصال الآية
بما قبلها انه لما عاب دينهم وذم آلهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بين انه دين ابرهيم وللناس الف بدين الآباء لا سيما
اذا كان الاب ذا قدر وقيل انها تتصل بقوله اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا الى قوله بعد اذ هدانا الله ثم قال وبعد
ان قال ابرهيم كذا او كذا عن ابي مسلم قوله عز وجل فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب
الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فلما
رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين اربع آيات القراءة قرأ ابو عمرو وورش من طريق البخاري
رأى كوكبا بفتح الراء وكسر الهمزة حيث كان وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويحيى عن ابي بكر بكسر الراء والهمزة وقرأ
الباقون بفتح الراء والهمزة الحجة ذكر ابو علي الوجه في قراءة من لم يمل وقراءة من امال واورد في ذلك كلاما كثيرا تركنا
ذكره خوف الاطالة اللغة يقال جن عليه الليل وجنه الليل واجنه الليل اذا اظلم حتى يستره بظلمته ويقال لكل ما ستر قد
جن واجن ومنه اشتقاق الجن لانهم استجنوا عن اعين الناس وقال الهذلي ولما وردت قبيل الكرى وقد جنه
السدف الادهم ويقال اجننت الميت وجننته اذا واريته في اللحد وافل يافل افولا اذا غاب قال ذو الرمة مصابيح ليست
باللواتي تقودها نجوم ولا بالآفلات الدوالك والبزوغ الطلوع يقال بزغت الشمس اذا طلعت ويسمى ثلاث ليال من اول
الشهر هلالا ثم يسمى قمرا والبياض وحمار اقمر ابيض والحنيف المائل الى الحق السؤال يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال
بازغة والجواب ان التقدير هذا النور الطالع ربي ليكون الخبر والمخبر عنه جميعا على التذكير كما كانا جميعا على التانيث في
رأى الشمس بازغة وقال ابن فضال المجاشعي قوله رأى الشمس بازغة اخبار من الله تعالى وقوله هذا ربي من كلام ابرهيم والشمس
مؤنثة في كلام العرب فاما كلام ما سواهم فيجوز ان لا يكون مؤنثة وابرهيم عليه السلام لم يكن عربيا فحكى الله تعالى كلامه
على ما كان في لغته ويقال لم انث الشمس وذكر القمر والجواب ان تانيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على حد قولهم نسابة وعلامة
وليس القمر كذلك لانه دونها في الضياء ويقال لم دخلت الالف واللام فيها وهي واحدة ولم تدخل في زيد وعمرو
قيل لان شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج الى التعريف اذا قصد الى جرم الشمس او الى الشعاع على طريق الجنس
او الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك المعنى لما تقدم ذكر الآيات التي اراها الله تعالى ابرهيم بين سبحانه كيف

استدل بها وكيف عرف الحق من جهتها فقال فلما جن عليه الليل اى اظلم عليه الليل وستر بظلامه كل ضياء راى كوكبا واختلف في الكوكب الذى راه فقيل هو الزهرة وقيل هو المشترى قال هذا ربى فلما افل اى غرب قال لا احب الافلين واختلف فى تفسير هذه الايات على اقوال احدها ان ابرهيم عليه السلام انما قال ذلك عند كمال عقله فى زمان مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لانه عليه السلام لما اكمل الله عقله وحرك دواعيه على الفكر والتامل راى الكوكب فاعظمه واعجبه نوره وحسنه وقد كان قومه يعبدون الكواكب فقال هذا ربى على سبيل الفكر فلما غاب علم ان الافول لا يجوز على الاله فاستدل بذلك على انه محدث مخلوق وكذلك كانت حاله فى رؤية القمر والشمس فانه لما راى افولهما قطع على حدوثهما واستحالة الهيتهما وقال فى اخر كلامه يا قوم انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض الى اخره وكان هذا القول عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بان صفات المحدثين لا تجوز عليه وهذا اختيار ابى القسم البلخى وغيره قال وزمان مهلة النظر هى اكثر من ساعة واقل من شهر ولا يعلم ما بينهما الا الله تعالى وثانيها انه عليه السلام انما قال ذلك قبل بلوغه وانه لما قارب كمال العقل حركته الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث فلما راى الكوكب ونوره واشراقه وزهوره ظن انه ربه فلما افل وانتقل من حال الى حال قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا عند طلوعه وراى كبره واشراقه وانبساط نوره وضيائه فى الدنيا قال هذا ربى فلما افل وصار مثل الكوكب فى الافول والغيبوبة وعلم انه لا يجوز ان يكون ذلك صفة الاله قال لئن لم يهدنى ربى الى رشدى ولم يوفقنى ويلطف لى فى اصابة الحق من توحيده لاكونن من القوم الضالين بعبادة هذه الحوادث فلما راى الشمس بازغة اى طالعة قد ملات الدنيا نورا وراى عظمها وكبرها قال هذا ربى هذا اكبر من الكوكب والقمر فلما افلت قال حينئذ لقومه انى برئ مما تشركون مع الله الذى خلقنى وخلقكم فى عبادته من الهتكم فلما اكمل الله عقله وضبط بفكره النظر فى حدوث الاجسام بان وجدها غير منفكة من المعانى المحدثة وانه لا بد لها من محدث قال حينئذ لقومه انى وجهت وجهى اى نفسى للذى فطر السموات والارض حنيفا اى مخلصا مائلا عن الشرك الى الاخلاص وما انا من المشركين وهذا اختيار ابى على الجبائى ويسال على القول الاول كيف قال عليه السلام هذا ربى مخبرا وهو غير عالم بما يخبر به والاخبار بما لا يامن المخبر ان يكون فيه كاذبا قبيح والجواب عنه من وجهين احدهما انه لم يقل ذلك مخبرا وانما قاله فارضا ومقدرا على سبيل التامل كما يفرض احدنا اذا نظر فى حدوث الاجسام كونها قديمة ليتبين ما يودى اليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك مخبرا بالحقيقة والاخر انه اخبر عن ظنه ويجوز ان يظن المتفكر فى حال فكره ونظره ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة سوال اخر كيف تعجب ابرهيم عليه السلام من رؤية هذه الاشياء تعجب من لم يكن راها وكيف يجوز ان يكون مع كمال عقله لم يشاهد السماء والكواكب والجواب انه لا يمتنع ان يكون عليه السلام ما راى السماء الا فى ذلك الوقت لانه قد روى ان امه كانت ولدته فى مغارة خوفا من ان يقتله النمرود ومن يكون فى المغارة لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة وراى السماء وقد يجوز ايضا ان يكون قد راى السماء قبل ذلك الا انه لم يفكر فى اعلامها لان الفكر لم يكن واجبا عليه وحين كمل عقله فكر فى ذلك الكواكب وثالثها ان ابرهيم عليه السلام لم يقل هذا ربى على طريق الشك بل كان عالما موقنا ان ربه سبحانه لا يجوز ان يكون بصفة الكواكب وانما قال ذلك على سبيل الانكار على قومه والتنبيه لهم على ان من يكون الها معبودا لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ويكون قوله هذا ربى محمولا على احد وجهين اما على انه كذلك عندكم وفى مذاهبكم كما يقول الحاذق للمشبه هذا ربه جسم يتحرك ويسكن واما على ان يكون قال ذلك مستفهما واسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه وقد كثر مجى ذلك فى كلام العرب قال اوس بن حجر لعمرك ما ادرى وان كنت داريا ۝ شعيث بن سهم او شعيث بن منقر ۝ وقال الاخطل كذبتك عينك ام رايت بواسط ۝ غلس الظلام من الرباب خيالا ۝ وقال عمر بن ابى ربيعة ثم قالوا تحبها قلت بهرا ۝ عدد القطر والحصى والتراب ۝ اى اتحبها وقال اخر رفونى وقالوا يا خويلد لم ترع ۝ فقلت وانكرت الوجوه هم هم ۝ اى اهم هم وروى عن ابن عباس انه قال فى قوله فلا اقتحم العقبة معناه افلا اقتحم فحذف حرف الاستفهام ورابعها انه عليه السلام انما قاله استدراجا للقوم

ويهم

ويريهم قصور علمهم ويطلان عبادتهم لمخلوق جاز عليه اعراض الحوادث فانهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم يعبدون النيران وبعضهم يعبدون الاوثان فلما راى الكوكب الذى كانوا يعبدونه قال لهم هذا ربى فى زعمكم كما قال اين شركاءى الذين كنتم تزعمون فاضافه الى نفسه حكاية لقولهم فكانه قال لهم هذا ربى فى قولكم وقيل انه نوى فى تقديره الشرط اى ان كان ربكم هذا الجرم كما تزعمون فهذا الكوكب او هذا القمر او الشمس ربى ولم يكن الجرم ربهم ولا الكوكب ربه وفى هذه الاية دلالة على حدوث الاجسام واثبات الصانع وانما استدل ابرهيم عليه السلام بالافول على حدوثها لان حركتها بالافول اظهر ومن الشبهة ابعد واذا جازت عليها الحركة والسكون فلا بد ان تكون مخلوقة محدثة واذا كانت محدثة فلا بد لها من محدث والمحدث لا بد ان يكون قادرا ليصح منه الاحداث واذا احدثها على غاية الانتظام والاحكام فلا بد من ان يكون عالما واذا كان قادرا عالما وجب ان يكون حيا موجودا وفيها تنبيه لمشركى العرب وزجر لهم عن عبادة الاصنام وحث لهم على سلوك طريقة ابيهم ابرهيم فى النظر والتفكر لانهم كانوا يعظمون اباهم فاعلمهم الله سبحانه ان اتباع الحق من دين ابيهم الذى يقرون بفضله اوجب عليهم

القصة ذكر اهل التفسير والتاريخ ان ابرهيم عليه السلام ولد فى زمن نمرود بن كنعان وزعم بعضهم ان نمرود كان من ولاة كيكاوس وبعضهم قال كان ملكا برأسه وقيل لنمرود انه يولد فى بلده هذه السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم انما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن وقال اخرون راى نمرود كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسال عنه فعبر بانه يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدى فعند ذلك امر بقتل كل غلام يولد فى تلك السنة وامر بان تعزل الرجال عن النساء وبان يتفحص عن احوال النساء فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد فان كان غلاما قتل وان كانت جارية خليت حتى حبلت ام ابرهيم فلما دنت ولادة ابرهيم خرجت امه هاربة فذهبت به الى غار ولفته فى خرقة ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله تعالى رزقه فى ابهامه فجعل يمصها فتشخب لبنا وجعل يشب فى اليوم كما يشب غيره فى الجمعة ويشب فى الجمعة كما يشب غيره فى الشهر ويشب فى الشهر كما يشب غيره فى السنة فمكث ما شاء الله ان يمكث وقيل كانت تختلف اليه امه فكان يمص اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا عن ابى روق ومحمد بن اسحق ولما خرج من السرب نظر الى النجم وكان اخر الشهر فراى الكوكب قبل القمر ثم راى القمر ثم راى الشمس فقال ما قال ولما راى قومه يعبدون الاصنام خالفهم وكان يعيب الهتهم حتى فشا امره وجرت المناظرات **قوله عز وجل**

وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شئ علما افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون **القراءة** قرا اهل المدينة وابن عامر فى رواية ابن ذكوان اتحاجونى بتخفيف النون والباقون بالتشديد **الحجة** قال ابو على لا نظر فى قول من شدد فاما وجه التخفيف فانه حذف النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف نكره فيتوصل الى ازالته تارة بالحذف نحو علماء بنو فلان وتارة بالابدال نحو لا املاه حتى تفارقا ونحو ديوان وقيراط فحذفوا النون الثانية كراهية التضعيف ولا يجوز ان يكون المحذوفة الاولى لان الاستثقال يقع بالتكرير فى الامر الاعم وفى الاولى ايضا انها دلالة الاعراب وانما حذفت الثانية كما حذفتها فى ليتى فى نحو قوله اذ قال ليتى اصادفه ويذهب بعض مالى ۝ وقوله تراه كالثغام يعل مسكا ۝ يسوء الفاليات اذا فلينى ۝ فالمحذوفة المصاحبة للياء ليسلم سكون لام الفعل وما يجرى مجراها او حركتها ولا يجوز ان يكون المحذوفة الاولى لان الفعل يبقى بلا فاعل كما لا يحذف الاولى فى اتحاجونى لانها الاعراب ويدل على ان المحذوفة الثانية انها حذفت مع الجار ايضا فى نحو قوله قدنى من نصر الخبيبين قدى ۝ وقد جاء حذف هذه النون فى كلامهم قال الشاعر ابالموت الذى لا بد انى ۝ ملاق لا اباك تخوفينى ۝ وقال تذكرونا اذ نقاتلكم اذ لا يضر معدما عدمه ۝ **الاعراب** موضع ان يشاء نصب اى لا اخاف الا مشية الله وهذا استثناء منقطع وقيل متصل وتقديره لا اخافهم الا ان يشاء ربى احياءهم واقدارهم وعلما منصوب على التمييز **المعنى** ثم ذكر سبحانه محاجة ابرهيم عليه السلام مع قومه

فقال وحاجه قومه اى خاصموه وجادلوه فى الدين وخوفوه من ترك عبادة الهتهم قال اى ابرهيم لهم اتحاجونى فى الله وقد
هدانى اى وفقنى لمعرفته ولطف لى فى العلم بتوحيده وترك الشرك واخلاص العبادة له ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف
منه ضررا ان كفرت به ولا ارجو نفعا ان عبدته لانه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه ونجم دل افوله على حدثه فكيف تحاجونى
وتدعوننى الى عبادة من لا يخاف ضره ولا يرجى نفعه الا ان يشاء ربى شيئا فيه قولان احدهما ان معناه الا ان يقلب الله
هذه الاصنام التى تخوفوننى بها فيحييها ويقدرها فيضر وينفع فيكون ضرها ونفعها اذ ذاك دليلا على حدثها ايضا وعلى توحيد
الله وعلى انه المستحق للعبادة دون غيره وانه لا شريك له فى ملكه ثم اثنى على الله سبحانه فقال وسع ربى كل شئ علما اى هو
عالم بكل شئ ثم امرهم بالتذكر والتدبر فقال افلا تتذكرون والثانى قول الحسن ان معناه لا اخاف الاوثان الا ان
يشاء ربى ان يعذبنى ببعض ذنوبى او يشاء الاضرار بى ابتداء والاول اجود ثم احتج عليهم واكد الحجاج بقوله وكيف
اخاف ما اشركتم اى كيف تلزموننى ان اخاف ما اشركتم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالهم فى انهم لا يضرون ولا
ينفعون ولا تخافون انكم اشركتم بالله اى ولا تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تجترؤن عليه بان اشركتم اى جعلتم
له شركاء فى ملكه وتعبدونهم من دونه وقيل معناه كيف اخاف شرككم وانا منه برئ والله تعالى لا يعاقبنى بفعلكم وانتم لا
تخافونه وقد اشركتم به فيكون على هذا ما فى قوله ما اشركتم مصدرية ما لم ينزل به عليكم سلطانا اى حجة على صحته وهذا يدل على
ان كل من قال قولا واعتقد مذهبا بغير حجة فهو مبطل فاى الفريقين احق بالامن الخ وقد عرفنا الله بادلته ووحدنا
العبادة له نحن ام انتم وقد اشركتم بعبادة الله غيره من الاصنام ولو اطرحتم العصبية والحمية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعا ان كنتم
تعلمون اى تستعملون عقولكم وعلومكم فتميزون الحق من الباطل والدليل من الشبهة قوله عز وجل الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون اية اللغة قال الاصمعى الظلم فى اللغة وضع الشئ فى غير موضعه
قال الشاعر يمدح قوما هرت الشقاشق ظلامون للجزر يريد انهم عرقبوها فوضعوا النحر غير موضعه وقال النابغة والنوى
كالحوض بالمظلومة الجلد يريد الارض التى حفر فيها الحوض لغير اقامة وانما سماها مظلومة لانهم يحوضون فيها حوضا لم يحكموا صنعته
ولم يضعوه فى موضعه لكونهم مسافرين المعنى لما تقدم قوله سبحانه اى الفريقين احق بالامن اى بان يامن من العذاب الموحد
ام المشرك عقبه ببيان من هو احق به فقال الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم معناه الذين عرفوا الله تعالى وصدقوا به وبما
اوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد واكثر المفسرين
وروى عن ابى بن كعب انه قال الم تسمع قوله سبحانه ان الشرك لظلم عظيم وهو المروى عن سلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان
وروى عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية شق على الناس وقالوا يا رسول الله واينا لم يظلم نفسه فقال
عليه السلم ليس الذى تعنون الم تسمعوا الى ما قال العبد الصالح يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وقال الجبائى والبلخى يدخل
فى الظلم كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة قال البلخى ولو اختص الشرك على ما قالوه لوجب ان يكون مرتكب الكبيرة اذا كان مؤمنا
كان امنا وذلك خلاف القول بالارجاء وهذا لا يلزم لانه قول بدليل الخطاب ومرتكب الكبيرة غير امن وان كان ذلك
معلوم بدليل اخر اولئك لهم الامن من الله بحصول الثواب والامان من العقاب وهم مهتدون اى محكوم لهم بالاهتداء
الى الحق والدين وقيل الى الجنة واختلف فى هذه الاية فقيل انه من تمام قول ابرهيم عليه السلم وروى ذلك عن على عليه
السلم وقيل ان هذا القول من الله تعالى على جهة فصل القضاء بذلك بين ابرهيم وقومه عن محمد بن اسحق وابن زيد و
الجبائى قوله عز وجل وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب و
يوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين
واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم

وهديناهم

فى الصحاح الاحوصان الاحوص بن جعفر بن كلاب واسمه ربيعة وكان صغير العينين
وعمرو بن الاحوص وقد راس وفى قول الاعشى اتانى وعيد الحوص البيت
يعنى عمرو بن شريح ويعنى بالاحاوص من ولده الاحوص منهم عوف بن الاحوص
وعمرو بن الاحوص وشريح بن الاحوص وكان علقمة بن علاثة بن عوف بن
الاحوص نافر عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر فهجى الاعشى علقمة ومدح عامرا
فاوعده بالقتل

بتشديد اللام وتنتهما وسكون الياء ههنا وفى صاد والباقون واليسع

وهديناهم الى صراط مستقيم خمس ايات القراءة قرا اهل الكوفة ويعقوب درجات منونا والباقون درجات من
نشاء بالاضافة وقرا اهل الكوفة غير عاصم واليسع بسكون اللام وفتح الياء الحجة من اضاف درجات ذهب الى ان المرفوعة
هى الدرجات لمن يشاء ومن نون ذهب الى ان المرفوع صاحب الدرجات ويقوى قراءة من اضاف قوله تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض فمن فضل على غيره فقد رفع درجته عليه ويدل على قراءة من نون قوله ورفع بعضهم درجات لانه فى ذكر
الرسل فاما قوله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فانه فى الرتب وارتفاع الاحوال فى الدنيا وايضا
لان قبله نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا فاما من قرا اليسع باللام فان هذه اللام زايدة قال ابو على اعلم ان لام
المعرفة تدخل الاسماء على ضربين احدهما للتعريف والاخر زيادة زيدت كما تزاد الحروف والتعريف على ضروب منها ان يكون
اشارة الى معهود بينك وبين المخاطب نحو الرجل اذا اردت به رجلا عرفتماه بعهد كان بينكما والاخر ان يكون اشارة
الى ما فى نفوس الناس من علمهم للجنس فهذا الضرب وان كان معرفة كالاول فهو مخالف له من حيث كان الاول قد
علم حسا وهذا لم يعلمه كذلك انما يعلمه معقولا فاما نحو مررت بهذا الرجل فانما اشير به الى الشاهد الى الحاضر لا الى
غايب معلوم بعهد الا ترى انك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه وبين مخاطبك ويدلك على ذلك قولك فى النداء
يا ايها الرجل فتشير به الى المخاطب الحاضر فاما نحو العباس والحرث والحسن فانما دخلت الالف واللام فيها على تنزيل
انها صفات جارية على موصوفين وهذا يعنى الخليل بقوله جعلوه الشئ بعينه فاذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقوها الالف
واللام فقالوا حرث وعباس وعلى كلا المذهبين جاء ذلك فى كلامهم قال الفرزدق يقعدهم اعراق حذيم بعدما رجا
الهتم ادراك العلى والمكارم وقال ثلاثة للملوك وفى بها رداى وجلت عن وجوه الاهاتم فجعله من اسما بمنزلة الفضل
واضاح ومن صفة بمنزلة احمر وحمر وجمع الاعشى بين الامرين فى قوله اتانى وعيد الحوص من ال جعفر فيا عبد عمرو لو نهيت
الاحاوصا واما قوله واليتم الام من يمشى والامه ذهل بن تيم بنو السود المدانيس فانه يحتمل امرين يجوز ان
يكون بمنزلة العباس لان لئيم مصدر والمصادر قد اجريت مجرى اسماء الفاعلين فوصف بها كما وصف باسماء الفاعلين
وجمع جمعها فى نحو نور ونوار وسيل وسوايل وعلى هذا قالوا الفضل فى اسم رجل كانهم جعلوه الشئ الذى هو خلاف
النقص والاخر ان يكون يتيمى ويتم كزنجى وزنج فاما الالف واللام فى اليسع فلا يخلوا ان يكون زايدة او غير زايدة
فان كانت غير زايدة فلا يخلوا ان يكون على حد الرجل اذا اردت به المعهود او الجنس نحو ان الانسان لفى خسر او على حد دخولها
فى العباس فلا يجوز ان يكون على واحد من ذلك فثبت انه زيادة ومما جاءت اللام فيه زايدة ما انشد احمد بن يحيى يا ليت ام
العمر كانت صاحبى مكان من انشا على الركايب ومما جاء الالف واللام فيه زايدة الخمسة عشر درهما حكاه ابو الحسن الاخفش
الا ترى انها اسم واحد ولا يجوز ان يعرف اسم واحد بتعريفين كما لا يجوز ان يتعرف بعض الاسم دون بعض وذهب ابو الحسن
الى ان اللام فى اللات زايدة لان اللات معرفة فاما العزى فبمنزلة العباس وقياس ابى الحسن هذا ان يكون اللام
فى اليسع ايضا زايدة لانه علم مثل اللات وليس بصفة ومما جاءت اللام فيه زايدة قول الشاعر وجدنا الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا باحناء الخلافة كاهله فاما من قال الليسع فانه يكون اللام على حدها فى الحرث الا ترى انه على وزن الصفات
الا انه وان كان كذلك فليس له مزية على القول الاخر الا ترى انه لم يجئ فى الاسماء الاعجمية المنقولة فى حال التعريف
نحو اسمعيل واسحق شئ على هذا النحو كما لم يجئ فيها شئ فيه لام التعريف فاذا كان كذلك كان الليسع بمنزلة اليسع فى انه
خارج عما عليه الاسماء الاعجمية المختصة المعربة الاعراب وتلك حجتنا مبتداء وحجتنا خبره والظاهر ان قوله على قومه
من صلة حجتنا اى وتلك حجتنا على قومه واذا جعلت اتيناها من صفة حجتنا كان فصلا بين الصلة والموصول
وذلك لا يجوز فينبغى ان يكون متعلقا بمحذوف هذا الظاهر تفسير له كذا نقل عن ابى على المعنى ثم بين سبحانه ان الحجج التى
ذكرها ابرهيم عليه السلم اتاه اياها واعطاها اياه بمعنى انه هداه لها وانه احتج بها بامره فقال وتلك حجتنا اى دلتنا

لقومه

اتيناها اى اعطيناها ابرهيم واحطرناها باله وجعلنا حججا على قومه من الكفار حتى تمكن من ايرادها عليهم عند الحاجة
نرفع درجات من نشاء من المومنين الذين يصدقون الله ورسوله ويطيعونه ونفضل بعضهم على بعض بحسب احوالهم
فى الايمان واليقين ان ربك حكيم عليم يجعل التفاوت بينهم على ما توجبه حكمته وتقتضيه علمه وقيل معناه نرفع درجات
من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرسالة ووهبنا له اى لابرهيم اسحق وهو ابنه من سارة ويعقوب بن اسحق كلا هدينا اى كل
الثلاثة فضلنا بالنبوة كما قال الله سبحانه ووجدك ضالا فهدى اى ذاهبا عن النبوة فهداك اليها وقيل معناه كلا هدينا
بنيل الثواب والكرامات عن الجبائى من الله سبحانه على ابرهيم بان رزقه الولد فان من افضل النعم على العبد ان يرزقه الله
ولدا يدعوا له بعد موته فكيف اذا رزق الولد وولد الولد وهما نبيان مرسلان ونوحا هدينا من قبل اى من قبل هؤلاء
ومن ذريته اى من ذرية نوح لانه اقرب المذكورين اليه ولان فيمن عددهم من ليس من ذرية ابرهيم وهو لوط والياس وقيل
اراد ومن ذرية ابرهيم داود وهو داود بن ايشا وسليمان ابنه وايوب وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيصا
ابن اسحق بن ابرهيم ويوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وموسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهرون
اخاه وكان اكبر منه بسنة وكذلك نجزى المحسنين بنيل الثواب والكرامات وقيل المراد به كما تفضلنا على هؤلاء الانبياء بالنبوة
فكذلك نتفضل على المحسنين بنيل الثواب والكرامات وزكريا وهو زكريا بن اذن بن بركيا ويحيى وهو ابنه وعيسى وهو
ابن مريم بنت عمران بن ياشهم بن امون بن حزقيا والياس واختلف فيه فقيل انه ادريس كما قيل ليعقوب اسرائيل عن عبد الله بن
مسعود وقيل هو الياس بن بشير بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران نبى الله عن ابن اسحق وقيل هو الخضر عن كعب كل من الصالحين
اى من الانبياء والمرسلين واسمعيل هو ابن ابرهيم واليسع بن اخطوب بن العجوز ويونس بن متى ولوطا وهو لوط بن هاران بن
اخ ابرهيم وقيل هو ابن اخته وكلا اى وكل واحد منهم فضلنا على العالمين اى على عالمى زمانه ومن قال ان الهاء فى قوله
ومن ذريته كناية عن ابرهيم عليه السلم قال انه سمى ذريته الى قوله وكذلك نجزى المحسنين ثم عطف قوله وزكريا ويحيى على قوله
ونوحا هدينا ولا يمتنع ايضا ان يكون غلب الاكثر الذين هم من نسل ابرهيم على ان الرواية التى جاءت عن ابن مسعود وان
الياس ادريس وهو جد نوح عليه السلم اذا لم يضعف قول من قال ان الهاء كناية عن نوح فكذلك اذا لم يكن لوط من ذرية ابرهيم
لم يضعف قول من قال ان الهاء كناية عن ابرهيم وقال الزجاج يجوز ان يكون من ذريته ذرية نوح ويجوز ان يكون من ذرية
ابرهيم لان ذكرهما جميعا قد جرى واسماء الانبياء التى جاءت بعد قوله ونوحا نسق على نوح واذ جعل الله سبحانه عيسى من ذرية
ابرهيم او نوح ففى ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على ان اولاد الحسن والحسين عليهما السلم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله
على الاطلاق وانهما ابناء رسول الله وقد صح فى الحديث انه قال لهما عليهما السلم ابناى هذان امامان قاما او قعدا وقال
للحسن ان ابنى هذا سيد وان الصحابة كانت تقول لكل منهما ومن اولادهما يا ابن رسول الله ومن ابائهم يعنى ومن اباء هؤلاء الانبيا
وذرياتهم واخوانهم جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه هدينا هؤلاء وهدينا بعض ابائهم واخوانهم واجتبيناهم اى اصطفيناهم
واخترناهم للرسالة وهو ماخوذ من جبيت الماء فى الحوض اذا جمعته وهديناهم اى سددناهم وارشدناهم فاهتدوا
الى صراط مستقيم اى طريق بين لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق قوله عز وجل ذٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ
مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن
يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ثلث ايات القراءة قرا ابن عامر وحده اقتده بكسر الهاء مشبعة والباقون
اقتده ساكنة الهاء الا ان حمزة والكسائى ويعقوب وخلفا يحذفون الهاء فى الوصل ويثبتونها فى الوقف والباقون يثبتونها
فى الوصل والوقف الحجة قال ابو على الوجه الوقوف على الهاء لاجتماع الجمهور على اثباتها ولا ينبغى ان يوصل والهاء ثابتة لان هذه
الهاء فى السكت بمنزلة همزة الوصل فى الابتداء فى ان الهاء للوقف كما ان همزة الوصل للابتداء بالساكن فكما لا تثبت الهمزة فى

الوصل كذلك ينبغى ان لا تثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر ان يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التى تلحق الوقف وحسن
اضماره لذكر الفعل الدال عليه ومثل ذلك قول الشاعر فجال على وحشيه وتخاله على ظهره سبا جديدا يمانيا كانه قال
وتخال خيلا على ظهره سبا فعلى متعلق بمحذوف والتقدير ثابتا على ظهره ومثله قول الشاعر هذا سراقة للقران يدرسه
والمرء عند الرشاء ان يلقها ذيب فالهاء كناية عن المصدر ودل يدرسه على الدرس ولا يجوز ان يكون ضمير القران لان
الفعل قد يعدى اليه باللام فلا يجوز ان يتعدى اليه والى ضميره المعنى ثم بين سبحانه اكرامه لانبيائه عليهم السلم ثم امر من
بعد بالاقتداء بهم فقال ذلك وهو اشارة الى ما تقدم ذكره من التفضيل والاجتباء والهداية والاصطفاء هدى الله يهدى
به من يشاء من عباده ممن لم يسمهم فى هذه الايات والهداية هى الارشاد الى الثواب دون الهداية التى هى نصب الادلة الى
الى قوله وكذلك نجزى المحسنين دون الدلالة التى يشترك فيها المومن والكافر وقوله ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا
يعملون يدل ايضا على ذلك ومعناه انهم لو اشركوا لبطلت اعمالهم التى كانوا يوقعونها على خلاف الوجه الذى يستحق
به الثواب لتوجيهها الى غير الله تعالى وليس فى ذلك دلالة على ان الثواب الذى استحقوه على طاعاتهم المتقدمة يحبط اذ ليس
فى ظاهر الاية ما يقتضى ذلك على انا قد علمنا بالدليل ان المشرك لا يكون معه ثواب اصلا واجمعت الامة على اولئك يعنى من تقدم
ذكرهم من الانبياء الذين اتيناهم اى اعطيناهم الكتاب اراد الكتب ووحد لانه عنى به الجنس والحكم معناه والحكم بين الناس
وقيل الحكمة والنبوة اى الرسالة فان يكفر بها اى بالكتاب والحكم والنبوة هؤلاء يعنى الكفار الذين جحدوا نبوة النبى صلى الله
عليه واله فى ذلك الوقت فقد وكلنا بها اى بمراعاة امر النبوة وتعظيمها والاخذ بهدى الانبياء قوما ليسوا بها بكافرين واختلف
فى المعنيين بذلك فقيل عنى به الانبياء الذى جرى ذكرهم امنوا بما اتى به النبى صلى الله عليه واله قبل وقت مبعثه عن الحسن واختاره
الزجاج والطبرى والجبائى وقيل عنى به الملائكة عن ابى رجاء العطاردى وقيل عنى به من امن من اصحاب النبى عليه السلم
فى وقت مبعثه وقيل عنى بقوله فان يكفر بها كفار قريش وبقوله قوما ليسوا بها بكافرين اهل المدينة عن الضحاك واختاره
الفراء وانما قال وكلنا بها ولم يقل فقد قام بها قوم تشريفا لهم بالاضافة الى نفسه وقيل معناه فقد الزمناها قوما فقاموا
بها وفى هذا ضمان من الله تعالى ان ينصر نبيه ويحفظ دينه اولئك الذين هدى الله اى هداهم الله الى الصبر فبهداهم
اقتده معناه اقتد بهم فى الصبر على اذى قومك واصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه وقيل معناه اولئك الذين
قبلوا هدى الله واهتدوا بلطف الله الذى فعله بهم فاقتد بطريقتهم فى التوحيد والادلة او تبليغ الرسالة والاشارة باولئك
الى الانبياء الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس والسدى وابن زيد وقيل الى المومنين الموكلين بحفظ دين الله لانه فى
ذكرهم عن الحسن وقتادة وعلى هذا فلم يتكرر لفظ الهداية وفى القول الاول اعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون
معنى قوله فبهداهم اقتده اقتد بصبر ايوب وسخاء ابرهيم وصلابة موسى وزهد عيسى ثم فسر بعض ما يقتدى بهم فيه بقوله قل
يا محمد لا اسالكم عليه اجرا اى لا اطلب منكم على تبليغ الوحى واداء الرسالة جعلا كما لم يسال ذلك الانبياء قبلى فان
اخذ الاجر عليه ينفر الناس عن القبول ان هو اى ما هو الا ذكرى اى تذكير للعالمين بما يلزمهم اتيانه واجتنابه وفى
هذه الاية دلالة على انه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين اما نبى او امام لقوله فقد وكلنا بها قوما واسند التوكيل الى
نفسه وقد استدل قوم بالاية على ان النبى وامته صلى الله عليه وآله كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم الا ما قام الدليل على نسخه وهذا
لا يصح لان الاية قد وردت فيما اتفقوا عليه على ما تقدم ذكره وذلك لا يليق الا بالتوحيد ومكارم الاخلاق فاما
الشرايع فانها تختلف فلا يصح الاقتداء بجميع الانبياء فيها وتدل الاية على ان نبينا صلى الله عليه واله مبعوث الى كافة
العالمين وان النبوة مختومة به ولذلك قال ان هو الا ذكرى للعالمين قوله عز وجل وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ
إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ
قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ايه القراءة

قرا ابن كثير وابو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون بالياء فيهما والباقون بالتاء في الجميع الحجة من قرا بالياء فلان ماقبله وما قدروا الله على الغيبة ومن قرا بالتاء فعلى الخطاب من قوله قل من انزل الكتاب وقوله فيما بعد وعلمتم ما لم تعلموا الاعراب حق قدره منصوب على المصدر تبدونها وتخفون كثيرا يجوز ان يكون صفة لقراطيس لان الكتاب في المعنى مكتوب فيها وانما رفع قوله يلعبون لانه لم يجعله جوابا لقوله ذرهم ولو جعله جوابا لجزمه كما قال سبحانه ذرهم ياكلوا وموضع يلعبون نصب على الحال والتقدير ذرهم لاعبين في خوضهم النزول جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبي صلى الله عليه واله فقال له النبي صلى الله عليه واله انشدك بالذي انزل التورية على موسى اما تجد في التورية ان الله سبحانه يبغض الحبر السمين وكان سمينا فغضب وقال والله ما انزل الله على بشر من شئ فقال له اصحابه ويحك ولا على موسى فنزلت الاية عن سعيد بن جبير وقيل ان الرجل كان فنحاص بن عازورا وهو قايل هذه المقالة عن السدي وقيل ان اليهود قالت يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله من السماء كتابا فنزلت الاية عن ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها نزلت في الكفار انكروا قدرة الله عليهم فمن اقر ان الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش عن مجاهد المعنى لما تقدم ذكر الانبياء والنبوة عقبه سبحانه بالتهجين لمن انكر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمته وما وصفوه بما هو اهل ان يوصف به اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ اي ما ارسل الله رسولا ولم ينزل على بشر شيئا مع ان المصلحة والحكمة يقتضيان ذلك والمعجزات الباهرة تدل على بعثة كثير منهم ثم امر سبحانه نبيه فقال قل يا محمد لهم من انزل الكتاب الذي جاء به موسى يعني التورية وانما احتج بذلك عليهم لان القايل لذلك من اليهود ومن قال ان المعنى بالاية مشركوا العرب قال احتج عليهم بالامر الظاهر ثم بين ان منزلته في ذلك لمنزلة موسى نورا اي يستضاء به في الدين كما يستضاء بالنور في الدنيا وهدى للناس اي دلالة يهتدون به تجعلونه قراطيس اي كتبا وصحفا متفرقة وقال ابو علي الفارسي معناه تجعلونه ذا قراطيس اي تودعونه اياها تبدونها وتخفون كثيرا اي تبدون بعضها وتكتمون بعضها وهو ما في الكتب من صفات النبي صلى الله عليه واله والاشارة اليه والاشادة به وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل انه خطاب للمسلمين يذكرهم ما انعم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب لليهود اي علمتم التورية فضيعتموه ولم تنتفعوا به وقيل معناه علمتم بالقران ما لم تعلموا عن الحسن قل يا محمد الله اي الله انزل ذلك وهذا كما ان الانسان اذا اراد البيان والاحتجاج بما يعلم ان الخصم مقر به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه بما قد علم انه لا جواب غيره ثم ذرهم في خوضهم يلعبون اي دعهم وما يختارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل واللعب وليس هذا على اباحة ترك الدعاء والانذار بل على ضرب من الوعيد والتهدد كانه قال دعهم فسيعلمون عاقبة امرهم قوله عز وجل وَهٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ايه القراءة قرا ابو بكر عن عاصم لينذر بالياء والباقون بالتاء الحجة من قرا بالتاء يؤيد قراءته قوله وانذر به الذين يخافون وانما انت منذر من يخشاها ومن قرا بالياء جعل المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله لينذروا به وانما انذركم بالوحي فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسع الاعراب انزلناه جملة مرفوعة الموضع صفة لكتاب ومبارك ايضا صفة له ايضا المعنى لما احتج سبحانه بانزال التورية على موسى عليه السلم بين ان سبيل القران سبيلها فقال وهذا كتاب يعني القران انزلناه من السماء الى الارض لان جبرئيل اتى به من السماء مبارك وانما سماه مباركا لانه ممدوح مستسعد به فكل من تمسك به نال الفوز عن ابي مسلم وقيل ان البركة ثبوت الخير على النماء والزيادة ومنه تبارك الله اي ثبت له ما يستحق به التعظيم لم يزل ولا يزال فالقران مبارك لان قراءته خير والعمل به خير وفيه علم الاولين والاخرين وفيه مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام وقيل البركة الزيادة فالقران مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب المتقدمة لانه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى اخر التكليف مصدق الذي بين يديه من الكتب كالتورية والانجيل وغيرهما عن الحسن

وتصديقه

لان النكرات توصف بالجمل ويجوز ان يكون حالا من ضمير الكتاب في تجعلونه على ان تجعل قراطيس م

في الصحاح الاشادة رفع الصوت بالشئ واشاد بذكره اي رفع قدره وانشدت بالشئ عرفته ة

وتصديقه للكتب على وجهين احدهما انه يشهد بانها حق والثاني انه ورد بالصفة التي نطقت بها الكتب المتقدمة ولتنذر ام القرى ومن حولها يعني بام القرى مكة وبمن حولها اهل الارض كلهم عن ابن عباس وهو من باب حذف المضاف يريد لتنذر اهل ام القرى وانما سميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها فكان الارض نشات منها وقيل لان اول بيت في الدنيا وضع بمكة وكان القرى نشات منها عن السدي وقيل لان على جميع الناس ان يستقبلوها ويعظموها لانها قبلتهم كما يجب تعظيم الام عن الزجاج والجبائي والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بالقران ويحتمل ان يكون كناية عن محمد صلى الله عليه واله لدلالة الكلام عليه وهم على صلوتهم اي على اوقات صلوتهم يحافظون اي يراعونها ليؤدوها فيها ويقوموا باتمام ركوعها وسجودها وجميع اركانها وفي هذا دلالة على ان المؤمن لا يجوز ان يكون مؤمنا ببعض ما اوجبه الله دون بعض وفيها دلالة على عظم قدر الصلوة ومنزلتها لانه سبحانه خصها بالذكر من بين ساير الفرايض ونبه على ان من كان مصدقا بالقيمة وبالنبي صلى الله عليه واله لا يخل بها ولا يتركها قوله عز وجل وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ايه اللغة الافتراء اصله القطع من فريت الاديم افريه فريا فكان الافتراء هو القطع على خبر لا حقيقة له والغمرة الغشية وغمرة كل شئ معظمه وغمرات الموت شدايده قال الشاعر الغمرات ثم ينجلينا وثم يذهبن فلا يجينا واصله الشئ يغمر الاشياء فيغطيها والهون بضم الهاء الهوان قال ذو الاصبع العدواني اذهب اليك فما امي براعية ترعى المخاض ولا اغضي على الهون والهون بفتح الهاء الرفق ومنه يمشون على الارض هونا وقال هونكما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكن اسفا من شاننا في اثرهم الاعراب من قال سانزل في موضع جر على العطف كانه قال ومن اظلم ممن قال ذلك وجواب لو من قوله ولو ترى اذا الظالمون في غمرات الموت محذوف اي لرايت عذابا عظيما النزول اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في مسيلمة حيث ادعى النبوة الى قوله ولم يوح اليه شئ وقوله سانزل مثل ما انزل الله في عبد الله بن سعد بن ابي سرح فانه كان يكتب الوحي للنبي صلى الله عليه واله وكان اذا قال له اكتب عليما حكيما كتب غفورا رحيما واذا قال اكتب غفورا رحيما كتب عليما حكيما ح وارتد ولحق بمكة وقال اني انزل مثل ما انزل الله عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي واليه ذهب الفرا والزجاج والجبائي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلم وقال قوم نزلت في ابن ابي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلمة خاصة المعنى لما تقدم ذكر نبوة النبي صلى الله عليه واله وانزال الكتاب عليه عقبه سبحانه بذكر تهجين الكفار الذين كذبوه وادعوا انهم ياتون بمثل ما اتى به فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا هذا استفهام في معنى الانكار اي لا احد اظلم ممن كذب على الله فادعى انه نبي وليس بنبي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شئ اي يدعي الوحي ولا يانيه ولا يجوز في حكمة الله سبحانه ان يبعث كذابا وهذا وان كان داخلا في الافتراء فانما افرد بالذكر تعظيما ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال الزجاج هذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادعوا ثم لم يفعلوا وبذلوا النفوس والاموال واستعملوا ساير الحيل في اطفاء نور الله وابى الله الا ان يتم نوره وقيل المراد به عبد الله بن سعد بن ابي سرح املى عليه رسول الله صلى الله عليه واله ذات يوم ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه خلقا اخر فجرى على لسان ابن ابي سرح فتبارك الله احسن الخالقين فاملاه عليه وقال هكذا انزل فارتد عدو الله وقال لئن كان محمد صادقا فلقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال وارتد عن الاسلام وهدر رسول الله صلى الله عليه واله دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمن واخذ بيده ورسول الله في المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله ثم اعاد فسكت ثم اعاد فقال هو لك فلما مر قال رسول الله لاصحابه الم اقل من راه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عيني اليك يا رسول الله ان تشير الي فاقتله فقال عليه السلم الانبياء لا يقتلون بالاشارة ثم اخبر سبحانه عن حال هؤلاء فقال ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت اي شدايد الموت عند النزع وقيل في اشد العذاب في النار

كتب عفورا رحيما واذا قال اكتب عفورا رحيما كتب عليما حكيما ح

والملائكة الذين يقبضون الارواح وقيل يريد ملائكة العذاب باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم وقيل يبسطون اليهم ايديهم بالعذاب يضربون وجوههم وادبارهم اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا انفسكم من سكرات الموت ان استطعتم وصدقتم فيما قلتم وادعيتم وقيل اخرجوا انفسكم من اجسادكم عند معاينة الموت ارهاقا لهم وتغليظا عليهم وان كان اخراجها من فعل غيرهم وقيل على التاويل الاول يقولون لهم يوم القيمة اخرجوا انفسكم من عذاب النار ان استطعتم اى خلصوها منه اليوم تجزون عذاب الهون اى عذابا تلقون فيه الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق اى فى الدنيا وكنتم عن اياته تستكبرون اى تانفون عن اتباع اياته قوله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ايه القراءة قرا اهل المدينة والكسائى وحفص بينكم بالنصب والباقون بينكم بالرفع الحجة قال ابو على استعمل هذا الاسم على ضربين احدهما ان يكون اسما متصرفا كالافتراق والاخر ان يكون ظرفا والمرفوع فى قراءة من قرا لقد تقطع بينكم هو الذى كان ظرفا ثم استعمل اسما والدليل على جواز كونه اسما قوله ومن بيننا وبينك حجاب وهذا فراق بينى وبينك فلما استعمل اسما فى هذه المواضع جاز ان يسند اليه الفعل الذى هو تقطع فى قول من رفع والذى يدل على ان هذا المرفوع هو الذى استعمل ظرفا ان يكون لقد تقطع افتراقكم وهذا خلاف المعنى لان المراد لقد تقطع وصلكم وما كنتم تتالفون عليه فان قلت كيف جاز ان يكون بمعنى الوصل واصله الافتراق والتباين قيل انه لما استعمل مع الشيئين المتلابسين فى نحو بينى وبينه شركة وبينى وبينه رحم وصداقة صارت لاستعمالها فى هذه المواضع بمنزلة الوصلة وعلى خلاف الفرقة فلهذا جاء لقد تقطع بينكم بمعنى تقطع وصلكم فاما من نصب بينكم ففيه مذهبان احدهما انه اضمر الفاعل فى الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما نرى معكم شفعاءكم لان هذا يدل على التقاطع وذلك المضمر هو الوصل فكانه قال لقد تقطع وصلكم بينكم وقد حكى سيبويه انهم قالوا اذا كان غدا فاتنى وا فصم ما كانوا فيه من رخاء وبلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الاخر انه انتصب على شئ يراه ابو الحسن فانه ذهب الى ان معناه معنى المرفوع فلما جرى فى كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه فى اكثر الكلام وكذلك يقول فى قوله يوم القيمة يفصل بينكم وقوله وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ودون فى موضع رفع عنده وان كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح ومنا الطالح اللغة فرادى جمع فرد وفريد وفرد والعرب تقول فرادى وفراد فلا يصرفونها تشبيها بثلث ورباع قال الشاعر ترى النعرات الزرق تحت لبانه فراد ومثنى اصعقتها صواهله وقال النابغة من وحش وجرة موشى اكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد ومثل الفرادى الردافى والقرانى والتخويل الاعطاء واصله تمليك الخول كما ان التمويل تمليك الاموال وخوله الله اعطاه مالا وفلان خولى مال وخال مال وخايل مال اذا كان يصلح المال وهم خول فلان اى اتباعه والواحد خايل والزعم قد يكون حقا وقد يكون باطلا قال الشاعر يقول هلكنا ان هلكت وانما على الله ارزاق العباد كما زعم والبين مصدر بان يبين اذا فارق قال بان الخليط برامتين فودعوا او كلما ظعنوا لبين تجزع قال ابو زيد بان الحى بينونة وبينا اذا ظعنوا وتباينوا اى تفرقوا بعد ان كانوا جميعا الاعراب فرادى نصب على الحال وما خولناكم موصول وصلة فى موضع نصب بانه مفعول تركتم النزول نزلت فى النضر بن الحرث بن كلدة حين قال سوف تشفع لى اللات والعزى عن عكرمة المعنى ثم بين سبحانه تمام ما يقال لهم على سبيل التوبيخ فقال ولقد جئتمونا قيل هذا من كلام من كلام الله تعالى يخاطب به عباده اما عند الموت او البعث وقيل وهو من كلام الملائكة يؤدونه عن الله تعالى الى الذين يقبضون ارواحهم فرادى اى وحدانا لا مال لكم ولا خول ولا ولد ولا حشم عن الجبائى وقيل واحدا واحدا على حدة عن الحسن وقيل كل واحد منكم منفرد من شريكه فى الغى وشقيقه عن الزجاج كما خلقناكم اول مرة اى كما خلقناكم فى بطون امهاتكم فلا ناصر معكم ولا معين عن الجبائى وقيل معناه ما روى عن النبى عليه السلام انه قال تحشرون حفاة عراة عزلا والعزل هم الغلف وروى ان عائشة قالت لرسول الله حين سمعت ذلك واسوأتاه اينظر بعضهم الى سوءة بعض من الرجال والنساء فقال عليه السلام لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ويشغله

بعضهم

بعضهم عن بعض وقال الزجاج معناه كما بداناكم اول مرة اى يكون بعثكم كخلقكم وتركتم ما خولناكم معناه ما ملكناكم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به من الاموال وراء ظهوركم اى خلف ظهوركم فى الدنيا والمراد تركتم الاموال وحملتم من الذنوب والاحمال واستمتع غيركم بما خلفتم وحوسبتم عليه فيا لها من حسرة وما نرى معكم شفعاءكم اى ليس نرى معكم من كنتم تزعمون انهم يشفعون لكم عند الله يوم القيمة وهى الاصنام الذين زعمتم انهم فيكم شركاء معناه زعمتم انها فيكم شركاء وانها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام فى كل من عبد غير الله تعالى واعتمد غيره يرجا خيره ويخاف ضره فى مخالفة الله تعالى لقد تقطع بينكم اى وصلكم وجمعكم ومن قرا بالنصب فمعناه لقد تقطع الامر بينكم اى تقطع وصلكم بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون اى ضاع وتلاشى ولا تدرون اين ذهب من جعلتم شفعاءكم من الهتكم ولم تنفعكم عبادتها وقيل معناه ما تزعمون من عذاب البعث والجزاء فدحث الله سبحانه فى هذه الاية على اقتناء الطاعات التى بها ينال الفوز ويدرك النجاة دون اقتناء المال الذى لا شك فى تركه وعدم الانتفاع به بعد الممات قوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله ربكم فانى تؤفكون فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ايتان القراءة قرا اهل الكوفة وجعل بالالف والرفع الليل بالجر الحجة وجه قول من قرا وجاعل الليل ان قبله اسم فاعل وهو فالق الحب وفالق الاصباح ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله لان الاسم بالاسم اشبه من الفعل بالاسم ويقوى ذلك قولها للبس عباءة وتقر عينى احب الى من لبس الشفوف فنصب وتقر ليكون فى تقدير اسم باضمار ان فيكون قد عطف اسما على اسم وقوله ولولا رجال من رزام ومازن والسبع او اسوءك علقما ومن قرا وجعل فلان اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فاعل بمعنى فعل عطف عليه فعل لموافقته له فى المعنى ويدلك على انه بمنزلة فعل انه نزل منزلته فيما عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حسبانا الا ترى انه لما كان المعنى فعل حمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فعل لما كان فاعل كفعل ويقوى ذلك قولهم هذا معطى زيد درهما امس فالدرهم محمول على اعطى لان اسم الفاعل اذا كان لما مضى فعطف عليه فعل لما كان بمنزلته اللغة الفلق الشق يقال فلقه فانفلق والفلق الصبح لان الظلام ينفلق عنه والفلق المطمئن من الارض كانه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل ما لا يكون له نوى كالبر والشعير والنوى جمع نواة والاصباح والصبح واحد وهو مصدر اصبحنا اصباحا وقد روى عن الحسن انه قرا فالق الاصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قراء به غيره والسكن الذى يسكن اليه والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان وقيل هو مصدر حسبت الحساب احسبه حسابا وحسبانا وحكى عن بعض العرب على الله حسبان فلان وحسبته اى حسابه والحسبان بكسر الحاء جمع حسبانة وهى وسادة صغيرة والحسبان والمحسبة مصدر حسبت فلانا عاقلا احسبه واحسبه الاعراب النصب فى الشمس والقمر مفعول فعل يدل عليه قوله وجاعل الليل سكنا وتقديره وجعل الشمس والقمر حسبانا وحسبانا المفعول الثانى منه ولا يجوز وجاعل الليل سكنا لان اسم الفاعل اذا كان واقعا لا يعمل عمل الفعل واضيف الى ما بعده لا غير يقول هذا ضارب زيد امس لا غير المعنى ثم عاد الكلام الى الاحتجاج على المشركين بعجايب الصنع ولطايف التدبير فقال سبحانه ان الله فالق الحب والنوى اى شاق الحبة اليابسة الميت فيخرج منها النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر عن الحسن وقتادة والسدى وقيل معناه خالق الحب والنوى ومنشيهما ومبديهما عن ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما فى الحبة والنواة من الشق وهو من عجيب قدرة الله تعالى فى استوائه عن مجاهد وابى مالك يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى اى يخرج النبات الغض الطرى الخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحى النامى عن الزجاج والعرب تسمى الشجر ما دام غضا قائما بانه حى فاذا يبس او قطع او قلع سموه ميتا وقيل معناه يخلق الحى من النطفة وهى موات ويخلق النطفة وهى موات من الحى عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم وهذا اصح وقيل معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائى وقيل يخرج المؤمن من الكافر والكافر

من المومن ذلكم الله ربكم اى فاعل ذلك كله الله فانى تؤفكون اى تصرفون عن الحق و يذهب بكم عن هذه الادلة الظاهرة الى الباطل افلا تتدبرون فتعلمون انه لا ينبغى ان يجعل لمن انعم عليكم بفلق الحب والنوى واخراج الحب من الزرع والشجر من النوى شريك فى عبادته فالق الاصباح اى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن اكثر المفسرين وقيل معناه خالق الصباح عن ابن عباس وجاعل الليل سكنا يسكنون فيه ويستودعون فيه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين نبه الله تعالى سبحانه على عظيم نعمته بان جعل الليل للسكون والنهار للتصرف ودل بتعاقبهما على كمال قدرته وحكمته ثم قال والشمس والقمر حسبانا اى جعلهما جريان فى افلاكهما بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما فيقطع الشمس جميع البروج الاثنى عشر فى ثلثماية وخمسة وستين يوما وربع والقمر فى ثمانية وعشرين يوما وبنى عليهما الليالى والايام والشهور والاعوام كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل فى فلك يسبحون عن ابن عباس والسدى وقتادة ومجاهد اشار سبحانه بذلك الى ما فى حسابهما من مصالح العباد فى معاملاتهم وتواريخهم واوقات عباداتهم وغير ذلك من امورهم الدينية والدنيوية ذلك اشارة الى ما وصفه سبحانه من فلق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز الذى عز سلطانه فلا يقدر احد على الامتناع منه العليم بمصالح خلقه وتدبيرهم قوله عز وجل وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ايتان القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب برواية روح وزيد فمستقر بكسر القاف الباقون بفتح القاف الحجة قال ابو على من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار فاذا كان كذلك وجب ان يكون خبر المضمر منكم اى فمنكم مستقر كقولك بعضكم مستقر اى مستقر فى الارحام ومن فتح فليس على انه مفعول لان استقر لا يتعدى واذا لم يتعد لم يبن منه اسم مفعول به واذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما ان المستقر بمعنى القار واذا كان كذلك جعلت الخبر المضمر لكم والتقدير فمستقر لكم واما المستودع فان استودع فعل يتعدى الى مفعولين تقول استودعت زيدا الفا واودعت زيدا الفا فاستودع مثل اودع كما ان استجاب مثل اجاب فالمستودع يجوز ان يكون للانسان الذى اودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه ومن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليه اى فلكم مكان استقرار واستيداع ومن قرا فمستقر فالمعنى منكم مستقر فى الارحام ومنكم مستودع فى الاصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل المستقر فى انه اسم لغير المكان المعنى ثم ذكر سبحانه ما يقارب فى المعنى الاية المتقدمة فيما يدل على وحدانيته وعظيم قدرته فقال وهو الذى جعل اى خلق لكم اى لمنفعتكم النجوم لتهتدوا بها اى بضوءها وطلوعها ومواضعها فى ظلمات البر والبحر لان من النجوم ما يكون عن يساره فيهتدى بها فى الاسفار وفى البلاد وفى القبلة واوقات الليل والى الطرق فى مسالك البرارى والبحار وقال البلخى ليس فى قوله لتهتدوا بها ما يدل على انه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لامور جليلة عظيمة ومن فكر فى صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاريها واتصالاتها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر فى نشو الحيوان والنبات علم ان الامر كذلك ولو لم يخلقها الا للاهتداء لما كان لخلقها صغارا وكبارا واختلافاتها فى المسير معنى وفى تفسير على بن ابرهيم بن هاشم النجوم آل محمد عليه السلم قد فصلنا الايات اى بينا الحجج والبينات لقوم يعلمون اى يتفكرون فيعلمون وهو الذى انشاكم اى ابدعكم وخلقكم من نفس واحدة اى من ادم عليه السلم لان الله تعالى خلقنا جميعا منه وخلق امنا حوا من ضلع من اضلاعه ومن علينا بهذا لان الناس اذا رجعوا الى اصل واحد كانوا اقرب الى التواد والتعاطف والتالف فمستقر ومستودع تقدم ذكرهما فى الحجة واختلف فى معناهما فقيل مستقر فى الرحم الى ان يولد ومستودع فى القبر الى ان يبعث عن عبد الله بن مسعود وقيل مستقر فى بطون الامهات ومستودع فى اصلاب الاباء عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الارض ومستودع حيث يموت وحيث يبعث عن ابى العالية وقيل مستقر فى القبر ومستودع فى الدنيا عن الحسن وكان يقول يا ابن ادم انت وديعة فى اهلك ويوشك ان تلحق بصاحبك

بين يدى الانسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون عن عينه ومنها ما يكون م

فى الدنيا ومستودع عند الله فى الاخرة عن مجاهد وقيل مستقرها ايام حياتها م

وانشد

وانشد قول لبيد وما المال والاهلون الا ودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع وقال سليمان بن زيد العدوى فى هذا المعنى فجع الاحبة بالاحبة قبلنا فالناس مفجوع به ومفجع مستودع او مستقر مدخلا فالمستقر يزوره المستودع قد فصلنا الايات اى بينا الحجج وميزنا الادلة لقوم يفقهون بمواقع الحجة ومواضع العبرة وانما خص الذين يعلمون ويفقهون لانهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وكرر قوله فصلنا الايات حثا على النظر وتنبيها على ان كلامهما ذكر اية ودلالة تدل على توحيده وصفاته العلى قوله عز وجل وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اية القراءة قرا ابو بكر عن عاصم برواية ابى يوسف الاعشى والبرجمى وجنات بالرفع وهو قراءة على بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود والاعمش ويحيى بن يعمر وقرا الباقون وجنات على النصب وقرا حمزة والكسائى وخلف ثمره بضمتين وكذلك كلوا من ثمره وفى سورة يس ليأكلوا من ثمره وقرا الباقون ثمره بفتحتين فى الجميع الحجة من قرا وجنات فانه عطفها على قوله خضرا وجنات من اعناب ومن قرا وجنات بالرفع فانه عطفها على قنوان لفظا وان لم تكن من جنسها كقول الشاعر متقلدا سيفا ورمحا ومن قرا الى ثمره فالثمر جمع ثمرة مثل بقرة وبقر وشجرة وشجر ومن قرا ثمره بضمتين فيحتمل وجهين احدهما ان يكون على ثمرة وثمر مثل خشبة وخشب واكمة واكم قال الشاعر نحن الفوارس يوم ديسقة المغشو الكماة غوارب الاكم ونظيره من المعتل قارة وقور وناقة ونوق وساحة وسوح وقال وكان سيان الا يسرحوا نعما او يسرحوه بها واغبرت السوح والاخر ان يكون جمع ثمار فيكون ثمر جمع الجمع اللغة خضر بمعنى اخضر يقال اخضر فهو خضر واعور فهو عور واعور وفى الحديث ان الدنيا حلوة خضرة اى غضة ناعمة وذهب دمه خضرا مضرا اى باطلا واخذ الشى خضرا مضرا اى مجانا بغير ثمن وقيل غضا طريا وفلان اخضر الجلدة واخضر المنكب اى ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن ابى لهب وانا الاخضر من يعرفنى اخضر الجلد فى بيت العرب من يساجلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب برسول الله وابنى بنته وبعباس بن عبد المطلب وكتيبة خضراء اذا كان عليها سواد الحديد والعرب تسمى الاسود اخضر وسمى سواد العراق سواد الكثرة خضرته ومتراكب متفاعل من الركوب وطلع النخل اول ما يبدو من ثمره وقد اطلع النخل والقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين اى الكباسة والعذق بفتح العين النخلة وقنوان وقنوان بكسر القاف وضمها لغتان وقنيان لغة بنى تميم ودانية قريبة المتناول والينع النضج يقال ينع الثمر ينعا وينعا وينوعا وايبع اذا ادرك قال الشاعر فى قباب وسط دسكرة حولها الزيتون قد ينعا وقيل ان الينع جمع يانع مثل صاحب وصحب وتاجر وتجر المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال وهو الذى انزل من السماء ماء يريد من السحاب والعرب تقول كل ما علاك فاظلك فهو سماء فاخرجنا به نبات كل شىء والمعنى فاخرجنا بالماء الذى انزلناه من السماء من غذاء الانعام والطير والوحش وارزاق بنى ادم ما يتغذون به وياكلونه فينبتون عليه وينمون ويريد بنبات كل شىء ما ينبت به كل شىء وينمو عليه ويحتمل ان يكون المراد اخرجنا به نبات جميع انواع النبات ليكون كل شىء هو اصناف النبات كقوله ان هذا لهو حق اليقين عن الفراء والاول احسن وانما قال به لانه سبحانه جعله سببا موديا الى النبات لا مولدا له وقد كان يمكنه الانبات بغيره فلا يقال انه فعله بسبب مولد فاخرجنا منه اى من الماء وقيل من النبات خضرا اى زرعا رطبا اخضر وهو ساق السنبلة نخرج منه اى من ذلك الزرع الخضر حبا متراكبا قد تركب بعضه على بعض مثل سنبلة الحنطة والسمسم وغير ذلك ومن النخل اى ويخرج من النخل من طلعها قنوان اى اعذاق الرطب دانية اى قريبة المتناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان فى الكلام دليلا على ان البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة فاجتزا بذكر القريبة عن ذكر السحيقة كما قال سرابيل تقيكم الحر لان فى الكلام دليلا على انها تقى البرد لان ما يستر عن الحر يستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الارض لكثرة ثمرها وثقل حملها ونقديره ومن النخل من طلعها قنوان دانية وانما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع والاغذية الشريفة التى ليست فى كمام الثمار وجنات من اعناب يعنى واخرجنا به ايضا جنات

من اعناب اى بساتين من اعناب ومن رفعه فتقديره ويخرج به جنات من اعناب والزيتون والرمان اى واخرجنا به شجر الزيتون
والرمان وقرن الزيتون والرمان لانهما شجرتان تعرف العرب ان ورقهما يشتمل على الغصن من اوله الى اخره قال الشاعر
بورك الميت الغريب كما بورك نضج الرمان والزيتون ومعناه ان ورقهما يشتمل على العود كله مشتبها وغير متشابه اى مشتبها
شجره يشبه بعضه بعضا وغير متشابه فى الطعم وقيل مشتبها ورقه مختلفا ثمره عن قتاده وقيل مشتبها فى الخلق مختلفا فى الطعم وقيل مشتبها
ماكان من جنس واحد وغير متشابه اذا اختلف جنسه عن الجبائى والاولى ان يقال ان جميع ذلك مشتبه من وجه مختلف من وجه
فيدخل فيه جميع ما تقدم انظروا الى ثمره اذا اثمر اى انظروا الى خروج الثمار نظر الاعتبار وينعه اى نضجه ومعناه انظروا من ابتداء
خروجه اذا اثمر الى انتهائه اذا اينع وادرك كيف ينتقل عليه الاحوال فى الطعم واللون والرايحه والصغر والكبر ليستدلوا بذلك
على ان له صانعا مدبرا ان فى ذلكم لايات اى ان فى خلق هذه الثمار والزروع مع اتفاق جواهرها اجناسا مختلفة لا يشبه
بعضها بعضا لدلالات على ان لها خالقا قاصدا الى التمييز بينها مثل خلقها على علم بها وانها تكونت بخلقه وتدبيره لقوم يومنون لانهم
بها يستدلون وبمعرفة مدلولاتها ينتفعون **قوله عز وجل وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ
بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ايتان القراءة** قرا اهل المدينة وخرّقوا بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف **الحجة** قال احمد بن يحيى خرق
واخترق بمعنى وقال ابو الحسن التخفيف احب الى لانها اكثر والمعنى فى القراءتين كذبوا وقد روى فى الشواذ عن ابن عباس
وحرفوا بالحاء والفاء وهذا شاهد بكذبهم ايضا ومثله يحرفون الكلم عن مواضعه **اللغة** البديع بمعنى المبدع والفرق بين
الابداع والاختراع ان الابداع فعل ما لم يسبق الى مثله والاختراع فعل ما لم يوجد سببه ولذلك يقال البدعة لما خالف
السنه لانه احداث ما لم يسبق اليه ولا يقدر على الاختراع غير الله تعالى لان حده ما ابتدئ فى غير محل القدرة عليه والقادر
بقدرة اما ان يفعل مباشرا وهو ما ابتدئ فى محل القدرة او متولدا وهو ما وقع بحسب غيره ولا يقدر على الاختراع اصلا **الاعراب**
انتصاب الجن من وجهين احدهما ان يكون مفعولا اى جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركاء مفعولا ثانيا كما قال وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والاخر ان يكون الجن بدلا من شركاء ومفسرا له سبحانه نصب على المصدر كانه قال تسبيحا
له وبديع خبر مبتداء محذوف تقديره وهو بديع السموات ويجوز ان يكون مبتداء وخبره انى يكون له ولد وانما تعدى بديع وهو
فعيل لانه معدول عن مفعل والصفة تعمل عمل ما عدلت عنه فاذا لم يكن معدولة لم يتعد نحو طويل وقصير **المعنى** ثم رد سبحانه
على المشركين وعجب من كفرهم مع هذه البراهين والبينات فقال وجعلوا يعنى المشركين لله شركاء الجن اخبر الله سبحانه انهم اتخذوا
مع الهة جعلوهم له اندادا كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا واراد بالجن الملائكة وانما سماهم جنا لاستتارهم عن
الاعين وهذا كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا عن قتادة والسدى وقيل ان قريشا كانوا يقولون ان
الله تعالى صاهر الجن فحدث بينهما الملائكة فيكون على هذا القول المراد به الجن المعروف وقيل اراد بالجن الشياطين
لانهم اطاعوا الشياطين فى عبادة الاوثان عن الحسن وخلقهم الهاء والميم عايدة عليهم اى جعلوا للذى خلقهم شركاء لا
يخلقون ويجوز ان يكون الهاء والميم عايدة على الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شركاء له ويجوز ان يكون المعنى
وخلق الجن والانس جميعا وروى ان يحيى بن يعمر قرا وخلقهم بسكون اللام اى وخلق الجن يعنى ما يخلقونه ويأفكون فيه ويكذبون
كانه قال جعلوا الجن شركاء وافعالهم شركاء افعاله او شركاء له اذ اعتقدوا ذلك للاصنام ونحوها وقيل ان المعنى بالاية المجوس
اذ قالوا يزدان واهرمن وهو الشيطان عندهم فنسبوا خلق الموذيات والشرور والاشياء الضارة الى اهرمن وجعلوه بذلك
شريكا له ومثلهم الثنوية القايلون بالنور والظلمة وخرقوا له بنين وبنات اى اختلقوا وموهوا وافتروا الكذب على الله ونسبوا البنين
والبنات الى الله فان المشركين قالوا الملائكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله واليهود قالوا عزير ابن الله بغير علم اى
بغير حجة ويجوز ان يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلا واجلا ويجوز ان يكون معناه بغير علم منهم بما قالوا على حقيقة لكن جهلا منهم

بالله

بالله تعالى وبعظمته سبحانه اى تنزيها له عما يقولون وتعالى عما يصفون من ادعائهم له شركا واختراقهم له بنين وبنات اى
هو جل من ان يوصف بما وصفوه به وانما صار اتخاذ الولد نقصا لانه لا يخلو من ان يكون ولادة او تبنيا وكلاهما يجب
التشبيه ومن اشبه المحدث كان على صفة نقص بديع السموات والارض اى مبدعهما ومنشيهما بعلمه ابتداء لا من شئ ولا على
مثال سبق وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة اى زوجة وانما يكون الولد من النساء
فيما يتعارفونه وخلق كل شئ فى هذا نفى الصاحبة والولد فان من خلق الاشياء لا يكون شئ من خلقه صاحبة له ولا ولدا ولان
الاشياء كلها مخلوقة له فكيف يتعزز بالولد ويتكثر به وهو بكل شئ عليم يعلم الاشياء كلها موجودها ومعدومها لا يخفى عليه خافيه ومن
قال ان فى قوله وخلق كل شئ دلالة على خلق افعال العباد فجوابه ان المفهوم منه انه اراد المخلوقات كلها كما يفهم المكلف
من قول من قال اكلت كل شئ والمخلوقات كلها بما فيها من التقدير العجيب يضاف اليه سبحانه على انه سبحانه قد نزه نفسه عن افك
العباد وكذبهم فلو كان خلقا له لما تنزه عنه **قوله عز وجل ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ايتان اللغة** الوكيل على الشئ هو الحافظ الذى يحوطه ويدفع الضرر
عنه وانما وصف سبحانه نفسه بانه وكيل مع انه مالك للاشياء لانه لما كانت منافعها لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت
هذه الصفة له وقيل الوكيل من يوكل اليه الامر يقال وكلت اليه هذا الامر اى وليته تدبيره والمومن يتوكل على الله اى يفوض
امره اليه والادراك اللحاق يقال ادرك قتادة الحسن اى لحقه وادرك الطعام نضج وادرك الزرع بلغ منتهاه وادرك
الغلام بلغ وحوجال الرجلية وادركته ببصرى لحقته ببصرى وتدارك القوم تلاحقوا ولا يكون الادراك بمعنى الاحاطة
لان الجدار محيط بالدار وليس بمدرك لها والبصر الحاسة التى تقع بها الروية **الاعراب** خالق كل شئ خبر مبتداء محذوف و
يجوز ان يكون صفة ربكم وكان يجوز نصبه على الحال لانه اتصل بمعرفة بعد التمام **المعنى** لما قدم سبحانه ذكر الادلة على
وحدانيته عقبه بتنبيه عباده على انه الاله المستحق للطاعة والعبادة وتعليمهم الاستدلال بافعاله عليه تعالى فقال ذلكم
اى ذلك الذى خلق هذه الاشياء ودبر هذه التدابير لكم ايها الناس هو الله ربكم اى خالقكم ومالككم ومدبركم وسيدكم
لا اله الا هو خالق كل شئ اى كل مخلوق من الاجسام والاعراض التى لا يقدر عليها غيره فاعبدوه لانه المستحق للعبادة وهو
على كل شئ وكيل اى حافظ ومدبر وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم لا تدركه الابصار اى لا تراه
العيون لان الادراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه الا الروية كما انه اذا قرن بالة السمع فقيل ادركته باذنى لم يفهم منه
الا السماع وكذلك اذا اضيف الى كل واحد من الحواس افاد ما تلك الحاسة الة فيه فقولهم ادركته بفمى معناه وجدت طعمه
وادركته بانفى معناه وجدت رايحته وهو يدرك الابصار تقديره لا يدركه ذوو الابصار وهو يدرك ذوى الابصار اى المبصرين
ومعناه انه يرى ولا يرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لان منها ما يرى ويرى كالاحياء ومنها ما يرى ولا يرى
كالجمادات والاعراض المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالاعراض غير المدركة فالله سبحانه خالف جميعها وتفرد بان يرى
ولا يرى وتمدح سبحانه فى الاية بمجموع الامرين كما تمدح فى الاية الاخرى بقوله وهو يطعم ولا يطعم وروى العياشى بالاسناد المتصل
ان الفضل بن سهل ذا الرياستين سال ابا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلم فقال اخبرنى عما اختلف الناس فيه من الروية فقال
من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذه الابصار
ليست هى الاعين انما هى الابصار التى فى القلوب لا يقع عليه الاوهام ولا يدرك كيف هو وهو اللطيف قيل فى معناه وجوه احدها
انه اللاطف بعباده بسبوغ الانعام غير انه عدل عن وزن فاعل الى فعيل للمبالغة والثانى ان معناه لطيف التدبير الا انه حذف
لدلالة الكلام عليه والثالث ان اللطيف الذى يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده والرابع ان اللطيف
الذى اذا دعوته لباك وان قصدته اواك وان احببته ادناك وان اطعته كافاك وان عصيته عافاك وان اعرضت عنه
دعاك وان اقبلت اليه هداك والخامس اللطيف من يكافى الوافى ويعفو عن الجافى السادس اللطيف من يعز المفتخر ويغنى

يدرك الابصار وهو

للمفتقر اليه السابع اللطيف من يكون عطاؤه خفياً ومنعه خفياً الخبير العليم بكل شيء من مصالح عباده فيدبرهم عليها وبافعالهم
فيجازيهم عليها قوله عز وجل قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف
الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون ايتان القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو دارست وقرا ابن عامر ويعقوب وسهل
درست بفتح السين وسكون التاء والباقون درست وفي قراءة عبد الله وابي درس اي ليقولوا درس محمد وروي عن ابن عباس
والحسن دُرِست الحجة من قرا دارست فمعناه انك دارست اهل الكتاب وذاكرتهم ويقويه قوله واعانه عليه قوم آخرون ومن
قرا درست فحجته ان ابن مسعود قرا درس فاسند الفعل فيه الى الغيبة كما اسند الى الخطاب ومن قرا دُرِست فهو من
الدروس الذي هو تعفي الآثار اي امحت ويكون اللام في ليقولوا على هذا بمعنى لكراهية ان يقولوا ولان لا يقولوا انها اخبار قد
تقدمت فطال العهد بها وباد من كان يعرفها لان تلك الاخبار لا تخلو من خلل فاذا اسلم الكتاب منه لم يكن لطاعن فيه
مطعن واما على القرائتين الاوليين فاللام في ليقولوا كالتي في قوله ليكون لهم عدوا وحزنا ولم يلتقطوه لذلك كما لم يصرف
الآيات ليقولوا درست ولكن لما قالوا ذلك اطلق على هذا للاتساع واما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الآيات ومعناه
درستها انت يا محمد ويجوز ان يكون معناه عفت وتُنُوسيت فيكون كقولهم ان هذا الا اساطير الاولين اللغة البصيرة البينة
والدلالة التي تبصر بها الشيء على ما هو به والبصائر جماعة والبصيرة مقدار الدرهم من الدم والبصيرة الترس والبصيرة الثار و
الدية قال الشاعر جاؤوا وبصائرهم على اكتافهم وبصيرتي تعدو بها عتد وأى المعنى اي اخذوا الدماء فضاعوا وبصيرتي
على فرسي اطلب بها ثاري وقيل اراد ثقل دمائهم على اكتافهم لم يثاروا بها وقال الازهري البصيرة ما اعتقد في القلب من
تحقق الشيء والتقد يكون على الخفاء والابصار الادراك بحاسة البصر والدرس اصله استمرار التلاوة ودرس الاثر دروسا
اذا انمحى لاستمرار الزمان به ودرست الريح الاثر درسا محته باستمرارها عليه الاعراب وكذلك موضع الكاف منه نصب
بكونه صفة للمصدر اي تصريفا مثل ذلك التصريف واللام في وليقولوا معطوف على محذوف تقديره ليجحدوا وليقولوا المعنى
ثم بين سبحانه ان بعد هذه الآيات قد ازاح العلة للمكلفين فقال قد جاءكم ايها الناس بصائر بينات ودلالات من ربكم
تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ووصفها لبينه بانها جاءت تفخيما لشانها كما يقال جاءت العافية
وانصرف المرض واقبل السعد فمن ابصر فلنفسه اي من تبين هذه الحجج بان نظر فيها حتى اوجبت له العلم فمنفعة ذلك تعود
عليه ولنفسه نظر ومن عمي فلم ينظر فيها وصدف عنها حتى جهل فعليها اي على نفسه ووباله وبها اضر وانما سمي العلم والتبيين
ابصارا والجهل عمى مجازا وتوسعا وفي هذا دلالة على ان المكلفين مخيرون في افعالهم غير مجبرين ثم امر سبحانه نبيه عليه السلام
بان يقول لهم وما انا عليكم بحفيظ اي لست انا الرقيب على اعمالكم قال الزجاج معناه لست آخذكم بالايمان اخذ الحفيظ عليكم
والوكيل وهذا قبل الامر بالقتال فلما امر النبي عليه السلام بالقتال صار حفيظا عليهم ومسيطرا على كل من تولى وكذلك اي و
كما صرفنا الآيات قبل نصرف هذه الآيات قال علي بن عيسى والتصريف اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة فلما كانت الابتداءة
في وجوه المعاني المتعاقبة ليجتمع فيه وجوه الفائدة وليقولوا درست يا محمد ذلك اي تعلمته من اليهود قال الزجاج وهذا اللام
يسميها اهل اللغة لام الصيرورة اي ان السبب الذي اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الآيات وكذلك دارست اي دارست اهل
الكتابين وقارأتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد والسدي وابن عباس ولنبينه لقوم يعلمون معناه لنبين الذي هذه الآيات
دالة عليه للعلماء الذين يعقلون ما نورده عليهم وانما خصهم بذلك لانهم انتفعوا به دون غيرهم قوله عز وجل اتبع ما اوحي
اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم
بوكيل ايتان اللغة الاتباع ان يتصرف الثاني بتصريف الاول والنبي عليه السلام كان يتصرف في الدين بتصريف الوحي فلذلك
كان متبعا وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والايحاء هو القاء المعنى الى النفس على وجه يخفى والاعراض اصله الانصراف بالوجه
الجهة العرض ومنه واعرضت اليمامة واستحوذت اي ظهرت كالظهور بالعرض ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض

ثم لا يلبث وحُدَّ ايضا بانه ما يظهر في الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله
باتباع الوحي فقال اتبع ايها الرسول ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو انما اعاد هذا القول لان المراد دعهم الى انه لا
اله الا هو عن الحسن وقيل معناه ما اوحي اليك من انه لا اله الا هو واعرض عن المشركين قال ابن عباس نسختها آية القتال
وقيل معناه اهجرهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم ولم يرد به الاعراض عن دعائهم الى الله تعالى وحكمه ثابت ولو شاء الله ما اشركوا
اي لو شاء الله ان يتركوا الشرك قهرا واجبارا لاضطرهم الى ذلك الا انه لم يضطرهم اليه بما ينافي التكليف وامرهم بتركه اختيارا
ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوه فاتوا من قبل نفوسهم وفي تفسير اهل البيت عليهم السلام لو شاء الله ان يجعلهم كلهم مؤمنين
معصومين حتى كان لا يعصيه لما كان يحتاج الى جنة ولا الى نار ولكنه امرهم ونهاهم وامتحنهم واعطاهم ما له به عليهم
الحجة من الآلة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والعقاب وما جعلناك عليهم حفيظا مراقبا لاعمالهم وما انت عليهم بوكيل اي
ولست بموكل عليهم بذلك وانما انت رسول عليك البلاغ وعلينا الحساب وجمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى اللفظين
فان الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير اليه قوله عز وجل ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم
بما كانوا يعملون آية القراءة قرا يعقوب عدوا بضم العين والدال وتشديد الواو وهو قراءة الحسن وابي رجاء وقتادة
وقرا الباقون عدوا بفتح العين وسكون الدال الحجة العدو والعدو جميعا الظلم والتعدي للحق ومثلهما العدوان
والعداء وانما انتصب عدوا لانه مصدر في موضع الحال اللغة السب الذكر بالقبيح ومثله الشتم والذم واصله السبب
كانه يتسبب الى ذكره بالقبيح وسبك الذي يسابك قال لا تسبنني فلست بسبي ان سبي من الرجال الكريم وقيل اصله
السب القطع النزول قال ابن عباس لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية قال المشركون يا محمد لتنتهين
عن سب آلهتنا او لنهجون ربك فنزلت الآية وقال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك
لئلا يسبوا الله فانهم قوم جهلة المعنى ثم نهى الله سبحانه المؤمنين ان يسبوا الاصنام لما في ذلك من المفسدة فقال ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجتهم الى ان يسبوا ما يعبدونه من دون الله فان
ذلك ليس من الحجاج في شيء فيسبوا الله عدوا اي ظلما بغير علم وانتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون لان الدار دارهم
ولم يؤذن لكم في القتال وانما قال من دون الله لان المعنى يدعونه الها وفي هذا دلالة على انه لا ينبغي لاحد ان يفعل او
يقول ما يؤدي الى معصية غيره وسئل ابو عبد الله عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله ان الشرك اخفى من دبيب النمل على
صفوانة سوداء في ليلة ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد
المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار اله المؤمنين فيكون المؤمنون قد اشركوا من حيث لا يعلمون
كذلك زينا لكل امة عملهم قيل في معناه اقوال احدها ان المراد كما زينا لكم اعمالكم زينا لكل امة ممن قبلكم اعمالهم من حسن
الدعاء الى الله تعالى وترك السب للاصنام ونهيناهم ان ياتوا من الافعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن والجبائي
ويسمى ما يجب على الانسان ان يعمله بانه عمله كما تقول لولدك او غلامك اعمل عملك اي ما ينبغي لك ان تفعله و
ثانيها ان معناه كذلك زينا لكل امة عملهم بميل الطباع اليه ولكن قد عرفناهم الحق مع ذلك لياتوا الحق ويجتنبوا
الباطل وثالثها ان المراد زينا عملهم بذكر ثوابه فهو كقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر
والفسوق والعصيان يريد حبب الايمان بذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكره الكفر بذكر عقابه وذم فاعليه على فعله ولم يرد
سبحانه بذلك انه زين عمل الكافرين لان ذلك يقتضي الدعاء اليه والله تعالى ما دعا احدا الى معصيته لكنه نهى
عنها وذم فاعليها وقد قال سبحانه وزين لهم الشيطان اعمالهم ولا خلاف ان المراد بذلك الكفر والمعاصي وفي ذلك دلالة
على ان المراد به في الآية تزيين اعمال الطاعة ثم الى ربهم مرجعهم اي مصيرهم فينبئهم بما كانوا يعملون اي باعمالهم من الخير والشر

ودارست م

درست د للام لام العاقبة

المسيطر الرقيب الحافظ والمسلط كالمستطر وقد استطر عليهم [illegible]

كان ذلك تصريفا لها وكذلك كل معنى تصرف في المعاني المتعاقبة

اولادك د

نهى الله سبحانه فى هذه الاية عن سب الاصنام لئلا يؤدى ذلك الى سبه فاذا كان سبحانه لا يريد ما ربما يكون سببا الى سبه فلان لا يريد سب نفسه اولى واجدر وايضا فاذا لم يرد سب الاصنام اذا كان زيادة فى كفر الكافرين فلان لا يريد كفرهم اخرى فبطل قول المجبرة قوله عز وجل **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** اثنان القراءة قرا ابن كثير واهل البصرة وابو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائى وخلف انها بكسر الالف وقراء الباقون انها بفتح الالف وقرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء والباقون يومنون بالياء وفى الشواذ ويذرهم بالياء والجزم فى قراءة الاعمش الحجة قال ابو على وما يشعركم ما فيه استفهام وفاعل يشعركم ضمير ما ولا يجوز ان يكون نفيا لان الفعل فيه يبقى بلا فاعل فان قلت يكون ما نفيا ويكون فاعل يشعركم ضمير اسم الله تعالى قيل ذلك لا يصح لان التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء ايمانهم وهذا لا يستقيم لان الله تعالى قد اعلمنا انهم لا يؤمنون بقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية فاذا فسد ان يكون ما للنفى ثبت انها للاستفهام ويكون اسما فيصير فى الفعل ضمير ويكون المعنى وما يدريكم ايمانهم اذا جاءت فحذف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال انهم لا يؤمنون مع مجئ الاية فمن كسر الهمزة فانه استانف على القطع بانهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز ان يكون يشعركم منقولا من شعرت الشئ وشعرت به مثل دريته ودريت به فى انه يتعدى مرة بحرف ومرة بلا حرف فاذا عديته بالحرف جاز ان يكون أنّ فى قول من لم يجعلها بمعنى لعل فى موضع جر لان الكلام لما طال صار كالبدل منه وجاز ان يكون فى موضع نصب والوجه فى هذه القراء على تاويلين احدهما ان يكون بمعنى لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة ذرينى اطوف فى البلاد لانّنى ارى ما ترين او بخيلا مخلدا وقال هل انتم عائجون بنا لانّا نرى العرصات او اثر الخيام وقال عدى بن زيد اعاذل ما يدريك ان منيتى الى ساعة فى اليوم او فى ضحى الغد اى لعل منيتى فالمعنى وما يشعركم لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسره الخليل بقوله ايت السوق انك تشترى لنا شيا اى لعلك وقد جاء فى التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه وما يدريك لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب والتاويل الاخر الذى لم يذهب اليه الخليل وسيبويه ان يكون لا فى قوله لا يومنون زايدة وفى اخرى غير زايدة قول الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله ينشد ابى جوده لا البخل ولا البخل فمن نصب جعلها زايدة كانه قال ابى جوده البخل ومن قال لا البخل اضاف لا الى البخل ووجه القراءة بالياء فى يومنون ان المراد بهم قوم مخصوصون بدلالة قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية وليس كل الكفار بهذه الصفة اى لا يؤمن هؤلاء المقسمون ووجه القراءة بالتاء انه انصرف من الغيبة الى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم الغيب المقسمون الذين اخبر عنهم انهم لا يومنون ومن قرا ويذرهم فانه اسكن المرفوع تخفيفا اللغة الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد بالفتح المبالغة وقوله جهد ايمانهم اى بالغوا فى اليمين واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لانه مضاف الى المصدر والمضاف الى المصدر مصدر فان الايمان جمع اليمين واليمين هى القسم والتقدير اقسموا جهد ايمانهم النزول قالت قريش يا محمد تخبرنا ان موسى كان معه عصا يضرب به الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيى الموتى وتخبرنا ان ثمود كانت لهم ناقة فاتنا باية من الايات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه واله اى شئ تحبون ان اتيكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملائكة يشهدون لك او ائتنا بالله والملائكة قبيلا فقال رسول الله صلى الله عليه واله فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقوننى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسال المسلمون رسول الله ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه واله يدعوا ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبرئيل فقال له ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال عليه السلم بل يتوب تائبهم فانزل الله تعالى هذه الاية عن الكلبى ومحمد بن كعب القرظى المعنى ثم بين سبحانه حال الكفار الذين سالوا الايات فقال

واقسموا

والتقدير وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ... تاويل زايدة

واقسموا اى حلفوا بالله جهد ايمانهم اى مجدين مجتهدين مظهرين الوفاء به لئن جاءتهم اية مما سالوه ليومنن بها قل يا محمد انما الايات اى الاعلام والمعجزات عند الله والله تعالى مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم فى انزالها لانزلها وما يشعركم الخطاب متوجه الى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه الى المومنين عن الفراء وغيره لانهم ظنوا انهم لو اجيبوا الى الايات لامنوا انها اذا جاءت لا يومنون قد مر معناه ونقلب افئدتهم وابصارهم اخبر سبحانه انه يقلب افئدة هؤلاء الكفار وابصارهم عقوبة لهم وفى كيفية تقليبهما قولان احدهما انه يقلبهما فى جهنم على لهب النار وحر الجمر كما لم يومنوا به اول مرة فى الدنيا عن الجبائى قال وجمع بين صفتهم فى الدنيا وصفتهم فى الاخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعنى فى الاخرة عاملة ناصبة يعنى فى الدنيا والاخر ان المعنى نقلب افئدتهم وابصارهم بالحيرة التى تغم وتزعج النفس وقوله كما لم يومنوا به اول مرة قيل انه متصل بما قبله وتقديره واقسموا بالله ليومنن بالاية والله تعالى قد قلب قلوبهم وابصارهم وعلم ان فيها خلاف ما يقولون كما يقال فلان قد قلب هذه المسئلة وقلب هذا الامر اذا عرف حقيقته ووقف عليه وما يدريكم انها اذا جاءت لا يومنون كما لم يومنوا بما انزل من الايات اول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لو اعيدوا الى الدنيا ثانية لم يومنوا به كما لم يومنوا به اول مرة فى الدنيا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن عباس فى رواية اخرى وقيل معناه نجازيهم فى الاخرة كما لم يومنوا به فى الدنيا عن الجبائى والهاء فى به يحتمل ان يكون عايدة الى القران وما انزل من الايات ويحتمل ان يكون عايدة على النبى عليه السلم ونذرهم فى طغيانهم اى نخليهم وما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينهم وبينه يعمهون يترددون فى الحيرة قال الحسين بن على المغربى قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم حشو بين الجملتين ومعناه انا نحيط علما بذات الصدور وخائنة الاعين اى نختبر قلوبهم فنجد باطنها بخلاف ظاهرها قوله عز وجل **وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ** اية القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب قبلا بضمتين هاهنا وفى الكهف قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرا ابو جعفر هاهنا بكسر القاف وفى الكهف بضمهما وقرا نافع وابن عامر قبلا بكسر القاف فى الموضعين وقرا اهل الكوفة بضم القاف فى السورتين الحجة قبلا يحتمل ان يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل ويجوز ان يكون بمعنى الصنف كما فسره ابو عبيدة ويجوز ان يكون بمعنى قبل اى مواجهة كما فسره ابو زيد فى قوله لقيت كلاهما قبلا وقبلا وقبلا ومقابلة وقبيلا كله واحد وهو المواجهة فالمعنى فى القراءتين على قوله واحد وان اختلف اللفظان اللغة الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر المعنى ثم بين سبحانه حالهم فى عنادهم وترددهم فى طغيانهم وكفرهم فقال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة حتى يروهم عيانا يشهدون لنبينا بالرسالة وكلمهم الموتى اى واحييناهم الموتى حتى كلموهم بالتوحيد وشهدوا لمحمد بالرسالة وحشرنا اى جمعنا عليهم كل شئ اى كل اية وقيل كل ما سالوه قبلا اى معاينة ومقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس وقتادة ومعناه انهم من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان للحق يشكون فى المشاهدات التى لا يشك فيها ومثله قوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقبلا اى قبيلا قبيلا يعنى جماعة جماعة عن مجاهد هذا اذا حملت قبلا على جمع القبيل الذى هو الصنف وانما كانت تبهرهم هذه الاية لانه ليس فى العرف ان يجتمع جميع الاشياء ويحشر الى موضع وقيل كفلا عن الفراء وهذا الوجه فيه بعد لانهم اذا لم يومنوا عند انزال الملئكة اليهم وكلام الموتى فان لا يومنوا بالكفالة اجدر الا ان يكون المراد حشر كل احد من الفرق وكل شئ وفى الاشياء المحشورة ما لا ينطق فاذا نطق بالكفالة ما لا ينطق كان خارقا للعادة ما كانوا ليومنوا عند هذه الايات الا ان يشاء الله ان يجبرهم على الايمان عن الحسن وهو المروى عن اهل البيت عليهم السلم والمعنى انهم قط لا يومنون مختارين الا ان يكرهوا ولكن اكثرهم يجهلون ان الله قادر على ذلك وقيل معناه يجهلون انهم لو اوتوا بكل اية ما امنوا طوعا وقيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فيطلبون ما لا فايدة فيه وفى الاية دلالة على ان الله سبحانه لو علم انه اذا فعل ما اقترحوا من الايات امنوا لفعل ذلك ولكان ذلك من الواجب فى حكمته لانه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله فانه لم يظهر هذه

الايات لعلمه بانه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها دلالة على ان ارادته محدثة لان الاستثناء يدل على ذلك اذ لو كانت
قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا الا ان يعلم الله او الا ان يقدر الله لحصول العالمين
الصفتين فيما لم يزل ومتى قيل فلم لا يقال انهم لم يؤمنوا لانه سبحانه يعلم انه لم يشا فالقول فيه انه لو كان كذلك لكان
وقوع الايمان منهم موقوفا على المشية سواء كانت الايات ام لم تكن وفي هذا ابطال الايات قوله عز وجل وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه
فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ايات القراءة
في الشواذ عن الحسن ولتصغي اليه ولترضوه وليقترفوا بسكون اللام في الجميع والقراءة الظاهرة بكسر اللام في سايرها الحجة
قال ابو الفتح هذه اللام هي الجارة اعني لام كي وهي معطوفة على الغرور من قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا اي للغرور ولان تصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة ولترضوه وليقترفوا الا ان اسكان هذه اللام شاذ
في الاستعمال على قوته في القياس لان هذا الاسكان انما كثر عنهم في لام الامر نحو قوله ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا
وانما اسكنت تخفيفا لثقل الكثرة فيها وفرقا بينها وبين لام كي بان لم يسكنوها وكانهم انما اختاروا السكون للام الامر والتحريك
للام كي من حيث كانت لام كي نايبة في اكثر الامر عن ان وهي ايضا في جواب كان ستفعل اذا قلت ما كان ليفعل محذوفة
مع اللام البتة فلما نابت عنها قووها باقرار حركتها فيها لان الحرف المتحرك اقوى من الساكن والاقوى اشبه بان ينوب
عن غيره من الاضعف اللغة الزخرف المزين يقال زخرفه زخرفة اذا زينه والزخرف كمال حسن الشيء وفي الحديث انه عليه
السلم لم يدخل الكعبة حتى امر بالزخرف فنحي وقيل كانت نقوش وتصاوير زينت الكعبة بها وقيل اراد بالزخرف الذهب والغرور
ما له ظاهر تحبه وفيه باطن مكروه والشيطان غرور لانه يحمل على محاب النفس ووراءه سوء العاقبة ويسع الغرور ما لا يكون
على ثقة وصغوت اليه اصغى صغوا وصغوا وصغيت اصغى بالياء ايضا واصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر ترى السفيه
به عن كل محكمة زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء ويقال اصغيت الاناء اذا امليته لتجمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول
الله صلى الله عليه واله يصغي الاناء للهرة فالاصل فيه الميل الى الشيء لغرض من الاغراض والاقتراف اكتساب الاثم ويقال
خرج يقترف لاهله اي يكتسب لهم وقارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وقرف الذنب واقترفه عمله وقرفه بما
ادعاه عليه اي رماه بالريبة وقرف القرحة اي قشرها واقترف كذبا الاعراب نصب عدوا على احد وجهين اما ان
تكون مفعول جعلنا وشياطين بدل منه ومفسر له وعدوا في معنى اعداء واما ان يكون اصله خبرا ويكون هنا مفعولا
ثانيا لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الانس والجن عدوا اي اعداء وقوله غرورا نصب على المصدر من معنى الفعل المتقدم
لان معنى ايحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكانه قال يغرون غرورا عن الزجاج وقيل انه مفعول له عن ابن جني
وقيل نصب على البدل من زخرف عن ابي مسلم المعنى ثم بين سبحانه ما كان عليه حال الانبياء عليهم السلم مع اعدائهم
تسلية لنبيه صلى الله عليه واله فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن اي وكما جعلنا لك شياطين
الانس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الانبياء واممهم وقيل فيمعنى قوله وجعلنا هنا وجوه احدها ان
المراد كما امرناك بعداوة قومك من المشركين فقد امرنا من قبلك بمعاداة اعدائهم من الجن والانس ومتى امر الله
رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الامير للمبارز من عسكره جعلت فلانا قرنك في المبارزة
وانما نعني بذلك انه امره بمبارزته لانه اذا امره بمبارزته فقد جعل من يبارزه قرنا له وثانيها ان معناه حكمنا بانهم اعداء
واخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الاعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا كما يقال جعل القاضي فلانا
عدلا وفلانا فاسقا اذا حكم بعدالة هذا وفسق ذلك وثالثها ان المراد خلينا بينهم وبين اختيارهم العداوة لم يمنعهم عن ذلك
كرها ولا جبرا لان ذلك يزيل التكليف ورابعها انه سبحانه انما اضاف ذلك الى نفسه لانه سبحانه لما ارسل اليهم الرسل

وامرهم بدعايهم الى الاسلام والايمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الاصنام والاوثان نصبوا عند ذلك العداوة
لانبيائه عليهم السلم ومثله قوله سبحانه مخبرا عن نوح عليه السلم فلم يزدهم دعائي الا فرارا والمراد بشياطين الانس
والجن مردة الكفار من الفريقين عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل ان شياطين الانس الذين يغوونهم وشياطين
الجن الذين هم من ولد ابليس عن السدي وعكرمة وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان ابليس جعل جنده فريقين
فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا الى الجن فشياطين الانس والجن اعداء الرسل والمومنين فتلتقي شياطين الانس
وشياطين الجن في كل حين فيقول بعضهم لبعض اضللت صاحبي بكذا فاضل صاحبك بمثلها فذلك وحي بعضهم
الى بعض وروي عن ابي جعفر عليه السلم ايضا انه قال ان الشياطين يلقى بعضهم الى بعض فيلقي اليه ما يغوي به الخلق
حتى يتعلم بعضهم من بعض يوحي اي يوسوس ويلقي خفية بعضهم الى بعض زخرف القول اي المموه المزين الذي يستحسن ظاهره
ولا حقيقة له ولا اصل غرورا اي يغرونهم بذلك غرورا او ليغروهم بذلك ولو شاء ربك ما فعلوه اخبر سبحانه انه
لو شاء ان يمنعهم من ذلك جبرا او يحول بينهم وبينه لقدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه ولكنه خلى بينهم وبين افعالهم
ابقاء للتكليف وامتحانا للمكلفين وقيل معناه ولو شاء ربك ما فعلوه بان ينزل عليهم عذابا واية فتظل اعناقهم لها خاضعين
فذرهم وما يفترون اي دعهم وافتراءهم الكذب فاني اجازيهم واعاقبهم امر نبيه عليه السلم بان يخلي بينهم وبين ما اختاروه
ولا يمنعهم منه بالقهر تهديدا لهم كما قال اعملوا ما شيتم دون ان يكون امرا واجبا او ندبا ولتصغى اليه اي ولتميل الى هذا
الوحي بزخرف القول او الى هذا القول المزخرف افئدة اي قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة والعامل في قوله ولتصغى
قوله يوحي ولا يجوز ان يكون العامل فيه جعلنا لان الله سبحانه لا يجوز ان يريد اصغاء القلوب الى الكفر ووحي الشياطين
الا ان يجعلها لام العاقبة كما في قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا على انه غير معلوم ان كل من اراد
منه الصغو قد صغى الى كلامهم ولم يصح ذلك ايضا في قوله وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون لانه غير معلوم حصول
ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفا بعضه على بعض والمراد بالافئدة ولكن لما كان الاعتقاد في القلب و
كذلك الشهوة اسند الصغو الى القلب وليرضوه اي وليرضوا ما اوحي اليهم من القول المزخرف وليقترفوا اي وليكتسبوا من
الاثم والمعاصي ما هم مقترفون اي مكتسبون في عداوة النبي والمومنين عن ابن عباس والسدي وقال ابو علي الجبائي
ان اللام في قوله ولتصغى وما بعده لام الامر والمراد بها التهديد كما قال سبحانه اعملوا ما شيتم واستفزز من استطعت و
هذا غلط فاحش لانه لو كان كذلك لقال ولتصنع ما شيتم بحذف الالف وقال البلخي اللام في ولتصغى لام العاقبة وما بعده
لام الامر الذي يراد به التهديد وهذا جايز الا ان فيه تعسفا فالاصح ما ذكرناه قوله عز وجل افغير الله ابتغي حكما وهو الذي
انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين
اية القراءة قرا ابن عامر وحفص منزل بالتشديد والباقون بالتخفيف الحجة حجة التشديد قوله سبحانه تنزيل الكتاب
من الله وما اشبهه وحجة التخفيف انا انزلنا اليك الكتاب وما اشبهه المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه عليه السلم ان
يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم افغير الله ابتغي حكما اي اطلب سوى الله حاكما والحكم والحاكم بمعنى واحد الا ان الحكم
امدح لان معناه من يستحق ان يتحاكم اليه فهو لا يقضي الا بالحق وقد يحكم الحاكم بغير الحق والمعنى هل يجوز لاحد ان يعدل
عن حكم الله رغبة عنه او هل يجوز ان يكون حكم سوى الله يساويه في حكمه وهو الذي يغني والله الذي انزل اليكم الكتاب اي القران
مفصلا فصل فيه جميع ما يحتاج اليه وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب في الدين وقيل فصل بين الحلال والحرام
والكفر والايمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبيين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى وينفي ايضا التداخل الذي يوجب نقصان
البيان عن المراد والذين اتيناهم الكتاب يعني بهم مؤمني اهل الكتاب والكتاب هو التوراة والانجيل وقيل يعني بهم كبراء
الصحابة واصحاب بدر والكتاب هو القران عن عطا يعلمون انه اي ان القران منزل من ربك بالحق يعني ببيان الحق اي

اصحاب الافئدة م

يعلمون كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به فترغيبه وترهيبه ووعده ووعيده وقصصه وامثاله وغير ذلك جميعه
بهذه الصفة وقيل ان معنى بالحق بالبرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين في ذلك و
الخطاب للنبي عليه السلم والمراد به الامة وقيل الخطاب لغيره اي فلا تكن ايها الانسان او ايها السامع وقيل الخطاب له
عليه السلم والمراد به الزيادة في شرح صدره ويقينه وطمانينة قلبه وتسكينه كقوله سبحانه فلا يكن في صدرك حرج منه
عن ابي مسلم قوله عز وجل وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اية القراءة كلمة
ربك بالتوحيد عراقي غير ابي عمرو والباقون كلمات ربك الحجة من قرا كلمة ربك قال وقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى
عن الجمع قالوا ان زهيرا قال في كلمته يعنون قصيدته وقال قس في كلمته يعنون خطبته ومن قرا بالجمع فلانه لما كان
جمعا في المعنى جمعوا اللغة التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي مخبره على وفق ما اخبر به والعدل
ضد الجور وقيل ان افعال الله تعالى كلها عدل لانها كلها على الاستقامة وقيل انما يوصف بذلك بما يعامل به عباده
الاعراب صدقا وعدلا نصب على التميز وقيل انهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقديره ذلك صادقة وعادلة
عن ابي علي الفارسي وقد تقدم مثل هذا فيما مضى المعنى ثم بين سبحانه صفة الكتاب المنزل فقال وتمت اي كملت على
وجه لا يمكن لاحد الزيادة فيه والنقصان منه كلمة ربك اي القران عن قتادة وغيره وقيل معناه انزلت شيئا بعد
شيء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما في قوله وكلمة الله هي العليا عن ابي مسلم وقيل المراد
بها حجة الله على الخلق صدقا وعدلا ما كان في القران من الاخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الامر والنهي
والحكم والاباحة والحظر فهو عدل لا مبدل لكلماته اي لا مغير لاحكامه عن قتادة لانه وان امكن التغيير والتبديل
في اللفظ كما بدل اهل الكتاب التورية والانجيل فانه لا يعتد بذلك قال وقد تطلق الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه وكذلك
حقت كلمة ربك اي حكم ربك ويقال عقوبة ربك وقال النبي صلى الله عليه واله في صفة النساء انهن عوان عندكم
استحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل معناه ان القران محروس عن الزيادة والنقصان فلا مغير لشيء منه وذلك
ان الله تعالى ضمن حفظه في قوله وانا له لحافظون ولا يجوز ان يعني بالكلمات الشرايع كما عني بقوله وصدقت بكلمات
ربها لان الشرايع قد يجوز فيها النسخ والتبديل وهو السميع لا قوالكم العليم بضمائركم قوله عز وجل وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ
فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ
عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ايتان اللغة الفرق بين الاكثر والاعظم ان الاعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف
بالاكثر واحد بحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم واعظم ولا يوصف باكثر وانما يقال اكبر بمعنى اعظم والخرص
الكذب يقال خرص يخرص خرصا وتخرص واخترص واصله القطع قال الشاعر ترى قصد المران فيهم كانه تذرع خرصان
بايدي الشواطب يعني جريدا يقطع طولا ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص النخل يخرص خرصا اذا حزره والخرص حبة القرط
اذا كانت منفردة والخرص يقطع طولا العود لانقطاعه عن نظايره بطيب ريحه ولفظة اعلم اذا لم يذكر معها من فله معنيان
احدهما اعلم من الكل واحتوى عن ذكر من كقولهم الله اكبر اي من كل شيء والثاني بمعنى فعيل كقول الفرزدق ان الذي
سمك السماء بنا لنا بيتا دعايمه اعز واطول اي عزيز وطويل الاعراب موضع من يضل عن سبيله فيه وجوه احدها نصب
على حذف الباء حتى يكون مقابلا لقوله وهو اعلم بالمهتدين والثاني ان موضعه رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام
والمعنى ان ربك هو اعلم اي الناس يضل عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى عن الزجاج وفي هذه
المسئلة خلاف وسياتي شرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى والثالث ان موضعه نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله
اعلم فكانه قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضل عن سبيله وصيغة افعل من كذا لا يتعدى لانها غير جارية على الفعل ولا معدولة
عن الجارية على الفعل كما عدل ضروب عن ضارب ومنحار عن ناحر عن ابي علي الفارسي وزعم قوم ان اعلم ههنا بمعنى

يعلم كما قال حاتم الطائي فحالفت طي من دوننا حلفا والله اعلم ما كنا لهم خذلا وقالت الخنساء القوم اعلم ان
جفنته تغدو غداة الريح او تسري وهذا فاسد لانه لا يطابق قوله وهو اعلم بالمهتدين ولا يجوز ان يكون من
في موضع جر باضافة اعلم اليه لان افعل لا يضاف الا الى ما هو بعضه وجل ربنا وتقدس عن ان يكون بعض الضالين
ولا بعض المضلين المعنى لما تقدم ذكر الكتاب بين سبحانه في هذه الاية ان من تبع غير الكتاب ضل واضل فقال و
ان تطع يا محمد خاطبه عليه السلم والمراد غيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هي امتثال الامر وموافقة المطيع
المطاع فيما يريد منه اذا كان المريد فوقه والفرق بينها وبين الاجابة ان الاجابة عامة في موافقة الارادة الواقعة
موقع المسئلة ولا يراعى فيها الرتبة اكثر من في الارض يعني الكفار واهل الضلالة وانما ذكر الاكثر لانه علم سبحانه
ان منهم من يؤمن ويدعو الى الحق ويذب عن الدين ولكن هم الاقل والاكثر الضلال يضلوك عن سبيل الله اي عن
دينه وفي هذا دلالة على انه لا عبرة في دين الله تعالى ومعرفة الحق بالقلة والكثرة لجواز ان يكون الحق مع الاقل
وانما الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة ان يتبعون الا الظن اي ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه
ويدعون اليه الا الظن وان هم الا يخرصون اي ما هم الا يكذبون وقيل معناه انهم لا يقولون عن علم ولكن
عن حزر وتخمين قال ابن عباس كانوا يدعون النبي عليه السلم والمومنين الى اكل الميتة ويقولون اتاكلون ما قتلتم
ولا تاكلون ما قتل ربكم فهذا اضلالهم ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه واله
وان عني به جميع الامة ويسال فيقال كيف جاز في صفة القديم سبحانه لا يخلو من ان يكون اعلم بالمعنى من يعلمه او يحتمل
انه لا يعلمه من وجه يخفى على غيره وذلك انه يعلم ما يكون منه وما كان وما هو كاين الى يوم القيمة على جميع الوجوه التي
يصح ان يعلم الاشياء عليها وليس كذلك غيره لان غيره لا يعلم جميع الاشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها واما
من هو غير عالم اصلا فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لان لفظة اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بانه
اعلم وهذا لا يصح فيمن ليس بعالم اصلا الا مجازا وهو اعلم بالمهتدين المعنى انه سبحانه اعلم بمن يسلك سبيل الضلال
المودي الى الهلاك والعقاب ومن يسلك سبيل الهدى المفضي به الى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال
والاضلال من فعل العبد خلاف ما يقوله اهل الجبر وعلى انه لا يجوز التقليد واتباع الظن في الدين والاغترار
بالكثرة والى هذا اشار امير المومنين عليه السلم حيث قال للحارث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق
تعرف اهله قوله عز وجل فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ
اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ثلث ايات القراءة
قرا اهل الكوفة غير حفص فصل لكم بالفتح وقرا الباقون فصل لكم ما حرم بالضم فيهما وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب
ليضلون بفتح الياء هنا وفي يونس ليضلوا عن سبيلك وفي الحج ليضل عن سبيل الله وفي لقمان والزمر في المواضع الستة
وقرا اهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرا الباقون هنا وفي يونس بفتح الياء وفي الاربعة بعد هذين الموضعين
بضم الياء الحجة حجة من ضم الفاء من فصل والحاء من حرم قوله حرمت عليكم الميتة والدم فهذا تفصيل هذا العام المجمل
بقوله حرم وقوله وهو الذي انزل عليكم الكتاب مفصلا فمفصلا يدل على فصل وحجة من قرا فصل وحرم بفتح الفاء
والحاء قوله قد فصلنا الايات وقوله اتل ما حرم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حرم هذا وحجة من ضم الياء
من يضلون ويضلوا انه يدل على ان الموصوف بذلك في الضلالة اذهب ومن الهدى ابعد الا ترى ان كل مضل
ضال وليس كل ضال مضلا لان الضلال قد يكون مقصورا على نفسه لا يتعداه الى سواه ومن قرا بفتح الياء فانه يريد
انهم يضلون في انفسهم من غير ان يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم من اكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك

او لا يعلمه و كلاهما لا يصح فيه افعل والجواب ان المعنى هو اعلم به ممن يعلمه ح

وفي ابرهيم ليضلوا عن سبيله م

ای یضلون باتباع اهوائهم اللغة وذروا الواو للعطف وانما استعمل منه الامر والمستقبل ولا یستعمل وذر ولا واذر
اشعروا بذلك کراهیة الابتداء بالواو حتی لم یزیدوها هناك اصلا مع زیادتهم اخواتها واستغنوا فیه بترك وتارك وهذا
کما استعملوا الماضی دون المستقبل واسم الفاعل فی عسی والظاهر الکاین علی وجه یمکن ادراکه والباطن هو الکاین
علی وجه یتعذر ادراکه والکسب ما تفعل لاجتلاب النفع او دفع الضر وانما یوصف به العبد دون الله تعالی لاستحالة النفع
والضر علیه سبحانه والکواسب الجوارح من الطیر لانها تکسب ما ینتفع به وقد بینا ان معنی الاقتراف الاکتساب المعنی ثم عطف
سبحانه علی ما تقدم من الکلام فقال فکلوا ثم اختلف فی ذلك فقیل انه لما ذکر المهتدین فکانه قال ومن الهدایة ان تحلوا
ما احل الله وتحرموا ما حرم الله فکلوا وقیل ان المشرکین لما قالوا للمسلمین اتاکلون ما قتلتم انتم ولا تاکلون ما قتل ربکم
فکانه قال سبحانه لهم اعرضوا عن جهلهم وکلوا والمراد به الاباحة وان کانت الصیغة صیغة الامر مما ذکر اسم الله علیه
یعنی ذکر اسم الله عند ذبحه دون المیتة وما ذکر علیه اسم الاصنام والذکر هو قول بسم الله وقیل هو کل اسم یختص الله تعالی
به او صفة تختص کقول باسم الرحمن او باسم القدیم او باسم القادر لنفسه او العالم لنفسه وما یجری مجراه والاول مجمع علی جوازه
والظاهر یقتضی جواز غیره لقوله سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ایاما تدعوا فله الاسماء الحسنی ان کنتم بایاته مؤمنین
یعنی ان کنتم مؤمنین بان عرفتم الله ورسوله وصحة ما اتاکم به من عند الله فکلوا ما حل دون ما حرم وفی هذه الایة دلالة
علی وجوب التسمیة علی الذبیحة وعلی ان ذبایح الکفار لا یجوز اکلها لانهم لا یسمون الله علیها ومن سمی منهم لا یعتقد وجوب ذلك
ولانه یعتقد ان الذی یسمیه هو الذی ابد شرع موسی وعیسی فاذا لا یذکرون الله تعالی حقیقة وما لکم ان لا تاکلوا مما ذکر
اسم الله علیه قد ذکرنا اعرابه فی سورة البقرة عند قوله وما لنا الا نقاتل فی سبیل الله وتقدیره ای شیء لکم فی ان لا تاکلوا فیکون
ما للاستفهام وهو اختیار الزجاج وغیره من البصریین ومعناه ما الذی یمنعکم ان تاکلوا مما ذکر اسم الله عند ذبحه وقیل
معناه لیس لکم ان لا تاکلوا فیکون ما للنفی وقد فصل لکم ای بین لکم ما حرم علیکم قیل هو ما ذکر فی سورة المایدة نزلت بعد
الانعام بمدة فلا یصح ان یقال انه فصل الا ان یحمل انه بین علی لسان الرسول علیه السلام وبعد ذلك نزل به القران وقیل انه
ما فصل فی هذه السورة فی قوله قل لا اجد فیما اوحی الی محرما الایة الا ما اضطررتم الیه معناه الا ما خفتم علی نفوسکم الهلاك
من الجوع اذا ترکتم التناول منه فحینئذ یجوز لکم تناوله وان کان ما حرمه الله واختلف فی مقدار ما یسوغ تناوله عند
الاضطرار فعندنا لا یجوز ان یتناول الا ما یمسك به الرمق وقال قوم یجوز ان یشبع المضطر منها معه حتی یجد ما یاکل
وقال الجبائی فی هذه الایة دلالة علی ان المکره علی اکله من هذه الاجناس یجوز اکله لان المکره یخاف علی نفسه
مثل المضطر وان کثیرا لیضلون باهوائهم ای باتباع اهوائهم ومن قرا بالضم اراد انهم یضلون اشیاعهم فحذف المفعول
به وفی امثاله کثرة وانما جعل النکرة اسم ان لان الکلام اذا طال احتمل ذلك ودل بعضه علی بعضه وذروا ظاهر
الاثم وباطنه امر سبحانه بترك الاثم مع قیام الدلالة علی کونه اثما ونهی عن ارتکابه سرا وعلانیة وهو قول قتادة ومجاهد
والربیع بن انس وقیل اراد بالظاهر افعال الجوارح وبالباطن افعال القلوب عن الجبائی وقیل الظاهر من الاثم هو الزنا
والباطن اتخاذ الاخدان عن السدی والضحاك وقیل ظاهر الاثم امراة الاب وباطنه الزنا عن سعید بن جبیر وقیل
ان اهل الجاهلیة کانت تری ان الزنا اذا ظهر کان فیه اثم واذا استسر به صاحبه لم یکن اثما ذکره الضحاك والاصح
القول الاول لانه یعم الجمیع ان الذین یکسبون الاثم ای یعملون المعاصی التی فیها الاثام ویرتکبون القبایح سیجزون ای
سیعاقبون بما کانوا یقترفون بما کانوا یکسبون ویرتکبون قوله عز وجل ولا تاکلوا مما لم یذکر اسم الله علیه وانه
لفسق وان الشیاطین لیوحون الی اولیائهم لیجادلوکم وان اطعتموهم انکم لمشرکون ایة المعنی ثم اکد سبحانه
ما تقدم بقوله ولا تاکلوا مما لم یذکر اسم الله علیه یعنی عند الذبح من الذبایح وهذا تصریح فی وجوب التسمیة علی الذبیحة
لانه لو لم یکن کذلك لکان ترك التسمیة غیر محرم لها وانه لفسق یعنی وان اکل ما لم یذکر اسم الله علیه لفسق وفی هذا

جهلکم

وان یحل منها ما

دلالة علی تحریم اکل ذبایح الکفار کلهم اهل الکتاب وغیرهم من سمی منهم ومن لم یسم لانهم لا یعرفون الله تعالی علی ما ذکرنا
من قبل فلا یصح منهم القصد الی ذکر اسمه فاما ذبیحة المسلم اذا لم یسم الله تعالی علیها فقد اختلف فی ذلك فقیل لا یحل اکلها
سواء ترك التسمیة عمدا او نسیانا عن مالك وداود وروی ذلك عن الحسن وابن سیرین وبه قال الجبائی وقیل یحل اکلها
فی الحالین عن الشافعی وقیل یحل اکلها اذا ترك التسمیة ناسیا بعد ان یکون معتقدا لوجوبها ویحرم اکلها اذا ترکها متعمدا
عن ابی حنیفة واصحابه وهو المروی عن ائمتنا علیهم السلام وان الشیاطین یعنی علماء الکافرین ورؤساءهم المتمردین
فی کفرهم لیوحون ای یومنون ویشیرون الی اولیائهم الذین اتبعوهم من الکفار لیجادلوکم فی استحلال المیتة قال
الحسن کان مشرکوا العرب یجادلون المسلمین فیقولون لهم کیف تاکلون مما تقتلونه انتم ولا تاکلون مما یقتله الله تعالی
وقتیل الله اولی بالاکل من قتیلکم فهذه مجادلتهم وقال عکرمة ان قوما من مجوس فارس کتبوا الی مشرکی قریش وکانوا
اولیاءهم فی الجاهلیة ان محمدا واصحابه یزعمون انهم یتبعون امر الله ثم یزعمون ان ما ذبحوه حلال وما قتله الله حرام
فوقع ذلك فی نفوسهم فذلك ایحاؤهم الیهم وقال ابن عباس معناه وان الشیاطین من الجن وهم ابلیس وجنوده
لیوحون الی اولیائهم من الانس والوحی القاء المعنی الی النفس من وجه خفی وهم یلقون الوسوسة الی قلوب اهل الشرك
ثم قال سبحانه وان اطعتموهم ایها المؤمنون فیما یقولونه من استحلال المیتة وغیره انکم اذا لمشرکون لان من استحل المیتة
فهو کافر بالاجماع ومن اکلها محرما لها مختارا فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة المفسرین وقال عطا انه مختص بذبایح
العرب التی کانت تذبحها للاوثان قوله عز وجل اومن کان میتا فاحییناه وجعلنا له نورا یمشی به فی الناس
کمن مثله فی الظلمات لیس بخارج منها کذلك زین للکافرین ما کانوا یعملون وکذلك جعلنا فی کل قریة
اکابر مجرمیها لیمکروا فیها وما یمکرون الا بانفسهم وما یشعرون ایتان القراءة قرا اهل المدینة ویعقوب
میتا بالتشدید والباقون میتا بالتخفیف الحجة قال ابو عبیدة المیتة تخفیف میتة ومعناهما واحد قال ابو العلاء الغانی
لیس من مات فاستراح بمیت ۞ انما المیت میت الاحیاء ۞ انما المیت من یعیش کئیبا کاسفا باله قلیل الرجاء ۞ والمحذوف من الیاءین
الثانیة المنقلبة عن الواو واعلت بالحذف کما اعلت بالقلب اللغة الاکابر جمع الاکبر وقد قالوا الاکابرة والاصاغرة کما
قالوا الاساورة والاحامرة قال الشاعر ان الاحامرة الثلاثة اهلکت ۞ مالی وکنت بهن قدما مولعا ۞ الخمر واللحم السمین احبه والزعفران
فقد ابیت مرددا ۞ واصل المکر الفتل ومنه جاریة ممکورة ای ملتفة البدن فکان المکر معناه الفتل الی خلاف الرشد
الاعراب اومن هذه همزة الاستفهام دخلت علی واو العطف وهو استفهام یراد به التقریر وموضع الکاف فی قوله وکذلك
جعلنا نصب معطوفة علی ما قبلها کذلك زین للکافرین مجرمیها یجوز ان یکون منصوبا علی التقدیم والتاخیر وتقدیره جعلنا
فی کل قریة مجرمیها اکابر ویجوز ان یکون منصوبا باضافة اکابر الیه النزول الایة الاولی قیل نزلت فی حمزة بن عبد المطلب
وابی جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل اذی رسول الله صلی الله علیه واله فاخبر بذلك حمزة وهو علی دین قومه فغضب
وجاء ومعه قوس فضرب بها راس ابی جهل وامن عن ابن عباس وقیل انها نزلت فی عمار بن یاسر حین امن وابی جهل عن عکرمة
وهو المروی عن ابی جعفر علیه السلام وقیل نزلت فی عمر بن الخطاب عن الضحاك وقیل انها عامة فی کل مؤمن وکافر عن الحسن
وجماعة وهذا اولی لانه اعم فایدة فیدخل فیه جمیع الاقوال المذکورة المعنی ثم ذکر سبحانه مثل الفریقین فقال اومن
کان میتا فاحییناه ای کافرا فاحییناه بان هدیناه الی الایمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شبه سبحانه الکفر
بالموت والایمان بالحیوة وقیل معناه من کان نطفة فاحییناه کقوله وکنتم امواتا فاحیاکم وجعلنا له نورا یمشی به فی الناس
قیل فیه وجوه احدها ان المراد بالنور العلم والحکمة سمی سبحانه ذلك نورا والجهل ظلمة لان العلم یهتدی به الی الرشاد
کما یهتدی بالنور فی الطرقات وثانیها ان المراد بالنور هنا القران عن الحسن وثالثها ان المراد به الایمان عن ابن عباس
کمن مثله فی الظلمات لم یقل سبحانه کمن هو فی الظلمات لان تقدیره کمن مثله مثل من هو فی الظلمات یعنی به الکافر

الغسانی

الذى هو فى ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو فى ظلمات الكفر ليس بخارج منها لكنه ذكره بلفظ المثل ليبين انه بلغ فى الكفر
والحيرة غاية يضرب به المثل فيها وانما سمى الله سبحانه الكافر ميتا لانه لا ينتفع بحيوته ولا ينتفع غيره بحيوته فهو اسوأ حالا
من الميت اذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولا يتضرر غيره به وسمى المومن حيا لان له ولغيره المصلحة والمنفعة
فى حيوته وكذلك سمى الكافر ميتا والمومن حيا فى عدة مواضع مثل قوله انك لا تسمع الموتى ولينذر من كان حيا وقوله
وما يستوى الاحياء ولا الاموات وسمى القرآن والايمان والعلم نورا لان الناس يبصرون بذلك ويهتدون به من ظلمات
الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى بسائر الانوار وسمى الكفر ظلمة لان الكافر لا يهتدى بهداه ولا يبصر امر رشده وهذا كما سمى
الكافر اعمى فى قوله افمن يعلم انما انزل من ربك الحق كمن هو اعمى وقوله ما يستوى الاعمى والبصير كذلك زين للكافرين ما
كانوا يعملون تشبه حال هؤلاء فى التزيين بحال اولئك فيه كما قال سبحانه كل حزب بما لديهم فرحون وروى عن الحسن
انه قال زينه والله لهم الشيطان وانفسهم واستدل بقوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم وقوله زين لا يقتضى
مزينا غيرهم لانه بمنزلة قوله تعالى انى يصرفون وانى يوفكون وقول العرب اعجب فلان بنفسه واولع بكذا ومثله كثير و
كذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها وجعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المومنين فكل ما فعلنا بهؤ
فعلنا باولئك الا ان اولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لان فى كل واحد منهما الجعل
بمعنى الصيرورة الا ان الاول باللطف والثانى بالتمكين من المكر وانما خص اكابر المجرمين بذلك دون الاصاغر لانه
اليق بالاقتدار على الجميع لان الاكابر اذا كانوا فى قبضة القادر فالاصاغر بذلك اجدر واللام فى قوله ليمكروا
فيها لام العاقبة ويسمى لام الصيرورة كما فى قوله سبحانه ليكون لهم عدوا وحزنا وكما قال الشاعر فاقسم لو قتلوا مالكا لكنت
لهم حية راصدة وام سماك فلا تجزعى فللموت ما تلد الوالدة وما يمكرون الا بانفسهم لان عقاب ذلك يحل بهم ولا
يصح ان يمكر الانسان بنفسه على الحقيقة لانه لا يصح ان يخفى عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح ان يخفى ذلك عن غيره
وفائدة الاية ان كان اكابر مجرميها لم يمكروا بالمومنين على وجه المغالبة لله اذهم كانه سبحانه جعلهم ليمكروا وهذه
مبالغة فى انتفاء صفة المغالبة قوله عز وجل واذا جاءتهم اية قالوا لن نومن حتى نوتى مثل ما اوتى
رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا
يمكرون اية القراءة قرا ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء والباقون رسالاته على الجمع الحجة من
وحد فلان الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدرا ومن جمع فلما تكرر من رسالات الله سبحانه مرة بعد اخرى اللغة
الاجرام الاقدام على القبيح بالانقطاع اليه لان اصل الجرم القطع فكانه قطع ما يجب ان يوصل من العمل ومنه قيل للذنب الجرم
والجريمة والصغار الذل الذى يصغر الى المرء نفسه يقال صغر الانسان يصغر صغارا وصغرا الاعراب الله اعلم حيث يجعل
رسالاته لا يخلوا حيث هنا من ان يكون ظرفا متضمنا الحرف او غير ظرف فان كان ظرفا فلا يجوز ان يعمل فيه اعلم لانه
يصير المعنى اعلم فى هذا الموضع او فى هذا الوقت ولا يوصف الله تعالى بانه اعلم فى مواضع او فى اوقات كما يقال زيد اعلم
فى مكان كذا منه فى مكان كذا او اعلم فى زمان كذا منه فى زمان كذا واذا كان الامر كذلك لم يجز ان يكون حيث
هنا ظرفا واذا لم يكن ظرفا كان اسما وانتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويقوى ذلك دخول الجار عليها وكان
الاصل الله اعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال سبحانه اعلم من يضل عن سبيله وفى موضع اخر اعلم بمن يضل
عن سبيله فمن يضل معمول فعل مضمر دل عليه اعلم ولا يجوز ان يكون معمول اعلم لان المعانى لا تعمل فى مواضع الاستفهام
ونحوه انما يعمل فيها الافعال التى تلغى فتعلق كما تلغى ومثل ذلك فى انه لا يكون الا محمولا على فعل قوله واضرب منا
بالسيوف القوانسا فالقوانس منصوب بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لان المعانى لا تعمل فى المفعول به ومما
جعل فيه حيث اسما متمكنا عن ظرف متضمن لمعنى فى قول الشاعر كان منها حيث تلوى المنطقا حقفا نقا مال على حقفى نقا الا

اى مثل ذلك الذى قصصنا عليك زين للكافرين عملهم ومثل ذلك فى كل قرية اكابر مجرميها

نرى ان حيث هنا فى موضع نصب فكان وحقفا نقا مرفوع بانه خبره وقال القاضى ابو سعيد السيرافى فى شرح كتاب سيبويه
ان من العرب من يضيف حيث الى المفرد فيجر ما بعدها انشد ابن الاعرابى بيتا اخو حيث لى العمائم وانشد ايضا ابو سعيد
وابو على فى اخراج حيث من حد الظرفية بالاضافة اليها الى حد الاسماء المحضة قول الشاعر يصيف شيخا يقتل القمل
هز الهراوة عقده عند الخصى بازل حيث يكون من يتذلل ومن ذلك قول الفرزدق فحق به عذبا رضابا غروبه رقاق
واعلى حيث ركبن اعجف وقوله صغار عند الله قال الزجاج عند متصلة بسيصيب اى سيصيبهم عند الله صغار وجائز
ان يكون عند متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين اجرموا صغار ثابت لهم عند الله ولا يصلح ان يكون من
محذوفة من عند انما المحذوف من عند فى اذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد فى حضرة عمرو وقال ابو على اذا قلت
ان عند معمول لصغار لم يحتج الى تقدم محذوف فى الكلام لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه ويكون التقدير ان
يصغروا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت فى الكلام فان قدرت صغارا موصوفا بعند لم يكن عند معمولا لصغار ولكن يكون
متعلقا بمحذوف فلا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه مما يكون فى الاصل الصفة ثم حذف واقيم الظرف مقامه للدلالة
عليه وهذا كقولك وانت تريد الصفة هذا رجل عندك فالمعنى ثابت عندك او مستقر ونحوه وكلا الوجهين جائز النزول
نزلت فى الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لانى اكبر منك سنا واكثر مالا وقيل نزلت
فى ابى جهل بن هشام قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نومن به ولا
نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحى كما ياتيه عن مقاتل المعنى ثم حكى سبحانه عن الاكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال
واذا جاءتهم اية اى دلالة معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيده وصدق نبيه عليه السلم قالوا لن نومن اى لن نصدق
بها حتى نوتى اى نعطى اية معجزة مثل ما اوتى اى اعطى رسل الله حسدا منهم للنبى عليه السلم ثم اخبر سبحانه على وجه الانكار عليهم
بقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته انه اعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته ويتعلق مصالح الخلق ببعثه وانه يعلم
من يقوم باعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم باداءها ويحتمل ما يلحقه من المشقة والاذى على تبليغها ثم
توعدهم سبحانه فقال سيصيب اى سينال الذين اجرموا اى انقطعوا الى الكفر واقدموا عليه يعنى بهم المشركين من اكابر القرى
الذين سبق ذكرهم صغار عند الله اى سيصيبهم عند الله ذل وهوان وان كانوا اكابر فى الدنيا عن الزجاج ويجوز
ان يكون المعنى سيصيبهم صغار معد لهم عند الله او سيصيبهم ان يصغروا عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فى
الدنيا اى جزاء على مكرهم قوله عز وجل فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره
ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يومنون اية القراءة قرا ابن كثير ضيقا بتخفيف
الياء وسكونها هنا وفى الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرا اهل المدينة وابو بكر وسهل حرجا بكسر الراء والباقون
بفتحها وقرا ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرا ابو بكر يصاعد بتشديد الصاد والف بعدها و
تخفيف العين والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد الحجة الضيق والضيق بمعنى مثل الميت والميت ومن
فتح الراء من حرج فقد وصف بالمصدر كما قيل فى قمن ودنف ونحوهما من المصادر التى يوصف بها ومن كسر الراء من حرج
فهو مثل دنف وقمن وقراءة ابن كثير يصعد من الصعود ومن قرا يصعد اراد يتصعد انه يثقل الاسلام عليه فكانه
يتكلف ما يثقل عليه شيئا بعد شئ كقولهم يتجرع ويتحسى ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئا بعد شئ ويصاعد مثل يصعد
فى المعنى فهو مثل ضاعف وضعف وناعم ونعم وهما من المشقة وصعوبة الشئ ومن ذلك قوله يسلكه عذابا صعدا وقوله
سارهقه صعودا اى سأغشيه عذابا صعودا وعقبة صعود اى شاقة ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما تصعدنى شئ
كما تصعدنى خطبة النكاح اى ما شق على شئ مشقتها اللغة الحرج والحرج الضيق قال ابو زيد حرج عليه السحور حرجا اذا
اصبح قبل ان يتسحر وحرم عليه حرما وهما بمعنى واحد وحرجت على المراة الصلوة وحرمت بمعنى واحد وحرج فلان اذا هاب

ان يتقدم على الامر او قابل يصبر و هو كاره وقد ذكرنا معانى الهداية والهدى والضلال والاضلال فى سورة البقرة
وما يجوز اسناده الى الله تعالى من كلا الامرين وما لا يجوز عند قوله وما يضل به الا الفاسقين المعنى لما تقدم ذكر المؤمنين
والكافرين بين عقيبه ما يفعله سبحانه بكل من الفريقين فقال فمن يرد الله ان يهديه قد ذكر فى تاويل الاية وجوه احدها
ان معناه من يرد الله ان يهديه الى الثواب وطريق الجنة يشرح صدره فى الدنيا للاسلام بان يثبت عزمه عليه ويقوى دواعيه
على التمسك به ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض فى القلوب من الخواطر الفاسدة وانما يفعل ذلك لطفا له
ومنا عليه وثوابا على اهتدائه بهدى الله وقبوله اياه ونظيره قوله سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله
الذين اهتدوا هدى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يعنى ومن يرد ان يضله عن ثوابه وكرامته يجعل صدره
فى كفره ضيقا حرجا عقوبة له على ترك الايمان من غير ان يكون سبحانه مانعا له عن الايمان وسالبا اياه القدرة عليه بل ربما يكون
ذلك سببا داعيا له الى الايمان فان من ضاق صدره بالشئ كان ذلك داعيا له الى تركه والدليل على ان شرح الصدر قد يكون
ثوابا قوله سبحانه الم نشرح لك صدرك الايات ومعلوم ان وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثوابا على تحمل اعباء الرسالة
وكلفها فكذلك ما قرن به من شرح الصدر والدليل على ان الهدى قد يكون الهدى الى الثواب قوله والذين قتلوا فى سبيل الله
فلن يضل اعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ومعلوم ان الهداية بعد القتل لا يكون الا الى الثواب فليس بعد الموت تكليف وقد
وردت الرواية الصحيحة انه لما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه واله عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه
الله فى قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال عليه السلم نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى
عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وثانيها ان معنى الاية فمن يرد الله ان يثبته على الهدى يشرح صدره من
الوجه الذى ذكرناه جزاء له على ايمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الاستدامة كما قلنا فى قوله اهدنا الصراط
المستقيم ومن يرد ان يضله اى يخذله ويخلى بينه وبين ما يريده لاختياره الكفر وتركه الايمان يجعل صدره ضيقا حرجا بان
يمنعه الالطاف التى ينشرح لها صدره لخروجه عن قبولها باقامته على كفره فان قيل انا نجد الكافر غير ضيق الصدر بما هو
فيه ونراه طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف فى خبره سبحانه قلنا انه سبحانه بين انه يجعل صدره ضيقا ولم يقل فى
كل حال ومعلوم من حاله فى احوال كثيرة انه يضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعند ما يجازى
الله سبحانه المؤمن على استعمال الادلة الموصلة الى الايمان وهذا القدر هو الذى يقتضيه الظاهر وثالثها ان معنى الاية
من يرد الله ان يهديه زيادة الهدى التى وعدها المؤمن يشرح صدره لتلك الزيادة لان من حقها ان يريد المؤمن بصيرة
ومن يرد ان يضله عن تلك الزيادة بمعنى يذهبه عنها من حيث اخرج هو نفسه من ان يصح عليه يجعل صدره ضيقا حرجا
لمكان فقد تلك الزيادة لانها اذا اقتضت فى المؤمن ما قلناه اوجب فى الكافر ما يضاده ويكون الفائدة فى ذلك الترغيب
فى الايمان والزجر عن الكفر وهذا التاويل قريب مما تقدمه وقد روى عن ابن عباس انه قال انما سمى قلب الكافر حرجا لانه لا تصل
الخير الى قلبه وفى رواية اخرى لا تصل الحكمة الى قلبه ولا يجوز ان يكون المراد بالاضلال فى الاية الدعاء الى الضلال ولا
الامر به ولا الاجبار عليه لاجماع الامة على ان الله تعالى لا يامر بالضلال ولا تدعوا اليه فكيف يجبر عليه والدعاء اليه اهون
من الاجبار عليه وقد ذم الله تعالى فرعون والسامرى على اضلالهما عن دين الهدى فى قوله واضل فرعون قومه وما هدى و
قوله واضلهم السامرى ولا خلاف فى ان اضلالهما اضلال امر واجبار و دعا وقد ذمهما الله تعالى عليه مطلقا فكيف يتمدح بما
ذم عليه وقوله كانما يصعد فى السماء فيه وجوه احدها ان معناه كانه قد كلف ان يصعد الى السماء اذا دعا الى الاسلام من
ضيق صدره عنه او كان قلبه يصعد فى السماء نبوا عن الاسلام والحكمة عن الزجاج وثانيها ان معنى يصعد كانه يتكلف مشقة
فى ارتقاء صعود وعلى هذا قيل عقبة عنوق وكؤود وعن ابى على الفارسى قال فلا يكون السماء فى هذا القول المظلة للارض
ولكن كما قال سيبويه القيدود الطويل فى غير سماء اى فى غير ارتفاع صعدا وقريب منه ما روى عن سعيد بن جبير ان معناه

كانه لا يجد مسلكا الا صعدا وثالثها ان معناه كانما ينزع قلبه الى السماء لشدة المشقة عليه فى مفارقة مذهبه كذلك يجعل الله
الرجس اى العذاب عن ابن زيد وغيره من اهل اللغة وقيل هو ما لا خير فيه عن مجاهد على الذين لا يومنون وفى هذا
دلالة على صحة التاويل الاول لانه تعالى بين ان الاضلال المذكور فى الاية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به
الاجبار على الكفر لقال كذلك لا يومن من جعل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه فى قوله كذلك يجعل الله الرجس
انه جعل الرجس على هؤلاء كما جعل ضيق الصدر فى قلوب اوليك وان كان ذلك على وجه الاستحقاق وروى العياشى
باسناده عن ابى بصير عن خيثمة قال سمعت ابا جعفر عليه السلم يقول ان القلب ينقلب من لدن موضعه الى حنجرته ما لم
يصب الحق فاذا اصاب الحق قر ثم قرا هذه الاية قوله عز وجل وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ايتان المعنى ثم اشار تعالى الى ما تقدم ذكره من
البيان فقال هذا صراط ربك اى طريق ربك وهو القران عن ابن مسعود والاسلام عن ابن عباس وانما اضافه الى
نفسه لانه تعالى هو الذى دل عليه وارشد اليه مستقيما لا اعوجاج فيه وانما انتصب على الحال وانما وصف الصراط
الذى هو ادلة الحق بالاستقامة مع اختلاف وجوه الادلة لانها مع اختلافها تودى الى الحق فكانها طريق واحد لسلامة
جميعها من التناقض والفساد قد فصلنا الايات اى بيناها وميزناها لقوم يذكرون واصله يتذكرون وخص المتذكرين
بذلك لانهم المنتفعون بالحجج كما قال هدى للمتقين لهم دار السلم اى للذين تذكروا وتدبروا وعرفوا الحق وتبعوه دار
السلامة الدائمة الخالصة من كل افة وبلية ومما يلقاه اهل النار عن الزجاج والجبائى وقيل ان السلم هو الله تعالى
ودار الجنة عن الحسن والسدى عند ربهم اى هى مضمونة لهم عند ربهم يوصلهم اليها لا محالة كما يقول الرجل لغيره لك عندى
هذا المال اى فى ضمانى وقيل معناه لهم دار السلام فى الاخرة يعطيهم اياها وهو وليهم يعنى الله يتولى ايصال المنافع اليهم
ودفع المضار عنهم وقيل وليهم ناصرهم على اعدائهم وقيل يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق وفى الاخرة بالجزاء بما كانوا يعملون المراد
جزاء بما كانوا يعملون من الطاعات فحذف لظهور المعنى فان من المعلوم ان ما لا يكون طاعة من الاعمال فلا ثواب عليه
قوله عز وجل وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا
اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ايتان القراءة قرا حفص وروح ويوم يحشرهم
بالياء والباقون بالنون الحجة من قرا بالياء فلقوله عند ربهم والنون كالياء فى المعنى ويقوى النون قوله وحشرناهم
ونحشره يوم القيمة اعمى الاعراب قال الزجاج خالدين فيها منصوب على الحال والمعنى النار مقامكم فى حال خلود دايم
قال ابو على المثوى عندى فى الاية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال فى الكلام معملا فيها الا ترى انه لا يخلو ا
من ان يكون موضعا او مصدرا فلا يجوز ان يكون موضعا لان اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لانه لا معنى للفعل
فيه واذا لم يكن موضعا ثبت انه مصدر والمعنى النار ذات اقامتكم فيها خالدين اى اهل ان تقيموا وتثووا خالدين
فيها فالكاف والميم فى المعنى فاعلون وان كان فى اللفظ خفضا بالاضافة المعنى ثم عطف تعالى على ما تقدم فقال
ويوم نحشرهم جميعا اى نجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الجن والانس لانه يتعقبه حديثهم وقيل يريد الكفار وانتصب اليوم
بالقول المضمر لان المعنى ويوم نحشرهم جميعا نقول يا معشر الجن اى يا جماعة الجن قد استكثرتم من الانس اى قد استكثرتم ممن
اضللتموه من الانس عن الزجاج وهو ماخوذ عن قول ابن عباس معناه من اغواء الانس واضلالهم وقال اولياؤهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع بعضنا ببعض وقد قيل فيه اقوال احدها ان استمتاع الجن
بالانس ان اتخذهم الانس قادة ورؤساء فاتبعوا اهواءهم واستمتاع الانس بالجن انتفاعهم فى الدنيا بما زينوا لهم الجن
من اللذات ودعوهم اليه من الشهوات وثانيها ان استمتاع الانس بالجن ان الرجل كان اذا سافر وخاف الجن فى سلوك

طريق قال اعوذ بسيد هذا الوادى ثم يسلك فلا يخاف وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن وان الجن يجيرهم كما قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا واستمتاع الجن بالانس ان الجن اذا اعتقد ان الانس يتعوذون بهم ويعتقدون انهم ينفعونهم ويضرونهم كان فى ذلك لهم سرور ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم وثالثها ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضا عن محمد بن كعب قال البلخى ويحتمل ان يكون الاستمتاع مقصورا على الانس فيكون الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا يعنى بالاجل الموت عن الحسن والسدى وقيل البعث والحشر اجل الجزاء كما ان الموت اجل استدراك ما مضى قال الجبائى وفى هذا دلالة على انه لا اجل الا واحد لانه لو كان اجلان لكان الرجل اذا اقتطع دون الموت بان يقتل لم يكن بلغ اجله والاية يتضمن انهم اجمع قالوا بلغنا اجلنا الذى اجلت لنا وقال على بن عيسى وغيره من البغداديين لا دلالة فى الاية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للانسان اجلان احدهما ما يقع فيه الموت والاخر ما يقع فيه الحشر او ما كان يجوز ان يعيش اليه قال الله تعالى لهم النار مثواكم اى مقامكم والثواء الاقامة خالدين فيها اى دائمين فيها معذبين الا ما شاء الله قيل فى معنى هذا الاستثناء اقوال احدها ما روى عن ابن عباس انه قال كان وعيد الكفار مبهما غير مقطوع به ثم قطع به بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وثانيها ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة لان قوله يوم نحشرهم جميعا هو يوم القيمة فقال خالدين فيها مذ يوم يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم فى محاسبتهم عن الزجاج قال وجايز ان يكون الا ما شاء الله ان يعذبهم به من اصناف العذاب وثالثها ان الاستثناء راجع الى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم فى مشية الله تعالى ان شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلا وان شاء عفا عنهم فضلا ورابعها ان معناه الا ما شاء الله ممن امن منهم عن عطا ان ربك حكيم عليم اى محكم لافعاله عليم بكل شئ وقيل حكيم فى عقاب من يختار ان يعاقبه والعفو عمن يختار ان يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون الكاف للتشبيه اى كذلك المهل بتخلية بعضهم مع بعض للامتحان الذى معه يصح الجزاء على الاعمال نولينا بعض الظالمين بعضا بان نجعل بعضهم يتولى امر بعض للعقاب الذى يجرى على الاستحقاق عن على بن عيسى وقيل معناه انا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والانس بعضهم الى بعض يوم القيمة وتبرأنا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم الى بعض يوم القيمة ونكل الاتباع الى المتبوعين ونقول للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب عن ابى على الجبائى قال والغرض بذلك اعلامهم انه ليس لهم يوم القيمة ولى يدفع عنهم شيئا من العذاب وقال غيره لما حكى الله تعالى ما يجرى بين الجن والانس من الخصام والجدال فى الاخرة قال وكذلك اى وكما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم فى النار وتولية بعضهم بعضا نفعل مثله بالظالمين جزاء على اعمالهم القبيحة وقال ابن عباس اذا رضى الله عن قوم ولى امرهم خيارهم واذا سخط على قوم ولى امرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من المعاصى لجزاء على اعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومثله ما رواه الكلبى عن مالك بن دينار قال قرأت فى بعض كتب الحكمة ان الله تعالى يقول انى انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن اطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا انفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وقيل معنى قوله نولى بعضهم بعضا نخلى بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه نتابع بعضهم بعضا فى النار من الموالاة التى هى المتابعة اى يدخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتادة **قوله عز وجل يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما تعملون ثلث ايات القراءة** قرا ابن عامر عما تعملون بالتاء والباقون بالياء **اللغة** الغفلة عن المعنى السهو عنه والعزوب عنه نظاير وضد الغفلة اليقظة وضد السهو الذكر وضد العزوب الحضور **الاعراب** موضع ذلك يحتمل ان يكون رفعا على

تقدير الامر ذلك ويحتمل ان يكون نصبا على تقدير فعلنا ذلك وان لم يكن ان هذه هى المخففة من الثقيلة وتقديره لانه لم يكن كما فى قول الشاعر فى فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى وينتعل وان المفتوحة لا بد لها من اضمار الهاء لانه لا معنى لها فى الابتداء وانما هى بمعنى المصدر المبنى على غيره والمكسورة لا يحتاج الى الهاء لانها يصح ان تكون حرفا من حروف الابتداء فلا يحتاج الى اضمار وانما لم تبن كل اذا حذف منه المضاف اليه كما بنى قبل وبعد لان ما حذف منه المضاف اليه مثل قبل وبعد لم يكن فى حال الاعراب على التمكن التام فانه لا يدخله الرفع فى تلك الحال فلما انضاف الى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف اليه اخرج الى البناء وليس كذلك كل لانه متمكن على كل حال فلذلك لم يبن **المعنى** ثم بين عز وجل تمام ما يخاطب به الجن والانس يوم القيمة بان يقول يا معشر الجن والانس والمعشر الجماعة التامة من القوم التى تشتمل على اصناف الطوايف ومنها العشرة لانها تمام العقد الم يأتكم رسل منكم هذا احتجاج عليهم بان بعث اليهم الرسل اعذارا وانذارا وتاكيدا للحجة عليهم واما قوله منكم وان كان خطابا لجميعهم والرسل من الانس خاصة فانه يحتمل ان يكون لتغليب احدهما على الاخر كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وان كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب وكما يقال اكلت الخبز واللبن وانما يؤكل الخبز ويشرب اللبن وهو قول اكثر المفسرين والزجاج والرمانى وقيل انه ارسل رسل الى الجن كما ارسل الى الانس عن الضحاك وقال الكلبى كان الرسل يرسلون الى الانس ثم بعث محمد صلى الله عليه واله الى الانس والجن وقال ابن عباس انما بعث الرسول من الانس ثم كان يرسل هو الى الجن رسولا من الجن وقال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن يقصون اى يتلون ويقرؤون عليكم اياتى اى حججى ودلايلى وبيناتى وينذرونكم لقاء يومكم اى يخوفونكم لقاء يومكم هذا اى لقاء ما تستحقونه من العقاب فى هذا اليوم وحصولكم فيه يعنى يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالكفر والعصيان فى حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع المعذرة واعترفنا بذلك وغرتهم الحياة الدنيا اى تزينت لهم بظاهرها حتى اغتروا بها وشهدوا على انفسهم فى الاخرة انهم كانوا كافرين فى الدنيا اى اقروا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العقاب ذلك حكم الله تعالى ان لم يكن ربك اى لانه لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وهذا اجرى مجرى التعليل اى لاجل انه لم يكن الله تعالى ليهلك اهل القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث اليهم رسلا ينبهونهم على حجج الله تعالى ويزجرونهم ويذكرونهم ولا يواخذونهم بغتة وهذا انما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار فى الحجة دون ان يكون ذلك واجبا لان ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب وقيل معناه انه تعالى لا يهلكهم بظلم منه على غفلة منهم من غير تنبيه وتذكير عن الفراء والجبائى ومثله قوله وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وفى هذا دلالة واضحة على انه تعالى منزه عن الظلم ولو كان الظلم من خلقه لما صح تنزهه تعالى عنه ولكل اى ولكل عامل بطاعة او معصية درجات مما عملوا اى مراتب فى عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج فى الارتفاع والانحطاط وانما يعبر عن تفاضل اهل الجنة بالدرج وعن تفاضل اهل النار بالدرك الا انه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تغليبا لصفة اهل الجنة وما ربك يا محمد او ايها السامع بغافل اى ساه عما تعملون اى لا يشذ شئ من ذلك عن علمه فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفى هذا تنبيه وتذكير للخلق فى كل امورهم **قوله عز وجل وربك الغنى ذو الرحمة ان يشاء يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم اخرين انما توعدون لات وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون ثلث ايات القراءة** قرا ابو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكانتكم على التوحيد وقرا حمزة والكسائى من يكون بالياء والباقون بالتاء **الحجة** وجه قراءة مكانتكم على التوحيد انه مصدر والمصادر فى اكثر الامر مفردة ووجه الجمع انه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال فاما اذا جلسوا فى الندى فاحلام عاد وايد هضم ومن قرا يكون بالياء فلان العاقبة مصدر كالعاقبة وتانيثه غير حقيقى فمن انث فهو كقوله فاخذتهم الصيحة ومن ذكر فكقوله واخذ الذين ظلموا الصيحة وكلا الامرين

واهلها غافلون

لان الحشر

جايز اللغة الانشاء الابتدا انشأ الله الخلق اذا خلقهم وابتداهم ومنه قولهم انشاء فلان قصيدة والنشأ الاحداث
من الاولاد قال نصيب ولولا ان يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشاء الصغار ويوعدون من الايعاد ويحتمل ان يكون
من الوعد والوعد فى الخير والايعاد فى الشر قال ابو زيد المكان المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكنا
وقد مكن مكانة الاعراب الكاف فى قوله كما انشاكم فى موضع نصب اى مثل انشاءكم ومن فى قوله ويستخلف من بعدكم
للبدل كقولهم اعطيتك من دينارك ثوبا اى مكان دينارك وبدله ومن فى قوله من ذرية قوم آخرين لابتداء الغاية
وما فى قوله ان ما توعدون بمعنى الذى ومن فى قوله من يكون له عاقبة الدار فى موضع رفع بالابتداء وخبره يكون
له عاقبة الدار ويكون تعليقا ويحتمل ان يكون موضعه نصبا بتعلمون ويكون فى معنى الذى المعنى لما امر سبحانه بطاعته
وحث عليها ورغب فيها بين انه لا يامر بها لحاجة لانه تعالى غنى عن النفع والضر فقال وربك اى خالقك وسيدك الغنى
عن اعمال عباده لا ينفعه طاعتهم ولا يضره معصيتهم لان الغنى عن الشىء هو الذى يكون وجود الشىء وعدمه وصحته وفساده
عنده بمنزلة ذو الرحمة اى صاحب النعمة على عباده بين سبحانه انه مع غناه عن عباده ينعم عليهم وان انعامه وان
كثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم اخبر سبحانه عن قدرته فقال ان يشاء يذهبكم اى يهلككم وتقديره يذهبكم بالاهلاك
ويستخلف من بعدكم ما يشاء اى وينشئ بعد هلاككم خلقا غيركم يكون خلفا لكم كما انشاكم فى الاول من ذرية قوم اخرين تقدموكم
وهذا خطاب لمن سبق ذكرهم من الجن والانس ويحتمل ان يكون معناه ويستخلف جنسا اخر اى كما قدر على اخراج الجن
من الجن والانس من الانس فهو قادر على ان يخرج قوما اخر لا من الجن ولا من الانس وفى هذه الاية دلالة على ان خلاف
المعلوم يجوز ان يكون مقدورا لانه سبحانه بين انه قادر على ان ينشئ خلقا خلاف الجن والانس ولم يفعل ذلك ان ما توعدون
من القيمة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب وتفاوت اهل الجنة فى الدرجات وتفاوت اهل النار فى الدركات لآت
لا محالة وما انتم بمعجزين بفايتين وقيل بخارجين من ملكه وقدرته والاعجاز ان ياتى الانسان بشىء يعجز خصمه عنه ويقصر
دونه فيكون قد جعله عاجزا عنه فعلى هذا المعنى لستم بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب قل يا محمد لهم يا
قوم اعملوا على مكانتكم على قدر منزلتكم وتمكينكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد
بصيغة الامر وقيل على مكانتكم على طريقتكم وقيل على حالتكم عن الجبائى اى اقيموا على حالتكم التى انتم عليها فانى مجازيكم انى
عامل اخبار عن النبى صلى الله عليه وآله انى عامل بما امرنى الله تعالى به وقيل اخبار عن الله تعالى انى عامل ما وعدتكم به
من البعث والجزاء عن ابى مسلم والاول الصحيح فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار اى فستعلمون اينا تكون له العاقبة
المحمودة فى دار السلام عند الله تعالى وقيل المراد عاقبة دار الدنيا فى النصر عليكم انه لا يفلح الظالمون اى لا يظفر الظالمون
بمطلوبهم وانما لم يقل الكافرون وان كان الكلام فى ذكرهم لانه سبحانه قال فى موضع اخر والكافرون هم الظالمون
وقال ان الشرك لظلم عظيم قوله عز وجل وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ
وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ اية القراءة
قرا الكسائى بزعمهم بضم الزاء وهو قراءة يحيى بن وثاب والاعمش وقرا الباقون بفتح الزاء الحجة
القول فيه انهما لغتان وقيل وقيل ان الكسر ايضا لغة ومثله الفَتْك والفُتْك والفِتْك والوَدّ والوُدّ والوِدّ اللغة
الذرء الخلق على وجه الاختراع واصله الظهور ومنه ملح ذرآنى وذرآنى لظهور بياضه والذراة ظهور الشيب قال وقد
علتنى ذراة بادى بدى وذرئت لحيته اذا شابت والحرث الزرع والحرث الارض التى تثار للزرع والانعام
جمع النعم ماخوذ من نعمة الوطء ولا يقال للذوات الحافر انعام المعنى ثم عاد الكلام الى حجاج الكافرين وبيان اعتقاداتهم
الفاسدة فقال سبحانه وجعلوا لله يعنى كفار مكة ومن تقدمهم من المشركين والجعل هنا بمعنى الوصف والحكم مما ذرأ من
الحرث اى مما خلق من الزرع والانعام اى المواشى من الابل والبقر والغنم نصيبا اى حظا وههنا حذف يدل الكلام

عليه

عليه وهو وجعلوا للاوثان منه نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا يعنى للاوثان وانما جعل الاوثان
شركاءهم لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها فشاركوها فى نعمهم فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان
لله فهو يصل الى شركائهم قيل فيه معناه اقوال احدها انهم كانوا يزرعون لله زرعا وللاصنام زرعا فكان اذا زكا
الزرع الذى زرعوه لله ولم يزك الزرع الذى زرعوه للاصنام جعلوا بعضه للاصنام وصرفوه اليها ويقولون ان
الله غنى والاصنام احوج وان زكا الزرع الذى جعلوه للاصنام ولم يزك الزرع الذى زرعوه لله لم يجعلوا منه شيئا
لله وقالوا هو غنى وكانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله وبعضه للاصنام فما كان لله اطعموه الضيفان وما كان
للصنم انفق على الصنم عن الزجاج وغيره وثانيها ان كان اذا اختلط ما جعل للاصنام بما جعل لله تعالى ردوه واذا
اختلط ما جعل لله بما جعل للاصنام تركوه وقالوا الله اغنى واذا انخرق الماء من الذى لله فى الذى للاصنام لم يسدوه
واذا انخرق من الذى للاصنام فى الذى لله سدوه وقالوا الله اغنى عن ابن عباس وقتادة وهو المروى عن ائمتنا
عليهم السلام وثالثها انه كان اذا هلك ما جعل للاصنام بدلوه مما جعل لله واذا هلك ما جعل لله لم يبدلوه مما جعل
للاصنام عن الحسن والسدى ساء ما يحكمون اى ساء الحكم حكمهم هذا قوله عز وجل وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ اية
القراءة قرا ابن عامر وحده زُين بضم الزاء وقتل بالرفع واولادهم بالنصب شركائهم بالجر والباقون زَين بالفتح قتل بالنصب اولادهم
بالجر شركاؤهم بالرفع الحجة شركاؤهم فى قراءة الاكثرين فاعل زين وقتل اولادهم مفعوله ولا يجوز ان يكون شركاؤهم
فاعل المصدر الذى هو قتل اولادهم لان زين حينئذ يبقى بلا فاعل ولان الشركاء ليسوا قاتلين انما هم مزينون القتل لهم
واضيف المصدر الذى هو قتل الى المفعولين الذين هم الاولاد وحذف الفاعل وتقديره قتلهم اولادهم كما حذف ضمير
الانسان فى قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه الخير واما قراءة ابن عامر وكذلك زُين فانه اسند
زين الى قتل واعمل المصدر عمل الفعل واضافه الى الفاعل ونظير ذلك قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض فاسم
الله هنا فاعل كما ان الشركاء فى الاية فاعلون والمصدر مضاف الى الشركاء الذين هم فاعلون والمعنى قتل شركائهم اولادهم
وتقديره ان قتل شركاؤهم اولادهم وفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول به والمفعول هو المصدر وهذا قبيح فى
الاستعمال قال ابو على ووجه ذلك على ضعفه انه قد جاء فى الشعر الفصل قال الطرماح يطفن بحوزى المراتع لم يرع بوادية
من قرع القسى الكنائن وزعموا ان ابا الحسن انشد فزججتها بمزجة زج القلوص ابى مزادة فهو مثل قراءة ابن عامر وذكر سيبويه فى
هذه الاية قراءة اخرى وهى قوله وكذلك زُين لكثير من المشركين قتلُ اولادِهم شركاؤهم وهو قراءة ابى عبد الرحمن
السلمى فحمل الشركاء فيها على فعل مضمر غير هذا الظاهر كانه لما قيل وكذلك زين قيل من زينه فقال زينه شركاؤهم
ومثل ذلك قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح كانه لما قال ليبك يزيد قيل من يبكيه فقال
يبكيه ضارع اللغة الارداء الاهلاك وردى يردى ردى اذا هلك وتردى ترديا والمرداة الحجر يردى
من راس جبل المعنى ثم بين سبحانه خصلة اخرى من خصالهم الذميمة فقال وكذلك اى وكما جعل اولئك فى الحرث
والانعام ما لا يجوز كذلك زين لكثير من المشركين اى مشركى العرب قتل اولادهم شركاؤهم يعنى الشياطين الذين زينوا لهم
قتل البنات ووادهن احياء خيفة العيلة والفقر والعار عن الحسن ومجاهد والسدى وقيل ان المزينين
لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الاوثان عن الفراء والزجاج وقيل هم الغواة من الناس وقيل كان السبب فى تزيين قتل
البنات ان النعمان بن المنذر اغار على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فارادت كل امراة منهن
عشيرتها غير ابنة قيس فانها ارادت من سباها فحلف قيس بالله لا تولد له بنت الا وادها فصار ذلك سنة فيما بينهم ليردوهم
اى ليهلكوهم واللام لام العاقبة لانهم لم يكونوا معاندين لهم فيقصدوا الى ان يردوهم عن ابى على الجبائى وقال غيره يجوز ان

يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب وليلبسوا عليهم دينهم اى يخلطوا عليهم دينهم ويدخلوا عليهم الشبهات ولو شاء الله
ما فعلوه معناه لو شاء الله ان يمنعهم من ذلك او يضطرهم الى تركه لفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان
يكون ذلك منافيا للتكليف فذرهم وما يفترون اى اتركهم ودعهم وافتراءهم اى كذبهم على الله تعالى فانه يجازيهم وفى
هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القايل دعه وما اختار وفى هذه الاية دلالة واضحة على ان تزيين القتل والقتل
فعلهم فانهم فى اضافة ذلك الى الله سبحانه كاذبون قوله عز وجل وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا
مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ اية القراءة قرى فى الشواذ حرج وروى ذلك عن ابى كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو
ابن دينار الحجة الحرج يمكن ان يؤول معناه الى الحجر فانهما يرجعان فى الاصل الى معنى الضيق فان الحرام سمى حجرا لضيقه والحرج
ايضا الضيق فعلى هذا يكون لغة فى حجر مثل جذب وجبذ فهو من المقلوب اللغة الحجر الحرام والحجر العقل وفلان فى حجر القاضى
من حجرت حجرا اى فى منع القاضى اياه من الحكم فى ماله وحجر المراة وحجرها بالفتح والكسر حضنها الاعراب افتراء منصوب بقوله
لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى يفترون فكانه قال يفترون افتراء المعنى ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة
اخرى من عقايدهم الفاسدة فقال وقالوا يعنى المشركين هذه انعام اى مواشى وهى الابل والبقر والغنم وحرث اى زرع
حجر اى حرام عنى بذلك الانعام والزرع الذين جعلوهما لالهتهم واوثانهم لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم اى لا ياكلها الا من
نشاء اى ناذن له فى اكلها واعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا برهان وكانوا لا يحلون ذلك الا لمن قام
بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها يعنى الانعام التى حرموا الركوب عليها وهى السائبة والبحيرة
والحام عن الحسن ومجاهد وقيل هى الحامى الذى حمى ظهره اذا ركب ولد ولده عندهم فلا تركب ولا يحمل عليه وانعام لا
يذكرون اسم الله عليها قيل كانت لهم من انعامهم طايفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شىء من شانها عن مجاهد وقيل
انهم كانوا لا يحجون عليها عن ابى وايل وقيل هى التى اذا ذكوها اهلوا عليها باصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن
الضحاك افتراء عليه اى كذبا على الله تعالى لانهم كانوا يقولون ان الله امرهم بذلك وكانوا كاذبين به عليه سيجزيهم
سيجزيهم بما كانوا يفترون ظاهر المعنى قوله عز وجل وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ
عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ اية القراءة قرا ابن كثير وان يكن بالياء
ميتة بالرفع وقرا ابن عامر وابو جعفر تكن بالتاء وميتة بالرفع وقرا ابو بكر عن عاصم تكن بالياء ميتة نصب وفى الشواذ
قراءة ابن عباس وقتادة والاعرج بخلاف خالصة بالنصب وقراءة سعيد بن جبير خالصا وقراءة ابن عباس بخلاف و
الزهرى والاعمش خالص بالرفع وقراءة ابن عباس وابن مسعود والاعمش بخلاف خالصة مرفوع مضاف الحجة وجه
قراءة الاكثر ان يحمل على ما فيكون تقديره ان يكن ما فى بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لما لم يكن تانيث
الميتة تانيث ذوات الفروج جاز تذكير الفعل كقوله فمن جاءه موعظة ويكون كان تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن
انث الفعل فكقوله سبحانه قد جاءتكم موعظة ووجه قراءة ابى بكر انما فى بطون الانعام من الانعام فلذلك انثها و
اما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة فتقديره ما فى بطون الانعام من الانعام خالصة لنا اى خالص فانث للمبالغة
فى الخلوص كما يقال فلان خالصة فلان اى صفيه والبالغ فى الصفاء والثقة عنده والتاء فيه للمبالغة وليكون ايضا
بلفظ المصدر نحو العافية والعاقبة والمصدر الى الجنسية فيكون اعم واوكد ويدل على ذلك قراءة من قرا خالص واما من
نصب خالصة وخالصا ففيه وجهان احدهما ان يكون حالا من الضمير فى الظرف الذى جرى صلة على ما فيكون
كقولهم الذى فى الدار قايما زيد ويكون قوله لذكورنا خبر المبتداء الموصول والاخر ان يكون حالا من ما على مذهب
ابى الحسن فى اجازته تقديم الحال على العامل فيها اذا كان معنى بعد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد فى الدار

واحتج بقوله سبحانه والارض جميعا قبضته يوم القيمة المعنى ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة اخرى فقال وقالوا يعنى
هولاء الكفار الذين تقدم ذكرهم ما فى بطون هذه الانعام يعنى البان البحاير والسيب عن ابن عباس والشعبى و
قتادة وقيل يعنى اجنة البحاير والسيب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد ميتا اكله الرجال
والنساء عن مجاهد والسدى وقيل المراد به كليهما خالصة لذكورنا لا يشركهم فيها احد من الاناث من قولهم فلان يخلص
العمل لله ومنه اخلاص التوحيد وسمى المذكور من الذكر الذى هو الشرف والذكر ابنه واذكر من الانثى ومحرم على ازواجنا
ان نسائنا وان تكن ميتة معناه ان يكن جنين الانعام ميتة فهم فيه شركاء اى الذكور والاناث فيه سواء ثم قال سبحانه
سيجزيهم وصفهم اى سيجزيهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء نصب وصفهم وقيل تقديره سيجزيهم جزاء وصفهم فحذف المضاف واقام
المضاف اليه مقامه عن الزجاج انه حكيم فيما يفعل بهم من العقاب اجلا وفى امهالهم عاجلا عليم بما يفعلونه لا يخفى عليه شىء منها
وقد عاب الله سبحانه الكفار فى هذه الاية من وجوه اربعة احدها ذبحهم الانعام بغير اذن الله وثانيها اكلهم على
ادعى التذكية افتراء على الله وثالثها تحليلهم للذكور وتحريمهم على الاناث تفرقة بين ما لا يفترق الا بحكم من الله و
رابعها تسويتهم بينهم فى الميتة من غير رجوع الى سمع يوثق به قوله عز وجل قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ اية القراءة قرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد
التاء والباقون بالتخفيف الحجة التشديد للتكثير والتخفيف يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك الاعراب قوله
سفها وافتراء على الله نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما فى قوله افتراء عليه المعنى ثم جمع سبحانه بين الفريقين الذين
قتلوا الاولاد والذين حرموا الحلال فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم خوفا من الفقر وهربا من العار ومعناه هلكت
نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الابد والخسران هلاك راس المال سفها اى جهلا وتقديره سفهوا بما فعلوه سفها والفرق
بين السفه والنزق ان السفه عجلة يدعو اليها الهوى والنزق عجلة من جهة حدة الطبع والغيظ بغير علم وهذا تاكيد لجهلهم وذهابهم
عن الصواب وحرموا ما رزقهم الله يعنى الانعام والحرث الذين زعموا انهما حجر عن الحسن فاعترض على بن عيسى على هذا فقال
الانعام كانت محرمة حتى ورد السمع فما قاله غير صحيح وهذا الاعتراض فاسد من حيث ان الركوب لا يحتاج الى السمع و
ان احتاج الذبح اليه لان الركوب مباح اذا قام بمصالحها ولان اكلها بعد الذبح مباح افتراء اى كذبا على الله سبحانه
قد ضلوا اى ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه وحكموا بحكم الشيطان فيما حكموا فيه وما كانوا مهتدين الى شىء من الدين
والخير والرشاد وفى هذه الايات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لانه سبحانه اضاف القتل والافتراء والتحريم اليهم
ونزه نفسه عن ذلك وذمهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الابد على غير جرم قوله عز وجل وَهُوَ
الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا
وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ اية القراءة قرا
اهل البصرة والشام وعاصم حصاده بالفتح والباقون حصاده بالكسر الحجة هما لغتان قال سيبويه جاءوا بالمصادر
حين ارادوا انتهاء الزمان على مثال فعال وكذلك الصرام والجداد والجرام والجزاز والقطاع والحصاد وربما دخلت
اللغتان فى بعض هذا فكان فيه فعال وفعال اللغة الانشاء احداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالابتداع و
الاختراع هو احداث الافعال فى الغير من غير سبب والخلق هو التقدير والترتيب والجنات البساتين التى يجنها الشجر من
النخل وغيره والروضة هو الخضراء بالنبات والزهر المشرق باختلاف الالوان الحسنة والعرش اصله الرفع ومنه سمى السرير
عرشا لارتفاعه والعرش السقف والملك وعرش الكرم رفع بعض اغصانها على بعض والعريش شبه الهودج يتخذ للمراة
والاسراف مجاوزة الحد وقد يكون المجاوزة الى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال
هنيدة يحدوها ثمانية ما فى عطايهم من ولا سرف اى ولا تقصير وقيل معناه ولا افراط الاعراب مختلفا اكله نصب على الحال

من انشاء وانما انتصب على الحال وان كان يؤكل بعد ذلك بزمان لامرين احدهما ان المعنى مقدرا اختلاف اكله كما فى قوله مررت برجل معه صقر صايدا به غدا اى مقدرا الصيد به غدا والثانى ان يكون معنى اكله ثمره الذى يصلح ان يؤكل المعنى لما حكى سبحانه عن المشركين انهم جعلوا بعض الاشياء للاوثان عقب ذلك البيان بانه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شئ منها الى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه الا باذنه فقال وهو الذى انشأ اى خلق وابتدع لا على مثال جنات اى بساتين فيها الاشجار المختلفة معروشات مرفوعات بالدعايم وقيل هو ما عرشه الناس من الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدى وقيل عرشها ان يجعل لها حظاير كالحيطان عن ابى على قال واصله الرفع ومنه قوله تعالى خاوية على عروشها يعنى على اعاليها وما ارتفع منها لم تدك فيستوى بالارض وغير معروشات يعنى ما خرج من قبل نفسه فى البرارى والجبال من انواع الاشجار عن ابن عباس وقيل معناه غير مرفوعات بل قايمة على اصولها مستغنية عن التعريش عن ابى مسلم والنخل والزرع اى وانشاء النخل والزرع مختلفا اكله اى طعمه وقيل ثمره وقيل هذا وصف للنخل والزرع جميعا فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون والطعم والرايحة والصورة وبعضها مختلفا فى الصورة ومتفقا فى الطعم وبعضها مختلفا فى الطعم متفقا فى الصورة وكل ذلك يدل على توحيده وعلى انه قادر على ما يشاء عالم بكل شئ والزيتون والرمان اى وانشاء الزيتون والرمان متشابها فى اللون والطعم والصورة وغير متشابه فيها وانما قرن الزيتون الى الرمان لانهما مشتبهان باكتناز الاوراق فى اغصانها كلوا من ثمره والمراد به الاباحة وان كان بلفظ الامر قال الجبائى وجماعة هذا يدل على جواز الاكل من الثمر وان كان فيه حق الفقراء واتوا حقه يوم حصاده هذا امر بايتاء الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذى يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان احدهما انه الزكوة العشر او نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفيه وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاوس والثانى انه ما تيسر مما يعطى المساكين عن جعفر بن محمد عن ابيه عليهما السلم وعطا ومجاهد وعمر وسعيد بن جبير والربيع بن انس وروى اصحابنا انه الضغث بعد الضغث والحفنة بعد الحفنة قال ابرهيم والسدى الايه منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لان هذه الاية مكية وفرض الزكوة انما نزل بالمدينة ولما روى ان الزكوة نسخ كل صدقة قالوا ولان الزكوة لا تخرج يوم الحصاد قال على بن عيسى وهذا غلط لان يوم حصاده ظرف لحقه وليس بظرف للايتاء المامور به ولا تسرفوا اى لا تجاوزوا الحد وفيه اقوال احدها انه خطاب لارباب الاموال اى لا تسرفوا بان تصدقوا بالجميع ولا تنفقوا للعيال شيئا كما فعل ثابت بن قيس بن شماس فانه صرم خمسين نخلة وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيئا فى داره لاهله عن ابى العاليه وابن جريج وثانيها ان معناه لا تقصروا بان تمنعوا بعض الواجب والتقصير سرف عن سعيد بن المسيب وثالثها ان المعنى لا تسرفوا فى الاكل قبل الحصاد كيلا يؤدى الى بخس حق الفقراء عن ابى مسلم ورابعها ان معناه لا تنفقوه فى المعصية ولا تضعوه فى غير موضعه وفى جميع هذه الاقوال الخطاب لارباب الاموال وخامسها ان الخطاب للايمة ومعناه لا تاخذوا ما يجحف بارباب الاموال ولا تاخذوا فوق الحق عن ابن زيد وسادسها ان الخطاب للجميع بان لا يسرف رب المال فى الاعطاء ولا الامام فى الاخذ وصرف ذلك الى غير مصارفه وهذا اعم فايدة انه لا يحب المسرفين ظاهر المعنى قوله عز وجل ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصيكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين ثلث ايات القراءة قرا ابن كثير الا ابن فليح وابن عامر واهل البصرة من المعز بفتح العين والباقون يسكونها الحجة قال ابو على من قرا المعز فانه جمع ماعز مثل خادم وخدم وحارس وحرس وطالب وطلب وقال ابو الحسن هو جمع على غير واحد وكذلك المعزى وحكى ابو زيد الامعوز كالكليب والضئين ومن قرا المعز فانه جمع ايضا مثل صاحب وصحب وقالوا المعيز

الطلب جمع الطالب وطلاب وطلب جمع الطالب وطلاب جمع الطلب وطلبات

تاجر

تاجر وتجر وراكب وركب وابو الحسن يرى هذا الجمع مستمرا ويرده فى التصغير الى الواحد فيقول فى تحقير ركب رويكبون وفى تجر تويجرون وسيبويه يراه اسما من اسماء الجموع وانشد ابو عثمان فى الاحتجاج لسيبويه اخشى ركيبا او رجيلا عاديا فتحقيره على لفظه يدل على انه اسم للجمع وانشد وابن ركيب واضعون رحالهم اللغة الحمولة الابل التى تحمل عليها الاثقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة بضم الحاء هى الاحمال وهى الحمول ايضا وانما قيل للصغار فرش لامرين احدهما الاستواء سنانها فى الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش والثانى انه من الفرش وهى الارض المستوية التى تتوطؤها الناس والزوج يقع على الواحد الذى يكون معه اخر وعلى الاثنين كما يقال للواحد والاثنين خصم وعدل والاشتمال اصله الشمول يقال شملهم الامر يشملهم وشملهم يشملهم شمولا اذا عمهم ومنه الشمال لشمولها على ظاهر الشئ وباطنه بتوتيها ولطفها ومن ذلك الشمول للخمر لاشتمالها على العقل وقيل لها عصفة كعصفة الشمال الاعراب حمولة عطف على جنات اى وانشاء من الانعام حمولة واثنين محمول على انشا ايضا اى ثمانية ازواج اثنين من كذا واثنين من كذا فثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا واثنين من كذا واثنين من كذا ابدل من ثمانية او عطف بيان وقوله آلذكرين حرم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل وفصل بينهما بالالف ولم يسقط همزة الوصل وفصل بينهما بالالف ولم يسقط همزة الوصل لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت لجاز لان ام يدل على الاستفهام وعلى هذا اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر فوالله ما ادرى وان كنت داريا شعيث بن سهم ام شعيث بن منقر استفهاما فيكون تقديره اشعيث وما فى قوله اما اشتملت فى موضع نصب بكونه عطفا على الانثيين المعنى ثم عطف سبحانه على ما عدده فيما تقدم من عظيم الانعام ببيان نعمته فى انشاء الانعام فقال ومن الانعام اى وانشاء من الانعام حمولة وفرشا قد قيل فيه اقوال احدها ان الحمولة كبار الابل والفرش صغارها عن ابن مسعود وابن عباس بخلاف والحسن بخلاف ومجاهد وثانيها ان الحمولة ما حمل عليه من الابل والبقر والفرش الغنم عن الحسن فى رواية اخرى وقتادة والربيع والسدى والضحاك وابن زيد وثالثها ان الحمولة كل ما حمل من الابل والبقر والخيل والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس فى رواية اخرى فكانه ذهب الى انه يدخل فى الانعام الحافر على وجه التبع ورابعها ان معناه ما تنتفعون به فى الحمل وما يفرشونه فى الذبح فمعنى الافتراش الاضطجاع للذبح عن ابى مسلم قال وهو كقوله فاذا وجبت جنوبها وروى عن الربيع بن انس ايضا ان الفرش ما يفرش للذبح وخامسها ان الفرش ما يفرش من اصوافها واوبارها ويرجع الصفتان الى الانعام اى من الانعام ما يحمل عليه ومنها ما يتخذ من اوبارها واصوافها ما يفرش ويبسط عن ابى على الجبائى كلوا مما رزقكم الله اى استحلوا الاكل مما اعطاكم الله ولا تحرموا شيئا منها كما فعله اهل الجاهلية فى الحرث والانعام وعلى هذا يكون الامر على ظاهره ويمكن ان يكون اراد نفس الاكل فيكون بمعنى الاباحة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين مضى تفسيره فى سورة البقرة ثم فسر سبحانه الحمولة والفرش فقال ثمانية ازواج تقديره وانشاء ثمانية ازواج انشا من الضان اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وانما اجمل ثم فصل الجمل لانه اراد ان تقرر على شئ شئ منه ليكون اشد فى التوبيخ من ان يذكر ذلك دفعة واحدة ومعناه ثمانية افراد لان كل واحد من ذلك يسمى زوجا فالذكر زوج الانثى والانثى زوج الذكر كما قال سبحانه امسك عليك زوجك وقيل معناه ثمانية اصناف من الضان اثنين يعنى الذكر والانثى ومن المعز اثنين الذكر والانثى والضان ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منه وواحد الضان ضاين كقولهم تاجر وتجر والانثى ضاينة وواحد المعز ماعز وقيل ان المراد بالاثنين الاهلى والوحشى من الضان والمعز والبقر والمراد بالاثنين من الابل العراب والبخاتى وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم وانما خص هذه الثمانية لانها جميع الانعام التى كانوا يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما احل الله تعالى الذكرين من الضان والمعز حرم الله ام الانثيين منهما ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين اى ام حرم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضان والانثى من المعز وانما ذكر الله سبحانه هذا على وجه الاحتجاج

عليهم بين به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من ان ما في بطون الانعام حلال للذكور وحرام على الاناث وغير ذلك مما حرموه فانهم لو قالوا حرم الذكرين لزمهم ان يكون كل ذكر حراما ولو قالوا حرم الانثيين لزمهم ان يكون كل انثى حراما ولو قالوا حرم ما اشتمل عليه رحم الانثى من الضان والمعز لزمهم تحريم الذكور والاناث فان ارحام الاناث يشتمل على الذكور والاناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا الجنس صغارا وكبارا وذكورا واناثا ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كانوا يخصون بالتحريم بعضا دون بعض فقد لزمتهم الحجة ثم قال نبئوني بعلم ان كنتم صادقين معناه اخبروني بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتموه وتحليل ما حللتموه ان كنتم صادقين في ذلك ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين هذا تفصيل لتمام الازواج الثمانية قل يا محمد الذكرين حرم الله منهما ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين قد تقدم معناه ام كنتم شهداء اي حضورا اذ وصيكم الله بهذا اي امركم به وحرم عليكم حتى تضيفوه اليه وانما ذكر ذلك لان طرق العلم اما الدليل الذي يشترك العقلاء في ادراك الحق به او المشاهدة التي يختص بها بعضهم دون بعض فاذا لم يكن واحد من الامرين سقط المذهب والمراد بذلك اعلمتموه بالسمع والكتب المنزلة وانتم لا تقرون بذلك ام شافهكم الله تعالى به فعلمتموه واذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي من اظلم لنفسه ممن كذب على الله واضاف اليه تحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلله ليضل الناس بغير علم اي يعمل عمل القاصد الى اضلالهم من اجل دعائه اياهم الى ما لا يثق بصحته مما لا يامن ان يكون فيه هلاكهم وان لم يقصد اضلالهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى الثواب لانهم يستحقون العقاب الدايم بكفرهم وضلالهم قوله عز وجل قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اية القراءة قرا ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة نصب وقرا ابو جعفر وابن عامر يكون بالتاء ميتة بالرفع والباقون بالياء ونصب ميتة وكلهم خففوا ميتة غير ابي جعفر فانه شددها الحجة قال ابو علي قراءة ابن كثير وحمزة محمولة على المعنى كانه قال الا ان يكون العين او النفس ميتة الا ترى ان المحرم لا يخلو من جواز العبارة عنه باحد هذه الاشياء وليس قوله الا ان يكون كقولك جاني القوم لا يكون زيدا وليس زيدا في ان الضمير الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التانيث لان الفعل انما يكون عاريا من علامة التانيث ومن ان يظهر معه الضمير اذا لم يدخل عليه ان فاما اذا ادخله ان فعلى حكم ساير الافعال ومن قرا بالياء ونصب ميتة فانه جعل فيه ضميرا مما تقدم وهو قياس ما تقدم ذكره اي الا ان يكون الموجود ميتة ومن قرا الا ان يكون ميتة فالحق علامة التانيث الفعل كما الحق في قوله قد جاتكم موعظة وتقديره الا ان تقع ميتة المعنى لما تقدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون عقبه ببيان المحرمات فقال قل يا محمد لهولاء الكفار لا اجد فيما اوحي الي اي اوحاه الله تعالى الي شيئا محرما على طاعم يطعمه اي على اكل ياكله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا وانما خص المصبوب بالذكر لان ما يختلط باللحم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو عنه مباح او لحم خنزير وانما خص الاشياء الثلثه هنا بذكر التحريم مع ان غيرها محرم فانه سبحانه ذكر في المايدة تحريم المنخنقة والموقوذة والمتردية وغيرها لان جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها فاجمل هنا وفصل هناك واجود من هذا ان يقال انه سبحانه خص هذه الاشياء بالتحريم تعظيما لحرمتها وبين تحريم ما عداها في مواضع اخر اما بنص القران واما بوحي غير القران وايضا فان هذه السورة مكية والمايدة مدنية فيجوز ان يكون غير ما في الاية من المحرمات انما حرم فيما بعد والميتة عبارة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية فانه رجس اي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقذر منفور عنه والرجس ايضا العذاب والهاء في قوله فانه عايد الى ما تقدم ذكره ذلك او فسقا عطف على قوله او لحم خنزير فلذلك نصبه اهل لغير الله به اي ذكر عليه اسم الاصنام والاوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسمي ما ذكر عليه اسم الصنم فسقا لخروجه عن امر الله تعالى واصل الاهلال رفع الصوت بالشيء قد ذكرنا في سورة المايدة فمن اضطر الى تناول شيء مما ذكرناه غير باغ ولا عاد قد سبق معناه في سورة البقرة فان ربك غفور رحيم حكم

بالرخصة

بالرخصة كما حكم بالمغفرة والرحمة قوله عز وجل وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ايتان اللغة الظفر ظفر الانسان وغيره ورجل اظفر اذا كان طويل الاظفار كما يقال اشعر لطويل الشعر والحوايا المباعر قال الزجاج واحدها حاوية وحاويا وحوية وهي ما تحوى في البطن فاجتمع واستدار الاعراب موضع الحوايا يحتمل ان يكون رفعا عطفا على الظهور وتقديره او ما حملت الحوايا ويحتمل ان يكون نصبا عطفا على ما في قوله الا ما حملت فاما قوله او ما اختلط بعظم فان ما منه معطوفة على ما الاولى لذلك يجوز ان يكون منصوب الموضع بانه مفعول ثان لجزيناهم التقدير جزيناهم ذلك ببغيهم ولا يجوز ان يرتفع بالابتداء لانه يصير التقدير ذلك جزيناهموه فيكون كقولهم زيد ضربت اي ضربته وهذا انما يجوز في ضرورة الشعر المعنى ثم بين سبحانه ما حرمه على اليهود فقال وعلى الذين هادوا اي على اليهود في ايام موسى حرمنا كل ذي ظفر اختلف في معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هو الابل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنانير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب عن القتيبي والبلخي ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما اخبر سبحانه انه كان حرم عليهم شحوم الغنم والبقر من الثرب وشحم الكلى وغير ذلك مما في اجوافها واستثنى من ذلك فقال الا ما حملت ظهورهما اي ما حملته ظهورها من الشحم وهو اللحم السمين فانه لم يحرم عليهم او الحوايا اي ما حملته الحوايا من الشحم فانه غير محرم عليهم ايضا والحوايا هي المباعر عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هي بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الامعاء التي عليها الشحوم عن الجبائي او ما اختلط بعظم هذا ايضا مستثنى من جملة ما حرم وهو شحم الجنب والالية لانه على العصعص عن ابن جريج والسدي وقيل الالية لم تدخل في ذلك لانها لم تستثن عن الجبائي فكانه لم يعتد بعظم العصعص قال الزجاج انما دخلت او هنا على طريق الاباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم اثما او كفورا والمعنى ان هولاء اهل ان يعصا فاعص هذا او اعص هذا او بلغة في هذا المعنى لانك اذا قلت لا تطع زيدا او عمرا او خالدا فالمعنى ان هولاء كلهم اهل ان لا يطاع فلا تطع واحدا منهم ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن او ابن سيرين او الشعبي ذلك جزيناهم ببغيهم المعنى حرمنا ذلك عليهم عقوبة لهم بقتلهم الانبياء واخذهم الربوا واستحلالهم اموال الناس بالباطل فهذا بغيهم وهو كقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقيل بغيهم ظلمهم على انفسهم في ارتكابهم المحظورات وقيل ان ملوك بني اسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم عن اكل لحوم الطير والشحوم فحرم الله ذلك ببغيهم على فقرائهم ذكره علي بن ابرهيم في تفسيره ويسال فيقال كيف يكون التكليف عقوبة وهو تابع للمصلحة وتعريض للثواب وجوابه انه انما سمي جزاء وعقابا لان عظيم ما فعلوه من المعاصي اقتضى تحريم ذلك ويعتبر المصلحة فيه ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك وانا لصادقون اي في الاخبار عن التحريم وعن بغيهم وفي كل شيء وفي ان ذلك التحريم عقوبة لاوايلهم ومصلحة لمن بعدهم الى وقت النسخ فان كذبوك يا محمد فيما تقول فقل ربكم ذو رحمة واسعة لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل يمهلكم ولا يرد باسه اي لا يدفع عذابه اذا جاء وقته عن القوم المجرمين اي المكذبين قوله عز وجل سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ثلث ايات اللغة هلم قال الزجاج انها ها ضمت اليها لم وجعلتا كالكلمة الواحدة فاكثر اللغات ان يقال هلم للواحد والاثنين والجماعة

وللجماعة بذلك جاء القران نحو قوله هلمّ الينا ومعنى هلم شهداءكم هاتوا شهداءكم ومن العرب من يثنى ويجمع ويؤنث فيقول للذكر هلم وللاثنين هلما وللجماعة هلموا وللمؤنث هلمى وللنسوة هلممن وفتحت لانها مدغمة كما فتحت رُدَّ يا هذا فى الامر لالتقاء الساكنين ولا يجوز فيها هلم للواحد بالضم كما يجوز فى ردّ الفتح والضم والكسر فانها لا ينصرف قال ابو على هى فى اللغة الاولى بمنزلة رُوَيْدَ وصَهْ ومَهْ ونحو ذلك من الاسماء التى سميت بها الافعال وفى الاخرى بمنزلة ردّ فى ظهور علامات الفاعلين فيما يظهر فى ردوا ما ها اللاحق بها فهى التى للتنبيه لحقت اولا لان لفظ الامر قد يحتاج له الى استعطاف المامور به واستدعاء اقباله على الامر فهو لذلك يقرب من المنادى ومن ثم دخل حرف التنبيه فى الا يا اسجدوا الا ترى انه امر كما ان هذا امر وقد دخل فى جمل اخر نحوها انتم هؤلاء فكما دخل فى هذه المواضع كذلك لحقت لم الا انه كثر الاستعمال معها فغير بالحذف لكثرة الاستعمال كاشياء تغير لذلك نحو لم ابل ولا ادر ولم يك وما اشبه ذلك مما يغير للكثرة **المعنى** لما تقدم الرد على المشركين اعتقاداتهم الباطلة رد عليهم سبحانه هنا مقالتهم الفاسدة فقال سيقول الذين اشركوا اى سيحتج هولاء المشركون فى اقامتهم على شركهم وفى تحريمهم ما احله الله تعالى بان يقولوا لو شاء الله ما اشركنا اى لو شاء الله ان لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم ولا اباؤنا واراد هنا خلاف ذلك ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ اى شيئا من ذلك ثم كذبهم الله تعالى فى ذلك بقوله كذلك ثم كذبهم الله تعالى فى ذلك بقوله كذلك اى مثل هذا التكذيب الذى كان من هؤلاء فى انه منكر كذب الذين من قبلهم وانما قال كذب بالتشديد لانهم بهذا القول كذبوا رسول الله صلى الله عليه واله فى قوله لهم ان الله سبحانه امركم بتوحيده وترك الاشراك به وترك التحريم لهذه الانعام فكانوا يقولون لهم ان الله اراد منا ذلك وشاءه ولو اراد غيره ما فعلناه فكذبوا رسول الله عليه السلم كما كذب من تقدمهم انبياءهم فيما اتوا به من قبل الله تعالى حتى ذاقوا باسنا اى حتى نالوا عذابنا وقيل معناه حتى اصابوا العذاب المعجل ودل بذلك على ان لهم عذابا مدّخرا عند الله تعالى لان الذوق اول ادراك الشئ قل يا محمد لهم حاجا لهم عما قالوه من ان الشرك بمشية الله تعالى هل عندكم من علم اى حجة تؤدى الى علم وقيل معناه هل عندكم علم فيما يقولون فتخرجوه لنا اى فتخرجوا ذلك العلم وتلك الحجة لنا بين سبحانه بهذا انه ليس عندهم علم ولا حجة فيما يضيفونه الى الله تعالى وان ما قالوه باطل ثم اكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم فى مقالتهم بقوله ان تتبعون الا الظن اى ما تتبعون فيما تقولونه الا الظن والتخمين وان هم الا يخرصون اى تكذبون فى هذه المقالة على الله تعالى وفى هذه الاية دلالة واضحة على ان الله سبحانه لا يشاء المعاصى والكفر وتكذيب ظاهر لمن اضاف ذلك الى الله سبحانه تعالى عن ارادة القبيح وجميع صفات النقص علوا كبيرا قل يا محمد اذ عجز هؤلاء عن اقامة حجة على ما قالوه فلله الحجة البالغة والحجة البينة الصالحة المصححة للاحكام وهى التى تقصد الى الحكم بشهادته ماخوذ من حج اذا قصد والبالغة هى التى تبلغ قطع عذر المحجوج بان تزيل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها واستدل بها وانما كانت حجة الله صحيحة بالغة لانه لا يحتج الا بالحق وبما يؤدى الى العلم فلو شاء لهداكم اجمعين اى لو شاء لالجاكم الى الايمان وهداكم جميعا اليه بفعل الالجاء الا انه لم يفعل ذلك وان كان فعله حسنا لان الالجاء ينافى التكليف وهذه المشية تخالف المشية المذكورة فى الاية الاولى لان الله تعالى اثبت هذه ونفى تلك وذلك لا يستقيم الا على الوجه الذى ذكرناه فالاولى مشية الاختيار والثانية مشية الالجاء وقيل ان المراد به لو شاء لهداكم الى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للثواب الذى لا يحسن الابتداء بمثله ولو كان الامر على ما قاله اهل الجبر من ان الله تعالى شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله تعالى من حيث فعلوا ما شاء الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لان الطاعة هى امتثال الامر المراد ولا يكون الحجة لله تعالى عليهم على قولهم من حيث انه خلق فيهم الكفر واراد منهم الكفر فاى حجة له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه ان الطريق الموصل الى صحة مذاهبهم مسند غير ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذه صفته فهو فاسد لا محالة فقال قل يا محمد لهم هلم شهداءكم اى احضروا وهاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحة ما تدعونه من ان الله حرم هذا الذى ذكر مما حرمه المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث والانعام وغيرها فان شهدوا فلا

هذا مع قيام الادلة العقلية التى لا يدخلها التاويل على انه سبحانه م

تشهد معهم معناه فان لم يجدوا شاهدا يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا بانفسهم فلا تشهد انت معهم وانما نهاه عن الشهادة معهم لان شهادتهم تكون شهادة بالباطل فان قيل كيف دعاهم الى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم والجواب ان امرهم ان ياتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فاذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لانفسهم فلا ينبغى ان تقبل شهادتهم او تشهد معهم لانها ترجع الى دعوى مجردة بعيدة من الثواب وقيل انه سبحانه اراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن احد غير العرب يشهد على ذلك لانه كان للعرب شرايع شرعوها لانفسهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا الخطاب للنبى عليه السلم والمراد امته اى لا تعتقد مذهب من اعتقد مذهبه هوى ويمكن ان يتخذ الانسان المذهب هوى من وجوه منها ان يهوى من سبق اليه فيقلده فيه ومنها ان يدخل عليه شبهة فيتخيله بصورة الصحيح مع ان فى عقله ما يمنع منه ومنها ان يقطع النظر دون غايته للمشقة التى يلحقه فيعتقد المذهب الفاسد ومنها ان يكون نشاء على شئ والفه واعتاده فيصعب عليه مفارقته وكل ذلك يتميز مما استحسنه بعقله والذين لا يؤمنون بالاخرة اى ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالاخرة انما ذكر الفريقين وان كانوا كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لان منه ما يكون مع الاقرار بالاخرة كحال اهل الكتاب ومنه ما يكون مع الانكار كحال اهل الاوثان وهم بربهم يعدلون اى يجعلون له عدلا وهو المثل وفى الاية دلالة على فساد التقليد لانه سبحانه طالب الكفار على صحة مذهبهم وجعل عجزهم عن الاتيان بها دلالة على بطلان قولهم وايضا فانه سبحانه اوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى قوله عز وجل قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون **اية اللغة** تعالوا مشتق من العلو على تقدير ان الداعى فى المكان العالى وان كان فى مستو من الارض كما يقال للانسان ارتفع الى صدر المجلس والتلاوة مثل القراءة والمتلو مثل المقرو والتلاوة غير المتلو كما ان الحكاية غير المحكى فالمتلو والمحكى هو الكلام الاول والتلاوة والحكاية هى الثانى منه على طريق الاعادة والاملاق الافلاس من المال ومنه الملق والتملق لانه اجتهاد فى تقرب المفلس للطمع فى العطية والفواحش جمع فاحشة وهى القبيح العظيم القبح والقبيح يقع على الصغير والكبير لانه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش **الاعراب** ما حرم ربكم فى موضع نصب بحرم لان التلاوة بمنزلة القول فكانه قال اقول اى شئ حرم ربكم عليكم اهذا ام هذا فجايز ان يكون الذى تلاه عليهم قوله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او يكون ان لا تشركوا منصوبة بمعنى طرح اللام اى ابين لكم الحرام لان لا تشركوا لانهم اذا حرموا ما احل الله فقد جعلوا غير الله فى القبول منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز ان يكون ان لا تشركوا به شيئا محمولا على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم ان لا تشركوا به شيئا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على معنى اوصيكم بالوالدين احسانا هذا كله قول الزجاج ويجوز ان يكون منصوبا بان ويكون لا للنفى ويجوز ان يكون مجزوما بلا على النهى واذا كان منصوبا فيكون قوله ولا تشركوا لا تقتلوا اولادكم عطفا بالنهى على الخبر وجاز ذلك كما جاء فى قوله قل انى امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين وقال جامع العلوم البصير الاصفهانى يجوز ان يقف على عليكم ثم يبتدى بان لا تشركوا اى هو ان لا تشركوا اى هو الاشراك اى المحرم الاشراك ولا زيادة ويجوز ان يكون ما استفهاما فيقف على قوله ربكم ثم يبتدى فيقول عليكم الا تشركوا اى عليكم ترك الاشراك وهذا وقف بيان وتمام قوله قل تعالوا عند قوله ما حرم اى اتل هذا وهذا ومن كسر فالتقدير وقل ان هذا صراطى وكذلك ثم اتينا اى وقل ثم اتينا وهذا كله داخل فى التلاوة والقول **المعنى** لما حكى سبحانه عنهم تحريم ما حرموه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه قل يا محمد لهؤلاء المشركين تعالوا اى اقبلوا وادنوا اتل اى اقرأ ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا لا فرق بين ان يقول لا تشركوا به شيئا وبين ان يقول حرم عليكم ان تشركوا به شيئا اذ النهى يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمله من المعانى فى الاعراب وقد قيل ايضا ان الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم الا

والزاد م

بقوله اتل المعنى اتل الذى حرمه ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجايز ان يكون فى موضع نصب م

اى اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز ان يكون على معنى اوصيكم ان لا تشركوا به شيئا م

بلقاء ربهم يؤمنون لان قوله وان هذا صراطى فيمن فتح معطوف على قوله م

اى منعكم عنه بالنهى ثم بدا بالتوصيل فقال م الا تشركوا به شيئا اى امركم م

تشركوا به كقوله سبحانه عليكم انفسكم وبالوالدين احسانا اى وامر بالوالدين احسانا اى اوصى بالوالدين احسانا
ويدل على ذلك فهاان فى حرم كذا معنى اوصى بتحريمه وامر بتجنبه ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم الله سبحانه
فى التربية امر بالاحسان اليهما بعد الامر بعبادة الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق اى خوفا من الفقر عن ابن
عباس وغيره نحن نرزقكم واياهم اى فان رزقكم ورزقهم جميعا علينا ولا تقربوا الفواحش اى المعاصى والقبايح كلها ما ظهر
منها وما بطن اى ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل انهم كانوا لا يرون بالزنا فى السر باسا ويمنعون منه علانية فنهى
الله سبحانه عنه فى الحالين عن ابن عباس والضحاك والسدى وقريب منه ما روى عن ابى جعفر عليه السلام انما ظهر
هو الزنا وما بطن هو المخالة وقيل ان ما ظهر افعال الجوارح وما بطن افعال القلوب فالمراد ترك المعاصى كلها وهذا
اعم فايدة ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق اعاد ذكر القتل وان كان داخلا فى الفواحش تفخيما لشانه وتعظيما
لامره والنفس المحرم قتلها هى نفس المسلم والمعاهد دون الحربى والحق الذى يستباح به قتل النفس المحرمة ثلثة اشياء القود
والزنا بعد الاحصان والكفر بعد الايمان ذلكم خطاب لجميع الخلق اى ما ذكر فى هذه الاية وصاكم به على ان الوصية
مضمرة فى اول الاية على ما قلناه وفى قوله سبحانه ان لا تشركوا به شيئا دلالة على ان التكليف قد يتعلق بان لا يفعل كما يتعلق
بالفعل وعلى انه يستحق الثواب والعقاب على ان لا يفعل وهو الصحيح من المذهب قوله عز وجل ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم
فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ايتان القراءة قرا اهل الكوفة الا
ابا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرا اهل الكوفة غير عاصم وان هذا بكسر الهمزة والباقون
بفتحها وكلهم شدد النون الا ابن عامر ويعقوب فانهما قرءا ان بالتخفيف وكلهم سكن الياء فى صراطى الا ابن عامر فانه فتحها
وقرا ابن عامر وابن كثير سراطى بالسين وقرا حمزة بين الصاد والزاء الحجة القراءتان فى تذكرون متقاربتان والاصل
تتذكرون فمن خفف حذف التاء الاولى ومن شدد ادغم التاء الثانية فى الذال واما من فتح وان هذا فانه حملها على فاتبعوه
قال قياس قول سيبويه فى قوله لايلاف قريش وقوله وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وفى قوله وان المساجد
لله فلا تدعوا مع الله احدا فيكون على تقدير ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ومن خفف فقال وان هذا فان الخفيفه
فى قوله يتعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطى وفى ان ضمير القصة والحديث وعلى هذه
الشريطة تخفف وليست المفتوحة كالمكسورة اذا خففت وعلى هذا قول الاعشى فى فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك
كل من يحفى وينتعل والفاء التى فى قوله فاتبعوه على قول من كسر ان عاطفة جملة على جملة وعلى هذا قول من فتح ان
زايدة اللغة الاشد واحدها شد مثل الاشر فى جمع شر والاضر فى جمع ضر والشد القوة وهو استحكام قوة الشباب
والسن كما اشد النهار هو ارتفاعه قال عنترة عهدى به شد النهار كانما خضب البنان وراسه بالعظلم وقيل
هو جمع شدة مثل نعمة وانعم وقال بعض البصريين الاشد واحد فيكون مثل الانك قال سيبويه الذكر والذكرى بمعنى وذكر
فعل يتعدى الى مفعول واحد فاذا ضاعفت العين تعدى الى مفعولين كما فى قوله يذكرنيك حنين العجول ونوح
الحمامة تدعو هديلا ويقول ذكرته فتذكر فتفعل مطاوع فعل كما ان تفاعل مطاوع فاعل المعنى ثم ذكر سبحانه
تمام ما تلوا عليهم فقال ولا تقربوا مال اليتيم والمراد بالقرب التصرف فيه وانما خص مال اليتيم بالذكر لانه لا يستطيع
الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع فى ماله اشد ويد الرغبة اليه امد فاكد سبحانه النهى عن التصرف فى ماله
وان كان ذلك واجبا فى مال كل واحد الا بالتى هى احسن اى بالخصلة الحسنى والطريقة الحسنى ولذلك انث وقد قيل
فى معناه اقوال احدها ان معناه الا بتثمير ماله بالتجارة عن مجاهد والضحاك والسدى وثانيها بان ياخذ القيم عليه بالاكل بالمعروف

دون

اى امركم به لعلكم تعقلون اى لكى تعقلوا ما امركم الله تعالى به فتحللوا ما حلله لكم وتحرموا ما حرم عليكم ودل قوله سبحانه وصاكم به على ما

العجول الثاكل ... الحمام والهديل صوت الحمام ...

دون الكسوة عن ابن زيد والجبائى وثالثها ان يحفظ عليه حتى يكبر حتى يبلغ اشده اختلف فى معناه فقيل انه بلوغ الحلم عن الشعبى
وقيل هو ان يبلغ ثمانى عشرة سنة وقال السدى هو ان يبلغ ثلثين سنة ثم نسخها قوله حتى اذا بلغوا النكاح الاية وقال ابو حنيفة اذا بلغ
خمسا وعشرين سنة دفع المال اليه وقبل ذلك يمنع منه اذا لم يونس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويونس
منه الرشد فيسلم اليه ماله وهذا اقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم اشده مما يبيح قرب ماله بغير الاحسن ولكن تقديره ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتى هى احسن على الابد حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه بدليل قوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا واوفوا الكيل
اى اتموا والميزان بالقسط اى بالعدل والوفاء بغير بخس لا نكلف نفسا الا وسعها اى الا ما يسعها ولا تضيق عنه ومعناه هنا انه لما
كان التعديل فى الوزن والكيل على التحديد من اقل القليل يتعذر بين سبحانه انه لا يلزم فى ذلك الا الاجتهاد فى التحرز من النقصان واذا
قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى اى فقولوا الحق وان كان على ذى قرابة لكم وانما خص القول بالعدل دون الفعل لان من جعل عادته
العدل فى القول دعاه ذلك الى العدل فى الفعل ويكون ذلك من اكد الدواعى اليه وقيل معناه اذا شهدتم او حكمتم فاعدلوا
فى الشهادة والحكم وان كان المقول عليه والمشهود له او عليه قرابتك وهذا من الاوامر البليغة التى يدخل فيها مع قلة حروفها
الاقارير والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والاحكام والمذاهب والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبعهد الله اوفوا
قيل فى معنى عهد الله قولان احدهما ان كل ما اوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد اليهم بما يجب عليهم وبتقديم القول فيه والدلالة
عليه والاخر ان المراد به النذور والعهود فى غير معصية الله تعالى والمراد اوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك ذلكم اى ذلك
الذى تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا يقرب الا بالحق وايفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحرى الحق فيه على مقدار
الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد وصيكم الله سبحانه به لعلكم تذكرون اى لتتذكروه وتاخذوا به فلا تطرحوه
ولا تغفلوا عنه فتتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه وان هذا صراطى مستقيما ومن كسر ان فانه استانف قال ابن عباس يريد ان هذا
دينى دين الحنيفية اقوم الاديان واحسنها وقيل يريد ان ما ذكر فى هذه الايات من الواجب والمحرم صراطى لان امتثال ذلك على
ما امر به يؤدى الى الثواب والجنة فهو طريق اليها والى النعيم فيها مستقيما اى قيما لا عوج فيه ولا تناقض وهو منصوب على الحال
فاتبعوه اى اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته واحلوا حلاله وحرموا حرامه ولا تتبعوا السبل اى طرق الكفر والبدع والشبهات عن
مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان عن ابن عباس فتفرق بكم عن سبيله اى فتشتت وتميل
وتخالف بكم عن دينه الذى ارتضى وبه اوصى وقيل عن طريق الدين ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون لكى تتقوا عقابه باجتناب معاصيه
قال ابن عباس هذه الايات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وهى محرمات على بنى ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة
ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذا لاول شئ من التورية بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل
ما حرم ربكم عليكم الايات قوله عز وجل ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذى احسن وتفصيلا لكل شئ وهدى
ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ايتان القراءة
فى الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذى احسن بالرفع الحجة قال ابن جنى هذا مستضعف الاعراب عندنا لانه حذف المبتدا العايد
على الذى لان تقديره على الذى هو احسن وانما يحذف من صلة الذى الهاء المنصوبة بالفعل الذى هو صلتها نحو مررت بالذى ضربت
اى ضربته ومن المفعول بد وطال الاسم بصلته فحذف الهاء لذلك وليس المبتدا بنيف ولا فضلة فيحذف تخفيفا لا سيما وهو عايد الموصول
وعلى ان هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذى قايل لك شيئا وسوا اى بالذى هو قايل وقال لمرار مثل
الفتيان فى غبر الايام ينسون ما عواقبها اى ينسون الذى هو عواقبها ويجوز ان يكون ينسون معلقة كما علقوا نقيضها التى هى يعلمون
فيكون ما استفهاما وعواقبها خبرها كقولك قد علمت من ابوك وعلى الوجه الاول حمله اصحابنا وقال الزجاج تماما منصوب بانه مفعول
له وكذلك وتفصيلا وكذلك ما بعده والمعنى اتيناه لهذه العلة اى للتمام والتفصيل انزلناه فى موضع رفع بانه صفة كتاب المعنى
ثم اتينا موسى الكتاب قيل فى معنى ثم اتينا موسى الكتاب قيل فى معنى مع ان كتاب موسى قبل القران وثم يقتضى التراخى وجوه احدها انه فيه حذف

اى ولان هذا صراطى ومن خفف فتقديره ولان هذا صراطى

واصله فتتفرق

لا بد من كذا اى لا محيد عنه ولا يعرف استعماله الا مقرونا بالنفى المصباح المنير

وتقديره ثم قل يا محمد اتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا وثانيها ان تقديره ثم اتل عليكم اتينا موسى الكتاب ويكون عطفا على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما اتاه الله موسى عن الزجاج وثالثها انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم انه اعطى موسى الكتاب والذي يؤيده قول الشاعر ولقد ساد ثم ساد ابوه ثم قد ساد قبل ذلك جده ورابعها انه يتصل بقوله في قصة ابرهيم ووهبنا له اسحق ويعقوب فعد سبحانه نعمه عليه بما جعل في ذريته من الانبياء ثم عطف عليه بذكر ما انعم عليه بما اتى موسى عليه السلام من الكتاب والنبوة وهو ايضا من ذريته عن ابي مسلم واستحسنه المغربي تماما على الذي احسن قيل فيه وجوه احدها تماما على احسان موسى فكانه قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الاخرة عن الربيع والفرا وثانيها تماما على المحسنين عن مجاهد وقيل ان في قراءة عبد الله تماما على الذين احسنوا فكانه قال تماما للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم والنون قد تحذف من الذين كما في البيت وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد ويجوز ان يكون الذي للجنس ويكون بمعنى من احسن وثالثها ان معناه تماما على احسان الله الى انبيائه عن ابن زيد ورابعها ان معناه تماما لكرامته في الجنة على احسانه في الدنيا عن الحسن وقتادة وقال قتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الاخرة وخامسها ان معناه تماما على الذي احسن الله سبحانه الى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي وسادسها ما قاله ابو مسلم انه يتصل بقصة ابرهيم فيكون المعنى تماما للنعمة على ابرهيم ولجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصدق الذي سال الله سبحانه ان يجعله له ولفظة على تقتضي المضاعفة عليه ولو قال تماما لم يات بقوله على الذي احسن لدل على نقصانه قبل تكميله وتفصيلا لكل شيء اي وبيانا لكل ما يحتاج اليه الخلق وهدى اي ودلالة على الحق والدين يهتدى بها الى التوحيد والعدل والشرايع ورحمة اي نعمة على ساير المكلفين بما فيه من الامر والنهي والوعد والوعيد والاحكام لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون معناه لكي يؤمنوا بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله تفخيما لشانه مع ما فيه من الايجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع الى ملكه وسلطانه يوم لا يملك احد سواه شيئا وهذا كتاب يعني القران وصفه بهذا الوصف لبيان انه مما ينبغي ان يكتب لاجل الحكم انزلناه بمعنى نزل به جبرئيل الى محمد صلى الله عليه واله فاضاف النزول الى نفسه توسعا مبارك وهو ما ياتي من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه واصله الثبوت ومنه براكاء القتال في قوله وما ينجي من الغمرات الا براكاء القتال او الفرار ومنه تبارك الله اي تعالى بصفة اثبات لا اول له ولا اخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى فاتبعوه اي اعتقدوا صحته واعملوا وكونوا من اتباعه واتقوا معاصي الله ومخالفته ومخالفة كتابه لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا وانما قال واتقوا لعلكم ترحمون مع انهم اذا اتقوا رحموا لا محالة لامرين احدهما انه اتقوا على رجاء الرحمة لانكم لا تدرون بما توافون في الاخرة والثاني اتقوا لترحموا اي ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب قوله عز وجل أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ اثنان الاعراب قال الزجاج ان تقولوا معناه عند البصريين كراهة ان تقولوا وهم لا يجيزون اضمار لا فلا يقولون جيتك ان اكرمك اي لان لا اكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان اكرمك على اضمار محبة ان اكرمك او كراهة ان اكرمك وتكون الحال ينبئ عن الضمير او تقولوا نصب تقولوا بانه معطوف على ان تقولوا اي وكراهة ان تقولوا واقول انه اراد به مفعول له على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه واذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع ان فلان يجوز مع ان اجدر مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائي موضع ان تقولوا نصب باتقوا اي تقوا يا اهل مكة ان تقولوا ولو انا فتحت ان بعد لو مع انه لا يقع فيه المصدر لان الفعل مقدر بعد لو فكانه قيل لو وقع الينا انا انزل الكتاب علينا الا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يجذف مع المصدر الا في الشعر قال لو غيركم علق الزبير بحبله ادى الجوار الى بني العوام المعنى ثم بين سبحانه انما انزل القران قطعا للمعذرة وازاحة للعلة فقال ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا يا اهل مكة او لئلا تقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا اي جماعتين

وهم

وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وانما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور امرهما اي انزلنا عليكم هذا الكتاب ليقطع حجتكم وان كنا عن دراستهم لغافلين والمعنى انا كنا غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لانهم كانوا اهله دوننا ولو اريد منا ما اريد منهم لانزل الكتاب علينا كما انزل عليهم او تقولوا يا اهل مكة لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم في المبادرة الى قبوله والتمسك به لانا اجود اذهانا واثقب معرفة منهم فان العرب كانوا يدلون بجودة الفهم وذكاء الحدس وحدة الذهن وقد يكون العارف بالشيء اهدى اليه من عارف آخر بان يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبان يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الاخر ثم قال سبحانه فقد جاءكم بينة من ربكم اي حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القران وهدى يهتدى به الخلق الى النعيم المقيم والثواب العظيم ورحمة اي نعمة لمن اتبعه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بايات الله وصدف عنها اي اعرض عنها غير مستدل بها ولا متفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب اي شدة العذاب وهو ما اعد الله للكفار نعوذ بالله منه بما كانوا يصدفون اي جزاء بما كانوا يصدفون عن القران ومن اتى به وهو محمد صلى الله عليه واله وفي هذا دلالة على ان انزال القران لطف للمكلفين وانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة واذا كان في منع اللطف حجة للمكلف فمنع القدرة وخلق الكفر اولى بذلك فان قيل فهل للذين ماتوا قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان عذر اولئك كان مقطوعا بالعقل وبما تقدم من الاخبار والكتب وهؤلاء ايضا لو لم ياتهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت بذلك فعله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لانزل عليهم مثل ما انزل على هؤلاء واذا لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصالحهم قوله عز وجل هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ آية القراءة قرا حمزة والكسائي وخلف ياتيهم بالياء ههنا وفي النحل وقرا الباقون تاتيهم بالتاء وقد مضى الكلام في مثال ذلك المعنى ثم توعدهم سبحانه فقال هل ينظرون معناه ما ينتظرون هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم وقال ابو علي الجبائي معناه هل ينتظر انت يا محمد واصحابك الا هذا وهم وان انتظروا غيره فلذلك لا يعتد به من حيث ما ينتظرونه من هذه الاشياء المذكورة لعظم شانها فهو مثل قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم اذا تكلم بما لا يعتد به الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لانزال العذاب والخسف بهم وقيل عذاب القبر او ياتي ربك فيه اقوال احدها او ياتي امر ربك بالعذاب فحذف المضاف ومثله وجاء ربك عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله ان الذين يؤذون الله يعني اولياء الله وقال ابن عباس ياتي امر ربك فيهم بالقتل وثانيها او ياتي ربك بجلايل اياته فيكون حذف الجار ووصل الفعل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه وهي قيام الدليل في العقل على ان الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال ولا يختلف عليه الحال وثالثها ان المعنى او ياتي اهلاك ربك اياهم بعذاب عاجل او اجل او بالقيمة وهذا كقولنا قد نزل فلان ببلد كذا وقد اتاهم فلان او ياتي بعض ايات ربك يعني طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة احدكم اي موته وامر العامة يعني القيمة يوم ياتي بعض ايات ربك التي تضطرهم الى المعرفة وتزول التكليف عندها لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل لانه ينسد باب التوبة بظهور ايات القيمة ويضطر الله تعالى كل احد الى معرفته ومعرفة المحسنات والمقبحات ضرورة ويعرفه انه ان حاول القبيح او ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملجا الى فعل الحسن وترك القبيح او كسبت في ايمانها خيرا عطف على قوله امنت في معناه اقوال احدها انه انما قال ذلك على وجه التغليب لان الاكثر من ينتفع بايمانه حينئذ من كسب في ايمانه خيرا وثانيها انه لا ينفع احدا فعل الايمان ولا فعل خير فيه في تلك الحال لانها حال زوال التكليف وانما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدي فيكون معناه لا ينفعه ايمانه حينئذ وان كسب في ايمانه خيرا اي طاعة وبرا لان الايمان واكتساب الخير انما ينفعان من قبل وثالثها انه الابهام في احد الامرين والمعنى انه لا ينفع في ذلك اليوم ايمان نفس لم تكن امنت قبل ذلك اليوم او ضمت الى ايمانها افعال الخير فانها اذا امنت قبل نفعها ايمانها وكذلك اذا ضمت الى الايمان طاعة نفعتها ايضا يريد انه لا ينفع حينئذ

اي قد اتبعهم عن الزجاج او ياتي بعض ... وذلك عند خروج الدابة او طلوع الشمس

ايمان من امن من الكفار و لاطاعة من اطاع من المومنين ومن امن من قبل نفعه ايمانه بانفراده وكذلك من اطاع من المومنين
نفعته طاعته ايضا وهذا اقوى الاقوال واوضحها قل انتظروا اتيان الملائكة ووقوع هذه الايات انا منتظرون بكم ووقوعها وفى
هذه الاية حث على المسارعة الى الايمان والطاعة قبل الحال التى لا يقبل فيها التوبة وفيها ايضا حجة على من يقول ان الايمان اسم
لاداء الواجبات او الطاعات فانه سبحانه قد صرح فيها بان اكتساب الخيرات غير الايمان المجرد لعطفه سبحانه كسب الخيرات وهى الطاعات
فى الايمان على فعل الايمان فكانه قال لا ينفع نفسا الايمن من قبل ذلك اليوم وقد عكس الحاكم ابو سعد فى تفسير الامر فيه فقال
هو خلاف ما يقوله المرجئة لان تدل على ان الايمان بمجرده لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات وليت شعرى كيف تدل الاية
على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم فيه لخصمه عليه وهل هذا الا عدول عن سنن العدل والانصاف قوله عز وجل
إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ اية القراءة
قراء حمزة والكسائى ههنا وفى الروم فارقوا بالالف وهو المروى عن على عليه السلم والباقون فرقوا بالتشديد الحجة قال ابو على من
قراء فرقوا بالتشديد فتقديره يومنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض ومن قرأ فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤل الى
معنى فرقوا الا ترى انهم لما امنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه اللغة الشيع الفرق التى
يمالى بعضهم بعضا على امر واحد مع اختلافهم فى غيره وقيل ان اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعا ظهر وشيعت
النار اذا القيت عليها الحطب فكانك تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال شاعكم السلم واشاعكم السلام اى تبعكم السلم
قال الا يا نخلة من ذات عرق برود الظل شاعكم السلام وتقول اتيك غدا او شيعه اى او اليوم الذى يتبعه فمعنى
الشيعة التى يتبع بعضهم بعضا قال الكميت وما لى الا ال احمد شيعة وما لى الا مشعب الحق مشعب المعنى ثم عطف سبحانه على
ما قدمه من الوعيد قال ان الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا اختلف فى المعنيين بهذه على اقوال احدها انهم الكفار واصناف
المشركين عن السدى والحسن ونسختها اية السيف وثانيها انهم اليهود والنصارى لانه يكفر بعضهم بعضا عن قتادة وثالثها انهم
اهل الضلالة واصحاب الشبهات والبدع من هذه الامة رواه ابو هريرة وعايشة مرفوعا وهو المروى عن الباقر عليه السلم
جعلوا دين الله اديانا لاكفار بعضهم بعضا وصاروا احزابا وفرقا لست منهم فى شئ هذا خطاب للنبى صلى الله عليه واله و
اعلام له انه ليس منهم فى شئ وانه على المباعدة التامة من ان يجتمع معهم فى معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض
لانهم يجتمعون فى معنى من المعانى الباطلة وان افترقوا فى غيره فليس منهم فى شئ لانه برئ من جميعه وقيل معناه لست من
مخالطتهم فى شئ وانما هو نهى للنبى صلى الله عليه واله من مقاربتهم وامر له بمباعدتهم عن قتادة وقيل معناه لست من قتالهم
فى شئ ثم نسختها اية القتال عن الكلبى والحسن انما امرهم الى الله فى مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل امرهم فى الانظار والاستيصال
الى الله وقيل الحكم بينهم فى اختلافهم الى الله ثم ينبئهم اى يخبرهم ويجازيهم بما كانوا يفعلون يوم القيمة فيظهر المحق من المبطل قوله
عز وجل مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اية القراءة قرا يعقوب
عشر منون امثالها برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير والباقون عشر مضاف امثالها مجرور الحجة من قراء عشر امثالها
فالمعنى له عشر حسنات امثالها فتكون امثالها صفة للموصوف الذى اضيف اليه عشر ومن قراء عشر امثالها فيكون امثالها صفة
لعشر هذا قول الزجاج وحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ضعيف عند المحققين واكثر ما ياتى فى الشعر والاولى ان
يكون امثالها غير صفة فى قوله عشر امثالها بل يكون محمولا على المعنى فانث الامثال لما كان فى معنى الحسنات وحكى عن ابى
عمرو انه سمع اعرابيا يقول فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها قال فقلت له اتقول جاءته كتابى قال نعم اليس بصحيفة اللغة
الحسنة اسم للاعلى فى الحسن ودخول الهاء للمبالغة قال على بن عيسى دخول الهاء يدل على انها طاعة اما واجب او ندب وليس
كل حسن كذلك لان فى الحسن ما هو مباح ولا يستحق عليه مدح ولا ثواب واقوى من ذلك ان يقال دخول لام التعريف

فيها تدل على انها المامور بها لام العهد والله سبحانه لا يامر بالمباح المعنى لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصى عقبه بذكر الوعد و
تضعيف الجزاء فى الطاعات فقال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اى من جاء بالخصلة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر امثالها من
الثواب ومن جاء بالسيئة بالخصلة الواحدة من خصال الشر فلا يجزى الا مثلها وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل انعامه
على عباده حيث لا يقتصر فى الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب المومن منا منه عليه وتفضلا وان
عاقبه عاقبه على قدر الاستحقاق عدلا وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين وعلى هذا فان اصل
الحسنات التوحيد واسوء السيئات الكفر وهم لا يظلمون بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب ثم اختلف الناس فى هذه
العشر التى وعدها الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثوابا ام لا فقال بعضهم لا يكون كلها ثوابا وانما يكون الثواب منها الواحدة والتسع
الزايدة يكون تفضلا ويؤيده قوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله فيكون على هذا معنى عشر امثالها فى النعيم بمقارنة التعظيم والاجلال
الذين لولاهما ما حسن التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوز ان يساوى الثواب التفضل على وجه فيكون على قولهم كل ذلك
ثوابا قال الزجاج ان المجازاة من الله عز وجل على الحسنة بدخول الجنة شئ لا يبلغ وصف مقداره فاذا قال عشر امثالها وقال كمثل
حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة وقال فيضاعفه اضعافا كثيرة فالمعنى فى هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات
على التضعيف للمثل الواحد الذى هو النهاية فى التقدير فى النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين عشرة اضعاف الى سبعمائة ضعف
الى اضعاف كثيرة وقد قيل ايضا فى ذلك ان المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره الا الله تعالى
وليس المراد امثال ذلك فى العدد وهذا كما يقول الانسان لاجيره لك من الاجر مثل ما تستحقه بعملك وقد وردت الرواية عن
المعرور بن سويد عن ابى ذر قال حدثنى الصادق المصدوق ان الله تعالى قال الحسنة عشر او ازيد والسيئة واحدة او اغفر
فالويل لمن غلبت احاده اعشاره قوله عز وجل قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ
ثلث ايات كوفى واربع عند غيرهم القراءة قراء ابن عامر واهل الكوفة قيما مكسورة القاف خفيفة الياء والباقون قيما
مفتوحة القاف مشددة الياء وقرا اهل المدينة محياى ساكنة الياء ومماتى بفتحها والباقون محياى بفتح الياء ومماتى ساكنة الياء الحجة
من قرا قيما فالقيم هو المستقيم فيكون وصفا للدين كما ان التقدير فى قوله دين القيمة دين الملة القيمة لان الملة هى مثل الدين ومن قرا
قيما فانه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصح كما صح حول وعوض وكان القياس ولكنه شذ كما شذ نحو ثيرة فى جمع ثور وجياد
فى جمع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج انما اعتل قيم لانه من قام فلما اعتل قام اعتل قيم لانه جرى عليه واما حول فانه جار على
غير فعل واما اسكان الياء فى محياى فانه شاذ عن القياس والاستعمال فان الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد واذا كان ما قبلها متحركا
نحو مماتى فالفتح جائز والاسكان جائز قال ابو على والوجه فى محياى بسكون الياء مع شذوذه ما حكى عن بعض البغداديين انه
سمع التقت حلقتا البطان باسكان الالف مع سكون لام المعرفة ومثل هذا ما جوزه يونس فى قوله اضربان زيدا واضربنان زيدا و
سيبويه ينكر هذا من قول يونس وقال على بن عيسى ولو وصله على نية الوقف جاز كما جاز فبهداهم اقتده فانما تزاد هذه الهاء فى
الوقف كما يسكن تلك الياء فى الوقف اللغة الملة الشريعة ماخوذة من الاملاء كانه ما ياتى به الشرع ويورده الرسول من الشرايع
المتجدده فيمله على امته ليكتب ويحفظ فاما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما اختلاف والشرايع تختلف ولهذا لا
يجوز ان يقال دينى دين الملائكة ولا يقال ملتى ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك
ومنه النسكة الذبيحة والمنسك الموضع الذى تذبح فيه النسايك قال الزجاج فالنسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى الا ان الغالب
عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذابح انما يراد به انه يؤدى المناسك اى يؤدى ما افترض عليه مما
يتقرب به الى الله تعالى الاعراب دينا قال ابو على يحتمل نصبه ثلثة اضرب احدها انه لما قال هدانى ربى الى صراط مستقيم استغنى
بجرى ذكر الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قيما كما قال اهدنا الصراط المستقيم وان شئت نصبته على اعرفوا لان هدايتهم اليه

فان احسن

واللذة لا فى عظم المنزلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب فى الكثرة واللذة وان تميز منه الثواب م

مثلت اى مثل ما م

والثور البرد الاشر ثورة والجمع ثورة مثل عود وعودة وثيرة وثيران مثل صيرة وصيران وثيرة

البطان للقتب الحزام الذى يجعل تحت بطن البعير يقال التقت حلقتا البطان للامر اذا اشتد

الشيع الفرق

تعريف لهم فحمله على اعرف قوله دينا قيما وان شئت حملته على الاتباع كانه قال اتبعوا دينا قيما والرفع كما قال اتبعوا ما انزل اليكم قال الزجاج ملة ابرهيم بدل من دينا قيما وحنيفا منصوب على الحال من ابرهيم والمعنى هدانى وعرفنى ملة ابرهيم فى حال حنيفيته **المعنى** ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه واله فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار وللخلق جميعا اننى هدانى اى دلنى وارشدنى ربى الى صراط مستقيم وقيل اراد لطف لى ربى فى الاهتداء ووفقنى لذلك وقد بينا معنى الصراط المستقيم فى سورة الحمد دينا قيما اى مستقيما على نهاية الاستقامة وقيل ثابتا دائما لا ينسخ فيه ملة ابرهيم انما وصف دين النبى صلى الله عليه واله بانه ملة ابرهيم ترغيبا للعرب لجلالة ابرهيم فى نفوسها ونفوس كل اهل الاديان وانتساب العرب اليه واتفاقهم انه كان على الحق حنيفا اى مخلصا فى العبادة لله سبحانه عن الحسن وقيل مايلا الى الاسلام ميلا لا رجوع معه من قولهم رجل احنف اذا كان مايل القدم من خلفه عن الزجاج وقيل مستقيما فانما جاء احنف على التفاؤل عن الجبائى وما كان من المشركين يعنى ابرهيم عليه السلم كان يدعو الى عبادة الله وينهى عن عبادة الاصنام قل ان صلوتى قد فسرنا معنى الصلوة فيما تقدم ونسكى اى ذبيحتى للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدى وقيل نسكى دينى عن الحسن وقيل عبادتى عن الجبائى والزجاج وانما ضم الصلوة الى اصل الواجبات من التوحيد والعدل لان فيها التعظيم لله عند التكبير وفيها تلاوة القرآن الذى يدعوا الى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله سبحانه والتسبيح الذى هو التنزيه له ومحياى ومماتى اى حيوتى وموتى لله رب العالمين وانما جمع بين صلوته وحياته واحدهما من فعله والآخر من فعل الله لانهما جميعا بتدبير الله تعالى وقيل معناه صلاتى ونسكى له عبادة وحياتى ومماتى له ملكا وقدرة عن القاضى وقيل ان عبادتى له لانها بهدايته ولطفه ومحياى ومماتى له لانه بتدبيره وخلقه وقيل معنى قوله محياى ومماتى لله ان الاعمال الصالحة التى تتعلق بالحياة فى فنون الطاعات وما يتعلق بالممات من الوصية والختم بالخيرات لله وفيه تنبيه على انه لا ينبغى ان يجعل الانسان حيوته لشهوته ومماته لورثته لا شريك له اى لا ثانى له فى الالهية وقيل لا شريك له فى العبادة وفى الاحياء والاماتة وبذلك امرت اى وبهذا امرنى ربى وانا اول المسلمين من هذه الامة فان ابرهيم كان اول المسلمين ومن بعده تابع له فى الاسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان فضل الاسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام اذ كان صلى الله عليه واله اول من سارع اليه ولانه انما امر بذلك ليتاسى به ويقتدى بفعله **قوله عز وجل قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شىء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم ايتان اللغة** الرب اذا اطلق افاد المالك لتصريف الشىء باتم التصريف واذا اضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصريفه باتم تصريف العباد واصله التربية وهى تنشية الشىء حالا بعد حال حتى يصير الى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الاعظم والرب المالك لتدبير الشىء حتى يصير الى الكمال مع اجرائه على تلك الحال ويقال وزر يزر وزرا ووزر يوزر فهو موزور واصله من الوزر الذى هو الملجا فحال الموزور كحال الملتجى الى غير ملجا ومنه الوزير لان الملك يلتجى اليه فى الامور وقيل ان اصله الثقل ومنه قوله ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلائف خليفة مثل صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن وخلف فلان فلانا يخلفه فهو خليفته اذا جاء بعده **الاعراب** فى نصب درجات ثلثة اقوال احدها ان يقع موقع المصدر فكانه قال رفعة بعد رفعة والثانى انه الى درجات فحذفت الى كما حذفته فى قولك دخلت البيت وتقديره الى البيت والثالث ان يكون مفعولا من قولك ارتفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوبا وكسوته ثوبا **المعنى** لما امر سبحانه نبيه ببيان الاخلاص فى الدين عقبه بامره ان يبين لهم بطلان افعال المشركين فقال قل يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الانكار اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شىء وتقديره اتجوز ان اطلب غير الله ربا واطلب الفوز بعبادته وهو مربوب مثلى واترك عبادة من خلقنى ورباني وهو مالك كل شىء وخالقه ومدبره وليس بمربوب ام هذا قبيح فى العقول وهو لازم لكم على عبادتكم الاوثان ولا تكسب كل نفس الا عليها اى لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة او معصية الا عليها فعليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله انه لا ينفعنى فى ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك لانه ليس يغنى عنى فى اكتساب الاثم اكتساب غيرى له لانه لا تزر وازرة وزر اخرى اى لا يحمل احد ذنب غيره ومعناه

ولايجازى

ولا يجازى احد بذنب غيره وقال الزجاج معناه لا يؤخذ نفس آثمة باثم اخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبى عليه السلم اتبعنا وعلينا وزرك ان كان خطاء فانزل الله هذا وفيه دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تعالى يعذب الطفل بكفر ابيه ثم الى ربكم مرجعكم اى مآلكم ومصيركم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اى يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسىء وهو الذى جعلكم خلائف الارض اخبر سبحانه انه الذى خلق الخلق خلائف الارض ومعناه ان اهل كل عصر يخلف اهل العصر الذى قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن يجرى ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الاخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون الا من عالم مدبر عن الحسن والسدى وجماعة وقيل المراد بذلك امة نبينا صلى الله عليه واله جعلهم الله تعالى خلفا لساير الامم وفضلهم على ساير الخلق ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى الرزق عن السدى وقيل فى الصورة والعقل والعمر والمال والقوة وهذا اولى لان الاول تدخل فيه ووجه الحكمة فى ذلك مع انه سبحانه خلقهم ابتداء من غير استحقاق بعمل اوجب التفاضل بينهم ما فيه من الالطاف الداعية الى الواجبات والصارفة عن المقبحات لان من كان غنيا فى ماله شريفا فى نسبه ربما دعاه ذلك الى طاعة من يملكه رغبة فى امثاله ومن كان بضد ذلك ربما دعاه الى طاعته رهبة من امثاله ورجاء ان ينتقل عن هذه الحال الى حال جليلة يغبط عليها ليبلوكم فيما آتاكم اى ليختبركم فيما اعطاكم اى يعاملكم معاملة المختبر مظاهرة فى العدل وانتفاء من الظلم ومعناه لينظر الغنى الى الفقير فيشكر وينظر الفقير الى الغنى فيصبر ويفكر العاقل فى الادلة فيعلم ويعمل بما يعلم ان ربك سريع العقاب انما وصف نفسه بذلك مع ان عقابه فى الآخرة من حيث كل ما هو آت قريب فهو اذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب لمن استحقه فى دار الدنيا فيكون تحذيرا لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه انه قادر على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالهلاك فى الدنيا وانه لغفور رحيم قابل سبحانه بين العقاب والغفران ولم يقابل بالثواب لان ذلك ادعى الى الاقلاع عما يوجب العقاب لانه لو ذكر الثواب لجاز ان يتوهم انه لمن لم يكن منه عصيان وقيل انه سبحانه افتتح السورة بالحمد على نعمه تعليما وختمها بالمغفرة والرحمة ليحمد على ذلك

سورة الاعراف هى مكية وقد روى عن قتادة والضحاك انها مكية غير قوله وسلهم عن القرية الى قوله بما كانوا يفسقون فانها انزلت بالمدينة **عدد آيها** مائتان وست آيات حجازى كوفى وخمس بصرى شامى اختلافها خمس آيات المص وبداكم تعودون كوفى مخلصين له الدين بصرى شامى ضعفا من النار والحسنى على بنى اسرائيل حجازى فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه واله قال من قرا سورة الاعراف جعل الله بينه وبين ابليس سترا وكان آدم له شفيعا يوم القيمة وروى العياشى باسناده عن ابى بصير عن ابى عبد الله قال من قرا سورة الاعراف فى كل شهر كان يوم القيمة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قراها فى كل يوم جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيمة **قال ابو عبد الله عليه السلم** اما ان فيها آيا محكمة فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فانها تشهد يوم القيمة لمن قراها عند ربه **النظم** لما ختم سبحانه سورة الانعام افتتح هذه السورة بانه انزل كتابا فيه معالم الدين والحكم وقال **بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون ثلث آيات كوفى ايتان فى الباقين القراءة** قرا ابن عامر يتذكرون بياء وتاء وقرا اهل الكوفة تذكرون خفيفة الذال وقرا الباقون تذكرون مشددة اراد تتذكرون فادغم التاء فى الذال وادغامها فيها حسن لان التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور ازيد صوتا واقوى من المهموس فحسن ادغام الانقص فى الازيد ولا يسوغ ادغام الازيد فى الانقص وما فى قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهى معه بمنزلة المصدر والمعنى قليلا تذكركم ولا ذكر فى الصلة يعود اليها كما لا يكون فى صلة ان ذكر ومن قرا تذكرون فانه حذف التاء التى ادغمها من شدد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلثة احرف متقاربة ويقوى ذلك قولهم اسطاع يستطيع فحذفوا احد الثلثة المتقاربة ومن قرا يتذكرون بياء وتاء فوجهه انه مخاطبة للنبى صلى الله عليه واله اى قليلا ما يتذكر هؤلاء **اللغة** قد تقدم ذكر الحروف المقطعة فى اوايل السورة فى اول سورة البقرة وقد ذكرنا الاقوال فى معانيها واعرابها فلا معنى لاعادتها وبينا ان حروف الهجاء توصل على نية الوقف فرقا بينها وبين ما يوصل للمعانى فعلى هذا متى سميت رجلا بالمص وجبت الحكاية فان سميته

مثل باب وناب ونار ولیس کذلک المص لانه بمنزلة الجملة اذ لیس له نظیر فی المفرد

بصاد او قاف لم یجب الحکایة لان صاد وقاف لهما نظیر فی المفرد وانما عد الکوفیون المص ایة ولم یعدوا صاد لان المص بمنزلة الجملة مع ان اخره علی ثلثة احرف بمنزلة المردف فلما اجتمع هذان السببان وکل واحد منهما یقتضی عده عدوه ولم یعدوا الر لان اخره لا یشبه المردف ولم یعدوا صاد لانه بمنزلة اسم مفرد وکذلک قاف ونون ومن قال ان هذه الحروف فی اوایل السور اسماء للسور فعلی قوله انما سمیت بها ولم یسم بالاسماء المنقولة لانها تتضمن معانی اخر مضافة الی التسمیة وهو انها فاتحة لما هو منها وانها فاصلة بینها وبین ما قبلها ولانه یاتی من التالیف بعدها ما هو معجز مع انه تالیف کتالیفها فهذه المعانی من اسرارها والذکری مصدر ذکر یذکر تذکیرا فهی اسم للتذکیر وفیه مبالغة ومثله الرجعی الاعراب قال الزجاج اجمع البصریون علی ان قوله کتاب انزل الیک مرفوع بغیر هذه الحروف فالمعنی هذا کتاب انزل الیک ومن قال ان کتاب مرتفع بالمص وتقدیره المص حروف کتاب یلزمه اضمار شیئین فیکون المعنی المص بعض حروف کتاب انزل الیک فیکون قد اضمر المضاف وما اضیف الیه وهذا لیس بجایز فان قال قایل قد یقول ا ب ت ث ثمانیة وعشرون حرفا وانما ذکرت اربعة فمن این جاز ذلک فقیل قد صار اسم هذه الحروف کلها ا ب ت ث کما انک تقول الحمد سبع ایات فالحمد اسم لجملة السورة ولیس اسم الکتاب المر ولا اسم القران طسم وهذا فرق بین قال والذی اخترنا فی تفسیر المص قول ابن عباس ان المص انا الله اعلم وافصل فیکون ترتفع بعض هذه الحروف ببعض والجملة لا موضع لها وقوله فلا یکن فی صدرک حرج دخول الفاء فیه یحتمل وجهین احدهما ان یکون عاطفة جملة علی جملة وتقدیره هذا کتاب انزلناه الیک فلا یکن بعد انزاله حرج فی صدرک والاخر ان یکون جوابا وتقدیره اذا کان انزل الیک الکتاب لتنذر به فلا یکن فی صدرک حرج منه فیکون محمولا علی معنی اذا او ذکری قال الزجاج یصلح ان یکون فی موضع نصب ورفع وخفض فالنصب علی قوله انزل الیک لتنذر به وتذکر به ذکری لان فی الانذار معنی التذکیر وهذا کما یقال جیتک للاحسان وشوقا الیک فیکون مفعولا له واما الرفع فعلی تقدیر وهو ذکری واما الخفض فعلی معنی لتنذر لان معنی لتنذر لان تنذر فیکون تقدیره للانذار وللذکری قال علی بن عیسی وهذا الوجه ضعیف لانه لا یجوز ان یحمل الخبر علی التاویل کما لا یجوز مررت به وزید المعنی المص معنی تفسیره وما قیل فیه کتاب انزل الیک ای هذا الذی اوحینا الیک کتاب انزل الیک ای انزله الملایکة الیک بامر الله تعالی فلا یکن فی صدرک حرج منه ذکر فی معناه اقوال احدها ما ذکره الحسن ان معنی الحرج الضیق فمعناه لا یضیق صدرک لتشعب الفکر خوفا من ان لا تقوم بتبلیغ ما انزل الیک حق القیام فلیس علیک اکثر من الانذار وثانیها ان معنی الحرج الشک عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدی فمعناه لا یکن فی صدرک شک فیما یلزمک من القیام بحقه فانما انزل الیک لتنذر به وثالثها ان معناه فلا یضیقن صدرک من قومک ان یکذبوک ویجبهوک بالسوء فیما انزل الیک کما قال سبحانه فلعلک باخع نفسک علی اثارهم ان لم یومنوا بهذا الحدیث اسفا عن الفراء وقد روی فی الخبر ان الله تعالی لما انزل القران الی رسول الله صلی الله علیه واله قال انی اخشی ان یکذبنی الناس ویثلغوا راسی فیترکوه کالخبزة فازال الله الخوف عنه بهذه الایة وقوله لتنذر به ای بالقران قال الفراء والزجاج واکثر العلماء انه علی التقدیم والتاخیر وتقدیره کتاب انزل الیک لتنذر به وذکری للمومنین فلا یکن فی صدرک حرج منه وقال اخرون هو متصل بقوله فلا یکن فی صدرک حرج منه لتنذر به ای کن علی انشراح صدر بالانذار ومعناه لتخوف بوعده ووعیده وامثاله وامره ونهیه ولیتذکروا بما فیه وانما خص المومنین لانهم المنتفعون به ثم خاطب الله سبحانه المکلفین فقال اتبعوا ما انزل الیکم من ربکم ویحتمل ان یکون المراد قل لهم یا محمد اتبعوا ما انزل الیکم لانه قال قبل لتنذر به والاتباع یتصرف الثانی بتصرف الاول وتدبر بتدبیره فالاول امام والثانی ماموم ووجوب الاتباع فیما انزله الله تعالی یدخل فیه الواجب والندب والمباح لانه یجب ان یعتقد فی کل منها ما امر الله سبحانه به کما یجب ان یعتقد فی الحرام وجوب اجتنابه ولا تتبعوا من دونه اولیاء ای ولا تتخذوا غیره اولیاء تطیعونهم فی معصیة الله لان من لا یتبع القران صار متبعا لغیر الله من الشیطان والاوثان فامر سبحانه باتباع القران ونهی عن اتباع الشیطان لیعلموا ان اتباع القران اتباع له سبحانه قلیلا ما تذکرون ای قلیلا یا معشر المشرکین تذکرکم واتعاظکم وهذا استبطاء فی التذکر وخرج مخرج الخبر والمراد به الامر فمعناه تذکروا کثیرا ما یلزمکم من امر دینکم وما اوجبه الله

علیکم ومعنی التذکر ان تاخذ فی الذکر شیا بعد شیء مثل التفقد والتعلم قوله عز وجل وکم من قریة اهلکناها فجاءها باسنا بیاتا او هم قایلون فما کان دعویهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا کنا ظالمین ایتان الاعراب کم لفظ موضوع للتکثیر ورب للتقلیل وانما کان کذلک لان رب حرف وکم اسم والتقلیل ضرب من النفی وکم تدخل فی الخبر بمعنی التکثیر فاما فی الاستفهام فلا لان الاستفهام موکول الی بیان المجیب وانما دخلها التکثیر لان استفهام العدد عن ان یظهر او یضبط انما یکون لکثیر فی غالب الامر وکم مبهمة قال الفرزدق کم عمة لک یا جریر وخالة فدعاء قد حلبت علی عشاری فدلکم علی کثرة العمات والخالات وموضع کم فی الایة رفع بالابتداء وخبرها اهلکناها ولو جعلتها فی موضع نصب جاز کما تقول فی قوله سبحانه انا کل شیء خلقناه بقدر والاول اجود وقیل فی دخول الفاء فی قوله فجاءها باسنا بیاتا مع ان الفاء للتعقیب اقوال احدها اهلکناها فی حکمنا فجاءها باسنا والثانی اهلکناها بارسال ملایکة العذاب الیها فجاءها باسنا والثالث انه مثل زرتنی فاکرمتنی فان نفس الاکرام هی الزیارة قال علی بن عیسی ولیس هذا مثل ذلک لان هذا انما جاز لانه قصد الزیادة ثم الاکرام بها الرابع اهلکناها فصح انه جاءها باسنا وقال الفراء ان الفاء هنا بمعنی الواو ورد علیه علی بن عیسی بانه نقل حرف عن معناه بغیر دلیل وذلک لا یجوز وقوله او هم قایلون قال الفراء واو الحال مقدرة فیه وتقدیره او وهم قایلون وانما حذفت استخفافا قال الزجاج وهذا لا یحتاج الی ضمیر الواو لو قلت جاءنی زید راجلا او هو فارس لم یحتج الی واو لان الذکر قد عاد الی الاول ومعنی بیاتا ای لیلا یقال بات بیاتا حسنا وبیتة حسنة والمصدر فی الاصل بات بیتا وانما سمی البیت بیتا لانه یصلح للمبیت فمعنی او هم قایلون ای او جاءهم باسنا نهارا فی وقت القایلة واو دخلت ههنا علی جهة تصرف الشیء ووقوعه اما مرة کذا واما مرة کذا فهی فی الخبر هنا بمنزلة او فی الاباحة اذا قلت جالس الحسن او ابن سیرین ای کل واحد منهما اهل ان یجالس واو ههنا احسن من الواو لان الواو یتضمن اجتماع الشیئین لو قلت ضربت القوم قیاما وقعودا لاوجبت الواو انک ضربتهم وهم علی هاتین الحالتین ولو قلت ضربتهم قیاما او ضربتهم قعودا ولم تکن شاکا فانما المعنی انک ضربتهم مرة علی هذه الحال واقول ان الاولی ان یکون بیاتا مصدرا وضع موضع الحال فیکون بمعنی بایتین او قایلین فیکون حالا عن الهاء والمیم فی جاءهم وموضع ان قالوا الاختیار ان یکون رفعا وان یکون دعواهم فی موضع نصب ویکون الدعوی فی موضع رفع الا ان الدعوی اذا کانت فی موضع رفع فالاکثر فی اللفظ فما کانت دعواهم کذا لان الدعوی مونثة وهی اسم لما یدعیه ویصلح ان یکون بمعنی الدعاء حکی سیبویه اللهم اشرکنا فی صالح دعوی المسلمین وانشد ولت ودعواها کثیر صخبه ای دعاوها المعنی لما تقدم الامر منه سبحانه باتباع القران والتحذیر من مخالفته والتذکر عقب فی ذلک بتذکیرهم ما نزل بمن قبلهم من العذاب وتحذیرهم ان ینزل بهم ما نزل باولیک فقال وکم من قریة ای من اهل قریة فحذف المضاف لدلالة الکلام علیه اهلکناها بعذاب الاستیصال فجاءها باسنا ای عذابنا بیاتا بالیل او هم قایلون ای فی وقت القیلولة وهو نصف النهار واصله الراحة ومنه الاقالة فی البیع لانه الاراحة منه بالاعفاء من عقده والاخذ بالشدة فی وقت الراحة اعظم فی العقوبة فلذلک خص الوقتین بالذکر فما کان دعواهم اذ جاءهم باسنا ای لم یکن دعاء هولاء الذین اهلکناهم عقوبة لهم علی معاصیهم وکفرهم فی الوقت الذی جاءهم شدة عذابنا الا ان قالوا انا کنا ظالمین یعنی اعترافهم بذلک علی نفوسهم واقرارهم وهذا القول کان منهم عند معاینة الناس والتیقن بانه ینزل بهم ویجوز ان یکونوا قالوه حین لابسهم طرف منه ولم یهلکوا بعد وفی هذا دلالة علی ان الاعتراف والتوبة عند معاینة الباس لا ینفع قوله عز وجل فلنسالن الذین ارسل الیهم ولنسالن المرسلین فلنقصن علیهم بعلم وما کنا غایبین والوزن یومیذ الحق فمن ثقلت موازینه فاولیک هم المفلحون ومن خفت موازینه فاولیک الذین خسروا انفسهم بما کانوا بایاتنا یظلمون اربع ایات اللغة السوال طلب الجواب باداته فی الکلام کما ان الاستخبار طلب الخبر باداته فی الکلام والقصص ما یتلو بعضه بعضا ومنه المقص لان قطعه یتلو بعضه بعضا ومنه القصة من الشعر والقصص من الکتاب ومنه القصاص لانه یتلو الجنایة فی الاستحقاق ومنه المقاصة فی الحق لانه یسقط ما له قصاصا بما علیه والوزن فی اللغة هو مقابلة احد الشیئین بالاخر حتی یظهر مقداره وقد

درة علی هذه الحال
کقوله فما کان جواب قومه الا ان قالوا
ولیجوز ان یکون فی موضع نصب

استعمل فی غیر ذلک تشبیها به فمنها وزن الشعر بالعروض ومنها قولهم فلان یزن کلامه وزنا قال الاخطل واذا وضعت اباک فی میزانهم رجحوا وشال ابوک فی المیزان والحق وضع الشیء موضعه علی وجه تقتضیه الحکمة وقد استعمل مصدرا علی هذا المعنی وصفة کما جری ذلک فی العدل قال الله سبحانه ذلک بان الله هو الحق فجری علی طریق الوصف والثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلا ونقیضه الخفة وهی الاعتماد اللازم علوا الاعراب الفاء فی قوله فلنسالن عاطفة جملة علی جملة وانما دخلت الفاء وهی موجبة للتعقیب مع تراخی ما بین الاول والثانی وذلک یلیق بثم لتقریب ما بینهما کما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما امر الساعة الا کلمح البصر او هو اقرب وقال اولم یر الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصیم مبین واذا ظرف المفاجاة وبینهما بعد ویومئذ نحو زمنه الاعراب والبناء لان اضافته الی المبنی اضافة غیر محضة تقربه من الاسماء المرکبة واضافته علی الجملة یقربه من الاضافة الحقیقیة ونون اذ لانه قد قطع عن الاضافة لان من شان التنوین ان یعاقب الاضافة المعنی ولما اتوعدهم سبحانه بالعذاب فی الدنیا عقبه بالانذار بعذاب الاخرة فقال فلنسالن الذین ارسل الیهم رسله ولنسالن المرسلین اقسم الله سبحانه انه یسال المکلفین الذین ارسل الیهم رسله واقسم ایضا انه یسال المرسلین الذین بعثهم فیسال هولاء عن الابلاغ ویسال اولئک عن الامتثال وهو تعالی وان کان عالما بما کان منهم فانما اخرج الکلام مخرج التهدید والزجر لیتاهب العباد بحسن الاستعداد لذلک السوال وقیل انه یسال الامم عن الاجابة ویسال الرسل ماذا عملت اممهم فیما جاؤوا به وقیل الامم یسالون سوال توبیخ والانبیاء یسالون سوال شهادة علی الحق عن الحسن واما فایدة السوال فاشیاء منها ان یعلم الخلایق انه سبحانه ارسل الرسل وازاح العلة وانه لا یظلم احدا ومنها ان یعلموا ان الکفار استحقوا العذاب بافعالهم ومنها ان یزداد سرور اهل الایمان بالثناء الجمیل علیهم ویزداد غم الکفار بما یظهر من افعالهم القبیحة ومنها ان ذلک لطف للمکلفین اذا اخبروا به ومما یسال علی هذا ان یقال کیف یجمع بین قوله تعالی ولا یسال عن ذنوبهم المجرمون فیومئذ لا یسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله فلنسالن الذین ارسل الیهم فوربک لنسالنهم اجمعین والجواب عنه من وجوه احدها انه سبحانه نفی ان یسالهم سوال استرشاد واستعلام وانما یسالهم سوال تبکیت وتقریع ولذلک قال عقیبه یعرف المجرمون بسیماهم وسوال الاستعلام مثل قولک این زید ومن عندک هنا لا یجوز علی الله سبحانه وسوال التوبیخ والتقریع کمن یقول الم احسن الیک فکفرت نعمتی ومنه قوله الم اعهد الیکم یا بنی ادم الم تکن ایاتی تتلی علیکم وکقول الشاعر اطربا وانت قنسری ای کبیر السن وهذا توبیخ منه لنفسه ای کیف اطرب مع الکبر والشیب وقد یکون السوال للتقریر کقول الشاعر الستم خیر من رکب المطایا واندی العالمین بطون راح ای انتم کذلک وفی ضده قوله وهل یصلح العطار ما افسد الدهر ای لا یصلح واما سوال المرسلین فلیس بتقریع ولا بتوبیخ لهم ولکنه توبیخ للکفار وتقریع لهم وثانیها انهم انما یسالون یوم القیمة کما قال وقفوهم انهم مسئولون ثم ینقطع مسئلتهم عند حصولهم فی العقوبة وعند دخولهم النار فلا تنافی بین الخبرین بل هو اثبات للسوال فی وقت ونفی له فی وقت اخر وثالثها ان فی القیمة مواقف ففی بعضها یسال وفی بعضها لا یسال فلا تضاد بین الایات واما الجمع بین قوله فلا انساب بینهم یومئذ ولا یتسائلون وقوله واقبل بعضهم علی بعض یتسائلون فهو ان الاول معناه انهم لا یتسائلون سوال استخبار عن الحال التی جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلک ولکل امرء منهم یومئذ شان یغنیه والثانی معناه یسال بعضهم بعضا سوال تلاوم وتوبیخ کما قال فی موضع اخر یتلاومون وکقوله انحن صددناکم عن الهدی الایة ومثل ذلک کثیر فی القران ثم بین سبحانه ما ذکرناه من انه لا یسالهم سوال استعلام بقوله فلنقصن علیهم ای لنخبرنهم بجمیع افعالهم لیعلموا ان اعمالهم کانت محفوظة ولیعلم کل منهم جزاء عمله وانه لا ظلم علیه ولیظهر لاهل الموقف احوالهم بعلم قیل معناه نقص علیهم اعمالهم بانا عالمون بها وقیل معناه بمعلوم کما قال ولا یحیطون بشیء من علمه ای من معلومه وقال ابن عباس معنی قوله فلنقصن علیهم بعلم ینطق علیهم کتاب اعمالهم کقوله سبحانه هذا کتابنا ینطق علیکم بالحق وما کنا غایبین عن علم ذلک وقیل عن الرسل فیما بلغوا وعن الامم فیما اجابوا وذکر ذلک موکدا للعلم باحوالهم والمعنی انه لا یخفی علیه شیء والوزن یومئذ الحق ذکر فیه اقوال احدها ان الوزن عبارة عن العدل فی الاخرة وانه لا یظلم فیها احد عن مجاهد والضحاک وهو قول البلخی وثانیها ان الله ینصب میزانا له لسان وکفتان یوم القیمة

فیوزن به اعمال العباد الحسنات والسیئات قال ابن عباس والحسن وبه قال الجبائی ثم اختلفوا فی کیفیة الوزن لان الاعمال اعراض لا یجوز علیها الاعادة ولا یکون لها وزن بانفسها فقیل توزن صحایف الاعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة وقیل تظهر علامات للحسنات وعلامات للسیئات فی الکفتین فیراها الناس عن الجبائی وقیل یظهر للحسنات صورة حسنة وللسیئات صورة سیئة عن ابن عباس وقیل توزن نفس المومن والکافر عن عبید بن عمیر قال یوتی بالرجل العظیم الجثة فلا یزن جناح بعوضة وثالثها ان المراد بالوزن ظهور مقدار المومن فی العزة ومقدار الکافر فی الذلة کما قال سبحانه فلا نقیم لهم یوم القیمة وزنا فمن اتی بالعمل الصالح الذی یثقل وزنه ای یعظم قدره فقد افلح ومن اتی بالعمل السیء الذی لا وزن له ولا قیمة فقد خسر عن ابی مسلم واحسن الاقوال القول الاول وبعده الثانی وانما قلنا ذلک لانه اشتهر عن العرب قولهم کلام فلان موزون وافعاله موزونة یریدون بذلک انها واقعة بحسب الحاجة لا یکون ناقصة عنها ولا زایدة علیها زیادة مضرة او داخلة فی باب العبث قال مالک بن اسماء الفزاری وحدیث الذه هو مما ینعت الناعتون یوزن وزنا منطق صایب وتلحن احیانا وخیر الحدیث ما کان لحنا یعرض فی الکلام ولا یصرح وقیل انه من اللحن الذی هو سرعة الفهم والفطنة وعلی هذا فیکون معنی الوزن انه قام فی النفس مساویا لغیره کما یقوم الوزن فی مرآة العین کذلک واما حسن القول الثانی فلمراعاة الخبر الوارد فیه والجری علی ظاهره فمن ثقلت موازینه انما جمع الموازین لانه یجوز ان یکون لکل نوع من انواع الطاعات یوم القیمة میزان فاولئک هم المفلحون ای الفایزون بثواب الله ومن خفت موازینه فاولئک الذین خسروا انفسهم بان استحقوا عذاب الابد بما کانوا بایاتنا یظلمون ای یجحدون بما جاء به محمد صلی الله علیه واله من ایاتنا وحججنا والخسران ذهاب راس المال ومن اعظم راس المال النفس فاذا اهلک نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه قوله عز وجل ولقد مکناکم فی الارض وجعلنا لکم فیها معایش قلیلا ما تشکرون ولقد خلقناکم ثم صورناکم ثم قلنا للملائکة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابلیس لم یکن من الساجدین ایتان القراءة قرا کل القراء معایش بغیر همز وروی بعضهم عن نافع معائش ممدودا مهموزا الحجة قال ابو علی معایش جمع معیشة واعتل معیشة لانه علی وزن یعیش وزیادة تدل زیادة تختص الاسم دون الفعل فلم یحتج الی الفصل بین الاسم والفعل کما احتیج الیه فما کانت زیادة مشترکة نحو الهمزة فی اخاف وهو اخوف منک ومو افقة الاسم لبناء الفعل یوجب فی الاسم الاعتلال الا تری انهم اعتلوا بابا ونابا ویوم راح لما کان علی وزن الفعل وصحح نحو حول وغیبة ولومة لما لم یکن علی مثال الفعل فمعیشة موافقة للفعل فی البناء الا تری انه مثل یعیش فی الزنة وتکسیرها یزیل مشابهته فی اللفظ والبناء فقد علمت بذلک زوال المعنی الموجب للاعلال فی الواحد فی الجمع فلزم التصحیح فی التکسیر لزوال المشابهة فی اللفظ لان التکسیر معنی لا یکون فی الفعل انما یختص به الاسم واذا کانوا قد صححوا نحو الجولان والهیمان مع قیام بناء الفعل فیه لما لحقه من الزیادة التی تختص بها الاسم فتصحیح قولهم معایش الذی قد زال مشابهة الفعل عنه فی اللفظ والمعنی لا اشکال فیه وفی جوب العدل عن اعلاله ومن اعل فهمز کما همز مصایب ومثل ذلک مما یحمل علی الغلط قولهم فی جمع مسیل امسلة توهموا فعیله وانما هو مفعل وذکر المحققون ان الهمزة فی هذه الیاء انما یکون اذا کانت زایدة نحو صحیفة وصحایف وانما یهمز الیاء الزاید لانه لاحظ لها فی الحرکة فقد قربت من اخر الکلمة ولزمتها الحرکة فاوجبوا فیها الهمز واذا جمعت مقاما قلت مقاوم وانشدوا وانی لقوام مقاوم لم یکن جریر ولا مولی جریر یقومها اللغة التمکین اعطاء ما یصح به الفعل مع رفع المنع لان الفعل کما یحتاج الی القدرة فقد یحتاج الی الة والی دلالة والی سبب ویحتاج الی ارتفاع المنع فالتمکین عبارة عن جمیع ذلک والجعل ایجاد ما به یکون الشیء علی خلاف ما یکون علیه مثل ان یقول جعلت الساکن متحرکا لانک فعلت فیه الحرکة ونظیره التصییر وجعل الشیء اعم من حدوثه لانه قد یکون بحدوث غیره مما یتغیر به والمعیشة ما یکون وصلة الی ما فیه الحیوة من جهة المطعم والمشرب والملبس والخلق احداث الشیء علی تقدیر تقتضیه الحکمة والتصویر جعل الشیء علی صورة من الصور والصورة بنیة مقومة علی هیئة ظاهرة والسجود اصله الانخفاض وحقیقته وضع الجبهة علی الارض الاعراب

وجوز ان یکون لکل میزان صنف من اصناف اعماله ویدل هذا ما جاء فی الخبر الصلاة میزان

مجازه علی وجه الفظ وهو ان حینئذ علی وزن مصیبة فهمزها نعیلة فهمزها

قليلا نصب بتشكرون وتقديره تشكرون قليلا وما زائدة ويجوز ان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره قليلا شكركم المعنى ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الارض وما خلق فيها من الارزاق مضافا الى نعمه السابقة عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل فقال ولقد مكناكم في الارض اى مكناكم من التصرف فيها وملكناكموها وجعلناها لكم قرارا و جعلنا لكم فيها معايش اى ما تعيشون به من انواع الرزق ووجوه النعم والمنافع وقيل يريد المكاسب والاقدار عليها بالعلم و القدرة والالات قليلا ما تشكرون اى ثم انتم مع هذه النعم التي انعمناها عليكم لتشكروا قد قل شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال الاخفش ثم ههنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا خطاء لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه انما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير وانما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق اولا فالمراد انا بدأنا خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق آدم التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم بعد الفراغ من خلق آدم فثم انما هو لما بعد وهذا مروي عن الحسن ومن كلام العرب فعلنا بكم كذا وكذا وهم يعنون اسلافهم وفي التنزيل واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اى ميثاق اسلافكم وقد قيل في ذلك اقوال اخر منها ان معناه خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والسدي ومنها ان الترتيب وقع في الاخبار فكانه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم انا نخبركم انا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل انا راجل ثم انا مسرع وهذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى وابو سعيد السيرافي وغيرهم وعلى هذا فقد قيل ان المعنى خلقناكم في اصلاب الرجال ثم صورناكم في ارحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر الاعضاء عن يمان وقول الشاعر

سالت ربيعة من خيرها ابا ثم اما فقالت لمه

فمعناه ليجيب او لا عن الاب ثم الام وقوله فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قد مضى الكلام فيه في سورة البقرة قوله عز وجل قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين آيتان اللغة الصاغر الذليل بصغر القدر يقال صغر يصغر صغرا وصغارا فهو صاغر اذا رضي بالضيم ومن الصغر ضد الكبر صغر يصغر قال ابن السكيت يقال فلان صغرة ولد ابيه اى اصغرهم الاعراب ما في قوله ما منعك مرفوع الموضع والمعنى اى شيء منعك ولا ملغى في قوله الا تسجد المعنى ما منعك ان تسجد ومثله قوله سبحانه لئلا يعلم ومعناه لان يعلم وقال الشاعر ابى جوده لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله قالوا معناه ابى جوده البخل وقال ابو عمرو بن العلاء الرواية ابى جوده لا البخل بالجر و المعنى ابى جوده لا التي تبخل الانسان قال الزجاج وارى فيه وجها آخر حسنا وهو ان يكون لا غير لغو ويكون البخل منصوبا بدلا من لا ان لا تسجد لان معناه ما دعاك الى ان لا تسجد وما احوجك الى ان لا تسجد المعنى ثم حكى سبحانه خطابه لابليس حين امتنع من السجود لآدم بقوله قال اى قال الله تعالى ما منعك الا تسجد اذ امرتك بالسجود لآدم قال ابليس انا خير منه اى من آدم خلقتني من نار وخلقته من طين وهذا الجواب غير مطابق لانه كان يجب ان يقول منعني كذا لان قوله انا خير منه جواب لمن يقول ايكما خير ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك مجرى ان يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول انا صالح وكان يجب ان يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك لانه افاد انه صالح في الحال مع انه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس اول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على ابليس انه ظن ان النار اذا كانت اشرف من الطين لم يجز ان يسجد الاشرف للادون وهذا خطاء لان ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل ايضا ان الطين خير من النار لانه اكثر منافع للخلق من حيث ان الارض مستقر الخلق وفيها معايشهم ومنها يخرج انواع ارزاقهم والخيرية انما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لان الثواب لا يكون الا للمكلف المامور دون الجماد قال اى قال الله سبحانه لابليس فاهبط اى انزل وانحدر منها اى من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما انت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة متبعي امر الله سبحانه وحافظي حدوده الى الدرجة الدنية التي هي درجة

فاخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله بابليس وقال ابن سيرين اول من قاس ابليس

العاصين المضيعين امر الله فما يكون لك ان تتكبر عن امر الله فيها اى في الجنة او في السماء فانها ليست بموضع المتكبرين وانما موضعهم النار كما قال اليس في جهنم مثوى للمتكبرين فاخرج من المكان الذي انت فيه او المنزلة التي انت عليها انك من الصاغرين اى من الاذلاء بالمعصية في الدنيا لان العاصي ذليل عند من عصاه او بالعذاب في الآخرة لان المعذب ذليل وهذا الكلام انما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجبائي وقيل ان ابليس راى معجزة تدله على ان ذلك كلام الله وقوله سبحانه فما يكون لك ان تتكبر فيها لا يدل على انه يجوز التكبر في غير الجنة فان الكبر لا يجوز على حال لانه اظهار كبر النفس على جميع الاشياء وهذا في صفة العباد ذم وفي صفة الله سبحانه مدح الا ان ابليس تكبر على الله سبحانه فسر او من تكبر خارج الجنة منع من ذلك بالامر والنهي قوله عز وجل قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين اربع آيات اللغة الانظار والامهال والتاخير والتاجيل نظائر و بينها فرق وضد الامهال الاعجال والبعث الاطلاق في الامر والانبعاث الانطلاق والبعث والحشر والنشر والجمع نظائر الاعراب لاقعدن جواب القسم والقسم محذوف لان غرضه بالكلام التاكيد وهو ضد قوله صاد والقرآن ذي الذكر فانه حذف الجواب هناك وبقي القسم لان الغرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن قال الشاعر

لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

وقال آخر

كاني اذ اسعى لاظفر طائرا مع النجم في جو السماء يصوب

اى على طائر المعنى قال يعني ابليس انظرني اى امهلني واخرني في الاجل ولا تمتني الى يوم يبعثون اى يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه انظرني في الجزاء الى يوم القيمة فانه خاف ان يعاجله الله سبحانه بالعقوبة بدلالة قوله الى يوم يبعثون ولم يقل الى يوم يموتون ومعلوم ان الله لا يبقي احدا حيا الى يوم القيمة قال الكلبي اراد الخبيث ان لا يذوق الموت في النفخة الاولى مع من يموت فاجيب بالانظار الى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الاولى ليذوق الموت بين النفختين وهو اربعون سنة واما الوجه في مسئلة ابليس الانظار مع علمه بانه مطرود وملعون فلعلمه بان الله سبحانه يظاهر الى عباده بالنعم ويعمهم بالفضل والكرم فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن المسئلة والطمع في الاجابة قال اى قال الله سبحانه لابليس انك من المنظرين اى من المؤخرين قال ابليس لما لعنه الله سبحانه وطرده ثم ساله الانظار فاجابه الله تعالى الى شيء منه فبما اغويتني اى فبالذي اغويتني وقيل في معناه اقوال احدها ان معناه بما خيبتني من رحمتك وجنتك كما قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

اى من يخب وثانيها ان المراد امتحنتني بالسجود لآدم فغويت عنده فلذلك قال اغويتني كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وثالثها ان معناه حكمت بغوايتي كما تقال اضللتني اى حكمت بضلالتي عن ابن عباس وابن زيد ورابعها ان معناه اهلكتني بلعنك اياي كما قال الشاعر

معطفة الاثناء ليس فصيلها برازئها درا ولا ميت غوى

اى ولا ميت هلاكا بالقعود عن شرب اللبن ومنه قوله فسوف يلقون غيا اى هلاكا وقالوا غوى الفصيل اذا فقد اللبن فمات والمصدر غوى مقصور وخامسها ان يكون الكلام على ظاهره من الغوائد ولا يبعد ان يكون ابليس قد اعتقد ان الله تعالى يغوي الخلق بان يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر لاقعدن اى لاجلسن لهم اى لاولاد آدم صراطك المستقيم اى على طريقك المستوي وهو طريق الحق لاصدنهم عنه بالاغواء حتى اصرفهم الى طريق الباطل كيدا لهم وعداوة وقول من قال انه لو كان ما يفعل به الايمان هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله فبما اغويتني مساويا لقوله لو قال فبما اصلحتني يفسد بان صفة الآلة اذا وقع بها الكفر خلاف صفتها اذا وقع بها الايمان وان كانت الآلة واحدة كما ان السيف واحد يصلح لان يستعمل في قتل المؤمن كما يصلح لان يستعمل في قتل الكافر ولا يجب من ذلك ان يكون الصفتان واحدة من اجل انه واحد فلا يمتنع ان يكون متى استعمل آلة الايمان في الضلال والكفر يسمى اغواء فان استعملت في الايمان سميت هداية وان كان ما يصح به الايمان هو بعينه ما يصح به الكفر والضلال

في الجنة نافرح منها صاغرا

ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قيل في ذلك اقوال احدها ان المعنى من قبل دنياهم
وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج وتلخيصه اني ازين لهم الدنيا واخوفهم
بالفقر واقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب واثبطهم عن الحسنات واشغلهم عنها واحبب اليهم السيئات واحثهم
عليها قال ابن عباس وانما لم يقل من فوقهم لان فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له الى ذلك ولم يقل من تحت
ارجلهم لان الاتيان منه يوحش وثانيها ان المعنى من بين ايديهم وعن ايمانهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم
من حيث لا يبصرون عن مجاهد وثالثها ما روي عن ابي جعفر عليه السلام قال ثم لآتينهم من بين ايديهم معناه اهون عليهم امر الآخرة ومن
خلفهم آمرهم بجمع الاموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم افسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة و
عن شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وانما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لان
في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة ولا تجد اكثرهم شاكرين هذا اخبار من ابليس ان الله تعالى
لا يجد اكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن ان يكون قد قال ذلك من احد وجهين اما من جهة الملائكة باخبار الله تعالى اياهم واما عن ظن
منه كما قال سبحانه ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فانه لما استزل آدم ظن ان ذريته ايضا سيجيبونه لكونهم اضعف منه والقول الاول
اختيار الجبائي والثاني عن الحسن وابي مسلم **قوله عز وجل قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان
جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اربع آيات القراءة** في الشواذ قراءة الزهري
مذوما على تخفيف الهمزة وقرا ابو جعفر وشيبة سوتهما بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرا ابن محيصن عن هذي الشجرة **الحجة**
الوجه في تخفيف السوءة انه يحذف الهمزة ويلقي حركتها على الواو فيقال السوة ومنهم من يقول السوّة وهو اردأ اللغتين واما هذي الشجرة
فانه الاصل في الكلمة وانما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي واما الياء اللاحقة بعد الهاء في هذه ونحوه فزائدة لحقت بعد الهاء
تشبيها لها بهاء الاضمار في نحو مررت بهي **اللغة** الذام والذيم اشد العيب يقال ذامه يذامه ذاما فهو مذؤوم وذامه يذيمه ذيما فهو
مذيم قال الشاعر صحبتك اذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي اذيمها وهي في رواية الوصها والدحر الدفع على وجه الهوان
والاذلال دحره يدحره دحرا ودحورا والوسوسة الدعاء الى امر بصوت خفي كالهينمة والخشخشة قال رؤبة وسوس يدعو مخلصا
رب الفلق سرا وقد اوّن تاوين العقق وقال الاعشى تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل والابداء
الاظهار وهو جعل الشيء على صفة ما يصح ان يدرك وضده الاخفاء وكل شيء ازيل عنه الساتر فقد ابدي والمواراة جعل الشيء وراء ما
يستره ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يهمز ووري لان الثانية مدة ولولا ذلك لوجب همز الواو المضمومة والسوءة الفرج لانه
يسوء صاحبه اظهاره واصل القسم من القسمة قال الاعشى بني تغلب رضيعي لبان ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض لا نتفرق والمقاسمة
لا يكون الا بين اثنين والقسم كان من ابليس لا من آدم فهو من باب عاقبت اللص وطارقت النعل وعافاه الله وقيل ان في
جميع ذلك معنى المقابلة فالمعاقبة مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة مقابلة المرض بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة في المنازعة
باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحته انصحه وهو اخلاص الفاعل ضميره فيما يظهر من عمله **الاعراب** لمن تبعك منهم لاملان
اللام الاولى لام الابتداء والثانية لام القسم ومن للشرط وهو في موضع رفع بالابتداء ولا يجوز ان يكون هنا بمعنى الذي لانها
لا تقلب الماضي الى الاستقبال وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك لان جواب القسم اولى بالذكر من حيث انه في صدر الكلام ولو كان القسم
في حشو الكلام لكان الجزاء احق بالذكر من جواب القسم كقولك ان تاتني والله اكرمك ويجوز ان يقول والله لمن جاءك اضربه
بمعنى لا اضربه ولم يجز بمعنى لاضربنه كما يجوز والله اضرب زيدا بمعنى لا اضرب ولا يجوز بمعنى لاضربن لان الايجاب لا بد فيه من نون التاكيد
مع اللام وانما قال منكم على التغليب للخطاب على الغيبة والمعنى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم كما قاله في موضع آخر وقوله الا

نبطهم عن الآخرة تثبيطا شغله عنه

باهله جد

ان

ان تكونا تقديره الا كراهة ان تكونا ملكين فحذف المضاف فهو في موضع نصب بانه مفعول له وقيل ان تقديره لان لا تكونا
فحذف لا والاول الصحيح قوله اني لكما لمن الناصحين تقديره اني لكما ناصح ثم فسر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما
متعلقا بالناصحين لان ما في الصلة لا يجوز ان يتقدم على الموصول ومثله قوله وانا على ذلكم من الشاهدين تقديره وانا على ذلكم
شاهد ثم بينه بقوله من الشاهدين **المعنى** ثم بين سبحانه ما فعله بابليس من الاهانة والاذلال وما آتاه آدم من الاكرام والاجلال
بقوله فاخرج منها اي من الجنة او من السماء او من المنزلة الرفيعة مذؤوما اي مذموما عن ابن زيد وقيل معيبا عن المبرد وقيل
مهانا لعينا عن ابن عباس وقتادة مدحورا اي مطرودا عن مجاهد والسدي لمن تبعك منهم اي من بني آدم معناه من اطاعك
واقتدى بك من بني آدم لاملان جهنم منكم اي منك ومن ذريتك وكفار بني آدم اجمعين فانما جمعهم في الخطاب لانه لا يكون في
جهنم الا ابليس وحزبه من الشياطين وكفار الانس وضلالهم الذين انقادوا له وتركوا امر الله لاتباعه ويا آدم اسكن انت و
زوجك الجنة هذا امر بالسكنى دون السكون وانما لم يقل وزوجك لان الاضافة اليه قد اغنت عن ذكره وانابت عن معناه
فكان الحذف احسن لما فيه من الايجاز من غير اخلال بالمعنى فكلا من حيث شئتما اباح سبحانه لهما ان ياكلا من حيث شاءا واين
شاءا اياما شاءا ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل فتكونا من الظالمين اي من الباخسين نفوسهم الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الاية مشروحا
في سورة البقرة فوسوس لهما اي لآدم وحواء الشيطان الفرق بين وسوس اليه ووسوس له انه اوهمه النصيحة له في ذلك ليبدي
لهما اي ليظهر لهما ما ووري اي ستر عنهما من سوآتهما اي عوراتهما وهذا الظاهر يوجب ان يكون ابليس علم ان كل من اكل من هذه
الشجرة بدت عورته وان من بدت عورته لا يترك في الجنة فاحتال في اخراجهما بالوسوسة وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اي
عن اكل هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين والمعنى انه اوهمهما انهما اذا اكلا من هذه الشجرة تغيرت صورتهما
الى صورة الملك وان الله قد حكم بذلك وبان لا تبيد حياتهما اذا اكلا منها وروي عن يحيى بن كثير انه قرا ملكين واحتج به وقد قوي به ويحتمل
ان يكون المراد بقوله الا ان تكونا ملكين انه اوهمهما ان المنهي عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونهما فيكون كما يقول
احدنا لغيره ما نهيت عن كذا الا ان تكون فلانا وانما يريد ان المنهي انما هو فلان دونك وهذا المعنى اوكد في الشبهة واللبس
عليهما ذكره المرتضى قدس الله روحه وقاسمهما اي وحلف لهما بالله حتى خدعهما عن قتادة اني لكما لمن الناصحين اي من المخلصين النصيحة
في دعائكما الى التناول من هذه الشجرة ولذلك تاكدت الشبهة عندهما اذ ظنا ان احدا لا يقدم على اليمين بالله تعالى الا صادقا فدعاهما
ذلك الى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله الا ان تكونا ملكين على ان الملائكة افضل من الانبياء قالوا لان ابليس رغبهما
بالتناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولا ولا يجوز ان يرغب عاقل في ان يكون على منزلة دون منزلته فيحمله ذلك على معصية الله
تعالى والجواب عنه المرتضى رضي الله عنه بان قال ما انكرتم ان يكون الاية محمولا على الوجه الثاني الذي ذكرناه دون ان يكون معناها
ان ينقلبا الى صفة الملائكة واذا كانت الاية محتملة لما ذكرناه ايضا فمما يرفع هذه الشبهة ان يقال ما انكرتم ان يكونا رغبا في ان ينقلبا
الى صفة الملائكة وخلقهم لما رغبهما ابليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة على ان الملائكة افضل منهما فان الثواب انما يستحق على الطاعات
دون الصور والهيئات ولا يمتنع ان يكونا رغبا في صور الملائكة وهيئتها ولا يكون ذلك رغبة في الثواب ولا الفضل الا ترى انهما
رغبا في ان يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في الثواب ولا الفضل **قوله عز وجل فدلاهما بغرور فلما ذاقا
الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما
ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا
بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اربع آيات القراءة**
قرا اهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء ههنا وفي الروم والزخرف والجاثية لا يخرجون منها بفتح الياء ووافقهم يعقوب وسهل ههنا
وابن ذكوان ههنا وفي الزخرف وقرا الباقون جميع ذلك بضم الياء والتاء **الحجة** من قرا بالفتح فحجته اتفاق الجميع في قوله اذا دعاكم
دعوة من الارض اذا انتم تخرجون بفتح التاء وقوله الى ربهم ينسلون فهو يؤيده ايضا وقوله كما بداكم تعودون ومن قرا بالضم

ان معنى وسوس اليه انه القى الى قلبه المعنى بصوت خفي ومعنى وسوس له
م

بكسر اللام قال الزجاج قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى يدل على الكسر

فجنة قوله ابعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون وقوله كذلك نخرج الموتى اللغة دليهما قيل اصله من تدلية الدلو
وهو ان ترسلها في البئر والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش واصل الغرور طي الثوب يقال اطوه على غره اى على كسر طيه
فالغرور بمنزلته لما فيه من اظهار حاله واخفاء حاله وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل وابتدا يفعل واخذ
يفعل والخصف اصله الضم والجمع ومنه خصف النعل والمخصف المثقب الذي يخصف به النعل ومنه قول النبي عليه السلم لكنه خاصف النعل
في الحجرة يعني عليا عليه السلم والاخصاف سرعة العدو لانه يقطعه بسرعة والبعض احد قسمي العدة فاحد قسمي العشرة بعضها واحد قسمي
الاثنين كذلك ولا بعض للواحد لانه لا ينقسم قال علي بن عيسى العدو هو المنافي بنصرته في وقت الحاجة اليها والمستقر هو موضع
الاستقرار وهو ايضا الاستقرار بعينه لان المصدر يجي على وزن المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ والحين
الوقت قصيرا كان او طويلا الا انه استعمل هنا على طول الوقت وليس باصل فيه المعنى فدليهما بغرور اى وحطهما في المكروه بان
غرهما بيمينه وقيل معناه دليهما من الجنة الى الارض وقيل معناه خذلهما وخليهما من قولهم تدلى من الجبل او السطح اذا نزل الى جهة السفل
عن ابي عبيدة اى حطهما عن درجتهما بغروره فلما ذاقا الشجرة اى ابتدا بالاكل ونالا منها شيئا يسيرا ولذلك اتى بلفظة ذاقا عبر
عن انهما تناولا شيئا قليلا من ثمر الشجرة على خوف شديد لان الذوق ابتداء الاكل والشرب لتعرف الطعم وفي هذا دلالة على ان ذوق
الشي المحرم يوجب الذم فكيف استيفاؤه وقضاء الوطر منه بدت لهما سواتهما اى ظهرت لهما عوراتهما وظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه
قال الكلبي فلما اكلا منها تهافتت لباسهما عنهما فابصر كل منهما سواة صاحبه فاستحييا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى اخذا
يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سواتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلا يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين
حتى صار كهيئة الثوب عن قتادة وهذا انما كان لان المصلحة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما الى الارض لا على وجه العقوبة
فان الانبياء لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة اى عن تلك الشجرة لكنه
لما خاطب اثنين قال تلكما والكاف حرف الخطاب واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ظاهر المعنى قالا اى قال ادم وحوا لما
عاتبهما الله سبحانه ووبخهما على ارتكاب المنهي عنه ربنا ظلمنا انفسنا معناه بخسنا الثواب بترك المندوب اليه فالظلم هو النقص
ومن ذهب الى انهما فعلا صغيرة فانه يحمل الظلم على تنقيص الثواب اذ كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات فاما من قال
ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان تنقص من ثواب فاعلها شيئا فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت فائدة في الاية فلا خلاف ان
ادم وحوا لم يستحقا العقاب وانما قالا ذلك لان من جل في الدين قدره كثر على يسير الزلل ندمه وقيل معناه ظلمنا انفسنا بالنزول
الى الارض ومفارقة العيش الرغد وان لم تغفر لنا معناه وان لم تستر علينا لان المغفرة هي الستر على ما تقدم بيانه وترحمنا
اى وتتفضل علينا بنعمك التي نتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب وبهبوب فضلك لنكونن من الخاسرين اى من جملة من خسر
ولم يربح والانسان يصح ان يظلم نفسه بان يدخل عليها ضررا غير مستحق ولا يدفع عنها ضررا اعظم منه ولا يجلب به منفعة توفي
عليه ولا يصح ان يكون معاقبا لنفسه قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قد مر تفسيره في سورة
البقرة قال الله تعالى فيها تحيون اى في الارض تعيشون وفيها تموتون ومنها تخرجون عند البعث يوم القيمة قال الجبائي في الاية دلالة
على ان الله تعالى يخرج العباد يوم القيمة من هذه الارض التي حيوا فيها بعد موتهم وانه يفنيها بعد ان يخرج العباد منها في يوم
الحشر واذا اراد افناءها زجرهم عنها زجرة فيصيرون الى ارض اخرى يقال لها الساهرة ويفني هذه كما قال فاذا هم بالساهرة

قوله عز وجل يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من
ايات الله لعلهم يذكرون يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سواتهما
انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ثلث ايات القراءة

قرا ابن عامر واهل المدينة والكسائي ولباس بالنصب والباقون بالرفع الحجة قال ابو علي اما النصب فلانه يحمل على انزل اى

انزلنا

انزلنا عليكم لباسا ولباس التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدا وخبره خير ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع اللباس من الاول
واستانف به فجعله مبتدا وذلك صفة او بدل او عطف بيان ومن قال ان ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لانه لا يجوز ان
يكون على حد ما ذكرنا وخير خبر اللباس والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب له الى الله تعالى مما خلق له
من اللباس والرياش الذي يتجمل به واضيف اللباس الى التقوى كما اضيف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع الى الجوع والخوف
اللغة اللباس كل ما يصلح للبس من ثوب او غيره نحو الدرع وما يغشى به البيت من نطع او كسوة واصله المصدر تقول لبسه
يلبسه لبسا ولباسا واللبس بكسر اللام قال الشاعر فلما كشفن اللبس عنه مسحنه باطراف طفل زان غيلا موشما والغيل الساعد الريان
الممتلي والريش والاثاث من متاع البيت من فراش او دثار وقيل الريش ما فيه الجمال ومنه ريش الطاير وقيل انه المصدر من
راشه يريشه ريشا وانشد سيبويه فريشي منكم وهواي معكم وان كانت زيارتكم لماما قال الزجاج الريش كل ما ستر الرجل في جسمه
ومعيشته يقال تريش فلان اى صار له ما يعيش به ويقول العرب اعطيته رجلا بريشته اى بكسوته وقال ابو عبيدة الريش والرياش ما
ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته وقلب فاتن اى مفتون قال الشاعر رخيم الكلام
قطيع القيام امسى فؤادي بها فاتنا والقبيل الجماعة من قبايل شتى وان كانوا من اب وام واحد فهم قبيلة المعنى لما ذكر سبحانه
نعمته على بني ادم في تبوئة الدار والمستقر عقبه بذكر النعمة في الملابس والستر فقال يا بني ادم وهو خطاب عام لجميع اهل الازمنة من
المكلفين كما يوصي الانسان ولده وولد ولده بتقوى الله ويجوز خطاب المعدوم اذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل
فيه شروط التكليف قد انزلنا عليكم لباسا قيل انه انزل ذلك مع ادم وحوا حين امرا بالاهباط عن الجبائي وهو الظاهر وقيل معناه
انه ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء عن الحسن وقيل لان البركات تنسب الى انها تاتي من السماء كقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد
عن علي بن عيسى وقيل معنى انزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لعبده فقد انزله عليه ليس ان هناك علوا
وسفلا ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي الى فلان ورفعت قصتي الى الامير عن ابي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد عن ابي علي الفارسي لباسا يواري سواتكم اى يستر عوراتكم وريشا اى اثاثا
مما تحتاجون اليه وقيل مالا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل جمالا عن ابن زيد وقيل خصبا ومعاشا عن الاخفش وقيل
خيرا وكل ما قاله المفسرون فانه يدخل فيه الا ان كلا منهم خص بعض الخير بالذكر ولباس التقوى هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو
الحياء الذي يكسبكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النسك والتواضع اذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن من الثياب عن الجبائي
وقيل هو لباس الحرب الدرع والمغفر والالات التي يتقى بها من العدو عن زيد بن علي بن الحسين عليهما السلم وابي مسلم وقيل هو خشية
الله تعالى عن عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يتقي الله فيواري عورته عن ابن زيد وقيل هو الايمان عن قتادة والسدي ولا
مانع من حمل ذلك على الجميع ذلك خير اى لباس التقوى خير من جميع ما يلبس ذلك من ايات الله اى ذلك الذي خلقه الله وانزله
من حجج الله التي تدل على توحيده لعلهم يذكرون معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصيروا الى طاعته وينتهوا عن معصيته ثم
خاطبهم سبحانه مرة اخرى فقال يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان اى لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بان يدعوكم الى المعاصي
التي تميل اليها النفوس وانما صح ان ينهى الانسان بصيغة النهي للشيطان لانه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي انه يطلبنا بالمكروه و
يقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه كما اخرج ابويكم من الجنة نسب الاخراج اليه لما كان باغوائه وان كان
خروجهما بامر الله تعالى وجرى ذلك مجرى ذمه لفرعون بانه يذبح ابناءهم وانما امر بذلك وتحقيق الذم فيها راجع الى فعل المذموم ولكنه
يذكر بهذه الصفة لبيان منزلته وتغلظ في عظم الفاحشة ينزع عنهما عند وسوسته ودعائه لهما لباسهما من ثياب الجنة وقيل كان لباسهما الظفر
عن ابن عباس اى كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسهما نورا عن وهب بن منبه ليريهما سواتهما عوراتهما انه يعني الشيطان يريكم هو
وقبيله اى نسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقيل جنوده واتباعه من الجن والشياطين
من حيث لا ترونهم قال ابن عباس ان الله تعالى جعلهم يجرون من بني ادم مجرى الدم وصدور بني ادم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس

فى صدور الناس فهم يرون بنى ادم وبنوا ادم لا يرونهم قال قتادة والله ان عدوا يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله وانما قال ذلك لانا اذا كنا لا نريهم لم نتعرف قصدهم لنا بالكيد والاغواء فينبغى ان نكون على حذر فيما نجده فى انفسنا من الوساوس خيفة ان يكون ذلك من الشيطان وانما لا يريهم البشر لان اجسامهم شفافة لطيفة تحتاج فى رويتها الى فضل شعاع وقال ابو بكر بن الاخشيد وابو الهذيل يجوز ان يمكنهم الله سبحانه فيتكشفوا فيريهم حينئذ من بحضرهم واليه ذهب على بن عيسى وقال انهم ممكنون من ذلك وهو الذى نصره الشيخ المفيد ابو عبد الله رحمه الله قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وهو الاقوى عندى وقال الجبائى لا يجوز ان يرى الشياطين والجن لان الله عز اسمه قال لا ترونهم وانما يجوز ان يرى فى زمن الانبياء انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يومنون اى حكمنا بذلك لانهم يتناصرون على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اى حكموا بذلك حكما باطلا وانما خص الذين لا يومنون تنبيها على انهم مع اجتهادهم لا يتمكنون من خيار المومنين المتيقظين منهم وانما يتمكنون من الكفرة الجهال والفسقة الاغفال واذا فعلوا فاحشة كنى به المشركين الذين كانوا يبدون سواتهم فى طوافهم فكان يطوف الرجال والنساء عراة يقولون نطوف كما ولدتنا امهاتنا ولا نطوف فى الثياب التى قارفنا فيها الذنوب وهم الحمس قال الفراء كانوا يعملون شيئا من سيور مقطعة يشدونه على حقويهم يسمى حوفا يعنى الفرج لان ذلك لا يستر استتارا تاما وفى الاية حذف تقديره واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها اباءنا قيل ومن اين اخذها اباؤكم قالوا والله امرنا بها اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم اذا فعلوا ما يعظم قبحه اعتذروا لنفوسهم بانا وجدنا اباءنا يفعلونها وان اباءهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن انهم كانوا اهل اجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فلهذا قالوا والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم قولهم بان قال ان الله لا يامر بالفحشاء ثم انكر عليهم من وجه اخر فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون لانهم ان قالوا لا نقضوا مذهبهم وان قالوا نعم افتضحوا فى قولهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه **قوله عز وجل قل امر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون ايتان** تمام الاية الاولى تعودون عند الكوفى ومخلصين له الدين فى البصرى **اللغة** اصل القسط العدول فاذا كان الى جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب المقسطين واذا كان الى جهة الباطل فهو الجور ومنه قوله واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا واصل الاخلاص اخراج كل شايب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة اليه خالصا دون غيره والبدء فعل الشىء اول مرة والعود فعله ثانى مرة وقد يكون فعل اول خصلة منه بدء كبداء القراءة وبدء وابداء لغتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة والاتخاذ افتعال من الاخذ بمعنى اعداد الشىء لامر من الامور والحسبان بمعنى الظن وهو ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويز ان يكون على غيره فبالقوة يتميز من اعتقاد التقليد والتخمين وبالتجويز يتميز من العلم لان مع العلم القطع **الاعراب** واقيموا عطف على ما تقدم من قوله لا يفتننكم الشيطان فتقديره احذروا الشيطان واقيموا وجوهكم عن ابى مسلم وقيل ان تقديره قل امر ربى بالقسط وقل اقيموا وقوله كما بداكم قال ابو على الفارسى تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف المضاف وتعودون معناه تعودون خلقكم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار المخاطبون فاعلين وفريقا حق عليهم الضلالة نصبه ليعطف فعلا على فعل وتقديره وفريقا اضل فاضمر اضل لانه قد فسر ما بعده فاغنى عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما وقال الفراء فريقا منصوب على الحال من تعودون وفريقا الثانى عطف عليه ولو رفع على تقدير احدهما كذا والاخر كذا لجاز كما كان لكم اية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة **المعنى** لما بين سبحانه انه لا يامر بالفحشاء وهو اسم جامع للقبائح والسيئات عقبه ببيان ما يامر به من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال قل يا محمد امر ربى بالقسط اى بالعدل والاستقامة عن مجاهد والسدى واكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن الضحاك وقيل بلا اله الا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب عن ابى مسلم واقيموا وجوهكم عند كل مسجد قيل فيه وجوه احدها ان معناه توجهوا الى قبلة كل مسجد فى الصلوة على استقامة عن مجاهد والسدى وابن زيد وثانيها ان معناه اقيموا وجوهكم الى الجهة التى امركم الله بالتوجه

بان يكشف الله اجسادهم على الانبياء او ان يرى الناس الملائكة فى زمن الانبياء م

يسمى حوفا وان عمل من صوف يسمى رهطا وكانت تضع المرأة على قبلها النسعة فتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله م

اليها فى صلوتكم وهى الكعبة والمراد بالمسجد اوقات السجود وهى اوقات الصلوة عن الجبائى وغيره وثالثها ان المراد اذا ادركتم الصلوة فى مسجد فصلوا ولا تقولوا حتى ارجع الى مسجدى والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربى ورابعها ان معناه قصدوا المسجد فى وقت كل صلوة امرا بالجماعة لها ندبا عند الاكثرين وحتما عند الاقلين وخامسها ان معناه اخلصوا وجوهكم لله تعالى فى الطاعة فلا تشركوا به وثنا ولا غيره عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين وهذا امر بالدعاء والتضرع اليه سبحانه على وجه الاخلاص اى ارغبوا اليه فى الدعاء بعد اخلاصكم له الدين وقيل معناه واعبدوه مخلصين له الايمان كما بداكم تعودون قيل فى وجه اتصاله بما قبله وجوه احدها ان معناه وادعوه مخلصين فانكم مبعوثون ومجازون وان بعد ذلك فى عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا انه كما بداكم فى الخلق الاول فانه يبعثكم فتعودون اليه فى الخلق الثانى وثانيها انه يتصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بداكم تعودون اى فليس بعثكم باشد من ابتدائكم عن الزجاج قال وانما ذكر على وجه الحجاج عليهم لانهم كانوا لا يقرون بالبعث وثالثها انه كلام مستانف اى يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن ابى مسلم قال قتادة بداكم من التراب واليه تعودون كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بداكم لا تملكون شيئا كذلك تبعثون يوم القيمة ويروى عن النبى صلى الله عليه واله قال تحشرون يوم القيمة عراة حفاة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه تبعثون على ما متم عليه المومن على ايمانه والكافر على كفره عن ابن عباس وجابر فريقا هدى اى حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى او لطف لهم بما اهتدوا عنده او هديهم الى طريق الثواب كما تكرر بيانه فى مواضع وفريقا حق اى وجب عليهم الضلالة اذ لم يقبلوا الهدى او حق عليهم الخذلان لانه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم او حق عليهم العذاب والهلاك بكفرهم ويؤيد هذا القول الاخير انه سبحانه ذكر الهدى والضلال بعد العود والبعث ثم قال انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله بين سبحانه انه لم يبداهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وانما اتخذوهم اولياء بطاعتهم لهم فيما دعوهم اليه ويحسبون انهم مهتدون ومعناه وهم مع ذلك يظنون انهم فى ذلك على هداية وحق **قوله عز وجل يا بنى ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون** [illegible] **القراءة** قرا نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب **الحجة** قال ابو على من رفع فجعله خبر المبتداء الذى هو هى ويكون للذين امنوا تبيينا للخلوص ولا شىء فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض امكن ان يكون للذين امنوا خبرا وخالصة خبرا اخر ومن نصب خالصة كان حالا مما فى قوله للذين امنوا الا ترى ان فيه ذكرا يعود الى المبتداء الذى هو هى فخالصة حال عن ذلك الذكر والعامل فى الحال ما فى اللام من معنى الفعل ووجه من رفع ان المعنى هى تخلص للذين امنوا يوم القيمة وان شركهم فيها غيرهم من الكافرين فى الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده انها هى ثابتة للذين امنوا فى حال خلوصها يوم القيمة لهم وانتصاب خالصة على الحال اشبه بقوله ان المتقين فى جنات وعيون اخذين ونحو ذلك مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجرى مجراه اذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على ان العامل فى قولك فى الحيوة الدنيا فى تاويل الحال كانك تقول هى ثابتة للمومنين مستقرة فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة قال ابو على قوله فى الحيوة الدنيا يحتمل ثلاثة اضرب احدها ان يكون متعلقا بحرم [illegible] فى الحيوة الدنيا للذين امنوا خالصة على ان يكون خبر هى قوله للذين امنوا ويكون فى الحيوة الدنيا ظرفا والعامل فيه الظرف الذى هو قوله للذين امنوا والتقدير هى فى الحيوة الدنيا للمومنين مقدرا خلاصها يوم القيمة ففى هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمة على اللام الجارة لانه ظرف للذين امنوا والظروف وان كان العامل فيها المعانى فان تقديمها عليها جائز وان لم يجز ذلك فى الاحوال ويحتمل ان يكون قوله فى الحيوة الدنيا متصلا بالصلة التى هى امنوا وهى العاملة فيه والمعنى هى للذين امنوا فى حيوتهم اى للذين لم يكفروا فيها خالصة فموضع فى على هذا نصب بامنوا ويجوز ان يكون فى الحيوة الدنيا فى موضع حال وصاحب الحال هو هى والعامل فى الحال معنى الفعل وهو قوله للذين امنوا والمعنى قل هى لهم مستقرة فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة ولا يجوز فى هذا الوجه

ولانى الوجه الذى قبله تقدير تقديم فى الحيوة الدنيا للذين امنوا اما فى الوجه الاول فلان قوله فى الحياة صلة الذين ولا يجوز
تقديم الصلة على الموصول واما فى الوجه الاخر فلانه فى موضع الحال والحال لا يجوز تقديمها اذا كان العامل فيها معنى الفعل
وهذا الوجه الثالث ذكره ابو اسحق واما قراءة من قرا خالصة بالنصب جعله منصوبا على الحال لان العامل فى قوله فى الحيوة الدنيا
ظرفا للذين امنوا والعامل فيه معنى الفعل وجاز ان يكون متعلقا بامنوا وظرفا له وجاز ان يكون فى موضع الحال كما ذكرنا الوجهان
الاولان يحتاج معهما الى تقدير شئ تعلقه بما قبله واما اذا كان ظرفا للام الجارة فمعنى الفعل يعمل فيه كما يقول لك ثوب كل يوم واذا
كان من الصلة فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه فاما اذا جعلته حالا لا ينبغى لان يقدر فعلا او اسم فاعل يكون فى موضع الحال ويكون فى
الحيوة متعلقا به فلا يوهمنك قول ابى اسحق الذى ذكرناه انه يلزم ان تقدر قوله فى الحيوة الدنيا فى تقدير الحال لا غير اذا جعلت خالصة
منصوبا على الحال فان الوجهين الاخيرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال سايغ جايز المعنى لما تقدم ذكر ما انعم الله سبحانه
على عباده من اللباس والرزق امرهم فى اثرها بتناول الزينة والستر والاقتصاد فى الماكل والمشرب فقال يا بنى ادم وهو خطاب لساير
المكلفين خذوا زينتكم عند كل مسجد اى خذوا ثيابكم التى تتزينون بها للصلوة فى الجمعات والاعياد عن ابى جعفر الباقر عليه السلم وقيل عند
كل صلوة وروى العياشى باسناده ان الحسن بن على بن ابى طالب عليهما السلم كان اذا قام الى الصلوة لبس اجود ثيابه فقيل له يا بن رسول
الله لم تلبس اجود ثيابك فقال ان الله جميل يحب الجمال فاتجمل لربى وهو يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد فاحب ان البس اجود ثيابى
وقيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم وانما قال ذلك لانهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف على ما تقدم بيانه وكان يطوف الرجال
بالنهار والنساء بالليل فامرنا بلبس الثياب فى الصلوة والطواف عن جماعة من المفسرين وقيل ان اخذ الزينة هو التمشط عند كل صلوة روى
ذلك عن الصادق عليه السلم وكلوا واشربوا صورته صورة الامر والمراد الاباحة وهو عام فى جميع المباحات ولا تسرفوا اى لا تجاوزوا
الحلال الى الحرام قال مجاهد لو انفقت مثل احد فى طاعة الله لم تك مسرفا ولو انفقت درهما او مدا فى معصية الله لكان اسرافا وقيل
معناه لا تخرجوا عن حد الاستواء فى زيادة المقدار وقد حكى ان الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق فقال ذات يوم لعلى بن الحسين
بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له على قد جمع الله الطب كله فى نصف اية من
كتابه وهو قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وجمع نبينا صلى الله عليه واله الطب فى قوله المعدة بيت الادواء والحمية راس كل دواء
واعط كل بدن ما عودته فقال الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا وقيل معناه ولا تاكلوا حراما ولا باطلا على وجه
لا يحل واكل الحرام وان قل اسراف ومجاوزة الحد وما استقبحه العقلاء وعاد بالضرر عليكم فهو ايضا اسراف لا يحل لكن يطبخ القدر
بماء الورد ويطرح فيها المسك وهو لا يملك الا دينارا فاشترى به طيبا فتطيب به وترك عياله محتاجين انه لا يحب المسرفين اى
يبغضهم لانه سبحانه قد ذمهم به ولو كان بمعنى لا يحبهم ولا يبغضهم لم يكن ذما لهم ولا مدحا ولما حث سبحانه على تناول الزينة عند
كل مسجد وندب اليه واباح الاكل والشرب ونهى عن الاسراف وكان قوم من العرب يحرمون كثيرا من هذا الجنس حتى انهم كانوا
يحرمون السمون والالبان فى الاحرام وكانوا يحرمون السوايب والبحاير انكر عز اسمه ذلك عليهم فقال قل يا محمد من حرم زينة الله التى
اخرج لعباده والطيبات من الرزق اى من حرم الثياب التى يتزين بها الناس مما اخرجها الله من الارض لعباده والطيبات
من الرزق قيل هى المستلذات من الرزق وقيل هى المحللات والاول اظهر لخلوصها يوم القيمة للمؤمنين قل هى للذين امنوا فى الحيوة
الدنيا خالصة يوم القيمة قال ابن عباس يعنى ان المؤمنين يشاركون المشركين فى الطيبات فى الدنيا فاكلوا من طيبات طعامهم
ولبسوا من جياد ثيابهم ونكحوا من صالح نسائهم ثم يخلص الله الطيبات فى الاخرة للذين امنوا وليس للمشركين فيها شئ قال الفراء انها
هى للذين امنوا مشتركة فى الدنيا وهى لهم خالصة فى الاخرة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هى فى الحيوة الدنيا للذين امنوا
غير خالصة من الهموم والاحزان والمشقة وهى خالصة يوم القيمة من ذلك عن الجبائى كذلك نفصل الايات اى كما نميز لكم الايات
وندلكم بها على منافعكم وصلاح دينكم كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون وفى هذه الاية دلالة على جواز لبس الثياب الفاخرة واكل
الاطعمة الطيبة من الحلال وروى العياشى باسناده عن الحسين بن زيد عن عمه عمر بن على عن ابيه زين العابدين على بن الحسين عليهما

السلم

على تأويل الحال الى آخر كلامه ينبغى ان يعلم ان من نصب خالصة فى قراءته جاز ان يكون فى الحيوة الدنيا

السلم انه كان يشترى كساء الخز بخمسين دينارا فاذا اصاف تصدق به لا يرى بذلك باسا ويقول قل من حرم زينة الله الاية
وباسناده عن يوسف بن ابرهيم قال دخلت على ابى عبد الله عليه السلم وعليه جبة خز وطيلسان خز فنظر الى فقلت جعلت
فداك هذا خز ما تقول فيه فقال وما باس بالخز قلت وسداه ابريسم قال لا باس به فقد اصيب الحسين عليه السلم وعليه جبة
خز ثم قال ان عبد الله بن عباس لما بعثه امير المؤمنين على عليه السلم الى الخوارج لبس افضل ثيابه وتطيب باطيب طيبه وركب
افضل مراكبه فخرج اليهم فواقفهم قالوا يا بن عباس بينا انت خير الناس اذ اتيتنا فى لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا هذه الاية قل
من حرم زينة الله التى اخرج لعباده فالبس وتجمل فان الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال وفى الاية دلالة ايضا على ان الاشياء على
الاباحة لقوله من حرم فالسمع ورد موكدا لما فى العقل قوله عز وجل قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن و
الاثم والبغى بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل امة اجل
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ايتان اللغة التحريم هو المنع من الفعل باقامة الدليل على وجوب
تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق فى الفعل بالبيان على جواز تناوله واصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرمانا فهو
محروم واحرم بالحج وحرمة الرجل زوجته والحرمات الجنايات والمحرم القرابة التى لا يحل تزوجها وحريم الدار ما كان من حقوقها
والفواحش جمع فاحشة وهى اقبح القبايح وهى الكباير والبغى الاستطالة على الناس وحده طلب الترأس بالقهر من غير حق واصله
الطلب وينبغى كذى اى هو اولى ان يطلب والسلطان والبرهان والبيان والفرقان نظاير وحدودها تختلف فالبيان
اظهار المعنى للنفس كاظهار نقيضه والبرهان اظهار صحة المعنى وافساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس به والسلطان
اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال والامة الجماعة التى يعمها معنى واصلها من امه يؤمه اذا قصده فالامة الجماعة
التى على مقصد واحد والاجل الوقت المضروب لانقضاء المهل لان بين العقد الاول الذى يضرب لنفس الاجل وبين الوقت
الاخر مهلا مثل اجل الدين واجل الرزق واجل الوعد واجل العمر المعنى ثم بين سبحانه المحرمات فقال قل يا محمد انما حرم ربى الفواحش
اى جميع القبايح والكباير عن الجبائى وابى مسلم ما ظهر منها وما بطن اى ما علن منها وما خفى وقد ذكرنا ما قيل فيه فى سورة الانعام
ومعناه لم يحرم ربى الا الفواحش لما قد بينا قبل ان لفظة انما محققة لما ذكر نافية لما لم يذكر فذكر القبايح على الاجمال ثم فصل للبيان
فقال والاثم والبغى فكانه قال حرم الفواحش التى منها الاثم ومنها البغى ومنها الاشراك بالله وقيل ان الفواحش هى الزنا وهو الذى
بطن منها والتعرى فى الطواف وهو الذى ظهر منها عن مجاهد وقيل هى الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف
النساء بالليل والاثم قيل هو الذنوب والمعاصى عن الجبائى وقيل الاثم ما دون الحد عن الفراء وقيل الاثم الخمر عن الحسن وانشد
الاخفش شربت الاثم حتى ضل عقلى كذاك الاثم يذهب بالعقول وقال الاخر نهانا رسول الله ان نقرب الخنا وان نشرب الاثم الذى
يوجب الوزرا والبغى الظلم والفساد وقوله بغير الحق تاكيد كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل قد يخرج البغى من كونه ظلما
اذا كان بسبب جايز فى الشرع كالقصاص وان تشركوا بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجة ولا برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
اى وحرم القول على الله بغير علم ثم بين تعالى ما فيه تسلية للنبى عليه السلم فى تاخير عذاب الكفار فقال ولكل امة اجل اى ولكل جماعة و
اهل عصر وقت لاستيصالهم ولم يقل لكل احد لان ذكر الامة يقتضى تقارب اعمار اهل العصر ووجه اخر وهو انه يقتضى اهلاكهم
فى الدنيا بعد اقامة الحجة عليهم باتيان الرسل وقال الجبائى المراد بالاجل هنا اجل العمر الذى هو مدة الحيوة وهذا اقوى
لانه يعم جميع الامم فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون اى لا يتاخرون ساعة عن ذلك الوقت ولا يستقدمون اى لا يتقدمون
ساعة على ذلك الوقت وقيل معناه لا يطلبون التاخر عن ذلك الوقت للاياس عنه ولا يطلبون التقدم عليه ومعنى جاء
اجلهم قرب اجلهم كما يقال جاء الصيف اذا قارب وقته قوله عز وجل يا بنى ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم
اياتى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ايتان الاعراب اما اصله ان الجزاء دخلت عليه ما ولدخولها دخلت النون الثقيلة فى ياتينكم

لا و باس

ولو قال ان تأتينكم لم يجز وقد شرحنا هذا في سورة البقرة وبيناه وقال سيبويه ان حتى واما والا لا يجوز فيهن الامالة
لان هذه الالفات الزمت الفتح لانها اواخر حروف جاءت بمعنى فتفصل بينها وبين اواخر الاسماء التي فيها الالف نحو حبلى و
هدى الا ان حتى كتبت بالياء لانها على اربعة احرف فاشبهت سكرى واما التي للتخيير شبهت بان التي ضمت اليها ما فكتبت
بالالف والا كتبت بالالف لانها لو كتبت بالياء لاشبهت الى **المعنى** لما تقدم ذكر النعم الدنيوية عقبه بذكر النعم الدينية فقال
يا بني ادم هو خطاب يعم جميع المكلفين من بني ادم جاءه الرسول منهم ومن جاز ان ياتيه الرسول معطوف على من تقدم اما
يأتينكم اي ان ياتكم رسل منكم اي من جنسكم يقصون عليكم اياتي يعرضونها عليكم ويخبرونكم بها فمن اتقى منكم واصلح فلا خوف عليهم
في الدنيا ولا هم يحزنون في الاخرة والذين كذبوا باياتنا اي جحدوا واستكبروا عنها اي عن قبولها اولئك اصحاب النار الملازمون لها
هم فيها خالدون باقون على وجه الدوام والتأبيد **قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اولئك**
ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين **اللغة** النيل وصول النفع الى العبيد اذا اطلق فان قيد وقع على الضر لان اصله الوصول
الى الشيء من نلت انال نيلا قال امرء القيس سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونايل ذا اذا صحا واذا اسكر والتوفي قبض الشيء بتمامه
يقال توفيته واستوفيته **المعنى** ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم منه وصورته
صورة الاستفهام والمراد به الاخبار وانما جاء بلفظ الاستفهام ليكون ابلغ او كذب باياته الدالة على توحيده ونبوة رسله اولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب اي من العذاب الا انه كنى عن العذاب بالكتاب لان الكتاب ورد به كقوله لقد حقت كلمة العذاب على
الكافرين عن الحسن وابي صالح وقيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر والرزق وما كتب لهم من الخير والشر فلا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم
عن الربيع وابن زيد وقيل ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم عن مجاهد وعطية حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني الملئكة اي حتى اذا استوفوا
ارزاقهم وجاءهم ملك الموت مع اعوانه يتوفونهم اي يقبضون ارواحهم وقيل معناه اذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم الى النار
يوم القيمة عن الحسن قالوا يعني الملائكة اين ما كنتم تدعون من دون الله من الاوثان والاصنام والمراد بهذا السؤال توبيخهم اي
هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب قالوا يعني قال الكفار ضلوا عنا اي ذهبوا عنا وافتقدناهم فلا يقدرون على الدفع عنا
وبطلت عبادتنا اياهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي اقروا على نفوسهم بالكفر **قوله عز وجل قال ادخلوا في امم قد خلت**
من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لاولاهم
ربنا هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم
علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ايتان القراءة قرا ابو بكر يعلمون بالياء والباقون بالتاء **الحجة** وجه القراءة
بالياء انه حمل الكلام على كل لانه وان كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة فحمل على اللفظ دون المعنى **اللغة** الخلو انتفاء
الشيء عن مكانه يقال خلا من البيت وكذلك خلت بمعنى مضت لانها اذا مضت للهلاك فقد خلا مكانها منها الجن جنس من الحيوان
مستترون عن اعين البشر لرقتهم يغلب عليهم التمرد في افعالهم كما يغلب على الملك افعال الخير والضعف المثل الزايد على مثله فاذا
قال القايل اضعف هذا الدرهم فمعناه اجعل معه درهما اخر لا دينارا وكذلك اضعف الاثنين فمعناه اجعلهما اربعة وحكى
ان المضعف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان اكثر من ذلك واداركوا اصله تداركوا فادغمت التاء في
الدال واجتلب الف الوصل ليمكن النطق بالساكن الذي بعده ومعناه تلاحقوا **المعنى** قال ادخلوا هذه حكاية عن قول الله تعالى
للكفار يوم القيمة وامر لهم بالدخول ويجوز ان يكون اخبارا عن جعله اياهم في جملة اولئك من غير ان يكون هناك قول
كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد انه جعلهم كذلك في امم قد خلت اي في جملة اقوام وجماعات قد مضت من قبلكم من
الجن والانس على الكفر في النار وقيل ان في بمعنى مع اي ادخلوا مع امم كافرة كلما دخلت امة من هذه الامم النار لعنت
اختها يعني التي سبقتها الى النار وهي اختها في الدين لا في النسب يريد انهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلعن

انكار الرسل والايات واصلح عمله
وقيل فمن اتقى المعاصي واجتنبها
والتقوى اسم جامع لذلك
وتقديره فمن اتقى م

الاتباع

الاتباع القادة والرؤساء اذا حصلوا في العذاب بعد ما كانوا يتوادون في الدنيا يقولون انتم اوردتمونا هذه المواردة فلعنكم
الله عن ابي مسلم حتى اذا اداركوا اي تلاحقوا واجتمعوا فيها اي في النار جميعا اي كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا
قالت اخراهم لاولاهم اي قال اخرهم دخولا وهم القادة والرؤساء ربنا هؤلاء اضلونا اي شرعوا لنا ان نتخذ من دونك
الها عن ابن عباس وقيل معناه دعونا الى الضلال وحملونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق قال الصادق عليه السلم يعني ائمة الجور
فاتهم عذابا ضعفا من النار اي فاعطهم عذابا مضاعفا قال ابن مسعود اراد بالضعف هنا الحيات والافاعي وقيل اراد
الضعفين عذابهم على الكفر والاخر عذابهم على الاغواء قال الله تعالى لكل ضعف اي للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لانهم قد دخلوا
في الكفر جميعا ولكن لا تعلمون ايها المضلون والمضلون ما لكل فريق منكم من العذاب وقالت اولاهم لاخراهم اي قال
المتبوعون للتابعين فما كان لكم علينا من فضل اي تفاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله ان يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل
معناه قالت الامة السابقة للامة المتاخرة ما كان لكم علينا من فضل في الراي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم
اتبعتمونا وقيل من فضل اي من تخفيف من العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم **قوله**
عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل
في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين ايتان
القراءة قرا حمزة والكسائي وخلف لا يفتح بالياء والتخفيف وقرا ابو عمرو بالتاء والتخفيف والباقون بالتاء والتشديد وروى
في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمه ومجاهد والشعبي وابن السميفع حتى يلج الجمل بالضم والتشديد وعن ابن
عباس وسعيد بن جبير في رواية اخرى وعبد الكريم وحنظلة الجمل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس ايضا الجمل بضم الجيم وسكون
الميم والجمل بضمتين وعن ابي السمال الجمل بفتح الجيم وسكون الميم **الحجة** حجة من قرا بالتشديد قوله جنات عدن مفتحة لهم
الابواب وحجة من خفف قوله ففتحنا ابواب السماء بماء واما الجمل بالضم والتشديد والجمل بالتخفيف فكلاهما الحبل الغليظ من
القنب وقيل هو حبل السفينة وقيل الحبال المجموعة واما الجمل فيجوز ان يكون جمع جمل فيكون مثل اسد واسد ووثن ووثن
وكذلك المضموم ايضا كاسد وكاثن واسد قال ابن جني واما الجمل فبعيد ان يكون مخففا من جمل لخفة الفتحة وان كان
قد جاء عنهم قوله وما كل مبتاع ولو سلف صفقه براجع ما قد فاته برداد **اللغة** السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه السم
القاتل لانه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سم وسم وجمعه سموم
قال الفرزدق فنفست عن سميه حتى تنفسا وقلت له لا تخش شيئا ورائيا يريد بسميه ثقبي انفه وجمع السم القاتل سماما والخياط
والمخيط الابرة كاللحاف والملحف والقناع والمقنع والازار والميزر والقرام والمقرم ذكره الفراء وجهنم اسم من اسماء النار
واشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ وقيل اخذ من قوله بير جهنام اي بعيد قعرها والمهاد الوطاء الذي يفترش ومنه
مهد الصبي وقد مهدت له هذا الامر اي وطاته له والغواشي جمع غاشية وهو كل ما يغشاك اي يسترك ومنه غاشية
السرج وفلان يغشى فلانا اي ياتيه ويلابسه **الاعراب** قال ابو علي للنحويين في نحو غواش وجوابي قولان احدهما مذهب
سيبويه والخليل وهو ان الياء حذفت حذفا لا لالتقاء الساكنين كما يحذف حرف اللين في الوقف في نحو والليل اذا
يسر وذلك ما كنا نبغ وقد حذف في الوصل ايضا وكان الذي حسن ذلك الحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات لانها
قد صارت عوضا منها بدلالة تعاقبها وانما يحذف في الموضع الذي يحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان
هذا الجمع خارجا عن الابنية الاول وثانيا الزم الحذف والقول الاخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازني قال
كان يونس النحوي وابن زيد والكسائي الى الجواري وبابه مما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يلحقوه في المعتل
وما كان يلحقه التنوين في الصحيح الحقوه في المعتل قال والذي عليه البصريون القول الاول **المعنى** ثم عاد الكلام الى
الوعيد فقال سبحانه ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي تكبروا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء لارواحهم كما

فلما حذفت الياء انتقصت الاسم عن
الزنة التي كانت تنوين بعمايبها
ولا يجمع معها فدخلها وانما حذفها
الياء لا لالتقاء الساكنين م

اي لا تفتح ابواب السماء لهم

يفتح لارواح المومنين عن ابن عباس والسدى وقيل لا يفتح لاعمالهم ولدعائهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس فى رواية اخرى وروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم انه قال اما المومنون فترفع اعمالهم وارواحهم الى السماء فيفتح لهم ابوابها واما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى اذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم ابواب السماء لدخول الجنة لان الجنة فى السماء عن الجبائى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة ابدا وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كانه استجهل من ساله عن الجمل وهذا كما تقول العرب فى التبعيد للشئ لا افعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى يؤوب القارظان قال الشاعر اذا اشاب الغراب اتيت اهلى وصار القار كاللبن الحليب وقال اخر فرج الخير واشظر ايابى اذا ما القارظ العنزى آبا فتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تاكيد له وتحقيق لليأس من وجوده وكذلك نجزى المجرمين اى ومثل ما جزينا هؤلاء نجزى ساير المجرمين المكذبين بآيات الله تعالى لهم اى لهؤلاء من جهنم مهاد اى فراش ومضجع ومن فوقهم غواش مثل قوله لهم من فوقهم ظلل من النار وقيل المراد به اللحف والمعنى ان النار محيطة بهم من اعلاهم واسفلهم وكذلك نجزى الظالمين قال ابن عباس يريد الذين اشركوا به واتخذوا من دونه الها قوله عز وجل وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ايتان القراءة قرا ابن عامر ما كنا لنهتدى بغير واو وكذلك هى فى مصاحف اهل الشام والباقون مع الواو وقرا ابو عمرو والكسائى اورثموها مدغمة وكذلك فى الزخرف وقرا الباقون اورثتموها غير مدغمة الحجة قال ابو على وجه الاستغناء عن حرف العطف ان الجملة ملتبسة بما قبلها فاغنى التباسها به عن حرف العطف وقد تقدم ذكر امثاله ومن ترك الادغام فى اورثتموها فلتباين المخرجين كان الحرفين فى حكم الانفصال وان كانا من كلمة واحدة الا ترى انهم لم يدغموا ولو شاء الله ما اقتتلوا وان كانا مثلين لما لم يكونا لازمين الا ترى ان تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك اورث قد يقع بعد الثاء منها غير التاء فلا يجب الادغام ووجه الادغام ان التاء والثاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الادغام لذلك اللغة الغل الحقد الذى ينغل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة ومنه الغل الذى يجمع اليدين والعنق لانغلاله فيهما والصدر ما يصدر من جهة التدبير والراى وقيل للرئيس صدر والجريان انحدار المايع فالماء يجرى والدم يجرى وكل ما يصح ان يجرى فهو مايع والنهر الواسع من مجارى الماء ومنه النهار لانه ضياء واسع والنداء الدعاء بطريقة يا فلان الاعراب لا نكلف نفسا الا وسعها جملة فى موضع رفع بانه خبر الذين آمنوا وحذف العايد الى المبتداء فكانه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه بدرهم ويجوز ان يكون اعتراضا بين المبتداء والخبر ويكون الخبر الجملة التى هى اولئك اصحاب الجنة واذا كان اعتراضا فلا موضع له من الاعراب وان تلكم الجنة يجوز ان يكون ان بمعنى اى لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التهنية بكلام هذا معناه ويجوز ان يكون مخففة من الثقيلة والهاء مضمرة والتقدير بانه تلكم الجنة قال الشاعر اكاشره واعلم ان كلانا على ما ساء صاحبه حريص المعنى لما تقدم وعيد الكفار بالخلود فى النيران اتبع ذلك بالوعد للمومنين بالخلود فى الجنان فقال والذين آمنوا اى صدقوا بآيات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها وعملوا الصالحات اى ما اوجب الله عليهم او ندبهم اليه لا نكلف نفسا الا وسعها التكليف من الله سبحانه هو ارادة ما فيه المشقة من الكلفة التى هى المشقة اى لا نلزم نفسا الا قدر طاقتها وما دونها لان الوسع دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بين اذا جعلته خبرا لان معناه لا نكلف احدا منهم من الطاعات الا ما يقدر عليه واذا كان اعتراضا بين الكلامين فكانه لما وعد المومنين بالجنان والكافرين بالنيران بين انه لا يكلف احدا منهم الا ما فى وسعه وان من استحق النار فمن نفسه اتى اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اى مقيمون ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى واخرجنا ما فى قلوبهم من حقد وحسد وعداوة فى الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا وان راه ارفع درجة منه تجرى من تحتهم الانهار قيل انه فى موضع الحال اى تجرى ماء الانهار من تحت ابنيتهم واشجارهم فى حال نزعنا الغل من صدورهم وقيل هو استيناف

وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا اى هدينا للعمل الذى استوجبنا به هذا الثواب بان دلنا عليه وعرضنا له بتكليفه ايانا وقيل معناه هدينا لثبوت الايمان فى قلوبنا وقيل لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة وما كنا لنهتدى لما يصيرنا الى هذا النعيم المقيم والثواب العظيم لولا ان هدانا الله هذا اعتراف من اهل الجنة بنعمة الله سبحانه اليهم ومنته عليهم فى دخول الجنة على سبيل الشكر والتلذذ بذلك لانه لا تكليف هناك لقد جاءت رسل ربنا بالحق وهذا اقرار منهم بان ما جاءت به الرسل اليهم من جهة الله تعالى فهو حق لا شبهة فى صحته ونودوا اى وينادينهم مناد من جهة الله تعالى ويجوز ان يكون ذلك خطابا منه سبحانه لهم ان تلكم الجنة اى هذه الجنة وانما قال تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا فكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكونوا عاينوها فيقال لهم قبل ان يدخلوها اشارة اليها تلكم الجنة اورثتموها اى اعطيتموها ارثا وصارت اليكم كما يصير الميراث لاهله وقيل معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم عما كان اعد للكفار لو امنوا وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال ما من احد الا وله منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاما الكافر فيرث المومن منزله من النار والمومن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون اى توحدون الله وتقومون بفرايضه قوله عز وجل وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ايتان القراءة قرا الكسائى وحده نعم بكسر العين كل القران والباقون بالفتح وقرا اهل المدينة والبصرة وعاصم ان مخففة والباقون ان مشددة لعنة الله بالنصب الحجة قال الاخفش نعم ونعم لغتان فالكسر لغة كنانة وهذيل والفتح لغة باقى العرب وان التى تقع بعد العلم انما هى المشددة والمخففة عنها واذن مؤذن معناه اعلم معلم ان لعنة الله ومن خفف ان فعلى ارادة اضمار القصة وتقديره انه لعنة الله ومثله قوله تعالى واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين التقدير انه ولا يخفف ان هذه الا واضمار القصة والحديث يراد معها والمكسورة اذا خففت لا يكون كذلك والفصل بينهما ان المفتوحة موصولة والموصولة تقتضى صلتها فصارت لاقتضائها الصلة اشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر بعدها الضمير الذى هو من جملة صلتها وليست المكسورة كذلك اللغة والاعراب قال سيبويه نعم عدة وتصديق فاذا استفهمت اجبت بنعم قال ابو على والذى يريد بقوله عدة وتصديق انه يستعمل عدة ويستعمل تصديقا وليس يريد ان يجمع التصديق مع العدة الا ترى انه اذا قال اتعطينى فقلت نعم كان عدة ولا تصديق فى هذا واذا قال قد كان كذا فقلت نعم فقد صدقته ولا عدة فى هذا فليس هذا القول من سيبويه كقوله فى اذا انها جواب وجزاء لان اذا يكون جوابا فى الموضع الذى يكون فيه جزاء وقوله اذا استفهمت اجبت بنعم يريد اذا استفهمت عن موجب اجبت بنعم ولو كان مكان الايجاب النفى لقلت بلى ولم تقل نعم كما لا يقول فى جواب الموجب بلى قال الست بربكم قالوا بلى والذين يصدون فى موضع جر بانه صفة للظالمين وعوجا يجوز ان يكون منصوبا على المصدر بمعنى يطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقول رجع القهقرى اى رجع هذا الضرب من الرجوع وكذلك عدا البشكى واشتمل الصماء والعوج بالكسر المعنى ثم حكى سبحانه ما يجرى بين اهل الجنة والنار بعد استقرارهم فى الدارين فقال ونادى اى وسينادى اصحاب الجنة اصحاب النار اى اهل الجنة اهل النار وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقيق المعنى جعل ما سيكون كانه قد كان لانه كائن لا محالة وذلك ابلغ فى الردع ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب فى كتبه وعلى السنة رسله حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا وانما اضافوا الوعد بالجنة الى نفوسهم لان الكفار ما وعدهم الله بالجنة الا بشرط ان يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكانهم لم يوعدوا بالجنة وانما سالوهم هذا السؤال لان الكفار كانوا يكذبون المومنين فيما يدعون لانفسهم من الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشماتة تزيد به سرور اهل الجنة وحسرة اهل النار قالوا نعم اى قال اهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقا وصدقا فاذن مؤذن بينهم اى نادى مناد بينهم اسمع الفريقين ان لعنة الله على الظالمين اى غضب الله وسخطه واليم عقابه على الكافرين لانه وصف الظالمين بقوله الذين يصدون عن سبيل الله اى يعرضون عن الطريق الذى دل الله سبحانه على انه يودى الى الجنة وقيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله اى دينه والحق الذى دعا اليه ويبغونها عوجا قال ابن عباس معناه

لعنة الله بالرفع ح

والحديث م

بانه مفعول به يعنى يبغون لها العوج ويجوز ان يكون منصوبا

يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه التي يلبسون بها ويوهمون انها يقدح فيها وهي معوجة عن الحق بتناقضها وهم بالاخرة يعني بالقيمة والبعث والجزاء كافرون جاحدون وقيل في المؤذن انه مالك خازن النار وروى عن ابي الحسن الرضا عليه السلم انه قال المؤذن امير المؤمنين علي عليه السلم ذكره علي بن ابرهيم في تفسيره قال حدثني ابي عن محمد بن فضيل عن الرضا عليه السلم ورواه الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلم انه قال انا ذلك المؤذن وباسناده عن ابي صالح عن ابن عباس ان لعلي في كتاب الله اسماء لا يعرفها الناس قوله فاذن مؤذن بينهم فهو المؤذن بينهم يقول الا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقي قوله عز وجل وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ايتان اللغة الحجاب الحاجز المانع من الادراك ومنه قيل للضرير محجوب وحاجب الامير وحاجب العين والاعراف الامكنة المرتفعة اخذ من عرف الفرس ومنه عرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بظهوره اعرف مما انخفض قال الشماخ وظلت باعراف تعالى كانها رماح نحاها وجهة الريح راكز وقال اخر كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفي على الاعراف يعني نشوزا من الارض والسيماء العلامة وهي فعلى من سام ابله يسومها اذا ارسلها في المرعى معلمة وهي السائمة وقيل ان وزنه عفلى من وسمت فقلبت كما قالوا له جاه في الناس واصله وجه وكما قالوا اضمحل وامضحل وارض خامة اى وخيمة وفيه ثلث لغات سيما وسيماء بالقصر والمد وسيمياء على وزن كبرياء قال الشاعر له سيمياء ما تشق على البصر والتلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولذلك كان ظرفا من ظروف المكان يقول هو تلقاءك نحو هو حذاءك والابصار جمع بصر وهو الحاسة التي تدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر يقال له بصر بالاشياء اى علم بها وهو بصير بالامور اى عالم المعنى ثم ذكر سبحانه الفريقين في الجزاء فقال وبينهما حجاب اى بين الفريقين اهل الجنة واهل النار ستر وهو الاعراف والاعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدى وفي التنزيل فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شرف ذلك السور عن الجبائي وقيل الاعراف الصراط عن الحسن بن الفضل وعلى الاعراف رجال اختلف في المراد بالرجال هنا على اقوال فقيل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرب الحسن يده على فخذه ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف اهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادرى لعل بعضهم معنا في هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالاسناد في تفسيره وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون اهل الجنة والنار جميعا ويكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الاخرة عن ابي مجلز وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الاخرة عن الجبائي وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم هم ال محمد عليهم السلم لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه وقال ابو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلم الاعراف كثبان بين الجنة والنار فيوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سبق المحسنون الى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا الى اخوانكم المحسنين قد سبقوا الى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله اياها بشفاعة النبي والامام وينظر هؤلاء المذنبون الى اهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء اهل النار مقرعين ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم يعني هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم وتستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن امر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمر بن شيبة وغيره ان عليا عليه السلم قسيم النار والجنة ورواه ايضا باسناده عن النبي صلى الله عليه واله انه قال يا علي كاني بك يوم القيمة وبيدك عصا عوسج تسوق قوما الى الجنة واخرين الى النار وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده رفعه الى الاصبغ بن نباتة قال كنت جالسا عند علي

عليه السلم

الطامس

فكانت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكره عن ابي علي الجبائي قال الحسن هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم

عليه السلم فاتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الاية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نوقف يوم القيمة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فادخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسيماه فادخلناه النار وقوله يعرفون كلا بسيماهم يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون اهل الجنة بسيماء المطيعين واهل النار بسيماء العصاة ونادوا اصحاب الجنة يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة ان سلام عليكم وهذا تسليم بتهنية وسرور بما وهب الله لهم لم يدخلوها وهم يطمعون وقيل ان الطمع ههنا طمع يقين مثل قول ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وابي علي الجبائي واذا صرفت ابصارهم يعني ابصار الذين على الاعراف تلقاء اصحاب النار اى الى جهنم فنظروا اليهم وانما قال صرفت ابصارهم لان نظرهم نظر العداوة فلا ينظرون اليهم الا اذا صرفت وجوههم اليهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى لا تجمعنا واياهم في النار وروى ان في قراءة عبد الله بن مسعود وسالم واذا قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عائذا بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروى ذلك عن ابي عبد الله عليه السلم قوله عز وجل ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ايتان اللغة النداء امتداد الصوت ورفعه ونادى نظير دعا الا ان الدعاء قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن باشارة تنبئ عن معنى تعال ولا يكون النداء الا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه وهو ضد الامن وهو الثقة بانتفاء المكروه الاعراب اهؤلاء مبتدأ وخبره الذين اقسمتم والاولى ان يكون الذين اقسمتم خبر مبتدأ محذوف والتقدير اهؤلاء هم الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم برحمة جواب اقسمتم وهو داخل في صلة الذين لان الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز ان يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين احدهما ان المبهم لا يوصف الا بالجنس والاخر انه يبقى المبتدأ بلا خبر المعنى ثم بين سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لاصحاب النار فقال ونادى اى وسينادى اصحاب الاعراف رجالا من اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم اى بصفاتهم يدعونهم باساميهم وكناهم ويسمون رؤسا المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا عن ابي مسلم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون اى واستكباركم عن عبادة الله تعالى وعن قبول الحق وقد كنا نصحنا لكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم فلم تقبلوا منا فاين ذلك المال واين ذلك التكبر وقيل معناه ما نفعكم جماعتكم التي استندتم اليها وتجبركم عن الانقياد لانبياء الله في الدنيا عن الجبائي اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اى حلفتم انهم لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتم ثم يقولون لهؤلاء ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى لا خائفين ولا محزونين على اكمل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تقريع الذين زروا على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا انهم لا خير لهم عند الله وقد اضطربت اقوال المفسرين في القائل لهذا القول فقال الاكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو كلام الله تعالى وقيل كلام الملائكة والصحيح ما ذكرناه لانه المروى عن الصادق عليه السلم قوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون ايتان اللغة الافاضة اجراء المايع من علو ومنه قولهم افاضوا في الحديث اى اخذوا فيه من اوله لانه بمنزلة اعلاه وافاضوا من عرفات الى المزدلفة صاروا اليها واللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن ان يطلب به واللعب طلب المزح بما لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء الاعراب قال ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله ثم قال حرمهما ولم يقل حرمه وان كان التقدير افيضوا احد هذين لانه جاء على قولهم جالس الحسن وابن سيرين فيجوز مجالستهما جميعا وقوله الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع جر صفة للكافرين ويحتمل ان يكون رفعا بالابتداء فيكون اخبارا من الله تعالى على وجه الذم لهم المعنى ثم ذكر سبحانه كلام اهل النار وما اظهروه من الافتقار بدلا مما كانوا عليه من الاستكبار فقال ونادى اى وسينادى اصحاب

سلام تحية

اى لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود وقتادة وهم يطمعون ان يدخلوها

النار وهم المخلدون فى النار وفى عذابها اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اى صبوا علينا من الماء فنسكن به العطش
او ندفع به حر النار او مما رزقكم الله اى اعطاكم الله من الطعام عن السدى وابن زيد قالوا اجابهم اهل الجنة جوابا لهم ان
الله حرمهما على الكافرين ويسأل فيقال كيف يتنادى اهل الجنة واهل النار واهل الجنة فى السماء على ما جاءت به الرواية
واهل النار فى الارض وبينهما ابعد الغايات من البعد واجيب عن ذلك بانه يجوز ان يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع من
السماع ويجوز ان يقوى الله اصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا اى عدوا دينهم الذى امرهم
الله تعالى به اللهو واللعب دون التدين به وقيل معناه اتخذوا دينهم الذى كان يلزمهم التدين به والتجنب عن محظوراته
لهوا ولعبا فحرموا ما شاؤوا واستحلوا ما شاؤوا واتبعوا اهواءهم وغرتهم الحياة الدنيا اى غرتهم وابهاها وبطول البقاء فيها فكان
الدنيا غرتهم فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا اى نتركهم فى العذاب كما تركوا الاستعداد لا حتى نسوا العلم وتعرضوا للنسيان عن
الجاى وما كانوا باياتنا يجحدون ما فى الموضعين بمعنى المصدر وتقديره كنسيانهم لقاء يومهم هذا وكونهم جاحدين
لاياتنا واختلف فى هذه الاية فقيل ان الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاية عن اهل الجنة وتم كلام اهل الجنة عند قوله
حرمهما على الكافرين وقيل انه من كلام اهل الجنة الى قوله الحياة الدنيا ثم استانف سبحانه الكلام بقوله فاليوم ننساهم
قوله عز وجل وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ
يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا
أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ايتان اللغة الكتاب صحيفة
فيها كتابة والكتاب حروف مسطورة تدل بتاليفها على معان مفهومة والتفصيل والتبيين والتقسيم نظاير ينظرون اى ينتظرون
والانتظار هو الاقبال على ما ياتى بالتوقع له واصله الاقبال على الشئ بوجه من الوجوه والتاويل ما يؤول اليه حال
الشئ والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلف المتكلمون فيه فقال ابو على الجبائى انه معنى وقال ابو هاشم ليس
بمعنى وانما هو من قبيل السهو وقال القاضى هو ذهاب العلم الضرورى واليه ذهب المرتضى الاعراب هدى و
رحمة يجوز ان يكون حالا ويجوز ان يكون مفعولا به وقال ابو مسلم مصدر وضع موضع الحال ولو قرئ بالرفع على الاستيناف او
بالجر على البدل لجاز الا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب لانه جواب التمنى بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفعاء فشفاعة او
نرد على تقدير اوهل نرد فنعمل اى هل يكون لنا رد فان نعمل اى فعمل غير ما كنا عملناه المعنى لما ذكر حال الفريقين بين سبحانه
انه قد اتاهم الكتاب والحجة فقال ولقد جئناهم بكتاب وهو القرآن فصلناه اى بيناه وفسرناه على علم اى ونحن عالمون به ولما
كانت لفظة عالم ماخوذة من العلم جاز ان يذكر العلم ليدل به على العالم كما ان الوجود فى صفة الموجود كذلك هدى ورحمة
لقوم يؤمنون اى دلالة ترشدهم الى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لانهم المنتفعون به هل ينظرون الا
تاويله اى هل ينتظرون الا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول مغبة امورهم اليه عن الحسن وقتادة ومجاهد والسدى وانما
اضاف اليهم مجازا لانهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له وانما كان ينتظرهم المؤمنون لايمانهم بذلك واعترافهم
به وقيل ان تاويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائى يوم ياتى تاويله اى يوم ياتى عاقبة ما وعدوا به يقول الذين
نسوه من قبل اى يقول الذين تركوا العمل به ترك الناسى له واعرضوا عنه عن مجاهد والزجاج قد جاءت رسل ربنا بالحق اعترفوا بان ما
جاءت به الرسل كان حقا والحق ما شهد بصحته العقل فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا تمنوا ان يكون لهم شفعاء يشفعون لهم
فى ازالة العقاب او نرد اى وهل نرد الى الدنيا فنعمل غير الذى كنا نعمله من الشرك من الشرك والمعصية قد خسروا انفسهم اى اهلكوها
بالعذاب وضل عنهم ما كانوا يفترون على الاصنام بقولهم انها الهة وانها تشفع لنا قوله عز وجل إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا
لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ اية القراءة قرا اهل الكوفة غير حفص ويعقوب يغشى بالتشديد وكذلك فى

التاهب والعمل للقاء هذا اليوم عن ابن
عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه
نعاملهم معاملة المنسى فى النار فلا نجيب
لهم دعوة ولا نرحم لهم عبرة كما تركوا

فى الرعد

فى الرعد والباقون بالتخفيف وقرا ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون بالنصب الحجة قال ابو على غشى
فعل متعد الى مفعول واحد فاذا انقلته بالهمزة او بتضعيف العين تعدى الى مفعولين وقد جاء التنزيل بالامرين قال فغشيها
ما غشى فما فى موضع نصب بانه المفعول الثانى وقال فاغشيناهم فهم لا يبصرون فهذا منقول بالهمزة والمفعول الثانى محذوف والمعنى
فاغشيناهم العمى او فقد الرؤية عنهم فاذا جاء التنزيل بالامرين فكلا الفريقين بما جاء فى التنزيل وقوله يغشى الليل النهار كل واحد
من الليل والنهار منتصب بانه مفعول به والفعل قبل النقل غشى الليل النهار ولم يقل يغشى النهار الليل كما قال سرابيل تقيكم الحر ولم يقل
تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى ومثل هذا لا يضيق وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم انه حمله على خلق كما قال واسجدوا لله الذى
خلقهن وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض ومما فى السماء الشمس والقمر واذا اخبر بتسخيرها حسن الاخبار
عنهما به كما انك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب اللغة قد بينا معنى الاستواء فى سورة البقرة عند قوله ثم استوى
الى السماء والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش الملك يقال ثل عرشه والعرش السقف ومنه قوله فهى خاوية على عروشها والحثيث
السريع بالسوق واصل البركة الثبات ومنه براكاء القتال الاعراب قوله حثيثا يجوز ان يكون حالا من الفاعل او المفعول او منهما جميعا
ومثله قوله فاتت به قومها تحمله فان تحمله كذلك ومثله قول الشاعر متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا المعنى
لما ذكر الله سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم بمقدوراته ومصنوعاته ودلهم بذلك على انه لا معبود سواه فقال
مخاطبا لجميع الخلق ان ربكم الله اى ان سيدكم ومالككم ومنشئكم ومحدثكم هو الله الذى خلق السموات اى انشاها واخترعها وابدعها لا
من شئ ولا على مثال ثم امسكها بلا عماد يدعمها والارض اى وانشا الارض واوجدها كذلك فى ستة ايام اى فى مقدار ستة
ايام من ايام الدنيا ولا شبهة انه سبحانه يقدر على خلق امثال ذلك فى لحظة ولكنه خلقهما فى هذه المدة لمصلحة ورتبهما على ايام الاسبوع
فابتداء بالاحد والاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمى جمعة عن مجاهد وقيل ان
ترتيب الحوادث على انشاء شئ بعد شئ على ترتيب ادل على كونه فاعله عالما مدبرا يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته وقيل انه سبحانه
علم خلقه التثبت والرفق فى الامور عن سعيد بن جبير ثم استوى على العرش اى استوى امره على الملك عن الحسن يعنى استقر ملكه
واستقام بعد خلق السموات والارض وظهر ذلك للملائكة وانما اخرج هذا على المتعارف من كلام العرب بقولهم استوى الملك
على عرشه اذا انتظمت امور مملكته واذا اختل امر ملكه قالوا ثل عرشه ولعل ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير ابدا
قال الشاعر اذا ما بنو مروان ثلت عروشهم واودت كما اودت اياد وحمير وقال ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث
بن شهاب وقيل معناه استولى عليه بالقدرة عن الجبائى وقيل معناه ثم قصد الى خلق العرش عن الفراء وجماعة واختاره القاضى
قال دل بقوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء والارض وروى عن مالك بن انس انه قال الاستواء غير مجهول والكيفية
غير معلومة والسؤال عنه بدعة وروى عن ابى حنيفة انه قال امروه كما جاء اى لا تفسروه يغشى اى يلبس الليل النهار يعنى ياتى باحدهما
بعد الاخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ولم يقل ويغشى النهار الليل لان الكلام يدل عليه وقد ذكر فى موضع
اخر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثا اى يتلوه فيدركه سريعا وهذا توسع يريد انه ياتى فى اثره كما ياتى
الشئ فى اثر الشئ طالبا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اى مذللات جاريات فى مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع
العباد ومن قرا مسخرات بالنصب فانه منصوب على الحال الا له الخلق والامر انما فصل بين الخلق والامر لان فائدتهما مختلفة
لانه يريد بالخلق ان له الاختراع وبالامر ان له ان يامر فى خلقه بما احب ويفعل بهم ما شاء تبارك الله اى تعالى بالوحدانية
فيما لم يزل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات وقيل معناه تعالى عن صفات المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة اى
البركة فى اسمه رب العالمين اى خالقهم ومالكهم وسيدهم قوله عز وجل ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ايتان القراءة
قرا ابو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء والباقون بضمها وهما لغتان اللغة التضرع التذلل وهو اظهار الذل الذى فى النفس ومثله

التخشع ومنه التطلب لامر من الامور واصل التضرع الميل في الجهات ذلا من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعا اذا امال باصبعه يمينا وشمالا ذلا وخوفا ومنه ضرع الشاة لان اللبن يميل اليه ومنه المضارعة للمشابهة لانها تميل الى شبهه والضريع نبت لا يسمن لانه يميل مع كل داء والخفية خلاف العلانية والهمزة في الاخفاء منقلبة عن الياء كما ان الهمزة في الغناء منقلبة عن الياء لانه الغنية وقال خفيت الشيء اذا اظهرته قال يخفي التراب باظلاف ثمانية في اربع مسهن الارض تحليل ويمكن ان يكون اخفيت الشيء اي ازلت اظهاره واذا ازلت اظهاره فقد كتمته كما ان اشكيته بمعنى ازلت شكايته والخفية الاخفاء والخيفة الخوف والرهبة والطمع توقع المحبوب وضد الياس وهو القطع بانتفاء المحبوب وضد الياس الاعراب تضرعا وخفية مصدران وضعا موضع الحال اي ادعوه متضرعين ومخفين وقوله خوفا وطمعا في موضع الحال اي خائفين عقابه وطامعين في رحمته قال الفرا انما ذكر قريب ولم يونث ليفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لان كل ما قرب في مكان او نسب فهو جار على ما يصيبه من التانيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد وكذلك كل تانيث ليس بحقيقي وقال الاخفش جائز ان يكون اراد بالرحمة هنا المطر فلذلك ذكره ومثله قول الشاعر يا ايها الراكب المزجي مطيته سائل بني اسد ما هذه الصوت اي ما هذه الصيحة وقول الاخر ان السماحة والمروة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح المعنى امر سبحانه بعد ذكر دلائل توحيده بدعائه على وجه الخشوع كافة عبيده فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي تخشعا وسرا عن الحسن قال بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ثم قال ان كان الرجل لقد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلوة الكثيرة في بيته وعنده الزور فلا يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وروي ان النبي صلى الله عليه واله كان في غزاة فاشرفوا على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون اصواتهم فقال عليه السلام ايها الناس اربعوا على انفسكم اما انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا انه معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية السر يعني ادعوه علانية وسرا عن ابي مسلم ورواه علي بن ابرهيم في تفسيره انه لا يحب المعتدين في الدعاء وقيل هو ان يطلب منازل الانبياء فيتجاوز الحد في الدعاء عن ابي مجلز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يحب المجاوزين الحد المرسوم في جميع العبادات والدعوات ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ومعناه النهي عن قتل المومنين واضلالهم والعمل بالمعاصي في الارض بعد ان اصلحها الله تعالى بالكتب والرسل عن الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقيل بعد ان امر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع اوامر الله تعالى فيها وروي عنه ايضا انه قال لا تفسدوها بقتل المومن بعد اصلاحها ببقائه وقيل لا تفسدوها بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم عن عطية وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وروى ميسر عن ابي جعفر عليه السلام في هذه الاية قال ان الارض كانت فاسدة فاصلحها الله بنبيه عليه السلام وادعوه خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه وقيل خوفا من الرد وطمعا في الاجابة وقيل خوفا من عدله وطمعا في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفا من الميزان وطمعا في الجنان عن عطا ان رحمة الله قريب من المحسنين معناه ان انعام الله قريب الى فاعلي الاحسان وقيل ان رحمة الله اي ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الاخفش ويقويه قوله فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها والاحسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضر الذي يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالمحسنين من خلصت افعاله من الاساءة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه ان رحمة الله واصلة الى من فعل الاحسان وليس فيه انه لا تصل الى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف على الدلالة قوله عز وجل وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ

والذي

وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ اثنتان القراءة قرا ابن كثير الريح واحدة ونشرا مضمومة النون والشين وقرا اهل المدينة والبصرة الرياح جمع نشرا بضم النون وسكون الشين حيث كان وقرا اهل الكوفة غير عاصم الريح نشرا بفتح النون وسكون الشين وقرا ابن عامر الرياح نشرا بضم النون وسكون الشين وقرا ابو جعفر الا نكدا بفتح الكاف والباقون نكدا بالكسر الحجة قال ابو علي اعلم ان الريح اسم على فعل والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسرة فاما في الجمع القليل فصحت لانه لا شيء فيه يوجب الاعلال الا ترى ان الفتحة لا توجب اعلال هذه الواو في نحو قول وقوم فاما في الجمع الكثير فرياح انقلبت ياء للكسرة التي قبلها واذا كانت انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل فان تنقلب في رياح اجدر لوقوع الالف بعدها والالف تشبه الياء والياء اذا تاخرت عن الواو وجب فيها الاعلال وكذلك الالف لتشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد بها الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاء والبعير وان الانسان لفي خسر ثم قال الا الذين امنوا وكذلك من قرا الريح نشرا فافرد ووصفه بالجمع فانه حمله على المعنى وقد اجاز ابو الحسن ذلك وقال فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم ومن نصب حمله على المعنى لان المفرد يراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير ونقول من جمع الريح اذا وصفها بالجمع الذي هو نشرا احسن لان الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ واما ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه واله كان يقول اذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلان عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسقيا والرحمة كقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وان يرسل الرياح مبشرات وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله فاهلكوا بريح صرصر عاتية ريح فيها عذاب اليم قال ابو عبيدة نشرا متفرقة من كل جانب وقال ابو زيد انشر الله الموتى انشارا اذا بعثها وانشر الله الريح مثل احياها فنشرت هي اي حييت والدليل على ان انشار الريح احياؤها قول المرار الفقعسي وهبت له ريح الجنوب واحييت له ريدة يحيي المياه نسيمها والريدة والريدانة الريح قال اودت به ريدا صرصر ومن قرا نشرا احتمل ضربين يجوز ان يكون جمع ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فاذا جعلته جمع نشور احتمل امرين احدهما ان يكون النشور بمعنى المنشر كما ان الركوب بمعنى المركوب فكان المعنى ريح او رياح منشرة ويجوز ان يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل طهور ونحوه من الصفات ويجوز ان يكون نشرا جمع ناشر كشاهد وشهد وبازل وبزل وقاتل وقتل قال الاعشى انا لامثالكم يا قومنا قتل وقول ابن عامر نشرا يحتمل وجهين ان يكون على فعول وفاعل فخفف العين كما خفف في كتب ورسل ويكون جمع فاعل كبازل وبزل وعائط وعوط واما من قرا نشرا فانه يحتمل ضربين احدهما ان يكون المصدر حالا من الريح فاذا جعلته حالا منها احتمل امرين احدهما ان يكون النشر الذي هو خلاف الطي كانها كانت بانقطاعها كالمطوية ويجوز على تاويل ابي عبيدة ان تكون متفرقة في وجوهها والاخر ان يكون النشر الذي هو الحياة في نحو قوله يا عجبا للميت الناشر فاذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول اتانا ركضا اي راكضا ويجوز ان يكون المصدر يراد به المفعول كانه يرسل الرياح انشارا اي محياة فحذف الزوايد من المصدر كما قال عمرك الله وكما قال وان تهلك فذلك كان قدري اي تقديري والضرب الاخر ان يكون نشرا ينتصب انتصاب المصدر من باب صنع الله لانه اذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على ينشر الرياح نشرا او نشرت نشرا من قوله كما تنشر بعد الطية الكتب ومن نشرت الريح كما ينشر الميت وقراءة عاصم بشرا جمع بشير وبشير من قوله يرسل الرياح مبشرات اي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشيرا على بشر ككتاب وكتب والوجه في قراءة ابي جعفر نكدا انه لغة في نكد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان اخران نكدا ونكدا الا انه لم يثبت لهما رواية اللغة الاقلال حمل الشيء باسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال استقل بحمله استقلالا واقله اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبته فانسحب والسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الارض التي تجمع الخلق الكثير والبلد كالبلد للاعراب ونحوهم من الاكراد والنكد العسر الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدا فهو نكد ونكد وقد نكد اذا سئل فبخل قال الشاعر واعط ما اعطيته طيبا لا خير في المنكود والناكد المعنى لما اخبر الله سبحانه في الاية المتقدمة

وقرا عاصم الرياح بشرا بالباء وساكنة الشين م

ينشر الريح د

ونكدا م

بانه خلق السموات والارض وما فيهما من البدايع عطف على ذلك بقوله وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته تعدادا
لنعمه على بريته اي يطلقها وحرها منتشرة في الارض او محيية للارض او مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر حتى
اذا اقلت اي حملت وقيل رفعت سحابا ثقالا بالماء سقناه لبلد ميت اي الى بلد ميت وموت البلد تعفي مزارعه ودروس
مشاربه لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لانه رد الضمير الى لفظ السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى اذا
اتصل السحاب انزل المطر فانزلنا به الماء يجوز ان يكون الضمير في به راجعة الى البلد اي فانزلنا بالبلد الماء ويجوز ان يكون
راجعة الى السحاب اي فانزلنا بالسحاب الماء فاخرجنا به اي بهذا الماء المنزل او بهذا البلد من كل الثمرات يحتمل ان يكون من للتبعيض
ويحتمل ان يكون لتبيين الجنس كذلك نخرج الموتى اي نحييها بعد موتها لعلكم تذكرون اي لكي تتذكروا وتتفكروا وتعتبروا بان
من قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع بريح يرسلها فانه يقدر على احياء الاموات بان يعيدها الى
ما كانت عليه ويخلق فيها الحيوة والقدرة واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الاية على ان كثيرا من الاشياء تكون بالطبع قال
لان الله تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء ثم قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك وانما ينكر قول من يقول بقدم
الطبايع او ان الجمادات فاعلة فاما من قال ان الله تعالى هو الفاعل لهذه الاشياء غير انه يفعلها تارة مخترعة بلا وسايط
وتارة يفعلها بوسايط فلا كراهة في ذلك كما يقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول اكثر اهل العدل وقالوا ان الله
سبحانه اجرى العادة باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته على اخراج ذلك من غير مطر لما يقتضيه الحكمة من وجوه
المصالح الدينية والدنيوية ثم بين سبحانه حال الارض التي ياتيها المطر فقال والبلد الطيب معناه والارض الطيب ترابه
يخرج نباته اي زرعه وعرقه وجا حسنا ناميا زاكيا من غير كد ولا عناء باذن ربه بامر الله تعالى وانما قال باذن ربه ليكون
ادل على العظمة ونفوذ الارادة بغير تعب ولا نصب والذي خبث لا يخرج الا نكدا اي والارض السبخة التي خبث ترابها
لا يخرج زرعها الا شيئا قليلا لا ينتفع به عن السدى ومعناه الا عسرا ممتنعا من الخروج ولو اراد سبحانه ان يخرج من الارض
النكدة اكثر مما يخرج من الارض الطيبة لامكنه الا انه اجرى العادة باخراجه من الارض الطيبة ليكون ذلك باعثا للانسان
على طلب الخير من مظانه ودلالة له على وجوب الاجتهاد في الطاعات فاذا اذا احمل نفسه على ابتغاء الخير اليسير الذي لا يدوم
وربما لا يحصل فان يبتغي النعيم الدايم الذي لا يفنى ولا يبيد بالاعمال الصالحة اولى كذلك نصرف الايات اي الدلالات
المختلفة لقوم يشكرون معناه كما بينا هذا المثل نبين الدلالات للشاكرين وقيل كما صرفنا الايات لكم بالاتيان باية بعد
اية وحجة بعد اخرى نصرفها لقوم يشكرون الله على نعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته اياهم لما فيه نجاتهم وتبصيرهم
سبيل اهل الضلال وامره اياهم بتجنب ذلك والعدول عنه وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل
ضربه الله للمؤمن والكافر فاخبر بان الارض كلها جنس واحد الا ان منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها و
منها سبخة لا تنبت شيئا وان انبتت فلا منفعة فيه وكذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها لين يقبل الوعظ ومنها قاس جاف
لا يقبل الوعظ فليشكر الله تعالى من لان قلبه لذكره قوله عز وجل لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ قَالَ يَا
قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ
وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ست ايات القراءة قرا ابو جعفر والكسائي من اله غيره بخفض الراء
حيث وقع والباقون بالرفع وقرا ابو عمرو وحده ابلغكم بتخفيف اللام والباقون بتشديدها الحجة قال ابو علي وجه قراءة من جر جعل غيرا صفة
لاله على اللفظ وجعل لكم مستقرا او جعله غير مستقر واضمر الخبر والخبر ما لكم في الوجود او في العالم او نحو ذلك لا بد من هذا
الاضمار اذا لم يجعل لكم مستقرا لان الصفة والموصوف لا يستقل بهما كلام ووجه من رفع قوله ما من اله الا الله فكما ان قوله

الا الله

الا الله بدل من قوله من اله كذلك قوله غيره يكون بدلا من قوله من اله وغيره يكون بمنزلة الاسم الذي بعد الا وهو الذي ذكرنا اولى
ان يحمل عليه من ان يجعل غيره صفة لاله على الموضع فان قلت ما تنكر ان يكون الا الله صفة لقوله من اله على الموضع كما كان قوله
لو كان فيهما آلهة الا الله صفة لآلهة قيل ان الا يكون فيها استثناء اعرف واكثر من كونها صفة وانما جعلت صفة على التشبيه بغير فاذا
كان الاستثناء اولى حملنا هل من خالق غير الله على الاستثناء من المنفي في المعنى لان قوله هل من خالق غير الله بمنزلة ما من خالق
غير الله ولا بد من اضمار الخبر كانه قال ما من خالق للعالم غير الله ويؤكد ذلك لا اله الا الله فهذا استثناء من منفي مثل لا احد
في الدار الا زيد فاما قراءة حمزة والكسائي هل من خالق غير الله فعلى ان جعله صفة للخالق واضمر الخبر كما تقدم والبلاغ
جعلوه استثناء بدلا من المنفي وهو الاولى عندنا لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله ما من اله الا الله واما ابلغكم فالقول
فيه ان بلغ يتعدى الى مفعول في نحو بلغني الخبر فاذا ثقلته تعدى الى مفعولين والنقل يكون بالهمزة وبتضعيف العين
وكلا الامرين جاء به التنزيل قال سبحانه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك الى قوله فما بلغت رسالته وقال فان تولوا
فقد ابلغتكم وليعلم ان قد ابلغوا اللغة الملأ الجماعة من الرجال خاصة ومثله النفر والقوم والرهط عن الفراء وسموا
بذلك لانهم يملؤن المحافل والقوم الجمع الذي يقوم بالامر سموا بالمصدر والابلاغ ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة
وهو ايصال المعنى الى النفس باحسن صورة من اللفظ والبليغ الذي ينشئ البلاغة لا الذي ياتي بها على وجه الحكاية والفرق
بين الابلاغ والاداء ان الاداء ايصال الشيء على الوجه الذي يجب فيه ومنه فلان ادى الدين اداء وفلان حسن الاداء
لما يستمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها الى غيره والنصيحة اخلاص
النية من شايب الفساد في المعاملة والفلك السفن يقع على الواحد وعلى الجمع واصله الدور مشتق من قولهم فلك
ثدي الجارية اذا استدار ومنه الفلكة والفلك الاعراب يا قوم حذفت ياء الاضافة لقوة النداء على التغيير حتى تحذف
للترخيم فلما جاز ان تحذف في غير النداء للاجتزاء بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع شيئين فيها لكني اصله لكنني
حذف النون لاجتماع النونات ويجوز الاتمام في غير القرآن لانه الاصل وكذلك اني وكاني فاما ليتني فلا يجوز فيه
الا اثبات النون لانه لم يعرض فيه علة الحذف واما لعلي فيجوز فيه الوجهان لان اللام قريبة من النون رسول من رب
العالمين من هنا لابتداء الغاية اي هو ابتداني بالرسالة وكل مبتدئ بفعل فذلك الفعل منه واصل من ان يكون لابتداء
الغاية المعنى لما بين الله سبحانه الادلة على وحدانيته ذكر بعده حال من عاند وكذب رسله تسلية لنبينا صلى الله عليه
وآله وتثبيتا له على احتمال الاذى من قومه وتحذيرا لهم عن الاقتداء باولئك فينزل بهم ما نزل بهم فابتدأ بقصة نوح
فقال لقد ارسلنا نوحا الى قومه اللام للقسم وقد تاكيد للكلام وتقديره حقا اقول انا حملنا نوحا الرسالة الى قومه
وتحميل الرسالة تكليف القيام بها وهي منزلة جليلة شريفة يستحق الرسول بتقبله اياها وقيامه باعبائها من التعظيم و
الاجلال ما لا يستحق بغيره وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس عليه السلام وهو اول نبي بعد
ادريس وقيل انه كان نجارا وولد في العام الذي مات فيه آدم عليه السلام قبل موت آدم في الالف الاولى وبعث في
الالف الثانية وهو ابن اربعمائة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وكان في
تلك الالف ثلثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه الا فرارا وكان يضربه
قومه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون ثم شكاهم الى الله تعالى ففرقت له الدنيا وعاش
بعد ذلك تسعين سنة وروي اكثر من ذلك ايضا فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اخبر سبحانه انه امرهم بعبادة
الله وحده لانه لا اله لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم اوعدهم على مخالفته فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم انما قال اخاف
ولم يقطع لانه جوز ان يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال قال الملأ من قومه اي الجماعة من قومه عن الجبائي وقيل الاشراف
والرؤساء الذين يملؤن الصدور هيبة وجمالا عن ابي مسلم انا لنراك في ضلال مبين قيل معناه رؤية القلب الذي

هو العلم اى انا لنعلمك فى ذهاب عن الحق بين ظاهر لدعايك ايانا الى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه روية البصر اى نريك بابصارنا على هذه الحال وقيل انه من الراى الذى هو غالب الظن فكانه قال انا لنظنك قال يا قوم ليس بى ضلالة هذا اخبار عما اجابهم به نوح عليه السلام اى ليس بى عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب يقال به ضلالة لان معناه عرض به ذلك كما يقال به جنة ولا يجوز ان يقال به معرفة لانها ليست مما يعرض لصاحبها ولكن يصح ان يقال به جوع وبه عطش ولكنى رسول من رب العالمين الذى يملك كل شىء ابلغكم رسالات ربى اى اودى اليكم ما حملنى ربى من الرسالات وانصح لكم فى تبليغ الرسالة على وجهها من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان واعلم من الله اى من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته ما لا تعلمون وقيل اعلم من دين الله وقيل اعلم من قدرته وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمونه والكل محتمل وقيل انما قال ذلك لان قوم نوح لم يسمعوا قط ان الله سبحانه عذب قوما وقد سمعت الامم بعدهم هلاك من قبلهم الا ترى ان هودا قال جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقال شعيب مثل ما اصاب قوم نوح او عجبتم هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف على جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستانف من وجه متصل من وجه ان جاءكم ذكر اى لان جاءكم بيان وقيل نبوة ورسالة من ربكم على رجل منكم لينذركم اى على بشر مثلكم ليخوفكم العقاب ان لم تومنوا وقيل ان على هنا بمعنى مع اى مع رجل منكم تعرفون مولده ومنشاه ليعلمكم موضع المخافة وانما انكر عليهم التعجب لانه ليس فى رسالة اليهم ليرشدهم الى ما فيه صلاحهم موضع تعجب وانما العجب من اهمال امرهم كيف ووجوب الرسالة اذا كان للخلق فيها مصلحة امر قد اقتضته الحكمة ودل عليه العقل ولتتقوا اى ولتتقوا الشرك والمعاصى ولعلكم ترحمون اى ولكى ترحموا قال الحسن ولتتقوا رجاء ان يرحمكم فكذبوه اى فكذبوا نوحا فيما دعاهم اليه فانجيناه والذين معه فى الفلك اى خلصناه والذين كانوا معه فى السفينة وهم المومنون من عذاب الغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى واهلكنا الذين كذبوا بدلايلنا بالماء انهم كانوا قوما عمين عن الحق اى ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم اذا كان اعمى القلب ورجل اعمى فى البصر قال زهير ولكننى عن علم ما فى غد عمى ٥ قصة نوح قد ذكرنا نبذ وكان من قصته ما رواه الشيخ ابو جعفر بن بابويه باسناده فى كتاب النبوة مرفوعا الى ابى عبد الله عليه السلام قال لما ان بعث الله عز وجل نوحا دعا قومه علانية فلما سمع عقب هبة الله من نوح تصديق ما فى ايديهم من العلم وعرفوا ان العلم الذى فى ايديهم هو العلم الذى جاء به نوح صدقوه وسلموا له فاما ولد قابيل فانهم كذبوه وقالوا ان الجن كانت قبلنا فبعث الله اليهم ملكا فلو اراد ان يبعث الينا لبعث الينا ملكا من الملائكة عن حنان بن سدير عن ابى عبد الله عليه السلام قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر وفى حديث وهب بن منبه ان نوحا عليه السلام كان اول نبى نباه الله عز وجل بعد ادريس وكان الى الادمة ما هو دقيق الوجه فى راسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلا جسيما دعا قومه الى الله حتى انقضت ثلثة قرون منهم كل قرن ثلثمائة سنة يدعوهم سرا وجهرا فلا يزدادون الا طغيانا ولا ياتى منهم قرن الا كان اعتى على الله من الذين قبلهم وكان الرجل منهم ياتى بابنه وهو صغير فيقيمه على راس نوح ويقول يا بنى ان بقيت بعدى فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثورون على نوح فيضربونه حتى تسيل مسامعه دما وحتى لا يعقل شيئا مما يصنع به فيحمل فيرمى به فى بيت او على باب داره مغشيا عليه فاوحى الله تعالى اليه انه لن يومن من قومك الا من قد آمن فعندها اقبل على الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الارض الى اخر السورة فاعقم الله تعالى اصلاب الرجال وارحام النساء فلبسوا اربعين سنة لا يولد لهم ولد وقحطوا فى تلك الاربعين سنة حتى هلكت اموالهم واصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا الايات فاعذر اليهم وانذر فلم يزدادوا الا كفرا فلما يئس منهم اقصر عن كلامهم ودعاهم فلم يومنوا وقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية يعنون الهتهم حتى غرقهم الله والهتهم التى كانوا يعبدونها فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الاصنام سموا اصنامهم باسماء اصنام قوم نوح فاتخذ اهل اليمن يغوث ويعوق واهل دومة الجندل صنما سموه ودا واتخذ حمير صنما سموه نسرا وهذيل صنما سموه سواعا فلم يزل يعبد وبها حتى جاء الاسلام وسنذكر قصة السفينة والغرق فى

ابن ادم ع

حتى غرقهم الله تعالى والهتهم التى كانوا يعبدونها م

سورة

سورة هود ان شاء الله تعالى وروى الشيخ ابو جعفر بن بابويه عن على بن احمد بن موسى قال حدثنا احمد بن ابى عبد الله الكوفى قال حدثنا سهل بن زياد الادمى قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسنى قال سمعت على بن محمد عليه السلام يقول عاش نوح عليه السلام الفين وخمسمائة سنة وكان يوما فى السفينة نايما فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث فزجرهما سام ونهاهما عن الضحك وكان كلما غطى سام ما يكشفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح وراهم يضحكون فقال ما هذا فاخبره سام بما كان فرفع نوح يده الى السماء يدعو فقال اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له الا السودان اللهم غير ماء صلب يافث فغير الله ماء صلبيهما فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسقلاب وياجوج وماجوج والصين من يافث وجميع البيض سواهم من سام وقال نوح لحام ويافث جعل الله ذريتكما خولا لذرية سام الى يوم القيمة لانه برنى وعققتمانى فلا زالت سمة عقوقكما لى فى ذريتكما ظاهرة وسمة البر بى فى ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله ذكر يافث فى هذا الخبر غريب لم اروه الا من هذا الطريق وجميع الاخبار التى رويتها فى هذا المعنى فيها ذكر حام وحده وانه ضحك لما انكشفت عورة ابيه وان ساما ويافث كانا فى ناحية فبلغهما ما صنع فاقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان والقياه عليه الثوب وهو نايم فلما استيقظ اوحى الله عز وجل اليه ما الذى صنع حام فلعن حاما ودعا عليه وروى ابرهيم بن هاشم عن على بن الحكم عن بعض اصحابنا عن ابى عبد الله عليه السلام قال عاش نوح عليه السلام الفى سنة وخمسماية سنة منها ثمانماية وخمسين قبل ان يبعث والف سنة الا خمسين عاما وهو فى قومه يدعوهم ومايتى عام فى عمل السفينة وخمسماية عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الامصار واسكن ولده البلدان ثم ان ملك الموت جاءه وهو فى الشمس فقال السلام عليك فرد اليه نوح وقال له ما جاء بك يا ملك الموت فقال جئت لاقبض روحك فقال له تدعنى اتحول من الشمس الى الظل فقال له نعم قال فتحول نوح ثم قال يا ملك الموت كان ما مر بى من الدنيا مثل تحولى من الشمس الى الظل فامض لما امرت قال فقبض روحه صلى الله على نبينا وعليه قوله عز وجل وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ثمانى ايات اللغة السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه اذا كان خفيفا قال مورج السفاهة الجنون بلغة حمير والفرق بين العجب والعجب ان العجب بضم العين عقد النفس على فضيلة لها ينبغى ان يعجب منها وليس كذلك العجب بفتح العين والجيم لانه قد يكون حسنا وفى المثل لا خير فيمن لا يتعجب من العجب واراذل منه المتعجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة وهو الكاين بدل غيره ليقوم مقامه فى تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء وجائز ان يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفة وظرائف والآلاء النعم وفى واحدها اربع لغات الى مثل معى والى مثل قفا والى مثل رمى والى مثل حسى قال الاعشى ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الى وروى الا وقيل انه اراد بقوله الا الال بالتشديد فخفف وهو العهد والقرابة والوقوع والسقوط والنزول نظاير والرجس العذاب وقيل الرجس الرجز قلبت الزاى سينا كما قلبت السين تاء فى قول الشاعر الا لحى الله بنى السعلات عمرو بن يربوع شرار النات اى الناس ليسوا باعفاف ولا اكيات يريد اكياس الاعراب انتصب اخاهم هودا بقوله ارسلنا فى اول الكلام لان تفصيل القصص يقتضى ذلك والتقدير وارسلنا الى عاد اخاهم

هودا وصرف هود الخفته كما صرف جمل الخفتها يا قوم موضع قوم نصب لانه نداء مضاف ولو وصفته لم يجز فى صفته الا النصب قوله ولكنى رسول استدراك بلكن لان فيه معنى ما دعانى الى امركم السفه ولكن دعانى اليه انى رسول المعنى ثم عطف سبحانه على قصة نوح قصة هود عليهما السلم فقال والى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح اخاهم يعنى فى النسب لا فى الدين هودا وهو هود بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عن محمد بن اسحق وقيل هو هود بن عبد الله بن رباح بن حلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عن غيره وكذا هو فى كتاب النبوة وانما قال اخاهم لانه ابلغ فى الحجة عليهم اذا اختار للرسالة اليهم من هو قبيلتهم ليكونوا اليه اسكن وبه آنس وعنه افهم قال هود يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد مر تفسيره انا لنريك يا هود فى سفاهة اى جهالة ومعناه نريك سفيها الا انه قال فى سفاهة على جهة المبالغة اى نريك منغمسا فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين اى كذبوه ظانين لا متيقنين عن الحسن والزجاج وقيل ان المراد بالظن هنا العلم كما فى قول الشاعر فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرد ومعناه ايقنوا قال هود ليس بى سفاهة اى لم يحملنى على هذا الاخبار السفاهة ولكنى رسول من رب العالمين هذا تعليم من الله تعالى ان لا يقابل السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان على نفى ما اضيف اليه عن النفس ابلغكم رسالات ربى انما قال رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ الجمع لان الرسالة متضمنة لاشياء كثيرة من الامر والنهى والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فاتى بلفظ يدل عليها واذا قال رسالة ربى بلفظ الوحدان اتى بلفظة مشتملة على هذه الاشياء بطريق الاجمال وانا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده امين اى ثقة مامون فى تادية الرسالة فلا اكذب ولا اغير عن الضحاك والجبائى وقيل معناه كنت مامونا فيكم فكيف تكذبوننى عن الكلبى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم اى لا عجب فى ان جاءكم نبوة وقيل معجزة وبيان على رجل منكم فى النسب نشا بينكم وقيل ان معناه كيف يتعجبون من بعثة رجل منكم ولا يتعجبون من بعثة رجل منكم ولا يتعجبون من عبادة حجر لينذركم ليخوفكم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح معناه واذكروا نعمة الله عليكم بان جعلكم سكان الارض من بعد قوم نوح وهلاكهم بالعصيان وزادكم فى الخلق بسطة اى طولا وقوة عن ابن عباس وجماعة قال الكلبى كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا وقيل كان اقصرهم اثنى عشر ذراعا وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم كانوا كانهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيده فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزاد فى خلقتكم بسطة تكا‌نوا اطول من غيرهم بمقدار ان يمد الانسان يده فوق راسه باسطا فاذكروا الاء الله اى نعم الله لعلكم تفلحون اى لكى تفوزوا بنعم الدنيا والاخرة قالوا اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده ونذر عبادة ما كان يعبد اباؤنا من الاصنام فائتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فى انك رسول الله الينا وفى نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الاصنام قال هود لقومه جوابا عما قالوه قد وقع عليكم اى وجب عليكم وحل بكم لا محالة فهو كالواقع من ربكم رجس اى عذاب وغضب والغضب من الله ارادة العقاب لمستحقيه ومثله السخط اتجادلوننى اى اتناظروننى وتخاصموننى فى اسماء سميتموها انتم واباؤكم اى فى اصنام صنعتموها انتم واباؤكم واخترعتم لها اسماء فسميتموها الهة وما فيها من معنى الالهية شئ وقيل معناه تسميتهم لبعضها انه يسقيهم المطر والاخر انه ياتيهم بالرزق والاخر انه يشفى المرضى والاخر انه يصحبهم فى السفر ما نزل الله بها من سلطان اى حجة وبرهان وبينة وعليكم البينة بما ادعيتم وسميتم وليس على ان اتيكم بسلطان مبين ان الله تعالى هو المعبود ولا معبود سواه وانى رسوله فانتظروا عذاب الله فانه نازل بكم انى معكم من المنتظرين لنزوله بكم عن الحسن والجبائى والمفسرين فانجيناه والذين معه برحمة منا اى فخلصنا هودا والذين كانوا معه من العذاب باخراجنا اياهم من بينهم قبل انزال العذاب بهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اى واستاصلنا الذين كذبوا وانجحنا بعذاب الاستيصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية وما كانوا مومنين بالله ورسوله وانما قال ذلك ليتبين انه كان المعلوم من حالهم انه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال فى موضع اخر ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفى هذه الاية دلالة على ان قوم هود استوصلوا فلا عقب لهم قصة هود جملة ما ذكره السدى

ومحمد بن اسحق وغيرهما من المفسرين فى قصة هود ان عادا كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بها بالشحر والاحقاف وهى رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان الى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجسام عظيمة وكانوا اصحاب اصنام يعبدونها فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى التوحيد وخلع الانداد فابوا عليه وكذبوه وآذوه فامسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء او جهد التجاوا الى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم واهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معوية بن بكر وكانت امه من عاد فبعث عاد وفدا الى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فاكرمهم وانزلهم واقاموا عنده شهرا يشربون الخمر فلما راى معوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى استحى ان آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه وشكا ذلك الى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية بن بكر الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما وان الوحش تاتيهم جهارا ولا تخشى لعادى سهاما وانتم ههنا فيما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما فقبح وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد امن بهود سرا والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد وكان قيل بن عنز راس وفد عاد فقال يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشاء الله سحابا ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناديه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السحابة السوداء التى فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة الى عاد فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اى دائمة فلم يدع من عاد احدا الا هلك واعتزل هود ومن معه من المومنين فى حظيرة ما يصيبه ومن معه الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ النفوس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة فاهلكتهم وروى ابو حمزة الثمالى عن سالم عن ابى جعفر عليه السلم قال ان لله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لاذرت ما بين السماء والارض ما ارسل على قوم عاد الا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب واسمعيل ونبينا صلى الله عليه واله وعليهم يتكلمون بالعربية قوله عز وجل وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ سبع ايات القراءة قرا ابن عامر وحده وقال الملاء باثبات الواو والباقون بغير واو الحجة قد تقدم القول فى نحو هذا الواو وان اثباتها حسن وحذفها حسن اللغة البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقة اصلها من التوطئة والتذليل يقال بعير منوق اى مذلل موطاء وتنوق فى العمل جوده والاية والعبرة والدلالة والعلامة نظاير والتبوئة التمكين من المنازل يقال بواته منزلا اذا امكنته به ليأوى اليه واصله من الرجوع قال الشاعر وبوئت فى صميم معشرها فتم فى قومها مبوءها اى انزلت ومكنت والقصور جمع قصر وهو الدار التى لها سور تكون به مقصورة واصله القصر الذى هو الجعل على منزلة دون منزلة

ناسفنا م

انا لنظنك استفهام يراد به التقرير قال الملاء الذين كفروا من قومه قد مر تفسيره م

ما قوم م

اى نبوات ربى م

ومنه القصير لانه دون غيره والقصر الغاية يقال قصرك الموت لانه قصر عليه والعثى الفساد يقال عثى يعثى عثيا وعاث يعيث بمعنى والعقر الجرح الذي ياتي على اصل النفس وهو من عقر الحوض قال امرء القيس باذاء الحوض او عقره والعتو تجاوز الحد في الفساد والرجف الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوفا اذا اضطرب من تحتهم وارجف الناس بالشيء اذا اخاضوا فيه واضطربوا والجثوم البروك على الركبة يقال جثم يجثم جثوما قال جرير عرفت المنتأى وعرفت منها مطايا القدر كالحد الجثوم الاعراب ثمود جاء مصروفا وغير مصروف فمن صرفه فعلى انه اسم الحي مذكر ومن ترك صرفه فعلى انه القبيلة كما قال الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود فصرف الاول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال لان معنى قوله تعالى هذه ناقة الله انظروا الى هذه الناقة آية اي علامة وتاكل في موضع نصب على الحال اي آكلة ومفسدين ايضا نصب على الحال وقوله لمن امن منهم موضعه نصب بدل من قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل الا انه اعيد فيه حرف الجر وقوله يا صالح ائتنا ان وصلته همزته وان ابتدات بالهمزة بل تقول ايتنا بهمزتين فكرهوا اجتماعهما فقلبوا الثانية ياء لكسرة ما قبلها واذا وصل سقط همزة الوصل فتظهر همزة الاصل المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم قصة صالح فقال والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى ثمود وثمود هنا القبيلة وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وصالح من ولد ثمود قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره فتعبدونه قد جاءتكم بينة من ربكم اي دلالة معجزة شاهدة على صدقي هذه ناقة الله لكم آية اشار الى ناقة بعينها اضافها الى الله تعالى تفضيلا وتخصيصا نحو بيت الله وقيل انما اضافها اليه لانه خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لانها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المراة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن اسحق وجماعة وقيل انما اضافها الى الله لانه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الاعجاز فيها انها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه فذروها اي اتركوها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء اي بعقر او نحر فياخذكم اي ينالكم عذاب اليم اي مؤلم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في ان اورثكم الارض ومكنكم فيها من بعد عاد وبوأكم في الارض اي انزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتا تاوون اليها وتتخذون من سهولها قصورا والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس اي تبنون في سهولها الدور والقصور وانما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها وتنحتون الجبال بيوتا قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع ويتخذون من الجبال بيوتا ليكنوا فيها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء احصن وادفأ وروي انهم لطول اعمارهم يحتاجون الى ان ينحتوا بيوتا في الجبال لان السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم فاذكروا آلاء الله اي نعم الله عليكم بما اعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الارض ولا تعثوا في الارض مفسدين اي ولا تضطربوا بالفساد في الارض ولا تبالغوا فيه قال الملأ الذين استكبروا اي تعظموا ورفعوا انفسهم فوق مقدارها بجحود الحق للانفة من اتباع الرسول الداعي اليه من قومه اي من قوم صالح للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم من المؤمنين لمن امن منهم انما ذكره لئلا يظن بالمستضعفين انهم كانوا غير مؤمنين لانه قد يكون المستضعف مستضعفا في دينه ولا يكون مؤمنا فازال سبحانه هذه الشبهة اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه اي هل تعلمون ان الله سبحانه ارسل صالحا قالوا انا بما ارسل به مؤمنون اي مصدقون قال الذين استكبروا حين سمعوا منهم بالايمان والاعتراف بنبوة صالح انا بالذي امنتم به اي صدقتم به كافرون جاحدون ثم اخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله فعقروا الناقة اي فنحروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم اي تجاوزوا الحد في الفساد والمعصية وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها ان كنت من المرسلين ثم اخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله فاخذتهم الرجفة اي الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن ابي مسلم وقيل كانت صيحة زلزلت بها الارض واصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة فاصبحوا

ايتينا وانما لان كذلك لان اصله م

في دارهم اي في بلدهم ولذلك وحد وقيل يريد في دورهم وانما وحد لانه اراد الجنس كقوله ان الانسان لفي خسر وقد ذكر في موضع اخر ديارهم بالجمع جاثمين اي صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجاثم لانهم احترقوا بالصاعقة فتولى عنهم صالح اي اعرض عنهم لانه انما كان يقبل عليهم لدعائهم الى الايمان وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم اي اديت النصح في تبليغ الرسالة ولكن لا تحبون الناصحين اي ولكنكم لا تحبون من ينصح لكم لان من احب انسانا قبل منه قصة صالح وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ ان عادا لما هلكت وتقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فكثروا وعمروا وكانوا في سعة من معايشهم فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا وكان من اوسطهم نسبا وكانوا قوما عربا وروي في الخبر انه لما بعث كان ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم يدعوهم الى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه الى خير وكان لهم سبعون صنما يعبدونها فلما راى ذلك منهم قال لهم انا اعرض عليكم امرين ان شئتم فاسالوني حتى اسال الهي فيجيبكم فيما تسالون وان شئتم سالت الهتكم فان اجابوني خرجت عنكم فقد سئمتكم وسئمتموني قالوا قد انصفت فاتعدوا اليوم يخرجون فيه فخرجوا باصنامهم الى عيدهم واكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة واشاروا الى صخرة منفردة سل فسالها فلم تجبه قال لا ارى الهتكم تجيبني فاسالوني حتى اسال الهي فيجيبكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة واشاروا الى الصخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الابل فان فعلت صدقناك وامنا بك فسال الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخرة صدعا كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمراة ياخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء فان فعلت كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فامن به رهط من قومه ولم يؤمن اكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بينا ذلك قبل فاذا كان يومها وضعت راسها في مائهم فما ترفع حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع راسها فتفجج لهم فيحتلبون ما شاءوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤوا اوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من اصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورايت اثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعا وكانت تصدر من غير الفج الذي وردت لا تقدر على ان تصدر من حيث ترد لانه يضيق عليها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمها فهموا بقتلها قالوا وكانت امراة جميلة يقال لها صدوف ذات مال من ابل وبقر وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وامراة اخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وكان احمر ازرق قصيرا وكان ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى اليه ولكنه ولد على فراشه وقالت اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر واجمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره اوحى الله تعالى الى صالح ان قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح انه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان العاشر ازرق احمر ونبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل ابنائهم فتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا وقلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا يعلمون انا قد خرجنا الى سفرنا وكان صالح لا ينام معهم في القرية ويبيت في مسجد يقال له مسجد صالح فاذا اصبح اتاهم فوعظهم واذا امسى خرج الى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا

اللهم م

الغار واراد وا ان يخرجوا من الليل فسقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك منهم فاذا هم رضخ فرجعوا وجعلوا يصيحون فى القرية اى عباد الله اما رضى صالح ان امرهم بقتل او لادهم اذ قتلهم فاجتمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة بتبييت صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب قال السدى و لما ولد قدار وكبر جلس مع اناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم فى ان اعقرها لكم قالوا نعم وقال كعب كان سبب عقرهم الناقة ان امراة يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثمود فلما اقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامراة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامراة اخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع و قدار يجتمعان معهما كل ليلة و يشربون الخمر فقالت لهما ملكاء ان اتيكما الليلة قدار و مصدع فلا تطيعهما و قولا لهما ان الملكاء حزينة لاجل الناقة ولاجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما اتيا قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقرها قالوا فانطلق قدار و مصدع واصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء و قد كمن لها قدار فى اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع فى اصل اخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضلة ساقها و خرجت عنيزة وامرت ابنتها و كانت من احسن الناس فاسفرت لقدار ثم ذمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت و رغت رغاة واحدة و تحدر سقبها ثم طعن فى لبتها فنحرها و خرج اهل البلدة واقتسموا لحمها و طبخوا فلما راى الفصيل ما فعل بامه ولى هاربا حتى صعد جبلا ثم رغى رغاء يقطع منه قلوب القوم واقبل صالح فخرجوا يعتذرون اليه انما عقرها فلان و لا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فى الجبل فلم يجدوه و كانوا عقروا الناقة ليلة الاربعاء فقال لهم صالح تمتعوا فى داركم يعنى فى محلتكم فى الدنيا ثلاثة ايام فان العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غدا و وجوهكم مصفرة واليوم الثانى تصبحون و وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان اول يوم اصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال صالح و لما كان يوم الثانى احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبريل عليه السلم فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم و فلقت قلوبهم وصدعت اكبادهم و كانوا قد تحنطوا و تكفنوا و علموا ان العذاب نازل بهم فماتوا اجمعين فى طرفة عين صغيرهم و كبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية و لا راغية و لا شيئا يتنفس الا اهلكها فاصبحوا فى ديارهم موتى ثم ارسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء فاحرقتهم اجمعين فهذه قصتهم و فى كتاب على بن ابرهيم فبعث الله عليهم صيحة و زلزلة فهلكوا و روى الثعلبى باسناده مرفوعا عن النبى صلى الله عليه و اله قال يا على اتدرى من اشقى الاولين قال قلت الله و رسوله اعلم قال عاقر الناقة قال اتدرى من اشقى الاخرين قال قلت الله و رسوله اعلم قال قاتلك و فى رواية اخرى قال اشقى الاخرين من يخضب هذه من هذه واشار الى لحيته و راسه و روى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبى صلى الله عليه و اله بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية و لا تشربوا من مائهم و لا تدخلوا الى هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم الذى اصابهم ثم قال اما بعد فلا تسالوا رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سالوا رسولهم الاية فبعث الله لهم الناقة و كانت ترد من هذا الفج و تصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل حتى ارتقى فى القارة فعتوا عن امر ربهم فعقروها فاهلك الله من تحت اديم السماء منهم فى مشارق الارض و مغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال و هو ابو ثقيف كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن و دفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابى رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم و بحثوا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه و اله راسه واسرع السير حتى جاز الوادى قوله عز وجل ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء

صخرة

فصاح بهم صيحة

والقاره الاكم وجمعها قار

بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امراته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين

القراءة قرا اهل المدينة وحفص و سهل هنا انكم لتاتون و كذلك مذهبهم فى الاستفهامين يجتمعان يكتفون بالاستفهام الاول عن الثانى فى كل القران و هو مذهب الكسائى الا فى قصة لوط والباقون بهمزتين الثانية مكسورة وحققهما اهل الكوفة الا ان حفصا يفصل بينهما بالف وابن كثير وابو عمرو ورويس يحقق الاولى و يلين الثانية الا ان ابا عمرو يفصل بينهما بالف الحجة قال ابو على كل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا يحتاج فى تمامها الى شىء فمن الحق حرف الاستفهام جملة نقلها به من الخبر الى الاستخبار ومن لم يلحقها بقاها على الخبر فاذا كان كذلك فمن قرا انكم لتاتون الرجال جعله تفسيرا للفاحشة كما ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية اللغة قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لان العجمى لا يشتق من العربى وانما قال ذلك لانه لم يوجد الاعلام فى اسماء الانبياء وقيل انه مشتق من لطت الحوض اذا الزقت عليه الطين وملسته به و يقال هذا الوط بقلبى من ذاك اى الصق و الليطة القشر للصوقه بما اتصل به والشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالارادة لانها قد تدعوا الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى والارادة من فعلنا يقال شهيت شهى شهوة قال واشعث يشتهى النوم قلت له ارحل اذا ما النجوم اعرضت واسبكرت فقام يجر البرد لو ان نفسه يقال له خذها بكفيك خرت والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقى قال الاعشى عض بما ابقى المواسى له من امه فى الزمن الغابر الاعراب انما صرف لوط الخفته لكونه على ثلثة احرف ساكن الاوسط فقاومت الخفة احد السببين و يجوز فى قوله جواب قومه الرفع الا ان الاجود النصب و عليه القراءة شهوة مصدر وضع موضع الحال و قوله الا امراته استثناء متصل لانه يجوز ان تدخل الزوجة فى الاهل على التغليب فى الجملة دون التفصيل و لم يقل من الغابرات لانه اراد انها ممن بقيت مع الرجال و قيل مصدر ذكر للتاكيد كقولهم ضربته ضربا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ولوطا اى وارسلنا لوطا و قيل ان تقديره واذكر لوطا قال الاخفش يحتمل المعنيين جميعا هنا و لم يحتمل فى قصة عاد و ثمود الا ارسلنا لان فيها ذكر الى وهو لوط بن هاران بن تارخ بن اخى ابرهيم الخليل عليه السلم وقيل انه كان ابن خالة ابرهيم و كانت سارة امراة ابرهيم اخت لوط اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة اى السيئة العظيمة القبح يعنى اتيان الرجل فى ادبارهم ما سبقكم بها من احد من العالمين قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمرو بن دينار قال الحسن و كانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء معناه اتاتون الرجال فى ادبارهم اشتهاء منكم اى تشتهونهم فتاتونهم و تتركون اتيان النساء التى اباحها الله لكم بل انتم قوم مسرفون اى متجاوزون عن الحد فى الظلم والفساد و متوتون جميع القبائح اتيان الذكران وغيره وما كان جواب قومه اى لم يجيبوه عما قال الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم و قابلوا الوعظ والنصح بالسفاهة فقالوا اخرجوا لوطا ومن امن به من بلدتكم والمراد بالقرية البلدة كما قال ابو عمرو بن العلاء ما رايت قرويين افصح من الحسن البصرى والحجاج يريد بالقروى من سكن المدن انهم اناس يتطهرون اى يتحرجون عن ادبار الرجال فعابوهم بما يجب ان يمدحوا عن ابن عباس و مجاهد و قتادة و قيل معناه يتنزهون عن افعالكم و طرائقكم فانجيناه اى وخلصنا لوطا من الهلاك واهله المختصين به واهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة الا امراته كانت من الغابرين اى من الباقين فى قومه المتخلفين عن لوط حتى هلكت لانها على دينهم فلم تؤمن به و قيل معناه من الباقين فى عذاب الله عن الحسن و قتادة وامطرنا عليهم مطرا اى ارسلنا عليهم الحجارة كالمطر كما قال فى اية اخرى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين معناه تفكر وانظر بعين العقل كيف كان مال امر المقترفين للسيئات والمنقطعين اليها وعاقبة فعلهم من عذاب الدنيا بالاستيصال و قبل عذاب الاخرة بالخلود فى النار قصة لوط مع قومه وجملة امرهم فيما روى عن ابى حمزة الثمالى وابى بصير عن ابى جعفر عليه السلام ان لوطا لبث فى قومه ثلثين سنة و كان نازلا فيهم و لم يكن

منهم يدعوهم الى الله وينهيهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء اشحاء على الطعام فاعقبهم البخل الداء الذى لا دواء له فى فروجهم وذلك انهم كانوا على طريق السيارة الى الشام ومصر فكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل الى ان كانوا اذا نزل بهم الضيف فضحوه وانما فعلوا ذلك لتنكل النازلة اليهم من غير شهوة بهم الى ذلك فاوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل وكان لوط سخيا كريما يقرى الضيف اذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقرين ضيفا جاء ينزل بك فانك ان فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط اذا نزل به الضيف كتم امره مخافة ان يفضحوه ولما اراد الله سبحانه عذابهم بعث اليهم رسلا مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن امره بعث الله اليهم جبرئيل عليه السلام فى نفر من الملائكة فاقبلوا الى ابرهيم قبل لوط فلما راى ابرهيم ذبح عجلا سمينا فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا يا ابرهيم انا رسل ربك ونحن لا ناكل الطعام انا ارسلنا الى قوم لوط وخرجوا من عند ابرهيم فوقفوا على لوط وهو يسقى الزرع فقال من انتم قالوا نحن ابناء السبيل اضفنا هذه الليلة فقال لوط ان اهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال فى ادبارهم وياخذون اموالهم قالوا قد ابطانا فاضفنا فجاء لوط الى اهله وكانت كافرة فقال قد اتانى اضياف فى هذه الليلة فاكتمى امرهم قالت افعل وكانت العلامة بينها وبين قومها انه اذا كان عند لوط اضياف بالنهار تدخن من فوق السطح واذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرئيل والملائكة معه بيت لوط وثبت امراته على السطح فاوقدت نارا فاقبل القوم من كل ناحية يهرعون اليه اى يسرعون ودار بينهم ما قصه الله تعالى فى مواضع من كتابه فضرب جبرئيل بجناحيه على عيونهم وطمسها فلما راوا ذلك علموا انه قد اتيهم العذاب فقال جبرئيل عليه السلام يا لوط اخرج من بينهم انت واهلك الا امراتك فقال كيف اخرج وقد اجتمعوا حول دارى فوضع بين يديه عمودا من نور وقال اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم احد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرئيل عليه السلام بجناحيه فى طرف القرية فقلعها من تخوم الارضين السابعة ثم رفعها فى الهواء حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها عليهم وهو قوله عز وجل فجعلنا عاليها سافلها وذلك بعد ان امطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلكت امراته بان ارسل الله عليها صخرة فقتلها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وامطرت الحجارة على الغائبين فاهلكوا بها وقال الكلبى اول من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لان بلادهم اخصبت فانتجعها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس فى صورة شاب ثم دعاهم الى دبره ثم عبثوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الارض الى ربها فسمع السماء فعجت الى ربها فسمع العرش فعج الى ربه فامر الله السماء ان تحصبهم وامر الارض الى ربها ان يخسف بهم قوله عز وجل وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ثلث ايات اللغة الايفاء اتمام الشئ الى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشئ بالمكيال حتى يظهر مقداره منه والوزن تقدير بالميزان والمساحة تقدير بالذراع وما زاد عليه او نقص والبخس النقص عن الحد الذى يوجبه الحق والافساد اخراج الشئ الى حد لا ينتفع به بدلا من حال ينتفع بها وضده الاصلاح والصد الصرف عن الفعل بالاغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلوة يقال صده عن الامر يصده اى منعه العوج بكسر العين فى الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح العين فى العود وكل ما يرى كالحائط ونحوه والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف ماخوذة من انها تجتمع على الطوف الاعراب مدين اسم للمدينة او القبيلة لا ينصرف للتعريف والتانيث وجائز ان يكون اعجميا عن الزجاج بكل صراط يعنى على كل صراط ويجوز تعاقب الحروف الثلاثة هنا الباء وعلى وفى تقول لا يقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفى كل صراط لانه اجتمع معانى الاحرف الثلاثة فيه فان الباء للالصاق وهو قد لاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا المكان وفى

فتح فى دبره م

للمحل وهو قد حل المكان ومن امن فى موضع نصب بانه مفعول به اى وتصدون المومنين بالله وانما قال فاصبروا فجعل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لان المعنى فسيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب او عقاب كانه قال فانتم مصبورون على حكم الله بذلك المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شعيب فقال والى مدين اى فارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا وقيل ان مدين بن ابرهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطا هو شعيب بن نويب بن مدين بن ابرهيم وقال قتادة هو شعيب بن يوبب وقال ابن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدين بن ابرهيم وام ميكيل بنت لوط وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وهم اصحاب الايكة وقال قتادة ارسل شعيب مرتين الى مدين مرة والى اصحاب الايكة مرة قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم قد مر تفسيره فاوفوا الكيل والميزان اى اتموا ما تكيلونه على الناس بالمكيال وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه ادوا حقوق الناس على التمام فى المعاملات ولا تبخسوا الناس اشياءهم اى لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدى البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهى باخس ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها يعنى لا تعملوا فى الارض بعد اصلاحها يعنى لا تعملوا فى الارض بالمعاصى واستحلال المحارم بعد ان اصلحها الله بالامر والنهى وبعثة الانبياء وتعريف الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوا بان لا تومنوا فيهلك الله الحرث والنسل ذلكم اى الذى امرتكم به خير لكم واعود عليكم ان كنتم مومنين مصدقين بالله وانما علق خيريته بالايمان وان كان هو خيرا على كل حال من حيث ان من لا يكون مومنا بالله وعارفا بنبيه لم يمكنه ان يعلم ان ذلك خير له فكانه قال لهم كونوا مومنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لان الله تعالى لم يذكر له دلالة فى القران وهذا غلط لانه لا يجوز ان يخلى الله تعالى نبيا عن معجزة هذا وقد قال سبحانه قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا فجاء بالفاء جوابا للجزاء ويجوز ان يكون له معجزات وان لم يذكر فى القران كما ان اكثر ايات نبينا صلى الله عليه واله ومعجزاته غير مذكور فى القران ولم يوجب ذلك نفيها ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قيل فى معناه اقوال احدها انهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيبا للايمان به فيخوفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وثانيها انهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عنه عن ابى هريرة وعبد الرحمن بن زيد ويمكن ان يكونا ارادا به انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فيرجع الى معنى القول الاول وثالثها ان المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبون له العوج بايراد الشبه ويقولون لشعيب انه كذاب فلا يفتننكم عن الدين وتوعدونه وتصدون عن سبيل الله من امن به اى تمنعون عن دين الله من اراد ان يومن به من الناس وتبغونها عوجا الهاء راجعة الى السبيل اى تبغون السبيل عوجا عن الحق وهو ان يقولوا هذا كذاب وباطل وما اشبه ذلك عن قتادة وقيل معناه تلتمسون لها الزيغ عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والعدول عن القصد عن الزجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم اى كثر عددكم قال ابن عباس وذلك ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثرت اولادها قال الزجاج وجائز ان يكون كثركم جعلكم اغنياء بعد ان كنتم فقراء وجائز ان يكونوا غير ذوى مقدرة واقدار فكثرهم وجائز ان يكون عددهم قليلا فكثرهم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعنى فكروا فى عواقب امر عاد وثمود ولوط وانزال العقاب بهم واستيصال شافتهم وما حل بهم من البوار وان كان طائفة اى جماعة منكم امنوا بالذى ارسلت به اى صدقونى فى رسالتى وقبلوا قولى وطائفة لم يومنوا لم يصدقونى فاصبروا حتى يحكم الله بيننا خاطب الطائفتين ومعناه لا يغرنكم تفرق الناس عنى فان جميل العاقبة لى وسيجزى الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله فى الدنيا او فى الاخرة دون الدنيا وهو خير الحاكمين لانه لا يجوز عليه الجور ولا المحاباة فى الحكم وهذا وعيد لهم قال البلخى امرهم فى هذه الاية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والايعاد عليه والكف عنه خير ورشد ولم يامرهم بالمقام على الكفر وفى ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفرا ومعصية كما يذهب اليه بعض اهل النظر

لتعلموا ان ذلك خير لكم فيمكن ان يكون المراد لا ينفعكم ايفاء الكيل والميزان الا بعد ان يكونوا مؤمنين ح

قوله عز وجل قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ايات اللغة العود الرجوع وهو صير الشئ الى حال كان عليها و منه اعادة الله الخلق ويستعمل لفظة الاعادة فى الفعل مرة ثانية حقيقة وفى فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى اعادة تقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد على من فلان مكروه وان لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وتاويله انه قد لحقنى منه مكروه قال الشاعر لان كانت الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب الاخر مشتق من قوى الاديم وهى مثل الاختلاق والافتعال والملة الديانة التى يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والاصل فيه تكرر الامر من قولهم طريق مليل اذا تكرر سلوكه حتى توطاء ومنه الملل وهو تكرر الشئ على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار يدفن فيه الخبز حتى تنضج لتكرر الحمى عليها والفتح الحكم والفاتح والفتاح الحاكم لانه يفتح باب العلم الذى انغلق على غيره وفاتحه فى كذا اى قاضيته قال ابن عباس ما كنت ادرى ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذى يزن و قد جرى بينى وبينها كلام فقالت انطلق افاتحك الى القاضى اى احاكمك اليه المعنى ثم اخبر سبحانه عما دار بينه وبين قومه فقال قال الملاء الذين استكبروا من قومه اى رفعوا انفسهم فوق مقدارها لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا اى نخرجك و اتباعك من المومنين بك من بلدتنا التى هى وطنك ومستقرك او لتعودن فى ملتنا او لترجعن الى ملتنا التى كنت عليها لانه كان عندهم فى ظنهم انه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ العود وقد كان عليه السلم يخفى دينه فيهم ويحتمل انهم ارادوا ابر قومه فادخلوه معهم فى الخطاب ويحتمل ان يكون المراد به او لتدخلن فى ديننا وطريقتنا لان العود يذكر ويراد به الابتداء كما قال الزجاج ويكون بمعنى الصيرورة ومثله قول الشاعر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا وحقيقة المعنى انا لا نمكنك من المقام فى بلدنا وانت على غير ملتنا فاما ان تخرج من بلدتنا او تدخل فى ملتنا قال او لو كنا كارهين قال شعيب لهم اتعيدوننا فى ملتكم وتردوننا اليها ولو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى انا مع كراهتنا لذلك لما عرفنا من بطلانه لا نرجع فادخل همزة الاستفهام على ولو وقيل المعنى انكم لا تقدرون على ردنا الى دينكم على كره منا فنكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها اى ان عدنا فى ملتكم بان نحل ما تحلونه ونحرم ما تحرمونه وننسبه الى الله تعالى بعد اذ نجانا الله تعالى منها بان اقام الدليل والحجة على بطلانها واوضح الحق لنا فقد اختلقنا على الله كذبا فيما دعونا كم اليه وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قيل فى معناه هذه المشية مع حصول العلم بانه سبحانه لا يشاء عبادة الاصنام اقوال احدها ان المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها ما يرجع الى الاعتقاد فى الله سبحانه وصفاته مما لا يجوز ان يختلف العبادة فيه وفى شريعتهم اشياء يجوز ان يتعبد الله تعالى بها فكانه قال ليس لنا ان نعود فى ملتكم الا ان يشاء الله ان يتعبدنا بها وينقلنا اليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائى والقاضى وثانيها انه سبحانه علق ما لا يكون بما علم انه لا يكون على وجه التبعيد كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكقول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلى وصار القار كاللبن الحليب فيكون معناه كما لا يشاء عبادة الاصنام والقبايح لان ذلك لا يليق بحكمته فكذلك لا نعود فى ملتكم عن جعفر بن حرب وثالثها ان المراد الا ان يشاء الله ان يمكنكم من اكراهنا ويخلى بينكم وبينه فنعود الى اظهارها مكرهين ويقوى هذا قوله او لو كنا كارهين ورابعها ان تعود الهاء التى فى قوله فيها الى القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما ان ذكر الملة تقدم فيكون تحقيق الكلام انا سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها الا ان يشاء الله بما ينجز لنا من الوعد فى الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود منها وخامسها ان يكون المعنى الا ان

يشاء الله ان يردكم الى الحق فيكون جميعا على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال حاكيا عنهم او لتعودن فى ملتنا كان معناه او لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول من بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فان قيل فكان الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار الى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك الا انه انما شاء بان يومنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشاء على كل حال اذ لو شاء على كل حال لما جاز ان لا يقع منهم ذلك فكانه قال ان ملتنا لا تكون واحدة ابدا الا ان يشاء الله ان يلجئكم الى الايمان والاجتماع معنا على ملتنا وسع ربنا كل شئ علما انتصب علما على التمييز وتقديره وسع علم ربنا كل شئ فنقل الفعل الى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل فى وجه اتصاله بما قبله ان الملة انما يتعبد بها على حسب ما فى المعلوم من المصلحة فالمعنى انه سبحانه احاط علمه بكل شئ فهو اعلم بما هو اصلح لنا فيتعبد به وقيل ان المراد به انه عالم بما يكون منا من عود او ترك على الله توكلنا فى الانتصار منكم وفى كل امورنا ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق هذا سوال من شعيب ورغبة منه الى الله تعالى فى ان يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع اليه سبحانه وان كان من المعلوم ان الله سيفعله لا محالة وقيل معناه اكشف بيننا وبين قومنا وبين انا على حق وهذا استعجال منه للنصر وانت خير الفاتحين اى خير الحاكمين والفاصلين قوله عز وجل وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ اربع ايات اللغة غنى بالمكان يغنى غنى وغنيانا اقام به كانه استغنى بذلك المكان عن غيره والمغانى المنازل واصل الباب الغنى قال حاتم طى غنينا زمانا بالتصعلك والغنى فكلا سقاناه بكاسيهما الدهر فما زادنا بغيا على ذى قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر والاسى شدة الحزن تقول اسى ياسى اسا وقال يقولون لا تهلك اسى وتجمل الاعراب انكم اذا لخاسرون جواب القسم وقد سد مسد جواب الشرط من قوله لئن واذا ههنا ملغاة لانها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين كذبوا شعيبا الاول فى موضع رفع بالابتداء وخبره كان لم يغنوا فيها وانما اعيد مرة ثانية من غير كناية لتغليظ الامر فى تكذيبهم شعيبا مع البيان انهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبوه الى ذلك من اهل الايمان وهم فى قوله هم الخاسرين فصل وانما دخل الفصل مع ان المضمر لا يوصف لانه لا يحتاج فيه الى التوكيد ليتمكن معناه فى النفس وان الذى بعده من المعرفة لا يخرجه ذلك من معنى الخبر وان كان الاصل فى الخبر النكرة المعنى ثم حكى الله ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بايات الله فقال سبحانه وقال الملاء الذين كفروا من قومه اى من قوم شعيب للباقين منهم لئن اتبعتم شعيبا فى دينه وتركتم دينكم انقياد الامره ونهيه لان الاتباع هو طلب الثانى موافقة الاول فيما دعا اليه انكم اذا لخاسرون والخسران ذهاب راس المال فكانهم قالوا ان اتبعتموه كنتم بمنزلة من ذهب راس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون فاخذتهم الرجفة اى فاخذ قوم شعيب الزلزلة عن الكلبى وقيل ارسل الله عليهم ومدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم الحر فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظل السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا الى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى وصاروا رمادا وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين و قيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا عن ابى عبد الله عليه السلم وقيل انه كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم اصحاب الظلة فاصبحوا فى دارهم اى فى بلادهم جاثمين اى ميتين ملقين على وجوههم الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها اى كان لم يقيموا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كان لم يعمروا فيها عن ابن عباس الذين كذبوا شعيبا اعاد اللفظ تاكيدا وتغليظا كانوا هم الخاسرين من معناه بين سبحانه انهم الخاسرون

الومد والومدة بالتحريك شدة حر الليل وقد ومد يومد ومدا وقد ومدت ليلتنا بالكسر

لان المهلك يصير كان لم يكن وقيل كان لم يغنوا فيها كان لم يعيشوا فيها

دون من امن به فتولى عنهم شعيب اى اعرض عنهم لما راى اقبال العذاب اليهم اعراض الايس منهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات
ربى فيما امرنى فلم تؤمنوا ونصحت لكم فلم تقبلوا ومعناه ان ما نزل بكم من البلاء وان كان عظيما فقد استوجبتم ذلك بجنايتكم
على انفسكم فكيف اسى اى فكيف احزن على قوم كافرين حل العذاب مع استحقاقهم له وقوله فكيف اسى وان كان على
لفظ الاستفهام والمراد به النفى لان جوابه فى هذا الموضع لا يصح الا بالنفى وانما يدخله معنى الانكار ايضا لهذه العلة
وهذا كما قال العجاج اطربا وانت قنسرى وهذا تسل من شعيب عليه السلام بما ذكر من حاله معهم من مناصحته لهم
وتاديته رسالة ربه اليهم وانه لا ينبغى ان ياسى عليهم مع تمردهم فى كفرهم وشدة عتوهم قال البلخى وفى هذا دلالة
على انه لا يجوز للمسلم ان يدعو للكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين قوله عز وجل وما ارسلنا
فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى
عفوا وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ايات اللغة التبديل وضع احد
الشيئين مكان الاخر واصل العفو الترك من قوله فمن عفى له من اخيه شئ فمعنى قوله عفوا تركوا حتى كثروا قال ولكنا نعض
السيف منها باسوق عافيات اللحم كوم والبغتة الفجاءة وهى الاخذ على غرة من غير تقدمة تؤذن بالنازلة يقال بغته بغتة
بغتا وبغتة قال وانكاء شئ حين يفجاك البغت الاعراب اصل يضرعون يتضرعون فادغمت التاء فى الضاد ولا يدغم
الضاد فى التاء لان فى الضاد استطالة وانما يدغم الناقص فى الزايد ولا يدغم الزايد فى الناقص لما فى ذلك من الاخلال به
وهو فى موضع رفع بانه خبر لعل وبغتة مصدر وضع موضع الحال المعنى ثم ذكر سبحانه بعد ما اقص من قصص الانبياء
وتكذيب اممهم اياهم وما نزل بهم من العذاب سنته فى امثالهم تسلية لنبينا عليه السلام فقال وما ارسلنا فى قرية من القرى
التى اهلكناها بالعذاب وقيل فى سائر القرى عن الجبائى من نبى وهو من يؤدى عنا بلا واسطة من البشر فلم يؤمنوا به
بعد قيام الحجة عليهم الا اخذنا اهلها يعنى اهل تلك القرية بالباساء والضراء لعلهم يضرعون اى لينتهوا ويعلموا
انه مقدمة العذاب ويتضرعوا ويتوبوا عن شركهم ومخالفتهم يعنى بالباساء ما نالهم من الشدة فى انفسهم وبالضراء ما نالهم
فى اموالهم وقيل ان الباساء الجوع والضراء الامراض والشدائد عن الحسن وقيل ان الباساء الجوع والضراء الفقر عن
السدى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى دفعنا السيئة ووضعنا الحسنة مكانه والسيئة الشدة والحسنة الرخاء عن ابن
عباس والحسن وقتادة ومجاهد وسميت سيئة لانها تسوء صاحبها قال الجبائى جرى فى هذا الموضع على سبيل التوسع و
المجاز حتى عفوا اى كثروا عن ابن عباس ومجاهد والسدى وقيل سمنوا عن الحسن وقيل اعرضوا عن الشكر عن ابى
مسلم وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء اى قال بعضهم لبعض هكذى عادة الدهر فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم
كذلك فلم ينتقلوا عن حالهم فينتقلوا فاخذناهم بغتة اى فجاءة عبرة لمن بعدهم وهم لا يشعرون اى لم يعلموا ان العذاب
نازل بهم الا بعد حلوله وحقيقة المعنى فى الاية انه سبحانه يدبر خلقه الذين يعصونه بان ياخذهم تارة بالشدة وتارة
بالرخاء فاذا افسدوا على الامرين جميعا اخذهم فجاءة ليكون ذلك اعظم فى الحسرة وابلغ فى العقوبة نعوذ بالله من سخطه قوله
عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم
بما كانوا يكسبون افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اربع ايات القراءة اوامن بفتح
الواو عن ابى وابن فليح والباقون اواو من بسكون الواو الا ان ورشا قراه على اصله فى القاء حركة الهمزة على الساكن قبلها
فقال اومن الحجة قال ابو على او حرف يستعمل على ضربين احدهما ان يكون بمعنى احد الشيئين او الاشياء فى الخبر والاستفهام
والاخر ان يكون للاضراب عما قبلها فى الخبر والاستفهام كما ان ام المنقطعة فى الاستفهام والخبر كذلك فاما التى يكون لاحد
الشيئين او الاشياء فمثاله فى الخبر زيدا وعمرو جاء وزيد او عمرو ضربته كما يقول احدهما جاء واحدهما ضربته وهى اذا كانت

بالتناول ظ

اعظم فى ...

للاباحة كذلك ايضا وهو قوله جالس الحسن او ابن سيرين واما او التى تجى للاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك انا
اخرج ثم تقول او اقيم اضربت عن الخروج واثبت الاقامة كانك قلت لا بل اقيم كما انك فى قولك انها لابل ام شاء مضرب
عن الاول ولا يقع بعد او هذه الا جملة ومن ثم قال سيبويه فى قوله ولا تطع منهم اثما او كفورا انك لو قلت او لا تطع
كفورا انقلب المعنى وانما كان ينقلب المعنى لانه اذا قال لا تطع اثما او كفورا فكانه قال لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء
فانما لزمه ان لا تطع واحدا منهما لان كل واحد منهما فى معنى الاخر فى وجوب ترك الطاعة له كما جاز له ان يجمع بين مجالسة
الحسن وابن سيرين لان كل واحد منهما اهل للمجالسة ومجالسة كل واحد منهما كمجالسة الاخر ولو قال ولا تطع منهم اثما ولا
تطع كفورا كان بقوله ولا تطع قد اضرب عن ترك طاعة الاول وكان يجوز ان يطيعه وفى جواز ذلك انقلاب المعنى
ووجه قراءة من قرا او امن انه جعل او للاضراب لا على انه ابطل الاول ولكن كقوله الم تنزيل الكتاب ثم قال ام
يقولون افتريه فجاء هذا ليبصروا ضلالتهم فكان المعنى او امنوا هذه الضروب من معاقبتهم والاخذ لهم وان شئت
جعلته او التى فى قولك ضربت زيدا او عمرا كانك اردت افامنوا احدى هذه العقوبات ووجه قراءة من قرا او امن
انه ادخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما دخل فى نحو قوله اثم اذا ما وقع وقوله او كلما عاهدوا عهدا ووجه من قرا
ذلك انه اشبه بما قبله وبما بعده الا ترى ان قبله افامن اهل القرى وبعده افامنوا مكر الله او لم يهد للذين يرثون الارض
فكما ان هذه الاشياء عطف حرف دخل عليها حرف الاستفهام كذلك يكون اوامن اللغة البركات الخيرات النامية
واصلها الثبوت والامن والثقة والطمانينة نظاير فى اللغة وضد الامن الخوف وضد الثقة الريبة وضد الطمانينة
الانزعاج والامن الثقة بالسلامة من الخوف والباس العذاب والبوس الفقر والاصل الشدة ورجل بئس شديد فى
القتال والنوم نقيض اليقظة وهو سهو يغمر القلب ويغشى العين ويضعف الحس وينافى العلم يقال نام الرجل ينام نوما فهو
حسن النيمة اذا كان حسن هيئة النوم ورجل نومة بسكون الواو اذا كان خسيسا لا يؤبه به ورجل نومة بفتح الواو
اذا كان كثير النوم والنيم الفرو لان من شانه ان ينام فيه او لانه يغشى كما يغشى النوم والضحى صدر النهار فى وقت انبساط
الشمس واصله الظهور من قولهم ضحا الشمس يضحى ضحوا وضحيا وفعل ذلك الامر ضاحية اذا فعله ظاهرا والاضحية لانها
تذبح عند الضحى يوم العيد قال الخليل المكر الاحتيال باظهار خلاف الاضمار وقيل ان اصل المكر الالتفاف ومنه ساق
ممكورة اى ملتفة حسنة قال ذو الرمة عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب والمكور شجر ملتف
نال تبتن فى علق وفى مكور فمعنى قولك مكر فلان يمكر مكرا التف تدبيره على مكروه لصاحبه الاعراب لو معناه
تعليق الثانى بالاول الذى يجب الثانى بوجوبه وينتفى بانتفائه على طريقة كان وان فيها هذا المعنى على طريقة يكون
والفرق بينهما ان ان تعلق الثانى بالاول الذى يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقولك ان اتيتنى اتيتك من هذا
الكافر استحق الثواب وهذا مقدور وليس كذلك لو لانها قد تدخل على ما لا يمكن ان يكون كقولك لو كان الجسم
قديما لاستغنى عن فاعل صانع وانما فتحت ان بعد لو لانها وقعت فى الموضع الذى يختص بالفعل فان لو ليس تدخل
الا على الفعل وان مع اسمها وخبرها فى تاويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع ان اهل القرى امنوا فيكون ان مع ما
بعده فى موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو وانما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله افامن او امن مع
ان الاستفهام للاستيناف والعطف خلافه لانهما انما يتنافيان فى المفرد لان الثانى اذا عمل فيه الاول كان من
الكلام الاول والاستيناف قد اخرجه من ان يكون منه واما فى عطف جملة على جملة فيصح لانه على استيناف جملة بعد جملة
المعنى ثم بين سبحانه ان كل من اهلكه من الامم المتقدم ذكرهم انما اتوا فى ذلك من قبل نفوسهم فقال ولو ان اهل القرى
التى اهلكناها بسبب جحودهم وعنادهم امنوا وصدقوا رسلنا واتقوا الشرك والمعاصى لفتحنا عليهم بركات اى خيرات
نامية من السماء بانزال المطر ومن الارض باخراج النبات والثمار كما وعد نوح امته بذلك فقال يرسل السماء عليكم مدرارا

كستن ظ

الايات وقيل بركات السماء اجابه الدعاء وبركات الارض بتيسير الحوايج ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من المعاصى والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا السماء عنهم واخذناهم بالضيق عقوبة لهم على فعلهم افامن اهل القرى المكذبون لك يا محمد ان ياتيهم باسنا اى عذابنا بياتا ليلا وهم نايمون فى فرشهم ومنازلهم كما اتى المكذبين قبلهم اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى اى عذابنا نهارا عند ارتفاع الشمس وهم يلعبون اى وهم فى غير ما ينفعهم اى يعود عليهم بنفع فان من اشتغل بدنياه واعرض عن اخرته فهو كاللاعب والمعنى باهل القرى كل اهل قرية تقيم على معاصى الله فى كل وقت وزمان وان نزلت بسبب اهل القرى الظالم اهلها المشركين فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وانما خص سبحانه هذين الوقتين لان اراد انه لا يجوز لهم ان يامنوا ليلا ولا نهارا عن الحسن افامنوا مكر الله اى افبعد هذا كله امنوا عذاب الله ان ياتيهم من حيث لا يشعرون عن الجبائى قال دخلت الفاء للتعقيب وسمى العذاب مكرا لنزوله بهم من حيث لا يعلمون كما ان المكر ينزل بالمكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه وقيل ان مكر الله استدراجه اياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتظاهر النعمة فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون يسئل عن هذا فيقال ان الانبياء والمعصومين امنوا مكر الله وليسوا بخاسرين وجوابه من وجوه احدها ان معناه لا يامن مكر الله من المذنبين الا القوم الخاسرون بدلالة قوله ان المتقين فى مقام امين وثانيها ان معناه لا يامن عذاب الله من العصاة الا الخاسرون والمعصومون لا يامنون عذاب الله للعصاة ولهذا سلموا من مواقعة الذنوب وثالثها لا يامن عقاب الله جهلا بحكمته الا الخاسرون ومعنى الاية الاياس عما يجب ان يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله ليسارع الى طاعته واجتناب معاصيه ولا يستشعر الامن من ذلك فيكون قد خسر فى دنياه واخرته بالتهالك فى القبايح قوله عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ثلث ايات القراءة قراء يعقوب برواية زيد اولم نهد بالنون وكذلك فى طه والسجدة وبه قرا ابو عبد الرحمن السلمى وقتادة والباقون بالياء الحجة من قرا نهد بالنون فانه للتعظيم وهذا يقوى ان المعنى فى قوله اولم يهد بالياء اولم يبين الله لهم دون ان يكون المعنى اولم يهد لهم مشيئنا او اصطلامنا لمن اهلكناه اللغة القصص اتباع الحديث الحديث يقال فلان يقص الاثر اى يتبعه ومنه المقص لانه يتبع فى القطع اثر القطع والنبأ الخبر عن امر عظيم الشان ولذلك اخذ منه اسم نبى والوجدان والالقاء والادراك والمصادفة نظاير الاعراب نطبع ليس بمحمول على اصبناهم لانه لو حمل عليه لكان ولطبعنا ولكنه على الاستيناف اى ونحن نطبع من عهد من هنا للتبعيض لانه اذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجميع والاولى ان يكون من مزيدة للتعميم واستغراق الجنس وقيل ان اصلها الابتداء الغاية فدخلت على ابتداء الجنس الى انتهائه وان وجدنا اكثرهم لفاسقين ان هذه هى المخففة من الثقيلة واذ اخففت جاز الغاؤها من العمل وان يليها الفعل لانها حينئذ قد صارت خارجة من شبه الفعل المعنى ثم انكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بمن تقدمهم من الامم فقال اولم يهد هو استفهام ويراد به التقرير اى اولم يبين الله ولم نبين عن ابن عباس ومجاهد والسدى وقيل معناه اولم يهد ما نتلوا من انباء القرى وقيل تقديره اولم يهد لهم مشيتنا لان قوله ان لو نشاء اصبناهم فى موضع رفع بانه فاعل يهدى للذين يرثون الارض من بعد اهلها معناه للذين خلفوا فى الارض من بعد اهلها الذين اهلكهم الله بتكذيبهم الرسل ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يعنى ولم نبين انا لو شئنا اهلكناهم بعقاب ذنوبهم كما اهلكنا الامم الماضية قبلهم ونطبع على قلوبهم قد ذكرنا معنى الطبع والختم فى اوايل سورة البقرة فهم لا يسمعون الوعظ ولا يقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القرى التى ذكرها وقص خبرها فقال تلك القرى المخاطبة للنبى صلى الله عليه وآله نقص عليك من انبائها لتتفكر فيها وتخبر قومك بها ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا عن الاصرار على مثل حال اولئك المغترين

بطول

بطول الامهال فى النعم السابغة والمنن المتظاهرة ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات اى الدلالات والحجج وانما اضاف الرسل اليهم مع انهم رسل الله لان المرسل مالك لرسالته وقد ملك العباد الانتفاع بها والاهتداء بما فيها من البينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل معناه فما اهلكناهم الا وقد كان فى معلومنا انهم لا يؤمنون ابدا عن مجاهد قال يريد بقوله من قبل من قبل الهلاك وهو بمنزلة قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل معناه ان عتوهم فى كفرهم وتمردهم فيه حملهم على ان لا يتركوه الى الايمان فما كانوا ليؤمنوا بعد ان جاءتهم الرسل بالمعجزات بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك البينات عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذب به اوائلهم من الامم وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل ما مصدرية كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قيل ان الله سبحانه شبه الكفر بالصداء لانه يذهب عن القلوب بحلاوة الايمان ونور الاسلام كما يذهب الصداء بنور السيف وصفاء المراة ولما صاروا عند امر الله لهم بالايمان الى الكفر جاز ان يضيف الله سبحانه الطبع الى نفسه كما قال زادتهم رجسا الى رجسهم وان كانت السورة لم تزدهم ذلك عن جعفر بن حرب والبلخى ووجه التشبيه فى الكاف ومعناه ان دلالته على انهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب الكافرين الذين فى مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على انهم لا يؤمنون فكذلك يدل للملائكة بالطبع على انهم لا يؤمنون وما وجدنا لاكثرهم اى لاكثر المهلكين من عهد اى من وفاء بعهد كما يقال فلان لا عهد له اى لا وفاء له بالعهد وليس يحافظ للعهد ويجوز ان يكون المراد بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شكر المنعم وطاعة المالك المحسن واجتناب القبايح ويجوز ان يكون المراد به ما اخذ على المكلفين على السنة الانبياء ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وهو قول الحسن وان وجدنا اكثرهم لفاسقين اللام وان للتاكيد والمعنى وانا وجدنا اكثرهم ناقضين للعهد مخلفين للوعد ويسئل فيقال كيف قال اكثرهم وكلهم فسقة وكيف يجوز ان يكون كافر غير فاسق والجواب انه قد يكون الكافر عدلا فى دينه غير مرتكب لما يحرم على طريقته فعلى هذا يكون المعنى ان اكثرهم مع كفرهم فاسق فى دينه غير لازم لمذهبه ناقض للعقد قليل الوفاء بالعهد قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ست ايات القراءة قرا نافع وحده حقيق على بتشديد الياء والباقون بتخفيف الياء الحجة قال ابو على حجة نافع فى قوله حقيق على واتصاله بعلى من وجهين احدهما ان حق الذى هو فعل يعدى بعلى قال فحق علينا قول ربنا والاخر ان حقيق بمعنى واجب فكما ان وجب يتعدى بعلى كذلك يتعدى حقيق به ومن قرا حقيق على فجاز تعديته بعلى من الوجهين اللذين ذكرنا وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا ان يكون على بمعنى الباء قال ابو الحسن كما وقعت الباء فى قوله بكل صراط توعدون موقع على كذلك وقعت على هنا موقع الباء اللغة البعث الارسال وهو فى الاصل النقل باعتماد يوجب الاسراع فى المشى فالبعث بعد الموت نقل الى حال الحياة والبعث للانبياء نقل بالارسال عن حالة الى حال النبوة والعصا عود كالقضيب يابس واصله الامتناع بيبسه يقال عصى بالسيف يعصى اذا امتنع قال جرير تصف السيوف وغيركم يعصى بها يا ابن القيون وذاك فعل الصيقل ويقال عصى بالسيف اى خذه اخذ العصا ويقال لمن استقر بعد تنقل القى عصاه قال فالقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر وليست المعصية بمشتقة من العصا لان العصا من بنات الواو والمعصية من بنات الياء قال فجاءت بنسج العنكبوت كانه على عصويها سابرى مشبرق واصل القى من اللقاء الذى هو الاتصال فالقى عصاه اى ازال اتصالها عما كان عليه والثعبان الحية الضخم الطويل قال الفراء الثعبان اعظم الحيات وهو الذكر وهو مشتق من ثعبت الماء اثعبه اذا فجرته والمثعب موضع

انفجار الماء فسمي الثعبان لانه يجري كعنق الماء عند الانفجار و النزع ازالة الشيء عن مكانه الملابس له المتمكن فيه كنزع الرداء
عن الانسان و النزع و القلع و الجذب نظاير الاعراب موضع كيف في قوله كيف كان نصب لانه خبر كان و تقديره انظر
اي شيء كان عاقبة المفسدين و موسى على وزن مفعل و الميم زايدة لكثرة زيادتها اولا كالهمزة حتى صارت اغلب من زيادة
الالف اخيرا و افعى على وزن افعل لهذه العلة و موسى لا ينصرف لانه اسم اعجمي معرفة و موسى الحديد عربي ان سميت به رجلا
لم تصرفه لانه مونث و معرفة على اكثر من ثلاثة احرف كما لو سميته بعناق لم تصرفه و فرعون على وزن فعلون مثل برزون
فالواو زايدة لالحاقه مع سلامة الاصول الثلاثة و النون زايدة للزومها و فرعون لا ينصرف لانه اعجمي معرفة عرب في حال
تعريفه لانه نقل من الاسم العلم و لو عرب في حال تنكيره لانصرف كما ينصرف ياقوت في اسم رجل الا الحق نصب بانه مفعول و
القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ قوله ان كنت جئت باية قال ابو العباس المبرد ان
هنا لم ينقل الماضي الى معنى الاستقبال من اجل قوة كان لانها ام الافعال و لا يجوز ذلك في غيرها و قال ابو بكر السراج المعنى
ان تكن جئت باية اي ان يصح ذلك قال اذا امكن اجراء الحرف على اصله لم يجز اخراجه عنه و ان ينقل الفعل الى الشرط
و الاستقبال كما ان لم ينقل الفعل الى النفي و الماضي و ضمير المخاطب في كنت يرجع الى المكنى و لا يجوز ذلك في الذي لان الذي
غايب فحقه ان يعود اليه ضمير الغايب و قد اجازوه اذا تقدمت كناية المتكلم في نحو قول الشاعر و انا الذي قتلت بكرا بالقنا
و تركت تغلب غير ذات سنام و نحو ما روي عن امير المومنين عليه السلام من قوله انا الذي سمتني امي حيدره اكيلكم بالسيف
كيل السندره و على هذا يجوز انت الذي ضربك عمرو و الوجه ضربه عمرو و قوله فات به جاز وقوع الامر في جواب الشرط لان فيه
معنى ان كنت جئت باية فاتني الزمك ان تاتي بها فقد عاد الى انه وجب الثاني بوجوب الاول قوله فاذا هي ثعبان
مبين اذا هذه ظرف مكان و تسمى ظرف المفاجاة و هي بخلاف اذا التي هي ظرف زمان و فيها معنى الشرط و يعمل فيها
جوابها و مثال اذا التي هي ظرف المكان قولهم خرجت فاذا الناس وقوف فاذا في موضع نصب بكونها ظرفا و الوقوف
و تقديره فبالحضرة الناس وقوف و يجوز ان ينصب وقوفا على الحال لان اذا ظرف مكان و ظروف المكان يكون
اخبارا عن الجثث و هذه المسئلة وقعت بين سيبويه و الكسائي لما اجتمعا عند يحيى بن خالد البرمكي فيما رواه علي بن
سليمان الاخفش قال حدثني احمد بن يحيى ثعلب و محمد بن يزيد المبرد قالا لما ورد سيبويه بغداد شق امره على الكسائي
فاتى جعفر بن يحيى و الفضل بن يحيى فقال انا وليكما و صاحبكما و هذا الرجل قد قدم ليذهب بمحلي فقالا له فاحتل
لنفسك فانا سنجمع بينكما فجمعا بينهما عند ابيهما و حضر سيبويه وحده و حضر الكسائي و معه الفراء و علي الاحمر و غيرهما من
اصحابه فسالوه كيف تقول كنت اظن العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي او فاذا هو اياها قال فاقول اذا
هو هي فاقبل عليه الجمع فقالوا اخطات و لحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل انتما امامي مصريكما فمن يحكم بينكما قالا فقال
الكسائي و اصحابه الاعراب الذين على الباب فادخل ابو الجراح و من وجد معه ممن كان الكسائي و اصحابه يحملون عنهم فقالوا نقول
فاذا هو اياها و انصرف المجلس على ان سيبويه اخطا و حكموا عليه بذلك فاعطاه البرامكه و اخذوا له من الرشيد و بعثوا
به الى بلده فما لبث بعد هذا الا يسيرا حتى مات و يقال انه مات كمدا قال علي بن عيسى و اصحاب سيبويه الى هذه الغاية لا اختلاف
بينهم يقولون ان الجواب على ما قاله سيبويه فاذا هو هي و هذا موضع الرفع و هو كما قال علي بن سليمان و ذلك ان النصب
انما يكون على الحال نحو خرجت فاذا الناس وقوفا جاز النصب هنا لان وقوفا نكرة و الحال لا يكون الا نكرة فاذا اضمرت
بطل امر الحال فان المضمر معرفة و المعرفة لا تكون الا حالا فوجب العدول عن النصب الى الرفع كما تقول فاذا الناس
وقوف المعنى ثم عطف سبحانه بقصة موسى عليه السلام على ما تقدم من قصص الانبياء عليهم السلام فقال ثم بعثنا من بعدهم
اي من بعد الرسل الذين ذكرناهم او من بعد الامم الذين ذكرنا اهلاكهم موسى باياتنا اي بدلايلنا و حججنا الى فرعون
و ملايه اي اشراف قومه و ذوي الامر منهم فظلموا بها اي ظلموا انفسهم بجحدها عن الحسن و الجبايي و قيل فظلموا بوضعها غير

مواضعها

مواضعها فجعلوا بدل الايمان بها الكفر و الجحود لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه الذي هو حقه و لم يقل مذهب
موسى عليه السلام فادى اليهم الرسالة فكذبوه لان في قوله فظلموا بها دلالة عليه فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يعني ما
ال اليه امرهم في الهلاك و قال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين هذه حكاية قول موسى لفرعون
و ندايه له اني رسول اليكم من قبل رب العالمين مبعوث اليك و الى قومك قال وهب و كان اسم فرعون
الوليد بن مصعب و هو فرعون يوسف و كان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر و اليوم الذي دخلها موسى رسولا اربعمائة
عام حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق و قال الامام
العلامة الزمخشري تقول انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قايله و القايم به و لا يرضى
الا مثلي ناطقا به و منه قول العرب فلان يدعيه العلم بالطرق فوق ما يدعي هو العلم بها و قال الفراء معناه حقيق بان
لا اقول على الله الا الحق فيكون على بمعنى الباء كما تقول رميت على القوس و بالقوس و جاني فلان على حالة حسنة و بحالة حسنة و
قيل معناه حريص على ان لا اقول على الله الا الصدق و ما فرضه علي من الرسالة عن ابي عبيدة قد جئتكم ببينة اي بحجة
معجزة من ربكم اي اعطانيها ربكم فارسل معي بني اسرائيل اي اطلق بني اسرائيل من عقال التسخير و خلهم يرجعوا الى الارض المقدسة
و ذلك ان فرعون و القبط كانوا قد استعبدوا بني اسرائيل و اعتقلوهم للاستخدام في الاعمال الشاقة مثل بناء المنازل
و حمل الماء و نقل التراب و ما اشبه ذلك قال فرعون ان كنت جئت باية اي حجة و دلالة تشهد لك على ما تقوله فات
بها ان كنت من الصادقين في انك رسول الله فالقى عصاه الفاء فاء الجواب اي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من
يده فاذا هي ثعبان مبين اي حية عظيمة بين ظاهر انه ثعبان بحيث لا يشتبه على الناس و لم يكن مما يخيل انه حية و ليس
بحية و قيل ان العصا لما صارت حية اخذت قبة فرعون بين فكيها و كان ما بينهما ثمانون ذراعا فتضرع فرعون الى موسى
بعد ان وثب من سريره و هرب منها و احدث و هرب الناس و دخل فرعون البيت و صاح يا موسى خذها و انا اومن
بك فاخذها موسى فعادت عصى عن ابن عباس و السدي و قيل كان طولها ثمانين ذراعا و نزع يده فاذا هي بيضاء
للناظرين قيل ان فرعون قال له هل معك اية اخرى قال نعم فادخل يده في جيبه و قيل تحت ابطه ثم نزعها اي اخرجها منه
و اظهرها فاذا هي بيضاء اي لونها ابيض نوري و لها شعاع يغلب نور الشمس للناظرين و كان موسى عليه السلام ادم فيما يروى ثم اعاد
اليد الى كمه فعادت الى لونها الاول عن ابن عباس و السدي و مجاهد سوال قيل كيف يقول سبحانه هنا فاذا هي
ثعبان مبين و قال في موضع اخر فلما راها تهتز كانها جان و الثعبان الحية العظيمة و الجان الحية الصغيرة فاختلف الوصفان
و القصة واحدة و الجواب ان الايتين ليستا اخبارا عن قصة واحدة بل الحالتان مختلفتان و الحالة التي كانت العصا
بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة و الحالة التي كانت بصفة الثعبان كانت عند لقائه فرعون و على هذا فلا سوال
و قد اجيب ايضا عن ذلك بانه شبهها بالجان لسرعة حركتها و نشاطها و خفتها مع انها في جسم الثعبان و كبر خلقه و هذا
ابهر في باب الاعجاز حديث العصا قد ذكرنا نسب موسى في سورة البقرة و اما عصاه فقيل انه اعطاه ملك حين توجه الى
مدين و قيل ان عصا ادم من اس الجنة حين اهبط و كانت تدور بين اولاده حتى انتهت النوبة الى شعيب و كان ميراثا مع
اربعين عصى كانت لابايه فلما استاجر شعيب موسى امره بدخول البيت فيه العصي و قال له خذ عصى من تلك العصي فوقع
تلك العصا بيد موسى فاستردها شعيب و قال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلث مرات في كل مرة تقع يده عليها دون غيرها
فتركها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجها الى مصر و راى نارا و اتى الشجرة فناديه الله تعالى ان يا موسى اني انا الله
و امره بالقايها فالقاها فصارت حية فولى هاربا فناديه الله سبحانه خذها و لا تخف فادخل يده بين لحييها فعادت عصى
فلما اتى فرعون القاها بين يديه على ما تقدم بيانه و قيل كان الانبياء ياخذون العصا تجنبا من الخيلاء و قال رسول الله
صلى الله عليه و اله تعصوا فانها من سنن اخواني المرسلين و قال امير المومنين علي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه و اله

من خرج فى سفر ومعه عصى لو زمر وتلا هذه الاية ولما توجه تلقاء مدين الى قوله والله على ما نقول وكيل امنه الله من
كل سبع ضار ومن كل لص عادى ومن كل ذات حمة حتى يرجع الى اهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعين من المعقبات
يستغفرون له حتى يرجع ويضعها وقيل ان اول من اخذ العصا عند الخطبة فى العرب قس بن ساعدة قوله عز وجل
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ
وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ اربع ايات القراءة قرا اهل المدينة والكسائي وخلف
ارجه بكسر الهاء بغير همز بين الجيم والهاء الا ان نافعا والكسائي وخلف يشبعون الهاء ولا يشبع ابو جعفر وقالون عن نافع
مكسران الهاء قرا عاصم وحمزة ارجه بغير الهمزة وسكون الهاء وقرا الباقون ارجئه بالهمزة وضم الهاء وفى الشعراء مثله وقرا
بكل سحار بالف بعد الحاء كوفى غير عاصم ههنا وفى يونس وقرا الباقون ساحر بالف قبل الحاء فى السورتين ولم يختلفوا فى
الشعراء ان الالف بعد الحاء هناك الحجة قال ابو على ارجئه افعله من الارجاء وهو التاخير ولا بد من ضم الهاء مع الهمزة
ولا يجوز غيره وان لا يبلغ الواو احسن لان الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كانه جمع بين ساكنين ومن قال ارجئهو فالحق
الواو فلان الهاء متحركة ولم يلتق ساكنان لان الهاء يفصل بينهما ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو اقبح نحو
عليهو لاجتماع حروف متقاربة مع ان الهاء ليس بحاجز قوى ومن قرا ارجهى فوصل الهاء بياء فلان هذه الهاء توصل فى الادراج
بواو وياء نحو بهو وبهى وضربهو ومن قرا ارجه فلان فى رجات لغتين ارجات وارجيت فاذا قال ارجه كان من ارجيت قال
الزجاج زعم الحذاق بالنحو ان هذه الهاء لا يجوز اسكانها اعنى هاء الاضمار وزعم بعض النحويين ان اسكانها جائز وان هاء
التانيث يجوز اسكانها واستشهد ببيت مجهول وهو لما راى ان لا دعه ولا شبع مال الى ارطاة حقف فاضطجع وقال هذا شعر
لا يعرف قايله والشاعر قد يجوز ان يخطئ وحجة من قرا ساحر قوله فالقى السحرة ولعلنا نتبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك
قوله سحروا اعين الناس وحجة من قرا سحار انه قد وصفه بعليم وذلك يدل على تناهيه فيه وحذقه به فحسن لذلك
ان يذكروا بالاسم الدال على المبالغة فى السحر اللغة السحر لطف الحيلة فى اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقال الازهرى السحر صرف
الشيء عن حقيقته الى غيره واصل السحر خفاء الامر والسحر اخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته والسحر الرية لخفاء امرها ويقال
سحر المطر الارض اذا جادها فقطع نباتها من اصوله فقلب الارض ظهرا لبطن يسحرها سحرا والارض مسحورة فشبه سحر الساحر
بذلك لتخيله الحق بمن سحره انه يرى الشيء بخلاف ما هو به الاعراب فماذا تامرون موضع ما يحتمل ان يكون رفعا ويكون ذا
بمعنى الذى فيكون بمعنى فما الذى تامرون ويحتمل ان يكون نصبا ويكون ذا اسما واحدا فيكون بمعنى فاى شيء تامرون
ويأتوك مجزوم لانه جواب الامر وعامل الاعراب فيه محذوف وتقديره فانك ان ترسل يأتوك والباء فى قوله بكل ساحر
يحتمل ان يكون بمعنى مع اى يأتون ومعهم كل ساحر فيكون فى موضع الحال ويحتمل ان يكون للتعدية يقول ذهبت به و
اذهبته واتيت به واتيته المعنى ثم حكى ما قاله اشراف قوم فرعون فقال قال الملأ من قوم فرعون لمن دونهم فى الرتبة
من الحاضرين ان هذا لساحر عليم بالسحر يريد ان يخرجكم من ارضكم معناه يريد ان يستميل بقلوب بنى اسرائيل الى نفسه ويتقوى
بهم فيغلبكم بهم ويخرجكم من بلدكم فماذا تامرون قيل ان هذا قول الاشراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة ويحتمل ان يكون
قالوا ذلك لفرعون وانما قالوا تامرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك ويحتمل ايضا ان يكون قول فرعون لقومه فيكون تقديره
قال فرعون لهم فماذا تامرون وهو قول الفراء والجبائى قالوا ارجه واخاه اى قالوا لفرعون اخره واخاه هرون ولا تعجل
بالحكم فيهما بشيء فيكون عجلتك حجة عليك عن الزجاج وقيل احبسه اى احبسه والاول اصح لانه كان يعلم انه لا يقدر على حبسه
معا راى من تلك الايات وارسل فى المداين التى حولك حاشرين اى جامعين للسحرة يحشرون اليك السحرة ليجتمعوا فيعارضوا
موسى فيغلبوه قوله عز وجل وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ

الى اهله ومنزله

من بعيد نرنهم عن مجاهد والسدى وقيل هم اصحاب المشرط الاسلام فى حرز السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلا عن ابن عباس يأتوك بكل ساحر عليم اى يحشرون اليك

وجاؤا

وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ اربع ايات القراءة قرا اهل الحجاز وحفص ان لنا لاجرا بهمزة واحدة على الخبر وقرا ائن بهمزتين مخففتين
ابن عامر واهل الكوفة غير حفص وقرا ابو عمرو ائن بهمزة ممدودة وقرا يعقوب غير زيد بهمزة غير ممدودة الحجة قال ابو على
الاستفهام اشبه بهذا الموضع لانهم يستفهمون عن الاجر وليسوا يقطعون على ان لهم الاجر ويقوى ذلك اجماعهم فى الشعراء
وربما حذفت همزة الاستفهام قال ابو الحسن فى قوله وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل ان من الناس من يذهب الى
انه على الاستفهام وقد جاء ذلك فى الشعر قال افرح ان ارزا الكرام وان اورث ذودا شصايصا نبلا وهذا اقبح من قوله وا صحبت
فيهم اهلنا لا كمعشر توفى فقالوا من ربيعة ام مضر لان ام يدل على الهمزة الاعراب نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعا ويكون
تاكيدا للضمير المتصل فى كنا ويحتمل ان يكون فصلا بين الخبر والاسم ونعم حرف مع انه يجوز الوقف عليه لانه فى الوجوب نظير
لا فى النفى وانما جاز الوقف على كل واحد منهما لانه جواب الكلام يستغنى بدلالته عليه كما يستغنى به والواو فى قوله وانكم واو
العطف فكانه قال لكم ذلك وانكم لمن المقربين وهو فى مخرج الكلام كانه معطوف على الحرف وكسرت الالف من انكم لانه فى
موضع استئناف بالوعد ولم يكسر لدخول اللام فى الخبر لانه لو لم تكن اللام لكانت مكسورة وانما دخلت ان فى قوله اما ان تلقى
ولم تدخل فى اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان فيه معنى الامر كانه قال اختر اما ان تلقى اى ما القاك واما القاؤنا فموضع
ان نصب ويجوز ايضا ان يكون التقدير اما القاوك مبدو به واما القاؤنا فموضع ان على هذا يكون نصبا المعنى وجاء
السحرة فرعون فى الكلام حذف كثير تقديره فارسل فرعون فى المداين حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون وكانوا
خمسة عشر الفا عن ابن اسحق وقيل ثمانين الفا عن ابن المنكدر وقيل سبعين الفا عن عكرمة وقيل بضع وثلثون الفا عن السدى
وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بنى اسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا
سبعين عن الكلبى قالوا لفرعون انما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثانى بالاول لان المعنى لما جاؤا قالوا فلم يصلح دخول الفاء
على هذا الوجه ان لنا لاجرا اى عوضا على عملنا وجزاء بالخير ان كنا نحن الغالبين لموسى قال نعم اى قال فرعون مجيبا لهم
عما سالوه نعم لكم الاجر وانكم لمن المقربين اى وانكم مع حصول الاجر لكم لمن المقربين الى المنازل الجليلة والمراتب الخطيرة التى لا
يتخطى اليها العامة ولا يحظى بها الا الخاصة وفى هذا دلالة على حاجة فرعون وذلته استدل قومه به واحسنوا النظر
فيه لنفوسهم لان من المعلوم انه لم يحتج الى السحرة الا لعجزه وضعفه قالوا يعنى قالت السحرة لموسى اما ان تلقى ما معك من العصا
او لا واما ان نكون نحن الملقين لما معنا من العصى والحبال او لا قال موسى لهم القوا انتم وهذا امر تهديد وتقريع كقوله
سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان كنتم محقين فالقوا فلما
القوا سحروا اعين الناس اى فلما القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا فى تحريك العصى والحبال بما جعلوا فيها من الزيبق
حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه والتلبيس وخيل الى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية
وانما سحروا اعين الناس لانهم اروهم شيئا لم يعرفوا حقيقته وخفى ذلك عليهم لبعده منهم فانهم لم يخلوا الناس يدخلون
فيما بينهم وفى هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لانها لو صارت حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه وسحروا اعين الناس
بل كان يقول فلما القوا صارت حيات وقد قال سبحانه ايضا يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واسترهبوهم اى استدعوا
رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن المبرد وجاؤا بسحر عظيم وصف سحرهم بالعظم
لبعد مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به فلذلك عظيم الشان عند من يريه من الناس ولانه على ما ذكرناه فى عدة
السحرة وكثرتهم كان مع كل واحد منهم عصا وحبل فلما القوه وخيل الناس انها تسعى استعظموا ذلك وخافوه
قوله عز وجل وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ
ست ايات القراءة قرا حفص عن عاصم تلقف خفيفة وفى طه وفى الشعراء مثله والباقون تلقف بتشديد القاف فى جميعها

ما انتم ملقون

الحجة تلقف وتلقم واحد واصله تتلقف فحذفت التاء التى للمطاوعة فى تفعل وثبتت التاء التى للمضارعة وتلقف ساكنة اللام مضارع لقف يلقف لقفا قال الشاعر انت عصا موسى التى لم تزل تلقف ما يافكه الساحر اللغة الافك قلب الشئ عن وجهه فى الاصل ومنه الافك الكذب لانه قلب المعنى من جهة الصواب اصل الوقوع السقوط كسقوط الحايط والطاير والواقعة النازلة من السماء قال على بن عيسى الوقوع ظهور الشئ بوجوده نازلا الى مستقره والحق كون الشئ فى موضعه الذى اقتضته الحكمة والباطل الكاين بحيث يؤدى الى الهلاك وهو نقيض الحق فان الحق كون الشئ بحيث يؤدى الى النجاة والغلبة الظفر بالبغية من العدو فى حال المنازعة والصاغر الذليل والصغر والصغار الذلة يقال صغر الشئ يصغر صغرا وصغارا اذا ذل واصله صغر القدر الاعراب ان الوجه وان يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره واوحينا الى موسى بان الق اى بالالقاء ويجوز ان يكون بمعنى اى لانه تفسير ما اوحى اليه ما يافكون ما بمعنى الذى وتقديره تلقف ما يافكون فيه اى تلقف المافوك الذى حل فيه الافك ومثله والله خلقكم وما تعملون يعنى وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل ان يكون ما بمعنى المصدر لا يعمل فى الفعل كما يعمل ان فيه اذا كانت بمعنى المصدر لان ان ينقل الفعل نقلين الى المصدر والى الاستقبال ولا ينقله ما الى الاستقبال تقول يعجبنى ما تصنع الآن ويعجبنى ان تصنع الخير وهنالك دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار اليه كما دخلت فى ذلك لبعد المشار اليه فهنا لما بعد قليلا وهنالك لما كان اشد بعدا وهو ظرف مبهم وفيه معنى الاشارة كما ان ذا مبهم وانما دخلت كاف المخاطبة مع الاشارة لتشعر بتاكيد معنى الاشارة الى المخاطب ليتنبه على بعد المشار اليه من المكان والبعيد احق بعلامة التنبيه من القريب المعنى ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال واوحينا الى موسى اى القينا اليه من وجه لم يشعر به الاعوان ان الق عصاك التى معك فاذا هى تلقف ما يافكون معناه فالقيها فصارت ثعبانا فاذا هى تلقف ما يافكون معناه فالقيها فصارت ثعبانا فاذا هى تبتلع ما يكذبون فيه انها حيات عن مجاهد فوقع الحق اى ظهر الحق وهو امر موسى وصحة نبوته ومعجزته عن الحسن ومجاهد وقيل وقع الحق بان صارت العصا حية فى الحقيقة وبطل ما كانوا يعملون اى بطل تموبههم عن الجبائى وانما ظهر ذلك لهم لانهم لما راوا تلك الايات الباهرة والمعجزات القاهرة فى العصا علموا انه امر سماوى لا يقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الايات قلب العصا حية ومنها اكلها حبالهم وعصيهم مع كثرتها ومنها فناء حبالهم وعصيهم فى بطنها اما بالتفرق واما بالفناء عند من جوزه ومنها عودها عصا كما كانت فى غير زيادة ولا نقصان وكل من هذه الامور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار اسلامهم حجة على فرعون وقومه فغلبوا هنالك اى قهر فرعون وقومه عند ذلك الجمع وبهت فرعون وخلى سبيل موسى ومن تبعه وانقلبوا صاغرين اى انصرفوا اذلاء مقهورين والقى السحرة ساجدين يعنى ان السحر لما شاهد وا تلك الايات وعلموا انها من عند الله تعالى امنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله الهمهم الله ذلك وقيل ان موسى وهرون سجدا لله تعالى شكرا له على ظهور الحق فاقتدوا بهما فسجدوا معهما وانما قال القى على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القيهم ما راوا من عظيم ايات الله بان دعاهم الى السجود لله والخضوع لعزته وقدرته وانهم لم يتمالكوا انفسهم عند ذلك ان وقعوا ساجدين وهذا كما يقال اعجب فلان بنفسه وان كان اتى من قبله وليس يفعل ذلك به غيره قالوا امنا اى صدقنا برب العالمين الذى خلق السموات والارض وما بينهما رب موسى وهرون خصوهما بالذكر بعد دخولهما فى جملة العالمين لانهما دعوا الى الايمان بالله تعالى ولشرف ذكرهما ولتفضيلهما على غيرهما على طريق المدحة والتعظيم لهما وقيل انهم فسروا سجودهم بان قالوا امنا برب العالمين لئلا يتوهم متوهم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهرون لان فرعون كان يدعى انه رب العالمين فازالوا به الابهام لئلا يتوهم الجهال انهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون قال على بن عيسى يجوز ان يقال ان الله سبحانه لم يزل ربا ولا مربوب كما جاز لم يزل سميعا ولا مسموع لانها صفة غير جارية على الفعل كما تجرى صفة مالك على ملك يملك فالمقدور هو المملوك ولا يطلق الرب الا على الله تعالى لانه يقتضى انه رب كل شئ يصح ملكه ويقال فى غيره رب الدار ورب العرش ومثله خالق

لا يطلق الا عليه سبحانه ويقال فى غيره خالق الاديم قوله عز وجل قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين اربع ايات القراءة قرا حفص عن عاصم امنتم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والباقون بهمزتين على الاستفهام الا ان اهل الكوفة الا حفصا يحققون الهمزتين وغيرهم حققوا الاولى ولينوا الثانية ولم يفصل احد بين الهمزتين بالف الحجة وجه الخبر فيه انه يخبرهم بايمانهم على وجه التقريع بايمانهم والانكار عليهم ووجه الاستفهام انه على جهة التقريع والتوبيخ ايضا ومن حقق الهمزتين فانه على ما يراه من تحقيقهما والهمزة الثانية ممدودة لان الالف المنقلبة عن الهمزة التى هى فاء من الامن يتصل بها ومن خفف الهمزة الثانية فتخفيفها ان يجعلها بين بين اللغة الصلب الشد على الخشبة وغيرها واصله من صلابة الشئ والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب الازهرى يقال نقمت على الرجل انقم ونقمت والفصيح نقمت ابن الاعرابى النقمة العقوبة والانكار قال على بن عيسى النقمة ضد النعمة والفرق بين النقمة والاساءة ان النقمة قد يكون جزاء على كفر النعمة والاساءة لا تكون الا قبيحة والمسئ مذموم لا محالة والافراغ صب ماء فى الاناء اجمع حتى يخلو مشتق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجزع والصبر على الحق عز كما ان الصبر على الباطل ذل المعنى ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند ايمان السحرة فقال سبحانه قال فرعون امنتم به اى اقررتم له بالصدق من قبل ان اذن لكم اى من قبل ان امركم بالايمان واذن لكم فى ذلك ان هذا المكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها اراد فرعون بهذا القول التلبيس على الناس وايهامهم ان ايمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا مالكم وملككم وقيل معناه ان هذا لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى فى مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون عاقبة امركم وهذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا قال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى ولاصلبنكم اجمعين اى لا ادع واحدا منكم الا صلبته وقيل ان اول من قطع الرجل فرعون صلبهم فى جذوع النخل على شاطئ نهر مصر قالوا يعنى السحرة جوابا لفرعون انا الى ربنا منقلبون اى راجعون الى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والانقلاب الى الله تعالى هو الانقلاب الى جزائه وغرضهم بهذا القول التسلى فى الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد اشد منه وهو عقاب الله وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا معناه وما تطعن علينا وما تكره منا الا ايماننا بالله وتصديقنا باياته التى جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبنا منك مكروها تعذبنا عليه الا ايماننا بايات ربنا وهى ما اتى به موسى عليه السلام امنوا بها انها من عند الله لا يقدر على مثلها الا هو ربنا افرغ علينا صبرا اى اصبب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفارا والمراد الطف لنا حتى نصبر على عذاب فرعون وتشجع عليه ولا نفزع منه وتوفنا مسلمين اى وفقنا للثبات على الايمان والاسلام الى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين لله حتى لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا اول النهار كفارا سحرة واخر النهار شهداء بررة وقيل ايضا انه لم يصل اليهم وعصمهم الله منه قوله عز وجل وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون اية القراءة روى عن على بن ابى طالب عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وانس بن مالك وعلقمة وغيرهم ويذرك والاهتك وعن نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف ويذرك بالرفع وعن الاشهب ويذرك بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذرك والهتك وقرا اهل الحجاز سنقتل ابناءهم بالتخفيف والباقون سنقتل الحجة اما الالهة فانه الربوبية او العبادة فمن قرا والاهتك فمعناه ويذرك وربوبيتك عن الزجاج وقيل وعبادتك

عن ابن جنى قال ومنه سميت الشمس الالهة والاهة لانهم كانوا يعبدونها ومن قرا ويذرك بالرفع فانه على الاستيناف
اى وهو يذرك واما من اسكن فقال ويذرك فانه كقراءة ابى عمرو ان الله يامركم وقد مضى الكلام فى ذلك ومن نصب
ويذرك فانه على جواب الاستفهام بالفاء فيكون المعنى اتكون منك ان تذر موسى وان يذرك ويجوز ان يكون عطفا على
ليفسدوا ومن قرا سنقتل بالتخفيف فانه قد يقع ذلك على التكثير وغير التكثير والتثقيل يفيد المعنى احض وبالموضع اليق
المعنى ثم اخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه وقال الملا من قوم فرعون لما اسلم السحرة تحريشا له على موسى اتذر
موسى وقومه ليفسدوا فى الارض اى اتتركهم احياء ليظهروا خلافك ويدعوا الناس الى مخالفتك ليغلبوا عليك
فيفسد به ملكك وامرك وقيل ليفسدوا فى الارض بعبادة غيرك والدعاء الى خلاف دينك وقيل ليفسدوا
فيها بالغلبة عليها واخذ موسى وقومه منها وروى عن ابن عباس انه لما امن السحرة اسلم من بنى اسرائيل ستماية الف نفس
واتبعوه ويذرك والهتك قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها
تقربا اليه وقال الحسن كان يعبد ما يستحسن من البقر وروى انه كان يامرهم ايضا بعبادة البقر ولذلك اخرج السامرى
لهم عجلا جسدا له خوار وقال هذا الهكم واله موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقربا اليه ومن
قرا والاهتك قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئا وروى عن مجاهد انه قال كان فرعون يُعبَد ولا
يَعبُد قال فرعون سنقتل ابناءهم الذين يكون فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال ونستحيى نساءهم اى بناتهم
نستبقيهن اذ لا يكون فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة استذلالا لهن وكان فرعون قد انقطع طمعه عن قتل موسى
وقومه فلم يقل سنقتل موسى وقومه لما راى من علو امره وعظم شانه فانتقل الى عذاب المستضعفين منهم وهم ابناء
بنى اسرائيل وبناتهم ليوهم انه يتم له ذلك فيهم ايضا وانا فوقهم قاهرون ظاهر المعنى قوله عز وجل قال موسى
لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ايتان المعنى قال ابن عباس كان فرعون يقتل ابناء بنى اسرائيل فلما كان من امر موسى
ما كان امر باعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنوا اسرائيل الى موسى فعند ذلك قال موسى لقومه استعينوا بالله
فى دفع بلاء فرعون عنكم واصبروا على دينكم وعلى اذى فرعون ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده اى ينقلها
الى من يشاء نقل المواريث فيورثكم بعد اهلاك فرعون كما اورثها فرعون وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون حثا
لهم الى الصبر والعاقبة للمتقين معناه تمسكوا بالتقوى فى الدنيا فان حسن العاقبة فى الدارين للمتقين والعاقبة
ما تؤدى اليه التادية الا انه اذا قيل العاقبة له فهو فى الخير واذا قيل العاقبة عليه فهو فى الشر كما يقال الدايرة
له وعليه والدين له وعليه قالوا اى قال بنوا اسرائيل لموسى اوذينا من قبل ان تاتينا اى عذبنا فرعون بقتل الابناء
واستخدام النساء قبل ان تاتينا بالرسالة وقيل قبل ان جئتنا ومن بعد ما جئتنا ايضا وبتوعدنا وباخذ اموالنا و
تكليفنا الاعمال الشاقة فلم تنفع بمجيئك وهذا يدل على انه قد جرى فيهم القتل والتعذيب مرتين وقال الحسن كان
فرعون ياخذ الجزية قبل مجى موسى وبعده من بنى اسرائيل فلهذا قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا و
هذا الذى قالوا انما هو استبطاء منهم لما وعدهم موسى عليه السلام من النجاة من فرعون وقومه فجدد عليه السلم
لهم الوعد من الله تعالى ليثقوا به قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم قال الزجاج عسى طمع واشفاق الا ان ما يطمع الله
فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب ومعناه اوجب ربكم على نفسه ان يهلك عدوكم فرعون
وقومه ويستخلفكم فى الارض اى يملككم ما كانوا يملكونه فى الارض من بعدهم فينظر كيف تعملون اى يرى ذلك بوقوعه
منكم لان الله تعالى لا يجازى عباده على ما يعلمه منهم انما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك ومعنا

وقال السدى

فينظر

فنظر معلومه اى يبتليكم بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتليكم بالمحنة ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين وموضع كيف نصب وتقديره اعملا حسنا تعملون ام قبيحا او شاكرين كنتم لنعمته ام كافرين وقد
حقق الله سبحانه هذا الوعد فاورث بنى اسرائيل ارض مصر ونواحيها بعد ان اهلك عدوهم قوله عز وجل
وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا
هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ايتان
القراءة وفى الشواذ قراءة الحسن الا انما طيرهم عند الله بغير الف الحجة الطير جمع طاير فى قول ابى الحسن وفى قول
صاحب الكتاب الطاير اسم للجمع بمنزلة الجامل والباقر غير مكسر وروى عن قطرب ان الطير قد يكون واحدا كما ان
الطاير واحد ويجوز ان يكون الطاير جمعا كالجامل انشد ابن الاعرابى كانه تهتان يوم ماطر على رؤس كرؤس
الطاير اللغة العرب تقول اخذتهم السنة اذا كانت قحطة ويقال اسنت القوم اذا اجدبوا وانما قيل للسنة المجدبة
السنة ولم يقل للمخصبة لانها نادرة فى الانفراد بالجدب والنادر احق بالافراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذى
ندر به قالوا وجدنا البلاد سنين اى جدوبا قال وامو ال اللئام بكل ارض تجحفها المجاوح والسنون وقال اخر
كان الناس اذ فقدوا عليا نعام جال فى بلد سنينا اى فى بلد جدوب والتطير الطيرة من الشى وهو التشام به
واشتقاقه من الطير وطاير الانسان عمله اخذ من ذلك لان العرب كانت تزجر الطير فتشام بالبارح وهو
الذى ياتى من جهة الشمال وتتبرك بالسانح وهو الذى ياتى من قبل اليمين قال الشاعر زجرت لها طير الشمال
فان تكن هواك الذى تهوى يصبك اجتنابها ثم كثر ذلك فسمى نصيب الانسان طايرا ويقال طار له من القسم
كذا وكذا وانشد ابن الاعرابى فانى لست منك ولست منى اذا ما طار من مالى الثمين يريد الزوجة اذا اخذت
ثمنها من ماله المعنى ثم بين سبحانه ما فعله بال فرعون واقسم عليه فقال ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين اللام
للقسم وقد يقرب الماضى من الحال لانه اذا توقع كون امر فقيل قد كان دل على قربه من الحال وال الرجل خاصته
الذين يؤول امره اليهم وامرهم اليه ومعناه ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجدوب والقحوط ونقص من الثمرات
اى واخذناهم مع القحط واجداب الارض بنقصان من الثمار لعلهم يذكرون اى يخافون فيوحدون
الله فلم يتذكروا وقيل لكى يتفكروا فى ذلك ويرجعوا الى الحق قال الزجاج انما اخذهم بالضراء لان احوال
الشدة ترق القلوب وترغب فيما عند الله الا ترى الى قوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقيل معناه لكى
يتذكروا ان فرعون لو كان الها لما كان يستسلم لذلك الضر وفى هذه الايه دلالة على بطلان مذهب المجبرة فانه سبحانه يريد الكفر
فانه بين انه اراد منهم التذكر والرجوع الى الله فاذا جاءتهم الحسنة يعنى الخصب والنعمة والسعة فى الرزق والسلامة والعافية
قالوا لنا هذه اى انا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة ارزاقنا فى بلادنا ولم يعلموا انه من عند الله سبحانه فيشكروه
عليه ويؤدوا شكر النعمة فيه وان تصبهم سيئة اى جوع وبلاء وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمر والمواشى يطيروا
بموسى ومن معه اى يتطيروا فادغمت التاء فى الطاء وتفسيره يتشاءموا بهم عن الحسن ومجاهد وابن زيد وقالوا ما رايتنا
شرا ولا اصابنا بلاء حتى رايناكم الا انما طايرهم عند الله الا انما الشوم الذى يلحقهم هو الذى وعدوا به من العقاب عند الله
يفعله بهم فى الاخرة لا ما ينالهم فى الدنيا عن الزجاج وقيل ان معناه ان الله تعالى هو الذى ياتى بطاير البركة وطاير الشوم
من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن معناه الا ان ما تشاءموا به محفوظ
عليهم حتى يجازيهم الله به يوم القيمة ولكن اكثرهم لا يعلمون ولا يتفكرون ليعلموا قوله عز وجل وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ
آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ
مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ايتان القراءة فى الشواذ قراءة الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم

وهو المعروف **اللغة** الطوفان السيل الذي يعم بتغريقه الارض وهو ماخوذ من الطوف فيها وقيل هو مصدر كالرجحان
والنقصان قال الاخفش واحدها طوفانة قال ابو عبيدة الطوفان من السيل البعاق ومن الموت الذريع والقمل كبار
القردان قال ابو عبيدة هو الحمنان واحدتها حمنة وحمنانة **الاعراب** مهما قال الخليل اصلها ما ما الا انهم دخلوا عليها ما كما
يدخلونها على حروف الجزاء فيقولون اما ومتى ما تفعل وان فعلها ابدلوها هاء لئلا يوهم التكرير وصار ما فيها مبالغة
في معنى العموم وقال غيره اصلها مه بمعنى اكفف دخلت على ما التي للجزاء والفرق بين مهما وما ان مهما خالصة للجزاء وفي ما
اشتراك لانها قد تكون استفهاما تارة وبمعنى الذي اخرى وبمعنى اخرتاتنا مجزوم وعلامة الجزم فيه سقوط الياء وانما حذف
الياء للجزم لانه من حروف المد واللين وهي مجانسة لحركات الاعراب ومن شان الجازم ان يحذف حركة فاذا فاذا لم يصادف
حركة عمل في نفس الحرف لئلا يتعطل من العمل والضمير في به يعود الى مهما وتقديره اي شيء تاتنا به والضمير في بها يعود الى اية ايات
مفصلات نصب على الحال **المعنى** وقالوا اي قال قوم فرعون لموسى عليه السلام مهما تاتنا به من اية اي اي شيء تاتينا به من المعجزات
لتسحرنا بها اي لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون فما نحن لك بمؤمنين اي مصدقين اشار وا بهذا القول الى اصرارهم
على الكفر وانهم لا يصدقونه وان اتى بجميع الايات ثم زاد سبحانه في الايات تاكيدا لامر موسى عليه السلام كما قال فارسلنا عليهم الطوفان اختلف
فيه فقيل هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبنيان القالع للاشجار والزروع عن ابن عباس وقيل هو الموت الذريع
الجارف عن مجاهد وعطا وقيل هو الطاعون بلغة اليمن ارسل الله ذلك على ابكار ال فرعون في ليلة فاقعصهن فلم يبق منهن
انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وقيل هو الجدري وهو اول من عذبوا به فبقي في الارض عن ابي قلابة وقيل هو امر من الله
تعالى طاف بهم عن ابن عباس رواه ابو ظبيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون والجراد هو المعروف والقمل اختلف
فيه فقيل هو الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له والجراد الطيارة التي لها اجنحة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة
والكلبي وقيل القمل بنات الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد بن جبير والحسن وعطا
الخراساني ولذلك قرأ الحسن والقمل وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة عن سعيد بن جبير والضفادع والدم ايات مفصلات
اي بعضها منفصل من بعض وقيل مفصلات اي معجزات مبينات ظاهرات وادلة واضحات عن مجاهد فاستكبروا اي تكبروا
عن قبول الحق والايمان بالله وكانوا قوما مجرمين عاصين كافرين **القصه** قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد
بن اسحق بن يسار ورواه علي بن ابرهيم باسناده عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما امنت
السحرة ورجع فرعون مغلوبا وابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر قال هامان لفرعون ان الناس قد امنوا بموسى فانظر من
دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالايات واخذهم بالسنين ونقص من الثمرات
ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا الى البرية وضربوا الخيام وامتلات بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت
بني اسرائيل من الماء قطرة وقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرون على ان يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا
المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل قد عا ربه فكف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خليت بني
اسرائيل غلبك موسى وازال ملكك وانبت الله تعالى لهم في تلك السنة من الكلاء والزرع والثمر ما اعشبت به بلادهم واخصبت
فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا فانزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن ابرهيم وفي الشهر الثاني عن غيره
من المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتاكل الابواب والثياب والامتعة
وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وجزع فرعون من ذلك جزعا شديدا وقال يا موسى
ادع لنا ربك ان يكف عنا الجراد حتى اخلي عن بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكف عنهم الجراد بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من
السبت الى السبت وقيل ان موسى عليه السلام برز الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت
حتى كان لم يكن قط ولم يدع هامان فرعون ان يخلي عن بني اسرائيل فانزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن

ابرهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل وهو الجراد الصغار الذي لا اجنحة له وهو شر ما يكون واخبثه فاتى على زروعهم
كلها واجتثها من اصلها فذهبت زروعهم ولحس الارض كلها وقيل امر موسى عليه السلام ان يمشي الى كثيب اعفر بقرية من قرى
مصر تدعى عين الشمس فاتيه فضربه بعصاه فانثال عليهم قملا فكان يدخل بين ثوب احدهم فيعضه وكان ياكل احدهم الطعام
فيمتلي قملا قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة اقفزة الى الرحا فلا يرد منها ثلثة
اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كانه الجدري
عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لاكفن عن بني اسرائيل فدعا
موسى عليه السلام حتى ذهب القمل بعد ما اقام عندهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا فانزل الله عليهم في السنة الرابعة و
قيل في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلات منها بيوتهم وآنيتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا اناء ولا طعاما
ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها وكان الرجل يجلس على ذقنه في الضفادع ويهم
ان يتكلم فيثب الضفدع فيه فيفتح فاه لاكلته فيسبق الضفدع اكلته الى فيه فلقوا منها اذى شديدا فلما راوا ذلك بكوا وشكوا
الى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله ان يذهب عنا الضفادع فانا نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فاخذ
عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ما اقام عليهم سبعا من السبت الى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم
فلما كانت السنة الخامسة ارسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دما فكان القبطي يراه دما والاسرائيلي يراه ماء فاذا
شربه الاسرائيلي كان ماء واذا شربه القبطي كان دما وكان القبطي يقول للاسرائيلي خذ الماء في فيك وصبه في فيّ فكان اذا
صبه في فم القبطي تحول دما وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها يصير ماؤها في
فيه دما فمكثوا في ذلك سبعة ايام لا ياكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم قال زيد بن اسلم الدم الذي سلط عليهم
كان الرعاف فاتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك ان يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فلما دفع الله عنهم
الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل **قوله عز وجل وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ**
عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ
بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ثلث ايات
اللغة اصل الرجز الميل عن الحق ومنه الرجز فاهجر يعني عبادة الوثن والعذاب رجز لانه عقوبة على الميل عن الحق والرجز رعدة
في رجل الناقة لداء يلحقها تعدل به عن حق سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لانه متحرك وساكن في كل اجزائه
فهو كالرعدة في رجل الناقة يتحرك بها ثم يسكن ثم يستمر على ذلك والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة
دوية ودجى ليل كانهما يم تراطن في حافاته الروم والغفلة حال يعتري النفس ينافي الفطنة واليقظة **الاعراب** اذا ظرف
المفاجات على ما تقدم بيانه وليست مضافة الى الجملة بل هي بمنزلة هناك وقد يكتفي بالاسم كما تقول خرجت فاذا زيد وفيه
وقوع خلاف المتوقع منهم لانه اتى منهم نقض العهد بدلا من الوفاء فكانه فاجا الرأي بعجب من نكثهم واذا هذه جواب لما مثله
وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ولا يجوز ان يجاب الشرط باذ لان اذ لا يكون الا للوقت الماضي والجواب انما
يكون بعد الاول ولذلك يصلح فيه الفاء ولا يصلح الواو وحرف الجزاء انما يقلب الفعل الى الاستقبال دون الوقت **المعنى**
ثم اخبر سبحانه عنهم ايضا فقال ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب عن الحسن وقتادة ومجاهد وهو ما نزل بهم من الطوفان و
غيره وقيل هو الطاعون اصابهم فمات من القبط سبعون الف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد بن جبير ومثله ما
روي عن ابي عبد الله عليه السلام انه اصابهم ثلج احمر ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا واصابهم ما لم يعهدوه قبله
قالوا يعني فرعون وقومه يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما تقدم اليك ان تدعوه به فانه يجيبك كما اجابك
في اياتك وقيل بما عهد عندك انا لو امنا لرفع عنا العذاب وقيل بما عهد عندك من النبوة عن ابي مسلم فعلى هذا يكون

ثم متحرك وساكن م

لان كشفت عنا م

الباء باء القسم والمعنى بحق ما اتاك الله من النبوة لما دعوت الله ليكشف عنا هذا الرجز اى العذاب لنؤمنن لك اى نصدقك
فى انك نبى ارسلك الله و لنرسلن معك بنى اسرائيل اى نطلقهم من الاستخدام وتكليف الاعمال الشاقة فلما كشفنا عنهم الرجز اى
فلما رفعنا عنهم العذاب الى اجل هم بالغوه يعنى الاجل الذى غرقهم الله فيه وقيل هو الاجل المقدر عن الحسن اذا هم ينكثون
اى ينقضون العهد فانتقمنا منهم اى فجازيناهم على سوء صنيعهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال فاغرقناهم فى اليم اى
البحر بانهم كذبوا باياتنا اى فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم باياتنا بحججنا وبراهيننا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته و
جحودهم لها و كانوا عنها غافلين معناه انه انزل عليهم العذاب و كانوا غافلين عن نزول ذلك بهم وقيل معناه انا عاقبناهم
بتكذيبهم وتعرضهم لاسباب الغفلة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيدا لهم على الاعراض عن الايات قوله عز وجل و
اورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى
على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون اية القراءة قرا ابن عامر
وابو بكر يعرشون بضم الراء والباقون بكسرها الحجة هما لغتان فصيحتان والكسر افصح اللغة ابو عبيدة يعرشون يبنون يقال
عرش مكة اى بناؤها الاعراب يجوز ان يكون مشارق الارض ومغاربها انما انتصب بانه مفعول واورثنا ويجوز ان يكون
ظرفا على تقدير واورثناهم الارض فى مشارقها ومغاربها وقيل انما انتصب مشارق الارض ومغاربها على الظرف للاستضعاف و
التقدير واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون فى مشارق الارض ومغاربها الارض التى باركنا فيها وعلى هذا فالهاء التى فى فيها يعود
الى التى والتى صفة للارض المحذوفة وموضعها نصب باورثنا المعنى ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون يعنى بنى اسرائيل فان القبط كانوا يستضعفونهم فاورثهم الله بان مكنهم وحكم لهم بالتصرف واباح لهم ذلك بعد اهلاك
فرعون وقومه القبط فكانوا ورثوا منهم مشارق الارض ومغاربها التى كانوا فيها يعنى جهات المشرق والمغرب منها يريد به
ملك فرعون من ادناه الى اقصاه وقيل هى ارض الشام ومصر عن الحسن وقيل هى ارض الشام شرقها وغربها عن قتادة وقيل
ارض مصر عن الجبائى قال الزجاج كان من بنى اسرائيل داود وسليمان ملكوا الارض التى باركنا فيها باخراج الزروع والثمار
وساير صنوف النبات والاشجار الى غير ذلك من العيون والانهار وضروب المنافع وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل
معناه صح كلام ربك بانجاز الوعد باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض وانما كان الانجاز تماما للكلام لتمام النعمة به وقيل
ان كلمة الحسنى قوله سبحانه ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الى قوله يحذرون وقال الحسنى وان كانت كلمات
الله سبحانه كلها حسنة لانه وعد بما يحبون وقال الحسن اراد وعد الله لهم بالجنة بما صبروا على اذى فرعون وقومه و
تكليفهم اياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال الشاقة ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اى اهلكنا ما كانوا يبنون
من الابنية والقصور والديار وما كانوا يعرشون من الاشجار والاعناب والثمار وقيل يعرشون يسقفون من القصور و
البيوت عن ابن عباس قوله عز وجل وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى
اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله
ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين ثلاث ايات القراءة يعكفون بكسر الكاف كوفى غير عاصم والباقون بضم الكاف
وهما لغتان اللغة المجاوزة الاخراج عن الحد وجاز الوادى يجوزه جوزا اذا قطعه وخلفه وراءه وجاوزه مجاوزة
واجتازه اجتيازا واصل البحر من السعة ومنه البحيرة لسعة شق اذنها وتبحر فى العلم اذا اتسع فيه وقوى تصرفه وعكف على
الشئ واظب عليه ولزمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والمتبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر
للذهب وسمى بذلك لامرين احدهما ان معدنه مهلكة والاخر ما قاله الزجاج انه يقال لكل اناء مكسر متبر وكسارته تبره
الاعراب كما لهم الهة ما هذه كافة للكاف لان ما بعدها جملة وقال البصير وهو واحد زماننا فى هذا الفن ما ههنا
مصدرية اى كما ثبت لهم الهة وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالمبتدا والخبر فى قوله كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ويجوز ان يكون بمعنى الذى وفى لهم ضمير يعود اليه والهة بدل من ذلك الضمير او يرتفع باضمار هى اى هى الهة
فحذف هى وما هم فيه موصول وصله فى موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون
فاعل الباطل اغير الله ابغيكم الها بغى يتعدى الى مفعولين وطلب يتعدى الى مفعول واحد لان معنى قولك بغاه
الخير اعطاه الخير وليس كذلك طلب لانه غير مضمن بالمطلوب وعلى هذا فيكون الها مفعولا به ثانيا ويكون غير منصوبا
على الحال التى لو تاخرت كانت صفة للنكرة وتقديره ابغيكم الها غير الله ويجوز ان يكون بمعنى ابغى لكم ويكون غير الله
منصوبا بانه مفعول ابغى وتقديره اطلب غير الله لكم معبودا فيكون الها منصوبا على الحال المعنى ثم اخبر سبحانه عن احوال
بنى اسرائيل فقال وجاوزنا ببنى اسرائيل اى قطعنا بهم البحر يعنى النيل نهر مصر بان جعلنا لهم فيه طرقا يابسة حتى عبروا
ثم اغرقنا فرعون وقومه فيه فاتوا على قوم اى فمروا على قوم يعكفون على اصنام لهم اى يقبلون عليها ملازمين لها
مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة وقال ابن جريج كانت تماثيل
بقر وذلك اول شان العجل قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة اى نصب لنا شيئا نعبده كما لهم اوثان يعبدونها
وهذا كفر منهم بما قاله الجهال من قومه دون المؤمنين الاخيار وانما قالوا ذلك لان الانسان يحن الى ما يريه لغيره
فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفى هذا دلالة على عظيم جهلهم بعد ما راوا الايات المترادفة والمعجزات حيث توهموا
انه يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المجعول لا يكون الها وان الاصنام لا يكون الهة ويمكن ان يكونوا
ظنوا انه يجوز ان يتقرب الى الله تعالى بعبادة غيره وان اعتقدوا انه لا يشبه الاشياء ولا يشبهه ولم يكونوا
مشبهة كما حكى الله عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال انكم قوم تجهلون هذا حكاية عن
ما اجابهم به موسى عليه السلام اى تجهلون ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائى
وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس ان هؤلاء يعنى القوم الذين عبدوا الاصنام متبر اى مدمر مهلك
ما هم فيه من عبادة الاصنام وباطل ما كانوا يعملون اى باطل عملهم لا يجدى عليهم نفعا ولا يدفع عنهم ضرا فكان
بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه او بانه لا يصح معتقده فالاول كبطلان البناء بالهدم
والثانى كبطلان اله اخر مع الله لانه لا يصح فى عدم ولا وجود قال يعنى قال موسى لقومه بعد ازدرايه على الاصنام
وعلى من كان يعبدها اغير الله ابغيكم الها اى التمس واطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل كقوله واختار
موسى قومه اى من قومه الها معبودا يعبدونه سوى الله وهو فضلكم على العالمين اى على عالمى زمانكم عن الحسن
والجبائى وقيل معناه وهو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها احدا غيركم وهو ان ارسل اليكم رجلين منكم لتكونوا اقرب
الى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم قوله عز وجل
واذ انجيناكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من
ربكم عظيم اية القراءة قرا ابن عامر انجاكم على لفظ الماضى والباقون انجيناكم وقرا نافع وحده يقتلون بالتخفيف
والباقون يقتلون بالتشديد الحجة قد مضى الكلام فى امثال ذلك مرة بعد اخرى فلا وجه للاطالة باعادته المعنى ثم خاطب
الله سبحانه بنى اسرائيل الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه واله فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما انعم على اسلافهم
فقال واذ انجيناكم اى واذكروا اذ خلصناكم من ال فرعون يسومونكم اى يولونكم اكراها ويحملونكم اذلالا اسوا العذاب
يقتلون ابناءكم اى يكثرون قتل ابنائكم ويستحيون نساءكم اى يستبقوهن للخدمة والمهنة وفى ذلكم اى فيما فعل
بكم من النجاة بلاء اى نعمة من ربكم عظيم قدرها وقيل معناه وفى تخليته اياكم وقوم فرعون ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير
هذه الاية فى سورة البقرة قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين
ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين اية اللغة الفرق بين

الميقات والوقت ان الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشئ قدره مقدر او لم يقدره ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام فيها **المعنى** ثم بين سبحانه تمام نعمته على بني اسرائيل فقال وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر ولم يقل اربعين ليلة كما قاله في سورة البقرة لفايدة زايدة ذكر فيها وجوه احدها ان العدة كانت ذا القعدة وعشر ذي الحجة ولو قال اربعين ليلة لم يعلم انه كان الابتداء اول الشهر ولا ان الايام كانت متوالية ولا ان الشهر شهر بعينه قاله الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق واكثر المفسرين وثانيها انه سبحانه واعد موسى ثلثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم اتمت بعشر الى وقت المناجاة وقيل هي العشر التي نزلت التورية فيها فلذلك افردت بالذكر وثالثها ان موسى عليه السلام قال لقومه اني اتأخر عنكم ثلثين يوما ليتسهل عليهم ثم زاد عليهم عشرا وليس في ذلك خلف لانه اذا تأخر عنهم اربعين ليلة فقد تأخر ثلثين قبلها عن ابي جعفر الباقر عليه السلام وقريب منه ما روى عن الحسن ان الموعد كان اربعين ليلة في الاصل فاجمل هناك وفصل ههنا على وجه التاكيد فتم ميقات ربه اربعين ليلة انما قال هذا مع ان ما تقدمه دل على هذه العدة للبيان عن التفصيل الذي تسميه الكتاب الفذلكة ولو لم يذكره لجاز ان يتوهم انه اتم الثلثين بعشر منها على معنى كملنا الثلثين بعشر حتى كملت ثلثين كما يقال كملت العشر بدرهمين وقد مر معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا ان اربعين ههنا منصوب على الحال وتقديره معدودة اربعين ليلة وقال موسى وقت خروجه الى الميقات لاخيه هرون اخلفني اي كن خليفتي في قومي واصلح فيما بينهم واجر على طريقتك في الصلاح وقيل معناه واصلح فاسدهم في حال غيبتي وقيل اصلحهم اي احملهم على الطاعة ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تسلك طريقة العاصين ولا تكن عونا للظالمين وانما اراد بذلك اصلاح قومه وان كان المخاطب به اخاه وانما امر موسى عليه السلام اخاه هرون بان يخلفه وينوب عنه في قومه مع ان هرون كان نبيا مرسلا لان الرياسة كانت لموسى عليه السلام عليه وعلى امته ولم يكن يجوز ان يقول هرون لموسى مثل ذلك وفي هذا دلالة على ان منزلة الامامة منفصلة من النبوة وغير داخل فيها وانما اجتمع الامران لانبياء مخصوصين لان هرون لو كان له القيام بامر الامة من حيث كان نبيا لما احتاج فيه الى استخلاف موسى اياه واقامته مقامه **قوله عز وجل ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين** آية **القراءة** جعله دكاء بالمد ههنا وفي الكهف كوفي غير عاصم ووافقهم عاصم في الكهف والباقون دكا بالقصر والتنوين في الموضعين **الحجة** قال الزجاج جعله دكا بالتنوين معناه جعله مدقوقا مع الارض والدكاء والدكوات الروابي التي مع الارض ناشزة عنها لا تبلغ ان تكون جبلا قال ابو الحسن لما قال جعله فكانه قال دكه واراد جعله ذا دك وقال ابو عبيدة جعله دكا اي مندكا وناقة دكاء ذاهبة السنام كانه جعلها كالناقة الدكاء فبقي اكثر والدك المستوي وانشد للاغلب هل غير غار دك غارا فانهدم وقال علي بن عيسى دكا مستويا بالارض يقال دكه يدكه دكا اي سحقه سحقا **اللغة** التجلي الظهور ويكون تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الاسنة نائيا اراد الشاعر ان تدبيره دل عليه ويقال للسيد هو ابن جلا اي لا يخفى امره لشهرته وفي خطبة الحجاج انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني قال سيبويه جلا فعل ماض فكانه قال انا ابن الذي جلا اي اوضح وكشف **المعنى** ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال ولما جاء موسى لميقاتنا معناه ولما انتهى موسى الى المكان الذي وقتناه له وامرنا بالمصير اليه لنكلمه وننزل عليه التورية ويمكن ان يكون المراد بالميقات الزمان الذي وقته الله له ان ياتي ذلك المكان فيه فان لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كمواقيت الاحرام فانها الامكنة التي لا يجوز مجاوزتها لاهل الآفاق الا وهم محرمون وكلمه ربه من غير سفير او وحي كما كان يكلم الانبياء على السنة الملائكة ولم يذكر من اي موضع اسمعه كلامه وذكر في موضع آخر انه اسمعه كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلا للكلام لان الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل انه في هذا الموضع اسمعه كلامه من الغمام قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك انظر اليك اختلف العلماء في وجه مسئلته عليه السلام الرؤية مع علمه بانه سبحانه لا

ناديا

بجعل الشجرة

يدرك بالحواس على اقوال احدها ما قاله الجمهور وهو الاقوى انه لم يسال الرؤية لنفسه وانما سالها لقومه حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولذلك قال عليه السلام لما اخذتهم الرجفة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا واضاف ذلك الى السفهاء وسائل على هذا فيقال لو جاز ان يسال الرؤية لقومه مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى لجاز ان يسال لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما وما اشبه ذلك متى شكوا فيه والجواب انما صح السوال في الرؤية لان الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي كونه جسما يمكن معه معرفة السمع وانه سبحانه حكيم صادق في اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة السمع من حيث ان الجسم لا يجوز ان يكون غنيا ولا عالما بجميع المعلومات ولا بد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه كان يجوز ان يسال موسى لقومه ما يعلم استحالته ايضا وان كان دلالة السمع لا يثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في دينهم غير انه شرط ان يبين للنبي في مسئلته ذلك علمه باستحالة ما سال عنه وان عرضه في السوال ورود الجواب ليكون لطفا وثانيها انه عليه السلام لم يسال الرؤية بالبصر ولكن ساله ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فيزول عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فيخف المحنة عليه بذلك كما سال ابرهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة وقد كان عرف ذلك بالاستدلال والسوال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر فبين الله سبحانه له ان ذلك لا يكون في الدنيا عن ابي القسم البلخي وثالثها انه سال الرؤية بالبصر على غير وجه التشبيه عن الحسن والربيع والسدي وذلك لان معرفة التوحيد يصح مع الجهل بمسألة الرؤية ومعرفة السمع يصح ايضا معه وهذا ضعيف لان الامر وان كان على ما ذكروه فان الانبياء لا يجوز ان يخفى عليهم مثل هذا مع جلالة رتبتهم وعلو درجتهم قال لن تراني هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني ابدا لان لن تنفي على وجه التابيد كما قال ولن يتمنوه ابدا وقال لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني علق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشئ لانهم يعلقونه بما يعلم انه لا يكون ومتى قيل انه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه سبحانه بامر يستحيل كما علق دخول الجنة بامر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط فجوابه انه سبحانه علق جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر امر ربه لاهل الجبل فخرق والمعنى انه سبحانه اظهر من الآيات ما استدل به من كان عند الجبل على ان رؤيته غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي احدثها في الجبل لاهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته فكل آية جددها الله سبحانه فكانه يتجلى للعباد بها فلما اظهر الآيات العجيبة في الجبل صار كانه ظهر لاهله وقيل ان تجلى بمعنى جلى كقولهم حدث وتحدث وتقدير جلى ربه امر الجبل اي ابرز في ملكوته الجبل ما تدكدك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر وحي ربه الجبل جعله دكا اي مستويا بالارض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ في الارض حتى فني عن الحسن وقيل بقطع اربع قطع قطعة ذهبت نحو المشرق وقطعة ذهبت نحو المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملا وقيل صار الجبل ستة اجبل وقعت ثلثة بالمدينة وثلاثة بمكة فالتي بالمدينة احد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وثبير وحراء روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وخر موسى صعقا اي سقط مغشيا عليه عن ابن عباس والحسن وابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما افاق ولا يقال افاق الميت وانما يقال عاش او حيي واما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وروي عن ابن عباس انه قال اخذته الغشية عشية يوم الخميس يوم عرفة وافاق عشية الجمعة وفيه نزلت عليه التورية وقيل معناه خر ميتا عن قتادة فلما افاق من صعقته ورجع اليه عقله قال سبحانك اي تنزيها لك عن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيها لك من ان تاخذني بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية تبت اليك من التقدم في المسئلة قبل الاذن فيها وقيل انه

لان الرؤية

قاله على وجه الانقطاع الى الله سبحانه كما يذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من الالفاظ عند ظهور الامور الجليلة وانا
اول المومنين بانه لا يراك احد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروى مثله عن ابى عبد الله عليه السلم قال معناه
اول من امن وصدق بانك لا ترى وقيل معناه اول المومنين من قومى باستعظام سؤال الروية عن الجبائى وقيل اول
المومنين بك من بنى اسرائيل عن مجاهد والسدى قوله عز وجل قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى
وبكلامى فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ
فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساريكم دار الفاسقين ايتان القراءة قرا اهل الحجاز وروح برسالتى
على التوحيد والباقون برسالاتى على الجمع وقد مضى الكلام فيه اللغة اللوح صحيفة مهياة للكتابة فيها واصله من اللوح
وهو اللمع يقال لاح يلوح اذا لمع وتلالا والتلويح التغيير ولوحه السفر غيره تغيرا يبين عليه اثره لان حاله يلوح بما نزل به و
اللوح الهواء لانه كاللامع فى هبوبه فاللوح يلوح المعانى بالكتابة فيه والموعظة التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع المخوف
المعنى ثم اخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء واجلال القدر وامره اياه بالشكر بقوله قال اى قال الله سبحانه يا موسى
انى اصطفيتك اى اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على الناس برسالاتى من غير كلام وبكلامى من غير رسالة وخص الناس
لانه كلم الملائكة ولم يكلم احدا من الناس بلا واسطة سوى موسى وقيل انه سبحانه كلم موسى على الطور وكلم نبينا صلى الله عليه واله
عند سدرة المنتهى فخذ ما اتيتك اى تناول ما اعطيتك من التورية وتمسك بما امرتك وكن من الشاكرين اى من المعترفين
بنعمتى القايمين بشكرها على حسب مرتبتها فكلما كانت النعمة اعظم واجل وجب ان يقابل من الشكر بما يكون اتم واكمل والوجه فى
تشريف موسى عليه السلم بالاختصاص بالكلام ان ذلك نعمة عظيمة ومنة جسيمة منه تعالى عليه لانه كلمه وعلمه الحكمة من غير
واسطة بينه وبينه ومن اخذ العلم من العالم العظيم كان اجل رتبة ممن اخذه ممن هو دونه وكتبنا له يعنى لموسى عليه السلم
فى الالواح يريد الواح التورية عن ابن عباس وكانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زمرد طولها
عشرة اذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء عن الكلبى وقيل انهما كانا لوحين قال الزجاج و
يجوز فى اللغة ان يقول للوحين الواح ويجوز ان يكون الواح جمع اكثر من اثنين من كل شئ قال الزجاج اعلم الله سبحانه
انه اعطاه من كل شئ يحتاج اليه من امر الدين مع ما اديه من الايات موعظة هذا تفسير لقوله كل شئ وبيان لبعض ما دخل تحته
وتفصيلا لكل شئ يحتاج اليه فى الدين من الاوامر والنواهى والحلال والحرام وذكر الجنة والنار وغير ذلك من العبر و
الاخبار وتفصيلا ايضا تفسير لقوله كل شئ فخذها بقوة اى بجد واجتهاد وقيل بصحة عزيمة وقوة قلب وامر قومك ياخذوا
باحسنها اى بما فيها من احسن المحاسن وهى الفرايض والنوافل فانها احسن من المباحات وقيل معناه ياخذوا بالناسخ دون
المنسوخ عن الجبائى وهذا ضعيف لان المنسوخ قد خرج من ان يكون حسنا وقيل ان المراد بالاحسن الحسن وكلها حسن كقوله سبحانه
وهو اهون عليه وكقوله ولذكر الله اكبر عن قطرب ساريكم دار الفاسقين يعنى ساريكم جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائى والمراد
فلتكن منكم على ذكر لتحذروا ان تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف امر الله وقيل يريد ديار فرعون وقومه بمصر عن عطية العوفى
وقيل معناه ساد خلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية ممن خالف امر الله تعالى لتعتبروا بها عن قتادة وفى تفسير على بن ابرهيم
ان معناه يجيئكم قوم فساق تكون الدولة لهم قوله عز وجل ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق
وان يروا كل اية لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ~~ذلك بانهم كذبوا~~ وان يروا سبيل الغى
يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل
يجزون الا ما كانوا يعملون ايتان القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم الرشد بفتح الراء والشين والباقون الرشد بضم الراء وسكون
الشين الحجة هما لغتان وحكى ان ابا عمرو فرق بينهما فقال الرشد الصلاح والرشد فى الدين مثل قوله مما علمت رشدا وتحروا
رشدا فهذا فى الدين وقوله فان انستم منهم رشدا هو فى اصلاح المال والحفظ له وقد جاء الرشد فى غير الدين قال حننت الى نعم الدهنا

فقلت

فقلت لها انى بلا لا على التوفيق والرشد اللغة الرشد سلوك طريق الحق يقال رشد يرشد رشادا ورشد يرشد رشدا ورشدا
وضد الغى غوى يغوى غيا وغواية والحبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل واصله الفساد من الحبط وهو داء ياخذ
البعير فى بطنه من فساد الكلا عليه ويقال حبطت الابل تحبط حبطا اذا اصابها ذلك واذا عمل الانسان عملا على خلاف الوجه
الذى امر به يقال احبطه المعنى ساصرف عن اياتى الذين يتكبرون فى الارض ذكر فى معناه وجوه احدها انه اراد ساصرف
عن نيل الكرامة المتعلقة باياتى والاعتزاز بها كما يناله المومنون فى الدنيا والاخرة المستكبرين فى الارض بغير الحق كما فعل بقوم
موسى وفرعون فان موسى كان يقتل من القبط وكان احد منهم لا يجسر ان يناله بمكروه خوفا من الثعبان وعبر ببنى اسرائيل
البحر وغرق فيه فرعون وقومه عن ابى على الجبائى والايات على هذا التاويل يحتمل ان يكون سائر الادلة ويحتمل ان يكون
معجزات الانبياء عليهم السلم وفى قوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا بيان ان صرفهم عن الايات مستحق بتكذيبهم وثانيها ان معناه سا صرفهم
عن زيادة المعجزات التى اظهرها على الانبياء عليهم السلم بعد قيام الحجة بما تقدم من المعجزات التى ثبت بها النبوة لان هذا الضرب
من المعجزات انما يظهر اذا كان فى المعلوم انه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف بان لا يظهرها جملة
او بان يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضى لان ما بعده يليق به من قوله وان
يروا سبيل الرشد الى اخر الاية وثالثها ان معناه سامنع الكذابين والمتكبرين اياتى ومعجزاتى واصرفهم عنها واخص بها الانبياء
فلا اظهرها الا عليهم واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لاحد ان يقول هلا قال
ساصرف اياتى عن الذين يتكبرون وهذا يبطل قول من قال ان الله تعالى جعل النيل فى امر فرعون فكان يجرى بامره
ويقف بامره وما شاكل ذلك ورابعها ان يكون الصرف معناه المنع من ابطال الايات والحجج والقدح فيها بما يخرجها
عن كونها ادلة وحججا ويكون تقديره انى اصرف المبطلين والمكذبين عن القدح فى دلالاتى بان اؤيدها واحكمها من
الحجج والبينات ويجرى ذلك مجرى قول احدنا ان فلانا منع اعداءه بافعاله الحميدة واخلاقه الكريمة من ذمه وتهجينه
واخرس السنتهم عن الطعن فيه وانما يريد المعنى الذى ذكرناه ويكون على هذا قوله ذلك بانهم كذبوا باياتنا راجعا
الى ما قبله بلا فصل من قوله وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ولا يرجع الى قوله ساصرف وخامسها ان المراد
ساصرف عن ابطال اياتى والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالاهلاك او المنع من غير اهلاك فلا يقدرون على القدح
فيها ولا على قهر مبلغيها ولا على منع المومنين من اتباعها والايمان بها وهو نظير قوله والله يعصمك من الناس ويكون
الايات فى هذا الوجه القران وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التى تحملها الانبياء عليهم السلم ويكون قوله ذلك بانهم
كذبوا باياتنا على هذا متعلقا ايضا بقوله وان يروا سبيل الرشد الى ما بعده ومعنى قوله الذين يتكبرون فى الارض اى يرون
لانفسهم فضلا على الناس وحقا ليس لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الانبياء انفة من الانقياد لهم والقبول
منهم وقوله بغير الحق تاكيد وبيان ان التكبر لا يكون الا بغير الحق كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقد مضى ذكر امثاله
وان يروا كل اية اى كل حجة ودلالة تدل على توحيد الله وصحة نبوة انبيائه لا يومنوا بها هذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء
بعلمه فيهم انهم لا يومنون به وبكتبه ورسله وبيان انه انما صرفهم عن اياته لذلك وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا يعنى
ان يروا طريق الهدى والحق لا يتخذوه طريقا لانفسهم وان يروا سبيل الغى اى طريق الضلال يتخذوه سبيلا اى طريقا لانفسهم
ويميلون اليه وقيل الرشد الايمان والغى الكفر وقيل الرشد كل امر محمود والغى كل امر قبيح مذموم ذلك اشارة الى صرفهم
عن الايات وقيل اشارة الى اتخاذهم طريق الغى وترك طريق الرشد وتقدير امرهم ذلك بانهم كذبوا باياتنا اى بحججنا ومعجزات
رسلنا وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها والمراد بالغفلة هنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه صم بكم عمى
وذلك انهم لما اعرضوا عن الانتفاع بالايات والتامل فيها اشبهت حالهم حال من كان غافلا ساهيا عنها ثم بين سبحانه وعيد
المكذبين فقال والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة يعنى القيمة والبعث والنشور حبطت اعمالهم التى عملوها فلا يستحقون بها مدحا

الكاذبين

ولاثوابا لانها وقعت على خلاف الوجه المامور به فصارت بمنزلة ما لم يعمل هل يجزون الا ما كانوا يعملون صورته صورة الاستفهام
والمراد به الانكار والتوبيخ ومعناه ليس يجزون الا ما عملوه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا النظم قيل في وجه اتصال الاية بما قبلها
وجوه احدها انه تقدم ذكر المجزات وما رام فرعون من ابطالها فبين بقوله ساصرف عن اياتي انه يمنع عن ابطال
المعجزات فيتصل بما تقدم من قصة موسى وفرعون وثانيها انه لما تقدم ذكر معجزات موسى بين عقيبه انه سبحانه لا يظهر
المعجزة على يد من ليس بنبي وابان عن صدق موسى ومحمد صلى الله عليه واله وسلم ليكمل مكان المعجز وثالثها انه خطاب
لموسى عليه السلم وزيادة في البيان عن اتمام ما وعده في اهلاك اعدائه وصرفهم عن الاعتراض على اياته ومعناه
خذها امنا من طعن الطاعنين فاني ساصرف ورابعها ان الايتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب لنبينا محمد صلى الله
عليه واله والمراد انه يصرف المتكبرين عن اياته كما صرف فرعون عن موسى قوله عز وجل وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ
مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ اية القراءة قرا
حمزة والكسائي بكسر الحاء واللام وقرا يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرا الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام الحجة من قرا
بضم الحاء فانه جمع حلي مثل ثدي وثدي وجمعه لانه اضافة الى جمع ومن قرا بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضمة
الى الكسرة واجري مجريه في قسي ونحوه ومن قرا حليهم فلانه اسم جنس يقع على القليل والكثير اللغة الاتخاذ اجتباء الشي لامر من الامور
فهؤلاء اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة ويقال حلي الشي في عيني يحلى حلى وحلا في فمي
يحلو احلاوة وحليت الرجل تحلية اذا وصفته اذا اتزى منه وتحلى بكذا اتزين به وتحسن والجسد جسم الحيوان مثل البدن
وهو روح وجسد فالروح ما لطف والجسد ما كثف والجسم ما يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات والخوار صوت
الثور وهو صوت غليظ وبناء فعال يدل على الافة نحو الصراخ والسكات والعطاس الاعراب موضع من حليهم نصب تقديره
اتخذوا حليهم عجلا وجسدا بدل من عجل المعنى ثم عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل وما احدثوه عند خروج موسى عليه السلم
الى ميقات ربه فقال سبحانه واتخذ قوم موسى يعني السامري ومن جرى على طريقته وقيل يعني جميعهم لان منهم من صاغ العجل
ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكر وانما انكر ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب من بعده اي من بعد خروج موسى الى
الميقات عن الجبائي وغيره من حليهم التي استعاروها من قوم فرعون وكانت بنو اسرائيل بمنزلة اهل الجزية في القبط وكان
لهم يوم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا حلي القبط فلما اخرجهم الله من مصر
وغرق فرعون بقيت تلك الحلي في ايديهم فاتخذ السامري منها عجلا وهو ولد البقرة جسدا اي مجسدا لا روح فيه وقيل
لحما ودما عن وهب له خوار اي صوت وروي في الشواذ عن علي عليه السلم جؤار بالجيم والهمزة وهو الصوت ايضا
وفي كيفية خوار العجل مع انه مصوغ من ذهب خلاف فقيل اخذ السامري قبضة من تراب اثر فرس جبرئيل عليه السلم
يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحما ودما وكان ذلك معتادا غير خارق للعادة وجاز ان يفعل
الله تعالى ذلك بمجرى العادة عن الحسن وقيل انه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الالات التي تصوت بالحيل عن الزجاج
والجبائي والبلخي وانما اضاف سبحانه الصوت اليه لانه كان بعمله عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيبا
مطاعا فيما بينهم فارجف ان موسى عليه السلم قد مات لما لم يرجع على راس الثلاثين فدعاهم الى عبادة العجل فاطاعوه
ولم يطيعوا هرون وعبدوا العجل على ما مر ذكره في سورة البقرة ثم انكر سبحانه ذلك عليهم فقال الم يروا اي الم يعلموا
انه لا يكلمهم بما يجدي عليهم نفعا او يدفع عنهم ضرا ولا يهديهم سبيلا اي لا يهديهم الى خير لياتوه ولا الى شر ليجتنبوه دل
سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا اليه فان من لا يتكلم في خير وشر ولا يهدي الى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضر فكيف
يكون الها معبودا اتخذوه اي اتخذوه الها وعبدوه وكانوا ظالمين باتخاذهم له الها واضعين للعبادة في غير موضعها
قوله عز وجل وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ اية القراءة لئن

الى موسى

من حليهم

لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء كوفي غير عاصم والباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء ربنا بالرفع الحجة من قرا بالياء جعل
الفعل للغيبة وارتفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن قرا بالتاء ففيه ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف حرف التنبيه معه
لانه عامة ما في التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله ربنا اني اسكنت من ذريتي ربنا واتنا ما وعدتنا اللغة
معنا سقط في ايديهم وقع البلاء في ايديهم اي وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك للنادم عند ما يجده مما كان خفي عليه
ويقال سقط في يده واسقط في يده وبغير الف افصح وقيل معناه صار الذي كان يضرب ملقى في يده المعنى ثم اخبر سبحانه انهم
ندموا على عبادة العجل فقال ولما سقط في ايديهم اي فلما لحقتهم الندامة وراوا انهم قد ضلوا اي علموا اضلالهم عن الصواب
وطريق الحق بعبادة العجل حين رجع اليهم موسى وبين لهم ذلك قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا ويغفر لنا ما قدمنا من عبادة
العجل لنكونن من الخاسرين باستحقاق العقاب قال الحسن ان كلهم عبدوا العجل الا هرون بدلالة قول موسى رب اغفر لي
ولاخي ولو كان هناك مومن غيرهما لدعا له وقال غيره انما عبده بعضهم قوله عز وجل وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ
أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ
الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ
اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ايتان القراءة قرا ابن عامر واهل الكوفة غير حفص ابن ام
بالكسر ههنا وفي طه وقرا الباقون ابن ام نصبا في الموضعين وروي في الشواذ عن مجاهد فلا تشمت بفتح التاء والميم الاعداء
بالنصب وروي عن مجاهد ايضا فلا يشمت بالياء الحجة من قرا ابن ام بالفتح فلكثرة استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن ام ويا ابن
عم جعلوهما اسما واحدا نحو خمسة عشر قال سيبويه قالوا يا ابن ام ويا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزلة اسم لان هذا اكثر في كلامهم من يا ابن
ابي ويا غلام غلامي ومن العرب من يقول يا ابن امي باثبات الياء قال الشاعر يا ابن امي ويا شقيق نفسي ٭ انت خليتني لدهر
شديد ٭ لا مر شديد قال ابو علي بنى الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصبة التي كانت تكون في الاسم المضاف المنادى
لكن بني على الحركة التي كانت تكون للاعراب كما ان قولهم لا رجل كذلك وكما ان مكانك اذا اردت به الامر لا تكون الفتحة
فيه الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويدك فان قال قائل فلم لا تقول انها نصبة والمراد يا ابن اما
فحذفت الالف مقدرة في يا ابن الاضافة في غلامي قيل له ليس هذا مثله الا ترى ان من حذف الياء في يا غلام اثبتها في
يا غلام غلامي فلو كانت الالف مقدرة في يا ابن ام لم تكن تحذف في قوله يا ابنة عما لا تلومي واهجعي فالالف لا تحذف حيث تحذف
الياء الا ترى ان من قال ما كنا نبغ والليل اذا يسر فحذف الياء من الفواصل وما اشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن
عنده في نحو قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى الا الاثبات فان قلت فقد حذف الالف في نحو قوله رهط ابن مرجوم
ورهط ابن المعل ٭ يريد المعلى وانشد ابو الحسن فلست بمدرك ما فات مني ٭ بلهف ولا بليت ولا لواني ٭ يريد بلهفي فحذف الالف
فالقول فيه ان ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وحال السعة ولا ينبغي ان يحمل قول ابن ام على هذا وقياس من اجاز
ذلك ان تكون فتحة الابن نصبة والفتحة في ام ليست كالتي في عشر من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا ابنت
عما قال الزجاج ومن قرا ابن ام بالكسر فانه اضافه الى نفسه بعد ان جعله اسما واحدا اللغة الاسف الغضب الذي
فيه تاسف على فوت ما سلف والاسف الحزن والتلهف ايضا ويقال خلفه يخلفه بما يحب وما يكره اذا عمل خلفه ذلك العمل
والعجلة التقدم بالشي قبل وقته والسرعة عمله في اول وقته ولذلك صارت العجلة مذمومة ويقال عجلته اي سبقته
واعجلته استحثثته والشماتة سرور العدو بسوء العاقبة يقال شمت به شماتة واشمته اشماتا اي عرضه لتلك الحال الاعراب غضبان
منصوب على الحال وهو فعلان مونثه فعلى نحو غضبان وغضبى ولا ينصرف لان فيه الالف والنون المضارعتين لالفي
التانيث في حمراء المعنى ثم اخبر سبحانه عما فعله موسى عليه السلم حين رجع من مناجاة ربه وراى عكوف قومه على عبادة
العجل فقال ولما رجع موسى الى قومه يعني بني اسرائيل غضبان اسفا اي حزينا عن ابن عباس وقيل الاسف الشديد الغضب عن

ابی الدرداء وقیل معنی الغضب والاسف واحد وانما کررها للتاکید واختلاف اللفظین کما قال الشاعر متی ادن منه ینا عنی ویبعد
عن ابی مسلم وقیل معناه غضبان علی قومه اذ عبدوا العجل اسفا حزینا متلهفا علی ما فاته من مناجاة ربه قال بئسما خلفتمونی من
بعدی ای بئسما عملتم خلفی وبئس الفعل فعلکم بعد ذهابی الی المیقات ربی اعجلتم امر ربکم ای میعاد ربکم فلم تصبروا له عن ابن
عباس ونحو هذا قال الحسن وعد ربکم الذی وعدنی من الاربعین لیلة وذلک انهم قدروا انه قد مات لما لم یات علی راس
ثلثین لیلة وقیل اعجلتم بعبادة العجل قبل ان یاتیکم امر من ربکم عن الکلبی وقیل معناه استعجلتم وعد الله وثوابه علی عبادته فلما
لم تنالوه عدلتم الی عبادة غیره عن الجبائی والقی الالواح معناه انه القاها لما اداخله من شدة الغضب والجزع علی عبادة قومه العجل
عن ابن عباس وروی عن النبی علیه السلم انه قال یرحم الله اخی موسی لیس المخبر کالمعاین لقد اخبره الله بفتنة قومه وقد عرف
انما اخبره ربه حق وانه علی ذلک لمتمسک بما فی یدیه فرجع الی قومه وراهم فغضب والقی الالواح وقد تقدم ذکر ما قیل فی
الالواح واخذ براس اخیه یعنی هرون یجره الیه قیل فی معناه وجوه احدها ان موسی علیه السلم انما فعل ذلک مستعظما لفعلهم
مفکرا فیما کان منهم کما یفعل الانسان بنفسه مثل ذلک عند الغضب وشدة الفکر فیقبض علی لحیته ویعض علی شفتیه فاجری
موسی علیه السلم اخاه هرون مجری نفسه فصنع به ما صنع الانسان بنفسه عند حالة الغضب والفکر عن ابی علی الجبائی
وهذا من الامور التی تختلف احکامها بالعادات فیکون ما هو اکرام فی موضع استخفافا فی غیره ویکون ما هو استخفاف فی موضع اکراما
فی اخر وثانیها انه علیه السلم اراد ان یظهر ما اعتراه من الغضب علی قومه لاکباره منهم ما صاروا الیه من الکفر والارتداد فصدر
ذلک منه للتالم بضلالهم واعلامهم عظم الحال عندهم لینزجروا عن مثله فی مستقبل الاحوال ذکره الشیخ المفید ابو عبد الله
بن النعمن رضی الله عنه وثالثها انه انما جره الی نفسه لیناجیه ویستبری حال القوم منه ولهذا اظهر هرون براءة نفسه ولما
ولما اظهر براءته دعا له ولنفسه ورابعها انه لما رای هرون مثل ما به من الجزع والقلق اخذ براسه متوجعا له مسکنا فکره
هرون ان یظن الجهال ذلک استخفافا فاظهر براءته ودعا له موسی ازالة للتهمة وخامسها انه انکر علی هرون ما بینه فی طه
من قوله ما منعک اذ رایتهم ضلوا الا تتبعنی الایة عن ابی مسلم قال یعنی قال هرون ابن ام قال الحسن والله لقد کان اخاه
لابیه وامه الا انه انما نسبه الی الام لان ذکر الام ابلغ فی الاستعطاف ان القوم استضعفونی یعنی ان القوم الذین ترکتنی
بین اظهرهم اتخذونی ضعیفا وکادوا یقتلوننی ای هموا بقتلی وقربوا ان یقتلونی لشدة انکاری علیهم فلا تشمت بی الاعداء
ای لا تسرهم بان تفعل ما یوهم ظاهره خلاف التعظیم ولا تجعلنی مع القوم الظالمین ای لا تجعلنی مع عبدة العجل ومن جملتهم
فی اظهار الغضب والموجدة علی قال موسی حین تبین له ما نبهه هرون علیه من خوف التهمة ودخول الشبهة علی القوم رب اغفر لی
ولاخی هذا علی وجه الانقطاع الی الله سبحانه والتقرب الیه لا انه کان وقع منه او من اخیه قبیح کبیر او صغیر یحتاج ان
یستغفر منه فان الدلیل قد دل علی ان الانبیاء لا یجوز ان یقع منهم شیء من القبیح وقیل انه علیه السلم بین بهذا لبنی اسرائیل انه لم
یجر راسه الیه لغضب وجد منه وانما فعله کما یفعل الانسان بنفسه عند شدة غضبه علی غیره عن الجبائی وادخلنا فی رحمتک
ای نعمتک وجنتک وانت ارحم الراحمین ظاهر المعنی وانما یذکر فی اخر الدعاء لبیان شدة الرجاء من جهته فان الابتداء بالنعمة
یوجب الاتمام وسعة الرحمة یقتضی الزیادة فیها فقال ارحم الراحمین لاستدعاء الرحمة من جهته کما یقال اجود الاجودین لاستدعاء
الجود من قبله قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَمَّا سَكَتَ
عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ثلث ایات اللغة النول
اللحوق واصله مد الید الی الشیء الذی یبلغه ومنه قولهم نولک ان تفعل کذا ای ینبغی ان تفعله فانه یلحقک خیره و
سکت ای سکن والسکوت هو الامساک عن الکلام بهیئة منافیة لسببه وهو تسکین الة الکلام وانما قیل سکت الغضب توسعا
ومجازا لانه لما کان بفورته دالا علی ما فی نفس المغضوب علیه کان بمنزلة الناطق بذلک فاذا سکنت تلک الفورة کان بمنزلة

الساکت عما کان متکلما به فالسکوت فی هذا الموضع احسن من السکون لتضمنه معنی سکوته عن المعاتبة مع سکون غضبه الاعراب
قال لربهم یرهبون ولا یجوز یرهبون لربهم لانه اذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فیه فصار بمنزلة ما لا یتعدی فی دخول
اللام علیه وقیل انه اذا کان بمعنی من اجله جاز دخول اللام علیه تقدم او تاخر کما قال تعالی ردف لکم المعنی ثم اوعد الله
سبحانه فقال ان الذین اتخذوا العجل فیه حذف ای اتخذوه الها او معبودا من دون الله سینالهم غضب ای سیلحقهم علی
عبادتهم ایاه عقوبة من ربهم وانما ذکر الغضب مع الوعید بالنار لانه ابلغ فی الزجر عن القبیح وذلة فی الحیوة الدنیا یعنی صغر
النفس والمهانة قال الزجاج والذلة ما امروا به من قتل انفسهم وقیل ان الذلة اخذ الجزیة واخذ الجزیة لم یقع فیمن عبد العجل
وانما اراد استسلامهم للقتل وکذلک نجزی المفترین ای مثل هذا الوعید والعذاب والغضب نجزی الکاذبین والمتخرصین
وانما سموا مفترین لانه عبدوا عجلا وقالوا انه اله فکانوا کاذبین ثم عطف سبحانه علی ذلک بقوله والذین عملوا السیئات ای
الشرک والمعاصی ثم تابوا من بعدها وامنوا ای واستانفوا عمل الایمان وقیل معناه تابوا وامنوا بان الله قابل للتوبة ان ربک
یا محمد من بعدها ای من بعد التوبة وقیل من بعد السیئات لغفور لذنوبهم رحیم بهم ولما سکت ای سکن عن موسی الغضب
وقیل فی معناه زالت فورة غضبه ولم یزل الغضب لان توبتهم لم تخلص وقیل معناه زال غضبه لانهم تابوا اخذ الالواح
التی کانت فیها التوریة وفی نسختها ای وفیما نسخ فیها وکتب عن الجبائی وابی مسلم وقیل فی نسختها التی کتبت ونسخت منها هدی
ای دلالة وبیان لما یحتاج الیه من امور الدین ورحمة ای نعمة ومنفعة للذین هم لربهم یرهبون ای یخشون ربهم
فلا یعصونه ویعملون بما فیها وفی الایة دلالة علی انه یجوز القاء التوریة للغضب الذی یظهر بالقائها ثم اخذها للحکمة التی فیها
من غیر ان یکون القاء رغبة عنها قوله عز وجل وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ
الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ
بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ایة اللغة الاختیار ارادة
ما هو خیر یقال خیره بین امرین فاختار احدهما والاختیار والایثار بمعنی واحد والفتنة الکشف والاختبار قال المسیب
بن علس اذ تستبیک باصلتی ناعم قامت لتفتنه بغیر قناع ای لتکشفه وتبرزه الاعراب واختار موسی تقدیره واختار
موسی من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه وانما حذف من لدلالة الفعل علیه مع ایجاز اللفظ قال الفرزدق ومنا
الذی اختار الرجال سماحة وجودا اذا هب الریاح الزعازع وقال غیلان وانت الذی اخترت المذاهب کلها بوعساء
اذ ردت علی الاباعر وقال اخر فقلت لها اخترها قلوصا سمینة ونابا علینا مثل نابک فی الحیا المعنی ثم اخبر سبحانه عن
اختیار موسی من قومه عند خروجه الی میقات ربه فقال واختار موسی قومه سبعین رجلا لمیقاتنا واختلف فی سبب
اختیاره ایاهم ووقته فقیل انه اختارهم حین خرج الی المیقات لیکلمه الله سبحانه بحضرتهم ویعطیه التوریة فیکونوا شهداء له
عند بنی اسرائیل لما لم یثقوا بخبره ان الله سبحانه یکلمه فلما حضروا المیقات وسمعوا کلامه تعالی سالوا الرویة فاصابتهم
الصاعقة ثم احیاهم الله فابتدا سبحانه بحدیث المیقات ثم اعترض حدیث العجل فلما تم عاد الی بقیة القصة وهذا المیقات
هو المیعاد الاول الذی تقدم ذکره عن ابی علی الجبائی وابی مسلم وجماعة من المفسرین وهو الصحیح ورواه علی بن ابرهیم فی
تفسیره وقیل انه اختارهم بعد المیقات الاول للمیقات الثانی بعد عبادة العجل لیعتذروا من ذلک فلما سمعوا کلام الله
قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهی الرعدة والحرکة الشدیدة حتی کادت ان تبین مفاصلهم وخاف موسی علیهم الموت فبکی
ودعا وخاف ان یتهمه بنو اسرائیل علی السبعین اذا عاد الیهم ولم یصدقوه بانهم ماتوا عن السدی والحسن وقال ابن عباس
ان السبعین الذین قالوا لن نومن لک حتی نری الله جهرة فاخذتهم الصاعقة کانوا قبل السبعین الذین اخذتهم الرجفة وانما
امر الله تعالی موسی ان یختار من قومه سبعین رجلا فاختارهم وبرز بهم لیدعوا ربهم فکان فیما دعوا ان قالوا اللهم اعطنا
ما لم تعط احدا قبلنا ولا تعطیه احدا بعدنا فکره الله ذلک من دعائهم فاخذتهم الرجفة وروی عن علی بن ابی طالب علیه السلم

انه قال انما اخذتهم الرجفة من اجل دعويهم على موسى قتل هرون وذلك ان موسى وهرون وشبرا وشبيرا ابني هرون انطلقوا الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفيه الله فلما مات دفنه موسى فلما رجع الى بني اسرائيل قالوا له اين هرون قال توفيه الله فقالوا لا بل انت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه قال فاختاروا من شئتم فاختاروا منهم سبعين رجلا وذهب بهم فلما انتهوا الى القبر قال موسى يا هرون اقتلت ام مت فقال هرون ما قتلني احد ولكن توفاني الله فقالوا لن نعصى بعد اليوم فاخذتهم الرجفة وصعقوا وماتوا ثم احياهم الله وجعلهم انبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقلوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما راى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراءه على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا وبكا وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمانوا وسمعوا كلام ربهم قال اى قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اى لو شئت اهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف واهلكتني معهم فالان ماذا اقول لبني اسرائيل اذا رجعت اليهم اتهلكنا بما فعل السفهاء منا معناه النفي وان كان بصورة الانكار والمعنى انك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فبهذا نسالك رفع المحنة بالاهلاك عنا وما فعله السفهاء هو عبادة العجل ظن موسى عليه السلم انهم اهلكوا لاجل عبادة بني اسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سوال الروية عن جماعة من المفسرين ان هي الا فتنتك معناه ان الرجفة الا اختبارك وابتلاؤك ومحنتك اى تشديدك التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما انزلته بنا عن سعيد بن جبير وابي العالية والربيع ومثله قوله او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين يعني بذلك الامراض والاسقام التي شدد الله بها التعبد على عباده وانما سمي ذلك فتنة لانه يشتد الصبر عليها ومثله الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون اى لا ينالهم شدائد الدنيا وقيل ان المراد ان هي الا عذابك عن ابن عباس وقد سمى الله العذاب فتنة في قوله يوم هم على النار يفتنون اى يعذبون وكانه قال ليس هذا الاهلاك الا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل او بسؤالهم الروية تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء اى تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرفها عمن تشاء عن ابن عباس وتقديره وتهلك بها من تشاء وتنجى من تشاء وقيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك وترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدى بالرضا بها والصبر عليها من تشاء انت ولينا معناه انت ناصرنا والاولى بنا تحوطنا وتحفظنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين اى خير الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم وقوله عز وجل

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون اية القراءة في الشواذ قراءة الحسن وعمرو الاسوارى من اساء والقراءة المشهورة من اشاء والوجه فيه ظاهر المعنى هذا تمام ما قاله موسى عليه السلم في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة سال الله سبحانه ان يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة وانما سميت النعمة حسنة وان كانت الحسنة اسم الطاعة لله لامرين احدهما ان النعمة يتقبلها النفس كما ان الطاعة يتقبلها العقل والاخر انها ثمرة الطاعة لله وانما ذكر بلفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا لان الكتابة اثبت وادوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور الازمان وفي الاخرة معناه واكتب لنا في الاخرة حسنة ايضا كما في قوله ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقيل الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الاخرة الرفعة وقيل هي في الدنيا التوفيق للاعمال الصالحة وفي الاخرة المغفرة والرحمة والجنة انا هدنا اليك اى رجعنا بتوبتنا اليك والهود الرجوع قال الله تعالى مجيبا لموسى عليه السلم عذابي اصيب به من اشاء ممن عصاني واستحقه بعصيانه وانما علقه بالمشية لجواز الغفران في العقل ورحمتي وسعت كل شيء قال الحسن وقتادة ان رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي يوم القيمة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي وسعت كل شيء ولكن لا تجب الا للذين يتقون وذلك ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا

صار في الاخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه وقيل معناه انها تسع كل شيء ان دخلوها فلو دخل الجميع فيها لوسعتهم الا ان فيهم من لا يدخل فيها لضلاله وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه واله قام في الصلوة فقال اعرابي وهو في الصلوة اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فلما سلم رسول الله صلى الله عليه واله قال للاعرابي لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عز وجل اورده البخاري في الصحيح فساكتبها للذين يتقون اى فساوجب رحمتي للذين يتقون الشرك اى يجتنبونه ويجتنبون الكباير والمعاصي ويؤتون الزكوة اى يخرجون زكوة اموالهم لانه من اشق الفرايض وقيل معناه يطيعون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وانما ذهبا الى تزكية النفس وتطهيرها والذين هم باياتنا يؤمنون اى بحججنا وبيناتنا يصدقون وروى عن ابن عباس وقتادة وابن جريج انه لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال ابليس انا من ذلك الشيء فنزعها الله من ابليس بقوله فساكتبها للذين يتقون الى اخر الاية فقالت اليهود والنصارى نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بايات الله ربنا فنزعها منهم وجعلها لهذه الامة بقوله الذين يتبعون الرسول الامي الاية قوله عز وجل

الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون اية القراءة قرا ابن عامر وحده اصارهم على الجمع والباقون اصرهم على التوحيد الحجة قال ابو علي الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد لفظه يدل على ذلك قوله اصرهم فاضيف وهو مفرد الى الكثرة ولا تحمل علينا اصرا وقال ينظرون من طرف خفي ولا يرتد اليهم طرفهم فالوجه الافراد كما افرد في غير هذا الموضع وجمع ابن عامر كانه اراد ضروبا من الماثم مختلفة فجمع لاختلافها والمصادر تجمع اذا اختلفت ضروبها واذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضربا واحدا كقوله هل من حلوم لاقوام فينذرهم ما جرب الناس من عضي وتضريسي فان تجمع ما يختلف من الماثم اجدر ويقوى قوله عزروه في قولهم عزرت فلانا اعزره واعزره عزرا فقيل معناه ذلك قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم والثقل مصدر كالشبع والصغر والكبر اللغة قال الزجاج اختلف اهل اللغة في معنى قوله عزروه في قولهم عزرت فلانا اعزره واعزره عزرا فقيل معناه رددته وقيل معناه اعنته وقيل معناه لمته ويقال عزرته بالتشديد نصرته ويقال منعت منه فمعنى عزروه منعوا اعداءه من الكفر به وقيل نصروه والمعنى قريب لان منع الاعداء منه نصرته ومعنى عزرت فلانا اذا ضربته ضربا دون الحد انه يمنعه بضربه اياه من معاودة مثل عمله ويجوز ان يكون من عزرته اى رددته فمعناه فعلت به ما يرده عن المعصية الاعراب قال الزجاج قوله يامرهم بالمعروف يجوز ان يكون على تقدير يجدونه مكتوبا عندهم انه يامرهم بالمعروف ويجوز ان يكون بالمعروف مستانفا قال ابو علي لا وجه لقوله يجدونه مكتوبا انه يامرهم ان كان يعني ان ذلك مراد لانه لا شيء يدل على حذفه ولانا لم نعلمهم حذفوا هذا في شيء وتفسيره ان وجدت هنا هو المتعدى الى مفعولين ومكتوبا مفعوله الثاني والمعنى يجدون ذكره مكتوبا عندهم في التورية او اسمه فالمفعول الاول قام مقامه المضاف اليه وانما قلنا ذلك لان المكتوب هو الاسم او الذكر والمفعول الثاني في هذا الباب يجب ان يكون الاول في المعنى قال فاما قوله يامرهم بالمعروف فهو عندي تفسير لما كتب كما ان قوله لهم مغفرة واجر عظيم تفسير لوعدهم وكما ان قوله خلقه من تراب تفسير للمثل فان قلت لم لا تجعله حالا من المفعول الاول فلان ذلك ممتنع في المعنى الا ترى ان المعنى اذا كان يجدون ذكره او اسمه مكتوبا لم يجز ان يكون يامرهم حالا منه لان الاسم والذكر لا يامران انما يامر المذكور والمسمى ولا يجوز ان يكون مما في مكتوب من الضمير لان الضمير هو المفعول الاول في المعنى المعنى ثم وصف سبحانه الذين يتقون بصفة اخرى فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي اى يؤمنون به ويعتقدون نبوته يعني نبينا محمدا صلى الله عليه واله الامي ذكر في معناه اقوال احدها انه الذي لا يكتب ولا يقرا وثانيها انه منسوب الى الامة والمعنى انه على جبلة الامة قبل استفادة الكتابة وقيل ان المراد بالامة العرب لانها لم تكن

لحن الكتابة وثالثها انه منسوب الى الام والمعنى انه على ما ولدته امه قبل تعلم الكتابة ورابعها انه منسوب الى ام القرى وهى مكة وهو المروى
عن ابى جعفر الباقر عليه السلم الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل معناه يجدون نعته وصفته ونبوته مكتوبا فى الكتابين
لانه مكتوب فى التورية فى السفر الخامس انى سأقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فيه فيقول لهم كلما اوصيه به
وفيها ايضا مكتوب واما ابن الامة فقد باركت عليه جدا جدا وسيلد اثنى عشر عظيما واؤخره لامة عظيمة وفيها ايضا اتانا الله من
سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وفى الانجيل بشارة بالفارقليط فى مواضع منها نعطيكم فارقليط اخر يكون
معكم اخر الدهر كله وفيها ايضا قول المسيح للحواريين انا اذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه انه
نذيركم بجميع الخلق ويخبركم بالامور المزمعة ويمدحنى ويشهد لى وفيه ايضا انه اذا جاء فند اهل العالم يأمرهم بالمعروف
وينهيهم عن المنكر يجوز ان يكون هذا مكتوبا فى التورية والانجيل فيكون موصولا بما قبله وبيانا لمن يكتب له رحمة الولاية
والمحبة ويجوز ان يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحا للنبى صلى الله عليه واله والمعروف الحق والمنكر الباطل لان الحق معروف
الصحة فى العقول والباطل منكر الصحة فى العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الارحام والمنكر عبادة الاوثان
وقطع الارحام عن ابن عباس وهذا القول داخل فى القول الاول ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث معناه يبيح لهم
المستلذات الحسنة ويحرم عليهم القبايح وما تعافه الانفس وقيل يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من
وجه خبيث وقيل يحل لهم ما حرمه عليهم رهابينهم واحبارهم وما كان يحرمه اهل الجاهلية من البحاير والسوايب وغيرها و
يحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها ويضع عنهم اصرهم اى ثقلهم شبه ما كان على بنى اسرائيل من التكليف الشديد
بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل بعضهم بعضا وجعل توبة هذه الامة الندم بالقلب حرمة للنبى صلى الله عليه
واله عن الحسن وقيل الاصر هو العهد الذى كان الله سبحانه اخذه على بنى اسرائيل ان يعملوا بما فى التورية عن ابن عباس والضحاك
والسدى ويجمع المعنيين قول الزجاج الاصر ما عقدته من عقد ثقيل والاغلال التى كانت عليهم معناه ويضع عنهم العهود التى
كانت فى ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التى تكون فى الاعناق للزومها كما يقال هذا طوق فى عنقك وقيل يريد
بالاغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم فى التوبة وقرض ما يصيبهم البول من اجسادهم وما اشبه ذلك من تحريم السبت و
تحريم العروق والشحوم وقطع الاعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية عن اكثر المفسرين فالذين امنوا به اى بهذا النبى
وصدقوه فى نبوته وعزروه اى عظموه ووقروه ومنعوا عنه اعداءه ونصروه عليهم واتبعوا النور معناه القران الذى هو نور
فى القلوب كما ان الضياء نور فى العيون ويهتدى به الخلق فى امور الدين كما يهتدون بالنور فى امور الدنيا الذى انزل
معه اى انزل عليه وقد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام مع وقيل معناه انزل فى زمانه وعلى عهده وروى ان النبى صلى الله
عليه واله قال لاصحابه اى الخلق اعجب ايمانا فقالوا الملائكة فقال الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالنبيون قال صلى الله
عليه واله النبيون يوحى اليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فنحن يا نبى الله قال انا فيكم فما لكم لا تؤمنون انما هم قوم يكونون بعدكم فيجدون
كتابا فى ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون اى الظافرون بالمراد الناجون
من العقاب الفائزون بالثواب قوله عز وجل قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
آية الاعراب جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب الذى عمل حرف الاضافة فيه والعامل فى الحال معنى الفعل فى رسول الله لانه لا
يجوز ان يتقدم على حرف الاضافة لانه قد صار بمنزلة العامل المعنى ثم امر الله سبحانه نبينا صلى الله عليه واله ان يخاطب
جميع الخلق من العرب والعجم فقال قل يا ايها الناس انى رسول الله ارسلنى اليكم جميعا ادعوكم الى توحيده وطاعته واتباعى فيما
أؤديه اليكم وانما ذكر جميعا للتاكيد وليعلم انه مبعوث الى الكافة الذى له ملك السموات والارض معناه الذى له التصرف
فى السموات والارض من غير دافع ومنازع لا اله اى لا معبود الا هو ولا شريك له فى الهية يحيى الاموات ويميت الاحياء لا يقدر احد

الا هو

على

فى كتاب الحجة والكافى

على بن ابرهيم باسناده عن ابى عبد الله عليه السلم فى قول الله
عز وجل الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى
يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
ويحرم عليهم الخبائث الى قوله واتبعوا النور الذى
انزل معه اولئك هم المفلحون قال
النور فى هذا الموضع امير المؤمنين
عليه السلم والائمة عليهم السلم

على الاحياء والاماتة سواه لانه لو قدر احد على الاماتة لقدر على الاحياء فان من شان القادر على الشىء ان يكون قادرا على ضده
فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله يعنى لم يامركم بالايمان حتى امن هو ولا وعليه زيادة التكليف من اداء
الرسالة وبيان الشرايع والقيام بالدعوة وكلماته اى يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحى والقران واتبعوه لعلكم تهتدون
اى لكى تهتدوا الى الثواب والجنة قوله عز وجل وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وَقَطَّعْنَاهُمُ
اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ
عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ
مَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ايتان اللغة قال الازهرى السبط الفرقة لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقد جمع فقيل اسباط
واشتقاقها من السبط وهو شجر والواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامرأة سبطة وقد سبط شعره سبوطة وهو الذى لا جعودة
فيه ورجل سبط الاصابع طويلها وسبط الكف سمحها ومطر سبط وسبط متدارك وسباطة سعته والسبط فى كلام العرب خاصة
الاولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذى يجى بعد قرن والصحيح ان الاسباط فى ولد اسحق بمنزلة القبايل فى ولد
اسمعيل فولد كل ولد من اولاد يعقوب سبط وولد كل ولد من اولاد اسمعيل قبيلة وانما سموا هؤلاء بالقبايل وهؤلاء
بالاسباط ليفصل بين ولد اسمعيل وولد اسحق عليهما السلم ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبايل وكذلك الاسباط من
السبط كانه جعل اسحق بمنزلة شجرة وكذلك يفعل النسابون فى النسب يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة واولاده بمنزلة اغصانها ويقال
طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة فهذا معنى الاسباط والسبط الاعراب اثنتى عشرة اسباطا يعنى اثنتى عشرة فرقة فحذف
المميز ولذلك انث واسباطا بدل من اثنتى عشرة تقديره وفرقناهم اسباطا وجعلناهم اسباطا ويجوز كسر الشين فى عشرة وهو
قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب واما نعت للاسباط المعنى ثم عاد الكلام الى قصة بنى اسرائيل فقال سبحانه ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق اى جماعة يدعون الى الحق ويرشدون اليه وبه يعدلون اى وبالحق يحكمون ويعدلون فى حكمهم واختلف
فى هذه الامة من هم على اقوال احدها انهم قوم من وراء الصين وبينهم وبين الصين وادجار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا
عن ابن عباس والسدى والربيع والضحاك وعطا وهو المروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم قالوا وليس لاحدهم مال دون
صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد ولا منهم الينا وهم على الحق قال ابن جريج بلغنى ان
بنى اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى ان يفرق
بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون
قبلتنا وقيل ان جبرئيل انطلق بالنبى صلى الله عليه واله ليلة المعراج اليهم فقرأ عليهم من القران عشر سور نزلت بمكة فامنوا به
وصدقوه وامرهم ان يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وامرهم بالصلوة والزكوة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن عباس
وذلك قوله وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنا بكم لفيفا يعنى عيسى بن مريم يخرجون معه
وروى اصحابنا انهم يخرجون مع قائم ال محمد عليهم السلم وروى ان ذا القرنين راهم وقال لو امرت بالمقام لسرنى ان
اقيم بين اظهركم وثانيها انهم قوم من بنى اسرائيل تمسكوا بالحق وبشريعة موسى عليه السلم فى وقت ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم
وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى عليه السلم فيكون تقدير الاية ومن قوم موسى امة كانوا يهدون بالحق عن ابى
على الجبائى وانكر القول الاول وقال لو كانوا باقين لكانوا كافرين بجحد نبوة محمد صلى الله عليه واله وليس هذا بشىء لانه لا يمتنع
ان يكون قوم لم يبلغهم دعوة النبى فلا يحكم بكفرهم ويمكن ان يكون بلغهم خبر النبوة وامنوا وثالثها انهم الذين امنوا بالنبى صلى الله عليه
واله مثل عبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما وفى حديث ابى حمزة الثمالى والحكم ابن ظهير ان موسى عليه السلم لما اخذ الالواح
قال رب انى اجد فى الالواح امة هى خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتى قال تلك امة
احمد قال رب انى اجد فى الالواح امة هم الاخرون فى الخلق السابقون فى دخول الجنة فاجعلهم امتى قال تلك امة احمد كتبتهم

قال رب انى اجد فى الالواح امة

ثم وصف بالكتاب الاول والكتاب الآخر فاجعلهم ... ويقاتلون الاعور الكذاب فاجعلهم امتى قال تلك امة احمد قال رب انى اجد فى الالواح امة م

فى صدورهم يقراونها فاجعلهم امتى قال تلك امة احمد قال رب انى اجد فى الالواح امة اذا همّ احدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشر امثالها وان همّ بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم امتى قال تلك امة احمد قال رب انى اجد فى الالواح ~~امة يومنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاتلون الاعور الكذاب فاجعلهم امتى قال تلك امة احمد~~ قال رب انى اجد فى الالواح امة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم امتى قال تلك امة احمد قال موسى عليه السلام رب اجعلنى من امة احمد قال ابو حمزة فاعطى موسى آيتين لم يعطوها يعنى امة احمد قال الله يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى وقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد اعطى الله قوم موسى مثلها وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا امما اى وفرقنا بنى اسرائيل اثنتى عشرة فرقة اسباطا يعنى اولاد يعقوب عليه السلام فانهم كانوا اثنى عشر وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبط وامة وانما جعلهم سبحانه امما ليتميزوا فى مشربهم ومطعمهم ويرجع كل امة منهم الى رئيسهم فيخف الامر على موسى عليه السلام ولا يقع بينهم اختلاف وتباغض واوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه اى طلبوا منه السقيا ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست الانبجاس خروج الماء الجارى بقلة والانفجار خروجه بكثرة وكان يبتدى الماء من الحجر بقلة ثم يتسع حتى يصير الى الكثرة فلذلك ذكره هنا الانبجاس وفى سورة البقرة الانفجار والاية الى آخرها مفسرة هناك فلا معنى للاعادة قوله عز وجل وَاِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ايتان القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء والباقون نغفر بالنون وكسر الفاء وقرا اهل المدينة ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرا ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد ورفع التاء وقرا ابو عمرو خطاياكم بغير همز على جمع التكسير والباقون خطيئاتكم وعلى جمع السلامة وكسر التاء الحجة من قرا نغفر بالنون فهو على واذ قيل لهم ادخلوا نغفر لكم اى ان دخلتم غفرنا والتى فى البقرة نغفر والنون هناك احسن لقوله واذ قلنا واما قراءة من قرا تغفر بالتاء مضمومة فلانه قد اسند اليها خطيئاتكم وهو مؤنث فانث وبنى الفعل للمفعول وهو اشبه بقوله واذ قيل لهم وقد مضى تفسير هاتين الايتين فى سورة البقرة فلا وجه لاعادته قوله عز وجل وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ اِذْ يَعْدُونَ فِى السَّبْتِ اِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَاِذْ قَالَتْ اُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّٰهُ مُهْلِكُهُمْ اَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً اِلٰى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ايتان القراءة قرا حفص معذرةً بالنصب والباقون بالرفع وروى فى الشواذ عن شهر بن حوشب والجحدرى يعدون وعن الحسن يسبتون بضم الياء الحجة من قرا معذرة بالرفع فتقديره موعظتنا معذرة فيكون خبر مبتداء محذوف ومن قرا بالنصب فعلى معنى نعتذر معذرة وقال سيبويه لو قال رجل لرجل معذرة الى الله واليك من كذا وكذا لنصب فعلى معنى نعتذر ومن قرا يعدّون اراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها فى الدال ونقل فتحتها الى العين فصار يعدون ومن قرا يسبتون فمعناه يدخلون فى السبت كما يقال اشهرنا دخلنا فى الشهر واجمعنا دخلنا فى الجمعة ومن فتح الياء اراد يفعلون السبت ويقيمون عمل يوم السبت فالسبت على هذا فعلهم يقول سبت يسبت سبتا اذا عظم يوم السبت اللغة حيتان جمع حوت واكثر ما تسمى العرب السمك الحيتان والنينان وعدا فلان يعدو عدوا وعدوانا وعداء وعدوا وعدوا اذا ظلم واصله مجاوزة الحد والشرع اصله الظهور ومنه الشرعة والشريعة وهو الظاهر المستقيم من المذاهب ومنه المشرعة والشريعة لكونهما فى مكان ظاهر من النهر ومنه شراع السفينة لظهورها والمعذرة والعذر والعذرى والعذرة واحد مصدر عذرته اعذره والمعذّر الذى له عذر صحيح والمعذِّر بالتشديد الذى لا عذر له وهو يريك انه معذور وهو المقصر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له وقولهم من يعذرنى معناه من يقوم بعذرى الاعراب اذ يعدون موضع اذ نصب على معنى سلهم عن عدوهم اى عن وقت ذلك اذ تاتيهم فى موضع نصب ايضا بيعدون المعنى سلهم اذ عدوا فى وقت الاتيان شرعا نصب على الحال من الحيتان

قال فرضى موسى كل الرضا ففى حديث غير ابى حمزة قال النبى صلى الله عليه واله ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون م

وموضع

وموضع الكاف من كذلك نبلوهم نصب بنبلوهم ويحتمل ان يكون على ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم اى لا تاتيهم شرعا فيكون الكاف فى موضع نصب على الحال من تاتيهم ويكون نبلوهم مستانفا والاول الاجود ولم تعظون اصله لما ولكن هذه الالف تحذف مع حروف الجر نحو قولهم لم وفيم وعلام وعمّ المعنى ثم ابتداء سبحانه بخبر آخر من اخبار بنى اسرائيل فقال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه واله وسئلهم اى استخبرهم يا محمد وهو سؤال توبيخ وتقرير لا سؤال استفهام عن القرية التى كانت حاضرة البحر اى مجاورة وقريبة من البحر على شاطى البحر وهى ايلة عن ابن عباس وقيل هى مدين عنه ايضا وقيل هى طبرية عن الزهرى اذ يعدون فى السبت اى يظلمون فيه بصيد السمك ويتجاوزون الحد فى امر السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا اى ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك وقيل رافعة رؤسها قال الحسن كانت تشرع الى ابوابهم مثل الكباش البيض لانها كانت آمنة يومئذ ويوم لا يسبتون لا تاتيهم اى ويوم لا يكون السبت كانت تغوص فى الماء واختلف فى انهم كيف اصطادوا فقيل انهم القوا الشبكة فى الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء الى يوم الاحد وهذا تسبب محظور وفى رواية عكرمة عن ابن عباس اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج منها فياخذونها يوم الاحد وقيل انهم اصطادوها وتناولوها باليد فى يوم السبت عن الحسن كذلك نبلوهم اى مثل ذلك الاختبار الشديد نختبرهم بما كانوا يفسقون اى بفسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الآخر لا تاتيهم الحيتان مثل ذلك الاتيان الذى كان منها يوم السبت ثم استانف فقال نبلوهم واذ قالت امة اى جماعة منهم من بنى اسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلث فرق فرقة قانصة وفرقة ساكتة وفرقة واعظة فقال الساكتون للواعظين والناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم اى يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لا يأسهم عن ان يقبل اولئك القوم الوعظ فان الامر بالمعروف انما يجب عند عدم الاياس من القبول عن الجبائى ومعناه ما ينفع الوعظ ممن لا يقبل والله مهلكهم فى الدنيا بمعصيتهم او معذبهم عذابا شديدا فى الآخرة قالوا اى قال الواعظون فى جوابهم معذرة الى ربكم معناه موعظتنا اياهم معذرة الى الله وتادية لفرضه فى النهى عن المنكر لئلا يقول لنا لم لم تعظوهم ولعلهم بالوعظ يتقون ويرجعون قوله عز وجل فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ اَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَاَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ايتان القراءة قرا اهل المدينة بعذاب بِيسٍ بكسر الباء غير مهموز على وزن فعل وقرا ابن عامر بِئْسٍ مهموز على وزن فِعْل ايضا وقرا ابو بكر عن حماد بَيْئَسٍ على وزن فيعل وروى فى الشواذ عن ابن عباس بَيِّسٍ على وزن فيعل وعن زيد بن ثابت بَيْسٍ على وزن فعل وعن يحيى والسلمى بخلاف بَيْئِسٍ وعن طلحة بن مصرف بَئِّسٍ وروى ايضا عن نافع وروى عن مجاهد بائس على وزن فاعل وعن الحسن بِئْسٍ بكسر الباء وفتح السين الحجة قال ابو على من قرا بَئِيسٍ فانه يحتمل امرين احدهما ان يكون فعيلا من بؤس يبؤس بؤسا اذا كان شديد البأس فيكون مثل بعذاب شديد وان يكون مصدرا على فعيل نحو النذير والنكير وقولهم عذير الحى من عدوان كانوا حية الارض فوصف بالمصدر والتقدير بعذاب ذى بئيس اى ذى بؤس ومن قرا بعذاب بِئْسٍ فانه جعل بئس الذى هو فعل اسما فوصف به ومثل ذلك قوله ان الله نهى عن قيل وقال وعن قيل وقال ومثله مذ شبّ الى دبّ ومذ شبّ الى دبّ فلما استعملت هذه الالفاظ اسماء وافعالا فكذلك بئس جعله اسما بعد ان كان فعلا وصار وصفا ومن قرا بَيْئَسٍ فانه يكون وصفا مثل ضيغم وحيدر قال ولا يجوز كسر العين منه لان فيعل بناء اختص به ما كان عينه ياء او واوا مثل سيّد وطيّب ولم يجئ مثل ضيغم وقد جاء فى المعتل فيعل انشد سيبويه ما بال عينك كالشعيب العيّن فينبغى ان يحمل بيئس ممن رواه على الوهم قال ابن جنى وكانها انما جاء فى الهمزة لمشابهتها حروف العلة واما بَئِسٍ على فعل فانه جاء على بئس الرجل بأسا اذا شجع فكانه عذاب مقدم عليهم غير متاخر عنهم ويجوز ان يكون مقصورا من بئيس فيكون مثل انق من انيق واما بَيْئِسٍ فى وزن حبس فكانه اراد بئيس فخفف الهمزة فصارت بين بين فلما قاربت الياء اسكنها طلبا للخفة فصارت فى اللفظ ياء ونحو من ذلك قول ابن ميادة وكان يومئذ لها حكمها اراد يومئذ فخفف واما بائس فاسم الفاعل من بئس وانكر ابو حاتم قراءة الحسن بئس وقال لو كان كذا لما كان بد معها

والباقون بَئِيسٍ على وزن فعيل م

من فى الموضعين

من مابئس ما كنتم ما اللغة قال ابو زيد يقال بؤس الرجل يبؤس بأسا اذا كان شديد الباس و في البؤس وهو الفقر باس الرجل
يبائس بؤسا وبيئسا و بأسا و البأساء الاسم والعتو الخروج الى الفحش الذنوب والعاتى المبالغ فى المعاصى والليل العاتى الشديد الظلم
والخاسئ المطرود والمبعد عن الخير من خسئات الكلب اذا اقصيته فخساء اى بعد المعنى فلما نسوا ما ذكروا به اى فلما ترك
اهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به و لم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك انجينا الذين ينهون عن السوء اى خلصنا
الذين ينهون عن المعصية واخذنا الذين ظلموا انفسهم بعذاب بئيس اى شديد بما كانوا يفسقون اى بفسقهم و ذلك العذاب
لحقهم قبل ان مسخوا قردة عن الجبائي و لم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية ام من الهالكة و روى عن ابن عباس
فيهم ثلاثة اقوال احدها انه نجت الفرقتان و هلكت الثالثه وبه قال السدى والثانى انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية
وبه قال ابن زيد وروى ذلك عن ابى عبدالله عليه السلم والثالث التوقف فيه روى عن عكرمه قال دخلت على ابن عباس
وبين يديه المصحف وهو يبكى ويقراء هذه الاية ثم قال قد علمت ان الله تعالى اهلك الذين اخذوا الحيتان وانجى الذين نهوهم
ولا ادرى ما صنع بالذين لم ينهوهم و لم يواقعوا المعصية و هذه حالنا واختار الجبائى وقال الحسن انه نجا الفرقة الثالثة لانه
ليس شئ ابلغ من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا و قال قتل المومن اعظم والله من اكل الحيتان فلما عتوا عما نهوا عنه اى عن ترك ما نهوا عنه يعنى لم يتركوا ما نهوا عنه و
تمردوا فى الفساد و الجراءة على المعصية وابوا ان يرجعوا عنها قلنا لهم كونوا قردة خاسئين اى جعلناهم قردة خاسئين مبعدين
مطرودين وانما ذكر كن ليدل على انه سبحانه لا يمتنع عليه شئ واجاز الزجاج ان يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك
ابلغ فى الاية النازلة بهم وحكى ذلك عن ابى الهذيل قال قتادة صاروا قردة لها اذناب تعاوى بعد ان كانوا رجالا ونساء
وقيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر اليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة ايام وقيل عاشوا سبعة
ايام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل انهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لان من المعلوم ان القردة ليست من اولاد ادم كما ان الكلاب
ليست منهم وورد الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ان الله تعالى لم يمسخ شيئا فجعل له نسلا
وعقبا القصة قيل هذه القصة كانت فى زمن داود عليه السلم وعن ابن عباس قال امروا باليوم الذى امرتم يوم الجمعة فتركوه واختاروا
يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد
~~وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت~~ شرعا بيضا سمانا حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون
ثم اتاهم الشيطان و قال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم
ياخذونها يوم الاحد وعن ابن زيد قال اخذ رجل منهم حوتا وربط فى ذنبه خيطا وشده الى الساحل ثم اخذه يوم الاحد وشواه فلام
على ذلك فلما لم يأته العذاب اخذوا ذلك واكلوه وباعوه وكانوا نحوا من اثنى عشر الفا فصار الناس ثلاث فرق على ما تقدم
ذكره فاعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تساكنهم فاصبحوا يوما ولم يخرج من العاصية احد فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا
فكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكى فاذا قالوا لهم الم ننهكم قالت برؤسها ان نعم قال قتادة صارت الشبان قردة
والشيوخ خنازير قوله عز وجل وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ
لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ
وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ايتان الاعراب ومنهم دون ذلك دون فى موضع الرفع بالابتداء ولكنه جاء منصوبا بالتمكن
فى الظرفية ومثله على قول ابى الحسن لقد تقطع بينكم هو فى موضع الرفع وجاء منصوبا لهذا المعنى وكذلك فى قوله يوم القيمة
يفصل بينكم بين فى موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وان شئت كان التقدير ومنهم جماعة دون ذلك فحذف الموصوف واقام
صفته مقامه المعنى ثم خاطب سبحانه النبى صلى الله عليه واله فقال واذ تاذن ربك معناه واذكر يا محمد اذ اذن واعلم ربك
فان تاذن واذن بمعنى وقيل معناه تالى ربك اى اقسم القسم الذى يسمع بالاذن وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس ليبعثن عليهم

اى على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب اى يذيقهم و يوليهم شدة العذاب بالقتل واخذ الجزية منهم والمعنى به امة
محمد صلى الله عليه واله عند جميع المفسرين وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم و هذا يدل على ان اليهود لا يكون لهم دولة
الى يوم القيمة ولا عز واما معنى البعث ههنا فهو الامر لا الاطلاق والمعونة وقيل معناه التخلية وان وقع على وجه المعصية
كقوله سبحانه انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا ان ربك لسريع العقاب لمن يستوجبه على الكفر والمعصية
وانه لغفور رحيم ظاهر المعنى وانما قال سريع العقاب وان كان العقاب مؤخرا الى يوم القيمة لان كل ات قريب وقيل سريع
العقاب لمن شاء ان يعاقبه فى الدنيا وقطعناهم فى الارض امما معناه وفرقناهم فى البلاد فرقا مختلفة وجماعات شتى يعنى
اليهود عن ابن عباس ومجاهد وانما فرقهم بان فرق دواعيهم حتى افترقوا فى البلاد وتفرقهم ذلهم بمنزلة اخذ الجزية لانهم
لا يتعاونون ولا يتناصرون وقيل انه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم فى دينهم فصلح فريق وعصى فريق ثم اخبر عنهم فقال
منهم الصالحون اى من هؤلاء الصالحون يعنى من بنى اسرائيل وهم الذين يؤمنون بالله و رسوله ويطيعونه ومنهم دون ذلك اى
دون الصالح فى الدرجة والمنزلة وهم الذين امتثلوا بعض الاوامر دون بعض وعملوا بعض المعاصى وانما وصفهم بما كانوا عليه
قبل ارتدادهم وكفرهم وذلك قبل ان يبعث فيهم عيسى عليه السلم وقيل معناه منهم المؤمنون بمحمد وعيسى عليهما السلم ومنهم الكافرون
عن عطا ومجاهد وبلوناهم بالحسنات والسيئات معناه اختبرناهم بالرخاء فى العيش والخفض فى الدنيا والدعة والسعة
فى الرزق وبالشدايد فى العيش والمصايب فى الانفس والاموال فكانه قال بلوناهم بالنعم والنقم والرخاء والشدة فان فعل
النعم يقتضى الرغبة الى الله تعالى فى ارتباطها وفعل النقم يقتضى الرغبة الى الله تعالى فى كشفها لعلهم يرجعون اى لكى يرجعوا
الى الله تعالى وينيبوا الى طاعته وامتثال امره ومتى قيل كيف يصح الرجوع الى امر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه ان الذاهب
عن الشئ قد يقال له ارجع اليه اى صر اليه كما ان من راى غيره سالكا فى المهالك قد يقول له ارجع الى الطريق المستقيم يريد
اخراجه عن المهالك وقيل ان معناه لعلهم يرجعون الى ما عليه اصل الفطرة قوله عز وجل فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ
مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ايتان القراءة قرا ابو بكر يمسكون بتسكين الميم والباقون
بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد و فى الشواذ قراءة السلمى وادارسوا ما فيه اراد تدارسوا فادغم الحجة قال الزجاج
يقال للقرن الذى يجئ فى اثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلا مما ذهب منك قال الفرا يقال هو خلف صدق
وخلف سوء قال لبيد ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب قال على بن عيسى وقد يوضع احدهما
مكان الاخر قال حسان لنا القدم الاولى اليك وخلفنا لاولنا فى طاعة الله تابع والاغلب فى الفتح ان يستعمل فى المدح
والعرض ما يعرض ويقل لبثه ومنه سمى العرض القايم بالجسم عرضا لانه يعرض فى الوجود ولا يجب له من اللبث ما للاجسام
والدرس تكرير الشئ ويقال درس الكتاب اذا كرر قراءته ودرس المنزل اذا انكر مرور الامطار والرياح حتى انمحى اثره
وامسك ومسك وتمسك واستمسك بالشئ بمعنى واحد اى اعتصم به الاعراب ياخذون عرض هذا الادنى فى موضع
النصب على الحال من الضمير فى ورثوا وقوله ورثوا الكتاب صفة لخلف ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله الم يوخذ
عليهم الى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا يجوز الوقف من اول الاية الا على قوله ما فيه وخبر الذين
يمسكون قوله انا لا نضيع اجر المصلحين منهم فحذف منهم لدلالة الكلام عليه كما فى قوله السمن منوان بدرهم ويحتمل ان يكون
التقدير لا نضيع اجرهم لان المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب فى المعنى ويجوز ان يكون الخبر محذوفا وتقديره نعطيهم
اجرهم لانا لا نضيع اجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول المعنى ثم ذكر سبحانه الاخلاف بعد ذكر الاسلاف
فقال فخلف من بعدهم خلف معناه فذهب اولئك وقام مقامهم قوم اخرون ورثوا الكتاب يعنى التورية فان الميراث

ماصار للباقى من جهة البادى ياخذون عرض هذا الادنى معناه مااشرف لهم من الدنيا اخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض
حاضر ياكل منه البر والفاجر وجميع متاع الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل
ذلك عرض خسيس واراد بقوله هذا الادنى هذا العاجل وقيل اراد عرض هذا العالم الادنى وهو الدار الفانيه ويقولون سيغفر لنا
وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب اذا اشرف لهم شىء من الدنيا اخذوه حلالا كان او حراما ويتمنون على الله
المغفرة وان ياتيهم عرض مثله ياخذوه اى وان وجدوا من الغد مثله اخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الاصرار
وقيل معناه وان جاءهم حرام من الرشوة وغيرها بعد ذلك اخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير و
مجاهد وقيل معناه لايشبعهم شى عن الحسن الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا على الله الا الحق معناه الم يوخذ على هؤلاء المرتشين
فى الاحكام القائلين سيغفر لنا اذا عوتبوا على ذلك الميثاق فى التورية ان لايكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا اليه الا ما انزله على رسوله
موسى عليه السّلم فى التورية من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد المغفرة مع الاصرار ودرسوا ما فيه اى وقرءوا ما فيه
فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه
وتركوا العمل به والدار الاخرة خير للذين يتقون معناه ما اعد الله لاوليائه فى الدار الاخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته
خير للذين يجتنبون معاصى الله افلا تعقلون ان الامر على ما اخبر الله به والذين يمسكون بالكتاب اى يتمسكون به والكتاب التورية
اى لايحرفونه ولايكتمونه عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القران والمتمسك به امة محمد صلى الله عليه واله عن عطا واقاموا الصلوة
انما خص الصلوة بالذكر لجلالة موقعها وشدة تاكدها انا لانضيع اجر المصلحين اى اجر اعمالهم ونثيبهم على ما يستحقونه قوله عزوجل واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون اية اللغة النتق
قلع الشىء عن الاصل وكل شىء قلعته ثم رميت به فقد نتقته ومنه قيل للمراة الكثيرة الاولاد ناتق لانها ترمى بالاولاد رميا هذا
قول ابى عبيدة وقيل اصل النتق الدفع ومنه امراة ناتق لدفعها الاولاد ونتقت المراة فهى ناتق ومنتاق اذا كثر ولدها وهو
قول ابن الاعرابى وقيل اصله الجذب يقال نتقت الغرب من البير جذبته عن ابى مسلم الظله كل ما اظلك اى يسترك من سقف
او سحابة او جناح حايط المعنى ثم عاد الكلام الى قوم موسى عليه السّلم فقال سبحانه واذ نتقنا الجبل فوقهم معناه واذكر يا محمد
اذ قلعنا الجبل من اصله فرفعناه فوق بنى اسرائيل وكان عسكر موسى فرسخا فى فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم كانه ظلة اى
غمامة وقيل سقيفة عن عطا وظنوا انه واقع بهم اى علموا وايقنوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن اى قوى فى نفوسهم ذلك
عن الرمانى والجبائى خذوا اى وقلنا لهم خذوا ما اتيناكم بقوة اى خذوا ما الزمناكم من احكام كتابنا وفرايضه فاقبلوه بجد
واجتهاد منكم فى كل اوان من غير تقصير ولا توان واذكروا ما فيه من العهود والمواثيق التى اخذناها عليكم بالعمل بما فيه لعلكم تتقون
اى لكى تتقوا ربكم وتخافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الاية فى سورة البقرة مشروحا قوله عزوجل واذ اخذ ربك من بنى ادم
من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين
او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل
الايات ولعلهم يرجعون ثلث ايات القراءة قرا ابن كثير واهل الكوفة ذريتهم على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع
وقرا ابو عمرو ان يقولوا او يقولوا بالياء والباقون بالتاء الحجة قال ابو على الذرية قد يكون جمعا وقد يكون واحدا فمما فيه جمعا قوله
وكنا ذرية من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح فمن افرد جعله جمعا فاستغنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحدا قوله
رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ثم قال ان الله يبشرك بيحيى فهذا مثل قوله هب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال
يعقوب واما قراءة ابى عمرو ان يقولوا بالياء فلان الذى تقدم من الكلام على الغيبة ومن قراءها بالتاء فلانه قد جرى فى الكلام
خطاب ايضا فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغيب هم المخاطبون فى المعنى الاعراب من ظهورهم بدل من قوله من بنى
ادم والمعنى اخذ ربك من ظهور بنى ادم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل فى تقديرها وزنها واشتقاقها فيما تقدم وقوله ان يقولوا

من قراها بالياء معناه افلا يعقل هذه الطايفه ومن قرا بالتاء فمعناه قل لهم افلا تعقلون م

تقديره كراهة ان يقولوا او لئلا تقولوا وقد مضى الكلام فى امثاله المعنى ثم ذكر سبحانه ما اخذ على الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب
ما ذكره من المواثيق التى فى الكتب جمعا بين دلايل السمع والعقل وابلاغا فى اقامة الحجة فقال واذ اخذ ربك اى واذكر لهم يا محمد اذ
اخرج ربك من بنى ادم من ظهورهم اى من ظهور بنى ادم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى اختلف العلماء من العام
والخاص فى معنى هذه الاية وفى هذا الاخراج والاشهاد على وجوه احدها ان الله تعالى اخرج ذرية ادم من صلبه كهيئة الذر
فعرضهم على ادم وقال انى اخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدونى ولا يشركوا بى شيئا وعلى ارزاقهم ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا
انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردهم الى صلب ادم
والناس محبوسون باجمعهم حتى يخرج كل من اخرجه فى ذلك الوقت وكل من ثبت على الاسلام فهو على الفطرة الاولى ومن كفر وجحد
فقد تغير عن الفطرة الاولى عن جماعة من المفسرين ورووا فى ذلك اثارا بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة وجعلوها تاويلا للاية ورد
المحققون هذا التاويل وقالوا انه مما يشهد ظاهر القران بخلافه لانه تعالى قال واذ اخذ ربك من بنى ادم ولم يقل من ادم
وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذريتهم ولم يقل ذريته ثم اخبر تعالى بانه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك
غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم وانهم نشاوا على دينهم وهذا يقتضى ان يكون لهم اباء مشركون فلا يتناول الظاهر ولد ادم
لصلبه وايضا فان هذه الذرية المستخرجة من صلب ادم لا يخلوا اما ان جعلهم الله عقلاء واخذ عليهم الميثاق فيجب ان يتذكروا
ذلك ولا ينسوه لان اخذ الميثاق لا يكون حجة على الماخوذ عليه الا ان يكون ذاكرا له فيجب ان نذكر نحن الميثاق ولا نتر
لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير والجم الغفير من العقلاء شيئا كانوا عرفوه وميزوه حتى لايذكره واحد منهم وان طال العهد الا ترى
ان اهل الاخرة يعرفون كثيرا من احوال الدنيا حتى يقول اهل الجنة لاهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ولو جاز
ان ينسوا ذلك مع هذه الكثرة لجاز ان يكون الله تعالى قد كلف الخلق فيما مضى ثم اعادهم اما ليثيبهم واما ليعاقبهم ونسوا
ذلك وذلك يؤدى الى اهل التجاهل والى صحة مذهب التناسخية وحكى عن على بن عيسى عن ابى بكر الاخشيد انه جوز
ان يكون خبر الذر صحيحا غير انه قال ليس تاويل الاية على ذلك ويكون فايدته انه انما فعل ليجروا على الاعراق الكريمة فى شكر
النعمة والاقرار لله سبحانه بالربوبية كما روى انهم ولدوا على الفطرة وحكى ابو الهذيل فى كتاب الحجة ان الحسن البصرى واصحابه
كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال فى الجنة ثواب عن ايمان فى الذر وثانيها ان المراد بالاية ان الله سبحانه اخرج بنى ادم من
اصلاب ابائهم الى ارحام امهاتهم ثم رقاهم درجة درجة علقة ثم مضغة ثم انشاهم كلا منهم بشرا سويا ثم حيا مكلفا واراهم اثار صنعته
ومكنهم من معرفة دلايله كانهم اشهدهم وقال لهم الست بربكم فقالوا بلى فعلى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلهم بخلقه
على توحيده وانما اشهدهم على انفسهم بذلك لما جعل فى عقولهم من الادلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم من عجايب خلقته و
غرايب صنعته وفى غيرهم فكان سبحانه بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا فى مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذى اراده
الله وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقر وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله تعالى فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين
على انفسهم بالكفر ومعلوم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه فكانهم اعترفوا
به ومثله فى الشعر وقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب وكما يقول القايل جوارحى تشهد بنعمك وكما
روى عن بعض الخطباء من قوله سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك واينع ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك
اعتبارا ومثله كثير فى كلام العرب واشعارهم ونظمهم ونثرهم وهو قول الرمانى وابى مسلم وابن الاخشيد وثالثها انه تعالى انما
عنى بذلك جماعة من ذرية ادم خلقهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السّلم بمعرفته وبما يجب من طاعته فاقروا
بذلك واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل فقلدناهم
فى ذلك فنبه سبحانه على انه لا يعاقب من له عذر رحمة منه لخلقه وكرما وهذا يكون فى قوم خاص من بنى ادم ولا يدخل

الحق

او لم يجعلهم كذلك وان لم يجعلهم عقلاء فلا يصح ان يعرف التوحيد ويفهموا خطاب الله وان جعلهم عقلاء م

قولهم ما الكرز عرفا ... اى ... جا ... ح

جميعهم فيه لان المومن لا يدخل فيه لانه بين ان هؤلاء الماخوذ ميثاقهم كان لهم سلف فى الشرك ولان ولد ادم لصلبه لم يؤخذ من ظهور بنى ادم فقد خرجوا من ذلك وهذا اختيار الجبائى والقاضى وقوله شهدنا حكاية عن قول الملايكة انهم يقولون ذلك اى شهدنا لئلا يقولوا ذكره الازهرى عن بعضهم وقال ان قوله بلى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وما عليه المفسرون لان الكل قالوا اشهدنا من قول من قال بلى وان اختلفوا فى كيفية الشهادة على ان الملايكة لم يجر لها ذكر فى الاية فيبعد ان يكون اخبارا عنهم ان يقولوا يوم القيمة معناه لئلا يقولوا اذا صاروا الى العذاب يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم يكمل عقولنا فنتفكر فيه او يقولوا اى او يقول قوم منهم انما اشرك اباؤنا من قبل حين بلغوا وعقلوا وكنا ذرية من بعدهم اى اطفالا لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبر وعلى التاويل الاخير فمعناه انى انما قررتكم بهذا لتواظبوا على طاعتى وتشكروا نعمتى ولا تقولوا يوم القيمة انا كنا غافلين عما اخذ الله من الميثاق على لسان الانبياء او يقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل فنشانا على شركهم احتجاجا بالتقليد وتعويلا عليه اى فقد وجهة قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتى واشهدتكم على انفسكم باقراركم بمعرفتكم اياى افتهلكنا بما فعل المبطلون ومعناه ولان لا تقولوا افتهلكنا بما فعل اباؤنا من الشرك وتقديره انا لا نهلككم بما فعلوه وانما نهلككم بفعلكم انتم وكذلك نفصل الايات معناه انا كما بينا لكم هذه الايات كذلك نفصلها للعباد ونبينها لهم وتفصيل الايات تمييزها ليتمكن من الاستدلال بكل واحدة منها ولعلهم يرجعون اى ليرجعوا الى الحق من الباطل قوله عز وجل

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

اربع ايات اللغة النبأ الخبر عن الامر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نبأ جعله نبيا واخلد الى كذا وخلد اليه سكن اليه واخلد اكثر واصله اللزوم على الدوام ورجل مخلد اذا ابطأ عنه الشيب وخلد الى الارض لصق بها قال مالك بن نويرة بابناء حى من قبايل مالك ° وعمرو بن يربوع اقاموا فاخلدوا ° اللهث ان يدلع الكلب لسانه من العطش واللهاث حر العطش وفى حديث سعيد بن جبير فى المرأة اللهثى انها تفطر فى رمضان وقيل هو النفس الشديد من شدة الاعياء الاعراب نصب مثلا لانه تفسير للمضمر فى ساء التى هى بمعنى بئس فيكون فعلا ماضيا غير متصرف وتقديره ساء المثل مثلا وفى الكلام حذف اخر تقديره ساء المثل مثلا مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب عليه وحذف الثانى لقيام المضاف اليه مقامه ولان المعنى مفهوم المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه واله ان يقرأ عليهم قصة اخرى من اخبار بنى اسرائيل فقال واتل عليهم اى واقرأ عليهم يا محمد نبأ الذى اتيناه اى خبر الذى اعطيناه اياتنا اى حججنا وبيناتنا فانسلخ منها اى خرج من العلم بها بالجهل كالشئ الذى ينسلخ من جلده فاتبعه الشيطان اى تبعه وتبع واتبع واتّبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وادركه حتى اضله وكان من الغاوين اى من الهالكين وقيل من الخائبين عن الجبائى واختلف فى المعنى به فقيل هو بلعام بن باعورا عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلا على دين موسى وكان من المدينة التى قصدها موسى وكانوا كفارا وكان عنده اسم الله الاعظم وكان اذا دعا الله تعالى به اجابه وقيل هو بلعم بن باعورا من بنى هاب بن لوط عن ابى حمزة الثمالى ومسروق قال ابو حمزة وبلغنا ايضا والله اعلم انه امية بن ابى الصلت الثقفى الشاعر وروى ذلك عن عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابى روق وكانت قصته انه قد قرأ الكتب وعلم ان الله سبحانه يرسل رسولا فى ذلك الوقت ورجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه واله حسده ومر على قتلى بدر فسئل عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل اقرباءه واستنشد رسول الله اخته شعره بعد موته فانشدته لك الحمد والنعماء والفضل ربنا ° ولا شئ اعلى منك جدا وامجد ° مليك على عرش السماء مهيمن ° لعزته تعنو الوجوه وتسجد ° وهى قصيدة طويلة حتى اتت على اخرها ثم انشدته قصيدته التى فيها وقف الناس للحساب جميعا ° فشقى معذب وسعيد ° والتى فيها عند ذى العرش يعرضون عليه °

يعلم الجهر والسر الخفيا ° يوم ياتى الرحمن وهو رحيم ° انه كان وعده ماتيا ° رب ان تعف فالمعافاة ظنى ° او تعاقب فلم تعاقب بريا ° فقال رسول الله صلى الله عليه واله امن شعره وكفر قلبه وانزل الله فيه قوله واتل عليهم نبأ الذى اتيناه الاية وقيل انه ابو عامر بن النعمن بن صيفى الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه واله الفاسق وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبى صلى الله عليه واله ما هذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابرهيم قال فانا عليها فقال عليه السلم لست عليها لكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا فخرج الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا السلاح ثم اتى قيصر واتى بجند ليخرج النبى صلى الله عليه واله من المدينة فمات بالشام طريدا وحيدا عن سعيد بن المسيب وقيل المعنى به منافقوا اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه واله كما يعرفون ابناءهم ويكون معنى فانسلخ منها اعرض عن ايات الله وتركها فاتبعه الشيطان اى خذله الله وخلى بينه وبين الشيطان عن الحسن وابن كيسان وقيل انه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فابى ان يقبله عن قتادة وقال ابو جعفر عليه السلم الاصل فى المثل بلعم ثم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من اهل القبلة وقيل ايضا فى الايات التى اوتيها اقوال اخر منها ان المراد به المعجزات الدالة على صدق الانبياء فلم يقبلها وعمى عنها يعنى فرعون عن ابى مسلم وكانه قال اتل عليهم نبأ فرعون اذ اتيناه الحجج الدالة على صدق موسى فلم يقبلها ومنها ان الايات الايمان والهدى والدين عن الحسن ومنها انها النبوة عن مجاهد وهذا لا يجوز لان الانبياء منزهون عن ذلك فانهم حجج الله على خلقه ولو شئنا لرفعناه بها اى بتلك الايات والهاء فى رفعناه يعود الى الذى اتاه الله اياته فانسلخ منها معناه ولو شئنا لرفعنا منزلته بايمانه ومعرفته قبل ان يكفر ولكن بقيناه ليزداد الايمان فكفر عن الجبائى وقيل معناه ولو شئنا لحلنا بينه وبين ما اختاره من المعصية وهذا اخبار عن كمال قدرته عن البلخى والزجاج ولكنه اخلد الى الارض اى ركن الى الدنيا ومال اليها عن سعيد بن جبير والسدى ومعناه ولكنه مال الى الدنيا بايثار الراحة والدعة فى لذة واتبع هواه اى وانقاد لهواه فى الركون الى الدنيا واختيارها على الاخرة ثم ضرب له مثلا فقال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث معناه وصفته كصفة الكلب ان طردته وشددت عليه يخرج لسانه من فمه وان تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فمه ايضا وتحمل عليه من الحملة لا من الحمل والمعنى ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال فى كل حال كما ان كل شئ لا يلهث فانما يلهث فى حال الاعياء والكلال الا الكلب فانه يلهث فى كل حال ومثله قوله سبحانه سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وقيل انما شبه بالكلب فى الخسة وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصف الكلب باللهث على عادة العرب فى تشبيههم الشئ بالشئ ثم ياخذون فى وصف المشبه به وان لم يكن ذلك الموصف فى المشبه وذلك كثير فى كلامهم عن ابى مسلم وقيل شبه بالكلب اذا اخرج لسانه لايذائه الناس بلسانه حملت عليه او تركته يقال لمن اذى الناس بلسانه فلان اخرج لسانه من الفم مثل الكلب ولهثه فى هذا الموضع صياحه ونباحه وقيل ان هذا مثل للذى يقرأ القران فلا يعمل به عن مجاهد ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا معناه ذلك صفة الذين يكذبون بايات الله قال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشكون فى صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتاب فاقصص القصص اى فاقصص عليهم اخبار الماضين لعلهم يتفكرون فيعتبرون ولا يفعلون مثل فعلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم ثم وصف الله سبحانه هذا المثل الذى ضربه وذكر بانه ساء مثلا اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا باياتنا ومعناه بئست الصفة المضروب فيها المثل او قبح حال المضروب فيه المثل لان المثل حسن وحكمة وصواب وانما القبيح صفتهم وانفسهم كانوا يظلمون اى وانما نقصوا بذلك انفسهم ولم ينقصونا شيئا لان عقاب ما يفعلونه من المعاصى يحل بهم والله سبحانه لا يضره كفرهم ومعصيتهم كما لا ينفعه ايمانهم وطاعتهم من يهدى الله فهو المهتدى كتبت ههنا بالياء ليس فى القران غيره بالياء واثبت الياء ههنا فى اللفظ جميع القراء ومعناه من يهده الله الى نيل الثواب كما يهدى المؤمن الى ذلك والى دخول الجنة فهو المهتدى للايمان والخير عن

الجبائي ومن يضلله الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه فاولئك هم الخاسرون خسروا الجنة ونعيمها و
خسروا انفسهم والانتفاع بها وقيل المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية واجاب اليها والذي اضله الله هو الذي
اختار الضلالة فخلى الله بينه وبين ما اختاره ولم يمنعه منه بالجبر عن البلخي قوله عز وجل وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ثلث ايات القراءة قرا حمزة يلحدون
بفتح الياء والحاء حيث كان ووافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يلحدون بضم الياء وكسر الحاء الحجة قال ابو الحسن
لحد يلحد لغتان والحد في الكلام اكثر قال الشاعر ليس الامام بالشحيح الملحد وفي القران ومن يرد فيه بالحاد اللغة الذرو
الانشاء والاحداث والخلق نظاير قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى
دلالة الافادة والصفة كل كلمة ماخوذة للمذكور من الاصول لتجري عليه تابعة له والالحاد العدول عن الاستقامة
والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه وروى ابو عبيد عن الاحمر لحدت
جرت وملت والحدت ماريت وجادلت ابو عبيدة لحدت للميت والحدت بمعنى واحد الاعراب اللام في قوله لجهنم لام العاقبة
كما في قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وانما التقطوه ليكون لهم قرة اعين كما قالت امراة فرعون قرة عين
لي ولك ومثله في قول الشاعر وام سماك فلا تجزعي فللموت ما تلد الوالده وقول الاخر وللموت تغذوا الوالدات سخالها كما
لخراب الدهر تبنى المساكن وقول الاخر اموالنا لذوي الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها وقول الاخر يا ام وجرة
بعد الوجد واعتري فكل والده للموت ما تلده قال علي بن عيسى هي لام الاضافة تذكر مرة على معنى العلة ومرة على معنى
شبه العلة المعنى لما بين سبحانه امر الكفار وضرب لهم الامثال عقبه ببيان حالهم في المصير والمال فقال ولقد ذرانا
اي خلقنا لجهنم يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم ويدل على هذا المعنى قوله
سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاخبر انه خلقهم للعبادة فلا يجوز ان يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا في نظاير لذلك لا تحصى والمراد بالاية كل من علم الله تعالى
انه لا يؤمن ويصير الى النار لهم قلوب لا يفقهون بها الحق لانهم لا يتدبرون ادلة الله سبحانه وبيناته ولهم اعين لا يبصرون
بها الرشد ولهم اذان لا يسمعون بها الوعظ لانهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليست له الة الادراك وقد مر تفسيره
في سورة البقرة عند قوله صم بكم عمي الاية اولئك كالانعام اي هؤلاء الذين لا يتدبرون ايات الله سبحانه ولا يستدلون بها
على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم بل هم اضل من البهائم فانها اذا زجرت انزجرت
واذا ارشدت الى طريق اهتدت وهؤلاء لكفرهم وعتوهم لا يهتدون الى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول
الدالة على الرشاد الصادفة عن الفساد ولم يذكر بل ههنا للرجوع عن الاول ولكن للاضراب عنه مع بقائه وقيل انما قال
بل هم اضل من الانعام لان الانعام لم تعط الة المعرفة والتمييز فلا تلحقها المذمة وهؤلاء اعطوا الة المعرفة والتمييز
فضيعوها ولم ينتفعوا بها ولان الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن عاصية وهؤلاء عصاة فهم اسوء حالا منها اولئك هم
الغافلون عن اياتي وحججي وعن الاستدلال والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل
الغافلون عما يحل بهم في الاخرة من العذاب ولله الاسماء الحسنى لحسن معانيها مثل الجواد والرحيم والرزاق والكريم و
يقال ان جميع اسمائه داخلة فيه وانها كلها حسنة فمنها ما يرجع الى صفات ذاته كالعالم والقادر والحي والاله والقديم و
والسميع والبصير ومنها ما هي صفات فعله كالخالق والرازق والمبدع والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص
عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما مالت اليه النفوس من ذكر العفو والرحمة دون

اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى
متضمنة لمعان حسنة م

السخط

السخط والنقمة فادعوه بها اي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤه بها ان يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والارض
وكل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيدة لان اللقب لا يجوز عليه فانه بمنزلة الاشارة الى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله تسعة
وتسعين اسما مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر اورده مسلم في الصحيح وذروا الذين يلحدون
في اسمائه اي دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي عليه فيسمون بها اصنامهم ويغيرونها بالزيادة والنقصان
فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسمائه يصفونه
بما لا يليق به ويسمونه بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم فائدة ويدخل فيه قول الجبائي اراد تسميتهم المسيح بانه ابن الله وفي هذا
دلالة على انه لا يجوز ان يسمي الله سبحانه الا بما سمى به نفسه سيجزون ما كانوا يعملون في الاخرة وقيل في الدنيا والاخرة وممن خلقنا
امة يهدون بالحق اخبر سبحانه ان من جملة من خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس الى توحيد الله تعالى والى دينه وهو
الحق يرشدونهم اليه وبه يعدلون اي وبالحق يحكمون وروى ابن جريج عن النبي صلى الله عليه واله انه قال هي لامتي
بالحق ياخذون وبالحق يعطون وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال
الربيع بن انس قرا النبي صلى الله عليه واله هذه الاية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وروى العياشي
باسناده عن امير المومنين علي عليه السلم انه قال والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الامة على ثلث وسبعين فرقة كلها في النار
الا فرقة ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تنجو وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم انهما قالا
نحن هم النظم قيل في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها وجهان احدهما انه لما بين في الاية المتقدمة حال قوم من الكفار يغفلون
عن الحق بين في هذه الاية ان من جملة ما خلق من يهدي الى دينه بالحق ويحكم بالعدل والاخر انه يتصل بقوله ذرانا فكانه
قال خلقنا قوما صفتهم كذا وقوما صفتهم كذا قوله عز وجل وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ
فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ خمس ايات القراءة قرا اهل العراق ويذرهم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقون
ونذرهم بالنون والرفع الحجة من قرا بالنون فالتقدير وانا نذرهم ومن قرا بالياء رده الى اسم الله تعالى اي وهو يذرهم ويكون
مقطوعا من الاول على الوجهين ولم يكن جوابا ومن جزمه فانه عطفه على موضع الفاء وما بعده من قوله فلا هادي له
ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لانه لو لم يلحق الفاء لقيل لولا اخرتني اصدق لان معنى لولا اخرتني اخرني اصدق
ومثله قول الشاعر اني سلكت فانني لك ناصح وعلى انتقاصك في الحياة وازدد وقول ابي داود فابلوني بليتكم لعلي
اصالحكم واستدرج نويا حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة من قوله فلعلي اصالحكم وموضعه جزم اللغة الاستدراج
اصله من الدرجة وهو ان يوخذ قليلا قليلا ولا يباغت كما يرتقي الراقي في الدرجة فيتدرج شيئا بعد شيء حتى يصل الى العلو
وقيل اصله من الدرج الذي يطوى فكانه يطوى منزلة بعد منزلة كما يطوى الدرج ويقال درج القوم اذا مات بعضهم في اثر
بعض والاملاء التاخير والامهال من الملي يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة بضم الميم وفتحها وكسرها اي قطعة منه واصل
الاملاء الاستمرار على العمل من غير لبث من امليت الكتاب ومنه الملا للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين
القوي والشديد واصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان والكيد والمكر واحد والجنة الجنون
واصله الستر والملكوت هو الملك الاعظم للمالك الذي ليس بمملك المعنى لما ذكر سبحانه المومنين بمحمد صلى الله عليه واله
الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين باياته فقال والذين كذبوا باياتنا التي هي القران والمعجزات الدالة على صدق النبي صلى الله
عليه واله وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون الى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة كما قال سبحانه بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون
ردها وقال فياتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون وقيل يجوز ان يريد عذاب الاخرة اي نقربهم اليه درجة

من الدهر م

درجة الى ان يقعوا فيه وقيل هو من المدرجة وهي الطريق ودرج اذا مشى مرتعا اى سناخذهم من حيث لا يعلمون اى طريق
سلكوا فان الطريق كلها على ومرجع الجميع الى لا يغلبنى غالب ولا يسبقنى سابق ولا يفوتنى هارب وقيل انه من الدرج اى
سنطويهم فى الهلاك ونرفعهم عن وجه الارض يقال طويت فلانا وطويت امر فلان اذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جددوا خطيئة
جددنا لهم نعمة عن الضحاك ولا يصح قول من قال ان معناه نستدرجهم الى الكفر والضلال لان الاية وردت فى الكفار وتضمنت
انه يستدرجهم فى المستقبل فان السين يختص المستقبل ولانه جعل الاستدراج جزاء على كفرهم وعقوبة فلا بد من ان يريد معنى اخر
غير الكفر واملى لهم ودوم معناه وامهلهم ولا اعاجلهم بالعقوبة فانهم لا يفوتوننى ولا يفوتنى عذابهم ان كيدى متين اى عذابى قوى
منيع لا يمنعه مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون وقيل اراد ان جزاء كيدهم متين والقول هو
الاول اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة معناه او لا يتفكر هؤلاء المكذبون بمحمد صلى الله عليه واله وبنبوته فى اقواله وافعاله
فيعلموا انه صلى الله عليه واله ليس بمجنون اذ ليس فى اقواله وافعاله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله اولم يتفكروا ثم ابتدا
فقال ما بصاحبهم من جنة اى ليس به جنون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله صعد الصفا وكان يدعوا قريشا فخذا
فخذا الى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله فقال المشركون ان صاحبكم قد جن بات ليلا يصوت الى الصباح فانزل الله هذه الاية
عن الحسن وقتادة ان هو الا نذير مبين اى ما هو الا معلم موضع المخافة ليتقى وللموضع الامن ليجتبى ومعنى مبين بين امره وقيل مبين
عن الله امره فيهم ثم قال اولم ينظروا معناه اولم يتفكروا فى ملكوت السموات والارض وعجيب صنعهما فينظروا فيهما نظر المستدل
المعتبر فيعتبروا بان لهما خالقا مالكا ويستدلوا بذلك عليه وما خلق الله من شىء اى وينظروا فيما خلق الله من اصناف
خلقه فيعلموا بذلك انه سبحانه خالق جميع الاجسام فان فى كل شىء خلقه الله تعالى دلالة واضحة على اثباته وتوحيده وان
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اى ولم يتفكروا وينظروا فى ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم وهو اجل موتهم فيدعوهم ذلك
الى ان يحتاطوا لدينهم ولانفسهم مما يصيرون اليه بعد الموت من امور الاخرة ويزهدوا فى الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وشرفها
وعزها ومعناه اجلهم قريب وهم لا يعلمون فباى حديث بعده اى بعد القران يؤمنون مع وضوح الدلالة على انه كلام الله المعجز
اذ لم يقدر احد منهم اى ياتى بسورة مثله وسماه حديثا لانه محدث غير قديم من يضلل الله فلا هادى له قد ذكرنا معناه ويذرهم
فى طغيانهم يعمهون معناه ويتركهم فى ضلالتهم يتحيرون والعمه فى القلب كالعمى فى العين قوله عز وجل يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَيٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ
كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ اية اللغة ايان معناه متى وهو سؤال عن الزمان
على وجه الظرف للفعل قال الشاعر ايان يقضى حاجتى ايانا اما ترى لنجحها ابانا والساعة ههنا الساعة التى يموت فيها الخلق والارسا
الاثبات ومرسيها مثبتها ورساء الشىء يرسوا فهو راس اذا ثبت وارساه غيره والحفى المستقصى فى السؤال واحفى فلان بفلان
فى المسئلة اذا اكثر عليه والح قال الاعشى فان تسالى عنى فيارب سائل حفى عن الاعشى به حيث اصعدا ومنه احفى شاربه اذا
استقصى اخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصور اذا اكثر عليها المشى والحفا ممدود المشى بغير نعل الاعراب الكاف فى يسئلونك
للمفعول الاول وعن الساعة فى موضع المفعول الثانى وايان مرسيها يتعلق بمدلول السؤال والتقدير قايلين ايان مرسيها
فى موضع رفع بالابتداء وايان خبره وبغتة مصدر فى موضع الحال من الضمير فى تاتيكم النزول قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد
اخبرنا عن الساعة متى هى ان كنت نبيا فنزلت الاية عن ابن عباس وقيل قالت قريش يا محمد متى الساعة فنزلت الاية عن قتادة
والحسن المعنى لما تقدم الوعيد بالساعة سالوا عن وقتها فقال سبحانه يسئلونك يا محمد عن الساعة وهى الساعة التى يموت فيها
الخلق عن الزجاج وقيل هى القيامة وهو وقت قيام الناس فى الحشر عن اكثر المفسرين وقيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائى
ايان مرسيها اى متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرسيها منتهاها عن ابن عباس وقيل قيامها عن قتادة والسدى قل
يا محمد انما علمها عند ربى اى انما علم وقت قيامها ومجيئها عند الله تعالى لم يطلع عليه احدا من خلقه وانما لم يخبر سبحانه بوقتها

ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة وازجر عن المعصية لا يجليها لوقتها الا هو اى لا يظهرها ولا
يكشف عن علمها ولا يبين وقتها الا هو فلا يعلم احد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا ياتى بها الا هو عن مجاهد ثقلت فى
السموات والارض ذكر فيه وجوه احدها ثقل علمها على اهل السموات والارض لان من خفى عليه علم شىء كان ثقيلا عليه عن
السدى وغيره قال ابو على الفارسى اصل هذا قولهم احطت به علما اى ذل لى وصرت لعلمى به غالبا عليه فخف على ولم يثقل كما يثقل
ما لا تعلمه عليك وثانيها ان معناه عظمت على اهل السموات والارض صفتها لما يكون فيها من انتثار النجوم وتكوير الشمس وتسيير
الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج وثالثها ثقل وقوعها على اهل السموات والارض لعظمها وشدتها ولما فيها من المحاسبة
والمجازاة عن الجبائى وابى مسلم وجماعة ورابعها ان المراد نفس السموات والارض اى لا تطيق السموات والارض حملها لعظمها وشدتها
عن قتادة والمعنى انها لو كانت احياء لثقل عليها تلك الاحوال من انفطار السموات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها لا تاتيكم الا بغتة
اى فجاءة لتكون اعظم واهول يسئلونك كانك حفى عنها معناه يسئلونك عنها كانك حفى بها اى عالم بها قد اكثرت المسئلة عنها
عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت فى السؤال عن الشىء حتى علمته اى استقصيت فيه وروى عن ابن عباس انه قرا كانك
حفى بها فعلى هذا يكون الجار والمجرور الذى هو عنها محذوفا لدلالة الحال عليها كما تكون فى التقدير الاول يكون الجار والمجرور
الذى هو بها محذوفا للدلالة عليها ايضا الا ترى انه اذا كان حفيا بها فلا بد ان يسال عنها كما انه اذا سال عنها فليس ذلك الا
لحفاوته بها وقيل فيه معنى اخر وهو ان يكون تقديره يسئلونك عنها كانك حفى بهم اى بار بهم فرح بسؤالهم والحفاوة فى المسئلة
هى البشاشة بالمسؤل عنه وقيل معناه كانك معنى بالسؤال عنها فسالت عنها حتى علمتها وعلى هذا فان السؤال يوصل بعن فلما وضع
قوله حفى موضع السؤال فصله بعن وتقديره كانك حفى بالمسئلة عنها او تسال عنها فتعلمها قل يا محمد انما علمها عند الله لا يعلمها
الا هو وانما اعاد سبحانه هذا القول لانه وصله بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون وقيل اراد بالاول علم وقت قيامها وبالثانى
علم كيفيتها وهيئتها وتفصيل ما فيها عن الجبائى قال وهذا يدل على بطلان قول الرافضة ان الائمة منصوص عليهم باعيانهم امام بعد
امام الى يوم القيمة لانه لو كان كذلك لوجب ان يعلم اخر الائمة ان القيامة تقوم بعده وذلك بخلاف قوله قل انما علمها عند الله
وهذا ضعيف لانه غير ممتنع ان يعلم اخر الائمة انه لا امام بعده وان لم يعلم وقت قيام الساعة لانه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا
اذا قيل ان الساعة وقت فناء الخلق او موتهم واذا قيل ان الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لانه اذا علم انه
يفنى الخلق بعده لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على انه قد وردت الرواية ان التكليف يزول عند موت اخر الائمة لظهور اشراط
الساعة وامارات قيامها نحو طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع هذا فيجوز ان لا يعلم وقت قيام الساعة قوله
عز وجل قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ
السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اية النزول قيل ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان
يغلو فنشتريه فنربح فيه والارض التى تريد ان تجدب فنرتحل منها الى ارض قد اخصبت فانزل الله هذه الاية المعنى قل يا محمد لا املك
لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ان يملكنى اياه فاملكه بتمليكه اياى ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وههنا محذوف
اخر وهو قوله ولا اعلم الغيب الا ما شاء الله ان يعلمنيه ولو كنت اعلم الغيب لادخرت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ولاشتريت
لوقت الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الاعمال الصالحة قبل اقتراب الاجل ولم اشتغل بغيرها ولاخترت الافضل فالافضل عن
مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت اعلم ما اسال عنه من الغيب لاستكثرت من الخير اى لاجبت فى كل ما اسال عنه من
المغيب فى امر الساعة وغيرها عن الزجاج وما مسنى السوء اى وما اصابنى الضر والفقر وقيل معناه وما بى جنون كما تزعمون فيكون
ابتداء وقيل معناه وما مسنى التكذيب منكم لانى اذا كنت عالما بكل شىء اجبت عن كل ما اسال فتصدقوننى ولا تكذبوننى وقيل
وما مسنى سوء من جهة الاعداء لانى كنت اعلم ذلك فاحترز منه ان انا الا نذير مخوف بالعذاب وبشير مبشر بالثواب لقوم
يؤمنون خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بذلك كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وان كان ينذر غيرهم ايضا وفى قوله الا ما شاء الله دلالة

على فساد مذهب المجبرة لان الافعال كلها لو كانت مخلوقة لله لما صح الاستثناء منها الا ان احدا منهم لا يملك عندهم شيئا وفي قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير دلالة على ان القدرة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لما امكنه الاستكثار من الخير اذا علم الغيب **النظم** وجه اتصال الاية بما قبلها انه لما تقدم اجابة القوم بانه لا يعلم الغيب عقبه بان علم الغيب يختص به المالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن ابي مسلم وقيل الاية في معنى جواب سؤالهم ايضا فكانه قال اذا انا لا املك ان اسوق الى نفسي نفعا ولا ان ادفع عنها ضررا فكيف اعلم الغيب **قوله عز وجل هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ** **القراءة** قرا اهل المدينة وابو بكر شركا بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الاعرج وعكرمة والباقون شركاء بضم الشين والمد على الجمع وروى في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفة وقرا نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد **الحجة** من قرا شركا فانه حذف المضاف وتقديره جعلا له ذا شرك او ذوي شرك فالقراءتان على هذا تؤولان الى معنى واحد فان معنى جعلا له شركا جعلا له ذوي شرك والضمير في قوله يعود الى اسم الله تعالى ومن قرا فمرت به خفيفة فانه ينبغي ان يكون اصله التشديد كقراءة الجماعة الا انه حذفه تخفيفا لثقل التضعيف قالوا واستمر به اي مستها وقال ابو زيد خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس اي احسسن به وقيل انه من المرية اي شكت احملت ام لا وعن الحسن شكت اغلام ام جارية وروى ان عبد الله بن عمر قرا فمارت به وهو من قولهم مار يمور اذا ذهب وجاء وقرا ابن عباس فاستمرت به ومعناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لان استفعل ياتي في اكثر الامر بمعنى الطلب ومن قرا لا يتبعوكم فانه في المعنى مثل القراءة الاخرى قال ابو زيد رايت القوم فاتبعتهم اتباعا اي ذهبت معهم واتبعتهم اتباعا اذا اسبقوك فاسرعت نحوهم وتبعتهم مثل اتبعتهم في المعنى اتبعهم تبعا **المعنى** لما تقدم ذكر الله سبحانه ذكر عقيبه ما يدل على وحدانيته فقال هو الذي خلقكم والخطاب لبني ادم من نفس واحدة يعني ادم عليه السلام وجعل منها زوجها يعني حوا عليها السلام ليسكن ادم اليها ويانس بها فلما تغشاها اي فلما اصابها كما يصيب الرجل زوجته يعني وطئها وجامعها حملت حملا خفيفا وهو الماء الذي حصل في رحمها وكان خفيفا فمرت به اي استمرت بالحمل على الخفة تقوم وتقعد وتجيء وتذهب كما كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل عن شيء من التصرف فلما اثقلت اي صارت ذات ثقل كما يقال اثمرت الشجرة صارت ذات ثمرة وقيل معناه دخلت في الثقل كما يقال اصاف دخل في الصيف واشتى دخل في الشتاء والمعنى لما كبر الحمل في بطنها وتحرك وصارت ثقيلة به دعوا الله ربهما يعني ادم وحوا سالا الله تعالى عند كبر الولد في بطنها لئن اتيتنا صالحا اي اعطيتنا ولدا صالحا عن ابي مسلم وقيل نسلا صالحا اي معافا سليما صحيح الخلقة عن الجبائي وقيل بشرا سويا عن ابن عباس وقيل غلاما ذكرا عن الحسن لنكونن من الشاكرين لنعمك علينا قال الجبائي وانما قالا ذلك لانهما ارادا ان يكون لهما اولاد يونسونهما في الموضع الذي كانا فيه لانهما كانا فردين مستوحشين وكان اذا غاب احدهما عن الاخر بقي الاخر مستوحشا بلا مونس ويحتمل ايضا ان يكون اراد بقوله صالحا مطيعا فاعلا للخير مصلحا غير مفسد فلما اتيهما الله صالحا كما التمساه جعلا له شركا فيما اتيهما اختلف فيمن يرجع الضمير الذي في جعلا على وجوه احدها انه يرجع الى النسل الصالح اي المعافى في الخلق والبدن لا في الدين وانما ثنى لان حوا كانت تلد في كل بطن ذكرا وانثى يعني ان هذا النسل الذين هو ذكر وانثى جعلا له شركاء فيما اعطاهما من النعمة فاضافا تلك النعم الى الذين اتخذوهم الهة مع الله تعالى من الاصنام والاوثان عن الجبائي وثانيها انه يرجع الى النفس وزوجها من بني ادم لا الى ادم وحوا عن الحسن وقتادة وهو قول الاصم قال ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها اي من جنسها كما قال تعالى ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو ماء الفحل فلما اثقلت بمصير ذلك الماء لحما ودما وعظما دعا الرجل والمراة ربهما

ابو ذويب

لئن

لئن اتيتنا صالحا اي ذكرا سويا لنكونن من الشاكرين وكانت عادتهم ان يادوا البنات فلما اتيهما يعني الاب والام صالحا جعلا له شركا فيما اتيهما لانهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد مناة ثم رجعت الكناية الى جميعهم في قوله فتعالى الله عما يشركون فالكناية في جميع ذلك غير متعلقة بادم وحوا ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال ابو مسلم تقدير الاية هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني ادم وجعل من ذلك النفس زوجها وهي حوا ثم انقضى حديث ادم وحوا وخص بالذكر المشركين من اولاد ادم الذين سالوا ما سالوا وجعلوا له شركا فيما اتيهما قال ويجوز ان يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ومثله كثير في الكلام قال سبحانه هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير ثم خص راكب البحر بالذكر وكذلك هذه الاية اخبرت عن جملة البشر بانهم مخلوقون من ادم وحوا ثم عاد الذكر الى الذي سال الله تعالى ما سال فلما اعطاه اياه ادعى له الشركاء في عطيته قال وجائز ان يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصا اذا كان كل واحد من بني ادم مخلوقا من نفس واحدة وزوجها وذكر قريبا من قول الاصم قال وقد يجيء مثله في التنزيل وغيره قال سبحانه والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم وثالثها ان الضمير يرجع الى ادم وحوا ويكون التقدير في قوله جعلا له شركاء جعل اولادهما له شركاء فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار جعلا وهذا مثل قوله سبحانه اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا والتقدير واذ قتل اسلافكم نفسا واتخذ اسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه يكون الكناية من اول الكلام الى اخره راجعة الى ادم وحوا ويقويه قوله سبحانه فتعالى الله عما يشركون ورابعها ما رواه العامة انه يرجع الى ادم وحواء ويقويه قوله سبحانه وانما جعلا لله تعالى شركا في التسمية وذلك انهما اقاما زمانا لا يولد لهما فمر بهما ابليس ولم يعرفاه فشكوا اليه فقال لهما ان اصلحت حالكما حتى تولد لكما اتسميانه باسمي قالا نعم وما اسمك قال الحرث فولد لهما فسمياه عبد الحرث ذكره ابن فضال وقيل ان حوا حملت اول ما حملت فاتاها ابليس في غير صورته فقال لها يا حوا ما يؤمنك ان يكون في بطنك بهيمة فقالت لادم عليه السلام لقد اتاني ات فاخبرني ان الذي هو في بطني بهيمة واني لاجد له ثقلا فلم يزالا في هم من ذلك ثم اتاها فقال ان سالت الله ان يجعله خلفا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه اتسميه عبد الحرث ولم يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحرث برضاء ادم عليه السلام وكان اسم ابليس عند الملائكة الحرث وهذا الوجه بعيد يابأه العقول وينكره فان البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال ولا يتطرق اليها المجاز والاتساع وقد دلت على عصمة الانبياء عليهم السلام فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم يعلم تاويل الاية لعلمنا على الجملة ان لها وجها يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة الواضحة في ذلك على ان الرواية الواردة في ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه ولا يحتاج الى اثباته فان الاية تقتضي انهم اشركوا الاصنام الذي تخلق ولا يخلق لقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وفي خبرهم انهما اشركا ابليس اللعين فيما ولد لهما بان سموه عبد الحرث وليس في ظاهر الاية لابليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء انهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك الا اشراكا في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية واختاره الطبري وروى العياشي باسناده في تفسيره عنهم عليهم السلام انه كان شركهما شرك طاعة ولم يكن شرك عبادة وقوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون توبيخ وتعنيف للمشركين بانهم يعبدون مع الله تعالى جمادا لا يخلق شيئا من الاجسام ولا ما يستحق به العبادة ومع ذلك هم مخلوقون ولهم خالق خلقهم وان خرج الكلام مخرج الاستفهام ولفظة ما انما يستعمل فيما لا يعقل فدل بذلك على ان المراد بقوله جعلا له شركاء انهم اشركوا الاصنام مع الله تعالى لا على ما ذكروه من اشراك ابليس وانما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء وان كان الاصنام جمادا لانه اراد به الاصنام والعابدين لها جميعا فغلب ما يعقل على ما لا يعقل ويجوز ان يكون على انهم يعظمونها تعظيم من يعقل ويصورونها على صورة من يعقل فكنى عنهم كما يكنى عن العقلاء كقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون اي ويشركون به ويعبدون من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه من اراد به الضرر من

ما لا يدفع عن نفسه م

هذه صورته فهو فى غاية العجز فكيف يكون الها معبودا وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم قيل معناه وان دعوتم الاصنام التى
عبدوها الى الهدى فانها لا تقبل الهدى عن ابى على الجبائى بيّن بذلك ضعف امرها بانها لا اهتدى غيرها ولا تهتدى بانفسها
وان دعيت الى الهدى وقيل معناه ان دعوتم المشركين الذين اصروا على الكفر الى دين الحق لم يومنوا وهو نظير قوله سواء
عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون عن الحسن سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون اى سواء عليكم دعوتهم والسكوت
عنهم وانما قال ام انتم صامتون ولم يقل ام صمتم فيكون فى مقابلة ادعوتموهم ليفيد والماضى والحال فان المقابلة كانت تدل
على الماضى فحسب وصورة اللفظ تدل على معنى الحال ومثله قول الشاعر سواء عليكم الفقر ام بت ليلة باهل القباب من نمير بن عامر

قوله عز وجل انّ الذين تدعون من دون الله عبادٌ امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ايتان

القراءة قرا ابو جعفر وحده يبطشون ههنا وفى القصص والدخان بضم الطاء
والباقون بكسرها وقرا هشام ويعقوب كيدونى بياء فى الوقف والوصل ووافقهما ابو جعفر وابو عمرو واسمعيل فى الوصل والباقون
بغير ياء فى الحالين وقراء يعقوب تنظرونى بياء فى الحالين الحجة بطش يبطش ويبطش والكسر افصح وقال ابو على الفواصل ان
الكلام التام يجرى مجرى القوافى لاجتماعهما فى ان الفاصلة اخر الاية كما ان القافية اخر البيت وقد الزموا فى القوافى حذف
هذه الياءات قال الاعشى فهل يمنعنى ارتياد البلاد من حذر الموت ان ياتين والياء التى هى لام كذلك نحو قوله يلحس لا حلاس
فى منزل يديه كاليهودى المصل ومن اثبت فلان الاصل الاثبات المعنى ثم اتم سبحانه الحجة على المشركين بقوله ان الذين تدعون
من دون الله يعنى الاصنام يريد تدعونهم الهة عباد امثالكم اى مخلوقة امثالكم عن الحسن وقيل مملوكون امثالكم عن الكلبى
وقيل امثالكم فى التسخير اى انهم مسخرون مذللون لامر الله عن الاخفش ولما كانت الاصنام غير ممتنعة مما يريد الله بها كانت
فى معنى العباد فان التعبيد التذليل وطريق معبد موطوء مسلوك ومنه قوله وتلك نعمة تمنها علىّ ان عبّدت بنى اسرائيل
اى ذللتهم واستخدمتهم ضروبا من الخدمة فادعوهم هذا الدعاء ليس الدعاء الاول والمراد به فادعوهم فى مهماتكم ولكشف
الاسواء عنكم فليستجيبوا لكم هذه لام الامر على معنى التعجيز والتهجين كما قال هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قال ابن عباس
معناه فاعبدوهم هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين بان لكم عندها منفعة وثوابا او شفاعة ونصرة ثم فضل
سبحانه بنى ادم عليهم فقال الهم ارجل يمشون بها اى لهؤلاء الاصنام ارجل يمشون بها فى مصالحكم ام لهم ايد يبطشون
بها اى ياخذونها فى الدفع عنكم ومعنى البطش التناول والاخذ بشدة ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
اى ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس فانتم افضل منهم فلو دعوتم وعبدتم من له الحيوة ومنافعها لزمكم الذم واللوم
بذلك لانها مخلوقة مربوبة فكيف تعبدون من هم افضل منه ثم زاد سبحانه فى تهجينهم فقال قل يا محمد ادعوا شركاءكم اى هذه
الاوثان التى تدعون انها الهة فتشركونها فى اموالكم تجعلون لها حظا من المواشى وغيرها وتوجهون عبادتكم اليها اشراكاء
بالله لها ثم كيدونى باجمعكم ولا تنظرون اى لا تؤخرونى ومعناه ان معبودى ينصرنى ويدفع كيد الكائدين عنى ومعبودكم
لا يقدر على نصركم فان قدرتم لى على ضر فاجتمعوا انتم واصنامكم وتظاهروا على كيدى ولا تمهلونى فى الكيد والاضرار فان معبودى
يدفع كيدكم عنى

قوله عز وجل انّ ولىّ الله الذى نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ثلث ايات

المعنى ثم بين سبحانه بعد انه ناصر نبيه وحافظه وامره ان يقول للمشركين ان وليى وحافظى
وناصرى ودافع شركم عنى الله الذى نزل الكتاب اى القران يؤيدنى بنصره كما انزله علىّ وهو يتولى الصالحين اى ينصر المطيعين له
المجتنبين معاصيه تارة بالدفع عنهم واخرى بالحجة والذين تدعون من دونه الهة لا يستطيعون نصركم اى لا يقدرون على
ان ينصروكم ولا ان يدفعوا عنكم ولا انفسهم ينصرون كرر هذا لان ما تقدم فانه على وجه التقريع والتوبيخ وما ذكره ههنا

فانه

فانه على وجه الفرق بين صفة من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكانه قال ان من اعبده ينصرنى ومن تعبدونه
لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه وان تدعوهم يعنى ان دعوتم هؤلاء الذين تعبدونهم من الاصنام الى الهدى اى الى
الرشد والمنافع عن الجبائى والفراء وقيل معناه وان دعوتم المشركين الى الدين عن الحسن لا يسمعوا اى لا يسمعوا دعاءكم وتريهم
فاتحة اعينهم نحوكم على ما صوّر توهم عليه من الصور قال الجبائى جعل الله [illegible] فى مقابلتهم نظرا منهم اليهم مجاز لان
النظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئى طلبا لرؤيته وذلك لا يتاتى فى الجماد ويقال تناظر الحايطان اذا تقابلا وقيل معناه
لا يقبلوا منه سمع الله لمن حمده وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون الحجة يعنى مشركى العرب عن السدى ومجاهد

قوله عز وجل خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ايتان

اللغة قد مر ما قيل فى العفو عند قوله قل العفو فى سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله المعروف
والعارفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئن اليها النفوس قال الشاعر لا يذهب العرف بين الله والناس
والنزغ الازعاج بالاغواء واكثر ما يكون ذلك عند الغضب واصله الازعاج بالحركة نزغه ينزغه نزغا وقيل النزغ الفساد ومنه
نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى اى افسد قال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة المعنى لما
امر سبحانه نبيه صلى الله عليه واله بالدعاء اليه وتبليغ الرسالة علمه محاسن الافعال ومكارم الاخلاق والخصال فقال خذ
العفو من اموالهم ليس فيها شئ موقت ثم نزلت اية الزكوة فصار منسوخا بها فان هذه السورة مكية عن ابن عباس والسدى
والضحاك وقيل معناه خذ العفو من اخلاق الناس واقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه انه امره بالتساهل و
ترك الاستقصاء فى القضاء والاقتضاء وهذا يكون فى الحقوق الواجبة لله وللناس وفى غيرها وهو فى معنى الخبر المرفوع احب الله
عبدا سمحا بايعا ومشتريا وقاضيا ومقتضيا وقيل هو العفو فى قبول العذر من المعتذر وترك المواخذة بالاساءة وروى انه لما
نزلت هذه الاية سال رسول الله صلى الله عليه واله جبرئيل عن ذلك فقال لا ادرى حتى اسال العالم ثم اتاه فقال يا محمد ان
الله يامرك ان تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وامر بالمعروف وهو كل ما حسن فى العقل فعله او
فى الشرع ولم يكن منكرا ولا قبيحا عند العقلاء وقيل بكل خصلة حميدة واعرض عن الجاهلين معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة
عليهم والاياس من قبولهم ولا يقابلهم بالسفه صيانة لقدرك فان مجاوبة السفيه تضع عن القدر ولا يقال ان هذه الاية منسوخة
باية القتال لانها عامة خص عنها الكافر الذى يجب قتله بدليل قال ابن زيد لما نزلت هذه الاية قال النبى صلى الله عليه واله
كيف يارب والغضب فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ ومعناه يا محمد ان نالك من الشيطان وسوسة ونخسة فى القلب بما
يسول للانسان وقيل معناه ان عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه ان منعك الشيطان عن
شئ مما امرتك من هذه الاشياء فاستعذ بالله اى سل الله عز اسمه ان يعيذك منه انه سميع بالمسموعات عليم بالخفيات وقيل
سميع لدعائك عليم بما عرض لك وقيل ان النزغ اول الوسوسة والمس لا يكون الا بعد التمكن ولذلك فصل الله سبحانه بين النبى
صلى الله عليه واله وغيره فقال للنبى صلى الله عليه واله واما ينزغنك من الشيطان وقال للناس اذا مسهم طايف من الشيطان

قوله عز وجل انّ الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الىّ من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ثلث ايات

القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير والكسائى طيف بغير الف وهو
قراءة النخعى والاسود بن يزيد وقرا الباقون طايف بالالف وقراء اهل المدينة يمدونهم بضم الياء وكسر الميم والباقون بفتح الياء
وضم الميم وفى الشواذ عن الجحدرى يمادونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد الحجة الطيف مصدر طاف
الخيال يطيف طيفا اذا الم بك فى المنام فمعناه اذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطايف بمعناه فطيف كالخطرة وطايف
كالخاطر والطيف اكثر قال الا يا لطيف الخيال ارق من نازح ذى دلال وقال الاعشى وتصبح عن غب السرى وكانما الم بها من
طائف الجن

العفو اى خذ يا محمد ما عفى من اموال الناس اى ما فضل من النفقة وكان رسول الله صلى الله عليه واله ياخذ

بالعرف اى

طايف الجن او لمٌ وقال ابو علي عامة ما جاء في التنزيل مما جاء ويجب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وبنين وامددناهم بفاكهة وامدونني بمال وما كان بخلاف على مددت قال ويمدهم في طغيانهم يعمهون فهذا يدل على ان الوجه فتح الياء كما ذهب اليه الاكثر والوجه في قراءة من قرا يمدونهم انه مثل فبشرهم بعذاب اليم فسنيسره للعسرى والله اعلم ويمادونهم يعاونونهم منه اي يعاونونهم وقصر يقصر لغة في اقصر يقصر عنه اذا تركه عن قدرة وقصر عنه اذا ضعف عنه اللغة المسموس الذي به مس جن والمسوس من المياه ما نالته الايدي والاجتبا افتعال من الجباية وبمعنى الاصطفاء وهو استخلاص الشئ للنفس قال علي بن عيسى اصله الاستخراج ومنه جباية الخراج وقيل اصله الجمع من جبيت الماء والحوض جابية تجمعها الماء قال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك قال ابو عبيدة واخترعته مثل ذلك قال ابو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتديه الرجل لم يكن اعد قبل ذلك في نفسه والبصاير البراهين والحجج جمع بصيرة والبصاير ايضا طرايق الدم قال الاشعر الجعفي راحوا بصايرهم على اكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى والبصيرة الترس وجمعها بصاير قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشئ وتبيانه الاعراب اذا الاولى ظرف زمان ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء واذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجاة كقولك خرجت فاذا زيد المعنى ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين اذا عرضت لهم وساوس الشيطان فقال ان الذين اتقوا الله باجتناب معاصيه اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا وقيل معناه اذا وسوس اليهم الشيطان واغواهم بمعاصيه تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس والسدي قال الحسن يعني اذا طاف عليهم الشيطان بوساوسه وقال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضبة فيتذكر فيكظم غيظه وبه قال مجاهد وروي عن ابينا انه قال هو الرجل يهم بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل طايف غضب وطيف جنون وقيل معناهما واحد فاذا هم مبصرون للرشد فاخوانهم يمدونهم في الغي معناه واخوان المشركين من شياطين الجن والانس يمدونهم في الضلال والمعاصي اي يزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه ثم لا يقصرون ثم لا يكفون يعني الشياطين عن استغوائهم ولا يرحمونهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه اخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون اي ثم لا يقصر هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس والسدي والجبائي وقيل معناه لا يقصر الشياطين عن اغوائهم ولا يقصرون هم عن ارتكاب الفواحش واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها معناه انك يا محمد اذا جئتهم باية كذبوا بها واذا ابطات عنهم يقترحونها ويقولون هلا جئتنا بها من قبل نفسك فليس كلما تقوله وحي من السماء عن قتادة ومجاهد والزجاج وقيل معناه اذا لم تاتهم باية مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسال ربك ان ياتيك بها عن ابن عباس والجبائي وابي مسلم قل يا محمد لهم انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي لست اتي بالايات من عندي وانما يفعلها الله ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب الاقتراح وانما اتبع الوحي ولا اتعداه وليس لي ان اساله انزال الايات الا بعد اذنه لي في السوال هذا بصاير من ربكم اي هذا القران دلايل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الناس بها من امور دينه وهدى ورحمة اي دلالة تهدي الى الرشد ونعمة في الدين والدنيا لقوم يومنون خص المومنين بالذكر لانهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الاية دلالة على ان افعال النبي صلى الله عليه واله واقواله تابعة للوحي وانه لا يجوز ان يعمل بالراي والقياس النظم قيل ان هذه الاية اتصلت بقوله يسئلونك عن الساعة وتقديره ويسئلونك عن الايات اذا لم تاتهم بها قالوا لولا اجتبيتها عن ابي مسلم وقيل اتصلت بما قبلها من قوله واخوانهم يمدونهم ومعناه يبقون في الضلال واذا لم تاتهم باية يسالون عنها فقالوا كذا قوله عز وجل وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ثلث ايات اللغة الانصات السكوت مع استماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت وانتصت استمع الحديث وسكت وانصته وانصت له وانصت الرجل سكت وانصته غيره عن الازهري والاصال جمع اصل واصل جمع اصيل وخيفة مصدر ان وضعا

موضع

فالاصال جمع الجمع وتصغيره اصيلان على ابدال النون لاما ومعناه العشي ... ما بين العصر الى المغرب

موضع الحال اي متضرعين وخائفين دون الجهر عطف فيجب ان يكون في موضع الحال اي غير رافعين اصواتكم حتى يبلغ حد الجهر المعنى ثم امر سبحانه بالاستماع للقران عند قراءته فقال واذا قرئ القران فاستمعوا وانصتوا اختلف في الوقت المامور بالانصات للقران والاستماع له فقيل انه في الصلوة خاصة خلف الامام الذي يؤتم به اذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروي ذلك عن ابي جعفر عليه السلام قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلوتهم ويسلم بعضهم على بعض واذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم اجابوه فنهوا عن ذلك وامروا بالاستماع وقيل انه في الخطبة امروا بالانصات والاستماع الى الامام يوم الجمعة عن عطا وعمرو بن دينار وزيد بن اسلم وقيل انه في الخطبة والصلوة جميعا عن الحسن وجماعة قال الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه واقوى الاقوال الاول لانه لا حال يجب فيها الانصات لقراءة القران الا حال قراءة الامام في الصلوة فان على المأموم الانصات والاستماع له فاما خارج الصلوة فلا خلاف ان الانصات والاستماع غير واجب وروي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال يجب الانصات للقران في الصلوة وغيرها قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي باسناده عن ابي كهمس عن ابي عبد الله عليه السلام قال قرا ابن الكواء خلف امير المومنين عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فانصت له امير المومنين عليه السلام وعن عبد الله بن ابي يعفور عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له الرجل يقرا القران ايجب على من سمعه الانصات له والاستماع قال نعم اذا قرئ عندك القران وجب عليك الانصات والاستماع قال الزجاج فيجوز ان يكون فاستمعوا له وانصتوا اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه لان معنى قول القايل سمع الله لمن حمده اجاب الله دعاءه لان الله سميع عليم وقال الجبائي انها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا ويتفقهوا وقال احمد بن حنبل اجمعت الامة على انها نزلت في الصلوة لعلكم ترحمون اي لترحموا بذلك باعتباركم به واتعاظكم بمواعظه واذكر ربك في نفسك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد وروي عن زرارة عن احدهما قال معناه اذا كنت خلف امام فاتم به فانصت وسبح في نفسك يعني فيما لا يجهر الامام به وقيل معناه واذكر ربك بالتفكر في نفسك وقيل اراد اذكره في نفسك بصفاته العليا واسمائه الحسنى تضرعا وخيفة يعني بتضرع وخوف يعني في الدعاء فان الدعاء بالتضرع والخوف من الله تعالى اقرب الى الاجابة وانما خص الذكر بالنفس لانه ابعد من الرياء عن الجبائي ودون الجهر من القول معناه ارفعوا اصواتكم قليلا لا تجهروا بها جهارا بليغا حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وقيل انه امر للامام ان يرفع صوته في الصلوة بالقراءة مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس بالغدو والاصال اي بالغدوات والعشيات عن قتادة والمراد دوام الذكر واتصاله وقيل انما خص هذين الوقتين لانهما حال فراغ الناس عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما الصق بالقلب ولا تكن من الغافلين عما امرتك من الدعاء والذكر وقيل ان الاية متوجهة الى من امر بالاستماع للقران والانصات وكانوا اذا سمعوا القران رفعوا اصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة والنار عن ابن زيد ومجاهد وابن مجاهد وابن جريج وقال الجبائي وفي الاية دليل على ان الذين يرفعون اصواتهم عند الدعاء ويجهرون به مخطئون فيه وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث الى الذكر ويدعوا اليه فقال ان الذين عند ربك وهم الملائكة عن الحسن وغيره لا يستكبرون عن عبادته معناه انهم مع جلالة قدرهم وعلو امرهم يعبدون الله ويذكرونه وفايدته انكم اذا استكبرتم عن عبادته فمن هو اعظم حالا منكم لا يستكبر عنها وانما قال عند ربك تشريفا للملائكة باضافتهم الى نفسه ولم يرد به قرب المكان تعالى عن ذلك وتقدس وقيل معناه انهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم الا الله تعالى بخلاف البشر كما يقال عند الامير كذا وكذا من الجند والمراد انهم في حكمه وتحت امره وعند فلان كذا من المال ولا يراد به ان ذلك بحضرته وقال الزجاج من قرب رحمة الله وفضله فهو عند الله اي هو قريب من تفضيله واحسانه ويسبحونه اي ينزهونه عما لا يليق به وله يسجدون اي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلوة عن الحسن ولا خلاف ان ههنا سجدة وهي اول سجدات القران واختلف في سجدة التلاوة وهل هي واجبة فعند

خطاب للنبي صلى الله عليه واله والمراد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القران والمعنى واذكر ربك في نفسك ح

الجنة والنار

ابي حنيفة واجبة وعند الشافعي سنة موكدة واليه ذهب اصحابنا **سورة الانفال** مدنية عن ابن عباس وقتادة غير
سبع ايات نزلن بمكة واذ يمكر بك الذين كفروا الى اخرهن وقيل نزلت باسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة **عدد**
ايها هي سبع وسبعون اية شامي وست بصري حجازي وخمس ايات كوفي **اختلافها** ثلث ايات ثم يغلبون بصري شامي
مفعولا الاول غير الكوفي بنصره وبالمومنين غير البصري **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه واله انه قال من
قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع وشاهد له يوم القيمة اي بري من النفاق واعطي من الاجر بعدد كل منافق ومنافقة
في الدار الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه ايام حيوته
في الدنيا وروى العياشي باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال من قراء الانفال وبراءة في كل شهر لم يدخله
نفاق ابدا وكان من شيعة امير المومنين عليه السلم حقا وياكل يوم القيمة من موايد الجنة معهم حتى يفرغ من الحساب وعن
محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلم قال في سورة الانفال جدع الانوف **تفسيرها** لما قص الله سبحانه في سورة الاعراف قصص
الانبياء وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه واله افتتح سورة الانفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين قومه **فقال بسم الله الرحمن
الرحيم يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله
ان كنتم مومنين** **اية القراءة** قرا ابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وعلي بن الحسين وابو جعفر بن علي الباقر وزيد بن
علي وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلم وطلحة بن مصرف يسئلونك الانفال **الحجة** قال ابن جني هذه القراءة بالنصب مؤدية عن
السبب للقراءة الاخرى التي هي عن الانفال لانهم انما سالوا عنها تعرضا لطلبها واستعلاما لحالها هل يسوغ طلبها وهذه
القراءة بالنصب صراح بالتماس الانفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فان قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كانه
قال يسئلونك عن الانفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به قيل هذا شاذ انما يحمله الشعر
فاما القران فيختار له افصح اللغات وان كان قد جاء واختار موسى قومه واقعدوا لهم كل مرصد فان الاظهر ما
قدمناه **اللغة** الانفال جمع نفل والنفل الزيادة قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل وباذن الله ريثي وعجل وقيل النفل
العطية ونفلتك اي اعطيتك والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلوة والنوفل الرجل الكثير
العطية **المعنى** يسئلونك اي يسالك يا محمد جماعة من اصحابك عن الانفال اختلف المفسرون في الانفال ههنا فقيل هي
الغنائم التي غنمها رسول الله صلى الله عليه واله يوم بدر وهو المروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن
زيد وقيل هي انفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هو ما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد او جارية او غيره
من غير قتال او ما اشبه ذلك عن عطا وقال هو للنبي خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمة الغنائم
من الفرس والدرع والرمح عن ابن عباس في رواية اخرى وروى عنه ايضا انه سلب الرجل وفرسه ينفل للنبي صلى الله
عليه واله من شاء وقيل هي خمس الذي جعل الله لاهل الخمس عن مجاهد في رواية اخرى وصحيح الرواية عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم انهما
قالا ان الانفال كلما اخذ من دار الحرب بغير قتال وكل ارض انجلى اهلها عنها بغير قتال وتسميها الفقهاء فيئا وميراث من لا وارث
له وقطائع الملوك اذا كان في ايديهم من غير غصب والاجام وبطون الاودية والارضون الموات وغير ذلك مما
هو مذكور في مواضعه وقالا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه يصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لاحد فيه شيء
وقالا ان غنائم بدر كانت للنبي صلى الله عليه واله خاصة فسالوه ان يعطيهم وقد صح ان قراءة اهل البيت عليهم السلم يسئلونك
الانفال فقال الله سبحانه قل يا محمد الانفال لله والرسول وكذلك ابن مسعود وغيره انما قروا كذلك على هذا التاويل
فعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي صلى الله عليه واله فقال هؤلاء ان اصحابه سالوه ان يقسم غنيمة بدر بينهم
فاعلمهم الله سبحانه ان ذلك لله ولرسوله دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروى ذلك ايضا عن ابن عباس وابن جريح والضحاك
وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا ان عن صلة ومعناه يسئلونك الانفال ان تعطيهم ويؤيد هذا القول قوله فاتقوا

الله

الله الى اخره ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة باية الغنيمة وهي قوله واعلموا انما غنمتم من شيء وقال بعضهم ليست
بمنسوخة وهو الصحيح لان النسخ يحتاج الى دليل ولا تنافي بين هذه الاية واية الخمس وقال اخرون انهم سالوا عن النبي
صلى الله عليه واله عن حكم الانفال وعلمها فقالوا لمن الانفال وتقديره يسئلونك عن الانفال لمن هي ولهذا جاء
الجواب بقوله قل الانفال لله والرسول وقال اخرون انهم سالوه عن حال الغنائم وقسمتها وانها حلال ام حرام كما كانت
حراما على من قبلهم فبين لهم انها حلال واختلفوا ايضا في سبب سؤالهم فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه واله يوم بدر قال
من جاء بكذا فله كذا ومن جاء باسير فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان
قد نفلهم النبي صلى الله عليه واله فقال الشيوخ كنا ردءا لكم ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم الينا وجرى بين ابي اليسر بن
عمرو الانصاري اخي بني سلمة وبين سعد بن معاذ كلام فنزع الله تعالى الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما شاء
فقسمها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسول
الله صلى الله عليه واله فقسمه بيننا على السواء وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال سعد
بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن امية واخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به
النبي صلى الله عليه واله فاستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اذهب فاطرحه في القبض فطرحت ورجعت وبي ما لا يعلمه
الا الله من قتل اخي واخذ سلبي وقلت عسى ان يعطى هذا لمن لم يبل بلائي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني الرسول وقد
انزل الله يسئلونك الاية فخفت ان يكون قد نزلت في شيء فلما انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه واله قال يا سعد انك
سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب وخذه فهو لك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت الغنائم لرسول
الله صلى الله عليه واله خاصة ليس لاحد فيها شيء وما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو
غلول فسالوا رسول الله صلى الله عليه واله ان يعطيهم منها فنزلت الاية وقال ابن جريح اختلف من شهد بدرا من المهاجرين
قالوا لم يرفع منا فقال الله تعالى كما اراه الله وقال مجاهد هي الخمس وذلك ان المهاجرين قالوا لم يرفع منا هذا الخمس
لم يخرج منا فقال الله تعالى قل الانفال لله والرسول يقسمانها كما شاءا او ينفلان منها ما شاءا او يرضخان منها ما شاءا
فاتقوا الله باتقاء معاصيه واتباع ما امركم به وما يامركم به رسوله واحذروا مخالفة امرهما واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا ما بينكم
من الخصومة والمنازعة وقوله ذات بينكم كناية عن المنازعة والخصومة والذات هي الخلقة والبنية يقال فلان في ذاته
صالح اي في خلقته وبنيته يعني اصلحوا نفس كل شيء بينكم واصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه واصلحوا حقيقة وصلكم
كقوله لقد تقطع بينكم اي وصلكم والمراد كونوا مجتمعين على ما امره الله ورسوله وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين
اي اصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من امر الغنيمة يوم بدر
عن ابن عباس ومجاهد والسدي واطيعوا الله ورسوله اي اقبلوا ما امرتم به في الغنائم وغيرها عن الزجاج ومعناه و
اطيعوهما فيما يامرانكم به وينهيانكم عنه ان كنتم مومنين مصدقين للرسول فيما ياتيكم به من قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي
ان الخمس لم يكن مشروعا يومئذ وانما شرع يوم احد وفيه انه لما نزلت هذه الاية عرف المسلمون انه لا حق لهم في الغنيمة
وانها لرسول الله صلى الله عليه واله فقالوا يا رسول الله سمعا وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله واعلموا انما غنمتم من
شيء فان لله خمسه اي ما غنمتم بعد بدر وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله قسم غنائم بدر عن بواء اي على سواء
ولم يخمس **قوله عز وجل انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى
ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المومنون حقا لهم درجات عند
ربهم ومغفرة ورزق كريم ثلث ايات اللغة** الوجل والخوف والفزع واحد يقال وجل يوجل وييجل وياجل بالالف
وييجل اربع لغات حكاه سيبويه واجودها يوجل قال الشاعر لعمرك ما ادري واني لاوجل على اينا تعدو المنية اول

والانصار في الغنيمة فكانوا اثلاثا فنزلت الاية وملكها الله رسوله يقسمها كما اراه الله

هو الثقة بالله فى كل ما يحتاج اليه يقال وكلت الامر الى فلان اذا جعلت اليه القيام به والوكيل القائم بالامر لغيره الاعراب
حقا منصوب بمعنى دلت على الجملة التى هى قوله اولئك هم المومنين والمعنى حق ذلك حقا المعنى لما قال سبحانه ان
كنتم مومنين بين صفة المومنين بقوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى خافت تعظيما له و ذلك اذا ذكر عندهم
عقوبته وعدله و وعيده على المعاصى بالعذاب واقتداره عليه فاما اذا ذكر نعمة الله على عباده واحسانه اليهم وفضله ورحمته
عليهم و ثوابه على الطاعات اطمانت قلوبهم وسكنت نفوسهم الى عفو الله كما قال سبحانه الا بذكر الله تطمئن القلوب فلا تنافى بين
الايتين اذ وردتا فى حالتين ووجه اخر وهو ان المومن ينبغى ان يكون من صفته انه اذا نظر فى نعم الله عليه ومنه لديه وعظم مغفرته
ورحمته اطمان قلبه وحسن بالله ظنه واذا ذكر عظيم معاصيه بترك اوامره وارتكاب نواهيه وجل قلبه واضطربت نفسه
و الوجل الخوف مع شدة الحزن وانما يستعمل على الغالب فى القلب واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه واذا قرئ عليهم القران
زادتهم اياته تبصرة و يقينا على يقين عن الضحاك وقيل زادتهم تصديقا مع تصديقهم بما انزل اليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى
انهم يصدقون بالاولى و الثانية والثالثة وكلما ياتى من عند الله فيزداد تصديقهم وعلى ربهم يتوكلون اى يفوضون امورهم
الى الله فيما يخافونه من السوء فى الدنيا وقيل فيما يرجون من قبول اعمالهم فى الاخرة الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون
قد مر تفسيره فى سورة البقرة وانما خص الصلوة والزكوة بالذكر لعظم شانهما وتاكد امرهما وليكون داعيا الى المواظبة على فعلهما
اولئك هم المومنون حقا اى هؤلاء المستجمعون لهذه الخصال والحائزون لهذه الصفات هم الذين استحقوا هذا الاسم على
الحقيقة لهم درجات عند ربهم يعنى درجات الجنة يرتقونها باعمالهم عن عطا وقيل لهم اعمال رفيعة وفضايل استحقوها فى
ايام حيوتهم عن مجاهد ومغفرة لذنوبهم و رزق كريم اى خطير كبير فى الجنة وقيل كريم دايم كثير لا يشوبه اذا كانت احلامه محمودة
واستدل من قال ان الايمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح من الايمان بهذه الايات فقالوا ان الله تعالى نفى ان يكون المومن
غير متصف بهذه الصفات بلفظة انما فكانه قال لا يكون احد مومنا الا ان يكون بهذه الصفات و الجواب عنه ان هذه صفات
خيار المومنين وافاضلهم فكانه قال انما خيار المومنين من له هذه الاوصاف وليس يمتنع ان يتفاضل المومنون فى الطاعات
وان لم يتفاضلوا فى الايمان يدل على ذلك ان الاجماع حاصل على ان وجل القلب ليس بواجب وانما هو من المندوبات و
ان الصلوة قد يدخل فيها الفرايض والنوافل والانفاق كذلك فعلمنا ان الاشارة بالاية الى خيار المومنين واماثلهم فلا
تدل اذا على ان من كان دونهم فى المنزلة خارج عن الايمان وقد قال ابن عباس انه سبحانه اراد بذلك ان المنافق
لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وان هذه الاوصاف المذكورة منتفية عنه قوله عز وجل كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته و
يقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اربع ايات اللغة ~~المجادلة اللغة~~ المجادلة المنازعة
التى يفتل بها عن مذهب الى مذهب سميت بذلك لشدته واصل الجدل شدة الفتل ومنه الاجدل للصقر لشدته و
زمام جديل شديد الفتل وقيل اصله من الجدالة وهى الارض يقال طعنه فجدله اى واقعه على الارض فكان المجادلين
يريد كل واحد منهما ان يرمى خصمه الى الارض والسوق الحث على السير والشوكة الحد يقال ما اشد شوكة بنى فلان وفلان
شاك فى السلاح و شائك و شاك من الشكة وشاك مخفف مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صايف قال الشاعر
فتوهمونى اننى اناذاكم شاك سلاحى فى الحوادث معلم واصله من الشوك و دابر الامر اخره و دابر الرجل عقبه والحق وقوع
الشىء فى موضعه الذى هو له فاذا اعتقد شىء بضرورة او بحجة فهو حق لانه وقع موقعه الذى هو له وعكسه الباطل الاعراب
الكاف فى قوله كما اخرجك ربك يتعلق بما دل عليه قل الانفال ثابتة لله و الرسول لان فى هذا معنى نزعها من ايديهم بالحق
كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل تقديره قل الانفال ثابت لله والرسول ثبوتا مثل ما اخرجك ربك اى هذا كاين لا محالة

كما ان ذلك كان محالة وقيل يتعلق بيجادلونك و تقديره يجادلونك فى الحق كما هو اخراجك من بيتك بالحق وقيل
انه يعمل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذكر الحق كما اخرجك ربك من بيتك بالحق و قوله انها لكم فى موضع نصب على البدل من احدى
الطائفتين و تقديره يعدكم ان احدى الطائفتين لكم وهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم المعنى كما اخرجك ربك من بيتك
يا محمد معناه على التقدير الاول قل الانفال الله ينزعها عنكم مع كراهتكم ومشقة ذلك عليكم لانه اصلح لكم من كونكم فى بيوتكم
والمراد بالبيت هنا بيته وحملك عليه كما يقال اضربت زيدا عمرا فضربه واما على التقدير الثانى وهو ان يكون الكاف بمعنى
فيكون معناه يجادلونك فى الحق كارهين له كما جادلوك يا محمد حين اخرجك ربك كارهين للخروج كرهوه كراهية
طباع وقال بعضهم كيف نخرج على العمياء لا ندرى الى العير نخرج ام الى القتال فشبه جدالهم بخروجهم لان القوم جادلوه بعد
خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا اخبرتنا بالقتال فكنا نستعد لذلك فهذا هو جدالهم على تاويل مجاهد و
اما على التقدير الثالث فمعناه ان هذا خير لكم كما ان اخراجك من بيتك على كراهية جماعة منكم خير لكم وقريب منه ما جاء
فى حديث ابى حمزة فالله ناصرك كما اخرجك من بيتك و قوله بالحق اى بالوحى و ذلك لان جبرئيل عليه السلم اتاه وامره
بالخروج وقيل معناه اخرجك ومعك الحق وقيل معناه اخرجك بالحق الذى وجب عليك وهو الجهاد وان فريقا من
المومنين اى طايفة منهم لكارهون لذلك للمشقة التى لحقتهم يجادلونك فى الحق بعد ما تبين معناه يجادلونك فيما دعوتهم
اليه بعد ما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا اخبرتنا بذلك وهم يعلمون انك
لا تامرهم عن الله عز وجل الا بما هو حق وصواب وكانوا يجادلون فيه لشدته عليهم يطلبون بذلك رخصة لهم فى التخلف
عنه او فى تاخير الخروج الى وقت اخر وقيل معناه يجادلونك فى القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه وانه مامور به عن
ابن عباس وقيل بعد ما تبين لك انك يا محمد لا تصنع الا بما امرك الله به كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون معناه
كان هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء العدو لشدة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدين ولكراهتهم له من حيث
الطبع كانوا بمنزلة من يساق الى الموت وهم يرونه عيانا وينظرون اليه والى اسبابه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم يعنى اذكروا واشكروا الله اذ يعدكم الله احدى الطايفتين لكم اما العير واما النفير وتودون ان غير ذات
الشوكة تكون لكم اى تودون ان يكون لكم العير وصاحبها ابو سفيان بن حرب لئلا يلحقكم مشقة دون النفير و
هو الجيش من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير و رسول الله يريد ذات الشوكة عن الحرب
لما فى الحرب من الشدة عن قطرب وقيل ذات الشوكة ذات السلاح و يريد الله ان يحق الحق بكلماته معناه والله
اعلم بالمصالح منكم فاراد ان يظهر الحق بلطفه ويعز الاسلام و يظفركم على وجوه قريش ويهلكهم على ايديكم بكلماته السابقة
وعداته فى قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون و قوله
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقيل بكلماته اى بامره لكم بالقتال ويقطع دابر الكافرين اى يستاصلهم
فلا يبقى منهم احد يعنى كفار العرب ليحق الحق اى انما يفعل ذلك ليظهر الاسلام ويبطل الباطل اى الكفر باهلاك اهله
ولو كره المجرمون اى الكافرون و ذكر البلخى عن الحسن ان قوله واذ يعدكم الله الاية نزلت قبل قوله كما اخرجك من
بيتك بالحق وهى فى القراءة بعدها قصة غزاة بدر قال اصحاب السير و ذكر ابو حمزة وعلى بن ابرهيم فى تفسيرهما دخل
حديث بعضهم فى بعض اقبل ابو سفيان بعير قريش من الشام وفيها اموالهم وهى اللطيمة وفيها اربعون راكبا من قريش
فندب النبى صلى الله عليه واله اصحابه للخروج اليها لياخذوها وقال لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم
وثقل بعضهم ولم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه واله يلقى كيدا ولا حربا فخرجوا لا يريدون الا ابا سفيان والركب
لا يرونها الا غنيمة لهم فلما سمع ابا سفيان بمسير النبى صلى الله عليه واله استاجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه الى مكة وامره
بان ياتى قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد تعرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكه وكانت عاتكة بنت عبد المطلب

رات فيما يرى النايم قبل تقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال ان رجلا اقبل على بعير له ينادى يا ال غالب اغدوا الى مصارعكم ثم وافى بجملة على ابى قيس فاخذ فى اصحابه حجرا فدهده من الجبل فما ترك دارا من دور قريش الا اصابته منه فلذة فانتبهت فزعة من ذلك فاخبرت العباس بذلك واخبر العباس عتبة بن ربيعه فقال عتبه هذه مصيبة تحدث فى قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ اباجهل فقال هذه نبية ثانية فى بنى عبد المطلب واللات والعزى لننتظرن ثلاثة ايام فان كان ما رات حقا والا لنكتبن كتابا بيننا انه ما من اهل بيت العرب اكذب رجالا ولا نساء من بنى هاشم فلما كان اليوم الثالث اتاهم ضمضم يناديهم باعلى الصوت يا ال غالب يا ال غالب اللطيمة اللطيمة العير العير ادركوا وما اراكم تدركون ان محمدا والصباة من اهل يثرب قد خرجوا يتعرضون لعيركم فتهياوا للخروج وما بقى احد من عظماء قريش الا اخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل بن ابى طالب واخرجوا معهم القينات يضربون الدفوف وخرج رسول الله صلى الله عليه واله فى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فلما كان قرب بدر اخذ عينا للقوم فاخبره بهم وفى حديث ابى حمزة الثمالى بعث رسول الله صلى الله عليه واله ايضا عينا له على العير اسمه عدى فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه واله فاخبره اين فارق العير نزل جبرئيل عليه السلم على رسول الله صلى الله عليه واله فاخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار اصحابه فى طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها ما امنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب وفى حديث ابى حمزة قال ابو بكر انا عالم بهذا الطريق فارق عدى العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا كانا فرسا رهان فقال رسول الله صلى الله عليه واله اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله انها قريش وخيلاؤها وقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق والله لو امرتنا ان نخوض جمر الغضا وشوك الهراس لخضناه معك والله ما نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول امض لامر ربك فانا معك مقاتلون فجزاه رسول الله خيرا على قوله ذلك ثم قال اشيروا على ايها الناس وانما يريد الانصار لان اكثر الناس منهم ولانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا انا برآء من ذمتك حتى تصل الى دارنا ثم انت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع ابناءنا ونساءنا فكان صلى الله عليه واله يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليها نصرته الا على من دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال بابى انت وامى يا رسول الله كانك اردتنا فقال نعم فقال بابى انت وامى يا رسول الله انا قد امنا بك وصدقناك وشهدنا انما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من اموالنا ما شئت واترك منها ما شئت والله لو امرتنا ان نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله عز وجل يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه واله وقال سيروا على بركة الله فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لن يخلف الله وعده والله لكانى انظر الى مصرع ابى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعه وشيبة بن ربيعه وفلان وفلان وامر رسول الله صلى الله عليه واله بالرحيل وخرج الى بدر وهو بئر وفى حديث ابى حمزة الثمالى وبدر رجل من جهينة والماء ماؤه فانما سمى الماء باسمه واقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فاخذهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله وقالوا لهم من انتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فاين العير قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول الله صلى الله عليه واله يصلى فانفتل من صلوته وقال ان صدقوكم ضربتموهم وان كذبوكم تركتموهم فاتوه بهم فقال لهم من انتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون فى كل يوم من جزور قالوا تسعة الى عشرة فقال رسول الله صلى الله عليه واله القوم تسعمائة الى الف رجل وامر رسول الله صلى الله عليه فحبسوا فبلغ ذلك قريشا ففزعوا وندموا على مسيرهم ولقى عتبة بن ربيعه ابا البخترى بن هشام فقال اما ترى هذا البغى والله ما ابصر موضع قدمى خرجنا لنمنع عيرنا وقد افلتت فجئنا بغيا وعدوانا والله ما افلح قوم بغوا قط ولوددت ان ما فى العير من اموال بنى عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له ابو البخترى انك سيد من سادات قريش فسر فى الناس وتحمل العير التى اصابها محمد صلى الله عليه

فقال عليه السلم اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال اجلس فجلس ثم قام المقداد

من عدوه وان ليس عليهم ان ينصروه خارج المدينة

رسول الله

بعثوا

واله واصحابه بنخلة ودم بن الحضرمى فانه حليفك فقال له على ذلك وما على احد منا خلاف الا ابن الحنظلية يعنى اباجهل فسر اليه واعلمه انى حملت العير ودم الحضرمى وهو حليفى وعلى عقله قال فقصدت خباءه وابلغته ذلك فقال ان عتبة يتعصب لمحمد فانه من بنى عبد مناف وابنه معه فيريد ان يخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب وناخذهم اسارى فندخلهم مكة ويتسامع العرب بذلك وكان ابو حذيفة بن عتبة مع رسول الله صلى الله عليه واله وكان ابو سفيان لما جاز بالعير بعث الى قريش ان قد نجا الله عيركم فارجعوا ودعوا محمدا والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وان لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول بالجحفة فاراد عتبة ان يرجع فابى ابوجهل وبنو مخزوم وردوا القيان من الجحفة قال ولما عبتة وفزع اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فانزل الله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم الى ممدكم وما بعده قوله عز وجل اِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ اَنِّى مُمِدُّكُمْ بِاَلْفٍ مِنَ الْمَلٰئِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا بُشْرٰى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ اَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْاَقْدَامَ اِذْ يُوحِى رَبُّكَ اِلَى الْمَلٰئِكَةِ اَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَاُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْاَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَاِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَاَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ست ايات وبعد الاقدام اية كل بيان اية بلا خلاف القراءة قرا اهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال والباقون مردفين بكسر الدال وقرا اهل المدينة يغشيكم بضم الياء وسكون الغين النعاس بالنصب وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم بالالف وفتح الياء النعاس بالرفع والباقون يغشيكم بضم الياء وفتح الغين والتشديد النعاس بالنصب وفى الشواذ قراءة الشعبى ما ليطهركم به بمعنى الذى الحجة قال ابو على مردفين يحتمل وجهين احدهما ان يكون مردفين مثلهم كما قالوا اردفت زيدا خلفى فيكون فى الاية المفعول الثانى محذوفا والاخر ان يكونوا جاؤوا خلفهم تقول العرب بنو فلان يردفوننا اى يجيئون بعدنا وقال ابو عبيدة مردفين جاؤوا بعد وردفنى واحد قال الشاعر اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بال فاطمة الظنونا وهذا الوجه كانه ابين لقوله اذ تستغيثون ربكم الى قوله مردفين اى جائين بعد لاستغاثتكم ربكم وامداده اياكم فمردفين على هذا صفة للالف وقال الزجاج معناه ياتون فرقة بعد فرقة ومردفين على ردفوا الناس اى انزلوا بعدهم فيجوز على هذا ان يكون حالا من الضمير المنصوب فى ممدكم مردفين بالف من الملائكة وقرئ فى الشواذ مُرُدِّفين ومُرِدِّفين والاصل فيهما مرتدفين فادغم التاء فى الدال فلما التقاء الساكنان حرك الراء لالتقاء الساكنين فضمت تارة اتباعا لضم الميم وكسرت تارة لان الساكن حرك بالكسر ومن قرا يغشاكم فانه اسند الفعل الى النعاس كما فى قوله امنة انه مسند الى فعل الله اى فكذلك يُغْشِى ويُغَشِّى ومن قرا يغشاكم فانه اسند الفعل للنعاس كما فى قوله امنة نعاسا يغشى واغشى وغشى معناهما واحد وقد جاء بهما التنزيل قال سبحانه فاغشيناهم وقال فغشاها ومن قرا ما ليطهركم به فان ما ههنا موصولة وصلتها حرف الجر بما بعده فكانه قال ما للطهور كقولك كسوت الثوب الذى لدفع البرد وهذه اللام فى قراءة الجماعة ماء ليطهركم به هى لام المفعول له وهى كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله وتتعلق بنفس الفعل واللام التى فى قراءة من قرا ما ليطهركم به اى الذى للطهارة به متعلقة بمحذوف وفيها ضمير لتعلقها بالمحذوف اللغة الرعب الخوف يقال رعبته ارعبه رعبا ورعبا والرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه واصله التقطع من قولهم رعبت السنام ترعيبا اذا قطعته مستطيلا والرعب يقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه ورعب السيل فهو راعب اذا امتلا منه الوادى لانه انقطع اليه من كل جهة والبنان الاطراف من اليدين والرجلين والواحد بنانة ويقال للاصبع بنانة واصله اللزوم من ابنّت السحابة ابنانا اذا لزمت قال الشاعر الا ليتنى قطعت منه بنانة ولاقيته يقظان حاذرا الشقاق العصيان واصله الانفصال يقال شقه فانشق

فى البيت

واردفنى

وشاقه شقاقا اذا صار في شق عدوه عليه ومنه اشتقاق الآية انفصال الكلمة عما يحتمله في الاصل **الاعراب** العامل من اذ من قوله تستغيثون قوله تستغيثون قوله ويبطل الباطل وقيل محذوف وتقديره واذكروا اذ فعلى الوجه الاول يكون متصلا بما قبله وعلى الوجه الثاني يكون مستانفا والهاء في جعله عائدة لانه معتمد الكلام وقيل عائدة على الخبر بالمدد لان تقديره ذلك اليهم بشارة على الحقيقة وقيل عائدة الى الارداف وامنة انتصب بانه مفعول له والعامل فيه يغشى اذ يوحي في موضع نصب على معنى وما جعله الله الا بشرى محذوف فيكون كما قال الشاعر وقائلة خولان فانكح فتاتهم واكرومة الحيين خلو كما هيا اي هذه خولان ويجوز ان يكون ذلكم منصوب الموضع فيكون مثل قوله زيدا فاضربه منصوبا بفعل مضمر يفسره الظاهر وكم في ذلكم لا موضع له من الاعراب لانه حرف الخطاب وان للكافرين يحتمل ان يكون موضعه نصبا وجرا ورفعا فالرفع بالعطف على ذلكم فكانه قال الامر ذلكم وان للكافرين عذاب النار مع ذلكم والنصب بالعطف على قوله اني معكم ومعناه اذ يوحي ربك ان للكافرين والجر على ان يكون معطوفا على قوله بانهم شاقوا الله والرفع اليق بالظاهر ويشاقق باظهار التضعيف مع الجزم لغة اهل الحجاز وغيرهم يدغم **النزول** قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال ابوجهل اللهم اولانا بالنصر فانصره واستغاث المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله اذ تستغيثون ربكم الى اخره وقيل ان النبي صلى الله عليه واله لما نظر الى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال يهتف ربه مادا يديه حتى سقط رداؤه من منكبيه فانزل الله اذ تستغيثون ربكم الآية عن عمر بن الخطاب والسدي وابي صالح وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام قال فلما امسى رسول الله صلى الله عليه واله وجنه الليل القى الله على اصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فانزل الله عليهم المطر رذاذا حتى لبد الارض وثبت اقدامهم وكان المطر على قريش مثل العزالي فالقى الله في قلوبهم الرعب كما قال تعالى سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب الآية **المعنى** ثم ذكر سبحانه ما اتى المسلمين من النصر فقال اذ تستغيثون ربكم اي تستجيرون بربكم يوم بدر من اعدائكم وتسالونه النصر عليهم لقلتكم وكثرتهم فلم يكن لكم مفزع الا التضرع والدعاء له في كشف الضر عنكم والاستغاثة طلب المعونة والغوث وقيل معناه تستنصرون والفرق بين المستنصر والمستجير ان المستنصر طالب الظفر والمستجير طالب الخلاص فاستجاب لكم والاستجابة هي العطية على موافقة المسئلة فمعناه فاغاثكم واجاب دعاءكم اني ممدكم اي مرسل اليكم مددا لكم بالف من الملائكة مردفين اي متبعين الفا اخر من الملائكة لان كل واحد منهم ردف له عن الجبائي وقيل معناه مترادفين متتابعين وكانوا الفا بعضهم في اثر بعض عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه بالف من الملائكة جاؤوا على اثار المسلمين عن ابن عباس وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم معناه وما جعل الله تعالى الامداد بالملائكة الا بشرى لكم بالنصر ولتسكن به قلوبكم وتزول الوسوسة عنها والا فملك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبرئيل عليه السلام بقوم لوط فاهلكهم بريشة واحدة واختلف في الملائكة هل قاتلت يوم بدر ام لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت قال مجاهد انما امدهم بالف مقاتل من الملائكة فاما ما قاله سبحانه في آل عمران بثلاثة الاف وخمسة الاف فانه للبشارة وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه وروي عن ابن مسعود وقيل ساله ابوجهل من اين كان ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لا انتم وعن ابن عباس ان الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت وما النصر الا من عند الله معناه انه لم يكن النصر من قبل الملائكة وانما كان من قبل الله لانهم عباده ينصرهم من يشاء كما ينصر غيرهم ويحتمل ان يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قل العدد ام كثر ان الله عزيز لا يمنع عن مراده حكيم في افعاله يجريها على ما يقتضيه الحكمة اذ يغشيكم النعاس قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا والنعاس اول النوم قبل ان يثقل امنة اي امانا منه اي من العدو وقيل من الله فان الانسان لا ياخذه النوم في حال الخوف فامنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف منهم والامن منيم والامنة الدعة التي تنافي المخافة وايضا فانه قواهم بالاستراحة على القتال من العدو وينزل عليكم من السماء

الى الامداد م

في ذلك الوقت ويجوز الا يكون على تقدير واذكروا اذ يغشيكم النعاس واذ يوحي ذلكم فذوقوه تقديره الامر ذلكم فيكون خبر مبتدا م

ماء اي مطرا ليطهركم به وذلك لان المسلمين قد سبقهم الكفار على الماء فنزلوا على كثيب رمل واصبحوا محدثين ومجنبين واصابهم الظماء ووسوس اليهم الشيطان فقال ان عدوكم قد سبقكم الى الماء وانتم تصلون مع الجنابة والحدث وتسوخ اقدامكم في الرمل فمطرهم الله حتى اغتسلوا عن الجنابة وتطهروا به من الحدث وتلبدت به ارضهم واوحلت به ارض عدوهم ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة عن ابن زيد وقيل معناه يذهب عنكم الجنابة التي اصابتكم بالاحتلام وليربط على قلوبكم اي وليشد على قلوبكم ومعناه يشجع قلوبكم ويزيدكم قوة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر ويثبت به الاقدام في الحرب بتلبيد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر وقوة القلب عن ابي عبيدة والهاء في به يرجع الى الماء المنزل وقيل الى ما تقدم من الربط على القلوب اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم يعني الملائكة الذين امد بهم المسلمين اي معكم بالمعونة والنصرة كما يقال فلان مع فلان على فلان والايحاء القاء المعنى الى النفس من وجه يخفى وقد يكون ذلك بنصب دليل يخفى الا على من القي اليه من الملائكة فثبتوا الذين امنوا يعني بشروهم بالنصر فكان الملك يسير امام الصف في صورة الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم عن مقاتل وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتوهم باشياء تلقونها في قلوبهم يقوون بها عن الزجاج سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف من اوليائي فاضربوا فوق الاعناق يعني الرؤس لانها فوق الاعناق قال عطا يريد كل هامة وجمجمة وهذا امر للمؤمنين وجائز ان يكون امرا للملائكة وهو الظاهر قال ابن الانباري الملائكة حين امرت بالقتال لم تعلم اين يقصد بالضرب من الناس فاعلمهم الله تعالى واضربوا منهم كل بنان يعني الاطراف من اليدين والرجلين عن ابن عباس وابن جريج والسدي وقيل الاطراف الاصابع اكتفى الله بها من جملة اليد والرجل عن ابن الانباري ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله معناه ذلك العذاب لهم والامر بضرب الاعناق والاطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله ورسوله ثم اوعد المخالف فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب في الدنيا بالاهلاك وفي الآخرة في النار ذلكم فذوقوه اي هذا الذي اعددت لكم من الاسر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلا وان للكافرين آجلا في المعاد عذاب النار قال الحسن ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا وان لكم ولسائر الكافرين في الآخرة عذاب النار ومعناه كونوا للعذاب كالذائق للطعام وهو الطالب ادراك الطعم بتناول اليسير بالفم لان معظم العذاب بعده **تمام القصة** ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه واله يوم بدر عبأ اصحابه فكان في عسكره فرسان فرس للزبير بن العوام وفرس للمقداد بن الاسود الكندي وكان في عسكره سبعون جملا كانوا يتعاقبون عليها وكان رسول الله صلى الله عليه واله وعلي بن ابي طالب عليه السلام ومرثد بن ابي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد بن مرثد وكان في عسكر قريش اربعمائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله قال ابوجهل ما هم الا اكلة راس لو بعثنا اليهم عبيدنا لاخذوهم اخذا باليد فقال عتبة بن ربيعة اترى لهم كمينا ومددا فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارسا شجاعا فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله صلى الله عليه واله ثم رجع فقال ما لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع اما ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعي ما لهم ملجاء الا سيوفهم وما اراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتاؤا رايكم فقال ابوجهل كذبت وجبنت فانزل الله سبحانه وان جنحوا للسلم فاجنح لها فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه واله فقال يا معشر قريش اني اكره ان ابداكم فخلوني والعرب وارجعوا فقال عتبة ما رد هذا قوم قط فافلحوا ثم ركب جملا له احمر فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه واله وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال فقال ان يكن عند احد خير فعند صاحب الجمل الاحمر وان يطيعوه يرشدوا وخطب عتبة فقال في خطبته يا معشر قريش اطيعوني اليوم واعصوني الدهر ان محمدا له ال وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فان يك صادقا فانتم اعلى عينا به وان يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب امره فغاظ اباجهل قوله وقال له جبنت وانتفخ سحرك فقال يا مصفر استه مثلي يجبن وستعلم قريش اينا الأم واجبن واينا المفسد لقومه ولبس درعه وتقدم هو واخوه شيبة وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج الينا اكفاءنا من قريش فبرز اليهم ثلاثة نفر من الانصار وانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا انما نريد

اي

اي اقدامكم م

الا اكفاءنا من قريش فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله الى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان يومئذ سبعون سنة
فقال له قم يا عبيدة فنظر الى حمزة فقال قم يا عم ثم نظر الى علي بن ابي طالب عليه السلم فقال قم يا علي وكان اصغر القوم فاطلبوا بحقكم
الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد ان تطفئ نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بعتبة بن
ربيعة وقال لحمزة عليك بشيبة وقال لعلي عليه السلم عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا الى القوم فقالوا اكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على
راسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فاطنها فسقطا جميعا وحمل شيبة على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما و
حمل امير المومنين عليه السلم على الوليد فضربه على حبل عاتقه فاخرج السيف من ابطه فقال علي عليه السلم لقد اخذ الوليد
يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت ان السماء قد وقعت على الارض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون اما ترى يا علي
الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي عليه السلم ثم قال يا عم طاطئ راسك وكان حمزة اطول من شيبة فادخل حمزة راسه في صدره
فضربه علي عليه السلم فطرح نصفه ثم جاء الى عتبة وبه رمق فاجهز عليه وفي رواية اخرى انه برز حمزة لعتبة وبرز عبيدة لشيبة و
برز علي للوليد فقتل حمزة عتبة وقتل عبيدة شيبة وقتل علي عليه السلم الوليد وضرب فاستعبر وقال الست يا رسول الله شهيد
قال بلى انت اول شهيد من اهل بيتي وقال ابو جهل لقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر ابناء ربيعة عليكم باهل يثرب فاجزروهم
جزرا وعليكم بقريش فخذوهم اخذا حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها وجاء ابليس في صورة سراقة بن مالك
بن جشعم فقال لهم انا جار لكم ادفعوا الي رايتكم فدفعوا اليه راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر اليه رسول الله صلى الله
عليه وآله فقال لاصحابه غضوا ابصاركم وعضوا على النواجذ ورفع يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة لا تعبد ثم اصابه
الغشي فسري عنه وهو يسلت العرق من وجهه فقال هذا جبرئيل عليه السلم قد اتاكم في الف من الملائكة مردفين وروى
ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رايت يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقطع راسه من جسده قبل ان يصل
اليه السيف قال ابن عباس حدثني رجل من بني غفار قال اقبلت انا وابن عم لي حتى اصعدنا على جبل يشرف بنا على بدر ونحن
مشركان ننتظر الوقعة على من يكون الدبرة فبينا نحن هناك اذ دنت منا سحابة سمعنا فيها حمحمة الخيل وسمعت قائلا يقول اقدم
حيزوم قال فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه واما انا فكدت اهلك ثم تماسكت وروى عكرمة عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وآله قال يوم بدر هذا جبرئيل آخذ براس فرسه عليه اداة الحرب اورده البخاري في الصحيح قال عكرمة قال
ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت واسلمت
ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره ان يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان
ابو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه
رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال وكنت رجلا ضعيفا
وكنت اعمل القداح انحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس فيها انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من
الخبر اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على جانب الحجرة وكان ظهره الى ظهري فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا
ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وقد قدم فقال ابو لهب هلم الي يا ابن اخي فعندك الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه
فقال يا ابن اخي اخبر كيف كان امر الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا فقتلونا ويأسرون كيف
شاؤوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال
ابو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرفع ابو لهب يده وضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته فاحتملني فضرب
بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته ضربة فلقت راسه
شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة
فقتلته ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلاثا ما يدفنانه حتى انتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون

شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنقذه
حمزة وعلي وحمل عبيدة حمزة وعلي حتى
اتيا به الى رسول الله صلى م

حتى

حتى قال لهما رجلان من قريش ويحكما الا تستحيان ان اباكما قد انتن في بيته لا تغيبانه فقالا انا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا
فانا معكما فما غسلوه الا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفنوه باعلى مكة الى جدار وقذفوا عليه الحجارة حتى
واروه وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابا اليسر كعب بن عمرو واخي بني سلمة وكان ابا اليسر رجلا مجموعا
وكان العباس رجلا جسيما فقال الرسول صلى الله عليه وآله لابي اليسر كيف اسرت العباس يا ابا اليسر قال يا رسول
لقد اعانني عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد اعانك عليه ملك كريم
قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ثلث آيات اللغة اللقاء
الاجتماع على وجه المقاربة لان الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع الاعراض في المحل الواحد الزحف
الدنو قليلا قليلا والتزاحف التداني يقال زحف يزحف زحفا وزحفت القوم اذا دنوت اليهم لقتالهم وثبت لهم قال الليث
الزحف جماعة يزحفون الى عدو لهم بمرة وجمعه زحوف والتولية جعل الشيء يلي غيره يقال ولاه دبره اذا جعله يليه
فهو يتعدى الى مفعولين ومنه ولاه البلد ولاية الامارة وتولى هو اذا قبل الولاية وولاه [illegible] لانه جعلها تليه والتحرف
الزوال عن جهة الاستواء الى جهة الحرف ومنه الاحتراف وهو ان يقصد جهة الحرف الجبل ونحوه والتحيز طلب حيز يتمكن فيه و
الحيز المكان الذي فيه الجوهر والفئة القطيعة من الناس وهي جماعة منقطعة عن غيرها وذكر الفئة في هذا الموضع حسن جدا
وهو من فاوت راسه بالسيف اذا قطعته الاعراب زحفا نصب على المصدر وهو في موضع الحال لان معناه متزاحفين
مجتمعين ومتحرفا ومتحيزا منصوبان على الحال ايضا ويجوز ان يكون النصب فيهما على الاستثناء اي الا ان يكون رجلا متحيزا
او يكون منفردا فينحاز ليكون مع المقاتلة ويومئذ يجوز اعرابه وبناؤه فالاعراب لانه متمكن اضيف على تقدير الاضافة
الحقيقية كقولك هذا يوم ذاك واما البناء فلانه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية فاشبه الاسماء المركبة المعنى لما امر
سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم النصر والظفر بالكفار نهاهم عقيبه عن الفرار فقال سبحانه يا ايها الذين آمنوا قيل انه
خطاب لاهل بدر وقيل هو عام اذا لقيتم الذين كفروا زحفا اي متدانين لقتالكم قال الزجاج معناه اذا واقفتموهم للقتال
فلا تولوهم الادبار يعني فلا تجعلوا ظهوركم مما يليهم اي فلا تنهزموا ومن يولهم يومئذ دبره اي ومن يجعل ظهره اليهم يوم
القتال ووجهه الى جهة الانهزام واراد بقوله يومئذ ذلك الوقت ولم يرد به بياض النهار خاصة دون الليل
الا متحرفا لقتال اي الا تاركا موقفا لموقف آخر اصلح للقتال من الاول عن الحسن وقيل معناه الا منعطفا مستطردا
كانه يطلب عورة يمكنه اصابتها فينحرف عن وجهه ويرى انه يفر ثم يكر والحرب كر وفر او متحيزا الى فئة اي منحازا منضما الى
جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم فقد باء بغضب من الله اي احتمل غضب الله واستحقه وقيل
رجع بغضب من الله ومأواه جهنم اي مرجعه الى جهنم وبئس المصير واكثر المفسرين على ان هذا الوعيد خاص بيوم بدر خاصة
ولم يكن لهم يومئذ ان يتجاوزوا لانه لم يكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين فاما بعد ذلك فان للمسلمين بعضهم فئة
لبعض وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والضحاك وقتادة والحسن وصحت الرواية عن ابن عمر قال
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله في سرية فلقوا العدو فحاص الناس حيصة فاتينا المدينة فتخبانا بها وقلنا يا رسول
الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وقيل انه عام في جميع الاوقات وان من فر من الزحف اذا لم
يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس في رواية اخرى وهو قول الجبائي وابي مسلم ثم نفى سبحانه ان يكون
المسلمين قتلوا المشركين يوم بدر فقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وانما نفى الفعل عمن فعله على الحقيقة ونسبه الى
نفسه وليس بفعل له من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمودي اليه من اقداره اياهم ومعونته

لطلب الرزق والمحارف المحدود عن جهة
الرزق الى جهة الحرف ومنه حروف الهجاء
لانها اطراف الكلمة كحرف م

لهم وتشجيع قلوبهم والقاء الرعب فى قلوب اعدائهم المشركين حتى قتلوا وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى خطاب للنبى صلى الله
عليه واله ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ان جبرئيل عليه السّلم قال للنبى صلى الله عليه واله يوم بدر خذ
قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله صلى الله عليه واله لما التقى الجمعان لعلى عليه السّلم اعطنى قبضة من حصى الوادى
فناوله كفا من حصى عليه تراب فرمى به فى وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا دخل فى عينه وفمه ومنخريه منها
شئ ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة وانس ذكر لنا ان رسول
الله صلى الله عليه واله اخذ يوم بدر ثلث حصيات فرمى بحصاة فى ميمنة القوم وحصاة فى ميسرة القوم وحصاة بين اظهرهم
وقال شاهت الوجوه فانهزموا فعلى هذا انما اضاف الرمى الى نفسه لانه لا يقدر احد غيره على مثله فانه من عجايب
المعجزات وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا اى ولينعم به عليهم نعمة حسنة اى فعل ذلك انعاما على المؤمنين والضمير فى منه
راجع الى النصر اى من ذلك النصر ويجوز ان يكون راجعا الى الله تعالى ان الله سميع عليم بافعالكم وضمايركم وانما يقال للنعمة
بلاء كما يقال للمضرة بلاء لان من اصل البلاء ما يظهر به الامر من الشكر والصبر فيبتلى سبحانه عباده اى يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم
عليها وبالمحن والشدايد ليظهر عندها الصبر الموجب للاجر والبلاء الحسن هنا هو النصر والغنيمة والاجر والمثوبة النظم
وقيل فى وجه اتصال هذه الاية بما قبلها وجهان احدهما انه سبحانه لما امرهم بالقتال فى الاية المتقدمة ذكر عقيبها ان ما كان من الفتح
يوم بدر وقهر المشركين انما كان بنصرته ومعونته تذكيرا للنعمة عن ابى مسلم والاخر انهم لما امروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول
انا قتلت فلانا وانا فعلت كذا نزلت الاية على وجه التنبيه لهم لئلا يعجبوا باعمالهم قوله عز وجل ذلكم وان الله موهن
كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا
ولو كثرت وان الله مع المؤمنين يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون اربع
ايات القراءة قرا اهل الحجاز وابو عمرو ويعقوب برواية روح موهن بالتشديد كيد بالنصب وقرا حفص عن عاصم
موهن بالتخفيف غير منون كيد بالجر على الاضافة وقرا الباقون موهن بالتخفيف والتنوين كيد بالنصب وقرا اهل المدينة
وابن عامر وحفص وان الله مع المؤمنين بفتح الالف والباقون بكسر الالف الحجة من قرا موهن فان من اوهنته اى جعلته
واهنا ومن شدد فانه من وهنته كما يقال فرح وافرحته وكلاهما حسن ومن قرا وان الله بكسر الهمزة فانه قطعه مما قبله
ويقويه انهم زعموا ان فى حرف عبد الله والله مع المؤمنين ومن فتح الهمزة فوجهه ان يكون على تقدير ولان الله مع
المؤمنين اى لذلك لن تغنى عنكم فئتكم اللغة الاستفتاح طلب الفتح وهو النصر الذى يفتح به بلاد العدو والفتح ايضا
الحكم ويقال للقاضى الفتاح واصل الباب من الفتح الذى هو ضد الاغلاق والانتهاء ترك الفعل لاجل النهى عنه يقال
نهيته فانتهى وامرته فأتمر الاعراب ذلكم موضعه رفع وكذلك ان الله فى موضع رفع وتقديره الامر ذلكم والامر
ان الله موهن وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار ومن قال ان ذلكم مبتدأ
وفذوقوه خبره فقد اخطأ لان ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ لا يجوز زيد فمنطلق ولا زيد فاضربه الا ان
تضمر هذا تريد هذا زيد فاضربه المعنى ذلكم اشارة الى بلاء المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد ان اخبر عنهم ومعناه الامر ذلكم
الانعام او ذلكم الذى ذكرت وان الله موهن كيد الكافرين بالقاء الرعب فى قلوبهم وتفريق كلمتهم قال ابن عباس يقول
انى قد اوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقيل انه خطاب للمشركين فان
ابا جهل قال يوم بدر حين التقى الفئتان اللهم اقطعنا للرحم واتانا بما لا يعرف فاحنه الغداة عن الحسن ومجاهد والزهرى والضحاك
والسدى وفى حديث ابى حمزة قال ابو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فاى الدينين كان احب اليك وارضى
عندك فانصر اهله اليوم وعلى هذا فيكون معناه ان تستنصروا لاحدى الفئتين فقد جاءكم الفتح اى نصر محمد واصحابه وقيل
انه خطاب للمؤمنين عن عطا وابى على الجبائى ومعناه تستنصروا على اعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبى صلى الله عليه واله قال الزجاج

لدعائكم م

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ح

ويجوز ان يكون معناه ان تستحكموا وتستقضوا فقد جاءكم القضاء الحكم من الله وان تنتهوا اى تمتنعوا من الكفر وقتال الرسول
والمؤمنين فهو خير لكم وان تعودوا نعد معناه وان تعودوا ايها المشركون الى قتال المسلمين نعد بان ننصرهم عليكم وتامرهم
بقتالكم ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا اى ولن يدفع عنكم جماعتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين بالنصر والحفظ يمكنهم منكم
ينصرهم عليكم عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وان تنتهوا ايها المسلمون عما كان منكم فى الغنايم وفى الاسارى من مخالفة الرسول
فهو خير لكم وان تعودوا الى ذلك الصنيع نعد الى الانكار عليكم وترك نصرتكم ولن تغنى حينئذ عنكم جمعكم شيئا اذ منعناكم
النصر عن عطا والجبائى ثم امر سبحانه بالطاعة التى هى سبب النصرة فقال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله خص المؤمنين
بطاعة الله هى سبب النصرة فقال ورسوله وان كانت واجبة على غيرهم ايضا لانه لم يعتد بغيرهم لاعراضهم عما وجب عليهم ويجوز
ان يكون انما خصهم اجلالا لقدرهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع ولا تولوا عنه اى ولا تعرضوا عن رسول الله صلى الله
عليه واله وانتم تسمعون دعاءه لكم وامره ونهيه اياكم عن ابن عباس وقيل معناه وانتم تسمعون الحجة الموجبة لطاعة الله وطاعة
الرسول عن الحسن ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون وفى الكلام حذف ومعناه ولا تكونوا مثلهم فى قولهم هذا المنكر
فحذف المنهى عنه لدلالة الحال عليه وفى ذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون انهم سمعوا سماع عالم
قابل له وليسوا كذلك والسماع بمعنى القبول كما فى قوله سمع الله لمن حمده وهؤلاء هم المنافقون عن ابن اسحق ومقاتل وابن
جريج والجبائى وقيل هم اهل الكتاب من اليهود قريظة والنضير عن ابن عباس والحسن وقيل انهم مشركوا العرب لانهم قالوا
قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قوله عز وجل ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله
فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون ايتان اللغة الشر اظهار السوء الذى يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير
وقيل الشر الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لانه قد يكون ضررا لا يكون شرا بان يعقب خيرا واصل الشر
الاظهار من قوله اذا قيل لهم اى الناس شر قبيلة اشرت كليبا بالاكف الاصابع والدواب جمع دابة وهى ما دب على الارض
الا انه خصص فى العرف بالخيل المعنى ثم ذم سبحانه الكفار فقال ان شر الدواب اى من شر من دب على وجه الارض من الحيوان
الصم البكم الذين لا يعقلون يعنى هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعتقدونه ولا يقرون به فكانهم
صم بكم ولا يتفكرون ايضا فيما يسمعون فكانهم لم ينتفعوا بعقولهم ايضا وصاروا كالدواب وقال الباقر عليه السلم نزلت هذه
الاية فى بنى عبد الدار ولم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط وقيل نزلت فى النضر بن الحرث بن كلدة
من بنى عبد الدار بن قصى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم معناه لو علم الله فيهم قبولا للهدى واقبالا على طلب الحق لاسمعهم ما يدعون
عن استماعه عن الحسن وقيل معناه لاسمعهم الجواب عن كل ما سالوا عنه عن الزجاج وقيل معناه لاسمعهم قول قصى بن كلاب ليشهد
بنبوتك عن الجبائى ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون اى لاعرضوا وفى هذا دلالة على ان الله تعالى لا يمنع احدا من المكلفين اللطف
وانما لا لطف لمن يعلم انه لا ينتفع به قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم و
اعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة و
اعلموا ان الله شديد العقاب ايتان القراءة قراءة امير المؤمنين على عليه السّلم وزيد بن ثابت وابو جعفر الباقر عليه السّلم
والربيع بن انس وابو العالية لتصيبن والقراءة المشهورة لا تصيبن الحجة قال ابن جنى معنى هاتين القراءتين ضدان كما ترى لان
احدهما لتصيبن الذين ظلموا خاصة والاخرى لا تصيبنهم ويمكن ان يكون حذفت الالف من لا تصيبن تخفيفا فان قلت فهل يجوز
ان تحمله على انه اراد لتصيبن ثم اشبع الفتحة فانشا عنها الفا كقول عنترة ينباع من ذفرى غضوب جسرة وارادينبع ومثله قول
ابن هرمة فانت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح اى بمنتزح وقيل قوله تعالى فيما يليه واعلموا ان الله شديد
العقاب يشبه بما ذكرناه واما الوجه فى قوله لا تصيبن فقد قال تعالى فيما يليه واعلموا ان الله شديد العقاب اشبه بما ذكرناه
واما الوجه فى قوله لا تصيبن فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين ان هذا كلام جزاء فيه طرف من النهى فاذا قلت انزل عن الدابة

النبيح والخير النفع الحسن وقيل الشرم

فانهم قالوا احى لنا قصى بن كلاب ح

واكتفا بالفتح منها كما قالوا ام واللذ
ليكونن كذا فحذف الالف من اما
وذهب ابو عثمان فى قوله يا ابت
بفتح التاء انه اراد ابتا فحذف الالف تخفيفا ح

لا تطرحنك الخ لا تطرحنك فهذا جواب الامر بلفظ النهي والمعنى انزل ان تنزل عنه لا تطرحنك فاذا اتيت بالنون الخفيفة او الثقيلة

عن ابن عباس وروى انه سئل عنها فقال ابصروا امامهم

كان اوكد للكلام ومثله قوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن والمعنى ان تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز ان يكون نهيا تقديره بعد امر فيكون المعنى اتقوا فتنة ثم نهى بعد فقال لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا اى لا تتعرض للذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب يعني يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم انها امرت بالدخول ثم نهاهم ان يحطمهم سليمن فقال لا يحطمنكم سليمن وجنوده فلفظه النهي لسليمن ومعناه للنمل كما تقول لا ارينك ههنا قال ابو علي انه يحكى القول الاول على جهة الاحتمال الاية كاحتمالها القول الثاني فاما القول الثاني فقول ابي الحسن ولا يصح عندنا الا الاول ابي الحسن لان قوله لا تصيبن لا يخ اما ان يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لان دخول النون قد يكون لضرورة الشعر كما انشد سيبويه ومهما تشاء منه فزارة تمنعا واما ان يكون نهيا بعد امر واستغنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالاولى كما مضى ذكر امثاله من قوله ثلاثة رابعهم كلبهم ونظائره اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا هو الصحيح دون الاول قال ومع ان يكون جواب الامر بلفظ النهي لان جواب الامر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز ان يكون اللفظ لفظ النهي والمعنى معنى الجزاء لان الجزاء خبر فحكمه ان يكون على اللفظ الاخبار والفاظ الاخبار لا تجيء على لفظ الامر الا فيما علمه من قولهم اكرم به ومما يدل على انه ليس بجزاء دخول النون فيه والنون لا يدخل في الجزاء لما ذكرنا انه خبر ولا يجوز دخول النون في الخبر الا في ضرورة الشعر نحو ربما اوفيت في علم يرفعن ثوبي شمالات المعنى ثم امر سبحانه بطاعة الرسول صلى الله عليه واله فقال يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اى اجيبوا الله والرسول فيما يامركم به فاجابة الله والرسول طاعتهما فيما يدعوان اليه اذا دعاكم لما يحييكم قيل فيه اقوال احدها ان معناه اذا دعاكم الى الجهاد والحياة في معنى الى قال القتيبي هو الشهادة فان الشهداء احياء عند الله تعالى قال الجبائي اى دعاكم الى احياء امركم واعزاز دينكم بجهاد عدوكم مع نصر الله اياكم وهو معنى قول الفراء وثانيها ان معناه اذا دعاكم الى الايمان فانه حياة القلب والكفر موته عن السدي وقيل عن مجاهد وثالثها ان معناه اذا دعاكم الى القران والعلم في الدين لان الجهل موت والعلم حياة والقران سبب الحيوة بالعلم وفيه النجاة والعصمة عن قتادة ورابعها ان معناه اذا دعاكم الى الجنة لما فيها من الحيوة الدائمة ونعيم الابد عن ابي مسلم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اى بين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات

والثاني انها تخص الظالم لان الغرض منع الناس عن الظلم واتقوا عذابا يصيب الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرأ لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة باللام فانه يفسر على هذا المعنى وقيل ان لا في قوله لا تصيبن زائدة ويجوز ان يقال ان الالف في لا الا لاشباع الفتحة على ما تقدم ذكره قال ابو مسلم تقديره احذروا ان يخص الظالم منكم بعذاب اى لا تظلموا فياتيكم عذاب لا ينجو منه الا من زال عنه اسم الظلم واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتق المعاصي وروى الثعلبي باسناده عن حذيفة انه قال ستكون فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب موضع كل خطيب مصقع وفي حديث ابي ايوب الانصاري ان النبي صلى الله عليه واله قال لعمار انه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم حتى يقتل بعضهم بعضا وحتى يتبرأ بعضهم من بعض فاذا رايت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني يعني علي بن ابي طالب ع فان سلك الناس كلهم واديا وسلك علي واديا فاسلك وادي علي وخل عن الناس يا عمار ان عليا لا يردك عن الهدى ولا يدلك على ردى يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله رواه السيد ابو طالب الهروي باسناده عن علقمة والاسود قالا اتينا ابا ايوب الانصاري الخبر بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابي القسم الحسكاني رحمه الله وحدثنا عنه السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني حدثني محمد بن القسم بن احمد قال حدثنا ابو سعيد محمد بن الفضل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العرزمي قال حدثنا عبد الرحمن بن ابي حاتم قال حدثنا ابو سعيد الاشج عن ابي خلف الاحمر عن ابرهيم بن طهمان عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية واتقوا فتنة قال النبي صلى الله عليه واله من ظلم عليا مقعدي هذا بعد وفاتي فكانما جحد نبوتي ونبوة الانبياء قبلي

قوله عز وجل وَاذْكُرُوا اِذْ اَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْاَرْضِ تَخَافُونَ اَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَيكُمْ وَاَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اللغة الذكر ضد السهو وهو احضار المعنى للنفس والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله والتخطف الاخذ بسرعة انتزاع يقال تخطف وخطف واختطف المعنى ثم ذكر سبحانه حالتهم السالفة في القلة والضعف وانعامه عليهم بالنصر والتاييد والتكثير فقال واذكروا يا معشر المهاجرين اذ انتم قليل في العدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الاسلام مستضعفون بطلب ضعفكم بتهوين امركم في الارض اى في مكة عن ابن عباس والحسن تخافون ان يتخطفكم الناس اى يستلبكم المشركون من العرب ان خرجتم منها وقيل انه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة وقيل فارس والروم عن وهب فآويكم اى جعل لكم ماوى ترجعون اليه يعني المدينة دار الهجرة وايدكم بنصره اى قويكم ورزقكم من الطيبات يعني الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم وقيل هي عامة في جميع ما اعطاهم من الاطعمة اللذيذة لعلكم تشكرون اى لكي تشكروا والمعنى قابلوا حالكم التي انتم عليها الان بتلك الحال المتقدمة ليتبين لكم

موضع

موضع النعمة فتشكروا عليها قوله عز وجل يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا اَمَانَاتِكُمْ وَاَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَاعْلَمُوا اَنَّمَا اَمْوَالُكُمْ وَاَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاَنَّ اللهَ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظِيمٌ اللغة الخيانة منع الحق الذي قد ضمن التادية فيه وهي ضد الامانة واصلها ان تنقص من ايتمنك امانته قال زهير بارزة الفقارة لم يخنها قطاف في الركاب ولا خلاء اى لم ينقص من فراهتها الاعراب وتخونوا مجزوم على النهي وتقديره ولا تخونوا عن الاخفش وهو في معنى قول ابن عباس وقيل انه نصب على الظرف مثل قول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وهو في معنى قول السدي النزول قال عطا سمعت جابر بن عبد الله يقول ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبرئيل عليه السلم النبي صلى الله عليه واله فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا المشركين وقال الكلبي والزهري نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر الانصاري وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه واله الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى ان يعطيهم ذلك رسول الله صلى الله عليه واله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه واله فاتاهم فقالوا ما ترى يا ابا لبابة انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا فاتاه جبرئيل فاخبره بذلك قال ابو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الاية فيه فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه واله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال النبي صلى الله عليه واله يجزيك الثلث ان تصدق به وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم المعنى ثم امر سبحانه بترك الخيانة فقال يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول اى لا تخونوا الله في ترك فرايضه والرسول بترك سننه وشرايعه عن ابن عباس وقيل ان من ترك شيئا من الدين وضيعه فقد خان الله ورسوله عن الحسن وتخونوا اماناتكم يعني الاعمال التي ايتمن الله عليها العباد يعني الفرايض يقول لا تنقصوها عن ابن عباس وقيل انهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا اماناتهم عن السدي وانتم تعلمون ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل وانتم تعلمون انها امانة من غير شبهة واعلموا اى وتحققوا وايقنوا انما اموالكم واولادكم فتنة اى بلية عليكم ابتلاكم الله بها فان ابا لبابة حمله على ما فعله ماله الذي كان في ايديهم واولاده الذين كانوا بين اظهرهم وان الله عنده اجر عظيم لمن اطاعه وخرج الى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الاموال والاولاد بين سبحانه بهذه الاية انه يختبر خلقه بالاموال والاولاد ليتبين الراضي بقسمه ممن لا يرضى به وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن ليظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب والى هذا اشار امير المومنين عليه السلم في قوله لا يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فان الله سبحانه يقول واعلموا ان اموالكم واولادكم فتنة وقد روى هذا المعنى عن ابن مسعود ايضا قوله عز وجل يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ اية المعنى يا ايها الذين امنوا اى يا ايها المومنون ان تتقوا الله اى ان تتقوا عذاب الله باتقاء معاصيه واداء فرايضه يجعل لكم فرقانا اى هداية ونورا في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم نجاة عن السدي وقيل يجعل لكم فتحا ونصرا كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم عزا في الدنيا وثوابا في الاخرة وعقوبة وخذلانا لاعدائكم وذلا وعقابا كل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والاخرة عن الجبائي ويكفر عنكم سيئاتكم التي عملتموها ويغفر لكم ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم

حذركم نا نزل الله هذه الاية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي ثم فيفشونه حتى يبلغوا اهم

ثم تاب الله عليهم

على خلقه بما انعم عليهم من انواع النعم فاذا ابتلاهم بالفضل العظيم

من غير استحقاق كرماً منه وجوداً فانه لا يمنعهم ما استحقوه بطاعاتهم له وقيل معناه اذا ابتدأهم بنعيم الدنيا من غير استحقاق فعليه
اتمام ذلك بنعيم الاخرة باستحقاق وغير استحقاق النظم قيل اتصلت الاية باول السورة من الامر بالجهاد وتقديره ان تتقوا الله
ولم تخالفوه فيما امركم به من الجهاد يجعل لكم فرقاناً وقيل لما امر بالطاعة وترك الخيانة بين بعده ما اعده لمن امتثل امره في الدنيا
والاخرة قوله عز وجل وَاِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ اَوْ يَقْتُلُوكَ اَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ
اية اللغة المكر القتل الحيلة الشر في خفية قال الازهري المكر من الناس خب وخداع ومن الله جزاء واصل المكر الالتفاف ومن قولهم
جارية ممكورة قال ذو الرمة عجزاء ممكورة خمصانة قلق عنها الوشاح وتم الجسم والقصب اي ملتفة والفرق بين المكر والغدر ان الغدر
نقض العهد الذي يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد والاثبات الحبس يقال رماه فاثبته اي حبسه مكانه واثبته في
الحرب اذا جرحه جراحة مثقلة النزول قال المفسرون انها نزلت في قصة دار الندوة وذلك ان نفراً من قريش اجتمعوا فيها وهي
دار قصي بن كلاب وتوامروا في امر النبي صلى الله عليه وآله فقال عروة بن هشام نتربص به ريب المنون وقال ابو البختري اخرجوه
عنكم تستريحوا من اذاه وقال ابو جهل ما هذا برأي ولكن اقتلوه بان يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد
فترضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب ابليس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من اهل نجد وخطأ الاولين
فاتفقوا على هذا الرأي واعدوا الرجال والسلاح وجاء جبرئيل فاخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج الى الغار وامر علياً
عليه السلام فبات علي على فراشه فلما اصبحوا وفتشوا عن الفراش وجدوا علياً وقد رد الله مكرهم فقالوا اين محمد قال لا ادري فاقتصوا
اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه
فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة المعنى واذ يمكر بك الذين كفروا اي واذكر اذ يحتال الكفار في ابطال امرك وتدبرون في هلاكك
وهم مشركوا العرب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحرث وابو جهل بن هشام وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود
وحكيم بن حزام وامية بن خلف وغيرهم ليثبتوك اي ليقيدوك فيثبتوك في الوثاق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
وقيل ليثبتوك في الحبس ويسجنوك في بيت عن عطا والسدي وقيل معناه ليثخنوك بالجراحة والضرب عن ابان بن تغلب و
الجبائي وابي حاتم وانشد فقلت ويحك ماذا في صحيفتكم قالوا الخليفة امسى مثبتاً وجعاً او يقتلوك او يخرجوك من مكة الى
طرف من اطراف الارض وقيل او يخرجوك على بعير ويطردونه حتى يذهب في وجهه ويمكرون ويمكر الله اي ويدبرون في امرك ويدبر الله
في امرهم عن ابي مسلم وقيل ويحتالون في امرك من حيث لا يشعر فاحل الله بهم ما اراد من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجبائي
وقيل يمكرون والله يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها والله خير الماكرين لانه لا يمكر الا ما هو حق و
صواب وهو انزال المكروه بمن يستحقه والعباد قد يمكرون مكراً هو ظلم وباطل ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين
مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين وقيل معناه خير المجازين على المكر النظم الاية اتصلت بقوله واذكروا اذ انتم قليل تقديره
واذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر به الكفار بمكة عن ابي مسلم وغيره وقيل انها متصل بما قبلها من قوله ان تتقوا الله يجعل
لكم فرقاناً يعني يجعل لكم نجاة كما جعل للنبي صلى الله عليه وآله واصحابه النجاة من مكر مشركي قريش فاذكروا ذلك قوله عز وجل
وَاِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ اٰيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَا اِنْ هٰذَا اِلَّا اَسَاطِيرُ الْاَوَّلِينَ وَاِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ اِنْ كَانَ هٰذَا
هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيمٍ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَاَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ
اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَمَا لَهُمْ اَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا اَوْلِيَاءَهُ اِنْ اَوْلِيَاؤُهُ اِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ اربع ايات الاعراب هو الحق هو فصل
لا محل له من الاعراب وتسميه الكوفيون عماداً والحق منصوب بانه خبر كان ويجوز فيه الرفع ولكن لم يقرأ به واللام في قوله
ليعذبهم لام الجحد واصلها لام الاضافة وانما دخلت في النفي ولم تدخل في الايجاب لتعلق الخبر بحرف النفي كما دخلت الباء في خبر
ما ولم تدخل الايجاب وموضع ان في قوله ان لا يعذبهم الله نصب لان تقديره وما لهم في ان لا يعذبهم الله اي اي شيء لهم في ذلك

اولياؤه م

لكن

لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل الذي هو الاستقرار ونحوه وانما جاز الحذف مع ان ولم يجز مع المصدر لطول الكلام بالصلة اللازمة
من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر المعنى ثم اخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباهتتهم للحق فقال واذا تتلى عليهم
اياتنا من القران قالوا قد سمعنا اي ادركناه باذاننا فان السماع ادراك الصوت بحاسة الاذن لو نشاء لقلنا مثل هذا
انما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الاتيان بسورة مثله بعد التحدي عداوة وعناداً وقد يحمل الانسان شدة العداوة على ان يقول
ما لا يعلم وقيل انما قالوا ذلك لانه لم ينقطع طمعهم عن القدرة عليه في المستقبل اذ القران كان مركباً من كلمات جارية على السنتهم
فظنوا ان يتأتى لهم ذلك في المستقبل بخلاف صيرورة العصا حية فانه قد انقطع طمعهم عن الاتيان بمثله اذ جنس ذلك
لم يكن في مقدورهم ان هذا الا اساطير الاولين معناه ما هذا الا احاديث الاولين يتلوها علينا وكان قائل هذا النضر
بن الحرث بن كلدة واسر يوم بدر فقتله رسول الله صلى الله عليه وآله وعقبة بن ابي معيط قال يا علي علي بالنضر وابغيه فاخذ
علياً عليه السلام بشعره وكان رجلاً جميلاً له شعر فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد اسألك بالرحم بيني وبينك
الا اجريتني كرجل من قريش ان قتلتهم قتلتني وان فاديتهم فاديتني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا رحم بيني وبينك قطع
الله الرحم بالاسلام قدمه فقال يا علي فاضرب عنقه فضرب عنقه ثم قال يا علي علي بعقبة فاحضر فقال يا محمد الم تقل لا يصبر
قريش لا يقتلون صبراً فقال وانت من قريش انما انت علج من اهل صفورية والله لانت في الميلاد اكبر من ابيك الذي
تدعى له قال فمن للصبية قال عليه السلام النار ثم قال حن قدح ليس منها قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وآله
يوم بدر ثلاثة من قريش صبراً المطعم بن عدي والنضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط واذ قالوا اي واذكر يا محمد اذ قالوا هؤلاء
الكفار اللهم ان كان هذا الذي جاء به محمد هو الحق من عندك دون ما نحن عليه فامطر علينا حجارة من السماء كما امطرت
على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم اي شديد مؤلم والقائل بذلك النضر بن الحرث ايضاً عن سعيد بن جبير ومجاهد و
روي في الصحيحين ان هذا من قول ابي جهل ويسال هاهنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق وانما يطلب بالحق الخير و
الثواب والاجر والجواب انهم كانوا يعتقدون ان ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله ليس بحق من الله فاذا لم يكن حقاً لم يصبهم
شيء ويقال امطر من السماء والامطار لا يكون الا من السماء وفي هذا جوابان احدهما انه يجوز ان يكون امطار الحجارة من
مكان عال غير السماء والثاني انه على طريق البيان بين ثم قال سبحانه وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ذكر سبحانه سبب امهاله لهم
ومعناه وما كان الله ليعذب اهل مكة بعذاب الاستيصال وانت مقيم بين اظهرهم لفضلك ورحمتك يا محمد فان الله تعالى
بعثك رحمة للعالمين فلا يعذبهم الا بعد ان يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة باخراجك عنهم قال ابن عباس ان الله سبحانه
لم يعذب قوماً حتى اخرج نبيهم منها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون معناه وما كان الله يعذبهم وفيهم بقية من
المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين
لم يهاجروا لعذر وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله به العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفارهم فلما خرجوا اذن الله في
فتح مكة عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما يعذبهم الله بعذاب الاستيصال في الدنيا
وهم يقولون غفرانك ربنا وانما يعذبهم على شركهم في الاخرة عن ابن عباس في رواية اخرى ويزيد بن رومان وابي موسى
ومحمد بن مبشر وفي تفسير علي بن ابراهيم لما قال النبي صلى الله عليه وآله لقريش اني اقتل جميع ملوك الدنيا واجر الملك
اليكم فاجيبوني الى ما ادعوكم اليه تملكون بها العرب ويدين لكم العجم فقال ابو جهل اللهم ان كان هو الحق الاية حسداً لرسول الله
صلى الله عليه وآله ثم قال غفرانك اللهم ربنا فانزل الله وما كان الله ليعذبهم الاية ولما هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله و
اخرجوه من مكة انزل الله سبحانه وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام فعذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا
وقيل معناه انهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء الى الاستغفار عن ابن عباس في رواية اخرى والسدي وقتادة
وابن زيد قال مجاهد وفي اصلابهم من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلمون واراد بالاستغفار الاسلام وقد روي عن امير المؤمنين

على عليه السلم انه قال كان فى الارض امانان من عذاب الله وقد رفع احدهما فدونكم الاخر فتمسكوا به وقرا هذه الاية وروى ذلك عن
قتادة ايضا وما لهم الا يعذبهم الله معناه لم لا يعذبهم الله اى امر يوجب ترك تعذيبهم وهم يصدون عن المسجد الحرام اى يمنعون
عن المسجد الحرام وان سعوا فى عمارته ان اولياؤه الا المتقون معناه وما اولياء المسجد الحرام الا المتقون عن الحسن وهو
المروى عن ابى جعفر عليه السلم وقيل معناه وما كانوا اولياء الله الا المتقون الذين يتركون معاصى الله ويجتنبونها والاول
احسن وبيان فيقال كيف يجمع بين الايتين وفى الاولى نفى تعذيبهم وفى الثانية اثبات ذلك وجوابه على ثلاثة اوجه احدها
ان المراد بالاول عذاب الاستيصال والاصطلام كما فعل بالامم الماضية وبالثانى عذاب القتل بالسيف والاسر وغير ذلك
بعد خروج المومنين من بينهم والاخر انه اراد وما لهم الا يعذبهم الله فى الاخرة ويريد بالاول عذاب الدنيا عن الجبائى و
الثالث ان الاول استدعاء للاستغفار يريد انه لا يعذبهم بعذاب دنيا ولا اخرة اذا استغفروا وتابوا فلما لم يفعلوا عذبوا
ثم بين ان استحقاقهم للعذاب بصدهم عن الناس عن المسجد الحرام قوله عز وجل وما كان صلوتهم عند البيت الا
مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اية القراءة يروى فى الشواذ عن عاصم وما كان صلوتهم بالنصب
الا مكاء وتصدية بالرفع وروى ايضا عن ابان بن تغلب الحجة قال ابن جنى لسنا ندفع ان جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة
قبيح وانما جاءت منه ابيات شاذة لكن من وراء ذلك ما اذكره وهو ان نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته الا تراك تقول خرجت فاذا
اسد بالباب ولا فرق بينهما وذلك انك فى الموضعين لا تريد اسدا واحدا معينا وانما تريد واحدا من هذا الجنس واذا
كان كذلك جاز ههنا الرفع فى مكاء وتصدية جوازا قويبا كانه قال وما كان صلوتهم الا هذا الجنس من الفعل ولا
يكون مثل قولك كان قايم اخاك لانه ليس فى قايم معنى الجنسية وايضا فانه يجوز مع النفى ما لا يجوز مع الايجاب الا تراك
تقول ما كان انسان خيرا منك ولا يجيز كان انسان خيرا منك اللغة المكاء الصفير والمكاء طاير بالحجاز له صفير بالتشديد
يقال مكا يمكو امكاء اذا صفر بفيه قال عنترة وخليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الاعلم والتصدية التصفيق وهو
ضرب اليد على اليد ومنه الصدا صوت الجبل ونحوه المعنى ثم وصف سبحانه صلوتهم فقال وما كان صلوتهم يعنى هؤلاء
المشركين الصادين عن المسجد الحرام الا مكاء وتصدية قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون و
يصفقون وصلوتهم معناه دعاؤهم اى يقيمون المكاء والتصدية مكان الدعاء والتسبيح وقيل اراد ليس لهم صلوة ولا عبادة وانما
يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب فالمسلمون الذين يطيعون الله ويعبدونه عند هذا البيت احق بمنع المشركين منه
وروى ان النبى صلى الله عليه واله كان اذا صلى فى المسجد الحرام قام رجلان من بنى عبد الدار فذوقوا العذاب
يعنى عذاب السيف يوم بدر عن الحسن والضحاك وقيل عذاب الاخرة وعلى هذا فيكون فى الكلام حذف اى يقال لهم اذا
عذبوا ذوقوا بما كنتم تكفرون بتوحيد الله قوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل
الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون ثلث ايات بصرى ايتان عند
غيرهم عد البصرى يغلبون اية اللغة الحسرة الغم انكشف من فوت استدراك الخطيئة واصله الكشف من قولهم حسر عن
ذراعيه حسرا والتمييز اخراج الشىء عما خالفه مما ليس منه والحاقه بما هو منه يقال ميزته تمييزا وميزته يميزه فامتاز
نماز الازهرى الركم جمعك شيئا فوق شىء حتى تجعله ركاما مركوما كركام الرمل والسحاب وهو المتراكم بعضه فوق بعض النزول قيل
نزلت فى ابى سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش يقاتل بهم النبى صلى الله عليه واله سوى من استجاش
من العرب وفيهم يقول كعب بن مالك فجينا الى موج بحر من البحر وسطهم احابيش منهم حاسر ومقنع ثلاثة الاف ونحن
بقية ثلاث ماين ان كثرنا فاربع عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا
ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد الشمس ونبيه ومنبه ابناء الحجاج وابو البخترى بن هشام والنضر بن الحرث

اولياؤه محذوف لان ما بعده
بدل عليه وما كانوا اولياءه اى
وما كان المشركون اولياء المسجد الحرام
م

فتجعل معناه فاذا الاسد بالباب م

عن يمينه ويصفران ورجلان
عن يساره يصفقان بايديهما
فيخلطان عليه صلوته فقتلهم الله جميعا
ببدر ولهم يقول ولبقية
بنى عبد الدار م حسرة

وحكيم بن حزام وابى بن خلف وزمعة بن الاسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش
وكان كل يوم يطعم كل واحد منهم عشر جزر وكانت النوبة يوم الهزيمة للعباس عن الكلبى والضحاك ومقاتل وقيل لما اصيبت
قريش يوم بدر ورجع فلهم الى مكة مشى صفوان بن امية وعكرمة بن ابى جهل فى رجال من قريش اصيب اباؤهم واخوانهم
ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم
وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذى افلت على حربه لعلنا ان ندرك منه ثارا لمن اصيب منا ففعلوا فانزل الله تعالى
هذه الاية فيهم رواه محمد بن اسحق عن رجاله المعنى ثم ذكر سبحانه انفاق المشركين اموالهم فى معصية الله تعالى فقال ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم فى قتال الرسول والمومنين ليصدوا عن سبيل الله اى ليمنعوا بذلك الناس عن دين الله الذى اتى
به محمد صلى الله عليه واله وانما قال ليصدوا وان كان لم يقصدوا ذلك من حيث لم يعلموا ان ذلك دين الله لان فعلهم ذلك
صد عن دين الله وان لم يقصدوا ذلك فسينفقونها معناه فسيقع منهم الانفاق لها ثم تكون عليهم حسرة معناه ثم ينكشف لهم ويظهر من
ذلك الانفاق ما يكون حسرة عليهم من حيث انهم لا ينتفعون بذلك الانفاق لا فى الدنيا ولا فى الاخرة بل يكون وبالا عليهم
ثم يغلبون فى الحرب اى يغلبهم المومنون وفى هذا دلالة على صحة نبوة النبى صلى الله عليه واله لانه اخبر بالشىء قبل كونه فوجد
على ما اخبر به والذين كفروا الى جهنم يحشرون اى يجمعون الى النار بعد تحسرهم فى الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وانما اعاد
قوله والذين كفروا لان جماعة ممن انفقوا اسلموا بعد فخص منهم من مات على كفره بوعيد الاخرة ليميز الله الخبيث من الطيب معناه
ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المومنين ويجعل الخبيث بعضه على بعض اى ويجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض فيركمه
اى فيجمعه جميعا فى الاخرة فيجعله فى جهنم فيعاقبهم به كما قال يوم يحمى عليها فى نار جهنم الاية وقيل معناه ليميز الله الكافر من
المومن فى الدنيا بالغلبة والنصر والاسماء الحسنة والاحكام المخصوصة وفى الاخرة بالثواب والجنة عن ابى مسلم وقيل بان يجعل الكافر
فى جهنم والمومن فى الجنة ويجعل الخبيث بعضه فوق بعض فى نار جهنم ويضيقها عليهم فيركمه جميعا اى يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب
المركوم بان يكون بعضهم فوق بعض فى النار مجتمعين فيها فيجعله فى نار جهنم اى فيدخله جهنم اولئك هم الخاسرون قد خسروا
انفسهم لانهم اشتروا بانفاق الاموال فى المعصية عذاب الله فى الاخرة قوله عز وجل قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر
لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله
فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله موليكم نعم المولى ونعم النصير تلك ايات اللغة
الانتهاء الاقلاع عن الشىء لاجل النهى يقال نهاه عن كذا فانتهى والسنة والطريقة والسيرة نظاير قال فلا تجزعن من سنة
انت سرتها فاول راض سنة من يسيرها والسلوف التقدم والتولى عن الشىء هو الذهاب الى جهة الحق ومتابعته الاعراب وان تولوا
شرط وقوله فاعلموا ان الله موليكم امر فى موضع الجواب وانما جاز ذلك لان فيه معنى الخبر فكانه قال فواجب عليكم العلم بان
الله موليكم المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه واله بدعائهم الى التوبة والايمان فقال قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا اى
يتوبوا عما هم عليه من الشرك ويمتنعوا منه يغفر لهم ما قد سلف اى ما مضى من ذنوبهم وقيل معناه ان ينتهوا الى الموادعة
يغفر لهم ما قد سلف من المعاقبة وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين معناه وان يعودوا الى القتال واصروا على الكفر
فقد مضت سنة الله فى ابائكم وعادته فى نصر المومنين وكبت اعداء الدين والاسر والاسترقاق وانما ذكر ذلك تحذيرا لهم
واضاف السنة اليهم لانها كانت تجرى عليهم وقال سنة من قد ارسلنا رسلنا فاضاف السنة الى الرسل لانها كانت تجرى على
ايديهم ثم قال ولا تجد لسنتنا تحويلا فاضاف الى نفسه لانه هو المجرى لها وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة هذا خطاب للنبى صلى الله
عليه واله والمومنين بان يقاتلوا الكفار حتى لا يكون فتنة اى شرك عن ابن عباس والحسن ومعناه حتى لا يكون كافر بغير
عهد لان الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزا فى قومه ويدعوا الناس الى دينه فيكون الفتنة فى الدين وقيل حتى لا يفتتن
مومن عن دينه ويكون الدين كله لله اى ويجتمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به فيكون الدين

الدين الذهاب عنه الى خلافه
والتولى فيه م

عن المحاربة م

حينئذ كله لله باجتماع الناس عليه وروى زرارة وغيره عن ابى عبد الله عليه السلام انه قال لم يجئ تاويل هذه الاية ولو قد قام قائمنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من تاويل هذه الاية وليبلغن دين محمد صلى الله عليه واله ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك وغيره على ظهر الارض كما قال الله تعالى فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير معناه فان رجعوا عن الكفر واشهوا عنه فان الله يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بها باطنها وظاهرها لا يخفى عليه منها شئ وان تولوا عن دين الله وطاعته فاعلموا ايها المؤمنون ان الله مولاكم اى ناصركم وسيدكم وحافظكم فنعم السيد والحافظ ونعم النصير هو ينصر المؤمنين ويعينهم على طاعته ولا يخذل من هو ناصره قوله عز وجل وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ اية اللغة الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقتال وهى هبة من الله للمسلمين والفئ ما اخذ بغير قتال وهو قول عطا ومذهب الشافعى وسفيان وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلام وقال قوم الغنيمة والفئ واحد وادعوا ان هذه الاية ناسخة للتى فى الحشر من قوله ما افاء الله على رسوله الاية واليتيم الذى مات ابوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل امه الا الانسان فانه من قبل ابيه والمسكين الذى تحل له الصدقة وهو المحتاج الذى من شانه ان تسكنه الحاجة عما ينهض به الغنى وابن السبيل المسافر المنقطع به فى سفره وانما قيل ابن السبيل لان السبيل اخرجه الى هذا المستقر كما اخرجه ابوه الى مستقره الاعراب فان لله خمسه قيل فى فتح ان قولان احدهما ان تقديره فعلى ان لله خمسه ثم حذف حرف الجر والاخر انه عطف على الاولى وحذف خبر الاولى لدلالة الكلام عليه وتقديره واعلموا انما غنمتم من شئ يجب قسمته فاعلموا ان لله خمسه المعنى ثم بين سبحانه حكم الغنيمة فقال مخاطبا للمسلمين واعلموا ان ما غنمتم من شئ اى مما قل او كثر فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واختلف العلماء فى كيفية قسمة الخمس ومن يستحقه على اقوال احدها ما ذهب اليه اصحابنا وهو ان الخمس يقسم على ستة اسهم فسهم لله وسهم للرسول وهذان السهمان وسهم ذى القربى للامام القائم مقام الرسول صلى الله عليه واله وسهم ليتامى ال محمد صلى الله عليه واله وسهم لمساكينهم وسهم لابناء سبيلهم لا يشركهم فى ذلك غيرهم لان الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها اوساخ الناس وعوضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبرى عن على بن الحسين زين العابدين ومحمد بن على الباقر عليهم السلام وروى ايضا عن ابى العالية والربيع انه يقسم على ستة اسهم الا انهما قالا سهم الله للكعبة والباقى لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب ويقويه والثانى ان الخمس يقسم على خمسة اسهم وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم الى الكراع والسلاح وهو المروى عن ابن عباس وابرهيم وقتادة وعطا والثالث انه يقسم على اربعة اسهم سهم ذوى القربى لقرابة النبى صلى الله عليه واله والاسهم الثلثة لمن ذكر وابعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعى والرابع انه يقسم على ثلثة اسهم لان سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لان الانبياء لا تورث فيما يزعمون وسهم ذى القربى قد سقط لان ابا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذى القربى ولم ينكر ذلك احد من الصحابة عليهما وهو مذهب ابى حنيفة واهل العراق ومنهم من قال لو اعطى فقراء ذوى القربى سهما والاخرون ثلثة اسهم جاز ولو جعل ذو القربى اسوة الفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز واختلف فى ذوى القربى فقيل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لان هاشما لم يعقب الا منه عن ابن عباس ومجاهد واليه ذهب اصحابنا وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعى وروى ذلك عن جبير بن مطعم عن النبى صلى الله عليه واله وقال اصحابنا ان الخمس واجب فى كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات وفى الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور فى الكتب ويمكن ان يستدل بهذه الاية على ذلك فان فى عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة ونعود الى تاويل الاية قوله فان لله خمسه قالوا افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك لان الاشياء كلها له عز وجل والمراد مصروف الى الجهات المقربة الى الله تعالى والرسول قالوا كان للنبى صلى الله عليه واله من خمسة اسهم سهم يصرفه فى مؤنته وما فضل من ذلك يصرفه الى الكراع والسلاح والمصالح الذى

فنعم المولى اى

القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول صلى الله عليه واله على ما ذكرناه وقال الشافعى يصرف سهم الرسول الى الخيل والكراع فى سبيل الله وسهم ذى القربى لبنى هاشم وبنى المطلب يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه الغنى والفقير وروى عن الحسن وقتادة ان سهم الله وسهم الرسول وسهم ذى القربى للامام القائم من بعده ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين وهو مثل مذهبنا واليتامى والمساكين وابن السبيل قالوا ان هذه الاسهم الثلاثة لجميع الناس وانه يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم وقد بينا ان عندنا يختص باليتامى من بنى هاشم ومساكينهم وابناء سبيلهم ان كنتم امنتم بالله قال الزجاج يجوز ان يكون فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان اى فايقنوا ان الله ناصركم ان كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم ويجوز ان يكون ان كنتم امنتم بالله فاقبلوا ما امرتم به من الغنيمة واعملوا به وما انزلنا على عبدنا اى وامنتم بما انزلنا على محمد صلى الله عليه واله من القران وقيل من النصر وقيل من الملائكة او علمتم ان ظفرتم على عدوكم كان بنا يوم الفرقان يعنى يوم بدر لان الله فرق فيه بين المسلمين والمشركين باعزاز هولاء ... وقمع اولئك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا وجمع الكفار وهم بين تسعمائة الى الف من صناديد قريش ورؤسائهم فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين واسروا منهم مثل ذلك وكان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشر ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنين من الهجرة على راس ثمانية عشر شهرا وقيل كان تاسع عشر من شهر رمضان وقد روى ذلك عن ابى عبد الله عليه السلام والله على كل شئ قدير قد مر تفسيره فى سورة البقرة وفى تفسير الثعلبى قال المنهال بن عمرو سالت على بن الحسين عليهما السلام وعبد الله بن محمد بن على عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلى عليه السلام ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقال يتامانا ومساكيننا وروى العياشى باسناده عن ابى عبد الله عليه السلام قال كتب نجدة الحرورى الى ابن عباس يسأله عن موضع الخمس فكتب اليه ابن عباس اما الخمس فانا نزعم انه لنا ويزعم قومنا انه ليس لنا فصبرنا وعن ابى عبد الله عليه السلام قال ان الله تعالى لما حرم علينا الصدقة انزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال قوله عز وجل إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ثلث ايات كوفى اربع عند غيرهم القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو بالعدوة بكسر العين والباقون بضمها وقرا نافع وابو بكر عن عاصم والبزى عن ابن كثير حيى باظهار اليائين وقرا الباقون حى بالادغام الحجة الكسر والضم فى العدوة لغتان قال الراعى فى الكسر وعينان حمر ماقيهما كما نظر العدوة الجؤذر وقال اوس بن حجر فى الضم وفارس لا يحل الحى عدوته ولوا سراعا وهموا بابتال ومن ادغم حى فللزوم الحركة فى الثانى فجرى مجرى ردوا ذا الخبر وا عن جماعة قالوا احيوا فخففوا وقد جاء مدغما وحيوا قال عيوا بامرهم كما عيت ببيضتها الحمامة ومن اختار الاظهار فلامتناع الادغام فى مضارعه وهو يحيى فاجرى الماضى على شاكلة المستقبل اللغة العدوة شفير الوادى وللوادى عدوتان وهما جانباه والجمع عدى وعدى والدنيا تانيث الادنى من دنوت والقصوى تانيث الاقصى وما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فان العرب تحوله الى الياء نحو الدنيا والعليا استثقلوا الواو مع ضم الاول الا ان اهل الحجاز قالوا القصوى فاظهروا الواو وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا والاقصى الابعد والقصى البعد وقصوت منه اقصو اى تباعدت والركب جمع راكب مثل شارب وشرب وصاحب وصحب والعلو قرار تحته قرار والسفل قرار فوقه قرار والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحيوة والمنام موضع النوم كالمضطجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدد كما ان الكثرة زيادة على عدة والفشل ضعف من فزع والفعل منه فشل يفشل والتنازع الاختلاف الذى يحاول

والنسب ط

ان كنتم امنتم معلقة بقوله
معناه اعلموا ان ما غنمتم من شئ فان لله خمسه
وللرسول يامران فيه جايزيا ان كنتم
امنتم بالله م

ويحيى من حى عن بينة م

كل واحد ينزع صاحبه ماهو عليه والسلامة النجاة من الآفة واسلم الانسان دخل فى السلامة واسلمه اسلاما دفعه عن السلامة وسلم اذا نجاه واستلم بالحجر اذا طلب لمسه على السلامة والصدر من الموضع الاجل يكون فيه القلب وصدر المجلس اجله لانه موضع الرئيس والالتقاء اجتماع الاتصال لان الاجتماع قد يكون فى معنى من غير اتصال كاجتماع القوم فى الدار وان لم يكن هناك اتصال ويقال للعسكرين اذا اتصلا التقيا لوقوع العين على العين الاعراب انما نصب اسفل لانه تقدير بمكان اسفل او فى مكان اسفل فهو غير مصرف ويجوز ان يكون منصوبا على الظرف على تقدير والركب مكانا اسفل منكم قال الزجاج ويجوز ان ترفع اسفل على انك تريد والركب اسفل منكم اى اشد تسفلا المعنى ثم بين سبحانه نصرته للمسلمين ببدر فقال اذ انتم ايها المسلمون بالعدوة الدنيا قال ابن عباس يريد والله قدير على نصركم وانتم اقلة اذلة اذ انتم نزول بشفير الوادى الاقرب الى المدينة يعنى المشركين اصحاب النفير بالعدوة القصوى اى نزول بشفير الاقصى من المدينة والركب ليظفر بهم المومنون و ذلك قوله ويقللكم فى اعينهم وقد وردت الرواية عن ابن مسعود انه قال قلت لرجل بجنبى اتراهم سبعين رجلا فقال هم قريب من مائة وقد روى ان اباجهل كان يقول خذوهم بالايدى اخذا ولاتقتلوهم ومتى قيل كيف قللهم الله فى اعينهم مع رؤيتهم لهم فالقول انه يجوز ان يكون ذلك ببعض الاسباب المانعة من الرؤية اما بغبار او ما شاكله فيتخيلوهم باعينهم قليلا من غير رؤية عن الصحة لجميعهم وذلك لطف من الطافه تعالى ليقضى الله امرا كان مفعولا انما كرره سبحانه مع ذكره فى الاية الاولى لتكرر الفائدة لان المعنى فى الاية الاولى جمعكم من غير ميعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا من الالتقاء فى تلك الصفة والمعنى هنا انه قلل كل فريق فى اعين صاحبه ليقضى الله امرا كان مفعولا من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالاول الوعد بالنصر يوم بدر وبالثانى الاستمرار على النصر وقيل انما كرر للتاكيد وانما قال مفعولا والمعنى يكون مفعولا فى المستقبل لتحقيق كونه لامحالة حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه انه كائن لامحالة والى الله ترجع الامور مر معناه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ثلث ايات اللغة الريح الدولة قال عبيد بن الابرص كما حميناك يوم النعف من شطب والفضل للقوم من ريح ومن عدد اى عز ودولة البطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البيطار لانه يشق اللحم بالمبضع والرياء اظهار الجميل ليرى مع ابطان القبيح الاعراب فتفشلوا منصوب باضمار ان على معنى جواب النهى ولذلك عطف عليه وتذهب ريحكم ويصدون فى محل نصب بالعطف على قوله بطرا ورئاء الناس وهما مصدران وضعا موضع الحال والمعنى يبطرون ويراؤون يصدون ولايجوز ان يكون عطفا على خرجوا اذ لايعطف مستقبل على ماض المعنى ثم امر سبحانه بالثبات فى الحرب فقال يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة اى جماعة كافرة فاثبتوا لقتالهم ولاتنهزموا وانما اطلق الفئة لان من المعلوم ان المومن لايقاتل الا الفئة الكافرة او الباغية فحذف للايجاز واذكروا الله كثيرا مستعينين به على قتالهم ومتوقعين النصر من قبله عليهم وقيل معناه واذكروا ما وعدكم الله تعالى من النصر على الاعداء فى الدنيا والثواب فى الاخرة ليدعوكم ذلك الى الثبات فى القتال لعلكم تفلحون اى لكى تفلحوا وتنجحوا بالنصر والظفر بهم وبالثواب عند الله يوم القيمة واطيعوا الله ورسوله فيما يامركم ولاتنازعوا فى لقاء العدو ولاتختلفوا فيما بينكم فتجبنوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم وتذهب ريحكم معناه تذهب صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتكم وقال الاخفش دولتكم والريح ههنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا جرى امره على ما يريد وركدت ريحه اذا ادبر امره وقيل ان المعنى ريح النصر التى يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله عن قتادة وابن زيد ومنه قوله صلى الله عليه واله نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على قتال الاعداء ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا اى بطرين يعنى قريش خرجوا من مكة ليحموا عيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف يشربون الخمور وتعزف عليهم القيان ورئاء الناس

قيل انهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك الى الناس كانوا مرائين وقيل انهم وردوا بدرا ليروا الناس انهم لايبالون بالمسلمين وفى قلوبهم من الرعب ما فيه فسمى الله سبحانه ذلك رياء ويصدون عن سبيل الله اى يمنعون غيرهم عن دين الله والله بما تعملون محيط اى عالم باعمالهم فيجازيهم عليها لايخفى عليه منها شئ القصة قال ابن عباس لما راى ابوسفيان انه احرز عيره ارسل الى قريش ان ارجعوا فقال ابوجهل والله لانرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم فيها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلايزالون يهابوننا ابدا فوافوها فسقوا بها كؤس المنايا وناحت عليهم النوائح قوله عز وجل واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى ارى ما لاترون انى اخاف الله والله شديد العقاب اية المعنى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم دخلت الواو عطفا على حال المشركين فى خروجهم بطرا ورئاء الناس يعنى فى وقت تزيين الشيطان اعمالهم وقيل انه يعنى واذكروا اذ زين الشيطان للمشركين اعمالهم اى حسنها فى نفوسهم وذلك ان ابليس حسن لقريش مسيرهم الى بدر لقتال النبى صلى الله عليه واله وقال لاغالب لكم اليوم من الناس لكثرة عددكم وقوتكم وانى مع ذلك جار لكم اى ناصر لكم ودافع عنكم السوء وقيل معناه وانى عاقد لكم عقد الامان من عدوكم من قوله وهو يجير ولايجار عليه فلما تراءت الفئتان اى التقت الفرقتان نكص على عقبيه اى رجع القهقرى منهزما وراءه وقال انى برئ منكم انى ارى ما لاترون اى رجعت عما كنت ضمنت لكم من الامان والسلامة لانى ارى من الملائكة الذين جاؤوا لنصر المسلمين ما لاترون وكان ابليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه انى اخاف الله اى اخاف عذاب الله على ايدى من اراهم والله شديد العقاب اى لايطاق عقابه وقيل معناه انى اخاف ان يكون قد حل الوقت الذى انظرت اليه فان الملائكة لاينزلون الا لقيام الساعة او للعقاب وقال قتادة كذب عدو الله ما به من مخافة ولكنه علم انه لاقوة له ولامنعة وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرا منهم وعلى هذا فيكون قوله انى ارى ما لاترون معناه اعلم ما لاتعلمون واخاف الله ان يهلكنى فيمن يهلك واختلف فى ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان فقيل ان قريشا لما اجمعت المسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فكاد ذلك ان يثنيهم فجاء ابليس فى جند من الشياطين فتبدى لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى ثم المدلجى وكان من اشراف كنانة فقال لهم لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم من كنانة كما قال الشاعر يا طالما انى ترفد طلامتى والله من كل الحوادث جارى فلما راى ابليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لاطاقة له بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس والسدى والكلبى وغيرهم وقيل انهم لما التقوا كان ابليس فى صف المشركين آخذا بيد الحرث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحرث يا سراق اين اتخذلنا على هذه الحالة فقال له انى ارى ما لاترون فقال والله ما نرى الا جعاسيس يثرب فدفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فقالوا انك اتيتنا يوم كذا فخلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبى وروى ذلك عن ابى جعفر عليه السلم وابى عبد الله عليه السلم وقيل ان ابليس لايقدر على خلع صورته ولبس صورة سراقة ولكن الله تعالى جعل ابليس فى صورة سراقة علما للنبى صلى الله عليه واله وانما فعل ذلك لانه علم انه لو لم يدع المشركين انسان الى قتال فانهم لايخرجون من ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوف بنى كنانة فصور بصورة سراقة حتى تم المراد فى اعزاز الدين عن الجبائى وجماعة وقيل ان ابليس لم يتصور فى صورة انسان وانما قال لهم ذلك على وجه الوسوسة عن الحسن و اختاره البلخى والاول هو المشهور فى التفاسير ورايت فى كلام الشيخ المفيد ابى عبد الله محمد بن محمد النعمان رضى الله عنه انه يجوز ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على ان يجتمعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رويتهم ويتشبهوا بغيرهم من انواع الحيوان لان اجسامهم من الرقة على ما لايمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الهواء ويفرقه ويغير صور الاجسام الرخوة ضربا من التغيير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استفاض الخبر بان ابليس تراءى لاهل دار الندوة فى صورة شيخ من اهل نجد

وحضر يوم بدر في صورة سراقة وان جبرئيل عليه السلام ظهر لاصحاب رسول الله صلى الله عليه واله في صورة دحية الكلبي قال وغير محال ايضا ان يغير الله صورهم ويكشفها في بعض الاحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان قوله عز وجل اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ثلث ايات القراءة قرا ابن عامر وحده اذ تتوفى بتائين والباقون يتوفى بالتاء والياء الحجة من قرا بالتاء فلاسناد الفعل الى الملائكة ومن قرا بالياء فلان التانيث غير حقيقي الاعراب العامل في اذ يجوز ان يكون التقدير اذكروا لا ابتداء والتقدير ذلك اذ يقول ويجوز ان يكون العامل اذكر اذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لرايت منظرا عظيما وامرا عجيبا وحذف الجواب هنا اوجز وابلغ فان ذكره يخص وجها والحذف مع الاحتمال لوجوه كثيرة وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب احدهما الرفع بكونه خبر ذلك والثاني النصب بان يكون متصلا بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصبا بتقديره وبان الله او جرا على الخلاف فيه ويحتمل ان يكون محله رفعا وذلك ان الله كما تقول ذلك هذا المعنى اذ يقول المنافقون هذا يتعلق بما قبله معناه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان والذين في قلوبهم مرض وهم الشاكون في الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان وقيل انهم فئة من قريش اسلموا بمكة واحتبسهم اباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج والحرث بن زمعة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة لما راوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم اي غر المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لاجل دينهم الى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لانفسهم حين اغتروا بقول رسولهم فبين تعالى انهم هم المغرورون بقوله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم معناه ومن يسلم لامر الله ويثق به ويرض بفعله وان قل عددهم فان الله تعالى ينصرهم على اعدائهم وهو عزيز لا يغلب فلذلك يتوكل عليه وهو حكيم يضع الامور في مواضعها على ما يقتضيه الحكمة ولو ترى يا محمد اذ يتوفى الذين كفروا والملائكة اي يقبضون ارواحهم عند الموت يضربون وجوههم وادبارهم يريد استاههم ولكن الله سبحانه كنى عنها عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم ما اقبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم والمراد يضربون اجسادهم من قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتلى بدر عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير واكثر المفسرين وقيل معناه ستضربهم الملائكة عند الموت قال الرماني وهذا غلط لانه خلاف الظاهر وروي الحسن قال ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت بظهر ابي جهل مثل الشراك فقال صلى الله عليه واله ذلك ضرب الملائكة وروي مجاهد ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه واله اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه فندر راسه فقال سبقك اليه الملائكة وذوقوا عذاب الحريق اي ويقول الملائكة للكفار استخفافا بهم ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الاخرة وقيل انه وذوقوا عذاب الحريق ذلك اي ذلك العقاب لكم بما قدمت ايديكم اي بما قدمتم وفعلتم وانما اضاف الى اليد على التغليب لان اكثر الافعال يكون باليد والمراد بذلك بجناياتكم الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام للعبيد اي لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انه انما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في انه يخلق الكفر ثم يعذب عليه وانه يجوز ان يعذب من غير ذنب وان ياخذ بذنب غيره لان هذا غاية الظلم وقد بالغ عز اسمه في نفي الظلم عن نفسه بقوله ليس بظلام للعبيد قوله عز وجل كداب ال فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون وكل كانوا ظالمين ثلث ايات اللغة الداب العادة والطريقة يقال ما زال ذلك دابه ودينه وديدنه قال الزجاج الداب ادامة الفعل داب يداب في كذا اذا دام عليه وهو دائب يفعل كذا اي

لا يغلب ١

كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلما ضرب المشركين بها التهبت النار في جراحاتهم فذلك قوله م

بحق

يجري فيه على عادة قال خداش بن زهير وما زال ذاك الداب حتى تخاذلت هوازن وارفضت سليم وعامر والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان عليه ولو شهد لشيء هدم على خلاف ما كان الاعراب كداب الكاف في موضع رفع بانه خبر المبتداء كما يقول زيد خلفك رفع بانه خبر المبتداء ولفظه نصب بالاستقرار وتقديره دابهم كداب ال فرعون لم يك اصله يكون فحذف الواو للجزم ثم حذفت النون استخفافا لكثرة الاستعمال مع انه لا يقع بالحذف اخلال بالمعنى لان كان ويكون ام الافعال الا ترى ان كل فعل فيه معناها الا انك اذا قلت زيد ضرب فمعناه كان ضرب ويضرب معناه يكون ضرب فلما قويت بانها ام الافعال وكثر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظائرها ذلك مثل لم يصن المعنى ثم بين سبحانه ان حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال كداب ال فرعون اي عادة اليهم وقيل معناه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار كعقوبته لال فرعون وال فرعون اتباعه والفرق بين ال فرعون واصحاب فرعون ان الاصحاب ماخوذ عن الصحبة ويكثر في الموافقة في المذهب ولا يقال ال كما يقال اصحاب الشافعي وابي حنيفة والمراد به الموافقة في المذهب ولا يقال ال الشافعي الا لمن يرجعون اليه بالنسب الاول والاهل الاقرب والذين كفروا بايات الله كما كفر هؤلاء فاخذهم الله تعالى بذنوبهم ان الله قوي اي قادر لا يقدر احد على منعه عن احلال العقاب بما يريد شديد العقاب لان الشديد هو المتداخل على صعوبة تفككه وانما وصف العقاب بالشدة دون نفسه وشبه حال المشركين في تكذيبهم بايات الله بحال ال فرعون لان تعجيل العقاب لهؤلاء باهلاك كتعجيله لاولئك بعذاب الاستيصال ذلك اي ذلك الاخذ والعقاب لهم بان الله لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم معناه بان الله لم يكن يزيل نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا هم عن احوالهم المرضية الى احوال لا يجوز لهم ان يتغيروا اليها وهو ان يستبدلوا المعصية بالطاعة وكفران النعمة بشكرها وقد يسلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة لا على وجه العقاب امتحانا لمصلحتهم بعملها في ذلك ولكن لا يسلبها بفعل النعمة على وجه العقاب الا عمن استحق العقاب قال السدي النعمة التي انعمها الله عليهم محمد صلى الله عليه واله انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار وان الله سميع لاقوالهم عليم بضمائرهم وبكل شيء كداب ال فرعون والذين من قبلهم اي كعادتهم وطريقتهم في التكذيب بايات الله عادة هؤلاء كذبوا بايات الله ربهم اي بحججه وبيناته فاهلكناهم بذنوبهم اي استاصلناهم واغرقنا ال فرعون وكل كانوا ظالمين اي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لانفسهم لا يعاقب فريقا منهم الا عن استحقاق وانما كرر قوله كداب ال فرعون لانه اراد بالاول بيان حالهم في استحقاق عذاب الاخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل ان الاول تشبيه حالهم بحال اولئك في التكذيب وفي الثانية تشبيه حالهم بحالهم في الاستيصال وقيل ان الاول في اخذهم بالعذاب والثاني في كيفية العذاب وقيل ال فرعون كانوا على احوال مختلفة في المعصية فبين مشاركة اباهم في تلك الاحوال قوله عز وجل ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ايتان الاعراب فهم لا يؤمنون الفاء لعطف جملة على جملة فهو في الصلة كانه قال كفروا ومصممين على الكفر فهم لا يؤمنون وانما حسن عطف جملة اسمية على جملة فعلية فيها من التادية الى معنى الحال وذلك ان صيانتهم نقض العهد مرة بعد مرة في مستقبل اوقاتهم بعد العهد اليهم المعنى ثم ذم الله سبحانه الكفار فقال ان شر الدواب عند الله اي شر من يدب على وجه الارض في معلوم الله او في حكم الله الذين كفروا واستمروا على كفرهم فهم لا يؤمنون هذا اخبار عن قوم من المشركين ابدا مخرج الخبر على وفق الخبر فماتوا مشركين ثم وصفهم فقال الذين عاهدت منهم اي من جملتهم والضمير العائد الى الذين محذوف اي الذين عاهدتهم منهم اي من المشركين وقيل ان من مزيدة وانما دخلت لان معنى عاهدتهم اخذت العهد منهم وكما قال ردف لكم لان معنى ردف قرب فعومل بما يعامل به وقيل معناه عاهدت معهم قال مجاهد اراد به يهود بني قريظة فانهم كانوا عاهدوا النبي صلى الله عليه واله ان لا يضروا به ولا يمالوا عليه عدوا ثم مالوا عليه عدوهم في كل مرة اي كل ما عاهدتهم نقضوا العهد ولم يفوا به وهم لا يتقون نقض العهد ولا يتقون عذاب الله تعالى في ذلك

نوضع خلفك رفع م

هؤلاء المشركين في الكفر بمحمد كعادة آل فرعون والذين من قبلهم في الكفر بالرسل وما نزل اليهم م

لمن يستحقه ولا يوصف الله سبحانه بانه شديد م

هو آلاء م

في الكفر واصرارهم عليه ادق في الحال في انهم لا يؤمنون ومن قوله ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لان الغرض ان من شانهم م

الاحزاب يوم الخندق ... بنقضهم ... فان نقضهم الله م

قوله عز وجل فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ايتان اللغة الثقف الظفر والادراك بسرعة والتشريد التفريق على اضطراب والخيانة نقض العهد فيما اؤتمن عليه والنبذ القاء الخبر الى من لا يعلمه والسواء العدل قال الراجز فاضرب وجوه الغُدَّر الاعداء حتى يجيبوك الى السواء المحذو اى فى وسطه وقيل عنى بقوله على سواء على استواء فى العلم به الاعراب اما تثقفن واما تخافن دخلت نون التاكيد لما دخلت ما ولولم تدخل ما لما حسن دخول النون لان دخول ما كدخول القسم فى انه علامة تؤذن انه من مواضع تاكيد المط من التصديق لان النون تدخل لتاكيد المط فيما يدل على المط وهى فى ستة مواضع الامر والنهى والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما المعنى ثم حكى سبحانه فى هؤلاء الناقضين للعهود فقال للنبى صلى الله عليه واله فاما تثقفنهم فى الحرب معناه فاما تصادفنهم فى الحرب اى ان ظفرت بهم فادركتهم فشرد بهم من خلفهم اى فنكل بهم تنكيلا واثخ فيهم تاثيرا تشرد بهم من بعدهم وتطردهم وتمنعهم من نقض العهد بان ينظروا فيهم فيعتبروا بهم فلا ينقضوا العهد ويتفرقوا فى البلاد مخافة ان تعاملهم بمثل ما عاملتهم به او ان يحل بهم ما حل بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير والسدى وقال الزجاج معناه افعل بهم فعلا من القتل يفرق به من خلفهم وقيل ان معنى شرد بهم سمع بهم بلغة قريش قال الشاعر اطوف فى الاباطح كل يوم مخافة ان يشرد بى حكيم لعلهم يذكرون اى لكى يتذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك واما تخافن من قوم خيانة معناه وان خفت يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد خيانة فيهم لان الخيانة انما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم نقض العهد بعد فانبذ اليهم على سواء اى فالق اليهم ما بينك وبينهم من العهد واعلمهم بانك قد نقضت ما شرطت لهم ليكون انت وهم فى العلم بالنقض على استواء ولا تبدأهم بالقتال من قبل ان تعلمهم بنقض العهد ان الله لا يحب الخائنين اى يبغضهم معناه فلا تخنهم بان تبدأهم بالقتال من غير اعلامهم بنقض العهد قال الواقدى هذه الاية نزلت فى بنى قينقاع وبهذه الاية سار النبى صلى الله عليه واله اليهم قوله عز وجل وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثلث ايات القراءة قرا ابن عامر وابو جعفر وحمزة وحفص ولا يحسبن بالياء والباقون بالتاء وقرا ابن عامر انهم لا يعجزون بالفتح والباقون انهم بالكسر وقرا رويس يرهبون بالتشديد والباقون يرهبون بالتخفيف وقرا ابو بكر للسلم بكسر السين والباقون بفتح السين الحجة من قرا لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الاول وسبقوا فى جملة فى موضع نصب بكونها المفعول الثانى ومن قرا بالياء فلا يخلو من ان يكون جعل الذين كفروا سبقوا واما ان يكون تقديره على حذف فكانه قال لا يحسبن النبى الذين كفروا سبقوا ان سبقوا فحذفت ان كما حذفت فى تاويل سيبويه فى قوله تعالى افغير الله تامرونى قال الزجاج ويقوى هذا الوجه انها فى حرف ابن مسعود انهم سبقوا وان كانت كذلك فهى بمنزلة قولك حسبت ان اقوم وحسبت اقوم على حذف واذا وجهته على هذا فقد سد ان سبقوا مسد المفعولين كما ان قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا كذلك واما ان يكون اضمر المفعول الاول وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقوا او اياهم سبقوا ومن قرا انهم لا يعجزون بكسر الالف يكون على استيناف كما ان قوله ساء ما يحكمون منقطع من الجملة التى قبلها التى هى ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ومن قرا انهم لا يعجزون جعله متعلقا بالجملة الاولى وتقديره ولا يحسبنهم سبقوا لانهم لا يفوتون ومن قرا يرهبون فلان رهب يرهب رهبة قولهم فلان يرهب يعدى تارة بالهمزة وتارة بالتشديد فيقال رهبته وام السلم والسلم فلغتان ومعناهما الصلح اللغة السبق تقدم الشئ على طالب اللحوق به والاعجاز ايجاد ما يعجز عنه والعجز معنى عند ابى على وابى القسم البلخى وليس بمعنى عند ابى هاشم واصحابه بل هو عدم القدرة وذهب اليه المرتضى رضى الله عنه والاعداد اتخاذ الشئ لغيره مما يحتاج اليه فى امره والاستطاعة معنى يطاع بها الجوارح الفعل مع انتفاء المنع والرباط شد الفرس من العقد

يقال

حاشیه:

اى الى العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله الى الجهات قال حسان يا ويح انصار النبى ورهطه بعد المغيب فى سواء الملحد

حتى لا يبقى لك الى الغدر بهم وهو معنى قوله على سواء وقيل معنى قوله على سواء على عدل ان كان بينك وبينهم عهد بغير مال واعلمهم بانك قد نقضت عهدهم وان كان العهد على مال فرد المال اليهم ع النقض العهد

الفاعل وهذا لا يجوز لان يحسبن لا بد له من مفعولين ولكنه محمول على احد ثلثة اشياء اما ان يكون فاعله النبى مقدرا وتقديره ولا يحسبن النبى الذين كفروا ... كانه قال ... افغير عبادة ...

قال ربط يربط ربطا ورباطا ورابطه مرابطة ورباطا والارهاب ازعاج النفس بالخوف والجنوح الميل ومنه جناح الطير لانه يميل به فى شقيه ولا جناح عليه اى لا ميل الى ماثم الاعراب لا يعجزون بفتح النون هى القراءة ويجوز كسرها على معنى لا يعجزوننى وتحذف النون الاولى لاجتماع النونين كما قال الشاعر تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات اذا فلينى يريد فلينى واخرين من دونهم منصوب على تقديره وترهبون اخرين ويجوز ان يكون على تقديره واعدوا لهم ولاخرين فيكون مجرورا عطفا على الهاء والميم المعنى لما تقدم الامر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعد النصر والامر بالاعداد لقتالهم فقال ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا معناه لا تحسبن يا محمد اعداءك الكافرين قد سبقوا امر الله واعجزوه وانهم قد فاتوك فان الله سبحانه يظفرك عليهم كما وعدك ويظهرك عليهم والسبق والفوت بمعنى واحد وقيل معناه لا تحسبن من افلت من هذه الحرب انه قد سبق الى الحياة عن الزجاج والخطاب للنبى صلى الله عليه واله والمراد به غيره وقيل انه سبحانه انما قال تطييبا لقلبه فى الهاربين كما طيب قلبه فى المقتولين والماسورين وعلى القراءة بالياء فالمعنى لا يحسبن الكافرون انفسهم سابقين انهم لا يعجزون اى لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتى لا يبعثهم يوم القيمة عن الحسن وقيل معناه لا يعجزونك عن الجبائى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة هذا امر منه سبحانه بان يعدوا السلاح قبل لقاء العدو ومعناه واعدوا للمشركين ما قدرتم عليه مما يتقوى به على القتال من الرجال والات الحرب وروى عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه واله ان القوة الرمى وعلى هذا فيكون معناه انه من القوة وقيل ان القوة اتفاق الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة فى ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة ومن رباط الخيل فان ظهورها لكم عز وبطونها كنز وقيل ان القوة ذكور الخيل والرباط الاناث منها عن الحسن وعكرمة ترهبون به اى تخيفون بما تعدونه لهم عدو الله وعدوكم يعنى مشركى مكة وكفار العرب واخرين من دونهم اى وترهبون كفارا اخرين دون هؤلاء واختلفوا فى الاخرين فقيل هم بنو قريظة عن مجاهد وقيل هم اهل فارس عن السدى وقيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون انهم اعداؤهم عن الحسن وابن زيد لا تعلمونهم معناه لا تعرفونهم لانهم يصلون ويصومون ويقولون لا اله الا الله محمد رسول الله ويختلطون بالمؤمنين الله يعلمهم اى يعرفهم لانه المطلع على الاسرار وقيل هم الجن وهو اختيار الطبرى قال لان الاعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة ولم يبق الا من لم يشاهد وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله اى فى الجهاد وطاعة الله يوف اليكم اى يوفر عليكم ثوابه فى الاخرة وانتم لا تظلمون اى لا ينقصون شيئا منه وان جنحوا للسلم اى مالوا الى الصلح وترك الحرب فاجنح لها اى مل اليها واقبلها منهم وانما انث لان السلم بمعنى المسالمة وتوكل على الله اى فوض امرك الى الله انه هو السميع العليم لا يخفى عليه خافية وقيل ان هذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين وقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله عن الحسن وقتادة وقيل انها ليست منسوخة لانها فى الموادعة لاهل الكتاب والاخرى نزلت فى سنة تسع فى سورة براءة وصالح رسول الله صلى الله عليه واله اهل نجران بعدها قوله عز وجل وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اية بصرى ... وايتان فى الباقين اللغة الخدع فى الخديعة اظهار المحبوب فى الامر مع ابطان المكروه والتاييد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه والايد القوة والتاليف الجمع على تشاكل واختلف فى التاليف فاثبته بعضهم معنى ونفاه بعضهم والصحيح انهم به معنى يحل محلين ولا يحصل من فعلنا الا متولدا المعنى ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه واله فقال وان يريدوا ان يخدعوك معناه وان يريدوا الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك فى الصلح بان يقصدوا بالتماس الصلح دفع اصحابك والكف عن القتال حتى يقووا فيبدؤكم بالقتال من غير استعداد منكم فان حسبك الله اى فان الذى ينصرك على اعدائك والف بين قلوبهم واراد بالمؤمنين الانصار هم الاوس والخزرج من المعاداة والقتال فانه لم يكن حيان من العرب بينهما من المعاداة مثل ما كان بين هذين الحيين فالف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوادين متحابين ببركة نبينا صلى الله عليه واله وقيل اراد كل متحابين فى الله عن مجاهد لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى لم يمكنك جمع قلوبهم على الالفة وازالة ضغاين الجاهلية ولكن الله الف بينهم بان لطف لهم بحسن تدبيره وبالاسلام الذى هداهم اليه انه عزيز حكيم لا يمتنع عليه شئ يريد فعله ولا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الايات العظام

حاشیه:

او ولا يحسبن الكافرون انهم سابقون

اى ومن ربطها واقتنائها للغزو وهى من اقوى عدد الجهاد وروى عن النبى صلى الله عليه وآله ارتبطوا الخيل ...

دهم اعداؤهم

للسلم

فى الموادعة لاهل الكتاب والاخرى لعبدة الاوثان وهذا هو الصحيح لان ذلك فى المشركين والاية ...

... جمع ... الفضل ...

يعنى الذى هو كافيك هو الذى قواك بنصره وبالمؤمنين اى هو الذى قواك بالنصر من عنده وايدك بالمؤمنين

وذلك ان النبي صلى الله عليه واله بعث الى قوم انفسهم شديدة بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلة فالف الايمان بين
قلوبهم حتى قاتل الرجل اباه واخاه وابنه فاعلم الله سبحانه ان هذا ما تولاه منهم الا هو قوله عز وجل يا ايها النبي حسبك الله
ومن اتبعك من المومنين يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم
مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين ثلث ايات القراءة ان يكن منكم مائة
بالياء فيهما كوفي الاول بالتاء بصري ضعفا بفتح الضاد كوفي الا الكسائي والباقون بضم الضاد ولكنهم سكنوا العين الا ابا جعفر فانه قرا
ضعفاء على وزن فعلاء من قرا بالياء فلانه اراد المذكر بدلالة ~~بدلالة~~ الحجة من قرا بالياء اراد المذكر بدلالة على ذلك قوله تعالى يغلبوا
وقرا ابو عمرو وان تكن منكم صابرة بالتاء كما انث صفة المائة وهي قوله صابرة كذلك انث الفعل ومن قرا الجميع بالتاء حمله على اللفظ فانه اللفظ
مونث والضعف والضعف لغتان كالفقر والفقر اللغة الاتباع موافقة الداعي فيما يدعو اليه من اجل دعائه والتحريض والحض والحث بمعنى
وهو الترغيب في الفعل بما يبعث على المبادرة اليه وضده التثبيط والصبر حبس النفس عما تنازع اليه من ضد ما ينبغي ان يكون عليه
وضده الجزع قال فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما تريان والتخفيف رفع المشقة بالخفة والخفة نقيض الثقل
والخفة والسهولة بمعنى والضعف نقصان القوة وهو من الضعف لانه ذهاب ضعف القوة الاعراب موضع جر بالاضافة لكنه مفعول
في المعنى فعطف على المعنى وقيل في قوله سبحانه انا منجوك واهلك اذا كانت الهيجا وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهند
الان مبني مع الالف واللام وخرج عن التمكن يشبه الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز الا بكسر العين وزعم اهل اللغة انه
كسر اوله لان عشرين من عشرة مثل اثنين لان عشرون من عشرة مثل اثنين من واحد ويدل عليه فتحهم ثلاثين
لفتح ثلاثة وكسر تسعين لكسر تسعة المعنى ثم امر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المومنين اي كافيك الله ويكفيك متبعوك من المومنين قال الحسن معناه الله حسبك وحسب من اتبعك من المومنين اي يكفيك
ويكفيهم قال الكلبي نزلت هذه الاية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال يا ايها النبي حرض المومنين اي ابعث المومنين على القتال ورغبهم
فيه بسائر اسباب التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال وبيان ما وعدهم الله من النصر والظفر واغتنام الاموال
ان يكن منكم عشرون صابرون على القتال يغلبوا مائتين من العدو وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا اللفظ لفظ
الخبر والمراد به الامر ويدل على ذلك قوله فيما بعد الان خفف الله عنكم لان التخفيف لا يكون الا بعد التكليف بانهم قوم لا يفقهون
معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار ولان المكلفين يفقهون امر الله تعالى ويصدقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك
الى الصبر على القتال والجد فيه والكفار لا يفقهون امر الله ولا يصدقونه فيما وعدكم من الثواب ولما علم الله تعالى ان ذلك
يشق عليهم تغيرت المصلحة في ذلك فقال الان خفف الله عنكم الحكم في الجهاد من وجوب قتال العشرة على الواحد وثبات الواحد
للعشرة وعلم ان فيكم ضعفا اراد ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن فان الذين اسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم اقويا البدن بل
كان فيهم القوي والضعيف ولكن كانوا اقويا البصيرة واليقين ولما كثر المسلمون واختلط بهم من كان اضعف يقينا وبصيرة
نزل الان خفف الله عنكم فان يكن منكم مائة صابرة على القتال يغلبوا مائتين من العدو وان يكن منكم الف صابرة يغلبوا الفين
منهم باذن الله اي بعلم الله وقيل بامره فامر الله تعالى الواحد بان يثبت للاثنين ويضمن النصرة له عليهما وانما لم يفصل ولم يامر
من كان قويا البصيرة بان يثبت للعشرة ومن كان ضعيف البصيرة بان يثبت للاثنين لانهم كانوا يشهدون
القتال مختلطين وكان لا يمكن التمييز بينهم ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه ايحاشهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم
والله مع الصابرين اي معونة الله مع الصابرين ومعناه والله معين الصابرين وقيل ان هذه الاية نزلت بعد الاية الاولى بمدة
وان قرن بينهما في المصحف وهي ناسخة للاولى والمعتبر في الناسخ والمنسوخ بالنزول دون التلاوة وقال الحسن ان التغليظ كان
على اهل بدر ثم جاءت الرخصة قوله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون

عرض

ابو جعفر
والضعف ؛

من اتبعك رفع على معنى حسبك الله
واتباعك من المومنين ويحتمل
ان يكون نصبا على ويكفي من اتبعك
على التاويل لان الكاف في حسبك
في موضع جر ؛

عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم ثلث ايات القراءة قرا ابو جعفر ان تكون له بالتاء اسارى وقرا
اهل البصرة ان يكون له بالياء اسرى والباقون ان تكون له بالتاء اسرى الحجة من قرا تكون بالتاء فلان الجمع مونث ومن قرا
بالياء فلانهم مذكورون والمعنى قد وقع الفصل بين الفعل والفاعل قال ابو علي والاسرى اقيس من الاسارى لان اسيرا فعيل
بمعنى مفعول وذلك يجمع على فعلى نحو جريح وجرحى وقتيل وقتلى واستمر هذا الجمع في الباب وكثر حتى شبه به غيره مما ليس منه ولكن لموافقته
مثل مرضى وهلكى وموتى وذلك ان هذه امور ابتلوا بها فدخلوا فيها وهم لها كارهون فصار لذلك مشبها بفعيل في قول
الخليل وانما قالوا اسارى على هذا التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه باسرى وقال الازهري الاسارى جمع الاسرى فهو جمع الجمع
اللغة الاسر الشد على المحارب بما يصير به في قبضة الاخذ له وفلان ماسور اي مشدود وكانوا يشدون الاسير بالقد و
الاثخان في الارض تغليظ الحال بكثرة القتل والثخن والغليظ والكثافة نظاير وقد اثخنه المرض اذا اشتد قوته عليه واثخنه الجراح
والعرض متاع الدنيا وسماه عرضا لقلة لبثه والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حل العقد في التحريم والمباح من التوسعة في
الفعل وان اجتمعا في الحل والطيب المستلذ فشبه الحلال به فسمي طيبا واللذة نيل المشتهى الاعراب الفاء في فكلوا فاء الجزاء والمعنى قد احللت
لكم الفداء وحلالا طيبا منصوب على الحال المعنى ما كان لنبي اي له ولا في عهد الله اليه ان يكون له اسرى من المشركين ليفديهم او يمن عليهم حتى
يثخن في الارض اي حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من وراءهم وقال ابو مسلم الاثخان الغلبة على البلدان والتذليل
لاهلها يعني حتى يتمكن في الارض تريدون عرض الدنيا هذا خطاب لمن دون النبي صلى الله عليه واله من المومنين الذين رغبوا في اخذ
الفداء من الاسرى ورغبوا في الحرب للغنيمة قال الحسن وابن عباس يريد يوم بدر يقول اخذتم الفداء من الاسرى في اول وقعة
كانت لكم من قبل ان تثخنوا في الارض وعرض الدنيا مال الدنيا لانه معرض للزوال والله يريد الاخرة اي تريدون عاجل الحظ من
عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الاخرة والله عزيز لا يغلب انصاره فاعملوا ما يريده منكم لينصركم حكيم يجري افعاله على ما توجبه الحكمة
فصل سبحانه بين ارادة نفسه وارادة عباده ولو كان ما ارادوه على ما قالت المجبرة لم يصح هذا التفصيل لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب قيل في معناه اقوال احدها لولا ما مضى من حكم الله ان لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون وانه
لم يبين لكم ان لا تاخذوا الفداء لعذبكم باخذ الفداء عن ابن جريج وثانيها لولا ان الله حكم لكم باباحة الغنايم والفداء في ام الكتاب
وهو اللوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الاباحة عذاب عظيم فان الغنايم لم تحل لاحد قبلكم عن ابن عباس وثالثها لولا كتاب من الله
سبق وهو القران فامنتم به واستوجبتم بالايمان به بايمانكم الغفران عن الجبائي والمراد به الصغاير ورابعها ان الكتاب الذي سبق قوله
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ومعناه لولا ما كتب الله في القران او في اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم والنبي صلى الله عليه واله بين اظهركم لعذبكم
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا هذا اباحة منه سبحانه للمومنين ان ياكلوا مما غنموه من اموال المشركين واتقوا الله باتقاء معاصيه ان الله
غفور رحيم القصة كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن ابي طالب عليه السلام سبعة وعشرين وكان الاسرى
ايضا سبعين ولم يوسر احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله فجمعوا الاسارى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على اقدامهم وقتل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله تسعة رجال منهم سعد بن خيثمة وكان من النقباء من الاوس و
عن محمد بن اسحق قال استشهد من المومنين يوم بدر احدى عشر رجلا اربعة من قريش وسبعة من الانصار وقيل ثمانية وقتل من
المشركين بضعة واربعون رجلا وعن ابن عباس قال لما امسى رسول الله صلى الله عليه واله يوم بدر والناس محبوسون بالوثاق بات
ساهرا اول الليل فقال له اصحابه ما لك لا تنام فقال سمعت انين عمي العباس في وثاقه فاطلقوه فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه واله
وروى عن عبيدة السلماني عن رسول الله صلى الله عليه واله قال لاصحابه يوم بدر في الاسارى ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم
واستشهد منكم بعدتهم وكانت الاسرى سبعين فقالوا بل ناخذ الفداء فنستمتع به ونتقوى به على عدونا ويستشهد منا بعدتهم قال
عبيد فطلبوا الخيرتين كلتيهما فقتل منهم يوم احد سبعون وفي كتاب علي بن ابرهيم لما قتل رسول الله صلى الله عليه واله النضر بن
الحرث وعقبة بن ابي معيط خافت الانصار ان يقتل الاسارى فقالوا يا رسول الله قتلنا سبعين منهم وهم قومك واسرتك اتجذ اصلهم فخذ يا رسول

المعنى

لمسكم العذاب ؛

جمع الاسارى وقرنوهم بالحبال
وساقوهم على اقدامهم وقتل من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله
؛

الله الفداء وقد كانوا اخذوا ما وجدوه من الغنايم في عسكر قريش فلما طلبوا اليه وسالوه نزلت الاية ما كان للنبي صلى الله عليه واله
ان يكون له اسرى الايات فاطلق لهم ذلك وكان اكثر الفداء اربعة الاف درهم واقله الف درهم فبعث قريش بالفداء
اولا فاولا وبعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه واله من فداء زوجها ابا العاص بن الربيع وبعثت قلايد لها كانت خديجة
رضي الله عنها جهزتها بها وكان ابا العاص ابن اخت خديجة فلما راى رسول الله صلى الله عليه واله القلايد قال رحم الله خديجة هذه قلايد
هي جهزتها بها فاطلقه رسول الله صلى الله
عليه واله ان يبعث اليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به فعاهد على ذلك وفى له وروي ان النبي صلى الله عليه واله كره
اخذ الفداء حتى راى سعد بن معاذ كراهة ذلك في وجهه فقال يا رسول الله هذا اول حرب لقينا فيه المشركين والاثخان
في القتل احب الينا من استبقاء الرجال وقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم ومكن عليا
من عقيل يضرب عنقه ومكني من فلان فاضرب عنقه فان هولاء ايمة الكفر وقال ابو بكر اهلك وقومك استان بهم واستبقهم وخذ
منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار قال ابن زيد فقال رسول الله صلى الله عليه واله لو نزل العذاب من السماء ما نجا منهم غير
سعد بن معاذ وعمر وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين باربعين اوقية والاوقية اربعون
مثقالا الا العباس فان فداه كان مائة اوقية وكان قد اخذ منه حين اسر عشرون اوقية ذهبا فقال رسول الله صلى الله عليه واله ذلك غنيمة
ففاد نفسك وابني اخيك نوفلا وعقيلا فقال ليس معي شيء فقال اين الذهب الذي سلمته ام الفضل وقلت ان حدث بي حدث فهو
لك وللفضل وعبد الله وقثم فقال من اخبرك بهذا فقال رسول الله صلى الله عليه واله والله ما اطلع على هذا الا الله تعالى

قوله عز وجل يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر
لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ايتان القراءة قرا
ابو جعفر وابو عمرو من الاسارى والباقون من الاسرى وقد ذكرنا الفرق بين الاسرى والاسارى فيما قبل المعنى ثم خاطب الله
سبحانه نبيه صلى الله عليه واله فقال يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وانما ذكر الايدي لان من كان في وثاقهم فهو بمنزلة
من يكون في ايديهم لاستيلائهم عليه من الاسرى يعني اسراء بدر الذين اخذ منهم الفداء ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي اسلاما و
اخلاصا او رغبة في الايمان وصحة نية يؤتكم خيرا اي يعطكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما في الدنيا والاخرة واما في الاخرة
ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور للذنوب رحيم بكم وروي عن العباس بن عبد المطلب انه قال نزلت هذه الاية في وفي اصحابي كان
معي عشرون اوقية ذهبا فاخذت مني فاعطاني الله مكانها عشرين عبدا كل منهم يضرب بمال كثير وادناهم يضرب بعشرين الف
درهم واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه واله لما
قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا وقد توضا لصلوة الظهر فما صلى يومئذ حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ فكان العباس
يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وان يريدوا خيانتك معناه وان يريد والذين اطلقتهم من الاسارى خيانتك
بان يعودوا حربا لك او ينضموا عدوا عليك فقد خانوا الله من قبل بان خرجوا الى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل بان
اشركوا بالله واضافوا اليه ما لا يليق به فامكن منهم اي فامكنك منهم يوم بدر بان غلبوا واسروا وسيمكنك منهم ثانيا ان خانوك
والله عليم حكيم قوله عز وجل ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا
ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير اية القراءة قرا حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة
الاعمش ويحيى بن وثاب والباقون بفتح الواو الحجة قال الزجاج فلان الولاية في النصرة والنسب بفتح الواو والولاية التي بمنزلة
الامارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو لان في تولي بعض القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل وكل
ما كان من جنس الصناعة فمكسور نحو الخياطة والصياغة وقال ابو عبيدة وابو الحسن ولايتهم مصدر المولى واما في السلطان

مائة اوقية وكان قد

من ربي ح

اطلقتهم د

معناه عليم بما يقولونه وبما في انفسهم وبجميع الاشياء حكيم فيما يفعله ح

ولايتهم ح

والولاية

والولاية بكسر الواو وهي في الاخرى لغة اللغة المهاجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد واصله من الهجر ضد الوصل والجهاد تحمل
الشاق في قتال اعداء الدين من جهد الامر جهدا والايواء ضم الانسان غيره اليه بانزاله عنده وتقريبه له يقال اوى اليه يؤويه ايواء
واوى ياوي اويا واويت معناه رجعت الى الماوى والولاية عقد النصرة للموافقة في الديانة النزول قيل نزلت الاية في الميراث
وكانوا يتوارثون بالهجرة وجعل الله الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوي الارحام وكان الذي امن ولم يهاجر لا يرث
من اجل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فنسخت هذه الاية وصار
الميراث لذوي الارحام المومنين ولا يتوارث اهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي المعنى
ثم ختم الله سبحانه السورة بايجاب موالاة المومنين وقطع موالاة الكافرين فقال ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما يجب الايمان و
هاجروا من مكة الى المدينة وجاهدوا وقاتلوا العدو باموالهم وانفسهم في سبيل الله اي في طاعة الله واعزاز دينه والذين
اووا الرسول والمهاجرين بالمدينة اي جعلوا لهم ماوى واسكنوهم منازلهم يعني الانصار ونصروا اي نصروهم بعد الايواء على اعدائهم
وبذلوا المهج في نصرتهم اولئك بعضهم اولياء بعض في النصرة وان لم يكن بينهم قرابة من اقربايهم من الكفار وقيل في التوارث
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وقيل في التناصر والتعاون والموالاة في الدين عن الاصم وقيل في
نفوذ امان بعضهم على بعض فان واحد من المسلمين لو امن انسانا نفذ امانه على الجميع ساير المسلمين والذين امنوا ولم يهاجروا الى المدينة
ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا ولا يحصل منكم الثواب فان الميراث كان منقطعا في ذلك
الوقت بين المهاجرين وغير المهاجرين وروي عن ابي جعفر عليه السلم انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى وقيل معناه ما لكم
من موالاتهم ونصرتهم من شيء اي ليس عليكم نصرتهم وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر ومعناه فان طلبوا يعني المومنين الذين
لم يهاجروا منكم النصرة لهم على الكفار واعانتهم في الدين فعليكم النصر والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم في غير الدين الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق معناه الا ان يطلبوا منكم النصرة لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم امان وعهد يجب الوفاء به فلا تنصروهم عليهم لما فيه
من نقض العهد والله بما تعملون بصير اي باعمالكم عليم لا يخفى عليه شيء منها قوله عز وجل والذين كفروا بعضهم اولياء بعض
الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا
اولئك هم المومنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم ثلث ايات اللغة الفتنة اصلها الامتحان ثم استعمل في اشياء
منها الكفر والشرك وذلك نحو قوله تعالى الفتنة اكبر من القتل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ومنها العذاب في نحو قوله تعالى
جعل فتنة الناس كعذاب الله وقوله ذوقوا فتنتكم يعني عذابكم بالتحريق بالنار ومنها المعذرة في نحو قوله تعالى ثم لم تكن
فتنتهم اي معذرتهم ومنها القتل نحو قوله ان خفتم ان يفتنكم اي يقتلكم وقوله على خوف من فرعون وملائهم
ان يفتنهم ومنها الحرج والابتلاء على اثر البلاء في نحو قوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم وهذا
التفصيل ماخوذ من قول الصادق عليه السلم والكريم فاعل الكرم والكرم الجود العظيم والشرف قال
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فصارا بعد ابوالا والرزق الكريم الواسع العظيم الاعراب
قوله فعليكم النصر في العربية فعليكم النصر في قولك عليك زيدا ولم يقرا بها المعنى ثم ذكر سبحانه وتعالى
حكم الكافرين فقال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث عن ابن عباس وابي مالك الا تفعلوه
تقديره الا تفعلوا ما امرتم به في الاية الاولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الامر وتقديره الا تفعلوا
ما امرتم به من التناصر والتعاون والتبري من الكفار تكن فتنة في الارض وفساد كبير على المومنين الذين
لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المحنة بالميل الى الضلال والفساد الكبير ضعف الايمان وقيل ان الفتنة هي
الكفر لان المسلمين اذا والوهم تجراوا على المسلمين ودعوهم الى الكفر وهذا يوجب التبري منهم والفساد

اي هواء او بعضهم اولى ببعض ح

وهاجروا ح

اي بعضهم انصار بعض عن ابن اسحق وقتادة وقيل بعضهم اولى ببعض ح

الكبير سفك الدماء عن الحسن وقيل معناه ان لم يتعلقوا التوارث بالهجرة ولم يقطعوه بعدمها ادى الى فتنة
فى الارض باختلاف الكلمة وفساد كبير بتقوية الخارج على الجماعة عن ابن عباس وابن زيد ثم عاد سبحانه الى
ذكر المهاجرين والانصار ومدحتهم والثناء عليهم فقال والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله
اى صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم واوطانهم يعنى من مكة الى المدينة وجاهدوا مع ذلك فى اعلاء
دين الله والذين اووا ونصروا اى ضموهم اليهم ونصروا النبى صلى الله عليه واله اولئك هم المومنون حقا
اى اولئك هم المومنون حقا اى اولئك الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة بخلاف من اقام بدار الشرك وقيل
معناه ان الله حقق ايمانهم بالبشارة التى يبشرهم بها ولمن لم يهاجروا ولم ينصر مثل هذا واختلفوا فى ان الهجرة
هل تصح لان النبى صلى الله عليه واله قال لا هجرة بعد الفتح لان الهجرة الانتقال من الكفر الى دار الاسلام
وليس يقع فى مثل هذا الزمان لاتساع بلاد الاسلام الا ان يكون نادرا لا يعتد به وقيل ان الهجرة الاعراب
الى الامصار باقية الى يوم القيمة عن الحسن والاقوى ان يكون حكم الهجرة باقيا لان من اسلم فى دار الحرب
ثم هاجر الى دار الاسلام كان مهاجرا وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر الى اعرابية وروى عن عمر
ابن الخطاب انه قال لا تنكحوا اهل مكة فانهم اعراب وانما سمى الجهاد سبيل الله تعالى لانه الطريق الى ثواب
الله فى دار كرامته لهم مغفرة ورزق كريم ثم لا يشوبه ما ينقصه وقيل الرزق الكريم ههنا طعام الجنة لانه
لا يستحيل فى اجوافهم نجوا بل يصير كالمسك ريحا والذين امنوا من بعد اى من بعد فتح مكة عن الحسن وقيل
معناه امنوا من بعد ايمانكم وهاجروا من بعد هجرتكم وجاهدوا معكم ايها المومنون فاولئك منكم ومن جملتكم و
حكمهم حكمكم فى وجوب موالاتهم وموارثتهم ونصرتهم وان تاخر ايمانهم وهجرتهم واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض اى وذوو الارحام والقرابة بعضهم احق بميراث بعض من غيرهم عن ابن عباس والحسن وجماعة المفسرين
وقالوا صار ذلك نسخا لما قبله من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من الاسباب وقد كانوا يتوارثون
بالمواخاة فان النبى صلى الله عليه واله كان آخى بين المهاجرين والانصار فى كتاب الله اى فى حكم الله عن الزجاج
وقيل فى اللوح المحفوظ كما فى كتاب من قبل ان نبراها وقيل فى القران وفى قوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض دلالة على ان من كان اقرب الى الميت فى النسب كان اولى بالميراث سواء كان ذا سهم منهم او لم تكن او عصبة
او غير عصبة ومن وافقنا فى توريث ذوى الارحام يستثنى اصحاب الفرايض والعصبة من الآية وذلك خلاف
الظاهر ان الله بكل شىء عليم ظاهر المعنى واكثر هذه السورة فى قصة بدر مستنسخة تم المجلد الرابع من كتاب مجمع البيان
لعلوم القران يوم السبت الاحدى عشر من شهر جمادى الثانى سنه ثلاث وسبعين بعد الالف من الهجرة النبويه عليه الصلوة والتحيه
على يد العبد الفقير الى الله تعالى المذنب المحتاج الى رحمة ربه وشفاعة نبيه وائمة المعصومين عليهم السلام جلال بن حسن بن جلال بن
قاسم بن المير احمد الابردهى والحمد لله وحده وصلوته على خير خلقه محمد النبى واله الطاهرين برحمتك يا ارحم الراحمين

المجلد الخامس من مجمع البيان فى تفسير القران

للشيخ الامام العلامة افضل المتاخرين

امين الدين الطبرسى

رحمه الله

عليه

سورة التوبة وهي مدنية كلها وقال يعقوب الا آيتين لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وقال سنة ثمان وحج رسول الله صلى الله عليه واله حجة الوداع سنة عشر وقال قتادة ومجاهد وهي اخر ما نزل على النبي صلى الله عليه واله وسلم بالمدينة **عدد آيها** مائة وتسع وعشرون اية كوفي وثلاثون في الباقين اختلافها آيتان بريء من المشركين نصرّ عذابا اليما شامي عاد وثمود حجازي **اسماؤها** براءة سميت بذلك لانها مفتتحة بها ونزلت باظهار البراءة من المشركين **التوبة** فيها من ذكر التوبة كقوله ويتوب الله على من يشاء فان يتوبوا يك خيرا لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا **الفاضحة** عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال تلك الفاضحة ما زال ينزل ومنهم ومنهم حتى خشينا ان لا يبقى منا احد وسميت بذلك لانها فضحت المنافقين باظهار نفاقهم **المبعثرة** عن ابن عباس ايضا سميت بذلك لانها تبعثر عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها **المقشقشة** عن ابن عباس سماها بذلك لانها تبرئ من آمن بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء الى الاخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان سميتا بذلك لانهما يبريان من الشرك والنفاق تعالى تقشقش اذا اخلصه وخلص من علته اذا افاق منها وبراء **البحوث** عن ابي ايوب الانصاري سماها بذلك لانها تبحث عن ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم **المدمدمة** عن سفيان بن عيينة اي المهلكة ومنه قوله فدمدم عليهم ربهم **الحافرة** لانها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسرونه عن الحسن **المثيرة** عن قتادة لانها اثارت مخازيهم ومقابحهم **سورة العذاب** عن حذيفة بن اليمان قال يسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب فهذه عشرة اسماء **فضلها** ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه واله من قرء سورة براءة والانفال فانا شفيع له الخبر وقد مضى ذكره مع ما في معناه في اول الانفال وقد روي عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال الانفال وبراءة واحد وروى ذلك عن سعيد بن المسيب وروى الثعلبي باسناده عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال ما نزل علي القران الا آية آية وحرفا حرفا خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانه قال نزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة كل يقول استوص بنسبة الله خيرا وانما تركت البسملة في اولها قراءة وكتابة للعلماء والمفسرين فيه اقوال احدها انها ضمت الى الانفال بالمقاربة فصارتا كسورة واحدة فالاولى في ذكر العهود والثانية في رفع العهود عن ابي بن كعب وثانيها انه لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم على راس سورة براءة لان بسم الله للامان والرحمة ونزلت براءة لرفع الامان بالسيف عن علي بن ابي طالب عليه السلام وسفيان بن عيينة واختاره ابو العباس المبرد وثالثها ما روي عن ابن عباس انه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على ان عمدتم الى براءة وهي من المئين والى الانفال وهي من المثاني فجعلتموها في السبع الطول ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كان النبي صلى الله عليه واله كان تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول له ضع هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اول ما نزل من القران بالمدينة وكانت براءة من اخر ما نزل من القران وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه واله ولم يبين انها منها فوضعناها في السبع الطول ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكانتا يدعيان القرينتين **تفسيرها** لما ختم الله تعالى الآيتين بايجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بانه تعالى ورسوله بريئان منهم وامر المسلمين بالبراءة منهم فقال **براءة**

من

نعت مكتوم

ولها عشرة اسماء

سميت بذلك لكثرة اسمائها

براءه ونقشقش

لانها نزلت بعذاب للكفار روى عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفة بن اليمان

نالتهما نزلتا

من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين **اللغة** معنى البراءة انقطاع العصمة يقال برئ يبرأ براءة وتبرأ تبريا وابرأه ابراء والسيح السير في مهل يقال ساح يسيح سيحا وسياحة وسيوحا وسيحانا وسيحانا والاعجاز ايجاد العجز ضد القدرة عند من اثبته معنى والاخزاء الاذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح **الاعراب** براءة مرتفع على انها خبر مبتداء محذوف تقديره هذه الآيات براءة ويحتمل ان يكون مبتداء وخبره في الظرف وهو قوله الى الذين وجاز ان يكون المبتداء نكرة لانها موصوفة والاول اجود لانه يدل على حصول المدرك كما تقول لمن تراه حاضرا حسن والله اي هذا حسن **المعنى** براءة من الله ورسوله اي انقطاع العصمة ورفع الامان وخروج من العهد الى الذين عاهدتم من المشركين الخطاب للنبي صلى الله عليه واله والمسلمين والمعنى تبرؤا ممن كان بينكم وبينهم عهد من المشركين فان الله ورسوله بريئان منهم قال الزجاج معناه قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء لهم بها اذ نكثوا واذا قيل كيف يجوز ان ينقض النبي اليهم العهد والقول فيه انه يجوز ان ينقض ذلك على احد ثلاثة اشياء اما ان يكون العهد مشروطا بان يبقى الى ان يرفعه الله تعالى بوحي واما ان يكون قد ظهر من المشركين خيانة ونقض فامر الله سبحانه بان ينبذ اليهم عهدهم واما ان يكون مؤجلا الى مدة فينقضي المدة وينتقض العهد وقد وردت الرواية بان النبي صلى الله عليه واله شرط عليهم ما ذكرناه وروي ايضا ان المشركين كانوا قد نقضوا العهد وهموا بذلك فامر الله ان ينقض عهودهم ثم امر سبحانه المشركين فسيحوا في الارض اي سيروا في الارض على وجه المهل وتصرفوا في حوائجكم امنين من السيف اربعة اشهر فاذا انقضت هذه المدة ولم تسلموا انقطعت العصمة عن دمائكم واموالكم واعلموا انكم غير معجزي الله اي غير فائتين عن الله كما يفوت ما يعجز عنه لانكم حيث كنتم في سلطان الله وملكه وان الله مخزي الكافرين اي مذلهم ومهينهم واختلف في هذه الاشهر الاربعة فقيل كان ابتداؤها يوم النحر الى العاشر من ربيع الاخر عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن ابن عباس والزهري قال الفراء كانت المدة الى اخر المحرم لانه كانت مدة خمسين ليلة وهو من لم يكن له عهد من النبي صلى الله عليه واله وسلم فجعل الله ذلك له وقيل ان من كان له عهد من النبي صلى الله عليه واله اكثر من اربعة اشهر حط الى الاربعة ومن كان له عهد اقل منها رفع اليها عن الحسن وابن اسحق وقيل كان ابتداء الاشهر الاربعة يوم النحر لعشر من ذي القعدة الى عشرين من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية على ما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى عن الجبائي اجمع المفسرون ونقلة الاخبار انه لما نزلت سورة براءة دفعها رسول الله صلى الله عليه واله الى ابي بكر ثم اخذها منه ودفعها الى علي بن ابي طالب عليه السلام واختلفوا في تفصيل ذلك فقيل انه بعثه وامره ان يقرء عشر آيات من اول هذه السورة وان ينبذ الى كل ذي عهد عهده ثم بعث عليا عليه السلام خلفه لياخذها ويقرءها على الناس فخرج على ناقة رسول الله صلى الله عليه واله العضباء حتى ادرك ابا بكر بذي الحليفة فاخذها منه وقيل ان ابا بكر رجع فقال هل نزل في شيء فقال صلى الله عليه واله لا الا خيرا ولكن لا يؤدي عني الا انا او رجل مني وقيل انه قرء علي عليه السلام براءة على الناس وكان ابو بكر اميرا على الموسم عن الحسن وقتادة وقيل انه صلى الله عليه واله اخذها من ابي بكر قبل الخروج ودفعها الى علي عليه السلام وقال لا يبلغ عني الا انا او رجل من اهل بيتي عن عروة بن الزبير وابي سعيد الخدري وابي هريرة وروى اصحابنا ان النبي صلى الله عليه واله ولاه ايضا الموسم وانه حين اخذ البراءة من ابي بكر رجع ابو بكر وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن سماك بن حرب عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه واله بعث براءة مع ابي بكر الى اهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث اليه فرده وقال لا يذهب بهذا الا رجل من اهل بيتي فبعث عليا عليه السلام وروى الشعبي عن محرز بن ابي هريرة عن ابي هريرة قال كنت انادي مع علي عليه السلام حين اذن المشركين وكان اذا صحل صوته فيما ينادي دعوت مكانه قال فقلت يا ابه اي شيء كنتم تقولون قال كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا مؤمن ومن كان بينه وبين رسول الله

عن ابي عبد الله عليه السلام قال الاشهر الاربعة من اول شوال الى اخر المحرم لان هذه الاية نزلت في شوال

صلى الله عليه واله مدة فان اجله الى اربعة اشهر فاذا انقضت الاربعة الاشهر فان الله برئ من المشركين ورسوله وروى عاصم بن
حميد عن ابي بصير عن ابي جعفر عليه السلام قال خطب علي عليه السلام الناس واخترط سيفه وقال لا يطوفن بالبيت عريان
ولا يحجن بالبيت مشرك ومن كانت له مدة ومن لم تكن له مدة فمدته اربعة اشهر وكان خطب يوم النحر وكانت عشرون من
ذي الحجة ومحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وقال يوم النحر يوم الحج الاكبر وذكر ابو عبد الله الحافظ باسناده
عن زيد بن نفيع قال سالنا عليا عليه السلام باي شيء بعثت في ذي الحجة قال بعثت باربعة اشهر لا تدخل الكعبة الا نفس مومنة
ولا يطوفن بالبيت عريان ولا يجتمع مومن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله
عليه واله عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر وروى انه عليه السلام قام عند جمرة العقبة وقال يا ايها
الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه واله اليكم بان لا يدخل البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول
الله صلى الله عليه واله اليكم بان لا يدخل البيت كافر ولا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد
عند رسول الله صلى الله عليه واله فله عهده الى اربعة اشهر ومن لا عهد له فله مدة بقية الاشهر الحرم وقراء عليهم سورة براءة و
قيل قراء عليهم ثلاث عشرة اية من اول براءة وروي انه عليه السلام لما نادى فيهم ان الله برئ من كل مشرك قال المشركون نحن
نبراء من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حج صلى الله عليه واله حجة الوداع وقفل الى المدينة ومكث بقية
ذي الحجة والمحرم وصفر وليالي من شهر ربيع الاول ولحق بالله عز وجل **قوله عز وجل وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ
غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا
عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ آيتان القراءة قرا يعقوب برواية روح وزيد
ورسوله بالنصب وهي قراءة الحسن وابن ابي اسحق وعيسى بن عمر وقراء ساير القراء ورسوله بالرفع وفي الشواذ قراءة
عكرمة وعطا لم ينقضوكم بالضاد معجمة **الحجة** من قرا ورسوله بالرفع فانه على الابتداء وخبره محذوف ويدل عليه ما تقدم
وتقديره ورسوله ايضا برئ منهم ويجوز ان يكون معطوفا على المضمر في برئ وحسن العطف عليه وان كان غير مؤكد لان قوله
من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سيبويه وجها ثالثا وهو ان يكون معطوفا على موضع ان وهذا وهم منه لان ان المفتوحة
مع ما بعدها في تاويل المصدر فقد تغيرت عن حكم المبتدا وصارت في حكم ليت ولعل وكان في احداثها معنى يفارق
المبتداء فكما لا يجوز العطف على موضعهن فكذا لا يجوز العطف على موضع ان وانما يجوز العطف على موضع ان المكسورة كما قال
الشاعر فمن يك امسى بالمدينة رحله فاني وقيار بها لغريب ولعل سيبويه توهم انها مكسورة فحمل على موضعها فقد قرئ
في الشواذ ان الله برئ بالكسر فلعله تاول على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله تعالى وعلى هذا فيكون خبره محذوفا
ايضا ومن قرا لم ينقضوكم فمعناه لم ينقضوا امورهم وعهودكم **اللغة** الاذان الاعلام يقال اذنته بكذا فاذن اي اعلمته فعلم و
قيل ان اصله من النداء الذي يسمع بالاذن ومعناه اوقع في اذنه وتاذن بمعنى اذن كما يقال تيقن وايقن والمدة
والزمان والحين نظائر واصله من مد الشيء مدا فكانه زمان طويل الفسحة والمدة عند المتكلمين اسم للعدد ومن
حركات الفلك وهو محدث **الاعراب** واذان عطف على براءة عن الزجاج وقيل ان تقديره عليكم اذان لان فيه معنى
الامر فيكون مبتداء وخبره محذوف عن علي بن عيسى ويجوز ان يكون مبتداء والخبر قوله ان الله برئ على حذف
الباء كانه قال بان الله وعلى الوجهين الاولين يكون موضع ان نصبا على قوله الذين عاهدتم في موضع نصب على الاستثناء
وبشر معطوف على موضع معنى الاذان اي اذن وبشر عن ابي مسلم **المعنى** ثم بين سبحانه انه يجب اعلام المشركين براءته منهم
لئلا ينسبوا المسلمين الى الغدر فقال واذان من الله ورسوله الى الناس معناه واعلام وفيه معنى الامر اي اذنوا الناس
يعني اهل العهد وقيل اراد بالناس المومن والمشرك لان الكل داخلون في هذا الاعلام وقوله الى الناس اي للناس يقال

هذا اعلام لك واليك يوم الحج الاكبر فيه ثلاثة اقوال احدها انه يوم عرفة عن عمر وسعيد بن المسيب وعطا وطاوس ومجاهد
ويروى ذلك عن امير المومنين عليه السلام ورواه المسور بن مخرمة عن النبي صلى الله عليه واله وقال عطا الحج الاكبر الذي
فيه الوقوف والحج الاصغر الذي ليس فيه وقوف وهو العمرة وثانيها انه يوم النحر عن علي عليه السلام وابن عباس وسعيد بن جبير
وابن زيد والنخعي ومجاهد والشعبي والسدي وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام ورواه ابن ابي اوفى عن النبي صلى الله عليه
واله وقال الحسن وسمي الحج الاكبر لانه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك وثالثها انه جميع ايام الحج عن مجاهد ايضا
وسفيان فمعناه ايام الحج كلها كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعاث يراد به الحين والزمان لان كل حرف من هذه الحروف
واقع ايام ان الله برئ من المشركين فحذف المضاف ورسوله معناه ورسوله ايضا برئ منهم قيل ان البراءة الاولى لنقض
العهد والبراءة الثانية لقطع الموالاة والاحسان فليس بتكرار فان تبتم فهو خير لكم فمعناه فان تبتم في هذه المدة ايها المشركون
ورجعتم عن الشرك الى توحيد الله فهو خير لكم من الاقامة على الشرك لانكم تنجون به عن خزي الدنيا وعذاب الاخرة وان توليتم عن
الايمان وصبرتم على الكفر فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتونه بانفسكم من ان يحل بكم عذابه في الدنيا
وفي هذا اعلام بان الامهال ليس بعجز وانما هو لاظهار الحجة والمصلحة ثم اوعدهم بعذاب الاخرة فقال وبشر الذين كفروا بعذاب
اليم اي اخبرهم مكان البشارة بعذاب موجع وهو عذاب النار الا الذين عاهدتم من المشركين قوما من بني كنانة قال الفراء استثنى
الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوما من بني كنانة وبني ضمرة كان قد بقي من اجلهم تسعة اشهر امر باتمامها لهم
لانهم لم يظاهروا على المومنين ولم ينقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه واله وقال ابن عباس عني به كل من كان بينه وبين
رسول الله صلى الله عليه واله عهد قبل براءة وينبغي ان يكون ابن عباس اراد بذلك من كان بينه وبينه عهد وهدنة ولم
يتعرض له بعداوة ولا ظاهر عليه عدوا لان النبي صلى الله عليه واله صالح اهل هجر واهل البحرين وايلة ودومة الجندل فله
عهود بالصلح والجزية ولم ينبذ اليهم بنقض عهد ولا حاربهم بعد وكانوا اهل ذمة الى ان مضى لسبيله صلى الله عليه واله
ووفى لهم بذلك من بعده ثم لم ينقصوكم شيئا معناه لم ينقضوا من شروط العهد شيئا وقيل معناه لم يضروكم شيئا ولم يظاهروا
عليكم احدا اي ولم يعاونوا عليكم ايها المومنون احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي الى انقضاء مدتهم
التي وقعت المعاهدة بينكم اليها ان الله يحب المتقين لنقض العهود **قوله عز وجل فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ**
حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَعْلَمُونَ آيتان اللغة الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه واصله من سلخ الشاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا
نسلخه سلخا وسلوخا والحصر المنع من الخروج عن محيط والحصر والحبس والاسر نظاير والمرصد الطريق ومثله المرقب
والمرصاد يقال رصدته ارصده رصدا **الاعراب** قال ابو الحسن الاخفش قوله كل مرصد المعنى على كل مرصد فحذفت على
انشد تعالى اللحم للاضياف نيا ونرخصه اذا نضج القدور المعنى تعالى باللحم فحذف الباء قال الزجاج كل مرصد ظرف
كقولك ذهبت مذهبا وذهبت طريقا وذهبت كل طريق وقال ابو علي لا يحتاج في هذا الى تقدير على اذا كان المرصد
اسما للمكان كما انك اذا قلت ذهبت مذهبا ودخلت مدخلا اذا جعلت المدخل والمذهب اسمين للمكان لم يحتج الى
على ولا الى تقدير حرف جر الا ان ابا الحسن ذهب الى ان المرصد اسم للطريق واذا كان اسما للطريق كان مخصوصا واذا
كان مخصوصا وجب ان لا يصل الفعل الذي لا يتعدى اليه الا بحرف جر نحو قعدت على الطريق الا ان يجيء في ذلك اتساع نحو
ما حكاه سيبويه من قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت وقد غلط ابو اسحق الزجاج في قوله كل مرصد ظرف كقولك ذهبت
مذهبا وذهبت طريقا فان جعل الطريق ظرفا كالمذهب وليس الطريق بظرف لانه مكان مخصوص وقد نص سيبويه
على اختصاصه الا ترى انه حمل قول ساعدة لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب على انه قد حذف منه الحرف

اتساعا كما حذف من ذهبت الشام واذا ثبت ذلك فالمرصد مثله ايضا فى الاختصاص وان لا يكون ظرفا اذا اسما للطريق كان
وقوله احد واعرابه انه مرفوع بفعل مضمر الذى ظهر تفسيره المعنى وان استجارك احد قال الزجاج ومن زعم انه يرفع احد بالابتدا
فقد اخطاء لان ان الجزاء لا تتخطاء ما لا يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده فلو اظهرت المستقبل لقلت ان احد يقم اكرمه ولا
يجوز ان احد يقم زيد يقم لا يجوز ان يرتفع زيد بفعل مضمر الذى ظهر تفسيره ويجزم وانما جاز فى ان لان ان يليها الفعل وجواب
الجزاء يكون بالفعل وغيره ولا يجوز ان يضمر ويجزم بعد الابتداء لانك تقول ههنا ان تاتنى فزيد يقوم فالموضع موضع ابتدا
قال ابو على اعلم ان جواب الجزاء وان كان بغير الفعل فالاصل فيه الفعل والفاء واذا واقعان موقع الفعل بدلا له ان
قوله ويذرهم على قراءة من قراء بالجزم محمول على الموضع من قوله فلا هادى له وابى اسحق لا يجوز ان يضمر ويجزم بعد المبتداء و
لعمرى انه لا يجوز ان يضمر الفعل فترفع الاسم الذى يرتفع بالابتداء بالفعل المضمر فى نحو قوله ان تاتنى فزيد تقوم لان الجزم لا
يقع بعد المبتداء ولكن لا يمتنع ان يقع الجزم بعد الفاعل بالجزاء كما يقع فى الشرط لان الجزاء موضع فعل فالمسئلة التى منع
ابو اسحق اجازتها جايزة ولا اشكال فى جوازه وهى قوله ان يقم وقد نص سيبويه على اجازة ذلك قال الزجاج وانما يجوز الفصل
فى باب ان كان ان ان ام الجزاء ولا يزول عنه الى غيره فاما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها الا فى الشعر قال فتى واغلبتهم يحيوة
ويعطف عليه كاس الساق **المعنى** ثم بين سبحانه الحكم فى المشركين بعد انقضاء المدة فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قيل
هى الاشهر الحرم المعروفة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سرد وواحد فرد عن جماعة وقيل هى الاشهر الاربعة
التى حرم القتال فيها وجعل الله للمشركين ان يسيحوا فى الارض امنين على ما ذكرنا من اختلاف المفسرين فيها وعلى هذا
فمنهم من قال معناه اذا انسلخ الاشهر بانسلاخ المحرم لان المشركين من كان منهم له عهد امهلوا اربعة اشهر من حين نزلت براءة
فى شوال ومن لا عهد لهم فاجلهم من يوم نزل النداء وهو يوم عرفة او يوم النحر الى تمام الاشهر الحرم وهو بقية ذى الحجة والمحرم كله
فيكون ذلك خمسين يوما فاذا انقضت هذه الخمسون يوما انقضى الاجلان وحل قتالهم سواء كان لهم عهد خاص او
عام ومنهم من قال معناه اذا انسلخ الاشهر الاربعة التى هى عشرون من ذى الحجة ومحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من
ربيع الاخر اخرمنا فيها دماء للمشركين وجعلنا لهم فيها ان يسيحوا فيها امنين فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اى فضعوا
السيف فيهم حيث كانوا فى الاشهر الحرم او فى غيرها فى الحل او فى الحرم وهذا ناسخ لكل اية وردت فى الصلح والاعراض عنهم و
خذوهم قيل فيه تقديم وتاخير وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم وقيل ليس فيه تقديم وتاخير و
تقديره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم على وجه التخيير فى اعتبار الاصلح من الامرين وقوله
واحصروهم معناه واحبسوهم واسروهم او فادوهم بمال وقيل وامنعوهم دخول مكة والتصرف فى بلاد الاسلام و
اقعدوا لهم كل مرصد اى بكل طريق وبكل مكان تظنون انهم يمرون فيه وضيقوا المسالك عليهم لتمكنوا من اخذهم
وقوله لهم معناه لقتلهم واسرهم فان تابوا اى رجعوا من الكفر وانقادوا للشرع واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اى قبلوا
اقامة الصلوة وايتاء الزكوة لان عصمة الدم لا تقف على اقامة الصلوة واداء الزكوة فثبت ان المراد به القبول فخلوا سبيلهم
اى دعوهم يتصرفون فى بلاد الاسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معناه فخلوا سبيلهم الى البيت اى دعوهم يحجوا معكم
ان الله غفور رحيم واستدل بهذه الاية على ان من ترك الصلوة متعمدا يجب قتله لان الله اوجب الامتناع من قتل المشركين
بشرط ان يتوبوا ويقيموا الصلوة فاذا لم يقيموها وجب قتلهم وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله معناه وان
طلب احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم منك الامان من القتل بعد الاشهر الاربعة ليسمع دعوتك واحتجاجك عليه
بالقران فامنه وبين له ما تريد وامهله حتى يسمع كلام الله ويتدبره وانما خص كلام الله لان معظم الادلة فيه ثم ابلغه
مامنه معناه فان دخل فى الاسلام نال خير الدارين وان لم يدخل فى الاسلام فلا تقتله فيكون تغرير به
ولكن اوصله الى ديار قومه التى يامن فيها على نفسه وماله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اى ذلك الامان لهم بانهم

كما ان الشرط موضع فعل و
احد زيد يقم ح

قوم لا يعلمون الايمان والدلايل فامنهم حتى يسمعوا ويتدبروا فيعلموا وفى هذا دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية
وفى الاية دلالة على ان المتلو والمسموع كلام الله لان الشرع والعرف جعل الحكاية كعين المحكى يقول هذا كلام سيبويه و
شعر امرء القيس ومن ظن ان الحكاية تفارق المحكى لاجل هذا الظاهر فقد غلط لان المراد ما ذكرناه قوله عز وجل
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ ايتان القراءة فى الشواذ قراءة عكرمة ايلا بياء بعد الهمزة الحجة يمكن ان يكون ارادا الا قراءة الجماعة الا انه
ابدل اللام الاولى ياء لثقل الادغام وكسر الهمزة كما قالوا دينار وقيراط والاصل دنار وقراط لقولهم دنانير وقراريط
وقد جاء مع التضعيف وحده قال يا ليتما امنا شالت نعامتها ايما الى جنة ايما الى نار **اللغة** الظهور العلو والغلبة
واصله خروج الشئ الى حيث يصح ان يدرك والرقوب الانتظار والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظاير والرقيب الحافظ
والال العهد ماخوذ من الاليل وهو البريق يقال ال يؤل الا اذا لمع والالة الحربة للمعانها واذن مؤللة مشبهة للحربة
فى تحديدها قال وجدناهم كاذبا الهم وذو الال والعهد لا يكذب والال القرابة قال حسان لعمرك ان الك
من قريش كال السقب من رال النعام **المعنى** لما امر الله سبحانه بنبذ العهد الى المشركين بين ان العلة فى ذلك ما ظهر منهم من الغدر
وامر باتمام العهد لمن استقام على العهد الامر فقال كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله اى كيف يكون
لهؤلاء عهد صحيح مع اضمارهم الغدر والنكث وهذا يكون على التعجب وعلى الجحد ويدل عليه ما روى فى ان قراءة عبد الله
كيف يكون عهد عند الله ولا ذمة فادخل الكلام لا لان معنى الاول الجحد اى لا يكون لهم عهد وقيل معناه كيف يامر
الله ورسوله بالكف عن دماء المشركين ثم استثنى سبحانه فقال الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فان لهم عهدا
عند الله لانهم لم يضمروا الغدر بك والخيانة لك واختلف فى هؤلاء من هم فقيل هم قريش عن ابن عباس وقيل
هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه واله يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بان اعانوا
بنى بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه واله بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما
ان يلحقوا باى بلاد شاؤا فاسلموا قبل الاربعة الاشهر عن قتادة وابن زيد وقيل هم من قبايل بكر بنو خزيمة وبنو مدلج
وبنو ضمرة وبنو الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية الى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله
عليه واله وبين قريش فلم يكن نقضها الا قريش وبنو الديل من بكر فامر باتمام العهد لمن لم يكن نقض الى مدته وهذا
القول اقرب الى الصواب لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم معناه
فما استقاموا لكم على العهد اى ما داموا باقين معكم على الطريقة المستقيمة فكونوا معهم كذلك ان الله يحب المتقين للنكث
والغدر كيف وان يظهروا عليكم ههنا حذف وتقديره كيف يكون لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وانما حذفه لان ما قبله
من قوله كيف يكون للمشركين عهد يدل على ذلك ومثله قول الشاعر يرثى اخا له قد مات وخبرتمانى انما
الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف مات وهو ليس بقرية ومثله قول الحطيئة وكيف ولم اعلمهم
خذلوا كم على معظم ولا اديمكم قدوا اى فكيف تلوموننى على مدح قوم واستغنى عن ذكر ذلك لانه جرى فى
القصيدة ما يدل على ما اضمر ومعناه فكيف يكون لهؤلاء عهد عند الله ورسوله وهم بحال ان يظهروا عليكم ويظفروا
بكم ويغلبوكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة اى لم يحفظوا ولم يراعوا فيكم قرابة ولا عهدا والال القرابة عن ابن عباس والضحاك
والعهد عن مجاهد والسدى والجوار عن الحسن والحلف عن قتادة واليمين عن ابى عبد الله عليه السلم وقيل الال
اسم الله عن مجاهد وروى ان ابا بكر قرئ عليه كلام مسيلمة الكذاب فقال له كيف يخرج هذا من ال فاين يذهب
بكم ومن قال ان الال هو العهد قال جمع بينه وبين الذمة وان كان بمعناه لاجتماع معنى اللفظين كما قال والفى قولها

فاستقيموا لهم

السقب من رال النعام
والرال ولد النعام ق
لعم ولد الناقة نسعى ح

لاختلاف اللفظين ح

كذبا ومينا وقال معنى اذن منه بناء عنى ويعد يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم معناه يتكلمون بكلام الموالين لكم واكثرهم فاسقون
اى متمردون فى الكفر والشرك عن ابن الاخشيد وقال الجبائى اراد كلهم فاسقون لكنه وضع الخصوص موضع العموم وقال
القاضى معناه اكثرهم خارجون عن طريق الوفاء بالعهد واراد بذلك رؤساهم قوله عز وجل اشتروا بايات الله ثمنا
قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مومن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ايمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين خمس ايات القراءة قرا اهل الكوفة والشام ايمة الكفر بهمزتين والباقون ايمة
الكفر بهمزة واحدة وياء بعدها وقرا ابن عامر لا ايمان بكسر الهمزة ورواه ابن عقدة باسناده عن غريف بن الوضاح الجعفى
وعن جعفر بن محمد عليهما السلم والباقون بفتحها الحجة قال ابو على اصله افعلة واحدها امام فاذا جمعته على افعلة ففيه همزة هى
فاء الفعل ويزيد عليها همزة افعلة الزايدة فيجتمع همزتان واجتماع الهمزتين فى كلمة لا يستعمل بحقيقتهما قال الزجاج اصله اأممة
ولكن الميمين لما اجتمعا ادغمت الاولى فى الثانية والقيت حركتها الى الهمزة وصارت ائمة فابدل النحويون من الهمزة المكسورة
الياء قال ومن قال هذا كان اصله ائمة فجعلها واوا مفتوحة كما قالوا فى جمع ادم اوادم قال ومن جمع بين الهمزتين فى ائمة فحجته
ان سيبويه قال زعموا ان ابا اسحق كان يحقق الهمزتين فى اناس معه وقد يتكلم ببعضه العرب وهو ردى ووجه من القياس
ان الهمزة حرف من حروف الحلق كالعين وغيره وقد يجمع بينها فى نحو كعاعة وكع يكع وكما جاز اجتماع العينين جاز اجتماع الهمزتين
قال على بن عيسى انما جاز اجتماع الهمزتين هنا لئلا يجتمع على الكلمة تغيران الادغام والقلب مع خفة التحقيق لاجل ما بعد من
السكون وعلى هذا تقول هذا اأم من هذا بهمزتين قال وانما قلبت الهمزة من ائمة على حركتها دون حركة ما قبلها لان الحركة انما
نقلت من الميم الى الهمزة لبيان زنة الكلمة ولو ذهبت بقلبها على ما قبلها لكنت مناقضا للغرض فيها واما قوله لا ايمان لهم
فمن فتح الهمزة قال هو اشبه بالموضع فقد قال نكثوا ايمانهم ومن كسرها جعله مصدر امنته ايمانا خلاف اخفته ولا يريد به
مصدر امن الذى هو صدق فيكون تكريرا لدلالة ما تقدم من قوله فقاتلوا ائمة الكفر على ان اهل الكفر لا ايمان لهم
اللغة الايمان جمع يمين وهو القسم والطعن الاعتماد بالعيب واصله الطعن بالرمح والامام فى الخير مهتد هاد وفى الشر
ضال مضل والهم مقاربة الفعل بالعزم من غير ايقاع له وقد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم وقد يستعمل الهم على مقاربة
~~الفعل بالعزم وغير ايقاع له وقد ذموا بهذا الهم ففيه دليل على العزم وقد يستعمل الهم على مقاربة~~
الشى من غيره وهو فعل الشى اولا والمرة فعل لم يتكرر وهى الفعلة من المر والمرة والكرة والدفعة نظاير المعنى ثم بين سبحانه
خصال القوم فقال اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله ومعناه اعرضوا عن دين الله وصدوا الناس عنه
بشى يسير نالوه من الدنيا واصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو العقد على تسليم المتاع
بالثمن ومعنى الفاء هنا ان اشتراهم هذا اداهم الى الصد عن الاسلام وهذا ورد فى قوم من العرب جمعهم ابو سفيان على
طعامه ليستميلهم على عداوة النبى صلى الله عليه واله عن مجاهد وقيل ورد فى اليهود الذين كانوا ياخذون
الرشى من العوام على الحكم بالباطل عن الجبائى انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس العمل عملهم لا يرقبون فى مومن الا ولا ذمة
سبق معناه والفايدة فى الاعادة ان الاول فى صفة الناقضين للعهد والثانى فى صفة الذين اشتروا بايات الله ثمنا قليلا
وقيل انما تكرر تاكيدا واولئك هم المعتدون اى المجاوزون الحد فى الكفر والطغيان فان تابوا اى ندموا على ما كان منهم
من الشرك وعزموا على ترك العود اليه وقبلوا الاسلام واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اى قبلوهما وادوهما عند لزومهما
فاخوانكم فى الدين اى فهم اخوانكم فى الدين فعاملوهم معاملة اخوانكم المومنين ونفصل الايات اى نبينها ونميزها بخاصة
لكل واحدة فيها تتميز بها عن غيرها حتى يظهر مدلولها على اتم ما يكون فيها من الظهور لقوم يعلمون ذلك ويتبينونه

دون

دون الجهال دون الذين لا يتفكرون وان نكثوا اى نقضوا ايمانهم اى عهودهم وما حلفوا عليه من بعد عهدهم اى من بعد ان
عقدوه وطعنوا فى دينكم اى عابوه وقدحوا فيه فقاتلوا ائمة الكفر والضلالة وخصهم بالامر بقتالهم لانهم يضلون اتباعهم قالت
الحسن اراد به جماعة الكفار وكل كافر امام لنفسه فى الكفر ولغيره فى الدعاء اليه وقال ابن عباس وقتادة اراد به
رؤساء قريش مثل الحرث بن هشام وابى سفيان بن حرب وعكرمة بن ابى جهل وساير رؤساء قريش الذين نقضوا العهود
وكان حذيفة بن اليمان يقول لم يات اهل هذه الاية بعد وقال مجاهد هم اهل فارس والروم وقرا على عليه السلم هذه
الاية يوم البصرة ثم قال اما والله لقد عهد الى رسول الله صلى الله عليه واله وقال لى يا على لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة
الباغية والفئة المارقة انهم لا ايمان لهم من قرا بفتح الهمزة فمعناه انهم لا يحفظون العهد واليمين كما يقال فلان لا عهد له
اى لا وفاء له بالعهد ومن قرا بالكسر فمعناه لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد ويحتمل ان يكون معناه انهم كفروا فلا ايمان لهم
لعلهم ينتهون معناه قاتلوهم لينتهوا عن الكفر فانهم لا ينتهون عن ~~الكفر فانهم لا ينتهون~~ عنه بدون القتال وقيل معناه
لكن قصدكم فى قتالهم انتهاؤهم عن الكفر والشرك فان قيل كيف نفى بقوله لا ايمان لهم ما اثبته بقوله وان نكثوا ايمانهم
قيل له الايمان التى اثبتها هى ما حلفوا بها وعقدوا عليها وانما نفاها من بعد لانهم لم يفوا بها ولم يتمسكوا بموجبها الا تقاتلون
قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول الالف للاستفهام والمراد به التحضيض والايجاب ومعناه هلا تقاتلونهم وقد نقضوا
عهودهم واختلف فى هؤلاء فقيل هم اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا مع الاحزاب وهموا باخراج الرسول من المدينة
كما اخرجه المشركون من مكة عن الجبائى والقاضى وقيل هم مشركوا قريش واهل مكة وهم بدؤكم اول مرة بنقض العهد
عن الحسن عن ابن اسحق والجبائى وقيل بدؤكم بالقتال يوم بدر وقالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى نستاصل محمدا صلى الله
عليه واله ومن معه وقيل بدؤكم بقتال حلفاء النبى صلى الله عليه واله من خزاعة عن الزجاج اتخشونهم اى تخافون
ان ينالكم من قتالهم مكروه لفظه استفهام والمراد به تشجيع المؤمنين وفى ذلك غاية الفصاحة لانه جمع بين التقريع والتشجيع
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مومنين اى مصدقين المعنى لا تخشوهم ولا تتركوا قتالهم خوفا على انفسكم منهم فالله احق
ان تخافوا عقابه فى ترك امره بقتالهم ان كنتم مومنين مصدقين بعقاب الله وثوابه اى كنتم مومنين فخشية الله احق بكم
من خشية غيره قوله عز وجل قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين
ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ايتان القراءة فى الشواذ قراءة الاعرج وابن
ابى اسحق وعيسى الثقفى وعمرو بن عبيد ويتوب الله بالنصب ورويت عن ابى عمرو ايضا الحجة قال ابن جنى اذا نصب فالتوبة
داخلة فى جواب الشرط واذا رفع فهو استيناف وتقديره فى النصب ان تقاتلوهم تكن هذه الاشياء كلها التى احدها
التوبة من الله على من يشاء والوجه قراءة الجماعة على سبيل الاستيناف لانه تم الكلام على قوله ويذهب غيظ قلوبهم
ثم استانف فقال ويتوب الله على من يشاء لان التوبة منه سبحانه على من يشاء ليست مسببة عن قتالهم المعنى ثم اكد سبحانه
ما تقدم بان امر المسلمين بقتالهم وبشرهم بالنصرة والظفر عليهم فقال قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم قتلا واسرا ويخزهم اى
ويذلهم وينصركم عليهم اى ويعينكم ايها المؤمنين عليهم ويشف صدور قوم مومنين يعنى صدور بنى خزاعة الذين
وثبت عليهم بنو بكر عن مجاهد والسدى لانهم كانوا حلفاء النبى صلى الله عليه واله ويذهب غيظ قلوبهم معناه ويكون
ذلك النصر شفاء لقلوب المؤمنين التى امتلات غيظا لكثرة ما نالهم من الاذى من جهتهم ثم استانف سبحانه فقال ويتوب
الله على من يشاء اى ويقبل توبة من تاب منهم فرط تعديهم رحمة منه وفضلا والله عليم حكيم بتوبتهم اذا تابوا حكيم فى امركم
بقتالهم اذا نكثوا قبل ان يتوبوا ويرجعوا لان افعاله كلها صواب وحكمة وفى هذا دلالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه واله
لانه اخبر خبرا مخبره النظم وجه اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله شيئان احدهما البشارة بان منهم من يتوب ويرجع
عن الكفر الى الايمان والاخر بيان انه ليس فى قتالهم اقتطاع لاحد منهم عن التوبة قوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا

اى رؤساء الكفر

اذا منعوا انه لا ايفى به ويحتمل ان لا مومن معناه انهم

اى بداؤكم

قوم

لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم

الجعفى

من هذا كان اصله ايممة

بعامه

هو المقدم للاتباع فالامام

وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّٰهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ آية

اللغة الحسبان قوة المعنى فى النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به والترك ضد بنا فى محل القدرة عليه وقد يستعمل بمعنى ان لا يفعل كقوله وتركهم فى ظلمات يعمهون لا يبصرون والوليجة الدخيلة فى القوم من غيرهم والبطانة مثله ووليجة الرجل من يختص بدخلة امره دون الناس الواحد والجمع فيه سواء وكل شىء دخل فى شىء ليس منه فهو وليجة قال طرفة فان القوافى يتلجن موالجا تضايق عنه ان يولجه الابر الاعراب ام حرف عطف يعطف به الاستفهام وام حسبتم معطوف على ما تقدم من قوله الا تقاتلون وهو من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام فجعل بام ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ ولما تفعل مع تقريب لو وقعه ولم تفعل نفى الفعل بعد الطماع فى وقوعه المعنى ثم نبه سبحانه على جلالة الجهاد فقال ام حسبتم ان تتركوا ومعناه اظننتم ايها المؤمنين ان تتركوا من دون ان تكلفوا الجهاد فى سبيل الله مع الاخلاص ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم معناه ولما يظهر ما علم الله منكم فذكر نفى العلم والمراد نفى المعلوم تاكيدا للنفى ولان الله عالم بما يكون قبل ان يكون كيف يكون لو كان وتقديره اظننتم ان تتركوا ولم تجاهدوا ولم تتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اى ولم يعلم الذين لم يتخذوا سوى الله وسوى رسول الله صلى الله عليه واله والمؤمنين بطانة واولياء يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم قال الجبائى نهوا ان يكونوا منافقين وهو قول الحسن وفى هذا دلالة على تحريم موالاة الكفار والفساق والالف بهم والله خبير بما تعملون اى عليم باعمالكم فيجازيكم عليها النظم وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما تقدم الامر بالقتال عطف عليه هذا الشرط وهو الاخلاص فى الجهاد على وجه قطع العصمة ليظهر الطف ويستحق الثواب قوله عز وجل مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللّٰهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّٰهِ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللّٰهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ آيتان القراءة قرا اهل البصرة وابن كثير مسجد الله على الواحد وهو قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والباقون مساجد الله الحجة حجة من افرد انه عنى المسجد الحرام وحجة من قرا بالجمع انه عنى به المسجد الحرام وغيره من المساجد ويحتمل ان يكون اراد المسجد الحرام وانما جمع لان كل موضع منه مسجد يسجد عليه فيكون القراءتان بمعنى اللغة الاصل فى المسجد هو موضع السجود وفى العرف يعبر عن البيت المهيا للصلوة الجماعة فيه والعمارة ان يجدد منه ما استرم من الابنية ومنه اعتمر اذا زار لانه يجدد بالزيارة ما استرم من الحال المعنى لما امر الله سبحانه بقتال المشركين وقطع العصمة والموالاة عنهم امر بمنعهم عن المساجد فقال ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله معناه لا ينبغى للمشركين ان يكونوا قواما على عمارة مساجد الله ومتولين لامرها وينبغى ان يعمرها المسلمون وقيل ان المراد بذلك المسجد الحرام خاصة وقيل هى عامة فى جميع المساجد شاهدين على انفسهم بالكفر اى فى المساجد حال شهادتهم على انفسهم بالكفر او مع شهادتهم واختلف فى العمارة للمسجد يكون عمارته بطاعة الله وعبادته وقيل هى باستصلاحه ورم ما استرم منه لانه انما يعمر للعبادة عن الجبائى وقيل هى بان يكونوا من اهله اى لا ينبغى ان يترك المشركون فيه فيكونوا اهل المسجد الحرام عن الحسن واختلف فى شهادتهم على انفسهم بالكفر كيف هى فقيل هى ان النصرانى يسال ما انت فيقول انا نصرانى واليهودى يقول انا يهودى وكذلك المشرك اذا سئل ما دينك يقول مشرك لا يقولها احد غير العرب عن السدى وقيل معناه ان كلامهم يدل على كفرهم كما يقال كلام فلان يدل على بطلان دعواه عن الحسن وقيل هى قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل شهادتهم سجودهم لاصنامهم مع اقرارهم بانها مخلوقة عن ابن عباس ومعناه انهم يشهدون على انفسهم بافعالهم واحوالهم ومن اظهر شيئا وبينه يقال قد شهد به اولئك حبطت اعمالهم التى هى من جنس الطاعة من المؤمنين اى بطلت لانهم اوقعوها على الوجه الذى لا يستحق لاجله الثواب عليها عند الله وفى النار هم خالدون اى مقيمون مؤبدون انما يعمر مساجد الله ولفظة انما الاثبات المذكور ونفى ما عداه فمعناه لا يعمر مساجد الله بزيارتها واقامة العبادات فيها او ببنيانها

ودم المسترم منها الا من آمن بالله واليوم الاخر اى من اقر بوحدانية الله واعترف بالقيمة واقام الصلوة واتى الزكوة اى اعطاها ان وجبت عليه الى مستحقها ولم يخش الا الله اى لم يخف سوى الله احدا من المخلوقين وهذا راجع الى قوله اتخشونهم فالله احق ان تخشوه اى ان خشيتموهم فقد ساويتموهم فى الاشراك كما قال فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الاية فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين معناه فانهم من المهتدين الى الجنة ونيل ثوابها لان عسى من الله واجبة عن ابن عباس والحسن وفى ذكر الصلوة والزكوة وغير ذلك بعد ذكر الايمان دلالة على ان الايمان لا يتناول فعل الجوارح اذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه ومن قال ان المراد به التفصيل وزيادة البيان فقد ترك الظاهر قوله عز وجل أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ اربع ايات القراءة فى الشواذ قراءة محمد بن على الباقر عليه السلام وابن الزبير وابى وجزة السعدى وابى جعفر القارى اجعلتم سقاة الحاج وعمرة المسجد الحجة اما سقاة فهو جمع ساق وعمرة جمع عامر واما سقاية فقد قال ابن جنى فيه نظر ووجهه ان يكون جمعا جاء على فعال كعرق وعراق ورخل ورخال وظئر وظؤار وتؤام وتوأم وبرى وبراء وانسان واناس ثم انث كما تونث من الجموع اشياء نحو حجارة وعيورة وكان من عدل عن قراءة الجماعة سقاية الحاج وعمارة الى هذا انما هرب من ان يقابل الحدث بالجواهر وذلك ان من آمن جوهر وسقاية وعمارة مصدران فلا بد اذا من حذف المضاف اى اجعلتم هذين الفعلين كفعل من آمن بالله فلما راى انه لا بد من حذف المضاف قرا سقاة وعمرة وسقاية على ما مضى اللغة السقاية الة تتخذ لسقى الماء والسقاية مصدر كالسقى ايضا وقيل انهم كانوا يسقون الحجيج الماء والشراب وبيت البئر سقاية ايضا والبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور فى بشرة الوجه يقال بشرته ابشره بشرى والرضوان هو معنى يستحق بالاحسان ويدعوا الى الحمد على ما كان ويضاد سخط العصيان والنعيم مشتق من النعمة وهى اللين فاما النعمة بكسر النون فهى منفعة يستحق بها الشكر لانها كنعمة العيش والابد الزمان المستقبل من غير اخر كما ان قط للماضى يقال ما رايته قط ولا اراه ابدا وجمع الابد اباد وابود يقال لا افعل ذلك ابد الابد وابد الابدين وتابد المنزل اتى عليه الابد والابد الوحش سميت بذلك لطول اعمارها وقيل لم يمت وحشى حتف انفه وانما يموت بآفة والابدة الداهية النزول قيل انها نزلت فى على بن ابى طالب عليه السلام وعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وذلك انهم افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت وبيدى مفتاحه ولو اشاء بت فيه وقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال على عليه السلام لا ادرى ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد عن الحسن والشعبى ومحمد بن كعب القرظى وقيل ان عليا عليه السلام قال للعباس يا عم الا تهاجر الا تلحق برسول الله صلى الله عليه واله فقال الست فى افضل من الهجرة اعمر المسجد الحرام واسقى حاج بيت الله فنزلت اجعلتم سقاية الحاج عن ابن سيرين ومرة الهمدانى وروى الحاكم ابو القاسم الحسكانى باسناده عن ابن بريدة عن ابيه قال بينا شيبة والعباس يتفاخران اذ مر بهما على بن ابى طالب عليه السلام فقال بماذا تتفاخران فقال العباس لقد اوتيت على صغرى ما لم يؤت احد فقال وما اوتيت يا على فقال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله فقام العباس مغضبا يجر ذيله حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه واله وقال اما ترى الى ما يستقبلنى به على عليه السلام فقال صلى الله عليه واله ادعوا لى عليا فدعى له عليه السلام فقال ما حملك على ما استقبلت به عمك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض فنزل جبرئيل عليه السلام وقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول اتل عليهم اجعلتم سقاية الحاج الايات فقال العباس انا قد رضينا ثلاث مرات وفى تفسير ابى حمزة ان العباس لما اسر يوم بدر اقبل عليه اناس من المهاجرين والانصار فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم فقال ما لكم

الفعل المبتدأ فى م

نفى الفعل م

كان وعالام

تجدودها م

وقراءة الضحاك سقاية الحاج وعمرة المسجد م

من الفضائل يا لم يؤت احد سقاية الحاج وقال شيبة اوتيت عمارة المسجد الحرام فقال على انا استحييت لكما فقد اوتيت على م

تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا قالوا وهل لكم محاسن قال نعم والله انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله ما كان للمشركين ان يعمروا الحاج الايات المعنى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله هذا استفهام معناه الانكار اى لا تجعلوا وحذف لدلالة الكلام عليه وتقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج واهل عمارة المسجد الحرام كمن امن بالله حتى يكون مقابلة الشخص بالشخص او يكون تقديره اجعلتم السقاية والعمارة كايمان من امن بالله حتى يكون مقابلة الفعل بالفعل وسقاية الحاج سقيهم الشراب قال الحسن وكان نبيذ زبيب يسقون الحاج في الموسم بين الله سبحانه انه لا يقابل هذه الاشيا بالايمان بالله واليوم الاخر والجهاد في سبيله فانه لا مساواة بين الامرين لا يستوون عند الله في الفضل والثواب والله لا يهدي الى طريق ثوابه القوم الظالمين كما يهدي اليه من كان عارفا به فاعلا لطاعته مجتنبا لمعصيته ثم ابتدا سبحانه فقال الذين امنوا اى صدقوا واعترفوا بوحدانية الله وهاجروا عن اوطانهم التي هي دار الكفر الى دار الاسلام وجاهدوا في سبيل الله اى تحملوا المشاق في ملاقاة اعداء الدين لم يفعلوا هذه الاشياء واولئك هم الفائزون اى الظافرون بالبغية يبشرهم ربهم في الدنيا على السنة الرسل وبما بين في كتبه من الثواب الموعود على الجهاد برحمة منه ورضوان في الاخرة وجنات لهم فيها نعيم مقيم اى دايم لا يزول ولا ينقطع خالدين فيها ابدا اى دايمين فيها مع كون النعيم معهم ان الله عنده اجر اى جزاء على العمل عظيم اى كثير مضاعف لا يبلغه نعمة غني من الخلق قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيراتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين ايتان القراءة قرا ابو بكر عن عاصم وعشيراتكم على الجمع والباقون عشيرتكم على التوحيد الحجة من افرد فان عشيرة تقع على الجمع وقال ابو الحسن العرب لا تجمع العشيرة عشيرات وانما تقول عشاير ومن جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة اللغة الاستحباب طلب المحبة ويجوز ان يكون استحب بمعنى احب كما ان استجاب بمعنى اجاب فيكون كانه طلب محبته فوقع له والعشيرة الجماعة ترجع الى عقد واحد كالعشرة ومنه المعاشرة والاقتراف اقتطاع الشيء من مكانه الى غيره من قرفت القرحة اذا قشرتها والقرف من القشر والتربص التثبت في الشيء حتى يجيء وقته والتربص والتثبت والتنظر والتوقف نظاير ونقيضه التعجيل النزول روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حيث كتب الى قريش بخبر النبي صلى الله عليه واله لما اراد فتح مكة المعنى ثم نهى الله سبحانه المومنين عن موالاة المشركين وان كانوا في النسب الاقربين فقال يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء وهذا في امر الدين واما امر الدنيا فلا باس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه وصاحبهما في الدنيا معروفا وقال ابن عباس لما امر الله سبحانه المومنين بالهجرة وارادوا الهجرة فمنهم من تعلقت به زوجته ومنهم من تعلق به ابواه واولاده وكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لاجلهم فبين سبحانه ان امر الدين مقدم على الدنيا واذا وجب قطع قرابة الابوين فالاجنبي اولى ان استحبوا الكفر على الايمان اى اختاروا الكفر واثروه على الايمان قال الحسن من تولى المشرك فهو مشرك هذا اذا كان راضيا بشركه ومن يتولهم منكم فترك طاعة الله لاجلهم واطلعهم على اسرار المسلمين فاولئك هم الظالمون لنفوسهم والباخسون حقها من الثواب لانهم وضعوا الموالاة في غير موضعها لان موضعها اهل الايمان قل يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة الى دار السلام ان كان اباؤكم الذين ولدوكم وابناؤكم الذين ولدتموهم وهم الاولاد الذكور واخوانكم في النسب وازواجكم اللاتي عقدتم عليهن عقد النكاح وعشيرتكم اى اقاربكم واموال اقترفتموها اى اكتسبتموها واقتطعتموها وجمعتموها وتجارة تخشون كسادها اى تخشون انها تكسد اذا اشتغلتم بطاعة الله تعالى والجهاد ومساكن ترضونها اى مساكن اخترتموها لانفسكم وتعجبكم المقام فيها احب اليكم اى اثر في نفوسكم واقرب الى قلوبكم من الله ورسوله اى من طاعة الله وطاعة رسوله وجهاد في سبيله اى ومن الجهاد في سبيل الله فتربصوا اى انتظروا حتى ياتي الله بامره اى بحكمه فيكم وقيل

باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله من غيرهم من المؤمنين الذين م

الكافرون ر

المنب ر

بعقوبتكم على اختياركم هذه الاشياء على الجهاد وطاعة الله اما عاجلا واما اجلا وفيه وعيد شديد عن الحسن والجبائي وقيل بفتح مكة عن مجاهد قال بعضهم وهذا لا يصح لان سورة براءة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين مضى تفسيره قوله عز وجل لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ثلث ايات اللغة الموطن الموضع الذي يقيم فيه صاحبه وهو مفعل من الوطن واستوطن بالمكان اذا اتخذه وطنا وحنين اسم واد بين مكة والطايف والاعجاب السرور بما يتعجب منه والعجب السرور بالنفس والرحب السعة في المكان وضده الضيق وقولهم مرحبا معناه اتيت سعة والسكينة الطمانينة والامنة وهي فعيلة من السكون قال الشاعر لله قبر غالها ماذا اجن لقد اجن سكينة ووقارا والجنود الجموع التي تصلح للحرب الاعراب مواطن لا ينصرف لانه جمع ليس على مثال الاحاد ويوم حنين اى وفي يوم حنين عطف على مواطن اى ونصركم يوم حنين وانما صرف حنينا لانه اسم لمذكر وهو واد ولو ترك صرفه على انه اسم للبقعة لجاز قال الشاعر نصروا نبيهم وشدوا ازره بحنين يوم تواكل الابطال وما في قوله بما رحبت مصدرية اى برحبها وسعتها المعنى لما تقدم امر المؤمنين بالقتال ذكرهم بعده ما اتاهم من النصرة حالا بعد حال فقال لقد نصركم الله في مواطن كثيرة اللام للقسم فكانه سبحانه اقسم بانه نصر المؤمنين اى اعانهم على اعدائهم في مواطن كثيرة على ضعفهم وقلة عددهم حثا لهم على الانقطاع اليه ومفارقة الاهلين والاقربين في طاعته وورد عن الصادقين عليهم السلام انهم قالوا انها كانت ثمانين موطنا وروي ان المتوكل اشتكى شكاية شديدة فنذر ان يتصدق بمال كثير ان شفاه الله فلما عوفي سال العلماء عن حد المال الكثير فاختلفت اقوالهم فاشير اليه ان يسال ابا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام وقد كان حبسه في داره فامر ان يكتب اليه فكتب اليه عليه السلام يتصدق بثمانين درهما ثم سالوه عن العلة في ذلك فقرا هذه الاية وقال عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين موطنا ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم اى سرتكم وصرتم معجبين بكثرتكم قال قتادة وكان سبب انهزام المسلمين يوم حنين ان بعضهم قال حين راى كثرة المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فانهزموا بعد ساعة وكانوا اثني عشر الفا وقيل انهم كانوا عشرة الفا وقيل انهم كانوا عشرة الاف وقيل ثمانية الاف والاول اصح واكثر في الرواية فلم تغن عنكم شيئا اى فلم يدفع عنكم كثرتكم سوءا وضاقت عليكم الارض بما رحبت اى برحبها والباء بمعنى مع والمعنى ضاقت عليكم الارض مع سعتها كما يقال اخرج بنا الى موضع كذا اى معنا والمراد لم تجدوا من الارض موضعا للفرار اليه ثم وليتم مدبرين اى وليتم عن عدوكم منهزمين وتقديره وليتموهم ادباركم وانهزمتم ثم انزل الله سكينته اى رحمته التي تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف على رسوله وعلى المؤمنين حين رجعوا اليهم وقاتلوهم وقيل على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه واله وهم علي عليه السلام والعباس في نفر من بني هاشم عن الضحاك بن مزاحم وروى الحسن بن علي بن فضال عن ابي الحسن الرضا عليه السلام انه قال السكينة ريح من الجنة تخرج طيبة لها صورة كصورة وجه الانسان فتكون مع الانبياء عليهم السلام اورده العياشي مسندا وانزل جنودا لم تروها اراد به جنودا من الملائكة وقيل ان الملائكة نزلوا يوم حنين بتقوية قلوب المومنين وتشجيعهم ولم يباشروا القتال يومئذ ولم يقاتلوا الا يوم بدر خاصة عن الجبائي وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسلب الاموال والاولاد وذلك جزاء الكافرين على كفرهم ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ذكر سبحانه ثم في ثلاثة مواضع متقاربة الاول ثم وليتم عطف على ما قبله من الفعل وهو قوله ضاقت عليكم والثاني ثم انزل الله سكينته عطف على قوله وليتم مدبرين والثالث ثم يتوب عطف على انزل وانما حسن عطف المستقبل على الماضي لانه ليس كله فان الاول تذكير بنعمة الله والثاني وعد بنعم الله والمعنى ثم يقبل الله توبة من تاب عن الشرك ورجع

اى وفي يوم حنين م

وذلك العذاب جزاء الكافرين م

الى طاعة الله والاسلام وندم على ما فعل من القبيح ويجوز ان يريد ثم يقبل الله توبة من انهزم من بعد هزيمته ويجوز ان
يقبل توبتهم عن اعجابهم بالكثرة وانما علقه بالمشية كما لا يجوز تعليق الثواب على الطاعة بالمشية ومن خالف في ذلك
انما علقها بالمشية لان منهم من له لطف يصلح به ويتوب ويؤمن عنده ومنهم من لا لطف له والله غفور
للذنوب رحيم لعباده **قصة غزاة حنين** ذكر اهل التفسير واصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه واله لما افتتح
مكة خرج منها متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اخر شهر رمضان او في شوال من سنة ثمان من الهجرة و
قد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك بن عوف النصري وساقوا معهم اموالهم ونسائهم وذراريهم ونزلوا باوطاس و
كان دريد بن الصمة في القوم وكان رئيس جشم وكان شيخا كبيرا قد ذهب بصره من الكبر فقال باي واد انتم قالوا
باوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ما لي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار الثور وثغاء الشاة
وبكاء الصبيان فقالوا ان مالك بن عوف ساق مع الناس اموالهم ونسائهم وابنائهم ليقاتل كل منهم عن اهله وماله
فقال دريد راعي ضان ورب الكعبة ثم قال ائتوني بمالك فلما جاءه قال يا مالك انك اصبحت رئيس قوم وهذا
يوم له ما بعده رد قومك الى عليا بلادهم والق الرجال على متون الخيل فانه لا ينفعك الا رجل بسيفه وفرسه فان
كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك لا يكون فضحت في اهلك وعيالك فقال له مالك انك قد كبرت وذهب
علمك وعقد رسول الله صلى الله عليه واله لواءه الاكبر ودفعه الى علي بن ابي طالب عليه السلام وكل من دخل مكة براية
امره ان يحملها وخرج بعد ان اقام بمكة خمسة عشر يوما وبعث الى صفوان بن امية فاستعار منه مائة درع فقال صفوان
عارية ام غصب فقال رسول الله صلى الله عليه واله بل عارية مضمونة مؤداة فاعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج
من مسلمة الفتح الفا رجل وكان علي عليه السلام دخل مكة في عشرة الاف رجل وخرج منها في اثني عشر الفا وبعث رسول الله
صلى الله عليه واله رجلا من اصحابه فانتهى الى مالك بن عوف وهو يقول لقومه ليصير كل رجل منكم اهله وماله خلف
ظهره واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر فاذا كان في غبش الصبح فاحملوا حملة رجل واحد
فهدوا القوم فان محمدا لم يلق احدا يحسن الحرب ولما صلى رسول الله صلى الله عليه واله باصحابه الغداة انحدر في وادي
حنين فخرجت عليهم كتائب القوم من كل ناحية انهزمت بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهزم من وراءهم وخلى الله بينهم و
بين عدوهم لاعجابهم بكثرتهم وبقي علي عليه السلام ومعه الراية يقاتلهم في نفر قليل ومر المنهزمون برسول الله صلى الله عليه
واله لا يلوون على شيء وكان العباس بن عبد المطلب اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه واله والفضل عن يمينه وابو
سفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره ونوفل بن الحرث وربيعة بن الحرث في تسعة من بني هاشم وعاشرهم ايمن بن ام ايمن
وقتل يومئذ وفي ذلك يقول العباس نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا وقولي اذا ما
الفضل كر بسيفه على القوم اخرى يا بني ليرجعوا وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لا يتوجع ولما راى رسول الله صلى
الله عليه واله هزيمة القوم عنه قال للعباس وكان جهوريا صيتا اصعد هذا الظرب فناد يا معشر المهاجرين والانصار يا اصحاب
سورة البقرة يا اهل بيعة الشجرة الى اين تفرون هذا رسول الله صلى الله عليه واله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا
وقالوا لبيك لبيك وتبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال النبي صلى الله عليه واله الان حمي الوطيس انا النبي
لا كذب انا ابن عبد المطلب ونزل النصر من عند الله تعالى وانهزمت هوازن هزيمة قبيحة فمروا في كل وجه ولم يزل
المسلمون في اثارهم ومر مالك بن عوف فدخل حصن الطائف وقتل منهم زهاء من مائة رجل واغنم الله المسلمين اموالهم
ونساءهم وامر رسول الله صلى الله عليه واله بالذراري والاموال ان تحدر الى الجعرانة وولى على الغنائم بديل بن ورقاء
الخزاعي ومضى عليه السلام في اثر القوم فوافى الطائف في طلب مالك بن عوف وحاصر اهل الطائف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة
انصرف واتى الجعرانة وقسم فيها غنائم حنين واوطاس قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما

لان قبول التوبة تفضل من الله تعالى ولو كان واجبا على ما قاله اهل الوعيد لما جاز تعليقه بالمشية

رغاء البعير رغاء صاح ... الحزن ما غلظ من الارض ... السهل والجمع ...

التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه واله لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب
البغلة الشهباء يعني رسول الله صلى الله عليه واله فتلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا
اكتافنا وكانوا اياها يعني الملائكة قال الزهري وبلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه واله
يوم حنين وانا اريد ان اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسوله صلى الله عليه
واله على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو احب الي
من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله اطلعك على ما في نفسي وقسم رسول الله صلى الله عليه واله الغنائم
بالجعرانة وكان معه من سبي هوازن ستة الاف من الذراري والنساء ومن الابل والشاة ما لا يدرى عدته قال ابو سعيد الخدري
قسم رسول الله صلى الله عليه واله للمتألفين من قريش وساير العرب ما قسم ولم يكن في الانصار منها شيء لا قليل ولا كثير فمشى
سعد بن عبادة الى رسول الله صلى الله عليه واله وقال يا رسول الله صلى الله عليه واله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك
في قسمتك هذه الغنائم في قومك وفي ساير العرب ولم يكن فيهم من ذلك شيء فقال صلى الله عليه واله واين انت من ذلك يا سعد فقال
ما انا الا امرؤ من قومي فقال رسول الله صلى الله عليه واله فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فجمعهم فخرج رسول الله صلى الله عليه
واله فقام فيهم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا معشر الانصار الم اتكم ضلالا فهداكم الله وعالة فاغناكم الله واعداء
فالف بين قلوبكم قالوا بلى ثم قال الا تجيبوني يا معشر الانصار فقالوا ما نقول وبماذا نجيبك المن لله ولرسوله فقال رسول الله
صلى الله عليه واله اما والله لو شئتم لقلتم وصدقتم جئتنا طريدا فاويناك وعائلا فواسيناك وخائفا فامناك ومخذولا
فنصرناك فقالوا المن لله ولرسوله فقال رسول الله صلى الله عليه واله وجدتم في انفسكم يا معشر الانصار في لعاعة من الدنيا
تالفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم على ما قسم الله لكم من الاسلام افلا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو ان الناس سلكوا شعبا وسلكت
الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار ولولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت
لحاهم وقالوا رضينا بالله وبرسوله قسما ثم تفرقوا قال انس بن مالك وكان رسول الله صلى الله عليه واله امر مناديا
فنادى يوم اوطاس الا لا توطاء الحبالى حتى يستبرين بحيضة ثم اقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله بالجعرانة
مسلمين وقام خطيبهم فقال يا رسول الله انما في الحظاير من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك فلو انا نكحنا ابن ابي
شمر والنعمن بن المنذر ثم اصابنا منهما مثل الذي اصابنا منك رجونا عائدتهم وانت خير المكفولين ثم انشد ابياتا فقال
رسول الله صلى الله عليه واله اي الامرين احب اليكم السبي ام الاموال قالوا يا رسول الله خيرتنا بين الحسب والمال الحسب احب الينا ولا نتكلم في شاة
ولا بعير فقال رسول الله صلى الله عليه واله اما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف اكلم لكم المسلمين واشفع لكم فكلموهم واظهروا
اسلامكم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه واله الهاجرة قاموا فتكلموا فقال النبي صلى الله عليه واله قد رددت الذي لبني
هاشم والذي بيدي عليهم فمن احب منكم ان يعطي غير مكره فليفعل ومن كره ان يعطي فليأخذ الفداء وعلي فداؤهم فاعطى الناس
ما بايديهم الا قليلا من الناس سالوا الفداء وارسل رسول الله صلى الله عليه واله الى مالك بن عوف فقال ان جئتني مسلما
رددت اليك اهلك ومالك ولك عندي مائة ناقة فخرج اليه من الطائف فرد عليه اهله وماله واعطاه مائة من
الابل واستعمله على من اسلم من قومه **قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد
عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم** **اية القراءة** في الشواذ قراءة
ابن السميفع انجاس على الجمع وفي مصحف عبد الله بن مسعود وان خفتم عائلة **الحجة** قال ابن جني هذا من المصادر التي جاءت
على فاعلة كالعاقبة والعافية واللاغية **اللغة** كل مستقذر نجس يقال رجل نجس وامراة نجس لانه مصدر واذا استعملت
هذه اللفظة من الرجس قيل رجس نجس بكسر النون والعيلة الفقر يقول عال يعيل اذا افتقر قال الشاعر وما يدري
الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل **المعنى** لما تقدم النهي عن ولاية الكفار الى سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام

الانصار ان يذهب الناس الى رحالهم بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله الى رحالكم فوالذي نفسي بيده

نجس

وحضر عليهم دخوله فقال يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس معناه ان الكافرين انجاس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا اى فامنعوهم عن المسجد الحرام قيل المراد به منعهم من دخول الحرم عن عطا قال فالحرم كله مسجد وقبلة والعام الذى
اشار اليه هو سنة تسع الذى نادى فيه على عليه السلام بالبراءة وقال لا يحجن بعد هذا العام مشرك وقيل المراد به منعهم
من دخول المسجد الحرام على طريق الولاية للموسم والعمرة وقيل منعوا من الدخول اصلا فى المسجد ومنعوا من حضور الموسم ودخول الحرم عن الجبائى
وروى عن عمر بن عبد العزيز انه كتب ان امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه اليه اصحابنا من
ان من صافح الكافر ويده رطبة وجب ان يغسل يده وان كانت يداهما يابستين مسحها بالحايط وقال الحسن انما سماهم الله انجاسا الخبث
اعتقادهم وافعالهم واقوالهم واجازوا للذمى دخول المساجد قالوا وانما يمنعون من دخول مكة للحج قال قتادة سماهم انجاسا
لانهم يجنبون ولا يغتسلون ويحدثون ولا يتوضؤن فمنعوا من دخول المسجد لان الجنب لا يجوز له دخول المسجد وان خفتم عيلة اى
فقرا وحاجة وكانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين عن دخول الحرم فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء اى فسوف
يغنيكم الله من جهة اخرى ان شاء ان يغنيكم بان يرغب الناس من اهل الافاق فى حمل الميرة اليكم رحمة منه ونعمة عليكم قال
مقاتل اسلم اهل نجد وصنعاء وجرش من اليمن وحملوا الطعام الى مكة على ظهور الابل والدواب وكفاهم الله سبحانه ما كانوا يتخوفون وقيل معناه يغنيكم بالجزية الماخوذة من اهل الكتاب وقيل بالمطر والنبات وقيل باباحة الغنايم
واذا سئل عن معنى المشية فى قوله ان شاء فالقول فيه ان الله تعالى قد علم ان منهم من يبقى الى فتح البلاد واغتنام اموال
الاكاسرة فيستغنى ومنهم من لا يبقى الى ذلك الوقت فلهذا علقه بالمشية وقيل انما علقه بالمشية ليرغب الانسان الى الله تعالى فى طلب الغنى منه
وليعلم ان الغنى لا يكون بالاجتهاد ان الله عليم بالمصالح وتدبير العباد وبكل شيء حكيم فيما يامر وينهى قوله عز وجل قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا
الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون اية اللغة الدين فى الاصل الطاعة قال زهير لئن حللت بجو فى بنى
اسد فى دين عمرو وحالت بيننا فدك والجزية فعلة من جزى يجزى مثل القعدة والجلسة وهى عطية مخصوصة جزاء لهم
على تمسكهم بالكفر عقوبة لهم عن على بن عيسى والصغار الذل والنكال الذى يصغر قدر صاحبه يقال صغر يصغر صغارا فهو
صاغر الاعراب عن يد فى موضع نصب على الحال اى نقدا كما يقال باعه يدا بيد النزول قيل نزلت هذه الاية حين امر رسول
الله صلى الله عليه واله بحرب الروم فغزا بعد نزولها غزاة تبوك عن مجاهد وقيل هى على العموم المعنى ثم بين سبحانه ان
الكفار من يجوز تبقيته بالجزية فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر يعنى الذين لا يعترفون بتوحيد الله ولا
يقرون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحة ما ذهب اليه اصحابنا من انه لا يجوز ان يكون من جملة الكفار من هو عارف
بالله وان اقر باللسان وانما يكونون معتقدين لذلك اعتقادا ليس بعلم لانه صرح فى الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية
لا يؤمنون بالله وباليوم الاخر ومن قال انه يجوز ان يكونوا عارفين بالله قال ان الاية خرجت مخرج الذم لهم لانهم
بمنزلة من لا يقر به فى عظم الجرم قال الجبائى لانهم يضيفون اليه ما لا يليق به وكانهم لا يعرفونه وانما جمعت هذه الاوصاف
لهم ولم يذكروا بالكفار من اهل الكتاب للتحريض على قتالهم بما هم عليه من صفات الذم الذى يوجب البراءة منهم والعداوة
لهم ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله موسى وعيسى عليهما السلام من كتمان بعث محمد صلى الله عليه واله ولا يدينون دين الحق
هنا هو الله تعالى والعمل بما فى التورية من اتباع نبينا صلى الله عليه واله وقيل الحق هو الله ودينه الاسلام عن قتادة قيل
معناه ولا يطيعون الله طاعة اهل الاسلام عن ابى عبيدة وقيل معناه ولا يعترفون بالاسلام الذى هو الدين الحق من الذين
اوتوا الكتاب وصف الذين ذكرهم بانهم من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وقال اصحابنا ان المجوس حكمهم حكم اليهود
والنصارى حتى يعطوا الجزية عن يد اى نقدا من يده الى يد من يدفعه اليه من غير نايب كما يقال كلمته فما لفم وقيل معناه عن قدرة لكم
عليهم وقهر لهم كما يقال كان اليد لفلان وقيل عن يد لكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم وهم صاغرون اى
ذليلون مقهورون يجرون الى الموضع الذى يقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدوها وقيل هو ان يعطوا الجزية قايمين و

واختلف فى نجاسة الكافر فقال قوم من الفقهاء ان الكافر نجس العين وظاهر الاية يدل على ذلك

وقيل يعنى ما حرمه محمد صلى الله عليه واله

احد الوجهين والوجه الاخر ان لا يكون القراءتان متفقتين الا انك حذفت التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا ما يروى من قراءة بعضهم احد الله الصمد وقال حاتم الطائى
والاخذ حالس عن عكرمة قوله عز وجل وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك
قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ايات القراءة
قرا عاصم والكسائى ويعقوب وسهل عزير منونا والباقون عزير ابن الله من غير تنوين وقرا عاصم وحده يضاهؤن
بالهمزة والباقون بغير همزة الحجة قال ابو على من قرا عزير جعله مبتداء وجعل ابنا خبره واذا كان كذلك فلا بد من
اثبات التنوين وحال السعة والاختيار لان عزيرا ونحوه ينصرف عجميا كان او عربيا واما من حذف التنوين فان حذفه
على وجهين احدهما ان يجعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد كما جعلهما كذلك فى قوله لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم
يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك لكثرة الاستعمال ولا يجوز اثبات التنوين فى هذا الباب اذا كان صفة وان كان الا
انهم جعلوه من الاصول المرفوضة كما ان اظهار الاول فى المثلين فى نحو ظننوا لا يجوز فى الكلام فاذا كانا بمنزلة اسم مفرد و
المفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسها مفيدة وهذا النحو فلا بد من اضمار جزء اخر يقدر ايضا اليه ليتم جملة ويجعل الظاهر اما
مبتداء او خبر مبتداء فيكون التقدير انهما قالا اما والله ما صاموا لهم ولا صلوا ولكنهم احلوا لهم حراما وحرموا عليهم حلالا فاتبعوهم
فعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعلبى باسناده عن عدى بن حاتم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه واله وفى عنقى
صليب من ذهب فقال لى يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرا من سورة
براءة هذه الاية اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا حتى فرغ منها فقلت له انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل
الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا اى معبودا واحدا هو الله تعالى لا اله الا هو
اى لا يحق العبادة الا له ولا يستحق العبادة سواه سبحانه تنزيها له عما يشركون اى عن شركهم وعما يقولونه وعما لا يليق به
قوله عز وجل يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اللغة الاطفاء اذهاب نور النار ثم استعمل
فى اذهاب كل نور والافواه جمع فم واصله فوه فحذفت الهاء وابدلت من الواو ميم لانه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل
لها والاباء الامتناع مما طلب من المعانى قال الشاعر وان ارادوا ظلمنا ابينا اى منعنا من الظلم الاعراب
قوله الا ان يتم نوره انما دخلت الا لان فى ابيت ضرب من الجحد تقول ابيت ان افعل كذا فيكون معناه لم افعل قال
الشاعر وهل لى ام غيرها ان تركتها ابى الله الا ان اكون لها ابنا قال الزجاج فى الاية حذف تقديره ويابى الله كل
شيء الا اتمام نوره وقال ولا يكن الايجاب جحدا ولو جاز ذلك على ان يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت الا
اخاك مثل ابيت الا ان ابيت الحذف مستعمل معها المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى
انهم يريدون ان يطفئوا نور الله وهو القران والاسلام عن اكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لانهما
يهتدى بهما كما يهتدى بالانوار عن الجبائى قال ولما سمى سبحانه الحجج والبراهين انوارا سمى معارضتهم لذلك اطفاء ثم قال
بافواههم لان الاطفاء يكون بالافواه وهو النفخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شانهم وتضعيف كيدهم
لان الفم يؤثر فى الانوار الضعيفة دون الاقباس العظيمة ويابى الله الا ان يتم نوره معناه ويمنع الله الا ان يظهر امر القران و
امر الاسلام وحجته على التمام واصل الاباء المنع والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجبرة ولهذا تقول العرب فلان
يابى الضيم وهو ابى الضيم ولا مدحة فى كراهة الضيم لانه يستوى فيه القوى والضعيف وانما المدحة فى الامتناع والمنع منه
ولو كره الكافرون اى تم على كره من الكافرين هو الذى ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه واله وحمله الرسالات التى يؤديها
الى امته بالهدى اى بالحجج والبينات والدلايل ودين الحق وهو الاسلام وما تضمنه من الشرايع التى يستحق عليها الجزاء بالثواب
وكل دين سواه باطل يستحق به العقاب ليظهره على الدين كله معناه ليعلى دين الاسلام على جميع الاديان بالحجة والغلبة والقهر

لها حتى لا يبقى على وجه الارض دين الا مغلوب ولا يغلب احد اهل الاسلام بالحجة وهم يغلبون ساير الاديان بالحجة واما الظهور
بالغلبة فهو ان كل طايفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية من نواحي اهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل اراد عند نزول
عيسى بن مريم عليه السلم لا يبقى اهل دين الا اسلم او ادى الجزية عن الضحاك وقال ابو جعفر عليه السلم ان ذلك يكون عند
خروج المهدى من ال محمد عليه السلم فلا يبقى احد الا اقر بمحمد صلى الله عليه واله وهو قول السدى وقال الكلبى لا يبقى دين
الا ظهر عليه الاسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك وقال المقداد بن الاسود وسمعت
رسول الله صلى الله عليه واله يقول لا يبقى على ظهر الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز عزيز
او بذل ذليل اما بعزهم فيجعلهم الله من اهله فيعزوا به واما بذلهم فيدينون له وقيل ان الهاء فى ليظهره عايدة الى الرسول
اى ليعلمه الله الاديان كلها حتى لا يخفى عليه شئ منها عن ابن عباس ولو كره المشركون اى وان كرهوا هذا الدين فان
الله يظهره رغما لهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل
ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب
اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون
ايتان اللغة الكنز فى الاصل هو الشئ الذى جمع بعضه الى بعض يقال للشئ المجتمع المكتنز وناقة كناز اللحم مجتمعة قال نفطويه
سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى وسميت الفضة فضة لانها تنفض اى تتفرق فلا تبقى وحسبك بالاسمين دلالة
على فنائهما والاحماء جعل الشئ حارا فى الاحساس وهو فوق الاسخان وضد التبريد يقال حمى يحمى حما واحماه غيره والكى
الصاق الشئ الحار بالعضو من البدن الاعراب الذين يكنزون موضعه نصب لانه معطوف على اسم ان ويكون المعنى و
ان الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يأكلونها ويجوز ان يكون رفعا على الاستيناف وذكر فى قوله ولا ينفقونها وجوه
احدها انه اراد ولا ينفقون الكنوز فرجع الضمير الى ما دل عليه الكلام والثانى انه لما ذكر الذهب والفضة دل هذا الجمع الذى
ليس بينه وبين واحده الا الهاء يذكر ويؤنث ثم لما اجتمعا فى التانيث وكان كل واحد منهما يوخذ عن صاحبه
فى الزكوة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشئ الواحد ورد الضمير اليهما بلفظ التانيث والرابع انه اكتفى باحدهما عن الاخر
للايجاز ورد الضمير الى الفضة لانها اقرب اليه كما قال حسان ان شرخ الشباب والشعر الاسود ما لم يعاص كان
جنونا وقد مر ذكر امثاله فيما مضى المعنى ثم بين سبحانه حال الاحبار والرهبان فقال يا ايها الذين امنوا ان كثيرا
من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل اى يأخذون الرشى على الحكم عن الحسن والجبائى واكل المال
بالباطل تملكه من الجهات التى تحرم فيها اخذه الا انه لما كان المقصود بالتصرف والتملك الاكل وضع الاكل موضع ذلك وقيل ان
معناه يأكلون متاع اموال الناس من الطعام وكانهم يأكلون الاموال لانها ثمن المأكول كما قال الشاعر ذر الاكلين
الماء لوما فما ارى ينالون خيرا بعد اكلهم الماء اى ثمن الماء ويصدون عن سبيل الله اى يمنعون غيرهم عن اتباع
الاسلام الذى هو سبيل الله التى دعاهم الى سلوكها عن اتباع محمد صلى الله عليه واله والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله اى يجمعون المال ولا يؤدون زكوته فقد روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال كل مال
لم يؤد زكوته فهو كنز وان كان ظاهرا وكل مال اديت زكوته فليس بكنز وان كان مدفونا فى الارض وقال
ابن عباس والحسن والشعبى والسدى قال الجبائى وهو اجماع وروى عن على عليه السلم ما زاد على اربعة الاف فهو كنز
ادى زكوته او لم يؤدها وما دونها فهو نفقة وتقدير الاية والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه فى سبيل الله ويكنزون الفضة
ولا ينفقونها فى سبيل الله فحذف المعطوف من الاول لدلالة الثانى عليه كما حذف المفعول فى الثانى لدلالة الاول عليه
فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات فتقديره والذاكرات الله واكثر المفسرين على ان قوله الذين يكنزون على الاستيناف
وان المراد بذلك مانعوا الزكوة من هذه الامة وقيل انه معطوف على ما قبله والاولى ان يكون محمولا على العموم فى

فيعزوا

على الاموال فكانه قال ولا ينفقون الاموال والثالث ان الذهب يؤنث وهو جمع واحده ذهبة م

الفريقين فبشرهم بعذاب اليم اى اخبرهم بعذاب موجع وروى سالم بن ابى الجعد ان رسول الله صلى الله عليه واله لما نزلت
هذه الاية قال تبا للذهب تبا للفضة يكررها ثلثا فشق ذلك على اصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله اى المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين احدكم على دينه يوم يحمى عليها اى تلك الكنوز المحماة والاموال التى منعوا حق الله فيها
فى نار جهنم اى توقد على الكنوز او على الذهب والفضة فى نار جهنم حتى تصير نارا فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وانما خص هذه الاعضاء لانها معظم البدن وكان ابو ذر الغفارى يقول
بشر الكانزين بكى فى الجباه وكى فى الجنوب وكى فى الظهور حتى تلتقى الحر فى اجوافهم ولهذا المعنى الذى اشار اليه ابو ذر خصت
هذه المواضع بالكى لان داخلها جوف بخلاف اليد والرجل وقيل انما خصت هذه المواضع بالعذاب لان الجبهة محل السجود
فلم تقم فيه بحقه والجنب يقابل القلب الذى لم يخلص فى معتقده والظهر محل الاوزار على ظهورهم عن الماوردى وقيل لان صاحب الكنز
اذا راى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه وطوى عنه كشحه وولاه ظهره عن ابى بكر الوراق هذا ما كنزتم لانفسكم اى
يقال لهم فى حال الكى او بعده هذا جزاء ما كنزتم وجمعتم المال ولم تؤدوا حق الله عنها وجعلتموها ذخيرة لانفسكم فذوقوا ما كنتم
تكنزون اى فذوقوا العذاب بسبب ما كنزتم اى تجمعون وتمنعون حق الله منه فحذف لدلالة الكلام عليه وقال رسول الله
صلى الله عليه واله ما من عبد له مال لا يؤدى زكوته الا جمع يوم القيمة صفايح يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جبهته و
جنباه وظهره حتى يقضى الله بين عباده يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما
الى النار اورده مسلم بن الحجاج فى الصحيح وروى ثوبان عن النبى صلى الله عليه واله قال من ترك كنزا مثل يوم القيمة شجاعا
اقرع له زبيبتان يتبعه ويقول ويلك ما انت فيقول انا كنزك الذى تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه
ساير جسده وروى الثعلبى باسناده عن الاعمش عن المعرور بن سويد عن ابى ذر قال اتيت رسول الله صلى الله عليه
واله وهو فى ظل الكعبة فلما رانى قد اقبلت قال هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب الكعبة قال فدخلنى غم وجعلت
اتنفس الصعداء وقلت هذا شئ حدث فى قال قلت من هم فداك ابى وامى قال الاكثرون الا من قال فى المال فى عباد
الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن خلفه وقليل ما هم وروى عن ابى ذر انه قال من ترك بيضاء او حمراء كوى بها يوم القيمة قوله
عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك
الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين اية القراءة
قرا ابو جعفر اثنا عشر واحد عشر وتسعة عشر بسكون العين والباقون بفتحها الحجة الوجه فى ذلك ان الاسمين لما جعلا كالاسم
الواحد وبنى الاول منهما لانه كصدر الاسم والثانى منهما لتضمنه واو العطف جعل تسكين اول الثانى دليلا على انهما قد صارا كالاسم
الواحد اللغة والاعراب كافة بمعنى الاحاطة ماخوذة من كفة الشئ وهى حرفه واذا انتهى الشئ الى ذلك كف عن
الزيادة واصل الكف المنع ومنه المكفوف وهو الممنوع البصر وكافة نصب على المصدر ولا يدخلها الالف واللام لانه من
المصادر التى لا تنصرف لو قعد موقع معا وجميعا بمعنى المصدر الذى فى موضع الحال المؤكدة فهو فى لزوم النكرة نظير اجمعين
فى لزوم المعرفة هذا قول الفراء وقال الزجاج كافة منصوب على الحال فهو مصدر على فاعلة كالعاقبة والعافية وهى فى موضع قاتلوا
المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلتهم ولا يثنى ولا يجمع فلا يقال قاتلوهم كافات ولا كافين كما انك اذا قلت قاتلوهم عامة
لم يثن ولم يجمع وكذلك خاصة هذا مذهب النحويين المعنى لما ذكر سبحانه وعيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير
اخراج الزكوة وغيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك ان يذكر النهى عن مثل حاله وهو الظلم فى الاشهر الحرم الذى يؤدى
الى مثل حاله او شر منها فى المنقلب فقال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا عدد شهور السنة فى حكم الله وتقديره اثنا
عشر شهرا وانما تعبد الله المسلمين ان يجعلوا سنتهم على اثنى عشر شهرا ليوافق ذلك عدد الاهلة ومنازل القمر دون ما دان
به اهل الكتاب والشهر ماخوذ من شهرة الامر لحاجة الناس اليه فى معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك
من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله فى كتاب الله معناه فيما كتب الله فى اللوح المحفوظ وفى كتبه المنزلة على انبيائه وقيل فى
القران وقيل فى حكمه وقضائه عن ابى مسلم وقوله يوم خلق السموات والارض متصل بقوله عند الله والعامل فيها الاستقرار

الجنب محل الالم والظهر محل الحدود وقيل لان الجبهة محل الوسم لظهورها

والعافية

وانما قال ذلك لانه يوم خلق السموات والارض اجرى فيها الشمس والقمر وبمسيرهما يكون الشهور والايام وبهما يعرف الشهور منها اربعة حرم
اى من هذه الاثنى عشر شهرا اربعة اشهر حرم ثلاثة منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومعنى حرم
انه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم فى غيرها وكانت العرب تعظمها حتى لو ان رجلا لقى قاتل ابيه فيها لم يهجه لحرمتها
وانما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور اعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة فى الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها ولانه
ربما ادى ذلك الى ترك الظلم اصلا لانطفاء النايرة وانكسار الحمية فى تلك المدة فان الاشياء تجر الى اشكالها وسمى السنة
المحرم سمى بذلك لتحريم القتال فيه وصفر سمى بذلك لان مكة تصفر من الناس فيه اى تخلو وقيل لانه وقع وباء فيه فاصفرت
وجوههم وقال ابو عبيدة سمى بذلك لانه اصفرت فيه اوطابهم عن اللبن وشهر ربيع سميا بذلك لانبات الارض وامراعها فيهما
وقيل لارتباع القوم اى اقامتهم وجمادى ان سميا بذلك لجمود المياه فيهما ورجب سمى بذلك لانهم يرجبونه اى يعظمونه يقال
رجبته ورجبته بالتخفيف والتشديد قال الكميت ولا غيرهم ابغى لنفسى جنة ولا غيرهم ابغى اجل وارجب وقيل سمى بذلك لترك
القتال فيه من قولهم رجل ارجب اذا كان اقطع لا يمكنه العمل وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال ان فى الجنة نهرا
يقال له رجب ماؤه اشد بياضا من الثلج واحلى من العسل من صام يوما من رجب شرب منه وشعبان سمى بذلك لتشعب القبايل فيه
عن ابى عمرو وروى زياد بن ابى ميمون ان النبى صلى الله عليه واله قال انما سمى شعبان لانه تشعب فيه خير كثير لرمضان وشهر
رمضان سمى بذلك لانه يرمض الذنوب وقيل سمى بذلك لشدة الحر وقيل ان رمضان من اسماء الله وشوال سمى بذلك لان
القبايل كانت تشول فيه اى تبرح عن امكنتها وقيل لتشول النوق اذنابها فيه وذو القعدة سمى بذلك لقعودهم فيه عن
القتال وذو الحجة لقضاء الحج فيه ذلك الدين القيم اى ذلك الحساب المستقيم الصحيح لا ما كانت العرب تفعله من النسى
ومنه قوله الكيس من دان نفسه اى حاسبها وسمى الحساب دينا لوجوب الدوام عليه ولزومه كلزوم الدين والعبادة
وقيل معناه ذلك القضاء المستقيم الحق عن الكلبى وقيل معناه ذلك الدين يعبد به فهو اللازم فلا تظلموا فيهن اى فى هذه
الاشهر كلها عن ابن عباس وقيل فى هذه الاشهر الحرم الاربعة عن قتادة واختاره الفراء قال لانه لو اراد الاثنى عشر شهرا
لقال فيها انفسكم بترككم اوامر الله وارتكاب نواهيه واذا اعاد الضمير الى جميع الشهور فانه يكون نهيا عن الظلم فى جميع الاوقات الشريفة
والبقاع المقدسة وقاتلوا المشركين كافة اى قاتلوهم جميعا مؤتلفين غير مختلفين كما يقاتلونكم كافة اى جميعا كذلك فيكون
كافة حالا عن المسلمين ويجوز ان يكون حالا عن المشركين اى قاتلوا المشركين جميعا ولا تتركوا منهم بعهد ولا ذمة الا
من كان من اهل الجزية واعطاها عن صغار والظاهر هو الاول وقيل معناه قاتلوهم خلفا بعد خلف كما انه يخلف بعضهم
بعضا فى قتالهم عن الاصم واعلموا ان الله مع المتقين بالنصرة والولاية وفى هذه الاية دلالة على ان الاعتبار فى السنين
بالشهور القمرية لا الشمسية والاحكام الشرعية معلقة بها وذلك لما علم الله سبحانه ما فيه من المصلحة ولسهولة معرفة ذلك على
الخاص والعام قوله عز وجل انما النسى زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا
عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين اية القراءة قال ابو جعفر النسى
بالتشديد من غير همز وقرا جعفر بن محمد عليه السلام والزهرى والنسى مخففا فى وزن الهدى بغير همز وروى مثل ذلك عن
شبل عن ابن كثير والباقون النسىء بالمد والهمز وقرا يضل بضم الياء وفتح الضاد اهل الكوفة عن ابى بكر وقرا يضل بضم الياء و
كسر الضاد ورقية من طريق ابن مقسم عن ابى عمرو ورويس عن يعقوب والباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد الحجة قال
ابو على النسىء مصدر كالنذير والنكير وعذير الحى ولا يجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول كما قاله بعض الناس لانه ان
حمل على ذلك كان معناه انما المؤخر زيادة فى الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة فى الكفر وانما الزيادة
فى الكفر تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر ليست له تلك الحرمة فاما نفس الشهر فلا واما ما روى من ان النسى بالياء فذلك يكون على
ابدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لغة فى التاخير كما ان ارجيت لغة فى ارجات وما روى من ان النسى بتشديد الياء

الحرم نفاية التخصيص ... الطاعة فيها اعظم ثوابا والمعصية اعظم عقابا وذلك حكم الله فى جميع

يجحه ر

قرا

شبل ١٢

فعلى

فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل القلب من فى النسى بالياء لان النسى بالتشديد على وزن فعيل تخفيف قياسى
كما ان مقروة فى مقروءة تخفيف قياسى وليس النسى كذلك وذكر ابن جنى فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون اراد
النسى ثم خفف بان ابدلت الهمزة ياء كما قال الشاعر اهبى التراب فوقه اهبايا اراد اهباء والثانى ان يكون فعيلا من
نسيت الشى اذا انسيته لانه اذا اخر كانه منسى والثالث وفيه الصنعة ان يكون اراد النسى على فعيل ثم خفف ثم ادغم فصار النسى
ثم قصر فعيلا بحذف يائه فصار نسى ثم اسكن عين فعيل فصار نسى كما قال فى حجيج حج وفى رطيب رطب وفى حديث
حدث فاما قوله يضل فليس فى يضل اشكال ولا فى يضل لان المضل لغيره ضال بفعله اضلالا لغيره فاما يضل فالمعنى
فيه ان كبراءهم واشرافهم يضلونهم بحملهم على هذا التاخير فى الشهور ويروى فى الشواذ يضل بفتح الياء والضاد و
هذه لغة اعنى ضللت اضل اللغة قال ابو زيد نسات الابل فى ظمئها يوما او يومين او اكثر من ذلك والمصدر النسى
يقال نسات الابل عن الحوض انساء ما نساء اذا اخرتها عنه والمواطاة الموافقة يقال واطاء فى الشعر اذا اقال بيتين
على قافية واحدة واوطاء مثله المعنى لما قدم سبحانه ذكر السنة والشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسى فقال
انما النسى زيادة فى الكفر يعنى تاخير الاشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الاربعة وذلك مما تمسكت به من ملة
ابرهيم واسمعيل وهم كانوا اصحاب غارات وحروب فربما كان يشق عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لا يغيرون فيها فكانوا يؤخرون
تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يزول التحريم ولا يفعلون ذلك الا فى ذى الحجة قال ابن عباس
ومعنى قوله زيادة فى الكفر انهم كانوا احلوا ما حرم الله وحرموا ما احل الله قال الفراء والذى كان يقوم به رجل من كنانة يقال له
نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول انا الذى لا اعاب ولا اخاب ولا يرد لى قضاء فيقولون نعم صدقت انسئنا شهرا و
اخر عنا حرمة المحرم واجعلها فى صفر واحل المحرم فيفعل ذلك والذى كان ينساها حين جاء الاسلام جنادة بن عوف بن
امية الكنانى قال ابن عباس واول من سن النسى عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف وقال ابو مسلم بل رجل من بنى كنانة يقال له
القلمس كان يقول انى قد نسات المحرم العام وهما العام صفران فاذا كان العام القابل قضينا فجعلناهما محرمين قال
شاعرهم ومنا ناسى الشهر القلمس وقال الكميت ونحن الناسئون على معد شهور الحل نجعلها حراما وقال مجاهد كان المشركون
يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين ثم حجوا فى صفر عامين وكذلك فى الشهور حتى وافقت الحجة التى قبل حجة الوداع
فى ذى القعدة ثم حج النبى صلى الله عليه واله فى العام القابل حجة الوداع فوافقت ذى الحجة فذلك حين قال النبى صلى الله عليه
واله فى خطبته الا وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان اراد عليه السلام بذلك ان الاشهر الحرم رجعت الى
مواضعها وعاد الحج الى ذى الحجة وبطل النسى يضل به الذين كفروا اى يضل بهذا النسى الذين كفروا ومن قراء بضم الياء فمعناه
يضلون به غيرهم واضلالهم انهم فعلوا ذلك ليحللوا للناس الاشهر الحرم التى حرم الله القتال فيها واوجب الحج فى بعضها فيستحلون
ترك الحج فى الوقت الذى هو واجب فيه ويوجبونه فى الوقت الذى لا يجب فيه وجوزوا ذلك عليهم حتى ضلوا باتباعهم يحلونه
عاما ويحرمونه عاما اى يجعلون الشهر الحرام حلالا اذا احتاجوا الى القتال فيه ويجعلون الشهر الحلال حراما ويقولون شهر
بشهر واذا لم يحتاجوا الى القتال لم يفعلوا ذلك ليواطؤا عدة ما حرم الله معناه انهم لم يحلوا شهرا من الحرم الا حرموا مكانه شهرا من
الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرام ليكون موافقة فى العدد فيحلوا ما حرم الله وذلك المواطاة
زين لهم سوء اعمالهم اى زينت لهم انفسهم او زين لهم الشيطان سوء اعمالهم عن الحسن وقيل معناه استحسنوا ذلك بهواهم
والله لا يهدى القوم الكافرين تفسيره قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى
الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل
قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شى قدير اثنان اللغة النفر الخروج الى الشى لامر هيج عليه ومنه نفور الدابة يقال

سبع سمج

الى المحرم

فى الحرم عامين ثم حجوا فى

نفرت الدابة نفورا ونفر الى الثغر نفرا ونفيرا والتثاقل تعاطى اظهار ثقل النفس ومثله التباطى وضده التسرع والمتاع الانتفاع بما يظهر للحواس ومنه قولهم تمتع بالرياض والمناظر الحسان ويقال للاشياء التى لها اثمان متاع تشبيها به والاستبدال جعل احد الشيئين بدل الاخر مع الطلب له الاعراب اثاقلتم فاعلتم واصله تثاقلتم فادغمت التاء فى الثاء لمناسبتها لها ثم ادخلت الف الوصل ليمكن الابتداء بها ومثله اداركوا واتابع فى قول الشاعر تولى الضجيع اذا ما اشتافها خصرا عذب المذاق اذا ما اتابع القبل النزول قالوا لما رجع رسول الله صلى الله عليه واله من الطايف امر بالجهاد لغزوة الروم وذلك فى زمان ادراك الثمار فاحبوا المقام فى المساكن والمنازل وشق عليهم الخروج الى القتال وكان صلى الله عليه واله قل ما خرج فى غزاة الا كنى عنها وورى بغيرها الا غزوة تبوك لبعد مسافتها وكثرة العدو ليتاهب الناس فاخبرهم بالذى يريد فلما اعلم الله سبحانه تثاقل الناس انزل الاية المعنى ثم عاتب سبحانه المومنين فى التثاقل عن الجهاد فقال يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم اى اذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه واله وقال لكم انفروا فى سبيل الله اى اخرجوا الى مجاهدة المشركين وهو ههنا غزوة تبوك عن الحسن ومجاهد اثاقلتم الى الارض اى تثاقلتم وملتم الى الاقامة فى الارض التى انتم عليها قال الجبائى هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المومنين لان جميعهم لم يتثاقلوا عن الجهاد فهو عموم يريد به الخصوص بدليل ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة هذا استفهام يراد به الانكار ومعناه اثرتم الحيوة الدنيا الفانية على الحيوة الاخرة الباقية فى النعيم الدايم فما متاع الحيوة الدنيا فى الاخرة الا قليل اى فما فوايد الدنيا ومقاصدها فى فوايد الاخرة ومقاصدها الا قليل لانقطاع هذه ودوام تلك ثم عقبه سبحانه بالتهديد والوعيد فقال الا تنفروا يعذبكم الله عذابا اليما ومعناه الا تخرجوا الى القتال الذى دعاكم اليه الرسول وتقعدوا عنه يعذبكم الله عذابا اليما وليما فى الاخرة وقيل فى الدنيا ويستبدل بكم قوما غيركم لا يتخلفون عن الجهاد وقيل هم ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل هم اهل اليمن عن ابى روق وقيل هم الذين اسلموا بعد نزول هذه الاية عن الجبائى ولا تضروه شيئا اى لا تضروا الله شيئا اى لا تضروا الله بهذا القعود شيئا لانه غنى لنفسه لا يحتاج الى شىء عن الحسن وابى على وقيل معناه ولا تضروا الرسول شيئا لان الله عصمه من جميع الناس وينصره بالملايكة او بقوم اخرين من المومنين والله على كل شىء قدير فهو القادر على الاستبدال بكم وعلى غير ذلك من الاشياء قال الزجاج وهذا وعيد شديد فى التخلف عن الجهاد قوله عز وجل الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم اية القراءة قرا يعقوب وحده كلمة الله بالنصب والباقون بالرفع الحجة من نصب عطفه على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى اى وجعل كلمة الله العليا ومن رفع استانف وهو ابلغ لانه يفيد ان كلمة الله هى العليا على كل حال الاعراب ثانى اثنين نصب على الحال وللعرب فى هذا مذهبان احدهما قولهم هذا ثانى اثنين وثالث ثلاثة ورابع اربعة وخامس خمسة اى احد اثنين واحد ثلاثة واحد اربعة واحد خمسة والاخر قولهم ثالث اثنين وخامس اربعة بمعنى انه ثلث اثنين وخمس اربعة والاول اضافة حقيقية محضة والثانى اضافة غير محضة اذ هو فى تقدير الانفصال اذ هما فى الغار بدل من قوله اذ اخرجه الذين كفروا وضع احد الزمانين موضع الاخر لتقاربهما المعنى ثم اعلم الله سبحانه انهم ان تركوا نصرة الرسول صلى الله عليه واله لم يضره ذلك شيئا كما لم يضره قلة ناصريه حين كان بمكة وهم به الكفار فتولى الله نصره فقال الا تنصروه فقد نصره الله معناه ان لم تنصروا النبى صلى الله عليه واله على قتال العدو فقد فعل الله به النصر اذ اخرجه الذين كفروا من مكة فخرج يريد المدينة ثانى اثنين يعنى انه كان هو وابو بكر اذ هما فى الغار وليس معهما ثالث اى وهو احد اثنين ومعناه فقد نصره الله منفردا الا من ابى بكر والغار الثقب العظيم فى الجبل واراد به ههنا غار ثور وهو جبل بمكة اذ يقول لصاحبه اى اذ يقول الرسول لابى بكر لا تحزن اى لا تخف ان الله معنا يريد انه مطلع علينا عالم بحالنا فهو يحفظنا وينصرنا قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه واله وابو بكر الغار ارسل الله زوجا من الحمام حتى باضا فى اسفل الثقب والعنكبوت حتى نسج بيتا فلما جاء سراقة بن مالك فى طلبهما فراى بيض الحمام وبيت العنكبوت قال لو دخله احد لانكسر البيض وتفسخ العنكبوت

نقال الا تنصروه م

فانصرف وقال النبى صلى الله عليه واله اللهم اعم ابصارهم فعميت ابصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وقال ابو بكر لو نظروا الى قدمهم لراونا وروى على بن ابراهيم بن هاشم قال كان رجل من خزاعة فيهم يقال له ابو كرز فما زال يقفوا اثر رسول الله صلى الله عليه واله حتى وقف بهم على باب الغار فقال هذه قدم محمد صلى الله عليه واله هى والله اخت القدم التى فى المقام وقال هذه قدم ابى قحافة او ابنه وقال ما جازوا هذا المكان اما ان يكون قد صعدوا فى السماء او دخلوا فى الارض وجاء فارس من الملايكة فى صورة الانس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم اطلبوه فى هذه الشعاب فليس ههنا وكانت العنكبوت نسجت على باب الغار ونزل رجل من قريش فبال على باب الغار فقال ابو بكر قد ابصرونا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه واله لو ابصرونا ما استقبلونا بعوراتهم فانزل الله سكينته عليه يعنى على محمد اى القى فى قلبه ما سكن به وعلم انهم غير واصلين اليه عن الزجاج وقيل معناه قواه بالملايكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل معناه اعانه بالملايكة يوم بدر اخبر الله سبحانه انه صرف عنه كيد اعدايه وهو فى الغار ثم اظهر نصره بالملايكة يصرفون وجوه الكفار وابصارهم عن ان يروه عن الزجاج وقيل معناه قواه بالملايكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل معناه اعانه بالملايكة يوم بدر عن مجاهد والكلبى وقال بعضهم يجوز ان تكون الهاء التى فى عليه راجعة الى ابى بكر وهذا بعيد لان الضماير قبل هذا وبعده تعود الى النبى صلى الله عليه واله بلا خلاف وذلك فى قوله فقد نصره الله وقوله فيما بعده وايده فكيف يتخللها ضمير عايد الى غيره هذا وقد قال سبحانه فى هذه السورة ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وقال فى سورة الفتح فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين وقد ذكرت الشيعة فى تخصيص النبى صلى الله عليه واله فى هذه الاية بالسكينة كلاما رأينا الاضراب عن ذكره احرى لئلا ينسبنا ناسب الى شىء وجعل كلمة الذين كفروا السفلى معناه ان الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة دنية وارادتهم سفلة ووعيدهم النبى صلى الله عليه واله وتخويفهم اياه وابطله بان نصره عليهم فعبر عن ذلك بانه جعل كلمتهم السفلى لا انه خلق كلمتهم السفلى وكلمة الله هى العليا اى هى المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل لانها لا يجوز ان يدعو الى خلاف الحكمة وقيل ان كلمة الكفار كلمة الشرك وكلمة الله هى كلمة التوحيد وهى قول لا اله الا الله فمعناه جعل كلمة الشرك السفلى بان جعلهم اذلة اسفلين واعلى كلمة الله بان اعز الاسلام والمسلمين والله عزيز فى شقامه من اهل الشرك حكيم فى تدبيره قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ثلث ايات القراءة فى الشواذ قراءة الاعمش لو استطعنا بضم الواو وقد مضى الكلام فيه فى اول سورة البقرة اللغة القاصد السهل المقتصد من غير طول لانه مما يقتصد لسهولته وسمى العدل قصدا لانه مما ينبغى ان يقصد والشقة القطعة من الارض التى تشق ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل ان يكون من الشق الذى هو الناحية من الجبل ويحتمل ان يكون من المشقة والشقة السفر والمسافة وقريش يضمون الشين وقيس يكسرونها وقريش يضمون العين من بعدت وقيس يكسرونها المعنى ثم امر سبحانه بالجهاد وبين تاكد وجوبه على العباد فقال انفروا اى اخرجوا الى الغزو خفافا وثقالا اى شبانا وشيوخا عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم وقيل نشاطا وغير نشاط عن ابن عباس وقتادة وقيل مشاغيل وغير مشاغيل عن الحكم وقيل اغنياء وفقراء عن ابى صالح وقيل اراد بالخفاف اهل العسرة من المال وقلة العيال وبالثقال اهل الميسرة فى المال وكثرة العيال عن الفرا وقيل معناه ركبانا ومشاة عن ابى عمرو وعطية العوفى وقيل ذا ضيعة وغير ضيعة عن ابن زيد وقيل عزابا ومتاهلين عن يمان والوجه ان يحمل على الجميع فيقال معناه اخرجوا الى الجهاد خف عليكم او شق على اى حال كنتم لان احوال الانسان لا تخلو من احد هذه الاشياء وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله وهذا يدل على ان الجهاد بالنفس والمال واجب على من استطاع بهما ومن لم يستطع على الوجهين فعليه ان يجاهد بما استطاع ذلكم خير لكم معناه ان الخروج والجهاد بالنفس وبالمال خير لكم من التثاقل وترك الجهاد الى مباح ان كنتم تعلمون

وايده بنصره بجنود لم تروها اى بملايكة
اى قواه
يصرفون وجوه الكفار وابصارهم عن ان
يروه عن الزجاج م

الا تنصروه فقد نصره الله فى قوله اذ اخرجه وفى قوله
لصاحبه وفى قوله م

ان الله عز اسمه صادق فى وعده ووعيده وقيل معناه ان كنتم تعلمون الخير فى الجملة فاعلموا ان هذا خير قال السدى لما نزلت
هذه الاية اشتد شانها على الناس فنسخها الله تعالى بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية لو كان عرضا قريبا معناه لو كان
ما دعوتهم اليه غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا اى قريبا هينا وقيل قاصدا اى ذا قصد نحو تامر ولابن عن المبرد وقيل سهلا
متوسطا غير شاق لاتبعوك طمعا فى المال ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة يعنى غزوة تبوك امروا فيها بالخروج الى
الشام وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم معناه ان هؤلاء سيعتذرون اليك فى قعودهم عن الجهاد ويحلفون بالله
لو استطاعوا وقدرنا وتمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم اخبر سبحانه انهم يهلكون انفسهم بما اسروه من الشرك وقيل باليمين
الكاذبة والعذر الباطل لما يستحقون عليهما من العذاب والله يعلم انهم لكاذبون فى هذا الاعتذار والحلف وفى هذا
دلالة على صحة نبوة نبينا اذ اخبر انهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا فكان مخبره على ما اخبر به وفيه ايضا دلالة واضحة على ان القدرة
قبل الفعل لان هؤلاء لا يخلو اما ان يكون مستطيعين من الخروج قادرين عليه ولم يخرجوا او لم يكونوا قادرين عليه وانما حلفوا
لو انهم قدروا فى المستقبل لخرجوا فان كان الاول فقد ثبت ان القدرة قبل الفعل وان كان الثانى فقد كذبهم الله سبحانه
فى ذلك وبين انهم لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفى ذلك ايضا وجوب تقديم القدرة على المقدور فان حملوا الاستطاعة
على وجود الالة وعدة السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فان حقيقة الاستطاعة القدرة على انه لو كان عدم الالة و
العدة عذرا فى التاخر فعدم القدرة اصلا احرى واولى ان يكون عذرا فيه ثم خاطب النبى صلى الله عليه واله بما فيه بعض
العتاب فى اذنه لما استاذنه من رام التاخر عن الخروج معه الى تبوك فقال عفا الله عنك لم اذنت لهم فى التخلف عنك قال قتادة
وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما النبى صلى الله عليه واله لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذ الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما
تسمعون وهذا من لطيف المعاتبة بداه بالعفو قبل العتاب وهل كان هذا الاذن قبيحا ام لا قال الجبائى كان قبيحا
ووقع صغيرا لانه لا يقال فى المباح لم فعلته وهذا غير صحيح لانه لا يجوز ان يقال فيما غيره افضل منه لم فعلته كما يقول القايل
لغيره اذا راه يعاتب اخا له لم عاتبته وكلمته بما يشق عليه وان كان يجوز له معاتبته بما يشق عليه وكيف يكون اذنه
لهم قبيحا وقد قال سبحانه فى موضع اخر فان استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وقيل معناه ادام الله لك
العفو لم اذنت لهؤلاء فى الخروج لانهم استاذنوا فيه تملقا ولو خرجوا لارادوا الخبال والفساد ولم يعلم النبى صلى الله عليه
واله من سريرتهم ذلك عن ابى مسلم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اى حتى تعرف من له العذر منهم فى التخلف
ومن لا عذر له فيكون اذنك لمن اذنت له على علم قال ابن عباس وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله لم يكن يعرف
المنافقين يومئذ وقيل انه عليه السلم انما خيرهم بين الظعن والاقامة متوعدا لهم ولم ياذن لهم فاغتنم القوم ذلك وفى هذا
اخبار من الله سبحانه انه كان الاولى ان يلزمهم الخروج معه حتى اذا لم يخرجوا معه ظهر نفاقهم لانه متى اذن لهم ثم تاخروا لم يعلم ان
للنفاق كان تاخرهم ام لغيره وكان الذين استاذنوه منافقين ومنهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وهما من الانصار قوله
عز وجل لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين
انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ايتان المعنى ثم بين
سبحانه حال المومنين والمنافقين فى الاستيذان فقال لا يستاذنك فى الخروج لانه مستغن عنه بدعائك اى لا يطلب منك الاذن
فى القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة وقيل معناه لا يستاذنك فى الخروج لانه مستغن عنه بدعائك الى ذلك بل
يتاهب له عن ابى مسلم الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والمعنى ان يجاهدوا فحذف خافض
الفعل والله عليم بالمتقين قال ابن عباس هذا تعيير للمنافقين حين استاذنوه فى القعود عن الجهاد وعذر للمومنين فى
قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه والمعنى انه لم يخرجهم من صفة المتقين الا لانه علم انهم ليسوا منهم انما يستاذنك فى التاخر عن
الجهاد والتخلف عن القتال معك وقيل فى الخروج لان المنافقين انما يستاذنون فى الخروج تملقا ولا يتاهبون كما يتاهب المومنون

عن ابى مسلم الذين لا يؤمنون بالله اى لا يصدقون به واليوم الاخر يعنى بالبعث والنشور وارتابت قلوبهم اى اضطربت وشكت
فهم فى ريبهم يترددون اى فهم فى شكهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع مرات متقاربة مثل التحير
اراد به المنافقين اى يتوقعون الاذن لشكهم فى دين الله وفيما وعد المجاهدون ولو انهم كانوا مخلصين لو ثقوا
بالنصر وبثواب الله فبادروا الى الجهاد ولم يستاذنوك فيه قوله تعالى ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن
كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم
الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر
الله وهم كارهون ثلث ايات اللغة العدة والاهبة والالة نظاير والانبعاث الانطلاق بسرعة فى الامر فلان لا ينبعث فى الحاجة
اى ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقيف عن الامر بالتزهيد فيه ومثله التربيث والخبال الفساد والخبال الموت والخبال الاضطراب
فى الراى والخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والخبل فساد الاعضاء قال ابنى لبينى لستم بيد الا يدا مخبولة العضد والايضاع
الاسراع فى السير قال امرؤ القيس ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب وربما قالوا للراكب وضع بغير الف ووضعت
الناقة تضع وضعا ووضوعا واوضعتها ايضاعا قال يا ليتنى فيها جذع اخب فيها واضع خلالكم بينكم مشتق من التخلل وفى
الحديث تراصوا بين الصفوف لا يتخللكم الشياطين كانها بنات حذف والتقليب تصريف الشئ بجعل اعلاه اسفله وحقيقة
قلب كانه يغلب الاراء فى الامور ويحولها المعنى ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال ولو ارادوا الخروج مع النبى
صلى الله عليه واله نصرة له ورغبة فى جهاد الكفار كما اراد المومنون ذلك لاعدوا له عدة اى لاستعدوا للخروج عدة وهى
ما يعد للامر يحدث قبل وقوعه والمواد لاخذوا اهبة الحرب من الكراع والسلاح لان امارة من انهم لو خرجوا لكانوا يمشون
بالنميمة بين المسلمين وكانوا عيونا للمشركين وكان الضرر فى خروجهم اكثر من الفايدة فثبطهم عن الخروج الذى عزموا عليه
لا عن الخروج الذى امرهم به لان الاول كفر والثانى طاعة ولا ينبغى ان يقال كيف كره انبعاثهم بعد ما امر به فى الاية الاولى
لانه انما امر بذلك على وجه الذب عن الدين وبنية الجهاد وكره ذلك على نية التضريب بالفساد فقد كره غير ما امر به ومعنى
ثبطهم بطاهم وخذلهم لما يعلم منهم من الفساد وقيل اقعدوا مع القاعدين اى وقيل لهم اقعدوا مع النساء والصبيان و
يحتمل ان يكون القايلون لهم ذلك اصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبى صلى الله عليه واله للجهاد ويحتمل ان يكون
ذلك من كلام النبى صلى الله عليه واله لهم على وجه التهديد والوعيد لا على وجه الاذن ويجوز ان يكون ايضا على
وجه الاذن لهم بالقعود الذى عاتبه الله عليه اذ كان الاولى ان لا ياذن لهم ليظهر للناس نفاقهم قال ابو مسلم هذا
يدل على ان الاستيذان كان فى الخروج وان الاذن من النبى صلى الله عليه واله لهم كان فى الخروج لانه اذا كره
الله سبحانه خروجهم واراد قعودهم واذن النبى صلى الله عليه واله فى قعودهم فلا عيب له فيه ولكنهم استاذنوا فى الخروج
تملقا وارادة للفساد فاذن النبى صلى الله عليه واله لهم فيه ولم يعلم ضمايرهم فاعلم الله ذلك من نياتهم ومنعهم من
الخروج اذ كره خروجهم ثم بين سبحانه وجه الحكمة فى كراهية انبعاثهم وتثبطهم عن الخروج فقال لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الجهاد ما زادوكم بخروجهم الا شرا وفسادا وقيل غدرا ومكرا عن الضحاك
وقيل يريد عجزا وجبنا عن ابن عباس اى انهم كانوا يجبنونكم عن لقاء العدو وبتهويل الامر عليكم ولاوضعوا خلالكم
اى لاسرعوا فى الدخول بينكم بالتضريب والفساد والنميمة يريد ولسعوا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين ويكون تقديره
ولاوضعوا الابل وسطكم وقيل معناه ولاوضعوا بعدوا الابل ابلهم خلالكم تخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما فيقول
ما لا ينبغى يبغونكم الفتنة بعدو الابل وسطكم ومعنى يبغونكم يبغون لكم اوفيكم اى يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة و
الفرقة وقيل معناه يبغونكم ان تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يخوفونكم بالعدو ويخبرونكم انهم منهزمون
وان عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك وفيكم سماعون لهم اى وفيكم عيون للمنافقين ينقلون اليهم ما يسمعون منكم عن مجاهد

وابن زيد وقيل معناه وفيكم قابلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعفة المسلمين عن قتادة وابن اسحق وجماعة والله عليم بالظالمين
اى بهؤلاء المنافقين الذين ظلموا انفسهم لما اضمروا عليه من الفساد منهم عبد الله عن ابى وجد ابن قيس واوس بن قيظى
ثم اقسم سبحانه فقال لقد ابتغوا الفتنة اسم يقع على كل سوء وشر والمعنى لقد طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كلمتكم وتشتت اهوائكم
وافتراق ارائكم من قبل غزاة تبوك اى فى يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابى باصحابه وخذل النبى صلى الله عليه واله فصرف
الله عن المسلمين فتنتهم وقيل اراد بالفتنة صرف الناس عن الايمان والقاء الشبهة الى ضعفاء المسلمين عن الحسن وقيل اراد
بالفتنة الفتك بالنبى صلى الله عليه واله فى غزاة تبوك ليلة العقبة وكانوا اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على الثنية
ليفتكوا بالنبى صلى الله عليه واله عن سعيد بن جبير وابن جريج وقلبوا لك الامور اى احتالوا فى توهين امرك والايقاع
بين المومنين وفى قتلك بكل ما امكنهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل انهم كانوا يريدون كيدك وجها من التدبير فاذا لم يتم ذلك
فيه تركوه وطلبوا المكيدة فى غيره فهذا تقليب الامور عن ابى مسلم حتى جاء الحق معناه حتى جاء النصر والظفر الذى وعده الله به
وظهر امر الله اى دينه وهو الاسلام وظفر المسلمين على الكفار على رغمهم وهم كارهون اى فى حال كراهتهم لذلك فهى جملة فى موضع
الحال قوله تعالى وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ إِنْ تُصِبْكَ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا
مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ
أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ اربع ايات القراءة القراءة المشهورة لن يصيبنا
وقرا طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا وكذلك هو فى مصحف ابن مسعود النزول قيل ان رسول الله صلى الله عليه واله لما استنفر
الناس الى تبوك قال انفروا لعلكم تغنمون بنات الاصفر فقام جد بن قيس اخو بنى سلمة من بنى الخزرج فقال يا رسول الله ائذن
لى ولا تفتنى ببنات الاصفر فانى اخاف ان افتتن بهن فقال قد اذنت لك فانزل الله سبحانه ومنهم من يقول ائذن لى
الايات عن ابن عباس ومجاهد فلما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه واله لبنى سلمة من سيدكم قالوا جد بن قيس
غير انه بخيل جبان فقال صلى الله عليه واله واى داء ادوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد بشر بن البراء بن معرور
فقال فى ذلك حسان بن ثابت وقال رسول الله صلى الله عليه واله والقول لاحق بمن قال منا من تعدون سيدا فقلنا
له جد بن قيس على الذى نبخله فينا وان كان انجدا فقال واى الداء ادوى من الذى رميتم به جدا وان كان امجدا وسود بشر
ابن البراء بجوده وحق لبشر ذى الندى ان يسودا اذا ما اتاه الوفد انهب ماله وقال خذوه انه عائد غدا المعنى ومنهم
اى من المنافقين من يقول ائذن لى فى القعود عن الجهاد ولا تفتنى ببنات الاصفر عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء
سميت الروم اصفر لان حبشيا غلب على ناحية الروم فكان له بنات قد اخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا
لعسا وقيل معناه لا تؤثمنى اى لا توقعنى فى الاثم بالعصيان لمخالفة امرك فى الخروج الى الجهاد وذلك غير متيسر لى عن الحسن
وقتادة والجبائى والزجاج الا فى الفتنة سقطوا معناه الا فى العصيان والكفر وقعوا بمخالفتهم امرك فى الخروج الى الجهاد
وقيل معناه لا تعذبنى بتكليف الخروج فى شدة الحر الا قد سقطوا فى حر اعظم من ذلك وهو حر نار جهنم عن ابى مسلم ويدل عليه
قوله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا وان جهنم لمحيطة بالكافرين اى محيط بهم فلا مخلص لهم منها ان تصبك
حسنة تسؤهم هذا خطاب من الله للنبى صلى الله عليه واله ومعناه ان تنلك نعمة من الله وفتح وغنيمة يحزن المنافقون
وان تصبك مصيبة معناه وان تصبك شدة ونكبة وآفة فى النفس او المال يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل اى اخذنا
حذرنا واحترزنا بالقعود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد ومعناه اخذنا امرنا من مواقع الهلكة فسلمنا مما وقعوا
فيه ويتولوا وهم فرحون اى رجعوا الى بيوتهم فرحين بما اصاب المومنين من الشدة قل يا محمد لهم لن يصيبنا الا ما كتب الله
لنا اى كل ما يصيبنا من خير او شر فهو مما كتبه الله فى اللوح المحفوظ من امرنا وليس على ما تظنون وتتوهمون من اهمالنا

من

[margin:] الفتنة ؛ الفتك ان يأتى الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشد عليه فيقتله

من غير ان يرجع امرنا الى تدبير عن الحسن وقيل معناه لن يصيبنا فى عاقبة امرنا الا ما كتبه الله لنا فى القرآن من النصر
الذى وعدنا وانا نظفر بالاعداء فنكون النصر حسنى لنا او نقتل فيكون الشهادة حسنى لنا ايضا اى فقد كتب الله لنا ما يصيبنا و
علمنا ما ينالنا من الخطاء عن الزجاج والجبائى هو مولينا اى هو مالكنا ونحن عبيده وقيل هو ولينا وناصرنا يحفظنا و
ينصرنا ويتولى حياطتنا ودفع الضر عنا وعلى الله فليتوكل المومنون هذا امر من الله للمومنين بالتوكل على الله والرضا
بتدبيره وتقديره وعلى الله فليتوكل المومنون قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين معناه هل
تنتظرون لنا الا احدى الخصلتين الحميدتين والنعمتين العظيمتين اما الغلبة والغنيمة فى العاجل واما الشهادة مع
الثواب الدائم فى الآجل عن ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم وهل وان كان حرف استفهام فمعناه هنا التقريع بالتربص
المؤدى صاحبه الى كل ما يكرهه من خيبته وفوز خصمه من هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه ونحن نتربص بكم
ونحن نتربص بكم ونحن نتوقع بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا اى يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به
او بان ينصرنا عليكم فيقتلكم بايدينا فتربصوا صورته صورة الامر والمراد به التهديد كقوله اعملوا ما شئتم لانه لو كان امرا
لهم لكانوا فى تربصهم بالمومنين القتل مطيعين لله انا معكم متربصون اى منتظرون ان الشهادة والجنة واما الغنيمة والاجر
لنا واما البقاء والذل والخزى واما الموت والقتل مع المصير الى النار لكم وهذه الاية تفسير لقوله قل لن يصيبنا الا
ما كتب الله لنا وقيل معناه فتربصوا اهلاكنا فانا متربصون هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان فى ابطال دين الله
ونحن متربصون مواعيد الله فى اظهار دينه ونصر نبيه واستيصال مخالفيه قوله تعالى قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ
يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ثلث ايات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم ان يقبل بالياء والباقون
بالتاء الحجة وجه القراءة بالتاء ان الفعل مسند الى مونث فى اللفظ ووجه الياء ان التانيث ليس بحقيقى فجاز ان يذكر كما
جاء فمن جاءه موعظة اللغة الطوع الانقياد بارادة لم يحمل عليها والكره فعل الشىء بكراهة تحمل عليها والمنع امر يضاد
الفعل وينافيه وهو على وجهين منع ان يفعل ومنع ان يفعل به فهؤلاء منعوا ان يفعل بهم قبول نفقتهم والزهوق الخروج
بصعوبة واصله الهلاك وكل هالك زاهق زهق يزهق زهوقا والزهق من الدواب السمين الشديد السمن لانه
هالك بثقل بدنه فى السير والكر والفر وزهق فلان بين ايدى القوم اذا ذهب سابقا لهم ويهلك منهم والاعجاب السرور بما يتعجب
منه يقال اعجبنى حديثه اى سرنى الاعراب انفقوا طوعا او كرها لفظه امر ومعناه معنى الشرط والجزاء المعنى ان انفقتم طايعين
او كارهين لن يتقبل منكم ومثله من الشعر قول كثير اسيئى بنا او احسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت فلم يأمرها بالاساءة
ولكن اعلمها ان اساءت او احسنت او اساءت لم تلام قال الزجاج فان قال قائل كيف يكون الامر فى معنى الخبر قيل له اذا
كان فى الكلام دليل عليه جاز كما يكون لفظ الخبر فى معنى الامر والدعاء كقولك غفر الله لزيد ورحمه الله ومعناه اللهم اغفر له وارحمه
وقوله ان تقبل فى موضع نصب وتقديره من ان تقبل وانهم كفروا بالله فى موضع رفع المعنى ما منعهم من قبول نفقاتهم الا
كفرهم ويجوز ان يكون التقدير وما منعهم الله منه الا لانهم كفروا المعنى ثم بين سبحانه ان هؤلاء المنافقين لا ينتفعون
بما ينفقونه مع اقامتهم على الكفر فقال قل يا محمد لهؤلاء انفقوا طوعا او كرها اى طايعين او مكرهين لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما
فاسقين معناه انما لم يتقبل منكم لانكم كنتم متمردين عن طاعة الله والله سبحانه انما يتقبل من المومنين المخلصين وما منعهم ان
تقبل نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منع هؤلاء المنافقين ان يثابوا على نفقاتهم الا كفرهم بالله وبرسوله و
ذلك مما يحبط الاعمال ويمنع من استحقاق الثواب عليها ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى اى متثاقلين والمعنى لم يؤدوها
على الوجه الذى امروا ان يؤدوها على ذلك الوجه ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم انما يصلون وينفقون للرياء و
لذلك

[margin:] خيرا ؛ او مكرهين ؛ فهو على عهدها فكانه قال ان احسنت م

والتستر بالاسلام لا لابتغاء مرضات الله تعالى وفى هذا دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرايع لانهم سبحانه ذمهم على ترك الصلوة والزكوة ولولا وجوبهما عليهم لم يذموا بتركهما فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم الخطاب للنبى صلى الله عليه واله والمراد جميع المومنين وقيل لا تعجبك ايها السامع اى لا ياخذ بقلبك ما تراه من كثرة اموال هؤلاء المنافقين وكثرة اولادهم ولا تنظر اليهم بعين الاعجاب انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الاخرة عن ابن عباس وقتادة فيكون الظرف على هذا متعلقا باموالهم واولادهم ومثله قوله تعالى فالقه اليهم ثم تول عنهم وثانيها ان معناه انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا بالتشديد عليهم فى التكليف وامرهم بالانفاق فى الزكوة والغزو فيؤدونها على كره منهم ومشقة ولا يرجون ثوابا فى الاخرة فيكون ذلك عذابا لهم عن الحسن والبلخى وثالثها ان معناه انما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا اى بسبى الاولاد وغنيمة الاموال عند تمكن المومنين من اخذها وغنمها فيتحسرون عليها ويكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجبائى وخامسها ان المراد يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها وكل هذا عذاب وكذلك خروجهم عنها بالموت لانهم يفارقونها والتقدير انما يريد الله ان يملى لهم فيها ليعذبهم وتزهق انفسهم اى تهلك وتذهب بالموت وهم كافرون جملة فى موضع الحال اى حال كونهم كافرين والارادة تعلقت بزهوق انفسهم لا بالكفر وهذا كما يقول اريد ان اضربه وهو عاص والارادة تعلقت بالضرب لا بالعصيان **قوله تعالى وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ايتان القراءة** قرأ يعقوب وسهل او مدخلا بفتح الميم وهو قراءة ابن ابى اسحق والحسن والباقون مدخلا وفى الشواذ قراءة سلمة بن محارب او مدخلا بضم الميم وسكون الدال وقراءة الاعرج مدخلا بتشديد الدال والخاء وقراءة انس وهم يجمزون رواه الاعمش عنه **الحجة** اما قوله مدخلا فى القراءة المشهورة فاصله مدتخلا لكن التاء تبدل بعد الدال دالا لان التاء مهموسة والدال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحد اخف ومن قرأ مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا ومن قرأ مدخلا فهو من ادخلته مدخلا قال الحمد لله ممسانا ومصبحنا بالخير صبحنا ربى ومسانا ومن قرأ مدخلا بتشديد الدال والخاء جعله متدخلا ثم ادغم التاء فى الدال وفى رواية الاعمش انه سمع انسا يقرأ يجمزون فقال وما يجمزون فقال يجمزون ويجمحون ويشتدون واحد **اللغة** الفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر واصله من مفارقة الامن حال الانزعاج والملجأ الموضع الذى يتحصن فيه ومثله المعقل والموئل والمعتصم والمعتصر والمغارات جمع مغارة مفعلة من غار الشئ فى الشئ يغور اذا دخل فيه فى موضع يستره والغار النقب فى الجبل والمدخل المسلك الذى يتدسس بالدخول فيه وهو مفتعل والجماح مضى المار مسرعا على وجهه لا يرده شئ عنه وقيل هو المشى بين المشيين قال مهلهل لقد جمحت جماحا فى دمائهم حتى رأت ذوى احسابهم خمدوا والجموح الراكب هواه قال خلعت عذارى جامحا ما يردنى عن البيض امثال الدمى زجر زاجر **المعنى** ثم اظهر سبحانه سرا من اسرار القوم فقال ويحلفون بالله انهم لمنكم اى يقسم هؤلاء المنافقون انهم لمن جملتكم ايها المومنون اى مومنون امثالكم وما هم منكم اى ليسوا مومنين بالله كما انتم كذلك ولكنهم قوم يفرقون اى يخافون القتل والاسر ان لم يظهروا الايمان لو يجدون ملجأ اى لو يجد هؤلاء المنافقون حرزا عن ابن عباس وقيل حصنا عن قتادة او مغارات اى غيرانا فى الجبال عن ابن عباس وقيل سراديب عن عطا او مدخلا اى موضع الدخول يأوون اليه عن الضحاك وقيل نفقا كنفق اليربوع عن زيد وقيل اسرابا فى الارض عن ابن عباس وابى جعفر عليه السلم وقيل وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه واله عن الحسن لولوا اليه اى لعدلوا اليه وقيل لاعرضوا عنكم اليه وهم يجمحون اى يسرعون فى الذهاب اليه ومعنى الاية انهم من خبث دخلتهم وسوء سريرتهم وحرصهم على اظهار ما فى نفوسهم من النفاق والكفر لو اصابوا شيئا لاووا اليه ليجاهدوا بما يضمرون ويسرون ولاعرضوا عنك **قوله تعالى وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ ايتان القراءة** قرأ يعقوب يلمزك بضم الميم وهى قراءة الحسن والاعرج والباقون بكسر الميم **اللغة**

يقال

(هامش: وقد ذكر فى معناه وجوه احدها ان فيه تقديما وتاخيرا اى لا تسرك اموالهم واولادهم فى الحيوة الدنيا م — بجمعها والمصايب فيها ورابعها ان معناه انما يريد الله ليعذبهم عن ابن زيد — النفق سرب فى الارض ... من هذه الاشياء م)

لمزت الرجل المزه والمزه اذا عبته وكذلك همزته قال الشاعر اذا لقيتك تبدى لى مكاشرة وان تغيبت كنت الهامز اللمزة وقيل الهمز العيب بكسر العين وغمزها اى يكسر عينه اذا عاب واللمز العيب على وجه المسارة وقال الاعرابى اتهمز الفارة قال الهر يهمزها فاوقع الهمز على الاكل والهمز كاللمز **النزول** عن ابى سعيد الخدرى قال بينا رسول الله صلى الله عليه واله يقسم قسما وقال ابن عباس كانت غنائم هوازن يوم حنين اذ جاءه ابن ابى الخويصرة التميمى وهو حرقوص بن زهير اصل الخوارج فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقال عمر يا رسول الله ائذن لى اضرب عنقه قال النبى صلى الله عليه واله دعه فان له اصحابا يحتقر احدكم صلوته مع صلوتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر فى قذذه فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر فى رصافه فلا يوجد فيه شئ ثم ينظر فى نصله فلا يوجد فيه شئ قد سبق الفرث والدم ايتهم رجل اسود فى احدى يديه او قال احدى ثدييه مثل ثدى المرأة ومثل البضعة تدردر يخرجون على فترة من الناس فنزلت ومنهم من يلمزك فى الصدقات الاية قال ابو سعيد الخدرى اشهد انى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه واله واشهد ان عليا عليه السلم حين قتلهم وانا معه جئ بالرجل على النعت الذى نعته رسول الله صلى الله عليه واله رواه الثعلبى بالاسناد فى تفسيره وقال الكلبى نزلت فى المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون قال رجل منهم يقال له ابن الجواظ لم يقسم بالسوية فانزل الله الاية وقال الحسن اتاه رجل وهو يقسم فقال الست تزعم ان الله قد امرك ان تضع الصدقات فى الفقراء والمساكين قال بلى قال فما لك تضعها فى رعاة الغنم قال ان نبى الله موسى كان راعى غنم فلما ولى الرجل قال صلى الله عليه واله احذروا هذا وقال ابن زيد قال المنافقون ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا هواه فنزلت الاية **المعنى** ثم اخبر سبحانه عنهم فقال ومنهم اى ومن هؤلاء المنافقين من يلمزك فى الصدقات اى يعيبك ويطعن عليك فى امر الصدقات فان اعطوا منها اى من تلك الصدقات رضوا واقروا بالعدل وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اى يغضبون ويعيبون وقال ابو عبد الله عليه السلم اهل هذه الاية اكثر من ثلثى الناس ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله معناه ولو ان هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات وعابوك بها رضوا بما اعطاهم الله ورسوله وقالوا مع ذلك حسبنا الله اى كفانا الله او كافينا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله اى سيعطينا الله من فضله وانعامه ويعطينا رسوله مثل ذلك وقالوا انا الى الله راغبون فى ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن اموال الناس وقيل يعنى راغبون اليه فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا من العذاب وجواب لو محذوف وتقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم وحذف الجواب فى مثل هذا الموضع ابلغ على ما تقدم بيانه **قوله تعالى إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اية الاعراب** قال الزجاج فريضة منصوبة على التوكيد لان قوله انما الصدقات لهؤلاء كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء **المعنى** ثم بين سبحانه لمن الصدقات فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين ومعناه ليست الصدقات التى هى زكوة الاموال الا لهؤلاء واختلف فى الفرق بين الفقير والمسكين على قولين احدهما انهما صنف واحد وانما ذكر الصنفان تاكيدا للامر وهو قول ابى على الجبائى واليه ذهب ابو يوسف ومحمد فقالا فيمن قال ثلث مالى للفقراء والمساكين ولفلان ان لفلان نصف الثلث ونصفه الاخر للفقراء والمساكين لانهما صنف واحد والاخر وهو قول الاكثرين انهما صنفان وهو قول الشافعى وابى حنيفة فانه قال فى المسئلة المذكورة ان لفلان ثلث الثلث وثلثى الثلث للفقراء والمساكين ثم اختلف هؤلاء على اقوال فقيل ان الفقير هو المتعفف الذى لا يسأل والمسكين الذى يسأل عن ابن عباس والحسن والزهرى ومجاهد ذهبوا الى ان المسكين الذى لا يسأل وجاء فى الحديث ما يدل على ذلك فقد روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال ليس المسكين الذى ترده الاكلة والاكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى فيغنيه ولا يسأل الناس شيئا ولا يفطن به فيتصدق عليه وقيل ان الفقير هو الزمن المحتاج والمسكين هو الصحيح المحتاج عن قتادة وقيل الفقراء المهاجرين والمساكين غير المهاجرين عن الضحاك وابرهيم واختلفوا فى وجه اخر فقيل ان الفقير اسوء حالا من المسكين فان الفقير هو الذى لا شئ له والمسكين

(هامش: وابن السبيل — مشتق من المسكنة بالمسئلة وروى ذلك عن ابى جعفر ع وقيل ان الفقير الذى يسأل والمسكين م)

الذي له بلغة من العيش لا يكفيه واليه ذهب الشافعي وابن الانباري واحتجا بقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر
وبان الفقير مشتق من فقار الظهر فكان الحاجة قد كسرت فقار ظهره وقيل ان المسكين اسوء حالا من الفقير فان الفقير الذي
له بلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وهو قول ابي حنيفة وقتيبي وابن دريد وائمة اللغة وانشد يونس اما الفقير الذي
كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد فسماه فقيرا وجعل له حلوبة واجابوا عن السفينة بانها كانت مشتركة بين جماعة
لكل واحد منهم الشيء اليسير وايضا فانه يجوز ان يكون سماهم مساكين على وجه الرحمة كما جاء في الحديث مساكين اهل
النار وقال الشاعر مساكين اهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر وقيل انهم كانوا يعملون عليها اجارة فاضيفت
اليهم والعاملين عليها سعاة الزكوة وجباتها والمؤلفة قلوبهم وكان هؤلاء قوما من الاشراف في زمن النبي صلى الله عليه
واله فكان يعطيهم سهما من الزكوة يتألفهم على الاسلام ويستعين بهم على قتال العدو ثم اختلف في هذا السهم هل هو ثابت بعد النبي
صلى الله عليه واله ام لا فقيل هو ثابت في كل زمان عن الشافعي واختاره الجبائي وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام
الا انه قال من شرط ان يكون هناك امام عادل يتألفهم على ذلك وقيل ان كان ذلك خاصا على عهد رسول الله صلى الله
عليه واله ثم سقط بعده لان الله سبحانه اعز الاسلام وقهر المشركين عن الحسن والشعبي وهو قول ابي حنيفة واصحابه وفي الرقاب
يعني في فك الرقاب من العتق واراد به المكاتبين واجاز اصحابنا ان يشترى منه عبد مؤمن اذا كان في شدة ويعتق
ويكون ولاؤه لارباب الزكوة وهو قول ابن عباس والحسن ومالك والغارمين وهم الذين ركبتهم الديون في غير معصية
ولا اسراف فتقضى عنهم ديونهم وفي سبيل الله وهو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند اصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن
عباس وابن عمر وعطا وهو اختيار البلخي وجعفر بن مبشر قالوا يبنى بالمساجد والقناطر وغير ذلك وابن السبيل وهو المسافر
المنقطع به يعطى من الزكوة وان كان غنيا في بلده ذا يسار وانما سمي ابن السبيل للزوم الطريق فنسبت اليه كما قال الشاعر
انا ابن الحرب ربتني وليدا الى ان شبت واكتهلت لداتي وقيل هو الضيف عن قتادة فريضة من الله اي مقدرة واجبة قدرها
الله وحتمها والله عليم بحاجة خلقه حكيم بما فرض عليهم واوجب من اخراج الصدقات وغير ذلك قوله عز وجل ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين امنوا منكم و
الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين
الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم ثلث ايات القراءة قرا عاصم في رواية
الاعشى والبرجمي عن ابي بكر قل اذن خير لكم بالضم والتنوين فيهما وهو قراءة الحسن وقتادة وعيسى بن عمر وغيرهم وقرا
الباقون اذن خير بالاضافة وقرا نافع اذن خير ساكنة الذال في كل القران وقرا حمزة وحده ورحمة للذين امنوا
بالجر والباقون ورحمة بالرفع الحجة قال ابو علي اذن في الاية اذا خففت او ثقلت فانه يجوز ان يطلق على الجملة وان كانت عبارة
عن جارحة منها كما قال الخليل في الناب من الابل انه سميت به لمكان الناب النازل فسميت الجملة كلها به وقالوا للربيئة هو عين القوم
وللربيئة هي عينهم ويجوز فيه شيء اخر وهو ان الاسم يجري عليه كالوصف له لوجود معنى ذلك الاسم كقول جرير تبدو فتبدي
جمالا زانه خفرا اذا تزاورت السود العناكيب وصفا عليهن يريدان نعمن من الحفارة والدمامة كالعناكيب وقال اخر فلولا الله
والمهر المفدى لابت وانت غربال الاهاب فجعله غربالا لكثرة الخروق فيه اثار الطعن وكذلك قوله هو اذن اجري على الجملة
اسم الجارحة لما اراد به من كثرة استعمالها في الاصغاء بها ويجوز ان يكون فعل من اذن ياذن اذنا اذا استمع ومنه قوله
تعالى واذنت لربها اي استمعت وقوله ائذن لي اي استمع لي وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران
فعلى هذا يكون معناه انه كثير الاستماع مثل انف وشج ابو زيد رجل اذن اذا كان يصدق بكل ما يسمع وقوله اذن خير لكم
بالاضافة وهو الاكثر في القراءة فمعناه انه اذن خير اي مستمع خير وصلاح لكم ومصغ اليه لا مستمع شر وفساد ومن قرا اذن خير
لكم قال الزجاج معناه من يسمع منكم فيكون قريبا منكم قابلا للعذر خيرا لكم قال ابو علي ومن رفع ورحمة كان المعنى هو اذن

خير

خير ورحمة جعله الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه وعلى هذا وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويجوز ان يقدر حذف المضاف من المصدر
واما الجر في رحمة فعلى العطف على خير كانه اذن خير ورحمة فان قلت افيكون اذن رحمة وان هذا لا يمتنع لان الاذن في
معنى المستمع في الاقوال الثلاثة التي تقدمت فكانه مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز مستمع خير الا ترى ان الرحمة من الخير فان قلت
فهلا استغنى بشمول خير للرحمة وغيرها عن تقدير عطف الرحمة عليه فالقول فيه ان ذلك لا يمتنع كما لا يمتنع اقرا باسم ربك
الذي خلق ثم خص فقال خلق الانسان من علق وان كان قوله خلق يعم الانسان وغيره فكذلك الرحمة اذا كانت
من الخير لم يمتنع ان تعطف فتخصص الرحمة بالذكر وان كان الخير قد عم وغيره والبعد بين الجار وما عطف عليه لا يمتنع من
العطف الا ترى ان من قرا وقيله يارب انما حمله على وعنده علم الساعة وعلم قيله اللغة الفرق بين الاحق والاصلح ان
الاحق قد يكون من غير صفات الفعل كقولك زيد احق بالمال والاصلح لا يقع هذا الموقع لانه من صفات الفعل وتقول
الله احق ان يطاع ولا تقل الاصلح والمحادة مجاوزة الحد بالمشاقة وهي والمخالفة والمجانبة والمعاداة نظاير واصله المنع
والخزي ما يعتري الانسان من النزق ولانه يمنعه من الواجب والخزي الهوان وما يستحيا منه الاعراب اذن خير خبر مبتدء
محذوف ومن لم يضف جعل خيرا صفة لاذن واللام في قوله يؤمن للمؤمنين على حد اللام في قوله ردف لكم او على المعنى لان معنى
يؤمن يصدق فعدي باللام كما عدي مصدقا به في قوله مصدقا لما بين يديه وقيل انما دخلت اللام للفرق بين ايمان التصديق
وايمان الامان وقوله فان له نار جهنم يحتمل ان يكون العامل في ان احد الامرين اما ان يكون على التقدير حذف الجار
معناه على فلان له نار جهنم او فبان له نار جهنم واما ان يكون ان عادا ان الاولى على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج
واقول ان هذا على مذهب ابي الحسن وابي علي الفارسي يرتفع قوله ان له نار جهنم بالظرف مضمر محذوف من هذا الموضع لطول الكلام
وتقديره فله ان له نار جهنم والمعنى فله وجوب نار جهنم ويجوز ان يكون خبر مبتداء محذوف والتقدير فامره او شانه انه له نار
جهنم ولا يجوز ان يرتفع بفعل مضمر لان الفعل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وانما تدخل الفاء في جواب
الشرط اذا كان مبتداء وخبرا وجملة فعلية غير خبرية نحو قوله فقولي اني نذرت هذا مذهب سيبويه قال الزجاج ولو قرى
فان له بكسر الهمزة على وجه الاستيناف لكان جايزا فيكون كقولك فله نار جهنم غير انه لم يقرا به احد النزول قيل نزلت في
جماعة من المنافقين منهم الجلاس بن سويد وشاس بن قيس ومخشي بن حمير ورفاعة بن عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي
فقال رجل منهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغ محمدا ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول
فان محمدا اذن سامعة فانزل الله الاية وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان رجلا ادم احمر
العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه واله الى المنافقين فقيل لا تفعل فقال انما محمد
اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم ناتيه ونحلف فيصدقنا وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه واله من اراد ان
ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث عن محمد بن اسحق وغيره وقوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الاية قيل انها نزلت في
رهط من المنافقين تخلفوا عن غزاة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه واله من تبوك اتوا المؤمنين يعتذرون اليهم من
تخلفهم ويعتلون ويحلفون فنزلت الاية عن مقاتل والكلبي وقيل نزلت في جلاس بن سويد وغيره من المؤمنين قالوا لئن كان
ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم
شر من الحمير ثم اتى النبي واخبره بما قالوه فسالهم فحلفوا ان عامرا كذاب فنزلت الاية عن قتادة والسدي المعنى ثم رجع سبحانه
الى ذكر المنافقين فقال ومنهم اي ومن هؤلاء المنافقين الذين يؤذون النبي صلى الله عليه واله والاذى قد يكون بالفعل
بالقول وهو ههنا بالقول ويقولون هو اذن معناه انه يستمع الى ما يقال له ويصغي اليه ويقبله قل يا محمد اذن خير يستمع الى ما هو خير لكم
وهو الوحي وقيل معناه هو يستمع اليكم ولو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم فكيف تعيبونه بما هو خير لكم معناه قل كونه اذنا اصلح لكم
لانه يقبل عذركم ويستمع اليكم ولو لم يقبل عذركم لكان شرا فكيف تعيبونه بما هو خير لكم واصلح يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين معناه

لا تنيل ولا كثير ابن السيد ... الشعر ... العوف ... والسيد

فاجر العناكيب

من مذهب الخير لغلبة ذلك في وضعه وكثرته كما خص الانسان بالذكر

سواد السفعة بالضم مشرب حمرة والرجل اسفع والسفعة في الوجه سواد في خدي المراة الشاحبة صح

لكم اي هو اذن خير

هو يسمع الخير ويعمل به ومن قرا اذن خير لكم معناه قل كونه اذنا اصلح لكم لانه يقبل عذركم

انه لا يضره كونه اذنا فانه اذن خير لكم فلا يقبل الا الخبر الصادق من الله يصدق المومنين ايضا فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فاياته للمومنين تصديقه لهم على هذا القول وقيل يومن للمومنين اى يومنهم فيما يلقى اليهم من الامان ولا يومن المنافقين بل يكونون على خوف وان حلفوا ورحمة للذين امنوا منكم اى وهو رحمة لهم لانهم انما نالوا الايمان بهدايته ودعائه اياهم والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم فى الاخرة يحلفون بالله لكم ليرضوكم اخبر سبحانه ان هولاء المنافقين يقسمون بالله ان الذى بلغكم عنهم باطل اعتذارا اليكم وطلبا لمرضاتكم والله ورسوله احق ان يرضوه اى والله ورسوله احق واولى ان تطلبوا رضاهما ان كانوا مومنين مصدقين بالله مقرين بنبوة محمد صلى الله عليه واله وتقديره والله احق ان يرضوه ورسوله احق ان يرضوه فحذف للتخفيف ولدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف والمعنى نحن بما عندنا راضون وانت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقريع والتوبيخ لهولاء المنافقين الم يعلموا اى او ما علموا انه من يحادد الله ورسوله اى من يجاوز حدود الله التى امر المكلفين ان لا يتجاوزوها وانما قال الم يعلموا لمن لا يعلم على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن علمه اى هلا علموا بعد ان مكنوا من علمه وقيل هو امر بالعلم اى يجب ان تعلموا بهذا الخبر والدلايل وقيل معناه الم يخبرهم النبى صلى الله عليه واله بذلك عن الجبائي فان له نار جهنم خالدا فيها اى دايما ذلك الخزى اى ذلك الهوان والذل العظيم قوله عز وجل يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ثلث ايات القراءة قرا عاصم ان نعف نعذب بالنون فيهما طايفة بالنصب وقرا الباقون ان يعف بالياء وضمها وفتح الفاء وتعذب بالتاء وضمها طايفة بالرفع الحجة قال ابو على حجة من قرا ان نعف قوله ثم عفونا عنكم ومن قرا يعف فالمعنى معنى نعف وانما تعذب بالتاء فلان الفعل فى اللفظ مسند الى مونث ظاهر اللغة الحذر اعداد ما ينفى الضرر ورجل حذر متيقظ محترز ورجل حذريان كثير الحذر شديد الفزع والمنافق الذى يظهر من الايمان خلاف ما يبطنه من الكفر مشتق من نافقاء اليربوع لانه يخفى بابا ويظهر بابا ليكون اذا اتى من احدهما خرج من الاخر والخوض دخول القدم فيما كان مايعا من الماء والطين ثم كثر حتى استعمل فى غيره واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة ليتعجل اللذة كفعل الصبى ولذلك قالوا ملاعب الاسنة لانه كان لشجاعته يتقدم على الاسنة كفعل الصبى الذى لا يفكر فى عاقبة امره والاعتذار اظهار ما يقتضى العذر والاجرام الانقطاع من الحق الى الباطل يقال جرم التمر اذا صرمه وتجرمت السنة اذا انصرمت النزول قيل نزلت فى اثنى عشر رجلا وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه واله عند رجوعه من تبوك فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه واله بذلك وامره ان يرسل اليهم ويضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله صلى الله عليه واله انه فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة الا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم عن ابن كيسان وروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم مثله الا انه قال ائتمروا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان فطن نقول انما كنا نخوض ونلعب وان لم يفطن نقتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا فى غزاة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله انما كنا نخوض ونلعب وحلفوا على ذلك فنزلت الاية ولئن سالتهم ليقولن عن الحسن وقتادة وقيل كان ذلك عند منصرفه من تبوك الى المدينة وكان بين يديه اربعة نفر او ثلاثة نفر يستهزؤن ويضحكون واحدهم يضحك ولا يتكلم فنزل جبرئيل واخبر رسول الله صلى الله عليه واله بذلك فدعا عليا عليه السلم وعمار بن ياسر وقال ان هولاء يستهزؤن بى وبالقران اخبرنى جبرئيل بذلك ولئن سالتهم ليقولن كنا نتحدث بحديث الركب فاتبعهم عمار وقال لهم لم تضحكون قالوا نتحدث بحديث الركب فقال عمار صدق الله ورسوله احترقتم احرقكم الله فاقبلوا الى النبى يعتذرون

فانزل الله الايات عن الكلبى وعلى بن ابرهيم وابى حمزة وقيل ان رجلا قال فى غزاة تبوك ما رايت اكذب لسانا ولا اجبن عند اللقاء من هولاء يعنى رسول الله صلى الله عليه واله واصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق واراد ان يخبر رسول الله صلى الله عليه واله بذلك فجاء وقد سبقه الوحى فجاء معتذرا وقال انما كنا نخوض ونلعب ففيه نزلت الاية عن ابن عمر وزيد بن اسلم ومحمد بن كعب وقيل ان رجلا من المنافقين قال يحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادى كذا وكذا وما يدريه ما الغيب فنزلت الاية عن مجاهد وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى ورهطه عن الضحاك المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم فقال يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم فيه قولان احدهما انه اخبار بانهم يخافون ان يفشوا سرايرهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي واكثر المفسرين والمعنى انهم يحذرون من ان ينزل الله عليهم اى على النبى صلى الله عليه واله وعلى المومنين سورة تخبر عما فى قلوبهم من النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر انما اظهروه على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لانهم حين راوا رسول الله صلى الله عليه واله ينطق فى كل شىء عن الوحى قال بعضهم لبعض احذروا ان لا ينزل وحى فيكم يتناجون بذلك ويضحكون عن ابى مسلم وقيل انهم كانوا يخافون ان يكون عليه السلم صادقا فينزل عليه الوحى فيفتضحون عن الجبائي وقيل انهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله ان لا يفشى علينا سرنا عن مجاهد والثانى ان هذا اللفظ لفظ الخبر ومعناه الامر فهو كقولك ليحذر المنافقين ان تنزل عليهم سورة تخبرهم بما فى قلوبهم من النفاق وحسن ذلك لانه موضع الكلام على التهديد قل استهزؤا معناه قل يا محمد لهولاء المنافقين استهزؤا اى اطلبوا الهزؤ وهو وعيد بلفظ الامر ان الله مخرج ما تحذرون من ظهوره والمعنى ان الله مبين لنبيه صلى الله عليه واله باطن حالكم ونفاقكم ولئن سالتهم عن طعنهم فى الدين واستهزائهم بالنبى صلى الله عليه واله والمسلمين ليقولن انما كنا نخوض ونلعب واللام للتاكيد والقسم ومعناه لقالوا كنا نخوض خوض الركب فى طريق الجد ولكن على طريق اللهو واللعب فكان عندنا هم قل يا محمد ابالله واياته اى حججه وبيناته وكتابه ورسوله محمد كنتم تستهزؤن ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه واله ان يقول لهولاء المنافقين لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة قد كفرتم بعد ايمانكم اى فانكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد ان كنتم مظهرين للايمان الذى يحكم لمن اظهره بانه مومن ولا يجوز ان يكونوا مومنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدون لما تقرر بالدليل وذكر فى غير هذا الموضع ان المومن لا يجوز ان يكفر ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين اى كافرين مصرين على النفاق هذا اخبار منه سبحانه انه ان عفا عن قوم منهم اذا تابوا نعذب طايفة اخرى لم يتوبوا واقاموا على النفاق والطايفة اسم للجماعة على الحقيقة لانه اسم لما يطيف بغيره ومحيط به وقد يسمى الواحد طايفة على معنى انها نفس طايفة وقد ورد القران بذلك فى قوله وليشهد عذابهما طايفة من المومنين وقيل ورد فى الاثار عن ائمتنا عليهم السلم ان اقل من يحضر عذابهما واحد من المومنين فصاعدا وروى ان هاتين الطايفتين كانوا ثلثة نفر فهزئ اثنان وضحك واحد وهو الذى تاب من نفاقه واسمه مخشى بن حمير فعفا الله عنه قوله عز وجل الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ اربع ايات اللغة الاستمتاع طلب المتعة وهو فعل ما فيه اللذة من المآكل والمشارب والمناكح والخلاق النصيب سواء كان عاجلا او اجلا وقال الزجاج النصيب الذى هو عند صاحبه وافر الحظ والمؤتفكات جمع موتفكة وقد ايتفكت بهم الارض اى انقلبت الاعراب موضع

الكاف من قوله كالذين من قبلكم نصب اى وعدكم الله على الكفر كما وعد الذين من قبلكم والكاف فى قوله كما استمتع وكالذى
خاضوا نصب بانه صفة لمصدر محذوف وتقديره استمتعتم استمتاعا مثل استمتاعهم وخضتم خوضا مثل ما خوضهم قال جامع العلوم
النحوى البصير كالذى خاضوا تقديره على قياس قول سيبويه كالذى خاضوا فيه حذف فى فصار كالذى خاضوه ثم
حذف الهاء على قول يونس والاخفش الذى مصدرى وتقديره كالخوض الذى خاضوا ومثل هذا اختلافهم فى قوله
ذلك الذى يبشر الله به عباده على قول سيبويه تقديره يبشر الله به وعلى قول يونس والاخفش ذلك تبشير الله عباده
المعنى ثم ذكر سبحانه احوال اهل النفاق فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى بعضهم من جملة بعض وبعضهم مضاف الى بعض فى
الاجتماع على النفاق والشرك كما يقول انا من فلان وفلان منى اى امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقيل معناه بعضهم على دين بعض عن الكلبى وقيل
بعضهم من بعض فى لحوق مقت الله بهم جميعا عن ابى مسلم يامرون بالمنكر اى بالشرك والمعاصى وينهون عن المعروف اى عن الافعال الحسنة
التى امر الله بها وحث عليها ويقبضون ايديهم عن الجهاد فى سبيل الله عن الجبائى نسوا الله فنسيهم اى تركوا طاعة فتركهم فى النار وترك رحمتهم
واثابتهم عن الاصم وقيل معناه جعلوا الله كالمنسى حيث انكروا ان لهم صانعا يثيبهم ويعاقبهم ليمنعهم ذلك عن الكفر والافعال القبيحة
فجعلهم سبحانه فى حكم المنسى عن الثواب وذكر ذلك لازدواج الكلام لان النسيان لا يجوز عليه تعالى ان المنافقين هم الفاسقون
اى هم الخارجون عن الايمان بالله وبرسوله وعن طاعته وقيل الفاسقون المتمردون فى الشرك وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم اخبر سبحانه انه وعد الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر النار وكذلك الكفار وانما فصل النفاق من الكفر
وان كان النفاق كفرا ليبين الوعيد على كل من الصنفين خالدين فيها اى دايمين فيها وهى حسبهم معناه نار جهنم والعقاب فيها كفاء
ذنوبهم كما تقول عذبتك حسب ما فعلت وحسب فلان ما نزل اى فى ذلك على قدر فعلهم فعله ولعنهم الله اى ابعدهم عن جنته
وخيره ولهم عذاب مقيم اى دايم لا يزول كالذين من قبلكم اى وعدكم على النفاق والاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار
الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاج والجبائى وقيل معناه فعلكم كفعل الذين من قبلكم من كفار الامم الخالية كانوا اشد منكم قوة
فى ابدانهم واكثر اموالا واولادا فلم ينفعهم ذلك شيئا عذاب الله تعالى ورحل بهم فاستمتعوا بخلاقهم اى بنصيبهم وحظهم من الدنيا بان
صرفوها فى شهواتهم المحرمة عليهم وفيما نهاهم الله عنه ثم اهلكوا فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم فاستمتعتم
انتم ايضا بحظكم من الدنيا كما استمتعوا وخضتم كالذى خاضوا اى خضتم فى الكفر والاستهزاء بالمومنين كما خاض الاولون اولئك
حبطت اعمالهم التى تقع طاعة من المومنين مثل الانفاق فى وجوه الخير وصلة الرحم وغيرها اذ لم يستحقوا عليها ثوابا فى الاخرة ولا
تعظيما وتبجيلا فى الدنيا لكفرهم وشركهم واولئك هم الخاسرون الذين خسروا انفسهم واهلكوها بفعل المعاصى المودية الى الهلاك
وورد فى الرواية عن ابن عباس انه قال فى هذه الاية ما اشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنوا اسرائيل شبهنا بهم
لا اعلم الا انه قال والذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه وروى مثل ذلك عن ابى هريرة عن ابى
سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه واله قال لتاخذن كما اخذت الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى
لو ان احدا من اولئك دخل جحر الضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم واهل الكتاب قال فهل الناس الا هم وقال
عبد الله بن مسعود انتم اشبه الامم ببنى اسرائيل سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير انى لا ادرى اتعبدون العجل ام لا
وقال حذيفة المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه واله قلنا وكيف قال اولئك
كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء اعلنوه اورد ذلك جميعا الثعلبى فى تفسيره ثم قال سبحانه الم ياتهم اى الم يات هؤلاء المنافقين
الذين وصفهم نبأ الذين من قبلهم اى خبر من كان من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين ثم ذكر سبحانه الامم
الماضية والقرون السالفة وانه سبحانه اهلكها ودمر عليها لتكذيبها رسلها لئلا يامنوا ان ينزل بهم مثل ما نزل باولئك فاهلك
الله سبحانه قوم نوح بالغرق وعادا قوم هود بالريح الصرصر وثمود قوم صالح بالرجفة وقوم ابرهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود
واصحاب مدين وهى البلدة التى كان فيها قوم شعيب بعذاب يوم الظلة وقيل ان مدين اسم نسبت البلدة اليه وقد مر ذكره والمؤتفكات

اى المنقلبات وهى ثلث قرى كان فيها قوم لوط ولذلك جمعها بالالف والتاء عن الحسن وقتادة وقال فى موضع اخر والمؤتفكة
اهوى فجاء بها على طريق الجنس اهلكهم الله بالخسف وقلب المدينة عليهم اتتهم رسلهم بالبينات اى بالبراهين والحجج والمعجزات فما كان الله
ليظلمهم اى ما ظلمهم الله باهلاكهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى ولكن عاقبهم باستحقاقهم اذ كذبوا رسل الله كما فعلتم فاهلكهم
بكفرهم وعصيانهم قوله عز وجل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من
الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماويهم جهنم وبئس المصير
ثلث ايات **اللغة** العدن والاقامة والخلود نظاير ومنه المعدن قال الاعشى وان تستضيفوا الى حلمه تضافوا الى راجح قد عدن
ورضوان مصدر رضى يرضى رضوانا والجهاد ممارسة الامر الشاق واصله من الجهد **المعنى** لما ذكر سبحانه المنافقين ووصفهم
بقبح خصالهم اقتضى الحكمة ان يذكر المومنين ويصفهم بضد اوصافهم ليتصل الكلام بما قبله اتصال النقيض بالنقيض فقال والمؤمنون
والمومنات بعضهم اولياء بعض اى بعضهم يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وموالاته حتى ان المراة تهيئ اسباب السفر لزوجها اذا خرج
وتحفظ غيبته زوجها وهم يد واحدة على من سواهم يامرون بالمعروف وهو ما اوجب الله فعله او رغب فيه عقلا او شرعا وينهون
عن المنكر وهو ما نهى الله عن فعله وزهد فيه عقلا او شرعا ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اى يداومون
على فعل الصلوة واخراج الزكوة من اموالهم ووضعها حيث امر الله بوضعها فيه ويمتثلون طاعة الله ورسوله ويتبعون ارادتهما
ورضاهما اولئك سيرحمهم الله اى الذين هذه صفتهم يرحمهم الله فى الاخرة ان الله عزيز حكيم اى قادر على الرحمة والعذاب
واضع كل واحد منهما موضعه وفى الاية على ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الاعيان لانه جعلهما من صفات
جميع المومنين ولم يخص قوما منهم دون قوم وعد الله المومنين والمومنات جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها
الانهار والمياه فيها خالدين فيها ومساكن طيبة يطيب العيش فيها بناها الله تعالى من اللالى والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر لا
اذى فيها ولا وصب ولا نصب عن الحسن فى جنات عدن اى فى جنات اقامة وخلد وقيل هى بطنان الجنة اى وسطها عن
ابن مسعود وقيل هى مدينة فى الجنة وفيها الرسل والانبياء والشهداء والايمة الهدى والناس حولهم والجنان حولها عن الضحاك
وقيل ان عدن اعلى درجة فى الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهى مغطاة من يوم خلقها الله حتى ينزلها
اهلها الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب تهب ريح
طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض عن مقاتل والكلبى وروى عن النبى صلى الله عليه واله
انه قال عدن دار الله التى لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر ولا يسكنها غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول
الله طوبى لمن دخلك ورضوان من الله اكبر رفع على الابتداء اى ورضاء الله تعالى عنهم اكبر من ذلك كله قال الجبائى انما
صار الرضوان اكبر من الثواب لانه لا يوجد شئ منه الا بالرضوان وهو الداعى اليه الموجب له وقال الحسن لان ما يصل الى
القلب من السرور برضوان الله اكبر من جميع ذلك وانما رفع رضوان لانه استانف للتعظيم كما يقول القايل اعطيتك
ووصلتك ثم يقول وحسن رايى فيك ورضاى عنك خير من جميع ذلك ذلك هو الفوز العظيم اى ذلك النعيم الذى
وصفت هو النجاح العظيم الذى لا شئ اعظم منه ثم امر سبحانه بالجهاد فقال يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والقتال
والمنافقين واختلفوا فى كيفية جهاد المنافقين فقيل ان جهادهم باللسان والوعظ والتخويف عن الجبائى وقيل جهادهم
باقامة الحدود عليهم وكان ما يصيبهم من الحدود اكثر وقيل هو بالانواع الثلاثة بحسب الامكان يريد باليد فان لم يستطع
فباللسان فان لم يستطع فبالقلب فان لم يستطع بقلبه فليكفهر فى وجوههم عن ابن مسعود وروى فى قراءة اهل البيت عليهم السلم جاهد الكفار
بالمنافقين قالوا لان النبى صلى الله عليه واله لم يكن يقاتل المنافقين وانما كان يتالفهم ولان المنافقين لا يظهرون

اى مسكون امراهم عن انفاقها فى طاعة الله ورضاه عن قتادة والحسن وقيل عن مساكن ايديهم م

انصار بعض م

فباللسان فان لم يستطع م

المظهرون الكفر وعلم الله بكفرهم لا يبيح قتلهم اذا كانوا يظهرون الايمان واغلظ عليهم معناه واسمعهم الكلام الغليظ الشديد ولا ترق
عليهم وماويهم جهنم اى منزل مقامهم ومسكنهم جهنم يريد ماوى الفريقين وبيس المصير اى بيس المرجع والماوى قوله عز وجل
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والاخرة وما لهم
فى الارض من ولى ولا نصير اللغة الهم مقاربة الفعل بتغليبه فى النفس تقول هم بالشىء يهم هما وليس الهم من العزم
فى الشىء الا ان يبلغ نهاية القوة فى النفس والنيل لحوق الامر يقول نال ما اشتهى ويتمنى اى ادركه ونقم منه شيئا اذا انكر قال
لا تنقموا من بنى امية الا انهم يحلمون ان غضبوا والفضل الزيادة فى الخير على مقدار ما واما التفضل فهو الزيادة فى الخير
الذى كان القادر عليه ان يفعله وان لا يفعله النزول اختلف فيمن نزلت فيه هذه الاية فقيل ان رسول الله صلى الله
عليه واله كان جالسا فى ظل حجرة فقال انه سياتيكم انسان فينظر اليكم بعينى شيطان فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله
صلى الله عليه واله فقال علام تشتمنى انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله هذه الاية
عن ابن عباس وقيل خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه واله الى تبوك فكانوا اذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول
الله واصحابه وطعنوا فى الدين فنقل ذلك حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه واله فقال لهم صلى الله عليه واله ما هذا الذى
بلغنى عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئا من ذلك عن الضحاك وقيل نزلت فى الجلاس بن سويد بن صامت وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه واله خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقا
فيما يقول لنحن شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه واله الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس
فقال الجلاس كذب يا رسول الله فامرهما رسول الله صلى الله عليه واله ان يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف
بالله ما قاله ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال اللهم انزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله والمؤمنون
امين فنزل جبرئيل عليه السلم قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع
قد عرض على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لك لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه
واله ذلك منه عن الكلبى ومحمد بن اسحق ومجاهد وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى سلول حين قال لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل عن قتادة وقيل نزلت فى اهل العقبة فانهم ائتمروا فى ان يغتالوا رسول الله صلى الله عليه
واله فى عقبة عند مرجعهم من تبوك وارادوا ان يقطعوا انساع راحلته ثم ينخسوا به فاطلعه الله تعالى على ذلك
فكان من جملة معجزاته لانه لا يمكن معرفة مثل ذلك الا بوحى من الله فسار رسول الله صلى الله عليه واله فى العقبة
وحده وعمار وحذيفة معه احدهما يقود ناقته والاخر يسوقها وامر الناس كلهم بسلوك بطن الوادى وكان الذين
هموا بقتله اثنى عشر رجلا او خمسة عشر رجلا على الخلاف فيه فعرفهم رسول الله صلى الله عليه واله وسماهم باسمائهم
واحدا واحدا عن الزجاج والواقدى والكلبى والقصة مشروحة فى كتاب الواقدى وقال الباقر عليه السلم كانت
ثمانية منهم من قريش واربعة من العرب المعنى ثم اظهر سبحانه اسرار المنافقين فقال يحلفون بالله ما قالوا يعنى انهم حلفوا
كاذبين ما قالوا ما حكى عنهم ثم حقق عليهم ذلك واقسم سبحانه بانهم قالوا ذلك لان اللام فى لقد لام القسم وكلمة
الكفر كل كلمة فيها جحد لنعم الله تعالى وكانوا يطعنون فى الاسلام وكفروا بعد اسلامهم اى بعد اظهار اسلامهم يعنى
ظهر كفرهم بعد ان كان باطنا وهموا بما لم ينالوا فيه ثلاثة اقوال احدها انهم هموا بقتل النبى صلى الله عليه واله ليلة
العقبة والتنفير بناقته عن الكلبى ومجاهد وغيرهما وثانيها انهم هموا باخراج الرسول من المدينة فلم يبلغوا ذلك عن
قتادة والسدى وثالثها انهم هموا بالفساد والتضريب بين اصحابه ولم ينالوا ذلك عن الجبائى وما نقموا الا ان اغناهم
الله ورسوله من فضله معناه انهم عملوا بضد الواجب فجعلوا فى موضع شكر النعمة ان نقموها وبيانه انهم نقموا فيما ليس بموضع

الجلاس بن سويد

[illegible] كالجوزا
ابن عمر وابن الجوزى حجابا[illegible]

نسمعه عامر بن قيس
فقال اجلاد الله ان
محمد الصادق وانتم
شر من الحمير ح

النسعة التى تنسج عريضا
للتصدير والجمع نسع وانساع

النقمة عن اى فانه لم يكن للمسلمين ذنب ينقمونه منهم بل الله اباح لهم الغنايم واغناهم بذلك فقابلوا النعمة بالكفران
وكان من حقهم ان يقابلوها بالشكر وقد مر هذا المعنى عند قوله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية فى سورة
المائدة وانما لم يقل من فضلهما لانه لا يجمع بين اسم الله واسم غيره فى الكناية تعظيما لله ولذلك قال النبى صلى الله
عليه واله لمن سمعه يقول من اطاع الله ورسوله فقد اهتدى ومن عصاهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت فقال
كيف اقول يا رسول الله قال قل ومن يعص الله ورسوله وهكذا القول فى قوله سبحانه منه وفضل رسول الله من فضل
الله فان يتوبوا يك خيرا لهم اى فان يتب هؤلاء المنافقون ويرجعوا الى الحق يكن ذلك خيرا لهم فى الدنيا والاخرة
فانهم ينالون بذلك رضا الله ورسوله والجنة وان يتولوا اى يعرضوا عن الرجوع الى الحق وسلوك الطريق المستقيم
يعذبهم الله عذابا اليما مولما فى الدنيا بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر وفى الاخرة بعذاب النار وما لهم فى الارض
اى ليس لهم فى الارض من ولى اى محب ولا نصير ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله قوله عز وجل ومنهم من عاهد الله
لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون
فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم
سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب اربع ايات اللغة المعاهدة هى ان تقول على عهد الله لافعلن كذا فانه يكون
بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكر لان الله حكم بذلك وقد وجب عليه فى الشرع والبخل منع النائل لشدة
الاعطاء ثم صار فى الشرع اسما لمنع الواجب لانه من منع من الزكوة فهو بخيل قال الرمانى لا يجوز ان يكون البخل منع الواجب
لشقة الاعطاء كما قال زهير ان البخيل ملوم حيث كان ولكن الجواد على علاته هرم قال لانه لا يلزم على ذلك ان
يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة الاعطاء وكان من قضى دينا عليه يكون جوادا لانه ادى الواجب
من غير مشقة ولا منفعة تدعو اليه الحكم فهو بخيل لانه لا يقع المنع على هذه الصفة وانما قال زهير ما قاله لان البخل صفة
نقص قال ومن منع ما لا يضره ولا ينفعه منعه الا لشدة فى النفس وان لم يرجع الى ضر اذ الشدة من غير ضرر معقول
كما يعقل الجوع بانها اليمة لاجل الشدة واعقبه واورثه واد انظاير وقد يكون اعقبه بمعنى جازاه قال النابغة
فمن اطاع فاعقبه بطاعته كما اطاعك وادلله على الرشد ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا
تقعد على صمد والنجوى الكلام الخفى يقال ناجيته وتناجوا وانتجوا فلان نجى فلان والجمع الانجية قال انى اذا ما القوم
كانوا انجية واضطرب القوم اضطراب الارشية واصله من النجوة وهو البعد كان المتناجين قد تباعدا من غيرهما
وقيل هو من النجوة اى المكان المرتفع الذى لا يصل اليه السيل فكانهما رفعا حديثهما الى حيث لا يصل اليه غيرهما الاعراب
معنى لما معنى اذا الا ان لما الغالب عليها الجزاء وهى اسم تقع فى جواب متى يقال للسامع لما كان كذا ولما ولو ولولا يكون
للمضى بخلاف ان واذا فانهما لما يستقبل الا ان لولا على تقدير نفى وجوب الثانى لانتفاء الاول ولما تدل على
وقوع الثانى لوقوع الاول فلما اتاهم من فضله المفعول الثانى محذوف تقديره فلما اتاهم ما تمنوه من فضله
لنصدقن اصله لنتصدقن ادغمت التاء فى الصاد النزول قيل نزلت فى ثعلبة بن حاطب وكان من الانصار قال
للنبى صلى الله عليه واله ادع الله ان يرزقنى مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه اما لك
فى رسول الله اسوة والذى نفسى بيده لو اردت ان تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال
يا رسول ادع الله ان يرزقنى مالا والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه فقال رسول
الله صلى الله عليه واله اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل
واديا من اوديتها ثم كثرت نموا حتى تباعد من المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة وبعث رسول الله صلى الله عليه
واله المصدق ليأخذ الصدقة فابى وبخل وقال ما هذه الا اخت الجزية فقال رسول الله صلى الله عليه واله يا ويح ثعلبة

والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل انما لم
يقل من فضلهما لان فضل الله سبحانه ح

ومنفعة تدعو اليه الحكمة فهو بخيل لانه لا يقع المنع
على هذه الصفة ح

تعلية

ياويح فانزل الايات عن ابى امامة الباهلى وروى ذلك مرفوعا وقيل ان ثعلبة اتى مجلسا من الانصار فاشهدهم وقال لئن اتانى الله من فضله تصدقت منه وايتت كل ذى حق حقه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فمات ابن عم له فورثه مالا ولم يف بما قال فنزلت عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وقيل نزلت فى ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بنى عمرو بن عوف قالا لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما المال بخلا به عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت فى رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير عن الضحاك وقيل نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة كان له بالشام مال فابطاء عليه وجهد لذلك جهدا شديدا فحلف ان اتاه الله ذلك المال ليصدقن فاتاه الله تعالى ذلك فلم يفعل عن الكلبى المعنى ثم اخبر سبحانه عنهم فقال ومنهم اى ومن جملة المنافقين الذين تقدم ذكرهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله اى لئن اعطانا من رزقه لنصدقن على الفقراء ولنكونن من الصالحين بانفاقه فى طاعة الله وصلة الرحم ومواساة اهل الحاجة فلما اتاهم من فضله اى اعطاهم ما اقترحوا ورزقهم ما تمنوه من الاموال بخلوا به اى شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهد ومنعوا حق الله منه وتولوا عن فعل ما امرهم الله وهم معرضون عن دين الله تعالى فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم اى فاورثهم بخلهم بما اوجبوه لله تعالى على انفسهم النفاق فى قلوبهم واداهم الى ذلك عن الحسن كانهم حصلوا على النفاق بسبب البخل وهذا كمن يقول لابنه اعقبتك صحبة فلان ترك التعلم وقيل معناه اعقبهم الله ذلك بحرمان التوبة كما حرم ابليس عن مجاهد واراد بذلك انه دلنا على انه لا يتوب كما دلنا من حال ابليس على انه لا يتوب لانه سلب عنه قدرة التوبة الى يوم يلقونه اى يلقون جزاء البخل فذكر البخل واراد به جزاءه كقوله سبحانه اعمالهم كرماد اشتدت به الريح وعلى قول الثانى فمعناه الى يوم يلقون الله اى اليوم الذى لا يملك فيه النفع والضر الا الله وهذا اخبار من الله عن هؤلاء المنافقين انهم يموتون على النفاق وكان ذلك معجزة للنبى صلى الله عليه واله لانه خرج مخبره على وفق خبره بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون بين سبحانه ان هذا انما اصابهم بفعلهم وهو اخلافهم الوعد وكذبهم الم يعلموا اى لم يعلم هؤلاء المنافقون ان الله يعلم سرهم اى ما يخفون فى انفسهم ونجويهم اى ما يتناجون به بينهم وهذا استفهام يراد به التوبيخ والمعنى انه يجب عليهم ان يعلموا ذلك وان الله علام الغيوب جمع الغيب وهو كل ما غاب عن الاحساس ومعناه يعلم كل ما غاب عن العباد وعن ادراكهم من موجود او معدوم فى كل وجه يصح ان يعلم منه لانه فعال صفة مبالغة فى قوله فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الاية دلالة على ان بعض المعاصى قد يدعو الى بعض لانهم لما تهاونوا باداء هذا الحق دعاهم ذلك الى الثبات على النفاق الى الممات وكذلك بعض الطاعات تدعوا الى البعض وعلى ذلك تربيت الشرايع وفيه دلالة على ان الاخلاف والخيانة والكذب من اخلاق اهل النفاق وقد صح فى الحديث عن النبى صلى الله عليه واله انه قال للمنافق ثلاث علامات اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان قوله عز وجل الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ايتان اللغة المطوع المتطوع ادغمت التاء فى الطاء لانها من مخرجها والطاء افضل منها بالاستعلاء والاطباق والتطوع كل فعل يستحق المدح بفعله ولا يستحق الذم بتركه ونظيره النافلة والفضيلة والجهد والجهد بمعنى وهو الحمل على النفس بما يشق وقيل بينهما فرق فالجهد بالفتح فى العمل وبالضم فى القوة عن الشعبى وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الطاقة عن القتيبى الاعراب يجوز ان يكون موضع الذين يلمزون جرا بان يكون بدلا من الهاء والميم فى قوله ومنهم من عاهد الله ويحتمل ان يكون رفعا على الابتداء وخبره سخر الله منهم وهذا اولى وقوله ومنهم فى الصدقات من صلة يلمزون ولا يكون من صلة المطوعين لانه فصل بينهما قوله من المومنين والذين لا يجدون عطف على الذين يلمزون المعنى ثم وصفهم بصفة اخرى فقال الذين يلمزون اى يعيبون المطوعين اى المتطوعين بالصدقة من المومنين ويطعنون عليهم فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم اى ويعيبون الذين لا يجدون الا طاقتهم فيتصدقون بالقليل قيل اتاه عبد الرحمن بن عوف بصرة من دراهم تملاء الكف واتاه عتبة بن زيد الحارثى بصاع من تمر وقال يا رسول الله عملت فى النخل بصاعين صاعا تركته لاهلى وصاعا اقرضته ربى وجاء زيد بن اسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل ان عبد الرحمن رجل

يحب الريا ويبتغى المذكور بذلك وان الله غنى عن الصاع من التمر فعابوا المكثر بالريا والمقل بالاقلال فيسخرون منهم اى فيستهزؤن منهم سخر الله منهم اى جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا الى النار ولهم عذاب اليم اى موجع مؤلم وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه سيل فقيل يا رسول الله صلى الله عليه واله اى الصدقة افضل قال جهد المقل استغفر لهم او لا تستغفر لهم صيغته صيغة الامر والمراد به المبالغة فى الاياس من المغفرة بانه لو طلبها طلب المامور بها او تركها ترك المنهى عنها لكان ذلك سواء فى ان الله لا يفعلها كما قال سبحانه فى موضع اخر سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم الوجه فى تعليق الاستغفار بسبعين المبالغة لا العدد المخصوص ويجرى ذلك مجرى قول القايل لو قلت لى الف مرة ما قبلت والمراد انى لا اقبل منك فكذلك المراد بالاية فيها نفى الغفران جملة وقيل ان العرب تبالغ بالسبعة والسبعين ولهذا قيل للاسد سبع لانهم تاولوا فيه لقوته انه ضوعفت له سبع مرات واما ما روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال والله لازيدن على السبعين فانه خبر واحد لا يعول عليه ولانه يتضمن ان النبى يستغفر للكافر وذلك غير جائز بالاجماع وقد روى انه قال لو علمت انه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لفعلت ويحتمل ان يكون النبى صلى الله عليه واله يرجوا ان يكون لهم لطف يصلحون به فعزم على الاستغفار لهم فلما بين الله انه ليس لهم لطف ترك ذلك ويحتمل ان يكون عليه السلام قد استغفر لهم قبل ان يعلم بكفرهم ونفاقهم ويحتمل ان يكون قد استغفر لهم قبل ان يخبر بان لا الكافر لا يغفر له وقبل ان يمنع منه ويجوز ان يكون استغفاره لهم واقعا بشرط التوبة من الكفر فمنعه الله منه واخبره بانهم لا يومنون ابدا فلا فايدة فى الاستغفار لهم والله اعلم بحقيقة الامر ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين ومعناه قوله تعالى فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ثلث ايات اللغة المخلف المتروك خلف من مضى ومثله المؤخر عمن مضى والفرح ضد الغم وهو لذة فى القلب بنيل المشتهى ومثله السرور وقال البصريون من المعتزلة ان السرور والغم يرجعان الى الاعتقاد فالسرور اعتقاد وصول منفعة اليه فى المستقبل او دفع ضرر مظنون عنه او معلوم والغم اعتقاد وصول ضرر اليه فى المستقبل او فوت منفعة عنه واليه ذهب المرتضى قدس الله روحه والخلاف مصدر خالفته مخالفة وخلافا وزعم ابو عبيدة ان معناه بعد وانشد عقب الربيع خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا والشواطب النساء يقددن الاديم بعد ما يقددنه والخالف كل من تخلف عن الشاخص والمتخلف بمعناه والضحك حال تفتح وانبساط يظهر فى وجه الانسان عن تعجب مع فرح والبكاء حال تقبض يظهر عن غم فى الوجه مع جرى الدموع على الخد الاعراب خلاف نصب على المصدر بمعنى المفعول له اذا جعلته بمعنى المخالفة واذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف فليضحكوا انما سكنت لام الامر ولم تسكن لام الاضافة لانها تؤذن بعملها الجر المناسب لها فلذلك الزمت الحركة مع ان العوامل فى الاسماء اقوى من العوامل فى الافعال جزاء نصب على المصدر اى يجزون جزاء على افعالهم التى اكتسبوها المعنى ثم اخبر سبحانه ان جماعة من المنافقين الذين خلفهم النبى صلى الله عليه واله ولم يخرجهم معه الى تبوك لما استاذنوه فى التاخر فاذن لهم فرحوا بقعودهم فقال فرح المخلفون بمقعدهم اى بقعودهم عن الجهاد خلاف رسول الله اى بعده وقيل معناه لمخالفتهم النبى صلى الله عليه واله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ظاهر المعنى وقالوا اى وقالوا للمسلمين ليصدوهم عن الغزو لا تنفروا فى الحر اى لا تخرجوا الى الغزو سراعا فى هذا الحر وقيل بل معناه قال بعضهم لبعض ذلك طلبا للراحة والدعة وعدولا عن تحمل المشاق فى طاعة الله ومرضاته قل يا محمد لهم نار جهنم التى وجبت لهم بالتخلف عن امر الله تعالى اشد حرا من هذا الحر فهى اولى بالاحتراز والحذر عنها اذ لا يعتد بهذا الحر فى جنب ذلك الحر لو كانوا يفقهون اوامر الله تعالى ووعده ووعيده فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا هذا تهديد لهم فى صورة الامر اى فليضحك هؤلاء المنافقون فى الدنيا قليلا لان ذلك يفنى وان دام الى الموت ولان الضحك

يغفر لهم

معناه ان حرمان المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله ح

فى الدنيا قليل لكثرة احزانها وهمومها وليبكوا كثيرا هذا تهديد لهم فى صورة الامر فى الاخرة لان ذلك يوم مقداره خمسون الف سنة وهم فيه
يبكون فصار بكاءهم كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق والتخلف بغير عذر عن الجهاد قال ابن عباس ان اهل النفاق
ليبكون فى النار عمر الدنيا ولا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وروى انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه واله انه قال لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فان رجعك الله يا محمد اى فان ردك الله من غزوتك هذه وسفرك هذا الى طائفة منهم اى من المنافقين الذين
تخلفوا عنك وعن الخروج معك فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى فقل لهم لن تخرجوا معى ابدا الى غزوة ولن تقاتلوا معى عدوا
ثم بين سبحانه سبب ذلك فقال انكم رضيتم بالقعود اول مرة اى عن غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين فى كل غزوة واختلف فى المراد بالخالفين
فقيل معناه مع النساء والصبيان عن الحسن والضحاك وقيل مع الرجال الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس وقيل مع المخالفين عن الفرا
يقال فلان خالف وصاحب خالف اذا كان مخالفا وقيل مع الخساس والادنياء يقال فلان خالفة اهله اذا كان ادونهم وقيل مع
اهل الفساد من قولهم خلف الرجل على اهله يخلف خلوفا اذا فسد ونبيذ خالف اى فاسد وخلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه وقيل
مع المرضى والزمنى وكل من تاخر لنقص عن الجهاد قوله عز وجل وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ
كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا
وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ايتان الاعراب مات جملة فى موضع جر صفة لاحد وتقديره على احد ميت منهم وابدا منصوب
لانه ظرف لقوله تصل وانما كسران من قوله انهم كفروا وان كان فى موضع التعليل لتحقيق الاخبار بانهم على الصفة التى ذكرها المعنى ثم
نهى سبحانه نبيه صلى الله عليه واله عن الصلوة عليهم فقال ولا تصل يا محمد على احد منهم اى من المنافقين مات ابدا اى بعد موته فانه عليه السلم
كان يصلى عليهم ويجريهم على احكام المسلمين ولا تقم على قبره اى لا تقف على قبره للدعاء فانه كان عليه السلام كان اذا صلى على ميت
يقف على قبره ساعة ويدعو له فنهاه الله تعالى عن الصلوة على المنافقين والوقوف على قبرهم والدعاء لهم ثم بين سبب الامرين فقال انهم
كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فما صلى رسول الله صلى الله عليه واله بعد ذلك على منافق حتى قبض وفى هذه الاية دلالة
على ان القيام على القبر للدعاء عبادة مشروعة ولولا ذلك لم يخص سبحانه بالنهى عنه الكافر وروى انه صلى الله عليه واله صلى
على عبد الله بن ابى والبسه قميصه قبل ان ينهى عن الصلوة على المنافقين عن ابن عباس وجابر وقتادة وقيل انه عليه السلم
اراد ان يصلى عليه فاخذ جبرئيل بثوبه وتلا عليه لا تصل على احد منهم مات ابدا الاية عن انس والحسن وروى انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه واله لم وجهت بقميصك اليه يكفن فيه وهو كافر فقال ان قميصى لن يغنى عنه من الله شيئا وانى اؤمل من الله
ان يدخل بهذا السبب فى الاسلام خلق كثير فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله
عليه واله ذكره الزجاج قال والاكثر فى الرواية انه لم يصل عليه ولا تعجبك اموالهم واولادهم الخطاب للنبى صلى الله عليه واله
والمراد به الامة انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما ياخذها منهم المسلمون على وجه الغنيمة
وبما يشق عليهم من اخراجها فى الزكوة والانفاق فى سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الاسلام فيشتد عليهم ويكون ذلك عذابا
لهم وتزهق انفسهم اى تهلك بالموت وهم كافرون اى فى حال كفرهم وقد مضى تفسير مثل هذه الاية وانما كرر للتذكير فى
موطنين مع بعد احدهما عن الاخر ويجوز ان يكون الايتان فى فريقين من المنافقين فيكون كما يقول القائل لا يعجبك حال زيد
ولا يعجبك حال عمرو عن الجبائى قوله عز وجل وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ
اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ اربع ايات اللغة قال الزجاج الخوالف النساء المتخلفين
عن الجهاد ويجوز ان يكون جمع خالفة فى الرجال والخالف والخالفة الذى هو غير نجيب ولم يات فى فاعل فواعل صفة الا فى حرفين
قالوا فارس وفوارس وهالك وهوالك والطبع والختم بمعنى واحد والخيرات المنافع التى تسكن النفس اليها وترتاح اليها من

النساء الحسان وغيرهن من نعيم الجنان واحدها خيرة قال الشاعر ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات
وقال المبرد الخيرات الجوارى الفاضلات جمع خيرة وقيل يجوز ان يكون خيرة بالتشديد فخففت نحو هين ولين والاعداد جعل الشىء مهيا
لغيره واصله من العدد لانه قد عد الله جميع ما يحتاج الى تقديمه له من الامور ومثله الاعتاد الاعراب ان امنوا فى
موضع نصب بحذف حرف الجر على تقدير بان امنوا اى بالايمان ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر المعنى ثم بين سبحانه تمام
اخبار المنافقين فقال واذا انزلت سورة من القران على محمد ان امنوا اى بان امنوا وهو خطاب للمومنين وامر لهم بان
يدوموا على الايمان ويتمسكوا به فى مستقبل الاوقات ويدخل فيه المنافق ويتناوله الامر بان يستانف الايمان ويترك النفاق
وجاهدوا مع رسوله اى اخرجوا الى الجهاد معه فكانه قال امنوا انتم وادعوا الى الايمان غيركم استاذنك اى طلب الاذن
منك فى القعود اولوا الطول اى اولوا المال والقدرة والغنى عن ابن عباس وغيره منهم اى من المنافقين وقالوا ذرنا اى
دعنا نكن مع القاعدين اى المتخلفين عن الجهاد من النساء والصبيان وانما لحق هؤلاء الذم لانهم اقوى على الجهاد رضوا بان
يكونوا مع الخوالف اى رضوا لنفوسهم ان يقعدوا مع النساء والصبيان والمرضى والمقعدين وطبع على قلوبهم ذكرنا معنى الطبع
فيما تقدم قال الحسن هؤلاء قوم قد بلغوا الحد الذى من بلغه مات قلبه فهم لا يفقهون اوامر الله ونواهيه ولا يتدبرون الادلة
ثم مدح النبى صلى الله عليه واله فقال سبحانه لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم ينفقونها فى سبيل الله ومرضاته و
انفسهم يقاتلون الكفار ثم اخبر سبحانه عما اعد لهم من الجزاء على انقيادهم لله ولرسوله فقال اولئك لهم الخيرات من الجنة و
نعيمها وقيل الخيرات المنافع والمدح والتعظيم فى الدنيا والثواب والجنة فى الاخرة واولئك هم المفلحون اى الظافرون بالوصول الى البغية
اعد الله لهم اى هيا وخلق لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها مضى تفسيره ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره الفوز العظيم
الفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مفازة تفاؤلا لها بالنجاة وانما وصفه بالعظيم لانه حاصل على وجه الدوام قوله
عز وجل وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ اية القراءة قرا يعقوب وقتيبة المعذرون بسكون العين وتخفيف الذال وهى قراءة ابن عباس والضحاك
ومجاهد والباقون بفتح العين وتشديد الذال الحجة من قرا بالتخفيف اراد الذين ياتون بالعذر ومن قرا بالتشديد احتمل
امرين احدهما ان يكون اراد المعتذرون كان لهم عذر او لم يكن وانما ادغم التاء فى الذال لقرب مخرجيهما والثانى ان اراد
المقصرون من التعذير والمعذر المقصر الذى يريك انه معذور ولا عذر له والمعذر المبالغ الذى له عذر والمعتذر يقال لمن له
عذر ولمن لا عذر له قال لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اى اتى بعذر المعنى لما تقدم حديث المتخلفين صنف الله تعالى
الاعراب منهم صنفين فقال سبحانه وجاء المعذرون من الاعراب اى المقصرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر عن اكثر المفسرين
وقيل هم المعتذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بنى غفار عن ابن عباس قال ويدل عليه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
فعطف الكاذبين عليهم فدل ذلك على ان الاولين فى اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصورون بصورة اهل العذر
وليسوا كذلك ليؤذن لهم فى التخلف عن الجبائى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ~~فعطف الكاذبين عليهم فدل ذلك على~~
~~ان الاولين فى اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصورون بصورة اهل العذر وليسوا كذلك ليؤذن لهم فى التخلف~~
عن الجبائى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله اى وقعدت طائفة من المنافقين من غير ان اعتذروا وهم الذين كذبوا فيما كانوا
يظهرونه من الايمان سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم قال ابو عمرو بن العلاء فى هذه الاية كلا الفريقين كان مسيئا جاء قوم
فعذروا وجنح اخرون فقعدوا اراد ان قوما تكلفوا عذرا بالباطل وتخلف اخرون من غير تكلف عذر واظهار علة جراءة
على الله ورسوله قوله عز وجل لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا
نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ
عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا

بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ثلث ايات اللغة النصح اخلاص العمل من الغش والحمل اعطاء المركوب من فرس او بعير او غير ذلك يقول حمله يحمله حملا اذا اعطاه ما يحمل عليه قال الا فتى عنده خفان يحملني عليهما انني شيخ على سفر والفيض الجرى عن امتلاء من قولهم فاض الاناء بما فيه والحزن الم فى القلب بفوت امر ماخوذ من حزن الارض وهى الارض الغليظة المسلك الاعراب حزنا نصب لانه مفعول له اى يكون للحزن ولا يجدوا منصوب بان وموضع ان لا يجدوا منصوب تقديره لان لا يجدوا فحذف الجار فوصل الفعل النزول قيل ان الاية الاولى نزلت فى عبد الله بن زايده وهو ابن ام مكتوم وكان ضرير البصر جاء الى رسول الله صلى الله عليه واله فقال يا نبى الله انى شيخ ضرير البصر خفيف الحال نحيف الجسم وليس لى قايد فهل لى رخصة فى التخلف عن الجهاد فسكت النبى صلى الله عليه واله فانزل الله الاية عن الضحاك وقيل نزلت فى عايذ بن عمرو واصحابه عن قتادة والاية الثانية نزلت فى البكائين وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب وعلية بن زيد وعمرو بن غنمة وهؤلاء من بنى النجار وسالم بن عمير وهرم بن عبد الله وعبد الله بن عمرو من بنى عمرو بن عوف وعبد الله بن مغفل من مزينة جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه واله فقالوا يا رسول الله احملنا فانه ليس لنا ما نخرج عليه فقال لا اجد ما احملكم عليه عن ابى حمزة الثمالى وقيل نزلت فى سبعة نفر من قبايل شتى اتوا النبى صلى الله عليه واله فقالوا احملنا على الخفاف والبغال عن محمد بن كعب وابن اسحق وقيل كانوا جماعة من مزينة عن مجاهد وقيل كانوا سبعة من فقراء الانصار فلما بكوا حمل عثمن منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب النضرى ثلاثة عن الواقدى قال وكان الناس بتبوك مع رسول الله صلى الله عليه واله ثلثين الفا منهم عشرة الاف فارس المعنى ثم ذكر سبحانه اهل العذر فقال ليس على الضعفاء وهم الذين قوتهم ناقصة بالزمانة والعجز عن ابن عباس وقيل هم الذين لا يقدرون على الخروج ولا على المرضى وهم اصحاب العلل المانعة من الخروج ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعنى من ليست معه نفقة الخروج والة السفر حرج اى ضيق وجناح فى التخلف وترك الخروج مع رسول الله صلى الله عليه واله اذا نصحوا لله ورسوله بان خلصوا العمل من الغش ثم قال سبحانه ما على المحسنين من سبيل اى ليس على من فعل الحسن الجميل فى التخلف عن الجهاد طريق للتقريع فى الدنيا والعذاب فى الاخرة وقيل هو عام فى كل محسن والاحسان هو ايصال النفع الى الغير لينتفع به مع تعريه من وجوه القبح ويصح ان يحسن الانسان الى نفسه ويحمد على ذلك وهو اذا فعل الافعال الجميلة التى يستحق بها المدح والثواب والله غفور اى ساتر على ذوى الاعذار بقبول العذر منهم رحيم بهم لا يلزمهم فوق طاقتهم ثم عطف عليه فقال ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم اى ولا على الذين اذا جاءوك يسالونك مركبا يركبونه فيخرجون معك الى الجهاد اذ ليس معهم من الاموال والظهر ما يمكنهم الخروج به فى سبيل الله قلت لا اجد ما احملكم عليه اى لا اجد مركبا تركبونه ولا ما اسوى به امركم تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون اى رجعوا عنك واعينهم تسيل بالدمع لحزنهم على ان لم يجدوا ما يركبونه من الدواب وينفقونه فى الطريق ليخرجوا معك وحرصهم على الخروج المعنى وليس على هؤلاء ايضا حرج فى التخلف عن الجهاد وليس عليهم سبيل للذم والعقاب انما السبيل والطريق بالعقاب والحرج على الذين يستاذنونك وهم اغنياء اى يطلبون الاذن منك يا محمد فى المقام وهم مع ذلك اغنياء متمكنون من الجهاد فى سبيل الله رضوا بان يكونوا مع الخوالف من النساء والصبيان ومن لا حراك به وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون قد تقدم بيانه قوله عز وجل يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبيكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ثلث ايات النزول قيل نزلت الاية فى جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما من المنافقين وكانوا ثمانين رجلا لما قدم النبى صلى الله عليه واله المدينة راجعا من تبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم عن ابن عباس وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى حلف للنبى صلى الله عليه واله ان لا يتخلف عنه بعدها وطلب الى النبى صلى الله عليه واله ان يرضى عنه عن مقاتل المعنى ثم اخبر الله سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تاخروا عن الخروج مع النبى صلى الله عليه واله فقال يعتذرون

يعمل؟

فاعرضوا عنهم؟

اليكم من تاخرهم عنكم بالاباطيل والكذب اذا رجعتم اليهم اى اذا انصرفتم الى المدينة من غزوة تبوك قل يا محمد لا تعتذروا لن نؤمن لكم اى لسنا نصدقكم على ما تقولون قد نبانا الله من اخباركم اى قد اخبرنا الله واعلمنا من اخباركم وحقيقة امركم ما علمنا به كذبكم وقيل انه اراد به قوله سبحانه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الاية وسيرى الله عملكم ورسوله اى سيعلم الله فيما بعد ورسوله عملكم هل تتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل معناه سيعلم الله اعمالكم وعزائمكم فى المستقبل ويظهر ذلك لرسوله فيعلمه الرسول باعلامه اياه فيصير كالشئ المرئى لان اظهر ما يكون الشئ ان يكون مرئيا كما علم ذلك فى الماضى فاعلم به الرسول ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى ترجعون بعد الموت الى الله سبحانه الذى يعلم ما غاب وما حضر ولا يخفى عليه السر والعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون اى يخبركم باعمالكم كلها حسنها وقبيحها فيجازيكم عليها اجمع سيحلفون بالله لكم اى سيقسم هؤلاء المنافقون المتخلفون فيما يعتذرون به اليكم ايها المؤمنون اذا انقلبتم اليهم انهم انما تخلفوا لتعرضوا عنهم اى لتصفحوا عن جرمهم ولا توبخوهم ولا تعنفوهم ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه واله والمؤمنين فقال فاعرضوا عنهم اعراض رد وانكار وتكذيب ومقت ثم بين عن سبب الاعراض فقال انهم رجس اى نجس ومعناه انهم كالشئ المنتن الذى يجب الاجتناب عنه فاجتنبوهم كما تجتنب الانجاس وماويهم جهنم اى مصيرهم ومالهم ومستقرهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون اى مكافاة على ما كانوا يكسبونه من المعاصى يحلفون لكم لترضوا عنهم اى طلبا لرضاكم عنهم ايها المؤمنون فان ترضوا عنهم لجهلكم بحالهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين الخارجين من طاعته الى معصيته لعلمه بحالهم ومعناه انه لا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم وانما قال سبحانه ذلك لئلا يتوهم انه اذا رضى المؤمنون فقد رضى الله والمراد بذلك انه اذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغى لكم ايضا ان لا ترضوا عنهم وفى هذا دلالة على ان من طلب بفعله رضاء الناس ولم يطلب رضاء الله سبحانه فان الله يسخط الناس عليه كما جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه واله انه قال من التمس رضاء الله بسخط الناس رضى الله عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس قوله عز وجل الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدواير عليهم دايرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم ثلث ايات القراءة قرا ابن كثير وابو عمرو دايرة السوء بضم السين وفى سورة الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرا ورش واسمعيل عن نافع قربة بضم الراء والباقون قربة بسكون الراء الحجة قال ابو على الدايرة لا تخلوا اما ان يكون صفة او بمنزلة العاقبة والصفة اكثر فى الكلام فينبغى ان يحمل عليها والمعنى عليهما انها خلة تحيط بالانسان حتى لا يكون له منها مخلص واضيف الى السوء او الى السوء على وجه التاكيد والزيادة فى التبيين ولو لم يضف لعلم هذا المعنى منها كما ان نحو قوله شمس النهار كذلك والسوء الرداءة والفساد وهو خلاف الصدق الذى فى قولك ثوب صدق وليس الصدق من صدق اللسان كما ان السوء ليس من سؤته فى المعنى وان كان اللفظ واحدا يدلك على ذلك انك اذا اضفته الى ما لا يجوز عليه الصدق والكذب فى الاخبار واما دايرة السوء بالضم فكقولك دايرة الهزيمة ودايرة البلاء فاجتمعا فى جواز اضافة الداير اليهما من حيث اريد بكل واحد منهما الرداءة والفساد فمن قال دايرة السوء فتقديره الاضافة الى الرداءة والفساد ومن قال دايرة السوء فتقديره دايرة الضرر والمكروه من قولهم سؤته مساءة ومسائية والمعنيان متقاربان قال ابو الحسن دايرة السوء كما تقول الرجل السوء وانشد وكنت كذيب السوء لما راى دما بصاحبه يوما احال على الدم واما قوله قربة فالاصل حركة الراء والاسكان للتخفيف كما فى الرسل والكتب والاذن والطنب فاما قربات فينبغى ان يثقل لانه اذا ثقل ما اصله التخفيف نحو الظلمات والغرفات فان يقر الحركة الثانية فى الكلمة اجدر ومثل قولهم قربة وقربة يسرة ويسرة وهدنة وهدنة حكاه محمد بن يزيد اللغة رجل عربى اذا كان من العرب وان سكن البلاد ورجل اعرابى اذا كان ساكنا فى البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية وفضل العدنانية برسول الله صلى الله عليه واله واجدر ماخوذ من جدر الحايط بسكون الدال وهو اصله واساسه والمغرم الغرم وهو نزول

والعاقبة؟

نايبه بالمال من غير جناية واصله لزوم الامر ومنه قوله ان عذابها كان غراما اى لازما وحب غرام اى لازم والغريم يقال لكل
واحد من المتداينين للزوم احدهما الاخر وغرمته كذا اى لزمته اياه فى ماله والتربص الانتظار ومنه التربص بالطعام لزيادة
الاسعار واصله التمسك بالشئ لعاقبة والدوائر جمع دائرة وهى الحادثة من حوادث الدهر وقيل الحال المنقلبة عن النعمة
الى البلية والدائرة الدولة والقربة هى طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة **الاعراب** اجدر ان لا يعلموا ان فى
موضع نصب لان الباء محذوفة والمعنى اجدر بترك العلم تقول انت جدير ان تفعل وجدير بان تفعل اى هذا الفعل مليك
واذا حذفت الباء لم يصلح الا بان وان اثبت الباء صلح بان وغيرها تقول انت جدير بان تقوم وجدير بالقيام وانما صلح مع
انّ الحذف لان ان يدل على الاستقبال فكانها عوض من المحذوف وصلوات الرسول عطف على قوله ما ينفق وموضعه نصب
وتقديره ويتخذ النفقة وصلوات الرسول قربات وقيل صلوات معطوف على قربات على معنى يطلبون بالانفاق قربة الله وصلوات
الرسول عن الجبائي **المعنى** لما تقدم ذكر المنافقين بين سبحانه ان الاعراب منهم اشد فى ذلك واكثر جهلا فقال الاعراب اشد
كفرا ونفاقا يريد الاعراب الذين كانوا حول المدينة وانما كان كفرهم اشد لانهم اقسى واجفى من اهل المدن وهم ايضا ابعد من سماع
التنزيل وانذار الرسل عن الزجاج ومعناه ان سكان البوادى اذا كانوا كفارا او منافقين فهم اشد كفرا من اهل الحضر لبعدهم
عن مواضع العلم وعن استماع الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحى واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله اى وهم احرى
واولى بان لا يعلموا حدود الله فى الفرايض والسنن والحلال والحرام والله عليم باحوالهم حكيم فيما حكم به عليهم ومن الاعراب من
يتخذ ما ينفق مغرما اى ومن منافقى الاعراب من يعد ما ينفق فى الجهاد وسبيل الخير مغرما لحقه لانه لا يرجو به ثوابا ويتربص بكم الدواير
اى وينتظر بكم الدواير اى صروف الزمان وحوادث الايام والعواقب المذمومة قال الزجاج والفرا كانوا يتربصون بهم الموت او القتل
فكانوا ينتظرون موت النبى صلى الله عليه واله ليرجعوا الى دين المشركين واكثر ما يستعمل الدايرة فى زوال النعمة الى الشدة والعافية
الى البلاء ويقولون كانت الداير عليهم وكانت الداير لهم ثم رد سبحانه ذلك عليهم فقال عليهم داير السوء اى على هؤلاء المنافقين
دايرة البلاء يعنى ان ما ينتظرون بكم هو لاحق بهم وهم المغلوبون ابدا والله سميع لمقالاتهم عليم بنياتهم لا يخفى عليه شئ من حالاتهم ثم ميز
سبحانه من الاعراب المومنين المخلصين فقال ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ومنهم من يرجع الى سلامة الاعتقاد فى التصديق
بالله وبالقيمة والجنة والنار ويتخذ ما ينفق قربات عند الله اى ويريد بنفقته فى الجهاد وغير ذلك من الاعمال البر قربات جمع قربة وهى
الطاعة اى طاعات عند الله وتعظيم امره ورعاية حقه وقيل معناه يتقرب الى الله بانفاقه ويطلب بذلك ثوابه ورضاه وصلوات الرسول
اى دعاءه بالخير والبركة عن قتادة وقيل استغفاره لهم عن ابن عباس والحسن ومعناه انه يرغب فى دعاء النبى صلى الله عليه واله الا
انها قربة لهم تقربهم الى ثواب الله ويجوز ان يكون المعنى ان نفقتهم قربة لهم الى الله سيدخلهم الله فى رحمته وهذا وعد منه سبحانه بان
يرحمهم ويدخلهم الجنة وقيل مبالغة بان الرحمة غمرتهم ووسعتهم ان الله غفور لذنوبهم رحيم باهل طاعته وهما من الفاظ المبالغة فى الوصف
بالمغفرة والرحمة قوله عز وجل وَالسَّابِقُونَ الْاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْاَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
عَنْهُ وَاَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ اية **القراءة** قرا يعقوب والانصار بالرفع وهى قراءة عمر بن
الخطاب والحسن وقتادة والقراءة المشهورة والانصار بالجر وقرا ابن كثير وحده من تحتها بزيادة من وكذلك هو فى مصاحف مكة و
قرا الباقون تحتها بغير من وعليه ساير المصاحف والمعنى واحد **الحجة** من قرا الانصار بالرفع عطفه على قوله السابقون ومن قرا بالجر عطفه
على المهاجرين واما قوله والذين اتبعوهم باحسان فيجوز ان يكون معطوفا على الانصار فى رفعه وجره ويجوز ان يكون معطوفا على السابقين
وان يكون معطوفا على الانصار اولى لقربه منه **الاعراب** السابقون مبتدا والاولون صفة من المهاجرين تبيين لهم والذين اتبعوهم ان
حملته على السابقون كان مرفوعا وان حملته على الانصار كان مجرورا وخبر الاسماء كلها رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم عطف على رضى
فالوقف على قوله خالدين فيها ابدا **النزول** قيل نزلت هذه الاية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد ابن المسيب والحسن وابن سيرين وقتادة و
قيل نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهى بيعة الحديبية عن الشعبى قال ومن اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الاولين وقيل

هم اهل بدر عن عطا بن رباح وقيل هم الذين اسلموا قبل الهجرة عن الجبائي **المعنى** لما تقدم ذكر المنافقين والكفار عقبه سبحانه
بذكر السابقين الى الايمان فقال والسابقون الاولون اى السابقون الى الايمان والى الطاعات وانما مدحهم بالسبق لان السابق
الى الشئ يتبعه غيره فيكون متبوعا وغيره تابع له فهو امام فيه وداع له الى الخير بسبقه اليه وكذلك من سبق الى الشر يكون اسوا حالا
لهذه العلة من المهاجرين الذين هاجروا من مكة الى المدينة والى الحبشة والانصار اى ومن الانصار الذين سبقوا نظراءهم من اهل المدينة
الى الاسلام ومن قرا والانصار بالرفع لم يجعلهم من السابقين وجعل السبق للمهاجرين خاصة والذين اتبعوهم باحسان اى بافعال
الخير والدخول بالاسلام بعدهم وسلوك مناهجهم ويدخل فى ذلك من يجى بعدهم الى يوم القيمة رضى الله عنهم ورضوا عنه اخبر سبحانه
انه رضى عنهم ورضى افعالهم ورضوا عن الله سبحانه لما اجزل لهم من الثواب على طاعاتهم وايمانهم به ويقينهم واعد لهم جنات تجرى تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا يبقون فيها باقيا الله منعمين ذلك الفوز العظيم اى الفلاح العظيم الذى يصغر فى جنبه كل نعيم وفى هذه الاية
دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من انواع المشقة فى نصرة الدين فمنها مفارقة العشاير والاقربين ومنها مباينة المالوف
من الدين ومنها نصرة الاسلام مع قلة العدد وكثرة العدو ومنها السبق الى الايمان والدعاء اليه واختلف فى اول من اسلم من المهاجرين
قيل اول من امن خديجة بنت خويلد ثم على بن ابى طالب وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وانس وزيد بن ارقم ومجاهد وقتادة
وابن اسحق وغيرهم قال انس بعث النبى صلى الله عليه واله يوم الاثنين وصلى على بن ابى طالب عليه السلم واسلم يوم الثلثا وقال مجاهد وابن
اسحق انه اسلم وهو ابن عشر سنين وكان مع رسول الله اخذه من ابى طالب وضمه الى نفسه يربيه فى حجره وكان معه حتى بعث نبيا وقال
الكلبى انه اسلم وله تسع سنين وقيل اثنتا عشرة سنة عن ابى اسود قال السيد ابو طالب الهروى وهو الصحيح وفى تفسير الثعلبى روى اسمعيل
بن اياس بن عفيف عن ابيه عن جده عفيف قال كنت امرءا تاجرا فقدمت مكة ايام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان
العباس لى صديقا وكان يختلف الى اليمن يشترى العطر فيبيعه يوم الموسم فبينما انا والعباس بمنى اذ جاء رجل شاب حين حلقت الشمس
فى السماء فرمى ببصره الى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امراة فقامت خلفهما
فركع الشاب وركع الغلام والمراة فخر الشاب ساجدا فسجدا معه فرفع الشاب فرفع الغلام والمراة فقلت يا عباس امر عظيم فقال امر عظيم
فقلت ويحك ما هذا فقال هذا ابن اخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم ان الله بعثه رسولا وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذا
الغلام على بن ابى طالب وهذه المراة خديجة بنت خويلد زوجة محمد تابعاه على دينه وايم الله ما تابعا وروى ان ابا طالب قال لعلى
عليه السلم اى بنى ما هذا الدين الذى انت عليه قال يا ابة امنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت معه لله فقال له الا ان
محمدا لا يدعوا الا الى خير فالزمه وروى عبد الله بن موسى عن العلا بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبد الله قال سمعت
عليا عليه السلم يقول انا عبد الله واخو رسوله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدى الا كذاب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفى
مسند السيد ابو طالب الهروى مرفوعا الى ابى ايوب عن النبى صلى الله عليه واله قال صلت الملئكة على وعلى على سبع سنين وذلك
انه لم يصل فيها احد غيرى وغيره وقيل ان اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر عن ابرهيم النخعى وقيل اول من اسلم بعدها زيد بن حارثة عن
الزهرى وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير وروى الحاكم ابو القاسم الحسكانى باسناده مرفوعا الى عبد الرحمن بن عوف فى قوله سبحانه
والسابقون الاولون قال هم عشرة من قريش اولهم اسلاما على بن ابى طالب عليه السلم قوله عز وجل وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْاَعْرَابِ مُنَافِقُونَ
وَمِنْ اَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ اِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ايتان **اللغة** حول الشئ المحيط به من حال يحول اذا
دار بالانقلاب ومنه الحول للسنة والحالة لانها تدور فى الحوك والمرود اصله الملاسة ومنه صرح ممرد اى مملس والامرد الذى
لا شعر على وجهه والمرداء الرملة التى لا تنبت شيئا ذكره على بن عيسى وقيل اصله الظهور والمارد الذى ظهر شره وشجرة مرداء اذا تساقط
ورقها فظهرت عيدانها ورجل امرد لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفه ومرد الرجل يمرد مرودا اذا عتا وخرج من الطاعة واعيا خبثا
ومنه شيطان مارد ومريد وفى المثل تمرد مارد وعز الابلق وهما حصنان **الاعراب** ومن اهل المدينة مردوا اى قوم مردوا فحذف

على طراالارض كلها احد على هذا الدين غير هؤلاء فقال عفيف الكندى بعد ما اسلم ورسخ الاسلام فى قلبه يا ليتنى كنت صح

الموصوف ويجوز ان يكون التقدير ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ففصل بين الصفة والموصوف بالظرف واخرون
اعترفوا معطوف على قوله من الاعراب منافقون وكذا واخرون مرجون وان شئت قدرت ومنهم اخرون المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر
المنافقين فقال سبحانه وممن حولكم اى ومن جملة من حولكم يعنى حول مدينتكم من الاعراب وهم الذين يسكنون البدو اذ كانوا مطبوعين
على العربية منافقون يظهرون الايمان ويبطنون الكفر وقيل انهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانت منازلهم حول المدينة
ومن اهل المدينة ايضا منافقون وانما حذف لدلالة الاول عليه مردوا على النفاق اى مرنوا على النفاق وتجرءوا عليه عن الفراء وقيل
معناه اقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد وابان بن تغلب وقيل معناه لجوا فيه وابوا غيره عن ابن اسحق وقيل فيه تقديم
وتاخير وتقديره وممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق ومن اهل المدينة ايضا مثل ذلك عن الزجاج لا تعلمهم يا محمد
اى لا تعرفهم نحن نعلمهم اى نعرفهم سنعذبهم مرتين فيه اقوال احدها ان معناه نعذبهم فى الدنيا بالفضيحة فان النبى صلى الله عليه واله
ذكر رجالا منهم واخرجهم من المسجد يوم الجمعة فى خطبته وقال اخرجوا فانكم منافقون ونعذبهم فى القبر عن ابن عباس والسدى والكلبى
وقيل مرة فى الدنيا بالقتل والسبى ومرة بعذاب القبر عن مجاهد وروى خصيف عنه عذبوا بالجوع مرتين وقيل احديهما اخذ الزكوة
منهم والاخرى عذاب القبر عن الحسن وقيل احديهما غيظهم من اهل الاسلام والاخرى عذاب القبر عن ابن اسحق وقيل ان الاولى ضرب
الملئكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب القبر وقيل ان الاولى اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب
القبر عن ابن عباس وكل ذلك محتمل غير انا نعلم ان المرتين معا قبل ان يردوا الى عذاب النار ثم يردون الى عذاب عظيم اى يرجعون
يوم القيمة الى عذاب مؤبد فى النار واخرون اعترفوا بذنوبهم يعنى من اهل المدينة او من الاعراب اخرون اقروا بذنوبهم وليس براجع
الى المنافقين والاعتراف الاقرار بالشئ عن معرفة خلطوا عملا صالحا واخر سيئا يعنى انهم يفعلون افعالا جميلة ويفعلون افعالا
سيئة قبيحة والتقدير وعملا اخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم قال المفسرون عسى من الله واجبة وانما قال عسى حتى يكونوا بين طمع
واشفاق فيكون ذلك ابعد عن الاتكال على العفو واهمال التوبة وفى هذا دلالة على بطلان القول بالاحباط لانه لو صح الاحباط
لكان احد العملين اذا طرأ على الاخر احبطه وابطله فلم يجتمعا فلا يكون لقوله خلطوا معنى وقال بعض التابعين ما فى القران اية
ارجى لهذه الامة من هذه الاية وقد يستعمل لفظ الخلط فى الجمع من غير امتزاج يقال خلطت الدراهم والدنانير وقيل انه جرى مجرى
قولهم استوى الماء والخشبة اى مع الخشبة وقيل ان خلط بالتخفيف فى الخير وخلط بالتشديد فى الشر ان الله غفور رحيم هذا تعليل
لقبول التوبة من العصاة اى لانه غفور رحيم النزول قال ابو حمزة الثمالى بلغنا انهم ثلثة نفر من الانصار ابو لبابة بن عبد المنذر وثعلبة
بن وديعة واوس بن حذام تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه واله عند مخرجه الى تبوك فلما بلغهم ما انزل الله فيمن تخلف عن نبيه ايقنوا
بالهلاك واوثقوا انفسهم بسوارى المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله صلى الله عليه واله فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا لا يحلون انفسهم
حتى يكون رسول الله يحلهم وقال رسول الله صلى الله عليه واله وانا اقسم ان لا اكون اول من حلهم الا ان اومر فيهم بامر فلما نزل عسى الله
ان يتوب عليهم عمد رسول الله صلى الله عليه واله اليهم فحلهم فانطلقوا فجاءوا باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه واله فقالوا هذه
اموالنا التى خلفتنا عنك فخذها وتصدق بها عنا قال عليه السلم ما امرت فيها بامر فنزل خذ من اموالهم صدقة الايات وقيل انهم
كانوا عشرة رهط منهم ابو لبابة عن على بن ابى طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية منهم ابو لبابة وهلال وكردم وابو قيس عن سعيد بن
جبير وزيد بن اسلم وقيل كانوا سبعة عن قتادة وقيل كانوا خمسة وروى عن ابى جعفر الباقر عليه السلم انها نزلت فى ابى لبابة ولم
يذكر معه غيره وسبب نزولها فيه ما جرى منه فى بنى قريظة حين قال ان نزلتم على حكمه فهو الذبح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة
حين تاخر عن النبى صلى الله عليه واله فى غزوة تبوك فربط نفسه بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهرى قال ثم قال ابو لبابة يا رسول
الله ان من توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى كله قال يجزيك يا ابا لبابة الثلث وفى جميع الاقوال اخذ
رسول الله صلى الله عليه واله ثلث اموالهم وترك الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل اموالهم قوله عز وجل خُذْ
مِنْ اَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِها وَصَلِّ عَلَيْهِمْ اِنَّ صَلواتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّ اللّهَ هُوَ يَقْبَلُ

التوبة

اَلتَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَاْخُذُ الصَّدَقاتِ وَاَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَ
سَتُرَدُّونَ اِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثلث ايات القراءة قرا اهل الكوفة غير ابى بكر ان صلوتك وفى
هود اصلوتك على التوحيد وقرا الباقون ان صلواتك واصلواتك على الجمع الحجة قال ابو على الصلوة فى اللغة الدعاء قال الاعشى
فى الخمر وقابلها الريح فى دنها وصلى على دنها وارتسم فكان معنى صل عليهم ادع لهم فان دعاءك لهم تسكن اليه نفوسهم وتطيب
فاما قولهم صلى الله على رسوله وملئكته فلا يقال فيه انه دعاء لهم من الله تعالى كما لا يقال فى نحو ويل للمطففين ونحوه انه دعاء عليهم
ولكن المعنى فيه ان هؤلاء ممن يستحق عندكم ان يقال فيهم هذا النحو من الكلام وكذلك قوله بل عجبت ويسخرون فيمن ضم التاء
وهذا مذهب سيبويه فاذا كانت الصلوة مصدرا وقع على الجمع والمفرد على لفظ واحد كصوت الحمير فاذا اختلف جاز ان يجمع لاختلاف
ضروبه كما قال ان انكر الاصوات فاما من زعم ان الصلوة اولى لان الصلوة للكثرة والصلوات للقليل فلم يكن قوله متجها لان الجمع بالتاء
قد يقع على الكثير كما يقع على القليل كقوله وهم فى الغرفات امنون وقوله ان المسلمين والمسلمات وقوله ان المصدقين والمصدقات
فقد يقع هذا الجمع على الكثير كما وقع على القليل الاعراب قوله تطهرهم انما ارتفع لاحد امرين اما ان يكون صفة لصدقة ويكون التاء
للتانيث ويكون قوله بها للتبيين ويكون التقدير صدقة مطهرة واما ان يكون التاء خطابا للنبى صلى الله عليه واله والتقدير فانك
تطهرهم بها فيكون صفة لصدقة ايضا ويكون الضمير فى بها للصدقة الموصوفة واما تزكيهم فلا يكون الا للخطاب وقيل ان تطهرهم
يجوز ان يكون على الاستيناف وحمله على الاتصال اولى المعنى ثم خاطب النبى صلى الله عليه واله وامره باخذ الصدقة من اموالهم
تطهيرا لهم وتكفيرا لسيئاتهم فقال خذ يا محمد من اموالهم ادخل من للتبعيض لانه لم يجب ان يتصدق بالجميع وانما قال من اموالهم حتى
يشتمل على اجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب الاخذ من ساير اموال المسلمين لاستوائهم فى احكام الدين الا ما خصه الدليل
صدقة قيل اراد بها الامر بان ياخذ الصدقة من اموال هؤلاء التائبين تشديدا للتكليف وليست بالصدقة المفروضة بل هى
على سبيل الكفارة للذنوب التى اصابوها عن الحسن وغيره وقيل اراد بها الزكوة المفروضة المفروضة عن الجبائى واكثر اهل التفسير
وهو الظاهر لان حمله على الخصوص بغير دليل لا وجه له فيكون امرا بان ياخذ من المالكين النصاب الزكوة من الورق اذا بلغ مائتى
درهم ومن الذهب اذا بلغ عشرين مثقالا ومن الابل اذا بلغت خمسا ومن البقر اذا بلغت ثلثين ومن الغنم اذا بلغت اربعين و
من الغلات والثمار اذا بلغت خمسة اوسق وتطهرهم وتزكيهم بها معناه تطهرهم تلك الصدقة عن دنس الذنوب وتزكيهم انت بها اى
تنسبهم الى الزكاء وتدعو لهم بما يصيرون به ازكياء وقيل معناه تطهرهم انت وتزكيهم انت بها فيكون كلا الفعلين مضافا الى النبى صلى الله
عليه واله وصل عليهم هذا امر من الله تعالى للنبى عليه السلم ان يدعو لمن ياخذ منه الصدقة ومعناه ادع لهم بقبول صدقاتهم
كما يقول الداعى اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه كان اذا اتاه قوم بصدقتهم
قال اللهم صل عليهم فاتاه عبد الله بن ابى اوفى وكان من اصحاب الشجرة فاتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على آل ابى اوفى اورده
البخارى ومسلم فى الصحيح ان صلواتك سكن لهم اى ان دعواتك مما تسكن نفوسهم اليه وقيل رحمة لهم عن ابن عباس وقيل وقار
وطمانينة لهم ان الله قد قبل منهم عن قتادة والكلبى وقيل تثبيت لهم عن ابى عبيدة والله سميع عليم يسمع دعاءك لهم ويعلم ما
يكون منهم فى الصدقات الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده استفهام يراد به التنبيه على ما يجب ان يعلم فالمخاطب اذا رجع
الى نفسه وفكر فيما نبه عليه علم وجوبه وانما وجب ان يعلم ان الله يقبل التوبة لانه اذا علم ذلك كان ذلك داعيا له الى فعل التوبة
والتمسك بها والمسارعة اليها وما هذه صورته يجب العلم به ليحصل به الفوز بالثواب والخلاص من العقاب والسبب فيه انهم لما سالوا
النبى صلى الله عليه واله ان ياخذ من اموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم امتنع من ذلك وانتظر الاذن من الله سبحانه فيه فبين الله انه
ليس قبول التوبة الى النبى صلى الله عليه واله وان ذلك الى الله عز اسمه فانه الذى يقبلها وياخذ الصدقات اى يقبلها ويضمن الجزاء
عليها قال الجبائى جعل الله اخذ النبى والمؤمنين الصدقات اخذا من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بامره وقد ورد الخبر
عن النبى صلى الله عليه واله انه قال ان الصدقة تقع فى يد الله قبل ان تصل الى يد السائل والمراد بذلك انها تنزل هذا التنزيل ترغيبا

عن ابى بكر

ولم يقل من اموالهم

للعباد فى فعلها وذلك يرجع الى تقضى الجزاء عليها وان الله هو التواب الرحيم عطف على ما قبله ولذلك فتح انّ وقد مر تفسيره وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون هذا امر من الله سبحانه لنبيه ان يقول للمكلفين اعملوا ما امركم الله به عمل من يعلم انه مجازى على فعله فان الله سيرى عملكم وانما ادخل سين الاستقبال لان ما لم يحدث لا يتعلق به الروية فكانه قال كلما تعملونه يراه الله تعالى وقيل اراد بالروية ههنا العلم الذى هو المعرفة ولذلك عداه الى مفعول واحد اى يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله اى يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المومنون قيل اراد بالمومنين الشهداء وقيل اراد بهم الملئكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الاعمال وروى اصحابنا ان اعمال الامة تعرض على النبى صلى الله عليه واله فى كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على ايمة الهدى عليهم السلم فيعرفونها وهم المعنيون بقوله والمومنون وانما قال سيرى الله مع انه سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها لان المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد ان علمها معدومة وكونه عالما بانها ستوجد هو كونه عالما بوجودها اذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك وستردون الى عالم الغيب والشهادة اى سترجعون الى الله الذى يعلم السر والعلانية فينبئكم اى يخبركم بما كنتم تعملون ويجازيكم عليه قوله عز وجل وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّٰهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اية القراءة قرا اهل المدينة والكوفة غير ابى بكر مرجون بغير همز والباقون مرجؤن بالهمز الحجة قال الازهرى الارجاء يهمز ولا يهمز ارجات الامر وارجيته اخرته وارجات الحامل دنت لان تخرج ولدها فهى مرجئ ومرجية وارجت بغير همز ايضا النزول قال مجاهد وقتادة نزلت الاية فى هلال بن امية الواقفى ومرارة ابن الربيع وكعب بن مالك وهم من الاوس والخزرج وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه وانما تخلف توانيا عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله صلى الله عليه واله فقال والله ما لى من عذر ولم يعتذر اليه بالكذب فقال عليه السلم صدقت قم حتى يقضى الله فيك وجاء الاخران فقالا مثل ذلك وصدقا فنهى رسول الله صلى الله عليه واله عن مكالمتهم وامر نساءهم باعتزالهم حتى ضاقت عليهم الارض بما رحبت فاقاموا على ذلك خمسين ليلة وبنى كعب خيمة على سلع يكون فيها وحده وقال فى ذلك أبعد دور بنى القين الكرام وما شادوا على بنيت البيت من سعف ثم نزلت التوبة عليهم بعد الخمسين فى الليل وهى قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا الاية فاصبح المسلمون يبتدرونهم ويبشرونهم قال كعب فجئت الى رسول الله فى المسجد وكان اذا استبشر كان وجهه فلقة قمر فقال لى ووجهه يبرق من السرور ابشر بخير يوم طلع عليك شرقه منذ ولدتك امك قال كعب فقلت له امن عند الله او من عندك يا رسول الله فقال من عند الله وتصدق كعب بثلث ماله شكرا لله على توبته المعنى ثم عطف على ما قبله من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فقال وآخرون مرجون لامر الله اى موخرون موقوفون لما يرد من الله تعالى فيهم اما يعذبهم واما يتوب عليهم لفظة اما لوقوع احد الشيئين والله سبحانه عليم بما يصير اليه امرهم ولكنه سبحانه خاطب العباد بما عندهم ومعناه لكن امرهم عندكم على هذا اى على الخوف والرجاء وهذا يدل على صحة مذهبنا فى جواز العفو عن العصاة لانه سبحانه بين ان قوما من العصاة يكون امرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء قبل توبتهم فعفا عنهم ويدل ايضا على ان قبول التوبة تفضل من الله سبحانه لانه لو كان واجبا لما جاز تعليقه بالمشية والله عليم بما يؤول اليه حالهم حكيم فيما يفعله بهم قوله عز وجل وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ اربع ايات القراءة قرا اهل المدينة وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو والباقون بالواو وقرا نافع وابن عامر وحمزة وحماد ويحيى عن ابى بكر وخلف جرف بالتخفيف والباقون جرف بالتثقيل وقرا يعقوب وسهل الى ان على انه حرف الجر وهو قراءة الحسن وقتادة والجحدرى وجماعة ورواه البرقى عن ابى عبد الله عليه السلم وقرا الباقون الا ان مشددة اللام وقرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وسهل ورويس عن يعقوب تقطع بفتح التاء والتشديد وقرا روح تقطع بضم التاء مخففا وقرا الباقون مشدد الحجة من اثبت الواو فى الذين عطفه على ما تقدم والتقدير

تقطع بضم التاء م

ومنهم

ومنهم الذين اتخذوا مسجدا ومن حذف الواو ابتدا الكلام واضمر الخبر بعده كما اضمر فى قوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الى قوله والباد والمعنى فيهم ينتقم منهم او يعذبون ونحو ذلك وحسن الحذف فى الموضعين لطول الكلام بالمبتدا وصلته ويجوز ان يكون على ان يضمر ومنهم فيكون تقديره ومنهم الذين اتخذوا كما اضمرت الحرف مع الفعل فى قوله واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم اى فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم ولا يجوز ان يكون الذين بدلا من قوله وآخرون مرجون لان المرجين لامر الله غير الذين اتخذوا مسجدا ضرارا فلا يجوز ان تبدلوا منهم ومن قرا اسس بنيانه بنى الفعل للفاعل كما اضاف البنيان اليه فى قوله بنيانه فالمصدر مضاف الى الفاعل والبانى والموسس واحد ومن بنى الفعل للمفعول به لم يبعد ان يكون فى المعنى كالاول لانه اذا اسس بنيانه فتولى ذلك غيره بامره كان كبنائه هو له فاما من قرا اسس بنيانه فى الموضعين واساس بنيانه بالاضافة فانهما بمعنى واحد وجمع الاس آساس كقفل واقفال وجمع الاساس اسس واسس واما الجرف فالاصل فيه ضم العين والاسكان تخفيف ومثله الشغل والشغل والطنب والطنب ومن قرا الا ان تقطع قلوبهم فمعناه تبلى وتتقطع بالبلى اى لا تثلج قلوبهم بالايمان ابدا ومن قرا تقطع بضم التاء فهو فى المعنى مثل الاول الا ان الفعل اضيف الى المقطع المبلى للقلوب بالموت وفى الاول اسند الى القلوب لما كانت هى البالية وهذا مثل مات زيد وسقط الحائط ونحو ذلك مما اسند فيه الفعل الى من حدث فيه وان لم يكن منه وتقطع يسند الفعل فيه الى المقطع المبلى وان لم يذكر فى اللفظ فاسند الفعل الذى هو لغير القلوب فى الحقيقة الى القلوب ومن قرا الى ان تقطع فانه جعله على الغاية وزعموا ان فى حرف ابى حتى الممات وهذا يدل على انهم يموتون على نفاقهم فاذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر اللغة الضرار هو طلب الضر ومحاولته كما ان الشقاق محاولة ما يشق يقال ضاره مضارة وضرارا والارصاد الارتقاب يقال رصده يرصده رصدا وارصد له ارصادا قال الكسائى رصدته ترقبته وارصدته اعددته والبنيان مصدر قال ابو على وهو جمع على حد شعيرة وشعير لانهم قالوا بنيانة فى الواحد قال اوس كبنيانة القرئى موضع رحلها وآثار نسعيها من الدف ابلق وجاء بناء المصادر على هذا المثال فى غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بناء لان فعلانا اذا كان جمعا نحو كثبان وقضبان لم يلحقه تاء التانيث وقال ابو زيد يقال بنيت ابنى بنيا وبنيانا وبناء وبنية وجمعها البنى قال بنى السماء فسواها بنيتها ولم عد باطناب ولا عمد فالبناء والبنية مصدران ومن ثم قيل به الفراش فى قوله جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء فالبناء لما كان رفعا للمبنى قوبل به الفراش الذى هو خلاف البناء والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة والمتقى صفة مدح لا يطلق الا على مستحق الثواب وواو تقوى مبدلة من التاء لانها من تقيت وانما ابدلت للفرق بين الاسم والصفة فى بنية والصفة مثل خزيا والشفا جرف الشئ وشفير وجرف نهايته فى المساحة وتثنى شفوان وجرف الوادى جانبه الذى يتحفر بالماء اصله وهو من الجرف والاجتراف وهو اقتلاع الشئ من اصله وهار الجرف يهور هورا فهو هائر ويهور وانهار ويقال ايضا هاد يهار وهار اصله هاير وهو من المقلوب كما يقال لاث الشئ اى دار فهو لاث والاصل لايث وكما قالوا شاكى السلاح اى شايك قال فتعرفونى اننى انا ذاكم شاك سلاحى فى الحوادث معلم وكما قال العجاج لاث به الاشاء والعبرى الاشاء النخل والعبرى السدر الذى على شاطى الانهار اى مطيف به قال ابو على والهمزة من هاير منقلبة عن الواو لانهم قالوا يهور البناء اذا تساقط وتداعى وفى الحديث سار ليلة حتى انهار الليل ثم سار حتى تهور ضدا فى الليل كالمثل والتشبيه بالبناء والانهيال والانهيار يتقاربان فى المعنى كما يتقاربان فى اللفظ الاعراب قد ذكرنا اعراب قوله والذين اتخذوا فى الحجة ويجوز ان يكون مبتداء وخبره لا تقم فيه ابدا كما تقول والذى يدعوك الى الغى فلا تسمع الدعاء وتقديره فلا تسمع دعاءه وكذلك التقدير فى الاية لا تقم فى مسجدهم ابدا فحذف للاختصار ويجوز ان يكون خبر الذين قوله افمن اسس بنيانه اى فمن اسس بنيانه من هؤلاء امن اسس من الذين اتخذوا ضرارا منصوب على انه مفعول له وكذلك ما بعده والمعنى اتخذوه للضرار وللكفر والتفريق وللارصاد فلما حذف اللام افضى الفعل فنصب ويجوز ان يكون مصدرا محمولا على المعنى لان اتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضرارا من اول يوم دخلت من فى الزمان والاصل منذ ومذ هذا الاكثر استعمالا فى الزمان ومن جائز دخولها ايضا لانها الاصل فى ابتداء الغاية

والتبعيض ومنه قول زهير لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن شهر ويروى من دهر وقد قيل ان المعنى من مرّ حجج ومن مر شهر وان يقوم فى موضع نصب اى احق بان تقوم فيه وفيه منصوب الموضع بقوله يقوم وفيه من قوله فيه رجال فى رفع لانه خبر مبتدا مقدم عليه والمبتدا رجال ولا يجوز ان يكون مرفوع الموضع بكونه وصفا للمسجد بل هو على الاستيناف والوقف التام على قوله احق ان تقوم فيه ثم استانف الكلام فقيل فيه رجال وانما قلنا ذلك لانك لو جعلت الظرف الذى هو فيه وصف المسجد لكنت فصلت بين النكرة وصفتها بالجر الذى هو احق وقوله افمن اسس بنيانه على تقوى من الله قال ابو على القول فيه انه يجوز ان يكون المعادلة وقعت بين البانيين ويجوز ان يكون بين البنائين فاذا عادلت بين البانيين كان المعنى المؤسس بنيانه متقيا خير ام المؤسس بنيانه متق لان قوله على شفا جرف يدل على ان بانيه غير متق لله تعالى ولا خاش له ويجوز ان يقدر حذف المضاف كانه ابناء من اسس بنيانه متقيا خير ام بناء من اسس بنيانه على شفا جرف والبنيان مصدر اوقع على المبنى مثل الخلق اذا عنيت به المخلوق وضرب الامير اذا عنيت به المضروب وكذلك نسج اليمن تدل على ذلك انه لا يخلو من ان يراد به اسم الحدث او اسم العين فلا يجوز ان يكون الحدث لانه انما يؤسس المبنى الذى هو عين ويتبين ذلك ايضا قوله على شفا جرف والحدث لا يعلو شفا جرف والجار فى قوله على تقوى من الله وقوله على شفا جرف فى موضع نصب على الحال تقديره افمن اسس بنيانه متقيا خير ام من اسس بنيانه غير متق او معاقبا على بنائه وفاعل انهار البنيان اى انهار البنيان بالبانى فى نار جهنم لانه معصية وفعل لما كرهه الله تعالى من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن امال هار فقد احسن لما فى الراء من التكرير وكانك لفظت براءين مكسورتين وبحسب كثرة الكسر يحسن الامالة ومن لم يمل فلان ترك الامالة هو الاصل وقوله الا ان تقطع قلوبهم موضع ان تقطع نصب تقديره الا على تقطع قلوبهم غير ان حرف الاضافة يحذف مع ان ولا يحذف مع المصدر ومعنى الا ههنا حتى لانه استثناء من الزمان المستقبل والاستثناء منه منتهى اليه فاجتمعت مع حتى فى هذا الموضع على هذا المعنى **النزول** قال المفسرون ان بنى عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قبا وبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه واله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بنى غنم بن عوف فقالوا نبنى مسجدا نصلى فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا اثنى عشر رجلا وقيل خمسة عشر رجلا منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحرث فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا فلما فرغوا منه اتوا رسول الله صلى الله عليه واله وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا فتصلى لنا فيه وتدعوا بالبركة فقال عليه السلم انى على جناح سفر ولو قدمنا لاتيناكم ان شاء الله فصلينا لكم فيه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه واله من تبوك نزلت عليه الاية فى شان المسجد **المعنى** ثم ذكر سبحانه جماعة اخرى من المنافقين بنوا مسجدا للتفريق بين المسلمين وطلب الغوائل للمؤمنين فقال والذين اتخذوا مسجدا والمسجد موضع السجود فى الاصل وصار فى العرف اسما لبقعة مخصوصة بنيت للصلوة فالاسم عرفى فيه معنى اللغة ضرارا اى مضارة يعنى للضرار باهل مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه واله ليقل الجمع فيه وكفرا اى ولاقامة الكفر فيه وقيل اراد انه كان اتخاذهم ذلك كفرا بالله وقيل ليكفروا فيه بالطعن على رسول الله صلى الله عليه واله والاسلام وتفريقا بين المؤمنين اى لاختلاف الكلمة وابطال الالفة وتفريق الناس عن رسول الله صلى الله عليه واله وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل اى ارصدوا ذلك المسجد واتخذوه واعدوه لابى عامر الراهب وهو الذى حارب الله ورسوله من قبل وكان من قصته انه كان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبى صلى الله عليه واله حسده وحزب الاحزاب ثم هرب بعد فتح مكة الى الطايف فلما اسلم اهل الطايف لحق بالشام وخرج الى الروم وتنصر وهو ابو حنظلة غسيل الملائكة الذى قتل مع النبى صلى الله عليه واله يوم احد وكان جنبا فغسلته الملائكة وسماه رسول الله صلى الله عليه واله ابو عامر الفاسق وكان قد ارسل الى المنافقين ان استعدوا وابنوا مسجدا فانى اذهب الى قيصر واتى من عنده بجنود واخرج محمدا من المدينة فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون ان ياتيهم ابو عامر فمات قبل ان يبلغ ملك الروم وليحلفن ان اردنا الا الحسنى معناه ان هؤلاء يحلفون كاذبين ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الفعلة الحسنى من التوسعة على اهل الضعف

والعلة من المسلمين فاطلع الله نبيه على فساد طويتهم وخبث سريرتهم فقال والله يشهد انهم لكاذبون وكفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزيا فوجه رسول الله صلى الله عليه واله عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلانى ومالك بن الدخشم وكان مالك من بنى عمرو بن عوف فقال لهما انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدماه وحرقاه وروى انه بعث عمار بن ياسر ووحشيا فحرقاه وامر بان يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف ثم نهى الله سبحانه نبيه ان يقوم فى هذا المسجد فقال لا تقم فيه ابدا يقال فلان يقوم الليل اى يصلى ثم اقسم فقال لمسجد اى والله لمسجد اسس على التقوى اى بنى اصله على تقوى الله وطاعته من اول يوم اى منذ اول يوم وضع اساسه عن المبرد احق ان تقوم فيه اى اولى بان تصلى فيه واختلف فى هذا المسجد فقيل هو مسجد قبا عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد رسول الله عن زيد بن ثابت وابن عمر وابى سعيد الخدرى وروى هو عن النبى صلى الله عليه واله انه قال هو مسجدى هذا وقيل هو كل مسجد بنى فى الاسلام واريد به وجه الله عن ابى مسلم ثم وصف المسجد واهله فقال فيه اى فى هذا المسجد الذى اسس على التقوى رجال يحبون ان يتطهروا اى يحبون ان يصلوا لله تعالى متطهرين بابلغ الطهارة وقيل يحبون ان يتطهروا من الذنوب عن الحسن وقيل يحبون ان يتطهروا بالماء عن الغايط والبول وهو المروى عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلم وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال لاهل قبا ماذا تفعلون فى طهركم فان الله تعالى قد احسن عليكم الثناء قالوا نغسل اثر الغايط فقال انزل الله فيكم والله يحب المطهرين اى المتطهرين ثم قرر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار قد مضى بيانه والمراد ان الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته فكما ان من بنا على جانب هذا النهر فانه ينهار بناؤه فى الماء ولا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط فى نار جهنم يعنى انه لا يستوى عمل المتقى وعمل المنافق فان عمل المؤمن المتقى ثابت مستقيم مبنى على اصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واه ساقط والالف فى قوله افمن الف استفهام يراد به الانكار ههنا وليس معنى خير فى الاية افضل بل هو كما يقال هذا خير وهذا شر وقال الشاعر والخير والشر مقرونان فى قرن فالخير متبع والشر محذور واما قوله وافعلوا الخير فان معناه وافعلوا الافضل وقوله فانهار به فى نار جهنم اى يوقعه ذلك البناء فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين مر بيانه وروى عن جابر بن عبد الله انه قال رايت المسجد الذى بنى ضرارا يخرج منه الدخان لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم اى لا يزال بناء المبنى الذى بنوه شكا فى قلوبهم فيما كان من اظهار اسلامهم وثباتا على النفاق وقيل معناه ان حزازة فى قلوبهم وقيل حسرة فى قلوبهم يترددون فيها الا ان تقطع قلوبهم معناه الا ان يموتوا والمراد بالاية انهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم فاذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الايمان واخذوا به من الكفر وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة ينقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم حكيم اى عالم بنيتهم فى بناء المسجد بالضرار حكيم فى امره بنقضه من الصلوة فيه **قوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** **القراءة** قرا اهل الكوفة غير عاصم فيقتلون بضم الياء ويقتلون بفتح الياء والباقون فيقتلون بفتح الياء ويقتلون بضمها وفى قراءة ابى وعبد الله بن مسعود والاعمش التائبين العابدين بالياء الى اخرها وروى ذلك عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلم **الحجة** قال ابو على من قرا فيقتلون ويقتلون فقدم الفعل المسند الى الفاعل فلانهم يقتلون اولا فى سبيل الله ويقتلون ولا يقتلون اذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند الى المفعول به جاز ان يكون فى المعنى مثل الاول لان المعطوف بالواو يجوز ان يراد به التقديم وان لم يقدر فيه التقديم كان المعنى فى قوله ويقتلون بعد قوله يقتلون يقتل من بقى منهم بعد قتل من قتل واما الرفع فى قوله التائبون العابدون فعلى القطع والاستيناف اى هم التائبون ويكون على المدح وقيل انه رفع على الابتداء وخبره محذوف بعد قوله والحافظون لحدود الله اى لهم الجنة ايضا عن الزجاج وقيل انه رفع على البدل من الضمير فى يقاتلون اى يقاتل التائبون واما التائبين العابدين

اى لا تصل فيه ابدا

والمستثنى منه

فيحتمل ان يكون جرا وان يكون نصبا اما الجر فعلى ان يكون وصفا للمومنين اى من المومنين التايبين واما النصب فعلى اضمار
فعل بمعنى المدح كانه قال اعنى او امدح التايبين اللغة السايح من ساح فى الارض يسيح سيحا اذا استمر فى الذهاب ومنه السيح الماء
الجارى ومن ذلك يسمى الصايم سايحا لاستمراره على الطاعة فى ترك المشتهى الاعراب وعدا نصب على المصدر لان قوله اشترى يدل
على انه وعد ومثله صنع الله الذى اتقن كل شىء وفطرة الله التى فطر الناس عليها المعنى لما تقدم ذكر المومنين والمنافقين عقب سبحانه
بالترغيب فى الجهاد فقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة حقيقة الاشتراء لا يجوز على الله تعالى لان المشترى
انما يشترى ما لا يملك وهو عز اسمه مالك الاشياء كلها لكنه مثل قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فى انه ذكر لفظ الشراء والقرض
تلطفا للتاكيد للجزاء ولما كان سبحانه ضمن الثواب على نفسه عبر عن ذلك بالاشتراء وجعل الثواب ثمنا والطاعات مثمنا على ضرب من المجاز
واخبر انه اشترى من المومنين انفسهم يبذلونها فى الجهاد فى سبيل الله واموالهم ايضا ينفقونها ابتغاء مرضاة الله على ان يكون فى مقابلة
ذلك الجنة وروى عن الاعمش انه قرا بالجنة وهى قراءة عمر بن الخطاب والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللسان وربما كان
جهاد اللسان ابلغ لان سبيل الله دينه والدعاء الى الدين يكون اولا باللسان والسيف تابع له ولان اقامة الدليل على صحة المدلول
وايضاح الحق وبيانه احرى وذلك لا يكون الا باللسان وقد قال النبى صلى الله عليه واله لان يهدى الله على يديك نسمة خير مما
طلعت عليه الشمس وانما ذكر سبحانه شرى النفس والمال لان العبادات على ضربين بدنية ومالية ولا ثالث لهما وروى ان الله تاجر المومنين
فاغلى لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة وكان الصادق عليه السلام يقول ايا من ليست له همة انه ليس لابدانكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها
وانشد الاصمعى للصادق عليه السلام اثامن بالنفس النفيسة ربها فليس لها فى الخلق كلهم ثمن بها يشترى الجنات ان انا بعتها بشىء سواها ان
ذلكم غبن اذا ذهبت نفسى بدنيا اصبتها فقد ذهب الدنيا وقد ذهب الثمن يقاتلون فى سبيل الله هذا بيان للغرض الذى لاجله اشتراهم
فيقتلون المشركين ويقتلون اى يقتلهم المشركون يعنى ان الجنة عوض عن جهادهم سواء قتلوا او قتلوا ومن قرا فيقتلون ويقتلون
فهو المختار عند الحسن لانه يكون تسليم النفس الى المشترى اقرب والبايع انما يستحق الثمن بتسليم المبيع وعدا عليه حقا معناه ان الجنة
لهم وعد على الله حق لا شك فيه وتقديره وعدهم الجنة على نفسه وعدا صدقا واجبا لا خلف فيه فى التورية والانجيل والقران
وهذا يدل على ان كل اهل ملة امروا بالقتال ووعدوا عليه الجنة عن الزجاج ومن اوفى بعهده من الله لانه يفى ولا يخلف خلاف
فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به اى فافرحوا بهذه المبايعة حتى ترى اثار السرور فى وجوهكم بسبب هذه المبايعة لانكم بعتم الشىء الذى هو ملكه
واخذتم ثمنه ولانكم بعتم فانيا بباق وزايلا بدايم وذلك هو الفوز العظيم اى ذلك الشرى والبيع الظفر الكبير الذى لا يقاربه شىء ثم
وصف الله سبحانه المومنين الذين اشترى منهم الانفس والاموال باوصاف فقال التايبون اى الراجعون الى طاعة الله والمنقطعون
اليه النادمون على ما فعلوه من القبايح العابدون اى الذين يعبدون الله وحده ويتذللون له بطاعته فى اوامره ونواهيه
وقيل هم الذين اخذوا من ابدانهم فى ليلهم ونهارهم فعبدوا الله فى السراء والضراء عن الحسن وقتادة الحامدون الذين يحمدون
الله على كل حال عن الحسن وقيل هم الشاكرون لنعم الله عليهم على وجه الاخلاص له السايحون اى الصايمون عن ابن عباس و
ابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وروى مرفوعا عن النبى صلى الله عليه واله انه قال سياحة امتى الصيام وقيل هم الذين
يسيحون فى الارض فيعتبرون بعجايب الله تعالى وقيل هم طلبة العلم يسيحون فى الارض لطلبه عن عكرمة الراكعون الساجدون
اى المودون الصلوة المفروضة التى فيها الركوع والسجود الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ادخل الواو ههنا لان الامر
بالمعروف يتضمن النهى عن المنكر فكانهما شىء واحد ولانه قرن النهى عن المنكر بالامر بالمعروف فى اكثر المواضع فادخل الواو ليدل
على المقارنة والحافظون لحدود الله اى والقايمون بطاعة الله عن ابن عباس يعنى الذين يودون فرايض الله واوامره ويجتنبون
نواهيه لان حدود الله اوامره ونواهيه وانما ادخل الواو لانه جاء وهو اقرب الى المعطوف وبشر المومنين هذا امر للنبى عليه السلام ان يبشر
المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة اذا جمعوا هذه الاوصاف وقد روى اصحابنا ان هذه صفات الايمة
المعصومين عليهم السلام لانه لا يكاد يجمع هذه الاوصاف بتمامها وكمالها غيرهم ولقى الزهرى على بن الحسين عليه السلام فى طريق الحج فقال له

يا علي

معناه لا احد اوفى بعهده من الله

تركت الجهاد وصعوبته واقبلت على الحج والله سبحانه يقول ان الله اشترى من المومنين انفسهم الاية فقال عليه السلام له اتم الاية الاخرى
التايبون العابدون الى اخرها ثم قال اذا راينا هولاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم افضل من الحج قوله عز وجل ما كان للنبى
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم ايتان اللغة اصل الاواه
من التاوه وهو التوجع والتحزن يقال تاوه تاوها واوه تاويها قال المثقب العبدى اذا ما قمت ارحلها بليل تاوه اهة الرجل الحزين
ولو جاء منه فعل متصرف لكان آه يؤه اوها مثل قال يقول قولا والعرب تقول اوه من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء قال فاوه ذكراها
اذا ما ذكرتها ومن بعد ارض دونها وسماء والعامة تقول اوه وفيه خمس لغات اوه بسكون الواو وكسر الهاء واه واوه بالتنوين وآه
واوه المعنى ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين معناه ليس للنبى والمومنين ان يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يعبدون
مع الله الها اخر والذين لا يوحدونه ولا يقرون بالالهية ولو كانوا اولى قربى اى ولو كان الذين يطلبون لهم المغفرة اقرب الناس
اليهم من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اى من بعد ان يعلموا انهم كفار مستحقون للخلود فى النار وفى تفسير الحسن ان المسلمين قالوا
للنبى صلى الله عليه واله الا نستغفر لابائنا الذين ماتوا فى الجاهلية فانزل الله سبحانه هذه الاية وبين انه لا ينبغى لنبى ولا مومن ان يدعو
لكافر ويستغفر له وقوله وما كان للنبى ابلغ من ان يقول لا ينبغى للنبى لانه يدل على قبحه وان الحكمة تمنع منه ولو قال لا ينبغى لم يدل على ان
الحكمة تمنع منه وانما كان يدل على انه لا ينبغى له ان يختاره ومعناه لم يجعل الله فى دينه ولا فى حكمه ان يستغفروا للمشركين ولو دعتهم رقة القرابة
وشفقة الرحم الى الاستغفار لهم بعد ما ظهر ان لهم عذابا عظيما ثم بين سبحانه الوجه فى الاستغفار ابرهيم لابيه مع كونه كافرا سواء كان اباه
الذى ولده او جده لامه او عمه على ما رواه اصحابنا فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه اى لم يكن استغفاره
له صادرا الا عن موعدة وعدها اياه واختلف فى صاحب هذه الموعدة هل هو ابرهيم او ابوه فقيل ان الموعدة كانت من الاب وعد
ابرهيم انه يومن ان استغفر له لذلك فلما تبين له انه عدو لله ولا يفى بما وعد تبرا منه وترك الدعاء له وهو المروى عن ابن عباس
ومجاهد وقتادة الا انهم قالوا انما تبين عداوته لما مات على كفره وقيل ان الموعدة كانت من ابرهيم قال لابيه انى استغفر لك
ما دمت حيا وكان يستغفر له مقيدا بشرط الايمان فلما ايس من ايمانه تبرا منه وهو يوافق قراءة الحسن الا عن موعدة وعدها اباه بالباء
ويقويه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شىء ان ابرهيم لاواه اى دعاء كثير الدعاء والبكاء
عن ابن عباس وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلام وقيل الاواه الرحيم بعباد الله عن الحسن وقتادة وقيل هو الذى اذا
ذكر النار قال اوه عن كعب وقيل الاواه المومن بلغة الحبشة عن ابن عباس وقيل الاواه المومن المستيقن عن مجاهد وعكرمة
وقيل الاواه الفقيه عن النخعى وقيل هو الراجع عن كل ما يكره الله عز وجل عن عطا وقيل هو الخاشع المتضرع رواه عبد الله بن
شداد عن النبى صلى الله عليه واله وقيل هو المسبح الكثير الذكر لله سبحانه عن عقبة بن عامر وقيل هو المتاوه اسفا وفرقا المتضرع
يقينا بالاجابة ولزوما للطاعة عن ابى عبيدة وقال الزجاج وقد انتظم قول ابى عبيدة اكثر ما روى فى الاواه حليم يقال بلغ من
حلم ابرهيم ان رجلا اذاه وشتمه فقال له هداك الله وقيل الحليم السيد عن ابن عباس واصله انه الصبور على الاذى الصفوح عن
الذنوب النظم لما تقدم ذكر الكفار والمنافقين والمنع من موالاتهم والصلوة عليهم والقيام على قبورهم للدعاء لهم نهى عن دعايهم بعد موتهم
ولما نهى الله النبى والمومنين عن الاستغفار للمشركين ذكر قصة ابرهيم وعذره فى الاستغفار لابيه واما قوله ان ابرهيم لاواه حليم فانما اتصل
بما قبله بانه اذا كان له صفة الرافة والرحمة يكون فى دعايه اخلص وعلى خلاص اقربايه من العذاب احرص ومع ذلك تبرا منه لما مات
فلا جرم قوله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شىء عليم ان الله له ملك
السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ايتان النزول قيل مات قوم من المسلمين على الاسلام قبل
ان تنزل الفرايض فقال المسلمون يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرايض ما منزلتهم فنزل وما كان الله ليضل قوما الاية عن الحسن
المعنى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم اى ما كان الله ليحكم بضلال قوم بعد ما حكم بهدايتهم حتى يبين لهم ما يتقون من الامر بالطاعة

والنهى عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك حكم بضلالتهم وقيل وما كان الله ليعذب قوما فيضلهم عن الثواب والكرامة وطريق الجنة بعد اذ هداهم ودعاهم الى الايمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب والعقاب من الطاعة والمعصية وقيل لما نسخ بعض الشرايع وقد غاب اناس وهم يعملون بالامر الاول اذ لم يعلموا بالامر الثاني مثل تحويل القبلة وغير ذلك وقد مات الاولون على الحكم الاول سئل النبي صلى الله عليه واله عن ذلك فانزل الله الاية وبين انه لا يعذب هؤلاء على التوجه الى القبلة الاولى حتى يسمعوا بالنسخ ولا يعملوا بالناسخ فحينئذ يعذبهم عن الكلبي ان الله بكل شيء عليم يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالما لنفسه ان الله له ملك السموات والارض الملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير يحيي ويميت اي يحيي الجماد ويميت الحيوان وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير اي ليس لكم سواه حافظ يحفظكم وولي يتولى امركم ولا ناصر ينصركم ويدفع العذاب عنكم النظم وجه اتصال الاولى الاية بما قبلها ان الله سبحانه لما حرم على المومنين ان يستغفروا للمشركين بين انه سبحانه لا ياخذهم بذلك الا بعد ان يدلهم على تحريمه عن مجاهد ووجه اتصال الاية الثانية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم لانهم عبيد من له ملك السموات والارض فيامر فيهم ما يشاء ويدبرهم على ما يشاء عن علي بن عيسى قوله عز وجل لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ايتان القراءة قرا حمزة وحفص عن عاصم يزيغ بالياء وهو قراءة الاعمش والباقون تزيغ بالتاء والقراءة المشهورة الذين خلفوا وقرا علي بن الحسين زين العابدين وابو جعفر محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وابو عبد الرحمن السلمي خالفوا وقرا عكرمة وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد خلفوا بفتح الخاء واللام خفيفة الحجة قال ابو علي يجوز ان يكون فاعل كاد احد ثلاثة اشياء الاول ان يضمر فيها القصة والحديث ويكون تزيغ الخبر وجاز ذلك فيها وان كان الاصل في اضمار القصة انما هو في الابتداء لان الخبر لازم لكاد فاشبه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر به قال ولا يجوز ذلك في عسى لان عسى قد يكون فاعله المفرد في كثير من الامر فلا يلزمه الخبر كقوله عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم فاذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذي احتمله كاد كما لم يحتمله ساير الافعال التي يسند الى فاعليها مما لا يدخل على المبتداء والثاني ان يضمر في كاد ذكر ما تقدم لما كان النبي صلى الله عليه واله والمهاجرون والانصار قبيلا واحدا وفريقا واحدا جاز ان يضمر في كاد ما دل عليه ما تقدم ذكره من القبيل والحزب والفريق ونحو ذلك من الاسماء المفردة الدالة على الجمع وقال منهم فحمله على المعنى مثل قوله امن بالله واليوم الاخر ثم قال ولا خوف عليهم فكذلك

ولا هم يحزنون م

فاعل كاد القلوب وتقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ولكنه قدم تزيغ كما تقدم خبر كان وجاز تقديمه وان كان فيه ذكر من القلوب ولم يمتنع من حيث يمتنع الاضمار قبل الذكر لما كان النية به التاخير كما لا يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التاخير

على هذا الوجه والثالث ان يكون فاعل كاد م

فاما من قرا يزيغ بالياء فيجوز ان يكون قد ذهب الى ان في كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب بيزيغ فذكر وان كان فاعله مونثا لتقدم الفعل ومن قرا تزيغ بالتاء جاز ان يكون ذهب الى ان القلوب مرتفعة بكاد وجاز ان يكون الفعل المسند الى القصة او الحديث يونث اذا كان في الجملة التي تفسرها مونث كقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وجاز تانيث هي التي هي ضمير القصة لذكر الابصار المونثة في الجملة التي هي التفسير فكذلك يونث التي في كاد لذكر المونث في الجملة المفسرة فتقول كادت وتدغم التاء التي هي علامة التانيث في تاء تزيغ وتزيغ على هذا للقلوب وهي مرتفعة به ويجوز الحاق التاء بكادت وجاءت وهو ان توقع قلوب فريق بكاد فيلحقه علامة التانيث من حيث كان مسندا الى مونث ومن قرا خلفوا فتاويله قاموا ولم يبرحوا ومن قرا خالفوا فمعناه عايدا الى ذلك لانهم اذا خالفوهم فاقاموا فقد خلفوا هناك اللغة الزيغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وزاغت الشمس اذا مالت وزاغ عن الطريق جار وعدل والتخليف تاخير الشيء عن مضي فاما تاخير الشيء عنك في المكان فليس بتخلف وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهة الوجه يقال خلفه فهو مخلف ورحبت البلاد اذا اتسعت الرحب السعة ومنه مرحبا واهلا اي رحبت بلادك واهلك والضيق ضد السعة والظن هنا بمعنى اليقين كما في قول دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد النزول نزلت الاية

اي جعله خلفه م

الاولى

الاولى في غزاة تبوك وما لحق المسلمين فيها من العسرة حتى هم قوم بالرجوع ثم تداركهم لطف الله سبحانه قال الحسن كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم الشعير المسوس والتمر المدود والاهالة السنخة وكان النفر منهم يخرجون ما معهم من التميرات بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى ياتي الى اخرهم فلا يبقى من التمرة الا النواة قال وكان ابو خيثمة عبد الله بن خيثمة تخلف الى ان مضى من مسير رسول الله صلى الله عليه واله عشرة ايام ثم دخل يوما على امراتين له في يوم حار في عريشين لهما قد رشتاهما وبردتا الماء وهيأتا له الطعام فقام على العريشين وقال سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر في الضح والريح والحر والقر يحمل سلاحه على عاتقه وابو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهيا وامراتين حسناوين ما هذا بالنصف ثم قال والله لا اكلم واحدة منكما كلمة ولا ادخل عريشا حتى الحق بالنبي صلى الله عليه واله فاناخ ناضحه وشد عليه وتزود وارتحل وامراتاه تكلمانه ولا يكلمهما ثم سار حتى اذا دنا من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق فقال النبي عليه السلام كن ابا خيثمة فلما دنا قال الناس هذا ابو خيثمة يا رسول الله فاناخ راحلته وسلم على رسول الله فقال عليه السلام اولى لك فحدثه الحديث فقال له خيرا ودعا له وهو الذي زاغ قلبه للمقام ثم ثبته الله واما الاية الثانية فانها نزلت في شان كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وذلك انهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه واله ولم يخرجوا معه لا عن نفاق لكن عن توان ثم ندموا فلما قدم النبي صلى الله عليه واله المدينة جاؤا اليه واعتذروا فلم يكلمهم النبي صلى الله عليه واله وتقدم الى المسلمين بان لا يكلمهم احد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نساؤهم الى رسول الله صلى الله عليه واله فقلن له يا رسول الله نعتزلهم فقال لا ولكن لا يقربوكن فضاقت عليهم المدينة فخرجوا الى رؤس الجبال وكان اهاليهم يجيئون لهم بالطعام ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا احد منهم فهلا نتهاجر نحن ايضا فتفرقوا ولم يجتمع منهم اثنان وبقوا على ذلك خمسين يوما يتضرعون الى الله تعالى ويتوبون اليه فقبل الله تعالى توبتهم وانزل الله فيهم هذه الاية المعنى لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار اقسم الله تعالى في هذه الاية لان لام لقد لام القسم بانه سبحانه قبل توبتهم وطاعتهم وانما ذكر اسم النبي عليه السلام مفتتحا للكلام وتحسينا له ولانه سبب توبتهم والا فلم يكن منه ما يوجب التوبة وقد روي عن الرضا علي بن موسى عليه السلام انه قرا لقد تاب الله بالنبي عن المهاجرين والانصار الذين اتبعوه في الخروج معه الى تبوك في ساعة العسرة وهي صعوبة الامر قال جابر يعني عسرة الزاد وعسرة الظهر وعسرة الماء والمراد بساعة العسرة وقت العسرة لان الساعة تقع على كل زمان وقال عمر بن الخطاب اصابنا حر شديد وعطش فامطر الله سبحانه السماء بدعاء النبي فعشنا بذلك من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الجهاد فهموا بالانصراف من غزاتهم من غير امر فعصمهم الله تعالى من ذلك حتى مضوا مع النبي صلى الله عليه واله ثم تاب عليهم من بعد ذلك الزيغ لم يرد بالزيغ ههنا الزيغ عن الايمان انه بهم رؤف رحيم تداركهم برحمته والرافة اعظم الرحمة وعلى الثلاثة الذين خلفوا قال مجاهد معناه خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وقال الحسن وقتادة معناه خلفوا عن غزاة تبوك لما تخلفوا هم واما قراءة اهل البيت عليهم السلام خالفوا فانهم قالوا لو كانوا خلفوا لما توجه عليهم العتب ولكنهم خالفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وما ههنا مصدرية ومعناه ضاقت الارض مع اتساعها وهذه صفة من بلغ غاية الندم حتى كانه لا يجد لنفسه مذهبا وذلك بان النبي عليه السلام امر الناس بان لا يجالسوهم ولا يكلموهم كما ذكره لانه كان نزل توبة الناس ولم ينزل توبتهم ولم يكن ذلك على معنى رد توبتهم لانهم كانوا مامورين بالتوبة ولا يجوز في الحكمة رد توبة من يتوب في وقت التوبة لكن الله سبحانه اراد بذلك تشديد المحنة عليهم في تاخير انزال توبتهم واراد به استصلاحهم واستصلاح غيرهم لئلا يعودوا الى مثله وضاقت عليهم انفسهم هذه عبارة عن المبالغة في الغم حتى كانهم لم يجدوا لانفسهم موضعا يجعلونها فيه وقيل معنى ضيق انفسهم ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي ايقنوا انه لا يعصمهم من الله موضع يعتصمون به ويلجاؤن اليه غيره تعالى ومعناه علموا انه لا معتصم من الله الا به وان لا ينجيهم من عذاب الله الا التوبة ثم تاب عليهم ليتوبوا اي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا وقيل ليتوبوا اي ليعودوا الى حالتهم الاولى قبل المعصية وقيل معناه ثم تاب على الثلاثة وانزل توبتهم على نبيه عليه السلام

الدوكس الدودة تقع في الصوف والطعام ومنه حنطة مدوسة بكسر الواو المشددة صح

وضنين

ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بان الله سبحانه قابل التوبة قال الحسن اما والله ما سفكوا من دم ولا اخذوا من مال ولا قطعوا من
رحم ولكن المسلمين تسارعوا في النهوض مع رسول الله صلى الله عليه واله وتخلف هؤلاء وكان احدهم تخلف بسبب ضيعة له و
الاخر لاهله والاخر طلبا للراحة ثم ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم ان الله هو التواب اى الكثير القبول للتوبة الرحيم بعباده النظم نقلت
الاية الاولى بقوله التائبون الاية التى اثنى الله سبحانه عليهم هناك وبين في هذه الاية قبول توبتهم ورضاه عنهم باتباعهم النبي صلى الله
عليه واله في ساعة العسرة عن ابي مسلم وقيل انه سبحانه لما ذكر ان له ملك السموات والارض ولا ناصر لاحد دونه بين عقيبه رحمته
بالمؤمنين ورافته بهم في قبول توبتهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اية القراءة في
مصحف عبد الله وقراءة ابن عباس من الصادقين وروى ذلك ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام اللغة الصادق هو القائل بالحق
العامل به لانها صفة مدح لا تطلق الا على من يستحق المدح على صدقه المعنى ثم خاطب الله سبحانه المصدقين بالله المقرين بنبوة نبيه
فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اى اتقوا معاصي الله واجتنبوها وكونوا مع الصادقين الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون
ومعناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في اقواله وافعاله وصاحبوهم ورافقوهم كقولك انا مع فلان في هذه المسئلة اى اقتدى
فيها وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك
هم المتقون فامر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن ابي طالب ومنهم من ينتظر يعني علي بن ابي طالب وروى الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس قال كونوا مع الصادقين مع علي واصحابه وروى جابر عن ابي جعفر عليه السلام في قوله وكونوا مع الصادقين قال مع آل محمد
عليهم السلام وقيل مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالح في الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمد واصحابه عن نافع وقيل مع الذين صدقت
نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وقيل ان معنى مع ههنا معنى من فكانه امر بالكون من جملة الصادقين وتعضده قراءة من قرا
من الصادقين والمعنيان متقاربان هنا لان مع للمصاحبة ومن للتبعيض فاذا كان في جملتهم فهو معهم وبعضهم وقال ابن مسعود لا يصلح
من الكذب جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرءوا ان شئتم هذه الاية هل ترون في الكذب رخصة قوله عز وجل
ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم
ظماء ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به
عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله
احسن ما كانوا يعملون اثنان اللغة الرغبة طلب المنفعة يقال رغبت فيه اذا طلبت المنفعة ورغبت عنه اذا طلبت المنفعة
بتركه والظماء شدة العطش والنصب التعب ومثله الوصب قال النابغة كليني لهم يا اميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء الكواكب والمخمصة المجاعة
واصله ضمور البطن للمجاعة ورجل خميص البطن وامراة خمصانة ضامرة البطن والموطئ الارض والغيظ انتقاص الطبع بما يرى مما يسوءه
يقال غاظه يغيظه المعنى لما قص الله سبحانه قصة الذين تاخروا عن الخروج مع النبي الى تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه
وانه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرافته بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم والازراء على ما كانوا فعلوه
فقال ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه واله ظاهره خبر ومعناه نهي مثل
قوله ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اى ما كان يجوز وما كان يحل لاهل مدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادي
ان يتخلفوا عنه في غزاة تبوك وغيرها بغير عذر وقيل انهم مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه اى ما
كان يجوز لهم ولجميع المؤمنين ان يطلبوا نفع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه وهذه فريضة الزمهم الله اياها لحق رسول الله فيما دعاهم
اليه من الهدى الذي اهتدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر الى نور الايمان وقيل معناه ولا يرضوا لانفسهم بالخفض والدعة و
رسول الله في الحر والمشقة يقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اى ترفعت عنه بل عليهم ان يجعلوا انفسهم وقاية للنبي صلى الله عليه واله
ذلك اى ذلك النهي لهم والزجر عن التخلف بانهم لا يصيبهم ظماء اى عطش ولا نصب اى ولا تعب في ابدانهم ولا مخمصة في سبيل الله

وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه واله ولم يتخلفوا عنه عن ابن عباس ايضا

اى ولا مجاعة وهي شدة الجوع في طاعة الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اى لا يضعون اقدامهم موضعا يغيظ الكفار
وطؤهم اياه يعني دار الحرب فان الانسان يغيظه ويغضبه اى يطاء غيره موضعه ولا ينالون من عدو نيلا اى ولا يصيبون
من المشركين امرا من قتل او جراحة او مال او امر يغمهم ويغيظهم الا كتب لهم به عمل صالح وطاعة رفيعة ان الله لا يضيع اجر
المحسنين اى الذين يفعلون الافعال الحسنة التي يستحق بها المدح والثواب وفي هذا تحريض على الجهاد واعمال الخير ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة اى ولا ينفقون في الجهاد ولا في غيره من سبل الخير والمعروف نفقة قليلة ولا كثيرة يريدون بذلك
اعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرب بذلك الى الله تعالى ولا يقطعون واديا اى ولا يجاوزون واديا الا كتب لهم
ثواب ذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اى كتب طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله حتى يصير
الثواب احسن واكثر من عملهم وقيل ان الاحسن من صفة فعلهم لان الاعمال على وجوه واجب ومندوب ومباح وانما يجازى
على الواجب والمندوب دون المباح فيقع الجزاء على احسن الاعمال وقيل معناه ليجزيهم الله احسن اى باحسن ما كانوا يعملون
قال ابن عباس يرضيهم بالثواب ويدخلهم الجنة بغير حساب والايتان تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه واله وحظر التخلف عنه وقد اختلف في ذلك فقيل المراد بذلك جميع من دعاه النبي عليه السلام الى الجهاد وهو
الصحيح وقيل المراد به اهل المدينة ومن حولها من الاعراب ثم اختلف فيه من وجه اخر فقيل انه خاص في النبي عليه السلام
ليس لاحد ان يتخلف عنه في الجهاد الا لعذر فاما غيره من الائمة فيجوز التخلف عنه عن قتادة وقيل ان ذلك لاول
هذه الامة واخرها من المجاهدين في سبيل الله عن الاوزاعي وابن المبارك وقيل ان هذا كان في ابتداء الاسلام وفي
اهله قلة فاما الان فقد كثر الاسلام واهله فانه منسوخ بقوله ما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية عن ابن زيد وهذا هو الاقوى
لانه لا خلاف ان الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل احد لصار من فروض الاعيان قوله عز وجل وما كان المؤمنون
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا ايها
الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم
من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اربع ايات اللغة التفقه تعلم الفقه والفقه العلم بالشيء وفي حديث سلمان انه قال
لامراة فقهت وفهمت فاما فقهت بضم القاف فمعناه صارت فقيهة وقد اختص في العرف بعلم الاحكام الشرعية فيقال لكل عالم بها فقيه
وقيل الفقه فهم المعاني المستنبطة ولذلك لا يقال لله سبحانه فقيه والحذر تجنب الشيء لما فيه من المضرة قال الزجاج يقال غلظة
وغلظة وغلظة ثلث لغات قال ابو الحسن قراءة الناس بالكسر وهي العربية والمراد بالمرض في الاية الشك لانه فساد في القلب يحتاج
الى علاج كما ان الفساد في البدن يحتاج الى المداواة ومرض القلب اعضل وعلاجه اعسر ودواؤه اعز واطباؤه اقل الاعراب
لولا نفر بمعنى هلا نفر وهي للتحضيض اذا دخلت على الفعل فاذا دخلت على الاسم فمعناها امتناع الشيء لاجل وجود غيره ليتفقهوا
اى ليتفقه باقوهم لانه اذا نفر طائفة منهم تفقه من بقي منهم وان شئت فمعناه ليتفقه كلهم لان من نفر منهم اذا رجع استعلم من بقي فصار
كلهم فقهاء وهم يستبشرون جملة في موضع الحال وكذلك قوله وهم كافرون النزول قيل كان رسول الله صلى الله عليه واله اذا
خرج غازيا لم يتخلف عنه الا المنافقون او المعذورون فلما انزل الله تعالى عيوب المنافقين وبين نفاقهم في غزاة تبوك قال المؤمنون
والله لا نتخلف عن غزاة يغزوها رسول الله صلى الله عليه واله ولا سرية ابدا فلما امر رسول الله بالسرايا الى الغزو نفر المسلمون جميعا
وتركوا رسول الله وحده فانزل الله سبحانه وما كان المؤمنون لينفروا الاية عن ابن عباس في رواية الكلبي وقيل انها نزلت في ناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله خرجوا في البوادي فاصابوا من الناس معروفا وخصبا ودعوا من وجدوا من الناس الى
الهدى فقال الناس ما نريكم الا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجا واقبلوا من البادية حتى دخلوا على
النبي صلى الله عليه واله فانزل الله عز وجل هذه الاية عن مجاهد المعنى لما تقدم الترغيب في الجهاد بابلغ اسباب الترغيب وتانيب

تخلف عنه بابلغ اسباب التانيب بين في هذه الاية موضع الرخصة في تاخر من تاخر عنه فقال سبحانه وما كان المومنون لينفروا كافة
وهذا نفي معناه النهي اي ليس للمومنين ان ينفروا ويخرجوا الى الجهاد باجمعهم ويتركوا النبي صلى الله عليه واله فريدا وحيدا وقيل معناه
ليس عليهم ان ينفروا كلهم من بلادهم الى النبي صلى الله عليه واله ليتعلموا الدين ويضيعوا من وراءهم ويخلوا ديارهم عن الجبائي فلولا
نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين اختلف في معناه على وجوه احدها ان معناه فهلا خرج الى الغزو من كل قبيلة جماعة وبقي
مع النبي صلى الله عليه واله جماعة ليتفقهوا في الدين يعني الفرقة القاعدين يتعلمون القران والسنن والفرايض والاحكام فاذا رجعت
السرايا وقد نزل بعدهم قران وتعلمه القاعدون قالوا لهم اذا رجعوا اليهم ان الله قد انزل بعدكم على نبيه قرانا وقد تعلمناه فتعلمه
السرايا فذلك قوله فلينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم اي وليعلموهم القران ويخوفوهم به اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون فلا يعملون
بخلافه عن ابن عباس في رواية الوالبي وقتادة والضحاك وقال الباقر عليه السلم كان هذا حين كثر الناس فامرهم الله سبحانه ان
ينفر طايفة ويقيم طايفة للتفقه وان يكون الغزو نوبا وثانيها ان التفقه والانذار يرجعان الى الفرقة النافرة حثها الله على التفقه لترجع
الى المتخلفة فتحذرها ومعنى ليتفقهوا في الدين ليتبصروا وليتيقنوا بما يريهم الله عز وجل من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم
من الكفار اذا رجعوا اليهم من الجهاد فيخبرونهم بنصر الله للنبي والمومنين ويخبرونهم انهم لا ابد ان لهم بقتال النبي والمومنين لعلهم يحذرون
ان يقاتلوا النبي صلى الله عليه واله فينزل بهم ما نزل باصحابهم من الكفار عن الحسن وابي مسلم قال ابو مسلم اجتمع للنافرة ثواب الجهاد والتفقه
في الدين وانذار قومهم وثالثها ان التفقه راجع الى النافرة والتقدير ما كان لجميع المومنين ان ينفروا الى النبي صلى الله عليه واله ويخلوا
ديارهم ولكن لينفر اليه من كل ناحية طايفة لتسمع كلامه وتتعلم الدين منه ثم ترجع الى قومها فتبين لهم ذلك وتنذرهم عن الجبائي
قال والمراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم وانما سمي ذلك نفرا لما فيه من مجاهدة اعداء الدين قال القاضي ابو عاصم وفي هذا دليل على
اختصاص الغربة بالتفقه فان الانسان يتفقه في الغربة ما لا يمكنه ذلك في الوطن ثم بين سبحانه ما يجب تقديمه فقال يا ايها الذين امنوا
قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي قاتلوا من قرب منكم من الكفار الاقرب منهم فالاقرب في النسب والدار قال الحسن كان هذا قبل الامر
بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم قايم الان لانه لا ينبغي لاهل كل بلد ان يخرجوا الى قتال الابعد ويدعوا الاقرب الادنى لان
ذلك يؤدي الى الضرر وربما يمنعهم ذلك عن المضي في وجهتهم الا ان يكون بينهم وبين الاقرب موادعة فلا باس حينئذ بمجاوزة الاقرب
الى الابعد على ما يراه المتولي لامور المسلمين ولو قال سبحانه قاتلوا الابعد فالابعد لكان لا يصح لانه لا حد للابعد يبتدا معه كما
للاقرب وفي هذا دلالة على انه يجب على اهل كل ثغر الدفاع عن انفسهم اذا خافوا على بيضة الاسلام وان لم يكن هناك امام عادل وقال
ابن عباس امروا ان يقاتلوا الادنى فالادنى من عدوهم مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك وقال ابن عمر انهم الروم لانهم سكان الشام والشام
اقرب الى المدينة من العراق وكان الحسن اذا سئل عن قتال الروم والترك والديلم تلا هذه الاية وليجدوا فيكم غلظة اي
شجاعة عن ابن عباس وقيل شدة عن مجاهد وقيل صبرا على الجهاد عن الحسن والمعنى وليحسوا منكم بضد اللين وخلاف الرقة
وهو العنف والشدة ليكون ذلك زجرا لهم واعلموا ان الله مع المتقين عن الشرك اي معينهم وناصرهم ومن كان الله ناصره لم يغلبه
احد فاما اذا انهزم سبحانه بالحجة فانه يجوز ان يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف ثم عاد الكلام الى ذكر المنافقين فقال
سبحانه واذا ما انزلت سورة من القران فمنهم اي من المنافقين من يقول على وجه الانكار اي يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه
ايمانا وقيل معناه يقول المنافقون للمومنين الذين في ايمانهم ضعف ايكم زادته هذه السورة ايمانا اي يقينا وبصيرة فاما الذين امنوا
فزادتهم ايمانا معناه فاما المومنون المخلصون فزادتهم تصديقا بالفرايض مع ايمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة الايمان انهم
كانوا مومنين بما قد نزل من قبل فامنوا بما انزل الان وهم يستبشرون اي يسرون ويبشر بعضهم بعضا قد تهللت وجوههم وفرحوا
بنزولها فاما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم اي نفاقا وكفرا الى نفاقهم وكفرهم لانهم يشكون في
هذه السورة كما شكوا فيما تقدمها من السور فذلك هو الزيادة وسمى الكفر رجسا على وجه الذم له وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الانجاس
واضاف الزيادة الى السورة لانهم يزدادون عندها رجسا ومثله كفى بالسلامة داء وقول الشاعر وحسبك داء ان تصح وتسلما

ماتوا وهم كافرون اي وادتهم شكهم فيما انزل الله تعالى من السور الى ان ماتوا على كفرهم وابو شرهاب قوله عز وجل اولا يرون
انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد
ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رءوف
رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم اربع ايات القراءة قرا اولا ترون بالتاء حمزة
ويعقوب وهو قراءة ابي بن كعب وقرا الباقون بالياء والقراءة المشهورة من انفسكم بضم الفاء وقرا ابن عباس وابن علية وابن محيصن والزهري
من انفسكم بفتح الفاء وقيل انها قراءة فاطمة عليها السلم الحجة من قرا بالتاء فهو خطاب للمومنين ومن قرا بالياء فهو تقريع للمنافقين بالاعراض
عما يجب ان يعرضوا عنه من التوبة والاقلاع عما هم عليه من النفاق ومن قرا من انفسكم فمعناه من اشرفكم ومن خياركم يقال هذا انفس
المتاع اي اجوده وخياره واشتقاقه من النفس وهي اشرف ما في الانسان اللغة العزيز الشديد والعزيز في صفات الله تعالى معناه المنيع القادر
الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريده والعزة امتناع الشيء فيما يتعذر معه ما يحاول منه وهو على ثلاثة اوجه امتناع الشيء بالقدرة او
بالقلة او بالصعوبة والعنت لقاء الشدة والاذى الذي يضيق به الصدر وعنت الدابة تعنت عنتا اذا احدث في قوايمه كسر بعد جبر لا
يمكنه معه الجري فكانه شق عليه الجري واكمة عنوت شاقة المصعد وحسبي الله اي كافي الله وهو من الحساب لانه تعالى يعطي بحسب الكفاية
التي تغني عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ الى حد ونهاية اذ نعمه دايمة ومننه متواترة متظاهرة والتوكل تفويض الامر الى الله على الثقة
بحسن تدبيره وكفايته الاعراب او لا يرون الواو للعطف دخلت عليها همزة الاستفهام ويحتمل الرؤية ان يكون المتعدية الى مفعولين
وان يكون من رؤية العين فاذا كانت المتعدية الى مفعولين سد ان مسدهما وان كانت من رؤية العين يكون ابلغ ما عنتم ما هي المصدرية
وتقديره عزيز عليه عنتكم فهو في موضع رفع بعزيز وقوله لا اله الا هو جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله مستحقا الاخلاص للعبادة و
الافراد بالوحدانية وجر القراء كلهم العظيم على انه صفة للعرش ولو قري بالرفع على ان يكون صفة لرب العرش لجاز المعنى ثم نبه
سبحانه على اعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي ان ينظروا ويتدبروا فقال او لا يرون اي او لا يعلم هؤلاء المنافقون وقيل اولا
يبصرون انهم يفتنون اي يمتحنون في كل عام مرة او مرتين اي دفعة او دفعتين بالامراض والاوجاع وهي رايد الموت ثم لا يتوبون اي لا يرجعون
عن كفرهم ولا هم يذكرون اي لا يتذكرون نعم الله عليهم وقيل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه واله وما يرون من
نصرة الله رسوله وما ينال اعداءه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل بالقحط والجوع عن مجاهد وقيل بهتك استارهم وما يظهر
من خبث سرايرهم عن مقاتل وقيل بالبلاء والجلاء ومنع القطر وذهاب الثمار عن الضحاك واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض
معناه واذا انزلت سورة من القران وهم حضور عند النبي صلى الله عليه واله كرهوا ما يسمعونه ونظر بعضهم الى بعض نظرا يومئون به هل
يراكم من احد وانما يفعلون ذلك لانهم منافقون يحذرون ان يعلم بهم فكانهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من احد ثم يقومون فينصرفون
وانما يفعلون ذلك مخافة ان تنزل اية تفضحهم وكانوا لا يقولون ذلك بالسنتهم ولكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكانه يقول
ذلك وقيل معناه ان المنافقين كان ينظر بعضهم الى بعض نظر تعنت وطعن في القران ثم يقولون هل يرانا احد من المسلمين فاذا
تحقق لهم انهم لا يراهم احد من المسلمين بالغوا فيه وان علموا انه يراهم احد منهم كفوا عنه ثم انصرفوا اي انصرفوا عن المجلس وقيل انصرفوا
عن الايمان به صرف الله قلوبهم عن الفوايد التي يستفيدها المومنون والسرور بها وحرموا الاستبشار بتلك الحال وقيل معناه صرف
الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبة لهم على انصرافهم عن الايمان بالقران وعن مجلس النبي صلى الله عليه واله وقيل انه على وجه الدعا
عليهم اي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ودعا الله على عباده وعيد لهم واخبار بلحاق العذاب بهم عن ابي مسلم ذلك بانهم قوم لا يفقهون
اي ذلك بسبب انهم لا يفقهون مراد الله بخطابه لانهم لا ينظرون فيه ثم خاطب الله سبحانه جميع الخلق واكد خطابه بالقسم فقال لقد
جاءكم رسول من انفسكم يعني الرسول محمدا صلى الله عليه واله اي جاءكم رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بني اسمعيل عن السدي
وقيل ان الخطاب للعرب وليس في العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه واله وله فيهم نسب عن ابن عباس وقيل معناه
انه من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن الصادق عليه السلم وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ما ولدني

من سفاح اهل الجاهلية شئ ساو لدنى الا نكاح كنكاح الاسلام وانما منّ الله سبحانه عليهم بكونه منهم لانهم اذا عرفوا مولده ومنشاه وشاهده
صغيرا وكبيرا وعرفوا حاله فى صدقه وامانته ولم يعثروا على شئ يوجب نقصا فيه فبالحرى ان يكونوا اقرب الى القبول منه والانقياد له
عزيز عليه ما عنتم معناه شديد عليه عنتكم اى ما يلحقكم من الضرر بترك الايمان وقيل معناه شديد عليه ما اثمتم عن الكلبى والضحاك
وقيل ما اعنتكم وضركم عن القتيبى وقيل ما اهلككم عليه عن ابن الانبارى حريص عليكم معناه حريص على من لم يؤمن ان يؤمن عن الحسن و
قتادة بالمؤمنين رؤف رحيم قيل هما واحد والرافة شدة الرحمة وقيل رؤف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين وقيل رؤف باقربائه رحيم
باوليائه رؤف بمن رآه رحيم بمن لم يره وقال بعض السلف لم يجمع الله سبحانه لاحد من الانبياء بين اسمين من اسمائه الا للنبى صلى الله عليه واله
فانه قال بالمؤمنين رؤف رحيم وقال ان الله بالناس لرؤف رحيم فان تولوا اى ان ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يامرهم به واعرضوا
عن قبوله وقيل معناه فان تولوا عنك وعن الاقرار بنبوتك فقل حسبى الله اى كافى الله فانه القادر على كل شئ لا اله الا هو عليه توكلت به
وثقت وعليه اعتمدت وامورى اليه فوضت وهو رب العرش العظيم خص العرش بالذكر تفخيما لشانه ولانه اذا كان رب العرش مع عظمته
كان رب ما دونه فى العظم وقيل ان العرش عبارة عن الملك والسلطان فمعناه رب الملك العظيم فى السموات والارض عن ابى مسلم
وقيل ان هذه الاية اخر اية نزلت من السماء واخر سورة كاملة نزلت سورة براءة وقال قتادة اخر القران عهدا بالسماء هاتان الايتان
خاتمة براءة وبالله التوفيق **سورة يونس عليه السلم** هى مكية كلها فى قول الاكثرين وروى عن ابن عباس وقتادة الا ثلث ايات نزلن بالمدينة
فان كنت فى شك مما انزلنا اليك الى اخرهن وقال ابن المبارك الا ومنهم من يؤمن به الاية فانها نزلت فى اليهود بالمدينة **عدد اييها**
مائة وتسع ايات عند الجميع غير الشامى فانه يقول مائة وعشر ايات اختلافها ثلث ايات مخلصين له الدين وشفاء لما فى الصدور شامى من الشاكرين
غير شامى **فضلها** ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه واله انه قال من قراها اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق
بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال من قرا سورة يونس فى كل شهرين او ثلثة لم يخف عليه
ان يكون من الجاهلين وكان يوم القيمة من المقربين **تفسيرها** لما ختم الله سبحانه سورة براءة بذكر الرسول عليه السلم افتتح هذه السورة
بذكره عليه السلم وما انزل عليه من القران فقال عز وجل **بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب الحكيم اكان للناس
عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا
لسحر مبين** **القراءة** قرا الر بامالة الراء ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم الا يحيى وقرا الباقون بالتفخيم وقرا لساحر بالالف
ابن كثير واهل الكوفة وقرا الباقون لسحر بكسر السين وبغير الف **الحجة** قال ابو على من امال فقال را فلانها اسماء لما تلفظ بها من الاصوات
المنقطعة فى مخارج الحروف كما ان غاق اسم للصوت الذى يصوته الغراب فجازت الامالة فيها من حيث كانت اسماء ولم يكن كالحروف
التى يمتنع فيها الامالة نحو ما ولا وما اشبههما من الحروف فان قلت ان الاسماء لا يكون على حرفين احدهما حرف لين وانما يكون على هذه الصفة
الحروف نحو ما ولا فالقول ان هذه الاسماء لا يمتنع ان يكون على حرفين احدهما حرف لين لان التنوين لا يلحقها فيؤمن لامتناع التنوين
من اللحاق لها ان تبقى على حرف واحد فاذا امن ذلك لم يمتنع ان يكون الاسم على حرفين احدهما حرف لين الا ترى انهم قد قالوا
هذه شاة فجاء على حرفين احدهما حرف لين لما امن لحاق التنوين له لاتصال علامة التانيث به وكذلك قولك رايت رجلا ذا مال
لاتصال المضاف اليه وكذلك قولهم كسرت فا زيد قال ويدل على قول من قال لسحر قوله سبحانه هذا سحر وانا به كافرون ويدل
على ساحر قوله قال الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم قوله اوحينا الى رجل منهم فمن قرا ساحر اراد الرجل ومن قرا سحر اراد الذى
اوحى سحرا **اللغة** الاية العلامة التى تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقران مفصل بالايات من بالحكم النافية للشبهات والحكيم
ههنا بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعل قال الاعشى وغريبة تاتى الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها وانشد ابو عبيدة لابى ذويب
يواعدنى عكاظ لننزلنه ولم اشعر اذن انى خليف اى مخلف من اخلفته الوعد وقيل هو بمعنى الحاكم ودليله قوله ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه قال الازهرى القدم الشئ تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه وقيل القدم المقدم كالنقض والقبض وقال
ابن الاعرابى القدم المتقدم فى الشرف قال العجاج زل بنوا العوام عن الحكم وتركوا الملك لملك ذى قدم الازهرى فلان يمشى التقدمة

لساحر

والتقدمية

والتقدمية اذا تقدم فى الشرف وقال ابو عبيدة والكسائى كل سابق فى خير او شر فهو عند العرب قدم ويقال لفلان قدم فى الاسلام
وهو مؤنث يقال قدم حسنة قال حسان لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا فى طاعة الله تابع وقال ذو الرمة لكم قدم
لا ينكر الناس انها مع الحسب العادى طمت على البحر **الاعراب** اضيفت ايات الى الكتاب لانها ابعاض الكتاب كما ان سورة ابعاضه
وان اوحينا فى موضع رفع بانه اسم كان وعجبا خبره واللام فى قوله للناس متعلق بمحذوف كان صفة لعجب فلما تقدم صار حالا كقوله
لعزة موحشا طلل قديم وان شئت كان ظرفا لكان وان انذر فى موضع نصب تقديره اوحينا بان انذر فحذف الجار ووصل الفعل الى ان
لهم قدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرى ان لهم بالكسر لكان جائزا لان البشارة فى معنى القول الا انه لم يقرا
به واضيف قدم الى صدق كما يقال مسجد الجامع **المعنى** قد مضى الكلام فى معانى الحروف المعجمة المذكورة فى اوايل السور من قبل تلك ايات الكتاب
الحكيم معناه ان الايات التى جرى ذكرها او الايات التى انزلت على محمد هى ايات القران الحكيم من الباطل الممنوع من الفساد لا
كذب فيه ولا اختلاف وقيل تلك اى هذه السورة ايات الكتاب الحكيم اى اللوح المحفوظ وسماه محكما لانه ناطق بالحكمة وقيل لانه جمع العلوم
والحكم وقيل انما وصف الكتاب الحكيم لانه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولانه يؤدى الى المعرفة التى يميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة
اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس هذه الف استفهام المراد به الانكار وقيل ان المراد بالناس هنا اهل
مكة قالوا العجب ان الله سبحانه لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابى طالب والتقدير اكان ايحاؤنا الى رجل من الناس بان
ينذرهم عجبا ومعناه لماذا تعجبوا ان اوحينا الى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذى كان يجب فعله عند كل العقلاء فان الله
تعالى لما اكمل لعباده عقولهم وكلفهم معرفته واداء شكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك الا بداع يدعوهم اليه ومنبه
ينبههم عليه وجب فى الحكمة ان يفعل ذلك ثم بين سبحانه الوجه الذى لاجله بعث وما الذى اوحى اليه فقال ان انذر الناس اى
اخبرهم بالعذاب وخوفهم به وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اى عرفهم ما فيه لهم من الشرف والخلود فى نعيم الجنة على وجه الاكرام
والاجلال بصالح الاعمال وقيل ان لهم قدم صدق اى اجرا حسنا ومنزلة رفيعة بما قدموا من اعمالهم عن ابن عباس وروى عنه ايضا
ان المعنى سبقت لهم السعادة فى الذكر الاول ويؤيده قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وقيل هو تقديم الله تعالى اياهم فى البعث
يوم القيمة بيانه قوله عليه السلم نحن الاخرون السابقون يوم القيمة وقيل ان القدم اسم الحسنى من العبد واليد اسم الحسنى من السيد
للفرق بين السيد والعبد وقيل ان معنى قدم صدق شفاعة محمد صلى الله عليه واله لهم يوم القيمة عن ابى سعيد الخدرى وهو المروى
عن ابى عبد الله عليه السلم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين يعنون النبى صلى الله عليه واله اى قالوا هذا ساحر مظهر للسحر وما
اتى به سحر بين على اختلاف القراءتين والسحر فعل خفى وجه الحيلة فيه حتى يتوهم انه معجز وهذا يدل على عجزهم عن معارضة القران ولذلك
عدلوا الى وصف السحر قوله عز وجل **ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر
ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق
ثم يعيده ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون**
القراءة قرا ابو جعفر المدنى انه يبدؤا بفتح الهمزة وهى قراءة الاعمش والباقون بكسرها **الحجة** من قرا انه فتقديره وعد الله
حقا لانه يبدؤا الخلق ثم يعيده اى من قدر على هذا الامر العظيم فانه غنى عن اخلاف الوعد وان شئت كان تقديره وعد الله وعدا
حقا انه يبدؤا الخلق فيكون فى محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعدا قال ابن جنى ولا يجوز ان يكون انه منصوب الموضع بنفس وعد لانه
قد وصف بقوله حقا والصفة اذا جرت على موصوفها اذنت بتمامه وانقضاء اجزائه ولا يكون تاما اذا كان ما بعد الصلة من صفته
فاما قول الحطيئة ازمعت ياسا مبينا من نوالكم ولن ترى طاردا للحر كالياس فان قوله من نوالكم ليس من صلة ياس بل يتعلق
بفعل يدل عليه قوله ياسا مبينا فكانه قال يئست من نوالكم وقال الفراء من فتح جعله مفعول حقا كما فى قول الشاعر احقا
عباد الله ان لست زائرا بثينة او يلقى الثريا رقيبها **اللغة** القسط العدل ومنه المقسط والقسط النصيب والقسط بفتح القاف الجور والقسط
بفتح القاف والسين اعوجاج فى الرجلين والحميم الماء الذى اسخن بالنار اشد اسخان قال المرقش الاصغر وكل يوم لها مقطرة فيها كباء

معد وحيهم الاعراب جميعا نصب على الحال وعد الله منصوب على المصدر لان قوله اليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقا منصوب
على احق ذلك حقا عن الزجاج واضيف المصدر في قوله وعد الله الى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما في قول كعب بن زهير تسعى الوشاة
جنابيها وقيلهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول اى ويقولون قيلهم المعنى ان ربكم اى خالقكم ومنشيكم ومالك تدبيركم وتصريفكم من
امره ونهيه والذى يجب عليكم عبادته الله الذى خلق السموات والارض اى اخترعهما وانشاهما على ما فيهما من عجايب الصنعة وبدايع
الحكمة في ستة ايام بلا زيادة ولا نقصان مع قدرته على انشايهما دفعة واحدة والوجه فيه ان في ذلك مصلحة للملايكة وعبرة لهم و
لغيرهم اذا اخبروا عن ذلك وكذلك تصريف الانسان حالا بعد حال واخراج الثمار والانهار شيئا بعد شيء مع قدرته على ذلك
في اقل من لمح البصر لان ذلك ابعد من توهم الاتفاق فيه ثم استوى على العرش مر تفسيره في سورة الاعراف وقيل ان العرش المذكور
هنا هو السموات والارض لانهن من بنائه والعرش البناء واما العرش المعظم الذى تعبد الله سبحانه الملايكة بالحفوف به والاعظام
له وعناه بقوله الذين يحملون العرش ومن حوله فهو غير هذا وقيل ان ثم هنا بمعنى الواو وقيل ان ثم دخل على التدبير وتقديره ثم
استولى عليه بانشاء التدبير من جهته كما يستوى الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره فان تدبير الامور كلها ينزل من عند العرش
ولهذا ترفع الايدى في الدعاء الى نحو العرش يدبر الامر اى يقدره وينفذه على وجهه ويرتبه في مراتبه على احكام عواقبه وهو ماخوذ
من الدبور ما من شفيع الا من بعد اذنه انما قال هذا وان لم يجر ذكر الشفعاء لان الكفار كانوا يقولون الاصنام شفعاؤنا عند
الله فبين تعالى ان الشفيع انما يشفع عنده اذا اذن له في الشفاعة واذا كانت الاصنام لا تعقل فكيف يكون شافعة مع انه لا يشفع عنده
احد من الملايكة والنبيين الا باذنه وامره ذلكم الله ربكم اى ان الموصوف بهذه الصفات هو الحكم فاعبدوه وحده لانه لا اله لكم سواه
ولا يستحق هذه الصفات غيره ولا تعبدوا الاصنام افلا تذكرون حثهم سبحانه على التذكر والتفكر فيما اخبرهم به على تعرف صحته اليه
مرجعكم جميعا المرجع يحتمل معنيين احدهما ان يكون بمعنى المصدر الذى هو الرجوع والاخر ان يكون بمعنى موضع الرجوع اى اليه موضع
رجوعكم يكون اذ اشاء وعد الله حقا وعد الله تعالى ذلك عبادة وعدا حقا صدقا انه يبدا الخلق ثم يعيده اى يبتدى الخلق ابتداء
ثم يعيدهم بعد موتهم ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات اى ليؤتيهم جزاء اعمالهم بالقسط اى بالعدل لا ينقص من اجورهم شيئا
والذين كفروا لهم شراب من حميم اى من ماء حار حتى انتهى حره في النار وعذاب اليم وجيع بما كانوا يكفرون اى جزاء على كفرهم النظم وجه
اتصال هذه الاية بما قبلها انه لما قال اكان للناس عجبا قالوا وكيف لا نعجب ولا اعلم لنا بالمرسل فقال ان ربكم الله ويجوز ان يكون على انه لما قال
اكان للناس عجبا وكان هذا حكما على الله سبحانه فكانه قال فتحكمون عليه وهو ربكم قاله الاصم ويحتمل ان يكون هذا ابتداء خطاب للخلق
جميعا احتج الله بها على عباده بما بين من بدايع صنعه في السموات والارض وفي انفسهم قوله عز وجل هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً
وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ايتان القراءة قرا اهل البصرة
وابن كثير وحفص والعجلى يفصل بالياء والباقون نفصل بالنون الحجة من قرا بالياء فلانه تقدم ذكر الله سبحانه فاضمر في الفعل ومن
قرا بالنون فمثل قوله تلك ايات الله نتلوها اللغة الجعل ايجاد ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها والضياء يجوز ان يكون جمع ضوء
كسوط وسياط وحوض وحياض ويجوز ان يكون مصدر ضاء ضياء مثل عاد يعود عيادا وقام يقوم قياما وعلى اى الوجهين كان فالمضاف
محذوف تقديره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور ويكون جعلا النور والضياء لكثرة ذلك فيهما والاختلاف ذهاب كل واحد
من الشيئين في غير جهة الاخر فاختلاف الليل والنهار ذهاب احدهما في جهة الضياء والاخر في جهة الظلام والليل عبارة عن وقت
غروب الشمس الى طلوع الفجر الثاني وليل وليلة مثل تمر وتمرة والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس
فالنهار واليوم بمعنى واحد الا ان في النهار فايدة اتساع الضياء المعنى ثم زاد سبحانه في الاحتجاج للتوحيد فقال هو الذى جعل
الشمس ضياء بالنهار والقمر نورا بالليل والضياء ابلغ في كشف الظلمات من النور ففيه صفة زايدة على النور وقدره منازل اى قدر له
القمر منازل معلومة لتعلموا به وبمنازله عدد السنين والحساب اول الشهر واخره وانقضاء كل سنة وكميتها والشمس والقمر ايتان من

ايات

ايات الله تعالى وفيهما اعظم الدلالات على وحدانيته تعالى من وجوه كثيرة منها خلقهما وخلق الضياء والنور فيهما ودورانهما وقربهما
وبعدهما ومشارقهما ومغاربهما وكسوفهما وفي تاثير الشمس الشعاع في العالم وتاثيرها في الحر والبرد واخراج النبات وطبخ الثمار وفي تمام
القمر وسط الشهر ونقصانه في الطرفين ليتميز اول الشهر واخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمة عظيمة من الله سبحانه على خلقه
ولذلك قال ما خلق الله ذلك الا بالحق لان في ذلك منافع الخلق في دينهم ودنياهم ودلايل على وحدانية الله تعالى وقدرته
وكونه عالما لم يزل ولا يزال نفصل الايات اى نميزها ونبينها اية اية لقوم يعلمون فيعطون كل اية حظها من التامل والتدبر و
قيل ان المعنى في قوله وقدره منازل التثنية اى قدر الشمس والقمر منازل غيرانه وحده للايجاز اكتفاء بالمعلوم كما مر ذكر امثاله
فيما تقدم وكما في قول الشاعر رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن حول الطوى رماني فان الشمس تقطع المنازل في كل سنة و
القمر يقطعها في كل شهر فانما يتم الحساب ويعلم الشهور والسنون والشتاء والصيف بمقاديرهما ومجاريهما في تداويرهما ان في اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله في السموات والارض اى فعله فيهما على ما تقتضيه الحكمة في السموات من الافلاك والكواكب السيارة وغير
السيارة وفي الارض من الحيوان والنبات والجماد وانواع الارزاق والنعم لايات اى حججا ودلالات على وحدانية الله لقوم يتقون
معاصي الله ويخافون عقابه وخصهم بالذكر لاختصاصهم بالانتفاع بها قوله عز وجل إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ
أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اربع ايات القراءة في الشواذ قراءة ابن محيصن ويعقوب ان الحمد لله الحجة هذه القراءة تدل على
ان قراءة الجماعة ان الحمد لله انما هو على ان ان مخففة من الثقيلة كما في قوله في فتية كسيوف الهند قد علموا ان هالك كل من يحفى
وينتعل فيكون على تقدير انه الحمد لله ولا يجوز ان يكون ان هنا زايدة كما زيدت في قوله ويوما توافينا بوجه مقسم كان ظبية تعطو
الى وارق السلم اى كظبية اللغة الغفلة والسهو من النظاير وهو ذهاب المعنى عن النفس ونقيضه اليقظة والدعوى قول
يدعو به الى امر والتحية التكرمة بالحال الجليلة ولذلك يسمون الملك التحية قال من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحية وهو
ماخوذ من قولهم احياك الله حيوة طيبة المعنى ثم انه سبحانه اوعد الغافلين عن الادلة المتقدمة المكذبين بالمعاد فقال
ان الذين لا يرجون لقاءنا اى لقاء جزائنا ومعناه اى لا يطمعون في ثوابنا واضافه الى نفسه تعظيما له ويحتمل ان يكون المعنى لا
يخافون عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما في قول الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل وجعل
سبحانه ملاقاة ما لا يقدر عليه الا هو ملاقاة له كما جعل اتيان ملايكته اتيانا له في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله تفخيما للامر
ورضوا بالحيوة الدنيا اى قنعوا بها واختاروها فلا يعملون الا لها ولا يجتهدون الا لاجلها مع سرعة فنائها ولا يرجون ما وراءها
واطمانوا بها اى وسكنوا الى الدنيا بانفسهم وركنوا اليها بقلوبهم والذين هم عن اياتنا غافلون اى ذاهلون عن تاملها فلا
يعتبرون بها اولئك ماويهم النار اى مستقرهم النار بما كانوا يكسبون من المعاصي ثم وعد سبحانه المومنين بعد ما اوعد
الكافرين فقال ان الذين امنوا اى صدقوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات اى ذلك الاعمال الصالحة يهديهم ربهم بايمانهم
الى الجنة تجرى من تحتهم الانهار في جنات النعيم اى تجرى بين ايديهم الانهار وهم يرونها من علو كما قال سبحانه قد جعل ربك
تحتك سريا ومعلوم انه لم يجعل السرى الذى هو الجدول تحتها وهى قاعدة عليه وانما اراد انه جعله بين يديها وقيل معناه من
تحت بساتينهم واسرتهم وقصورهم عن الجبائي وقوله بايمانهم يعني به جزاء على ايمانهم دعواهم فيها اى دعاء المومنين في
الجنة وذكرهم فيها ان يقولوا سبحانك اللهم يقولون ذلك لا على وجه العبادة لانه ليس هناك تكليف بل يلتذون بالتسبيح
وقيل انهم اذا مر بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فياتيهم الطير فيقع مشويا بين ايديهم واذا قضوا منه الشهوة
قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حيا كما كان فيكون مفتتح كلامهم في كل شيء التسبيح ومختتم كلامهم التحميد ويكون التسبيح
في الجنة بدل التسمية في الدنيا عن ابن جريج وتحيتهم فيها سلام اى تحيتهم من الله سبحانه في الجنة سلام وقيل معناه تحية بعضهم

واضافوا الى حم

لبعض فيها او تحية الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليكم اى سلمتم من الآفات والمكاره التى ابتلى بها اهل النار وذكرنا معنى قوله
وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وليس المراد ان ذلك يكون آخر كلام حتى يتكلموا بعده بشئ بل المراد انهم يجعلون هذا آخر كلامهم
فى كل ما ذكره عن الحسن والجبائى قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم فنذر الذين
لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان
لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ايات القراءة قرا ابن عامر ويعقوب لقضى بفتح القاف اجلهم
منصوب والباقون لقضى على ما لم يسم فاعله اجلهم بالرفع الحجة قال ابو على اللام فى قوله لقضى اليهم اجلهم جواب لو فى قوله ولو يعجل الله
للناس دعاء الشر اى ما يدعون به من الشر على انفسهم فى حال ضجر او بطر استعجاله اياهم بدعاء الخير فاضاف المصدر الى المفعول و
حذف الفاعل كقوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير فى حذف ضمير الفاعل والتقدير ولو يعجل الله للناس الشر استعجالا مثل استعجالهم
بالخير لقضى اليهم اجلهم قال ابو عبيدة لقضى اليهم اجلهم معناه لفرغ من اجلهم وانشد لابى ذؤيب وعليهما مسرودتان قضاهما داود
او صنع السوابغ تبع ومثل ما انشده قول الآخر قضيت امورا ثم غادرت بعدها بوائق فى اكمامها لم تفتق والمعنى لفرغ من اجلهم و
مدتهم المضروب للحياة واذا انتهت مدتهم المضروب للحياة هلكوا وهذا قريب من قوله ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان
الانسان عجولا وقالوا للميت مقضى كانه قضى اذا مات وقضى فعل التقدير فيه استوفى اجله وفرغ منه قال ذو الرمة اذا الشخص فيها
هزه الآل اغمضت عليه كاغماض المقضى هجولها المعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذى فيها فلم ير لغرقه فى الآل كاغماض المقضى
وهو الميت فاما ما يتعلق به الجار من قوله لقضى اليهم فانه لما كان معنى قضى فرغ وكان قولهم فرغ يتعدى بهذا الحرف فى قوله الآن
فقد فرغت الى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا وفى التنزيل سنفرغ لكم ايها الثقلان امكن ان يكون الفعل تعدى باللام كما تعدى
بالى كما ان اوحى فى قوله واوحينا اليه فقد تعدى بالى وباللام فى قوله بان ربك اوحى لها فلما كان معنى قضى فرغ وفرغ يتعلق بها الى
كذلك تعلق بقضى ووجه قراءة ابن عامر لقضى اليهم اجلهم على اسناد الفعل الى الفاعل ان الذكر فيه قد تقدم فى قوله ولو يعجل الله للناس
فقال لقضى على هذا من حجته فى ذلك قوله ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فهذا الاجل الذى فى هذه الآية هو الاجل المضروب للحياة كما ان
الاجل فى قوله لقضى اليهم اجلهم كذلك فكما اسند الفعل فى الاجل المضروب للحياة الى الفاعل فى قوله ثم قضى اجلا عند الجميع كذلك اسنده
ابن عامر فى قوله لقضى اليهم اجلهم الى الفاعل ولم يسنده الى الفعل المبنى للمفعول ويدل على ان الاجل فى قوله ثم قضى اجلا اجل المحيا ان
قوله واجل مسمى عنده اجل البعث بيّن ذلك قوله ثم انتم تمترون اى انتم ايها المشركون تشكون فى البعث ومن قرا لقضى فبنى الفعل للمفعول
فلانه فى المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل الاعراب قوله لجنبه فى موضع نصب على الحال تقديره دعانا مضطجعا لجنبه او دعانا قائما ويجوز
ان يكون تقديره اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قائما دعانا وموضع الكاف من كذلك نصب على مفعول ما لم يسم فاعله
اى مثل ذلك زين للمسرفين عملهم المعنى ثم عاد الكلام الى ذكر المائلين الى الدنيا المطمئنين اليها الغافلين عن الآخرة فقال ولو يعجل الله
للناس الشر اى اجابة دعوتهم فى الشر اذا دعوا به على انفسهم واهاليهم عند الغيظ والضجر واستعجلوه مثل قول الانسان رفعنى الله من
بينكم وقوله لولده اللهم العنه ولا بارك فيه استعجالهم بالخير كما يعجل لهم اجابة الدعوة بالخير اذا استعجلوها لقضى اليهم اجلهم اى لفرغ
من اهلاكهم ولكن الله تعالى لا يعجل لهم الهلاك بل يمهلهم حتى يتوبوا وقيل معناه ولو يعجل الله للناس العقاب الذى استحقوه بالمعاصى كما
يستعجلون هم خير الدنيا وربما اجيبوا الى ما سألوه اذا اقتضت المصلحة ذلك لفرغ الآن من الانسان فى الدنيا الا انه يحتمل عقاب الآخرة
بل لا يحتمل ما دونه والله سبحانه يوصله اليهم فى وقته وسمى العقاب شرا من جهة المشقة والاذى الذى فيه وفائدته انه لو عجلت العقاب لزال
التكليف ولا يزول التكليف الا بالموت واذا عجلوا عوجلوا بالموت لم يبق احد فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون اى فندع
الذين لا يخافون البعث والحساب يتحيرون فى كفرهم وعدولهم عن الحق الى الباطل ويترددهم فى الظلم والعمه شدة الحيرة ثم اخبر سبحانه
عن قلة صبر الانسان على الضر والشدائد فقال واذا مس الانسان الضر اى المشقة او البلاء والمحنة من محن الدنيا دعانا لجنبه اى دعا
لكشفه مضطجعا او قاعدا او قائما اى على اى حال كان عليها واجتهد فى الدعاء وسؤال العافية وليس غرضه بذلك نيل ثواب الآخرة

الشر استعجالهم بالخير لقضى … والله اعلم … ولو يعجل الله للناس م

المنتقم ١٢

وانما غرضه زوال ما هو فيه من الالم والشدة وقيل ان تقديره واذا مس الانسان الضر مضطجعا او قاعدا او قائما دعانا لكشفه وفيه
تقديم وتأخير فلما كشفنا عنه ضره اى فلما ازلنا عنه ذلك الضر ووهبنا له العافية مر اى استمر على طريقته الاولى معرضا عن شكرنا كأن
لم يدعنا الى ضر مسه اى كأنه لم يدعنا قط لكشف ضر ولم يسألنا ازالة الالم عنه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون اى كما زين لهم
الشيطان واقرانهم الغواة ترك الدعاء عند الرخاء زينوا للمسرفين اى للمشركين عملهم عن الحسن ويحتمل ان يكون زين للمسرفين بعضهم لبعض
وان لم يضف التزيين اليهم فهو كقولهم فلان معجب بنفسه وقد حث الله تعالى بهذه الآية الذين منحوا الرخاء بعد الشدة والعافية بعد
البلية على ان يتذكروا حسن صنع الله اليهم وجزيل رحمته عليهم ويشكروه على ذلك ويسألوه ادامة ذلك لديهم ونبه بذلك على وجوب
الصبر عند المحنة احتسابا للاجر وابتغاء للثواب والذخر قوله عز وجل ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات
وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اللغة
القرون جمع قرن وهو اهل كل عصر سموا بذلك لمقارنة بعضهم لبعض ومنه قرن الشاة لمقارنته اخيه بازائه والقرن بكسر القاف هو المقاوم
لقرينه فى الشدة الاعراب موضع كيف نصب بقوله تعملون وتقديره لننظر اخيرا تعملون ام شرا ولا يجوز ان يكون معمول ننظر لان ما قبل الاستفهام
لا يعمل فيما بعده المعنى ثم اخبر الله سبحانه عما نزل بالامم الماضية من المثلات وحذر هذه الامة عن مثل مساعيهم فقال ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم بانواع العذاب لما ظلموا انفسهم بان اشركوا وعصوا وجاءتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات الظاهرة والدلالات وما كانوا ليؤمنوا
هذا اخبار بان هذه الامم انما اهلكوا لما كان فى المعلوم انهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسل الذين اتوهم والكتب التى جاءوهم بها
واستدل ابو على الجبائى بهذا على ان تبقية الكافر واجبة اذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيما بعد كذلك نجزى القوم المجرمين اى
كذلك نعذب القوم المشركين فى المستقبل اذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجة عليهم وعلمنا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون ثم جعلناكم يا امة محمد خلائف
فى الارض من بعدهم اى من بعد القرون التى اهلكناهم ومعناه اسكناكم الارض خلفهم لننظر كيف تعملون اى لنرى كيف عملكم اى يقع من عمل
اولئك انقدرونهم فتستحقوا من العقاب مثل ما استحقوا او تؤمنون فتستحقون الثواب وانما قال لننظر ليدل على انه سبحانه يعامل
العبد معاملة المختبر الذى لا يعلم الشئ فيجازيه على ما يظهر منه دون ما قد علم انه يفعله مظاهرة فى العدل والنظر فى الحقيقة لا يجوز
على الله تعالى لانه انما يكون بالقلب وهو التفكر وبالعين وهو تقليب الحدقة نحو المرئى التماسا لرؤيته مع سلامة الحاسة وكلا هذين
لا يجوز عليه سبحانه وانما يستعمل ذلك فى صفاته على وجه المجاز والاتساع فان النظر انما هو لطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة
من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه قوله عز وجل واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن
غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب
يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون ثلث آيات القراءة فى رواية ابى ربيعة عن البزى عن ابن كثير ولادراكم
جعلها لاما دخلت على ادراكم وامال ادراكم وادراك فى جميع القرآن ابو عمرو وحمزة والكسائى وخلف وروى فى الشواذ عن ابن عباس
والحسن ولا ادراتكم به الحجة قال ابو على حكى سيبويه دريته ودريت به والاكثر فى الاستعمال بالباء ويبين ذلك قوله ولا ادراكم به ولو جاء
على اللغة الاخرى لكان ولا ادراكم وقال الدراية كالفطنة والشعرة وهى مصادر يراد بها ضرب من العلم واما الدراية فكالهداية
والدلالة وكان الدراية التأنى والتعمل لعلم الشئ وعلى هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمة انشد ابو زيد فان غزال الذى كنت
تدرى اذا شئت ليث خادر بين اشبل ويدرى اى يختل ومنه الدرية فى قول اكثر الناس الجمل الذى يستتر به الصائد من الوحش كانه
يختل به ودريت الرجل لا ابنته وخاتلته واذا كان الحرف على هذا فالدارى فى وصف القديم سبحانه لا يسوغ فاما قول الراجز لا هم لا ادرى
وانت الدارى فلا يكون حجة فى جواز ذلك لانه استجاز ذلك لما تقدم من قوله لا ادرى كما جاز فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه وان يسخروا منا فانا نسخر منكم وايضا فان الاعراب يذكرون اشياء يمتنع جوازها كما قالوا لاهم ان كنت الذى بعهدى ولم تغيرك
الامور بعدى وقال الآخر لو خافك الله عليه حرمه فاما الهمزة على ما حكى عن الحسن وغيره فلا وجه له لان الدرء الدفع قال ابن جنى يجوز

ان يكون لها وجد وان كانت فيه ضعد وهو ان يكون ارادو ولا ادريكم به ثم قلب الياء الفا لانفتاح ما قبلها وان كانت ساكنة كقولهم في ييأس
ياأس وفي ييئس يائس وقال قطرب ان لغة عقيل في اعطيتك ان يقولوا اعطاتك ثم همز الالف على لغة من قال في البازا البأز وفي
العالم والخاتم والتابل ومن قرا ولا ادريكم به فمعناه ولا اعلمكم الله تعالى به فيكون نفيا للتلاوة واثباتا للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون
نفيا للامرين جميعا **اللغة** التلقاء جهة مقابلة الشئ الا انه قد يستعمل ظرفا فيقال هو تلقاه كما يقال هو حذاءه وقبالته وتجاهه وازاءه
والعمر بفتح العين وسكون الميم والعمر بضمها البقاء واذا استعمل في القسم فالفتح لا غير **النزول** قيل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن ابي امية
المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله
ائت بقران ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها او بدله تكلم به من تلقاء نفسك عن مقاتل وقيل نزلت
في المستهزئين قالوا يا محمد ائت بقران غير هذا فيه ما نسالكه عن الجبائي **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال واذا تتلى
عليهم اياتنا المنزلة في القران بينات اى واضحات في الحلال والحرام وساير الشرايع وهو نصب على الحال قال الذين لا يرجون لقاءنا
اى لا يؤمنون بالبعث والنشور اى لا يخشون عقابنا ولا يطمعون في ثوابنا ائت بقران غير هذا الذى تتلوه علينا او بدله فاجعله
على خلاف ما تقراه والفرق بينهما ان الاتيان بغيره قد يكون معه تبديله لا يكون الا برفعه وقيل معنى قوله بدله غير احكام من
الحلال الى الحرام ارادوا بذلك زوال الحظر عنهم وسقوط الامر منهم وان يخلى بينهم وبين ما يريدونه قل يا محمد ما يكون لى ان ابدله
من تلقاء نفسى اى من جهة نفسى وناحية نفسى لانه معجز فلا اقدر على الاتيان بمثله ان اتبع الا ما يوحى الى اى ما اتبع الا الذى
اوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى في اتباع غيره عذاب يوم عظيم اى يوم القيمة ومن استدل بهذه الاية على ان نسخ القران بالسنة
لا يجوز فقد ابعد لانه اذا انسخ القران بالسنة وبما يقوله النبي فانما يقوله بالوحى من الله فلم ينسخ القران ولم يبدله من قبل نفسه
بل يكون تبديله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرانا ويؤيد ذلك قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى
قل يا محمد لو شاء الله ما تلوته عليكم معناه ولو شاء الله ما تلوت هذا القران عليكم بان كان لا ينزله على ولا ادريكم به اى ولا اعلمكم
الله به بان لا ينزله على فلا اقراه عليكم فلا تعلمونه فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اى قد مكثت واقمت بينكم دهرا طويلا من قبل انزال
القران لم اقراه عليكم ولا ادعيت نبوة حتى اكرمنى الله تعالى به افلا تعقلون اى افلا تتفكرون فيه بعقولكم فتعلموا ان المصلحة فيما
انزله الله تعالى دون ما تقترحونه قال على بن عيسى العقل هو العلم الذى يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغايب والناس يتفاضلون
فيه بالامر المتفاوت فبعضهم اعقل من بعض اذا كان اقدر على الاستدلال من بعض فمن اظلم ممن افترى على الله اى لا احد اظلم ممن اخترع
على الله كذبا انه لا يفلح المجرمون اى المشركون عن الحسن فان قيل ليس من ادعى الربوبية اعظم ظلما من المدعى للنبوة قلنا ان المراد
بقوله من افترى على الله كذبا من كفر بالله تعالى فقد دخل فيه من ادعى الربوبية وغيره من انواع الكفار فكانه قال لا احد اظلم من
الكافر قوله عز وجل وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ
قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّٰهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً
فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ
لِلّٰهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ثلث ايات **القراءة** قرا تشركون بالتاء اهل الكوفة غير عاصم وكذلك في النحل في موضعين وفي
الروم والباقون كل ذلك بالياء **الحجة** من قرا بالتاء فلقوله اتنبئون الله ومن قرا بالياء احتمل وجهين احدهما على قل كانه قيل له
قل انت سبحانه وتعالى عما يشركون والوجه الاخر ان يكون سبحانه نزه نفسه عما افتروه فقال ذلك **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم اى ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التى لا تضرهم ان تركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها
فان قيل كيف ذمهم على عبادة الصنم الذى لا ينفع ولا يضر مع انه لو نفع وضر لكان لا يجوز ايضا عبادته قلنا عبادة من لا يقدر على
اصول النعم وان قدر على النفع والضر اذا كان قبيحا فمن لا يقدر على النفع والضر اصلا من الجماد يكون عبادته اقبح واشنع فلذلك
خصه بالذكر ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا انا نعبد هذه الاصنام لتشفع لنا عند الله

وقيل

العلم والخاتم والتابل

فلا يخافون عذابا بايدهم

اوكذب بآياتهم

وقيل معناه هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لاصلاح معاشنا عن الحسن قال لانهم كانوا لا يقرون بالبعث بدلالة قوله واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وتوهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله سبحانه من قصد تعالى بالعبادة فجمعوا بين قبح القول وقبح الفعل
وقبح التوهم وان الله اذن لهم في عبادتها وانه سيشفعها فينا في الاخرة قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض امر سبحانه
نبيه عليه السلام ان يقول لهم على وجه الالزام اتخبرون الله بما لا يعلم من عبادة الاصنام وكونها شافعة لان ذلك لو كان صحيحا لكان الله
تعالى به عالما ففي نفى علمه بذلك نفى المعلوم ومعناه انه ليس في السموات ولا في الارض اله غير الله ولا احد يشفع لكم يوم القيمة وقيل
معناه اتخبرون الله شريكا او شفيعا لا يعلم شيئا كما قال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا
فلذلك وصفهم بانهم لا يعلمون في السموات والارض شيئا سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزه الله تعالى عن ان يكون له شريك في
العبادة وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فيه اقوال احدها ان الناس كانوا جميعا على الحق وعلى دين واحد فاختلفوا
في الدين الذى كانوا مجتمعين عليه ثم قيل انهم اختلفوا في عهد آدم وولده عن ابن عباس والسدى ومجاهد والجبائي وابى مسلم
ومتى اختلفوا قيل عند قتل احد ابنيه اخاه وقيل اختلفوا بعد موت آدم عليه السلام لانهم كانوا على شرع واحد ودين واحد الى زمن نوح
وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا عن ابى روق وقيل كانوا على ملة الاسلام من لدن ابرهيم الى ان غيره عمرو بن لحى وهو اول من غير
دين ابرهيم وعبد الصنم في العرب عن عطا ويدل على صحة هذه الاقوال قراءة عبد الله وما كان الناس الا امة واحدة على هدى
فاختلفوا عنه وثانيها ان الناس كانوا امة واحدة مجتمعة على الشرك والكفر عن ابن عباس والحسن والكلبى وجماعة ثم اختلف
هؤلاء فقيل كانت امة كافرة على عهد ابرهيم ثم اختلفوا فتفرقوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر عن الكلبى وقيل كانت كذلك منذ وفاة
آدم الى زمن نوح عليه السلام عن الحسن وقيل اراد به العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي عليه السلام فانهم كانوا مشركين الى ان بعث
النبي صلى الله عليه وآله فآمن به قوم وبقى آخرون على الشرك وسئل على هذا فقيل كيف يجوز ان يطبق اهل عصر على الكفر حتى لا يوجد
مؤمن يشهد عليهم والله تعالى يقول فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد واجيبوا عن ذلك بانه يجوز ان يكون اهل كل عصر وان لم
يخلوا من مؤمنين يشهدون عليهم فربما يقلون في عصر وانما يتبع الاسم الاعم وعلى هذا يقال دار الاسلام ودار الكفر وفي تفسير الحسن
ما كان الناس الى مبعث نوح الا ملة كافرة الا الخاصة فان الارض لا تخلو من ان يكون لله تعالى فيها حجة وثالثها ان الناس
كانوا خلقوا على فطرة الاسلام ثم اختلفوا في الاديان ولولا كلمة سبقت من ربك من انه لا يعاجل العصاة بالعقوبة انعاما عليهم
في التانى بهم لقضى بينهم اى فصل بينهم فيما فيه يختلفون بان يهلك العصاة وينجى المؤمنين لكنه اخرهم الى يوم القيمة تفضلا منه اليهم وزيادة
في الانعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اى هلا انزل على محمد آية من ربه يضطر
الخلق الى المعرفة بصدقه فلا يحتاجوا معها الى النظر والاستدلال ولم يطلبوا معجزة تدل على صدقه لانه صلى الله عليه وآله قد
اتاهم المعجزات الدالة على نبوته اعلام يجيبهم الله الى ما التمسوه لان التكليف يمنع من الاضطرار الى المعرفة فان الغرض بالتكليف التعريض
للثواب ولو كانت المعرفة ضرورية لما استحقوا ثوابا فكان يكون ذلك ناقضا للغرض فقل انما الغيب لله معناه فقل يا محمد ان الله
يعلم الغيب ويعلم مصالح الامور قبل كونها وهو الله العالم لنفسه يعلم الاشياء قبل كونها وبعد كونها لا يخفى عليه خافية فيعلم ما
في انزاله صلاح فينزله ويعلم ما ليس في انزاله صلاح فلا ينزله ولذلك لا يفعل الآية التى اقترحتموها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن التدبير
فانتظروا اى فانتظروا عقاب الله بالقهر والقتل في الدنيا والعقاب في الاخرة انى معكم من المنتظرين لان الله تعالى وعدنى النصرة
عليكم وقيل معناه فانتظروا اذلال الكافرين فانى منتظر اعزاز المؤمنين قوله عز وجل وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ
ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللّٰهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا
كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ
دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثلث ايات **القراءة** قرا روح وزيد

زمن

لقضى بينهم

صلاح فلا ينزله

عن يعقوب وسهل يمكرون بالياء والباقون بالتاء وقرا ابو جعفر وابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر والباقون يسيركم بالسين
والياء من التسيير وقرا حفص وحده متاع بالنصب والباقون بالرفع الحجة من قرا يمكرون بالياء فلقوله اذا لهم مكر في اياتنا ومن
قرا بالتاء فللخطاب اى قل لهم يا محمد ان رسل الله يكتبون ما تمكرون ومن قرا يسيركم يقويه قوله فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه
وقوله قل سيروا في الارض ويقال اسار الدابة وسيّرته قال فلا تجزعن من سنة انت سرتها وقال لبيد ضيا حويلة ان يبق تجزيرا وقد
يقبل الضيم الذليل المسيّر ومن قرا ينشركم فحجته قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقوله وما يبث فيهما من دابة والبث التفريق والنشر
في المعنى واما متاع الحيوة الدنيا فقال الزجاج من رفع فعلى وجهين احدهما ان يكون متاع الحيوة الدنيا خبرا لقوله بغيكم والاخر ان
يكون خبر المبتداء على انفسكم ومتاع الحيوة على اضمار هو ومن نصب فعلى المصدر اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقال ابو على قوله على
انفسكم يحتمل تاويلين احدهما ان يكون متعلقا بالمصدر لان فعله يتعدى بهذا الحرف الا ترى الى قوله بغى بعضنا على بعض وثم بغى
عليه واذا كان الجار صلة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا فيكون معناه بغى بعضكم على بعض متاع في الدنيا وليس مما يقرب الى
الله ويجوز ان يكون على متعلقا بمحذوف فيكون خبر المصدر وفيه ذكر يعود اليه فيكون كقولك الصلوة في المسجد ويكون المصدر مضافا
الى الفاعل ومفعوله محذوفا والمعنى انما بغى بعضكم على بعض عائد على انفسكم ويكون كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومن نصب
احتمل النصب وجهين احدهما ان يكون على من صلة المصدر ويكون الناصب لمتاع هو المصدر الذى هو البغى ويكون خبر المبتداء محذوفا
وحسن حذفه لطول الكلام ولان بغيكم يدل على تبغون فيحسن الحذف لذلك وهذا الخبر لو اظهرته لكان يكون مكروه او مذموم او منهى عنه
ونحو ذلك والاخر ان يكون على انفسكم خبر المبتداء فيكون متاع منصوبا على وجهين احدهما يتمتعون متاعا فيدل انتصاب المصدر عليه والا
ان تضمر تبغون لان ما يجرى مجرى ذكره قد تقدم كانه لو اظهره لكان تبغون متاع الحيوة الدنيا فيكون مفعولا له ولا يجوز ان يتعلق المصدر بالمصدر
في قوله انما بغيكم وقد جعلت على خبرا لقوله انما بغيكم لفصلك بين الصلة والموصول اللغة التسيير التحريك في جهة تمتد كالسير الممتد
والبر الارض الواسعة التى تقطع من بلد الى بلد ومنه البر لاتساع الخير به والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه والفلك
السفن وسميت فلكا لدورها في الماء واصله الدور ومنه فلكة المغزل وتفلك ثدى الجارية اذا استدار والفلك يكون جمعا
وواحدا وهو ههنا جمع والعاصف الريح الشديدة وعصفت الريح فهى عاصف وعاصفة قال حتى اذا عصفت ريح مزعزعة فيها قطار
ورعد صوته زجل الاعراب جواب اذا الاولى اذا الثانية وانما جعل اذا جوابا للكون بمعنى الجملة لما فيها من معنى المفاجاة وهى ظرف
مكان وهو كقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون ومعناه ان تصبهم سيئة قنطوا واذا اذقنا الناس رحمة مكروا و
جرين بهم ابتداء الكلام خطاب وبعد ذلك اخبار عن غايب لان كل من اقام الغايب مقام من يخاطبه جاز له ان يرده الى الغايب قال
كثير اسيئ بنا او احسنى لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت وقال عنترة شطت مزار العاشقين فاصبحت عسرا على طلابك
ابنة مخرم وقوله فلما انجاهم اذا هم يبغون المعنى فلما انجاهم بغوا المعنى ثم اخبر سبحانه عن ذميم فعالهم فقال واذا اذقنا الناس
رحمة يريد بالناس الكفار فهو عموم يراد به الخصوص من بعد ضراء مستهم اى راحة ورخاء بعد شدة وبلاء وحقيقة الذوق انما
يكون فيما له طعم يوجد طعمه بالفم وانما قال اذقناهم الرحمة على طريق البلاغة لشدة ادراك الحاسة اياها اذا لهم مكر في اياتنا اى
فهم يحتالون لدفع اياتنا بكل ما يجدون السبيل اليه من شبهة او تخليط في مناظرة او غير ذلك من الامور الفاسدة وقال مجاهد
مكرهم استهزاؤهم وتكذيبهم قل يا محمد الله اسرع مكرا اى اقدر جزاء على المكر ومعناه ان ما ياتيهم من العقاب اسرع مما اتوه من المكر اى
اوقع في حقه وقيل ان مكره سبحانه انزاله العقوبة بهم من حيث لا يشعرون ان رسلنا يعنى الملائكة الحفظة يكتبون ما تمكرون
اى ما تدبرون من سوء التدبير وفى هذا غاية الزجر والتهديد من وجهين احدهما انه يحفظ مكرهم والاخر انه اقدر على جزائهم واسرع
فيه ثم امتن الله سبحانه على خلقه بان عدد نعمه التى يفعلها بهم في كل حال فقال هو الذى يسيركم في البر والبحر اى يمكنكم من السير في
البر والبحر بما هيا لكم من الات السير وهى حمل الدواب وتسخير ما لكم لتركبوها في البر وتحملوا عليها اثقالكم وهى السفن في البحر و
ارسال الريح المختلفة التى تجرى بالسفن في الجهات المختلفة حتى اذا كنتم في الفلك خص الخطاب براكب البحر اى اذا كنتم راكبى السفن

في البحر وجرين بهم اى وجرت السفن بالناس لما ركبوها عدل عن الخطاب الى الاخبار عن الغايب تصرفا في الكلام على انه يجوز ان
يكون خطابا لمن كان في تلك الحال واخبارا لغيرهم من الناس بريح طيبة اى بريح لينة تستطيبونها وفرحوا بها اى سروا بتلك الريح
لانها تبلغهم مقصودهم عن ابى مسلم وقيل خرجوا بالسفينة حيث حملتهم وامتعتهم جاءتها ريح عاصف اى جاءت السفينة ريح عاصف
شديدة الهبوب هايلة وجاءهم الموج من كل مكان من البحر والموج اضطراب البحر ومعناه وجاء راكبى البحر الامواج العظيمة من جميع
الوجوه وظنوا انهم احيط بهم اى وايقنوا انهم دنوا من الهلاك وقيل غلب على ظنهم انهم سيهلكون لما احاط بهم من الامواج دعوا الله
عند هذه الشدايد والاهوال والتجاوا اليه ليكشف ذلك عنهم مخلصين له الدين اى على وجه الاخلاص في الاعتقاد ولم يذكروا
الاوثان والاصنام لعلمهم بانها لا تنفعهم ههنا شيئا وقالوا لئن انجيتنا يا رب من هذه الشدايد لنكونن من الشاكرين اى من جملة من
يشكرك على نعمك وقوله جاءتها ريح عاصف جواب قوله اذا كنتم في الفلك وقوله دعوا الله جواب قوله وظنوا انهم احيط بهم فلما
انجاهم اى خلصهم الله تعالى من تلك المحن اذا هم يبغون في الارض بغير الحق اى يعملون فيها بالمعاصى والفساد ويشتغلون بالظلم
على الانبياء وعلى المسلمين يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا اى بغى بعضكم على بعض وما ينالونه به متاع في الدنيا و
انما تاثيره لحبكم العاجلة وايثارها على ما يقرب الى الله تعالى من الطاعات وقد عرينا نه قبل ثم الينا مرجعكم في الاخرة فننبئكم بما كنتم
تعملون اى نخبركم باعمالكم لانا اثبتناها عليكم وهى كلمة تهديد ووعيد النظم قيل انما اتصل قوله هو الذى يسيركم الاية بما قبله لانه
تفسير لبعض ما اجمل في الاية المتقدمة التى هى قوله واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم عن ابى مسلم وقيل انه يتصل بما
تقدم في السورة من دلايل التوحيد فكانه قال الهكم الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهو الذى يسيركم قوله عز وجل **انما
مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس
كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلم ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم** ايتان القراءة
وفى الشواذ قراءة الاعرج والشعبى وابى العالية ونصر بن عاصم والحسن بخلاف وازينت وقراءة ابى عثمان النهدى وازيانت الحجة
اما ازينت فاصله تزينت فادغمت التاء في الزاء وسكنت الزاء فاجتلبت لها الف الوصل واما ازينت فانه على افعلت اى جاءت
بالزينة وازينت اجود في العربية لان ازينت الاجود فيه ازانت مثل اقال واباع واما ازيانت فوزنه افعالت واصله ازيانت
مثل ادهامت واسوادت الا انه كره التقاء الساكنين فحرك الالف فانقلبت همزة كقول كثير وللارض اما سودها فتجللت
بياضا واما بيضها فادهامت اللغة الزخرف كمال حسن الشيء ويقال زخرفه اى حسنه ومنه زخرفت الجنة لاهلها اى زينت
بحسن الالوان وغنى بالمكان اقام به والمغانى المنازل قال لنا بعد غنينا بذلك اذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد في الدعاء طلب
الفعل بما يقع لاجله والداعى الى الفعل خلاف الصارف عنه والفرق بين الدعاء والامر ان في الامر ترغيبا في الفعل وزجرا
عن تركه وله صيغة تنبئ عنه وليس كذلك الدعاء وكلاهما طلب وايضا فان الامر يقتضى ان يكون المامور دون الامر في الرتبة
والدعاء يقتضى ان يكون فوقه المعنى لما تقدم ما يوجب الترغيب في الاخرة والتزهيد في الدنيا عقبه سبحانه بذكر صفة الدارين
فقال انما مثل الحيوة الدنيا اى صفة الحيوة الدنيا او شبه الحيوة الدنيا في سرعة فنائها وزوالها كماء انزلناه من السماء وهو المطر
فاختلط به اى بذلك المطر نبات الارض لان المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به وقيل معناه فاختلط بسببه بعض النبات بالبعض
فاختلط ما ياكل الناس بما ياكل الانعام وما يقتات بما يتفكه ثم فصل ذلك فقال مما ياكل الناس كالحبوب والثمار والبقول
والانعام كالحشيش وساير انواع المراعى وقد قيل في المشبه والمشبه به في الاية اقوال احدها انه تعالى شبه الحيوة الدنيا بالماء
فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع وثانيها انه شبهها بالنبات على ما وصفه من الاغترار به ثم المصير الى الزوال عن الجبائي و
ابى مسلم وثالثها انه تعالى شبه الحياة الدنيا بحيوة مقدرة على هذه الاوصاف حتى اذا اخذت الارض زخرفها اى حسنها وبهجتها
بانواع الالوان واجناس النبات وغير ذلك وازينت اى تزينت في عين رائيها وظن اهلها اى ملاكها انهم قادرون عليها

النهدى ه‍ د

اى على الانتفاع بها ومعناه بلغت المبلغ الذى ظن اهلها انهم يحصدونها ويقدرون على غلتها او اوان استها اتاها امرنا ليلا او نهارا
اى اتاها عذابنا من برد او برد وقيل معناه اتاها حكمنا وقضاؤنا باهلاكها واتلافها فجعلناها حصيدا اى محصودة ومعناها
مقطوعة مقلوعة ذاهبة يابسة كان لم تغن بالامس اى كان لم تقم على تلك الصفة بالامس معناه كان لم تكن ولم توجد من قبل
كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون اى مثل ذلك نبين الايات لقوم يتفكرون فيها فيعتبرون بها ولما بين سبحانه ان الدنيا تنقطع
وتفنى بالموت كما يفنى هذا النبات بفنون الافات ونبه على التوقع لزوالها والتحرز عن الاغترار بها والرغب عقيبه فى الاخرة فقال
والله يدعوا الى دار السلام قيل ان السلام هو الله جل وعز فالله يدعو الى داره وداره الجنة عن الحسن وقيل دار السلم الدار التى
يسلم فيها من الافات عن الجبائى والسلام والسلامة واحد مثل الرضاع والرضاعة قال تحيا بالسلامة ام بكر وهل لك بعد رهطك
من سلام وقيل سميت الجنة دار السلام لان اهلها تسلم بعضهم على بعض والملائكة تسلم عليهم ويسلم ربهم عليه فلا يسمعون الا سلاما
ولا يرون الا السلامة ويعضده قوله وتحيتهم فيها سلام وما اشبهه ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم قيل يهدى من يشاء الى الايمان
والدين الحق بالتوفيق والتيسير والالطاف وقال الجبائى يريد به نصب الادلة لجميع المكلفين دون الاطفال والمجانين وقيل
معناه يهدى من يشاء فى الاخرة الى طريق الجنة الذى يسلكه المومنون ويعدل عند الكافرون الى النار قوله عز وجل للذين
احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا
السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ايتان القراءة قرا ابن كثير والكسائى ويعقوب وسهل قطعا ساكنة الطاء
والباقون قطعا بفتحها الحجة القطع جمع قطعة من الليل والقطع الجزء من الليل الذى فيه ظلمة اللغة الرهق لحاق الامر ومنه راهق
الغلام اذا لحق بالرجال ورهقه فى الحرب ادركه قال الازهرى الرهق اسم من الارهاق وهو ان يحمل الانسان على ما لا يطيقه ومنه
سارهقه صعودا والكسب اجتلاب النفع والجزاء المكافاة والقتر الغبار والقترة الغبرة والقتار الدخان ومنه الاقتار فى المعيشة
الاعراب جزاء سيئة فى ارتفاعه وجهان احدهما ان يكون مبتداء وخبره بمثلها على زيادة الباء فى قول ابى الحسن لانه وجد
فى مكان اخر وجزاء سيئة سيئة مثلها ويجوز ان يكون الباء متعلقة بخبر محذوف تقديره جزاء سيئة كاين بمثلها كما تقول
انما انا بك وامرى بيدك وما اشبه ذلك والاخر ان يكون فاعلا باضمار فعل تقديره استقر لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف
استقر فبقى لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف لهم لدلالة الكلام على ان هذا مستقر لهم ويجوز ان يكون جزاء سيئة مبتدا والخبر
محذوف تقديره لهم جزاء سيئة بمثلها او جزاء سيئة بمثلها كاين هذا قد اجازه ابو الفتح وقوله ترهقهم عطف على كسبوا وجاز
ان يفصل بينهما بقوله جزاء سيئة بمثلها لانه من الاعتراض الذى يبين الاول ويسدده ويثبته وقوله مظلما قال ابو على ان
اجريته على قطع ساكنة الطاء فيحتمل نصبه وجهين احدهما ان يكون صفة لقطع على قياس قوله وهذا كتاب انزلناه مبارك فوصف
الكتاب بالمفرد بعد ما وصفه بالجملة واجريته على النكرة والاخر ان يكون حالا من الذكر الذى فى الظرف يعنى قوله من
الليل وان اجريته على قطع مفتوحة الطاء لم يكن صفة له ولا حالا من الذكر الذى فى قوله من الليل ولكن يكون حالا من الليل
والعامل فى الحال ما يتعلق به من الليل وهو الفعل المختزل ومثل ذلك فى ارادة الوصف بالسواد قول الشاعر ودوية مثل السماء
اعتقتها وقد صبغ الليل الحصى بسواد اى سودتها الظلمة وقال غيره يجوز ان يكون مظلما صفة لقطع على قول الشاعر لو ان مدحة
حى منشر احدا احيا اباكن يا ليلى الاماديح المعنى ثم بين سبحانه اهل دار السلام فقال للذين احسنوا الحسنى ومعناه للذين
احسنوا العمل واطاعوا الله تعالى فى الدنيا جزاؤهم على ذلك الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهى الحالة الجامعة للذات والنعيم
على اكمل ما يكون وافضل ما يمكن وهى تانيث الاحسن وزيادة ذكر فى ذلك وجوه احدها ان الحسنى الثواب المستحق والزيادة
التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب وهى المضاعفة المذكورة فى قوله فله عشر امثالها عن ابن عباس والحسن ومجاهد
وقتادة وثانيها الزيادة هى ان ما اعطاهم الله تعالى من النعيم فى الدنيا لا يحاسبهم به فى الاخرة عن ابى جعفر الباقر عليه السلام و

اعتقنقتها

ثالثها

ثالثها ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب عن على عليه السلام وقيل الزيادة ما ياتيهم فى كل وقت من فضل الله
مجددا ورابعها ان الزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى روى ذلك عن ابى بكر وابى موسى الاشعرى وغيرهما وقد بين الله سبحانه
الزيادة فى موضع اخر بقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ولا يرهق وجوههم سواد عن ابن عباس وقتادة وقيل غبار
ولا ذلة اى هوان وقيل كابة وكسوف عن قتادة وروى الفضيل بن يسار عن ابى جعفر الباقر عليه قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله ما من عين ترقرقت بمائها الا حرم الله ذلك الجسد على النار فان فاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مر معناه والذين كسبوا السيئات اى اكتسبوها وارتكبوها جزاء سيئة بمثلها اى لهم جزاء السيئة
بمثلها يعنى يجزون مثل اعمالهم اى قدر ما يستحق عليها من غير زيادة لان الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة
على قدر ما استحق من الثواب لان ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء فالمثل هنا قدر المستحق من غير زيادة ولا نقصان وترهقهم ذلة اى
يلحقهم هوان وذل لان العقاب يقارنه الاهانة والاذلال ما لهم من الله من عاصم اى ما لهم من حافظ ومانع يدفع عقاب الله
عنهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اى كانما البست وجوههم ظلمة الليل والمراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر المراد قوله عز وجل ويوم نحشرهم
جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا
يفترون ثلث ايات القراءة قرا تتلوا بالتاء اهل الكوفة غير عاصم وروح وزيد عن يعقوب والباقون تبلوا بالباء الحجة قال
ابو على من قرا تبلوا فمعناه تختبر من قولهم البلاء ثم الثناء اى الاختبار للمثنى عليه ينبغى ان يكون قبل الثناء ليكون الثناء عن علم
بما يوجبه ومعنى اختبارها ما اسلفت انه ان قدم خيرا او شرا جوزى عليه كما قال فمن يعمل مثقال ذرة الى اخره ومن عمل
صالحا فلنفسه وغير ذلك من الاى ومن قرا تتلوا فانه من التلاوة التى هى القراءة دليله قوله فاولئك يقرؤن كتابهم وقوله
اقرا كتابك ويكون تتلوا تتبع من قولهم تلى الفريضة النفل اذا اتبعها النفل قال على ظهر عادى كان ادومه رجال يتلون الصلوة
قيام فيكون المعنى يتبع كل نفس ما اسلفت من حسنة او سيئة قال قد جعلت دلوى تستتليني ولا احب تبع القرين اى تستتبعنى
من ثقلها اللغة التزييل التفريق ماخوذ من قولهم زلت الشىء عن مكانه ازيله وزيلته للكثرة من هذا اذا نحيته عن مكانه
وزايلت فلانا اذا فارقته هنالك اى فى ذلك المكان وهو ظرف فهنا للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما قال زهير هنالك
ان يستخبلوا المال يخبلوا وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا والاسلاف تقديم امر لما بعده فمن اسلف الطاعة الله جزى بالثواب
ومن اسلف المعصية جزى بالعقاب الاعراب جميعا نصب على الحال ومكانكم قال الزجاج هو منصوب على الامر والمعنى انتظروا مكانكم
حتى يفصل بينكم والعرب تتوعد فتقول مكانك وانتظرنى فهى كلمة جرت على الوعيد واقول ان الصحيح عند المحققين ان مكانك و
دونك من اسماء الافعال فيكون مكانكم ههنا اسما لالزموا مبنيا على الفتح وليس بمنصوب نصب الظروف وكم لا محل له من الاعراب
اذ هو حرف الخطاب وانتم رفع تاكيدا للضمير فى مكانكم وشركاؤكم عطف عليه وهذا كما يقول فى قولهم عليك زيدا ان الكاف
حرف الخطاب لا محل له من الاعراب وعلى هذا اسم للفعل ليس بحرف وكفى بالله شهيدا قال الزجاج شهيدا على التمييز ان شئت وان شئت
على الحال ان كنا ان بمنزلة ما النفى اى ما كنا عن عبادتكم الا غافلين قاله الزجاج واقول الصحيح ان ان هذه هى المخففة من الثقيلة
واذا كانت مخففة من الثقيلة تلزمها اللام للفرق بينها وبين النافية والتقدير انا كنا عن عبادتكم غافلين وهنالك منصوب
بتبلوا الا انه غير متمكن واللام زايدة كسرت لالتقاء الساكنين المعنى ولما تقدم ذكر الجزاء بين سبحانه وقت الجزاء فقال ويوم نحشرهم جميعا
اى نحشر الخلايق اجمعين اى نجمعهم من كل اوب الى الموقف ثم نقول للذين اشركوا فى عبادتهم مع الله غيره وفى اموالهم فقالوا هذا لله
وهذا لشركائنا مكانكم انتم وشركاؤكم اى اثبتوا والزموا مكانكم انتم مع شركائكم يعنى الاوثان فقد صحبتموهم فى الدنيا فاصحبوهم فى
المحشر وقيل معناه اثبتوا حتى قالوا كقوله وقفوهم انهم مسئولون فزيلنا بينهم اى ميزنا وفرقنا بينهم فى المسئلة فسالنا المشركين على حدة

يقال لنا الاصنام

لم عبدتم الاصنام على حدة لم عبدتم و باى سبب عبدتم و هذا سوال تقريع و تبكيت عن الحسن ومثله واذا الموءودة سئلت باى ذنب
قتلت وقيل معناه فزيلنا بينهم وبين الاوثان فتبرأ منهم الشركاء وانقطعت اسبابهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون اى
اى يحييهم الله وينطقهم فقالوا اما كنا نشعر بانكم ايانا تعبدون عن مجاهد وقيل ان شركاءهم من كانوا يعبدونهم من الشياطين وقيل
هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وقيل في كيفية جحدهم لعبادتهم اياهم قولان احدهما انهم يقولون ذلك على وجه
اهانتهم بالرد عليهم اى ما اعتددنا بذلك لكم والاخر ان المراد انكم لم تعبدونا بامرنا ودعائنا ولم يريدوا انهم لم يعبدوهم اصلا لان ذلك
كذب لا يجوز ان يقع في الاخرة لكونهم ملجئين الى ترك القبيح عن الجبائي وهذه الاية نظير قوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا الاية فكفى بالله شهيدا اى فاصلا للحكم بيننا وبينكم ايها المشركون ان كنا عن عبادتكم لغافلين مر معناه وهذا اذا كان المراد
الملائكة فانهم عما ادعوه غافلون لانهم لم يشعروا بذلك ولا امروا به وان كان المراد الاصنام فلم يكن لها حس ولا علم وهذا غاية
في الزام الحجة حيث اختاروا للعبادة من لم يدعهم اليها ولم يشعر بها هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت اى في ذلك المكان وفي تلك
الحال وفي ذلك الوقت تختبر وتعلم كل نفس ما قدمت من خير او شر وترى جزاءه وعلى القراءة بالتاء معناه تقرأ كل نفس
كتاب عملها او تتبع كل نفس جزاء عملها وجزاء ما قدمته وردوا الى الله مولاهم الحق اى وردوا الى جزاء الله والى الموضع الذي لا
يملك احد فيه الحكم الا الله الذي هو مالكهم وسيدهم وخالقهم والحق صفة لله تعالى وهو القديم الدائم الذي لا يفنى وما سواه يبطل
وقيل الحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصلا له على الحقيقة فالله جل جلاله هو الحق لان معنى الالهية حاصل له على الحقيقة وضل عنهم
ما كانوا يفترون اى بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعونه بافترائهم من الشركاء مع الله تعالى قوله عز وجل قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ
اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى
الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ثلث ايات القراءة قرأ اهل المدينة وابن عامر كلمات ههنا وفي اخرها على الجمع وكذلك في سورة
المومن والباقون على التوحيد الحجة قال ابو علي من قرأ على التوحيد احتمل وجهين احدهما ان يكون جعل ما اوعد به الفاسقون
كلمة وان كانت في الحقيقة كلمات لانهم قد يسمون القصيدة كلمة والخطبة كلمة والاخر ان يكون كلمة ربك التي يراد بها الجنس
قد اوقعت على بعض الجنس كما اوقع اسم الجنس على بعضه في قوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وقول الشاعر ببطن شريان
يعوي عنده الذئب فاما من جمع فانه جعل الكلم التي اوعدوا بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كلمات وكلاهما وجه الاعراب
كذلك حقت الكاف في موضع نصب اى مثل فعالهم جازاهم ربك وقوله انهم لا يومنون يجوز ان يكون على تقدير حقت عليهم
الكلمة لانهم لا يومنون ويكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب المعنى ثم قرر سبحانه ادلة التوحيد والبعث عليهم فقال قل
يا محمد لهؤلاء الكفار من يرزقكم اى من يخلق لكم الارزاق من السماء بانزال المطر والغيث ومن الارض باخراج النبات وانواع الثمار
والرزق في اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجند الا ان كل رزق فان الله هو الرازق به لانه لو لم يطلقه على
يد ذلك الانسان لم يجئ منه شيء فلا يطلق اسم الرزاق الا على الله سبحانه ويقيد في غيره كما لا يطلق اسم الرب الا عليه سبحانه
~~ويقيد في غيره كما لا يطلق اسم الرب الا عليه سبحانه~~ ويقيد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز ان يخلق الله
حيوانا يريد تبقيته الا ويرزقه لانه اذا اراد بقاءه فلا بد له من الغذاء ام من يملك السمع والابصار معناه ام من يملك ان يعطيكم
الاسماع والابصار فيقويها وينورها ولو شاء لسلب نورها وحسها ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قيل معناه ومن يخرج الانسان
من النطفة والنطفة من الانسان وقيل معناه ومن يخرج الحيوان من بطن امه اذا ماتت امه ويخرج غير التام ولا البالغ حد الكمال
من الحي وقيل معناه ومن يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن ومن يدبر الامر اى ومن الذي يدبر جميع الامور في السماء والارض
على ما توجبه الحكمة فسيقولون الله اى فسيعترفون بان الله تعالى يفعل هذه الاشياء وان الاصنام لا تقدر عليها فقل افلا تتقون اى
لهم عند اعترافهم بذلك افلا تتقون عقابه في عبادة الاصنام وفي الاية دلالة على التوحيد وعلى حسن المحاجة في الدين لانه سبحانه حاج بها

الذى

بدل من الكاف اى حق عليهم انهم لا يؤمنون م

المشركين وفيها دلالة على انهم كانوا يقرون بالخالق وان كانوا مشركين فان جمهور العقلاء يقرون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة
الفلاسفة ومن اقر بالصانع على هذا صنفان موحد يعتقد ان الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ومشرك وهم ضربان فضرب جعلوا
لله شريكا في ملكه يضاده ويناويه وهم الثنوية والمجوس ثم اختلفوا فمنهم من يثبت لله شريكا قديما كالمانوية ومنهم من يثبت لله شريكا
محدثا كالمجوس وضرب اخر لا يجعل لله تعالى شريكا في حكمه وملكه ولكن يجعل له شريكا في العبادة يكون متوسطا بينه وبين الصانع وهم
اصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فمنهم من جعل الوسايط من الاجسام العلوية كالنجوم والشمس والقمر ومنهم من جعل المتوسط من الاجسام
السفلية كالاصنام ونحوها تعالى الله عما يقول الزايغون عن سبيله علوا كبيرا فذلكم الله ذلك اشارة الى اسم الله وصفته في الاية الاولى
بانه الذي يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي والكاف والميم للمخاطبين وهم جميع الخلق اخبر سبحانه ان الذي
يفعل هذه الاشياء ربكم الحق الذي خلقكم ومعبودكم الذي له معنى الالهية ويحق له العبادة دون غيره من الاصنام والاوثان
فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام يراد به التقرير على موضع الحجة اذ لا يجد المجيب محيدا عن الاقرار به الا بذكر ما لا يلتفت اليه
والمراد به ليس بعد الذهاب عن الحق الا الوقوع في الضلال لانه ليس بينهما واسطة فاذا ثبت ان عبادته هو الحق ثبت ان عبادة
ما سواه باطل وضلال فانى تصرفون اى فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على انه لا معبود سواه كذلك حقت كلمة
ربك على الذين فسقوا انهم لا يومنون معناه ان الوعيد من الله تعالى للكفار بالنار في الصحة كالقول بانه ليس بعد الحق الا الضلال
وقيل ان معناه مثل انصرافهم عن الايمان وجبت العقوبة لهم اى جازاهم ربهم بمثل ما فعلوا من الانصراف وهذا في قوم علم الله تعالى
انهم لا يومنون ومعناه سبق علم ربك في هؤلاء انهم لا يومنون وقيل معنى قوله انهم لا يومنون بانهم لا يومنون اى لانهم لا يومنون وجبت
العقوبة عليهم لذلك قوله عز وجل قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي
إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ
إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ثلث ايات القراءة قرأ اهل الكوفة غير عاصم امن لا يهدي ساكنة
الهاء خفيفة الدال وقرأ اهل المدينة غير ورش يهدي ساكنة الهاء مشددة الدال وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن عامر وروح وزيد
عن يعقوب يهدي بفتح الهاء والياء وتشديد الدال الا ان ابا عمرو اشار الى فتحة الهاء من غير اشباع وقرأ عاصم غير حماد ويحيى
ورويس عن يعقوب يهدي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى عن ابي بكر عن عاصم يهدي بكسر الهاء والياء والتشديد الحجة
قوله يهدي ويهدي اصل جميعها يهتدي يفتعل وان اختلفت الفاظها ادغموا التاء في الدال لمقاربتها لها فانهما من حيز واحد
ثم اختلفوا في تحريك الهاء فمن قرأ يهدي القى حركة الحرف المدغم وهو التاء على الهاء ومن قرأ يهدي بكسر الهاء فانه حرك الهاء بالكسر
لالتقاء الساكنين ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين ومن اشم هذا ولم يسكن فالاشمام في حكم التحريك ومن كسر الياء مع الهاء
اتبع الياء ما بعدها من الكسرة وهو رديء لثقل الكسر في الياء الاعراب فما لكم كيف تحكمون ما مبتداء ولكم خبره وكيف
منصوب بقوله تحكمون لا يغني من الحق شيئا يجوز ان يكون قوله شيئا مفعول يغني ويجوز ان يكون في موضع مصدر اى لا يغني من
الحق غناء وكذا قيل في قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا قال هو مفعول تجزي وقالوا هو مصدر اى جزاء وكذا قوله ولا تشركوا
به شيئا قالوا هو مفعول تشركوا وقالوا هو مصدر اى لا تشركوا به اشراكا وكذا قوله يعبدونني لا يشركون بي شيئا المعنى ثم احتج
سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج اخر فقال قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده اى هل من
هذه الاصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة وقيل الذين جعلتموهم شركاء في اموالكم كما قال وهذا لشركائنا من
يبدأ الخلق بالانشاء بعد ان لم يكن وهو النشأة الاولى ثم يعيده في النشأة الثانية قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده معناه
فان قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه او سكتوا فقل انت لهم الله هو الذي يبدأ الخلق بان ينشئه على غير مثال ثم يفنيه
ثم يعيده يوم القيمة فانى تؤفكون اى كيف تصرفون عن الحق وتقلبون عن الايمان ثم استانف الحجاج فقال سبحانه
قل يا محمد هل من شركائكم من يهدي الى الحق اى هل من هذه الاصنام من يهدي الناس الى الرشد وما فيه

قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده م

ويهدّي ويهدّى م

الصلاح والنجاة والخير بلا له تنصبها وحجة تظهرها فلا بد من ان يجيبوا بلا فقل انت لهم الله هو الذي يهدي للحق الى الطريق
الرشاد يقال هديت الى الحق وهديت للحق بمعنى واحد افمن يهدي الى الحق معناه افمن يهدي غيره الى طريق التوحيد و
الرشد احق ان يتبع امره ونهيه ام من لا يهدي احدا الا ان يهدى او لا يهتدي هو الا ان يهدى والاصنام لا تهتدي
ولا تهدي احدا وان هديت لانها موات من حجارة ونحوها ولكن الكلام نزل على انها ان هديت اهتدت لانهم لما اتخذوها
الهة عبر عنها كما يعبر عمن يعقل ووصفت بصفة من يعقل وان لم يكن في الحقيقة كذلك الا ترى الى قوله سبحانه ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون وقوله ان الذين يدعون من دون
الله عباد امثالكم وانما هن اموات الا ترى انه قال فادعوهم فليستجيبوا لكم الهم ارجل يمشون بها الاية وكذلك
قوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم فاجرى عليه اللفظ كما يجرى على من يعلم وعلى هذا فقوله الا
ان يهدى الا بمنزلة حتى فكانه قال ام من لا يهتدي حتى يهدى ام من لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه
وان كان لو دل او علم لم يستدل ولم يعلم ولو هدي لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم وقلة تميزهم في تسويتهم
من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر العالم وقال البلخي لا يهدي ولا يهتدي بمعنى واحد يقال هديته فهدى اي اهتدى
وقيل ان المراد بذلك الملائكة والجن لانهم يهتدون اذا هدوا وقيل المراد به الرؤساء المضلون الذين يدعون الى
الكفر وقيل ان المعنى في قوله لا يهدي الا ان يهدى لا يتحرك الا ان يحرك ولا ينتقل الا ان ينقل كقول الشاعر حيث
يهدي ساقه قدمه اي يحمل وقيل معناه الا ان يركب الله فيه الة التميز والهداية ويرزقه فهما وعقلا وان هدي
حينئذ اهتدى فما لكم قال الزجاج هذا كلام تام كانه قال اي شيء لكم في عبادة من لا يضر ولا ينفع كيف تحكمون هذا تعجب
من حالهم اي كيف تقضون بان هذه الاصنام الهة وانها تستحق العبادة وقيل كيف تحكمون لانفسكم بما لا توجبه الحجة
ولا تشهد بصحته الادلة وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي ليس يتبع اكثر هؤلاء الكفار الا الظن الذي لا يجري شيئا من تقليد
ابائهم ورؤسائهم ان الظن لا يغني من الحق شيئا لان الحق انما ينتفع به من علمه حقا وعرفه صحيحة والظن يكون فيه تجويز ان
يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون مثل العلم ان الله عليم بما يفعلون من عبادة غير الله تعالى فيجازيهم عليه
وفيه ضرب من التهديد قوله عز وجل وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين
يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر
كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين اربع ايات اللغة
القران عبارة عن هذا الكلام الذي هو في اعلى طبقات البلاغة مع حسن النظام والجزالة والتفصيل والتقسيم والتميز في
نظائر وضد التلبيس والتخليط والسورة جملة منزلة محيطة بايات الله كاحاطة سور البناء بالبناء والاستطاعة حالة للحي
تطاع بها الجوارح للفعل وهي ماخوذة من الطوع والقدرة ماخوذة من القدر فهي معنى يمكن ان يوجد بها الفعل
وان لا يوجد لنقيضه وقدره عن ذلك المعنى الاعراب ما كان هذا القران ان يفترى اي لان يفترى ويجوز ان يكون
المعنى ما كان هذا القران افتراء فيكون مصدرا في موضع نصب بانه خبر كان وتصديق عطف عليه اي ولكن كان تصديق
الذي بين يديه ام يقولون ام هذه هي المنقطعة وتقديره بل ايقولون وكيف في موضع نصب على انه خبر كان المعنى
ثم رد الله سبحانه على الكفار قولهم ائت بقران غير هذا او بدله وقولهم ان النبي صلى الله عليه واله افترى هذا القران
فقال وما كان هذا القران ان يفترى اي افتراء من دون الله فاقام ان مع الفعل مقام المصدر بل هو وحي من الله
ومتلقى منه ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب كما قال في موضع اخر مصدقا لما بين يديه وهذه شهادة من الله تعالى
بان القران صدق وشاهد لما تقدم من التورية والانجيل والزبور بانها حق ومن وجه اخر هو شاهد لها من حيث انه

مصداق لما علي ما تقدمت البشارة به فيها وقيل معناه تصديق الذي بين يديه في المستقبل من البعث والنشور والحساب والجزاء وتفصيل
الكتاب اي تبيين المعاني المجملة في القران من الحلال والحرام والاحكام الشرعية وقيل معناه وبيان الادلة التي يحتاجون اليها
في امور دينكم لا ريب فيه من رب العالمين اي لا شك فيه انه نازل من عند الله وانه معجز لا يقدر احد على مثله وهذا غاية في التحدي
ام يقولون افتراه هذا تقرير على موضع الحجة بعد مضي حجة اخرى وتقديره بل ايقولون افتراه فالزمهم على هذا الاصل الفاسد امكان
ان ياتوا بمثله وقل لهم فاتوا بسورة مثله اي مثله في البلاغة لانكم من اهل لسانه فلو قدر على ذلك لقدرتم انتم ايضا عليه فاذا عجزتم
عن ذلك فاعلموا انه ليس من كلام البشر وانه منزل من عند الله عز اسمه وقيل بسورة مثله اي سورة مثل سورة منه وقال مثله
لانه انما التمس من هذا شبه الجنس وادعوا من استطعتم من دون الله اي وادعوا من قدرتم عليه من دون الله واستعينوا بهم
على المعارضة بسورة مثله ان كنتم صادقين في ان هذا القران مفترى من دون الله وهذا ايضا غاية في التحدي والتعجيز بل كذبوا
بما لم يحيطوا بعلمه اي كذبوا بما لم يعلموه من جميع وجوهه لان في القران ما يعلم المراد منه بدليل ويحتاج الى الفكر فيه او الى الرجوع
الى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل المتشابه والكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به وقيل معناه بل كذبوا بما لم
يحيطوا علما بكيفية نظمه وترتيبه وهذا كما ان الناس يعرفون الفاظ الشعر والخطب ومعانيها ولا يمكنهم ابداع مثلها لجهلهم بنظمها و
ترتيبها وقال الحسن معناه بل كذبوا بالقران من غير علم ببطلانه وقيل معناه بل كذبوا بما في القران من الجنة والنار والبعث و
الثواب والعقاب ولما ياتهم تاويله اي لم ياتهم بعد حقيقة ما وعد في الكتاب مما يؤول اليه امرهم من العقوبة وقيل معناه
ان في القران اشياء لم يعلموا معناها ولا يمكنهم معرفتها الا بالرجوع الى النبي صلى الله عليه واله فلم يرجعوا اليه وكذبوا به
فلم ياتهم تفسيره وتاويله فيكون معنى الاية بل كذبوا بما لم يدركوا علمه من القران ولم ياتهم تفسيره ولو راجعوا فيه رسول الله والعلماء
وروي عن ابي عبد الله عليه السلم انه قال ان الله تعالى خص هذه الامة بايتين من كتابه ان لا يقولوا الا ما يعلمون وان لا
يردوا ما لا يعلمون ثم قرا الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق الاية وقرا بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الاية و
قيل ان من هنا اخذ امير المؤمنين علي عليه السلم قوله الناس اعداء ما جهلوا واخذ قوله قيمة كل امرء ما يحسنه من قوله عز وجل
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم واخذ قوله تكلموا تعرفوا من قوله ولتعرفنهم في لحن
القول كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل تكذيب هؤلاء كذبت الامم السالفة رسلها فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين اي كما كان
عاقبة اولئك الهلاك كذلك يكون عاقبة هؤلاء ثم اخبر سبحانه ان من جملة هؤلاء الذين كذبوا بالقران ونسبوه الى الافترا
من سيؤمن به في المستقبل ويصدق بانه من عند الله ومنهم من يموت على الكفر وقال منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به اراد سبحانه
انه انما لا يهلكهم في الحال لما يعلم في تبقيتهم من الصلاح وقيل معناه وفيهم من يؤمن بالقران في نفسه ويعلم صحته الا انه يعاند و
يظهر من نفسه خلاف ما يعلمه ومنهم من هو شاك فيه فكانه قال ومنهم معاندون ومنهم شاكون وربك اعلم بالمفسدين اي
بمن يدوم على الفساد ويعلم من يتوب قوله عز وجل وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما
تعملون ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدي
العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون اربع ايات المعنى ثم خاطب الله
سبحانه نبيه صلى الله عليه واله فقال وان كذبوك يا محمد ولم يصدقوك وردوا عليك قولك فقل لهم لي عملي فان كنت
كاذبا فوباله علي ولكم عملكم اي ولكم جزاء عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون نظيره قوله قل يا ايها الكافرون الى اخر
السورة وهذا وعيد لهم من الله تعالى كقوله اعملوا على مكانتكم ونحوه وقيل ان هذه الاية منسوخة باية القتال وقيل انه لا تنافي
بين هذه الاية واية القتال لانها براءة ووعيد وذلك لا ينافي الجهاد ومنهم من يستمعون اليك معناه ومن جملة هؤلاء
الكفار من يستمع اليك يا محمد والاستماع طلب السمع فهم كانوا يطلبون السمع للرد لا للفهم فلذلك لزمهم الذم وانهم اذا سمعوا على
هذا الوجه كانهم صم لم يسمعوا حيث لم ينتفعوا به افانت تسمع الصم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه واله بانه لا يقدر على اسماع الصم

ولو كانوا لا يعقلون قال الزجاج معناه ولو كانوا جهالا وهذا مثل قول الشاعر اصم عما ساءه سميع ومنهم من ينظر اليك اى ومن جملتهم
من ينظر اليك يا محمد فلم يخبر بلفظ الجمع هنا لانه حمله بلفظ الجمع حملا على المعنى اى ينظر الى افعالك واقوالك لا نظر الحقيقة والعبرة
بل نظر العادة فلا ينتفع بنظره افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون اى فكما انك لا تقدر ان تبصر العمى فتنفعهم به كذلك لا تقدر
ان تنفع بما تاتى به من الادلة من ينظر اليها ولا يطلب الانتفاع بها وقوله افانت استفهام والمراد به النفى وقيل ان معنى الاية
ومنهم من يستمع الى كلامك استماع الطعن والتعنت وينظر الى ادلتك نظر الطاعن القادح فيها المكذب بها الراد عليها فلا تقدر
ان تنفعهم بمثل هذا الاستماع والنظر ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون قد تمدح سبحانه فى هذه الاية بانه لا
يظلم احدا من الناس شيئا بان ينقص من حسناتهم وجزاء طاعاتهم ولكنهم ينقصون انفسهم ويظلمونها بارتكاب ما نهى الله عنه من
القبايح والمعنى هنا ان الله تعالى لا يمنع احدا الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القران والادلة ولكنهم يظلمون انفسهم بترك النظر
فيه والاستدلال به ويفوتونها انفسهم الثواب وادخالهم عليها العقاب ففى الاية دلالة على انه سبحانه لا يفعل الظلم فبطل قول المجبرة
فى اضافة كل ظلم الى خلقه وارادته النظم قيل فى اتصال الاية الاولى بما قبلها انه سبحانه لما بين دلايل التوحيد والنبوة فعاندوا
وكذبوا امره فيما بعد بقطع العصمة عنهم والوعيد لهم واما الاية الاخيرة وهى قوله ان الله لا يظلم الناس شيئا فالوجه فى اتصالها
بما قبلها انها تتصل بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعنى انهم استحقوا ذلك الاهلاك والعذاب بافعالهم وما ظلمناهم
وقيل انها اتصلت بقوله ومنهم من يستمعون اليك ومنهم من ينظر فكانه قال ان الله لا يمنعهم الانتفاع بما كلفهم بل مكنهم وبين لهم وهداهم
وازاح عللهم ولكن ظلموا انفسهم بترك الانتفاع به عن الجبائى وابى مسلم وقيل انه لما تقدم ذكر الوعد والوعيد بين سبحانه انه لا يظلمهم
اى لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد فى سياتهم قوله عز وجل ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون
بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله
شهيد على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ثلث ايات القراءة
قرا حفص عن عاصم ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون الحجة قال ابو على يحتمل قوله كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار ثلثة اوجه
احدها ان يكون صفة ليوم والاخر ان يكون صفة للمصدر المحذوف والثالث ان يكون حالا من الضمير فى نحشرهم فاذا جعلته
صفة ليوم احتمل ضربين من التاويل احدهما ان يكون التقدير كان لم يلبثوا قبله الا ساعة فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها ومثل
ذلك فى حذف هذا النحو منه قوله فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اى امسكوهن قبله وكذلك قوله يتربصن بانفسهن
اى يتربصن بعدهم ويجوز ان يكون المعنى كان لم يلبثوا قبله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذفت الهاء من الصفة
كقولك الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت ومثل هذا فى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه قوله ترى الظالمين مشفقين
مما كسبوا وهو واقع بهم التقدير وجزاؤه واقع بهم فحذف المضاف وان جعلته صفة للمصدر كان على هذا التقدير الذى وصفنا
وتمثيله وان جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شىء من اللفظ لان الذكر من الحال قد عاد الى ذى الحال والمعنى نحشرهم
مشابهة احوالهم احوال من لم يلبث الا ساعة واما يوم يحشرهم فانه يصلح ان يكون معمولا لاحد شيئين احدهما ان يكون معمول يتعارفون
والاخر ان يكون لما دل عليه قوله كان لم يلبثوا فاذا جعلته معمولا لقوله يتعارفون انتصب يوم على وجهين احدهما ان يكون ظرفا معناه
يتعارفون فى هذا اليوم والاخر ان يكون مفعولا على السعة على يا سارق الليلة اهل الدار ومعنى يتعارفون يحتمل امرين احدهما ان يكون
المعنى منه اماتتهم التى وقع حشرهم بعدها وحذف المفعول للدلالة عليه كما حذف فى مواضع كثيرة وعدى تفاعل كما يعدى فى قوله
تخاطات الشل احشاءه او يكون اعمل الفعل الذى دل عليه يتعارفون الا ترى انه قد دل على يستعلمون ويتعرفون وتعرفوا من الليث
ههنا كما تعرفوها فى قوله قال قايل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم والاخر فى التعارف ما جاء فى قوله واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين فتعارفهم يكون على احد هذين الوجهين فعلى هذا يكون قوله ويوم نحشرهم معمول
يتعارفون والاخر ان يكون يوم نحشرهم معمولا لما دل عليه قوله كان لم يلبثوا الا ترى ان المعنى تشابه احوالهم احوال من لم يلبث فيعمل

على اللفظ وقال من يستمعون فاخبر بلفظ الجمع م

فى الظرف هذا المعنى ولا يمتنع المعنى من ان يعمل فى الظرف وان تقدم الظرف عليه كقولهم اكل يوم لك ثوب واذا حملته على هذا
لم يجز ان يكون صفة للمصدر لان الموصوف الذى هو المصدر موضعه بعد الفعل تقديره يوم نحشرهم حشرا كان لم يلبثوا او لم يلبثوا
قبله والصفة لا يتقدم عليها ما يعمل فيه ولا يجوز ايضا ان تجعله صفة ليوم على هذا لان الصفة لا تعمل فى الموصوف الا ترى ان الصفة
شرح للموصوف كما ان الصلة لا تعمل فى الموصوف كذلك فان قلت فاذا قدرت كان لم يلبثوا على تقدير الحال من الضمير هل يجوز ان يكون
يوم معمولا له فان ذلك لا يجوز لان العامل فى الحال نحشر او يحشر وقد اضيف ليوم اليه ولا يجوز ان يعمل فى المضاف المضاف اليه
ولا ما يتعلق بالمضاف اليه لان ذلك يوجب تقديمه على المضاف الا ترى انه لم يجز القتال زيدا حين تاتى واذا جعلت يتعارفون
العامل فى يوم نحشرهم لم يجز ان يكون صفة ليوم على انك كانك وصفت اليوم بقوله كان لم يلبثوا ويتعارفون فوصفت يوم نحشرهم بجملتين
لم يجز ان يكون معمولا لقوله يتعارفون لان الصفة لا تعمل فى الموصوف وجاز وصف اليوم بالجمل وان اضيف لان الاضافة ليست
بمحضة فلم تعرفه ويدل على النون فى نحشرهم قوله سبحانه وحشرناهم وقوله فجمعناهم جمعا ونحشره يوم القيمة اعمى ويدل على الياء قوله ليجمعكم الى
يوم القيامة وكل واحد منهما يجرى مجرى الاخر المعنى ثم بين سبحانه حالهم يوم الجمع فقال ويوم نحشرهم اى نجمعهم من كل مكان الى الموقف كان
لم يلبثوا الا ساعة من النهار اى كانهم لم يلبثوا فى الدنيا الا ساعة ومعناه انهم استقلوا ايام الدنيا فان المكث فى الدنيا وان طال كان
بمنزلة مكث ساعة فى جنب الاخرة عن الضحاك وقيل استقلوا ايام مقامهم فى الدنيا لعلة اشتغالهم باعمارهم فيها فكانهم لم يلبثوا الا يوما فيها
لقلة فايدتها وقيل استقلوا مدة لبثهم فى القبور عن ابن عباس وقد دل الله سبحانه بذلك على انه لا ينبغى لاحد ان يغتر بطول ما يامله
من البقاء فى الدنيا اذا كان عاقبته الى الزوال يتعارفون بينهم معناه ان الخلق تعرف بعضهم بعضا فى ذلك الوقت كما كانوا فى الدنيا
كذلك وقيل معناه يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطاء والكفر قال الكلبى يتعارفون اذا خرجوا من قبورهم ثم ينقطع المعرفة اذا
عاينوا العذاب ويتبرا بعضهم من بعض قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اى بلقاء جزاء الله وما كانوا مهتدين للحق وقال الحسن معناه
خسروا انفسهم لانهم لم يكونوا مهتدين فى الدنيا ولو كانوا مهتدين فى الدنيا لم يخسروا انفسهم ومعناه انهم خسروا الدنيا حين صرفوها الى المعاصى
وخسروا نعيم الاخرة حين فوتوها على انفسهم بمعاصيهم واما نرينك يا محمد فى حيوتك بعض الذى نعدهم اى نعد هؤلاء الكفار من
العقاب فى الدنيا قالوا ومنها وقعة بدر او نتوفينك اى نميتنك قبل ان ننزل ذلك بهم وننزل ذلك بهم بعد موتك فالينا
مرجعهم اى الى حكمنا مصيرهم فى الاخرة فلا يفوتوننا وقيل ان الله سبحانه وعد نبيه صلى الله عليه واله ان ينتقم له منهم اما فى حيوته
او بعد وفاته ولم يحده بوقت فقال ان ما وعدناه حق لا محالة ثم الله شهيد على ما يفعلون اى عليم بافعالهم حافظ لها فهو يوفيهم
عقاب معاصيهم ولكل امة رسول اى لكل جماعة على طريقة واحدة ودين واحد كامة محمد وامة موسى وعيسى عليهم السلم رسول بعثه
الله اليهم وحمله الرسالة التى يؤديها اليهم فاذا جاء رسولهم ههنا حذف واضمار التقدير فاذا جاءهم رسولهم وبلغ الرسالة فكذبه
قوم وصدقه اخرون قضى بينهم فيهلك المكذبون وينجى المومنون وقيل معناه فاذا جاء رسولهم يشهد عليهم يوم القيمة عن مجاهد
وقيل فى الدنيا بما اذن الله له من الدعاء عليهم قضى بينهم اى فصل بينهم الامر على الحتم بالقسط اى بالعدل وهم لا يظلمون اى لا
ينقصون عن ثواب طاعاتهم ولا يزادون فى عقاب سيئاتهم قوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل
لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قل
ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان وقد كنتم به تستعجلون
ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون خمس ايات اللغة الوعد خبر بما يعطى من الخير
والوعيد خبر بما يعطى من الشر هذا اذا فصل واذا اجمل وقع الوعد على الجميع والنفع هو اللذة والسرور وما ادى اليهما او
الى واحد منهما والضر الالم والغم او ما ادى اليهما او الى واحد منهما والاجل هو الوقت المضروب لوقوع امر كاجل الدين واجل
الانسان الاعراب متى سوال عن الزمان واين سوال عن المكان بياتا منصوب على الظرف وقوله ماذا يستعجل يجوز ان يكون
فى موضع رفع وذلك اذا كان ذا بمعنى الذى والمعنى ما الذى يستعجل منه المجرمون فيكون ما مبتداء والذى خبره ويجوز ان

يكون فى موضع نصب وذلك اذا جعلت ما وذا اسما واحدا والمعنى اى شئ يستعجل منه المجرمون من العذاب او من الله تعالى مفعول يستعجل وجواب ان اتاكم محذوف وتقديره الكلام ارايتم ماذا يستعجل من العذاب المجرمون ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ووقع ان اتاكم فى وسط الكلام موقع الاعتراض ومعنى ماذا يستعجل ههنا الانكار اى ليس فى العذاب شئ يستعجل به وجاء على صيغة الاستفهام لانه لا جواب لصاحبه يصح له وقوله اثم دخلت الف الاستفهام على ثم التى للعطف لتدل على ان الجملة الثانية بعد الاولى مع ان للالف صدر الكلام والعامل فى اذا قوله امنتم به وقوله الان وقد كنتم به تستعجلون تقديره الان تؤمنون به

المعنى لما اوعد الله سبحانه المكذبين بين عقيبه انهم استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والرد فقال ويقولون اى ويقول هؤلاء المشركون متى هذا الوعد الذى تعدنا به من البعث وقيام الساعة وقيل من العذاب ان كنتم صادقين فى ذلك قل يا محمد جوابا لهم لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا اى لا اقدر لنفسى على ضر ونفع الا ما شاء الله ان يملكنى ويقدرنى عليه فكيف اقدر لكم لانى اذا لم اقدر على ذلك كنت عن انزال العذاب وعن معرفة وقته اعجز او يكون معناه اذا لم املك لنفسى شيئا من ذلك الا ما ملكنيه الله تعالى فكيف املك تقديم القيمة وتعجيل العقوبة قبل الوقت المقدر له لكل امة اجل اى لكل امة فى عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم فلا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فلا يتاخرون عن ذلك الوقت ولا يتقدمون عليه بل يهلكهم فى ذلك الوقت بعينه قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب ارايتم اى اعلمتم ان اتاكم عذابه اى عذاب الله بياتا اى ليلا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون وهذا استفهام معناه التفظيع والتهويل كما يقول الانسان لمن هو فى امر يستوخم عاقبته ماذا تجنى على نفسك وهذا جواب لقولهم متى هذا الوعد وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم يريد بذلك عذابا ينزل من السماء على فسقة اهل القبلة فى اخر الزمان نعوذ بالله منه اثم اذا ما وقع امنتم به هذا استفهام معناه الانكار وتقديره احين وقع بكم العذاب المقدر الموقت امنتم به اى بالله فى وقت الياس وقيل بالقران وقيل بالعذاب الذى كنتم تشكون فيه فيقال لكم الان تؤمنون وقد اضطررتم بحلوله وقد كنتم به اى بالعذاب تستعجلون من قبل مكذبين مستهزئين وقال الحسن معناه ثم انكم سوف تؤمنون به عند وقوع العذاب فلا ينفعكم ايمانكم ونظيره الان وقد عصيت قبل ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد اى ثم يقال يوم القيمة للذين ظلموا انفسهم ذوقوا عذاب الدوام فى الاخرة بعد عذاب الدنيا هل تجزون الا بما كنتم تكسبون معناه انكم قد دعيتم وهديتم وبين لكم الادلة وازيحت عنكم العلة فابيتم الا التمادى فى الكفر والانهماك فى الغى فذوقوا جزاء اعمالكم وانما شبهه بالذائق وهو الذى يطلب الطعم بالفم لانه اشد احساسا وقيل لانهم يتجرعون العذاب بدخوله اجوافهم قوله عز وجل ويستنبئونك احق هو قل اى وربى انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما فى السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيى ويميت واليه ترجعون اربع ايات اللغة الاستنباء طلب النباء الذى هو الخبر والافتداء ايقاع الشئ بدلا عن غيره لدفع المكروه به يقال فداه يفديه فداء وافتدى به افتداء وفاداه مفاداة الاعراب الا كلمة تستعمل فى التنبيه واصلها لا دخلت عليها حرف الاستفهام تقريرا وتذكيرا وصارت تنبيها وكسرت ان بعد الا لان الا يستانف ما بعدها للتنبيه بها على معنى الابتداء ولذلك وقع بعدها الامر والدعاء كقول امرء القيس الا انعم صباحا ايها الطلل البالى المعنى ويستنبئونك يا محمد اى يطلبون منك ان تخبرهم احق هو اى احق ما جئت به من القران والنبوة والشريعة وقيل احق ما تعدنا من البعث والقيمة والعذاب عن الجبائى قل يا محمد اى وربى اى نعم وحق الله انه لحق لا شك فيه وما انتم بمعجزين اى سابقين فايتين وهذا الاستخبار يحتمل ان يكون انما وقع منهم على وجه التعرف والاستفهام ويحتمل ان يكون وقع على وجه الاستهزاء ولو ان لكل نفس ظلمت اى اشركت بالله عن ابن عباس وقيل ظلمت بكل ما يسمى ظلما ما فى الارض من الاموال لافتدت به من هول ما يلحقه من العذاب واسروا الندامة لما راوا العذاب اى اخفوا الندامة اى اسر الندامة رؤسا الضلالة من الاتباع والسفلة وقيل اسروا الندامة اى اخلصوها والندامة الحسرة على ما كان يتمنى انه لم يكن وقيل اسروا اى اظهروا عن ابى عبيدة والجبائى قال الازهرى وهذا غلط لان ما يكون بمعنى الاظهار يكون بالشين المنقطة من فوق وقضى بينهم بالقسط اى فصل بينهم بالعدل وهم لا يظلمون فيما يفعل بهم من العقاب لانهم جنوا على انفسهم وروى عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال انما اسروا الندامة وهم فى النار

لما فلم سبحانه وعيد المكذبين

فاذا جاء اجلهم

كراهية لشماتة الاعداء الا ان لله ما فى السموات والارض وما فيهما فلا يقدر احد على منعه من احلال العقاب بمملوكه المستحق له الا ان وعد الله حق باحلال العقاب بالمجرمين ولكن اكثرهم لا يعلمون صحة ذلك لجهلهم به تعالى وبصحة ما اتى به النبى صلى الله عليه واله هو يحيى اى يحيى الخلق بعد كونهم امواتا ويميت اى يميتهم بعد ان كانوا احياء ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيجازيهم على اعمالهم قال الجبائى وفى هذه الاية دلالة على انه لا يقدر على الحيوة الا الله تعالى لانه تعالى تمدح بكونه قادرا على الاحياء والاماتة النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها ان قوله ويستنبئونك عطف على ويستعجلونك المعنى انهم يستعجلونك ويقولون متى يكون القيمة والعذاب ويستخبرونك احق ما تقول من كونه ووجه اتصال قوله الا ان لله ما فى السموات والارض بما قبله اتصال الاثبات بالنفى وتقديره ليس للظالم ما يفتدى به بل جميع الملك لله وقيل انه متصل بما قبله بمعنى ان من يملك السموات والارض يقدر على ايقاع ما توعد به ووجه اتصال قوله الا ان وعد الله حق بما قبله انه اذا خلق السموات والارض لا للعبث بل لمنافع الخلق فلا يجوز عليه خلف الوعد وايضا فان من صفة الخالق ان يكون عالما لذاته غنيا غير محتاج والخلف كذب قبيح ولا بد للفعل من داع والداعى الى القبيح اما الجهل بقبحه او الحاجة اليه فاذا لا يجوز الخلف عليه اذ لا داعى له اليه قوله عز وجل يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ايتان القراءة قرا ابو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء وقرا يعقوب برواية رويس فلتفرحوا تجمعون بالتاء فيهما جميعا وروى ذلك عن النبى صلى الله عليه واله وابى بن كعب والحسن وفى رواية زيد عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء يجمعون بالياء وروى ذلك عن ابن عباس وقتادة وجماعة والباقون بالياء فيهما جميعا الحجة قال ابو على قوله بفضل الله وبرحمته الجار فيه متعلق بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة كما ان قوله الان وقد عصيت قبل تعلق الظرف فيه بمضمر يدل عليه ما تقدم من الفعل وكذلك قوله الان وقد كنتم به تستعجلون فاما قوله فبذلك فليفرحوا فان الجار فى قوله فبذلك يتعلق بليفرحوا لان هذا الفعل يصل بالباء قال وفرحوا بها وقال فرحت بما قد كان من سيديكما فاما الفاء فى قوله فليفرحوا فزيادة يدلك على ذلك ان المعنى فافرحوا بذلك ومثل هذه الاية قول الشاعر واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى فالفاء فى قوله فاجزعى زيادة كما كانت الفاء فى قوله فليفرحوا زيادة ولا يكون الزيادة الاول لان الظرف انما يتعلق بالجزعى فاما من قرا فليفرحوا بالتاء فانه اعتبر الخطاب الذى قبل وهو قوله قد جاءتكم موعظة وزعموا انها من حرف ابى فافرحوا قال ابو الحسن فزعموا انها لغة وهى قليلة نحو لتضرب وانت تخاطب فاما من قرا هو خير مما تجمعون بالتاء فعلى انه عنى المخاطبين والغيب جميعا الا انك غلبت المخاطبة على الغيبة ومن قرا بالياء كان المعنى فافرحوا بذلك ايها المؤمنون اى افرحوا بفضل الله ورحمته فان ما اتاكم من الموعظة وشفاء ما فى الصدور وثلج النفوس بالايمان وسكون النفس اليه خير مما يجمعه غيركم من اعراض الدنيا من فقد هذه الخلال التى حزتموها المعنى لما تقدم ذكر القران وما فيه من الوعد والوعيد عقبه سبحانه بذكر جلالة موقع القران وعظم محله فى باب الادلة فقال يا ايها الناس خطاب لجميع الخلق ويقال انه خطاب لقريش قد جاءتكم موعظة من ربكم يعنى القران والموعظة بيان ما يجب ان يحذر عنه ويرغب فيه وقيل هى ما تدعوا الى الصلاح وتزجر عن الفساد وشفاء لما فى الصدور والشفاء معنى كالدواء لازالة الداء فداء الجهل اضر من داء البدن وعلاجه اعسر واطباؤه اقل والشفاء منه اجل والصدر موضع القلب وهو اجل موضع فى البدن لشرف القلب وهدى اى ودلالة تؤدى الى معرفة الحق ورحمة للمؤمنين اى ونعمة لمن تمسك به وعمل بما فيه وخص المؤمنين بالذكر وان كان القران عظة ورحمة لجميع الخلق لانهم الذين انتفعوا به وصف الله سبحانه القران فى هذه الاية باربع صفات بالموعظة والشفاء لما فى الصدور وبالهدى والرحمة قل بفضل الله وبرحمته معناه قل يا محمد بافضال الله وبنعمته فانه لا يجوز اطلاق الفضل على الله فوضع الفضل فى موضع الافضال كما وضع النبات فى قوله والله انبتكم من الارض نباتا فى موضع الانبات وقيل ان اضافة الفضل الى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد اليه بمعنى انه مالك له فبذلك فليفرحوا قال الزجاج قوله بذلك بدل من قوله بفضل الله وبرحمته وهو يدل على انه يعنى به القران اى فبذلك فليفرح الناس لانه خير لكم يا اصحاب محمد مما يجمعه هؤلاء الكفار من الاموال

اى له ملك السموات والارض

بفليفرحوا

ومعنى الاية قل لهاؤلاء الفرحين فى الدنيا المعتدين لها الجامعين لها اذا فرحتم بشئ فافرحوا بفضل الله عليكم ورحمته لكم بانزال هذا القران
وارسال محمد اليكم فانكم تحصلون بهما نعيما دايما مقيما هو خير لكم من هذه الدنيا الفانية وقيل فضل الله هو القران ورحمته هو الاسلام
عن ابى سعيد الخدرى والحسن وروى انس عن النبى صلى الله عليه واله انه قال من هداه الله للاسلام وعلمه القران ثم شكى الفاقة
كتب الله عز وجل الفقر بين عينيه الى يوم القيمة ثم تلا قل بفضل الله وبرحمته الاية وقيل فضل الله الاسلام ورحمته القران عن قتادة ومجاهد
وغيرهما وقال ابو جعفر الباقر عليه السلم فضل الله رسول الله صلى الله عليه واله ورحمته على بن ابى طالب عليه السلم ورواه الكلبى عن ابى
صالح عن ابن عباس قوله عز وجل قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى
اللَّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ
وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ثلث ايات القراءة
قرا الكسائى وما يعزب بكسر الزاء هنا وفى سبا وهو قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب وقرا الباقون بضم الزاء وقرا حمزة وخلف ويعقوب
وسهل ولا اصغر ولا اكبر بالرفع والباقون بفتحهما الحجة يعزب ويعزب لغتان صحيحتان ومن فتح الراء من اصغر واكبر فلان افعل فى موضعين
فى موضع جر على تقدير ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر وانما فتح لانه غير منصرف وانما منع الصرف لانه افعل
اذا اتصل به من كان صفة واذا كان صفة لم ينصرف فى النكرة ومن رفع حمله على موضع الجار والمجرور الذى هو من مثقال ذرة فانه فى
موضع رفع كما كان فى قوله كفى بالله ويجوز رفعه من جهة اخرى على الابتداء ويكون الخبر قوله الا فى كتاب مبين اللغة الشان اسم يقع على الامر
الحال يقول ما شانك وما حالك وما بالك والافاضة الدخول فى العمل على جهة الانصباب لبيه ماخوذ من فيض الاناء اذا انصب من جوانبه
ومنه قوله افضتم من عرفات اى تفرقتم كتفرق الماء الذى ينصب من الاناء والعزوب الذهاب عن المعلوم وضده حضور المعنى للنفس وعزب اذا
انفرد عن اهله الاعراب ما فى قوله ما انزل الله فى موضع نصب بانزل ويكون بمعنى اى فى الاستفهام ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذى فيكون
نصبا برايتم المعنى ثم امر نبيه صلى الله عليه واله ان يخاطب كفار مكة فقال قل يا محمد لهم ارايتم ما انزل الله لكم من رزق وجعله حلالا فجعلتم
منه حراما وحلالا اى جعلتم بعضه حراما وبعضه حلالا يعنى ما حرموا من السائبة والبحيرة والوصيلة ونحوها وما حرموا من زروعهم
وانما قال انزل لان ارزاق العباد من المطر الذى ينزله الله قل يا محمد لهم الله اذن لكم ام على الله تفترون معناه انه لم ياذن لكم فى شئ من
ذلك بل انتم تكذبون فى ذلك على الله سبحانه وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة معناه اى شئ يظنوا الذين يكذبون على
الله انه يصيبهم يوم القيمة على افترائهم على الله اى لا ينبغى لهم ان يظنوا ان يصيبهم على ذلك الا العذاب الشديد والعقاب الاليم ان الله لذو فضل
على الناس بما فعل بهم من ضروب الانعام ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمه ويجحدونها وهذا الكلام خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب وان
كان فى صورة الاستفهام وتقديره ايوذيهم افتراؤهم الكذب الى خير ام شر وقيل ان معنى قوله لذو فضل على الناس انه لم يضيق عليهم بالتحريم
كما ادعيتم ذلك عليه وقيل معناه انه لذو فضل على خلقه بتركه معاجلة من افترى عليه الكذب بالعقوبة فى الدنيا وامهاله اياهم الى
يوم القيمة ثم بين سبحانه ان امهاله اياهم ليس لجهله بحالهم فقال وما تكون فى شان اى ما تكون انت يا محمد فى حال من الاحوال فى
امر من امور الدين من تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة وغير ذلك وما تتلوا منه من قران اى وما يقرا من الله من قران وقيل من الكتاب
من القران والقران يقع على القليل والكثير منه وقيل ان الهاء تعود الى الشان اى وما يتلو من الشان من قران ولا تعملون
من عمل الا كنا عليكم شهودا اى ولا تعمل انت وامتك من عمل الا كنا عالمين به شاهدين عليكم به اذ تفيضون فيه اى تدخلون فيه
وتخوضون فيه وما يعزب عن ربك اى وما يبعد وما يغيب عن علم ربك ورويته وقدرته من مثقال ذرة اى وزن نملة صغيرة فى
الارض ولا فى السماء ولا اصغر من وزن نملة ولا اكبر من ذلك الا فى كتاب مبين اى فى كتاب بين الله فيه قبل ان خلقه وهو فى
اللوح المحفوظ وقيل اراد به كتاب الحفظة الذى كتبه الملائكة السفرة وحفظوه قال الصادق عليه السلم كان رسول الله صلى الله عليه
واله اذا قرا هذه الاية بكا بكاء شديدا النظم قيل فى اتصال الاية الاولى بما قبلها انها اتصلت بقوله قل من يرزقكم من السماء والارض فاذا اقروا

انه الرزاق قيل لهم اجعلتم ما رزقكم بعضه حراما وبعضه حلالا عن ابى مسلم وقيل لما وصف القران بانه هدى ورحمة وامرهم بالتمسك به
عقبهم بذكر مخالفتهم لما جاء فى القران وتحريمهم ما احل الله قوله عز وجل أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اربع ايات اللغة الخوف والفزع والجزع نظاير وهو انزعاج القلب لما يتوقع من المكروه والامن
ضده والحزن غلظ الهم ماخوذ من الحزن وهى الارض الغليظة والسرور ضده والبشرى الخبر بما يظهر سروره فى بشرة الوجه والبشارة مثلها
والعزة شدة الغلبة من عز يعز اذا غلبه ومنه قولهم اذا عز اخوك فهن يعنى اذا غلبك ولم تقاومه فلن له وعز الشئ يعز بفتح العين
اذا اشتد ويعز بكسرها اذا صار عزيزا لا يوجد فكانه اشتد وجوده الاعراب الذين امنوا يحتمل موضعه ثلثة اوجه من الاعراب النصب
على انه صفة اولياء الله والثانى الرفع على المدح والثالث الرفع على الابتداء وخبره لهم البشرى فان جعلت الذين امنوا صفة لم تقف
على يحزنون بل تقف على يتقون وان جعلته مبتدا وقفت على يحزنون دون يتقون لان لهم البشرى خبر عنهم والبشرى يرتفع بالظرف
على الاقوال الثلاثة ولا يحزنك قولهم ان العزة لله كسرت ان للاستيناف بالتذكير بما ينفى الحزن ولا يجوز ان يكون كسرت لانها وقعت
بعد القول لانه يصير حكاية عنهم وان النبى صلى الله عليه واله يحزن لذلك وهذا كفر ويجوز فتحها على تقدير اللام كانه قال ولا يحزنك
قولهم لان العزة لله جميعا وقد غلط القتيبى فى هذا فزعم ان فتحها يكون كفرا وليس الامر كما ظنه فانها اذا كانت معمولة للقول لم يجز
واذا انعلقت بغير القول جاز سواء فتحت او كسرت ومثل الفتح قول ذى الرمة فما هجرتك النفس يا مى انها قلتك ولكن قل منك نصيبها
لكنهم يا املح الناس اولعوا بقول اذا ما جئت هذا حبيبها وقال القتيبى عند ذكر هذه المسئلة اذا قلت هذا قاتل اخى بالتنوين دل
على انه لم يقتل واذا قلت هذا قاتل اخى بحذف التنوين دل على انه قتل وهذا غلط باجماع من النحويين لان التنوين قد يحذف وانت تريد
الحال والاستقبال قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة يريد بالغا الكعبة وكل نفس ذائقة الموت اى ستذوق المعنى الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم بين الله سبحانه ان المطيعين لله الذين تولوا القيام بامره وتولاهم سبحانه بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم القيمة
من العقاب ولا هم يحزنون اى لا يخافون واختلف فى اولياء الله فقيل هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيما الخير والاخبات
عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم المتحابون فى الله ذكر ذلك فى خبر مرفوع وقيل هم الذين امنوا وكانوا يتقون قد بينهم فى الاية
بعدها عن ابن زيد وقيل هم الذين ادوا فرائض الله واخذوا بسنن رسول الله وتورعوا عن محارم الله وزهدوا فى عاجل هذه الدنيا
ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله لمعايشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر ثم انفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة فاولئك
الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدموا منه لاخرتهم وهو المروى عن على بن الحسين عليه السلم وقيل هم الذين توالت افعالهم
على موافقة الحق الذين امنوا اى صدقوا بالله واعترفوا بوحدانيته وكانوا يتقون مع ذلك معاصيه لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى
الاخرة فيه اقوال احدها ان البشرى فى الحيوة الدنيا هى ما بشرهم الله تعالى به فى القران على الاعمال الصالحة ونظيره قوله وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه الاية عن الزجاج والفراء وثانيها ان البشارة فى الحيوة الدنيا بشارة الملائكة
عليهم السلم للمومنين عند موتهم بان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة عن قتادة والزهرى والضحاك والجبائى وثالثها انها فى الدنيا
الرؤيا الصالحة يراها المومن لنفسه او ترى له وفى الاخرة بالجنة وهى ما يبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفى القيمة الى ان يدخلوا
الجنة يبشرونهم بها حالا بعد حال وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلم وروى ذلك فى حديث مرفوع عن النبى صلى الله عليه واله
وروى عقبة بن خالد عن ابى عبد الله عليه السلم انه قال يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيمة الا هذا الدين الذى انتم عليه و
ما بين احدكم وبين ان يرى ما تقر به عينه الا ان تبلغ نفسه الى هذه واومى بيده الى الوريد الخبر بطوله ثم قال ان هذا فى كتاب الله
وقرا الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الاخرة الاية وقيل ان المومن يفتح له باب الى الجنة فى قبره فيشاهد
ما اعد الله له فى الجنة قبل دخولها لا تبديل لكلمات الله اى لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب ولا خلاف فى قوله بوضع
كلمة اخرى مكانها بدلا منها لانها حق والحق لا خلف فيه بوجه ذلك هو الفوز العظيم اى ذلك الذى سبق ذكره من البشارة فى

والاخبات الخشوع

الحيوة الدنيا وفى الاخرة هى النجاة العظيمة التى يصغر فى جنبها كل شئ ولا يحزنك قولهم ظاهره النهى والمراد به التسلية للنبى صلى الله عليه واله عن اقوالهم المؤذية وهو مثل قولهم لا اريتك ههنا اى لا تكن ههنا فمن كان ههنا رايته وكذلك المراد بالاية لا يعبأ باذاهم فمن عبأ به اذاه ان العزة لله جميعا فيمنعهم منك بعزته ويدفع اذاهم عنك وقيل معناه لا يحزنك قولهم انك ساحر او مجنون فسينصرك الله عليهم ويذلهم وينتقم منهم لك فانه عزيز قادر عليه هو السميع العليم يسمع اقوالهم ويعلم ضمائرهم فيجازيهم عليها ويدفع عنك شرهم ويرد كيدهم وضرهم النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها انه لما تقدم ذكر المؤمن والكافر بين عقيبه ان اولياءه لا خوف عليهم وقيل لما ذكر انه يحصى اعمال خلقه بشر من تولاه وذكر ما اعد لهم ووجه اتصال قوله ولا يحزنك قولهم بما تقدم انه متصل بقوله وان كذبوك فلا يحزنك قولهم وقل لى عملى ولكم عملكم وقيل انه يتصل بما قبله فكانه قال اذ كنت من اولياء الله ومن اهل البشارة فلا ينبغى ان تحزن بطعن من يطعن عليك ووجه اتصال قوله هو السميع العليم بما قبله انه يسمع قولهم ويجازيهم فلا يحزنك ذلك قوله عز وجل الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون ايتان اللغة الفرق بين الجعل والفعل ان جعل الشئ قد يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفا ولا يكون فعله الا باحداثه والفرق بين الجعل والتغيير ان تغيير الشئ لا يكون الا بتصييره على خلاف ما كان وجعله يكون بتصييره على مثل ما كان كجعل الانسان نفسه ساكنا على استدامة الحال وانما قال والنهار مبصرا وانما يبصر فيه تشبيها ومجازا واستعارة فى سبب الشئ بصفته على وجه المبالغة كما يقال سر كاتم وليل نائم ومثله قول جرير لقد لمتنا يا ام غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم وقال رؤبة قد نام ليلى وتجلى همى المعنى لما سلى الله سبحانه نبيه بقوله ولا يحزنك قولهم فانهم لا يفوتوننى بين بعد ذلك ما يدل على صحته فقال الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض يعنى العقلاء واذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم وانما خص العقلاء تفخيما وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء يحتمل ما ههنا وجهين احدهما ان يكون بمعنى اى فكانه قال واى شئ يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحا لفعلهم والاخر ان تكون نافية اى وما يتبعون شركاء فى الحقيقة ويحتمل وجها ثالثا وهو ان يكون ما بمعنى الذى وتكون منصوبا بالعطف على من ويكون التقدير والذى يتبع الاصنام اى يدعونهم من دون الله شركاء فحذف العائد من الصلة وشركاء حال من ذلك المحذوف وان جعلت ما نافيا فقوله شركاء ينتصب بيدعون والعائد الى الذين الواو فى يدعون ويكون قوله ان يتبعون مكررا لطول الكلام ويقف فى هذا القول على قوله ومن فى الارض وفى ذلك القول على قوله شركاء ان يتبعون الا الظن لتقليدهم اسلافهم فى ذلك او لشبهة دخلت عليهم بانهم يتقربون بذلك الى الله تعالى وان هم الا يخرصون اى ليسوا الا كاذبين بهذا الاعتقاد والقول هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه معناه ان الذى ملك من فى السموات ومن فى الارض هو الذى جعل الليل لسكونكم ولان يزول التعب والكلال عنكم بالسكون فيه والنهار مبصرا اى وجعل النهار مضيئا تبصرون فيه وتهتدون به فى حوائجكم بالابصار ان فى ذلك لايات اى لحججا ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره لقوم يسمعون الحجج سماع متدبر وتفهم قوله عز وجل قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ثلث ايات الاعراب متاع خبر مبتداء محذوف وتقديره ذلك او هو متاع وقوله لا يفلحون وقف تام ويجوز ان يكون متاع مبتداء محذوف الخبر وتقديره لهم متاع المعنى ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار انهم اضافوا اليه اتخاذ الولد وهم طايفتان احديهما كفار قريش والعرب فانهم قالوا الملائكة بنات الله والاخرى النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله فقال سبحانه قالوا اتخذ الله ولدا وانما قال قالوا وان لم يكن سبق ذكرهم لانهم كانوا بحضرة النبى صلى الله عليه واله وكان يعرفهم ويصح الكناية عن المعلوم كما يصح عن المذكور سبحانه اى تنزيها له عما قالوا هو الغنى عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا وخلقا فهو غنى عن اتخاذ الولد لان الانسان انما

ان الجعل يكون لـ

اى ليس يتبعون فى الحقيقة شركاء مع الله الا الظن م

قالوا

ومعناه اذا كان له ما فى السموات وما فى الارض فهو غنى م

يتخذ

يتخذ الولد ليتقوى به من ضعف او ليستغنى به من فقر والله سبحانه منزه عن ذلك واذا استحال حقيقة اتخاذ الولد عليه سبحانه استحال عليه اتخاذ الولد على وجه التبنى ان عندكم من سلطان بهذا اى ما عندكم من حجة وبرهان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون هذا توبيخ منه سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه الوعيد لهم على ذلك فقال قل يا محمد ان الذين يفترون اى يكذبون على الله باتخاذ الولد وغير ذلك لا يفلحون اى لا يفوزون بشئ من الثواب واصل الافتراء من القطع من فريت الاديم اى قطعته معناه لهم متاع فى الدنيا يتمتعون به اياما قلائل ثم ينقضى وقوله ثم الينا مرجعهم اى ثم الى حكمنا مصيرهم ثم نذيقهم العذاب الشديد وهو عذاب النار بما كانوا يكفرون اى بكفرهم قوله عز وجل واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجرى الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثلث ايات القراءة قرا يعقوب وحده وشركاؤكم بالرفع وهو قراءة الحسن وابن ابى اسحق وابى عبد الرحمن السلمى وعيسى الثقفى وقرا الباقون وشركاءكم بالنصب وفى الشواذ قراءة الاعرج وعاصم الجحدرى والزهرى فاجمعوا امركم مفتوحة الميم موصولة الهمزة من جمع الحجة من قرا فاجمعوا امركم وشركاؤكم بالرفع رفعه على العطف على الضمير فى اجمعوا وساغ عطفه على الضمير من غير توكيد من اجل طول الكلام بقوله امركم واذا جاز فى قوله سبحانه ما اشركنا ولا اباؤنا ان يكتفى من طول الكلام بلا وان كانت بعد حرف العطف كان الاكتفاء من التوكيد بما هو اطول من لا اولى ايضا قبل الواو كما ان التوكيد لو ظهر لكان قبلها احرى فلو قال قائل قم وزيد كان اقبح من ان يقول قمت وزيد وذلك لان المعطوف عليه فى قم وزيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو اضعف من ضمير المخاطب والمتكلم فى قمت وقمت لان له لفظا وهو التاء وقمت وزيد اضعف من قمنا وزيد لان نا من قمنا اتم لفظا من التاء فى قمت واما شركاءكم بالنصب فقد قيل فيه انه منصوب على اضمار فعل كانه قال وادعوا شركاءكم قالوا وكذا هو فى مصحف ابى وقيل تقديره فاجمعوا امركم واجمعوا شركاءكم لان اجمعوا يدل عليه وذهب المحققون الى انه مفعول معه وتقديره مع شركائكم كما انشد سيبويه فكونوا انتم وبنى ابيكم مكان الكليتين من الطحال ويقال اجمعت الامر واجمعت على الامر اى عزمت عليه قال مورج اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه قال ابو الهيثم اجمع امره اذا جعله جميعا بعد ما كان متفرقا قال هل اغدون يوما وامرى مجمع اللغة الغمة ضيق الامر الذى يوجب الحزن والغمة والكربة والضغطة والشدة نظائر ونقيضه الفرج وقيل غمة مغطى بتغطيته خبره ماخوذا من غم الهلال اذا حال دون رؤيته غيم المعنى ثم امر الله سبحانه نبيه ان يقرأ عليهم اخبار نوح عليه السلم فقال واتل عليهم نبأ نوح اى خبره اذ قال لقومه الذين بعث اليهم يا قوم ان كان كبر عليكم اى شق وعظم عليكم اقامتى بين اظهركم وتذكيرى اى وعظى وتنبيهى اياكم بايات الله اى بحججه وبيناته على صحة التوحيد والعدل وبطلان ما تدينون به وفى الكلام حذف هو قوله وعزمتم على قتلى وطردى من بين اظهركم فعلى الله توكلت جعل جواب الشرط مع انه متوكل عليه فى جميع احواله ليبين لهم انه متوكل فى هذا التفصيل لما فى اعلامه ذلك من زجرهم عنه لان الله يكفيه امرهم ومعناه فالى الله فوضت امرى وبه وثقت ان يكفينى امركم فاجمعوا امركم وشركاءكم معناه فاعزموا على امركم مع شركائكم واتفقوا على امر واحد من قتلى وطردى ولا تضطربوا فيه فيختلف احوالكم فيما تلقوننى به وهذا تهديد فى صورة الامر وقيل معناه اعزموا على امركم وادعوا شركاءكم فبين عليه السلم انه لا يرتدع عن دعائهم وعيب الهتهم مستعينا بالله عليهم واثقا به سبحانه ان يعصمه منهم وقيل اراد بالشركاء الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وقيل اراد من شاركهم فى دينهم ثم لا يكن امركم عليكم غمة اى لا يكن امركم عليكم غما وحزنا بان تترددوا فيه وقيل معناه ليكن امركم ظاهرا مكشوفا ولا يكونن مغطى مبهما مستورا من غممت الشئ اذا سترته وقيل معناه لا تاتوه من غير ان تشاوروا فيه ومن غير ان يجتمع رايكم عليه لان من حاول امرا من غير ان يعلم كيف يتاتى ذلك كان امره غمة عليه ثم اقضوا الى ولا تنظرون اى انهضوا الى فاقتلونى ان وجدتم اليه سبيلا ولا تؤخرونى ولا تمهلونى عن ابن عباس وقيل معنى اقضوا افعلوا ما تريدون وادخلوا الى انه بمعنى افرغوا من جميع حيلكم كما يقال خرجت اليك من العهدة وقيل معناه توجهوا الى وروى عن بعضهم انه قرأ ثم افضوا الى اى اسرعوا الى

فمعناه يقطعون الكذب الذى يكذبون به على الله وقوله متاع فى الدنيا م

معانى م

من الفضا لانه اذا صار الى الفضاء تمكن من الاسراع وهذا كان من معجزات نوح عليه السلم لانه كان وحيدا مع نفر يسير وقد اخبرهم انهم لا يقدرون على قتله وعلى ان ينزلوا به سوءا لان الله تعالى ناصره وحافظه عنهم فان توليتم اى ذهبتم عن الحق وابتاعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه فما سالتكم من اجر اى لا اطلب منكم اجرا على ما اوديه اليكم من الله فيثقل ذلك عليكم وقيل معناه ان اعرضتم عن قبول قولى لم يضرنى لانى لم اطمع فى مالكم فيفوتنى ذلك بتوليكم عنى وانما يعود الضرر عليكم ان اجرى الا على الله اى ما اجرى الا على الله فى القيام باداء الرسالة وامرت ان اكون من المسلمين اى امرنى الله بان اكون من المستسلمين لامر الله بطاعته ثقة بانها خير ما يكتسبه العباد فكذبوه يعنى انهم كذبوا نوحا اى نسبوه الى الكذب فيما يذكره من انه نبى الله وان الله بعثه اليهم ليدعوهم الى طاعته فنجيناه ومن معه فى الفلك اى فى السفينة وجعلناهم خلائف اى جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفا لمن هلك بالغرق وقيل انهم كانوا ثمانين نفسا وقال البلخى يجوز ان يكون اراد جعلناهم رؤساء فى الارض واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى اهلكنا باقى اهل الارض اجمع لتكذيبهم لنوح عليه السلم فانظر ايها السامع كيف كان عاقبة المنذرين اى المخوفين بالله وبعذابه كيف اهلكهم الله قوله عز وجل ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ خمس ايات القراءة روى حماد ويحيى عن ابى بكر وزيد عن يعقوب ويكون لكما الكبرياء بالياء والباقون بالتاء الحجة الوجه فى الياء ان تانيث الكبرياء غير حقيقى وقد فصل بينها وبين الفعل ومن قرا بالتاء فلان لفظه لفظ التانيث اللغة الاجرام اكتساب السيئة واصله القطع واللفت الصرف عن الامر فقال لفته يلفته لفتا وامراة لفوت ذات زوج ولها ولد من غيره لانها تلتفت الى ولدها عنه المعنى ثم بين سبحانه قصة من بعثه بعد نوح عليه السلم فقال ثم بعثنا من بعده اى من بعد نوح واهلاك قومه رسلا يريد ابرهيم وهودا وصالحا ولوطا وشعيبا الى قومهم الذين كانوا فيهم بعد ان تناسلوا وكثروا فجاءوهم بالبينات اى فاتوهم بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوتهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل اى لم يكونوا ليصدقوا يعنى اولئك الاقوام الذين بعث اليهم الرسل بما كذبت به اوائلهم الذين هم قوم نوح اى كانوا مثلهم فى الكفر والعتو وقيل معناه لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه الايات بما كذبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات وبعدها عن ابى مسلم والبلخى كذلك نطبع على قلوب المعتدين اى نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تعدوا حدود الله سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذم بها ويعرفهم بها الملائكة كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار وقد مر معانى الطبع والختم فيما تقدم ثم بعثنا اى من بعد الرسل او من بعد الامم موسى وهرون عليهما السلم نبيين مرسلين الى فرعون وملائه اى ورؤساء قومه باياتنا اى بادلتنا ومعجزاتنا فاستكبروا عن الانقياد لها والايمان بها وكانوا قوما مجرمين عاصين لربهم مستحقين للعقاب الدائم فلما جاءهم اى جاء قوم فرعون الحق من عندنا يعنى ما اتاه به موسى من المعجزات والبراهين قالوا ان هذا لسحر مبين اى ظاهر قال موسى لهم اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا اى اتقولون للمعجز انه سحر والسحر باطل والمعجز حق وهما متضادان ولا يفلح الساحرون اى لا يظفرون بحجة ولا ياتون على ما يدعونه ببينة وانما هو تمويه على الضعفة قالوا يعنى قال فرعون وقومه لموسى اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه اباءنا اى لتصرفنا عن ذلك ويكون لكما الكبرياء اى الملك عن مجاهد وقيل العظمة والسلطان والاستحقاق صفة الكبر على المراتب فى الارض اى فى ارض مصر وقيل اراد اسم الجنس فالمراد به الانكار وان كان اللفظ الاستفهام تعلقوا بالشبهة فى انهم على الحق بانهم وان من دعاهم الى خلافه فظاهر امره انه يريد التامر عليهم وما نحن لكما بمؤمنين اى بمصدقين فيما تدعيانه من النبوة قوله عز وجل وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ اربع ايات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم بكل سحار بالتشديد والباقون ساحر على وزن فاعل وقرا ابو جعفر وابو عمرو السحر بقطع الالف ومدها على الاستفهام والباقون السحر موصولة على الخبر الحجة قد بينا الوجه فى سحار وساحر فى سورة الاعراف واما قوله السحر فان ما فى

من بعدهم ح

قوله ما جئتم به فى موضع رفع بالابتداء وجئتم فى موضع رفع بانه خبر المبتداء والكلام استفهام والسحر بدل من ما المبتداء ولزم ان يلحق السحر الاستفهام ليساوى المبدل منه فى انه استفهام الا ترى انه ليس فى قولهم السحر استفهام وعلى هذا قالوا كم مالك اعشرون ام ثلثون فجعلت العشرون والثلثون بدلا من كم والحقت ام لانك فى قولك كم درهما مالك مدع ان له مالا كما انك فى قولك اعشرون ام ثلثون مالك مدع انه احد الشيئين ولا يلزم ان تضمر للسحر خبرا على هذا لانك اذا ابدلت من المبتداء صار فى موضعه وصار ما كان خبرا لما ابدلت منه فى موضع خبر البدل ومن قرا ما جئتم به السحر كان ما فى قوله موصولا وجئتم به الصلة والهاء المجرورة عائدة على الموصول وخبر المبتداء الذى هو الموصول السحر ومما يقوى هذا الوجه ما زعموا انه فى حرف عبد الله ما جئتم به سحر فعلى هذا يكون تقدير الذى جئتم به السحر وعلى الوجه الاول وهو ان يكون ما استفهاما فتقديره اى شئ به السحر واما وجه الاستفهام مع علم موسى انه سحر فانه مثل قوله انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فى انه للتقرير المعنى وقال فرعون حكى الله سبحانه عن فرعون انه حين اعجزه المعجزات التى ظهرت لموسى عليه السلم ولم يكن له فى دفعها حيلة قال لقومه ائتونى بكل ساحر عليم بالسحر بليغ فى علمه وانما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما اتى به موسى من عند الله ليس بسحر وبعد ذلك علم انه ليس بسحر فعاند كما قال سبحانه لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وقيل انه علم انه ليس بسحر ولكنه ظن ان السحر يقاربه ويشتبه فلما جاء السحرة الذين طلبهم فرعون وامر باحضارهم وموسى حاضر قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون وفى الكلام حذف يدل عليه الظاهر وتقديره فلما اتوا بالسحرة وبالحبال والعصى قال لهم موسى القوا اى اطرحوا ما جئتم به وقيل معناه افعلوا ما انتم فاعلون وهذا ليس بامر بالسحر لكنه قال ذلك على وجه التحدى والالزام اى من كان عنده ما يقاوم المعجزات فليلقه وقيل انه امر على الحقيقة بالالقاء ليظهر بطلانه وانما لم يقتصر على قوله القوا لانه اراد القوا جميع ما انتم ملقون فى المستانف فلو اقتصر على قوله القوا ما افاد هذا المعنى والالقاء اخراج الشئ عن اليد الى جهة الارض ويشبه بذلك قولهم القى عليه مسئلة والقى عليه رداءه فلما القوا اى فلما القت السحرة سحرهم قال موسى عليه السلم لهم ما جئتم به السحر اى الذى جئتم به من الحبال والعصى السحر دخل عليه الالف واللام للعهد لانهم لما قالوا لما اتى به موسى انه سحر قال عليه السلم ما جئتم به هو السحر عن الفرا ان الله سيبطله اى سيبطل هذا السحر الذى فعلتموه ان الله لا يصلح عمل من قصد افساد الدين ولا يمضيه ويبطله حتى يظهر الحق من الباطل والمحق من المبطل ويحق الله الحق اى يظهر الله الحق ويحققه ويثبته وينصر اهله بكلماته قيل فى معناه اقوال احدها ان معناه بوعده موسى عليه السلم وكان وعده النصر فانجز وعده عن الحسن وثانيها ان معناه بكلامه الذى يبين به معانى الايات التى اتاها نبيه عن الجبائى وثالثها بما سبق من حكمه فى اللوح المحفوظ بان ذلك يكون ولو كره المجرمون ظهور الحق وابطال الباطل وفى هذه الاية دلالة على انه تعالى ينصر المحقين كلهم فى حقهم وذلك على وجهين احدهما بالحجة وهذه النصرة مستمرة على كل حال والثانى بالغلبة والقهر وهذا يختلف بحسب المصلحة لان المصلحة قد يكون بالتخلية تارة وبالحيلولة اخرى قوله عز وجل فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ اربع ايات اللغة الذرية الجماعة من نسل القبيلة وقد تقدم القول فى اصلها ووزنها والفتنة اصلها البلية وهى معاملة تظهر الامور الباطنة يقال فتنت الذهب اذا احرقته بالنار ليظهر الخلاص وقوله يوم هم على النار يفتنون اى يحرقون بما فيه من اظهار حالهم فى الضلال وقوله والفتنة اشد من القتل معناه التعذيب للردع عن الدين لما فيه من اظهار النصرة اشد الاعراب يا قوم حذفت منه بالاضافة اجتزاء بالكسرة منها وهو فى النداء احسن من اثباتها لقوة النداء على التغيير والفا فى قوله فقالوا فاء العطف وجواب الامر كما يقول قال السائل كذا فقال المجيب كذا وانما جازت الفاء فى الجواب ولم يجز الواو لان الفاء يترتب من غير مهلة فهى موافقة بمعنى وجوب بالاول وليس كذلك الواو المعنى ثم بين سبحانه من امن من قوم موسى عليه السلم فقال فما امن لموسى اى لم يصدق موسى فيما ادعى من النبوة مع ما اظهره من المعجزات الظاهرة الا ذرية من قومه اى اولاد من قوم فرعون وقيل انه اراد من قوم موسى عليه السلم

وحتى لا يفوته شئ من السحر يأمر بعضهم وانما فعل ذلك الجهل بان ما اتى به موسى ع

لا يصلح عمل المفسدين معناه ان الله

وهم بنوا اسرائيل الذين كانوا بمصر واختلف من قال بالاول فقيل انهم قوم كانت امهاتهم من بني اسرائيل واباؤهم من القبط فاتبعوا امهاتهم
واخوالهم عن ابن عباس وقيل انهم ناس يسير من قوم فرعون منهم امراة فرعون ومومن آل فرعون وجارية وامراة هي
ماشطة امراة فرعون عن عطية عن ابن عباس وقيل انهم بعض اولاد القبط لم يستجب اباؤهم وهم موسى واختلف من قال بالثاني
فقيل هم جماعة من بني اسرائيل اخذهم فرعون بتعلم السحر وجعلهم من اصحابه فامنوا لموسى عن الجبائي وقيل اراد موسى بني اسرائيل وكانوا
ستماية الف وكان يعقوب دخل مصر فيهم باثنين وسبعين انسانا فتوالدوا حتى بلغوا ستماية الف وانما سماهم ذرية على وجه التصغير
لضعفهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقال مجاهد اراد بهم اولاد الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل لطول الزمان هلك
الاباء وبقي الابناء على خوف من فرعون يعني امنوا وهم خائفون من معرة فرعون وملائهم اي من اشرافهم ورؤسائهم قال الزجاج
وانما جاز ان يقال وملائهم لان فرعون ذو اصحاب يأتمرون له وقيل ان الضمير في ملائهم راجع الى الذرية لان اباءهم كانوا
من القبط وكانوا يخافون قومهم من القبط ان يصرفوهم عن دينهم ويعذبوهم ان يفتنهم اي يصرفهم عن الدين يعني ان يمتحنهم محنة
لا يمكنهم الصبر عليها فيصرفون عن الدين وكانوا جنود فرعون يعذبون بني اسرائيل فكان خوفهم منه ومنهم وان فرعون لعال في
الارض اي متكبر باغ طاغ في ارض مصر ونواحيها وانه لمن المسرفين اي المجاوزين الحد في العصيان لانه ادعى الربوبية واسرف في
القتل والظلم والاسراف التجاوز عن الحد في كل شيء وقال موسى لقومه الذين امنوا به يا قوم ان كنتم امنتم بالله كما تظهرون فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين اي فاسندوا اموركم اليه ان كنتم مسلمين على الحقيقة وانما اعاد قوله ان كنتم مسلمين بعد قوله ان كنتم امنتم
بالله ليبين المعنى باجتماع الصفتين التصديق والانقياد اي ان كنتم امنتم به فاستسلموا لامره وفائدة الاية بيان وجوب التوكل على الله
عند نزول الشدة والتسليم لامره ثقة بحسن تدبيره وانقطاعا اليه فقالوا على الله توكلنا اخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له وانهم قالوا
اسندنا امورنا الى الله ووثقنا به ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين اي لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على اظهار الانصراف
عن ديننا عن مجاهد وقيل معناه ربنا لا تظهر علينا فرعون وقومه فيفتتن بنا الكفار ويقولوا لو كانوا على الحق لما ظهرنا عليهم عن الحسن
وابي مجلز وروى زرارة ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان معناه لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا ونجنا اي وخلصنا
برحمتك من القوم الكافرين اي من قوم فرعون واستعبادهم ايانا واخذهم جماعتنا بالاعمال الشاقة والمهن الخسيسة **قوله عز وجل**
وَاَوْحَيْنَا اِلَى مُوسَى وَاَخِيهِ اَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا
اِنَّكَ اٰتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَاَهُ زِينَةً وَاَمْوَالًا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى اَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى
قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْاَلِيمَ قَالَ قَدْ اُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ثلث ايات
القراءة قرا ابن عامر ولا تتبعانِ خفيفة النون والباقون بالتشديد **الحجة** من قرا بالنون الشديدة كسرها لوقوعها بعد الف التثنية فاشبهت
نون الاثنين في رجلان ولم يعتد بالنون الساكنة قبلها لسكونها وخفتها فصارت المكسورة كانها وليت الالف ومن قرا بالتخفيف
فانه يمكن ان يكون قد خفف الثقيلة للتضعيف كما خففوا رُبَّ وانّ ونحوهما الا انه حذف الاولى من المثلين كما ابدلوا الاولى من المثلين
في نحو قيراط ودينار ولزم ذلك في هذا الموضع لان الحذف لو لحق الثانية للزم التقاء الساكنين والتقاء الساكنين على هذا الحد غير مأخوذ
به عند العامة وان شئت كان على لفظ الخبر والمعنى الامر كقوله يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا تضار والدة بولدها اي لا ينبغي ذلك
وان شئت جعلته حالا من استقيما والتقدير استقيما غير متبعين ويدل على ذلك قول الشاعر فلا اسقى ولا يسقي شريبي ويرويه اذا اوردت ماء
وكقول الفرزدق بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بهم حين سلت **اللغة** تبوأ اي اتخذ يقال تبوأ لنفسه بيتا اي اتخذه و
بوأت له بيتا اي اتخذته له ويقال ان تبوأ وبوأ بمعنى اي تخذ بيتا مثل بدل وتبدل وخلص وتخلص قال ابو علي تبوأ فعل يتعدى
الى مفعولين واللام في لقومكما كالتي في قوله ردف لكم ويقوي ذلك قوله واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت فدخلت اللام على غير المطاوع
كما دخل على المطاوع في قوله ان تبوءا لقومكما والطمس محو الاثر يقال طمست عينه اطمسها طمسا وطموسا وطمست الريح آثار الديار والطمس
تغير الى الدثور والدروس قال كعب بن زهير من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول **الاعراب** مصر غير منصرف

لانه

لانه مونث معرفة ولو صرفت لخفتها كما تصرف هند لكان جائزا وترك الصرف اقيس وقيل بيوتا مفعول به وليس بظرف مكان لاختصاصه
والبيوت هنا كالغرف في قوله لنبوئنهم من الجنة غرفا فلا يومنوا احتمل وجهين من الاعراب النصب والجزم فاما النصب ففيه وجهان
احدهما انه على جواب صيغة الامر بالفاء والاخر ان يكون عطفا على ليضلوا اي ليضلوا فلا يومنوا هذا قول المبرد وعلى هذا فيكون
قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم اعتراضا واما الجزم فيكون على وجه الدعاء عليهم وتقديره فلا امنوا ومثله قول الاعشى
فلا تنبسطن من بين عينيك ما انزوى ولا تلقني الا وانفك راغم **المعنى** واوحينا الى موسى واخيه اي امرناهما ان تبوءا لقومكما بمصر
بيوتا اي اتخذا لمن امن بكما بمصر يعني البلدة المعروفة بيوتا يسكنونها ويأوون اليها واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف في ذلك فقيل لما
دخل موسى مصر بعد ما اهلك الله فرعون امروا باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وان يجعلوا مساجدهم نحو القبلة اي الكعبة
وكانت قبلتهم الى الكعبة عن الحسن ونظيره في بيوت اذن الله ان ترفع الاية وقيل ان فرعون امر بتخريب مساجد بني اسرائيل
ومنعهم من الصلوة فامروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلون فيها خوفا من فرعون وذلك قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي صلوا
في بيوتكم لتأمنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم وقيل معناه اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضا عن سعيد
ابن جبير واقيموا الصلوة اي ادموها وواظبوا على فعلها وبشر المومنين بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وانواع النعيم
والخطاب لموسى عليه السلام عن ابي مسلم وقيل الخطاب لمحمد صلى الله عليه واله وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه اي اعطيت
فرعون وقومه زينة يتزينون بها من الحلي والثياب وقيل الزينة الجمال وصحة البدن وطول القامة وحسن الصورة واموالا يتعظمون
بها في الحيوة الدنيا وانما اعطاهم الله تعالى ذلك للانعام عليهم مع تعريضه من وجوه الاستفساد ربنا ليضلوا عن سبيلك اللام
للعاقبة والمعنى وعاقبة امرهم انهم يضلون عن سبيلك ولا يجوز ان يكون لام الغرض لانا قد علمنا بالادلة الواضحة ان
الله سبحانه لا يبعث الرسول ليأمر الخلق بالضلال ولا يريد ايضا منهم الضلال وكذلك لا يؤتيهم المال ليضلوا وقيل ان معناه
لئلا يضلوا عن سبيلك فحذف لا كقوله شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي لئلا تقولوا وحذف ذلك لدلالة العقل عليه
وقيل انه لام الدعاء والمعنى ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال وانما قال ذلك لعلمه بانهم لا يؤمنون من طريق
الوحي وفائدته اظهار التبري منهم كما يلعن ابليس ويدل عليه انه اعاد قوله ربنا اطمس على اموالهم فدل ذلك على انه اراد
به الدعاء عليهم والمراد بالطمس على الاموال تغييرها عن جهتها الى جهة لا ينتفع بها قال مجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير
صارت جميع اموالهم حجارة حتى السكر والفانيذ واشدد على قلوبهم ومعناه ثبتهم على المقام ببلدهم بعد اهلاك اموالهم فيكون ذلك اشد
عليهم وقيل معناه اشتهم بعد سلب اموالهم واهلكهم وقيل انه عبارة عن الخذلان والطبع فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قد ذكرنا
وجوهه وقيل معناه انهم لا يومنون ايمان الجاء حتى يروا العذاب الاليم وهم مع ذلك لا يومنون ايمان اختيار اصلا ثم اخبر سبحانه انه
اجاب لهما فقال قال الله تعالى لموسى وهرون قد اجيبت دعوتكما انما قال دعوتكما والداعي كان موسى عليه السلام لانه كان يدعو
وكان هرون يؤمن اي على دعائه فسماهما داعيين عن عكرمة والربيع وابي العالية واكثر المفسرين ولان معنى التامين اللهم استجب
هذا الدعاء فاستقيما اي فاثبتا على ما امرتما من دعاء الناس الى الايمان بالله تعالى والانذار والوعظ قال ابن جريج مكث فرعون
بعد هذا الدعاء اربعين سنة وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون نهاهما سبحانه عن
ان يتبعا طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرفه ولا يعرف انبياءه عليهم السلام **قوله عز وجل وَجَاوَزْنَا بِبَنِي اِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ**
وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى اِذَا اَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ اٰمَنْتُ اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا الَّذِي اٰمَنَتْ بِهِ بَنُوا اِسْرَائِيلَ وَاَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اٰلْاٰنَ
وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ اٰيَةً وَاِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ اٰيَاتِنَا
لَغَافِلُونَ ثلث ايات القراءة قرا اهل الكوفة غير عاصم امنت انه بكسر الالف والباقون انه بالفتح وروي عن ابي جعفر ونافع الان
بالقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة وقرا ننجيك خفيفة قتيبة ويعقوب وسهل والباقون ننجيك بالتشديد وفي الشواذ قراءة
ابي بن كعب ومحمد بن السميفع ننحيك بالحاء **الحجة** قال ابو علي من قرا امنت انه بالفتح فلان هذا الفعل يصل بحرف الجر في نحو يؤمنون

بالغيب فلما حذف الجار وصل الفعل الى ان فصار فى موضع نصب او جر على الخلاف فى ذلك ومن قال امنت انه حمله على القول المضمر كانه قال امنت وقلت انه واضمار القول فى هذا النحو كثير وقال على بن عيسى من كسر ان جعله بدلا من امنت ومن فتح جعله معمول امنت واما الآن فلان لام المعرفة اذا دخلت على كلمة اولها الهمزة فخففت الهمزة كان فى تخفيفها وجهان احدهما ان يلقى حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحمر وقد حكى ذلك سيبويه وحكى ابو الحسن ان ناسا يقولون لحمر فيحذفون الهمزة التى للوصل قال فقد كنت تخفى حب سمراء حقبة فبح لان منها بالذى انت بائح فاسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ولو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد بها فى الوجه الاول لحرك الحاء بالكسر كما حرك فى قم اليوم وننجيك وننجّيك فى معنى واحد اى نلقيك على نجوة من الارض قال اوس بن حجر فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكن كمن يمشى بقرواح والقرواح حيث لا ماء ولا شجر ومن قرا ننحيك بالحاء فانه نفعلك من التنحية اى نجعلك فى ناحية ومنه نحيت الشىء فتنحى اى باعدته فتباعد فصار فى ناحية قال الحطيئة تنحى فاجلسى منى بعيدا اراح الله منك العالمينا

اللغة المجاوزة الخروج عن الحد من احدى الجهات الاربع الاتباع طلب اللحاق بالاول اتبعه اتباعا وتبعه بمعنى وحكى ابو عبيدة عن الكسائى انه قال اذا اريد انه اتبعهم خيرا او شرا قالوا بقطع الهمزة واذا اريد انه اقتدى بهم واتبع اثرهم قالوا بتشديد التاء ووصل الهمزة والبغى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو والعدوان الظلم والنجوة الارض لا يعلوها السيل واصلها من الارتفاع الاعراب الآن فصل بين الزمان الماضى والمستقبل مع انه اشارة الى الحاضر ولهذا بنى كما بنى ذا وعرف الآن بالالف واللام وامس تضمن حرف التعريف لان ما مضى بمنزلة المضمر فى المعنى فى انه ليس له صورة والحاضر فى معنى المصرح فى صحة الصورة والعامل فى قوله الآن محذوف وتقديره الآن امنت بغيا وعدوا مفعول له وقيل انهما مصدران فى موضع الحال اى فى حال البغى والعدوان المعنى ثم بين سبحانه ما آل امر فرعون وقومه فقال وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر اى عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين بان يبسنا لهم البحر وفرقنا لهم الماء اثنى عشر فرقا فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا اى ليبغوا عليهم ويظلموهم وذلك ان الله سبحانه لما اجاب دعا موسى امره باخراج بنى اسرائيل من مصر ليلا فخرج وتبعهم فرعون وجنوده مشرقين حتى انتهوا الى البحر وامر الله سبحانه موسى فضرب البحر بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقا وصار لكل سبط طريق يابس وارتفع بين كل طريقين الماء كالجبل وصار فى الماء شبه الخروق فجعل بعضهم ينظر الى بعض فلما وصل فرعون بجنوده الى البحر راوا البحر بتلك الهيئة فهابوا دخول البحر وكان فرعون على حصان ادهم فجاء جبرئيل على فرس وديق وخاض البحر وميكائيل يسوقهم فلما شم ادهم فرعون ريح فرس جبرئيل انسل خلفه فى الماء واقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم البحر وهم اولهم ان يخرج انطبق الماء عليهم حتى اذا ادركه الغرق اى وصل اليه الغرق وايقن بالهلاك قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وكان ذلك ايمان الالجاء لا يستحق به الثواب فلم ينفعه ايمانه الآن وقد عصيت قيل فيه اضمار اى قيل له الآن امنت حين لا ينفعك الايمان ولا يقبل لانه حال الالجاء وقد عصيت بترك الايمان فى حال ما ينفعك الايمان فهلا امنت قبل ذلك وكنت من المفسدين فى الارض بقتل المومنين وادعاء الالهية وانواع الكفر واختلف فى قائل هذا القول فقيل قاله جبرئيل عليه السلام وقيل ذلك كلام الله تعالى قاله على وجه الاهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى عليه السلام وروى على بن ابرهيم بن هاشم باسناده عن الصادق عليه السلام قال ما اتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه واله الا كئيبا حزينا ولم يزل كذلك منذ اهلك الله فرعون فلما امره الله سبحانه بنزول هذه الاية نزل وهو ضاحك مستبشر فقال له يا جبرئيل ما اتيتنى الا وتبينت الحزن فى وجهك حتى الساعة قال نعم يا محمد لما اغرق الله فرعون قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل فاخذت حماة فوضعتها فى فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم خفت ان تلحقه الرحمة من عند الله و يعذبنى على ما فعلت فلما كان الآن وامرنى الله ان اودى اليك ما قلته انا لفرعون امنت وعلمت ان ذلك كان لله رضا فاليوم ننجيك ببدنك اختلف فى معناه فقال اكثر المفسرين معناه لما اغرق الله فرعون وقومه انكر بعض بنى اسرائيل غرق فرعون وقالوا هو اعظم شانا من ان يغرق فاخرجه الله حتى راوه فذلك قوله فاليوم ننجيك اى نلقيك على نجوة من الارض وهى المكان المرتفع بجسدك من غير روح وذلك انه طفا عريانا وقيل معناه نخلصك من البحر وانت ميت والبدن الدرع قال ابن عباس كان عليه درع من ذهب

بغرق

الحقب بالضم ثمانون سنة ونقال اكثر من ذلك ص

بغيا وعدوا مفعول له وقيل انهما مصدران فى موضع الحال اى فى حال البغى والعدوان م

يعرف بها فالمعنى نرفعك فوق الماء بدرعك المشهورة ليعرفوك بها لتكون لمن خلفك اية اى لتكون نكالا لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقالتك عن الكلبى وقيل انه كان يدعى انه رب فبين الله امره وانه عبد وفيه من الاية انه غرق مع القوم واخرج هو من بينهم وكان ذلك اية عن الزجاج وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون يعنى ان كثيرا من الناس عن التفكر فى دلالاتنا والتدبر لحججنا وبيناتنا غافلون اى ذاهلون قوله عز وجل ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اية اللغة المبوا يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون مكانا ويكون المفعول الثانى من بوات على هذا محذوفا كما حذف من قوله وبواكم فى الارض ويجوز ان ينصب المبوا نصب المفعول به على الاتساع وان كان مصدرا فقد اجاز ذلك سيبويه فى قوله اما الضرب فانت ضارب المعنى ثم بين سبحانه حال بنى اسرائيل بعد اهلاك فرعون فقال ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوا صدق اخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد ان نجاهم واهلك عدوهم يقول مكناهم مكانا محمودا وهو بيت المقدس والشام وانما قال مبوا صدق لان فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب وقيل معناه انزلناهم فى موضع خصب وامن بصدق فضايل عليه من جلالة النعمة وقال الحسن يريد به ارض مصر وذلك ان موسى عبر ببنى اسرائيل البحر ثانيا ورجع الى مصر وتبوا مساكن آل فرعون وقال الضحاك هو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات اى ملكناهم الاشياء اللذيذة وهذا يدل على سعة ارزاق بنى اسرائيل فما اختلفوا حتى جاءهم العلم معناه فما اختلفوا فى تصديق محمد صلى الله عليه واله يعنى اليهود وكانوا مقرين به قبل مبعثه حتى جاءهم العلم وهو القرآن الذى جاء به محمد عليه السلام عن ابن عباس وقال الفرا العلم محمد صلى الله عليه واله لانه كان معلوما عندهم بنعته فلما جاءهم اختلفوا فى تصديقه فكفر به اكثرهم وقيل ان معناه فما اختلف بنوا اسرائيل الا من بعد ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى وهرون فانهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجى موسى فلما جاءهم امن بعضهم وثبت على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون هذا اخبار منه تعالى بانه الذى يتولى الحكم بينهم يوم القيمة فى الامور التى يختلفون فيها الآن مع البقاء للتكليف لا يرتفع الخلاف قوله عز وجل فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم ثلث ايات القراءة قد تقدم اختلاف القرا فى كلمة وكلمات والوجه فى ذلك اللغة الامترا طلب الشك مع ظهور الدليل وهو من مرى الضرع وهو مسحه ليدر فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحلب الاعراب النون فى قوله فلا تكونن نون التاكيد وهى يدخل فى غير الواجب لانك لا تقول انت تكونن ودخلت فى القسم على هذا الوجه لانه يطلب بالقسم التصديق وانما بنى الفعل مع نون التاكيد لانها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الاخرى مع ان الاولى ساكنة واقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنين ولو جاءتهم كل اية قال الاخفش انث كل لانها مضافة الى مونث ولفظة كل للمذكر والمونث سواء والرؤية فى الاية رؤية العين لانها تعدت الى مفعول واحد والعذاب وان كان الما وهو لا يصح ان يرى فانه يرى اسبابه فهو بمنزلة ما يرى المعنى ثم بين سبحانه صحة نبوة محمد صلى الله عليه واله فقال فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك اختلف المفسرون فى معناه على اقوال اولها قال الزجاج ان هذه الاية قد كثر سوال الناس عنها وخوضهم فيها وفى السورة ما يدل على بيانها فان الله سبحانه يخاطب النبى عليه السلام وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى فان كنتم فى شك فاسئلوا والدليل عليه قوله فى آخر السورة يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم فاعلم الله سبحانه ان نبيه عليه السلام ليس فى شك ومثل هذا قوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فقال طلقتم والخطاب للنبى وحده وهذا مذهب الحسن وابن عباس واكثر اهل التاويل وروى عن الحسن وقتادة وسعيد بن جبير انهم قالوا ان النبى عليه السلام لم يشك ولم يسال وهو المروى ايضا عن ابى عبد الله عليه السلام وثانيها ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه واله وان لم يشك وعلم الله سبحانه انه غير شاك ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والافهام كما يقول القائل لعبده ان كنت عبدى فاطعنى

ولابيه ان كنت والدى فتعطف على و لولده ان كنت و لدى فبرنى يريد بذلك المبالغة وربما خرجوا في المبالغة الى ما يستحيل كقولهم
بكت السماء لموت فلان اى لو كانت تبكى سماء على ميت لبكت عليه و كذلك ههنا يكون المعنى لو كنت ممن يشك فشككت فسل الذين يقرؤون
الكتاب من قبلك عن الفرا و غيره و ثالثها ان المعنى فان كنت ايها المخاطب وايها السامع فى شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا محمد عليه السلام
فيكون الخطاب لغيره و رابعها ما ذكره الزجاج انه يجوز ان يكون ان فى معنى ما فيكون المعنى ما كنت فى شك مما انزلناه اليك فاسئل
الذين يقرؤون الكتاب اى لسنا نريد بامرك ان تسأل لانك شاك ولكن لتزداد ايمانا كما قال ابرهيم حين قيل له اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبى فالزيادة فى التعريف ليست مما يبطل العقيدة ولم امر سبحانه بسؤال اهل الكتاب مع جحد اكثرهم لنبوته فيه قولان احدهما انه
امره بان يسال مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وتميم الدارى واشباههم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك
والاخر ان المراد سلهم عن صفة النبى المبشر به فى كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة وهذا القول اقوى لان هذه السورة مكية وابن سلام
وغيره انما اسلموا بالمدينة و قال الزهرى ان هذه الاية نزلت فى السماء فان صح ذلك فقد كفى المؤنة ورواه اصحابنا ايضا عن ابى
عبد الله عليه السلام و قيل ايضا ان المراد بالشك الضيق والشدة بما يعانيه من تعنتهم واذاهم اى ان ضقت ذرعا بما تلقى من اذى
قومك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على اذى قومهم فاصبر كذلك لقد جاءك الحق من ربك يعنى
بالحق القران والاسلام فلا تكونن من الممترين اى الشاكين و لا تكونن من الذين كذبوا بايات الله اى من جملة من يجحد ايات الله ولا يصدق
بها فتكون من الخاسرين اى فانك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين ولم يفصل من الكافرين لان الانسان قد علم شدة تحسره
و تاسفه على خسران ماله فكيف اذا خسر دينه و نفسه ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون معناه ان الذين اخبر الله عنهم
بغير شرط انهم لا يؤمنون فنفى الايمان عنهم ولم ينف عنهم القدرة عليه فان نفى الفعل لا يكون نفيا للقدرة عليه كما ان الله سبحانه
نفى عن نفسه مغفرة المشركين ولم يكن ذلك نفيا للقدرة على مغفرتهم وقيل معناه ان الذين وجبت عليهم سخطة ربك عن قتادة
وقيل معناه وجب عليهم وعيد ربك و لو جاءتهم كل اية اى كل معجزة و دلالة مما يقترحونها حتى يروا العذاب الاليم الموجع فيصيروا
ملجائين الى الايمان وفى هذا اعلام بان هؤلاء الكفار لا لطف لهم فى المعلوم يؤمنون عنده ايمان اختيار **قوله عز وجل فلولا**
كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين اية الاعراب
لولا بمعنى هلا و هو يستعمل على وجهين احدهما التحضيض والاخر التانيب كقولك فى التحضيض هلا تاتى زيدا لحاجتك وفى التانيب
هلا امتنعت من الفساد الذى دعيت اليه قال الشاعر تعدون عقر النيب افضل مجدكم بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا و كانت قرية
كان هذه هى التامة لا تحتاج الى خبر و امنت فنفعها ايمانها صفة لقرية فان الجمل قد يقوم مقام الصفة المنكرة الا قوم يونس
استثناء متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكانه قال هلا امن اهل قرية والجميع مشتركون فى هذا العتاب وقوم يونس
مستثنى من الجميع ومثل هذا الاستثناء فى قوله تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض
الا قليلا ممن انجينا منهم و قال الزجاج الا قوم يونس استثناء منقطع و تقديره لكن قوم يونس لما امنوا ومثله قول النابغة وقفت
فيها اصيلا لا اسائلها عيت جوابا وما بالربع من احد الا اوارى لايا ما ابينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد وحكى الفرا
فى البيت لا ان ما ابينها و قال جمع الشاعر بين ثلثة احرف فى النفى لا وان وما وقرا بعضهم يونس و يوسف بكسر النون والسين
اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من اسف وانس و هو شاذ **المعنى** لما ذكر سبحانه ان ايمان فرعون لم يقبل عند معاينة
العذاب وصل ذلك ايمان قوم يونس قبل نزول العذاب فقال فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها اعلم الله سبحانه ان الايمان
لا ينفع عند وقوع العذاب و لا عند حضور الموت الذى لا يشك فيه لكن قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم العذاب عن الزجاج قال
وقوم يونس لم يقع بهم العذاب انما راوا الاية التى تدل على العذاب فمثلهم مثل العليل الذى يتوب فى مرضه وهو يرجو العافية و
يخاف الموت وقيل معناه لم يكن فيما خلا ان يؤمن اهل قرية باجمعهم حتى لا يشذ منهم احد الا قوم يونس فهلا كانت القرى كلها هكذا عن الحسن
وقيل معناه فما كانت قرية امنت فنفعها ايمانها يريد لم يكن هذا معروفا لامة من الامم كفرت ثم امنت عند نزول العذاب فكشف عنهم

ای هلا تعقرون الكمی

الا قوم يونس قيل ان معناه فهلا كان اهل قرية امنوا فى وقت ينفعهم ايمانهم

اى لم افعل هذا بامة قط الا قوم يونس لما امنوا عند نزول العذاب كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم وهو قوله كشفنا
عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا عن قتادة وابن عباس فى رواية عطا وقيل انه اراد بقوله فلولا كانت قرية امنت قوم ثمود
فانه قد جاءهم العذاب يوما فيوما كما جاء قوم يونس الا ان قوم يونس استدركوا ذلك بالتوبة واولئك لم يستدركوا فوصف اهل القرية
بانهم سوى قوم يونس ليعرفهم به بعض التعريف اذا كان اخبر عنهم على سبيل الاخبار من النكرة عن الجبائى و هذا الذى ذكره انما كان يصح لو كان
الا قوم يونس مرفوعا فكان يكون صفة لقرية او بدلا لانه على معنى هلا كان قوم قرية امنوا الا قوم يونس ولم يقرا احد من القرا بالرفع
ومتعناهم الى حين وهو وقت انقضاء اجالهم **القصة** وكان من قصة يونس على ما ذكره سعيد بن جبير والسدى و وهب وغيرهم ان قوم
يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل وكان يدعوهم الى الاسلام فابوا واخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلث ان لم يتوبوا فقالوا انا لم نجرب عليه
كذبا فانظروا فان بات فيكم تلك الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان فى جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم
فلما اصبحوا تغشاهم العذاب قال وهب اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت سطوحهم وقال
ابن عباس كان العذاب فوق رؤسهم قدر ثلثى ميل فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحن
بعضهم الى بعض وعلت اصواتها واختلطت اصواتها باصواتهم وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا امنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم
وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلهم قال عبد الله بن مسعود وبلغ من توبة اهل نينوى ان ترادوا المظالم بينهم حتى ان كان الرجل لياتى
الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيقلعه ويرده و روى عن ابى الجلد انه قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا
لقد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حى حين لا حى يا حى محيى الموتى يا حى لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم العذاب و روى على بن
ابرهيم بن هاشم عن ابيه عن ابن ابى عمير عن جميل قال قال ابو عبد الله عليه السلام كان فيهم رجل اسمه مليخا عابد واخر اسمه روبيل عالم فكان
العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهاه ويقول له لا تدع عليهم فان الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده فقبل يونس قول العابد
فدعا عليهم فاوحى الله تعالى اليه انه ياتيهم العذاب فى شهر كذا فى يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقى العالم فيهم فلما كان
اليوم الذى نزل بهم العذاب قال لهم العالم افزعوا الى الله لعله يرحمكم ويرد العذاب عنكم واخرجوا الى المفازة وفرقوا بين النساء والاولاد
وبين ساير الحيوان واولادها ثم ابكوا وادعوا ففعلوا فصرف عنهم العذاب وكان قد نزل وقرب منهم ومر يونس على وجهه مغاضبا كما حكى الله
عنه حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا سفينة قد شحنت وارادوا ان يدفعوها فسالهم يونس ان يحملوه فحملوه فلما توسطوا البحر بعث الله حوتا
عظيما فحبس عليهم السفينة فتساهموا فوقع سهم يونس فاخرجوه فالقوه فى البحر فالتقمه الحوت ومر به فى الماء وقيل ان الملاحين قالوا نقترع فمن اصابته
القرعة القيناه فى الماء فان ههنا عبدا عاصيا ابقا فوقعت القرعة سبع مرات على يونس فقام وقال انا العبد الابق والقى نفسه فى الماء فابتلعه
الحوت فاوحى الله تعالى الى ذلك الحوت لا تؤذ شعرة منه فانى جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعامك فلبث فى بطنه ثلثة ايام وقيل سبعة
ايام وقيل اربعين يوما و قد سال بعض اليهود امير المؤمنين عليه السلام عن سجن طاف اقطار الارض بصاحبه فقال له يا يهودى هو الحوت الذى
حبس يونس فى بطنه فدخل فى بحر قلزم ثم خرج الى بحر مصر ثم سار منها الى بحر طبرستان ثم خرج فى دجلة قال عبد الله بن مسعود ابتلع
الحوت حوت اخر فاهوى به الى قرار الارض وكان فى بطنه اربعين ليلة فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من
الظالمين فاستجاب الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ الممتعط فانبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها و
وكل الله به وعلا يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله تعالى اليه تبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة الف او يزيدون اردت
ان اهلكهم فخرج يونس فاذا هو بغلام يرعى فقال من انت فقال من قوم يونس قال اذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم الغلام
ورد الله عليه بدنه ورجع الى قومه وامنوا به وقيل انه عليه السلام ارسل الى قوم غير قومه الاولين **قوله عز وجل ولو شاء ربك لامن**
من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس
على الذين لا يعقلون اية القراءة قرا نجعل بالنون حماد ويحيى عن ابى بكر والباقون بالياء **الحجة** من قرا بالنون فانه ابتداء

عن ابى العالية

الوعد ... الجدر

بالاجبار عن الله ومن قرا بالياء فلانه تقدم ذكر الله تعالى فكنى عنه **اللغة** المشية والارادة والايثار والاختيار نظاير وانما تختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين في موضعه قال علي بن عيسى النفس خاصة الشئ التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشئ ونفسه وذاته واحد الا انه قد يوكد بالنفس ولا يوكد بالذات والنفس ماخوذة من النفاسه **الاعراب** كلهم تاكيد لمن وجميعا منصوب على الحال **المعنى** لما تقدم ان ايمان الملجاء غير نافع بين سبحانه ان ذلك لو كان ينفع لاكره اهل الارض عليه فقال ولو شاء ربك يا محمد لامن من في الارض اي لامن اهل الارض كلهم جميعا ومعناه الاخبار عن قدرة الله تعالى وانه يقدر على ان يكره الخلق على الايمان كما قال ان يشاء ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ولذلك قال بعد ذلك افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين ومعنا انه لا ينبغي ان تريد اكراههم على الايمان مع انك لا تقدر عليه لان الله تعالى يقدر عليه ولا يريده لانه ينافي التكليف واراد بذلك تسلية النبي صلى الله عليه واله وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على ايمانهم عنه وفي هذا ايضا دلالة على بطلان قول المجبرة انه تعالى لم يزل شائيا وانه لا يوصف بالقدرة على ان لا يشاء لانه تعالى اخبر انه لو شاء لقدر لكنه لم يشاء فلذلك لم يوجد ولو كانت مشيته ازلية لم يصح تعليقها بالشرط فصح ان مشيته فعله الا ترى انه لا يصح ان يقال لو علم سبحانه ولو قدر كما صح ان يقال لو شاء ولو اراد وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله معناه انه لا يمكن احدا ان يومن الا باطلاق الله تعالى له في الايمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك وقيل ان اذنه هاهنا امره كما قال يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فامنوا خيرا لكم عن الحسن والجبائي وحقيقة الاذن والاطلاق في الفعل بالامر وقد يكون الاذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعة وقيل ان اذنه هنا علمه اي لا تومن نفس الا بعلم الله من قولهم اذنت لكذا اذا استمعته وعلمته واذنته اعلمته فيكون خبرا عن علم الله سبحانه بجميع الكاينات ويجوز ان يكون بمعنى اعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يدعوهم الى فعله ويبعثهم على فعله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون معناه ويجعل العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكانهم لا عقل لهم عن قتادة وابن زيد وقيل معناه ويجعل الكفر عليهم اي يحكم عليهم بالكفر ويذمهم عليه عن الحسن وقيل الرجس الغضب والسخط عن ابن عباس وقال الكسائي الرجس النتن والرجز والرجس واحد قال ابو علي وكان الرجس على ضربين احدهما ان يكون في معنى العذاب والاخر ان يكون بمعنى القذر والنجس اي يحكم بانهم رجس كما قال انما المشركون نجس **قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا علينا ننجي المومنين ثلث ايات القراءة** قرا الكسائي برواية نصير ويعقوب برواية روح وزيد ثم ننجي رسلنا خفيفة وروى عن روح بالتشديد ايضا فيه والباقون ننجي بالتشديد وقرا الكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وسهل ننجي المومنين خفيفة والباقون ننجي بالتشديد **الحجة** حجة من قال ننجي قوله فانجاه الله من النار وحجة من قال ننجي قوله ونجينا الذين امنوا وكلاهما حسن قال الشاعر ونجى ابن هند سابح ذو علالة اجش هزيم والرماح دواني **اللغة** النظر طلب الشئ من جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة والانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال تقول انتظرني حتى الحقك ولو قلت توقعني لم تكن قد امرته بالثبات والمثل في الجنس ما سد احدهما مسد صاحبه فيما يرجع الى ذاته والمثل في غير الجنس ما كان على معنى تقربه من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب والنجاة ماخوذة من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك وكذلك السلامة ماخوذة من اعطاء الشئ من غير نقيصة سلمته اليه اذا اعطيته سالما من غير افة **الاعراب** وجه التشبيه في كذلك ان نجاة من بقي من المومنين كنجاة من مضى في انه حق على الله واجب لهم ويحتمل ان يكون العامل فيه ننجي الثاني وحقا نصب على المصدر اي يحق حقا وقيل انه نصب على الحال وان كان لفظه لفظ المصدر عن ابي مسلم قال النحوي البصري جامع العلوم ويجوز ان ينصب حقا بدلا من كذلك او وصفا ولا يجوز ان ينتصب كذلك وحقا جميعا بقوله ننجي رسلنا لان الفعل الواحد لا يعمل في مصدرين ولا في حالين ولا في استثنائين ولا في مفعول معهما وقد بين ذلك في موضعه فان جعلت كذلك من صلة ننجي وجعلت حقا من صلة قوله ننجي المومنين اي ننجي المومنين حقا كان الوقف على كذلك **المعنى** ثم بين سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وارشادهم فقال قل يا محمد لمن سالك الايات انظروا ماذا في السموات والارض من العبر والدلالات من اختلاف

وانجح ذي ان ترتابه والبيع ... يزكو ويبسم حاجكر ...

فكذلك ننجي الاولاد وقد يرد ننجي رسلنا والذين امنوا كذلك حقا ويحتمل ان يكون العامل م

الليل والنهار ومجارى النجوم والافلاك وما خلق من الجبال والبحار وانبت من الاشجار والثمار واخرج من انواع الحيوانات فان النظر في افرادها وجملتها يدعو الى الايمان والى معرفة الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون معناه ولا تغني هذه الدلالات والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها والرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون في الادلة تفكرا وتدبرا ولا يريدون الايمان وقيل ما نافية معناه اي شئ يغني عنهم من اجتلاب نفع او دفع ضر اذا لم يستدلوا بها فتكون ما للاستفهام وكان الحسن اذا قرا هذه الاية هتف بها وقال وما تغني الحجج عن قوم لا يقبلونها وقال ابو عبد الله عليه السلم لما اسرى برسول الله صلى الله عليه واله اتاه جبرئيل بالبراق فركبها فاتى بيت المقدس فلقي من لقي من الانبياء ثم رجع واصبح يحدث اصحابه اني اتيت بيت المقدس ولقيت اخواني من الانبياء فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه واله وكيف اتيت بيت المقدس الليلة قال جائني جبرئيل بالبراق فركبتها واية ذلك اني مررت بعير لابي سفيان على ماء لبني فلان وقد اضلوا جملا لهم احمر وهم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض انما جاء راكب سريع ولكنكم قد اتيتم الشام وعرفتموها وسالوه عن اسواقها وابوابها وتجارها فقالوا عن ذلك وكان عليه السلم اذا سئل عن الشئ لا يعرفه شق ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فبينا هو كذلك اذ اتاه جبرئيل فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله صلى الله عليه واله فاذا هو بالشام فقالوا له اين بيت فلان ومكان كذا فاجابهم في كل ما سالوه عنه فلم يومن منهم الا قليل وهو قول الله تعالى وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون ثم قال ابو عبد الله فنعوذ بالله ان لا نومن بالله امنا بالله ورسوله فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم معناه فهل ينتظر هولاء الذين امروا بالايمان فلم يومنوا وبالنظر في الادلة فلم ينظروا الا العذاب والهلاك في مثل الايام التي هلك من قبلهم من الكفار فيها قال قتادة اراد به وقايع الله في عاد وثمود وقوم نوح وعبر عن الهلاك بالايام كما يقال ايام فلان يراد به ايام دولته وايام محنته واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به النفي وتقديره ليس ينتظرون الا ذلك قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين اي قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعد الله من العذاب فاني منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله ثم ننجي رسلنا والذين امنوا من بينهم ونخلصهم من العذاب وقت نزوله وقيل من شر اعدائهم ومكرهم كذلك حقا علينا ننجي المومنين قال الحسن معناه كنا اذا اهلكنا امة من الامم الماضين نجينا نبيهم ونجينا الذين امنوا به ايضا كذلك اذا اهلكنا هولاء المشركين نجيناك يا محمد والذين امنوا بك وقيل معناه كذلك حقا علينا اي واجبا علينا من طريق الحكمة ننجي المومنين من عذاب الاخرة كما ننجيهم من عذاب الدنيا وقال ابو عبد الله عليه السلم ما يمنعكم من ان تشهدوا على من مات منهم على هذا الامر انه من اهل الجنة ان الله يقول كذلك حقا علينا ننجي المومنين **قوله عز وجل قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المومنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم اربع ايات** **اللغة** الشك وقوف في المعنى ونقيضه كمن يشك في كون زيد في الدار فانه لا يكون لاحدى الصفتين عنده مزية على الاخرى فيقف وهو معنى غير الاعتقاد عند ابي علي الجبائي وابي هاشم ثم رجع عنه ابو هاشم وقال ليس بمعنى وهو اختيار القاضي والتوفي قبض الشئ على التمام والاقامة نصب الشئ ونقيضه الاضجاع واقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام في جهة الانتصاب والمماسة والملطاة والمجامعة نظاير وضدها المباينة والكشف رفع الساتر المانع من الادراك فكان الضر هاهنا ساتر يمنع من ادراك الانسان **الاعراب** ان كنتم في شك شرط وجوابه في قوله لا اعبد وانما صح ذلك لان معناه ان كنتم في شك فلا تطمعوا في تشكيكي حتى اعبد غير الله كعبادتكم **المعنى** ثم امر الله سبحانه نبيه عليه السلم بالبراءة عن كل معبود سواه فقال قل يا محمد لهولاء الكفار يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني احق هو ام لا فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله لشككم في ديني ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يقدر على اماتتكم وهذا يتضمن تهديدا لهم لان وفاة المشركين ميعاد عذابهم ومتى قيل كيف قال ان كنتم في شك من ديني مع اعتقادهم بطلان دينه فجوابه من وجوه احدها ان يكون التقدير من كان شاكا في امري فهذا حكمه والثاني انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي

هتفت الحمامة صاحت وبه

فی انفسهم عند ورود الایات والثالث ان فیهم من کان شاکا فغلب ذکرهم وامرت ان اکون من المؤمنین ای وامرنی ربی ان اکون من المصدقین بالتوحید واخلاص العبادة له وان اقم وجهک هذا عطف علی ما قبله فکانه قال وقیل لی اقم وجهک للدین ای استقم فی الدین باقبالک علی ما امرت به بالقیام باعباء النبوة وتحمل امر الشریعة بوجهک وقیل معناه اقم وجهک فی الصلوة بالتوجه نحو الکعبة حنیفا ای مستقیما فی الدین ولا تکونن من المشرکین هذا نهی عن الاشراک مع الله سبحانه غیره فی العبادة ولا تدع من دون الله ما لا ینفعک ان اطعته ولا یضرک ان عصیته وترکته ای لا تدع الها کما یدعوا المشرکون الاوثان الهة فانما قال ما لا ینفعک ولا یضرک مع انه لو نفع وضر لم یحسن ایضا عبادته لامرین احدهما ان معناه ما لا ینفعک نفع الاله ولا یضرک ضره والثانی انه اذا کان عبادة غیر الله ممن یضر وینفع قبیحة فعبادة من لا یضر ولا ینفع اقبح فان فعلت فانک اذا من الظالمین معناه فان خالفت ما امرت به من ترک عبادة غیر الله کنت ظالما لنفسک بادخالک الضرر الذی هو العقاب علیها وهذا الخطاب وان کان متوجها الی النبی صلی الله علیه واله فی الظاهر فالمراد به امته وان یمسسک الله بضر معناه وان احل الله بک ضرا من بلاء او شدة او مرض فلا کاشف له الا هو ای لا یقدر احد علی کشفه غیره کانه سبحانه لما بین ان غیره لا ینفع ولا یضر عقبه ببیان کونه قادرا علی النفع والضر وان یردک بخیر من صحة جسم ونعمة وخصب ونحوها فلا راد لفضله ای لا یقدر علی منعه احد وتقدیره ان یرد بک خیرا ویجوز فیه التقدیم والتاخیر یقال فلان یریدک بالخیر ویرید بک الخیر یصیب به ای بالخیر من یشاء من عباده فیعطیه علی ما یقتضیه الحکمة ویعلمه من المصلحة وهو الغفور لذنوب عباده الرحیم بهم **قوله عز وجل قل یا ایها الناس قد جاءکم الحق من ربکم فمن اهتدی فانما یهتدی لنفسه ومن ضل فانما یضل علیها وما انا علیکم بوکیل واتبع ما یوحی الیک واصبر حتی یحکم الله وهو خیر الحاکمین** **المعنی** ثم ختم الله سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلیة لنبیه صلی الله علیه واله وسلام والوعد للمؤمنین والوعید للکافرین فقال عز اسمه قل یا محمد مخاطبا للمکلفین یا ایها الناس قد جاءکم الحق من ربکم وهو القران ودین الاسلام والادلة الدالة علی صحته وقیل یرید بالحق النبی صلی الله علیه واله ومعجزاته الظاهرة فمن اهتدی بذلک بان نظر فیه وعرفه حقا وصوابا فانما یهتدی لنفسه ومعناه فان منافع ذلک من الثواب وغیره یعود علیه دون غیره ومن ضل عنه وعدل عن تامله والاستدلال به فانما یضل علیها ای علی نفسه لانه یجنی علیها وما انا علیکم بوکیل ای ما انا بحفیظ لکم عن الهلاک اذا لم تنظروا انتم لانفسکم ولم تعملوا ما یخلصها کما یحفظ الوکیل مال غیره والمعنی انه لیس علی الا البلاغ ولا یلزمنی ان اجعلکم مهتدین وان انجیکم من النار کما یجب علی من وکل علی متاع ان یحفظه من الضرر واتبع ما یوحی الیک واصبر علی اذی الکافرین وتکذیبهم حتی یحکم الله بینک وبینهم باظهار دینه واعلاء امره وهو خیر الحاکمین لانه لا یحکم الا بالعدل والصواب **سورة هود علیه السلام** هی مکیة کلها فی قول الاکثرین وقال قتادة الا ایة وهی قوله واقم الصلوة طرفی النهار فانها نزلت بالمدینة **عدد ایها** هی مائة وثلث وعشرون ایة کوفی واثنتان شامی والمدنی الاول وایة فی الباقین اختلافها سبع ایات بریء مما تشرکون کوفی فی قوم لوط غیر البصری من سجیل مکی شامی والمدنی الاخیر کنتم مؤمنین حجازی منضود وانا عاملون عراقی شامی والا المدنی الاول مختلفین عراقی شامی **فضلها** ابی بن کعب عن النبی صلی الله علیه واله قال من قراها اعطی من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وکذب به وهود وصالح وشعیب ولوط وابرهیم وموسی وکان یوم القیمة من السعداء وروی الثعلبی باسناده عن ابی اسحق عن ابی جحیفة قال قیل یا رسول الله قد اسرع الیک الشیب قال شیبتنی هود واخواتها وفی روایة اخری عن انس بن مالک عن ابی بکر قال قلت یا رسول الله عجل الیک الشیب قال شیبتنی هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم یتساءلون وهل اتیک حدیث الغاشیة وروی العیاشی عن الحسن بن علی الوشاء عن ابن سنان عن ابی جعفر علیه السلام قال من قرا سورة هود فی کل جمعة بعثه الله یوم القیمة فی زمرة النبیین وحوسب حسابا یسیرا ولم یعرف له خطیئة عملها یوم القیمة **تفسیرها** لما ختم الله سبحانه سورة یونس بذکر الوحی فی قوله واتبع ما یوحی الیک افتتح هذه السورة ببیان ذلک الوحی **فقال عز وجل بسم الله الرحمن الرحیم الر کتاب احکمت ایاته ثم فصلت من لدن حکیم خبیر ان لا تعبدوا الا الله اننی لکم منه نذیر وبشیر وان استغفروا ربکم ثم توبوا الیه**

یمتعکم

یمتعکم متاعا حسنا الی اجل مسمی ویؤت کل ذی فضل فضله وان تولوا فانی اخاف علیکم عذاب یوم کبیر الی الله مرجعکم وهو علی کل شیء قدیر اربع ایات **اللغة** الاحکام منع الفعل من الفساد والحکمة المعرفة بما یمنع الفعل من الفساد والنقص وبما یمیز القبیح من الحسن والفاسد من الصحیح والحکیم فی صفات الله تعالی یحتمل وجهین احدهما ان یکون بمعنی محکم فهو فعیل بمعنی مفعل ای یحکم افعاله فیکون علی هذا من صفات فعله فلا یوصف فیما لم یزل والثانی ان یکون بمعنی علیم فیکون من صفات ذاته فیوصف بانه حکیم فیما لم یزل **الاعراب** قال الزجاج کتاب مرفوع باضمار هذا کتاب وقال بعضهم کتاب خبر الر وهذا غلط لان کتاب احکمت ایاته لیس هو الر وحدها وان لا تعبدوا فی موضع نصب تقدیره فصلت ایاته لان لا تعبدوا او بان لا تعبدوا ویحتمل ان یکون علی تقدیر امرکم بان لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه وان استغفروا معطوف علیه ومعنی الا فی قوله الا الله ایجاب للمذکور بعدها ما نفی عن کل ما سواه من العبادة وهی التی تفرغ عامل الاعراب لما بعدها یمتعکم جزم جواب لقوله وان استغفروا ربکم وان تولوا یرید تتولوا فحذف احدی التائین تخفیفا وابن کثیر یدغم التاء الثانیة فی الاولی فیشدد **المعنی** قد بینا تفسیر الر والاقاویل فیها فی اول البقرة فلا معنی لاعادته کتاب یعنی القران ای هو کتاب احکمت ایاته ثم فصلت ذکر فیه وجوه احدها ان معناه احکمت ایاته فلم ینسخ منها شیء کما نسخت الکتب والشرایع ثم فصلت ببیان الحلال والحرام وسایر الاحکام عن ابن عباس وثانیها ان معناه احکمت ایاته بالامر والنهی ثم فصلت بالوعد والوعید والثواب والعقاب عن الحسن وابی العالیة وثالثها احکمت ایاته جملة ثم فرقت فی الانزال ایة بعد ایة لیکون المکلف امکن من النظر والتدبر عن مجاهد ورابعها احکمت فی نظمها بان جعلت علی ابلغ وجوه الفصاحة حتی صار معجزا ثم فصلت بالشرع والبیان المفروض فکانه قیل محکم النظم متصل الایات عن ابی مسلم وخامسها اتقنت ایاته فلیس فیها خلل ولا باطل لان الفعل المحکم ما قد اتقنه فاعله حتی لا یکون فیه خلل ثم فصلت بان جعلت متتابعة بعضها علی اثر بعض من لدن حکیم ای هذا الکتاب اتاکم من عند حکیم فی افعاله وتدابیره خبیر ای علیم باحوال خلقه ومصالحهم وفی هذه الایة دلالة علی ان کلام الله سبحانه محدث لانه وصفه بانه احکمت ایاته ثم فصلت والاحکام من صفات الافعال وکذلک التفصیل ثم قال من لدن حکیم وهذه الاضافة لا تصح الا فی المحدث لان القدیم یستحیل ان یکون صادرا عن غیره وقوله الا تعبدوا الا الله معناه انزل هذا الکتاب لیامرکم ان لا تعبدوا الا الله ولکی لا تعبدوا الا الله کما یقال کتبت الیک ان لا تخرج من الدار وان لا تخرج بالنصب والجزم اننی لکم منه نذیر وبشیر هذا اخبار من النبی صلی الله علیه واله انه مخوف من مخالفة الله وعصیانه بالیم العقاب مبشر علی طاعة الله بجزیل الثواب وان استغفروا ربکم ثم توبوا الیه معناه اطلبوا المغفرة واجعلوها غرضکم ثم توصلوا الیها بالتوبة وقیل معناه استغفروا ربکم من ذنوبکم ثم توبوا الیه فی المستانف متی وقعت منکم المعصیة عن الجبائی وقیل ان ثم ههنا بمعنی الواو عن الفراء وهذا لان الاستغفار والتوبة واحد فیکون التوبة توکیدا للاستغفار یمتعکم متاعا حسنا الی اجل مسمی یعنی انکم متی استغفرتموه وتبتم الیه یمتعکم فی الدنیا بالنعم السابغة فی الخفض والدعة والامن والسعة الی الوقت الذی قدر لکم اجل الموت فیه وقال الزجاج یرید یبقیکم ولا یستاصلکم بالعذاب کما استاصل اهل القری الذین کفروا ویؤت کل ذی فضل فضله قیل ان الفضل بمعنی التفضل والافضال ای ویعط کل ذی افضال علی غیره بمال او کلام او عمل بید او رجل جزاء افضاله فیکون الهاء فی فضله عایدا الی ذی الفضل وقیل ان معناه یعطی کل ذی عمل صالح فضله ای ثوابه علی قدر عمله فان من کثرت طاعاته فی الدنیا زادت درجاته فی الجنة وعلی هذا فالاولی ان یکون الهاء فی فضله عایدا الی اسم الله تعالی وان تولوا ای عرضوا عما امروا به وقیل معناه وان تتولوا انتم تعرضوا فحذف احدی التائین ولذلک شدده ابن کثیر فی روایة البزی عنه فانی اخاف علیکم عذاب یوم کبیر ای کبیر شانه وهو یوم القیمة وهذا الخوف لیس فی معنی الشک بل هو فی معنی الیقین ای فقل لهم یا محمد انی اعلم ان لکم عذابا عظیما وانما وصف الیوم بالکبیر لعظم ما فیه من الاهوال الی الله مرجعکم ای فی ذلک الیوم الی حکم الله مصیرکم لان حکم غیره یزول فیه وقیل معناه الیه مصیرکم بان یعیدکم للجزاء وهو علی کل شیء قدیر یقدر علی الاعادة والبعث والجزاء فاحذروا مخالفته **قوله عز وجل الا انهم یثنون صدورهم لیستخفوا منه الا حین یستغشون ثیابهم یعلم ما یسرون وما یعلنون انه علیم بذات الصدور** **القراءة** روی عن ابن عباس وعن علی بن الحسین وابی جعفر محمد بن علی وزید بن علی وجعفر بن محمد علیهم السلام تثنونی صدورهم علی تفعوعل وعن نجاشی ومجاهد ویحیی بن یعمر

ابن عباس ايضا الثنون وعن مجاهد ليثنين وروى ذلك ايضا عن عروة الاعشى الحجر اما تثنوني على مثال تفعوعل فهو من امثلة المبالغة تقول اعشب البلد فاذا كثر ذلك قيل اعشوشب وكذلك احلولى واخشوشب واخشوشن واما تثنون وتثنين فقد قال ابن جني انهما من لفظ الثن وهو ما هش وضعف من الكلا انشد ابو زيد يكفي اللقوح اكلة من ثن تثنين بالهمزة اصله تثنان نحو كبت الالف لكونها وسكون النون الاولى فانقلبت همزة واما تثنون فاصله تثنونن فلزم الادغام لتكرير العين اذ كان غير ملحق فاسكنت النون الاولى ونقلت كسرتها الى الواو وادغمت النون في النون فصار تثنون اللغة اصل الثني العطف يقول ثنيته عن كذا اي عطفته ومنه الاثنان لعطف احدهما على الاخر في المعنى ومنه الثناء لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء لانه عطف عليه بالاخراج منه والاستغشاء طلب خفاء الشي يقال استخفى وتخفى بمعنى وكذلك استغشى وتغشى قالت الخنساء ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري الاعراب الا معناها التنبيه ولا حظ لها في الاعراب وما بعدها مبتداء النزول قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقى رسول الله صلى الله عليه بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره عن ابن عباس وروى العياشي باسناده عن ابي جعفر عليه السلم قال اخبرني جابر بن عبد الله ان المشركين كانوا اذا مروا برسول الله صلى الله عليه واله طاطا احدهم راسه وظهره هكذا وغطى راسه بثوبه حتى لا يراه رسول الله صلى الله عليه واله فانزل الله هذه الاية المعنى لما تقدم ذكر القران بين سبحانه فعلهم عند سماعه فقال الا انهم يعني الكفار والمنافقين يثنون صدورهم اي يطوونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل معناه يحنون صدورهم لكي لا يسمعوا كتاب الله سبحانه وذكره عن قتادة وقيل يثنونها على عداوة النبي صلى الله عليه واله عن الفراء والزجاج وقيل انهم كانوا اذا عقدوا مجلسا على معاداة النبي صلى الله عليه واله والسعي في امره بالفساد انضم بعضهم الى بعض وثنى بعضهم صدره الى صدر بعض يتناجون ليستخفوا منه اي ليخفوا ذلك من الله تعالى على القول الاخير فانهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله ان ظنوا انهم اذا ثنوا صدورهم على سبيل الاخفاء لم يعلم الله اسرارهم وعلى الاقوال الاخر معناه ليستروا ذلك عن النبي صلى الله عليه واله الا حين يستغشون ثيابهم معناه انهم كانوا يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون فيما كانوا يدبرونه على النبي صلى الله عليه واله وعلى المومنين ويكتمونه عن الناس فبين الله سبحانه انه يعلم ما يسرون وما يعلنون وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاء فوقهم لا بمعنى انه يتجدد له العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الازل انه عليم بذات الصدور يريد بما في النفوس عن ابن عباس وبحقيقة ما في القلوب من المضمرات وقيل انه كنى باستغشاء ثيابهم عن الليل لانهم يتغطون بظلمته كما يتغطون بثيابهم قوله عز وجل وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ثلث ايات اللغة الدابة الحي الذي من شانه ان يدب وقد صار في العرف مختصا بنوع من الحيوان وقد ورد القران بها على الاصل في قوله وما من دابة والله خلق كل دابة الاعراب اللام في قوله لئن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لانها دخلت على ان التي للجزاء ولام الابتداء انما هي للاسم او ما ضارع الاسم في باب ان وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم لانه اذا جاء في صدر الكلام غلب عليه كما انه اذا تاخر او توسط الغي ويوم ياتيهم نصب على الظرف من مصروف اي ليس يصرف العذاب عنهم يوم ياتيهم المعنى وما من دابة في الارض اي ليس من دابة يدب على وجه الارض ويدخل فيه جميع ما خلق الله تعالى على وجه الارض من الجن والانس والطير والانعام والوحوش والهوام الا على الله رزقها اي الا والله سبحانه يتكفل برزقها ويوصله اليها على ما يقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة ويعلم مستقرها ومستودعها اي يعلم موضع قرارها والموضع الذي اودعها فيه وهو اصلاب الاباء وارحام الامهات عن مجاهد وقيل مستقرها حيث تاوي اليه من الارض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه عن ابن عباس والربيع وقيل مستقرها ما يستقر عليه عملها ومستودعها ما يصير اليه كل في كتاب مبين هذا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ وانما اثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يعزب عنه شي من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة او لمن يخبر بذلك وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام هذا اخبار منه سبحانه عن نفسه بانه انشاهما في هذا

والمنافقين

المقدار من الزمان مع قدرته على ان يخلقها في مقدار لمح البصر والوجه في ذلك انه سبحانه اراد ان يبين بذلك ان الامور جارية في التدبير على منهاج الحكمة ومنشاة على ترتيب لما في ذلك من المصلحة والمراد بقوله ستة ايام ما مقداره مقدار ستة ايام لانه لم يكن هناك ايام بعد فان اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها وكان عرشه على الماء في هذا دلالة على ان العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والارض وكان الماء قائما بقدرة الله على غير موضع قرار بل كان الله يمسكه بكمال قدرته وفي ذلك اعظم الاعتبار لاهل الانكار وقيل ان المراد بقوله عرشه بناءه يدل عليه قوله ومما يعرشون اي يبنون فالمعنى وكان بناؤه على الماء فان البناء على الماء ابدع واعجب عن ابي مسلم ليبلوكم ايكم احسن عملا معناه انه خلق الخلق ودبر الامور ليظهر احسان المحسن فانه الغرض في ذلك اي ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لئلا يتوهم انه سبحانه يجازي العباد على حسب ما في معلومه انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وفي قوله احسن عملا دلالة على انه قد يكون فعل حسن احسن من فعل الاخر لان حقيقة لفظة افعل يقتضي ذلك ولئن قلت يا محمد لهم انكم مبعوثون من بعد الموت للحساب ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ليس هذا القول الا تمويه ظاهر لا حقيقة له ومن قرا ساحر فالمراد ليس هذا يعنون النبي صلى الله عليه واله الا ساحر قال الجبائي وفي الاية دلالة على انه كان قبل خلق السموات والارض الملايكة لان خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه الا ان يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد اذا من حي مكلف وقال علي بن عيسى لا يمتنع ان يكون في الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائي وهو الذي اختاره المرتضى قدس الله روحه ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة معناه لئن اخرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستيصال الى اجل مسمى ووقت معلوم والامة الحين كما قال سبحانه وادكر بعد امة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقيل الى امة اي الى جماعة يتعاقبون فيصرون على الكفر ولا يكون فيهم من يومن كما فعلنا بقوم نوح عن علي بن عيسى وقيل معناه الى امة بعد هؤلاء نكلفهم فيعصون فيقتضي الحكمة اهلاكهم واقامة القيمة عن الجبائي وقيل ان الامة المعدودة هم اصحاب المهدي في اخر الزمان ثلثمائة وبضعة عشر رجلا كعدة اهل بدر يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزع الخريف وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلم ليقولن على وجه الاستهزاء ما يحبسه اي اي شي يوخر هذا العذاب عنا ان كان حقا الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم اي ان هذا العذاب الذي يستبطؤنه اذا انزل بهم في الوقت المقدور لا يقدر احد على صرفه عنهم ولا يتمكن من اذهابه عنهم اذا اراد الله ان ياتيهم به وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن اي ونزل بهم الذي كانوا يستهزؤن به من نزول العذاب وتحققوه النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها انه لما قال سبحانه يعلم ما يسرون وما يعلنون قال عقيبه كيف يخفى على الله سر هؤلاء وهو يرزقهم واذا اوصل الى كل حي واحد رزقه ولم ينسه فليعلم انه يعلم سره وهو قوله ويعلم مستقرها ومستودعها يدل على ما ذكرنا ثم زاده بيانا بقوله وهو الذي خلق السموات الاية فان اصل الخلق التقدير الذي لا يختل بالنقصان والزيادة وذلك لا يتم الا من العالم لذاته قوله عز وجل وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ثلث ايات اللغة الذوق تناول الشي بالفم لادراك الطعم وسمى الله سبحانه احلال اللذات بالانسان اذاقة لسرعة زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول كما قيل احلام نوم او كظل زايل والنزع قلع الشي عن مكانه واليؤوس فعول من ياس واليأس القطع بان الشي المتوقع لا يكون ونقيضه الرجاء والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة يظهر الحال بها لانهما اخرجتا مخرج الاحوال الظاهرة مثل حمراء وعيناء مع ما فيهما من المبالغة والفرح والسرور من النظاير وهو انفتاح القلب بما يلتذ به وضده الغم والصحيح ان الغم والسرور من جنس الاعتقادات وليسا جنس من الاغراض ومن الناس من قال هما جنسان والفخور الذي يكثر فخره وهو التطاول بتعديد المناقب وهي صفة ذم اذا اطلقت لما فيها من التكبر على من لا يجوز ان يتكبر عليه الاعراب اللام في لئن لتوطية القسم وليست للقسم والتقدير والله لئن اذقنا الانسان منا رحمة انه ليؤس فانه جواب القسم الذي هيأته اللام الا انه مغن عن جواب الشرط وواقع موقعه ومثله قول الشاعر لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وامكنني منها اذا لا اقيلها اي والله لا اقيلها ولو كانت جواب ان لكان لا اقلها الذين صبروا في موضع نصب على الاستثناء من الانسان لانه اسم الجنس فهو كقوله ان الانسان

لفى خسر الا الذين امنوا وقال الزجاج والاخفش انه استثناء ليس من الاول والمعنى لكن الذين صبروا والاول قول الفراء المعنى
ثم بين سبحانه حال الانسان فيما قابل به نعمة من الكفران فقال ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اى احللنا به نعمة من الصحة والكفاية
والسعة من المال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا ثم نزعناها منه اى سلبنا تلك النعمة عنه اذا راينا المصلحة فيه انه ليؤس اى قنوط
وهو الذى سنته وعادته الياس كفور وهو الذى عادته كفران النعمة ومعنى الاية مصروف الى الكفار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع
الحكيم الذى لا يعطى ولا يمنع الا لما يقتضيه الحكمة من وجوه المصالح ولئن اذقناه اى احللنا به واعطيناه نعماء بعد ضراء مسته اى
بعد بلاء اصابه ليقولن عند نزول النعماء به ذهب السيئات عنى اى ذهبت الخصال التى تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه عنه وهو
ههنا بمعنى الشدائد والالام والامراض عنى فلا يعود الى ولا يؤدى شكر الله تعالى عليها انه لفرح فخور يفرح به ويفخر به على الناس
فلا يصبر فى المحنة ولا يشكر عند النعمة الا الذين صبروا معناه الا الذين قابلوا الشدة بالصبر والنعمة بالشكر وعملوا الصالحات اى
واظبوا على الاعمال الصالحة اولئك لهم مغفرة واجر كبير وهو الجنة **قوله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شىء وكيل ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون ثلث ايات اللغة** ضائق وضيق بمعنى واحد الا ان ضائق ههنا احسن
لوجهين احدهما انه عارض والاخر انه اشكل بقوله تارك والكنز المال المدفون سمى بذلك لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكتنز و
صار فى الشرع اسم ذم لكل مال لا تخرج منه حق الله تعالى من الزكوة وغيره وان لم يكن مدفونا وافترى واختلق واخترق وخلق و
خرص وخرق اذا كذب والاستجابة فى الاية طلب الاجابة بالقصد الى فعلها ويقال استجاب واجاب بمعنى واحد والفرق بين الاجابة
والطاعة ان الطاعة موافقة الارادة الجاذبة الى الفعل برغبة او رهبة والاجابة موافقة الداعى الى الفعل من اجل انه دعا به
الاعراب ان يقولوا فى موضع نصب بانه مفعول له وتقديره كراهة ان يقولوا فحذف المضاف وقيل ان يقولوا فى موضع جر بدل من الهاء
فى قوله ضائق به صدرك ام يقولون افتراه ام هذه منقطعة ليست بالمعادلة وتقديره بل ايقولون افتراه وهو تقرير بصورة الاستفهام
النزول روى عن ابن عباس ان رؤساء مكة من قريش اتوا رسول الله صلى الله عليه واله فقالوا يا محمد ان كنت صادقا فحول لنا جبال
مكة ذهبا وائتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة فانزل الله تعالى فلعلك تارك الاية وروى العياشى باسناده عن ابى عبد الله
عليه السلم ان رسول الله صلى الله عليه واله قال لعلى عليه السلم انى سالت ربى ان يواخى بينى وبينك ففعل وسالت ربى ان يجعلك
وصيى ففعل فقال بعض القوم والله لصاع من تمر فى شن بال احب الينا مما سال محمد ربه فهلا ساله ملكا يعضده على عدوه او كنزا
يستعين به على فاقته فنزلت الاية **المعنى** ثم امر سبحانه رسوله بالثبات على الامر وحثه على حجاج القوم بما يقطع العذر فقال فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك اى لعلك تارك بعض القران وهو ما فيه سب الهتهم فلا تبلغهم اياه دفعا لشرهم وخوفا منهم وضائق به صدرك
بما يقولون وبما يلحقك من اذاهم وتكذيبهم وقيل باقتراحاتهم ان يقولوا اى كراهة ان يقولوا او مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز
من المال او جاء معه ملك يشهد له وليس قوله فلعلك على وجه الشك بل المراد به النهى عن ترك اداء الرسالة والحث على ادائها
كما يقول احدنا لغيره وقد علم من حاله انه يطيعه ولا يعصيه ويدعوه غيره الى عصيانه لعلك تترك بعض ما امرتك به لقول فلان
وانما يقول ذلك ليؤيس من يدعوه الى ترك امره فمعناه لا تترك بعض ما يوحى اليك ولا يضيق صدرك بسبب مقالتهم هذه انما انت
نذير اى منذر والله على كل شىء وكيل اى حفيظ لجلب النفع اليه ويدفع الضرر عنه ام يقولون افتراه معناه بل ايقولون اختلق
القران واخترعه واتى به من عند نفسه وقيل ان ههنا محذوفا وتقديره ايكذبونك فيما اتيتهم به من القران ام يقولون افتريته على
ربك وحذف لدلالة ما ابقى على ما القى وعلى هذا فيكون ام هذه هى المتصلة قل يا محمد لهم فاتوا انتم بعشر سور مثله مفتريات اى
ان كان هذا مفترى على الله كما زعمتم فاتوا انتم بعشر سور مثله فى النظم والفصاحة مفتريات على زعمكم فان القران نزل بلغتكم وقد
نشات انا بين اظهركم فان لم يمكنكم ذلك فاعلموا انه من عند الله تعالى وهذا صريح فى التحدى وفيه دلالة على جهة اعجاز القران

وانها هى البلاغة والفصاحة فى هذا النظم المخصوص لانه لو كان جهة الاعجاز غير ذلك لما قنع فى المعارضة بالافتراء والاختلاق
وان البلاغة ثلث طبقات فاعلى طبقاتها معجز وادناها واوسطها ممكن فالتحدى فى الاية انما وقع فى الطبقة العليا منها ولو كان
وجه الاعجاز الصرفة لكان الركيك من الكلام ابلغ فى باب الاعجاز والمثل المذكور فى الاية لا يجوز ان يراد به مثله فى الجنس لان مثله
فى الجنس يكون حكاية فلا يقع بها التحدى وانما يرجع ذلك الى ما هو متعارف بين العرب فى تحدى بعضهم بعضا كما اشتهر من مناقضات
امرئ القيس وعلقمة وعمرو بن كلثوم والحرث بن حلزة وجرير والفرزدق وغيرهم وقوله وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين معناه ادعوهم ليعينوكم على معارضة القران ان كنتم صادقين فى قولكم انى افتريته ويريد بقوله من استطعتم من
خالف نبينا صلى الله عليه واله من جميع الامم وهذا غاية ما يمكن فى التحدى والمحاجة وفيه الدلالة الواضحة على اعجاز القران لانه
اذا ثبت ان النبى صلى الله عليه واله تحداهم به واوعدهم بالقتل والاسر بعد ان عاب دينهم والهتهم وثبت انهم كانوا احرص الناس
على ابطال امره حتى بذلوا مهجهم واموالهم فى ذلك فاذا قيل لهم افتروا انتم مثل هذا القران وادحضوا حجته فذلك ايسر واهون
عليكم من كل ما تكلفتموه فعدلوا عن ذلك وعادوا الى الحرب والقتل وتكلفوا الامور الشاقة فذلك من ادل الدلائل على عجزهم
اذ لو قدروا على معارضته مع سهولة ذلك عليهم لفعلوه لان العاقل لا يعدل عن الامر السهل الى الصعب الشاق مع حصول الغرض
بكل واحد منهما فكيف ولو بلغوا غاية امانيهم فى الامر الشاق وهو قتله عليه السلم لكان لا يحصل غرضهم من ابطال امره فان المحق قد يقتل
فان قيل لم ذكر التحدى مرة بعشر سور ومرة بسورة ومرة بحديث مثله فالجواب ان التحدى انما يقع بما يظهر فيه الاعجاز من منظوم
الكلام فيجوز ان يتحدى مرة بالاقل ومرة بالاكثر فان لم يستجيبوا لكم قيل ان الخطاب للمسلمين والمراد فان لم يجبكم هؤلاء الكفار الى الاتيان
بعشر سور مثله معارضة لمثل هذا القران فاعلموا ايها المسلمون انما انزل القران بعلم الله عن مجاهد واختاره الجبائى وقيل هو خطاب
للكفار وتقديره فان لم يستجب لكم من تدعونهم الى المعاونة ولا تهيا لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة وقيل ان الخطاب للرسول اى فان
لم يجيبوك وذكر بلفظ الجمع تفخيما والغرض التنبيه على اعجاز القران وانه المنزل من عند الله سبحانه على نبيه وذكر فى قوله بعلم الله وجوه
احدها ان معناه ان الله عالم به وبانه حق منزل من عنده وثانيها ان معناه بعلم الله مواقع تاليفه فى علو طبقته وانه لا يقدر احد
على معارضته وثالثها انه انزله الله على علم من ترتيبه ونظمه ولا يعلم غيره ذلك وان لا اله الا هو اى واعلموا ان لا اله الا هو لان مثل هذا
المعجز لا يقدر عليه الا الله الواحد الذى لا اله الا هو فهل انتم مسلمون اى هل انتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرنا من كلام الله مستسلمون
منقادون له معتقدون توحيده وهذا استفهام فى معنى الامر مثل قوله فهل انتم منتهون **قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ايتان القراءة** روى فى الشواذ قراءة ابى وابن مسعود وباطلا ما كانوا يعملون **الحجة** الوجه فى ان يكون باطلا
منصوبا بيعملون وما مزيدة للتوكيد فكانه قال وباطلا كانوا يعملون ومثله قوله اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون **اللغة** الزينة
تحسين الشىء بغيره من لبسة او حلية او هيئة يقال زانه يزينه زينة والتوفية تادية الحق على تمام والبخس نقصان الحق وكل ظالم باخس
لانه يظلم غيره بنقصان حقه وفى المثل تحسبها حمقاء وهى باخس **الاعراب** قال الفراء كان ههنا زائدة وتقديره من يرد الحيوة الدنيا وقال
غيره معناه ان يصح انه كان كقوله سبحانه ان كان قميصه قد من دبر ولا يجوز مثل ذلك فى غير كان لانها ام الافعال قال ابو على
الشرط والجزاء لا يقعان الا فيما يستقبل فحرف الجزاء يحيل معنى المضى الى الاستقبال لا محالة ولو جاز وقوع الماضى بعدها على معناها
لما جمت الا ترى ان لو لم تجزم وان كان فيها معنى الشرط والجزاء لوقوع الماضى بعدها على بابه نحو لو جئتنى امس لاكرمتك **المعنى** من
كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اى زهرتها وحسن بهجتها ولا يريد الاخرة نوف اليهم اعمالهم فيها اى نوفر عليهم جزاء اعمالهم فى الدنيا تاما
وهم فيها لا يبخسون اى لا ينقصون شيئا منه واختلف فى معناه فقيل ان المراد به المشركون الذين لا يصدقون بالبعث يعملون
اعمال البر كصلة الرحم واعطاء السائل والكف عن الظلم واعانة المظلوم والاعمال التى يحسنها العقل كبناء القناطر ونحوه فان الله
تعالى يعجل لهم جزاء اعمالهم فى الدنيا بتوسيع الرزق وصحة البدن والاستمتاع بما خولهم وصرف المكاره عنهم عن الضحاك وقتادة

وابن عباس ويقال ان من مات منهم على كفره قبل استيفاء العوض وضع الله عنه فى الاخرة من العذاب بقدره فاما ثواب الاخرة فلاحظ لهم فيه وقيل المراد به المنافقون الذين كانوا يغزون مع النبى صلى الله عليه واله للغنيمة دون نصرة الدين وثواب الاخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بان جعل لهم نصيبا فى الغنيمة عن الجبائى وقيل ان المراد به اهل الرياء فان من عمل عملا من اعمال الخير يريد به الرياء لم يكن له ثواب فى الاخرة ومثله قوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وما له فى الاخرة من نصيب وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه واله قال بشر امتى بالسناء والتمكين فى الارض فمن عمل منهم عملا للدنيا لم يكن له فى الاخرة نصيب اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار ظاهر المراد وحبط ما صنعوا فيها فلا يستحقون عليه ثوابا لانهم اوقعوه على خلاف الوجه المامور بايقاعه عليه وباطل ما كانوا يعملون اى يبطل اعمالهم التى عملوها لغير الله تعالى وهذا تحقيق ما ذهبنا اليه من ان الاحباط عبارة عن ابطال نفس العمل بان يقع على غير الوجه الذى يستحق به الثواب وذكر الحسن فى تفسيره ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه واله خرج من عند اهله فاذا جارية عليها ثياب وهيئة فجلس عندها فقامت فاهوى بيده الى عارضها فمضت فاتبعها بصره ومضى خلفها فلقيه حائط فخمش وجهه فعلم انه اصيب بذنبه فاتى رسول الله صلى الله عليه واله فذكر له ذلك فقال انت رجل عجل الله عقوبة ذنبك فى الدنيا ان الله تعالى اذا اراد بعبد شرا امسك عنه عقوبة ذنبه حتى يوافى به يوم القيمة واذا اراد به خيرا عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا النظم وجه اتصال الاية بما قبلها انه سبحانه لما قال فهل انتم مسلمون فكان قائلا قال انا اظهرنا الاسلام لسلامة المال والنفس فكيف يكون حالنا ما ذا قال من اراد الدنيا دون الاخرة سواء ارادها باظهار الاسلام او ارادها بسائر المساعى وسبيله هذا قوله عز وجل **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ** ست ايات اللغة البينة الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والعرض اظهار الشئ بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان وعرضت الجند ومعنى العرض على الله انهم يقفون فى المقام الذى يراه العباد للمطالبة بالاعمال فهو كالعرض عليه سبحانه والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب وقيل جمع شهيد كشريف واشراف والعوج العدول عن طريق الصواب يقال فى الدين عوج وفى العود عوج بالفتح فرقا بين ما يرى وما لا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب اعنى الفتح والكسر والاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه ايقاعه وحقيقة الاستطاعة القوة التى تنطاع بها الجارحة للفعل ولذلك لا يقال فى الله تعالى انه مستطيع واصل الجرم القطع ولا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا الا انه كثر حتى صار كالمثل وهو من قول الشاعر
ولقد طعنت ابا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
اى قطعتهم الى الغضب فرواية الفراء النصب فى فزارة والمعنى كسبتهم ان يغضبوا وروى غيره برفعها بمعنى ان الفعل لها الاعراب من كان على بينة من ربه خبره محذوف وتقديره افمن كان على بينة من ربه وعلى الاوصاف التى ذكرها كمن لا بينة له ومثله حذف جواب لو فى قوله واقسم لو شئ اتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا وكتاب موسى عطف على قوله ويتلوه شاهد وكان يتلوه كتاب موسى من قبله ونصب اماما ورحمة على الحال لان كتاب موسى معرفة و قوله وهم بالاخرة هم كافرون كرر قوله هم مرتين كما قال ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون كرر انكم مرتين ووجهه انه لما طال الكلام كرر مرة اخرى للتوكيد لا جرم قال سيبويه جرم فعل ماض ولا رد لقولهم كقوله وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار قال لا اى ليس لهم الجنة ثم قال جرم اى كسبهم قولهم ان لهم الحسنى ان لهم النار وقيل جرم بمعنى وجب اى وجب ان لهم النار المعنى افمن كان على بينة من ربه استفهام يراد به التقرير وتقديره هل الذى كان على برهان وحجة من الله والمراد بالبينة هنا القران والمعنى بقوله افمن كان على بينة النبى صلى الله عليه واله وقيل المعنى به كل محق يدين بحجة وبينة

لان من يتناوله العقلاء وقيل هم المؤمنون من اصحاب محمد صلى الله عليه واله عن الجبائى ويتلوه شاهد منه اى ويتبعه من يشهد بصحته منه واختلف فى معناه فقيل الشاهد جبرئيل يتلو القران على النبى صلى الله عليه واله من الله تعالى عن ابن عباس ومجاهد و الزجاج وقيل شاهد من الله تعالى محمد صلى الله عليه واله وروى ذلك عن الحسين بن على عليهما السلام وابن زيد واختاره الجبائى وقيل شاهد منه لسانه عليه السلام اى يتلو القران بلسانه عن محمد بن على اعنى ابن الحنفية والحسن وقتادة وقيل الشاهد منه على بن ابى طالب عليه السلام يشهد للنبى وهو منه وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام وعلى بن موسى الرضا ورواه الطبرى باسناده عن جابر بن عبد الله عن على عليه السلام وقيل الشاهد ملك يسدده ويحفظه عن مجاهد وقيل بينة من ربه حجة من عقله واضاف البينة اليه تعالى لانه ينصب الادلة العقلية والشرعية ويتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القران عن ابى مسلم ومن قبله اى ومن قبل القران لانه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام وقيل معناه ومن قبل محمد عليه السلام كتاب موسى يتلوه ايضا فى التصديق لان النبى صلى الله عليه واله بشر به موسى فى التورية اماما يؤتم به فى امور الدين ورحمة اى نعمة من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمة اى سبب الرحمة لمن امن به اولئك يؤمنون به معناه اولئك الذين هم على بينة من ربهم يؤمنون بالقران وقيل بمحمد صلى الله عليه واله وتقدير الاية افمن كان على بينة من ربه وبصيرة كمن ليس على بينة ولا بصيرة الا انه اختصر وقيل تقديره افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد على صدقه وتقدمه شاهد فامن بهذا كله كمن اراد الحيوة الدنيا وزينتها ولم يؤمن به ثم اخبر عنهم فقال اولئك يؤمنون به وقوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده معناه فمن يكفر بالقران او بمحمد صلى الله عليه واله من مشركى العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده ومصيره ومستقره وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه واله قال لا يسمع بى احد من الامة لا يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بى الا كان من اصحاب النار فلا تك فى مرية اى فى شك منه الخطاب للنبى صلى الله عليه واله والمراد جميع المكلفين وقيل ان تقديره لا تك ايها الانسان او ايها السامع فى مرية من امره او انزاله من ربك انه الحق من ربك الهاء راجع الى القران وقيل الى محمد صلى الله عليه واله وقيل معناه ان الخبر الذى اخبرتك به حق من عند الله تعالى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بصحته وصدقه لجهلهم بالله تعالى وجحدهم نبوة نبيه صلى الله عليه واله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه الا انه خرج مخرج الاستفهام ليكون ابلغ اولئك يعرضون على ربهم يوم القيمة اى يوقفون موقفا يراهم الخلايق للمطالبة بما عملوا ويسألون عن اعمالهم ويجازون عليها ويقول الاشهاد يعنى الملائكة يشهدون على العباد وهم الحفظة عن مجاهد وقيل هم الانبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء الحق كل عصر من ائمة المؤمنين هؤلاء الذين كذبوا على ربهم اى كذبوا على رسل ربهم واضافوا الى الله ما لم ينزله الا لعنة الله على الظالمين هذا ابتداء خطاب من الله تعالى وقيل هو من كلام الاشهاد ومعناه الا لعنة الله على الذين ظلموا انفسهم بادخال الضرر عليها او غيرهم بادخال الالام عليهم ولعنة الله ابعاده من رحمته ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله اى يغوون الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون ذلك بالقاء الشبه اليهم وقد يكون ايضا بالترغيب والترهيب والاطماع والتهديد وغير ذلك وانما جاز تمكين الصاد عن سبيل الله من هذا الفساد لانه مكلف بالامتناع منه وليس فى منعه لطف بان ينصرف عن الفساد الى الصلاح فهو كشهوة القبيح الذى به يصح التكليف ويبغونها عوجا اى و يطلبون لسبيل الله زيغا عن الاستقامة وعدولا عن الصواب وقيل ان بغيتهم العوج هى زيادتهم ونقصانهم فى الكتاب لتغير الادلة ولا يستقيم صفة النبى صلى الله عليه واله كما كان يفعلها اليهود وقيل هى ايرادهم الشبه وكتمانهم المراد وتحريفهم التاويل وهم بالاخرة اى بالقيمة والبعث والنشور والثواب والعقاب هم كافرون اى جاحدون غير مقرين اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بان عليهم لعنة الله وانهم الذين يصدون عن سبيل الله بانهم لم يكونوا فائتين فى الارض هربا فيها من الله تعالى اذا اراد اهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو قد جد فى طلبه وانما خص الارض بالذكر وان كانوا لا يفوتون الله ولا يخرجون عن قبضته على كل حال لان معاقل

الارض هي التي يهرب اليها البشر ويعتصمون بها عند المخاوف فكانه سبحانه نفى ان يكون لها ولاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه
وما كان لهم من دون الله من اولياء معناه انه ليس لهم ولي ولا ناصر ينصرونهم ويحمونهم من الله سبحانه مما يريد ايقاعه بهم في الدنيا
من المكاره وفي الاخرة من انواع العذاب يضاعف لهم العذاب قيل في معناه وجوه احدها انه لا يقتصر بهم على عقاب الكفر بل يعاقبون
عليه وعلى ساير المعاصي كما قال في موضع اخر زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وثانيها ان معناه انه كلما مضى ضرب من
العذاب يعقبه ضرب اخر من العذاب مثله او فوقه كذلك دايما ابدا وكل ذلك على قدر الاستحقاق وثالثها انه يضاعف العذاب
على رؤسايهم لكفرهم انفسهم ولدعايهم الاتباع اليه وهو عذاب الضلال وعذاب الصد عن الدين ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا
يبصرون فيه وجوه احدها يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الابصار فلا يبصرون
عنادا او ذهابا عن الحق فاسقطت الباء عن الكلام كما في قول الشاعر نغالي اللحم للاضياف نيا ونبذله اذا نضج القدور اراد نغالي
باللحم عن الفراء والبلخي وهذا وجه رابع في معنى قوله يضاعف لهم العذاب وثانيها انهم لاستثقالهم استماع ايات الله وكراهتهم تذكرها وتفهمها
جروا مجرى من لا يستطيع السمع وان ابصارهم لم ينفعهم مع اعراضهم عن تدبر الايات فكانهم لم يبصروا ومما جرى هذا المجرى قول الاعشى
ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل وقد علمنا ان الاعشى كان يقدر على الوداع وانما نفى الطاقة عن
نفسه من حيث الكراهية والاستثقال وثالثها انما عنى بذلك الهتهم واوثانهم وتقدير الكلام اوليك الكفار والهتهم لم يكونوا
معجزين في الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا عن الالهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون روى ذلك عن ابن
عباس وفيه ادنى بعد ورابعها ان ما هنا ليست للنفي بل جرى مجرى قولهم لا واصلنك ما لاح نجم والمعنى انهم معذبون ما داموا
احياء اوليك الذين خسروا انفسهم من حيث فعلوا ما استحقوا به العقاب فهلكوا فذلك خسران انفسهم وخسران النفس اعظم الخسران
لانه ليس عنها عوض وضل عنهم ما كانوا يفترون مضى بيانه مرارا لا جرم قال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم كان المعنى لا ينفعهم
ذلك جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون اي كسب ذلك الفعل لهم الخسران وقال غيره معناه لا بد ولا محالة انهم وقيل معناه حقا و
يستعمل في امر يقطع عليه ولا يرتاب فيه اي ولا شك ان هؤلاء الكفار هم اخسر الناس في الاخرة النظم اتصلت الاية الاولى بقوله
قل فاتوا بعشر سور مثله والمراد انهم اذا لم ياتوا بذلك فقل لهم افمن كان على بينة كمن لا يكون معه بينة وقيل اتصلت بقوله من
كان يريد الحيوة الدنيا اي من كان مجتهدا في الدين كمن كان همه الحيوة الدنيا وزينتها ووجه اتصال الاية الثانية وهي قوله ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا انه سبحانه اراد ان يبين حال العاقل والغافل فكانهم قالوا وما يضرنا الا يعرف ذلك واجيبوا بان
من لا يعرف الله لا يامن ان يكذب على الله ومن اظلم ممن كذب على الله قوله عز وجل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا
تذكرون اللغة الاخبات الطمانينة واصله الاستواء من الخبت وهو الارض المستوية الواسعة فكان الاخبات خشوع
مستمر على استواء فيه والمثل قول ساير يشبه فيه حال الثاني بحال الاول والعمى عبارة عن فساد آلة الروية وليس بمعنى يضاد الابصار
وكذلك الصمم عبارة عن فساد آلة السمع لان الصحيح ان الادراك ايضا ليس بمعنى المعنى لما تقدم ذكر الكفار وما اعد الله لهم
من العذاب عقبه سبحانه بذكر المومنين فقال ان الذين امنوا اي صدقوا الله ورسوله واعتقدوا وحدانيته وعملوا الصالحات
التي امرهم الله تعالى بها ورغبهم فيها واخبتوا الى ربهم اي انابوا وتضرعوا اليه عن ابن عباس وقيل معناه اطمانوا الى ذكره عن مجاهد
وقيل خضعوا له وخشعوا اليه عن قتادة والكل متقارب وقيل ان معناه اخبتوا لربهم فوضع الى موضع اللام كما قال سبحانه اوحى
لها بمعنى اوحى اليها وقال ينادي للايمان اوليك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ظاهر المعنى ثم ضرب سبحانه مثلا للمومنين والكافرين
فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع اي مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالاعمى والاصم
لان المومن ينتفع بحواسه لاستعماله اياها في الدين والكافر لا ينتفع بها فصارت حواسه بمنزلة المعدوم وانما ادخل الواو ليبين ان
حال الكافر كحال الاعمى على حدة وكحال الاصم على حدة وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعا هل يستويان مثلا اي هل يستوي

حال الاعمى الاصم وحال البصير السميع عند عاقل فكما لا يستوي هاتان الحالتان عند العقلاء كذلك لا يستوي حال الكافر
والمومن افلا تذكرون اي فلا تتفكرون في ذلك فتعلموا صحة ما ذكرناه قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني
لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا
بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون اربع ايات القراءة قرا نافع
وابن عامر وعاصم وحمزة اني لكم بكسر الهمزة والباقون اني بفتحها وقرا ابو عمرو ونصير عن الكسائي بادئ الراي بالهمز وقرا الباقون بادي
بالياء غير مهموز وقرا اهل الكوفة غير ابي بكر فعميت بضم العين وتشديد الميم والباقون فعميت بفتح العين مخففا الحجة قال ابو علي من فتح
اني فانه حملها على ارسلنا اي ارسلناه باني لكم نذير مبين فان قيل لو كان محمولا عليه لكان انه لان نوحا اسم للغيبة قيل هذا لا يمتنع
لان الخطاب بعد الغيبة في نحو هذا سائغ الا ترى قوله وكتبنا له في الالواح ثم قال فخذها بقوة ومن كسر فالوجه فيه انه حمله على
القول المضمر لانه مما قد اضمر كثيرا في القران قال سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام وقال
والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى اي قالوا ما نعبدهم فان قلت فهلا رجحت قراءة من قرا
انى على قراءة من كسر لان قوله ان لا تعبدوا محمول على الارسال واذا فتحت ان كان اشكل بما بعدها لحملها جميعا على الارسال يقال
لك ان من كسر قال يجوز ان يكون قوله اني لكم وما بعده محمولا على الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده كما كان قوله
قل ان الهدى هدى الله اعتراضا بينهما في قوله ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم فكذلك قوله اني لكم نذير مبين لان التقدير ولقد
ارسلنا نوحا الى قومه ان لا تعبدوا الا الله واما قوله بادي الراي فقد حكى ابو علي عن الجبائي انه قال انت بادي الراي تريد ظاهر الراي
لا يهمز بادي الراي مهموز فمن لم يهمز اراد انت فيما بدا من الراي اي انت ظاهر الراي ومن همز اراد انت اول الراي ومبتداه قال
ابو علي المعنى فيمن قال بادي الراي بلا همز فجعله من بدا الشيء اذا ظهر ما اتبعك الا الاراذل فيما ظهر لهم من الراي اي لم يتعقبوه
بنظر فيه ولا تبين له ومن همز اراد اتبعوك في اول الامر من غير ان يتبعوا الراي بفكر وروية وهاتان الكلمتان يتقاربان في المعنى
لان الهمزة في اللام معناه ابتداء الشيء واوله واللام اذا كانت واوا كان المعنى الظهور وابتداء الشيء يكون ظهورا وان كان الظهور
قد يكون ابتداء وغير ابتداء فلذلك يستعمل كل واحد مكان الاخر وجاز في اسم الفاعل ان يكون ظرفا كما جاز في فعيل نحو قريب
وملي لان فاعلا وفعيلا يتعاقبان على المعنى نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد وحسن ذلك ايضا اضافته الى الراي وقد اجروا
المصدر ايضا في اضافته اليه في قولهم اما جهد رايي فاني منطلق فهذا لا يكون الا ظرفا وفعل اذا كان مصدرا وفاعل قد يتفقان
في اشياء وقد يجوز في قول من همز فقال بادي الراي اذا خفف الهمزة ان يقول بادي الراي فتقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها فيكون
كقولهم ميير في جمع مئرة وذيب في جمع ذئبة والعامل في هذا الظرف هو قولك اتبعك التقدير ما اتبعك في اول رايهم او فيما
ظهر من رايهم الا اراذلنا فاخر الظرف واوقع بعد الا الظرف ولو كان بدل الظرف غيره لم يجز الا ترى انك لو قلت ما اعطيت
احدا الا زيدا درهما فاوقعت بعد الا اسمين لم يجز لان الفعل او معنى الفعل في الاستثناء يصل الى ما انتصب به بتوسط الحرف
ولا يصل الفعل بتوسط الحرف الى اكثر من مفعول الا ترى انك اذا قلت استوى الماء والخشبة فنصبت الخشبة لم يجز ان يتبعه اسما
اخر ينصبه فكذلك المستثنى اذا الحقته الا واوقعت بعدها اسما مفردا لم يجز ان يتبعه اخر ولو قلت ما ضرب القوم الا بعضهم بعضا لم يجز
وتصحيحها ما ضرب القوم احدا الا بعضهم بعضا تبدل الاسمين بعد الا من الاسمين قبلها قال جامع العلوم البصير النحوي ان ابا علي
حمل بادي الراي هنا على انه ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب فحمله على فعل اخر
دل عليه يكلم على تقدير او يكلمهم من وراء حجاب قال والظرف في الايتين عندنا محمول على الفعل قبل الا لان الظرف يكتفي فيه
برايحة الفعل انتهى كلامه واقول ان ما قاله فيه نظر لان ابا علي قال في تلك الاية لا تحمل على ما قبل الاستثناء اذا كان كلاما
تاما فيما بعده وليس ما قبل الا في هذه الاية كلام تام فان قوله الذين هم اراذلنا فاعل لقوله اتبعك فلذلك فرق بين الموضعين

يجمع كلام ابي علي واما تحقيق الهمزة وتخفيفها في الراي فاهل التحقيق الهمزة يحققونها واهل التخفيف يبدلون منها الالف وكذلك ما اشبهه من نحو الياس والراس والفاس ومن قرا فعميت بالتخفيف يقوي قوله اجتماعهم على التخفيف في قوله فعميت عليهم الانباء وهذه مثلها ويجوز في قوله فعميت امران احدهما ان يكون عموا هم عنها لان الرحمة لا تعمى وانما يعمى عنها فيكون كقولهم ادخلت القلنسوة في راسي ونحو ذلك مما يقلب اذا لم يكن فيه اشكال وفي التنزيل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله وقال الشاعر يرى الثور فيها مدخل الظل راسه وسايره بادالي الشمس اجمع والاخر ان يكون بمعنى خفيت كقول الشاعر ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالجاهلين العمه اي خفي الهدى لان الهدى ليس بذي جارحة يلحقها هذه الافة وفي هذا يقال للسحاب العماء لاخفائه ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن هذا قول الشاعر ولكنني عن علم ما في غد عمي قال وقولهم اتاني في صكة عمي اذا اتاني في الهاجرة وشدة الحر يحتمل عندنا تاويلين احدهما ان يكون المصدر اضيف الى العمي كما قالوا ضرب التلف اي الضرب الذي يحدث عنه التلف والاخر ان يكون عمي تصغير اعمى على وجه الترخيم واضيف المصدر الى المفعول به كقوله من دعاء الخير والتقدير صكة الحر الاعمى والمعنى ان الحر يشتد حتى كانه يعمى من اصابه والمصدر في الوجهين ظرف نحو مقدم الحاج وخفوق النجم ومن قرا عميت اعتبر قراءة ابي والاعمش فعماها عليكم واسناد الفعل الى المفعول به في عميت قريب من عماها في المعنى اللغة الرذل الخسيس الحقير من كل شيء والجمع ارذل ثم يجمع على اراذل كقولك كلب واكلب واكالب ويجوز ان يكون جمع الارذل فيكون مثل اكابر جمع الاكبر والراي الرؤية من قوله يرونهم مثليهم راي العين اي رؤية العين والراي ايضا ما يراه الانسان في الامر وجمعه اراء الاعراب ان لا تعبدوا الا الله يحتمل ان يكون موضع تعبدوا من الاعراب نصبا بان ويحتمل ان يكون جزما بالنهي وقوله عذاب يوم اليم يجوز ان يكون تقديره يوم اليم عذابه فحذف المضاف الذي هو عذاب واقيم المضاف اليه الذي هو الضمير مقامه فاستكن في اليم ويجوز ان يكون وصف اليوم بالالم لان الالم فيه يقع ويجوز في غير القراءة اليما فيكون صفة لعذاب وقوله اتبعك وفاعله الذي هو الذين هم اراذلنا في موضع نصب بانه مفعول ثان لنراك ان كان بمعنى نعلمك وفي موضع الحال ان كان من رؤية العين وقوله انلزمكموها فيه ثلث ضماير ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغايب فجاءت على احسن ترتيب بدا بالمتكلم لانه اخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم الغايب ولو اتى بالمنفصل لجاز لتباعده من العامل بما فرق بينه وبينه فاشبه ما ضربت الا اياك وما ضربني الا انت واجاز الفرا انلزمكموها بتسكين الميم جعله بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد ويجوز ذلك عند البصريين وانما يجيزون ذلك في ضرورة الشعر كقول امراء القيس فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل وقول الاخر اذا اعوججن قلت صاحب قوم يريد يا صاحب قوم المعنى لما تقدم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب عقب ذلك سبحانه بذكر اخبار الانبياء تاكيدا لذلك وتخويفا للخلق وتسلية للنبي صلى الله عليه واله وبدا بقصة نوح فقال ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين وقد مر بيانه الا تعبدوا الا الله اي انذركم ان لا تعبدوا الا الله عن الزجاج يريد لان توحدوا الله وتتركوا عبادة غيره بدا بالدعاء الى الاخلاص في العبادة وقيل انه دعاهم الى التوحيد لانه من اهم الامور اذ لا يصح شيء من العبادات الا بعد التوحيد اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم انما قال اخاف مع ان عقاب الكفار مقطوع عليه لانه لم يعلم ما يؤل اليه عاقبة امرهم من ايمان او كفر وهذا الطف في الاستدعاء واقرب الى الاجابة في الغالب فقال الملاء الذين كفروا من قومه اي من قوم نوح لنوح عليه السلام ما نراك الا بشرا مثلنا ظنا منهم ان الرسول انما يكون من غير جنس المرسل اليه ولم يعلموا ان البعثة من الجنس قد تكون اصلح ومن الشبهة ابعد وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اي لم يتبعك الملاء الاشراف الرؤساء منا وانما اتبعك اخساؤنا الذين لا مال لهم ولا جاه بادي الراي اي في ظاهر الامر والراي لم يتدبروا ما قلت ولم يتفكروا فيه وقال الزجاج معناه اتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ومن قرا بالهمز فالمعنى انهم اتبعوك ابتداء الراي حين ابتدءوا ينظرون ولو فكروا لم يتبعوك وقيل معناه ان في مبتدا وقوع الرؤية عليهم يعلم انهم اراذلنا واسافلنا وما نرى لكم علينا من فضل اي ما نرى لك ولقومك علينا من فضل فان الفضل انما يكون في كثرة المال والمنزلة في الدنيا والشرف في النسب وانما قالوا ذلك لانهم جهلوا طريقة الاستدلال ولو استدلوا بالمعجزات الدالة على نبوته لعلموا انه نبي وان من امن به مؤمن ومن خالفه كافر وعرفوا حقيقة الفضل وهكذا عادة ارباب الدنيا يستحقرون ارباب الدين اذا كانوا فقراء ويستر ذلوهم وان كانوا هم الاكرمين الافضلين

عند الله سبحانه بل نظنكم كاذبين هذا تمام الحكاية عن كفار قوم نوح قالوه لنوح ومن امن به قال نوح لقومه يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي على برهان وحجة يشهد بصحة النبوة وهي المعجزة وقال ابن عباس على بينة اي على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته واختلف في قول نوح هذا انه جواب عماذا فقيل جواب عن قولهم بل نظنكم كاذبين فكانه قال ان تظنوني كاذبا فما تقولون لو كنت على بينة وعلى حجة من الله واضحة الا تصدقونني وقيل بل هو جواب عن قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا اي وان كنت بشرا فما تقولون اذا اتيتكم بحجة دالة على صدقي الا تصدقونني وفيه بيان ان الرسالة انما تظهر بالمعجز فلا معنى لاعتبار البشرية وقيل هو جواب عن قولهم ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا فكانه قال انهم اعتصموا بالله وبما اتاهم من البينة والرحمة فنالوا بذلك الرفعة والفضل وانتم تمتعتم بالدنيا الدنية الفانية وانتم في الحقيقة الاراذل لا هم وقيل هو جواب عن قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فكانه قال لا تعتبرون المال والحياة فان الواجب اتباع الحجة والدلالة ويجوز ان يكون جوابا عن جميع ذلك واتاني رحمة من عنده رد عليهم بهذا جميع ما ادعوه والرحمة النعمة وهي ههنا النبوة اي واعطاني نبوة من عنده فعميت عليكم اي خفيت عليكم لقلة تدبركم فيها انلزمكموها وانتم لها كارهون اي اتريدون مني ان اكرهكم على المعرفة والجيكم اليها على كره منكم هذا غير مقدور لي والهاء كناية عن الرحمة فيدخل فيها النبوة والدين وساير النعم وقيل معناه انلزمكم قبولها فحذف المضاف ويجوز ان يكون الهاء كناية عن البينة ويكون المراد ان علي ان ادل بالبينة وليس علي ان اضطركم الى معرفتها قوله عز وجل ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ثلث ايات اللغة الطرد الابعاد على جهة الهوان وتطارد الاقران حمل بعضهم على بعض والازدراء الاحتقار افتعال من الزراية يقال زريت عليه اذا عبته وازريت به اذا قصرت به قال الشاعر رأوه فازدروه وهو خرق وينفع اهله الرجل القبيح ولم يخشوا مصالته عليهم وتحت الرغوة اللبن الصريح المعنى ثم انكر نوح على قومه استثقالهم التكليف والعاقل انما يستثقل الامر اذا لزمته مؤونة ثقيلة فقطع عليه السلام هذا العذر بقوله ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا اي لا اطلب منكم على دعائكم الى الله اجرا فيمتنعون من اجابتي خوفا من اخذ المال ان اجري الا على الله اي ما ثوابي واجري في ذلك الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا اي لست اطرد المؤمنين من عندي ولا ابعدهم على وجه الاهانة وقيل انهم كانوا سالوه طردهم ليؤمنوا له انفة من ان يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج والزجاج انهم ملاقوا ربهم وهذا يدل على انهم سالوه طردهم فاعلمهم انه لا يطردهم لانهم ملاقوا ربهم فيجازي من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب عن الزجاج وقيل معناه انهم ملاقوا ثواب ربهم فكيف يكونون اراذل وكيف يجوز طردهم وهم لا يستحقون ذلك عن الجبائي ولكني اريكم قوما تجهلون الحق واهله وقيل معناه تجهلون ان الناس انما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا وقيل تجهلون فيما تسالون من طرد المؤمنين ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم معناه من يمنعني من عذاب الله ان انا طردت المؤمنين فكانوا خصماي عند الله في الاخرة افلا تذكرون اي افلا تتفكرون فتعلمون ان الامر على ما قلته وفرق علي بن عيسى بين التفكر والتذكر بان التذكر طلب معنى قد كان حاضرا للنفس والتفكر طلب معرفة الشيء بالقلب وان لم يكن حاضرا للنفس وليست النصرة المذكورة في الاية من الشفاعة في شيء لان النصرة هي المنع على وجه المغالبة والقهر والشفاعة هي المسئلة على وجه الخضوع فلا دلالة في الاية على نفي الشفاعة للمذنبين على ما قاله بعضهم ولا اقول لكم عندي خزائن الله هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه ومعناه اني لا ارفع نفسي فوق قدرها فادعي ان عندي مقدورات الله تعالى فافعل ما اشاء واعطي من اشاء وامنع من اشاء عن الجبائي وابي مسلم وقيل خزائن الله مفاتيح الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم وما نرى لكم علينا من فضل ولا اعلم الغيب اي ولا ادعي علم الغيب حتى ادلكم على منافعكم ومضاركم وقيل لا اعلم الغيب فاعلم ما تسترونه في نفوسكم فيكون جوابا لهم عن قولهم ان هؤلاء الذين امنوا بك اتبعوك في ظاهر ما نرى منهم اي فسبيلي قبول ايمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضمرونه الا الله تعالى ولا اقول اني ملك فاخبركم بخبر السماء من قبل نفسي وانما انا بشر لا اعلم الاشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا اقول اني روحاني غير مخلوق من ذكر وانثى

بل انا بشر مثلكم خصنى الله بالرسالة ولا اقول للذين تزدرى اعينكم اى لا اقول لهؤلاء المومنين الذين تستقلونهم وتستحقرونهم وتحتقرهم
اعينكم لما ترون عليهم من زى الفقر لن يؤتيهم الله خيرا اى لا يعطيهم الله فى المستقبل خيرا على اعمالهم ولا يثيبهم عليها بل اعطاهم الله
فى الدنيا كل خير فى الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير فى الاخرة من الثواب والله اعلم بما فى انفسهم اى بما فى قلوبهم من الاخلاص
وعنى انى اذا لمن الظالمين ان طردتهم تكذيبا لظاهر ايمانهم او قلت فيهم غير ما اعلم قوله عز وجل قالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم
نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتراه قل ان افتريته
فعلى اجرامى وانا برئ مما تجرمون اربع ايات اللغة الجدال والمجادلة المقابلة بما يفتل الخصم عن مذهبه بحجة او شبهة وهو
من الجدل وهو شدة القتل ويقال للصقر اجدل لانه من اشد الجوارح والجدال والمراء بمعنى غير ان المراء مذموم لانه مخاصمة فى الحق
بعد ظهوره كمرى الضرع بعد دروره وليس كذلك الجدال والفرق بين الحجاج والجدال ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة والمطلوب
بالجدال الرجوع عن المذهب والاعجاز هو الفوت بالهرب والفرق بين افتراء الكذب وقول الكذب ان قول الكذب قد يكون على
وجه تقليدا للانسان فيه لغيره واما افتراء الكذب فهو افتعال من قبل نفسه واجرم وجرم بمعنى قال طريد عشيرة ورهين ذنب
بما جرمت يدى وجنى لسانى المعنى ثم حكى سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقال قالوا يا نوح قد جادلتنا اى خاصمتنا وحاججتنا
فاكثرت جدالنا اى زدت فى مجادلتنا على مقدار الكفاية وفى بعض الروايات عن ابن عباس فاكثرت جدلنا والمعنى واحد
فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فى ان الله يعذبنا على الكفر فلسنا نؤمن بك ولا نقبل منك قال نوح انما
يأتيكم به الله ان شاء اى لا يأتى بالعذاب الا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فان شاء عجل وان شاء اخر وما انتم بمعجزين اى لا تفوتو
بالهرب ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم ذكر فى تاويله وجوه احدها ان كان الله يريد ان يخيبكم
من رحمته بان يحرمكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم وقد سمى الله سبحانه العقاب غيا بقوله فسوف
يلقون غيا ويشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما ولما خيب الله سبحانه قوم نوح
من رحمته وثوابه واعلم نوحا عليه السلام بذلك فى قوله لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال لهم لا ينفعكم نصحى مع ايثاركم
ما يوجب خيبتكم والعذاب الذى جره اليكم قبيح افعالكم واذا اعترض شرط على شرط كان الثانى مقدما على الاول فى المعنى وان كان مؤخرا
فى اللفظ فالتقدير لا ينفعكم نصحى ان كان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم وثانيها ان المعنى ان كان الله يريد عقوبة اغوائكم
الخلق واضلالكم اياهم اى يريد عقوبتكم على ذلك ومن عادة العرب ان تسمى العقوبة باسم الشئ المعاقب عليه كما فى قوله سبحانه وجزاء
سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله والله يستهزئ بهم وقد مر فيما مضى امثال ذلك وثالثها ان معناه ان كان الله يريد ان يهلككم
فلا ينفعكم نصحى عند نزول العذاب بكم وان قبلتم قولى وامنتم لان الله تعالى حكم بان لا يقبل الايمان عند نزول العذاب عن
الحسن وقد حكى عن العرب انهم قالوا اغويت فلانا بمعنى اهلكته ويقال غوى الفصيل اذا فسد من كثرة شرب اللبن ورابعها ان قوم
نوح كانوا يعتقدون ان الله تعالى يضل عباده عن الدين وان ما هم عليه بارادة الله ولولا ذلك لغيره واجبرهم على خلافه
فقال لهم نوح على وجه التعجب من قولهم والانكار لذلك ان نصحى لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكى عن جعفر بن
حرب وانما شرط النصح بالارادة فى قوله ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هذا النصح استظهارا فى الحجة عليهم لانهم ذهبوا الى انه ليس
بنصح فقال لو كان نصحا ما انتفع من لا يقبله ولا يجوز ان يكون المراد بالاغواء فى الاية فعل الكفر والدعاء اليه والحمل عليه على
ما يعتقده المجبرة لقيام الادلة على ان خلق الكفر وارادته من اقبح القبائح كالامر به وكما لم يجز ان يأمر به فكذلك لا يجوز ان يفعله
ويريده ولانه لو جاز منه الاضلال لجاز منه ان يبعث من يدعو الى الضلال ويظهر المعجزات عليه وفى هذا ما فيه هو ربكم واليه
ترجعون اى هو خالقكم ورازقكم والحكم ومدبركم تصيرون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قيل انه يعنى بذلك
محمدا صلى الله عليه وآله والمراد به ان من كفار مكة بما اخبرهم به محمد صلى الله عليه وآله من نبأ قوم نوح ام يقولون افتراه محمد من

تلقاء نفسه فقل لهم يا محمد ان افتريته واختلقته كما تزعمون فعلى اجرامى اى عقوبة جرمى ولا تؤخذون به وانا برئ مما تجرمون
اى لا اؤخذ بجرمكم عن مقاتل وقيل يعنى به نوحا عليه السلام انه يقول على الله الكذب عن ابن عباس النظم ووجه اتصال هذه الاية
بما قبلها على القول الاول انها تتصل بقوله ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله قوله عز وجل واوحى الى نوح انه لن
يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى
الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم اربع ايات اللغة الابتئاس حزن فى استكانة
انشد ابو عبيدة ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال وهو افتعال من البؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر
ايضا والصنع جعل الشئ موجودا بعد ان كان معدوما ومثله الفعل ويفصلان من الحدوث من حيث ان الصنعة تقتضى صانعا
والفعل يقتضى فاعلا من حيث اللفظ وليس كذلك الحدوث لانه يفيد تجدد الوجود لا غير والصناعة الحرفة التى يكتسب بها والفلك
السفينة يكون واحدا او جمعا والسخرية اظهار خلاف الابطان على جهة يفهم منها استضعاف العقل ومنه التسخير التذليل يكون استضعافا
للقهر والفرق بين السخرية واللعب ان فى السخرية خديعة واستنقاصا ولا يكون الا بالحيوان وقد يكون اللعب بجماد والحلول النزول
للمقام وهو من الحل خلاف الارتحال وحلول العرض وجوده فى الجوهر من غير شغل حيز والمصحح للحلول التحيز الاعراب سوف تنقل الفعل
من الحال الى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الامور من يأتيه فى من هذه قولان
احدهما ان يكون بمعنى اى فكانه قال اينا يأتيه عذاب يخزيه والاخر ان يكون بمعنى الذى والمعنى واحد ومن اذا كانت للاستفهام استغنت
عن الصلة كما استغنت كيف وكم عن الصلة واذا كانت بمعنى الذى فلا بد لها من الصلة لان البيان مطلوب من المسؤل دون السائل
المعنى واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن اعلم الله سبحانه نوحا انه لا يؤمن احد من قومه فى المستقبل فلا تبتئس اى
اى لا تغتم ولا تحزن بما كانوا يفعلون والعقل لا يدل على ان قوما لا يؤمنون فى المستقبل وانما طريق ذلك السمع فلما علم ان احدا منهم لا
يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك الاية ولما
اراد سبحانه اهلاكهم امر نبيه باتخاذ السفينة له ولقومه فقال واصنع الفلك اى اعمل السفينة لتركبها انت ومن امن بك باعيننا
اى بمرأى منا عن ابن عباس والتاويل بحفظنا اياك حفظ الرائى لغيره اذا كان يدفع الضرر عنه وذكر الاعين لتاكيد الحفظ وقيل
اراد باعين الملائكة الموكلين بك وبحضرتهم وهم ينظرون باعينهم اليك وانما اضاف ذلك الى نفسه اكراما وتعظيما لهم وقوله ووحينا
معناه وعلى ما اوحينا اليك من صفتها وحالها عن ابى مسلم وقيل المراد بوحينا اليك ان اصنعها وذلك انه لم يعلم صنعة الفلك فعلمه
الله تعالى عن ابن عباس اى فانا نوحى اليك بما تحتاج اليه من طوله وعرضه وهيأته ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون
اى لا تسألنى العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا تشفع لهم فانهم مغرقون عن قريب وهذا غاية فى الوعيد كما يقول
الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدى وقيل انه عنى بذلك امرأته وابنه وانما نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب
اليه وليصرف عنه ما ثم المماراة للطغاة ويصنع الفلك اى وجعل نوح يصنع الفلك كما امره الله تعالى وقيل واخذ نوح فى صنعه
السفينة بيده فجعل ينحتها ويسويها واعرض عن قومه وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه اى كلما اجتاز به جماعة من اشراف قومه
ورؤسائهم وهو يعمل السفينة يهزؤا من فعله وقيل انهم كانوا يقولون له يا نوح صرت نجارا بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل
انما كانوا يسخرون من عمل السفينة لانه كان يعملها فى البر على صفة من الطول والعرض ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون ويتعجبون
من عمله فكان عليه السلام يقول لهم ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون والمراد ان تستجهلونا فى هذا الفعل فانا نستجهلكم عند
نزول العذاب بكم كما تستجهلون عن الزجاج وقيل معناه فانا نجازيكم على سخريتكم عند الغرق والهلاك واراد به تعذيب الله اياهم
فسمى الجزاء باسم المجزى به ويحتمل ان يريد فانا نسخر منكم بعد الغرق على وجه الشماتة لا على وجه السفه فسوف تعلمون اينا احق بالسخرية وتعلمون
عاقبة سخريتكم من يأتيه عذاب يخزيه هذا ابتداء كلام نوح عليه السلام والاظهر ان يكون متصلا بما قبله اى فسوف تعلمون اينا يأتيه

عذاب بهنيه ويفضحه في الدنيا ويكون يخزيه صفة لعذاب ويحل عليه عذاب مقيم اى وينزل عليه عذاب دايم في الاخرة القصة قال الحسن كان طول السفينة الف ذراع ومايتي ذراع وعرضها ستماية ذراع وقال قتادة كان طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين ذراعا وبابها في عرضها وقال ابن عباس كانت ثلث طبقات طبقة للناس وطبقة للانعام والدواب وطبقة للهوام والوحش وجعل اسفلها للوحش والسباع والهوام واوسطها للدواب والانعام وركب هو ومن معه في الاعلى مما يحتاج اليه من الزاد وكانت من خشب الساج وروت عايشة عن النبي صلى الله عليه واله انه قال مكث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى حتى اذا كان اخر زمانهم غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب فقطعها وجعل يعمل سفينة ويمرون عليه فيسلونه فيقول اعمل سفينة فيسخرون منه ويقولون يعمل سفينة على البر فكيف تجرى فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي وروى علي بن ابرهيم عن ابيه عن صفوان عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلم قال لما اراد الله هلاك قوم نوح عقم ارحام النساء اربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولما فرغ نوح من اتخاذ السفينة امره الله تعالى بان ينادي بالسريانية ان يجتمع اليه جميع الحيوان فلم يبق حيوان الا وقد حضر فادخل من كل جنس من اجناس الحيوان زوجين ما خلا الفار والسنور وانه لما شكوا اليه سرقين الدواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج فار فتناسل فلما كثروا شكوا اليه منهم دعا بالاسد فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج سنور وكان الذين امنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلا وفي حديث اخر انهم شكوا اليه العذرة فامر الله الفيل فعطس فسقط الخنزير وروى الشيخ ابو جعفر في كتاب النبوة باسناده عن حنان بن سدير عن ابي عبد الله عليه السلم قال امن مع نوح من قومه ثمانية نفر قوله عز وجل حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ اربع ايات القراءة قرا حفص عن عاصم من كلٍّ زوجين منونا وفي المؤمنين كذلك وقرا الباقون من كلِّ زوجين مضافا وقرا اهل الكوفة غير ابي بكر مجريها بفتح الميم والباقون مجريها بالضم واتفقوا على ضم الميم في مرساها الا ما يروى في الشواذ عن ابي محيصن انه فتح الميم فيهما وقرا عاصم يا بنيَّ اركب بفتح الياء والباقون بالكسر وروى عن علي بن ابي طالب عم وابي جعفر محمد بن علي وابي عبد الله جعفر بن محمد وعروة بن الزبير ونادى نوح ابنه وروى عن عكرمة ابنها وعن السدي ابناه وعن ابن عباس ابنه على الوقف الحجة الوجه في قراءة حفص ما قاله ابو الحسن ان الاثنين زوجان قال الله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين والمرأة زوج الرجل والرجل زوجها قال وقد يقال للاثنين هما زوج قال لبيد من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها قال ابو علي من قرا من كلٍّ زوجين كان قوله اثنين مفعول الحمل والمعنى احمل من الازواج اذا كانت اثنين اثنين زوجين فالزوجان في قوله من كل زوجين يراد بهما الشياع وليس يراد بهما الناقص عن الثلاثة ومثل ذلك قوله فما لك بالذي لا تستطيع من الامور يدان انما يريد تشديد انتفاء قوته عنه وتكثيره وبين هذا المعنى قول الفرزدق وكل رفيقي كل رحل وان هما تعاطى القنا قوماهما اخوان فرفيقان اثنان لا يكونان رفيقي كل رحل وانما يريد الرفقاء اذا كانوا رفيقين ومن نوّن وقال من كلٍّ زوجين اثنين فحذف المضاف اليه من كل ونوّن فالمعنى من كل شيء ومن كل زوج زوجين اثنين فيكون انتصاب اثنين على انه صفة لزوجين فان قلت فالزوجان قد فهم انهما اثنان فكيف جاز وصفهما بقوله اثنين فانما جاز ذلك للتاكيد والتشديد كما قال لا تتخذوا الهين اثنين وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه الى التاكيد كقولهم امس الدابر ونفخة واحدة ونعجة انثى قال ومناة الثالثة الاخرى قال ابو علي ويجوز في قوله بسم الله مجريها ومرساها ان يكون حالا من شيئين من الضمير الذي في قوله اركبوا ومن الضمير الذي في فيها فان جعلت قوله بسم الله خبر مبتدأ مقدما في قول من لم يرفع بالظرف او جعلت قوله مجريها مرتفعا بالظرف لم يكن قوله بسم الله مجريها الا جملة في موضع الحال من الضمير الذي في

فيها

فيها ولا يجوز ان يكون من الضمير الذي في قوله اركبوا لانه لا ذكر فيها يرجع الى الضمير الا ترى ان الظرف في قول من رفع بالظرف قد ارتفع به الظاهر وفي قول من رفع في هذا النحو بالابتداء قد حصل في الظرف ضمير المبتداء فاذا كان كذلك خلت الجملة من ذكر يعود الى ذي الحال من الحال واذا خلا من ذلك لم يكن الا حالا من الضمير الذي في فيها ويجوز ان يكون بسم الله حالا من الضمير الذي في اركبوا على ان يكون الظرف خبرا عن الاسم الذي هو مجريها على ما كان في الوجه الاول ويكون حالا من الضمير على حد قولك خرج بثيابه وركب في سلاحه والمعنى ركب مستعدا بسلاحه ومتلبسا بثيابه وفي التنزيل وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله ومتمسكين بذكر اسم الله فيكون في بسم الله ذكر يعود الى المامورين فان قلت فكيف اتصال المصدر الذي هو مجريها بالكلام على هذا فانه يكون متعلقا بما في بسم الله من معنى الفعل وجاز تعلقه به لانه يكون ظرفا على نحو مقدم الحاج وخفوق النجم كانه متبركين بهذا الاسم او متمسكين به في وقت الجري او الاجراء او الرسو او الارساء على حسب الخلاف بين القراء فيه ولا يكون الظرف متعلقا باركبوا لان المعنى ليس عليه الا ترى ان المعنى لا يراد اركبوا فيها في وقت الجري والثبات انما المعنى اركبوا الان متبركين باسم الله في الوقتين اللذين لا ينفك الراكبون فيها من الاجراء والارساء ليس يراد اركبوا وقت الجري والرسو فموضع مجريها نصب على هذا الوجه بانه ظرف عمل فيه المعنى وفي الوجه الاول رفع بالابتداء او بالظرف ويدل على انه في الوجه الاول رفع وان كان ذلك الفعل الذي كان يتعلق به لا يعتبر به الان قول الشاعر انشده الاصمعي بابي انت وفوك الاشنب كانما ذر عليه زرنب وحجة من فتح مجريها قوله وهي تجري بهم ولو كان مجريها لكان وهي تجريهم وحجة من ضم ان جرت بهم واجرتهم يتقاربان في المعنى يقال جرى الشيء واجريته وجريت به واما قوله يا بنيّ فقد قال ابو علي الكسر في الياء الوجه في يا بنيّ وذلك ان اللام من ابن ياء او واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم واثنين فان حقرت الحقت يا التحقير فلزم ان يرد اللام التي حذفت لانك لو لم يردها لوجب ان يحرك يا التحقير بحركات الاعراب وتعاقبها عليها وهي لا تحرك ابدا بحركة الاعراب ولا غيرها الا ترى انه من حذف الهمزة الساكن ما قبلها في نحو الخبء لم يفعل ذلك في الهمزة نحو افياس انما يبدل من الهمزة ياء ويدغم فيها ياء التحقير كما يفعل ذلك مع ياء خطيئة وواو مقروءة ونحو ذلك من حروف المد التي لا تتحرك واذا ثبت ان ياء التحقير اجريت هذا المجرى علمت انها لا تحرك لا تتحرك حروف المد التي اجريت ياء التحقير مجراها فلو لم ترد اللام مع ياء التحقير وجعلتها محذوفة في التحقير كما حذفتها في التكبير للزم الياء التي للتحقير الانقلاب كما لزم ساير حروف الاعراب فتبطل دلالتها على التحقير كما ان الالف في التكبير لو حركها لبطلت دلالتها على التكبير فلذلك رددت اللام فان رددتها واضفت الى نفسك اجتمعت ثلث ياآت الاولى منها التي للتحقير والثانية لام الفعل والثالثة التي للاضافة تقول هذا بُنيّيّ فاذا ناديت جاز فيها وجهان اثبات الياء وحذفها فمن قال يا عبادي فاثبت فقياس قوله ان يقول يا بنيّي ومن قال يا عباد قال يا بنيّ فحذف التي للاضافة وابقى الكسرة دالة عليها وهذا الوجه هو الجيد عندهم ومن قرا يا بنيَّ بالفتح فالقول فيه انه اراد به الاضافة كما ارادها في قوله يا بنيّ اذا كسر الياء التي هي لام الفعل كانه قال يا بنيّي ثم ابدل من الكسرة الفتحة ومن الياء الالف فصار يا بنيّا كما قال الشاعر يا ابنة عمّا لا تلومي واهجعي ثم حذف الالف كما كان يحذف الياء في يا بنيّ وقد حذفت الياء التي للاضافة اذا ابدلت الالف منها انشد ابو الحسن فلست بمدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لو اني قال انما هو بلهفا وقال ابو عثمن وضع الالف مكان الياء في الاضافة مطرد واجاز يا زيد اقبل اذا اردت الاضافة قال وعلى هذا قراءة من قرا يا ابت لم تعبد ويا قوم لا اسألكم وانشد وهل جزعا ان قلت وا بأباهما واما من قرا ونادى نوح ابنه فانه اراد ابنها كما روى عن عكرمة والمعنى ابن امراته لانه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه واهلك فحذف الالف تخفيفا كما قلنا في يا بنيّ بالفتح ويا ابت واما قراءة السدي ابناه فانه يريد به الندبة وهو على الحكاية اى قال لها يا ابناه فابنه بالسكون فعلى ما جاء في قوله ومطواي مشتاقان له ارقان اللغة الفور الغليان واصله الارتفاع فار القدر يفور فورا وفؤورا وفورانا اذا ارتفع ما فيه بالغليان ومنه قولهم فعل ذلك من فوره اى قبل ان يسكن والارساء امساك السفينة بما تقف عليه قال ارساها الله فرست قال عنترة فصبرت نفسا عند ذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع والموج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير والعصمة المنع الاعراب حتى متعلقة بقوله واصنع الفلك باعيننا لا عاصم كتب عاصم مع لا فبني لانها

او وا ابناه

بالتركيب صار كالاسم واحد وقيل انه بنى لتضمنه معنى من لان هذا جواب هل من عاصم وحق الجواب ان يكون وفق السوال فكان يجب ان يقول لا من عاصم الا ان من حذفت وتضمن الكلام معناه فبنى الاسم لذلك وهذا وجه حسن واليوم خبر والعامل فيه المحذوف لا قوله عاصم لانه لو عمل فيه لصار من صلته فكان يجب تنوينه لانه يشبه بالمضاف كما يقال لا ضاربا زيدا فى دارك ولم يقرا احد لا عاصما اليوم وقيل ان خبره قوله من امر الله والتقدير لا ذا عصمة كاين من امر الله فى اليوم واليوم معمول الظرف وان تقدم عليه كما جا اكل يوم لك ثوب ولا يجوز ان يتعلق اليوم بنفس امر لان الامر مصدر فلا يتقدم عليه ما فى صلته ومن رحم فيه ثلاثة اقوال احدها ان يكون استثناء منقطعا لان التقدير الا من رحمه الله فيكون من مفعولا واستثناه من عاصم وعاصم فاعل فكانه قال لكن من رحمه الله معصوم والثانى ان يكون المعنى لا عاصم الا من رحمنا فكانه قال لا عاصم الا الله والثالث ان عاصم ههنا بمعنى معصوم وتقديره لا معصوم من امر الله الا من رحمه الله وقد ياتى فاعل بمعنى مفعول كقولك فى عيشة راضية اى مرضية وماء دافق اى مدفوق وقال الحطيئة دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسى وعلى القولين الاخرين يكون الاستثناء متصلا وقال ابن كيسان لما قال لا عاصم كان معناه لا معصوم لان فى نفى العاصم نفى المعصوم ثم قال الا من رحم فاستثناه على المعنى ويكون متصلا المعنى ثم اخبر الله سبحانه عن اهلاك قوم نوح فقال حتى اذا جاء امرنا والمعنى فذلك حاله وحالهم حتى اذا جاء قضاؤنا بنزول العذاب وفار التنور بالماء اى ارتفع الماء لشدة اندفاع وفى التنور اقوال اولها انه تنور الخابزة وانه تنور كان لادم عليه السلم فار الماء منه علامة لنوح عليه السلم اذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه عن ابن عباس والحسن ومجاهد ثم اختلف فى ذلك فقال قوم التنور كان فى دار نوح عليه السلم بعين وردة من ارض الشام وقال قوم بل كان فى ناحية الكوفة وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلام روى المفضل بن عمر عن ابى عبد الله عليه السلم فى حديث طويل قال كان التنور فى بيت عجوز مومنة فى دبر قبلة ميمنة مسجد الكوفة قال قلت فكيف كان بدو خروج الماء من ذلك التنور قال نعم ان الله احب ان يرى قوم نوح اية ثم ان الله سبحانه ارسل عليهم المطر يفيض فيضا وفاض الفرات فيضا وفاضت العيون كلها فيضا فغرقهم الله وانجى نوحا ومن معه فى السفينة فقلت فكم لبث نوح فى السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة ايام بلياليها فقلت له ان مسجد الكوفة لقديم فقال نعم وهو مصلى الانبياء ولقد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه واله حين اسرى به الى السماء قال له جبرئيل يا محمد هذا مسجد ابيك ادم ومصلى الانبياء فانزل فصل فيه فنزل فصلى ثم ان جبرئيل عرج به الى السماء وفى رواية اخرى ان السفينة استقلت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوما بلياليها وروى ابو عبيدة الحذاء عن ابى جعفر عليه السلم قال مسجد كوفان وسطه روضة من رياض الجنة الصلوة فيه بسبعين صلوة صلى فيه الف نبى وسبعون نبيا وفيه فار التنور وجرت السفينة وهو سرة بابل ومجمع الانبياء عليهم السلم وثانيها ان التنور وجه الارض عن ابن عباس وعكرمة والزهرى واختاره الزجاج ويؤيده قوله وفجرنا الارض عيونا وثالثها ان معنى قوله وفار التنور طلع الفجر وظهرت امارات دخول النهار وتقضى الليل من قولهم نور الصبح تنويرا وروى ذلك عن على عليه السلم ورابعها ان التنور اعلى الارض واشرفها والمعنى نبع الماء من الامكنة المرتفعة فشبهت بالتنانير لعلوها عن قتادة وخامسها ان فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم ووقعت نقمته بهم كما تقول العرب حمى الوطيس اذا اشتدت الحرب وفار قدر القوم اذا اشتدت حربهم قال الشاعر تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثؤها عنا اذا حميها غلا يريد بالقدر الحرب ونديمها نسكنها وهذا ابعد الاقوال من الاثر وحمل الكلام على الحقيقة التى يشهد بها الرواية اولى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين اى قلنا لنوح عليه السلم لما فار الماء من التنور احمل فى السفينة من كل جنس من الحيوان زوجين اى ذكرا وانثى وقد ذكرنا المعنى فى حجة القرائتين واهلك اى واحمل اهلك وولدك الا من سبق عليه القول اى من سبق الوعد باهلاكه والاخبار بانه لا يؤمن وهى امراته الخائنة واسمها واغلة وابنه كنعان ومن امن اى واحمل فيها من امن بك من غير اهلك ثم اخبر سبحانه فقال وما امن معه الا قليل اى الا نفر قليل وهم ثمانون انسانا فى قول المكثرين وقيل اثنان وسبعين رجلا وامراة وبنوه الثلاثة ونساؤهم فهم ثمانية وسبعون نفسا وحمل معه جسد ادم عليه السلم عن مقاتل وقيل عشرة انفس عن ابن اسحق وقيل ثمانية انفس عن ابن جريح وقتادة وقد روى ذلك عن ابى عبد الله عليه السلم وقيل سبعة انفس عن الاعمش وكان فيهم بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وثلث كنائن له فالعرب والروم وفارس واصناف العجم ولد سام والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين والصقالبة وياجوج وماجوج ولد يافث وقال اركبوا فيها اى وقال نوح لمن امن معه اركبوا

فى السفينة وفى الكلام حذف تقديره فلما فار التنور ووقف نوح على ما دله الله عليه من هلاك الكفار قال لاهله وقومه اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها اى متبركين بسم الله او قايلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اى اثباتها وحبسها وقيل معناه بسم الله اجراؤها وارساؤها وقد ذكرنا تفسيره فى الحجة قال الضحاك كانوا اذا ارادوا ان تجرى السفينة قالوا بسم الله مجريها فجرت واذا ارادوا ان تقف السفينة قالوا بسم الله مرسيها فوقفت ان ربى لغفور رحيم هذا حكاية عما قاله نوح لقومه ووجه اتصاله بما قبله انه لما ذكرت النجاة بالركوب فى السفينة ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة ليجتلبا بالطاعة كما اجتلبت النجاة بركوب السفينة وهى تجرى بهم فى موج كالجبال معناه ان السفينة كانت تجرى بنوح ومن معه على الماء فى امواج كالجبال فى عظمها وارتفاعها ودل بتشبيهها بالجبال على ان ذلك لم يكن موجا واحدا بل كان كثيرا وروى عن الحسن ان الماء ارتفع فوق كل شئ وفوق كل جبل ثلثين ذراعا وقال غيره خمسة عشر ذراعا وقيل ان سفينة نوح سارت لعشر مضين من رجب فسارت ستة اشهر حتى طافت الارض كلها لا تستقر فى موضع حتى اتت الحرم فطافت بموضع الكعبة اسبوعا وكان الله تعالى رفع البيت الى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت الى الجودى وهو جبل بارض الموصل فاستقرت عليه اليوم العاشر من المحرم وروى اصحابنا عن ابى عبد الله عليه السلم ان نوحا ركب فى السفينة فى اول يوم من رجب فصام وامر من معه ان يصوموا ذلك اليوم وقال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة ونادى نوح ابنه كنعان وقيل ان اسمه يام وكان فى معزل اى فى قطعة من الارض غير القطعة التى كان نوح فيها حتى ناداه وقيل معناه كان فى ناحية من دين ابيه اى قد اعتزل دينه وكان نوح يظن انه مسلم فلذلك دعاه وقيل كان فى معزل من السفينة يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين دعا ابنه الى ان يركب معه فى السفينة ليسلم من الغرق قال الحسن كان ينافق اباه فلذلك دعاه وقال ابو مسلم دعاه بشرط الايمان ومعناه يا بنى امن بالله ثم اركب معنا ولا تكن على دين الكافرين وعلى القول الاول يكون معناه ولا تتخلف مع الكافرين فتغرق معهم فاجابه ابنه قال ساوى الى جبل اى سارجع الى مأوى من جبل يعصمنى من الماء اى يمنعنى من افات الماء قال نوح لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم اى لا مانع ولا دافع اليوم من عذاب الله الا من رحمه الله بايمانه فامن بالله يرحمك الله وحال بينهما الموج فكان اى فصار من المغرقين قوله عز وجل وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ اية اللغة البلع اجراء الشئ فى الحلق الى الجوف والاقلاع اذهاب الشئ من اصله حتى لا يرى له اثر يقال اقلعت السماء اذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شئ منه واقلع عن الامر اذا تركه راسا المعنى ثم بين سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان فقال وقيل يا ارض ابلعى ماءك اى قال الله سبحانه للارض انشفى ماءك الذى نبعت به العيون واشربى ماءك حتى لا يبقى على وجهك شئ منه وهذا اخبار عن ذهاب الماء عن وجه الارض باوجز مدة فجرى مجرى ان قيل لها ابلعى فبلعت ويا سماء اقلعى اى وقال للسماء يا سماء امسكى عن المطر وهذا اخبار عن انقشاع السحاب وانقطاع المطر فى اسرع زمان فكانه قال لها اقلعى فاقلعت وغيض الماء اى ذهب عن وجه الارض الى باطنها والمعنى ونشفت الارض ماءها ويقال ان الارض ابتلعت جميع ماءها وماء السماء لقوله وغيض الماء وقيل لم تبتلع ماء السماء لقوله ماءك وان ماء السماء صار بحارا وانهارا وهو المروى عن ائمتنا عليهم السلم وقضى الامر اى وقع اهلاك الكفار على التمام وفرغ من الامر وقيل وقضى الامر بنجاة نوح ومن معه واستوت على الجودى اى استقرت السفينة على الجبل المعروف قال الزجاج هو بناحية امد وقال غيره بقرب جزيرة الموصل قال زيد بن عمرو بن نفيل سبحانه ثم سبحانا يعود له وقبله سبح الجودى والجمد وقال ابو مسلم الجودى اسم لكل جبل وارض صلبة وفى كتاب النبوة مسندا الى ابى بصير عن ابى الحسن موسى بن جعفر عليه السلم قال كان نوح لبث فى السفينة ما شاء الله وكانت مامورة فخلى سبيلها فاوحى الله الى الجبال انى واضع سفينة نوح على جبل منكم فتطاولت الجبال وشمخت وتواضع الجودى وهو جبل بالموصل فضرب جؤجؤ السفينة الجبل فقال نوح عند ذلك يا مارى اتقن وهو بالعربية يا رب اصلح وفى رواية اخرى رهمان اتقن وتاويله يا رب احسن وقيل رست السفينة على الجودى شهرا وقيل بعدا للقوم الظالمين اى قال الله تعالى ذلك ومعناه ابعد الله الظالمين من رحمته لا يرادهم انفسهم موارد الهلاك وانما انتصب على المصدر وفيه معنى الدعاء ويجوز ان يكون هذا من قول الملئكة او من قول نوح والمومنين وفى هذه الاية من بدايع الفصاحة وعجايب البلاغة ما لا يقاربه كلام البشر ولا يدانيه منها انه خرج مخرج الامر وان كانت الارض والسماء من الجماد ليكون ادل على الاقتدار ومنها حسن تقابل المعنى

وايتلاف الالفاظ ومنها حسن البيان فى تصوير الحال ومنها الايجاز من غير اخلال الى غير ذلك مما يعلمه من تدبر وله معرفة بكلام العرب ومجاورتهم ويروى ان كفار قريش ارادوا ان يتعاطوا معارضة القران فعكفوا على لباب البر ولحوم الضان وسلاف الخمر اربعين يوما لتصفوا اذهانهم فلما اخذوا فيما ارادوا واستمعوا هذه الاية فقال بعضهم لبعض هذا كلام لا يشبه كلام المخلوقين وتركوا ما اخذوا فيه وافترقوا قوله عز وجل ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين خمس ايات القراءة قرا الكسائى ويعقوب وسهل انه عمل غير صالح على الفعل ونصب غير والباقون عمل اسم مرفوع منون غير بالرفع وقرا ابن كثير فلا تسألن مشددة النون مفتوحة وقرا ابو عمرو ويعقوب وسهل فلا تسألنى خفيفة النون مثبتة الياء وقرا اهل الكوفة خفيفة النون بغير ياء وقرا اهل المدينة غير قالون فلا تسألنى مشددة النون مكسورة بغير ياء الحجة قال ابو على من قرا انه عمل منون فالمراد ان سؤالك ما ليس لك به علم عمل غير صالح ويحتمل ان يكون الضمير فى انه لما دل عليه قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيكون تقديره ان كونك مع الكافرين وانحيازك اليهم وتركك الركوب معنا والدخول فى جملتنا عمل غير صالح ويجوز ان يكون الضمير لابن نوح كانه جعل عملا غير صالح كما يجعل الشئ لكثرة ذلك منه كقولهم الشعر زهير او يكون المراد انه ذو عمل غير صالح فحذف المضاف ومن قرا انه عمل غير صالح فيكون فى المعنى كقراءة من قرا انه عمل غير صالح وهو الضمير لابن نوح ويكون القراءتان متفقتين فى المعنى وان اختلفتا فى اللفظ ومن ضعف هذه القراءة بان العرب لا تقول هو يعمل غير حسن حتى تقولوا عملا غير حسن فالقول فيه انهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى فيقول القايل قد فعلت صوابا وقلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا قال عمر بن ابى ربيعة ايها القايل غير الصواب اخر النصح واقلل عتابى وقال ايضا وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهن اذا لفه منا ومن مالئ عينيه من شئ غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى اراد كم من انسان قتيل ونظاير كثيرة ومن قرا فلا تسألن بفتح اللام ولم يكسر النون عدى السؤال الى مفعول واحد فى اللفظ والمعنى على التعدى الى مفعول ثان ومن كسر النون ههنا فانه يدل على تعدية السؤال الى مفعولين احدهما اسم المتكلم والاخر اسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع النونات كما حذف النون من قولهم انى كذلك وكما حذفت النون من قوله يسوء الفاليات اذا فلينى واما اثبات الياء فى الوصل فهو الاصل وحذفها اخف والكسرة تدل عليها وقوله ما ليس لك به علم يحتمل قوله به فى الاية وجهين احدهما ان يكون كقوله كان جزاى بالعصا ان اجلدا اذا ادمت بالعصا وكقوله وكانوا فيه من الزاهدين وانى لكما من الناصحين وانا على ذلكم من الشاهدين وزعم ابو الحسن ان ذلك انما يجوز فى حروف الجر والتقدير فيه التعليق بمضمر تفسيره هذا الذى ظهر بعد وان كان لا يجوز تسلطه عليه ومثل ذلك قوله يوم يرون الملايكة لا بشرى يومئذ للمجرمين فانتصب يوم يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ولا يجوز لما بعد لا هذه ان يتسلط على يوم يرون وكذلك انى لكما من الناصحين يتعلق بما دل عليه النصح المظهر والتقدير انى ناصح لكما من الناصحين وكذلك به فى قوله ما ليس لك به علم يتعلق بما دل عليه علم الظاهر وان لم يجز ان يعمل فيه والوجه الاخر ان يكون متعلقا بالمستقر وهو العامل فيه كتعلق الظرف بالمعانى كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به فى الاية بمنزلة فيه والعلم يراد به العلم المتيقن الذى يعلم به الشئ على حقيقته ليس العلم الذى يعلم به الشئ على ظاهره كالذى فى قوله فان علمتموهن مومنات ونحو ما يعلم الحاكم بشهادة الشاهدين واقرار المقر بما يدعى ونحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذى يسع الحاكم الحكم بالشئ معه الاعراب تلك من انباء الغيب تلك مبتداء ومن انباء الغيب الخبر ونوحيها اليك خبر ثان وان شئت كان فى موضع الحال اى تلك كاينة من انباء الغيب موحاة اليك وان شئت كان تلك مبتداء ونوحيها الخبر والجار من صلة نوحيها اى تلك نوحيها اليك من انباء الغيب ولا يجوز ان يكون من زيادة على تقدير تلك انباء الغيب لانها لا تزاد فى الواجب ويجوز على قول الاخفش المعنى ثم حكى سبحانه تمام قصة نوح فقال ونادى نوح ربه نداء تعظيم ودعاء فقال رب ان ابنى

مشددة النون مثبتة الياء وقرا ابن عامر وقالون مشددة النون ...

من اهلى وان وعدك الحق معناه يا مالكى وخالقى ورازقى وعدتنى بتنجية اهلى وان ابنى من اهلى وان وعدك الحق لا خلف فيه فنجه ان كان ممن وعدتنى بنجاته وانت احكم الحاكمين فى قولك وفعلك قال الله سبحانه يا نوح انه ليس من اهلك وقد قيل فى معناه اقوال احدها انه كان ابنه لصلبه والمعنى انه ليس من اهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك لان الله قد استثنى من اهله الذين وعده ان ينجيهم من اراد اهلاكهم بالغرق فقال الا من سبق عليه القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة واختاره الجبائى وثانيها ان المراد بقوله ليس من اهلك اى ليس على دينك فكان كفره اخرجه عن ان يكون له احكام اهله عن جماعة من المفسرين وهذا كما قال النبى عليه السلام سلمان منا اهل البيت وانما اراد على ديننا وروى على بن مهزيار عن الحسن بن على الوشاء عن الرضا عليه السلام قال قال ابو عبد الله عليه السلام ان الله تعالى قال لنوح انه ليس من اهلك لانه كان مخالفا له وجعل من اتبعه من اهله ويويد هذا التاويل ان الله سبحانه قال على طريق التعليل انه عمل غير صالح فبين انه انما خرج عن احكام اهله بكفره وسوء عمله وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكن كان مخالفا له فى العمل والنية فمن ثم قيل انه ليس من اهلك وثالثها انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام انه ابنى على ظاهر الامر فاعلمه الله تعالى ان الامر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امراته عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه يبعد من حيث ان فيه منافاة القران لانه تعالى قال ونادى نوح ابنه ولان الانبياء يجب ان ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وقد نزه الله انبياءه عما دون ذلك توقيرا لهم وتعظيما عما ينفر من القبول منهم وروى عن ابن عباس انه قال ما زنت امراة نبى قط وكانت الخيانة من امراة نوح انها كانت تنسبه الى الجنون والخيانة من امراة لوط انها كانت تدل على اضيافه ورابعها انه كان ابن امراته وكان ربيبه ويعضده قراءة من قرا ابنه بفتح الهاء وابنها والمعتمد المعول عليه فى تاويل الاية القولان الاولان انه عمل غير صالح قد ذكرنا الوجه فى القراءتين واختار المرتضى قدس الله روحه فى تاويله ان التقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح واستشهد على ذلك بقول الخنساء ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان اظار ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هى اقبال وادبار ارادت فانما هى ذات اقبال وادبار قال ومن قال ان المعنى ان سؤالك اياى ما ليس لك به علم عمل غير صالح فان من امتنع من ان يقع على الانبياء شئ من القبايح يدفع ذلك فاذا قيل له فلم قال فلا تسألن ما ليس لك به علم وكيف قال نوح رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم قال لا يمتنع ان يكون نهى عن سوال ما ليس له به علم وان لم يقع منه وان يكون تعوذ من ذلك وان لم يوقعه كما نهى الله سبحانه نبينا صلى الله عليه واله عن الشرك فى قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وان لم يجز ذلك منه وانما سال نوح عليه السلام نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القطع فلما بين له تعالى ان المصلحة فى غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السوال وقوله انى اعظك اى احذرك والوعظ الدعاء الى الحسن والزجر عن القبيح على وجه الترغيب والترهيب ان تكون من الجاهلين معناه لا تكن منهم قال الجبائى يعنى اعظك لئلا تكون من الجاهلين ولا شك ان وعظه سبحانه يصرف عن الجهل وينزع عن القبيح قال نوح عند ذلك رب انى اعوذ بك ان اسالك ما ليس لى به علم اى اعتصم بك من ان اسالك ما لا اعلم انه صواب وانك تفعله ومعنى العياذ بالله الاعتصام به طلبا للنجاة ومعناه ههنا الخضوع والتذلل لله سبحانه ليوفقه ولا يكله الى نفسه وانما حذف يا من قوله رب فاثبتت فى قوله يا نوح لان ذلك نداء تعظيم وهذا نداء تنبيه فوجب ان ياتى بحرف التنبيه والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين انما قال ذلك على سبيل التخشع والاستكانة لله تعالى وان لم يسبق منه ذنب ثم حكى الله سبحانه ما امر به نوحا حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال قيل يا نوح اهبط اى انزل من الجبل او من السفينة بسلام منا اى بسلامة منا ونجاة وقيل بتحية وتسليم منا عليك وبركات عليك اى ونعم دايمة وخيرات نامية ثابتة حالا بعد حال عليك وعلى امم ممن معك يعنى الامم الذين كانوا معه فى السفينة من المومنين والامة الجماعة الكثيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى امم من ذرية من معك وقيل يعنى بالامم ساير الحيوان الذين كانوا معه لان الله تعالى جعل فيها البركة وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم معناه انه يكون من نسلهم امم سنمتعهم فى الدنيا بضروب من النعم فيكفرون فنهلكهم ثم يمسهم بعد الهلاك عذاب مولم وانما ارتفع امم لانه استانف الاخبار عنهم وروى عن الحسن انه قال هلك المتمتعون فى الدنيا لان الجهل يغلب عليهم والغفلة فلا يتفكرون الا فى الدنيا وعمارتها وملاذها ثم اشار سبحانه الى ما تقدم ذكره من اخبار نوح وقومه فقال تلك اى تلك الانباء من انباء الغيب

اى من اخبار ماغاب عنك معرفته ولو قال ذلك كان جايزا لان المصادر قد يكنى عنها بالتذكير كما يكنى بالتانيث يقولون قدم
فلان ففرحت بها اى بقدمته وفرحت به اى بقدومه نوحيها اليك ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اى ان هذه الاخبار
التى اعلمناكها لم يكن تعلمها انت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل ايحائنا اليك لانهم لم يكونوا اهل كتاب وسير وقيل من قبل هذا القران
وبيان القصص فيه فاصبر اى فاصبر على القيام بامر الله وعلى اذى قومك يا محمد كما صبر نوح على اذى قومه وهذا هو احد الوجوه
التى لاجلها كرر الله قصص الانبياء عليهم السلم ليصبر النبى عليه السلم على ما كان يقاسيه من امور الكفار الجهال حالا بعد حال ان العاقبة
للمتقين اى ان العاقبة المحمودة وخاتمة الخير والنصرة للمتقين كما كانت لنوح عليه السلم قوله عز وجل والى عاد اخاهم هودا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى افلا تعقلون
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما
نحن بتاركى الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتريك بعض الهتنا بسوء قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ
مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربى على صراط
مستقيم فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شئ حفيظ ولما جاء
امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله واتبعوا
امر كل جبار عنيد واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا لعاد قوم هود احدى عشرة اية كوفى
وعشر فى الباقين عد الكوفى مما تشركون اية اللغة الفطر الشق عن امر الله كما ينفطر الورق عن الثمر ومنه فطر الله الخلق لانه
بمنزلة ما شق عنه فظهر المدرار الدار الكثير المتتابع على قدر الحاجة اليه دون الزايد المفسد المضر ومفعال للمبالغة كقولهم معطا
ومقدام واعتراك من قولهم عراه يعروه اذا اصابه قال الشاعر من القوم يعروه اجتر او ماتم والفرق بين الانظار والامهال ان الانظار امهال لينظر صاحبه
فى امره والتاخير خلاف التقديم والناصية قصاص الشعر واصله الاتصال من قولهم مفازة تناصى مفازة اذا كانت الاخيرة متصلة
بالاولى قال فى تناصيها بلاد فى وقال ابو النجم ان يمس راسى اشمط العناصى كانما فرقه مناصى عن جاذب ليتصل فى مدنه العنيد
العاتى الطاغى عند يعند عنودا اذا تجبر وعند عن الامر اذا حاد عنه فهو عاند وعنود الاعراب اخاهم نصب بتقدير ارسلنا
كانه قال وارسلنا الى عاد اخاهم وهودا عطف بيان وعاد مصروف لان المراد به الحى وقد يقصد به القبيلة فلا يصرف قال لو
شهد عاد فى زمان عاد لابتزها مبارك الجلاد غيره من ضم الراء حمل الصفة على الموضع ومن جر حمله على اللفظ قوله ان نقول الا
اعتريك بعض الهتنا بسوء قال صاحب كتاب الكشف الجامع النحوى ان حرف نفى لحقت نقول فنفت جميع القول الا قولا واحدا وهو قولهم
اعتراك بعض الهتنا بسوء فالتقدير نقول قولا الا هذه المقالة والفعل يدل على المصدر وعلى الظرف وعلى الحال فيجوز ان يذكر الفعل
ثم تستانف من مدلوله ما دل عليه من المصادر والظروف والاحوال فنقول اعتراك مستثنى من المصادر الذى دل عليه نقول كقوله
تعالى انما نحن بميتين الا موتتنا الاولى فنصب موتتنا على الاستثناء لانه مستثنى من ضروب الموت الذى دل عليه قوله بميتين
ومما جاء من ذلك فى الظرف قوله ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من نهار فساعة استثناء مما دل عليه يلبثوا من الاوقات
ومما جاء من ذلك فى الحال قوله ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله التقدير ضربت عليهم الذلة فى جميع الاحوال اينما ثقفوا الا
متمسكين بحبل من الله اى بعهد من الله انتهى كلامه وقوله فان تولوا تقديره فان تتولوا فخذف احدى التائين لدلالة الكلام عليه و
قوله بعدا لعاد منصوب على المصدر اى ابعدهم الله بعدا فوقع بعدا موقع ابعادا كما وقع نباتا موقع انبات فى قوله والله انبتكم من
الارض نباتا المعنى ثم عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح فقال والى عاد اخاهم هودا اراد اخاهم فى النسب دون الدين قال
يا قوم اعبدوا الله وحده واطيعوه دون الاصنام ما لكم من اله غيره دخل من يفيد التعميم نفى ان يكون لهم معبود يستحق العبادة
غير الله عز اسمه ان انتم الا مفترون اى ما انتم الا كاذبون فى قولكم ان الاصنام الهة يا قوم لا اسالكم عليه اجرا اى لست اطلب منكم على دعائى
لكم الى عبادة الله جزاء ان اجرى الا على الله الذى فطرنى اى ليس جزاى الا على الله الذى خلقنى افلا تعقلون عنى ما اقول لكم

والتاخير ان الانظار ...

يستثنى

فتعلمون ان الامر على ما اقوله ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد بينا وجه تقديم الاستغفار على التوبة فى اول هذه السورة يرسل السماء
عليكم مدرارا اى يرسل المطر عليكم متتابعا متواترا دارا وقيل انهم كانوا قد اجدبوا فوعدهم هود انهم ان تابوا اخصبت بلادهم وامرعت
وهادهم واثمرت اشجارهم وزكت ثمارهم بنزول الغيث الذى يعيشون به وهذا مثل قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب ويزدكم قوة الى قوتكم فسرت القوة ههنا بالمال والولد والشدة وكل ذلك مما يتقوى به الانسان قال على بن عيسى يريد عزا الى عزكم
بكثرة عددكم واموالكم وقيل قوة فى ايمانكم الى قوة فى ابدانكم ولا تتولوا عما ادعوكم اليه مجرمين اى مشركين كافرين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اى
بحجة ومعجزة تبين صدقك وما نحن بتاركى الهتنا عن قولك اى لسنا بتاركى عبادة الاصنام لاجل قولك فقيل انه عن جعلت مكان
الباء فمعناه بقولك وما نحن لك بمؤمنين اى مصدقين وانما حملهم على دفع البينة مع ظهورها اشياء منها تقليد الاباء وتقليد الرؤساء
ومنها اتهامهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها ومنها انه دخلت عليهم الشبهة فى صحتها ومنها اعتقادهم لاصول فاسدة دعتهم الى جحدها وانما
حملهم على عبادة الاوثان اشياء منها اعتقادهم ان عبادتها تقربهم الى الله زلفى ومنها ان الشيطان ربما القى اليهم ان عبادتها تحظيهم فى الدنيا
ومنها انهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهة فاتخذوا الاوثان على صورة عندهم فعبدوها ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء هذا تمام
الحكاية عن قوم هود جوابا لهود والمعنى لسنا نقول فيك الا انه اصابك بعض الهتنا بسوء فخبل عقلك لشتمك لها وسبك اياها ذهب
اليه ابن عباس ومجاهد قال اى قال هود لقومه انى اشهد الله واشهدوا اى واشهدوا ايضا بعد اشهاد الله انى برئ مما تشركون من
دونه اى ان كنتم تزعمون ان الهتكم عاقبتنى لطعنى عليها فانى على بصيرة فى البراءة مما تشركون مع الله من الهتكم التى تزعمون انها اصابتنى
بسوء وانما اشهدهم على ذلك وان لم يكونوا اهل شهادة من حيث كانوا كفارا فساقا اقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول
اعذارا وانذارا وقيل انه اراد بقوله اشهدوا اعلموا كما قال شهد الله اى علم الله فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون اى فاحتالوا واجتهدوا
انتم والهتكم فى انزال مكروه بى ثم لا تمهلونى قال الزجاج وهذا من اعظم ايات الانبياء ان يكون الرسول وحده وامته متعاونة عليه
فيقول لهم كيدونى فلا يستطيع واحد منهم ضره وكذلك قال نوح لقومه فاجمعوا امركم وشركاءكم الاية وقال نبينا صلى الله عليه واله فان
كان لكم كيد فكيدونى ومثل هذا القول لا يصدر الا عمن هو واثق بنصر الله وبانه يحفظه عنهم ويعصمه منهم ثم ذكر هود عليه السلام هذا المعنى
فقال انى توكلت على الله ربى وربكم اى فوضت امرى الى الله سبحانه متمسكا بطاعته تاركا لمعصيته وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه
ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اى ما من حيوان يدب على وجه الارض الا وهو مالك لها يصرفها كيف شاء ويقهرها وجعل الاخذ بالناصية كناية
عن القهر والقدرة لان من اخذ بناصية غيره فقد قهره واذله ان ربى على صراط مستقيم اى انه سبحانه مع كونه قاهرا على عدل فيما يعامل عباده
والمعنى انه يعدل ولا يجور وقيل معناه ان ربى فى تدبير عباده على صراط مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب فهو يجرى على سبيل الصواب يفعل ما يقتضيه
الحكمة فان تولوا هذا حكاية عما قاله هود لقومه والمعنى فان تتولوا ويجوز ان يكون حكاية عما قال الله سبحانه لهود والمعنى فان تولوا فقل لهم
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اى ليس ذلك لتقصير منى فى ابلاغكم وانما هو لسوء اختياركم فى اعراضكم عن نصحى فقد ابلغتكم جميع ما اوحى
الى ويستخلف ربى قوما غيركم اى ويهلككم ربى بكفركم ويستبدل بكم قوما غيركم يوحدونه ويعبدونه ولا تضرونه شيئا يعنى اذا استخلف غيركم
فجعلهم بدلا منكم لا تقدرون له على ضر وقيل معناه لا تضرونه بتوليكم واعراضكم شيئا ولا ضرر عليه فى اهلاككم لانه لم يخلقكم لحاجة منه اليكم ان
ربى على كل شئ حفيظ يحفظه من الهلاك ان شاء ويهلكه اذا شاء وقيل معناه ان ربى يحفظنى عنكم وعن اذاكم وقيل معناه ان ربى على كل
شئ من اعمال العباد حفيظ حتى يجازيهم عليها ولما جاء امرنا باهلاك عاد نجينا هودا والذين امنوا معه من الهلاك وقيل انهم كانوا اربعة
الاف برحمة منا اى بما اريناهم من الهدى والبيان عن ابن عباس وقيل برحمة منا اى بنعمة منا وهى النجاة اى انجيناهم برحمتنا ليعلم
انه عذاب اريد به الكفار لا اتفاق وقع ونجيناهم من عذاب غليظ اى كما نجيناهم من عذاب الدنيا نجيناهم من عذاب الاخرة والغليظ
الثقيل العظيم ويحتمل ان يكون هذا صفة للعذاب الذى عذب به قوم هود ثم ذكر سبحانه كفر عاد فقال وتلك اى وتلك القبيلة عاد
جحدوا بايات ربهم يعنى معجزات هود الدالة على صحة نبوته وعصوا رسله انما جمع الرسل وكان قد بعث اليهم هود لان من كذب رسولا واحدا
فقد كفر بجميع الرسل ولان هودا كان يدعوهم الى الايمان به وبمن تقدمه من الرسل وبما انزل عليهم من الكتب فكذبوهم جميعا فلذلك عمهم

واتبعوا امر كل جبار عنيد اى واتبع السفلة والسقاط الرؤساء وقيل ان الجبار من يقتل ويضرب على غضبه والعنيد الكثير العناد الذى لا يقبل الحق واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة اى واتبع عاد بعد اهلاكهم فى الدنيا بالابعاد عن الرحمة فان الله تعالى ابعدهم من رحمته وتعبد المومنين بالدعاء عليهم باللعن ويوم القيمة اى وفى يوم القيمة يبعدون من رحمة الله كما بعدوا فى الدنيا منها ويلعنون بان يدخلوا النار فان اللعنة الدعاء بالابعاد من قولك لعنه الله واصله الابعاد من الخير الا ابعدا وتنبيه ان عادا كفروا ربهم اى بربهم فحذف الباء كما قال امرتك الخير الا بعدا لعاد قوم هود اى ابعدهم الله من رحمته فبعدوا بعدا قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى واتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ثمانى ايات

القراءة قرا اهل المدينة غير اسمعيل والكسائى والبرجمى والشمونى عن ابى بكر عن عاصم من خزى يومئذ بفتح الميم ههنا وعذاب يومئذ فى المعارج والباقون بكسر الميم على الاضافة وقرا حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب الا ان ثمود غير منون فى جميع القران وقرا الباقون ثمودا بالتنوين ههنا وفى الفرقان والعنكبوت والنجم لانه مكتوب بالالف فى هذه المواضع وابو بكر عن عاصم يقرا وثمود فى والنجم بغير تنوين وينون الباقى ويروى عند البرجمى ومحمد بن غالب عن الاعشى عنه فى والنجم بالتنوين ايضا وقرا الكسائى وحده الا بعدا لثمود بالجر والتنوين والباقون لثمود بفتح الدال الحجة قال ابو على قوله ومن خزى يومئذ يوم فى قوله يومئذ ظرف فتحا وكسرت فى المعنى الا انه اتسع فيه فجعلت اسما كما اتسع فى قوله بل مكر الليل والنهار فاضيف المكر اليهما وانما هو فيهما فكذلك العذاب والخزى والفزع فى قوله من فزع يومئذ اضفن الى اليوم والمعنى على ان ذلك كله فى اليوم كما ان المكر فى الليل والنهار يدلك على ذلك قوله ولعذاب الاخرة اخزى وقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض وقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فاما من كسر الميم من يومئذ فلان يوما اسم معرب فاضيف اليه ما اضيف من العذاب والخزى والفزع فالجر بالاضافة ولم يفتح اليوم فيبنيه لاضافته الى المبنى لان المضاف منفصل من المضاف اليه ولا تلزمه الاضافة فلما لم تلزم الاضافة المضاف لم يلزم فيه البناء يدلك على ذلك انك تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه الاعراب وان كان الاسمان جعلا بمعنى الحرف فلم يلزمهما البناء كما يلزم ما لا ينفك منه معنى الحرف نحو اين وكيف ومتى فلما بنى المضاف وان كان قد عمل عمل الحرف من حيث كان غير لازم كذلك لم يبن يوم للاضافة الى اذ لان اضافته لا يلزم كما لم يبن المضاف وان كان قد عمل فى المضاف اليه بمعنى اللام او بمعنى من لما لم يلزم الاضافة واما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن خزى يومئذ ففتح مع انه فى موضع جر فلان المضاف يكتسى من المضاف اليه التعريف والتنكير ومعنى الاستفهام والجزاء فى نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب اضربه والنفى فى نحو قولهم ما اخذت باب دار احد فلما كان يكتسى من المضاف اليه هذه الاشياء اكتسى منه الاعراب والبناء ايضا اذا كان المضاف من الاسماء الشايعة نحو يوم وحين ومثل ويشبه هذا الشياع الاسماء الشايعة المبنية نحو اين وكيف ولو كان المضاف مخصوصا نحو رجل وغلام لم يكتس منه البناء كما اكتسى منه الاسماء الشايعة فمما جاء من ذلك قوله على حين عاتبت المشيب على الصبى وقلت الما اصح والشيب وازع ومن ذلك قوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون فمثل فى موضع رفع فى قول سيبويه وقد جرى وصفا على المنكرة الا انه فتح للاضافة الى ما ومن ذلك قول الشاعر وتداعى منخراه بدم مثل ما اثمر حماض الجبل لما اضاف مثل الى المبنى وكان اسما شايعا بناه ولم يعربه وذهب ابو عثمن الى انه جعل مثلا مع ما بمنزلة اسم واحد فبنى مثلا على الفتح ولا دلالة قاطعة على هذا القول فى هذا البيت وان كان ما ذهب اليه مستقيما فاما الكسرة فى اذ فلالتقاء الساكنين وذلك ان اذ من حكمها ان تضاف الى الجملة من الابتداء والخبر فلما اقتطعت عنها الاضافة نونت لتدل التنوين على ان المضاف اليه قد حذف فكسرت الذال لسكونها وسكون التنوين وقال فى صرف ثمود وترك صرفه ان هذه الاسماء التى تجرى على القبايل والاحياء على ضروب احدها ان يكون اسما للحى او للاب والاخر ان يكون

اسما للقبيلة والثالث ان يكون الغالب عليه الاب والحى او القبيلة والرابع ان يستوى ذلك فى الاسم فيجرى على الوجهين ولا يكون لاحد الوجهين مزية على الاخر فى الكثرة فمما جاء على انه اسم للحى قولهم ثقيف وقريش وكل ما لا يقال فيه بنو فلان واما ما جاء اسما للقبيلة فنحو تميم قالوا تميم بنت مر قال سيبويه وسمعناهم يقولون قيس ابنة عيلان وتميم صاحبة ذلك وقالوا تغلب ابنة وايل قال لولا فوارس تغلب ابنة وايل نزل العدو عليك كل مكان واما ما غلب عليه اسم الحى او القبيلة فقد قالوا باهلة بن اعصر وقالوا يعصر وباهلة اسم امراة قال سيبويه ولكنه جعل اسم الحى ومجوس لم يجعل الا اسم القبيلة وتميم اكثرهم يجعله اسم القبيلة ومنهم من يجعله اسم الاب فاما ما استوى فيه ان تكون اسما للقبيلة وان تكون اسما للحى فقال سيبويه هو ثمود وسبا فهما مرة للقبيلتين ومرة للحيين وكثرتهما سواء قال وعادا وثمودا وقال الا ان ثمود كفروا ربهم وقال واتينا ثمود الناقة فاذا استوى فى ثمود ان يكون مرة للقبيلة ومرة للحى فلم يكن لحمله على احد الوجهين مزية فى الكثرة فمن صرف فى جميع المواضع كان حسنا ومن لم يصرف فى جميع المواضع كان حسنا وكذلك ان صرف فى موضع ولم يصرف فى موضع اخر الا انه لا ينبغى ان يخرج عما قرات به القراء فان القراءة سنة متبعة ومن ذلك قول الشاعر كسا الله حيى تغلب ابنة وايل من اللوم اظفارا بطيئا نصولها فقال حيى ثم قال ابنة وايل فجمع بين الحى والقبيلة واما قوله اوليك اولى من يهود بمدحة اذا انت يوما قلتها لم تونب فقد قامت الدلالة على ان يهود استعملت على انها للقبيلة ليس للحى فى قوله اوليك اولى من يهود لان يهود لو كان للحى لصرف وانشد ابو الحسن فرت يهود واسلمت جيرانها صمى لما فعلت يهود صمام وكذلك جاء فى الحديث يقسم هود ومثل يهود فى هذا مجوس فى قول الشاعر كنار مجوس تستعر استعارا الا ترى انه لو كان للحى دون القبيلة لانصرف اللغة الانشاء الايجاد ابتداء من غير استعانة بشئ من الاسباب وانشاء فلان حديثا او شعرا والاستعمار جعل القادر يعمر الارض كعمارة الدار ومنه العمرى فى الفقه وهو ان يقول اعطيتك هذه الدار عمرى وعمرك والمس واللمس بمعنى وفرق على بن عيسى بينهما بان المس قد يكون بين جمادين واللمس لا يكون الا بين الحيين لما فيه من الادراك والجثوم السقوط على الوجه وقيل هو القعود على الركبة وغنى بالمكان اذا اقام به والمغنى المنزل قال النابغة غنيت بذلك اذ هم لك جيرة منها بعطف رسالة وتودد واصل الغنى الاكتفاء فمنه الغنى بالمال والغناء الصوت الذى يكتفى به والغناء الاكتفاء بحال الشئ ومنه غنى بالمكان لاكتفائه بالاقامة فيه الاعراب ارايتم لا مفعول له ههنا لانه معلق كما تعلق اذا دخل الجملة لام الابتداء فى مثل قوله قد رايت لزيد خير منك فكذلك الجزاء وجواب ان الاولى الفاء وجواب ان الثانية محذوف وتقديره ان عصيته فمن ينصرنى الا انه استغنى بالاول فلم يظهر ومن ينصرنى صورته صورة الاستفهام ومعناه النفى فكانه قال فلا ناصر لى من الله ان عصيته وانما جاز الفاء ههنا لانها دخلت على جملة قايمة بنفسها من جهة انها تفيد لو انفردت عن غيرها وهى متعلقة بمعناها دون تفصيل لفظها وقوله فياخذكم جواب النهى بالفاء ولذلك نصبه وتقديره لا يقع منكم مسها بسوء فان ياخذكم عذاب قريب اى فاخذ عذاب عاجل اتاكم وايام اصله ايوام فقلبت الواو ياء وادغمت الياء الاولى فيها المعنى ثم عطف على ذلك قصة صالح فقال والى ثمود اخاهم صالحا وكانت ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام وكانت عاد باليمن عن الجبائى فقال صالح يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مضى تفسيره هو انشاكم من الارض اى ابتدا خلقكم من الارض لانه خلق ادم من الارض ومرجع نسبكم اليه واستعمركم فيها اى جعلكم عمار الارض بان مكنكم من عمارتها واحوجكم الى السكنى فيها وقيل معناه واعمركم فيها اى جعلكم مدة اعماركم من العمرى عن مجاهد وقيل معناه واطال فيها اعماركم عن الضحاك قال وكانت اعمارهم من الف سنة الى ثلثمائة سنة وقيل معناه امركم من عمارتها بما تحتاجون اليه من المساكن والزراعات وغرس الاشجار وفى هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاسب لانه سبحانه امتن على عباده بان مكنهم من عمارة الارض فلو كان ذلك محرما لم يكن لذلك وجه فاستغفروه ثم توبوا اليه اى فاستغفروه من الشرك والذنوب ثم دوموا على التوبة ان ربى قريب الرحمة لمن رجاه مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى كنا نرجو منك الخير لما كنت عليه من الاحوال الجميلة قبل هذا القول فالان ايسنا منك ومن خيرك بابداعك ما ابدعت وقيل معناه كنا نرجوك ونظنك عونا لنا على ديننا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا استفهام معناه الانكار كانهم انكروا ان ينهى الانسان عن عبادة ما عبده اباؤه واننا لفى شك مما تدعونا اليه من الدين مريب موجب للريبة والتهمة اذ لم يكن اباؤنا فى جهالة وضلالة قال صالح لهم يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى مر بيانه فيما قبل واتانى منه رحمة اى واعطانى الله منه نعمة وهى النبوة

فمن ينصرني من الله ان عصيته اى فمن يمنع عذاب الله عنى ان عصيته مع نعمه علىّ فما تزيدونني غير تخسير اى ما تزيدونني بقولكم انهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا غير نسبتي اياكم الى الخسارة والتخسير مثل التفسيق والتفجير قال ابن الاعرابي يريد غير تخسير لكم لا لي وقال ابن عباس ما تزيدونني الا بصيرة فى خسارتكم وقيل معناه ان اجبتكم الى ما تدعونني اليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية اشار الى ناقة التى جعلها الله معجزة لانه سبحانه اخرجها لهم من جوف صخرة يشاهدونها على تلك الصفة وخرجت كما طلبوه وهى حامل وكانت تشرب جميع المياه فتنفرد به يوما ولا ترد الماء معها دابة فاذا كان يوم لا ترد فيه وردت الواردة كلها الماء وهذا اعظم اية ومعجزة وانتصب اية على الحال من ناقة الله فكانه قال انتبهوا لها فى هذه الحال والمعنى ان شككتم فى نبوتى فهذه الناقة معجزة لى واضافها الى الله تشريفا لها كما يقال بيت الله فذروها تاكل فى ارض الله جملة منصوبة الموضع على الحال ويجوز ان يكون مرفوعا على الاستئناف والمعنى فانها تاكل فى ارض الله من العشب والنبات ولا تمسوها اى لا تصيبوها بسوء قتل او جرح او غيره فياخذكم ان فعلتم ذلك عذاب قريب اى عاجل فيهلككم فعقروها بعضهم ورضى به البعض وانما عقرها احمر ثمود وضربت به العرب المثل فى الشوم فقال صالح تمتعوا فى داركم ثلثة ايام اى تلذذوا بما تريدون من المدركات الحسنة من المناظر والاصوات وغيرها مما يدرك الحواس فى بلادكم ثلثة ايام ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك ويقال للبلاد دار لانها تجمع اهلها كما تجمع الدار اهلها ومنه قولهم ديار ربيعة وديار مضر وقيل فى داركم يعنى دار الدنيا وقيل معنى قوله تمتعوا فى داركم عيشوا فى بلدكم وعبر عن الحيوة بالتمتع لان الحى يكون متمتعا بالحواس قالوا لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل ورغا ثلث مرات فقال صالح لكل رغوة اجل يوم فاصفرت وجوههم اول يوم ثم احمرت من الغد ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله ذلك وعد غير مكذوب اى ان ما وعدتكم به من العذاب ونزوله بعد ثلثة ايام وعد صدق لا كذب فيه وروى جابر بن عبد الله الانصارى ان رسول الله صلى الله عليه واله لما نزل الحجر فى غزوة تبوك قام فخطب الناس وقال يا ايها الناس لا تسئلوا نبيكم الايات هؤلاء قوم صالح سالوا نبيهم ان يبعث لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون من لبنها مثل الذى كانوا يشربون من مائها يوم غبها فعتوا عن امر ربهم فقال تمتعوا فى داركم ثلثة ايام وكان وعدا من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فاهلك الله من كان فى مشارق الارض ومغاربها منهم الا رجلا كان فى حرم الله منعه حرم الله من عذاب الله يقال له ابو رغال قيل له يا رسول الله من ابو رغال قال ابو ثقيف ولما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا مر تفسيره فى قصة عاد ومن خزى يومئذ قال ابن الانبارى هذا معطوف على محذوف تقديره نجيناهم من العذاب ومن خزى يومئذ اى من الخزى الذى لزمهم ذلك اليوم والخزى العيب الذى تظهر فضيحته ويستحيا من مثله ان ربك هو القوى اى القادر على ما يشاء العزيز الذى لا يمتنع عليه شئ ولا يمنع عما اراده واخذ الذين ظلموا الصيحة قيل ان الله سبحانه امر جبرئيل فصاح بهم صيحة ماتوا عندها ويجوز ان يكون الله تعالى خلق تلك الصيحة التى ماتوا عندها فاصبحوا فى ديارهم اى منازلهم جاثمين اى ميتين واقعين على وجوههم ويقال قاعدين على ركبهم وانما قال فاصبحوا لان العذاب اخذهم عند الصباح وقيل اتتهم الصيحة ليلا فاصبحوا على هذه الصفة والعرب يقول عند الامر العظيم واسوء صباحاه كان لم يغنوا فيها اى كان لم يكونوا فى منازلهم قط لانقطاع اثارهم بالهلاك الا ما بقى من اجسادهم الدالة على الخزى الذى نزل بهم الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود قد سبق تفسيره قوله عز وجل ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا ءالد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابرهيم لحليم اواه منيب يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود سبع ايات عند البصريين ثمان عند غيرهم لم يعد البصرى فى قوم لوط اية القراءة قرا حمزة والكسائى قال سلم بكسر السين وسكون اللام هنا وفى الذاريات وقرا الباقون قال سلام وقرا يعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وقرا الباقون يعقوب بالرفع وفى الشواذ قراءة الاعمش وهذا بعلى شيخ بالرفع الحجة قال ابو على

اخبرنا ابو اسحق بن محمد بن يزيد قال السلام اربعة اشياء منها مصدر سلمت والسلام شجر قال الاسلام وحرمل والسلام جمع سلامة والسلام اسم من اسماء الله تعالى وقوله دار السلام يحتمل ان يكون مضافة الى الله تعالى تعظيما لها ويحتمل ان يكون دار السلامة من العقاب فمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله ويأتيه الموت من كل مكان واما انتصاب قوله سلاما فلانه لم يحك شيئا تكلموا به فيحكى كما يحكى الجمل ولكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما ان القائل اذا قال لا اله الا الله فقلت حقا او قلت اخلاصا عملت القول فى المصدرين لانك ذكرت معنى ما قال ولم تحك نفس الكلام الذى هو جملة تحكى فكذلك نصب سلاما فى قوله قالوا سلاما لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس المقول بعينه فاما قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال سيبويه زعم ابو الخطاب ان مثله يريد مثل قولك سبحان الله الذى تفسيره براءة الله من السوء قولك للرجل سلاما تريد مسلما منك لا التبس بشئ من امرك فعلى هذا المعنى وجه ما فى الاية قال وزعم ان قول امية سلامك ربنا فى كل فجر بريا ما تعنتك الذموم على قوله براءتك ربنا من كل سوء واما قوله قال سلام فسلام مرفوع لانه من جملة الجملة المحكية والتقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله فصبر جميل امثل او يكون المعنى امرى سلام وشانى سلام كما ان قوله فصبر جميل يصلح ان يكون المحذوف منه المبتداء ومثل ذلك قوله فاصفح عنهم وقل سلام على حذف المبتداء الذى سلام خبره واكثر ما يستعمل بغير الف ولام وذلك لانه فى معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين يديك ولما كان فى معنى المنصوب استجيز فيه الابتداء بالنكرة فمن ذلك قوله قال سلام عليك ساستغفر لك ربى وقال والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام على نوح فى العالمين سلام على ابرهيم وسلام على عباده الذين اصطفى وقد جاء بالالف واللام قال سبحانه والسلام على من اتبع الهدى والسلام علىّ يوم ولدت فزعم ابو الحسن ان فى العرب من يقول سلام عليكم ومنهم من يقول السلام عليكم فالذين الحقوا الالف واللام حملوه على المعهود والذين لم يلحقوه حملوه على غير المعهود وزعم ان منهم من يقول سلام عليكم فلا ينون وحمل ذلك على وجهين احدهما انه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الاصل من نحو قولك لم يك ولا ادر ويوم يات والاخر انه لما كثر استعمال هذه الكلمة وفيه الالف واللام حذفا منه لكثرة الاستعمال كما حذف من اللهم فقالوا لاهم ان عامر الفجور قد حبس الخيل على يعور واما من قرا قال سلم فان سلما يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى سلام فيكون المعنى امرنا سلم او سلم عليكم ويكون سلم فى انه بمعنى سلام كقولهم حل وحلال وحرم وحرام فيكون على هذ قراءة من قرا سلام وسلم بمعنى واحد وان اختلف اللفظان والاخر ان يكون سلم خلاف العدو والحرب كانهم لما كفوا عن تناول ما قدمه اليهم فنكرهم واوجس الخيفة منهم قال انا سلم ولست بحرب ولا عدو فلا تمتنعوا من تناول طعامى كما يمتنع من تناول طعام العدو ومن قرا ومن وراء اسحق يعقوب بالرفع كانه رفعه بالابتداء او بالظرف فى قول من رفع به ومن فتح فقال يعقوب احتمل ثلثة اضرب احدها ان يكون يعقوب فى موضع جر اى فبشرناها باسحق ويعقوب قال ابو الحسن وهذا اقوى لانها بشرت بهما قال وفى اعمالها ضعف لانك فصلت بين الجار والمجرور بالظرف والاخر ان تحمله على موضع الجار والمجرور كقوله اذا ما تلاقينا من اليوم او غدا وكقراءة من قرا وحورا عينا بعد يطاف عليهم بكذا او مثله فلسنا بالجبال ولا الحديدا والثالث ان تحمل على فعل مضمر كانه قال فبشرناها باسحق ووهبنا له يعقوب فاما الاول فقد نص سيبويه على قبح مثله نحو مررت بزيد اول من امس وامس عمرو وكذلك قال ابو الحسن لو قلت مررت بزيد اليوم وامس عمرو لم يحسن واما الحمل على الموضع على حد مررت بزيد وعمرا فالفصل فيه ايضا قبيح كما قبح الحمل على الجر وذلك ان الفعل يصل بحرف العطف وحرف العطف هو الذى يشرك فى الفعل وبه يصل الفعل الى المفعول به كما يصل بحرف الجر ولو قال مررت بزيد قائما فجعل الحال من المجرور لم يجز التقديم عند سيبويه لان الجار هو الموصل للفعل فكما قبح التقديم عنده لضعف الجار العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار فى انه يشرك فى الفعل كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل فى الموضعين جميعا واذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف فى العطف على الموضع وقبح ايضا الفصل فى الرفع والنصب كما قبح فى الجر لان العاطف فيهما مثله فى الجار وليس العامل نفس الرافع والناصب كما ان العامل فيما بعد حرف العطف ليس الجار انما يشركه فيه العاطف وقد جاء ذلك فى الشعر قال الاعشى يوما تراها كشبه اردية الخمس ويوما اديمها نغلا ففصل بالظرف بين المشترك فى النصب وما اشركه فيه فاذا قبح الفصل فى الحمل على الموضع كما قبح الفصل فى الحمل على الجار فينبغى ان تحمل قراءة من قرا يعقوب بالنصب على فعل اخر مضمر يدل عليه بشرنا كما تقدم ولا تحمل على الو

للاخرين واما الرفع في قوله شيخ ففيه وجوه احدها ان يكون بعلي خبر المبتداء وشيخ بدل من بعلي فيكون كانه قال هذا شيخ والآخران يكون
شيخ خبر مبتداء محذوف ويكون هذا بعلي كلاما تاما يحسن الوقف عليه والثالث ان يكون بعلي بدلا من هذا وشيخ هو الخبر فيكون تقديره
بعلي شيخ والرابع ان يكون بعلي وشيخ جميعا خبرا عن هذا كقولك هذا حلو حامض اي قد جمع الحلاوة والحموضة فكذلك ههنا تقديره
هذا جمع البعولة والشيخوخة قال ابن جني وهنا وجه خامس لكنه على قياس مذهب الكسائي وذلك انه يعتقد في خبر المبتداء ابدا ان
فيه ضميرا وان لم يكن مشتقا من الفعل نحو زيد اخوك وهو يريد النسب فاذا كان كذلك فقياس مذهبه ان يكون شيخ بدلا من الضمير
في بعلي لانه خبر عن هذا **اللغة** العجل ولد البقرة والعجول لغة فيه وجمعه العجاجيل وسمي بذلك لتعجيل امره بقرب ميلاده والحنيذ المشوي
وهو المحنوذ فعيل بمعنى مفعول يقال حنذه يحنذه حنذا قال العجاج ورهبا من حنذه ان يهرجا يعني الحمر الوحشية قال الزجاج الحنيذ المشوي
بالحجارة وقيل الحنيذ المشوي حتى يقطر والعرب تقول احنذ هذا الفرس اي اجعل عليه الجل حتى يقطر عرقا وقيل الحنيذ المشوي فقط وقيل هو
السميط ويقال نكرته وانكرته بمعنى واحد ونكرته اشد مبالغة وهي لغة هذيل والحجاز وانكرته لغة تميم قال الاعشى وجمع بين اللغتين وانكرتني
وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا وقال ابو ذؤيب فنكرنه فنفرن فامترست به هوجاء هادية وهاد جرشع
والايجاس الاحساس اوجس وتوجس اي احس قال ذو الرمة وقد توجس ركزا مقفر ندس بنبأة الصوت ما في سمعه كذب ويقال اوجس
خوفا اي اضمر والبعل الزوج واصله القائم بالامر يقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الانهار والعيون بعل لانه قائم بالامر في استغنائه
عن تكلف السقي له ومنه قيل للرب والصاحب بعل والعجب تحير على المصدر وعلى المتعجب منه تقول هذا امر عجب ولا يجوز العجب من امر الله تعالى
لانه يجب ان يعلم انه قادر على كل شيء من الاجناس لا يعجزه شيء وما عرف سببه لا يتعجب منه والمجيد الكريم يقال مجد الرجل يمجد مجادة اذا كرم
قال الشاعر رفعت مجد تميم باهلال لها رفع الطراف على العلياء بالعمد والروع الافزاع يقال راعه يروعه اذا افزعه قال عنترة ما راعني
الا حمولة اهلها وسط الديار تسف حب الخمخم وارتاع ارتياعا اذا خاف والروع بضم الراء النفس يقال القي في روعي اي في نفسي وسميت بذلك
لانها موضع الروع والرد والدفع واحد ونقيضه الاخذ والفرق بين الرد والدفع ان الدفع قد يكون الى جهة القدام والخلف والرد لا يكون
الا الى جهة الخلف **الاعراب** فما لبث ان جاء اي ما اقام حتى جاء بعجل وان جاء في موضع نصب بوقوع لبث عليه كانه قال فما ابطأ عن مجيئه
بعجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل وقال الفراء يحتمل ان يكون موضعه رفعا بان يجعل ان جاء فاعل لبث فكانك قلت فما لبث مجيئه
بعجل والالف في يا ويلتا يحتمل ان يكون الف ندبة ويحتمل ان يكون ياء الاضافة فانقلبت الفا ومعناه الايذان بورود الامر العظيم كما يقول
العرب يا للدواهي اي تعالي فانه من احيانك بحضور ما حضر من اشكالك ويجوز الوقف عليه بغير ها والاختيار في الكلام ان يوقف عليه
بالها يا ويلتاه قال الزجاج في المصحف بالالف ولا يوقف عليه فان اضطر واقف الى ان يقف وقف عليه بغير ها واما الهمزتان في قوله ءألد ففيها
ثلثة اوجه ان شئت خففت الاولى وحققت الثانية فقلت يا ويلتا آلد وان شئت حققت الاولى وخففت الثانية وهو الاختيار فقلت
اءلد وان شئت حققتهما جميعا فقلت ءألد وشيخا منصوب على الحال قال الزجاج الحال ههنا نصبها من لطيف النحو وذلك انك اذا قلت هذا
زيد قائما لا انه يكون زيدا ما دام قائما فاذا زال عن القيام فليس بزيد وانما تقول للذي يعرف زيدا هذا زيد قائما فيعمل في الحال التنبيه والمعنى انتبه
لزيد في حال قيامه او اشير لك الى زيد في حال قيامه لان هذا اشارة الى ما حضر وقال غيره ان شئت جعلت العامل فيه معنى التنبيه و
ان شئت جعلت العامل معنى الاشارة وان شئت اعملت فيه مجموعهما وكذا ما يجري مجراه تقول هذا زيد مقبلا ولا يجوز مقبلا هذا زيد لان العامل
ليس بفعل محض فان قلت ها مقبلا ذا زيد وجعلت العامل معنى الاشارة لم يجز وان جعلت العامل معنى التنبيه جاز يجادلنا في موضع نصب لانه حكاية
حال قد مضت والا فالجيد ان تقول لما قام قمت ويضعف ان يقول لما قام اقوم وعلى هذا فيكون جواب لما محذوفا لدلالة الكلام عليه ويكون
تقديره قلنا ان ابرهيم لحليم او ناديناه يا ابرهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا ويجوز ان يكون لما كان
لما شرطا للماضي وقع المستقبل فيه في معنى الماضي كما ان ان لما كانت شرطا للمستقبل وقع الماضي فيه في معنى المستقبل **المعنى** ثم ذكر سبحانه قصة
ابرهيم ولوط فقال سبحانه ولقد جاءت رسلنا يعني الملائكة وانما دخلت اللام لتاكيد الخبر ومعنى قد ههنا ان السامع لقصص الانبياء يتوقع
قصة بعد قصة وقد للتوقع فجاءت ليؤذن ان السامع في حال توقع واختلف في عدد الرسل فقيل كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل

فان كنت تقصد ان تخبر من لا يعرف زيدا انه زيد لم يجز ان تقول هذا زيد قائما م

عن

عن ابن عباس وقيل كانوا اربعة عن ابي عبد الله عليه السلام قال والرابع اسمه كروبيل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك وقيل احد عشر عن السدي
وكانوا على صور الغلمان اتوا ابرهيم الخليل عليه السلام بالبشرى اي بالبشارة باسحق ونبوته وانه يولد له يعقوب عن الحسن والجبائي وروي عن ابي جعفر
عليه السلام ان هذه البشارة كانت باسمعيل من هاجر وقيل البشارة بهلاك قوم لوط قالوا سلاما هذه حكاية ما قالت رسل الله تعالى لابرهيم
اي سلمنا سلاما بمعنى الدعاء له وقيل معناه اصبت سلاما او اعطاك الله سلاما اي سلامة كما يقال اهلا ومرحبا وكان تحية من الملائكة
لابرهيم عليه السلام فقال ابرهيم مجيبا لهم سلام قد مر تفسيره فما لبث ان جاء بعجل حنيذ اي لم يتوقف حتى جاءهم على عادته في اكرام الاضياف
وتقديم الطعام اليهم بعجل مشوي لانه توهم انهم اضياف لكونهم على صور البشر وكان ابرهيم يحب الضيفان فجاء على احسن الوجوه اليه وصار لذلك
من السنة ان يعجل للضيفان الطعام وقيل ان معنى حنيذ نضيج بالحجارة المحماة في خد من الارض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل
ان الحنيذ ما حفرت له في الارض ثم غممته وهو فعل اهل البادية عن الفراء وقيل حنيذ مشوي يقطر ماء عن ابن عطية فلما رأى ابرهيم ايديهم
اي ايدي الملائكة لا تصل اليه اي الى العجل نكرهم اي انكرهم واوجس منهم خيفة اي اضمر منهم خوفا واختلف في سبب الخوف فقيل انه لما راهم شبانا
اقوياء وكان ينزل طرفا من البلد وكانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يامن ان يكون ذلك لبلاء وذلك ان اهل ذلك الزمان اذا
اكل بعضهم طعام بعض امنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا اي اثبت الحرمة بيننا باكله الطعام وقيل انه
ظنهم لصوصا يريدون به سوءا وقيل ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاءوا لامر عظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف ان يكون قومه المقصودين
بالعذاب حتى قالوا له لا تخف يا ابرهيم انا ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب والاهلاك لا الى قومك وقيل انهم دعوا الله فاحيا العجل الذي
كان ذبحه ابرهيم وشواه فطفر ورعى فعلم حينئذ انهم رسل الله وامرأته سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروع بن ارغو بن فالغ وهي ابنة
عم ابرهيم قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابرهيم عن وهب وقيل انها كانت بنت خالته وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابرهيم
جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة تصلي وكان ابرهيم جالسا وفي قراءة ابن مسعود وامرأته قائمة وهو جالس فضحكت قيل هو الضحك المعروف
الذي يعتري الانسان للفرح وقد يكون عند التعجب فضحكت تعجبا من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن قتادة وقيل تعجبا من امتناعهم
عن الاكل وخدمتها اياهم بنفسها ولهذا يقال وشر الشدائد ما يضحك وقالت عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا ياكلون
من طعامنا وقيل ضحكت لانها كانت قالت لابرهيم اضمم لوطا ابن اختك اليك فاني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى
الامر على ما توهمت عن الزجاج وقيل تعجبا وسرورا من البشارة باسحق لانها كانت قد هرمت وهي ابنة ثمان وتسعين او تسع وتسعين سنة و
كان قد شاخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين او مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يرزق لهما ولد في حال شبابهما وعلى هذا
فيكون في الكلام تقديم وتاخير وتقديره فبشرناها باسحق اي بابن يسمى اسحق نبيا ومن وراء اسحق يعقوب يعني من بعد اسحق يعقوب و
قيل الوراء ولد الولد عن ابن عباس اي فبشرناها بنبي بين نبيين وهو اسحق ابوه نبي وابنه نبي وقيل ان ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد وروي
عن الصادق عليه السلام يقال ضحكت الارنب اي حاضت والضحك بفتح الضاد الحيض وفي لغة بني الحرث بن كعب ضحكت النخلة اذا اخرجت الطلع
او البسر والضحك الطلع وانشد بعضهم في الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر وضحك الارانب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا قال الفراء
ولم اسمعه من ثقة والوجه فيه ان يكون على طريق الكناية قال الكميت فاضحكت السباع سيوف سعد لقتلى ما دفن وما ودينا قالت يا
ويلتا ءألد وانا عجوز اي هذا شيء عجيب ان الد وقد شخت من زوج شيخ ولم تشك في قدرة الله تعالى ولكن انما قالت ذلك لكونها خارقا
للعادة كما ولى موسى عليه السلام مدبرا حين انقلبت العصا حية حتى قيل له اقبل ولا تخف والا فهي كانت عارفة بان الله تعالى يقدر على
ذلك ولم يرد بقولها يا ويلتا الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تجري على افواه النساء اذا طرا عليهن ما يتعجبن منه وقيل انها لم تتعجب
من قدرة الله ولكنها ارادت ان تعرف هل تتحول شابة ام تلد على تلك الحال وكل ذلك عجيب وهذا بعلي شيخا اي هذا الذي تعرفونه بعلي وهو
شيخ ان هذا الذي بشرت به لشيء عجيب قالوا اي قالت الملائكة لها حين تعجبت من ان تلد بعد الكبر اتعجبين من امر الله ومعنى الاستفهام ههنا
التنبيه والتوقيف اي اتعجبين من ان يفعل الله تعالى ذلك بك وبزوجك رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي ليس هذا موضع تعجب لان
التعجب انما يكون من الامر الذي لا يعرف سببه ونعم الله تعالى وكثرة خيراته النامية الباقية عليكم وهذا يحتمل ان يكون اخبارا عن شيء

ويعقوب فضحكت بعد البشارة وروى ذلك عن ابي جعفر ع فبشرناها باسحق م

ذلك لهم وتذكيرا بنعمة الله وبركاته عليهم ويحتمل ان يكون دعا لهم بالرحمة والبركة من الملائكة فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم
يا اهل البيت كما يقال اتعجب من كذا بارك الله فيك ورحمك الله ونعني باهل البيت اهل بيت ابرهيم عليه السلم وانما جعلت سارة من
اهل بيته عليه السلم لانها كانت ابنة عمه فلا دلالة الاية على ان زوجة الرجل من اهل بيته على ما قاله الجبائي وروي ان امير
المومنين عليه السلم مر بقوم فسلم عليهم فقالوا وعليك السلم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه فقال عليه السلم لا تجاوزوا
بنا ما قالت الملئكة لابينا ابرهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه تعالى حميد اى محمود على افعاله وقيل الحميد الذي يحمد عباده
على الطاعات مجيد اى كريم وهو المبتدي بالعطية قبل الاستحقاق وقيل معناه واسع القدرة والنعمة عن ابي مسلم وروي ان سارة قالت
لجبرئيل ما اية ذلك فاخذ بيده عودا يابسا فلواه بين اصابعه فاهتز اخضر عن السدي فلما ذهب عن ابرهيم الروع اى الخوف و
الفزع الذي دخله من الرسل وجاءته البشرى بالولد يجادلنا في قوم لوط اى يجادل رسلنا ويسائلهم في قوم لوط وتلك المجادلة
انه قال لهم ان كان فيها خمسون من المومنين اتهلكونهم قالوا لا قال فاربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا
لا فاحتج عليهم بلوط وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله عن قتادة وقيل انه جادلهم وقال باى شيء استحقوا عذاب
الاستيصال وهل ذلك واقع لا محالة ام هو تخويف ليرجعوا الى الطاعة وباى شيء يهلكون وكيف ينجي الله المومنين عن الجبائي ولما
سالهم سوال مستقص سمى ذلك السوال جدالا لانه خرج مخرج الكشف عن شيء غامض ان ابرهيم لحليم اواه مر معناه في سورة براءة منيب راجع
الى الله تعالى في جميع اموره متوكل عليه وفي هذا اشارة الى ان تلك المجادلة من ابرهيم عليه السلم لم تكن من باب ما يكره لانه مدحه بالحلم
وبان كان في امر يتعلق بالرحمة ورقة القلب والرافة وذلك انه راى الخلق الكثير في النار فتاوه لهم يا ابرهيم اعرض عن هذا هو حكاية
ما قالت الملئكة لابرهيم عليه السلم فانها ناديته بان قالت يا ابرهيم اعرض عن هذا القول وهذا الجدال في قوم لوط وانصرف عنه بالذكر والفكر انه
قد جاء امر ربك بالعذاب فهو نازل بهم لا محالة وانهم اتيهم عذاب غير مردود يعني غير مدفوع اى لا يقدر احد على رده عنهم قوله عز وجل ولما
جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون
السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب
فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد
سبع ايات بلا خلاف وتمام الاية السادسة عند المدني الاخر قوله سجيل وعند الباقين قوله منضود القراءة في
الشواذ قراءة سعيد بن جبير والحسن بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان هن اطهر لكم بالنصب والقراءة المشهورة اطهر بالرفع وقراءة
شيبة او اوي بالنصب والقراءة العامة بالرفع وقرا اهل الحجاز فاسر باهلك وان اسر موصولة الهمزة والباقون فاسر وان اسر بقطع
الهمزة حيث كان وقرا ابن كثير وابو عمرو الا امراتك بالرفع والباقون بالنصب الحجة اما قوله هن اطهر لكم فان سيبويه ضعف هذه القراءة
وقال فيها احتبى ابن مروان في لحنه قال ابن جني وانما قبح ذلك عنده لانه ذهب الى ان جعل هن فصلا وليست بين احد الجزئين اللذين
هما مبتدا وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيدا هو خيرا منك وكان زيد هو العالم ويجوز ان يكون بناتي هن جملة من مبتدا وخبر في
موضع الخبر لهؤلاء كقولك زيد اخوك هو ويكون اطهر حالا من هن او من بناتي والعامل فيه معنى الاشارة كقولك هذا زيد هو قايما ومن قرا
او اوي بالنصب فيكون تقديره لو ان لي بكم قوة او اويا الى ركن شديد ويكون منتصبا باضمار ان وعليه بيت الكتاب فلولا رجال من رزام
اعزة وال سبيع او اسوءك علقما والتقدير او ان اسوءك فكانه قال ومساءتي اياك ومن قرا فاسر باهلك باثبات الهمزة في اللفظ او بغير
الهمزة فان سرى واسرى معناهما سار ليلا قال النابغة اسرت عليه من الجوزاء سارية تزجي الشمال عليه جامد البرد ويروى سرت وقال امرؤ
القيس سريت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بارسان وقال سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده ومن قرا الا امراتك نصبا فانه جعل
الكلام قبله مستقلا بنفسه فنصب مع النفي كما ينصب مع الايجاب والوجه الاقيس الرفع على البدل من احد لان معنى ما اتاني احد الا زيد

احث الرجل اذا اصمع طره ونساقه بعمامة ح

وما

وما اتاني الا زيد واحد فكما اتفقوا فيما اتاني الا زيد على الرفع وكان ما اتاني احد الا زيد بمنزلته وبمعناه اختاروا الرفع مع ذكر
احد ومما يقوي ذلك انهم في الكلام واكثر الاستعمال يقولون ما اتاني الا امراة فيذكرون حملا على المعنى ولا يكادون يؤنثون
ذلك الا في الشعر كما في قول الشاعر فما بقيت الا الضلوع الجراشع وكقول ذي الرمة وما بقيت الا النحيزة والالواح والعصب
وزعموا ان في حرف عبد الله او ابي فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وليس فيه ولا يلتفت منكم احد وهذا يقوي قول من
نصب اللغة اصل سيء بهم سوئ بهم من السوء فاسكنت الواو ونقلت كسرتها الى السين ويقال سوته فسيء كما يقال شغلته فشغل وسررته
فسر والفرق بين السوء والقبيح ان السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه والقبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله ويقال ضاق فلان
بامره ذرعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا والعصيب الشديد في الشر خاصة واصله من الشد يقال عصبت الشيء اى
شددته وعصبت فخذ الناقة لتدر وناقة عصوب ويوم عصيب وعصبصب كانه التف على الناس بالشر او يكون التف شره قال عدي
بن زيد وكنت لزاز خصمك لم اعرد وقد سلكوك في يوم عصيب قال الراجز يوم عصيب يعصب الابطالا عصب القوي السلم الطوالا
والاهراع الاسراع في المشي قال مهلهل فجاؤوا يهرعون وهم اسارى نقودهم على رغم الانوف وقال صاحب العين الاهراع
السوق الحثيث قال ابو مسلم والقران بالسوق اشبه والركن معتمد البناء بعد الاساس وركنا الجبل جانباه قال الراجز ياوي
الى ركن من الاركان في عدد طيس ومجد بان والشدة تجمع تصعب معه التفكيك وقد يكون الشدة تقبضا يعسر معه التخلل والقطع
القطعة العظيمة تمضي من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع نصفين والالتفات افتعال من اللفت وهو اللي يقال لفت فلان
عن رايه اى صرفته وامراة لفوت لها ولد من غير زوجها فكانها تلتفت الى ولدها ومنه الحديث في صفة النبي صلى الله عليه واله
انه كان اذا التفت التفت معا كان لا يلوي عنقه عنة وسيرة السجيل فارسي معرب اى سنك وكل حجارة وطين وقال ابو عبيدة
هو الحجارة الشديدة وانشد لابن مقبل ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصى به الابطال سجينا وسجين وسجيل بمعنى والعرب
تعاقب بين النون واللام فقلبت ههنا النون لاما وقيل انه مشتق من اسجلته اى عطيته فتقديره انها من مثل العطية في الادرار
وقيل انه من السجل في الارسال وقيل انه من اسجلته اذا ارسلته فكانها مرسلة عليهم وقيل انه من السجل وهو الكتاب فكانها سجلت
لهم والمراد كتب الله عليهم ان يعذبهم بها والمنضود من نضدت الشيء بعضه على بعض والمسومة من السيماء وهي العلامة و
منه السايمة وهي المرسلة في المرعى وذلك ان الابل السايمة تختلط في المرعى فيجعل عليها السيماء لتميزها الاعراب يهرعون
اليه في موضع نصب على الحال من قبل ومن بعد مبنيان على الضم فاذا اضيفا اعربا لو ان لي بكم قوة جواب لو محذوف يدل الكلام
عليه وتقديره لحلت بينكم وبينهم انه مصيبها ما اصابهم الها في انه ضمير الشان والحديث مصيبها مبتدا وما اصابهم موصول
وصلة في موضع الرفع بكونه فاعل مصيبها وقد سد مسد خبر المبتدا من سجيل في موضع نصب بكونه صفة لحجارة اى كائنة من سجيل
مسومة صفة اخرى لحجارة ويجوز ان يكون نصبا على الحال من الضمير المستكن في منضود المعنى ثم اخبر سبحانه عن اتيان الملئكة
لوطا بعد خروجهم من عند ابرهيم وما جرى بينهم وبين قوم لوط فقال ولما جاءت رسلنا لوطا اى لما جاؤوا في صفة الادميين
سيء بهم اى ساءه مجيئهم لانه خاف عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا يعني ضاق بمجيئهم ذرعه اى قلبه لما راى لهم من جمال الصورة
وحسن البشارة وقد دعوه الى الضيافة وقومه كانوا يسارعون الى امثالهم بالفاحشة وقيل معناه ضاق بحفظهم من قومه ذرعه
حيث لم يجد سبيلا الى حفظهم وكان قد علم عادة قومه من الميل الى الذكور وقد اتوه في صورة الغلمان المرد واصله ان الشيء
اذا ضاق ذرعه لم يتسع له ما اتسع فاستعير ضيق الذرع عند تعذر الامكان كما استعير الاتساع وقال هذا يوم عصيب اى هايل
كثير الشر التف الشر فيه بالشر وانما قال ذلك لانه لم يعلم انهم رسل الله وخاف عليهم من قومه ان يفضحوهم وقال الصادق عليه السلم
جاءت الملئكة لوطا وهو في زراعة قرب القرية فسلموا عليه وراى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعمايم بيض فقال لهم المنزل فتقدمهم ومشوا
خلفه فقال في نفسه اى شيء صنعت اتيهم قومي وانا اعرفهم فالتفت اليهم فقال انكم لتاتون شرارا من خلق الله وكان قد قال الله لجبرئيل
لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلث مرات وقال جبرئيل هذه واحدة ثم مشى لوط ثم التفت اليهم فقال انكم لتاتون شرارا من خلق الله فقال لهم

الجرشع من الابل العظيم ويقال العظيم الصدر المنتفخ الجنبين صح

قال ابو ذويب يصف الحمر هو جاد ما دبه دنا دجرشع صح

بعضه ببعض قال الشاعر فانك ان لم يرض بكر بن وايل يكن لك يوم بالعراق عصيب صح

وهو الدلو العظيمة فتقديره انها من مثل السجل في الارسال ح

جبرئيل هذه ثنتان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت اليهم فقال انكم لتاتون شرارا من خلق الله فقال جبرئيل هذه الثلاثة ثم دخل ودخلوا
معه حتى دخل منزله فلما رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخنت فلما رأوا الدخان اقبلوا يهرعون
فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه اى يسرعون فى المشى لطلب الفاحشة عن قتادة ومجاهد والسدى وقيل معناه يساقون ليس
هناك سايق غيرهم فكان بعضهم يسوق بعضا عن ابى مسلم والهاء فى اليه كناية عن لوط ومن قبل اى ومن قبل اتيان الملئكة وقيل من قبل مجئ
قوم لوط الى ضيفانه وقيل من قبل مجيئهم الى داره عن الجبائى وقيل من قبل بعثة لوط اليهم كانوا يعملون السيئات اى يعملون الفواحش مع الذكور
قال لوط يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم معناه ان لوطا لما همّوا باضيافه وجاهروا بذلك والقوا جلباب الحياء فيه عرض عليهم نكاح
بناته وقال هن احل لكم من الرجال فدعاهم الى الحلال واختلف فى ذلك فقيل اراد بناته لصلبه عن قتادة وقيل اراد النساء من
امته لانهن كالبنات له فان كل نبى ابو امته وازواجه امهاتهم عن مجاهد وسعيد بن جبير واختلف ايضا فى كيفية عرضهن فقيل بالتزويج
وكان يجوز فى شرعه تزويج المؤمنة من الكافر وكذا كان ايضا فى مبتدا الاسلام وقد زوج النبى صلى الله عليه واله بنته من ابى
العاص بن الربيع قبل ان يسلم ثم نسخ ذلك وقيل اراد التزويج بشرط الايمان عن الزجاج وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم
وقيل انه كان لهم سيدان مطاعان فيهم فاراد ان يزوجهما بنتيه زعورا وريثا فاتقوا الله اى فاتقوا عقاب الله فى مواقعة الذكور
ولا تخزون فى ضيفى اى ولا تلزمونى عارا ولا تلحقوا بى فضيحة ولا تخجلونى بالهجوم على اضيافى فان الضيف اذا نزل به معرة لحق عارها
المضيف أليس منكم رجل رشيد اى أليس فى جملتكم رجل قد اصاب الرشد فيعمل بالمعروف وينهى عن المنكر ويزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم
ويجوز ان يكون رشيد بمعنى مرشد اى يرشدكم الى الحق قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته
ودعاهم الى النكاح المباح اى ما لنا فى بناتك من حاجة لانه ما لا يكون للانسان فيه حاجة فانه يرغب عنه كما يرغب عما لا حق
له فيه فلذلك قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لانا لم نتزوجهن وكانوا يقولون بان من لم يتزوج بامراة انه لا حق له
فيها عن الجبائى وابن اسحق فالقول الاول محمول على المعنى والقول الثانى على ظاهر اللفظ وانك لتعلم ما نريد اى تعلم ميلنا الى
الغلمان دون النساء فلما لم يقبلوا الموعظة تاسف لوط على فقد تمكنه من دفاعهم بان قال لو ان لى بكم قوة اى منعة وقدرة
وجماعة اتقوى بهم عليكم فادفعكم عن اضيافى او آوى الى ركن شديد او انضم الى عشيرة تنصرنى وشيعة تمنعنى لدفعتكم ولكن لا
يمكنى ان افعل ذلك قال الصادق عليه السلام فقال جبرئيل لو يعلم اى قوة له قال فكابروه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل
ان يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا اهوى جبرئيل باصبعه نحوهم فذهبت اعينهم وهو قوله فطمسنا اعينهم قال قتادة ذكر لنا ان
الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط الا فى عز من عشيرته ومنعة من قومه وروى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال رحم الله اخى
لوطا كان ياوى الى ركن شديد وهو معونة الله تعالى ولما رأت الملئكة ما لقيه لوط من قومه قالوا يا لوط انا رسل ربك ارسلنا
لهلاكهم فلا تغتم لن يصلوا اليك اى لا ينالوك بسوء ابدا فاسر باهلك اى سر باهلك ليلا وقال السدى لن يؤمن بلوط الا ابنتاه
بقطع من الليل اى فى ظلمة الليل عن ابن عباس وقيل بعد طايفة من الليل عن قتادة وقيل فى نصف الليل عن الجبائى ولا يلتفت
منكم احد قيل فى معناه وجوه احدها لا ينظر احد منكم وراءه عن مجاهد كانهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة فى هذه العبادة و
الثانى لا يلتفت احد منكم الى ماله ولا متاعه بالمدينة وليس معنى يلتفت من الرؤية عن الجبائى كانه اراد ان فى النظر اليهم عبرة
فلم ينهوا عنها والثالث ان معناه ولا يتخلف منكم احد عن ابن عباس والرابع انه امرهم ان لا يلتفتوا اذا سمعوا الوجبة والهدة الا امرأتك
وقيل انها التفتت حين سمعت الوجبة وقالت يا قوماه فاصابها حجر فقتلها وقيل معناه الا امرأتك لا تسر بها انه مصيبها ما اصابهم
اى يصيبها من العذاب ما اصابهم امروه ان يخلفها فى المدينة ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب لما اخبر الملئكة لوطا بانهم يهلكون
قوم لوط قال لهم اهلكوهم الساعة لضيق صدره بهم وشدة غيظه عليهم فقالوا ان موعد اهلاكهم الصبح لم يجعل الصبح ظرفا وجعله
خبر ان لان الموعد هو الصبح وانما قالوا له أليس الصبح بقريب تسلية له وقيل انه قال اهلكوهم الساعة فقالوا ذلك وفى هذا
دلالة على ان الله سبحانه انما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وان ضاق صدر الغير ويجوز ان يكون قد جعل الصبح ميقات اهلاكهم

لان

لان النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع فلما جاء امرنا فيه اقوال احدها جاء امرنا الملئكة باهلاك قوم لوط والثانى جاء العذاب
كانه قيل كن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر فقالت له العينان سمعا وطاعة وحدرتا كالدر لما يثقب وعلى هذا فالامر
هو نفس العذاب والثالث جاء امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها اى قلبنا القرية اسفلها اعلاها فان الله تعالى امر جبرئيل فادخل
جناحه تحت الارض فرفعها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الارض فهم يتجلجلون فيها الى يوم
القيمة فعلى هذا يكون معنى جعلنا جعل بامرنا وانما اضافه الى نفسه لانه امر به وامطرنا عليهم حجارة اى وامطرنا على القرية او على
الغائبين من اهلها حجارة عن الجبائى وقيل امطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرئيل وقيل انما امطر عليهم الحجارة بعد ان
قلبت قريتهم تغليظا للعقوبة وقيل كانت اربع مداين وهى المؤتفكات سدوم وعامورا وداذوما وصبوايم واعظمها سدوم و
كان لوط يسكنها قال ابو عبيدة يقال مطر فى الرحمة وامطر فى العذاب من سجيل اى سنك وكل عن ابن عباس وسعيد بن جبير بين
بذلك صلابتها ومباينتها للبرد وانها ليست من جنس ما جرت به عادتهم فى سقوط البرد من الغيوم وقيل ان السجيل الطين
عن قتادة وعكرمة ويؤيده قوله لنرسل عليهم حجارة من طين وروى عن عكرمة ايضا انه بحر معلق فى الهواء بين الارض والسماء
منه انزلت الحجارة وقال الضحاك هو الآجر وقال الفراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الارحاء وقال كان اصل الحجارة طينا
فشددت عن الحسن وقيل ان السجيل اسم للسماء الدنيا عن ابن زيد وكانت تلك الحجارة منزلة من السماء الدنيا منضود هو من
صفة سجيل اى نضد بعضه على بعض حتى صار حجرا عن الربيع وقيل مصفوف فى تتابع اى كان بعضها فى جنب بعض عن قتادة
وقيل يتبع بعضها بعضا عن ابن عباس مسومة هى من صفة الحجارة اى معلمة جعل فيها علامات تدل على انها معدة للعذاب
وقيل مطوقة بها نضح من حمرة عن قتادة وعكرمة وقيل كان مكتوبا على كل حجرة منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها
سيماء لا تشاكل حجارة الارض عن ابن جريج وقيل مختومة عن الحسن والسدى وقيل مشهورة عند ربك اى فى علم ربك وقيل
فى خزائن ربك التى لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها احد الا بامره وما هى من الظالمين ببعيد اى وما تلك الحجارة من الظالمين من
امتك يا محمد ببعيد اراد بذلك ارهاب قريش وقال قتادة ما اجار الله منها ظالما بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه
على حذر وقيل يعنى بذلك قوم لوط يريد انها لم يكن تخطئهم وذكر ان حجرا بقى معلقا بين السماء والارض اربعين يوما ليقع
برجل من قوم لوط كان فى الحرم حتى خرج منه فاصابه قال قتادة وكانوا اربعة الاف الف قوله عز وجل وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا
حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
وَإِلَيْهِ أُنِيبُ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ
بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا
وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي
بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَ
ارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ اثنتا عشرة اية القراءة قرا اهل الكوفة
غير ابى بكر اصلاتك بغير واو على التوحيد والباقون اصلواتك بالواو على الجمع وفى الشواذ قراءة السلمى بعدت ثمود بضم
العين الحجة اما بعد فيكون فى الخير والشر ومصدره البعد وبعد فى الشر خاصة ومصدره البعد ومنه ابعده الله فانه منقول

من بعد لانه دعا عليه وقراءة السلمي متفقة الفعل مع مصدره وانما السؤال عن قراءة الجماعة الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود
وطريق ذلك ان يكون البعد بمعنى اللعنة فيكون ابعده الله بمعنى لعنه ومنه قوله ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل
اللعين اي المبعد فالابعاد للشئ نقيض له فقد التقى معنى بعد مع معنى بعد اللغة الوزن تعديل الشئ بغيره في الخفة والثقل
بالة التعديل واذا قيل شعر موزون فمعناه معدول بالعروض والتوفيق من الثواب الا انه اختص بهذا الاسم ما اتفق وقوع
الصواب عنده وليس ذلك جنسا بعينه وانما هو بحسب ما يعلم الله تعالى وانما لم يكن الموفق للطاعة الا الله تعالى لان احدا
لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواه سبحانه والشقاق والمشاقة المباعدة بالعداوة الى جانب المباينة وشقها والفقه
فهم الكلام على ما يتضمنه من المعنى وقد صار علما من علوم الدين وهو علم بمدلول الدلايل السمعيه واصول الدين علم بمدلول الدلايل
العقليه والرهط عشيرة الرجل وقومه واصله الشد والترهيط شدة الاكل ومنه الراهطاء جحر اليربوع لشدته وتوثيقه يختبي
فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والاعز الاقوى الامنع والاعز نقيض الاذل والظهري جعل الشئ وراء الظهر حتى ينساه ويقال
لكل من لا يعبا بامر قد جعل فلان هذا الامر بظهر قال تميم بن قيس لا يكونن حاجتي بظهر فلا يعيا علي جوابها الاعراب او ان نفعل
موضع ان نصب على معنى وتامرك ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء فهو معطوف على ما يعبد اباؤنا والتقدير اصلواتك
تامرك ان نترك عبادة ابائنا او فعل ما نشاء في اموالنا ولا يجوز ان يكون قوله ان نفعل معطوفا على قوله ان نترك لان المعنى
يصير فاسدا واو هنا بمنزلتها في قولك جالس الحسن او ابن سيرين وقوله ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ولم يقل به ومن
من في قوله من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب له وجهان من الاعراب احدهما ان يكون معلقا بقوله تعلمون فيكون استفهاما
وتقديره فسوف تعلمون من المخزي ومن الكاذب ويجوز ان يكون من هو كاذب على هذا بمعنى الذي هو كاذب ويكون معطوفا
على الهاء من يخزيه اي ويخزي الذي هو كاذب والثاني ان يكون من في قوله من ياتيه بمعنى الذي ويكون من هو كاذب عطفا عليه وادخلوا
هو في قوله من هو كاذب لانهم لا يقولون من قائم ولا من قاعد وانما يقولون من قام ومن يقوم ومن القائم وقد ورد ذلك
في الشعر قال الشاعر من شارب مربح بالكاس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوار كان لم يغنوا فيها يحتمل ان يكون كان مخففة
من الثقيلة على ان تضمر فيها كما يضمر في ان في قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ويجوز ان يكون ان التي تنصب الفعل او
يكون مع الفعل بمعنى المصدر المعنى ثم عطف سبحانه قصة شعيب على ما تقدمها من قصص الانبياء عليهم السلام فقال والى مدين
اي وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا فحذف اهل واقام مدين مقامه ومدين اسم القبيلة او المدينة التي كانوا فيها فلذلك
لم ينصرف عن الزجاج وقيل مدين ابن ابرهيم نسبوا اليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد سبق تفسيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان اي لا تنقصوا حقوق الناس بالتطفيف عند الكيل والوزن اني اريكم بخير اي برخص السعر والخصب عن ابن عباس
والحسن والمعنى انه حذرهم الغلاء وهو زيادة السعر وزوال النعمة وحلول النقمة ان لم يتوبوا وقيل اراد بالخير المال وزينة
الدنيا عن ابن عباس وقتادة وابن زيد والضحاك والمعنى اني اراكم في كثرة الاموال وسعة الارزاق فلا حاجة بكم الى نقصان
الكيل والوزن واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط وصف اليوم بالاحاطة بمعنى انه يحيط عذابه بجميع الكفار لا يفلت منه
احد منهم واراد يوم القيمة عن الجبائي وهو من صفة العذاب على الحقيقة لان اليوم محيط بعذابه بدلا من احاطته بنعمه وذلك
ابلغ في الوصف واهول في النفس ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي اوفوا حقوق الناس في المكيلات والموزونات
بالمكيال والميزان بالعدل ولا تبخسوا اي لا تنقصوا الناس اشياءهم اي اموالهم في معاملاتهم ولا تعثوا في الارض مفسدين
اي لا تسعوا بالفساد ولا تضطربوا في الارض بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين البقية بمعنى الباقي اي ما ابقى الله لكم من
الحلال بعد اتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف وشرط الايمان في كونه خيرا لهم لانهم ان كانوا مؤمنين بالله
عرفوا صحة هذا القول عن ابن عباس وقيل معناه ابقاء الله النعيم عليكم خير لكم مما يحصل من النفع بالتطفيف عن ابن جريج
وقيل معناه طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا لانها يبقى ثوابها ابدا والدنيا يفنى عن الحسن ومجاهد ويؤيده قوله والباقيات

الصالحات خير عند ربك الاية وقيل بقية الله رزق الله عن الثوري وما انا عليكم بحفيظ اي ما انا بحافظ نعم الله تعالى عليكم ان
يزيلها عنكم وانما يحفظها الله عليكم فاطلبوا ابقاء نعمه بطاعته وقيل معناه ما انا بحافظ لاعمالكم وانما يحفظها الله فيجازيكم عليها
وقيل معناه ما انا بحافظ عليكم كيلكم ووزنكم حتى توفوا الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما علي ان انهاكم عنه قالوا يا شعيب اصلواتك
تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا انما قالوا ذلك لان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلوة وكان يقول ان الصلوة رادعة
عن الشر ناهية عن الفحشاء والمنكر فقالوا اصلواتك التي تزعم انها تامر بالخير وتنهى عن الشر امرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه
ادينك يامرك بترك دين السلف عن الحسن وعطا وابي مسلم قالوا كنى عن الدين بالصلوة لانها من اجل امور الدين وانما قالوا ذلك
على وجه الاستهزاء او ان نفعل في اموالنا ما نشاء معناه اصلواتك تامرك بترك عبادة ما يعبد اباؤنا او بترك فعل ما نشاء
في اموالنا من البخس والتطفيف انك لانت الحليم الرشيد قيل انهم قالوا ذلك على وجه الهزؤ والتهكم وارادوا به ضد ذلك اي
السفيه الغاوي عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك على التحقيق اي انك الحليم في قومك فلا يليق بك اي يخالفهم والحليم الذي لا
يعاجل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد قال شعيب يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي سبق تفسيره ورزقني منه رزقا حسنا قيل ان الرزق
الحسن ههنا النبوة وقيل معناه هداني لدينه ووسع علي رزقه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة من الله سبحانه فهو رزق حسن
وفي الكلام حذف اي افاعدل مع ذلك عما انا عليه من عبادته وانما حذف لدلالة ما ابقاه على ما القاه وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه اي لست انهاكم عن شئ وادخل فيه وانما اختار لكم ما اختار لنفسي ومعنى ما اخالفكم اليه اي ما اقصد بخلافكم الى ارتكابه
عن الزجاج وهذا في معنى قول الشاعر لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم وقيل معناه وما اريد احتراز منفعة
الى نفسي بما انهاكم عنه اي لا امركم بترك التطفيف في الكيل والوزن ليكون منفعة ما يحصل بالتطفيف لي ان اريد الا الاصلاح
اي لست اريد بما امركم به وانهاكم عنه الا اصلاح اموركم في دينكم ودنياكم ما استطعت اي ما قدرت عليه وتمكنت منه وما توفيقي الا بالله
معناه وليس توفيقي في امتثال ما امركم به والانتهاء عما انهاكم عنه الا بالله فلا يوفق غيره اي ليس ما افعله بحولي وقوتي بل بمعونة الله و
لطفه وتيسيره عليه توكلت والتوكل على الله والرضا بتدبيره مع تفويض الامور اليه والتمسك بطاعته واليه انيب اي اليه ارجع في
المعاد عن مجاهد وقيل اليه ارجع بعملي ونيتي عن الحسن ومعناه اني اعمل اعمالي كلها لوجه الله ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يكسبنكم
خلافي ومعاداتي ان يصيبكم عذاب العاجلة عن الزجاج وقيل معناه لا يحملنكم عداوتي على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما
اصاب من قبلكم عن الحسن وكان سبب هذه العداوة دعاؤه لهم الى مخالفة الاباء والاجداد في عبادة الاوثان وما ثقل عليهم من
الايفاء في الكيل والوزن مثل ما اصاب قوم نوح من الهلاك بالغرق او قوم هود بالريح العقيم او قوم صالح بالرجفة وما قوم لوط منكم
ببعيد اي هم قريب منكم في الزمان الذي بينه وبينكم عن قتادة وقيل معناه ان دارهم قريبة من داركم فيجب ان تتعظوا بهم واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه اي اطلبوا المغفرة من الله ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا للماضي واعزموا للمستقبل وقيل استغفروا ثم دوموا
على التوبة وقيل استغفروا في العلانية ثم اضمروا الندامة في القلب عن الماضي ان ربي رحيم بعباده فيقبل توبتهم ويعفو عن معاصيهم ودود
اي محب لهم ومعناه مريد لمنافعهم وقيل معناه متودد الى عباده بكثرة انعامه عليهم وقيل ودود بمعنى الواد اي يودهم اذا اطاعوه
وروي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال كان شعيب خطيب الانبياء قالوا اي قال قوم شعيب له حين سمعوا منه الوعظ والتخويف يا شعيب
ما نفقه كثيرا مما تقول اي ما نفهم عنك معنى كثير من كلامك وقيل معناه لا نقبل كثيرا منه ولا نعمل به وهذا كقولك اذا امرك انسان
بشئ لا تريد ان تفعله لا اعلم ما تقول وانت تعلم ذلك اي لا افعله وانما قالوا ذلك بعد ما الزمهم الحجة وانا لنراك فينا ضعيفا اي ضعيف
البدن عن الجبائي وقيل ضعيف البصر عن سفين وقيل اعمى وكان شعيب اعمى عن قتادة وسعيد بن جبير قال الزجاج وحمير تسمي المكفوف ضعيفا
وهذا كما قيل ضرير اي قد ضر بذهاب بصره وكذلك قد ضعف بذهاب بصره وكفه عن التصرف وهذا القول ليس بسديد لانه قوله فينا
يرده الا ترى انه لو قيل انا نراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى يكون اعمى فيهم وفي غيرهم وقيل ضعيفا اي مهينا عن الحسن واختلف
في ان النبي هل يجوز ان يكون اعمى فقيل لا يجوز لان ذلك ينفر وقيل يجوز ان لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة العلل والامراض

ولولا رهطك لرجمناك اى لولا حرمة عشيرتك وقومك لقتلناك بالحجارة وقيل معناه لشتمناك وسببناك وما انت علينا بعزيز اى لم ندع قتلك لعزتك علينا ولكن لاجل قومك قال الحسن وكان شعيب فى عز من قومه وكان من اشرافهم وما بعث نبى بعد لوط الا فى عز من قومه قال شعيب يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله اى عشيرتى وقومى اعظم حرمة عندكم من الله فتتركون اذاى لاجل عشيرتى ولا تتركونه لله الذى بعثنى اليكم واتخذتموه وراءكم ظهريا اى واتخذتم الله وراء ظهوركم يعنى نسيتموه فالهاء عائدة الى الله عن ابن عباس والحسن وقيل الهاء عائدة الى ما جاء به شعيب عن مجاهد والمعنى ونبذتم ما ارسلت به اليكم وراء ظهوركم وقيل الهاء عائدة الى امر الله عن الزجاج اى نبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه ان ربى بما تعملون محيط اى محص لاعمالكم لا يفوته شئ منها وقيل معناه خبير باعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن ويا قوم اعملوا على مكانتكم اى اعملوا على حالتكم هذه والمكانة الحالة التى يتمكن بها صاحبها من عمل وهذا تهديد فى صورة الامر وتقديره كانكم انما امرتم بان تكونوا على هذه الحال من الكفر والطغيان وفى هذا نهاية الخزى والهوان وقيل معناه اعملوا على ما يمكنكم اى اعملوا انتم ما تقولون واعمل انا على ما اقول وقيل معناه اعملوا على ما انتم عليه من دينكم ونحوه قوله لكم دينكم ولى دين وفى هذا دلالة على انه ايس من قومه انى عامل على ما امرنى ربى وقيل انى عامل على ما انا عليه من الانذار سوف تعلمون اينا المخطى الجانى على نفسه وقيل معناه فسوف يتبين لكم وتعلمون فى عاقبة الامر من ياتيه عذاب يخزيه اى يهينه ويفضحه ويظهر الكاذب من الصادق وتقديره ومن هو كاذب مخزى بعذاب الله فحذف وارتقبوا انى معكم رقيب اى انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب انى معكم منتظر حلول العذاب بكم وقيل معناه انتظروا العذاب واللعنة وانا انتظر الرحمة والثواب والنصرة عن ابن عباس وقيل معناه انتظروا مواعد الشيطان وانا انتظر مواعد الرحمن وروى عن على بن موسى الرضا عليه السلام انه قال ما احسن الصبر وانتظار الفرج اما سمعت قول العبد الصالح وارتقبوا انى معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا مضى تفسيره واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا فاصبحوا فى ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها مضى تفسيره قبل الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود اى بعدوا من رحمة الله بعدا كما بعدت ثمود وقيل الا هلاكا لهم كما هلكت ثمود وتقديره الا اهلكهم الله فبعدوا بعدا قال البلخى يجوز ان تكون الصيحة صيحة على الحقيقة كما روى ويجوز ان يكون ضربا من العذاب اهلكهم واصطلمهم تقول العرب صاح الزمان بهم اذا اهلكوا وقال امرء القيس فدع عنك نهبا صيح فى حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل ومعنى صيح فى حجراته اذهب واهلك قالوا وانما شبه حالهم بحال ثمود خاصة لانهم هلكوا بالصيحة كما اهلكت ثمود مثل ذلك مع الرجفة قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار وبئس الورد المورود واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ثمانى آيات اللغة يقال قدمت القوم اقدمهم قدما اذا مشيت امامهم واتبعوك الا قدم يقدم وتقدم وقدم واقدم واستقدم بمعنى والورد ورود الماء والماء الذى يورد والابل الوارده والجمع اوراد والايراد ايجاب الورود الى الماء او ما يقوم مقامه قال الشاعر يرد المياه حضيرة ونفيضة ورد القطاة اذا اسمال التبع وقال لبيد فوردنا قبل فراط القطا ان من وردى تغليس النهل واصل الورود الاشراف على الدخول وليس بالدخول قال عنترة فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم والرفد العون على الامر يقال رفده يرفده رفدا ورفدا بفتح الراء وكسرها قال الزجاج كل شئ جعلته عونا لشئ او اسندت به شيئا فقد رفدته به يقال عمدت الحائط واسندته وارفدته بمعنى واحد ويقال رفده وارفده اذا اعطاه والاسم الرفد لان العطاء عون المعطى والحصيد بمعنى المحصود والحصد قطع الزرع من الاصل وهذا زمن الحصاد بفتح الحاء وكسرها ويقال حصدهم بالسيف اذا قتلهم والتتبيب من تبت يده اى خسرت قال جرير عرابة من بقية قوم لوط الا تبا لما فعلوا تبابا والفرق بين العذاب والالم ان العذاب استمرار الالم قال عبيد والمرء ما عاش فى تكذيب طول الحياة له تعذيب المعنى ثم عطف سبحانه قصة موسى عليه السلام على ما تقدم من

قصص الانبياء فقال ولقد ارسلنا موسى باياتنا اى بحججنا ومعجزاتنا الدالة على نبوته وسلطان مبين اى وحجة ظاهرة مخلصة من تلبيس وتمويه على اتم ما يكون فيه والسلطان وان كان فى معنى الايات فانما عطفه عليها لان الايات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها والسلطان حجة من جهة القوة العظيمة على المبطل وكل عالم لحجة يقهر بها شبهة من نازعه من اهل الباطل فله سلطان وقد قيل ان سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة والسلطان حتى كان محقا بحجة وجب اتباعه واذا كان بخلافه لا يجب اتباعه قال الزجاج السلطان انما سمى سلطانا لانه حجة الله فى ارضه واشتقاقه من السليط الذى يستضاء به الى فرعون وملائه اى قومه وقيل اشراف قومه الذين يملاء الصدور هيبتهم فاتبعوا امر فرعون وتركوا امر الله سبحانه وتعالى وما امر فرعون برشيد اى مرشد ومعناه ما هو بهاد لهم الى رشد ولا قائد الى خير فامر فرعون كان على ضد هذه الحال لانه داع الى الشر وصاد عن الخير وفى هذا دلالة على ان لفظة الامر مشتركة بين القول والفعل فان المراد ههنا وما فعل فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة يعنى ان فرعون يمشى بين يدى قومه يوم القيمة على قدميه حتى يهجم بهم النار كما يقدمهم فى الدنيا يدعوهم الى طريق النار وانما قال فاوردهم على لفظ الماضى والمراد به المستقبل لان ما عطف عليه من قوله يقدم قومه يوم القيمة يدل عليه عن الجبائى وقيل انه معطوف على قوله فاتبعوا امر فرعون وبئس الورد المورود اى بئس الماء الذى يردونه عطاشا لاحياء نفوسهم النار وانما اطلق على النار اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه اهل الجنة من الانهار والعيون وقيل معناه بئس المدخل المدخول فيه النار وقيل بئس الشئ الذى يرده النار وقيل بئس النصيب المقسوم لهم النار وانما اطلق لفظ بئس وان كان عدلا حسنا لما فيه من البؤس والشدة واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة وهى الغرق ويوم القيمة يعنى ولعنة يوم القيمة وهى عذاب الآخرة وقيل معناه اتبعهم الله فى الدنيا لعنة بابعادهم عن الرحمة واتبعهم الانبياء والمؤمنون بالدعاء عليهم باللعنة ويتبعهم الله اللعنة فى القيمة حتى لا يفارقهم اللعنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم بئس الرفد المرفود اى بئس العطاء المعطى النار واللعنة وانما سماه رفدا لانه فى مقابلة ما يعطى اهل الجنة من انواع النعيم وقال قتادة ترادفت عليهم لعنتان من الله لعنة فى الدنيا ولعنة فى الآخرة وسال نافع بن الازرق ابن عباس عن قوله بئس الرفد المرفود فقال هو اللعنة بعد اللعنة وقال الضحاك اللعنتان اللتان اصابتهم رفدت احديهما الاخرى ذلك اى ذلك النبأ من انباء القرى اى من اخبار البلاد نقصه عليك اى نذكره لك ونخبرك به تذكرة وتسلية لك يا محمد منها قائم وحصيد اى من تلك الديار معمور وخراب قد اتى عليه الهلاك ولم يعمر فيما بعد وقيل منها قائم على بنائه لم يذهب اصلا وان كان خاليا من اهله وحصيد قد خرب وذهب واندرس كالشئ المحصود عن قتادة وابى مسلم وقيل منها قائم ينظرون اليها وحصيد قد هلك وباد اهلها عن ابن عباس وما ظلمناهم باهلاكهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم آلهتهم اى اوثانهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء امر ربك اى عذاب ربك باهلاكهم وما زادوهم غير تتبيب اى غير تخسير عن مجاهد وقتادة والمعنى لم يزيدوهم شيئا غير الهلاك والخسار وانما اضاف الهلاك الى الاصنام لانها السبب فى ذلك ولو لم يعبدوها لم يهلكوا وانما قال يدعون من دون الله لانهم كانوا يسمونها آلهة ويطلبون الحوائج منها كما يطلبها الموحدون من الله وكذلك اخذ ربك اى وكما ذكر من اهلاك الامم واخذهم بالعذاب اخذ ربك اذا اخذ القرى اى اخذ اهلها وهو ان ينقلهم الى العقوبة والهلاك وهى ظالمة من صفة القرى وهو فى الحقيقة لاهلها وسكانها ونحوه وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ان الله تعالى يمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا هذه الاية ان اخذه اليم شديد معناه ان اخذ الله سبحانه الظالم مولم شديد الالم ان فى ذلك لآية اى ان فيما قصصنا عليك من اهلاك من ذكرنا على وجه العقوبة لهم على كفرهم لعبرة وتبصرة وعلامة عظيمة لمن خاف عذاب الآخرة اى لمن خشى عقوبة الله يوم القيمة وخص الخائف بذلك لانه هو الذى ينتفع بالتدبر والتفكر فيه ذلك يوم مجموع له الناس اى يجمع فيه الناس كلهم الاولون والآخرون منهم للجزاء والحساب والهاء فى له راجعة الى اليوم وذلك يوم مشهود اى يشهده الخلايق كلهم من الجن والانس واهل السماء واهل الارض اى يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفى هذا دلالة على اثبات المعاد وحشر الخلق قوله عز وجل وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يات لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت

السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ خمس ايات القراءة قرا يعقوب وما يوخرهم بالياء والباقون بالنون وقرا يوم يات
بغير ياء ابن عامر واهل الكوفة غير الكسائي والباقون ياتي باثبات الياء وقرا اهل الكوفة غير ابي بكر سعدوا بضم السين والباقون
سعدوا بالفتح الحجة من قرا يوخرهم بالياء فانه رده الى قوله اخذ ربك ومن قرا بالنون فانه ابتداء والياء في المعنى كالنون وقوله يوم
يات قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم ياتي وهذيل تحذف هذه الياءات كثيرا وقد حكى سيبويه والخليل ان العرب تقول لا
ادر فتحذف الياء وتجتزي بالكسرة الا انهم يزعمون ان ذلك لكثرة الاستعمال قال ابو علي من اثبت الياء في الوصل والوقف فهو القياس
البين واما حذفها في الوقف اذا قال يوم يات فانها وان لم تكن في فاصلة امكن ان يشبهها بالفاصلة لان هذه الياء تشبه الحركات
المحذوفة في الوصل بدلالة انهم حذفوها كما حذفوا الحركة فكما ان الحركة تحذف في الوقف فكذلك ما اشبهها من هذه الحروف كان
في حكمها فاما من حذفها في الوصل والوقف فلانه جعلها في الوصل والوقف بمنزلة ما استعمل محذوفا مما لم يكن ينبغي في القياس ان
يحذف نحو لم يك ولا ادر ومثله قول الشاعر كفاك كف لا تليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف الدما حذف الياء من يعطي
وليس ههنا ما يوجب حذفها واما قوله سعدوا فقد قال ابو علي حكى سيبويه سعد يسعد سعادة فهو سعيد وينبغي ان يكون غير متعد
كما ان خلافه الذي هو شقي كذلك واذا كان كذلك كان ضم السين مشكلا الا ان يكون سمع فيه لغة خارجة عن القياس
او يكون من باب فعل وفعلته نحو غاض الماء وغضته وحزن وحزنته ولعلهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود وانه يدل على
سعد ولا دلالة قاطعة في ذلك لانه يجوز ان يكون مثل جنه الله فهو مجنون واحبه فهو محبوب فالمفعول جاء في هذا على انه
حذفت الزيادة منه كما حذفت من اسم الفاعل في نحو قوله وارسلنا الرياح لواقح يعني ملاقح فجاء على حذف الزيادة فعلى هذا
يكون اصله اسعد فحذف الزائد ومن الحذف قول الشاعر يخرجن من اجواز ليل غاض يريد معض اللغة الشقاء والشقاوة والشقوة
بمعنى والياء في شقي منقلبة عن واو والسعادة ضد الشقاوة والزفير اول نهاق الحمار والشهيق اخر نهاقه قال رؤبة حشرج في الحلق
صهيلا او شهق حتى يقال ناهق وما نهق والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع واصل الزفير الشدة
من قولهم للشديد الخلق مزفور والزفر الحمل على الظهر خاصة لشدته والزفر السيد لانه يطيق حمل الشدائد وزفرت النار اذا
سمع لها صوت من شدة توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس واصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق والخلود
الكون في الامر ابدا والدوام البقاء ابدا ولهذا يوصف سبحانه بانه دائم ولا يوصف بانه خالد والجذ القطع يقال جذه يجذه جذا
قال النابغة تجذ السلوقي المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب ويقال جذ الله دابرهم وهي بنت الاجذ
يوم ياتي لا يخلو ان يكون فاعل ياتي ضمير اليوم المضاف الى ياتي او اليوم المتقدم ذكره فلا يجوز ان يكون فاعله ضمير اليوم الذي اضيف الى
ياتي لانك لا تقول جئتك يوم يسرك تعني يوم سرورك اياك وتكون الهاء عائدا الى يوم فيصير اليوم مضافا الى الفعل المسند الى ضميره
وانما يعرف الفعل فيه بالفاعل فيكون كانك انما عرفت اليوم بنفسه ونظير ذلك قولك هذا يوم حره ويوم برده والهاء لليوم وهذا
غير جائز وكذلك لا يجوز ان يضيف الظرف الى جملة معرفة بضميره وان كانت من مبتدا وخبر مثل ان تقول اتيتك يوم ضحوته باردة او
ليلة او لها مطيرة فان نونت فقلت اتيتك يوما ضحوته باردة او ليلة اولها مطيرة جاز لانه خرج بالتنوين عن حد الاضافة وهذا قول
ابي عثمان المازني واذ قد تبينت ذلك فقد ثبت ان في ياتي ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك
يوم مشهود اي يوم ياتي هذا اليوم الذي تقدم ذكره لا تكلم نفس فاليوم في قوله يوم ياتي يراد به الحين والبرهة وليس على
وضح النهار وقوله لا تكلم نفس الا باذنه يجوز ان يكون هذه الجملة حالا من الضمير في ياتي ويجوز ان يكون صفة ليوم المضاف الى ياتي
والفعل نكرة فلا يتعرف يوم بالاضافة فجاز ان يوصف بالجملة كما يوصف النكرات بالجمل والمعنى لا تكلم فيه نفس فحذف فيه او
حذف الحرف واوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفة كما يحذف من الصلة ومثل ذلك قولهم الناس
رجلان رجل اكرمت ورجل اهنت واذا جعلته حالا من الضمير في ياتي وجب ان تقدر فيه ايضا ضميرا يعود الى ذي الحال وتقديره

عن ~~~~ غير متكلم فيه هذا كله قول ابي علي واقول ان الاظهر ان قوله يوم ياتي ظرف لقوله لا تكلم نفس الا باذنه ومعمول له وهذا الوجه
لا يحتاج فيه الى تقدير محذوف كما في الوجهين اللذين ذكرهما فيكون اولى وانما يضاف يوم الى الفعل لانه اسم زمان والفعل
يناسب الزمان من حيث انه لا يخلو منه وانما يعرف بتصرفه وانه لا يكون حادثا الا وقتا كما ان الزمان لا يبقى وقوله لا تكلم
اي لا تتكلم فحذف احدى التائين كما في قول الشاعر والعين ساكنة على اطلائها عوذا تاجل بالفضاء بهامها اي تتاجل وعطاء
منصوب بما دل الكلام عليه فكانه قال اعطاهم النعيم عطاء المعنى ثم اخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيمة فقال وما
نؤخره اي ما نؤخر هذا اليوم الا لاجل معدود وهو اجل قد عده الله تعالى لعلمه ان صلاح الخلق في ادامة التكليف عليهم
الى ذلك الوقت وفيه اشارة الى قربه لان ما يدخل تحت العد فكان قد نفد وانما قال لاجل ولم يقل الى اجل لان اللام يدل
على الغرض وان الحكمة اقتضت تاخيره والى لا تدل على ذلك يوم يات اي حين تاتي القيمة والجزاء لا تكلم نفس الا باذنه اي لا يتكلم
احد فيه الا باذن الله تعالى وامره ومعناه انه لا يتكلم فيه الا بالكلام الحسن الماذون فيه لان الخلق ملجئون هناك الى
ترك القبائح فلا يقع منهم فعل القبيح واما ما هو غير قبيح فانه ماذون فيه عن الجبائي والاظهر ان يقال معناه انه لا يتكلم احد
في الاخرة بكلام نافع من شفاعة ووسيلة الا باذنه فان قيل كيف يجمع بين هذه الاية وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون وقوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان على انه سبحانه قال في موضع اخر وقفوهم انهم مسؤلون وهذا
الظاهر التناقض فالجواب ان يوم القيمة يشتمل على مواقف قد اذن لهم في الكلام في بعض تلك المواقف ولم يؤذن لهم في
الكلام في بعضها عن الحسن وقيل ان معنى قوله لا ينطقون انهم لا ينطقون بحجة وانما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضا
وطرح بعضهم الذنوب على بعض وهذا كما يقول القائل لمن تكلم بكلام كثير فارغ عن الحجة ما تكلمت بشيء ولا نطقت بشيء فسمي من تكلم
بما لا حجة له فيه غير متكلم كما قال سبحانه صم بكم عمي وهم كانوا يسمعون ويتكلمون ويبصرون الا انهم في انهم لا يقبلون الحق ولا
يتاملون بمنزلة الصم البكم العمي وكلا الوجهين حسن واما قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان فمعناه انهم لا يسالون
عن ذنوبهم للتعرف من حيث ان الله سبحانه علم اعمالهم وانما يسالون سؤال توبيخ وتقريع وتقرير لايجاب الحجة عليهم كما في قوله وقفوهم
انهم مسؤلون فاثبت سبحانه سؤال التقريع في اية ونفى سؤال التعرف والاستعلام في اخرى فلا تناقض وقوله فمنهم شقي وسعيد
اخبار منه سبحانه بانهم قسمان اشقياء وهم المستحقون للعقاب وسعداء وهم المستحقون للثواب والشقاء قوة اسباب البلاء
والسعادة قوة اسباب النعمة والشقي من شقي بسوء عمله في معصية الله والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله والضمير في قوله
منهم يعود الى الناس في قوله ذلك يوم مجموع له الناس وقيل انه يعود الى نفس في قوله لا تكلم نفس الا باذنه لان النفس
اسم الجنس وقيل فاما الذين شقوا ففي النار يعني ان الذين شقوا باستحقاقهم العقاب جزاء على اعمالهم القبيحة داخلون في
النار وانما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم النار لانهم على حال يؤديهم الى دخولها واما ما روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم
انه قال الشقي من شقي في بطن امه فان المراد بذلك ان المعلوم من حاله انه سيشقى بارتكاب القبائح التي تؤديه الى عذاب النار كما يقال
لابن الشيخ الهرم انه يتيم يعني انه سييتم لهم فيها زفير وشهيق قال الزجاج الزفير والشهيق من اصوات المكروبين المحزونين والزفير
من شديد الانين وقبيحه بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق الانين الشديد المرتفع جدا بمنزلة اخر صوت الحمار وعن ابن عباس
قال تريد ندامة ونفسا عاليا وبكاء لا ينقطع خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك اختلف العلماء في تاويل
هذا في الايتين وهما من المواضع المشكلة في القران والاشكال فيه من وجهين احدهما تحديد الخلود بمدة دوام السموات والارض
والاخر معنى الاستثناء بقوله الا ما شاء ربك فالاول فيه اقوال احدها ان المراد ما دامت السموات والارض مبدلتين اي ما
دامت سماء الاخرة وارضها وهما لا يفنيان اذا اعيدا بعد الافناء عن الضحاك والجبائي وثانيها ان المراد ما دامت سموات
الجنة والنار وارضهما وكل ما علاك فاظلك فهو سماء وكل ما استقر عليه قدمك فهو ارض وهذا مثل الاول او قريب منه
وثالثها ان المراد ما دامت الاخرة وهي دائمة ابدا كما ان دوام السماء والارض في الدنيا قدر مدة بقائها عن الحسن ورابعها انه

لا يراد به السماء والارض بعينهما بل المراد التبعيد فان للعرب الفاظا للتبعيد في معنى التابيد يقولون لا افعل كذا ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والارض وما حنت النيب وما اطت الابل وما اختلفت الجرة والدرة وما ذر شارق وفي اشباه ذلك كثيرة ظنا منهم ان هذه الاشياء لا تتغير ويريدون بذلك التابيد لا التوقيت فخاطبهم سبحانه بالمتعارف من كلامهم على قدر عقولهم وما يعرفون قال عمرو بن معدي كرب وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان وقال زهير الا لا ارى على الحوادث باقيا ولا خالدا الا الجبال الرواسيا والا السماء والنجوم وربنا وايامنا معدودة والليالييا لانه توهم ان هذه الاشياء لا تفنى وتخلد واما الكلام في الاستثناء فقد اختلف فيه اقوال العلماء على وجوه احدها انه استثناء في الزيادة من العذاب لاهل النار والزيادة من النعيم لاهل الجنة والتقدير الا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك الف دينار الا الالفين اللذين اقرضتكهما وقت كذا فالالفان زيادة على الالف بغير شك لان الكثير لا يستثنى من القليل عن الزجاج والفراء وعلي بن عيسى وجماعة وعلى هذا فيكون الا بمعنى سوى اي سوى ما شاء ربك كما يقال ما كان معنى رجل الا زيد اي سوى زيد وثانيها ان الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب لانهم حينئذ ليسوا في جنة ولا نار ومدة كونهم في البرزخ الذي هو ما بين الموت والحياة لانه تعالى لو قال خالدين فيها ابدا ولم يستثن لظن ظان انهم يكونون في النار او الجنة من لدن نزول الاية او من بعد انقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائدة على المازني وغيره واختاره البلخي فان قيل كيف يستثنى من الخلود في النار ما قبل الدخول فيها فالجواب ان ذلك جائز اذا كان الاخبار به قبل دخولهم فيها وثالثها ان الاستثناء الاول يتصل بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقديره الا ما شاء ربك من اجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود وفي اهل الجنة يتصل بما دل عليه الكلام فكانه قال لهم فيها نعيم الا ما شاء ربك من انواع النعيم وانما ادل عليه قوله عطاء غير مجذوذ عن الزجاج ورابعها ان يكون الا بمعنى الواو اي وما شاء ربك من الزيادة عن الفراء واستشهد على ذلك بقول الشاعر وارى لها دارا باغدرة السيدان لم يدرس لها رسم الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم قال والمراد بالا الواو وههنا والا كان الكلام متناقضا وهذا القول قد ضعفه محققوا النحويين وخامسها ان المراد بالذين شقوا من دخل النار من اهل التوحيد الذين ضموا الى ايمانهم وطاعاتهم ارتكاب المعاصي فقال سبحانه انهم معاقبون في النار الا ما شاء ربك من اخراجهم الى الجنة وايصال ثواب طاعاتهم اليهم ويجوز ان يريد بالذين شقوا جميع الداخلين الى جهنم ثم استثنى بقوله الا ما شاء ربك اهل الطاعات منهم ممن قد استحق الثواب ولا بد ان يوصل اليه وتقدير الا من شاء ربك من شاء ان يخرجه بتوحيده من النار ويدخله الجنة وقد يكون ما بمعنى من قال سبحانه سبح لله ما في السموات وما في الارض وقالت العرب عند سماع الرعد سبحان ما سبحت له واما في اهل الجنة فهو استثناء من خلودهم ايضا لما ذكرناه لان من ينقل الى الجنة من النار وخلد فيها لا بد في الاخبار عنه بتابيد خلوده من استثناء ما تقدم فكانه قال خالدين فيها الا ما شاء ربك من الوقت الذي ادخلهم فيه النار قبل ان ينقلهم الى الجنة فما في قوله ما شاء ربك ههنا على بابه والاستثناء من الزمان والاستثناء في الاول من الاعيان والذين شقوا على هذا القول هم الذين سعدوا باعيانهم وانما اجري عليهم كل لفظ في الحال التي تليق به فاذا ادخلوا النار وعوقبوا فيها فهم من اهل الشقاء واذا انقلوا منها الى الجنة فهم من اهل السعادة وهذا قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وابي سعيد الخدري وقتادة والسدي والضحاك وجماعة من المفسرين روى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء في حال اخرى وقال قتادة الله اعلم بثنياه ذكر لنا ان ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوبهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته يسمون الجهنميين وهم الذين نفذ فيهم الوعيد ثم اخرجوا بالشفاعة قال وحدثنا انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه واله قال يخرج قوم من النار قال ولا نقول ما تقول اهل حروراء وهذا القول هو المختار المعول عليه وسادسها ان تعليق ذلك بالمشية على سبيل التاكيد للخلود والتبعيد للخروج لان الله تعالى لا يشاء الا تخليدهم على ما حكم به فكانه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لانه لا يشاء ان يخرجهم منها وسابعها ما قاله الحسن ان الله سبحانه استثنى ثم عزم بقوله ان ربك فعال لما يريد انه اراد ان تخلدهم وقريب منه ما قاله الزجاج وغيره انه استثناء تستثنيه العرب

وتفعله

وتفعله كما تقول والله لاضربن زيدا الا ان ارى غير ذلك وانت عازم على ضربه والمعنى في الاستثناء على هذا اني لو شئت اني لا اضربه لفعلت وثامنها ما قاله يحيى بن سلام البصري انه يعني بقوله الا ما شاء ربك ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم من الفريقين واحتج بقوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قال لان الزمرة تدخل بعد الزمرة فلا بد ان يقع بينهما تفاوت في الدخول والاستثناء على هذا من الزمان وتاسعها ان المعنى انهم خالدون في النار دائمون فيها مدة كونهم في القبور ما دامت السموات والارض في الدنيا واذا افنيتا وعدمتا انقطع عقابهم الى ان يبعثهم الله للحساب وقوله الا ما شاء ربك استثناء وقع على ما يكون في الاخرة اورده الشيخ ابو جعفر قدس الله روحه وقال ذكره قوم من اصحابنا في التفسير وعاشرها ان المراد الا ما شاء ربك ان يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء لاهل التوحيد عن ابي مجلز قال هي جزاؤهم وان شاء تجاوز عنهم فالاستثناء على هذا يكون من الاعيان واما الذين سعدوا اي سعدوا بطاعة الله واجتنابهم عن المعاصي ففي الجنة يكونون في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة دوام السموات والارض الا ما شاء ربك يتاتى فيه جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار الا ما مضى ذكره من جواز اخراج بعض الاشقياء من تناول الوعيد لهم او اخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فان ذلك لا يتاتى ههنا للاجماع الامة على ان من استحق الثواب فلا بد ان يدخل الجنة وانه لا يخرج منها بعد دخوله فيها عطاء غير مجذوذ اي غير مقطوع

قوله عز وجل فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اربع ايات

القراءة قرا ابو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وان كلا لما بتشديد النون والميم وقرا اهل البصرة والكسائي وخلف وان كلا بتشديد النون لما بتخفيف الميم وقرا نافع وابن كثير وان كلا خفيفة النون لما خفيفة الميم وقرا ابو بكر عن عاصم وان كلا خفيفة النون لما مشددة الميم وفي الشواذ قراءة الزهري وسليمان بن ارقم لما بالتنوين وقراءة ابن مسعود وان كل الا ليوفينهم

الحجة قال ابو علي من قرا وان كلا لما بتشديد ان وتخفيف لما فوجهه بين وهو انه نصب كلا بان وان يقتضي ان يدخل على خبرها او اسمها لام فدخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على الخبر في قوله لما وقد دخلت في الخبر لام اخرى وهي التي يتلقى بها القسم وتختص بالدخول على الفعل ويلزمها في اكثر الامر احدى النونين فلما اجتمعت اللامان واتفقتا في تلقي القسم واتفقتا في اللفظ فصل بينهما بما كما فصلوا بين ان واللام فدخلت ما لهذا المعنى وان كانت زائدة لنفصل كما جلبت النون وان كانت زائدة في نحو فاما ترين من البشر احدا وكما صارت عوضا من الفعل في قولهم اما لا بالامالة وفي قوله ابا خراشة اما انت ذا نفر فان قومي لم ياكلهم الضبع وعلى هذا الوجه في البيان قول من خفف ان ونصب كلا وخفف لما قال سيبويه حدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول ان عمرا لمنطلق قال واهل المدينة يقراون وان كلا لما جميع لدينا محضرون يخففون وينصبون كما قالوا كان ثدييه حقان ووجه النصب مع التخفيف من القياس ان ان مشبهة في نصبها بالفعل والفعل يعمل محذوفا كما يعمل غير محذوف وذلك في نحو لم يك زيد منطلقا فلا تك في مرية وكذلك لا ادر فاما من خفف ان ونصب كلا وثقل لما فقراءته مشكلة وذلك ان ان اذا نصبها وان كانت مخففة كانت بمنزلتها مثقلة ولما اذا اشددت كانت بمنزلة الا وكذلك قراءة من شدد لما وثقل ان مشكلة وذلك ان ان اذا ثقلت واذا خففت ونصبها فهي في معنى الثقيلة وكما لا يحسن ثقيل ان زيدا الا منطلق كذلك لا يحسن تثقيل ان وتثقيل لما فاما مجي لما في قولهم نشدتك الله لما فعلت والا فعلت فقال الخليل الوجه لتفعلن كما تقول اقسمت عليك لتفعلن واما دخول الا ولما فلان المعنى الطلب فكانه اراد ما اسالك الا فعل كذا فلم يذكر حرف النفي في اللفظ وان كان مرادا كما جاء في قولهم شر اهر ذا ناب اي ما اهره الا شر وليس في الاية معنى نفي ولا طلب فان قال قائل لم لا يكون لما فاعلا من اللمم ثم ادغم النون في الميم بعد ما قلبها ميما فان ذلك لا يسوغ الا ترى ان الحرف المدغم اذا كان قبله ساكن نحو قوم مالك لم يقو الادغام فيه على ان يحرك الساكن الذي قبل الحرف المدغم فاذا لم يجز ذلك فيه وكان تغييرا اسهل من الحذف فان لا يجوز الحذف الذي

هو اذهب في باب التغيير من تحريك الساكن اجد على ان في هذه السورة ميمات لجمعت في الادغام اكثر مما كان يجتمع في لمن ما ولم يحذف منها شي وذلك قوله وعلى امم ممن معك فاذا لم يحذف شي من هذا فان لا تحذف ثم اجدر وقد روي انه قد قرى وان كلا لما منونا كما قال وتاكلون التراث اكلا لما فوصف بالمصدر فان قال ان لما فيمن ثقل انما هو لما هذه ووقف عليها بالالف ثم اجري في الوصل مجرى الوقف فذلك مما يجوز في الشعر ووجه الاشكال فيه ابين من هذا الوجه وقد حكي عن الكسائي انه قال لا اعرف وجه التثقيل في لما ولم يبعد فيما قال ولو خفف مخفف ان ورفع كلا بعدها لجاز تثقيل لما مع ذلك على ان يكون المعنى ما كل الا ليوفينهم فيكون ذلك كقوله وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ولكان ذلك ابين من النصب في كل والتثقيل للما وينبغي ان يقدر المضاف اليه كل نكرة ليحسن وصفه بالنكرة ولا يقدر اضافته الى معرفة فيمتنع ان يكون لما وصفا له ولا يجوز ان يكون حالا لانه لا شي في الكلام عاملا في الحال هذا كله كلام ابي علي وقال غيره في معنى لما بالتشديد اربعة اوجه احدها قول الفرا انها بمعنى لمن ما فحذفت احدى الميمات الثلاث على ما تقدم ذكره وانشد الفرا فاني لما اصدر الامر وجهه اذا هو اعيا بالسبيل مصادره والثاني انها بمعنى الا كقولهم سالتك لما فعلت بمعنى الا فعلت عن الزجاج وقال الفرا هذا لا يجوز الا في اليمين كما قاله ابو علي والثالث انها مخففة شددت للتاكيد عن المازني قال الزجاج هذا لا يجوز لانه انما يجوز تخفيف المشدد عند الضرورة فاما تشديد المخفف فلا يجوز بحال والرابع انها من لممت الشي اي جمعته الا انها بنيت على فعلى فلم تنصرف مثل تترى وكانه قال وان كلا جميعا ليوفينهم ويدل عليه قراءة الزهري لما بالتنوين وقال ابن جني تقدير هذا وان كلا جميعا ليوفينهم ربك اعمالهم لما اي توفية جامعة لاعمالهم جميعا ومحصلة لاعمالهم تحصيلا فهو كقولك قياما لاقومن وذكر الشيخ علي ابن ابي الطيب رحمه الله فيه وجها اخر فقال ههنا محذوف وتقديره وان كلا لما عملوا ليوفينهم ربك اعمالهم والحذف في الكلام كثير قال الشاعر اذا قلت سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مايل القرن اعضب والمراد لعلها تلقاني او تصلني او نحو هذا فهذا وجه خامس فاما اذا خففت ان فانتصاب كلا مع حمل ان على النفي مشكل وقد ذكر فيه ان يكون التقدير وان هم الا ليوفينهم كلا او وان هم اعني كلا الا ليوفينهم وهذان الوجهان مرغوب عنهما وعلى الجملة فان تشديد الميم من لما مع تشديد ان وتخفيفه مشكل عند المحققين اذ لا ياتي في لما هذه معنى لم ولا معنى الحين ولا معنى الا ولا نعرف لها معنى سوى هذه ومن قرا وان كل الا ليوفينهم فمعناه ما كل الا والله ليوفينهم كقولك ما زيد الا لاضربنه اي ما زيد الا مستحق لان يقال فيه هذا ويجوز ان يكون ان مخففة من الثقيلة والا زايدة كما في قول الشاعر ارى الدهر الا مجنونا باهله وما طالب الحاجات الا معللا اي ارى الدهر مجنونا باهله وعلى ذلك تاول هذا ابيات ذي الرمة حراجيج ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا اي ما تنفك مناخة والا زايدة اللغة المرية بكسر الميم وضمها الشك مع ظهور الدلالة المتهمة وهي ماخوذة من مري ضرع الناقة لتدر بعد درور والنصيب الحظ وهو القسم المجعول له ومنه انصباء الورثة والاختلاف ذهاب كل واحد الى جهة غير جهة الاخر وهو على وجهين اختلاف النقيضين وهذا لا يجوز ان يصحا معا فان احدهما مبطل لصاحبه والاخر اختلاف الجنسين كالمجتهدين في جهة القبلة فهذا يجوز ان يصحا والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة وان لا يعدل يمينا ولا شمالا والطغيان تجاوز الحد في الفساد الاعراب ومن تاب موصول وصلته في موضع رفع بالعطف على الضمير المستكن في استقم ويجوز ان يكون معطوفا على من امرت ويكون التقدير في الاول استقم انت ومن تاب معك وفي الثاني كما امرت انت ومن تاب ويجوز ان يكون من تاب منصوب الموضع بكونه مفعولا معه المعنى فلا تك في مرية اي في شك مما يعبد هولاء من دون الله تعالى انه باطل وانهم يصيرون بعبادتهم الى عذاب النار ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل يعني ما يعبدون غير الله تعالى الا على جهة التقليد كما كان اباؤهم كذلك وانا لموفوهم نصيبهم اي انا لمعطوهم جزاء اعمالهم وعقاب اعمالهم وافيا غير منقوص عن مقدار ما استحقوا ثم سبحانه بهذا القول عن العفو وقيل معناه انا نعطيهم ما يستحقونه من العقاب بعد ان نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير في الدنيا عن ابن زيد ولقد اتينا اي اعطينا موسى الكتاب يعني التورية فاختلف فيه يريد ان قومه اختلفوا فيه اي في صحة الكتاب الذي انزل عليه فاراد بذلك تسلية النبي

صلى الله عليه واله عن تكذيب قومه اياه وجحدهم للقران المنزل عليه فبين ان قوم موسى كذلك فعلوا بموسى فلا تحزن لذلك ولا تغتم له ولولا كلمة سبقت من ربك اي لولا خبر الله السابق بانه توخر الجزاء الى يوم القيمة لما علم في ذلك من المصلحة لقضي بينهم اي لعجل الثواب والعقاب لاهله وقيل معناه لفصل الامر على التمام بين المومنين والكافرين بنجاة هولاء وهلاك اولئك وانهم لفي شك منه مريب يعني ان الكافرين لفي شك من وعد الله ووعيده مريب والريب اقوى الشك وقيل معناه ان قوم موسى لفي شك من نبوته وان كلا من الجاحدين والمخالفين وقيل ان كلا من الفريقين المصدق والمكذب جميعا لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي يعطيهم ربك جزاء اعمالهم وافيا تاما ان خيرا فخير وان شرا فشر انه بما تعملون خبير يعني انه عليم باعمالكم وبما استحققتم من الجزاء عليها لا يخفى عليه شي من ذلك فاستقم يا محمد كما امرت اي استقم على الوعظ والانذار والتمسك بالطاعة والامر بها والدعاء اليها والاستقامة هو اداء المامور به والانتهاء عن المنهي عنه كما امرت في القران ومن تاب معك اي ليستقم من تاب معك من الشرك كما امروا عن ابن عباس وقيل معناه ومن رجع الى الله والى نبيه فليستقم ايضا اي وليستقم المومنون وقيل استقم انت على الاداء وليستقيموا على القبول ولا تطغوا اي لا تجاوزوا امر الله بالزيادة او النقصان فتخرجوا عن حد الاستقامة وقيل معناه لا تطغينكم النعمة فتخرجوا عن حد الاستقامة عن الجبائي وقيل معناه لا تعصوا الله ولا تخالفوه انه بما تعملون بصير اي عليم باعمالكم لا يخفى عليه منها خافية وروى الواحدي باسناده عن ابرهيم بن ادهم عن مالك بن دينار عن ابي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ثم كان الاثنان احب اليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامة وقال ابن عباس ما نزل على رسول الله اية كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الاية ولذلك قال لاصحابه حين قالوا اسرع اليك الشيب يا رسول الله قال شيبتني سورة هود والواقعة النظم وجه اتصال الاية الاولى بما قبلها انه لما قص الامم واهلاكهم بكفرهم اخبر عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه وانه يوفيهم جزاء اعمالهم وقيل انه سبحانه بين فيما قبل اختلاف الامم على انبيائهم تكذيبا لهم ثم بين في هذه الاية ان خلاف هولاء كخلاف اولئك خلاف كفر لا خلاف اجتهاد عن ابي مسلم وكذلك اتصال الاية الثانية فانه بين فيها ان تكذيب هولاء الكفار بالذي اتيناك كتكذيب اولئك بالكتاب الذي اتيناه موسى قوله عز وجل ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون خمس ايات القراءة قرا ابو جعفر وزلفا بضم اللام والباقون بفتح اللام الحجة من قرا زلفا بفتح اللام فانه جمع زلفة وهي المنزلة قال العجاج ناج طواه الاين مما وجفا طي الليالي زلفا فزلفا ومن قرا بضم اللام فانه واحد مثل الحلم وجايز ان يكون جمعا على زليف من الليل فيكون مثل قريب وقرب قال الزجاج والزلف بالفتح اجود في الجمع وما علمت ان زليفا يستعمل في الليل وهو منصوب على الظرف اللغة الركون الى الشي هو السكون اليه بالمحبة له والانصات اليه ونقيضه النفور عنه والصبر حبس النفس عن الخروج الى ما لا يجوز من ترك الحق وضده الجزع قال فان تصبرا فالصبر خير مغبة وان تجزعا فالامر ما ترياني وهو ماخوذ من الصبر المر لانه تجرع مرارة الحق بحبس النفس عن الخروج الى المشتهى وما يعين على الصبر شيئان احدهما العلم بما يعقب من الخير في كل وجه وعادة النفس والثاني استشعارها في لزوم الحق من العز والاجر بطاعة الله والبقية ما يبقى من الشي بعد ذهابه وهو الاسم من الابقاء ويقال في فلان بقية اي فضل مما يمدح به وخير كانه قيل بقية خير من الخير الماضي واترفوا اي عودوا الترفه بالنعيم واللذة وذلك ان الترفه عادة النعمة قال تهدى رؤس المترفين الصداد الى امير المومنين الممتاد اي المسؤل وانما قيل للمتنعم مترف لانه مطلق له لا يمنع من تنعمه الاعراب فتمسكم نصب لانه جواب النهي بالفاء وتقديره لا تكن منكم ركون الى الظالمين فمس النار اياكم ثم لا تنصرون ارتفع تنصرون على الاستيناف طرفي النهار منصوب على الظرف وزلفا معطوف عليه الا قليلا استثناء منقطع بمعنى لكن عن الزجاج تقديره لكن قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد المعنى ثم نهى الله سبحانه عن

المداهنة في الدين والميل الى الظالمين فقال ولا تركنوا الى الذين ظلموا اي ولا تميلوا الى المشركين في شيء من دينكم عن ابن عباس
وقيل لا تداهنوا الظلمة عن السدي وابن زيد وقيل ان الركون الى الظالمين المنهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم واظهار
الرضاء بفعلهم او اظهار موالاتهم فاما الدخول عليهم او مخالطتهم ومعاشرتهم دفعا لشرهم فجائز عن القاضي وقريب منه ما روي عنهم
عليهم السلام ان الركون المودة والنصيحة والطاعة فتمسكم النار اي فيصيبكم عذاب النار وما لكم من دون الله من اولياء اي ما لكم
سواه من انصار يدفعون عنكم عذاب الله وفي هذا بيان انهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا الى الظالمين نالتهم النار ولم يكن لهم
ناصر يدفع عنهم عقوبة لهم على ذلك ثم لا تنصرون اي لا تنصرون في الدنيا على اعدائكم لان نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين اقم
الصلوة اي ادها واتت باعمالها على وجه التمام في ركوعها وسجودها وساير فروضها وقيل معناه اعملها على استواء وقيل ادم على فعلها طرفي النهار
وزلفا من الليل قيل اراد بطرفي النهار صلوة الفجر والمغرب وبزلف من الليل صلوة العشاء الاخرة والزلف اول ساعات الليل عن ابن عباس
وابن زيد قالوا وترك ذكر صلوة الظهر والعصر لاحد امرين اما لظهورهما في انهما صلوتا النهار فكانه قال اقم الصلوة طرفي النهار مع المعروفة
من صلوة النهار واما لانهما مذكورتان على التبع للطرف الاخير لانهما بعد الزوال فهما اقرب اليه وقد قال سبحانه اقم الصلوة لدلوك الشمس
الى غسق الليل ودلوك الشمس زوالها وهذا القول هو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وقيل صلوة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر
وصلوة زلف الليل المغرب والعشاء الاخرة عن الزجاج وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرظي والحسن قالوا لان طرف الشيء من الشيء
وصلوة المغرب ليست من النهار قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه واله المغرب والعشاء زلفا الليل وقيل اراد بطرفي النهار صلوة الفجر
وصلوة العصر ان الحسنات يذهبن السيئات قيل معناه ان الصلوة الخمس يكفر ما بينهما من الذنوب لانه عرف الحسنات بالالف واللام وقد تقدم ذكر
الصلوة عن ابن عباس واكثر المفسرين وروى الواحدي باسناده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ابي عثمن قال كنت مع سلمان تحت شجرة
فاخذ غصنا يابسا منها فهزه حتى تحاتت ورقه ثم قال يا ابا عثمان الا تسئلني لم افعل هذا قلت ولم تفعله قال هكذا فعل رسول الله صلى الله
عليه واله وانا معه تحت شجرة فاخذ منها غصنا يابسا فهزه حتى تحاتت ورقه ثم قال الا تسئلني يا سلمان لم افعل هذا قلت ولم تفعله قال ان
المسلم اذا توضا فاحسن الوضوء ثم صلى الصلوة الخمس تحاتت خطاياه كما تحاتت هذا الورق ثم قرا هذه الاية اقم الصلوة طرفي النهار الى
اخرها وباسناده عن ابي امامة قال بينا رسول الله صلى الله عليه واله في المسجد ونحن قعود معه اذ جاءه رجل فقال يا رسول الله اني اصبت حدا فاقمه
علي فقال هل شهدت الصلوة معنا قال نعم يا رسول الله قال فان الله قد غفر لك حدك او قال ذنبك وباسناده عن الحرث عن علي بن
ابي طالب عليه السلام قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه واله في المسجد ننتظر الصلوة فقام رجل فقال يا رسول الله اني اصبت ذنبا فاعرض عنه
فلما قضى النبي عليه السلام الصلوة قام الرجل فاعاد القول فقال النبي صلى الله عليه واله اليس قد صليت معنا هذه الصلوة واحسنت لها الطهور
قال بلى قال فانها كفارة ذنبك وروى اصحابنا عن ابن محبوب عن ابرهيم الكرخي قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام اذ دخل عليه رجل
من اهل المدينة فقال له من اين جئت ثم قال لم تقول جئتك من ههنا وههنا لغير معاش تطلبه ولا لعمل الاخرة انظر بماذا تقطع يومك
وليلتك واعلم ان معك ملكا كريما موكلا بك يحفظ عليك ما تصنع ويطلع على سرك الذي تخفيه من الناس فاستحي ولا تحقرن سيئة
فانها ستسوؤك يوما ولا تحقرن حسنة وان صغرت عندك وقلت في عينك فانها ستسرك يوما واعلم انه ليس شيء اضر عاقبة ولا اسرع
ندامة من الخطيئة وانه ليس شيء اشد طلبا ولا اسرع دركا للخطيئة من الحسنة اما انها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عند عامله
فتجذه وتسقطه وتذهب به بعد اثباته وذلك قوله سبحانه ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين وروي عن
ابي حمزة الثمالي قال سمعت احدهما عليهما السلام يقول ان عليا عليه السلام اقبل على الناس فقال اية اية في كتاب الله ارجى عندكم فقال
بعضهم ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك الاية فقال حسنة وليست اياها فقال بعضهم يا عبادي الذين اسرفوا
الاية قال حسنة وليست اياها وقال بعضهم ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه قال حسنة وليست اياها قال وقال بعضهم والذين اذا فعلوا فاحشة
الاية قال حسنة وليست اياها قال ثم احجم الناس فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما عندنا شيء قال سمعت حبيبي رسول الله صلى الله
عليه واله يقول ارجى اية في كتاب الله اقم الصلوة طرفي النهار وقرا الاية كلها وقال يا علي والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا ان احدكم ليقوم في

وضوءه فتساقط عن جوارحه الذنوب فاذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته امه فان اصاب شيئا بين الصلوتين
كان له مثل ذلك حتى عد الصلوة الخمس ثم قال يا علي انما منزلة الصلوة الخمس لامتي كنهر جار على باب احدكم فما ظن احدكم لو كان في
جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات اكان يبقى في جسده درن فكذلك والله الصلوة الخمس لامتي وقيل ان الحسنات
يذهبن السيئات معناه ان الدوام على فعل الحسنات يدعو الى ترك السيئات فكانها تذهب بها وقيل ان المراد بالحسنات التوبة فانها
تذهب السيئات بان تسقط عقابها لانه لا خلاف في ان العقاب يسقط عند التوبة ذلك ذكرى للذاكرين يعني ان ما ذكره من ان الحسنات
تذهب السيئات فيه تذكار وموعظة لمن تذكر به وفكر فيه واصبر قيل معناه واصبر على الصلوة كما قال وامر اهلك بالصلوة واصطبر
عليها فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي المصلين عن ابن عباس وقيل معناه اصبر يا محمد على اذى قومك وتكذيبهم اياك وعلى القيام بما
افترضته عليك وعلى اداء الواجبات والامتناع عن المقبحات فان الله لا يهمل جزاء المحسنين على احسانهم ولا يبطله بل يكافيهم عليه اكمل
الثواب فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية اي هلا كانوا الا كان ومعناه النفي وتقديره لم يكن من القرون من قبلكم قوم
باقون ينهون عن الفساد في الارض اي كان يجب ان يكون منهم قوم بهذه الصفة مع انعام الله تعالى عليهم بكمال العقل وبعثة الرسل اليهم
واقامة الحجج لهم وهذا تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود والقرون التي عددها القران
واخبر بهلاكها اي ان العجب منهم كيف لم يكن من جملتهم بقية في الارض يامرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكر وكيف اجتمعوا على الكفر
حتى استاصلهم الله بالعذاب وانواع العقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم له وقيل اولوا بقية معناه ذووا دين وقيل معناه ذووا
بركة وقيل ذووا تميز وخير وطاعة الا قليلا ممن انجينا منهم المعنى ان قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد وهم الانبياء والصالحون الذين
امنوا مع الرسل فانجيناهم من العذاب الذي نزل بقومهم وانما جعلوا هذا الاستثناء منقطعا لان الايجاب لم يتقدم فيه صيغة النفي وانما
تقدم تحضيض خرج مخرج السؤال ولو رفع لجاز في الكلام واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اي واتبع المشركون ما عودوا من النعم والتنعم
وايثار اللذات على امور الاخرة واشتغلوا بذلك عن الطاعات وكانوا اي وكان هؤلاء المتنعمون البطرون مجرمين مصرين على
الجرم وفي الاية دلالة على وجوب النهي عن المنكر لانه سبحانه ذمهم بترك النهي عن الفساد واخبر بانه انجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك
ونبه على انه لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا ثم اخبر سبحانه انه لا يهلك الا بالكفر والفساد فقال وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون وذكر في تاويله وجوه احدها ان المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم ولكن انما يهلكهم بظلمهم نفسهم لا
كما قال ان الله لا يظلم الناس شيئا وثانيها ان معناه لا يواخذهم بظلم واحد مع ان اكثرهم مصلحون ولكن اذا عم الفساد وظلم الاكثرون
عذبهم وثالثها ان الله لا يهلكهم بشركهم وظلمهم لانفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم اي ليس من سبيل الكفار اذا قصدوا الحق في المعاملة
ان يهلكهم الله بالعذاب عن ابن عباس في رواية عطا والواو في قوله واهلها واو الحال وروي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال و
اهلها مصلحون ينصف بعضهم بعضا النظم وجه اتصال قوله فلولا كان من القرون من قبلكم الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اهلاك
الامم الماضية والقرون الخالية عقب ذلك بانهم اتوا في هلاكهم من قبل نفوسهم ولو كان فيهم مؤمنون يامرون بالصلاح وينهون عن
الفساد لما استاصلناهم رحمة منا ولكنهم لما عمهم الكفر استحقوا عذاب الاستيصال قوله عز وجل ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا
يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده
وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون اربع ايات كوفي بصري ست ايات عند غيرهم والخلاف في لا يزالون مختلفين وانا عاملون
القراءة قرا يرجع الامر بضم الياء نافع وحفص والباقون يرجع بفتح الياء وكسر الجيم وقرا عما تعملون بالتاء ههنا وفي اخر النمل اهل المدينة والشام ويعقوب
وحفص والباقون بالياء الحجة من ضم الياء من يرجع فلقوله ثم ردوا الى الله موليهم الحق والمعنى رد امرهم الى الله ومن فتح الياء فلقوله
والامر يومئذ لله والمعنيان يتقاربان ومن قرا بالتاء في تعملون جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه واله وامته وهو اعم فائدة

ومن قرأ بالياء وجه الى من تقدم ذكره من الكفار وفيه ضرب من التهديد اللغة القصص الخبر عن الامور بما يتلو بعضه بعضا لانه
من قص يقص اذا اتبع اثره لانه يتبع اثر من يخبر عنه والنبأ الخبر بما فيه عظيم الشان يقولون لهذا الامر نبأ والتثبيت تمكين اقامة
الشيء من الثبوت فقال ثبته بتسكينه وثبته بتمكينه وثبته بالدلالة على ثبوته وثبته بالخبر عن وجوده والفؤاد القلب ماخوذ من
المفتاد وهو المشتوى قال كانه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد والمكانة الطريقة التي تمكن من العمل عليها و
له مكانة عند السلطان اي جاه وقدر والانتظار طلب الادراك لما ياتي من الامر لانه من النظر والفرق بين الانتظار والترجي ان
الترجي الخاصة والانتظار في الخير والشر الاعراب الا من رحم ربك قال الزجاج هو استثناء على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك
فانه غير مختلف وقوله لاملأن جواب القسم وتقديره يمينا لاملأن كما يقول حلفي لاضربنك وبدا لي لاضربنك وكل فعل كان تاويله كتاويل
بلغني او قيل لي او انتهى الي فان اللام وان يصلحان فيه فيقول بدا لي لاضربنك وبدا لي ان اضربك ولو قيل وتمت كلمة ربك ان
يملأ جهنم كان صوابا وكلا نقص عليك نصب على المصدر وتقديره وكل القصص نقص عليك وقيل انه نصب على الحال فقدم الحال بعد
العامل كما يقول كلا ضربت القوم ويجوز ان يكون نصبا على انه مفعول به وتقديره وكل الذي تحتاج اليه نقص عليك ويكون ما نثبت
به فؤادك بدلا منه قاله الزجاج وقوله انا عاملون انا منتظرون لو دخلت الفاء فقال فانا لافاد ان الثاني لاجل الاول وحيث
لم يدخل لم يفد ذلك المعنى ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اي على ملة واحدة ودين واحد
فيكونوا مسلمين صالحين عن قتادة وذلك بان يلجئهم الى الاسلام بان يخلق في قلوبهم العلم بانهم لو راموا غير ذلك لمنعوا منه لكن ذلك
ينافي التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لان الغرض به استحقاق الثواب والالجاء يمنع من استحقاق الثواب فلذلك لم يشاء الله ذلك ولكنه
شاء ان يؤمنوا باختيارهم ليستحقوا الثواب وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم امة واحدة في الجنة على سبيل التفضيل لكنه اختار لهم اعلى الدرجتين
فكلفهم ليستحقوا الثواب عن ابي مسلم وقيل معناه لو شاء ربك لرفع الخلاف فيما بينهم ولا يزالون مختلفين في الاديان بين يهودي ونصراني ومجوسي
وغير ذلك عن مجاهد وقتادة وعطا والاعمش والحسن في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى عنه انهم مختلفون في الارزاق
والاحوال وتسخير بعضهم لبعض وقيل معناه يخلف بعضهم بعضا في الكفر تقليدا من غير نظر فان قولك خلف بعضهم بعضا وقولك اختلفوا سواء
كما ان قولك قتل بعضهم بعضا وقولك اقتتلوا سواء عن ابي مسلم الا من رحم ربك من المؤمنين فانهم لا يختلفون ويجتمعون على الحق عن ابن عباس والمعنى
ولا يزالون مختلفين بالباطل الا من رحمهم الله بفعل اللطف لهم الذي يؤمنون عنده ويستحقون به الثواب فان من هذه صورته ناج
من الاختلاف بالباطل ولذلك خلقهم اختلفوا في معناه فقيل يريد وللرحمة خلقهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك و
هذا هو الصحيح واعترض على ذلك بان قيل لو اراد ذلك لقال ولتلك خلقهم لان الرحمة مؤنثة وهذا باطل لان تانيث الرحمة غير حقيقي
واذا ذكر فعلى معنى الفضل والانعام وقد قال سبحانه هذا رحمة من ربي وان رحمة الله قريب ومثل قول امرء القيس برهرهة رودة رخصة
كخرعوبة البانة المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال قامت تبكيه على قبره من لي من بعدك يا عامر تركتني في الدار ذا غربة
قد ذل من ليس له ناصر ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة وقال الخنساء فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها
ارادت الرزء وفي امثال ذلك كثرة على ان قوله الا من رحم ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على ان يرحم فلا يمتنع ان يكون المراد ولان يرحمهم
خلقهم وقيل ان المعنى وللاختلاف خلقهم واللام لام العاقبة يريد ان الله خلقهم وعلم ان عاقبتهم تؤول الى الاختلاف المذموم كما قال ولقد
ذرأنا لجهنم عن الحسن وعطا ومالك ولا يجوز على هذا ان يكون اللام للغرض لانه تعالى لا يجوز ان يريد منهم الاختلاف المذموم اذ لو اراد ذلك
منهم لكانوا مطيعين له في ذلك الاختلاف لان الطاعة حقيقتها موافقة الارادة والامر ولو كانوا كذلك لما استحقوا عقابا واما اذا
حمل معنى الاختلاف على ما قاله ابو مسلم فيجوز ان يكون اللام للغرض وقيل ان ذلك اشارة الى اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة
ولا محالة ان الله سبحانه لهذا خلقهم ويؤيد هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وفي قال المرتضى قدس الله روحه قد قال
ان معنى الاية ولو شاء ربك ان يدخل الناس باجمعهم الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة لفعل واجرى هذه الاية مجرى قوله
ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها في انه اراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التاويل يمكن ان يكون لفظ ذلك اشارة الى دخالهم اجمعين

الجنة

الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها وتمت كلمة ربك اي وصل وعده ووعيده الذي لا خلف فيه بتمامه الى عباده
وقيل تمت كلمة ربك صدقا بان وقع مخبرها على ما اخبر به عن الجبائي وقيل معناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل مضى حكم ربك عن
الحسن لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين بكفرهم وكلا اي وكل القصص نقص عليك من انباء الرسل اي من اخبارهم ما نثبت به فؤادك
اي ما نقوي به قلبك ونطيب به نفسك ونزيدك به ثباتا على ما انت عليه من الانذار والصبر على اذى قومك الكفار وجاءك في هذه الحق
اي في هذه السورة عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل في هذه الدنيا عن قتادة وقيل في هذه الانباء عن الجبائي والحق الصدق
من الانباء والوعد والوعيد وقيل معناه وجاءك في ذكر هذه الايات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في ان الخلق يجازون بانصبائهم
في قوله وانا لموفوهم نصيبهم وان كلا لما ليوفينهم وقد جاءه في القرآن كله الحق ولكنه ذكر ههنا توكيدا وليس اذا قيل قد جاءك في
هذا الحق وجب ان يكون لم ياتك الحق الا فيه ولكن بعض الحق اوكد من بعض عن الزجاج وموعظة اي وجاءك موعظة تعظ الجاهلين
بالله وتزجر الناس عن المعاصي وذكرى للمؤمنين تذكرهم الاخرة وقل يا محمد للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم هذا مثل قوله اعملوا ما شئتم
انا عاملون على ما امرنا الله تعالى به وقد مر تفسير هذه الاية فيما مضى وانتظروا اي توقعوا ما يعدكم ربكم على الكفر من العقاب انا منتظرون ما يعدنا
على الايمان من الثواب وقيل انتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور انا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج ولله
غيب السموات والارض معناه ولله علم ما غاب في السموات والارض لا يخفى عليه شيء منه عن الضحاك وقيل معناه ولله ملك ما غاب في
السموات والارض وقيل معناه ولله خزائن السموات والارض عن ابن عباس ووجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدل والتشيع قد ظلم
الشيعة والامامية في هذا الموضع من تفسيره فقال هذا يدل على ان الله سبحانه يختص بعلم الغيب خلافا لما يقول الرافضة ان الائمة
يعلمون الغيب ولا شك انه عنى بذلك من يقول بامامة الاثني عشر ويدين بانهم افضل الانام بعد النبي عليه السلام فان هذا دابه
وديدنه فيهم فشنع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب القبائح والفضائح اليهم ولا نعلم ان احدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لاحد
من الخلق فانما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا يشركه فيه احد
من المخلوقين ومن اعتقد ان غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الاسلام واما ما نقل عن امير المؤمنين عليه السلام
ورواه عنه الخاص والعام من الاخبار بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها مثل قوله يومي به الى صاحب الزنج كاني به يا احنف وقد سار
بالجيش الذي ليس له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا صهيل خيل يثيرون الارض باقدامهم كانها اقدام النعام وقوله يشير الى مروان
بن الحكم اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه وهو ابو الاكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده يوما احمر وما نقل من هذا
الفن عن ائمة الهدى صلوات الله عليهم مثل ما قال له ابو عبد الله عليه السلام لعبد الله بن الحسن وقد اجتمع هو وجماعة من
العلوية والعباسية ليبايعوا ابنه محمد والله ما هي اليك ولا الى ابنيك ولكنها لهم واشار الى العباسية وان ابنيك لمقتولان
ثم نهض وتوكا على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له ارايت صاحب الرداء الاصفر يعني ابا جعفر المنصور قال نعم فقال انا
والله نجده يقتله فكان كما قال ومثل قول الرضا عليه السلام بورك قبر بطوس وقبران ببغداد فقيل له قد عرفنا واحدا فما
الاخر فقال ستعرفونه ثم قال قبري وقبر هرون هكذا وضم اصبعيه وقوله في القصة المشهورة لابي حبيب النباجي وقد ناوله
قبضة من التمر لو زادك رسول الله صلى الله عليه واله لزدناك وقوله في حديث علي بن احمد الوشاء حين قدم مرو من الكوفة
معك حلة في السفط الفلاني دفعتها اليك ابنتك وقالت اشتر لي بثمنها فيروزجا والحديث مشهور الى غير ذلك مما روي
عنهم عليهم السلام فان جميع ذلك متلقى عن النبي صلى الله عليه واله مما اطلعه الله تعالى عليه فلا معنى لنسبة من روى عنهم هذه
الاخبار المشهورة الى انه يعتقد كونهم عالمين للغيب وهل هذا الا سب قبيح وتضليل لهم بل تكفير ولا يرتضيه من هو بالمذهب خبير
والله يحكم بينه وبينهم واليه المصير واليه يرجع الامر كله اي الى حكمه يرجع في المعاد كل الامور لان في الدنيا قد يملك غيره بعض
الامر والنهي والنفع والضر فاعبده وتوكل عليه يريد ان له ملك السموات والارض وملك جميع الامور فحقيق ان يعبد و
يتذلل له ويتوكل عليه ويوثق به وما ربك بغافل اي بساه عما يعملون اي عن اعمال عباده بل هو عالم بها ومجاز كلا منهم عليها

ما يستحقه من ثواب وعقاب فلا يحزنك يا محمد اعراضهم عنك وتركهم القبول منك وروى عن كعب الاحبار انه قال خاتمة التورية خاتمة
هود سورة يوسف عليه السلم مكية وقال المعدل عن ابن عباس غير اربع ايات نزلن بالمدينة ثلث من اولها والرابعة لقد
كان فى يوسف واخوته ايات للسائلين عدد ايها ماية واحدى عشرة اية بالاجماع فضلها ابى بن كعب عن النبى صلى الله عليه واله قال
علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد
مسلما وروى ابو بصير عن ابى عبد الله عليه السلم قال من قرا سورة يوسف فى كل يوم او فى كل ليلة بعثه الله يوم القيمة وجماله مثل جمال
يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيمة وكان من خيار عباد الله الصالحين وقال انها فى التورية مكتوبة وروى اسمعيل بن ابى زياد عن ابى عبد الله
عليه السلم عن ابيه عن ابائه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لا تنزلوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة ولا تعلموهن سورة يوسف
وعلموهن المغزل وسورة النور تفسيرها لما ختم الله سبحانه سورة هود بذكر قصص انباء الرسل افتتح هذه السورة بان من تلك القصص
قصة يوسف واخوته وانها من احسن القصص فقال بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب المبين انا انزلناه قرانا عربيا
لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران وان كنت من قبله لمن الغافلين
ثلث ايات الاعراب قرانا عربيا فيه وجهان احدهما ان قرانا انتصب بانه بدل من الهاء فى انزلناه فكانه قال انا انزلنا قرانا والثانى
انه توطية للحال لان عربيا حال وهذا كما يقول مررت بزيد رجلا صالحا فتنصب صالحا على الحال وتجعل رجلا توطية للحال وقوله
بما اوحينا اليك هذا القران نصب لانه وصف لمعمول اوحينا وهو هذا او بدل او عطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع
جميعا فى الكلام وان لم يقرا بهما اما الجر فعلى البدل مما اوحينا اليك اى بهذا القران واما الرفع فعلى ترجمة ما اوحينا اليك
كان قايلا قال ما هو فقيل هذا القران المعنى الر قد سبق الكلام فيه فى اول البقرة وانما لم يعد اية لانه على حرفين ولا يشاكل
رؤس الاى وعد طه اية لانه يشبه رؤس الاى تلك ايات الكتاب قيل فى معنى الاشارة بتلك وجوه احدها انه اشارة الى ما ياتى
من ذكرها على وجه التوقع لها والثانى انه اشارة الى السورة اى سورة يوسف ايات الكتاب المبين والثالث ان معناه هذه الايات
تلك الايات التى وعدتم بها فى التورية كما قال الم ذلك الكتاب عن الزجاج والمبين المظهر الحلال الله وحرامه والمعانى المرادة
فيه عن مجاهد وقتادة والمبين والمبين واحد والبيان هو الدلالة انا انزلناه يعنى القران اى انا انزلنا هذا الكتاب وقيل
انا انزلنا خبر يوسف وقصته عن الزجاج قال لان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى
مصر وعن قصة يوسف فقال انا انزلناه قرانا عربيا على مجارى كلام العرب فى محاوراتهم وروى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه
واله انه قال احبوا العرب لثلاث لانى عربى والقران عربى وكلام اهل الجنة عربى لعلكم تعقلون اى لتعلموا جميع معانيه وتفهموا
ما فيه وقيل معناه لتعلموا انه من عند الله اذا كان عربيا وعجزتم عن الاتيان بمثله وفى هذه الاية دلالة على ان كلام الله سبحانه
محدث وانه غير الله لانه وصفه بالانزال وبانه عربى ولا يوصف بذلك القديم سبحانه نحن نقص عليك احسن القصص اى نبين لك
احسن البيان عن الزجاج وهذا كقولهم صمت احسن الصيام وقمت احسن القيام مما يكون انتصابه على انه قايم مقام المصدر فالمعنى
نبين لك احسن تبيين واحسن ايضاح بما اوحينا اليك هذا القران ودخلت الباء لتبين القصص اذ القصص يكون قرانا و
غير قران والقصص ههنا بوحى القران وقيل انما سمى القران احسن القصص لانه بلغ النهاية فى الفصاحة وحسن المعانى وعذوبة
الالفاظ مع التلاوم المنافى للتنافر والتشاكل بين المقاطع والفواصل وقيل لانه ذكر فيه اخبار الامم الماضية واخبار الكاينات
الاتية وجميع ما يحتاج اليه العباد الى يوم القيمة باعذب لفظ وتهذيب فى احسن نظم وترتيب وقيل اراد باحسن القصص قصة
يوسف وحدها لانها تتضمن من الفوايد والنكت والغرايب ما لا يتضمنه غيرها ولانها تمتد امتدادا لا يمتد غيرها مثلها وقوله احسن
القصص يدل على ان الحسن يتفاضل ويتعاظم لان لفظة افعل حقيقتها ذلك وانما يتعاظم بكثرة استحقاق المدح عليه ويسال
عن هذا فيقال هل يجوز ان يسمى الله سبحانه قاصا فيقال لا لانه فى العرف انما يستعمل فيمن تمسك بطريقة مخصوصة وهذا كما انه
سبحانه لا يسمى معلما ولا مفتيا وان وصف نفسه بانه علم القران وبانه يفتيكم فى النساء وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين

اى بوحينا اليك م

معناه وما كنت من قبل ان اوحينا اليك هذا القران او من قبل نزول القران عليك الا من الغافلين عن الحكم التى فى القران
لا تعلم شيا منها وقيل من الغافلين عن قصة يوسف وعن الحكم التى فيها قوله عز وجل اذ قال يوسف لابيه يا ابت انى
رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك
كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك
وعلى ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ثلث ايات القراءة قرا ابو جعفر وابن عامر يا ابت
بفتح التاء وقرا الباقون بكسرها وابن كثير يقف على الهاء يا ابه والباقون بالتاء وروى فى الشواذ عن ابى جعفر ونافع وطلحة بن
سليمان احد عشر بسكون العين والقراءة بفتحها وقرا الكسائى الا ابا الحرث وقتيبة بامالة رؤياك والرؤيا فى جميع القران
وروى ابو الحرث عنه فتح رؤياك وامالة الباقى وقتيبة امال للرؤيا تعبرون فقط وقرا خلف فى اختياره بامالة ما فيه
الف ولام والباقون بالتفخيم وخفف الهمزة فى جميع ذلك ابو جعفر وورش وشجاع والترمذى الا ان ابا جعفر يدغم الواو فى الياء فيجعلها
ياء مشددة الحجة قال الزجاج من قرا يا ابت بكسر التاء فعلى الاضافة الى نفسه وحذف الياء لان ياء الاضافة تحذف فى النداء
خاصة واما ادخال تاء التانيث فى الاب فانما دخلت فى النداء خاصة والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة التانيث ويوصف بما
فيه علامة التانيث فالاسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام يفعة ورجل ربعة فلزمت التاء فى الاب عوضا من ياء الاضافة
والوقف عليها يا ابه بالهاء وان كانت فى المصحف بالتاء وزعم الفراء انك اذا كسرت وقفت بالتاء لا غير واذا فتحت وقفت بالتاء
والهاء ولا فرق بين الكسر والفتح واما يا ابت بالفتح فعلى انه ابدل من ياء الاضافة الفا ثم حذف الالف كما يحذف ياء الاضافة و
بقيت الفتحة قال ابو على من فتح فله وجهان احدهما ان يكون مثل يا طلحة اقبل ووجه قول من قال يا طلحة ان هذا النحو من الاسماء
التى فيها التانيث اكثر ما يدعى مرخما فلما كان كذلك رد التاء المحذوفة فى المرخم اليه وترك الاخر يجرى على ما كان يجرى عليه فى
الترخيم من الفتح فلم يعتد بالهاء وفتحها والوجه الاخر ان يكون اراد يا ابتا فحذف الالف كما يحذف التاء فيبقى الفتحة دالة على
الالف كما ان الكسرة تبقى دالة على الياء والدليل على قوة هذا الوجه كثرة ما جاءت هذه الكلمة على هذا الوجه كقول الشاعر
وهل جزع ان قلت وا باباهما وقول الاعشى ويا ابتا لا تزل عندنا فانا نخاف بان تخترم وقول رؤبة يا ابتا علك او عساكا فلما كثر
هذه الكلمة فى كلامهم الزموها القلب والحذف على ان ابا عثمان قد راى ذلك مطردا فى جميع هذا الباب واما وقف ابن كثير
على الهاء فلان التاء التى للتانيث يبدل منها الهاء فى الوقف فغير الحرف بذلك فى الموقف كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بان
ابدل منه الالف ومن قرا احد عشر بسكون العين قال ابن جنى سبب ذلك عندى ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد وبنى
الاول منهما لانه كصدر الاسم من عجزه جعل تسكين اول الثانى دليلا على انهما قد صارا كالاسم الواحد وكذلك بقية العدد الى تسعة
عشر الا اثنا عشر واثنى عشر فانه لا تسكن العين بسكون الالف والياء قبلها قال الزجاج الرؤيا فيها اربع لغات رؤيا بالهمز و
رويا بالواو من غير همز وريا على الادغام وريا بكسر الراء قال ابو على الرؤيا مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى الا
انه لما صار اسما لهذا التخيل فى المنام جرى مجرى الاسماء كما ان درا لما كثر فى كلامهم فى قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء وخرج من
حكم الاعمال فلا تعمل واحدة منها اعمال المصادر ومما يقوى خروجه من احكام المصادر تكسيرهم لها رؤى فصار بمنزلة ظلم والمصادر
فى الاكثر لا تكسر والرؤيا على تحقيق الهمزة فان خففت قلبتها فى اللفظ واوا ولم تدغم الواو فى الياء وان كانت قد تقدمتها ساكنة
كما تقلب فى نحو طى ولى لان الواو فى تقدير الهمزة فهى لذلك غير لازمة فلا يقع الاعتداد بها وقد كسر اولها قوم فقالوا ريا فحولوا
قلبوا الواو قلبا على غير وجه التخفيف ومن ثم كسروا الفاء كما كسروا من قولهم قرن الوى وقرون لى اللغة الرؤيا تصور المعنى
فى المنام على توهم الابصار وذلك لان العقل مغمور بالنوم فاذا تصور الانسان المعنى توهم انه يراه والكيد توهم الحيلة واللام فى يكيدوا
لك لام التعدية كما تقول قدمت لك طعاما وقدمت اليك طعاما وشكرت لك وشكرتك يقال كاده يكيده كيدا وكاد له والاجتباء الاختيار
نقول
معالى الامور للمجتبى واصله من جبيت الماء فى الحوض الاعراب تقدير العامل فى اذ يجوز ان يكون اذكر كانه قال اذكر اذ قال يوسف

طلب

قال الزجاج ويجوز ان يكن على نقص عليك اذ قال و قد غلط فى هذا لان الله تعالى لم يقص على نبيه عليه السلام هذا القصص فى وقت قوله يوسف
و كوكبا منصوب على التميز و قوله رايتهم كرر الروية توكيدا و لان الكلام قد طال و المعنى رايت احد عشر كوكبا و الشمس و القمر لى ساجدين و لم
يقل ساجدات لانه وصف هذه الاشيا بالسجود كما يوصف الادميون بذلك اجرى فعلها مجرى فعل العقلاء كما قال يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم و موضع الكاف فى قوله و كذلك نصب و المعنى و مثل ما رايت يجتبيك ربك و يعلمك **المعنى** ثم ابتدا سبحانه بقصة يوسف عليه السلام
فقال اذ قال يوسف لابيه يعقوب عليهما السلام و هو اسرائيل الله و معناه عبد الله الخالص بن اسحق نبى الله بن ابرهيم خليل الله و فى الحديث ان النبى
صلى الله عليه و اله قال الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت انى رايت احد عشر كوكبا و الشمس و القمر رايتهم لى ساجدين
اى رايت فى منامى قال ابن عباس ان يوسف عليه السلام راى فى المنام ليلة الجمعة ليلة القدر احد عشر كوكبا نزلن من السماء فسجدن له و راى
الشمس و القمر نزلا من السماء فسجدا له قال فالشمس و القمر ابواه و الكواكب اخوته الاحد عشر و قال السدى الشمس ابوه و القمر خالته و ذلك
ان امه راحيل قد ماتت و قال ابن عباس الشمس امه و القمر ابوه و قال وهب كان يوسف راى و هو ابن سبع سنين ان احدى عشر عصا طوالا كانت
مركوزة فى الارض كهيئة الدائرة و اذا عصا صغيرة ثبت عليها حتى اقتلعتها و غلبتها فوصف ذلك لابيه فقال له اياك ان تذكر هذا لاخوتك
ثم راى و هو ابن اثنى عشر سنة ان احد عشر كوكبا و الشمس و القمر سجدت له فقصها على ابيه فقال له لا تقصص رؤياك على اخوتك الاية و
قيل انه كان بين رؤياه و بين مصير ابيه و اخوته الى مصر اربعون سنة عن ابن عباس و اكثر المفسرين و قيل ثمانون سنة عن الحسن و لما طال
الكلام كرر رايتهم و اعاده للتاكيد و قيل اراد بالروية الاولى روية الاعيان و الاشخاص و بالروية الثانية روية سجودهم و اختلف فى معنا
هذا السجود فقيل انه السجود المعروف على الحقيقة لتكرمته لا لعبادته و قيل معناه الخضوع له عن الجبائى كما قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر
و هذا ترك الظاهر و يقال ان اخوته لما بلغهم رؤياه قالوا ما رضى ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك
اى لا تخبرهم بذلك فيكيدوا لك كيدا اى فيحسدوك و يقابلوك بما فيه هلاكك ان رؤيا الانبياء وحى و عرف يعقوب ان اخوة يوسف
يعرفون تاويلها و يخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه و يبغونه الغوائل ان الشيطان للانسان عدو مبين اى ظاهر العداوة فيلقى بينكم العداوة و
و يحملهم على انزال المكروه بك و كذلك اى و كما اراك هذه الرؤيا تكرمة لك و بين ان اخوتك يخضعون لك او يسجدون لك يجتبيك
ربك اى يصطفيك ربك و يختارك للنبوة عن الحسن و قيل لحسن الخلق و الخلق و يعلمك من تاويل الاحاديث قيل معناه و يعلمك من
تعبير الرؤيا لان فيه احاديث الناس عن رؤياهم و سماه تاويلا لانه يؤل امره الى ما راى فى المنام عن قتادة قال ابن زيد كان اعبر الناس
للرؤيا و قيل معناه و يعلمك عواقب الامور بالنبوة و الوحى اليك فتعلم الاشياء قبل كونها معجزة لك لانه اضاف التعليم الى الله و ذلك
لا يكون الا بالوحى عن ابى مسلم و قيل تاويل احاديث الانبياء و الامم يعنى كتب الله و دلايله على توحيده و المشروع من شرايعه و امور دينه عن
الحسن و الجبائى و التاويل فى الاصل هو المنتهى الذى يؤل اليه المعنى و تاويل الحديث فقهه الذى هو حكمه لانه اظهار ما يؤل اليه امره
مما يعتمد عليه و فايدته و يتم نعمته عليك بالنبوة لانها منتهى نعيم الدنيا و قيل اتمام النعمة هو ان يحكم بدوامها على تخليصها من شائبها
فهذه النعمة التامة لخلوصها مما ينغصها و لا تطلب ذلك الا من الله تعالى لانه لا يقدر عليها سواه و قيل معناه و يتم نعمته عليك بان يحوج
اخوتك اليك حتى تنعم عليهم بعد ما اساؤا اليك و على ال يعقوب اى و على اخوتك بان تثبتهم على الاسلام و تشرفهم بمكانك و يجعل فيهم النبوة
و قيل يتم نعمتك عليهم بانقاذهم من المحن على يديك كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم و اسحق اى كما اتم النعمة على ابرهيم بالخلة و النبوة و النجاة
من النار و على اسحق بان فداه من الذبح بذبح عظيم عن عكرمة و قال انه الذبيح و قيل باخراج يعقوب و اولاده من صلبه عن اكثر المفسرين
قالوا و ليس هو الذبيح و انما الذبيح اسمعيل ان ربك عليم بمن يصلح للرسالة حكيم فى اختيار الرسل و قيل عليم باحوال الخلق حكيم فى قضاياه

قوله عز و جل لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ
أَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ اربع ايات **القراءة** قرا ابن كثير اية للسائلين الباقون ايات و قرا اهل
المدينة غيابات الجب و الباقون غيابة و فى الشواذ قراءة الاعرج غيابات مشددة و قراءة الحسن غيبة الجب و قرا اهل المدينة و الكسائى

مبين اقتلوا بضم التنوين و الباقون بالكسر **الحجة** قال ابو على من قرا اية على الافراد جعل شانه كله اية و يقويه قوله و جعلنا ابن مريم
و امه اية و كل واحد منهما على انفراده يجوز ان يقال فيه اية فافرد مع ذلك و من جمع كل حال من احواله اية على ان للمفرد المنكر
فى الايجاب يقع دالا على الكثرة كما يقع كذلك فى غير الايجاب قال الشاعر فقتلا بتقتيل و ضربا بضربكم جزاء العطاس لا يموت عن اثار و
اما الغيابة فكل شئ غيب شيئا عن ابى عبيدة و انشد فان انا يوما غيبتنى غيابة قبرى و ابسيرى فى العشيرة و الاهل و الجب الركية التى لم
تطو فمن افرد فالوجه فيه ان الجب لا يخلو من ان يكون له غيابة واحدة او غيابات و غيابة المفرد يجوز ان يعنى به الجمع كما يعنى به الواحد
و من جمع فانه يجوز ان يكون له غيابة واحدة فجعل كل جزء منها غيابة كقولهم شابت مفارقه و بعير ذو عثانين و يجوز ان يكون للبئر
عدة غيابات فجمع لذلك و اما غيابة بالتشديد فيكون اسما جاء على فعالة كما جاء التيار للموج و الفياد للبوم الذكر و الفخار للخزف و
غير ذلك و اما غيبة فيجوز ان يكون جاريا على فعلة من غاب فيكون بمعنى الظلمة و يجوز ان يكون موضعا على فعلة و اما من ضم التنوين
فلانه التقى ساكنان التنوين و القاف فى اقتلوا و لزم تحريك الاول منهما فحركه بالضم لتتبع الضمة الضمة كما قيل شد و مد و من كسر التنوين فانه
لم يتبع الضم كما ان من قال مد لم يتبع و كسر الساكن على ما يجرى عليه امر تحريك الساكن فى الامر الشايع **اللغة** الاية العلامة و العبرة نظائر
و العصبة الجماعة التى يتعصب بعضها لبعض و يقع على جماعة من عشرة الى خمسة عشر و قيل ما بين العشرة الى الاربعين و لا واحد له من لفظه
كالقوم و الرهط و النفر و الفرق بين المحبة و الشهوة ان الانسان يحب ولده و لا يشتهيه بان يميل طبعه اليه و يرق عليه و يريد له الخير
و الشهوة منازعة النفس الى ما فيه اللذة و انما سمى البير جبا لانه قطع عنها ترابها حتى طلع الماء من غير طى و منه المجبوب قال الاعشى لئن
كنت فى جب ثمانين قامة و رقيت اسباب السماء بسلم و كلما غيب شيئا عن الحس بكونه فيه فهو غيابة فغيابة البير شبه لجف او طاق فوق
ماء البير و السيارة الجماعة المسافرون لانهم يسيرون فى البلاد و قيل هم مارة الطريق و الالتقاط تناول الشئ فى الطريق و منه
اللقطة و اللقيط و معناه ان يجده من غير ان يحسبه يقال وردت الماء التقاطا اذا وردته من غير ان يحسبه **الاعراب** العامل فى قوله
اذ قالوا اذكر اذ قالوا ليوسف و يحتمل ان يكون العامل فيه ما فى الاية التى قبله من قوله لقد كان فى يوسف و اخوته ايات للسائلين
اذ قالوا و اللام فى قوله ليوسف جواب القسم تقديره و الله ليوسف و اخوه احب الى ابينا منا يخل لكم جواب الامر و تكونوا جزم لانه معطوف عليه
و روى عن الحسن تلتقطه بعض السيارة بالتاء و هذا كما يقال ذهبت بعض اصابعه و قال الشاعر طول الليالى اسرعت فى نقضى طوين طولى و طوين عرضى
فقال اسرعت و طوين لتانيث الليالى و لم يحمله على طول و هو مذكر **المعنى** ثم انشا سبحانه فى ذكر قصة يوسف فقال لقد كان فى يوسف
و اخوته ايات للسائلين و معناه لقد كان فى حديث يوسف و اخوته عبر للسائلين عنهم و اعاجيب فانهم نالوه بالاذى و دبروا فى قتله و
اجتمعوا على القائه فى البير للحسد مع انهم اولاد الانبياء فصفح عليه السلام عنهم لما مكنه الله منهم و احسن اليهم و لم يعيرهم بما كان منهم و هذا خارج
عن العادة و فيه عبرة لمن اعتبر بها فى منافع الدين و منها الفرج بعد الشدة و المنحة بعد المحنة و منها الدلالة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه
و اله لانه عليه السلام لم يقرأ كتابا فيعلم انه لم يات ذلك الا من جهة الوحى فهو بصيرة للذين سالوه ان يخبرهم بذلك و معجزة دالة على صدقه
و اخوته هم اولاد يعقوب و كان ليعقوب اثنا عشر ولدا لصلبه و كانوا اولاد علة عن الجبائى و قيل اسماؤهم روبيل و هو اكبرهم و
شمعون و لاوى و يهودا و ريالون و يشجر و امهم ليا بنت ليان و هى ابنة خالة يعقوب ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت
له يوسف و بنيامين و قيل ابن يامين و ولد له من سريتين له اسم احديهما زلفة و الاخرى بلهة اربعة بنين دان و تفتالى و جاد و اشر
و كانوا اثنى عشر ثم اخبر سبحانه عما قالت اخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف و تاويل يعقوب اياه فقال اذ قالوا اى قال بعضهم لبعض ليوسف
و اخوه لابيه و امه بنيامين احب الى ابينا يعقوب منا و ذلك ان يعقوب كان شديد الحب ليوسف و كان يوسف من احسن الناس
وجها و كان يعقوب يؤثره على اولاده فحسدوه ثم راى الرؤيا فصار حسدهم له اشد و قيل انه عليه السلام كان يرحمهما و اخاه و يقربهما لصغرهما
فاستثقلوا ذلك و روى ابو حمزة الثمالى عن زين العابدين عليه السلام ان يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق به و ياكل هو و
عياله منه و ان سايلا مؤمنا صواما اعتر بباب يعقوب عشية جمعة عند اوان افطاره و كان مجتازا غريبا فهتف على بابه فاستطعمهم
و هم يسمعونه فلم يصدقوا قوله فلما يئس ان يطعموه و غشيه الليل استرجع و استعبر و شكا جوعه الى الله و بات طاويا و اصبح صايما

رانا سبع عشرين ... واحد ... اشارت

حتى بلغ

و تقديره اكرم

صابرا حامدا لله و بات يعقوب و ال يعقوب بطانا واصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم فابتلاه الله سبحانه بيوسف عليهم السلم واوحى اليه
ان استعد لبلاى وارض بقضاى واصبر للمصايب فرى الرويا فى تلك الليله والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة وروى
ذلك عن ابن عباس او قريب منه ونحن عصبة معناه ونحن جماعة يتعصب بعضنا لبعض و يعين بعضنا بعضا اى فنحن انفع لابينا وقيل
يعنى ونحن عصبة لا يعجزنا الاحتيال عليه ان ابانا لفى ضلال مبين اى فى ذهاب عن طريق الصواب الذى هو التعديل بيننا فى المحبة
وقيل معناه انه فى خطاء من الراى فى امور الاولاد والتدبير الدنيوى اذ نحن اقوم بامور مواشيه واموالة وساير اعماله ولم يريدوا به الضلال
عن الدين لانهم لو ارادوا ذلك لكانوا كفارا و ذلك خلاف الاجماع ولانهم بالاتفاق كانوا على دينه وكانوا يعظمونه غاية التعظيم
ولذلك طلبوا محبته واصل الضلال العدول وكل من ذهب عن شىء وعدل عنه فقد ضل واكثر المفسرين على ان اخوة يوسف كانوا انبياء
وقال بعضهم لم يكونوا انبياء لان الانبياء لا يقع منهم القبايح وقال المرتضى قدس الله روحه لم تقم لنا الحجة بان اخوة يوسف الذين فعلوا
ما فعلوا كانوا انبياء ولا يمتنع ان يكون الاسباط الذين كانوا انبياء غير هؤلاء الاخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله تعالى عنهم
وليس فى ظاهر الكتاب ان جميع اخوة يوسف وساير الاسباط فعلوا بيوسف ما حكاه الله من الكيد ويجوز ان يكون هؤلاء الاخوة فى تلك الحال
لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه اليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الافعال و يعاتب على ذلك و يلام ويضرب
وهذا الوجه قول البلخى و الجبائى ويدل عليه قولهم نرتع ونلعب وروى ابو جعفر بن بابويه رحمه الله عليه فى كتاب النبوة باسناده عن محمد بن اسمعيل
ابن بزيع عن حنان بن سدير قال قلت لابى جعفر عليه السلم اكان اولاد يعقوب انبياء فقال لا ولكنهم كانوا اسباطا اولاد الانبياء
ولم يفارقوا الدنيا الا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا قال الحسن كانوا رجالا بالغين و وقعت تلك منهم صغيرة ثم اخبر سبحانه عنهم انهم قال
بعضهم لبعض اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا اى اطرحوه فى ارض بعيدة عن ابيه فلا يهتدى اليه وقيل معناه فى ارض تاكله السباع او يهلك بغير
ذلك يخل لكم وجه ابيكم عن يوسف و يخلص لكم محبته والمعنى انكم متى قتلتموه او طرحتموه فى ارض اخرى خلا لكم ابوكم وحن عليكم وتكونوا
من بعده قوما صالحين اى وتكونوا من بعد قتل يوسف او غيبته قوما تايبين والمعنى انكم اذا فعلتم ذلك وبلغتم اغراضكم
تبتم مما فعلتموه وكنتم من جملة الصالحين الذين يعملون الصالحات وهذا يدل على انهم راوا ذلك ذنبا يجب التوبة منه عن جماعة من
المفسرين وقيل معناه وتكونوا قوما صالحين فى امر دنياكم اى يعود حالكم فى امر ابيكم الى الصلاح عن الحسن ومتى قيل ههنا على قول
من جعلهم غير بالغين فقال ليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لعلمهم بالوعيد فالجواب ان المراهق قد يجوز ان يعلم ذلك
خاصة اذا كان مربى فى حجر الانبياء ومن اولادهم واختلف فيمن قال ذلك من اخوته فقال وهب قايله شمعون وقال مقاتل قاله
روبيل ثم اخبر سبحانه عن واحد من جملة القوم بقوله قال قايل منهم اى من اخوة يوسف لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابة الجب يلتقطه
بعض السيارة اى القوه فى قعر البير يتناوله بعض مارة الطريق والمسافرين فيذهب به الى ناحية اخرى والقايل لذلك روبيل و
هو ابن خالة يوسف عن قتاده وابن اسحق وكان احسنهم رايا فيه فنهاهم عن قتله وقيل هو يهوذا وكان اقدمهم فى الراى والفضل
واسنهم عن الاصم والزجاج وقيل هو لاوى رواه على بن ابرهيم فى تفسيره واختلفوا فى ذلك الجب فقيل هو بير ببيت المقدس
عن قتادة وقيل بارض الاردن عن وهب وقيل بين مدين ومصر عن كعب وقيل على ثلث فراسخ من منزل يعقوب عن مقاتل
ان كنتم فاعلين معناه ان كنتم فاعلين شيئا مما تقولون فى يوسف فليكن هذا فعلكم فانه دون القتل الصريح وقال ابن عباس يريدون
اضمم ما تريدون وقيل الحسد الجسد المومن فقال ما انساك حديث بنى يعقوب قوله عز وجل قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا
على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ايتان القراءة قرا ابو جعفر والحلوانى عن قالون
لا تامنا مشددة النون بلا اشمة وقرا الباقون بالاشمام وهو الاشارة الى النون المدغمة بالضمة وهو اختيار ابى عبيد وقرا ابو جعفر و
نافع يرتع ويلعب بالياء فيهما وكسر العين من يرتع وقرا ابن كثير نرتع ونلعب بالنون فيهما وكسر العين وقرا ابو عمرو وابن عامر نرتع ونلعب
بالنون فيهما وجزم العين وقرا اهل الكوفة ورويس عن يعقوب يرتع و يلعب بالياء فيهما وجزم العين وقرا روح و زيد عن يعقوب
نرتع بالنون وجزم العين ويلعب بالياء و قد روى ذلك عن ابى عمرو وهو قراءة الاعرج وابرهيم النخعى وفى الشواذ قراءة العلا بن سيابة

يرتع بالياء وكسر العين ونلعب رفعا وقراءة ابن رجا نرتع ونلعب الحجة قال الزجاج يجوز فى تامنا اربعة اوجه اشمام النون
الضم مع الادغام وهو الذى حكاه ابن مجاهد عن القراء للاشعار بالضمة والادغام من غير اشمام لان الحرفين من جنس واحد
وتامننا بالاظهار ورفع النون الاولى لان التنوين من كلمتين وتيمنا بكسر التاء لان ماضيه على فعل كما قالوا نعلم ونعلم وهى قراءة
يحيى بن وثاب وهذه القراءة مخالفة للمصحف وان كانت فى العربية جايزة واما قوله يرتع ويلعب فقد قال ابو على قراءة من قرا
بالنون وكسر العين ويلعب بالياء حسن لانه جعل الارتعاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر و اسند اللعب الى يوسف لصغره
ولا لوم على الصغير فى اللعب والدليل على صغر يوسف قول اخوته وانا له لحافظون ولو كان كبيرا لم يحتج الى حفظهم ويدل على ذلك
ايضا قول يعقوب واخاف ان ياكله الذيب وانما يخاف الذيب على من لا دفاع له من شيخ كبير او صبى صغير قال اصبحت لا احمل السلاح
ولا املك راس البعير ان نفرا والذيب اخشاه ان مررت به وحدى واخشى الرياح والمطرا واما الارتعاء فهو افتعال من رعيت
مثل شويت واشتويت وكل واحد منهما متعد الى مفعول به قال الاعشى ترتعى الضخ فالكثيب فذاقار فروض القطا فذات الرمال
وقال اخر رعى بارض البهمى جميما وبسرة وصمعاء حتى انفته نصالها وقد يستقيم ان يقال نرتع وانما نرتع ابلنا فيما قال ابو عبيدة ووجه
ذلك انه كان الاصل نرتع ابلنا ثم حذف المضاف واسند الفعل الى المتكلمين فصار نرتع وكذلك نرتعى على نرتعى ابلنا ثم حذف
المضاف فيكون نرتع وقال ابو عبيدة يرتع يلهو وقد يكون هذه الكلمة على غير معنى اللهو ولكن على معنى النيل من الشىء كقولهم
فى المثل القيد والرتعة وكان هذا على النيل والتناول مما يحتاج اليه الحيوان وقد قال الاعشى صدر النهار يراعى ثيرة رتعا و
على هذا قالوا رايت مرتع ابلك لمرادها الذى فيه فهذا لا يكون على اللهو لانه جمع ثور راتع او رتوع فاما من قرا نرتع ونلعب بالنون
فيكون نرتع على نرتع ابلنا او على اننا ننال مما نحتاج اليه وننال معنا فاما نلعب فحكى ان ابا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب وهم انبياء فقال
لم يكونوا يومئذ انبياء فلو صحت هذه الحكاية عنه وصح عنده هذا التاريخ والافقد قال الشاعر جدت جداد بلاعب وتقشعت غمرات قال
ليث حيران فكان اللعب ههنا الذى لم يتشمر فى اهله قد خلطه بعض اللهو فهذا اسهل من الوجه الذى قوبل به الحق وقد روى عن
النبى صلى الله عليه واله انه قال لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك فهذا كانه يتشاغل بمباح وينفس وجمام من الجد وقد روى عن
بعض السلف انه اذا كثر النظر فى مسايل الفقه قال احمضوا فليس هذا اللعب كاللعب فى قوله ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض و
نلعب واما من قرا بالياء فيهما فان كان يرتع من اللهو كما فسره ابو عبيدة فلا يمتنع ان يخبر به عن يوسف لصغره كما لا يمتنع ان ينسب اليه اللعب
لذلك وان كان يرتع من النيل من الشىء فذلك لا يمتنع عليه ايضا فوجهها بين وهذا ابين من قول من قال ونلعب بالنون لانهم سالوا
ارساله ليتنفس بلعبه ولم يسالوا ارساله ليلعبوا هم واما من قرا ونلعب بالرفع فانه جعله استينافا اى هو ممن يلعب كقولك ذرنى احسن اليك
اى انا ممن احسن اليك واما من قرا يرتع ابله فمعناه يرتع ابله فحذف المفعول كما قال الحطيئة منعمة تصون اليك منها كصونك من رداء شرعبى اى
تصون الحديث وقال الشنفرى كان لها فى الارض نسيا تقصه على امها وان تكلمك تبلت اى تقطع حديثها خفرا وحياء المعنى ثم بين سبحانه انهم
عند اتفاق ارائهم فيما تواصوا فيه من امر يوسف كيف سالوا اباهم فقال قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف اى ما لك لا تثق بنا ولا
تعتمدنا فى امر يوسف وانا له لناصحون اى مخلصون فى ارادة الخير به وفى هذا دلالة على انه عليه السلم كان يابى عليهم ان يرسله معهم ارسله
معنا غدا اى الى الصحراء يرتع ويلعب الجزم على جواب الامر والمعنى ان ترسله معنا يرتع ويلعب اى يذهب ويجىء وينشط ويلهو عن الكلبى والضحاك
وقيل يتحافظ فنحفظ بعضنا بعضا ويلهو عن مجاهد وقيل ينعى وينصرف والرتع هو التردد يمينا وشمالا عن ابن زيد واراد بذلك اللعب
المباح مثل الرمى والاستباق بالاقدام وقد روى ان كل لعب حرام الا ثلث لعب الرجل بقوسه وفرسه واهله وانا له اى ليوسف لحافظون
اى نحفظه لنرده اليك وقيل نحفظه فى حال لعبه وقال مقاتل ههنا تقديم وتاخير و ذلك ان اخوة يوسف قالوا له ارسله فقال ابوهم
انى ليحزننى ان تذهبوا به الايه فحينئذ قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون واذا صح الكلام من غير تقديم وتاخير
فلا معنى لحمله عليه قال الحسن جعل يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة وكان فى البلاء الى ان وصل اليه ابوه ثمانين سنة ولبث بعد
الاجتماع ثلثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان ليوسف يوم القى فى الجب عشر سنين وقيل كان له اثنا عشر سنة

وقيل كان ابن سبع او تسع سنين وجمع الله بينه وبين ابيه وهو ابن اربعين سنة عن ابن عباس وغيره وفي الآيات دلالة على ظهور حسدهم ليوسف لانه كان يحرسه منهم ويمنعه عن الخروج معهم ولا يامنهم عليه قوله عز وجل قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون

ست ايات اللغة الذئب اصله الهمز وان خفف جاز وقرأ الكسائي وخلف وابو جعفر وورش والاعشى والترمذي الا سجادة بتخفيف الهمز في المواضع الثلاث والباقون بالهمز وجمع الذئب اذؤب وذياب وذؤبان وتذائبت الريح اتت من كل جهة وحزنت واحزنت لغتان والحزن الم القلب بفراق المحبوب والشعور ادراك الشيء بمثل الشعرة في الدقة ومنه المشاعر في البدن والمجي والمصير الى الشيء واحد وقد يكون المصير بالانقلاب كمصير الطين خزفا وقد يكون بمعنى الانتقال والعشاء اخر النهار ومنه اشتق الاعشى لانه يستضيء ببصر ضعيف ويقال العشاء اول ظلام الليل ويقال العشي من زوال الشمس الى الصباح والعشاء من صلوة المغرب الى العتمة والاستباق افتعال من السبق واستبقا ابتدرا حتى يظهر الاولى ومنه المسابقة وهو على ثلثة اوجه سباق بالرمي وذلك جائز بالاتفاق وسباق على الخيل والابل وذلك جائز عندنا وسباق على الاقدام وذلك غير جائز بعوض وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة يجوز بعوض وبلا عوض وبه قال قوم من اصحابنا وكذلك القول في الصراع ودم كذب اي مكذوب فيه وهو مصدر وصف به وقيل ان تقديره بدم ذي كذب قال الفراء يجوز ان يقع المصدر موقع المفعول كما يقع المفعول موقع المصدر في مثل قول الشاعر حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا ولم يجزه سيبويه وقال المفعول لا يكون مصدرا ويتأول قولهم خذ ميسوره ودع معسوره قال يعني خذ ما تيسر له ودع ما عسر عليه وكذلك ليس لفؤاده معقول اي ما يعقل به وروي عن عائشة انها قرأت بدم كدب بالدال اي دم طري والتسويل تزيين النفس ما ليس بحسن وقيل هو تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه

الاعراب اللام في قوله لئن هي اللام التي تتلقى بها القسم وانا اذا لخاسرون جواب القسم فلما ذهبوا به جواب لما محذوف وتقديره عظمت فتنتهم اي كبر ما قصدوا له والكوفيون يقولون الواو في واجمعوا مقحمة وتقديره اجمعوا ولا يجيز البصريون اقحام الواو وقالوا لم يثبت ذلك بحجة ولا قياس ومما انشده الكوفيون في ذلك قول الشاعر حتى اذا قملت بطونكم ورايتم ابناءكم شبوا وقلبتم ظهر المجن لنا ان اللئيم العاجز الخب وقول امرئ القيس فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل قالوا اراد انتحى والبصريون يحملون الجميع على حذف الجواب وقوله يبكون في موضع نصب على الحال وعشاء منصوب على الظرف وجائز ان يكون وهم لا يشعرون من صلة قوله لتنبئنهم وجائز ان يكون من صلة واوحينا اي انبأناه بالوحي وهم لا يشعرون انه نبي قد اوحي اليه ونستبق في موضع نصب على الحال وصبر جميل مرفوع على احد وجهين على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فشاني صبر جميل وهو قول قطرب او على انه مبتدأ محذوف الخبر والتقدير فصبر جميل مثلي وانشد شكا الي جملي طول السرى يا جملي ليس الى المشتكى صبر جميل فكلانا مبتلى وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر وقال الاخر الى الله اشكو ان بيعي لحق بباشة فصبرا على ما شاء الله لي صبرا

المعنى ثم اخبر سبحانه انهم لما اظهروا النصيحة والشفقة على يوسف هو ابيعقوب ان يبعثه معهم وحثهم على حفظه قال اني ليحزنني اي يغمني ان تذهبوا به وتغيبوه عني وقيل معناه يحزنني مفارقته اياي واخاف عليه اذا ذهبتم به الى الصحراء ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون وهذه الجملة في موضع الحال وتقديره اخاف ان ياكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض اشغالكم قالوا وكانت ارضهم مذابة وكانت الذياب ضارية في ذلك الوقت وقيل ان يعقوب راى في منامه كان يوسف قد شد عليه عشرة اذؤب ليقتلوه واذا ذئب منها يحمي عنه وكان الارض انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلثة ايام فمن ثم قال هذا فلقنهم العلة وكانوا لا يدرون وروي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال لا تلقنوا الكذب فتكذبوا فان بني يعقوب لا يعلموا ان الذئب ياكل الانسان حتى لقنهم ابوهم وهذا يدل على ان الخصم لا ينبغي ان يلقن حجة وقيل انه خافهم عليه فكنى عنهم بالذئب مساترة لهم قال ابن عباس سماهم ذيابا قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده ولا نمنعه منه انا اذا لخاسرون اي نكون كالذين يذهب عنهم رؤس اموالهم على رغم منهم وقيل معناه انا اذا لعجزة ضعفة قال الحسن وايم الله لقد

كانوا اخوف عليه من الذئب وقيل معناه انا اذا لمضيعون بلغة قيس غيلان عن المورج وههنا حذف والتقدير انه ارسله معهم اجابة لما سالوه ليؤدي ذلك الى الالفة والمحبة فلما ذهبوا به واجمعوا اي عزموا جميعا ان يجعلوه في غيابة الجب اي قعر البئر واتفقت دواعيهم اليه فان من دعاه داع واحد الى الشيء لا يقال فيه انه اجمع عليه فانه ماخوذ من اجتماع الدواعي ويدل الالف واللام على انه كان بئرا معروفة معهودة عندهم يجيئها السيارة وقيل انهم طلبوا بئرا قليلة الماء تغيبه ولا تغرقه فجعلوه فيها وقيل بل جعلوه في جانب منها وقيل ان يعقوب ارسله معهم فاخرجوه مكرما فلما وصلوا الى الصحراء اظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث وكان يقول يا ابتاه فهموا بقتله فمنعهم يهوذا منه وقيل منعهم لاوي رواه بعض اصحابنا عنهم عليهم السلام فانطلقوا به الى الجب فجعلوا يدلونه في البئر وهو يتعلق بشفير البئر ثم نزعوا قميصه عنه وهو يقول لا تفعلوا ردوا علي القميص اتوارى به فيقولون ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا يؤنسك فدلوه في البئر حتى اذا بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى الصخرة فيها فقام عليها وكان يهوذا ياتيه بالطعام عن السدي وقيل ان الجب انار له وعذب ماؤه حتى اغناه عن الطعام والشراب وقيل كان الماء كدرا فصفا وعذب ووكل الله به ملكا يحرسه ويطعمه عن مقاتل وقيل ان جبرئيل كان يؤنسه وقيل ان الله تعالى امر بصخرة حتى ارتفعت من اسفل البئر فوقف يوسف عليها وهو عريان وكان ابرهيم الخليل حين القي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عريانا فاتاه جبرئيل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك عند ابرهيم عليه السلام فلما مات ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلقه في عنقه فكان لا يفارقه فلما القي في البئر عريانا جاءه جبرئيل عليه السلام وكان عليه ذلك التعويذ فاخرج منه القميص والبسه اياه وروى ذلك مفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال وهو القميص الذي وجد يعقوب ريحه لما فصلت العير من مصر وكان يعقوب بفلسطين فقال اني لاجد ريح يوسف وفي كتاب النبوة عن الحسن بن محبوب عن الحسن بن عمارة عن مسمع ابي سيار عن الصادق عليه السلام قال لما القي اخوة يوسف يوسف في الجب نزل عليه جبرئيل وقال له يا غلام من طرحك فقال اخوتي لمنزلتي من ابي حسدوني ولذلك في الجب طرحوني فقال اتحب ان تخرج من هذا الجب فقال ذلك الى اله ابرهيم واسحق ويعقوب فقال له جبرئيل فان اله ابرهيم واسحق ويعقوب يقول لك قل اللهم اني اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام ان تصلي على محمد وان تجعل لي من امري فرجا ومخرجا وترزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب فجعل الله له من ذلك الجب يومئذ فرجا ومخرجا ومن كيد المرأة مخرجا واتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب وروى علي بن ابرهيم ان يوسف عليه السلام قال في الجب يا اله ابرهيم واسحق ويعقوب ارحم ضعفي وقلة حيلتي وصغري وقوله واوحينا اليه يعني الى يوسف قال الحسن اعطاه الله النبوة وهو في الجب والبشارة بالنجاة والملك لتنبئنهم بامرهم هذا اي لتخبرنهم بقبيح فعلهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه في اخر السورة من قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهم لا يشعرون انك يوسف وكان الوحي اليه كالوحي الى ساير الانبياء وقال مجاهد وقتادة اوحى الله اليه ونبأه وهو في الجب وكان فيما اوحى اليه ان اكتم حالك واصبر على ما اصابك فانك تخبر اخوتك بما فعلوا بك في وقت لا يعرفونك وقيل يريد وهم لا يشعرون بانه اوحي اليه وقيل ان معنى قوله لتنبئنهم لتجازينهم على فعلهم يقول العرب للرجل يتوعده بمجازاة سوء فعله لانبئنك ولاعرفنك اي لاجازينك وقيل اراد بذلك انهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون فاخذ الصاع ونقره فطن فقال هذا الجام ليخبرني انه كان لكم اخ من ابيكم القيتموه في الجب وبعتموه بثمن بخس فهذا معنى قوله لتنبئنهم بامرهم هذا عن ابن عباس ثم بين سبحانه حالهم حين رجعوا الى ابيهم فقال وجاؤوا اباهم يعني وانقلب اخوة يوسف الى ابيهم عشاء اي ليلا او في اخر النهار ليلبسوا على ابيهم وليكونوا اجرأ على الاعتذار بالكذب وانما اظهروا البكاء ليوهموا انهم صادقون في هذا دلالة على ان البكاء لا يوجب صدق دعوى الباكي في دعواه قال السدي ولما سمع بكاءهم فزع فقال ما بالكم قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نشتد ونعدو على الاقدام لننظر اينا اعدى واسبق لصاحبه عن الجبائي والسدي وقيل معناه ننتضل ونترامى فننظر اي السهام اسبق الى الغرض عن الزجاج وفي قراءة عبد الله ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا اي تركناه عند الرحل ليحفظه فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا اي ما انت بمصدق لنا ولو كنا صادقين جواب لو محذوف اي ولو كنا صادقين ما صدقتنا لاتهامك لنا في امر يوسف ودل الكلام عليه ولم يصفوه بانه لا يصدق الا ان المعنى انه لا يصدقهم لاتهامه لهم وسوء ظنه بهم لما ظهر له من امارات حسدهم

ليوسف وشدة محبته ليوسف وجاءوا على قميصه بدم كذب معناه ان اخوة يوسف جاءوا اباهم ومعهم قميص يوسف ملطخا بدم فقالوا
له هذا دم يوسف حين اكله الذئب وقيل انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميصه عن ابن عباس ومجاهد وقيل ظبيا ولم يمزقوا
ثوبه ولم يخطر ببالهم اذا اكل انسانا فانه يمزق ثوبه وقيل ان يعقوب قال اروني القميص فاروه اياه فقال لما راى القميص صحيحا يا بني
والله ما عهدت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق قميصه عن الحسن وروى انه القى ثوبه على وجهه وقال يا يوسف لقد اكلك
ذئب رحيم اكل لحمك ولم يشق قميصك ومعنى قوله بدم كذب مكذوب عليه كما يقال ماء سكب اى مسكوب وشراب صب اى مصبوب
قال الشاعر تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا اراد نائحة عليهم وقيل انه كان فى قميص يوسف ثلث ايات حين قد من
دبر وحين القى على وجه ابيه فارتد بصيرا وحين جاءوا عليه بدم كذب فنبه يعقوب على ان الذئب لو اكله لخرق قميصه عن الشعبي
وقيل انه لما قال لهم يعقوب ذلك قالوا له بل قتله اللصوص فقال عليه السلم فكيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه احوج منهم
الى قتله قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى قال يعقوب لهم اذ اتهمهم فى يوسف لم ياكله الذئب ولم يقتله اللصوص ولكن زينت لكم
انفسكم امرا عملتموه عن قتادة وقيل سهل بعضكم لبعض امرا فى يوسف غير الذى قلتموه حتى سهل عليكم ففعلتموه عن ابي مسلم والجبائي و
انما رد يعقوب عليهم بوحى من الله عز اسمه وقيل كان ذلك حدثا بصاحب برايه فصادف ذهنه فصبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى الى
الناس وقيل فصبر جميل احسن واولى من الجزع الذى لا يغنى شيئا وقيل انما يكون الصبر جميلا اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه
الذى وجب فلما كان الصبر فى هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك ذكره المرتضى قدس الله روحه وقيل ان
البلاء نزل بيعقوب على كبره وبيوسف على صغره بلا ذنب كان منهما فاكب يعقوب على حزنه وانطلق يوسف فى رقه وكان ذلك فى
الله يرى ويسمع حتى اتى بالمخرج وكل ذلك امتحان والله المستعان على ما تصفون اى بالله استعين على دفع ما تصفون او به استعين
على تحمل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف فى الجب ثلاثة ايام قوله عز وجل وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا
بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ
ايتان القراءة قرا اهل المدينة يا بشرى بالف بغير ياء الا ان حمزة والكسائي وخلفا يميلون الراء وعاصم لا يميل والباقون يا بشرى
بفتح الياء واثبات الالف وفى الشواذ قراءة الجحدرى وابن ابى اسحق والحسن يا بشرى الحجة قال ابو على من قال يا بشرى فاضاف الى
الياء التى للمتكلم كان الالف التى هى حرف الاعراب عنده موضعان من وجهين احدهما ان الالف فى موضع نصب من حيث كان
نداء مضافا والاخر ان يكون فى موضع كسر من حيث كانت بمنزلة حرف الاعراب فى غلامى والدليل على استحقاقها لهذا الموضع قولهم
كسرت فى فلولا ان حرف الاعراب الذى يلى ياء الاضافة فى موضع كسر كما كسرت الفا من فى فلما كسرت كما كسرت من قولهم بفيك
وكما فتحت من قولهم رايت فاك لما كانت فى موضع الفتحة التى فى قولك رايت غلامك وانضمت فى قولك هذا فوك لاتباعه الضمة
فيها كالتى فى قولك هذا غلامك كذلك كسرت فى قولهم كسرت فى وهذا يدلك على انه ليس يعرب من مكانين الا ترى انها تبعت
حركة نظيرها الاعراب فى قولك كسرت فى يا هذا كما تبعت حركة الاعراب فى رايت فاك ومن قال يا بشرى احتمل وجهين احدهما ان
يكون فى موضع ضم مثل يا رجل لاختصاصه بالنداء والاخر ان يكون فى موضع نصب وذلك لانك اشعت النداء ولم تخص به كما فعلت
فى الوجه الاول فصار كقوله يا حسرة على العباد لان التنوين لم يلحق بشرى لانها لا تنصرف فاما من قرا يا بشرى فان تلك لغة هذيل
قال ابو ذويب سبقوا هوى واعنقوا لهويهم فتخرموا ولكل جنب مصرع وقال الاخر يطوف بى عكب فى معد ويطعن بالصملة فى
قفيا فان لم تثاروا لى من عكب فلا رويتما ابدا صديا وامثاله كثير اللغة الوارد الذى يتقدم الرفقة الى الماء ليستقى ويقول ادليت
الدلو اذا ارسلتها فى البئر ليملأها ودلوتها اذا اخرجتها ملأى والبضاعة قطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشئ اذا قطعته و
يقول منه المبضع لانه يبضع به العرق والشرى البيع قال الشاعر وشريت بردا ليتنى من بعد برد كنت هامة والثمن بدل الشئ من العين
او الورق ويقال فى غيرهما ايضا مجازا والبخس النقص من الحق يقال بخسه فى الكيل او الوزن اذا انقصه من حقه فيهما الاعراب قال الزجاج
معنى النداء فى يا بشرى وما فى معناها لا يجيب ولا يعقل انه على تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة اذا قلت يا عجباه وكانك قلت اعجبوا ويا ايها

اى فصبرى صبر جميل م

العجب هذا من حينك وكذلك اذا قلت يا بشرى فكانك قلت ابشروا ويا ايها البشرى هذا من ابانك وبضاعة منصوب على الحال والتقدير
واسروه جاعلين بضاعة ودراهم فى موضع جر لانه بدل من ثمن ومعدودة صفة للدراهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليست من صلة
الزاهدين والمعنى وكانوا من الزاهدين ثم بين فى اى شئ زهدوا فقال فيه كانه قال زهدوا فيه وهذا فى الظروف جائز ولا يجوز ذلك
فى المفعولات لو قلت كنت زيدا من الضاربين لم يجز لان زيدا من صلة الضاربين ولا يتقدم الصلة على الموصول المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال
يوسف بعد القائه فى الجب فقال وجاءت سيارة اى جماعة مارة قالوا وانما جاءوا من قبل مدين يريدون مصر فاخطاوا الطريق فانطلقوا
يهيمون على غير الطريق حتى نزلوا قريبا من الجب فى قفرة بعيدة من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحا فعذب وقيل كان
الجب بظهر الطريق فارسلوا واردهم اى فبعثوا من يطلب لهم الماء فقال بعثوا رجلا يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم الماء فادلى دلوه
اى فارسل دلوه فى البئر ليستقى فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون من الغلمان قال النبي صلى الله عليه وآله
اعطى يوسف شطر الحسن والنصف الاخر لساير الناس وقال كعب الاحبار كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوى الخلق
ابيض اللون غليظ الساقين والعضدين خميص البطن صغير السرة وكان اذا ابتسم رايت النور فى ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور
يلتهب عن ثناياه ولا يستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه ادم عليه السلم يوم خلقه الله عز وجل وصوره
ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما راه المدلى قال
يا بشرى هذا غلام عن قتادة والسدى وقيل انه نظر فى البئر لما ثقل عليه الدلو فراى يوسف فقال هذا غلام فاخرجوه عن الجبائي وقيل
ان بشرى رجل من اصحابه ناداه عن السدى واسروه بضاعة اى واسر يوسف الذين وجدوه من رفقائهم من التجار مخافة ان يطلبوا منهم
الشركة معهم فى يوسف فقالوا هذا بضاعة لاهل الماء دفعوه الينا لنبيعه لهم عن مجاهد والسدى وقيل معناه واسره اخوته يكتمون انه
اخوهم فقالوا هو عبد لنا قد ابق واختفى منا فى هذا الموضع وقالوا له بالعبرانية لئن قلت انا اخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لئلا
يقتلوه عن ابن عباس والله عليم بما يعملون اى بما يعمل اخوة يوسف وشروه بثمن بخس اى باعوه بثمن ناقص قليل عن عكرمة والشعبي وقيل
بخس حرام لان ثمن الحر حرام عن الضحاك ومقاتل والسدى وسمى الحرام بخسا لانه لا بركة فيه فهو منقوص البركة دراهم معدودة اى قليلة
ذكر العدد عبارة عن القلة وقيل انهم كانوا لا يزنون من الدراهم دون الاوقية وكانوا يزنون الاوقية وهى الاربعون فما زاد عليها
وكانت الدراهم عشرين درهما عن ابن مسعود وابن عباس والسدى وهو المروى عن على بن الحسين عليه السلم قال وكانوا عشرة فاقتسموها
درهمين درهمين وقيل كانت اثنين وعشرين درهما عن مجاهد وقيل كانت اربعين درهما عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهما عن ابي
عبد الله عليه السلم قال وكانوا عشرة واختلف فيمن باعه فقيل ان اخوة يوسف باعوه وكانوا هو ذا منتبذا ينظر على يوسف فلما اخرجوه
من البئر اخبر اخوته فاتوا مالكا وباعوه منه عن ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين وقيل باعه الواحدون بمصر عن قتادة وقيل ان الذين
اخرجوه من الجب باعوه من السيارة عن الاصم والاصح الاول وذكر ابو حمزة الثمالى فى تفسيره قال فلم يزل مالك بن دعر واصحابه يتعرفون من
الله الخير فى سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك وتحرك قلب مالك ليوسف فاتاه فقال اخبرنى من انت فانتسب له يوسف
ولم يكن مالك يعرفه فقال انا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم فالتزمه مالك وبكى وكان مالك رجلا عاقرا لا يولد له فقال ليوسف
لو دعوت ربك ان يهب لى ولدا فدعا يوسف ربه ان يهب له ولدا ويجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر بطنا فى كل بطن غلامان وكانوا فيه
من الزاهدين قيل يعنى به ان الذين اشتروه كانوا من الزاهدين فى شرائه لانهم وجدوا عليه علامة الاحرار واخلاق اهل النبل فلم يرغبوا
فيه مخافة ان يلحقهم تبعة فى استعباده وقيل معناه وكانوا من الزاهدين فى نفس يوسف لم يشتروه للتجبر وانما اشتروه للربح وقيل المراد
به الذين باعوه من اخوته كانوا غير راغبين فى يوسف ولا فى ثمنه ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به وكان قصدهم تبعيده وقيل كانوا من الزاهدين
فى يوسف لانهم لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه ولا تنافى بين هذه الاقوال فيجوز حمل الاية على جميعها وقيل ان الذين باعوه
بمصر كانوا من الزاهدين فى ثمنه لانهم علموا انه لقطة وليست ببضاعة قوله عز وجل وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ
عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ

وكان الجب م

اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ايتان اللغة الثواء الاقامة والمثوى موضع الاقامة
والاكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام وهو يتعاظم فاعلاه منزلة ما يستحق بالنبوة وادناه ما يستحق بخصلة من الطاعة والاشد جمع لا
واحد له وقيل هو واحد وان كان على وزن الجمع فهو مثل الآنك وهو الرصاص وقيل انه جمع واحده شد كما ان واحد الاشر شر قال
الشاعر هل غير ان كثر الاشر واهلكت حرب الملوك اكاثر الاموال الاعراب مصر لا ينصرف لانه مونث معرفة وان ينفعنا في موضع رفع
لكونه فاعل عسى وعسى هذه تامة لانها تمت بفاعلها واللام في قوله ولنعلمه محمولة على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه ولنعلمه المعنى ثم اخبر سبحانه
عن حال يوسف بعد ان بيع فقال وقال الذي اشتراه اى اشترى يوسف من مصر اى من اهل مصر لامراته اكرمي مثواه اى مقام يوسف و
موضع نزوله اى هيى له موضعا كريما شريفا وتقديرا لا يخلو الى مصر و باعوه وحذف ذلك للدلالة عليه وكان المشترى خازن فرعون
مصر وخليفته وصاحب جنوده واسمه قطفير وكان لا ياتي النساء وقيل ان اسمه اظفر وكان يلقب بالعزيز ومن كان بمكانه يسمى العزيز ومن
يسمى بالعزيز ممن لم يكن بمكانه نزع لسانه فلما عبر يوسف رؤيا الملك سمى العزيز وجعل مكان العزيز وكان باعه مالك بن ذعر باربعين
دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين عن ابن عباس وقيل انه عرضه على البيع في سوق مصر فتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا ومسكا
وحريرا عن وهب فاشتراه العزيز بهذا الثمن وقال لامراته راعيل ولقبها زليخا اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا اى عسى ان نبيعه فنربح على
ثمنه او نتخذه ولدا فانه لا ولد لنا وانما قال ذلك لما راى على يوسف من الجمال والعقل والهداية في الامور فعلى هذا فالعزيز هو خازن
الملك وخليفته والملك هو الريان بن الوليد رجل من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات
ويوسف بعد حى فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى ان يقبل وقال ابن عباس العزيز ملك مصر وكذلك
هو في حديث على بن الحسين عليه السلم وكذلك مكنا ليوسف في الارض اى كما انعمنا على يوسف بالسلامة والخروج من الجب مكناه في
الارض بان عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الامر والنهى من الارض التي كان يستولى عليها الملك
وهى ارض مصر ولنعلمه من تاويل الاحاديث قد مضى معناه والله غالب على امره اى على امر يوسف بحفظه ويرزقه حتى يبلغه ما قدر له من الملك
والنبوة ولا يكله الى غيره وقيل معناه والله غالب على امر نفسه لا يعجزه شئ من تدابيره وافعاله فهو الفاعل لما يشاء كيف يشاء ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان الله غالب على امر نفسه ان امر يوسف وقيل معناه لا يعلمون ما يصنع الله بيوسف وما يؤل اليه حاله ولما بلغ يوسف اشده
اى منتهى شبابه وقوته وكمال عقله وقيل الاشد من ثماني عشرة سنة الى ثلثين سنة عن ابن عباس وقيل ان اقصى الاشد اربعون سنة
وقيل ستون سنة وهو قول الاكثرين ويؤيده الحديث من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه وقيل ان ابتداء الاشد من ثلث وثلثين
سنة عن مجاهد وكثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك اتيناه حكما اى اعطيناه القول الفصل الذي يدعو الى الحكمة و
علما وهو تبيين الشئ على ما هو به مما يحل في القلب عن على بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة عن ابن عباس وقيل الحكم الدعاء الى دين
الله والعلم علم الشرع وقيل اراد الحكم على الناس والعلم بوجوه المصالح فان الناس كانوا اذا تحاكموا الى العزيز امره بان يحكم بينهم لما راى
من عقله واصابته في الراى وقيل هو العلم والعمل وهو الحكم وكذلك نجزى المحسنين اى مثل ما جزينا يوسف بصبره نجزى كل من احسن اى
فعل الافعال الحسنة من الطاعات وقيل ان المحسنين الصابرون على النوايب عن الضحاك وقيل هم المومنون عن ابن عباس وقيل
اراد به محمدا صلى الله عليه واله اى كما فعلنا بيوسف واعطيناه الملك بعد مقاساة البلاء والشدة كذلك نفعل بك يا محمد عن ابن جريج
قوله عز وجل وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواى
انه لا يفلح الظالمون اية القراءة قرا اهل المدينة والشام هيت لك بكسر الهاء وفتح التاء وقرا ابن كثير هيت لك بفتح الهاء وضم التاء
وقرا الباقون هيت لك بفتح الهاء والتاء وروى عن على عليه السلم والى رجاء وابى وابل ويحيى بن وثاب هئت لك بالهمزة وضم التاء
وروى ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعن عكرمة ومجاهد وقتادة وروى عن ابن عباس ايضا هيت لك بفتح الهاء وكسر التاء
وروى ذلك عن ابي الاسود وابن ابي اسحق وابن محيصن وعيسى الثقفى وروى ايضا عن ابن عباس هييت لك الحجة قال الزجاج في هيت لك
لغات واجودها هيت لك بفتح الهاء والتاء قال الشاعر ابلغ امير المومنين اخا العراق اذا اتيتا ان العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا

اى فاقبل وتعال وحكى قطرب انه انشده بعض اهل الحجاز لطرفة ليس قومي بالابعدين اذا ما قال داع من العشيرة هيت هم يجيبون
ذا هلم سراعا كالابابيل لا تغادر بيتا فهذا شاهد لابن كثير وكلها اسماء سمى بها الفعل بمنزلة صه ومه وايه والحركات في اواخرها لالتقاء الساكنين
فاما الفتح فلان قبل التاء ياء فهو كما قيل اين وكيف والكسر لان الاصل في التقاء الساكنين حركة الكسر واما الضم فلانها في معنى الغاية
كانها قالت دعائي لك فلما حذفت الاضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث ومنذ واما هئت بالهمز وضم التاء ففعل
تقول هئت اهيئ هيئة اى تهيات وقالوا ايضا هئت اهاء كخفت اخاف واما هئت لك ففعل صريح كقولك اصلحت لك واللام تتعلق
بنفس هيت وهيت وهيئت كما يتعلق بنفس هلم في قولهم هلم لك اللغة المراودة المطالبة بامر بالرفق واللين ومنه المرود لانه يعمل
به ولا يقال في المطالبة بدين راوده واصله من راد يرود اذا طلب المرعى وفي المثل الرائد لا يكذب اهله وهو في الاية كناية عما
يريد النساء من الرجال والتغليق اطباق الباب بما يعسر فتحه وانما شدد لتكثير الاغلاق او للمبالغة في الايثاق الاعراب
معاذ الله نصب على المصدر على تقدير اعوذ بالله معاذا تقول عذت عوذا وعياذا ومعاذا ومعاذة المعنى ثم اخبر سبحانه عن امراة
العزيز وما همت به فقال وراودته التي هو في بيتها عن نفسه اى وطالبت يوسف المراة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهى زليخا والمعنى
طلبت منه ان يواقعها وغلقت الابواب على نفسها وعليه بابا بعد باب قالوا وكانت سبعة ابواب وقيل اراد باب الدار وباب البيت وقالت
هيت لك اى هلم لك عن ابن عباس والحسن ومعناه اقبل وبادر الى ما هو مهيأ لك قال يوسف معاذ الله اى اعتصم به واستجير بما دعوتني
اليه وتقديره عياذا بالله ان اجيب الى هذا فكانه عليه السلم اظهر الاباء وسال الله سبحانه ان يعيذه ويعصمه من فعل ما دعته اليه
انه ربي احسن مثواى الهاء عائد الى زوجها عند اكثر المفسرين ومعناه ان العزيز زوجك مالكي احسن تربيتي واكرامي وبسط يدي ورفع
منزلتي فلا اخونه وانما سماه ربا لما ثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل ان الهاء عائد الى الله سبحانه والمعنى ان الله ربي رفع من محلي
واحسن الى وجعلني نبيا فلا اعصيه ابدا انه لا يفلح الظالمون دل سبحانه على انه لو فعل ما دعته اليه لكان ظالما وفي هذه الاية دلالة على ان
يوسف لم يهم بالفاحشة ولم يردها بقبيح لان من هم بالقبيح لا يقول مثل ذلك قوله عز وجل ولقد همت به وهم بها لولا ان راى
برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين اية القراءة قرا اهل المدينة والكوفة المخلصين
بفتح اللام والباقون بكسر اللام في جميع القران الحجة قال ابو على حجة من كسر اللام قوله اخلصوا دينهم لله ومن فتح اللام فيكون بنى الفعل
للمفعول به ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحدا فاذا اخلصوهم دينهم فهم مخلصون واذا اخلصوا فهم مخلصون اللغة الهم في
اللغة على وجوه منها العزم على الفعل كقوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم اى ارادوا ذلك وعزموا عليه ومنه قول ضابى البرجمى
هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكى حلايله وقول حاتم طى ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الايام والدهر مقدما
وقول الخنساء وفضل مرداسا على الناس حلمه وان كل هم همه فهو فاعله ومنها خطور الشئ بالبال وان لم يقع العزم عليه كقوله اذ همت
طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما يعني ان الفشل خطر بالهم ولو كان الهم هاهنا عزما لما كان الله وليهما لان العزم على المعصية
معصية ولا يجوز ان يكون الله ولى من عزم على الفرار عن نصرة نبيه عليه السلم ويقوى ذلك قول كعب بن زهير فكم فيهم من فارس
متوسع ومن فاعل للخير ان هم او عزم ومنها ان يكون بمعنى المقاربة قالوا هم فلان ان يفعل كذا اى كاد ان يفعله قال ذو الرمة
اقول لمسعود بجرعاء مالك وقد هم دمعي ان يلج اوايله والدمع لا يجوز عليه العزم ومعناه كاد وقارب وقال ابو الاسود الدؤلى وكنت
متى تهمم يمينك مرة لتفعل خيرا تقتفيها شمالكا وعلى هذا جاء قوله جدارا يريد ان ينقض اى يكاد وقال الحارثى يريد الرمح صدر
ابى براء ويرغب عن دماء بنى عقيل ومنها الشهوة وميل الطباع يقول القائل فيما يشتهيه ويميل طبعه اليه هذا اهم الاشياء الى
وفي ضده ليس هذا من همى واذا كانت معاني الهم في اللغة مختلفة يجب ان ننفي عن نبي الله يوسف عليه السلم ما لا يليق به وهو
العزم على القبيح لان الدليل قد دل على ان الانبياء عليهم السلم لا يجوز عليهم المعاصي والقبايح واجزنا عليه ما سواه من معاني الهم
لان كل واحد يليق بحاله المعنى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه اختلف العلماء فيه على قولين احدهما انه لم يوجد
من يوسف ذنب كبير ولا صغير والاخر انه وجد منه العزم على القبيح ثم انصرف عنه واما الاولون فانهم اختلفوا في تاويل الاية على وجوه

والامر

ان الهم فى ظاهر الاية قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم به على الحقيقة لانه قال و لقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما و ذاتاهما لا يجوز ان يراد ويعزم عليهما لان الموجود الباقى لا يصح ان يراد ويعزم عليه فاذا حملنا الهم فى الاية على العزم فلابد من تقدير امر محذوف يتعلق العزم به وقد امكن ان يعلق عزمه عليه السلام بغير القبيح ونجعله متناولا لضربها او دفعها عن نفسه فكانه قال و لقد همت بالفاحشة منه وارادت ذلك وهم يوسف بضربها و دفعها عن نفسه كما يقال هممت بفلان اى بضربه او ايقاع مكروه به وعلى هذا فيكون معنى رؤية البرهان ان الله سبحانه اراه برهانا على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها او قتلوه او ادعت عليه المراودة على القبيح وقرفته بانه دعاها اليه وضربها لامتناعها منه فاخبر سبحانه انه صرف عنه السوء و الفحشاء اللذين هما القتل وظن اقتراف الفاحشة به ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لفعل ذلك ويكون جواب لولا محذوفا كما حذف فى قوله تعالى و لولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله غفور رحيم وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين اى لولا فضل الله لهلكتم ولو تعلمون علم اليقين لم يلهكم التكاثر ومثله قول امرء القيس فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا يريد لو انها نفس تموت سوية لنقضت وفنيت فحذف الجواب تعويلا على ان الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون جواب لولا محذوفا يدل عليه قوله وهم بها ولا يجوز ان يكون قوله وهم بها جوابا للولا لان جواب لولا لا يتقدم عليه وثانيها ان نحمل الكلام على التقديم والتاخير ويكون التقدير ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها ولما راى برهان ربه لم يهم بها ويجرى ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا ان تداركتك وقد كنت قتلت لولا انى خلصتك والمعنى لولا تداركى لهلكت ولولا تخليصى اياك لقتلت وان كان لم يقع هلاك وقتل ومثله قول الشاعر فلا تدعنى قومى ليوم كريهة لئن لم اعجل ضربة او اعجل وقال اخر فلا تدعنى قومى صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر وفى القران ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها وهذا الوجه اختاره ابو مسلم وهو قريب من الاول وثالثها ان معنى قوله وهم بها اشتهاها ومال طبعه الى ما دعته اليه وقد يجوز ان يسمى الشهوة هما على سبيل التوسع والمجاز ولا قبح فى الشهوة لانها من فعل الله تعالى وانما يتعلق القبيح بالمشتهى وقد روى هذا التاويل عن الحسن قال اما همها فكان اخبث الهم واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال همها القصد وهمه انه تمناها ان تكون زوجة له وعلى هذا الوجه فيجب ان يكون قوله لولا ان راى برهان ربه متعلقا بمحذوف ايضا كانه قال لولا ان راى برهان ربه لعزم او فعل **سوال** قالوا ان قوله و لقد همت به وهم بها خرجا مخرجا واحدا فلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بغير القبيح **وجوابه** ان الظاهر لا يدل على ما تعلق به الهم فيهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة القران والاثار به ولانها ممن يجوز عليها فعل القبيح والشاهد لذلك من الكتاب قوله وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وقوله وقال نسوة فى المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله انا لنراها فى ضلال مبين وقوله حكاية عنها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والشاهد من الاثار اجماع المفسرين على انها همت بالمعصية والفاحشة واما يوسف عليه السلام فقد دلت الادلة العقلية التى لا يتطرق اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه فاما الشاهد من القران على انه ما هم بالفاحشة قوله سبحانه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب وغير ذلك من قوله قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعزم على الفاحشة من اكبر السوء واما الفرقة الاخرى فانهم قالوا فيه ما لا يجوز نسبته الى الانبياء فقال بعضهم انه قعد بين رجليها وحل تكة سراويله وقال بعضهم حل السراويل حتى بلغ الثنن وجلس منها مجلس الرجل من امراته وقد نزهه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وامثال ذلك مما عددناه فاما البرهان الذى رآه فقد اختلف فيه على وجوه احدها انه حجة الله سبحانه فى تحريم الزنا والعلم بالعقاب الذى يستحقه الزانى عن محمد بن كعب والجبائى وثانيها انه ما اتاه الله سبحانه من اداب الانبياء واخلاق الاصفياء فى العفاف وصيانة النفس عن الادناس عن ابى مسلم وثالثها انه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصارفة عن القبائح روى ذلك عن الصادق عليه السلام ورابعها انه كان فى البيت صنم فالقت المراة عليه ثوبا فقال عليه السلام اذا كنت تستحيين من الصنم فانا احق ان استحيى من الواحد القهار عن على بن الحسين زين العابدين عليه السلام وخامسها انه اللطف الذى لطف الله تعالى به فى تلك الحال او قبلها فاختار عنده الامتناع عن المعاصى وهو ما يقتضى كونه معصوما لان

والتقية ايضا ... والعاقبة ...

العصمة هى اللطف الذى يختار عنده التنزه عن القبائح والامتناع من فعلها ويجوز ان يكون الرؤية ههنا بمعنى العلم كما يجوز ان يكون بمعنى الادراك فاما ما ذكر فى البرهان من الاشياء البعيدة بانه قيل انه سمع قائلا يقول يا ابن يعقوب لا تكونن كالطير له ريش فاذا زنا ذهب ريشه وقيل انه راى صورة يعقوب عاضا على انامله وقيل انه راى كفا ظهرت فيما بينهما مكتوبا عليه النهى عن ذلك فلم ينته فارسل الله سبحانه جبرئيل وقال ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فرآه عاضا على اصبعه فكل هذا سوء ثناء على الانبياء مع ان ذلك ينافى التكليف ويقتضى ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحا ولا ثوابا وهذا من اقبح القول فيه عليه السلام كذلك لنصرف عنه السوء اى كذلك اريناه البرهان لنصرف عنه السوء اى الخيانة والفحشاء اى ركوب الفاحشة وقيل السوء الاثم والفاحشة الزنا انه من عبادنا المخلصين اى المصطفين المختارين للنبوة وبكسر اللام المخلصين فى العبادة والتوحيد اى من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله واخلصوا انفسهم لله وهذا يدل على تنزيه يوسف وجلالة قدره عن ركوب القبيح والعزم عليه قوله عز وجل واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين

خمس ايات **القراءة** فى الشواذ قراءة ابن يعمر وابن ابى اسحق ونوح القارى من قبل ومن دبر بثلث ضمات من غير تنوين **الحجة** قال ابن جنى ينبغى ان يكونا غايتين كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد كانه يريد وقدت قميصه من دبره وان كان قميصه قد من قبله فلما حذف المضاف اليه وهو مراد صار المضاف غاية نفسه بعد ما كان المضاف اليه غاية له **اللغة** القد شق الشئ طولا ومثله القد الاديم يقال قده يقده قدا فهو مقدود اذا كان ذاهبا فى الطول على استواء وفى الحديث كانت ضربات على بن ابى طالب عليه السلام ابكارا كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط والقد بكسر القاف السير المقطوع طولا والالفاء المصادفة قال ذو الرمة ومطعم الصيد هبال لبغية الفى اتاه بذاك الكسب يكتسب اى وجد اباه والكيد طلب الشئ بما يكرهه كما طلبت المراة يوسف بما يكرهه وياباه والخطيئة العدول عما تدعو اليه الحكمة الى ما يزجر عنه ويقال لصاحبه خطئ يخطئ خطأ فهو خاطئ اذا وقع ذلك منه عن قصد فاذا وقع عن غير قصد قيل اخطأ المقصد فهو مخطئ فاصل الخطأ العدول عن الغرض الحكمى بقصد او غير قصد قال امية عبادك يخطئون وانت رب بكفيك المنايا والحتوم **الاعراب** انما عطف قوله عذاب اليم على الفعل لان تقديره الا السجن او عذاب ومن فى قوله قد من دبر ومن قبل لابتداء الغاية لان ابتداء القد كان منها ومن فى قوله من الكاذبين للتبعيض لانه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاهد ان كان لانه ذهب مذهب القول فى الحكاية كما ان قوله يوصيكم الله فى اولادكم كذلك وتقديره يوصيكم الله ان المال للذكر مثل حظ الانثيين وقوله ان كان قميصه قال ابو العباس المبرد معناه ان يكن وجاز ذلك فى كان لانها ام الباب كما جاز فى التعجب ما كان احسن زيدا ولم يجز ما اصبح احسنه وقال ابو بكر السراج ان يكن بمعنى ان يصح قد قميصه من دبر وقوله فلما راى الرؤية هنا يحتمل امرين احدهما ان يكون بمعنى رؤية العين فلا يكون رؤية للقد ويكون قوله قد من دبر فى موضع الحال وانما يكون رؤية للقميص والاخر ان يكون بمعنى العلم فيكون رؤية للقد وانما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث **المعنى** واستبقا الباب يعنى تبادرا الباب اى طلب كل واحد من يوسف وامراة العزيز السبق الى الباب اما يوسف فانه انما كان يقصد ان يهرب منها ومن ركوب الفاحشة واما هى فانما كانت تطلب يوسف ليقضى حاجتها منه وتقصد ان تغلق الباب وتمنعه من الخروج وتراوده ثانيا عن نفسه وقدت قميصه من دبر اى لحقت يوسف فجذبت قميصه وشقته طولا من خلفه لان يوسف كان هاربا وهى تعدو من خلفه وقيل ان يوسف راى الابواب قد انفتحت فعلم ان الصواب هو الخروج فخرج هاربا وقيل بل اخذ يفتح الابواب فادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فشقته والفيا سيدها لدى الباب اى فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب وسماه سيدها لانه مالك امرها قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم يعنى ان المراة سبقت بالكلام لتورك الذنب على يوسف فقالت لزوجها ليس جزاء من اراد باهلك خيانة الا ان يحبس وان يضرب بالسياط ضربا وجيعا عن ابن عباس قالوا و لو صدق حبها لم تقل ذلك ولاثرته على نفسها ولكن حبها اياه كان شهوة قال هى راودتنى عن نفسى لما ذكرت المراة ذلك لم يجد

زنام

بدت

والفحشاء

يوسف بدا من تنزيه نفسه بالصدق ولو كفت عن الكذب عليه لكف عليه السلم عن الصدق عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء الذي نسبتني اليه وشهد شاهد من اهلها قال ابن عباس وسعيد بن جبير انه صبي في المهد وقيل كان الصبي ابن اخت زليخا وهو ابن ثلثة اشهر وروي عن ابن عباس ايضا في رواية اخرى وعن الحسن وقتادة وعكرمة انه شهد رجل حكيم من اهلها بتنزيه يوسف واختاره الجبائي قال لو كان طفلا لكان قوله معجزا لا يحتاج معه الى التباس وقيل كان الرجل ابن عم زليخا وكان جالسا مع زوجها عند الباب عن السدي ان كان قميصه قد اي شق من قبل فصدقت المراءة وهو من الكاذبين فيما ادعى يعني يوسف لانه كان هو القاصد وهي الدافعة وان كان قميصه قد من دبر اي من خلف فكذبت المراءة وهو اي يوسف من الصادقين لانه الهارب وهي الطالبة وهذا امر ظاهر واستدلال صحيح فلما راى قميصه قد من دبر اي فلما راى زوجها قميص يوسف شق من خلف عرف خيانة المراءة وقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وقيل هو من قول الشاهد وانما وصف كيدهن بالعظم لانها حين فاجات زوجها عند الباب لم يدخلها دهش ولم تتحير في امرها ووركت الذنب على يوسف ولان قليل حيل النساء اسبق الى قلوب الرجال من كثير من حيل الرجال يوسف اعرض عن هذا يعني ان الشاهد قال يا يوسف امسك عن هذا الحديث اي عن ذكرها حتى لا يفشو في البلد عن ابن عباس وقيل انما قاله زوجها وقيل معناه لا تلتفت يا يوسف الى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل طلب البراءة فقد ظهرت براءتك عن ابي مسلم والجبائي ثم اقبل على زليخا فقال واستغفري لذنبك اي سلي زوجك ان لا يعاقبك على ذنبك انك كنت من الخاطئين اي من المذنبين وقيل انه لم يكن غيورا اسلبه الله الغيرة لطفا منه بيوسف حتى كفي شره ولذلك قال ليوسف اعرض عن هذا واقتصر على هذا القدر وقيل معناه استغفري الله من ذنبك وتوبي اليه فان الذنب كان منك لا من يوسف فانهم كانوا يعبدون الله مع عبادتهم الاصنام قوله عز وجل وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ست ايات القراءة روي عن ابي جعفر متكا بغير همز مشددة التاء والباقون متكاء بالهمز والتشديد وروي في الشواذ قراءة مجاهد متكا خفيفة ساكنة التاء وروي ذلك عن ابن عباس وروي عن علي عليه السلم وعن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلم وعن الحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف ومجاهد بخلاف وابن محيصن قد شعفها بالعين وروي عن ابن مسعود وابي بن كعب حاشا لله وعن الحسن حاش الاله وفي رواية اخرى حاش لله بسكون الشين وقرا يعقوب وحده السجن احب الي بفتح السين والباقون بكسرها الحجة قال الزجاج معنى شعفها بالعين ذهب بها كل مذهب مشتق من شعفات الجبال اي رؤس الجبال يقال فلان مشعوف بكذا اي قد ذهب به الحب اقصى المذاهب قال ابن جني معناه وصل حبه الى قلبها فكاد يحرقه لحدته واصله من البعير يهنأ بالقطران فيصل حرارة ذلك الى قلبه قال امرؤ القيس ليقتلني وقد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالي واما القراءة المشهورة شغفها بالغين فمعناه انه خرق شغاف قلبها وهو غلافه فوصل الى قلبها واما المتكا فهو ما يتكا عليه لطعام او شراب او حديث واصله موتكا مفتعل من وكات مثل موتزن من الوزن واما من قرا متكا فيجوز ان يكون مفتعلا من قوله اذا شرب المرضة قال اوكي على ما في سقائك قد روينا يقال اوكيت السقاء اذا شددته واما متكا فانهم قالوا المتك الاترج واحدته متكة وقيل ايضا هو الزماورد واما حجة ابي عمرو في قوله حاشي لله فقول الشاعر حاشي ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وقال ابو علي لا يخلو قولهم حاشا الله من ان يكون الحرف الجار في الاستثناء كما ذكرناه في البيت او فاعل من قولهم حاشي يحاشي ولا يجوز ان يكون حرف الجر لا يدخل على مثله ولان الحرف لا يحذف اذا لم يكن فيها تضعيف فاذا بطل ذلك ثبت انها فاعل ماخوذ من الحشاء الذي هو الناحية والمعنى انه صار في حشا اي ناحية مما قرف به وفاعله يوسف والمعنى بعد عن هذا الشيء الذي رمي به لله اي لخوفه من الله ومراقبته امره ومن حذف الالف فكما حذف من لم يك ولا ادر واذا اريد به حرف الجر يقال حاشا وحاش و

ثلث لغات قال الشاعر حشا رهط النبي فان فيهم بحورا لا يقطعها الدلاء واما من قرا حاش لله فعلى اصل اللغة يكون حرف جر كما جاء في البيت حاشي ابي ثوبان واما حاش الاله فمحذوف من حاشا تخفيفا وهو كقولك حاشي المعبود ومنه قول الشاعر لعن الاله وزوجها معها هند الهنود طويلة الفعل واما حاش لله فضعيف لالتقاء الساكنين فيه ولاسكان الشين بعد حذف الالف ولا موجب لذلك واما من فتح السين من السجن فجعله مصدرا ومعناه ان اسجن احب الي ومن كسر فعلى اسم المكان والمعنى نزول السجن احب الي اللغة العزيز المنيع بقدرته من ان يضام في امر وسمي بذلك لانه كان ملكا ممتنعا بملكه واتساع مقدرته قال ابو دواد درة غاص عليها تاجر جلبت عند عزيز يوم ظل والفتى الغلام الشاب والمراءة فتاة قال ابو مسلم والزجاج وتسمي العرب العبد فتى والمكر الفتل بالحيلة الى ما يراد من الطلبة وجارية ممكورة الساقين واعتدت ماخوذ من العتاد مثله اعددت والمتكا الوسادة وهي النمرق الذي تتكا عليه وقيل هو الاترج وانكر ذلك ابو عبيدة قال ولا يمتنع ان يكون في ذلك المجلس فواكه واترج فاما ان يعرف ذلك من هذا القول فلا والاكبار الاعظام والاجلال وقال قوم معنى اكبرنه الحضن حضن حين راينه وانشد واقول الشاعر ياتي النساء على اطهارهن ولا ياتي النساء اذا اكبرن اكبارا وانكر ذلك ابو عبيدة وقال لا نعرف ذلك في اللغة ولكن يجوز ان يكن قد حضن من شدة اعظامهن اياه والبيت مصنوع لا تعرفه العلماء بالشعر والسجن المنع عن التصرف بالحبس سجن يسجن سجنا والاستعصام الامتناع عن طلب المعصية والاستعصام طلب العصمة من الله تعالى والصاغر من الصغار صغر يصغر صغارا وهو الذل والهوان والصبى رقة الهوى يقال صبا يصبو صبى فهو صاب قال الى هند صبا قلبي وهند مثلها يصبي وقال صبا صبوة بلج وهو لجوج وزالت له بالانعمين حموج الاعراب وقال نسوة انما حذف منه حرف التانيث لانه تانيث جمع وتانيث الجمع تانيث لفظ يبطل تانيث المعنى لانه لا يجتمع في الاسم الواحد تانيثان وكذلك يبطل تذكير المعنى في رجال واذا صار كذلك جاز فيه الحمل على اللفظ والحمل على المعنى فيؤنث ويذكر وقوله ما هذا بشرا نصب بشرا على مذهب اهل الحجاز في اعمال ما عمل ليس في رفع الاسم ونصب الخبر واما بنو تميم فلا يعملونها قال لشتان ما انوي وينوي بنو ابي جميعا فما هذان مستويان تمنوا الى الموت الذي يشعب الفتى وكل فتى والموت يلتقيان وروي عن الحسن انه قرا ما هذا بشرا اي ليس هو بمملوك وهو شاذ فذلكن الكاف للخطاب لا للضمير فلا موضع له من الاعراب والاسم ذا وهو في موضع رفع على الابتداء والذي لمتنني فيه موصول وصلة في موضع خبر وليكونن من الصاغرين هذه النون الخفيفة التي يتلقى بها القسم واذا وقفت عليها وقفت عليها بالالف تقول ولنكونا وهي بمنزلة التنوين الذي يوقف عليه بالالف نحو قولك رايت رجلا قال الاعشى وصل على حين العشيات والضحى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا اي فاعبدن فابدل في الوقف من النون الف ثم بدا لهم فاعله مصدر مضمر على تقدير بدا لهم بداء وقد اظهره الشاعر في قوله لعلك والموعود حق لقاؤه بدا لك من تلك القلوص بداء ولا يجوز ان يكون ليسجننه في موضع الفاعل لان الجملة لا تكون فاعلة المعنى ثم ذكر سبحانه شياع هذه القصة فقال وقال نسوة في المدينة اي جماعة من النساء في المصر الذي كان فيه الملك وزوجته ويوسف امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه اي امراة الملك تدعو مملوكها الى نفسها ليفجر بها قد شغفها حبا اي لحبته حبا دخل شغاف قلبها انا لنراها في ضلال مبين اي في خطاء بين وذهاب عن طريق الرشد بدعائها مملوكها الى الفجور بها قال الكلبي هن اربع نسوة امراة ساقي الملك وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وقال مقاتل كن خمسا وزاد امراة الحاجب فلما سمعت بمكرهن اي لما سمعت الامراة تعييرهن اياها وقصدهن اشاعة امرها وسماه مكرا لان قصدهن من هذا القول كان ان يرين يوسف لما وصفت لهن من حسنه مخالف ظاهر الكلام باطنه فسمي ذلك مكرا وقيل لانها اظهرت لهن حبها اياه واستكتمتهن ذلك فاظهرته فسمي ذلك مكرا ارسلت اليهن فاستضافتهن قال وهب اتخذت مائدة ودعت اربعين امراة منهن واعتدت لهن متكا اي اعدت لهن وسائد يتكئن عليها عن ابن عباس والاتكاء الميل الى احد الشقين وقيل اراد بقوله متكا الطعام من قول العرب اتكانا عند فلان اي طعمنا عنده واصله من دعي الى طعام يعد له المتكا فسمي الطعام متكا على الاستعارة وقال الضحاك كان ذلك الطعام الزماورد وقال عكرمة هو كل ما يحز بالسكين لانه يوكل في الغالب على متكا وقال سعيد بن جبير انه كل طعام وشراب على عمومه وبه قال الحسن واما المتك فقد قيل انه الاترج على ما تقدم بيانه وقال السدي بل هو المجلس وكل شيء يحز بالسكين يقال له متك واتت كل واحدة منهن سكينا اي واعطت كل واحدة من تلك النسوة سكينا ليقطع به الفواكه والاترج على ما هو العادة بين الناس وقالت اخرج عليهن اي قالت امراة

اي مفتولة الساقين م

رقة القلب م

الملك ليوسف عليه السلام وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فامرته بالخروج عليهن في هيئته اما للخدمة او للسلام او ليرينه ولم يكن يتهيأ له ان
لا يخرج لانه بمنزلة العبد لها عن الزجاج فلما رأينه اكبرنه اي اعظمنه وتحيرن في جماله اذ كان كالقمر ليلة البدر وقطعن ايديهن بتلك
السكاكين على جهة الخطاء بدل قطع الفواكه فما احسسن الا بالدم لم يجدن ألم القطع لاشتغال قلوبهن بيوسف عن مجاهد والمعنى جرحن
ايديهن حتى دميت وليس معناه ابنّ ايديهن وهذا مستعمل في الكلام يقول الرجل قد قطعت يدي يريد قد خدشتها وقيل انهن ابنّ ايدين
حتى القينا عن قتادة وقلن حاش لله وحاشا الله اي صار يوسف في حشا اي في ناحية مما قرّفن به اي لم يلابسه والمعنى بعد يوسف
عن هذا الذي رمي به لله اي لخوفه ومراقبة امر الله هذا قول اكثر المفسرين قالوا هذا تنزيه ليوسف عما رمته به امراة العزيز وقال اخرون
هذا تنزيه له عن شبه البشر لفرط جماله ويدل على هذا سياق الآية ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم اي برفع الله منزلته عن منزلة البشر ونعوذ
بالله ان نقول انه بشر ومعناه انه منزه ان يكون بشرا وليس صورته صورة البشر ولا خلقته خلقة البشر ولكنه ملك كريم لحسنه ولطافته
وروي عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية رأيت رجلا صورته
صورة القمر ليلة البدر قلت يا جبرئيل من هذا قال هذا اخوك يوسف وقيل معناه ليس هذا الا ملك كريم في عفته قال الجبائي وهذا يدل
على ان الملك افضل من بني آدم لانهن ذكرن من هو في نهاية الفضل ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهن وهذا من ركيك الاستدلال لانه
سبحانه انما حكى عن النساء اعظامهن ليوسف حين رأين جماله وبعده عن السوء فشبهنه بالملك ولم يقصدن كثرة الثواب الذي هو حقيقة
الفضل وانما لم ينكره سبحانه عليهن لانه علم انهن لم يقصدن في كلامهن ما حمله عليه الجبائي على ان الظاهر يقتضي انهن نفين ان يكون يوسف
من البشر وقطعن على انه ملك وهذا كذب ولم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم من انهن يقصدن بذلك تشبيه حاله بحال الملائكة قالت
امراة العزيز للنسوة اللاتي عذلنها في محبتها ليوسف فذلكن الذي لمتنني فيه اي هذا هو ذلك الذي لمتنني في امره وفي حبه وشغفي به
جعلت اعظامهن اياه عذرا لها والمعنى هذا الذي اصابكن في رؤيته مرة واحدة ما اصابكن من ذهاب العقل فكيف عذلتنني في حبي اياه
وانا انظر اليه آناء ليلي ونهاري ثم اعترفت ببراءة يوسف واقرت على نفسها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اي امتنع عنه وقيل
امتنع بالله وسأله العصمة من فعل القبيح وفي هذا دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبيح ثم توعدته بايقاع المكروه به ان لم يطعها فيما تدعوه
اليه ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين اي وان لم يطعني يجبني الى ما ادعوه اليه يحبس في السجن وليكونن من الاذلاء
فلما رأى يوسف اصرارها على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية فقال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه معناه يا رب ان السجن
احب الي واسهل علي مما يدعونني اليه من الفاحشة وفي هذا دلالة على ان النسوة دعونه الى مثل ما دعته اليه امراة العزيز وفي حديث ابي
حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام ان النسوة لما خرجن من عندها ارسلت كل واحدة منهن الى يوسف سرا من صاحبتها تسأله
الزيارة وقيل انهن قلن له اطع مولاتك واقض حاجتها فانها المظلومة وانت الظالم وقيل انهن لما رأين يوسف استاذن امراة العزيز
بان تخلو كل واحدة منهن به وتدعوه الى ما ارادته منه الى طاعتها فلما خلون به دعته كل واحدة منهن الى نفسها فلذلك قال مما يدعونني
اليه وسأل فيقال كيف قال يوسف السجن احب الي مما يدعونني اليه ولا يجوز ان يراد السجن الذي هو المكان وان عني به السجن الذي هو المصدر
فان السجن معصية كما ان ما دعونه اليه معصية فلا يجوز ان يريده فالجواب انه لم يرد المحبة التي هي الارادة وانما اراد ان ذلك اخف علي
واسهل ووجه آخر ان المعنى لو كان مما اريده لكان ارادتي له اشد وقيل ان معناه توطيني النفس على السجن احب الي من توطيني النفس
على الزنا عن ابي علي الجبائي وان لا تصرف عني كيدهن يعني ضرر كيدهن بالطافك لان كيدهن قد وقع وحصل اصب اليهن اي امل اليهن او الى
قولهن بهواي والصبوة لطافة الهوى واكن من الجاهلين اي من المستحقين لصفة الذم بالجهل وقيل معناه اكن بمنزلة الجاهلين في فعلي
فاستجاب له ربه فصرف كيدهن اي فاجاب له ربه فيما دعاه فعصمه من مكرهن فان قيل ما معنى سؤال يوسف اللطف من الله وهو عالم بان الله يفعله
لا محالة فالجواب يجوز ان يتعلق المصلحة بالالطاف عند الدعاء المجدد ومتى قيل كيف علم انه لولا اللطف لركب الفاحشة واذا وجد اللطف
امتنع قلنا لما وجد في نفسه من الشهوة وعلم انه لولا لطف الله لارتكب القبيح وعلم ان الله سبحانه يعصم انبياءه بالالطاف وان من لا يكون
له لطف لا يبعث الله نبيا قال الجبائي وفي الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم من الله سبحانه وتعالى انه يكون لان يوسف كان عالما بانه ان كان

نفعالت

العذل اللوم وبذعذلته بالتحريك انا عذل لي نفسم صح

له لطف فلا بد ان يكون الله يفعل ذلك به ومع هذا سأله ذلك ولا تدل الآية على ما قاله لما قلناه من انه يجوز ان يكون سأله التجويز
ان يكون له لطف عند الدعاء ولو لم يدع لم يكن ذلك لطفا فما سأل الا ما جوز ان لا يكون لو لم يدع انه هو السميع العليم اي السميع لدعاء
الداعي العليم باخلاصه في دعائه وبما يصلحه من الاجابة او يفسده ثم بدا لهم اي ظهر لهم من بعد ما رأوا الآيات وانما لم يقل لهن مع تقدم
ذكر النسوة لانه اراد به الملك وقيل اراد به زليخا واعوانها فغلب المذكر واراد بالآيات العلامات الدالة على براءة يوسف وهي قد القميص
من دبر وحز الايدي عن قتادة وغيره وقيل يريد بالآيات العلامات الدالة على الاياس منه وقوله بدا فاعله مضمر وتقديره ثم بدا
لهم بدا ليسجننه حتى حين ودل ليسجننه عليه فان السجن هو الذي بدا لهم قال السدي وذلك ان المراة قالت لزوجها هذا ان العبد
قد فضحني في الناس من حيث انه يخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذري فاما ان تاذن لي فاخرج واعتذر
واما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وقيل ان الغرض من الحبس ان يظهر للناس ان الذنب كان له لانه انما يحبس المجرم وقيل
كان الحبس قريبا منها فارادت ان يكون بقربها حتى اذا اشرفت عليه رأته وقوله حتى حين قيل الى سبع سنين عن عكرمة وقيل
الى خمس سنين عن الكلبي وقيل الى وقت ينسى حديث المراة معه وينقطع فيه عن الجبائي قوله عز وجل ودخل معه السجن فتيان قال
احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين
قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم
بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا
وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون ثلث آيات اللغة قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى فيجوز ان يكون الفتيان
حدثين او شيخين وقال غيره يقال للعبد فتى وللامة فتاة وفي الحديث لا يقولن احدكم عبدي وامتي ولكن فتاي وفتاتي والتأويل
الخبر عما حضر بما يؤول اليه امره فيما غاب ولذلك قال قبل ان يأتيكما وتأويل القرآن ما يؤول اليه من المعنى اي يرجع اليه والتعليم
تفهيم الدلالة المؤدية الى العلم بالمعنى وقد يكون الاعلام بالمعنى في القلب والاتباع اقتفاء الاثر وهو طلب اللحاق بالاول الاعراب
هم الثانية دخلت للتوكيد لانه لما دخل بينهما قوله بالآخرة صارت الاولى كالملغاة وصار الاعتماد على الثانية كما قال وهم بالآخرة
هم يوقنون وكما قال ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون المعنى ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف في السجن فقال
ودخل معه السجن فتيان والتقدير فسجن يوسف ودخل معه السجن شابان حدثان وقيل انهما مملوكان لملك مصر الاكبر واسمه الوليد
ابن ريان وكان احدهما صاحب شرابه والآخر صاحب طعامه فنمي اليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه وظن ان الآخر ساعده
على ذلك وما لأه عليه عن قتادة والسدي قال احدهما اني اراني اعصر خمرا هو من رؤيا المنام كان يوسف عليه السلام لما دخل
السجن قال لاهله اني اعبر الرؤيا فقال احد العبدين لصاحبه هلم فلنجربه فسألاه من غير ان يكونا رأيا شيئا عن ابن مسعود وقيل بل
رأياه على صحة وحقيقة ولكنهما كذبا في الانكار عن مجاهد والجبائي وقيل ان المصلوب منهما كان كاذبا والآخر صادقا عن ابي مجلز
ورواه علي بن ابراهيم ايضا في تفسيره عنهم عليهم السلام والمعنى قال احدهما وهو الساقي رأيت اصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها
في كأس الملك وسقيته اياها وتقديره اعصر عنب خمر اي العنب الذي يكون عصيره خمرا فحذف المضاف قال الزجاج وابن الانباري
العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول اليه اذا وضح المعنى ولم يلتبس يقولون فلان يطبخ الآجر ويطبخ الدبس وانما يطبخ اللبن والعصير
وقال قوم ان بعض العرب يسمون العنب خمرا حكى الاصمعي عن المعتمر بن سليمان انه لقي اعرابيا معه عنب فقال ما معك قال خمر وهو قول
الضحاك فيكون معناه اني اعصر عنبا وروي في قراءة عبد الله وأبي جميعا اني اراني اعصر عنبا وقال الآخر اني اراني احمل فوق رأسي خبزا
تأكل الطير منه معناه وقال صاحب الطعام اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منه نبئنا
بتأويله اي اخبرنا بتعبيره وما يؤول اليه امره انا نراك من المحسنين اي تؤثر الاحسان والافعال الجميلة قال الضحاك كان اذا ضاق على رجل
مكانه وسع له وان احتاج جمع له وان مرض قام عليه وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام وقال الزجاج جاء في التفسير انه كان يعين
المظلوم وينصر الضعيف ويعود العليل قال وقيل من المحسنين اي ممن يحسن تأويل الرؤيا قال وهذا دليل على ان امر الرؤيا صحيح وانها

الناس خبر عن ح

ملأه على الامر ... فليجرب

الحبلة الكرمة ... العنب

لم تزل فى الامم السابقة وفى الحديث ان الرويا جزء من ستة من اربعين جزءا من النبوة وتاويله ان الانبياء يخبرون بما سيكون
والرويا تدل على ما سيكون فيكون المعنى فى الاية انا نعلمك و نظنك ممن يعرف تعبير الرويا ومن ذلك قول امير المومنين
قيمة كل امرء ما يحسنه وقال ابو مسلم نراك من المحسنين الينا ان فسرت لنا الرؤيا وهذا قول ابن اسحق ثم ذكر لهما يوسف عليه السلم
ما يدل على انه عالم بتفسير الرؤيا قال لا ياتيكما طعام ترزقانه فى منامكما الا نباتكما بتاويله فى اليقظة قبل ان ياتيكما التاويل وذلك
انه كره ان يخبرهما بالتاويل لما على احدهما فيه من البلاء فاعرض عن سوالهما واخذ فى غيره عن السدى وابن اسحق وقيل انه انما قدم هذا
ليعلما ما خصه الله تعالى به من النبوة وليقبلا عنه فقال لا ياتيكما طعاما من منزلكما الا اخبرتكما بصفة ذلك الطعام وكيفيته
قبل ان ياتيكما كما قال عيسى بن مريم وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم عن الحسن والجبائى ذلكما مما علمنى ربى كانهما قالا له كيف
عرفت تاويل الرؤيا ولست بكاهن ولا عراف فاخبرهما انه رسول الله وانه تعالى علمه ذلك وتعليمه تعالى قد يكون بان يفعل
العلم فى قلبه وقد يكون بالوحى وقد يكون بنصب الادلة التى يدرك بها العلم انى تركت ملة قوم لا يومنون بالله وهم بالاخرة هم
كافرون معناه انه لا يستحق هذه الرتبة الخطيرة الا المومنون المخلصون وانى تركت طريقة قوم لا يومنون فلذلك خصنى الله بهذه
الكرامة واتبعت ملة اباى اى شريعة اباى ابرهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء اى لا ينبغى لنا ونحن معدن النبوة
واهل بيت الرسالة ان ندين بغير التوحيد ذلك اى التمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك وقيل النبوة والعلم من فضل الله علينا
بان خصنا بها وعلى الناس ايضا بان رسلنا اليهم واتباعهم ايانا واهتدائهم بنا ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله تعالى وقد كان يوسف
عليه السلم مقيما فيما بينهم زمانا ولم يحك الله سبحانه عنه انه دعا الى الدين وكانوا يعبدون الاصنام لانه لم يطمع منهم فى الاستماع والقبول
فلما راهم عارفين باحسانه مقبلين عليه رجا منهم القبول منه فدعاهم الى التوحيد على ما امر الله سبحانه فى قوله ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وقد روى ان صاحبى السجن قالا له قد احببناك حين رايناك فقال لا تحبانى فوالله ما احبنى احد الا دخل على
من حبه بلاء احبتنى عمتى فنسبتنى الى السرقة واحبنى ابى فالقيت فى الجب واحبتنى امراة العزيز فالقيت فى السجن قوله عز وجل يا صاحبى
السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه
خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضى الامر الذى فيه تستفتيان وقال للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند
ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين اربع ايات اللغة الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص
وهو خلاف ملازمة الاتصال ومنه اصحاب الشافعى واصحاب ابى حنيفة واصحاب النبى عليه السلم لملازمتهم له وكونهم معه فى حروبه وصاحبا السجن
هما الملازمان له بالكون فيه والقيم المستقيم واصله من قام يقوم والاستفتاء طلب الفتيا والبضع القطعة من الدهر واصله من القطع والبضعة
القطعة من اللحم ومنه الحديث فاطمة بضعة منى يوذينى ما اذاها المعنى يا صاحبى السجن هذا حكاية نداء يوسف للمستفتيين له عن تاويل
رؤياهما اى يا ملازمى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار اى املاك متباينون من حجر وخشب لا يضر ولا ينفع خير لمن عبدها
ام الله الواحد القهار الذى اليه الخير والشر والنفع والضر وهذا ظاهره الاستفهام والمراد به التقرير والزام الحجة والقهار هو القادر الذى
لا يمتنع عليه شىء ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ابتداء الخطاب اثنين ثم خاطب بلفظ الجمع
لانه قصد جميع من هو فى مثل حالهما وقيل انه خطاب لجميع من فى الحبس ومعناه ان هذه الاصنام التى تعبدونها من دون الله وسميتموها
باسماء يعنى الارباب والالهة هى اسماء فارغة عن المعنى لا حقيقة لها ما انزل الله من حجة بعبادتها ان الحكم الا لله اى ما الحكم والامر الا
لله فلا يجوز العبادة والخضوع والتذلل الا لله امر الا تعبدوا الا اياه اى فقد امركم ان لا تعبدوا غيره ذلك اى ذلك الذى بينت لكم
من توحيده وعبادته وترك عبادة غيره الدين القيم اى الدين المستقيم الذى لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون قال ابن عباس ما للمطيعين
من الثواب وللعاصين من العقاب وقيل لا يعلمون صحة ما اقول لعدولهم عن النظر والاستدلال ثم عبر عليه السلم رؤياهما فقال يا
صاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا ابدا بما هو الاهم وهو الدعاء الى توحيد الله وعبادته واظهار معجزته ثم بتعبير رؤياء الساقى فروى

انه قال اما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة ايام تبقى فى السجن ثم يخرجك الملك فى اليوم الرابع وتعود الى ما كنت عليه واجرى على ما لكه صفة
الرب لانه عبده واضافه اليه كما يقال رب الدار ورب الضيعة واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه بريد بالاخر صاحب الطعام
وروى انه قال له بئس ما رايت اما السلال الثلث فانها ثلاثة ايام تبقى فى السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فتاكل الطير من راسك
فقال عند ذلك ما رايت شيا وكنت العب فقال يوسف قضى الامر الذى فيه تستفتيان لئن فرغ من الامر الذى تسالان وتطلبان
معرفته وما قلته لكما فانه نازل بكما وهو كائن لا محالة وفى هذا دلالة على انه كان يقول ذلك على جهة الاخبار عن الغيب بما يوحى
اليه لا كما يعبر احدنا الرؤيا على جهة التاويل وقال يوسف للذى ظن انه ناج منهما معناه للذى علم من طريق الوحى انه ناج متخلص
كما فى قوله ظننت انى ملاق حسابيه هذا قول الاكثرين واختاره الجبائى وقال قتادة للذى ظن انه ناج لانه لم يكن يصدق فيما قصه
من الرويا والاول اصح اذكرنى عند ربك اى اذكرنى عند سيدك بانى محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه يعنى انسى الشيطان يوسف
ذكر الله تعالى فى تلك الحال حتى استغاث بمخلوق والتمس من الناجى منهما ان يذكره عند سيده وكان من حقه ان يتوكل فى ذلك
على الله سبحانه فلبث فى السجن بضع سنين عن ابن عباس وروى ذلك عن على بن الحسين وابى عبد الله عليهم السلم وقيل معناه
فانسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث فى السجن عن الحسن ومحمد بن اسحق والجبائى وابى مسلم وعلى هذا تقديره
فانساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقد روى عن النبى صلى الله عليه واله انه قال عجبت من اخى يوسف كيف استغاث بالمخلوق دون
الخالق وروى انه عليه السلم قال لولا كلمة ما لبث فى السجن طول ما لبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى الحسن وقال انا اذا نزل بنا
امر فزعنا الى الناس وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال جاء جبرئيل عليه السلم فقال يا يوسف من جعلك احسن الناس قال ربى قال
فمن حببك الى ابيك دون اخوتك قال ربى قال فمن ساق اليك السيارة قال ربى قال فمن صرف عنك الحجارة قال ربى قال
فمن انقذك من الجب قال ربى قال فمن صرف عنك كيد النسوة قال ربى قال فان ربك يقول ما دعاك ان تنزل حاجتك بمخلوق
دونى البث فى السجن بما قلت بضع سنين وعنه فى رواية اخرى قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبكائه الحيطان فتاذى ببكائه
اهل السجن فصالحهم على ان يبكى يوما ويسكت يوما فكان فى اليوم الذى يسكت اسوأ حالا والقول فى ذلك ان الاستغاثة بالعباد
فى دفع المضار والتخلص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح بل ربما يجب ذلك وكان نبينا صلى الله عليه واله يستعين فيما ينوبه
بالمهاجرين والانصار وغيرهم ولو كان قبيحا لم يفعله فلو صحت هذه الروايات فانما عوتب يوسف عليه السلم فى ترك عادته
الجميلة فى الصبر والتوكل على الله سبحانه فى كل اموره دون غيره وقتا ما ابتلاء وتشديدا للمحنة وانما كان يكون قبيحا لو ترك
التوكل على الله سبحانه واقتصر على غيره وفى هذا ترغيب على الاعتصام بالله تعالى والاستعانة به دون غيره عند نزول الشدائد
وان جاز ايضا ان يستعان بغيره واختلف فى البضع فقال بعضهم البضع ما بين الثلث الى الخمس عن ابى عبيدة وقيل الى السبع عن
قطرب وقيل الى التسع عن الاصمعى ذكره الزجاج وقول قطرب مروى عن مجاهد وقول الاصمعى مروى عن قتادة وقال ابن عباس
هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع فى الاية سبع سنين قال الكلبى وهذه السبع سوى الخمسة التى كانت قبل ذلك
وروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال علم جبرئيل عليه السلم يوسف فى محبسه فقال قل فى دبر كل صلوة فريضة اللهم اجعل لى فرجا
ومخرجا وارزقنى من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وروى شعيب العقرقوفى عنه عليه السلم قال لما انقضت المدة واذن له فى
دعاء الفرج وضع خده على الارض ثم قال اللهم ان كانت ذنوبى قد اخلقت وجهى عندك فانى اتوجه اليك بوجه اباى الصالحين ابرهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب ففرج الله قال فقلت له جعلت فداك اندعو نحن بهذا الدعاء فقال ادعوا بمثله اللهم ان كانت ذنوبى قد اخلقت
وجهى عندك فانى اتوجه اليك بنبيك نبى الرحمة وعلى وفاطمة والحسن والحسين والائمة عليهم السلم قوله عز وجل وقال الملك
انى ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتونى فى رءياى
ان كنتم للرءيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجا منهما وادكر بعد امة
انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها الصديق افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر

بآيات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون سبع آيات القراءة قرأ حفص دأبا بفتح الهمزة والباقون بسكونها وقرأ تعصرون بالتاء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن عمر بخلاف عنه والضحاك وقتادة وزيد بن علي عليه السلام وادكر بعد امه بالهاء وقراءة الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة وقرأ جعفر بن محمد عليه السلام وسبع سنابل وقرأ ايضا قربتم لهن وقرأ هو والاعرج وعيسى بن عمر وفيه يعصرون بياء مضمومة وصاد مفتوحة الحجة قال ابو علي انتصب دأبا بما دل عليه تزرعون وفيه علاج ودؤوب فكأنه قال يدأبون فانتصب دأبا به لا بالمضمر ولعل الفتح لغة فيه فيكون كشمع وشمع ونهر ونهر ويعصرون يحتمل امرين احدهما ان يكون من العصر الذي يراد به الضغط الذي يلحق ما فيه دهن او ماء نحو الزيتون والسمسم والعنب ليخرج ذلك منه وهذا يمكن ان يكون تأويل الآية عليه لان من المتأولين من يحكي انهم لم يعصروا اربع عشرة سنة زيتا ولا عنبا فيكون المعنى تعصرون للخصب الذي اتاكم كما كنتم تعصرون ايام الخصب من قبل الجدب الذي دفعتم اليه ويكون تعصرون من العصر الذي هو الالتجاء الى ما يقدر به النجاة قال ابن مقبل وصاحبي وهوه مستوهل زعل يحول بين حمار الوحش والعصر اي يحول بينه وبين الملجأ الذي يقدر به النجاة وقال ابو زبيد الطائي صاديا يستغيث غير مغاث ولقد كان عصرة المنجود قال ابو عبيدة تعصرون تنجون وانشد للبيد فبات واسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافا بغير معصر فاما من قال يعصرون بالياء فانه جعل الفاعلين الناس لان ذكرهم قد تقدم ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب الى المستفتين الذين قالوا افتنا ويجوز ان يريدهم وغيرهم الا انه غلب الخطاب على الغيبة كما غلب التذكير على التأنيث واما الامه فهو النسيان قال امه يامه اذا نسي انشد ابو عبيدة امهت وكنت لا انسى حديثا كذاك الدهر يودي بالعقول والامة النعمة فيكون المراد بعد ان انعم الله عليه بالنجاة واما يعصرون بضم الياء فيجوز ان يكون من العصرة والعصر النجاة ويجوز ان يكون من عصرة السحابة ماءها عليهم وفي كتاب علي بن ابراهيم عن ابي عبد الله عليه السلام قال قرأ رجل على امير المؤمنين عليه السلام هذه الآية فقال يعصرون بالياء وكسر الصاد فقال ويحك واي شيء يعصرون ايعصرون الخمر فقال الرجل يا امير المؤمنين فكيف اقرأها قال عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون مضمومة الياء مفتوحة الصاد اي يمطرون بعد سني المجاعة ويدل عليه قوله وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا اللغة الملك القادر الواسع المقدور الذي اليه السياسة والتدبير والرؤيا ما يراه النائم ويرجع الى الاعتقاد ثم يكون على وجوه منها ما يكون من الله تعالى وملائكته وهو الذي له تعبير وتأويل ومنها ما يكون من الشيطان ولا تأويل له ومنها ما يكون من جهة النائم واعتقاده او يكون بقية اعتقاد كان اعتقده والعجف ذهاب السمن والذكر اعجف والانثى عجفاء وجمعها عجاف ولا يجمع افعل على فعال الا هذا والعبر والتعبير تفسير الرؤيا وهو من عبور النهر ونحوه والاضغاث الاحلام الملتبسة والضغث الحزمة من كل شيء قال اليزيدي الضغث مثل اليد من الحشيش وخذ بيدك ضغثا اي قبضة والفعل منه اضغث وقيل الضغث خلط قش المد وهو غير متشاكل ولا متلائم فشبهوا به تخليط المنام والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا في النوم ويقال حلم يحلم حلما واحتلم فهو حالم والحلم بكسر الحاء ضد الطيش وهو الاناة وكان اصل حلم النوم من هذا لانه حال اناة وسكون وتأويل الرؤيا تفسير ما يؤول اليه معناه وتأويل كل شيء تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام والادكار افتعال من الذكر واصله اذتكار لكن التاء ابدل منها الدال وادغمت الذال في الدال ويجوز اذكر بالذال ايضا الا ان الاجود الدال وطلب الذكر ونظيره الاستذكار والتذكر والامه والامة الجماعة تؤم امرا واحدا والامة المدة وهي الجملة من الحين والصديق الكثير التصديق للحق وقيل هو الكثير الصدق وفعيل بناء للمبالغة والكثرة والفتيا جواب عن حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون فتيا والزرع القاء البذر في الارض للنبات ومنه المزارعة بالثلث او الربع ويسمى المخابرة ايضا وهي مأخوذة من فعل اهل خيبر والدأب العادة يقال دأب يدأب دأبا ويقال دأب في عمله يدأب دؤوبا اذا اجتهد وأدأبته انا ادآبا وذر ودع بمعنى لم يجئ منهما لفظ الماضي استغني عن ذلك بترك والشدة والصلابة والصعوبة نظائر وقيل الشدة تكون في سبعة اصناف في العقد والمد والزمان والغضب والالم والشراب والبدن والاحصان مثل الاحراز احصنته احصانا جعلته في حرز والغوث هو نفع يأتي على شدة حاجة بنفي المضرة ومنه الغيث المطر الذي يأتي في وقت الحاجة

قال

قال الازهري غاث الله البلاد يغيثها وقد غيثت الارض فهي مغيثة ومغيوثة والغيث الكلأ ينبت من ماء السماء وجمعه غيوث والغياث اصله الواو ومنه الغوث وغوث تغويثا اذا قال واغوثاه ومن يغيثني ويغاث يحتمل ان يكون من الواو ويحتمل ان يكون من الياء الاعراب ان كنتم للرؤيا تعبرون هذه اللام دخلت للتبيين المعنى ان كنتم تعبرون ثم بين باللام فقال للرؤيا عن الزجاج وهذه اللام تزاد في المفعول به اذا تقدم على الفعل يقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت وقد جاء مثله في قوله الذين هم لربهم يرهبون وقد جاء فيما ليس بمقدم من المفعول نحو قوله ردف لكم واخر لا ينصرف لانه صرف عن جهة صواحبها التي جاءت بالالف واللام وهذه جاءت خاصة بغير الف ولام فكانها عدلت عن وجهها يقول هذه النسوة الوسط والكبر ولا يقول وسط وكبر ويقول نسوة اخر فلما خالفت اخواتها ترك صرفها وموضعه في الآية الرابعة جر وتقديره وفي اخر اضغاث احلام تقديره هي اضغاث احلام يوسف المراد به يا يوسف ويجوز حذف حرف النداء في المنادى المفرد العلم يقول يا زيد اقبل وزيد اقبل قال محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر

زياده

تبالا اراد يا محمد المعنى ثم اخبر سبحانه عن سبب نجاة يوسف من السجن وهو انه لما قرب الفرج رأى الملك رؤيا هالته واشكل تعبيرها على قومه حتى عبرها يوسف فقال سبحانه وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يعني وقال ملك مصر وهو الوليد بن الريان والعزيز وزير فيما رواه الاكثرون اني اراني في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع اي سبع بقرات اخر عجاف اي مهازيل قد دخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم ار منهن شيئا وسبع سنبلات خضر اي واري في منامي سبع سنبلات قد انعقد حبها واخر اي وسبعا اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها يا ايها الملأ اي جمع الاشراف وقيل جمع السحرة والكهنة وقص رؤياه عليهم وقال يا ايها الاشراف او الجماعة افتوني في رؤياي اي عبروا ما رأيت في منامي وبينوا الي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة ان كنتم للرؤيا تعبرون معناه ان كنتم عابرين للرؤيا وقيل ان اللام تفيد معنى الى اي ان كنتم توجهون العبارة الى الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اباطيل احلام عن الكلبي وقيل تخاليط احلام عن قتادة والمعنى هذه منامات كاذبة لا يصح تأويلها وما نحن بتأويل الاحلام التي هذه صفتها بعالمين وانما نعلم بتأويل ما يصح وكان تجهل الملأ بتأويل رؤيا الملك سبب نجاة يوسف لان الساقي تذكر حديث يوسف فجثا بين يديه وقال يا ايها الملك اني قصصت انا وصاحب الطعام على رجل في السجن منامين فخبر بتأويلهما وصدق في جميع ما وصف فان اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتفسير هذه فذلك قوله وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فارسلون عن الكلبي وقوله وادكر بعد امة معناه تذكر شأن يوسف وما وصاه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وههنا حذف يدل الكلام عليه وهو فارسلوني الى يوسف فارسل فأتى يوسف في السجن وقال له يوسف اي يا يوسف ايها الصديق اي الكثير الصدق فيما يخبر به افتنا في سبع بقرات سمان الى قوله يابسات فان الملك رأى هذه الرؤيا واشتبه تأويلها لعلي ارجع الى الناس يعني الملك واصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه لعلهم يعلمون فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون تأويل رؤيا الملك قال يوسف في جوابه معبرا ومعلما اما البقرات السبع العجاف والسنابل السبع اليابسات فالسنون المجدبة واما السبع السمان والسنابل السبع الخضر فانهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وانتم تزرعون فيها فذلك قوله تزرعون سبع سنين دأبا اي فازرعوا سبع سنين متوالية عن ابن عباس اي زراعة متوالية في هذه السنين على عادتكم في الزراعة سائر السنين وقيل دأبا اي بجد واجتهاد في الزراعة ويجوز ان يكون حالا فيكون معناه تزرعون دائبين فما حصدتم من الزرع فذروه فاتركوه في سنبله لا تذروه ولا تدوسوه الا قليلا مما تأكلون وانما امرهم بذلك ليكون ابقى وابعد من الفساد يعني ان ما اردتم اكله فدوسوه واتركوا الباقي في السنبل وقيل انما امرهم بذلك لان السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وان بقي مدة من الزمان واذا صفي اسرع اليه الهلاك ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد اي سبع سنين مجدبات صعاب تشتد على الناس يأكلن ما قدمتم لهن معناه يأكلون فيها ما قدمتم في السنين المخصبة لتلك السنين وانما اضاف الاكل الى السنين لانه يقع فيها كما قال الشاعر نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم وسعيك فيما سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم وقيل اراد بالاكل الافناء والاهلاك كما يقال اكل السير لحم الناقة اي ذهب به قال زيد بن اسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقربه الى رجل فيأكل نصفه حتى كان ذات يوم

قربه اليه فاكله كله وقال هذا اول يوم من السبع الشداد الا قليلا مما تحصنون معناه الاشياء قليلا مما تحرزون وتدخرون ثم ياتي من
بعد ذلك عام فيه يغاث الناس معناه ثم ياتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يمطر الناس من الغيث وقيل يغاثون من الغوث
والغياث اى ينقذون وينجون من القحط وفيه يعصرون الثمار التى تعتصر فى الخصب كالعنب والزيت والسمسم عن ابن عباس ومجاهد و
قتادة وقيل معناه ينجون من الجدب من العصرة والعصر والاعتصار الالتجاء وقال عدى بن زيد لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان
بالماء اعتصارى وهذا القول من يوسف اخبار بما لم يسالوه منه ولم يكن فى رؤيا الملك بل هو ما اطلعه الله عليه من علم الغيب ليكون
من ايات نبوته عليه السلم قال البلخى وهذا التاويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول ان الرؤيا على ما عبرت اولا لانهم كانوا
قالوا هى اضغاث احلام فلو كان ما قالوه صحيحا لكان يوسف لا يتاولها قوله عز وجل وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ
قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ
قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ
رَحِيمٌ اربع ايات القراءة قرا ما بال النسوة بضم النون الاعشى والبرجمى عن ابى بكر عن عاصم والباقون بكسر النون وهما لغتان وتقدم
ذكر قراءة ابى عمرو حاشى لله بالالف ومر بيانه اللغة الخطب الامر الذى يعظم شانه فيخاطب لاجله الانسان فيه صاحبه يقال هذا خطب جليل
قال الزجاج حصحص الحق اشتقاقه من الحصة اى بانت حصة الحق وجهته من حصة الباطل وقال غيره هو مكرر من قولهم حص شعره اذا استاصل
قطعه وازاله عن الراس فيكون معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومثله كبوا وكبكبوا وكف الدمع وكفكفه فهو زيادة تضعيف
دل على الاشتقاق قال حصت البيضة راسى فما اطعم نوما غير تهجاع وحصحص البعير بثفناته فى الارض اذا حركها حتى تستبين اثارها فيه قال
حميد وحصحص فى صم الحصا ثفناته ورام القيام ساعة ثم صمما والكيد الاحتيال لسر الايصال الضر الى الغير الاعراب ذلك مرفوع بالابتداء
وان شئت على خبر الابتداء كانه قال امرى ذلك وموضع ما رحم ربى نصب على الاستثناء المعنى ثم اخبر سبحانه عن اخراج يوسف من
السجن فقال وقال الملك ائتونى به وفى الكلام حذف يدل ظاهره عليه وهو فلما رجع صاحب الشراب وهو رسول الملك الى الملك
بجواب يوسف وتعبير رؤياه قال الملك ائتونى به اى بيوسف الذى عبر رؤياى فلما جاءه الرسول اى فلما جاء يوسف رسول الملك
فقال له اجب الملك فابى يوسف ان يخرج مع الرسول حتى تبين براءته مما قرف به وقال للرسول ارجع الى ربك اى سيدك وهو الملك فاسئله
ما بال النسوة اى ما حالهن وشانهن والمعنى فسل الملك ان تعرف حال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ليعلم صحة براءتى ولم يفرد امراة
العزيز بالذكر حسن عشرة منه ورعاية ادب لكونها زوجة الملك او زوجة خليفة الملك فخلطها بالنسوة وقيل انه اراد هن دونها لانهن
الشاهدات له عليها الا ترى انها قالت الان حصحص الحق وهذا يدل على ان النسوة كن ادعين عليه نحو ما ادعته امراة العزيز قال ابن
عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك بشانه ما زالت فى نفس العزيز منه حالة يقول هذا الذى راود امراتى وقيل اشفق
يوسف من ان يراه الملك بعين مشكوك فى امره متهم بفاحشة فاحب ان يراه بعد ان يزول عن قلبه ما كان فيه وروى عن النبى صلى الله
عليه واله انه قال لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم
حتى اشترط ان يخرجونى ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه
ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان حليما ذا اناة ان ربى بكيدهن عليم اى ان الله عالم
بكيدهن قادر على اظهار براءتى وقيل ان سيدى الذى هو العزيز لعليم بكيدهن استشهد فيما علم من حاله عن ابى مسلم والاول هو الوجه
قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه معناه ان الرسول رجع الى الملك واخبره بما قال يوسف فارسل الى النسوة ودعاهن وقال
لهن ما شانكن وما امركن اذ طلبتن يوسف عن نفسه ودعوتنه الى انفسكن قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء هذه كلمة تنزيه
اى نزهن يوسف مما اتهم به فقلن معاذ الله وعياذا بالله من هذا الامر وما علمنا عليه من سوء وخيانة وما فعل شيئا مما نسب اليه واعترفن
ببراءته وبانه حبس مظلوما قالت امراة العزيز الان حصحص الحق اى ظهر وتبين وحصل على امكن وجوهه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة

وكان معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى عنه فيما قذفته بالكذب
على نفسها فيما اتهم يوسف به وانما حملها على الصدق انقطاع طمعها منه فجمع الله ليوسف فى اظهار براءته ونزاهته عما قرف به بين الشهادة و
الاقرار حتى لا يبقى موضع شك ذلك ليعلم هذا من كلام يوسف عليه السلم اى ذلك الذى فعلت من ردى رسول الملك اليه فى
شان النسوة ليعلم الملك او العزيز انى لم اخنه بالغيب فى زوجته اى فى حال غيبته عنى عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وابى
مسلم واتصل كلام يوسف بكلام امراة العزيز لظهور الدلالة على المعنى ونظيره قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون
وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره وهو من كلام الملاء قال فماذا تامرون وهو حكاية قول فرعون قال الفراء وهذا من اغمض ما ياتى
فى الكلام ان يحكى عن واحد ثم يعدل الى شئ اخر من قول اخر لم يجر له ذكر وقيل بل هو من كلام امراة العزيز اى ذلك الاقرار ليعلم يوسف
انى لم اخنه فى غيبته بتوريك الذنب عليه وانى خنته بحضرته وعند مشاهدته عن الجبائى وان الله لا يهدى كيد الخائنين اى لا يهديهم فى
كيدهم ومكرهم وما ابرئ نفسى هذا من كلام يوسف عند اكثر المفسرين وقيل هو من كلام المراة عن الجبائى اى ما ابرئ نفسى عن
السوء والخيانة فى امر يوسف ان النفس لامارة بالسوء اى كثيرة الامر بالسوء والشهوة قد تدعو الانسان الى المعصية والالف
واللام للجنس فيكون المعنى ان كل النفوس كذلك ويجوز ان يكون للعهد فيكون المعنى ان نفسى بهذه الصفة الا ما رحم ربى
اى الا من رحمه الله تعالى فعصمه بان لطف له فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم ويجوز ان يكون معناه الا مدة ما عصم ربى ومن
قال انه من كلام يوسف قال انه اراد الدعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية اى لا ابرئ نفسى مما لا يعرى منه طباع
البشر وانما امتنعت عن الفاحشة بحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسى قال الحسن انما قال وما ابرئ نفسى لانه كره ان يكون قد زكى
نفسه ان ربى غفور لعباده رحيم بهم قوله عز وجل وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا
مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ
بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ اربع ايات القراءة قرا ابن كثير حيث
نشاء بالنون والباقون بالياء الحجة قال ابو على من قرا بالياء فيشاء مسند الى الغايب كما كان يتبوأ كذلك ويقوى ذلك قوله واورثنا
الجنة نتبوأ منها حيث نشاء فكان قوله وفق لفعل المتبوئين كذلك قوله حيث يشاء وفق لقوله يتبوأ ومن قرا بالنون فانه
على احد وجهين اما ان يكون اسند المشية اليه وهو ليوسف فى المعنى لان مشيته لما كانت بقوته واقداره عليها جاز ان ينسب الى
الله وان كانت ليوسف فى المعنى كما قال سبحانه وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فاضيف الرمى الى الله لما كان بقوته وان كان
الرمى للنبى عليه السلم والاخر ان يكون الموضع المتبوأ موضع نسك وقربة الى الله تعالى فهو يشاؤه ويريده
فاما اللام فى قوله مكنا ليوسف وقوله انا مكنا له فى الارض فيجوز ان يكون على حد التى فى قوله ردف لكم وللرؤيا تعبرون يدل
على ذلك قوله ولقد مكناهم فى ما ان مكناكم فيه وقوله يتبوأ فى موضع نصب على الحال تقديره مكناه متبوأ حيث نشاء واما
قوله حيث يشاء فيحتمل موضعه امرين احدهما ان يكون فى موضع نصب بانه ظرف والاخر ان يكون فى موضع نصب بانه مفعول به ويدل
على جواز هذا الوجه قول الشماخ وجلاها عن ذى الاراكة عامر اخو الخضر يرمى حيث تكوى النواجذ اللغة الاستخلاص طلب
خلوص الشئ من شايب الاشتراك كانه يريد ان يكون خالصا له وفى حديث سلمان الفارسى انه كاتبه اهله على اربعين اوقية
خلاص اى مما اخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصة والمكين من المكانة واصله التمكن فى الامر يقال مكن مكانة فهو
مكين اذا كان له قدر وجاه يتمكن بهما مما يروم والتبوأ اتخاذ منزل يرجع اليه واصله من باء يبوء اذا رجع المعنى وقال الملك
ائتونى به معناه ان الملك لما تبين له امانة يوسف وبراءته من السوء وعلمه امر باحضاره فقال ائتونى به استخلصه لنفسى اى اجعله
خالصا لنفسى ارجع اليه فى تدبير مملكتى واعمل على اشارته فى مهمات اموره فلما كلمه ههنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف
ودعاه وخرج من السجن ودخل على الملك وكلمه وعرف فضله وامانته وعقله لانه استدل بكلامه على عقله وبعفته على امانته
وقال انك اليوم لدينا مكين امين اى انك عندنا ذو مكانة متمكن فى المنزلة والقدرة نافذ القول والامر ظاهر الامانة مامون

ثقة قال ابن عباس يريد مكنتك من ملكي وجعلت سلطانك فيه وامرك نافذ فيه قال الكلبي ان رسول الملك جاءه فقال له قم فان الملك يدعوك والق ثياب السجن عنك والبس ثيابا جددا فاقبل يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه واتى الملك وهو يومئذ ابن ثلثين سنة فلما راه الملك شابا حدث السن قال يا غلام اهذا تاويل رؤياي ولم تعلم السحرة ولا الكهنة قال نعم فاقعده قدامه وقص عليه رؤياه وروى ان يوسف لما خرج من السجن دعا لهم وقال اللهم اعطف عليهم بقلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فلذلك يكون اصحاب السجن اعرف الناس بالاخبار في كل بلدة وكتب على باب السجن هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء قال وهب ولما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره ولما دخل على الملك قال اللهم اني اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره ولما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان ابائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان اجابه بذلك اللسان فاعجب الملك بما راى منه فقال له اني احب ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل وطلعن عليك من شاطئه تشخب احلافهن لبنا فبينا انت تنظر اليهن وتعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمايه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السبع واكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنابل خضر وسبع اخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينا انت تقول في نفسك انى هذا وهؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ هبت ريح فذرت الارواق من اليابسات السود على المثمرات الخضر فاشتعلت فيهن النار واحرقتهن وصرن سود متغيرات فهذا اخر ما رايت من الرؤيا ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ما شان هذه الرؤيا وان كانت عجبا باعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي ايها الصديق فقال يوسف ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتبني الاهراء والخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتامر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها وياتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك لحكمك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد ذلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه فعند ذلك قال يوسف اجعلني على خزائن الارض الالف واللام في الارض للعهد دون الجنس يعني اجعلني على خزائن ارضك حافظا وواليا واجعل تدبيرها الي فاني حفيظ اي حافظ لما استودعتني احفظه عن ان يجري فيه خيانة عليم بمن يستحق منها شيئا ومن لا يستحق فاضعها مواضعها عن قتادة وابن اسحق والجبائي وقيل حفيظ عليم اي كاتب حاسب عن وهب وقيل حفيظ لتقدير في هذه السنين الجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكلبي وقيل حفيظ للحساب عالم بالالسن وذلك ان الناس يفدون من كل ناحية يتكلمون بلغات مختلفة عن السدي وفي هذا دلالة على انه يجوز للانسان ان يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فانه عرف الملك حاله ليقلده في الامور التي فيها صلاح العباد والبلاد ولم يدخل بذلك تحت قوله سبحانه ولا تزكوا انفسكم فقال الملك ومن احق به منك فولاه ذلك وقيل ان الملك الاكبر فوض اليه امر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف براعيل امراة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء ولما دخل عليها قال اوليس هذا خيرا مما كنت تريدين وولدت له افراثيم وميشا واستوسق ليوسف ملك مصر وقيل انه لم يتزوجها وانها لما راته في موكبه بكت وقالت الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فضمها اليه فكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها وفي تفسير علي بن ابرهيم بن هاشم قال لما مات العزيز وذلك في السنين الجدبة افتقرت امراة العزيز واحتاجت حتى سالت الناس فقالوا لها ما يضرك لو قعدت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم سموه بهذا الاسم فقالت استحيي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له على الطريق فاقبل يوسف في موكبه فقامت اليه وقالت

وقالت سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيدا والعبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف انت تيك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك في قالت دعني بعد ما عشت اتهزا بي قال لا قالت نعم قال فامر بها فحولت الى منزله وكانت هرمة فقال لها يوسف الست فعلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تلمني فاني بليت ببلاء لم يبل به احد قال وما هو قالت بليت بحبك ولم يخلق الله لك في الدنيا نظيرا وبليت بانه لم يكن بمصر امراة اجمل مني ولا اكثر مالا مني وبليت بزوج عنين فقال لها يوسف فما حاجتك فقالت تسال الله ان يرد علي شبابي فسال الله فرد عليها شبابها فتزوجها وهي بكر وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه واله انه قال رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لولاه من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة قال ابن عباس فاقام في بيت الملك سنة فلما انصرمت السنة من يوم سال الامارة دعاه الملك فتوجه وردآه بسيفه وامر بان يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كله من استبرق ثم امره ان يخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل فيما بين الناس واحبه الرجال والنساء مذ لك قوله عز اسمه وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا عليه اقدرنا يوسف على ما يريد في الارض يريد ارض مصر يتبوا منها حيث يشاء اي يتصرف فيها حيث يشاء وينزل فيها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء اي نخص بنعم الدين والدنيا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين اي المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيل انه دعا الملك الى الاسلام فاسلم عن مجاهد قالوا واسلم ايضا كثير من الناس فهذا في الدنيا ولاجر الاخرة اي ثواب الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون لخلوصه عن الشوب والاقذار وفي هذا اشارة الى انه سبحانه يؤتي يوسف في الاخرة من الثواب والدرجات ما هو خير مما اتاه في الدنيا من الملك والنعم سؤال قالوا كيف جاز ليوسف ان يطلب الولاية من قبل الكفرة والظلمة وجوابه لانه علم انه يتمكن بذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهة كونه نبيا اماما وكان يفعل ذلك من قبل الله تعالى فانما سال الولاية ليتمكن من الامور التي له ان يفعلها وايضا فانه علم انه سبب يتوصل به الى الدعاء الى الخير والى رؤية اخوته ووالديه وفي الاية دلالة على ان ذلك التمكين والملك والتدبير كان بلطف الله سبحانه وفضله وفيها دلالة على جواز تولي القضاء من جهة الباغي والظالم اذا كان يتمكن بذلك من اقامة احكام الدين وفي قوله يتبوا منها حيث يشاء دلالة على ان تصرفه كان باختياره من غير رجوع الى الملك وانه صار بحيث لا امر عليه وفي كتاب النبوة بالاسناد عن احمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن بنت الياس قال سمعت الرضا عليه السلم يقول واقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبة فكبسه في الخزائن فلما مضت تلك السنون واقبلت السنون المجدبة اقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الاولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم الا صار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جوهر الا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية الا صارت في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا امة الا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار الا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها مزرعة ولا نهر الا صار في مملكة يوسف وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر الا صار عبدا ليوسف فملك احرارهم وعبيدهم واموالهم وقال الناس ما راينا ولا سمعنا بملك اعطاه الله من الملك ما اعطى هذا الملك حكما وعلما وتدبيرا ثم قال يوسف للملك ايها الملك ما ترى فيما خولني ربي من ملك مصر واهلها اشر علينا برايك فاني لم اصلحهم لافسدهم ولم انجهم من البلاء ليكون بلاء عليهم ولكن الله انجاهم على يدي قال له الملك الراي رايك قال يوسف اني اشهد الله واشهدك ايها الملك اني قد اعتقت اهل مصر كلهم ورددت عليهم اموالهم وعبيدهم ورددت عليك ايها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على ان لا تسير الا بسيرتي ولا تحكم الا بحكمي قال له الملك ان ذلك لزيني وفخري ان لا اسير الا بسيرتك ولا احكم الا بحكمك ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطاني عزيزا ما يرام وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك رسوله فاقم على ما وليتك فانك لدينا مكين امين وقيل ان يوسف كان لا يمتلي شبعا من الطعام في تلك الايام المجدبة فقيل له تجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجياع قوله عز وجل وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ وَلَمَّا جَهَّزَهُم

بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا
تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا
الى اهلهم لعلهم يرجعون خمس ايات القراءة قرا اهل الكوفة غير ابي بكر لفتيانه والباقون لفتيته الحجة قال ابو علي الفتية جمع
في العدد القليل والفتيان في الكثير ومثل فتية اخوة وولدة في جمع اخ وولد وبنية وقيعة في جمع نار وقاع ومثل فتيان فرقان
وخربان في جمع خرق وخرب وجيران وتيجان في جمع جار وتاج وقد يقوم البناء الذي للقليل مقام الذي للكثير وكذلك يقوم الكثير
مقام القليل حيث لا قلب ولا اعلال وذلك نحو ارجل واقدام وارسان وفي الكثير قولهم ثلثة شسوع فاذا افعل ذلك فيما لا اعلال فيه
فان يرفض فيما يؤدي الى الاعلال والقلب اولى اللغة جهاز البيت متاعه وجهزت فلانا هيأت جهاز سفره ومنه جهاز المراة والرحال
اراد بها الاوعية واحدها رحل وجمع القليل ارحل قال ابن الانباري يقال للوعاء رحل وللمسكن رحل واصله الشيء المعد للرحيل من
وعاء المتاع ومركب للبعير وحلس ورسن المعنى ثم اخبر سبحانه انه لما تمكن يوسف بمصر واصاب الناس ما اصابهم من القحط وقصدوا
مصر نزل بال يعقوب ما نزل بالناس فجمع يعقوب بنيه فقال لهم بلغني انه يباع الطعام بمصر وان صاحبه رجل صالح فاذهبوا اليه فانه سيحسن
اليكم ان شاء الله فتجهزوا وساروا حتى اتوا مصر فدخلوا على يوسف فذلك قوله وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون
اي جاءوا للميار وامن مصر كما امتار غيرهم ودخلوا عليه وهم عشرة وامسك يعقوب ابن يامين اخا يوسف لامه فعرفهم يوسف وانكروه وقال
ابن عباس وكان بين ان قذفوه في الجب وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك انكروه ولانهم راوه ملكا جالسا على السرير عليه
ثياب الملوك ولم يكن يخطر ببالهم انه يصير الى مثل تلك الحالة وكان يوسف ينتظر قدومهم عليه وكان اثبت لهم فلما نظر اليهم يوسف وكلموه
بالعبرانية قال لهم من انتم وما امركم فاني انكر شانكم وفي تفسير علي بن ابرهيم فلما جهزهم واعطاهم واحسن اليهم في الكيل قال لهم من انتم قالوا
نحن قوم من ارض الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما
نحن اخوة بنو اب واحد وهو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل الرحمن ولو تعلم بابينا لكرمنا عليك فانه نبي الله وابن انبيائه وانه لمحزون قال وما الذي احزنه فلعل حزنه انما كان من قبل سفهكم وجهلكم قالوا ايها الملك لسنا بسفهاء ولا جهال ولا اتاه الحزن من قبلنا ولكنه كان له ابن
اصغرنا سنا وانه خرج يوما معنا الى الصيد فاكله الذئب فلم يزل بعده حزينا كئيبا باكيا فقال لهم يوسف كلكم من اب وام قالوا ابونا واحد
وامهاتنا شتى قال فما حمل اباكم على ان سرحكم كلكم الا حبس واحدا منكم يستانس به قالوا قد فعل حبس منا واحدا وهو اصغرنا سنا لانه اخ الذي
هلك من امه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا احد فقال يوسف فاتوني باخيكم الذي
من ابيكم ان كنتم صادقين فانا ارضى بذلك قالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا عندي رهينة حتى تاتوني باخيكم
فليقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وقيل ان يوسف اختار شمعون لانه كان احسنهم رايا فيه فخلفوه عنده فذلك قوله ولما جهزهم
بجهازهم يعني حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم يعني ابن يامين الا ترون اني اوفي الكيل اي لا ابخس الناس شيئا
واتم لهم كيلهم وانا خير المنزلين اي المضيفين ماخوذ من النزل وهو الطعام وقيل خير المنزلين للامور منازلها فدخل فيه الضيافة
وغيرها ماخوذ من المنزل وهو الدار فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي اي ليس لكم عندي طعام اكيله عليكم والمراد بالكيل المكيل
ولا تقربون اي لا تقربوا داري وبلادي خلط عليه السلم الوعد بالوعيد قالوا سنراود عنه اباه اي نطلبه ونسأله ان يرسله معنا
قال ابن عباس معناه سنخدعه حتى نخرجه معنا وانا لفاعلون ما امرتنا به قالوا وكان يوسف امر ترجمانا يعرف العبرانية ان يكلمهم وكان لا يكلمهم
بنفسه ليشتبه عليهم فانهم لو عرفوه ربما كانوا يهيمون في الارض حياء من ابيهم فيتركون خدمته فكان في معرفتهم اياه مفسدة وقال لفتيته اجعلوا
بضاعتهم في رحالهم اي قال يوسف لعبيده وغلمانه الذين كانوا يكيلون الطعام عن قتادة وغيره وقيل لاعوانه اجعلوا ثمن طعامهم
وما كانوا جاءوا به في اوعيتهم وقيل كانت بضاعتهم النعال والادم وقيل كانت الورق عن قتادة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم
لعلهم يعرفون متاعهم اذا رجعوا الى اهلهم لعلهم يرجعون بعد ذلك لطلب الميرة مرة اخرى وانما فعل ذلك ليعرفوا ان يوسف انما فعل
ذلك اكراما لهم ليرجعوا اليه وقيل لانه خاف ان لا يكون عندهم من الورق ما يرجعون به مرة اخرى عن الكلبي وقيل انه راى لوما اخذ ثمن

لفتيانه

فاقترعوا

الطعام من ابيه واخوته مع حاجتهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تفضلا وكرما وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على
رد البضاعة اذا وجدوها في رحالهم ولا يعرفون ان الملك امر بذلك فيرجعون ليردوا ذلك عليه ومتى قيل كيف لم يعرفهم يوسف نفسه
مع علمه بشدة حزن ابيه عليه وقلقه واحتراقه على الم فراقه فالجواب انه لم يؤذن له في التعريف استتماما للمحنة عليه وعلى يعقوب ولما علم الله تعالى
من الحكمة والصلاح في تشديد البلية تعريضا للمنزلة السنية وقيل انما لم يعرفهم نفسه لانهم لو عرفوه ربما لم يرجعوا اليه ولم يحملوا اخاه
اليه والاول هو الصحيح قوله عز وجل فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون
قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل
يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول
وكيل اربع ايات القراءة قرا يكتل بالياء اهل الكوفة غير عاصم والباقون بالنون وقرا خير حافظا بالالف اهل الكوفة غير ابي بكر
والباقون حفظا بغير الف وفي الشواذ قراءة علقمة ويحيى ردت الينا بكسر الراء الحجة قال ابو علي يدل على النون في نكتل قوله ونمير اهلنا
ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير الا ترى انهم انما يميرون اهلهم بما يكتالون فيكون نكتل مثل نمير وايضا فاذا قالوا نكتل جاز ان
يكون اخوهم داخلا معهم واذا كان بالياء لم يدخلوهم فيه وزعموا ان في قراءة عبد الله نكتل بالنون وكان بالنون لقولهم
منع منا الكيل لغيبة اخينا فارسله نكتل ما منعناه لغيبته ووجه الياء انه يكتل حمله كما نكتال نحن احمالنا ووجه من قرا حفظا
انه قد ثبت من قوله ونحفظ اخانا وقوله وانا له لحافظون انهم قد اضافوا الى انفسهم حفظا فالمعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان
كان منهم تفريط في حفظهم ليوسف كما ان قوله اين شركاي لم يثبت لله شريكا وانما المعنى على الشركاء الذين نسبتموهم الي فكذلك
المعنى على الحفظ الذي نسبوه الى انفسهم وان كان منهم تفريط فيه فاذا كان كذلك كان المعنى فالله خير حفظا من حفظكم الذي
نسبتموه الى انفسكم وان كان منكم فيه تفريط واضافة خير الى حفظ محال ولكن تقول حفظ الله خير من حفظكم ومن قرا حافظا فيكون
حافظا منتصب على التمييز دون الحال كما كان حفظا كذلك ولا تستحيل الاضافة فالله خير حافظ وخير الحافظين كما يستعمل في
غير حفظا فان قلت فهل كان ثم حافظ كما ثبت انه كان حفظ بما قدمته فالقول انه قد ثبت انه كان ثم حافظ لقوله انا له لحافظون
ولقوله يحفظونه من امر الله فنقول حافظ الله خير من حافظكم كما قلت حفظ الله خير من حفظكم لان الله سبحانه حفظه كما ان له
حفظا وحافظا خير من حافظكم كما كان حفظه خير من حفظكم وتقول هو احفظ حافظ كما تقول هو ارحم راحم لانه سبحانه من الحافظين
كما كان من الراحمين واما قوله ردت فان فعل من المضاعف والمعتل العين يجيء على ثلثة اوجه عندهم لغة فاشية واخرى تليها
وثالثة قليلة فاقوى اللغات في المضاعف ضم اوله كشد وعد ورد ثم يليه الاشمام وهو بين ضم الاول وكسره ثم قولهم شد ورد
باخلاص الكسر وهو الاقل واقوى اللغات في المعتل العين كسر اوله نحو قيل وبيع ثم يليه الاشمام بين الضمة والكسرة والثالثة اخلاص
الضمة نحو قول وبوع وانشد لذي الرمة دنا البين من مي فردت جمالها وهاج الهوى تقويضها واحتمالها اللغة يقال كلت فلانا
اي اعطيته الشيء كيلا وكلت عليه اخذت منه والامن اطمينان القلب الى سلامة الامر يقال امنه يامنه امنا والميرة الاطعمة
التي تحمل من بلد الى بلد ويقال مرتهم اميرهم ميرا اذا اتيتهم بالميرة ومثله امترتهم امتيارا قال بعثتك مائرا فمكثت حولا متى ياتي غياثك من تغيث الاعراب قال الزجاج حفظا منصوب على التمييز وحافظا على الحال ويجوز ان يكون حافظا على التمييز وما في قوله
ما نبغي استفهام موضعه نصب والمعنى اي شيء نريد ويكون المراد به الجحد ويجوز ان يكون ما ايضا نفيا كانهم قالوا ما نبغي شيئا
وموضع ان يحاط بكم نصب المعنى الا لاحاطة بكم اي لا تمتنعوا من الاتيان به الا لهذا وهذا يسمى مفعولا له قال الزجاج والاهنه
يعني تحقيق الجزاء تقول ما تاتيني الا لاخذ الدراهم والا ان تاخذ الدراهم المعنى فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
فقيل انهم لما دخلوا على يعقوب وسلموا عليه سلاما ضعيفا فقال لهم يا بني ما لكم تسلمون سلاما ضعيفا وما لي لا اسمع فيكم صوت
شمعون قالوا يا ابانا انا جئناك من عند اعظم الناس ملكا ولم ير الناس مثله حكما وعلما وخشوعا وسكينة ووقارا ولئن

كان لك سنيه انه يشبهك ولكنا اهل بيت خلقنا للبلاء انه اتهمنا وزعم انه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بابن يامين برسالة منك تخبره عن
حزنك وما الذى احزنك وعن سرعة الشيب اليك وذهاب بصرك وقوله منع منا الكيل معناه منع منا فيما نستقبل الكيل ان لم ناته باخينا لقوله
فلا كيل لكم عندى فارسل معنا اخانا ابن يامين نكتل اى ناخذ الطعام بالكيل اى ان ارسلته اكتلنا والا منعنا الكيل ومن قرا يكتل
فالمعنى ياخذ اخونا ابن يامين وقر بعير يكال له وانا له لحافظون من ان يصيبه سوء او مكروه قال يعقوب هل امنكم عليه الا كما امنتكم
على اخيه من قبل اى لا امنكم على ابن يامين فى الذهاب به الا كامنى على يوسف ضمنتم له حفظه ثم ضيعتموه او اهلكتموه او غيبتموه عنى و انما
قرعهم بحديث يوسف والا فقد كان يعلم انهم فى هذه الحال لا يفعلون ما لا يجوز فالله خير حفظا اى حفظ الله خير من حفظكم
وهو ارحم الراحمين يرحم ضعفى وكبر سنى ويرده علىّ وورد فى الخبر ان الله سبحانه قال فبعزتى لاردنهما اليك بعد ما توكلت على ولما
فتحوا متاعهم يعنى اوعية الطعام وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغى اى ما نطلب فى منع اخينا عنه وقيل معناه ما نطلب
بما اخبرناك عن ملك مصر الكذب وقيل معناه اى شئ نطلب وراء هذا اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن عن قتادة ارادوا ان يطيب
نفس يعقوب فيبعث ابنه معهم وتم الكلام ثم قالوا ابتداء هذه بضاعتنا ردت الينا اى فلا ينبغى ان نخاف على اخينا ممن قدم احسن
الينا هذا الاحسان وقيل المراد ما نريد منك دراهم تعطيناها نرجع بها اليه بل يكفينا فى الرجوع اليه بضاعتنا هذه فان الملك اذا
فعلنا ما امرنا به فى اخينا يفى بما وعدنا فارسله معنا ونمير اهلنا اى نجلب اليهم الطعام ونحفظ اخانا فى السفر حتى نرده اليك ونزداد
كيل بعير لاجله لانه كان يكال لكل رجل وقر بعير ذلك كيل يسير اى ذلك كيل سهل اى يسهل على الذى نمضى اليه عن الزجاج فالمعنى
انه هين على الملك لا يصعب عليه ولا يظهر فى ماله وقيل معناه ان الذى جئناك به كيل قليل لا يقنعنا فنحتاج ان نضيف اليه كيل بعير اخينا
عن الجبائى وقيل يسير على من يكتاله لا مؤنة فيه ولا مشقة عن الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب فى ارساله معهم فلما راى يعقوب
عليه السلم رد البضاعة وتحقق عنده اكرام الملك اياهم وعزم على ارسال ابن يامين معهم قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله اى
تعطونى ما يوثق به من يمين او عهد من الله لتاتننى به اى لتردنه الى قال ابن عباس يعنى حتى تحلفوا لى بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين
ان لا تغدروا باخيكم ولتاتننى به اللام فيه لجواب القسم الا ان يحاط بكم اى الا ان تهلكوا جميعا عن مجاهد وقيل الا ان تغلبوا حتى لا
تطيقوا ذلك عن قتادة والمعنى الا ان يحال بينكم وبينه حتى لا تقدروا على الاتيان به عن الزجاج فلما اتوه موثقهم اى اعطوه عهودهم
وحلفوا له بحق محمد ومنزلته من ربه عن ابن عباس قال يعقوب الله على ما نقول وكيل اى شاهد حافظ ان اخلفتم انتصف لى منكم وفى هذا
دلالة على وجوب التوكل على الله سبحانه فى جميع المهمات والتفويض اليه فى كل الامور وفيها دلالة ايضا على ان يعقوب عليه السلم
انما ارسل ابن يامين معهم لانه علم انهم لما كبروا اندموا على ما كان فرط منهم فى امر يوسف ولم يصروا على ذلك ولهذا وثق بهم وانما عيرهم بحديث
يوسف حثا لهم على حفظ اخيهم قوله عز وجل وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا
أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ
مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
ايتان اللغة الغنى اصله الكفاية ومنه الغنى فى المال لانه اكتفى به وربما مد بضرورة الشعر والغناء بكسر الغين والمد من الصوت
يقال منه غنى يغنى غناء والغناء بالفتح والمد الكفاية وغنى عن كذا فهو غان وغنى القوم فى دارهم اقاموا والمغانى المنازل لانهم
اكتفوا بها والغانية المراة تكتفى بزوجها او بجمالها عن التزين من غيره المعنى ولما تجهزوا للمسير قال يعقوب يا بنى لا تدخلوا مصر من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوى جمال وهيئة وكمال وهم اخوة اولاد رجل واحد عن ابن عباس والحسن وقتادة و
الضحاك والسدى وابى مسلم وقيل خاف عليهم حسد الناس اياهم وان يبلغ الملك قوتهم وبطشهم فيحبسهم او يقتلهم خوفا على ملكه عن الجبائى
وانكر العين وذكر انه لم يثبت بحجة وجوزه كثير من المحققين ورووا فيه الخبر عن النبى صلى الله عليه واله ان العين حق والعين يستنزل الحالق
والحالق المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل عليه السلم العين كانها تحط ذروة الجبل من قوة اخذها وشدة بطشها وورد فى الخبر
انه عليه السلم كان يعوذ الحسن والحسين بان يقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروى

ان ابرهيم عليه السلم عوذ ابنيه وان موسى عوذ ابنى هرون بهذه العوذة وروى ان بنى جعفر بن ابى طالب كانوا غلمانا بيضا فقالت اسماء
بنت عميس يا رسول الله ان العين اليهم سريعة افاسترقى لهم من العين فقال صلى الله عليه واله نعم وروى ان جبرئيل عليه السلم رقى
رسول الله وعلمه الرقية بسم الله ارقيك من كل عين حاسد الله يشفيك وروى عن النبى صلى الله عليه واله قال لو كان شئ يسبق
القدر لسبقته العين ثم اختلفوا فى وجه الاصابة بالعين فروى عن عمرو بن بحر الجاحظ انه قال لا ينكر ان ينفصل من العين الصائبة
الى الشئ المستحسن اجزاء لطيفة فيتصل به ويؤثر فيه ويكون هذا المعنى خاصية فى بعض الاعين كالخواص فى بعض الاشياء وقد اعترض على
ذلك بانه لو كان كذلك لما اختص ذلك ببعض الاشياء دون بعض ولان الاجزاء تكون جواهر والجواهر متماثلة ولا يؤثر بعضها فى بعض
وقال ابو هاشم انه فعل الله تعالى بالعادة لضرب من المصلحة وهو قول القاضى ورايت فى شرح هذا للشريف الاجل المرتضى الموسوى
قدس الله روحه كلاما احببت ايراده فى هذا الموضع قال ان الله تعالى يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم فى تلك
الافعال التى يفعلها فغير ممتنع ان يكون تغييره نعمة زيد مصلحة لعمرو واذا كان تعالى يعلم من حال عمرو انه لو لم يسلب زيد نعمته اقبل
على الدنيا بوجهه وناى عن الاخرة بعطفه واذا سلب نعمة زيد للعلة التى ذكرناها عوضه عنها واعطاه بدلا منها عاجلا او اجلا فيمكن
ان يتاول قوله عليه السلم العين حق على هذا الوجه لانه على انه قد روى عنه عليه السلام ما يدل على ان الشئ اذا اعظم فى صدور
العباد وضع الله قدره وصغره واذا كان الامر على هذا فلا ينكر تغيير حال بعض الاشياء عند نظر بعض الناظرين اليه واستحسانه له
وعظمه فى صدره وفخامته فى عينه كما روى انه قال لما سبقت ناقته العضباء وكانت اذا سوبق بها لم يسبق ما رفع العباد من شئ
الا وضع الله منه ويجوز ان يكون ما امر به المستحسن للشئ عند رؤيته من تعويذه بالله والصلوة على رسول الله قائما فى المصلحة مقام تغيير
حال الشئ المستحسن فلا يغير ذلك لان الرائى لذلك قد اظهر الرجوع الى الله تعالى والاعاذة به فكانه غير راكن الى الدنيا ولا
يغتر بها انتهى كلامه رضى الله عنه وما اغنى عنكم من الله من شئ اى وما ادفع من قضاء الله من شئ ان كان قد قضى عليكم الاصابة
بالعين او غير ذلك ان الحكم الا لله اى ما الحكم الا لله عليه توكلت فهو القادر على ان يحفظكم من العين او من الحسد ويردكم على
سالمين وعليه فليتوكل المتوكلون اى ليفوضوا امورهم اليه وليثقوا به ولما دخلوا مصر من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة
كما امرهم يعقوب وقيل كان لمصر اربعة ابواب فدخلوها من ابوابها الاربعة متفرقين ما كان يغنى عنهم من الله من شئ الا
حاجة فى نفس يعقوب قضاها اى لم يكن دخولهم مصر كذلك يغنى عنهم او يدفع عنهم شيئا اراد الله تعالى ايقاعه بهم من حسد او اصابة
عين وهو عليه السلم كان عالما بانه لا ينفع حذر من قدر لكن كان ما قاله لنفسه حاجة فى قلبه فقضى يعقوب تلك الحاجة اى ازال
به اضطراب قلبه لان لا يحال على العين مكروه يصيبهم وقيل معناه ان العين لو قدر ان يصيبهم لاصابتهم وهم متفرقون كما يصيبهم
مجتمعين عن الزجاج قال حاجة استثناء ليس من الاول بمعنى لكن حاجة وانه لذو علم اى انه لذو يقين ومعرفة بالله لما علمناه اى من
اجل تعليمنا اياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم والمعنى انه حصل له العلم بتعليمنا اياه وقيل وانه لذو علم لما علمناه اى يعلم ما علمناه فيعمل
به لان من علم شيئا ولا يعمل به كان كمن لا يعلم فعلى هذا يكون اللام فى قوله لما علمناه كاللام فى قوله للرؤيا تعبرون ولكن اكثر الناس لا
يعلمون مرتبة يعقوب فى العلم عن الجبائى وقيل لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه عن ابن عباس قوله عز وجل وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى
يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ
أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ
وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ
مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا
لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ثمانى
ايات القراءة فى الشواذ قراءة ابى رجا صوع الملك بفتح الصاد وقراءة عبد الله بن عون صوع بضم الصاد بغير الف وقراءة
يحيى بن يعمر صوغ بفتح الصاد والغين معجمة وقراءة ابى هريرة ومجاهد بخلاف صاع الملك والقراءة المشهورة صواع الملك وقراءة

الحسن من وعاء اخيه بضم الواو وقراءة سعيد بن جبير اعاء اخيه بالهمزة وقرا يعقوب وسهل يرفع ويشاء بالياء والباقون بالنون وقرا
اهل الكوفه درجات بالتنوين والباقون بغير التنوين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وفوق كل ذي عالم عليم الحجة الصواع والصاع
والصوع واحد وهو مكيال واما الصوغ فمصدر وضع موضع اسم المفعول اي المصوغ وهو مثل الخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد
ومن قراء اعاء فاصله وعاء ابدلت الواو المكسورة همزة كما قالوا في وسادة اسادة وفي وجاج للستر اجاج ومن قرا وعاء بالضم
فانه يكون لغة والهمز فيه اقيس كما قالوا اعد في وعد واجوه في وجوه ومن قرا درجات بالتنوين فان من تكون في موضع نصب
على معنى يرفع من يشاء درجات ومن قراها بغير تنوين قال من يكون في موضع جر بالاضافة وقال ابن جني ان قراءة من قرا وفوق
كل ذي عالم عليم يحتمل ثلثة اوجه احدها ان يكون من باب اضافة المسمى الى الاسم اي وفوق كل شخص يسمى عالما او يقال له عالم عليم مثل
قول الكميت اليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظماء والبب اي اليكم يا آل النبي اي يا اصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبي وعليه
قول الاعشى فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا اي صبحهم الجيش الذي يقال له آل حسان والوجه الثاني
ان يكون عالم مصدرا كالباطل وغيره والثالث ان يكون على وجه مذهب من اعتقد زيادة ذي فكانه قال وفوق كل عالم عليم اللغة
يقال اوى الى منزله ياوي اويا اذا صار اليه وآويته انا ايواء والابتياس الاغتمام واجتلاب البوس والحزن والسقاية الاناء التي
يسقى منها وهو من السقي وقيل السقاية والصواع واحد والاذان والتاذين واحد وهو النداء يسمع بالاذن ويقال آذنته بالشيء
اي اعلمته وآذنته اكثرت اعلامه والعير القافلة من الحمير وقيل هو القافلة التي فيها الاحمال والاصل الحمير ثم كثر فسمي كل قافلة عيرا و
قيل العير الابل السائرة المركوبة والجمع عيرات والحمل بالكسر لما انفصل وبالفتح لما اتصل وجمعه احمال وحمول والزعيم والكفيل والضمين
نظاير والزعيم ايضا القائم بامر القوم وهو الرئيس قالت ليلى الاخيلية حتى اذا رفع اللواء رايته تحت اللواء على الخميس زعيما الاعراب
تالله معناه والله الا ان التاء يختص باسم الله لا يجوز تالرحمن وتربي وهو بدل من الواو كما ابدل من الواو في تراث وتجاه وتخمة قالوا
جزاؤه من وجد في رحله ذكر في اعرابه وجهان احدهما ان يكون جزاؤه مبتداء ومن وجد في رحله الخبر ويكون المعنى جزاء السرقة
الانسان الموجود في رحله السرقة ويكون قوله فهو جزاؤه جملة اخرى ذكرت زيادة في البيان وعلى هذا يكون من موصولة ويكون
تقديره واسترقاق الذي وجد في رحله السرق فحذف المضاف والاخر ان يكون جزاؤه مبتداء ومن وجد في رحله فهو جزاؤه جملة
شرطية في موضع الخبر والعايد على المبتداء الاول من الجملة جزاؤه ومن قوله فهو جزاؤه فكانه قال فهو هو اي فهو الجزاء والاظهار ههنا
احسن لئلا يقع في الكلام لبس قال الزجاج ان العرب اذا فخمت امر الشيء جعلت العايد عليه اعادة اللفظ بعينه وانشد لا ارى
الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا وعلى هذا فيكون المعنى قالوا جزاء السرق ان وجد في رحل رجل منا فالموجود
في رحله السرق جزاؤه استرقاقا وقال صاحب الكشف تقديره جزاء المسروق من وجد في رحله اي انسان وجد الصاع في رحله فمن نكرة
وهو مبتداء ثان وقوله وجد في رحله صفة لمن وقوله فهو جزاؤه خبر لمن والجملة خبر قوله جزاؤه والتقدير جزاؤه انسان
وجد في رحله الصاع فهو هو الا انه وضع الظاهر موضع المضمر قال وليس في التنزيل من نكرة الا في هذا الموضع وموضع الكاف من
كذلك كذنا نصب بانه صفة مصدر محذوف وموضع ان يشاء الله نصب لما سقطت الباء افضى الفعل اليها فنصب التقدير الا بمشية
الله المعنى ثم اخبر سبحانه عن دخولهم عليه فقال ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه اي لما دخل اولاد يعقوب على يوسف ضم اليه
اخاه من ابيه وامه ابن يامين وانزله معه عن الحسن وقتادة وقيل انهم لما دخلوا عليه قالوا هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به
فقال احسنتم ثم انزلهم واكرمهم ثم اضافهم وقال ليجلس كل بنى ام على مائدة فجلسوا فبقي ابن يامين قائما فردا فقال له يوسف ما لك لا
تجلس قال انك قلت ليجلس كل بني ام على مائدة وليس لي فيهم ابن ام فقال يوسف اما كان لك ابن ام قال بلى قال يوسف فما فعل قال
زعم هؤلاء ان الذيب اكله قال فما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي احد عشر ابنا كلهم اشتققت له اسما من اسمه قال له يوسف اراك
قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده قال ابن يامين ان لي ابا صالحا وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تثقل
الارض بالتسبيح فقال له يوسف تعال واجلس معي على مائدتي فقال اخوة يوسف لقد فضل الله يوسف واخاه حتى ان الملك

والصوع،

في الابانة كما يقال جزاء السارق القطع فهو جزاؤه وفهذ اجزاؤه زيادة م

قد اجلسه معه على مائدته روي ذلك عن الصادق عليه السلم قال اني انا اخوك اي اطلعه على انه اخوه وقيل انه قال له انا اخوك
مكان اخيك الهالك ولم يعترف له بالنسبة ولم يطلعه على انه اخوه ولكنه اراد ان يطيب نفسه فلا تبتئس بما كانوا يعملون
اي فلا تستكن ولا تحزن لشيء سلف من اخوتك اليك عن وهب والشعبي فلما جهزهم بجهازهم اي فلما اعطاهم ما جاؤا
لطلبه من الميرة وكان لهم الطعام الذي جاؤا لاجله وجعل لكل واحد منهم حمل بعير ويسمى حمل الناجر جهازا جعل السقاية في
رحل اخيه معناه امر حتى جعل الصاع في متاع اخيه وانما اضاف الله تعالى ذلك اليه لوقوعه بامره وقيل ان السقاية وهي المشربة
التي كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعا في السنين الشداد القحاط يكال به الطعام وقيل كان من ذهب عن ابن زيد وروي
ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل كان من فضة عن ابن عباس والحسن وقيل كان من فضة مرصعة بالجواهر
مكرمة ثم ارتحلوا وانطلقوا ثم اذن مؤذن اي نادى منادي مسمعا معلما ايتها العير اي القافلة التقدير يا اهل العير و
قيل كانت القافلة من الحمير عن مجاهد انكم لسارقون قيل انما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير امره ولم يعلم
بما امر يوسف من جعل الصاع في رحالهم عن الجبائي وقيل ان يوسف امر المنادي بان ينادي به ولم يرد به سرقة الصاع وانما عنى
به انكم سرقتم يوسف عن ابيه والقيتموه في الجب عن ابي مسلم وقيل ان الكلام يجوز ان يكون خارجا مخرج الاستفهام كانه قال ائنكم
لسارقون فاسقط همزة الاستفهام كما في قول الشاعر كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا ويؤيده
ما روى هشام بن الحكم عن ابي عبد الله عليه انه قال ما سرقوا وما كذب ومتى قيل كيف جاز ليوسف ان يحزن والده واخوته
بهذا الصنيع ويجعلهم متهمين بالسرقة فالجواب ان الغرض التسبب الى احتباس اخيه عنده ويجوز ان يكون ذلك بامر الله تعالى وروي
انه اعلم اخاه بذلك ليجعله طريقا الى التمسك به فاذا كان ادخال هذا الحزن سببا مؤديا الى ازالة غموم كثيرة عن الجميع ولا
شك ان يتعلق به المصلحة فقد ثبت جوازه فاما التعرض للتهمة بالسرقة فغير صحيح لان وجود السقاية في رحله يحتمل امورا كثيرة
غير السرقة فلو حمله على السرقة مع علمه بانه او لاد الانبياء توجهت اللائمة عليه قالوا اي قال اصحاب العير واقبلوا عليهم اي على اصحاب
يوسف ماذا تفقدون اي ما الذي فقدتموه من متاعكم قالوا نفقد صواع الملك اي صاعه وسقايته ولمن جاء به حمل بعير اي
وقال المنادي من جاء بالصاع فله حمل بعير من الطعام وانا به زعيم اي كفيل ضامن قالوا اي قال اخوة يوسف تالله لقد علمتم ايها القوم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قط وانما اضافوا العلم اليهم بذلك مع انهم لم يعلموه لان معنى هذا القول انكم قد ظهر لكم من حسن
سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد اخرى ما تعلمون به انه ليس من شاننا السرقة وقيل انهم انما قالوا ذلك لانهم ردوا البضاعة التي وجدوها
في رحالهم مخافة ان يكون قد وضع ذلك بغير اذن يوسف اي فاذا كنا تحرجنا عن هذا فقد علمتم انا لا نسرق لان من رد ما
وجد لا يكون سارقا عن الكلبي وقيل انهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدوا افواه دوابهم كي لا يتناول الحرث والزرع وفي هذا
دلالة على ان ما فعله اخوة يوسف به انما كان في حال الصغر وعدم كمال العقل لنفيهم عن انفسهم الفساد الذي هو ضد الصلاح قالوا
فما جزاؤه اي قال الذين نادوهم فما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم انا لم نسرق وظهرت السرقة وقيل معناه فما جزاء من سرق
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي قال اخوة يوسف جزاء السرق السارق وهو الانسان الذي وجد المسروق في رحله
وقد بينا تقديره فيما قبل ومعناه ان السنة في بني اسرائيل وعند الملك كان استرقاق السارق عن الحسن والسدي وابن اسحق والجبائي
وكان يسترق سنة وقيل كان حكم السارق في آل يعقوب ان يستخدم ويسترق على قدر سرقته وفي دين الملك الضرب والضمان
عن الضحاك وقيل ان يوسف سالهم ما جزاء السارق عندكم فقالوا ان يوخذ بسرقته كذلك نجزي الظالمين الحسن اي مثل ما ذكرنا
من الجزاء نجزي السارقين يعني اذا سرق استرق وقيل ان ذلك جواب يوسف عليه السلم يقول لاخوته ان جزاء السارق استرقاقه
فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه اي بدا يوسف في التفتيش باوعيتهم لازالة التهمة ثم استخرجها يعني السقاية من وعاء اخيه وانما بدا باوعيتهم
لانه لو بدا بوعاء اخيه لعلموا انه هو الذي جعلها فيه وانما قال استخرجها لانه اراد به السقاية وحيث قال ولمن جاء به اراد به الصاع
وقيل ان الصاع يذكر ويؤنث قالوا فاقبلوا على ابن يامين وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا متى اخذت هذا الصاع فقال وضع

عليهم م

هذا الصاع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم كذلك كدنا ليوسف اى مثل ذلك الكيد امرنا يوسف ليكيد بما يتهيأ له ان
يحبس اخاه ليكون ذلك سببا لوصول خبره الى ابيه اى الهمنا يوسف هذا الكيد والحيلة فجازيناهم على كيدهم بيوسف اى كما فعلوا
فى الابتداء فعلنا بهم وقيل ان معنا كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس وقيل الهمنا عن الربيع وقيل دبرنا ليوسف بدلالة قوله وفوق
كل ذى علم عليم على انه سبحانه علم من صلاح هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن القتيبى ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك الا ان يشاء
الله اى ما كان يمكنه ان ياخذ اخاه فى حكم الملك وقضائه وان يحبسه اذ لم يكن ذلك فى حكم ملك مصر واهله عن قتادة وقيل فى دين
الملك فى سلطانه عن ابن عباس وقيل فى عادته فى جزاء من سرق ان يستعبد وقيل انه كان عادلا ولولا هذه الحيلة لما كان يمكنه من اخذ
اخيه الا ان يشاء الله ان يجعل ليوسف عذرا فيما فعل وقيل الا ان يشاء الله ان يامر بذلك لانه كان لا يمكنه ان يقول هذا اخى وكان
لا يمكنه حبسه من غير حيلة لانه كان يكون فعله ظلما وكان من سنة آل يعقوب ان يسترق وفى حكم الملك واهل مصر ان يضرب ويغرم فحبسه
يوسف على قولهم والتزم حكمهم الذى جرى على لسانهم مبالغة فى نفى السرقة عن انفسهم وكان ذلك مراده وقد شاء الله لانه بامره عن الحسن
وانما سماه كيدا لانه لولا هذا السبب لم يتهيأ له اخذ والكيد ما يفعله فاعله ليوصل به الى غيره ضررا من حيث لا يعلمه ولينال منه شيئا
من غير ان يعلمه نرفع درجات من نشاء بالعلم والنبوة كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وقيل بالتقوى والتوفيق والعصمة والالطاف الجميلة
وفوق كل ذى علم عليم يعنى ان كل عالم فانه فوقه عالما اعلم منه حتى ينتهى الى الله تعالى العالم لجميع المعلومات لذاته فيقف عليه ولا يتعداه
وفى هذا دلالة على بطلان قول من قال ان الله سبحانه عالم بعلم قديم لانه لو كان كذلك لكان فوقه عليما على ما يقتضيه الظاهر قوله عز
وجل قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ
قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا
عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا
فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ اربع آيات اللغة اليأس قطع الطمع من الامر
يقال يئس ييئس يأسا وأيس يأيس لغة واستفعل منه استيأس واستيأيس وروى ابو ربيعة عن البزى عن ابن كثير استايسوا
واستايس الرسل ولا يايس وييتايس بمعنى مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب والنجى القوم يتناجون الواحد والجمع فيه سواء قال سبحانه وقربناه
نجيا وانما جاز ذلك لانه مصدر وصف به والمناجاة المسارة واصله من النجوة وهو المرتفع من الارض فكانه رفع السر من كل واحد
الى صاحبه فى خفية والنجوى يكون اسما ومصدرا قال سبحانه واذ هم نجوى اى متناجون وقال فى المصدر انما النجوى من الشيطان
وجمع النجى انجية قال انى اذا ما القوم كانوا انجية وبرح الرجل براحا اذا تنحى عن موضعه الاعراب قوله فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال
الزجاج هذا اضمار على شريطة التفسير لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من ها فى فاسرها والمعنى فاسر يوسف فى نفسه قوله انتم شر مكانا
قال ابو على ان الاضمار على شريطة التفسير يكون على ضربين احدهما ان يفسر بمفرد نحو نعم رجلا زيد فقولنا رجلا تفسير للرجل الذى هو
فاعل نعم وقد اضمر والآخر ان يفسر بجملة واصل هذا يقع فى الابتداء كقوله فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا وقل هو الله احد المعنى
القصة ابصار الذين كفروا شاخصة والامر الله احد ثم يدخل عوامل المبتدا عليه نحو كان واخواتها وان واخواتها فينتقل هذا الضمير من
الابتداء بها كما ينتقل ساير المبتدآت كقوله انه من يأت ربه مجرما فان لها لا تعمى الابصار وقول الشاعر وليس منها شفاء الداء مبذول والذى
ذهب ابو اسحق فيه الى انه مضمر على شريطة التفسير ليس بمبتداء فيلزمه التفسير بالجملة الا ترى انها فضلة مذكورة بعد فعل وفاعل وهو قوله
اسر فاذا كان مباينا لما اصله المبتداء لم يجز ان يفسر تفسيره وايضا فان المضمر على شريطة التفسير لا يكون الا متعلقا بالجملة التى تفسره
ولا يكون منقطعا عنها ولا متعلقا بجملة غيرها وما ذكره ابو اسحق فالتفسير فيه منفصل عن الجملة التى فيها الضمير الذى زعم انه اضمار على
شريطة التفسير فخرج بذلك عما يكون عليه الاضمار قبل التفسير فان قلت فعلام يحمل الضمير فى اسرها قلنا يحتمل ان يكون اضمار الكلمة
كانهم لما قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل اسر يوسف اجابتهم فى نفسه ولم يبدها لهم فى الحال وجاز اضمار ذلك لانه دل ما تقدم
من مقالتهم عليه وجاز ان يكون اضمارا للمقالة كانه اسر يوسف مقالتهم لان القول والمقالة واحد ويكون معنى المقالة القول

كما ان الخلق عبارة عن المخلوق اى اكنها يوسف فى نفسه ووعاها ولم يطرحها ارادة للتوبيخ عليها والمجازاة بها انتهى تلخيص كلام ابى على
قوله شيخا كبيرا صفة للاب وكبيرا صفة لشيخ ومعاذ الله منصوب على المصدر والعرب تقول معاذ الله ومعاذة الله وعوذ الله
وعوذة الله وعياذ الله ويقولون اللهم عائذا بك وان ناخذ فى موضع نصب والمعنى اعوذ بالله من اخذ احد الا من وجدنا متاعنا
عنده فلما سقطت من افضى الفعل فنصب عن الزجاج وقوله انا اذا لظالمون فيه معنى الجزاء اى ان اخذنا غيره فنحن ظالمون ونجيا
نصب على الحال وما فى قوله ما فرطتم لغو اى ومن قبل فرطتم ويجوز ان تكون مصدرية فى موضع رفع بمعنى تفريطكم واقع من قبل فيكون
ما فرطتم فى يوسف فى موضع رفع بالابتداء ومن قبل خبره ويجوز ان يكون فى موضع نصب عطفا على ان فيكون المعنى الم تعلموا ان
اباكم قد اخذ عليكم موثقا وتفريطكم فى يوسف ويحكم عطف على ياذن ويجوز ان يكون بمعنى الا ان اى لن ابرح الارض الا ان يحكم الله لى
المعنى ثم اخبر سبحانه عن اخوة يوسف انهم قالوا ليوسف ان يسرق ابن يامين فقد سرق اخ له من امه من قبل فليست سرقته بامر بديع
فانه اقتدى باخيه يوسف واختلف فيما وصفوه به من السرقة على اقوال فقيل ان عمة يوسف كانت تحضنه بعد وفات امه وتحبه حبا
شديدا فلما ترعرع اراد يعقوب ان يسترده منها وكانت اكبر ولد اسحق وكانت اليها منطقة اسحق وكانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت
وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف وادعت انه سرقها وكان من سنتهم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب عندها
عن ابن عباس والضحاك والجبائى وقد روى ذلك عن ائمتنا عليهم السلام وقيل انه سرق صنما لجده من قبل امه فكسره والقاه
على الطريق عن سعيد بن جبير وقتادة وابن زيد وقيل انه سرق دجاجة كانت فى بيت يعقوب او بيضة فاعطاها سائلا عن وهب
بها عن سفيان بن عيينة ومجاهد فاسرها يوسف اى فاخفى يوسف تلك الكلمة التى قالوها ولم يبدها لهم اى لم يظهرها قال انتم شر مكانا
فى السرق لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون اى الله اعلم أسرق اخ له ام لا عن الزجاج ويكون المعنى انتم اسوأ حالا من
يوسف فانه لم يكن له صنيع فى المنطقة وكان يتصدق باذن ابيه ولم تكونوا برآء مما عاملتموه به وقيل معناه انتم شر صنيعا بما اقدمتم
عليه من ظلم اخيكم وعقوق ابيكم فانتم شر مكانا عند الله منه اى اسر هذه المقالة فى نفسه ثم جهر بقوله والله اعلم بما تصفون قال الحسن
لم يكونوا انبياء فى ذلك الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح عندنا انهم لم يكونوا انبياء لان النبى عندنا لا يجوز ان
يقع منه فعل القبيح اصلا وقال البلخى انهم كذبوا فى هذا القول ولم يصح انهم كانوا انبياء ويجوز ان يكون الاسباط غيرهم او لم
يكونوا من اولادهم قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه اى بدلا عنه انما قالوا هذا لما علموا انه استحقه فسالوه
ان ياخذ عنه بدلا شفقة على والدهم ورققوا فى القول على وجه الاسترحام ومعناه كبيرا فى السن وقيل كبيرا فى القدر لا يحبس
ابن مثله انا نراك من المحسنين الى الناس وقيل من المحسنين الينا فى الكيل ورد البضاعة وفى الضيافة فنحن نسأل هذا منك
لاحسانك الينا وقيل ان فعلت هذا فقد احسنت الينا فاجابهم يوسف بان قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده اى
اعوذ بالله ان آخذ البرئ بجرم السقيم وقال من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا من الكذب انا اذا لظالمون اى لو
فعلنا ذلك لكنا ظالمين وفى هذا دلالة على ان اخذ البرئ بالمجرم ظلم ومن فعله كان ظالما والله يتعالى عن ذلك ويجل عن
ذلك علوا كبيرا فلما استيأسوا منه اى فلما يأس اخوة يوسف من يوسف ان يجيبهم الى ما سألوه من تخلية سبيل ابن يامين معهم خلصوا
خلوصا نجيا اى انفردوا عن الناس من غير ان تكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون فى ذهابهم الى ابيهم من غير اخيهم و
يتدبرون فى انهم يرجعون ام يقيمون وتلخيصه اعتزلوا عن الناس متناجين وهذا من الفاظ القرآن التى هى فى الغاية القصوى
من الفصاحة والايجاز فى اللفظ مع كثرة المعنى قال كبيرهم وهو روبيل وكان اسنهم وهو ابن خالة يوسف وهو الذى
نهى اخوته عن قتله عن قتادة والسدى والضحاك وكعب وقيل شمعون وهو كبيرهم فى العقل والعلم لا فى السن وكان رئيسهم
عن مجاهد وقيل يهودا وكان اعقلهم عن وهب والكلبى وقيل لاوى عن محمد بن اسحق وعن على بن ابرهيم بن هاشم الم تعلموا
ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله الوثيقة التى طلبها منهم يعقوب حين قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى
به فذكرهم ذلك ومن قبل ما فرطتم فى يوسف اى قصرتم فى امره وكنتم قد عاهدتم اباكم ان تردوه اليه سالما فنقضتم العهد فلن

اى اعوذ عياذا بك

ابرح الارض اى لا ازال بهذه الارض ولا ازول عنها وهى ارض مصر حتى يأذن لى ابى فى البراح والرجوع اليه او يحكم الله لى بالخروج
وترك اخى ههنا وقيل بالموت وقيل بما يكون عذرا لنا عند ابينا عن ابى مسلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخى عن الجبائى
وهو خير الحاكمين لانه لا يحكم الا بالحق قالوا انه قال لهم انا اكون ههنا واحملوا انتم الطعام اليهم واخبروهم بالواقعة قوله عز وجل ارجعوا
الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى
اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى
عنهم وقال يا اسفا على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من
الهالكين قال انما اشكوا بثى وحزنى الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا
من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون سبع ايات القراءة فى الشواذ قراءة ابن عباس سُرِّق بضم السين
وتشديد الراء وكسرها وقراءة الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز من روح الله بضم الراء الحجة معنى سُرِّق نسب الى السرقة فيكون من
باب فسّقه وشجّعه اذا نسبه الى هذه الخلال واما روح الله فيمكن ان يكون من الروح الذى هو من عند الله و لطفه وهدايته
ونعمته اللغة القرية الارض الجامعة لمساكن كثيرة واصله من القرى وهو الجمع يقال قريت الماء فى الحوض وتطلق على البلدة
والمدينة والعير قد مضى ذكر معناه والكظم اجتراع الحزن وهو ان يمسكه فى قلبه ولا يبثه الى غيره ويقال ما زلت افعل كذا و
ما فتئت افعله افتأ فتأ قال اوس بن حجر فما فتئت حيل تثوب وتدعى ويلحق منها لاحق وتقطع والحرض المشرف على الهلاك
يقال رجل حرض وحارض اى فاسد فى جسمه وعقله ومنه حرضته على كذا اى امرته به لانه اذا خالف الامر فكانه هلك و
احرضه اى افسده قال العرجى انى امرؤ لج بى حب فاحرضنى حتى بليت وحتى شفنى السقم والحرض لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر
والشكوى صفة ما عنده من البلوى يقال شكوته الى فلان شكوى وشكاية وشكوا واشكانى اى اعتبنى من شكواى واشكانى
ايضا احوجنى الى الشكوى والبث الهم الذى لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه اى يفرقه وكل شىء فرقته فقد بثثته ومنه قوله
وبث فيها من كل دابة والتحسس طلب الشىء بالحاسة والتجسس نظيره وفى الحديث لا تحسسوا ولا تجسسوا وقيل ان معناهما واحد
ونسق احدهما على الاخر لاختلاف اللفظين كقول الشاعر متى ادن منه ينأ عنى ويبعد وقيل التجسس بالجيم البحث عن عورة
الناس وبالحاء الاستماع لحديث القوم وسئل ابن عباس عن الفرق بينهما فقال لا يبعد احدهما عن الاخر التحسس فى الخير والتجسس
فى الشر والروح الراحة والروح الرحمة واصل الباب من الريح التى تأتى بالرحمة الاعراب واسئل القرية اى اهل القرية واهل
العير فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه يا اسفا معناه يا حزنا والاصل يا اسفى الا ان ياء الاضافة يجوز ان تبدل
الفا لخفة الالف والفتحة ويجوز ان تكون الالف الندبة ويكون معناه البيان ان الحال حال حزن فكانه قال يا اسف هذا
من اوانك وقوله على يوسف من صلة المصدر وتفتؤا معناه لا تفتؤا حذف حرف النفى لعلم السامع به كما فى قول امرئ القيس
فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو ضربوا راسى لديك واوصالى وانما جاز ذلك لانه لا يجوز فى القسم تالله تفعل حتى لا يقول
تالله لتفعلن او تقول لا تفعل المعنى ثم اخبر سبحانه انه قال لهم كبيرهم فى السن او فى العلم ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق فى الظاهر وما شهدنا عندك بهذا الا بما علمنا اى لا بما شاهدنا من ان الصاع استخرج من رحله فى الظاهر و
بين بهذا انهم لم يكونوا قاطعين على انه سرق وقيل معناه ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق الا بما علمنا ان الحكم ذلك
ولم نعلم ان ابنك سرق ام لا الا انه وجد الصاع عنده فحكم بانه السارق فى الظاهر وانما قالوا ذلك حين قال يعقوب عليه السلام
لهم ما يدرى الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته وانما علم ذلك بقولكم وما كنا للغيب حافظين اى انا لم نعلم الغيب حين سألناك
ان يبعث معنا ابن يامين معنا ولا نذر ان امره يؤل الى هذا وانما قصدنا به الخير ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد
وقتادة والحسن وقال على بن عيسى علم الغيب هو علم من لو شاهد الشىء لشاهده بنفسه لا بامر يستفيده والعالم بهذا المعنى هو الله عز و
جل اسمه وقيل معناه ما كنا لسر هذا الامر حافظين وبه عالمين فلا ندرى انه سرق ام كذبوا عليه وانما اخبرناك بما شاهدنا عن عكرمة

وقيل معناه ما كنا للغيب ابنك حافظين اى انا كنا نحفظه فى محضره فاذا غاب عنا ذهب عن حفظنا يعنون انه سرق ليلا وهم نيام والغيب
هو الليل بلغة حمير عن ابن عباس قال انا لم نعلم ما كان يصنع فى ليله ونهاره ومجيئه وذهابه وسئل القرية اى اهل القرية التى كنا فيها
والقرية مصر عن ابن عباس والحسن وقتادة ومعناه وسل من شئت من اهل مصر عن هذا الامر فان هذا امر شايع فيهم يخبرك به
من سألته وانما قالوا ذلك لان بعض اهلها كانوا قد صاروا الى الناحية التى كان فيها ابوهم والعرب تسمى الامصار والمداين قرى
والعير التى اقبلنا فيها اى وسئل اهل القافلة التى قدمنا فيها وكانوا من ارض كنعان من جيران يعقوب وانما حذف المضاف
للايجاز ولان المعنى مفهوم وقيل انه ليس فى الكلام حذف لان يعقوب عليه السلام نبى صاحب معجز يجوز ان يكلمه القرية والعير
على وجه خرق العادة وانما قالوا ذلك لانهم كانوا اهل تهمة عند يعقوب وانا لصادقون فيما اخبرناك به قال بل سولت لكم انفسكم
امرا ههنا حذف كثير يدل الحال عليه تقديره فلما رجعوا الى ابيهم وقصوا عليه القصة بطولها قال لهم ما عندى ان الامر على ما
تقولونه بل سولت لكم انفسكم امرا فيما اظن فصبر جميل اى فامرى صبر جميل لا جزع معه عسى الله ان يأتينى بهم جميعا اى عسى الله
ان يأتينى بيوسف وابن يامين وروبيل او شمعون او لاوى او يهودا انه هو العليم بعباده الحكيم فى تدبير الخلق وتولى عنهم اى
انصرف واعرض عنهم بشدة الحزن لما بلغه حبس ابن يامين وهاج ذلك وجده بيوسف لانه كان يتسلى به وقال يا اسفى على
يوسف اى يا طول حزنى على يوسف عن ابن عباس وروى عن سعيد بن جبير انه قال لقد اعطيت هذه الامة عند المصيبة ما لم
يعط الانبياء قبلهم انا لله وانا اليه راجعون ولو اعطيها يعقوب اذ يقول يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن والبكاء
ولما كان البكاء من اجل الحزن اضاف بياض البصر اليه وسئل الصادق عليه السلام ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف قال حزن
سبعين حرى ثكلى وقيل كيف وقد اخبر انه يرد عليه فقال انسى ذلك وقيل انه عمى ست سنين عن مقاتل وقيل انه اشرف على
العمى فكان لا يرى الا شيئا يسيرا فهو كظيم الكظيم ههنا بمعنى الكاظم وهو المملوء من الهم والحزن الممسك للغيظ لا يشكوه لاهل زمانه
ولا يظهره بلسانه ولذلك لقب موسى بن جعفر الكاظم لكثرة ما كان يتجرع من الغيظ والغم طول ايام خلافة لابيه فى ذات الله
تعالى وقال ابن عباس هو المغموم المكروب قالوا اى قال ولد يعقوب لابيهم تالله تفتؤا تذكر يوسف اى لا تزال تذكر يوسف حتى
تكون حرضا اى دنفا فاسد العقل عن ابن عباس وابن اسحق وقيل قريبا من الموت عن مجاهد وقيل هرما باليا عن قتادة والضحاك
او تكون من الهالكين اى الميتين وانما قالوا ذلك اشفاقا عليه وتعطفا ورحمة له وقيل انهم قالوا ذلك تبرما ببكائه اذ تنغص عيشهم
بذلك قال يعقوب فى جوابهم انما اشكوا بثى اى همى عن ابن عباس وقيل حاجتى عن الحسن وحزنى الى الله المعنى انما اشكو حزنى و
حاجتى واختلال حالى وانتشارها الى الله فى ظلم الليالى واوقات الخلوات لا اليكم وقيل البث ما ابداه والحزن ما اخفاه وروى
عن النبى صلى الله عليه وآله ان جبرئيل اتاه فقال يا يعقوب ان الله يقرئك السلام ويقول ابشر وليفرح قلبك فوعزتى لو كانا
ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاما للمساكين فان احب عبادى الى المساكين او تدرى لم اذهبت بصرك وقوست ظهرك لانكم ذبحتم شاة
واتاكم فلان المسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب بعد ذلك اذا اراد الغداء امر مناديا فنادى الا من اراد الغداء من
المساكين فليتغد مع يعقوب واذا كان صائما امر مناديا فنادى من كان صائما فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم ابو عبد الله الحافظ فى
صحيحه واعلم من الله ما لا تعلمون اى واعلم صدق رؤيا يوسف واعلم انه حى وانكم ستسجدون له كما اقتضاه رؤياه عن ابن عباس
وقيل واعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون عن عطا وفى كتاب النبوة بالاسناد عن سدير الصيرفى عن ابى جعفر الباقر عليه السلام
قال ان يعقوب دعا الله سبحانه فى ان يهبط عليه ملك الموت فاجابه فقال ما حاجتك قال اخبرنى هل مر بك روح يوسف
فى الارواح قال لا فعلم انه حى قال يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وقيل انهم لما اخبروه بسيرة الملك قال لعله يوسف عن السدى
فلذلك قال يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ابن يامين اى استخبروا من شانهما واطلبوا خبرهما وانظروا ان ملك مصر ما
اسمه وعلى اى دين هو فانه القى فى روعى ان الذى حبس ابن يامين هو يوسف وانه انما طلبه منكم وجعل الصاع فى رحله احتيالا
فى حبس اخيه عند نفسه ولا تيأسوا من روح الله اى لا تقنطوا من رحمته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل من الفرج

من قبل الله عن ابن زيد والمعنى لا تيأسوا من الروح الذي يأتي به الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال ابن عباس
يريد ان المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد والبلاء ويشكره ويحمده في الرخاء والكافر ليس كذلك وفي هذا دلالة على
ان الفاسق الملي لا يأس عليه من رحمة الله بخلاف ما يقوله اهل الوعيد سؤال كيف خفي اخبار يوسف على يعقوب في المدة الطويلة
مع قرب المسافة وكيف لم يعلمه بخبره لتسكن نفسه ويزول وجده الجواب قال الجبائي العلة في ذلك انه حمل الى مصر فبيع من العزيز
فالزمه داره ثم لبث في السجن بضع سنين فانقطعت اخباره الناس عنه فلم يمكن احتيال في ايصال خبره بابيه على الوجه الذي امكنه
وكان يأمن لو بعث رسولا اليه ان لا يمكنه اخوته من الوصول اليه وقال المرتضى قدس الله روحه يجوز ان يكون ذلك ممكنا وكان
عليه قادرا لكن الله سبحانه اوحى اليه بان يعدل عن اطلاعه على خبره تشديدا للمحنة عليه ولله سبحانه ان يصعب التكليف وان
يسهله قوله عز وجل فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا
الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ قَالُوا أَإِنَّكَ
لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُوا تَاللَّهِ
لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا
فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ست آيات القراءة قرا ابو جعفر وابن كثير انك لانت يوسف بكسر الهمزة
وقرا نافع ويعقوب عن زيد وسهل أينك بفتح الهمزة غير ممدود وقرا ابو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب آينك بالمد
وقرا الباقون أإنك بهمزتين وفي الشواذ قراءة ابي أإنك او انت يوسف وقرا ابن كثير وحده من يتقي بياء في الوصل والوقف و
الباقون بغير ياء فيهما الحجة يدل على الاستفهام قوله انا يوسف وانما اجابهم عما استفهموا عنه قال ابو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها
على انه على الاستفهام كانه قال او تلك نعمة تمنها فيجوز ان يكون من قرا انك على هذا فتكون القراءتان متفقتين وقل ما يحذف
حرف الاستفهام فاما باقي القراءات فانه يجري على مذهبهم في اجتماع الهمزتين وقد تقدم القول في ذلك واما قراءة ابي فيكون على
حذف خبر ان كانه قال انك لغير يوسف او انت يوسف قال ابن جني فكانه قال بل انت يوسف فلما خرج مخرج التوقف قال انا يوسف
وقد جاء عنهم حذف خبر ان قال الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضى مهلا اراد ان لنا محلا وان لنا مرتحلا قال ابو علي
قوله من يتقي لا يحمل على نحو قول الشاعر الم يأتيك والانباء تنمي لان هذا ونحوه انما يجيء من الشعر ولكن يجعل من موصولة فتكون
بمنزلة الذي يتقي ويحمل المعطوف على المعنى لان من يتقي اذا كان من بمنزلة الذي بمنزلة الجزاء الجازم بدلالة ان كل واحد منهما يصلح
دخول الفاء في جوابه فاذا اجتمعا في ذلك جاز ان يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزلته فيما ذكرناه ومثل ذلك
قوله فاصدق واكن حملت واكن على موضع الفاء ومثله قول من قرا ويذرهم في طغيانهم جزما ويجوز ان يقدر الضمة في قوله
ويصبر ويحذفها للاستخفاف كما يخفف نحو عضد وسبع وجاز هذا في حركة الاعراب لجوازه في حركة البناء وزعم ابو الحسن انه سمع
رسلنا لديهم يكتبون باسكان اللام من رسلنا ويقوي ذلك قراءة من قرا وينقه الا ترى انه جعل نقه بمنزلة كتف وعلم فاسكن فكذلك
يسكن على هذا ويصبر فان الله اللغة الازجاء في اللغة السوق والدفع قليلا قليلا ومنه قوله يزجي سحابا قال النابغة وهبت الريح
من تلقاء ذي ارك تزجي مع الليل من صرادها صرما وفلان يزجي العيش اي يدفع بالقليل ويكتفي به قال الاعشى الواهب المائة الهجان
وعبدها عوذا تزجي خلفها اطفالها اي تدافع وقال اخر وحاجة غير مزجاة من الحاج ٭ لا انها يسير ناقصة وانما يجوز ذلك على دفع من اخذها
والمن النعمة واصله القطع لانها يقطع المنع عليه من حال بؤسه والايثار تفضيل احد الشيئين على الاخر ونظيره الاختيار والاجتباء
ونقيضه الايثار عليه واصله من الاثر وانما يؤثر من له اثر جميل والاثر الاخبار يقال اثر يأثر والمأثرة المكرمة لانها تؤثر يقال
خطي الرجل يخطا خطاء وخطأ فهو خاطئ واخطأ يخطئ اخطاء قال امرؤ القيس يا لهف هند اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك
الحلاحلا والتثريب التوبيخ يقال ثرب واثرب وثرب عن ابن الاعرابي وقيل التثريب اللوم والافساد والتقرير بالذنب قال ابو عبيدة
واصله الافساد وانشد فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد وقال تغلب ثرب فلان اي عدد عليه ذنوبه وقال

٭ [margin:] وانما قيل للبضاعة مزجاة

[margin:] والخطاء ضد الثواب

[margin:] غير

واثرب

ابو مسلم هو ماخوذ من الثرب وهو شحم الجوف فكانه موضع للمبالغة في اللوم والتعنيف والبلوغ بذلك الى اقصى غايته الاعراب
هل علمتم استفهام والمراد به التقرير ما فعلتم بيوسف تقديره اي شيء فعلتم بيوسف فيكون ما في موضع نصب والجملة معلقة بعلمتم
وقوله فان الله لا يضيع اجر المحسنين في موضع الجزم بانه جواب الشرط وذكر المحسنين ناب عن الضمير العائد الى من لان الاتقاء
والصبر في معنى الاحسان فكانه قال لا يضيع جزاءه ولانت يوسف هذه لام الابتداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان
ويجوز ان يكون انت فصلا كما علم فيما تقدم وقوله لا تثريب عليكم تثريب نكرة مفردة مبنية مع لا على الفتح ولا يجوز ان يتعلق عليكم به
اذ لو كان كذلك لكان مشبها بالمضاف من حيث يكون عاملا فيما بعده ويكون عليكم من تمامه فكان يجب ان يكون منصوبا منونا
كما تقول لا امرا بزيد عندك واذا عرفت هذا فان عليكم ههنا فيه وجهان احدهما ان يكون في موضع الخبر على تقدير لا تثريب ثابت
عليكم او ثابت عليكم ثم حذف ذلك وانتقل الضمير منه الى عليكم حيث سد مسده والاخر ان يتعلق بمضمر ذلك المضمر وصف لتثريب وعلى
هذا فيجوز فيه وجهان احدهما ان يكون في محل رفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول لا رجل ظريف والاخر ان يكون في محل نصب
تقديره لا تثريب ثابتا عليكم كما تقول لا رجل ظريفا ثم حذفت الصفة وقام الظرف مقامه ويكون اليوم على هذا الوجه خبر لا وعلى
الوجه الاول يجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون متعلقا بالضمير الذي في الخبر ويجوز ان يكون قد تم الكلام عند قوله
عليكم وتعلق اليوم بما بعده فيكون تقديره اليوم يغفر الله لكم وهو اختيار الاخفش وهكذا الكلام في قوله لا ريب فيه المعنى ولما
قال يعقوب لبنيه اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه خرجوا الى مصر فلما دخلوا عليه اي على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر
اي اصابنا ومن يخصنا الجوع والحاجة والشدة من السنين الشداد القحاط وقيل انهم شكوا ما نالهم من هلاك مواشيهم والبلاء
الذي اصابهم وجئنا ببضاعة مزجاة اي تدافع بها الايام ونتقوت وليست مما يتسع به وقيل رديئة لا تؤخذ الا بوكس عن ابن عباس
والجبائي وقيل قليلة عن الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وابي مسلم واختلف في تلك البضاعة فقيل كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق
في ثمن الطعام عن عكرمة عن ابن عباس وقيل كانت حلق المغزل والحبل ورث المتاع عن ابن ابي مليكة عنه وقيل كانت متاع الاعراب
الصوف والسمن عن عبد الله بن الحرث وقيل الصنوبر والحبة الخضراء عن الكلبي ومقاتل وقيل دراهم فسول عن سعيد بن جبير و
قيل كانت اقطا عن الحسن وقيل النعال والادم عن الضحاك وعنه ايضا انها سويق المقل فاوف لنا الكيل كما كنت توفي في السنين
الماضية ولا تنظر الى قلة بضاعتنا في هذه السنة وتصدق علينا اي سامحنا بما بين الثمنين وسعر لنا بالردي كما تسعر بالجيد وقيل
معناه تصدق علينا برد اخينا عن ابن جريج والضحاك ان الله يجزي المتصدقين اي يثيبهم على صدقاتهم بافضل منها وفي كتاب النبوة بالاسناد
عن الحسن بن محبوب عن ابي اسمعيل الفراء عن طربال عن ابي عبد الله عليه السلام في خبر طويل ان يعقوب كتب الى يوسف بسم الله الرحمن الرحيم
الى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل الرحمن صاحب نمرود الذي جمع له النار ليحرقه بها فجعلها الله
عليه بردا وسلاما وانجاه منها اخبرك ايها العزيز انا اهل بيت لم يزل البلاء الينا سريعا من الله ليبلونا عند السراء والضراء وان مصائب
تتابعت علي منذ عشرين سنة اولها انه كان لي ابن سميته يوسف وكان سروري من بين ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي وان اخوته
من غير امه سالوني ان ابعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكرة فجاءوني عشاء يبكون وجاءوا على قميصه بدم كذب وزعموا ان
الذئب اكله فاشتد لفقده حزني وكثر على فراقه بكاي حتى ابيضت عيناي من الحزن وانه كان له اخ وكنت به معجبا وكان لي انيسا
وكنت اذا ذكرت يوسف ضممته الى صدري فسكن بعض ما اجد في صدري وان اخوته ذكروا انك سالتهم عنه وامرتهم ان يأتوك به
فان لم يأتوك به منعتهم الميرة فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحا فرجعوا الي وليس هو معهم وذكروا انه سرق مكيال الملك ونحن اهل بيت لا نسرق و
قد حبسته عني وفجعتني به وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوس لذلك ظهري وعظمت به مصيبتي مع مصائب تتابعت علي فمن علي بتخلية
سبيله واطلاقه من حبسك وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر واوف لنا الكيل وعجل سراح ال ابرهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا
على يوسف في دار الملك وقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الاية وتصدق علينا باخينا ابن يامين وهذا كتاب ابينا يعقوب
اليك في امره يسالك تخلية سبيله فمن به علينا فاخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضعه على عينيه وبكى وانتحب حتى بل دموعه

[margin:] الوك النقص

[margin:] والفوارة واحدة القوارير ... مرتجاة

القميص الذي عليه ثم اقبل عليهم و قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه ومعناه انه قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف من اذلاله وابعاده
عن ابيه والقائه في البئر والاجتماع على قتله وبيعه بثمن وكس وما فعلتم باخيه من افراده عن يوسف والتفريق بينهما حتى صار
ذليلا فيما بينكم لا يكلمكم الا كما يكلم الذليل العزيز وانما لم يذكر اباه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من الغم لفراقه تعظيما له ورفعا من
قدره وعلما ان ذلك كان بلاء له ليزداد به علو الدرجة ورفعة المنزلة عند الله تعالى قال ابن الانباري هذا استفهام يعني به تعظيم القصة
ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم وما اقبح ما اتيتم من قطيعة الرحم وتضييع حقه كما يقول الرجل هل تدري من عصيت وفي هذه الاية
مصداق قوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله اذ انتم جاهلون اي صبيان عن ابن عباس وقيل شبان عن الحسن ومعناه
فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهلية الصبا في عنفوان الشباب حتى يغلب على الانسان الجهل في حال الخطاب لانهم كانوا تائبين
نادمين في تلك الحال وكان هذا تلقينا لهم بما يعتذرون به اليه وهذا هو الغاية في الكرم اذ صفح عنهم ولقنهم وجه العذر قالوا ائنك
لانت يوسف قيل ان يوسف لما قال لهم هل علمتم الاية تبسم فلما ابصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف وقالوا له ائنك لانت
يوسف عن ابن عباس وقيل رفع التاج عن راسه قال انا يوسف اظهر الاسم ولم يقل انا هو تعظيما لما وقع به من ظلم اخوته فكانه قال انا المظلوم
المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني عن ابن الانباري قال ولهذا قال وهذا اخي لانه قصد وهذا المظلوم
كظلمي قد من الله تعالى علينا بالاجتماع بعد طول الفرقة وقيل من الله علينا بكل خير في الدنيا والاخرة انه من يتق الله ويصبر على المصائب
وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجر من كان هذا حاله والضياع ذهاب الشيء من غير عوض قالوا تالله اقسموا بالله سبحانه
لقد اثرك الله علينا اي فضلك واختارك الله علينا بالحلم والعلم والعقل والحسن والملك وان كنا لخاطئين اي ما كنا الا مخطئين
اثمين فيما فعلنا وهذا يدل على انهم ندموا على ما فعلوا ولم يصروا قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم اي لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع عليكم
الان فيما فعلتم يغفر الله لكم ذنوبكم فاني استغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين في عفوه عنكم ما تقدم من ذنبكم وقيل في صنيعه بي حتى جعلني
ملكا وقيل اراد باليوم الزمان فتدخل فيه الاوقات كلها كما قال الشاعر فاليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا
لنا تبعا وقيل ان الكلام قد تم عند قوله لا تثريب عليكم ثم ابتداء بقوله اليوم يغفر الله لكم وهو دعاء لهم اذهبوا بقميصي هذا فالقوه
على وجه ابي يات بصيرا قيل انه عليه السلام لما عرفهم نفسه سالهم عن ابيه فقال ما فعل ابي بعدي قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا
بقميصي هذا واطرحوه على وجهه يعد مبصرا كما كان من قبل ابن عباس يات بصيرا اي يرتد بصيرا او يذهب البياض الذي على عينيه واتوني
باهلكم اجمعين اذا عاد بصيرا وهذا كان معجزا منه اذ لا يعرف انه يعود بصيرا بالقاء القميص على وجه الا بالوحي وقيل ان يوسف
قال انما يذهب بقميصي من ذهب به اولا فقال يهوذا انا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فاخبرته انه اكله الذيب قال فاذهب بهذا ايضا و
اخبره انه حي وافرحه كما احزنته فحمل القميص وخرج حافيا حاسرا حتى اتاه وكان معه سبعة ارغفة وكانت مسافة ما بينهما ثمانين فرسخا فلم
يستوف الارغفة في الطريق وقد ذكرنا قبل شان القميص وروى ايضا الواحدي باسناده يرفعه الى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله
عليه وآله قال ان نمرود الجبار لما القى ابرهيم في النار نزل اليه جبرئيل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة
وقعد معه يحدثه فكسا ابرهيم ذلك القميص اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه
فالقي في الجب والقميص في عنقه فذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا وقال ابن عباس اخرج لهم قصبة من فضة كانت في عنقه لم يعلم بها اخوته فيها
قميص وهو الذي نزل به جبرئيل على ابرهيم وذكر القصة وقال مجاهد امره جبرئيل ان ارسل اليه قميصك فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى
ولا سقيم الا صح وعوفي قوله عز وجل وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ
لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قَالُوا يَا
أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ خمس ايات اللغة الفصل اصله
القطع ومنه قيل للحاكم فيصل لانه يقطع الامور والتفنيد تضعيف الراي قال يا صاحبي دعا الومي وتفنيدي فليس ما فات من امر
بمردود والفند ضعف الراي وقيل ان اصله الفساد قال النابغة الاسليين اذ قال المليك له قم في البرية فاحددها عن الفند

اي

اي امنعها عن الفساد المعنى ولما فصلت العير اي لما خرجت القافلة وانقطعت من مصر متوجهة نحو الشام قال ابوهم يعقوب لاولاد
اولاده الذين كانوا عنده اني لاجد ريح يوسف روي عن ابي عبد الله عليه السلام قال وجد يعقوب ريح قميص ابرهيم حين فصلت العير
من مصر وهو بفلسطين من مسيرة عشر ليال وقيل من مسيرة ثماني ليال عن ابن عباس وقيل من ثمانين فرسخا عن الحسن وقيل مسيرة
شهر عن الاصم قال ابن عباس هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف الى يعقوب وذكر في القصة ان الصبا استاذنت ربها في ان تاتي يعقوب بريح
يوسف قبل ان ياتيه البشير بالقميص فاذن لها فاتته بها ولذلك يتروح كل محزون بريح الصبا وقد اكثر الشعراء من ذكرها فمن
ذلك قولهم فان الصبا ريح اذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها وقول ابي صخر الهذلي اذا قلت هذا حين اسلو يهيجني نسيم الصبا
من حيث يطلع الفجر وقوله لولا ان تفندون معناه لولا ان تسفهوني عن ابن عباس ومجاهد وقيل لولا ان تضعفوني في الراي
عن ابن اسحق وقيل لولا ان تكذبوني والفند الكذب عن سعيد بن جبير والسدي والضحاك وروي ذلك ايضا عن ابن عباس
وقيل لولا ان تهرموني عن الحسن وقتادة اي يقولون انه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله وتقديره اني اقطع انها ريح يوسف
لولا ان تفندوني قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم اي قالوا اشفاقا عليه وترحما انك لفي ذهابك القديم عن الصواب في حب
يوسف فانهم كان عندهم ان يوسف قد مات منذ سنين ولم يريدوا بذلك الضلال عن الدين وانما ارادوا به المبالغة في حب يوسف
والاماني الفاسدة فيما كان يرجو من عوده بعد موته عن قتادة والحسن وقيل معناه انك لفي شقائك القديم عن مقاتل وفي
هذا دلالة على ان لفظ القديم قد يطلق في اللغة على المتقدم في الوجود فلما ان جاء البشير وهو يهوذا عن ابن عباس وفي رواية
اخرى عنه انه مالك بن زعر القاه على وجهه فارتد بصيرا اي القى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيرا قال الضحاك
عاد اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما ادري ما اثيبك هون الله عليك
سكرات الموت قال يعقوب لهم الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون اي كنت اعلم ان الله يصدق رؤيا يوسف ويكشف الشدايد عن
انبيائه بالصبر وكنتم لا تعلمون ذلك قال الحسن كان الله اعلمه بحيوته ولم يعلمه مكانه قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين
فيما فعلنا قال يعقوب سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم انما لم يستغفر لهم في الحال لانه اخرهم الى سحر ليلة الجمعة عن ابن عباس
وطاوس وروي ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل اخرهم الى وقت السحر لانه اقرب الى اجابة الدعاء عن ابن مسعود وابرهيم
التيمي وابن جريج وروي ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام وقيل انه كان استغفر لهم كل ليلة الجمعة في نيف وعشرين سنة
عن وهب وقيل انه كان يقوم ويصف اولاده خلفه عشرين سنة يدعو ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قبول
توبتهم وروي ان جبرئيل عليه السلام علم يعقوب هذا الدعاء يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجائي ويا غوث المؤمنين اغثني ويا عون
المؤمنين اعني ويا حبيب التوابين تب علي فاستجيب لهم قوله عز وجل فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا
مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا
رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي
لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ
إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ اربع ايات الاعراب دخول من في قوله من الملك ومن تاويل الاحاديث جايز ان يكون للتبعيض
فيكون المراد اتيتني بعض الملك وعلمتني بعض تاويل الاحاديث وجايز ان يكون لتبيين هذا الجنس من ساير الاجناس فيكون المعنى اتيتني الملك
وعلمتني التاويل عن الزجاج قال وقوله تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء يدل على ان من هنا للتبعيض الجنس
ومثله قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي الرجس الذي هو وثن فاطر السموات منصوب على وجهين احدهما على الصفة لقوله
رب لان المعنى يا ربي فهو نداء مضاف في موضع نصب فيكون فاطر السموات صفة له وجايز ان ينتصب على انه نداء ثان على تقدير
يا فاطر السموات وذلك في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره من انباء الغيب ويكون نوحيه اليك خبرا ثانيا وان شئت جعلت نوحيه

هو الخبر وحيلت ذلك فى معنى الذى و قوله من انباء الغيب صلته المعنى فلما دخلوا على يوسف ههنا حذف تقديره فلما خرج
يعقوب واهله من ارضهم واتوا مصر دخلوا على يوسف وفى حديث ابن محبوب باسناده عن ابى جعفر عليه السلم ان يعقوب قال لولده
تحملوا الى يوسف من يومكم هذا باهليكم اجمعين فساروا اليه ويعقوب معهم وخالة يوسف ام يامين فحثوا السير فرحا وسرورا
تسعة ايام الى مصر فلما دخلوا على يوسف فى دار الملك اعتنق اباه وقبله وبكا ورفع خالته الى سرير الملك ثم دخل منزله واكتحل
وادهن ولبس ثياب العز والملك فلما راوه سجدوا جميعا اعظاما له وشكرا لله عند ذلك ولم يكن يوسف فى تلك العشرين سنة يدهن
ولا يكتحل ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين ابيه واخوته وقيل ان يوسف بعث من البشير مايتى راحلة مع ما يحتاج اليه فى السفر
وسالهم ان ياتوه باهلهم اجمعين فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف فى الجند واهل مصر فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر
قال لا هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكلبى على يوم من مصر فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدا يعقوب بالسلم فقال السلم عليك يا مذهب
الاحزان وفى كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن ابى عمير عن هشام بن سلم عن ابى عبد الله عليه السلم قال لما اقبل يعقوب الى مصر خرج يوسف
استقبله فلما راه يوسف هم بان يترجل ثم نظر الى ما هو فيه من الملك فلم يفعل فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرئيل فقال له
يا يوسف ان الله جل جلاله يقول لك ما منعك ان تنزل الى عبدى الصالح الا ما انت فيه من الملك ابسط يدك فبسطها فخرج من
بين اصابعه نور فقال ما هذا يا جبرئيل قال هذا انه لا يخرج من صلبك نبى ابدا عقوبة لما صنعت بيعقوب اذ لم تنزل اليه وقوله
اوى اليه ابويه اى ضمهما اليه وانزلهما عنده وقال اكثر المفسرين انه يعنى بابويه اباه وخالته فسمى الخالة اما كما سمى العم ابا فى قوله واله
ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق وذلك ان امه كانت قد ماتت فى نفاسها بابن يامين فتزوجها ابوه وقيل يريد اباه وامه وكانا
حيين عن ابن اسحق والجبائي وقيل ان راحيل امه نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا عن الحسن وقال لهم قبل دخول
مصر ادخلوا مصر ان شاء الله امنين والاستثناء يعود الى الامن وانما قال امنين لانهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر
ولا يدخلونها الا بجوازهم قال وهب ثم دخلوا مصر وهم ثلثة وسبعون انسانا وخرجوا مع موسى وهم ست ماية الف و
خمسماية وبضع وسبعون رجلا ورفع ابويه على العرش اى رفعهما على سرير ملكه اعظاما لهما واراد بالعرش السرير الرفيع عن ابن
عباس والحسن وقتادة وخروا له سجدا اى انحطوا على وجوههم كان تحية الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود والانحناء و
التكفر عن قتادة ولم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله فى شريعتهم فاعطى الله هذه الامة السلم وهو تحية اهل الجنة عجلها لهم قال
اعشى بنى تغلب فلما اتانا بعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا وكان من سنة التعظيم يومئذ ان يسجد للمعظم عن الزجاج و
قيل كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الاعاجم عن الكلبى وقيل ان السجود كان لله تعالى شكرا له كما يفعله الصالحون عند
تجدد النعم والهاء فى قوله له عايدة الى الله تعالى اى سجدوا لله تعالى على هذه النعم وتوجهوا فى السجود اليه كما يقال صلى للقبلة
ويراد به استقبالها عن ابن عباس وهو المروى عن ابى عبد الله عليه السلم قال على بن ابرهيم حدثنى محمد بن عيسى بن
عبيد بن يقطين ان يحيى بن اكثم سال موسى بن محمد بن على بن موسى مسايل فعرضها على ابى الحسن على بن محمد عليه السلم فكان احدها ان
قال اخبرنى اسجد يعقوب وولده ليوسف وهم انبياء فاجاب ابو الحسن اما سجود يعقوب وولده فانه لم يكن ليوسف وانما كان
ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف كما ان السجود من الملائكة لادم كان منهم طاعة لله وتحية لادم فسجد يعقوب وولده
ويوسف معهم شكرا لله تعالى لاجتماع شملهم الم تر انه يقول فى شكره فى ذلك الوقت رب قد اتيتنى من الملك الاية الخبر بتمامه و
قال يوسف يا ابت هذا تاويل رؤياى من قبل اى هذا تفسير رؤياى وتصديق رؤياى التى رايتها من قبل قد جعلها ربى حقا
اى صدقا فى اليقظة وقيل كان بين الرؤيا وتاويلها ثمانون سنة عن الحسن وقيل سبعون سنة عن عبد الله بن شوذب
وقيل اربعون سنة عن سلمان الفارسى وعبد الله بن شداد وقيل اثنتان وعشرون سنة عن الكلبى وقيل ثمانى عشرة
سنة عن ابن اسحق قال ابن اسحق وولد ليوسف من امراة العزيز افرائيم وميشا ورحمة امراة ايوب وكان بين يوسف وبين
موسى اربعماية سنة وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن اى وقد احسن ربى الى حيث اخرجنى من السجن وانعم على وجاء بكم

من البدو اى من البادية فانهم كانوا يكونون البادية يرعون اغنامهم فيها وكانت مواشيهم قد هلكت فى تلك السنين بالقحط فاغناهم
الله تعالى بمصيرهم الى يوسف وانما بدا عليه السلم بالسجن فى تعداد نعم الله تعالى دون اخراجه من الجب كرما لئلا يذكر ابتنيع
اخوته وقيل لان نعم الله تعالى فى اخراجه من السجن كانت اكثر ولان السجن طالت مدته وكثرت محنته من بعد ان نزغ الشيطان
بينى وبين اخوتى اى من بعد ان افسد الشيطان ما بينى وبين اخوتى وحرش بينى وبينهم وقال ابن عباس معناه دخل بيننا بالحسد
ان ربى لطيف لما يشاء اى لطيف فى تدبير عباده يدبر امرهم على ما يشاء ويسهل لهم العسير وبلطفه حصلت هذه النعم علينا من
الاجتماع وغيره وقال الازهرى اللطيف من اسماء الله سبحانه معناه الرفيق بعباده يقال لطف فلان بفلان اذا رفق وقال غيره اللطيف
الذى يوصل اليك الارب فى رفق وقيل اللطيف العالم بدقايق الامور انه هو العليم بجميع الاشياء الحكيم فى كل التدابير وفى كتاب النبوة
بالاسناد عن ابى عبد الله عليه السلم قال قال يعقوب ليوسف يا بنى حدثنى كيف صنع بك اخوتك قال يا ابت دعنى فقال اقسمت عليك
الا اخبرتنى فقال له اخذونى واقعدونى على راس الجب ثم قالوا انزع قميصك فقلت لهم انى اسئلكم بوجه يعقوب ان لا تنزعوا قميصى ولا
تبدوا عورتى فرفع فلان السكين على فصاح يعقوب وسقط مغشيا عليه ثم افاق فقال له يا بنى كيف صنعوا فقال له يوسف انى اسئلك
بالله ابرهيم واسمعيل واسحق الا اعفيتنى قال فتركه وروى ايضا ان يوسف قال ليعقوب يا ابة لا تسالنى عن صنيع اخوتى بى واسئل عن
صنيع الله بى قال ابو حمزة الثمالى بلغنا ان يعقوب عاش ماية وسبعا واربعين سنة ودخل مصر على يوسف وهو ابن ثلثين وماية سنة
وكان عند يوسف بمصر سبع عشرة سنة وقال ابن اسحق اقام يعقوب بمصر اربعا وعشرين ثم توفى ودفن بالشام وقال سعيد بن جبير نقل
يعقوب الى بيت المقدس فى تابوت من ساج ووافق ذلك يوم مات عيص فدفنا فى قبر واحد فمن ثم ينقل اليهود موتاهم الى بيت المقدس
وولد يعقوب وعيص فى بطن واحد ودفنا فى قبر واحد وكان عمرهما جميعا ماية وسبعة واربعين سنة ثم رجع يوسف الى مصر بعد
ان دفن اباه ببيت المقدس عن وصية منه اليه وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة وكان اول رسول من بنى اسرائيل ثم مات واوصى
ان يدفن عند قبور ابائه وقيل دفن بمصر ثم اخرج موسى عظامه فحمله حتى دفنه عند ابيه وقيل افضت النبوة بعده الى روبيل ثم الى يهوذا
وفى كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن ابى جعفر عليه السلم قال قلت له كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حولين قلت
فمن كان الحجة لله فى الارض يعقوب ام يوسف قال كان يعقوب الحجة وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف فى تابوت الى
ارض الشام فدفنه فى بيت المقدس وكان يوسف بعد يعقوب الحجة قلت فكان يوسف رسولا نبيا قال نعم اما تسمع قوله عز وجل ولقد
جاءكم يوسف من قبل بالبينات وبالاسناد عن ابى خالد عن ابى عبد الله عليه السلم قال دخل يوسف السجن وهو ابن اثنتى عشرة سنة
ومكث فيه ثمانى عشرة سنة وبقى بعد خروجه ثمانين سنة فذلك ماية سنة وعشر سنين قالوا ولما جمع الله سبحانه ليوسف شمله واقر له
عينه واتم له رؤياه ووسع عليه فى ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيما لا يفنى وتاقت
نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن ذلك نبى قبله ولا بعده احد فقال رب قد اتيتنى من الملك اى اعطيتنى ملك
النبوة وملك مصر وعلمتنى من تاويل الاحاديث اى تعبير الرؤيا فاطر السموات والارض اى خالق السموات والارض ومنشئهما
لا على مثال سبق انت وليى اى ناصرى ومدبرى وحافظى فى الدنيا والاخرة تتولى فيهما اصلاح معاشى ومعادى توفنى مسلما قال
ابن عباس ما تمنى نبى تعجيل الممات الا يوسف لما انتظمت اسباب مملكته اشتاق الى ربه وقيل معناه ثبتنى على الايمان الى وقت الممات
وامتنى مسلما والحقنى بالصالحين اى باهل الجنة من الانبياء والاولياء والصديقين وقيل انه لما جمع الله سبحانه بينه وبين ابويه
واخوته احب ان يجتمع مع ابائه فى الجنة فدعا بهذا الدعاء والمعنى الحقنى بهم فى مراتبهم ودرجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر وهو
نبى فدفن فى النيل فى صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب ان يدفن فى محلته لما كانوا يرجون
من بركته فراوا ان يدفنوه فى النيل فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شركاء وفى بركته شرعا سواء فكان قبره فى
النيل الى ان حمله موسى حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه بعد تمام القصة الى خطاب النبى صلى الله عليه واله فقال ذلك الذى
قصصت عليك من قصة يوسف يا محمد من انباء الغيب اى من جملة اخبار الغيب نوحيه اليك على السنة الملئكة لتخبر به وتجعله

لطف فلان م

عيص

توابيهم

ودلالة على اثبات نبوتك ومعجزة دالة على صدقك وما كنت لديهم اى وما كنت يا محمد عندا ولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم اى اذ
عزموا على القائه فى الجب واجمع اراءهم عليه وهم يمكرون اى يحتالون فى امر يوسف حتى القوه فى الجب عن الجبائي وقيل يمكرون
بيوسف عن ابن عباس والحسن وقتادة قوله عز وجل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسئلهم عليه من اجر
ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من اية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون خمس ايات
القراءة فى الشواذ قراءة عكرمة وعمرو بن فايد والارض يمرون عليها بالرفع وقراءة السدى والارض نصبا والقراءة المشهورة بالجر الحجة
من رفع او نصب وقف على السموات ثم ابتدأ والارض بالرفع على الابتداء والجملة بعدها خبر والعايد الى المبتداء ها من عليها والضمير فى عنها عايد
الى الاية واما النصب فبفعل مضمر تقديره ويطؤن الارض ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود يمشون عليها فلما اضمر الفعل الناصب فسره بقوله
يمرون عليها ومن جر الارض على قراءة القراء فان شاء وقف على الارض وان شاء وقف على اخر الاية اللغة الحرص طلب الشئ باجتهاد فى اصابته
والعالم الجماعة من الحيوان التى من شانها ان تعلم ماخوذ من العلم وقيل ماحواه الفلك على سبيل التبع للحيوان الذى ينتفع به وهو
مخلوق لاجله والغاشية المجللة للشئ بانبساطها عليه وغشيه يغشاه اذا غطاه والغشاء الغطاء والبغتة الفجاءة وهو مجئ الشئ من غير
توقع الاعراب وكاين فى معنى كم واصلها اى دخلت عليها الكاف وبغتة مصدر وضع موضع الحال يقول لقيته بغتة وفجاءة المعنى
لما تقدم ذكر الايات والمعجزات التى لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها فلم يتفكروا بين عقيبها ان التقصير من جهتهم حيث رضوا بالجهل وليس
من جهته سبحانه لانه نصب الادلة والبينات ولا من جهتك لانك دعوتهم فقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اى وليس اكثر الناس
بمصدقين ولو حرصت على ايمانهم وتصديقهم واجتهدت فى دعايهم اليه وارشادهم اليه لان حرص الداعى لا يغنى شيئا اذا كان المدعو لا
يجيب وما تسئلهم عليه من اجر اى ولا تسئلهم عن تبليغ الرسالة وبيان الشريعة اجرا فيصدهم ذلك عن القبول ويمنعهم من الايمان ويثقل
عليهم ما يلزمهم من الغرامة فاعذارهم منقطعة ان هو الا ذكر للعالمين اى ما القران الا موعظة وعبرة وتذكير للخلق اجمعين فلست
بنذير لهؤلاء خاصة وكاين من اية اى كم من حجة ودلالة فى السموات والارض تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم
فى السماء ومن الجبال والبحر والوان النبات واحوال المتقدمين واثار الامم السالفة فى الارض يمرون عليها ويبصرونها ويشاهدونها
وهم عنها معرضون اى هم عن التفكر فيها والاعتبار بها معرضون لا يتفكرون فيها يعنى الكفار وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون اختلف فى معناه على اقوال احدها انهم مشركوا قريش كانوا يقرون بالله خالقا ومحييا ومميتا ويعبدون الاصنام ويدعونها
الهة مع انهم كانوا يقولون الله ربنا والهنا برزقنا وكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي وثانيها انها نزلت فى مشركى العرب
اذا سئلوا من خلق السموات والارض وينزل القطر قالوا الله ثم هم مشركون وكانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا
هو لك تملكه وما ملك عن الضحاك وثالثها انهم اهل الكتاب امنوا بالله واليوم الاخر والتورية والانجيل ثم اشركوا بانكار القران
وانكار نبوة نبينا صلى الله عليه واله عن الحسن وهذا القول مع ما تقدمه رواه دارم بن قبيصة عن على بن موسى الرضا عن ابيه عن
جده ابى عبد الله عليه السلام ورابعها انهم المنافقون يظهرون الايمان ويشركون فى السر عن البلخى وخامسها انهم المشبهة امنوا فى الجملة
واشركوا فى التفصيل وروى ذلك عن ابن عباس وسادسها ان المراد بالاشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة اطاعوا الشيطان
فى المعاصى التى يرتكبونها مما اوجب الله عليها النار فاشركوا بالله فى طاعته ولم يشركوا بالله شركا فى عبادته فيعبدون معه غيره عن ابى
جعفر عليه السلام وروى عن ابى عبد الله عليه السلام انه قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لضاع عيالى جعل لله شريكا فى ملكه يرزقه
ويدفع عنه فقيل له لو قال لولا ان من الله على بفلان لهلكت فقال لا باس بهذا وفى رواية زرارة ومحمد بن مسلم وحمران عنهما عليهما السلام
انه شرك النعم وروى محمد بن الفضيل عن ابى الحسن الرضا عليه السلام قال انه شرك لا يبلغ به الكفر افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
اى افامن هؤلاء الكفار ان تاتيهم عذاب من الله سبحانه يعمهم ويحيط بهم ومنه غاشية السرج لانها تعمه بالستر وانما اتى بلفظة التانيث على
تقدير العقوبة اى عقوبة مجللة لجميعهم عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستيصال عن مجاهد وابى مسلم وقيل هى الصواعق والقوارع عن

الضحاك او تاتيهم الساعة يعنى القيمة بغتة اى فجاءة على غفلة منهم وهم لا يشعرون بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس
وهم فى اسواقهم قوله عز وجل قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون ايتان القراءة قرا حفص عن عاصم الا رجالا نوحى اليهم بالنون
حيث كان وقرا الباقون يوحى بالياء وفتح الحاء افلا تعقلون ذكرنا الخلاف فيه فى سورة الانعام الحجة قال ابو على الوجه فى النون
قوله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والوجه فى الياء قوله فاوحى الى نوح وقيل اوحى الى اللغة السبيل الطريق وهو المكان
المهيأ للسلوك ودين الاسلام طريق يؤدى الى الجنة والسبيل يذكر ويؤنث قال فلا تبعد فكل فتى اناس سيصبح سالكا تلك السبيلا
والبصيرة ما يبصر به الشئ اى يعرف والسير المرور الممتد فى جهة ومنه السير واحد السيور لامتدادها فى جهة المعنى ثم امر سبحانه نبيه صلى الله
عليه واله ان يبين للمشركين ما يدعوا اليه فقال قل يا محمد لهم هذه سبيلى اى طريقى وسنتى ومنهاجى عن ابن زيد وقيل معناه هذه الدعوة
التى ادعوا اليها دينى وطريقتى عن مقاتل والجبائي ثم فسر ذلك بقوله ادعوا الى الله على بصيرة اى ادعوا الى توحيد الله وعدله ودينه
على يقين ومعرفة وحجة قاطعة لا على وجه التقليد انا ومن اتبعنى اى ادعوكم انا ويدعوكم ايضا اليه من امن بى وتذكر بالقران
والموعظة ونهى عن معاصى الله قال ابن الانبارى ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الى الله ثم ابتدأ وقال على بصيرة انا ومن اتبعنى وهذا
معنى قول ابن عباس انه يعنى اصحاب محمد كانوا على احسن طريقة وسبحان الله معناه تنزيها لله عما اشركوا وتقديره قل هذه سبيلى وقل
سبحان الله وقيل انه اعتراض بين الكلامين والواو فيه مثل قولك قال الله تعالى وهو منزه عن الشركاء سبحان الله وما انا من المشركين
اى الذين اتخذوا مع الله ندا وكفوا وولدا وفى هذه الاية دلالة على فضل الدعاء الى الله سبحانه والى توحيده وعدله ويعضد ذلك
الحديث عنه صلى الله عليه واله العلماء امناء الرسل على عباده وفيها دلالة ايضا على انه عليه السلام كان يدعوا الى الله فى كل اوقاته
وان كان بين الشرايع فى اوقات ما وفيها دلالة ايضا على ان الواجب فى الداعى ان يكون على ثقة وبصيرة ودلالة قاطعة وذلك
موجب فساد التقليد وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى بين سبحانه انما ارسل الرسل من اهل الامصار لانهم ارجح
عقلا وعلما من اهل البوادى لبعد اهل البوادى عن العلم واهله عن قتادة وقال الحسن لم يبعث الله نبيا قط من اهل البادية ولا من
الجن ولا من النساء وذلك ان اهل البادية تغلب عليهم القسوة والجفاء واهل الامصار احد فطنا افلم يسيروا فى الارض اى افلم يسر هؤلاء
المشركون المنكرون لنبوتك يا محمد فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المكذبين لرسلهم وكيف اهلكهم الله
بعذاب الاستيصال فيعتبروا بهم ويحذروا امثال ما اصابهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا يقول هذا صنيعنا باهل الايمان والطاعة
فى دار الدنيا اذا اهلكنا عدوهم ونجيناهم من شرهم ولدار الاخرة خير لهم من دار الدنيا ونعيمها وروى ابو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله
عليه واله قال لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه فى غير هذا الموضع وللدار الاخرة فالاخرة نعت للدار
لان لجميع الخلق دارين الدار التى خلقوا فيها وهى الدنيا والدار الاخرة هى التى يعادون فيها خلقا جديدا فاذا قال دار الاخرة فكانه قال
دار الحال الاخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الاخرة ومثل هذا فى الكلام الصلوة الاولى وصلاة الاولى فمن قال الصلوة الاولى
جعل الاولى نعتا للصلاة ومن قال صلاة الاولى اراد صلاة الفريضة الاولى والساعة الاولى افلا تعقلون اى افلا تفهمون ما قيل لهم فيعلمون
قوله عز وجل حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد
كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون ايتان القراءة قرا اهل الكوفة وابو جعفر كذبوا بالتخفيف وهو قراءة على وزين العابدين ومحمد بن على وجعفر بن محمد
وزيد بن على وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والاعمش وغيرهم وقرا الباقون كذبوا بالتشديد وهى قراءة
عايشة والحسن وعطا والزهرى وقتادة وروى عن ابن عباس بخلاف ومجاهد بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرا
عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل فنجى من نشاء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء وقرا الباقون فننجى من نشاء بنونين وتخفيف الجيم

وسكون الياء وفي الشواذ عن ابن محيصن فنجا بفتح النون والجيم والتخفيف وعن عيسى الثقفي ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء
وهدى ورحمة برفع الاحرف الثلثة والقراء بنصبها **الحجة** قال ابو علي الضمير في ظنوا في قول من شدد كذبوا للرسل تقدير ظن الرسل اي تيقنوا
او ظنوا الظن الذي هو حسبان ومعنى كذبوا تلقوا بالتكذيب كقولهم جبنته وخطاته وتكذيبهم اياهم يكون بان تلقوا بذلك كقولهم له وان نظنك
لمن الكاذبين او بمايدل عليه وان خالفه في اللفظ ومن حجة التثقيل قوله فقد كذبت رسل من قبلك وقوله فكذبوا رسلي وقوله ان كل الا
كذب الرسل واما من خفف فقال كذبوا نحو من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك وفي التنزيل وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وقياسه
اذا اعتبر بالخلاف ان يتعدى الى مفعولين كما تعدى صدق في قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الاعشى فصدقته وكذبته
والمرء ينفعه كذابه قال سيبويه كذب يكذب كذبا وقالوا كذابا فجاء وا به على فعال وقد حققه الاعشى وقال ذو الرمة وقد حلفت بالله مية
ما الذي قولها الا الذي انا كاذبه والضمير الذي في قوله وظنوا انهم كذبوا للمرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم
يؤمنوا نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوه من امهال الله اياهم واملائه لهم فان قلت كيف يجوز ان يحمل الضمير في ظنوا على انه للمرسل
اليهم الرسل والذين قد تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم قيل ان ذلك لا يمتنع لان ذكر الرسل يدل على المرسل اليهم لمقاربة احد الاسمين للاخر
ولما في لفظ الرسل من الدلالة على المرسل اليهم وقد قال الشاعر امنك البرق ارقبه فهاجا فبت اخاله دهما خلاجا اي بت اخال الرعد صوت
دهم فاضمر الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه لمقاربة لفظ كل واحد منهما للاخر وفي التنزيل سرابيل تقيكم الحر واستغنى عن ذكر البرد لدلالة
الحر عليه وان شئت قلت ان ذكرهم قد جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من مكذبي الرسل
فيكون الضمير للذين من قبلهم فان ذهب ذاهب الى ان المعنى ظن الرسل ان الذي وعد الله سبحانه اممهم على لسانهم قد كذبوا به فقد اتى عظيما لا يجوز ان ينسب مثله الى
الانبياء ولا الى صالحي عباد الله تعالى وكذلك من زعم ان ابن عباس ذهب الى ان الرسل قد ضعفوا وظنوا انهم قد اخلفوا لان الله
تعالى لا يخلف الميعاد حدثنا احمد بن محمد قال حدثنا المؤمل قال حدثنا اسمعيل بن علية عن ابي المعلى عن سعيد بن جبير في قوله حتى اذا
استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قال ان الرسل يئسوا من قومهم ان يؤمنوا وان قومهم ظنوا ان الرسل قد كذبوا فيما قالوا لهم اتاهم نصر الله
عند ذلك واما قوله فنجي من نشاء فان نجي حكاية حال لان القصة مما قد مضى وانما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما ان قوله وان ربك
ليحكم بينهم حكاية للحال الكائنة وكما ان قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين جاء على الحكاية للحال الكائنة ومن ذلك قوله وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد فلولا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل لانه اذا مضى اختص وصار معهودا فخرج بذلك من شبه الفعل الا ترى ان الفعل
لا يكون معهودا فكما ان اسم الفاعل اذا وصف او حقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبه الفعل عنه بالاختصاص الذي يحدث فيه التحقير والوصف
كذلك اذا كان ماضيا واما النون الثانية من نجي فهي مخفاة مع الجيم وكذلك النون مع سائر حروف الفم لا يكون الا مخفاة قال ابو عثمن تبيينها
لحن وللنون مع الحروف ثلث احوال الادغام والاخفاء والبيان وانما يدغم اذا كانت مع مقاربها كما يدغم سائر المقاربة فيما يقاربها والاخفاء
فيها مع حروف الفم التي لا يقاربها والبيان فيها مع حروف الحلق فاما حذف النون الثانية من الخط فيشبه ان يكون لكراهة الاجتماع
المثلين فيه الا ترى انهم كتبوا مثل العليا والدنيا ونحيا ونحو ذلك بالالف فلولا اجتماعها مع الياء لكتبت بالياء كما كتبت حبلى ويخشى وما
لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء فكانهم لما كرهوا اجتماع المثلين في الخط حذفوا النون وقوى ذلك انه لا يجوز فيها الا الاخفاء ولا
يجوز فيها البيان فاشبه بذلك الادغام لان الاخفاء لا يبين فيه الحرف المخفي كما ان الادغام لا يبين فيه الحرف المدغم بيانه في غير الادغام
فلما وافق النون المدغم في هذا الوجه استجيز حذفه من الخط ومن ذهب الى ان النون الثانية مدغمة في الجيم فقد غلط لانها ليست مثل الجيم
ولا مقاربة له واذا اخلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما اجتمع معه ومن قرا فنجي فانه اتى على لفظ الماضي لان القصة ماضية ويقوي
ذلك انه عطف عليه فعل مسند الى المفعول به وهو قوله ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين ولو كان فنجي مسندا الى الفاعل كقول من خالفه لكان
ولا نرد باسنا اشبه ليكون مثل المعطوف عليه ومن قرا تصديق الذي بين يديه وما بعده بالرفع فتقديره ولكن هو تصديق الذي بين يديه
وتفصيل كل شيء فحذف المبتدا وبقي الخبر **اللغة** استيأس في معنا يأس كانه طلب الياس لعلمه بامتناع الامر واليأس الشدة وهو شدة الامر
على النفس ومنه البؤس لفقر ومنه لا بأس عليك والقصص الخبر يتلو بعضه بعضا من اخبار من تقدم والعبرة الدلالة التي تعبر الى البغية

وظن المرسل اليهم ع

فيكون الضمير للذين من قبلهم ع

والالباب العقول واحدها لب وانما سمي بذلك لانه انفس شيء في الانسان ولب كل شيء خياره **المعنى** ثم اخبر سبحانه عن حال الرسل مع
اممهم تسلية للنبي صلى الله عليه واله فقال حتى اذا استيأس الرسل وههنا حذف يدل الكلام عليه وتقديره انا اخرنا العقاب عن
الامم السالفة المكذبة لرسلنا كما اخرناه عن امتك يا محمد حتى اذا بلغوا الى حال يأس الرسل عن ايمانهم وتحقق يأسهم باخبار الله تعالى
اياهم وظنوا انهم قد كذبوا اي تيقن الرسل ان قومهم كذبوهم تكذيبا عاما حتى انه لا يصلح واحد منهم عن عائشة والحسن وقتادة وابي علي
الجبائي ومن خفف فمعناه ظن الامم ان الرسل كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود
وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وابي مسلم وقيل يجوز ان يكون الضمير في ظنوا راجعا الى الرسل ايضا ويكون معناه وعلم
الرسل ان الذين وعدوهم الايمان من قومهم اخلفوهم وكذبوا فيما اظهروه من الايمان وروي ان سعيد بن جبير والضحاك اجتمعا في
دعوة فسئل سعيد بن جبير عن هذه الاية كيف تقراها فقال وظنوا انهم قد كذبوا بالتخفيف يعني وظن المرسل اليهم ان الرسل كذبوهم فقال
الضحاك ما رايت كاليوم قط لو رحلت في هذه الى اليمن لكان قليلا وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس قال كانوا بشرا فضعفوا و
يئسوا وظنوا انهم اخلفوا ثم تلا قوله حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الاية وهذا بعيد وقد بينا ما فيه جاءهم اي جاء
الرسل نصرنا حين يأسوا بارسال العذاب على الكفار فنجي من نشاء اي نخلص من نشاء من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون ولا يرد
باسنا اي عذابنا عن القوم المجرمين اي المشركين لقد كان في قصصهم اي في قصص يوسف واخوته عبرة اي فكرة وبصيرة من الجهل وموعظة
وهو ما اصابه عليه السلم من ملك مصر والجمع بينه وبين ابويه واخوته بعد القائه في الجب وبيعه وحبسه وقيل في قصصهم عبرة لان نبينا
صلى الله عليه واله لم يقرا كتابا ولا سمع حديثا ولا خالط اهله ثم حدثهم به في حسن معانيه وبراعة الفاظه ومباينة بحيث لم يرد
عليه احد من ذلك شيئا فهذا من ادل الدلائل على صدقه وصحة نبوته لاولي الالباب اي لذوي العقول ما كان حديثا يفترى اي
ما كان ما اداه محمد وانزل عليه حديثا يختلق كذبا ولكن تصديق الذي بين يديه اي ولكن كان تصديق الكتب الذي بين يديه لانه
جاء كما بشر به في الكتب عن الحسن وقتادة وتفصيل كل شيء اي وبيان كل شيء يحتاج اليه من الحلال والحرام وشرايع الاسلام وهدى
اي دلالة ورحمة اي نعمة ينتفع بها المؤمنون علما وعملا لقوم يؤمنون انما خصهم بذلك لانهم المنتفعون به دون غيرهم وبالله التوفيق
والعصمة وهو حسبنا ونعم الوكيل

تم المجلد الخامس من كتاب مجمع البيان لعلوم القران بعون الله تعالى وحسن توفيقه

على يد العبد الفقير الى الله تعالى الغني به عمن سواه جلال بن حسن بن جلال بن قاسم بن مير احمد الابردهي غفر الله له ولوالديه
وللمؤمنين والمؤمنات في شهر رجب المرجب سنة ثلث وسبعين بعد الالف صلوات الله على صاحبها والحمد لله اولا واخرا
وظاهرا وباطنا والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد النبي وعترته المعصومين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم

تطهيرا

[illegible]

هو

مخدوم مکرم [illegible] معروض میدارد

مقدار یکصد من گندم [illegible] از بابت

[illegible] تسلیم عالیجناب آخوند ملا محسن

نمائید قبض [illegible] عند الحساب

با سرکار شما محسوب میشود [illegible] تاریخ

شهر ربیع الثانی [illegible] ۱۲۶۹

هو

[illegible] محمد [illegible] مدرس

مبلغ [illegible]

[illegible]

[illegible] شوال

المکرم [illegible] سنه ۱۱۵۶

مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستيناف على انه جواب من قال كيف
اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي
حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق وما يلقيها وما يلقى هذه السجية
وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها
الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ
نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوء وجعل النزغ نازغا على طريقة
جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع
لاستعاذتك العليم بنيتك وبصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة
المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون
فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الاية الاخرى
لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار
اي دائما لقوله وهم لا يسأمون لا يملون ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة
مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات
وقرئ وربأت اي زادت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير من الاحياء والاماتة
ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل و
الالغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الالحاد افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم
القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان آمنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد
شديد انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين
يلحدون في آياتنا او مستأنف وخبر ان محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون و
الذكر القرآن وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار
الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اي
ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك
الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثاني يحتمل ان

انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللاسم وقال الذين كفروا لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على القارى وقرئ بضم
الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذا لعلكم تغلبون اى تغلبونه على قراءته فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء الذى كانوا يعملون
سيئات اعمالهم وقد سبق مثله ذلك اشارة الى الاسوء جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء
او خبر محذوف لهم فيها فى النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك فى هذه الدار دار سرور وتعنى بالدار
عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذى
هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنى شيطانى النوعين
الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرء ابن كثير وابن
عامر ويعقوب وابو بكر والسوسى ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقرء الدورى باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت
اقدامنا ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان
الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا فى العمل وثم لتراخيه عن
الاقرار فى الرتبة من حيث انه مبدء الاستقامة او لانها عسر قلما تتبع الاقرار وما روى عن الخلفاء الراشدين
فى معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة
فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج عن القبر الا تخافوا ما
تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة
التى كنتم توعدون فى الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على
الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفى الآخرة بالشفاعة والكرامة حيثما يتعادى الكفرة و
قرناؤهم ولكم فيها فى الآخرة ما تشتهى انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى
الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون للاشعار بان ما يتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما
لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه
وقال اننى من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه
والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت فى النبى صلى الله عليه وآله وقيل فى المؤذنين
ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فى الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفى ادفع بالتى
هى احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتى هى احسن منها وهى الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد

وابدلها ابو حمزة بالياء وفتح النون وقد خطاه البصريون في ذلك الاية ...
المعنى ولا يحسبن الذين كفروا املائنا ... لانفسهم ...
ولا يعول على ... الذين ... ولا يحسبن املائنا للذين كفروا
خيرا لهم ...

سورة فاتحة الكتاب مكية وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد
لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم
الدين اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وست وثمانون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم
المفلحون ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم

عذاب

دفع تب لرزه چون این دعا را برده ناخن اویز
شید صحت یابد

ای ساکن سیبا

حضرت علی بن موسی الرضا علیه السلام

هو

وقف مؤبد صحیح شرعی نمود صدا حبیت وقفوی شعار آقا محب علی

این قرآن مجید را بر آستانه مقدسه منوره متبرکه عرشی درجه العنبر

امام الانس والجن ثامن ائمة الهدی که مؤمنان

بتلاوت آن مشغول باشند و اگر در معرض بیع و بخشیدن

و رهن در آورند آثم باشند فمن بدله بعدما

سمعه فانما اثمه علی الذین یبدلونه